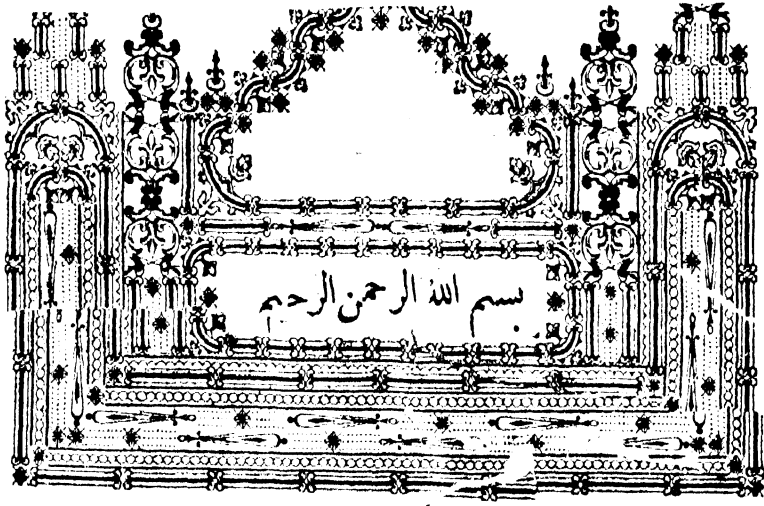


UNIVERSAL
LIBRARY

OU_232720

UNIVERSAL
LIBRARY



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على

﴿ أمابعد ﴾ فيقول العبد الفقير خادماً طلبية العسم بمسجد الحرام كثير الذنوب والا
... به الغفران أ

بن زيني دحلان غفر الله له ولوالديه ومشايخه و

بقات جعت فيها بغاية الاختصار الفتوحات الإسلامية الذ

لله عليه وسلم ومن جاء بعدهم من الخلفاء والملوك فابتدأت

كر الصديق رضي الله عنه وسميتها الفتوحات الإسلامية بع

مضى الفتوحات السبويه ولها بعث جيش أسامة بن زيد رضي الله عنهما لأن النبي صلى

الله عليه وسلم جهزه في زمنه الذي توفي فيه وأمره أن يسير إلى الموضع الذي استشهد فيه

أبوه زيد بن حارثة رضي الله عنه وأمره أن يروى الخيل لحوم البلقا والداروم من أرض

فلسطين ومشارك الشام وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مس

استخلف أبو بكر رضي الله عنه وارتد كثير من العرب أشار عليه به

بأخير جيش أسامة رضي الله عنه فامته

رسول الله صلى الله

جهزه ر

صلى

رجل يوم ومحدث أبو بكر رضي الله عنه في م

ظم الأمور نفعا للمسلمين فان العرب قالوا لو لم يكن

الجيش فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه ولما ارتد كثير من العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ثبتت قريش وثقيف على الاسلام ولم يرد أحد منهم أما قريش فثبتهم الله بهيل بن عمرو العامري رضي الله عنه فانه خطب أهل مكة خطبة تشبه خطبة ابي بكر رضي الله عنه التي خطب بها يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وثبت أهل المدينة بها فلما جاء خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة ارتجت مكة وكاد أهلها يرتدون فقام سهيل بن عمرو رضي الله عنه على باب الكعبة وصاح بهم فاجتمعوا اليه فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ألم تعلموا ان الله قال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل وتلى آيات آخر ثم قال والله اني أعلم ان هذا الدين ليمتد امتداد الشمس والقمر في طلعو عهما وغرو بهما وقال ايضا يا أهل مكة لا تكونوا آخر من أسلم وأول من ارتد والله ليمن الله هذا الا امر كما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد رأيته قائما مقامى هذا وحده وهو يقول قولوا معي لا اله الا الله تدين اليكم العرب وتؤدى اليكم العجم الجزية والله لتنفقن كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله فمن بين مستهزء ومصدق فكان ما رأيتم فوالله ليكونن الباقي ثم ذكروا وفاته رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلاف ابي بكر رضي الله عنه وقال ان ذلك لم يزد الاسلام الا قوة فمن رأيئنا ارتد ضربنا عنقه فتوكلوا على ربكم فان دين الله قائم وكلته تامة وان الله ناصر من نصره ومقوى دينكم وان الله جمعكم على خيركم يعنى ابا بكر رضي الله عنه فتراجع الناس وكفوا عما هموا به وهذه الخطبة هي المقام الذي أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غزوة بدر لما أسر سهيل بن عمرو مع من أسر من كفار قريش يوم بدر فان فصيحاً بليغاً يخطبهم ويحثهم ويحرضهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم فلما أسر سهيل رضي الله عنه يارسول الله دعني أزع ثيابي سهيل بن عمرو فلا يقوم عليك شطيا في موطن ابدا لان سهيلا كان أعلم اى مشقوقي الشفة العليا والا أعلم اذا زهت ثيابا لم يستطع الكلام فقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه دعه يا عمر فمضى ان يقوم مقاماً تحمده عليه ولا تدمه فكان ذلك المقام هذه الخطبة التي قام بها حين جاءهم بمكة خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وثبت الله بها أهل مكة وكان اسلام سهيل ابن عمرو عام فتح مكة واستشهد يوم اليرموك سنة ثنتي عشرة وقيل مات في طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة ويجمع نسبهم مع النبي صلى الله عليه وسلم في لؤى بن غالب لانه من بني عامر بن لؤى والنبي صلى الله عليه وسلم من بني كعب بن لؤى وكان سهيل رضي الله عنه من أشرف قريش وله ترجمة واسعة وأما ثقيف فثبتهم الله بعثمان ابن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه فانه قام فيهم بمثل مقام به سهيل بن عمرو في مكة فثبتوا وكان قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ظهور مسيلة الكذاب ودعواه النبوة باليمامة وظهور طليحة بن خويلد الأسدي ودعواه النبوة في بني أسد وغطفان وظهور الأسود العنسي ودعواه النبوة باليمن فاما الأسود العنسي فسلط الله عليه فبروز الديلى فقتله وأخبر

النبي صلى الله عليه وسلم بقتله قبل وفاته ثم جاءتهم الأخبار بقتله في أول خلافة أبي بكر رضي الله عنه وأما مسيلة وطلحة الأسدي فسيأتي الكلام عليهما ولما ردت كثير من العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عظمت مصيبة المسلمين واشترأت اليهودية والنصرانية وعم النفاق وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية واضطربت الأرض نارا وكانت ردتهم مختلفة ففهم من قال لو كان نبيا مامات ومنهم من قال انقضت النبوة بموته فلا نطيع أحدا أبدا ومنهم من قال نؤمن بالله ومنهم من قال نؤمن بالله ونشهد أن محمدا رسول الله ونصلي ولكن لا نعطيكم أموالنا فقال أبو بكر رضي الله عنه ان الزكاة مثل الصلاة والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم بجادله في ذلك كثير من الصحابة منهم عمر وابو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة وغيرهم ومن مجادلهم له قول عمر رضي الله عنه له تألف الناس وارفق بهم فانهم بمنزلة الوحش فقال له أبو بكر رضي الله عنه رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك أجبار في الجاهلية وخوار في الإسلام قد انقطع الوحي وتم الدين أيقص واناحي والله لا أجاهدنهم مهما أستمسك السيف في يدي وان منعوني عقالا وقالي له عمر ايضا انما شحت العرب على أموالها فلو تركت للناس صدقة هذه السنة فأبى الاقتال لهم وقال له عمر ايضا كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم فقال له أبو بكر رضي الله عنه أليس قد قال الابحاث ومن حقها اقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والله لو منعوني عقالا وفي رواية عن اقا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ولو خذلاني الناس كلهم لجاهدتهم بنفسي فقال عمر رضي الله عنه فوالله ما هو الا ان رأيت أن شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت انه الحق وقال عمر بعد ذلك والله لقد رجح أئمة من أبي بكر بآمان هذه الامة في قتال اهل الردة وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لقد قنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه اولان الله من علينا بأبي بكر أجمننا ان لا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون ونعبد الله حتى يأتينا اليقين فعزم الله لأبي بكر على قتالهم ثم اتفق الصحابة كلهم رضي الله عنهم على قتالهم واستصوبوا ماراه أبو بكر رضي الله عنه قال انس بن مالك رضي الله عنه كره الصحابة أولا قتال مانعي الزكاة وقالوا أهل القبلة فتقدم أبو بكر رضي الله عنه سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على اثره وهذا ليل على كمال شجاعته وقال أبو بكر بن عياش سمعت أبا حصين يقول ما ولد بعد النبيين مولودا أفضل من أبي بكر رضي الله عنه لقد قام مقام نبي من الانبياء في قتال اهل الردة

ذكر أول وقعة في قتال أهل الردة

كان بعض أهل الردة طمعو في استيلائهم على المدينة واستيصال الصحابة ليرجعوا الا امر جاهلية كما كانوا فتمجبل جماعة من بني عبس وذبيان وزلوا في الأبرق ونزل آخرون بنى القصبة ومعهم قوم من بني اسد وكنانة وبعثوا وفدا الى أبي بكر يطلبون الاقتصار على الصلاة دون

الزكاة فأبى أبو بكر من ذلك وأخذ في الاحتراس والتحذر منهم فجعل على أنقاب المدينة عليا والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود وغيرهم ورجع وفد المرتدين فأخبروا قومهم بقله أهل المدينة فأغاروا على من كان بأنقاب المدينة فبعثوا إلى أبي بكر فخرج في أهل المسجد الحاضرين في ذلك الوقت على النواضح فهربوا والمسلمون في اتباعهم إلى ذي خشب وكان للمرتدين كمين في ذي حسي فنفروا أهل المسلمين بشنان نفخوها وفيها حبال ثم دهموها على الأرض فنفرت أهل المسلمين وهم عليها ورجعت بهم إلى المدينة ولم يصرع مسلم فظن المرتدون بالمسلمين الوهن وبعثوا إلى أهل ذي القصة بالخبر فقدموا عليهم وبات أبو بكر رضي الله عنه يعي الناس وخرج على تعبته فاطمعة الفجر الأوهم والعدو على صعيد واحد فاشعروا بالمسلمين حتى وضعوا فيهم السيوف فاذا قرن الشمس حتى ولوهم الأدبار وغلبوهم على عامة ظهرهم وقتلوا رجالا منهم وتبعهم أبو بكر رضي الله عنه ومن معه حتى نزلوا بذى القصة وكان ذلك أول الفتح ووضع بها النعمان بن مقرن في عدد ورجع إلى المدينة فذل له المشركون واعتز المسلمون بوقعة أبي بكر هذه واستبشروا ولما قدم أسامة بن زيد استخلفه أبو بكر رضي الله عنه على المدينة وخرج بمن معه من المسلمين إلى ذي حسي وذى القصة حتى نزل بالبارق فقاتل من به فهزم الله المشركين وأخذ الخطيئة أسيرا فطأ طئت بنو عبس وبنو بكر وأقام أبو بكر بالبارق أياما وغلب على بني ذبيان وبلادهم وحاجها لأدواب المسلمين وصدقاتهم ثم رجع إلى المدينة ولما انهزم بنو عبس وذبيان رجعوا إلى طليحة الأسدي وهو ببراخنة ثم قطع أبو بكر رضي الله عنه البعوث وعقد الألوية ففقد أحد عشر لواء وجعل لكل لواء أميرا وعزم أبو بكر على الخروج لقتال المرتدين بنفسه وأمر الناس بالجهاد فخرجوا وخرج هو في مائة من المهاجرين والأنصار وخالد بن الوليد يحمل اللواء حتى نزل بذى القصة ومكث أياما ينتظر الناس وبعث إلى من كان حوله من أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة فأقبلوا من كل ناحية حتى كثر الناس وجعل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما يكلمان أبا بكر في الرجوع إلى المدينة لما رأيا عزمه على المسير بنفسه وقال عمر أرجع يا خليفة رسول الله تكن للمسلمين فئة وردأ فانك إن تقتل يرتد الناس ويعلموا بالباطل ~~فما كنت~~ وأبو بكر يظهر المسير بنفسه وأخرج الدارقطني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال لما برز أبو بكر واستوى على الراحلة أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بزمامها وقال إلى أين يا خليفة رسول الله أقول لك ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شمس سيفك ولا تفجعنا بنفسك وأرجع إلى المدينة فوالله لأن فجعتنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدا ولما ألحوا عليه في الرجوع رجع بعد أن بعث الأمراء في كل ناحية لقتال أهل الردة

✽ ذكر مسير خالد بن الوليد إلى براخنة لقتال طليحة ابن خويلد الأسدي ✽

✽ من بنى أسد بن خزيمية بن مدركة بن اليمام ✽

ادعى النبوة قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وزعم أن جبريل يأتيه ويجمع الناس
الأكاذيب والخرافات التي تجمعها الأسماع كقوله والحمام واليمام ومصر والصوام قد ضمن

قبلكم بأعوام ليلفن ملكنا العراق والشام وكثر أتباعه من بني أسد وخطفان وكان يأمرهم
 بترك السجود في الصلاة ويقول ان الله ما يصنع بتعذر وجوهكم وتبجح أدياركم شيئا اذكروا
 الله اعبدوه قياما فبعث ابو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد رضي الله عنه لقتال طليحة ومعه كثير
 من المهاجرين والانصار ومعه ايضا عدي بن حاتم في ألف من طيئ وكان طليحة قد أسلم ثم ارتد في
 حياة النبي صلى الله عليه وسلم وكان كاهنا فادعى النبوة فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم استطار أمر
 طليحة واجتمعت اليه غطفان وهو ازن وخيرهم وارتد ايضا عيينة بن حصن الفزاري وصار مع
 طليحة ونزلوا جميعا يراخه فقصدهم خالد بن الوليد بن معه وتقاتلوا واشتد القتال ثم انهزموا
 فقتل من قتل منهم وأسلم من أسلم فوثب طليحة على فرسه واحتجب امرأته ونجاها الى الشام
 روى ان طليحة قال لاصحابه لما رأى انهزمهم ويلكم ما يهزمكم فقال له رجل منهم انا أخبركم
 انه ليس من ارجل الا وهو يجب ان صاحبه يموت قبله وانا نلتقي قوما كالهم يحب ان يموت
 قبل صاحبه وكان خالد بن الوليد قبل القتال ولقاء القوم أرسل طليحة عكاشة بن محصن
 الأسدي وثابت بن أرقم الانصاري فلقيهما حبال أخو طليحة فقتلاه فبلغ خبره طليحة فخرج
 هو وأخوه سلة فقتل طليحة عكاشة وقتل أخوه ثابتا وقيل ان حبال أخو طليحة أسرفأرادوا
 ارساله الى ابي بكر رضي الله عنه فقال اضربوا عنقي ولا تروني محمد يكم هذا ولما وقع القتال
 من طليحة وقومه كان خالد رضي الله عنه يحرض المؤمنين ويقول يا معشر الانصار الله الله
 واقتحم وسط القوم وكر على اصحاب طليحة فاختلفت الصفوف واختلفت السيوف بينهم
 واشتد القتال وقاتل خالد يومئذ بسيفين حتى قطعهما وقاتل عيينة بن حصن مع طليحة قتالا
 شديدا وكذا قومه وكان معه منهم سبع مائة ولما انهزم القوم أسر عيينة بن حصن وقرة بن هبيرة
 القشيري وأرسل الى ابي بكر رضي الله عنه فرجما للاسلام فقبله منها واما طليحة فانه لما انهزم
 الناس فروا ببق نحو الشام عند بني غسان الى ان توفي ابو بكر رضي الله عنه ودخل بنو أسد وغيرهم
 في الاسلام أسلم طليحة وحسن اسلامه ولقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبايعه وقال له عمر
 رضي الله عنه انت قاتل عكاشة وثابت والله لا أحبك ابدا فقال يأمر المؤمنين ما بهمك من
 رجلين اكرهما الله بالشهادة على يدي ولم يهني بآيديهما ثم كان لطلحة آثار جيلة في قتال الفرس
 لما فتح العراق وكان من الشجعان المشهورين استشهد رضي الله عنه بها وند سنة ثمان
 عشرة ولما وقع الله بني أسد ما وقع وانهزموا وبث خالد السرايا ليصيبوا ما قدروا عليه فجعلت
 العرب تسير الى خالد راغبة في الاسلام او خائفة من السيف ومنهم من مضى الى ابي بكر
 ولم يأت خالدا ولما فرغ خالد من بني أسد سار الى ارض بني تميم فلما وصل الى البطاح
 من ارض تميم لم يجد بها جمعا ففرق السرايا في نواحيها فلقوا اثني عشر رجلا فيهم مالك بن
 نيرة التميمي وكانوا ممن ارتدوا ومنعوا الزكاة فأخذوهم وجأؤ بهم خالدا واختلف
 الذين أخذوهم في مالك بن نيرة ومن معه فقال قوم انهم أسلموا فلما علينا عليهم من سبيل
 وقال قوم لم يسلموا وان قتلهم وسبيهم حلال وكان ذلك رأى خالد فيهم فامر بهم خالد
 فقتلوا وقتل معهم مالك وتزوج خالد امرأته وقيل ان خالدا سمع من مالك كلاما
 استدل به على عدم اسلامه من ذلك انه قال ان صاحبتكم قد توفي فعلم خالد أنه أراد

انه صلى الله عليه وسلم ليس بصاحب له فتيقن رده فقتله بعد ان تكرر من مالك قوله فعل صاحبكم شأن صاحبكم فقال له خالد وليس بصاحب لك وقيل انه لما قدم مالك بن نويرة ومعه الأسرى على خالد حبسهم عند ضرار بن الأزور وكانت ليلة ممطرة فنادى مناديه ان أدفنوا أسراكم وكانت في لغة كنانة كناية عن القتل فبادر ضرار بقتلهم وكان كنانيا وسمع خالد الداعية فخرج متأسفا وقد فرغوا فقال اذا أراد الله امرا أصابه ولما قدم خالد على ابي بكر رضى الله عنه سأله عن قتل مالك بن نويرة فأخبره بذلك واعتذر اليه فقبل عذره وأراد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان ابا بكر رضى الله عنه يقتل خالد اقصاصا في مالك بن نويرة فقال ابو بكر يامر تأول خالد فأخطأ فارفع لسانك عن خالد فاني لأشيم ميما سله الله على الكافر بن ودفع ابو بكر رضى الله عنه ديات لا ولياء مالك بن نويرة ومن قتل معه وكان مالك بن نويرة أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وقدم عليه فجعله النبي صلى الله عليه وسلم على من قاتل قومه فجعله فلما بلغه وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ردها من حيث جاءت وكان من أقدم وكان خالد رضى الله عنه بعد وقعة مالك بن نويرة رجع من البطاح الى المدينة واجتمع بابي بكر رضى الله عنه واعتذر بما كان في أمر مالك بن نويرة فقبل عذره وأمره بالسير الى قتال مسيلة فسار خالد ومن معه لقتال أهل الكيامة التابعين لمسيمة ولئذ كر قبل ذلك خبر سجاح بنت الحارث التميمية

ذكر خبر سجاح

لما ارتد كثير من العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ادعت النبوة سجاح بنت الحارث التميمية وأقبلت من الجزيرة وتبعها كثير من قومه وقوم من بني تغلب وكانوا أخوالها وسجعت لهم أسجاع طليحة الأسدي ومسيمة الكذاب من ذلك قولها أعدوا الركاب واستعدوا للتهاب ثم أغبروا على الرباب فليس دونهم حجاب وأرادت أن تغزو يجمعوها ابا بكر رضى الله عنه بالمدينة ثم أشاروا عليها بغزو مسيلة باليامة فخرجت بمن معها تريد اليامة وقالت عليكم باليامة ذفوا ذيف الحمالة فانها غزوة صرامة لا يلحقكم بعدها ملامة فبلغ ذلك مسيلة فاحتال عليها وأرسل لها هدية ثم أرسل لها يستأن على نفسه حتى يأتيها فأمنته فجاءها في أربعين من بني حنيفة وأرسل لها أبعدي أصحابك ففعلت وقد ضرب لها قبة فحمرها وأكثر فيها من رائحة الطيب المحرك للشهوة واجتمع بها في تلك القبة فغالت له مأوى اليك ربك فقال ألم ترى الى ربك كيف فعل بالحلي أخرج منها نسمة تسمى بين صفاق وحشي قالت وماذا ايضا قال ان الله خلق للنساء أفرجا وجعل الرجال لهن أزواجا فتولج فيهن ايلجا وتخرجها اذا شاءت اخرجا فينتجن لهن سخالا انتاجا قالت أشهد أنك نبي قال هل لك ان أتزوجك وآكل بقومي وقومك العرب قالت نعم قال

- * ألا قومي الى النيك * فقهني لك المجمع * فان شئت في البيت *
- * وان شئت في الخدع * وان شئت سلفناك * وان شئت على أربع *
- * وان شئت بثلاثه * وان شئت به أجمع * قالت بل به أجمع *

فانه أجمع للشمل قال بذلك أوحى الى فأقامت عنده ثلاثا ثم انصرفت الى قومه فقالوا لها ما عندك قالت كان على الحق قبيته وتزوجته قالوا هل أصدقت شيئا قالت لا قالوا فارجعي فاطلبي الصداق فرجعت فلما رآها أغلق باب الحصن وقام مالك قالت أصدقتني قال من. وذلك قالت شبت بن ربي الرياحي فدعا وقال له ناد في أصحابك ان مسيلة رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما جاءكم به محمد صلاة الفجر وصلاة العشاء الأخيرة فانصرفت معها أصحابها فقال بعض منهم

* أمست نبيتنا أنثى نطوف بها * وأصبحت أنبياء الناس ذكرا نا *
وصالحها مسيلة على غلات اليمامة سنة تأخذ النصف والنصف الثاني تترك عنده من يأخذه فأخذت النصف وانصرفت الى الجزيرة وتركته عنده من يأخذ النصف الباقي فلم يفاجئهم الا وقد جاء خالد اليهم فرفضوا قيل انها لما قتل مسيلة سارت الى أخوالها تغلب بالجزيرة فانت عندهم ولم يسمع لها ذكر وقيل انها أسلمت وحسن اسلامها وانتقلت الى البصرة وماتت بها وصلى عليها سمرة بن جندب وهو أمير على البصرة لمعاوية قبل قدوم عبيد الله بن زياد من خراسان وولايته البصرة

✽ ذكر مسير خالد بن الوليد رضي الله عنه الى اليمامة لقتال مسيلة الكذاب ✽
✽ بن حبيب الحنفي ✽

كان أبو بكر رضي الله عنه لما بعث السرايا لقتال المرتدين أرسل عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه في عسكر الى مسيلة وأتبعه بشر حبيل بن حسنة التميمي وقيل الكندي وكان حليفًا لبني زهرة رضي الله عنه فمجل عكرمة فوافاهم فنكبوه فانهزم وأقام شر حبيل بالطريق حين أدركه الخبر وكتب عكرمة لأبي بكر بالخبر فكتب اليه أبو بكر ان لا ترجع فتوهن الناس امض الى قتال أهل عمان ومهرة وكان قد أرسل الى قتالهم حذيفة بن محصن وعرفجة ابن هرثة فأمر عكرمة بالحقق بهما ثم لما جاء خالد الى المدينة بعد قصة مالك بن نويرة أمره بالمسير الى اليمامة لقتال مسيلة بن حبيب ومسيلة من بني حنيفة وهي قبيلة من قبائل ربيعة ابن زار بن معد بن عدنان وكان مسيلة رئيسا في قومه فقدم مع وفد بني حنيفة على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم واجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم وسأله أن يجعل له الأمر بعده وكان في يد النبي صلى الله عليه وسلم عسيب من سبب النخل فقال لمسيلة لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتك فلما رجع الى اليمامة ارتد عدو الله وادعى النبوة وقال اني أشركت في الأمر مع محمد فاتبعه بنو حنيفة وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد فاني قد أشركت في الأمر معك وان لنا نصف الارض ولقر يش نصفها ولكن قر يشا قوم يعتدون وبعث الكتاب مع رجلين من قومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قرأ كتابه أتشهدان أني رسول الله قال نعم قال أتشهدان ان مسيلة رسول الله قال لا نعم اشركت معك في الأمر فقال أما والله لولا ان الرسل لا تقتل لغضبت أعناقكم ثم كتب الى مسيلة في جوابه بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى مسيلة الكذاب السلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله
 بورئها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقد اهلكت اهل الجحيم ابادك الله ومن صوت
 معك فلما جاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخفاه وكتب عن رسول الله كتابا
 زعم انه وصلة بثبوت الشراكة بينهما واخرج ذلك الكتاب الى قومه فافتنوا بذلك وكان
 ذلك في آخر السنة العاشرة من الهجرة قال الزمخشري في ربيع الاربار قال الجاحظ كان مسيلة
 قبل ادعاء النبوة يدور في الاسواق التي بين دور العرب والعجم يلتمس تعلم الخيل والنيجيات
 واحتيالات اصحاب الرقي والنجوم ومما تعلمه من الخيل انه صب على بيضة من خل حاذق
 قاطع فلانت حتى اذا مددتها استطالت واستدقت كالعلك ثم ادخلها قارورة ضيقة الرأس وتركها
 حتى انضمت واستدارت وعات كهيئتها الاولى فاخرجها الى قومه وهم قوم اعراب وادعى
 النبوة فامن به جماعة ووضع الصلاة عن قومه واحل الجحر والزنا ونحو ذلك واتفق معه بنوا
 حنيفة الا فرادا منهم من ذوى عقولهم ومن اراد الله به الخير ثم اشتغل بتأليف سبعيات
 يزعم انه يعارض بها القرآن وهى ركيكة ضحكة للعقلاء منها قوله الفيل ما لفيل وما ادراك
 ما الفيل له ذنب وثيل ومشفر وخرطوم طويل ان ذلك من خلق ربنا لتفصيل ومنها
 قوله يا ضفدع كم تنقن اعلاك من الماء واسفلك في الطين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين
 وروى يا ضفدع بنت ضفدعين لحسن ما تنقنين لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين امكشى
 في الارض حتى يأتيك الخفاش بالخبر اليقين لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قریش
 قوم لا يعدلون وسمع الاعمى على سورة انا اعطيناك الكوثر فقال انا اعطيناك الجواهر
 فصل ربك وهاجر ان مبغضك لفاجر وفي رواية انا اعطيناك الجواهر فخذ لنفسك
 وبادر واحذر ان تحرس او تكاثر وفي رواية انا اعطيناك الكواثر فصل ربك وبادر
 في الليالى الفوادر ولما سمع الاعمى والنسازعات غرقا قال والزراعات زرعاً فالخاصدات
 حصدا والذاريات قمحا والطابخات طبخا والحفارات حفرا والخازنات خبزا فالشاردات
 ثردا فاللائقات لقما والاكلات اكلا لقد فضلتكم على اهل الوبر وما سبقكم اهل المدر
 وله غير ذلك مما يدل على سخافة عقله وعقل من صدقه واتبعه روى ان امرأة انت مسيلة
 فقالت ادع الله لنا ولنخلنا ولما ثا فان محمدا دعا لقومه فجاشت ابارهم وكثر ماؤها قال
 كيف صنع قالت دعا بسجل فدعا لهم فيه ثم تمضمض ووج فيه فافرغوه في تلك الابار ففعل
 مسيلة كذلك فغارت تلك المياه ولما سمع الاعمى ان النبي صلى الله عليه وسلم تقل في غيبن
 على رضى الله عنه وكان ارمدا فبرء تقل في عين بصير فعمى ومسح بيده ضرع شاة حلوب
 فارتفع درها وبيس ضرعها وحفرة بنو حنيفة بيرا فاعذبوها متاحا فجاءوا الى مسيلة
 وطلبوا منه ان يأتياها وان يبارك فيها فأتاها فبصق فيها فعادت اجابا وتوضأ مسيلة
 في حائط فصب وضوءه فيه فلم يثبت وقال له رجل بارك على ولدى فان محمدا يبارك على
 اولاد اصحابه فلم يؤت بصبي مسح مسيلة رأسه او حنكه الا قرع اولثغ وجاءه رجل فقال
 يا ابا تمامه انى ذومال وليس لى مولود يبلغ سنتين حتى يموت غير هذا المولود وهو ابن
 عشرين ولى مولود ولد امس احب ان تبارك فيه وتدعو ان يطيل الله عمره فقال سأطلب

قال في القساموس والنيجج بالكسر اخذ كالسحر وليس به انتهى

لك الذي طلبت فجعل عمر المولود اربعين سنة فرجع الرجل الى اهله مبسورا فتردى الاكبر في بئر ووجد الصغير يترع في الموت فلم يمض من ذلك اليوم حتى ماتا جميعا فالت امامهما فلا والله مالا في غامه عندهم مثل منزلة محمد صلى الله عليه وسلم وكان مسيلة قبيح الخلقة وذم الصورة وصفته على عكس صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يزعم ان جبريل يأتيه بالوحى وكان اسمه هارون ابن حبيب وكنيته ابو ثمامه ولقبه مسيلة وكنى يقال له رحن اليمامة قيل انه كان يقول ان الذي يأتيه اسمه رحن وقيل انه من باب تعنتهم في الكفرهم ولما فرغ خالد من البطاح ورجع الى المدينة ورضى عنه ابو بكر رضى الله عنه بعثه الى مسيلة فتعجل الى البطاح وامده ابو بكر رضى الله عنه بالرجال فانظر البعوث حتى قدمت عليه فنهض الى اليمامة وكان جيشه اربعة آلاف وكان اهل اليمامة اربعون الف مقاتل ولما بلغهم دنو خالد بن الوليد رضى الله عنه خرجوا وعسكروا في منتهى ريف اليمامة واستنفروا الناس فنفروا اليهم واقتل خالد وجعل على مقدمته شرحبيل بن حسنة فهجم عليه من اصحاب مسيلة ليلة سرية اربعون اوستون قبض المسلمون عليهم وقتلوه ثم سار خالد ونازل بنى حنيفة واشتدت الحرب ولم يلق المسلمون حربا مثلها قط وتدامرت بنو حنيفة وقاتلت قتالا شديدا وكانت الحرب يومئذ تارة للمسلمين وتارة للكافرين ثم انزل الله نصره على المسلمين حتى الجؤا بنى حنيفة الى حديقة احتشدوا فيها فدخلها المسلمون عليهم وقتلوه اشد القتال فلم يزلوا كذلك حتى قتل مسيلة واشترك في قتله وحشى مولى جبسير بن مطعم الذى قتل حزة رضى الله عنه ورجل من الانصار اما وحشى فدفع عليه حربته فوقعت بين ثديه وضربه الانصارى بسيفه واختلف في هذا الانصارى فقيل هو ابو دجانه وقيل هو عبد الله بن زيد قال ابن عمر فصرخ رجل وقال قتله العبد الاسود وقالت جارية على ظهر بيت وأمير المؤمنين قتله العبد الاسود فوالت بنو حنيفة عند قتله مهزومة واخذهم السيف من كل جانب ثم بق منهم جماعة بالحصون فصالحهم خالد على كل شئ دثون النفوس وفي رواية فصالحهم على الصفر والبيضا والحلقة والكرع ونصف السبي وكان وحشى يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام يعنى حزة ومسيلة وفي تاريخ ابن الوردي لما عزى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحزمة حين قتله وحشى بأحد قال بعضهم ويل لو حشى من النار فقال صلى الله عليه وسلم اما حزة فاجله قد انقضى واما وحشى فسوف يدرك الشرف من بعده فقالوا كيف يا رسول الله قال هو يقتل مسيلة الكذاب فكان كما قال صلى الله عليه وسلم واستشهد في هذه الواقعة كثير من مشاهير المهاجرين والانصار وفضلاء الصحابة بطول الكلام بتعداد اسمائهم وجملة من قتل من المهاجرين والانصار من المدينة ثلثمائة وستون ومن المهاجرين من غير المدينة ثلاثمائة رجل ومن بقية المسلمين ستمائة لجملة من استشهد من المسلمين الف ومائتان وقيل الف وثمانمائة ومن المشركين نحو عشرين الف قتل منهم في الحديقة فقط سبعة عشر الفا كما في تاريخ بن خلدون وكانت هذه الواقعة في ربيع الاول من سنة ثنتي عشرة من الهجرة كذا في تاريخ الخميس والذي يقتضيه تاريخ ابن الاثير وتاريخ ابن

خلدون انها كانت في اواخر السنة الحادية عشر لاثنتهم ذكروا ان مسير خالد الى العراق في اول سنة ثنتي عشرة وكان ذلك بعد فراغه من قتال اهل اليمامة وكان القتال يوما كاملا من بكرة النهار الى بعد العصر وقاتل خالد بن الوليد في ذلك اليوم قتالا شديدا وكان يقول شهدت عشرين زحفا فلم ارقوما اصبر لوقع السيوف ولا اضرب بها ولا اثبت اقداما من بني حنيفة يوم اليمامة وقال ابو برزة الاسلمي لقد اقتحم خالد حتى اعذر وصبر حتى ظفر وقال رافع بن خديج خرجنا ونحن اربعة آلاف فانتهينا الى اليمامة فننتهي الى قوم هم الذين قال الله فيهم ستدعون الى قوم اولى بأس شديد ثم ان الله بمه وكرمه وفضله رزقنا عليهم الظفر وكان مع المسلمين امرأة وهى ام عماره نسيه بنت كعب الانصارية وهى والدته عبد الله بن زيد الذى قتل مسيلة مع وحشى وشهدت امه ذلك اليوم وقطعت يدها في ذلك القتال وكانت ام عماره هذه جاءت الى ابى بكر رضى الله عنه لما تجهز القوم للخروج واستأذنته في الخروج فقال لها ابو بكر رضى الله عنه مامثلك يحال بينه وبين الخروج قد عرفناك وعرفنا جراًءك في الحرب فاخرجى على اسم الله وكان مسيلة قبل خروجهم قد ظفر بابن لها وهو حبيب ابن زيد وكان مقبلا من عمان يريد المدينة فسمع به مسيلة فارسل من قبض عليه وحبسه اسرا فقال له مسيلة اتشهد انى رسول الله فقال لا اسمع فقال له اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم فأمر به فقتل وكان كلما قال اتشهد انى رسول الله قال لا اسمع فاذا قال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم حتى قطعوه اعضوا حتى قطع يديه من المنكبين ورجليه من الوركين ثم احرقه بالنار وهو في كل ذلك لا ينزع عن قوله ولا يرجع عما بدأ به حتى مات في النار فخرجت امه مع القوم لتأخذ بشار انها فلما انتهوا الى اليمامة فكانت تقايل مع المسلمين قالت فلما انتهينا الى الحديقة ازدجنا على الباب فاقبحنا فاضار بناهم ساعة وجعلت اقصد عدو الله مسيلة لان اراه ولقد عاهدت الله لئن رأيته لا اكذب عنه او اقل دونه وجعلت الرجال تختلط والسيوف بينهم تختلف وخرس القوم فلا صوت الا وقع السيوف حتى بصرت بعدو الله فشدت عليه وعرض لى منهم رجل فضرب يدي فقطعها فوالله ما عرجت عليها حتى انتهيت الى الخبيث وهو صريع قد قتله ابى عبد الله وفي رواية وابنى يمسح سيفه بثيابه فقلت اقلته قال نعم يامه فمجدت شكرا لله تعالى وقطع الله دابرهم فلما انقطعت الحرب ورجعت الى منزلى جاءنى خالد ابن الوليد بطبيب من العرب فداوانى بالزيت المقلى وكان والله اشد على من القطع وكان خالد كثير التعاهدلى حسن الصحبة لنا يعرف لنا حقنا ويحفظ فينا وصية نبينا وعن محمد بن يحيى بن حبان قال جرحت ام عماره يوم اليمامة احد عشر جرحا بين ضربة سيف اورمية بسهم او طعنة برمح وقطعت يدها سوى ذلك ولما قدمت المدينة كان ابو بكر رضى الله عنه يأتيها ويسأل عنها وهو يومئذ خليفة ومن استشهد يوم اليمامة ثابت بن قيس ابن شماس وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفاخر به وفود العرب اذا قدموا عليه فيفتخرون بفصاحه خطبائهم وكان يوم اليمامة معه راية الانصار ولما استشهد ودفنه المسلمون سمعوه حين ادخلوه في قبره يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق ع الشهد عثمان البر الرحيم فنظروه فاذا هو ميت ذكر ذلك القاضي عياض في الشفا

وبعد وفاته رآه رجل من المسلمين في منامه يقول له اني موصيك بوصية فايك ان تقول هذا حمل
فترضيه اني لما قتلت بالامس جاء رجل من ضاحية نجد وعلم درعي فاخذها واتى بها منزله
فاكفاه عليها برمته وجعل على البرمة رحلا وخباه في اقصى العسكر الى جنب خبائه فرس ابلق
يسن في طوله فأت خالد بن الوليد فاخبره فليبعث الى درعي فليأخذها واذا قدمت على خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره ان علي من الدين كذا ولى من الدين كذا وسعد وسار
غلاماى حران فايك ان تقول هذا حمل فترضيه فلما اصبح الرجل اتى خالد رضى الله عنه فاخبره
فبعث خالد الى الدرع فوجدها كما قال واخبره بوصيته فاجازها ولا نعلم ان احدا من المسلمين
اجيزة وصيته بعد موته الا ثابت ابن قيس بن شماس وقدروى ان بلال بن الحارث رضى الله
عنه كان صاحب الرؤيا ولما انقضى القتال اجتمع خالد بن الوليد ببعض اهل اليمامة وسألهم
عن اسباج مسيلة فقصوها عليه فقال سبحان الله هذا الكلام ما خرج من إل ولا بر فاين
يذهب بكم عن احلامكم وقال ابو بكر رضى الله عنه في حق اهل اليمامة لن يزالوا من كذابهم
في بلية الى يوم القيامة الا ان يعصمهم الله تعالى وقصة يوم اليمامة طويلة وقع فيها عجائب من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانت معجزات له صلى الله عليه وسلم وكرامات لهم
وكلها مذكورة في التواريخ وفي هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى اعلم والكلام على
بقية اهل الردة الذين قاتلهم غير خالد بن الوليد سيأتى الكلام عليه مؤخرا بعد اتمام الكلام
على غزوات خالد بن الوليد بالمشرق والعراق

ذكر مسير خالد بن الوليد الى العراق

ولما فرغ خالد بن الوليد من امر اليمامة بعث اليه ابو بكر رضى الله عنه في المحرم من سنة ثنتي
عشرة فامر به بالمسير الى العراق فسار من اليمامة وقبل قدم على ابي بكر رضى الله عنه ثم سار
من المدينة وانتهى الى قرية بالسواد وصالحه اهلها على عشرة آلاف دينار فقبضها ووضع الجزية
عليهم ثم سار الى الحيرة وخرج اليه اشترافها مع اياس ابن قبيصة الطائي الامير عليها بعد النعمان
ابن المنذر فدعاهم الى الاسلام او الجزية او مناجزة الحرب فاختروا الجزية فصالحوه
على تسعين الف درهم ثم سار الى الابله وكان معه عشرة الاف وامده ابو بكر رضى الله
عنه بالمشني بن حارثة الشيباني ومعه ثمانية الاف وكان قبل مجي خالد استأذن ابا بكر
رضى الله عنه ان يغزوا بالعراق فلما قدم خالد امر ابو بكر المشني ان يكون مع خالد ونازلوا
الحفير وكان ذلك الفرج اعظم فروج فارس واشدها شوكة وكان صاحبه اسمه هرمز
فكان يحارب العرب في البر ويحارب الهند في البحر فلما سمع هرمز بهم كتب الى كسرى اذشير
الملك بالخبر وتعجل هو الى الكواظم واقتنر قومه بالسلاسل لئلا يفروا فسمع بهم خالد
وكانوا سبقوه في النزول على الماء فنزل خالد على غير ماء فقال له اصحابه في ذلك فقال لهم
لعمري ليصيرن الماء لا صبر الفريقين لخطوا اثقالهم وتقدم خالد الى الفرس فلاقاهم فارسل الله
سحابة فاغدرت وراصف المسلمين فقويت قلوبهم وخرج هرمز ودنا خالد الى البراز
وتواطأ مع اصحابه على القدر بخالد فبرز اليه خالد ومشي نحوه راجلا ونزل هرمز ايضا

وتضاربا فاحتضنه خالد وهجلا اصحاب هرمرز الذين تواطأ معهم فاشغل ذلك خالدا عن قتله
وحمل القعقاع بن عمر وعليهم فازاحهم وانهزم اهل فارس وركبهم المسلمون وقتل خالد
هرمرز واخذ سلبه وكانت قلنسوته بمائة الف وكانت هذه عادتهم اذا تم شرف الانسان
تكون قلنسوته بمائة الف وبعث خالد بالفتح والახماس الى ابي بكر وسميت هذه الواقعة
ذات السلاسل ثم سار خالد فنزل بمكان البصرة وبعث الثني بن حارثة في اثار العدو فحاصر
حصن المرأة وفتحته فاسلمت وتزوجها وكان كسرى اذ تشير للمجاهة كتاب هرمرز بمسير خالد
امده بجيش فلقبة المنهزمون فرجعوا ونزلوا الثني وهو النهر وتعرف هذه الواقعة بوقعة
الثني وسار اليهم خالد واقتتلوا وانهزم الفرس وقتل منهم نحو ثلاثين الفاسوى من غرق
وغنم المسلمون غنيمة عظيمة واخذوا الجزية من الفلاحين وصاوا في ذمة وكان في السبي والد
الحسن البصري وكان نصرانيا ولما جاء الخبر الى كسرى بعث جيشا عظيما وعسكروا بالجله
فسار اليهم خالد فقاتلهم وهزمهم وقتل كثيرا منهم ثم اجتمعوا على مليس ومعهم كثير من
نصارى العرب فسار اليهم خالد فبرز اليه مالك بن قيس فقتله خالد واشتد القتال ثم انهزموا
واستأسر الكثير منهم وقتلهم خالد حتى سال النهر بالدم وسمى نهر الدم وبلغ عدد قتلاهم
سبعين الفا ثم سار الى امعشيا فغزا اهلها واجملهم ان ينقلوا اموالهم فغنم جميع ما فيها
وخر بها فلما بلغ ذلك ابا بكر رضى الله عنه قال عجرت النساء ان يلدن مثل خالد ثم سار الى
الحيرة وحمل الرجال والاثقال في السفن فخرج مرزبان الحيرة فمسكرك عند العريين وارسل
ابنه ليقاطع الماء عن السفن فوقفت على الارض فسار اليه خالد فقتله وجبى من معه ثم
سار خالد الى ابيه في الحيرة فهرب من غير قتال وحاصر خالد قصور الحيرة وافتتحها واكثر
القتل فخرج ابن قبيصة من القصر الابيض وعمرو بن عبد المسيح ابن بقبيله وكان معمرا
فقال له خالد كم اتى عليك قال مئوسنين قيل ان عمره كان اربعمائه سنة قال فما اعجب ما رأيت
قال رأيت القرى منظومة ما بين دمشق والحيرة تخرج المرأة فلا تزود الا رغيفا وكان معه
خادم معه كيس فسأله خالد ما في هذا الكيس قال فيه سم ساعه فاخذه خالد ونثره
في يده وقال لم تستحب هذا معك قال خشيت ان يكون على غير ما رأيت فيكون الموت
احب الى من مكروه ادخله على قومي فقال له خالد لن تموت نفس حتى تأتى على اجلها
ثم قال خالد بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شئ وابتلع السم فقال ابن عبد المسيح والله
لتبلغن ما اردتم ما دام احد منكم هكذا واما خالد ان يصالحهم الاعلى تسليم كرامة بنت عبد
المسيح الصحابي اسمه شويل كافي تاريخ ابن الاثير وقيل شريك كافي تاريخ ابن خلدون وكرامه
بنت عبد المسيح قيل اسمها الشيا وسبب اشتراط تسليمها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر
استيلاء أمته على ملك فارس والحيرة سأله ذلك الصحابي ان يعطى كرامة بنت عبد المسيح قال ابن
الاثير وكان راها شابه قال اليها فوعده النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فلما فتحت الحيرة
طلبها وشهد له شهود بوعده النبي صلى الله عليه وسلم فسلوها لخالد وسلمها خالد له وقال وعد
النبي صلى الله عليه وسلم اياه فاشتروها منه بألف درهم وصالحهم خالد على ما بقي الف وتسعين
الفا واهدوا له هدايا فبعث بالفتح والهدايا الى ابي بكر رضى الله عنه فقبلها ابو بكر من الجزية

وكتب الى خالد ان يأخذ منهم بقية الجزية وقصة بنت عبد المسيح ذكرها الدميري في حياة الحيوان في ترجمة البغلة فقال روى الطبراني وابونعيم من طرق صحيحه عن خزيمة ابن اوس قالها جرت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقدمت عليه عند منصرفه من نبوك فاسلت فسمعه يقول هذه الحيرة قد رعت اليكم ستفتحونها وهذه الشيا بنت بقله الازدي على بغلة شهابا معجزة لخم اسود فقلت يا رسول الله ان تحن دخلنا الحيرة فوجدناها على هذه الصفة فهي لي قال عليه الصلاة والسلام هي لك فاقبلنا مع خالد ابن الوليد نريد الحيرة فلما دخلناها كان اول من تلقانا الشيا بنت بقله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على بقله شهابا معجزة بخمار اسود فتعلقت بها وقلت هذه وهبها لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب منى خالد عليها البينة فاتيته بها فسلمها لى ونزل الينا اخوها عبد المسيح فقال اتبعنيها فقلت نعم فقال احكم ماشئت فقلت والله لا انتقصها عن الف درهم فدفع لى الف درهم فقيل لى لو قلت مائة الف درهم لدفعها لك فقلت لا احسب مالا اكثر من الف درهم قال الطبراني وبلغنى ان الشهادين كان محمدا بن مسلمة وعبد الله بن عمرو رضى الله عنهم انتهى وفي اسد الغابة ان اسم الصحابي المذكور حريم ابن اوس الطائي وان المرأة اسمها الشيا وان الشاهدين محمد بن مسلمة وعبد الله بن عمرو وقيل محمد بن مسلمة ومحمد بن بشير فن قال ان الصحابي شويل او شريك فلعله يتقرب بذلك وكذلك من قال ان اسم المرأة كرامه فلعله لقب لها لان القصة واحدة وهي من معجزاته صلى الله عليه وسلم واعلام بنوته والحيرة مدينة بارض الكوفة على ساحل البحر كان بها ملك النعمان بن المنذر وغيره من ملوك العرب عمالا لكسرى ملك الفرس والآن لا اثر للمدينة المذكورة ومكان المدينة دجلة

ذكر فتح ماور الحيرة

كان الدهاقين يتربصون بخالد ما يصنع باهل الحيرة فلما صالحهم واستقاموا له جائته الدهاقين من كل ناحية فصالحوه عما يلي الحيرة من الفلايح على النى ألف وبث السرايا في الثغور وامرهم بالغارة فمخروا السواد كله الى شاطى دجلة وكتب الى ملوك فارس يدعوهم الى الاسلام او اداء الجزية واقام بالحيرة سنة يصوب ويصعد والفرس حايرون فين يملكونه لان ملكهم مات فحصل اضطراب بينهم ثم سار خالد الى الانبار فحاصره وامر الرماة ان يقصدوا عيونهم فرموارشا واحدا ثم تابعوا فاصابوا الف عين فسميت تلك الوقعة ذات العيون فادسوا يطلبون الصلح على امر لم ير منه خالد فرد الرسل ونحر من ابل العسكر كل ضعيف والقاه في خندة ثم عبره فاجتمع المسلمون والكفار في الخندق فبذلوا لخالد ما اراد وعقدوا الصلح معه والحقهم بما منهم ليس معهم شىء غير المتاع ثم صالحه من حول الانبار واهل كلوا اذا

ذكر فتح عين التمر

ولما فرغ خالد من الانبار سار الى عين التمر وبها جمع عظيم من العجم ومعهم جمع من العرب من بنى تغلب وغيرهم فقال لهم العرب نحن اعلم بقتال العرب فدعونا وخالدا فقالوا اصدقتم

فتقدم العرب لقتال خالد فاسراهم ثم قتلوه وهزمهم واسر كثير منهم فانهزم العجم وتركوا الحصن فتحصن المنهزمون من العرب فنازلهم خالد فطلبوا الامان فأبى فزلوا على حكمه فاخذهم اسرى ثم قتلهم اجمعين وسبي كل من في الحصن وغنم ما فيه ووجد في بيعتهم اربعين غلاما يتعلمون الانجيل فاخذهم فقسّمهم على اهل البلاد منهم سيرين والد محمد بن سيرين ونصير ولد موسى بن نصير وجران مولى عثمان رضى الله عنه وارسل الى ابي بكر بالخبر والخمس

ذكر خبر دومة الجندل

لما فرغ خالد من عين التمر جاء كتاب من عياض بن غنم رضى الله عنه وكان امير اعلى جيش لقتال نصارى العرب الذين بدومة الجندل فكتب لخالد يستدع على من بأزائه من نصارى العرب وكانوا قبائل كثيرة فسار اليه خالد فنزل دومه وعياض عليها من الجهة الاخرى فقاتلوا نصارى العرب من الجهتين فانهزموا الى الحصن فحاصروهم واقتحموا الحصن غنوة وقتلوا مقاتلة وسبوا الذرية واقام خالد بدومة الجندل فطمع الاعاجم في الحيرة وكثرت جوعهم بالحصيد ومعهم كثير من نصارى العرب وكان خالد جعل على الحيرة القعقاع ابن عمرو فقاتلهم بالحصيد وقتل من العجم مقتلة عظيمة وهزمهم وغنم المسلون غنائم كثيرة ثم اجتمع الاعاجم بمضيق بنى البرشاء وكثرت جوعهم فبلغ الخبر خالد فاكتب الى القعقاع ومن معه من الامراء ووعدهم ساعة وليلة يجتمعون فيها الى المضيق وخرج خالد قاصدا اليهم فلما كانت تلك الساعة من ليلة الوجد اتفقوا جميعا فآغاروا عليهم وهم نائمون من ثلاثة اوجه فقتلوا كثير منهم وكان معهم عبد الغرى ابن ابي رهم وليد بن جرير وكانا قد اسلما ومعهما كتاب من ابي بكر رضى الله عنه باسلامهما فقتلا في المعركة فوداهما ابو بكر واوصى باولادهما وكان عمر رضى الله عنه يعتد بقتلهمما وقتل مالك بن نويرة على خالد فيقول ابو بكر كذلك يلقى من نازل اهل الشرك

ذكر وقعة الثنى والزميل

كان ربيعة بن بجير التغلبي بالثنى والزميل وهما شرق الرصافة ومعهم جوع ير يديها قتال خالد رضى الله فلما اصاب خالد اهل المضيق امر القعقاع والامرا بالسير ليغيروا عليهم وسار خالد من المضيق واجتمع بالثنى فبيتوا القوم واغاروا عليهم من ثلاثة اوجه وجردوا فيهم السيوف فلم يفلت منهم مخبر وغنم وسبي ولما انهزم من كانوا بالمضيق كان فيهم الهذيل بن عمران فلحق يحندهم كان بالبشر في عسكر ضخم فيبتهم خالد بغارة شعواء وقتل منهم قتلة عظيمة وقسم الغنائم وبعث الخمس الى ابي بكر رضى الله عنه ثم سار خالد الى الرضاب وبها جمع من نصارى العرب فهربوا وتفرقوا لما سمعوا بمسير خالد فوصل اليها خالد ولم يلق كيدا

ذكر وقعة الغراض

ثم سار خالد من الرضاب الى الغراض وهى تخوم الشام والعراق والجزيرة وافطربها

رمضان لاتصال الغزوات وحيت الروم واستعانوا بمن يليهم من الفرس فاعانواهم واجتمع معهم من العرب تغلب وايد والنمر وساروا الى خالد واقتتلوا بالغراض قتالا عظيما وانهزمت الروم ومن معهم وامر خالد المسلمين ان لا يرفعوا عنهم السيف فقتل في المعركة وفي الطلب مائة الف واقام خالد بالغراض عشرا ثم اذن بالرجوع الى الخيره لخمس بقيت من ذى القعدة وخرج هو من الغراض حاجاسرا ومعه عدة من اصحابه يعسف البلاد فاتي مكة وحج ورجع فماتوا في جنده بالخيره حتى وافاهم ولم يعلم بحججه الامن اعلمه ولم يعلم بذلك ابو بكر رضى الله عنه الا بعد رجوعه فغضب عليه في ذلك وكانت عقوبته اياه ان صرفه الى الشام من العراق ممداجوع المسلمين بالرموك وكانت غزواته هذه كلها في اقل من سنة لانه توجه الى العراق في المحرم سنة ثلث عشرة كما تقدم ولذا ذكر بقية الكلام على قتال اهل الردة الذي جرامن الامرا غير خالد بن الوليد ثم رجع لما كان في فتوح الشام

ذكر ردة بني عامر وهوازن وسليم

كانت بنو عامر تقدم الى الردة رجلا وتوخر اخرى وتنظر امر طليحة وما تصنع بنو اسد وغطفان حتى احيط بهم واوقع بهم خالد بن الوليد وكان رؤسا بني عامر قرة بن هبيرة وعلقة ابن علاثة وكان علقمة اسلم ثم ارتد في زمن النبي صلى عليه وسلم ولحق بالشام بعد فتح الطائف فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم اقبل مسرعا حتى عسكر في بني كعب فبلغ ذلك ابا بكر رضى الله عنه فبعث اليه سرية عليها القعقاع ابن عمرو فاغار على الماء الذي عليه علقمة وكان لا يبرح الاستعداد فسبقهم على فرسه فسبقهم واسلم اهله وولده فاخذهم القعقاع وقدم بهم على ابي بكر رضى الله عنه فجمعوا ان يكونوا على ما كان عليه علقمة ولم يبلغ ابا بكر رضى الله عنه انهم فارقوا دارهم وقالوا له ما ذنبنا فيما صنع علقمة فارسلهم ثم اسلم علقمة فقبل ذلك منه واقبلت بنو عامر بعد هزيمة اهل بزاخه يقولون ندخل فيما خرجنا منه ونؤمن بالله ورسوله واخوانا خالد بن الوليد فبايعهم على ما يابيع اهل بزاخه واعطوه بايد يهم على الاسلام ولم يقبل ثمن احد من اسد وغطفان وطى وسليم وعامر الا ان يأتوه بالذين حرقوا ومثلوا وعدوا على الاسلام في حال ردتهم فأتوه بهم فقتل بهم وحرقتهم ورضخهم بالحجارة ورمى بهم من الجبال ونكسهم من الابار وارسل الى ابي بكر رضى الله عنه يعلمه وامارة بن هبيرة فكان قذلقى عمر وبن العاص رضى الله عنه منصرفه من عمان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعمر وبن الزكاة فان العرب لا تدين لكم بالاناوه فغضب عمرو واسمعه كلاما وابلغ مقالته ابا بكر رضى الله عنه فكتب الى خالد بذلك فقبض على قرة بن هبيرة وبعث به الى ابي بكر فاسلم واعتذر فقبل ذلك منه ابو بكر وحقق دمه ثم اجتمع قبائل من غطفان وهوازن وطى واسد الى سلمى بنت مالك بن حديفة بن بدر في الجواب وبلغ ذلك خالد بعد فراغه من اهل بزاخه فقاتلهم وسلمى واقفة على جملها حتى عقر وقتلت وقتل حول هودجها مائة رجل فانهزموا واما بنو سليم فكان العجاء ابن عبد اليل قدم على ابي بكر رضى الله عنه يستعينه مدعي اسلامه ويضمن له قتال

اهل الردة فاعطاه وأمره فخرج الى الجون وارتد وبعث نجبة بن ابى المثنى من بنى الشريد وأمره بشن الغارة على المسلمين في سليم وهو اذن فبعث ابو بكر الى طريف بن حاجر وعبد الله بن قيس الحاسبى فنهضوا اليه ولقياه فقتل نجبة وهرب الفجاء فلحقه طريفه فأسره وجاء به الى ابى بكر رضى الله عنه فاوقده في مصلى المدينة خطبا ثم رمى به في النار فموتا وفات بنو سليم كلهم ودخلوا في الاسلام وكان منهم ابو شجرة بن عبد العزى السلى وهو ابن الخنساء وكان قد ارتد وقال شعرا منه قوله

* فرويت رمحي من كتيبة خالد * وانى لارجو بعدها ان اعمر *
يعنى عمر بن الخطاب فلما اسلم قبل ابو بكر رضى الله عنه منه الاسلام فلما كانت خلافة عمر رضى الله عنه قدم المدينة فرأى عمر يقدم مالا في المساكين فقال اعطنى فانى ذو حاجة فقال ومن انت فقال ابو شجرة بن عبد العزى السلى قال اى عدو الله لا والله الست الذى تقول
* فرويت رمحي من كتيبة خالد * وانى لارجو بعدها ان اعمر *
وجعل عمر يعلموه بالدرة على رأسه فسبقه عدوا الى ناقته فركبها ولحق بقومه وقال آياتا منها قوله

* ضن علينا ابو حفص بنائله * وكل مخضب بموماله ورق *

❖ ذكر ردة اهل البحرين ❖

كانت عبد القيس وبكر بن وائل وغيرهم من احياء ربيعة قد ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فاما عبد القيس فردهم الجارود ابن المعلى الى الاسلام وكان قد اسلم ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم فلما رجع الى قومه دعاهم الى الاسلام فاسلموا فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتدوا وقالوا لو كان نبيا مامات فقال لهم الجارود تعلمون ان الله انبياء من قبله ولم تروهم وتعلمون انهم ماتوا ومحمد صلى الله عليه وسلم قد مات وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاسلموا وثبتوا على اسلامهم واجتمعت ربيعة بالبحرين على الردة الا الجارود ومن تبعه وخرج الخطم بن ضبيعة اخو بنى قيس ابن ثعلبة في بكر بن وائل فاجتمع اليه كثير من المرتدين وكثير ممن لم يزل مشركا حتى نزل القطيف وهجر اسم موضع واستغوى من بهما وبعث بعثا الى وارين والى جواثا فحصر المسلمين واشتد الحصر على من بهما فبعث ابو بكر رضى الله عنه العلاء بن الحضرمي رضى الله عنه لقتال اهل الردة بالبحرين ومعه جوع من المسلمين فنزل هجر وبعث الى الجارود ان ينزل بعبد القيس الخطم بن ضبيعة وخندق العلاء والمسلمون على انفسهم وقتلوا المرتدين وكانوا يترا وجون القتال ويرجعون الى خندقهم فكانوا كذلك شهرا وسمعوا في بعض الليالى ضوضاء شديدة اى جلبة وصياحا في المشركين فبعثوا من يأتهم بالخبر فجاءهم بان القوم سكارى فبيتوهم ووضعوا السيوف فيهم وفر القوم هرابا واقتحموا الخندق فن بين مترد وناج ومقتول ومأسور وبادوا القوم وكفى الله شرهم وقسموا الغنائم ثم ندب العلاء الناس الى دارين وقال لهم قد اراكم الله من آياته في البر لثعبر وابها في البحر فانهضوا الى عدوكم واستعرضوا البحر وارتحلوا وارتحلوا

وكان بينهم وبين دارين البحر فاقبحموا البحر على الخيل والابل والحمير وغير ذلك وفيهم
الراجل ودعا ودعوا وكان من دعائهم يا رحم الراحمين يا كريم يا حلیم يا احد يا صمد يا حي
يا حي الموتى يا حي يا قيوم لا اله الا الله انت ياربنا فاجتازوا ذلك الخليج باذن الله يمشون على
مثل رملة فوقها ما يغمر اخفاف الابل وبين الساحل ودارين يوم وليلة بسفن البحر فاقبحموا
واقبلوا قتالا شديدا فظفر المسلمون وانهزم المشركون واكثر المسلمون فيهم القتل فتركوا بها
مخبرا وغنموا وسبوا فلما فرغوا رجعوا حتى عبروا كما جاؤا وضرب الاسلام بجرانه فيها
وكتب العلا الى ابي بكر رضى الله عنه يعرفه هزيمة المرتدين وقتل الحطيم ابن ضبيعه ولما قسمت
الغنيمة كان للفارس ستة آلاف وللراجل القان وكان مع المسلمين راهب من اهل هجر فاسلم
فقبل له ما حلك على الاسلام قال ثلاثة اشياء خشيت ان يسخن الله بعدها فيض في الرمال
وتهدى ثبج البحر ودعا سمعته في عسكرهم في الهوا سحرنا اللهم انت الرحمن الرحيم لا اله غيرك
البديع فليس قبلك شيء والدائم غير الغافل الحى الذى لا يموت وخالق ما يرى وما لا يرى
وكل يوم انت فى شان علمت كل شيء بغير معلم فعلت ان القوم لم يعانوا باللائكة الا وهم على
حق فكان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسمعون هذا منه بعدوا والعلاء بن الحضرمي
صحابي مشهور توفي سنة اربع عشرة من الهجرة وكان بحجاب الدعوة واصله من حضرموت
ونزل جده مكه وكان حليفا للحرب بن اميه وكان له في هذه الغزوة اثار مجوده وكرامات كثيرة
منها انهم سلكوا مغازه وعطشوا عطشا شديدا حتى خافوا الهلاك فنزل العلاء وصلى ركعتين
ثم قال يا حلیم يا علیم يا على يا عظيم اسقنا رجاء سحابة كانها جناح طائر فترفععت عليهم
وامطرت حتى ملؤوا الآنية وسقوا الركاب قال الراوى ثم انطلقنا حتى اتينا دارين والبحر
بيننا وبينهم وفي رواية اتينا على خليج من البحر ما خيض فيه قبل ذلك اليوم فلم نجد سفنا
وكان المرتدون قد احرقوا السفن فصلى ركعتين ثم قال يا حلیم يا علیم يا على يا عظيم اجزنا ثم
اخذ بعنان فرسه ثم قال جوزا باسم الله قال ابو هريرة وكان مع القوم فشيننا على الماء فوالله
ما بطل لنا قدم ولا خف ولا حافر وكان للجيش اربعة آلاف وقال ابراهيم بن ابي حبيبة حبس
لهم البحر حتى خاضوا اليهم وجاوزه العلاء واصحابه مشيا على ارجلهم وكانت تجرى فيه
السفن قبل

ذكر ردة اهل عمان والمهره

كان على اهل عمان والمهره عاملان للنبي صلى الله عليه وسلم جيفر وعياد ابنا الجلندى فلما
توفي النبي صلى الله عليه وسلم قام بعثمان رجل من الازد يقال له لقيط بن مالك الازدى فارتد
وادعى النبوة وتغلب على عمان ودفع عنها الملكين فبعث جيفره الى ابي بكر بالخبر فبعث ابو بكر
رضى الله عنه حذيفه بن محصن الحميرى الى عمان وعرجة البارقي الى المهرة وامرهما ان يكاتبا
جيفرا ويأخذا برأيه وكان قد بعث عكرمة بن ابي جهل الى اليمامة ومسيلمة ووقعت عليه
النكبة كما مر فامر بالمسير الى حذيفه وعرجة ليقا تل معهما عمان والمهره ويتوجه اذا فرغ
من ذلك الى اليمن فضى عكرمة فلحق بهما قبل ان يصلا عمان وقدهم اليهم ابو بكر ان ينتهوا

الى رأى عكرمه فراسلوا جيفرا و عياذا وبلغ لقيطاً المنقلب مجئ الجيوش فعسكر بمدينة دبا وعسكر جيفر و عياذا بصحارواستقدموا عكرمة وحذيفة وعرفجة وكاتبوا رؤسا الذين تقدموا يجيوشهم ثم عمدوا الى لقيط واصحابه فقاتلوههم وقد اقام لقيط عياله وراء صفوفه وهم المسلمون بالهزيمة حتى جاءهم مددهم من بنى ناجية وعليهم الحرث بن راشد من بنى عبد القيس وسبحان بن صوحان فانهزم العدو وظفر المسلمون وقتلوا من العدو نحو عشرة آلاف وسبوا الذراري والنساء وتم الفتح وقسموا الغنائم وبعثوا بالخمسة الى ابي بكر رضى الله عنه وكان الخمسة ثمانمائة راس و اقام حذيفة بعمان وسار عكرمه الى المهرة فهزمهم وقتل رئيسهم واصابوا منهم النجيبه واجاب اهل تلك النواحي الى الاسلام وبعث الى ابي بكر رضى الله عنه بالفتح ثم سار عوا الى اليمن

❖ ذكر ردة اهل اليمن ❖

لما ظهر الاسود العنسي وادعا النبوة قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ارتد كثير من اهل اليمن ثم لما قتل فيروز الديلمي الاسود العنسي رجع كثير منهم الى الاسلام فلما جاءهم خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ارتد الناس الا القليل وكان ابو بكر رضى الله عنه اقام فيروز الديلمي اميرا على صنعاء فكان يقاتل كل من قدر على قتاله وكان باليمن عمال للنبي صلى الله عليه وسلم اقاتهم قبل وفاته منهم عمرو بن حزم على تجران للصلاه ومعه ابوسفيان بن حرب على الصدقات وعلى مابن زمعوز بيدو تجران خالد بن سعيد بن العاص وعلى همدان كلها عامر بن شهر الهمداني وعلى الجنديعلى بن اميه وعلى مارب ابو موسى الاشعري وعلى عك الطاهر بن ابي هاله وعلى حضرموت زياد بن لبيد البياضى وعكاشه بن ثور الغوثى وعلى كنده المهاجر بن ابي امية المخزومي وكان معاذ بن جبل يعلم القرآن باليمن يتنقل على هؤلاء وهؤلاء فى اعمالهم فلما ارتد الناس رجع عمرو بن حزم الى المدينة واتبعه خالد بن سعيد واما المهاجر بن ابي اميه فانه لما ولاه النبي صلى الله عليه وسلم على كنده مرض ولم يصل اليها و اقام زياد بن لبيد ينوب عنه وكان ابو بكر رضى الله عنه قد حارب اهل الردة اولا بالكتب والرسل ولم يرسل الى من ارتد وابتدا بالمهاجرين والانصار ثم استنفر كلا على من يليه حتى فرغ من آخر امور الناس لا يستعين بمرد فكتب الى عتاب بن اسيد بكة وعثمان بن ابي العاص بالطايف بركوب من لم يرتد على من ارتد وكان قد اجتمع بهامه او باش من مدح وخزاعه فبعث عتاب اليهم ففرقهم وقتلهم واجتمع بشنوة جمع من الأزد وخشم و بجيلة فبعث اليهم عثمان بن ابي العاص من فرقهم وقتلهم واجتمع بطريق الساحل من نهامة جوع من عك والاشعريين فسار اليهم الطاهر بن ابي هاله ومعه مسروق العنكي فهزموهم وقتلوههم و اقام بالاجناد ينتظر امر ابي بكر ومعه مسروق العنكي وبعث ابو بكر رضى الله عنه الى بخران وكتب ابو بكر الى عثمان بن ابي العاص ان يضرب البعوت على مخاليف اهل الطائف فضرب على كل مخالاف عشرة دين و امر عليهم اخاه عبد الرحمن وكتب الى عتاب بن اسيد ان يضرب على مكة وعملها خمسمائة ففعل و امر عليهم اخاه خالد بن اسيد واقاموا ينتظرون امر ابي بكر رضى الله

*عنه فامر المهاجر بن ابي امية المخزومي ان يسير الى الين ليصلح من امره ثم يسير الى عمله الذي ولاه النبي صلى الله عليه وسلم وامره بقتال من بين بخران واقصى الين ففعل ذلك ومر بمكة والطائف فسار معه خالد بن اسيد وعبد الرحمن بن ابي العاص بن معهما ومر بجرير بن عبد الرحمن وعكاشة بن ثور فضمهما اليه وكان عمرو بن معدى كرب وقيس بن مكتوم ممن ارتدا فظفر بهما المهاجر فاوثقهما وبعث بهما الى ابي بكر فتابا فقبل توبتهما وردهما وسار المهاجر وقتل كل من ظفر به من المرتدين وقاتل من قتله وقبل توبة من يتوب الى ان وصل الى صنعاء وكتب الى ابي بكر بدخوله صنعاء فجاء الجواب ان يسير الى كنده مع عكرمة بن ابي جهل وقد جاءه من ناحية عمان ومعه خلق كثير من المهره والازد وناجية وعبد القيس وغيرهم فسار وامن المهاجر الى كنده وكتب زياد النائب على كنده الى المهاجر يستحثه فلقية الكتاب بالمقارة بين مارب وحضر موت فاستخلف عكرمة على الناس وتعبج الى زياد وشدوا الى كنده وكانوا قد ارتد كثير منهم وارتد الاشعث بن قيس السكسكي فجعلوه اميرا عليهم فقاتلهم المهاجر وهزمهم وقتل كثيرا منهم وفرروا الى البخير حصن لهم ففتحوه فيه مع من استغفروهم فحاصروهم وسدو عليهم الطريق وقطعوا عنهم المدد ولحق عكرمة المهاجر وهم محاصرون القوم ثم استأمن الاشعث الى عكرمة فخرج اليه فجاء به الى المهاجر فامنه في اهله وماله وتسعة من قومه كانوا خرجوا معه فقال لهم المهاجر اكتبوا ما شئتم واهلوا الكتاب حتى اختمه واشترطوا على انفسهم ان يفتحوا لهم باب الحصن ففعلوا فافتحمهم المسلمون وقتلوا مقاتلة وسبوا الذرية والنساء فكان في السبي الف امرأة وكان الاشعث بن قيس لما كتب الصحيفة ختم عليها المهاجر كتب التسعة ونسي ان يكتب نفسه فلما فرغوا من القتل والسبي طلب المهاجر الصحيفة التي كتبوها والتي ختم عليها فاذا الاشعث ليس مكتوبا معهم فقال المهاجر الحمد لله الذي اخطأناك يا اشعث يا عدو الله قد كنت استهيم ان يخزيك الله وتده كتابا فليل له اخره وسيره الى ابي بكر فهو اعلم بالحكم فيه فسيره الى ابي بكر مع السبي فكان المسلمون يلعنونه وبلغته سبايا قومه وسماء نساء قومه عرف النار وهو اسم الغادر عندهم فلما قدم المدينة قال له ابو بكر ما ترائى اصنع بك قال لا اعلم قال فاني اقتلك قال فانا الذي راوضت القوم في عشرة فما يحل دمي قال ابو بكر فاجب الصلح بعد ختم الصحيفة على من فيها وانما كنت قبل ذلك مراوضا فلما خشى القتل قال او تخشع في خيرا فتطلق الاسارى وتقبلني عثري وتفعل بي مثل ما فعلت يا مثالي وترد على زوجتي وقد كان خطب ام فروة اخت ابي بكر لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم و آخرها الى ان يقدم الثانية فتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وارتد فان فعلت ذلك تجدني خير اهل بلادى لدين الله فحق دمه وزوجه اخته وحسن اسلامه واقام بالمدينة حتى فتح العراق وشهد فتح القادسية واليرموك وكان مع علي رضي الله عنه في قتال صغين وتوفي بالكوفة سنة اثنين واربعين من الهجرة وقبل بعد علي رضي الله عنه باربعين يوما وصلى عليه الحسن بن علي رضي الله عنهما قال بن الاثير قد اختلف في تاريخ حرب المسلمين هؤلاء المرتدين فقال بن اسحاق كان فتح اليمامة واليمن والبحرين وبعث الجنود الى الشام

الشام سنة ثنتي عشرة وقال ابو معشر ويزيد بن عياض وابو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ان فتوح الردة كلها لخالد وغيره كان سنة احدى عشرة وكان مسير خالد الى العراق في اول سنة ثنتي عشرة الى ذي القعدة منها وهذا القول هو الذي يدل عليه سياق تلك الوقائع

❖ ذكر فتوح الشام ❖

لما فرغ ابو بكر رضي الله عنه من اهل الردة واستقامت له العرب حدث نفسه بغزو الروم ولم يطلع عليه احد فبينما هو كذلك اذ رأى شر حبيب بن حسنة في المنام صورة غزو الشام وبعث الجند فجاءه شر حبيب وجلس اليه فقال يا خليفة رسول الله احدثت نفسك بالغزو وان تبعت الى الشام جندا قال نعم حدثت نفسي بذلك ولم يطلع عليه احد وما سألتني الا لشيء فاخبره شر حبيب بما رأى فاوله ابو بكر ببعثه جندا الى الشام وفتحها عليهم ثم انه بعد ذلك امر الامراء وبعث الى الشام البعوث وعن عبد الله بن ابي اوفى الخزاعي رضي الله عنه قال لما اراد ابو بكر رضي الله عنه ان يجهز الجنود الى الشام دعا عمر وعثمان وعلياً وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وابا عبيدة ابن الجراح ووجوه المهاجرين والانصار من اهل بدر وغيرهم وشاورهم وكلهم استصوبوا رأى ابي بكر رضي الله عنه وقالوا ما رأيت من الرأي فأمضه فانا سامعون لك مطيعون لا نخالف امرك وعلى رضي الله عنه في القوم لا يتكلم فقال له ابو بكر ماذا ترى يا ابا الحسن فقال ارى انك مبارك الامر ميمون النقيبه فانك ان سرت اليهم بنفسك او بعثت عليهم نصرت ان شاء الله تعالى قال بشرك الله بخير ومن اين علمت هذا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال هذا الدين ظاهراً على كل من ناواه حتى تقوم الساعة واهله ظاهرون فقال ابو بكر سبحان الله ما احسن هذا الحديث لقد سررتني شرك الله في الدنيا والاخرة ثم انه قام في الناس خطيباً ورغب الناس في الجهاد ثم امر بلالا فاذن في الناس انقروا ايها الناس الى جهاد عدوكم الروم بالشام ثم شرع في بعث الجيوش وكان ذلك في افتتاح سنة ثلاث عشرة من الهجرة وقيل في اول السنة التي قبلها حين بعث خالد بن الوليد الى العراق وكتب الكتب الى اهل مكة والطائف واليمن وغيرها فكتب لهم جميعاً بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليكم فاني احب الله الذي لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد عزمت ان اوجهكم الى ناحيه بلاد الشام لتأخذوها من ايدى الكفار والطغاة فمن عول منكم على الجهاد والصدام فليباد الى طاعة الملك العلام ثم كتب انقروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ثم بعث الكتب اليهم واقام ينتظر قدومهم وكان الذي بعثه بالكتب التي لليمن انس بن مالك رضي الله عنه فما مرت الايام حتى قدم انس رضي الله عنه يبشره بقدوم اهل اليمن وقال يا خليفة رسول الله وحقك على الله ما قرأت كتابك على احد الا بادر لطاعة الله ورسوله واجابوا دعوتك وقد تجهزوا في العدد والعديد والزرذ والنضيد وقد اقبلت اليك يا خليفة رسول الله مبشراً بقدوم الرجال فسر ابو بكر رضي الله عنه بقوله سرورا عظيماً ثم عقد الالوية وامر الامراء وبعثهم الى الشام

افواجا يتبع بعضهم بعضا كلما اجتمع جماعة امرهم بالتوجه فن الامر الذين عقد لهم الاولوية ابو عبيدة بن الجراح ويزيد بن ابي سفيان وربيعة ابن عامر وشرحبيل بن حسننه وخالد بن سعيد وعمر بن العاص وغيرهم وجعل كل واحد امير اعلى جماعة وامره بالتوجه الى الموضع الذى عينه له وجعل ابا عبيده امير اعلى الجميع وكلما توجه امير يودعه ابو بكر رضى الله عنه ويوصيه فكان يوصيهم بوصايا كثيرة منها تقوى الله وحسن الصحبة والمواظبة على الصلوات في اوقاتها جماعة وان يصلح كل منهم نفسه حتى يصلح الله له الناس وان يكرموا رسل العدو اذا قدموا اليهم وان يقللوا البثم عندهم حتى يخرجوا من عسكرهم وهم جاهلون لم يطلعوا على شئ من الخلل وان يمنعوا عسكرهم من محادثتهم وان يكون الامير هو المتولى لكلامهم وان يكثروا الحرس ويفرقوهم في العسكر وان يكثروا مفاجاتهم في محاربتهم بغير علم منهم فن وجدوه غفل يعاقب بغير افراط وان يعاقب بينهم في الليل ويجعل التوبة الاولى اطول من الاخيرة فانهما ليسرهما لقرب الاخير من النهار وان لا يغفلوا عن العسكر فيفسدوا ولا يحسبوا عليهم فيفضحهم ولا يكشفوا عن الناس اسرارهم بل يكتفوا بعملانيتهم وان يكثروا من مجالسة اهل الصدق والوفا وان يشاوروهم وان لا يجنبوا فيجبين الناس وان يجنبوا الغلول فان الغلول يقرب الفقر ويدفع النصر وقال سجدون اقواما حبسوا انفسهم في الصوامع فدعوههم واما حبسوا انفسهم الى غير ذلك مما اوصاهم به وكان ابو بكر رضى الله عنه يدعوهم اذا خرجوا فن دما له اللهم احفظهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمالكهم واحططوا زارهم واعظم اجورهم ولما بلغ هرقل مسير جيوش المسلمين حشد جيوشه وكان بفلسطين فحث الناس وحرضهم على القتال عن دينهم وبلادهم ثم اتى دمشق ففعل مثل ذلك ثم اتى حصص ففعل مثل ذلك ثم اتى انطاكية فاقام بها وبعث الى الروم فحشد لهم فجاء منهم ما لا يحصى ولما دنى ابو عبيدة من الجابية اتاه آت فاخبره ان هرقل بانطاكية وانه جمع من الجوع ما لم يحمله احد كان قبله من ابائه فكتب الى ابي بكر رضى الله عنه بذلك فجاءه الجواب يعده بالنصرة ثقة بوعد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له انه ممد له بالرجال ثم امدهم بخند مع هاشم بن عتبة بن ابي وقاص وسعيد ابن عامر وبخند مع معاوية مددا لاختيه يزيد وكان الناس اقبلوا من كل جهة يريدون الجهاد فكان ابو بكر رضى الله عنه كلما اجتمع الناس بمشهم مدد من سبقهم

❖ ❖ ذكر اول وقعه بالشام ❖ ❖

ان وقعت بالشام كانت بالعربيه من ارض فلسطين خرج ستة قواد من الروم مع كل قائد خمسمائه فكانوا ثلاثة آلاف فبعث اليهم يزيد بن ابي سفيان ابا امامه الباهلي في خمسمائه فحملوا عليهم وهزموهم وقتلوا كثيرا منهم وقادئ من قوادهم فاجتمع كثير من الروم بالدثنه فساروا اليهم فهزموهم وزحفت جيوش المسلمين حتى قربوا من الشام فعند ذلك فزع الروم وارسلوا الى ملكهم فامدهم بجموع كثيرة نحو تسعين الفا فنزلوا بشبه جلق باعلا فلسطين وعليهم اخو هرقل شقيقه ونزل هرقل بخصم وكان في جهة فلسطين عمرو بن العاص بين معه من المسلمين وبعث هرقل ستين الفا نحو ابي عبيدة بالجابية وبعث جيشا قريبا من

ذلك نحو يزيد بن ابي سفيان وكان نازلا بالبلقا وجيشا نحو شرحبيل بن حسنة وكان نازلا ببصرى فرأى المسلمون ان الاجتماع اليق بهم من التفرق فاجتمعوا باليرموك وهو واد بناحية الشام وجاء الروم ايضا واجتمعوا باليرموك وصار الموادى خندقا لهم واقام الجميع شهر صفر وشهرى ربيع لا يقدر من منهم على شئ من الوادى والخندق ولا يخرج الروم حرجة الا اخذهم المسلمون وادبلوا عليهم فكانت بينهم وقعات ومناوشات في تلك المدة ولما رأى المسلمون مطاولة الروم استمدوا ابابكر رضى الله عنه فكتب الى خالد بن الوليد وهو بالعراق يأمره بالمسير اليهم وان يأخذ نصف الناس الذين عنده ويستخلف على النصف الآخر المشي بن حارثة الشيباني فصار خالد من العراق في تسعة الاف وقيل في ستة وَاغار في طريقه على كثير من المشركين واخذهم وناله مشقة كثيرة في مسيره هذا وسار في مغا وزليس فيها ماء فامر صاحب كل جماعة ان يعطشوا بعض الابل المسنة ثم يسقوها الماء عللا بعد نهل والعلل الشربة الثانية والنهال الاولى ثم يصروا اذان الابل ويشدوا مشاقرها لئلا تجتر ثم ساروا يوما وليله وشقوا بطون عشرة من الابل فزجوا ما في كرشها من الماء بما كان من الابلان وسقوا ذلك للخيل فعلوا ذلك اربعة ايام ولما وصل ثنية العقاب وهى من ارض الشام ناشرا رأيتهم وهى راية سودا كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب اغار على غسان وهم من نصارى العرب الذين بالشام فضجهم وقتل وسبي وارسل سرية الى كنيصة بالغوطه فقتلوا الرجال وسبوا النساء وساقوا العيال الى خالد ثم سار حتى وصل الى بصرى فقاتل من بها فظفر بهم ثم صالحهم فكانت بصرى اول مدينة فتحت بالشام على يد خالد واهل العراق وقيل ان فتح بصرى كان بعد اليرموك ثم سار خالد فطلع على المسلمين في ربيع الآخر وكان ابوبكر رضى الله عنه كتب لخالد ان يسير من العراق الى الشام ويلقى اباعبيدة ومن معه من المسلمين فاذا التقيتم فانت امير الجماعة والسلام فكتب خالد كتابا لابى عبيدة وارسله مع عمرو بن الطفيل الازدى وفيه اما بعد فاني اسأل الله لنا ولك الامن يوم الخوف والعصمة في دار الدنيا من كل سوء وقد اتاني كتاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرني بالمسير الى الشام والقيام على جندها والتولي امرها والله ما طلبت ذلك قط ولا اردته اذ وليته فانت على حالك التي كنت عليه لا نعصيك ولا نخالفك ولا نقطع دونك امر افانت سيد المسلمين لا ننكر فضلك ولا نستغنى عن رأيك ثم الله بنا وبك من احسان ورحنا وياك من صلى النار والسلام عليك ورحمة الله وبركاته فلما قرأ ابو عبيدة كتاب خالد قال بارك الله لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رأى وحياء الله خالدا وكان ابو بكر رضى الله عنه كتب لابى عبيدة رضى الله عنه اما بعد فاني قد وليت خالد اقتال العدو بالشام فلا تخالفه واسمع له واطع فاني لم ابعثه عليك ان لا تكون عندي خيرا منه ولكنني ظننت ان له فطن في الحرب ليست لك ارادة الله بنا وبك خيرا والسلام

ذكر وقعة اليرموك

لما وصل خالد بن الوليد وتكامل جمع المسلمين باليرموك وكانوا تسعة وثلاثين الفا سوى

سنة الاف مع عكرمة ابن ابي جهل وقيل كانوا ستة وثلاثين الفاسوى من كان مع عكرمة
فيكونون جميعا اربعين الفا وكان فيهم الف صحابي منهم نحو مائة ممن شهد بدرًا وكان الروم
في مائتي الف واربعين الفا مقاتل منهم ثمانون الف مقيد واربعون الف مسلسل للموت
واربعون الف مربوطون بالعمائم لئلا يفروا وثمانون الف راجل وكان قتال المسلمين لهم
على التساير كل امير على اصحابه لم يجمعهم احد حتى قدم خالد من العراق وكان القيسيون
والرهبان يحرضون الروم شهرا ثم خرجوا الى القتال الذي لم يكن بعده
قتال في جنادى الاخرة فلما احس المسلمون بخروجهم ارادوا الخروج متساندين كما
كانوا قبل ذلك فنعهم خالد وسار فيهم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان هذا يوم من ايام الله
لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي اخلصوا فيه جهادكم وارضوا الله بعملكم فان هذا يوم له
ما بعده ولا تقا~~لوا~~ قوما على نظام وتعبه وانتم متساندون فان ذلك لا يحل ولا ينبغي وان
من وراءكم لو يعلم عملكم حال بينكم وبين هذا فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي يرون انه رأى
قالوا هات فما رأى قال ان ابا بكر لم يبعثنا الا وهو يرى انا سنبيا سرولوعلم بالذي كان لما
جمعكم ان الذي انتم فيه اشد على المسلمين مما قد غشيتهم وانفع للمشركين من امدادهم ولقد
علمت ان الدنيا قد فرقت بينكم فالله الله فقد افرد كل رجل منكم ببلد لا ينتفع منه ان دان من
الامرا ولا يزيد عليه ان دانوا له ان تأمر بعضهم لا ينتفعصكم عند الله ولا عند خليفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم هلموا فان هؤلاء قد تهيؤوا وان هذا يوم له ما بعده ان ردوناهم الى
خندقهم اليوم لم نزل نردهم وان هزمونا لم نفلح بعده فهللوا فلتنساب الامارة فليكن بعضنا
اليوم والآخر غدا والآخر بعد غد حتى تتأمر واكملكم ودعوني اتأمر اليوم فامروه وهم
يرون انها كخرجاتهم فخرجت الروم في تعبئة لم ير الراؤن مثلها قط وخرج خالد في تعبئة لم
تعبها العرب قبل ذلك فخرج في ستة وثلاثين كردوسا فجعل القلب كراديس واقام فيه ابا
عبدة وجعل المينة كراديس وعليهما عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة وجعل الميسرة
كراديس وعليهما يزيد بن ابي سفيان وجعل القعقاع بن عمرو على كردوس وجعل على كل
كردوس رجلا من الشجعان وكان القاضي ابو الدرداء والقاسم ابوسفيان ابن حرب وعلى
الطلايع قباث بن اشيم وعلى الاقباض عبدالله بن مسعود وقال رجل لخالد ما اكثر الروم
واقل المسلمين فقال خالد ما اكثر المسلمين واقل الروم انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان
والله لو ددت ان الاشقر يعني فرسه برأ من توجيه وانهم اضعفوا في العدد وكان فرسه قد
حفي في مسيره فامر خالد عكرمة بن ابي جهل والقعقاع بن عمرو فانشبا القتال ولتحم الناس
وتطارد الفرسان وتقاتلوا فاذهب على ذلك قدم البريد من المدينة واسمه محمية بن زبم
فسأله الخبر فاخبرهم بسلامة وامداد مع انه اذا جاء بخبر وفاة ابي بكر رضي الله عنه
واستخلاف عمر بن الخطاب وعزل خالد وولاية ابي عبيدة فبلغه خالد ابا عبيدة سرا
ويبلغهم كذلك اذ خرج فارس من فرسان الروم يقال له جرجة الى بين الصفيين وطلب خالد
فخرج اليه وامن كل منهما صاحبه فقال جرجة يا خالد اخبرني واصدقني ولا تكذبني فان
الحرف لا يكذب ولا تخادعين فان الكريم لا يخادع المسترسل هل انزل الله على نبيكم سيفا من

السماء فاعطاكه فلانسله على قوم الالهزمتهم قال لا قال فغيم سميت سيف الله فقال ان الله بعث فينا نبية محمدا صلى الله عليه وسلم فكنت فين كذبه وقاتله ثم ان الله هدا في فتابعته فقال انت سيف الله سله الله على المشركين ودعالي بالنصر قال فاخبرني الى م تدعو قال خالد الى الاسلام او الجزية او الحرب قال فما منزلة الذي يجيبكم ويدخل فيكم قال منزلتنا واحدة قال فهل له مثلكم من الاجر والذخر قال نعم وافضل لاننا اتبعنا نبينا وهو حي يخبرنا بالغيب ونرى منه العجائب والآيات وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا ان يسلم وانتم لم تروا مثلنا ولم تسمعوا مثلنا فن دخل منكم بنية وصدق كان افضل منا فقلب جرجة فرسه وسار مع خالد واسلم وعلمه الاسلام واغتسل وصلى ركعتين ثم خرج مع خالد فقاتل الروم وحملت الروم حملة ازالوا المسلمين عن مواقفهم الى المحامية وعليهم عكرمه ابن ابي جهل وعمه الحارث بن هشام رضى الله عنهما فقال عكرمة قاتلت مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم افر اليوم ثم نادى من يبايع على الموت فبايعه عمه الحارث بن هشام وضرار بن الازور في اربعة من وجوه المسلمين وفرسانهم فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى اثبتوا جميعا جراحا ففهم من برى ومنهم من مات وقاتل خالد وجرجة قتلا شديدا فقتل جرجة عند اخر النهار وصلى الناس الظهر والعصر ايماء وتضعض الروم وحل خالد بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم فانهزم فرسانهم وتركوا الرجاله ولما رأى المسلمون خيل الرم وقد توجهت للمهرب افرجوا الهما فتنفرت وقتل الرجاله واقتحموا في مخندقهم فاقنحموه عليهم وهوى فيه المقترون وغيرهم ثمانون الفامن المقترين واربعون الفا مطلق سوى من قتل في المعركة وتجلل الفيقار وجاعة من اشراف الروم برانيسهم وجلسوا فقتلوا مائتين ودخل خالد الخندق ثم نزل في خيمة تدارق اخى هرقل فلما أصبحوا اتى خالد بعكرمه بن ابي جهل جريحا فوضع رأسه على فخذه وبهر بن عكرمة فجعل رأسه على ساقه ومسح وجوههما وقطر في حلوقهما الماء وكان مع المسلمين كثير امن النساء فقاتلن في ذلك اليوم قتالا كثيرا وفي السيرة الحلبية وكان ابوسفيان بن حرب في ذلك اليوم يقاتل ويحرض المسلمين على القتال ويقول الله الله عباد الله انصروا دين الله ينصركم الله واصيبت احدى عينيه في ذلك اليوم فصار اعمى لانه اصيبت عينه الاخرى في غزوة الطاييف فجاء بها الى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله ان يدعو الله ويردها له فقال له ان شئت دعوت الله وان شئت خير امنها في الجنة فيها وقال خير منها في الجنة قال انس بن مالك رضى الله عنه رأته في خلافة عثمان رضى الله عنه وهو اعمى ياوده قائد فيدخل به على عثمان رضى الله عنه ولما انهزمت الروم كان هرقل بمحصر فنادى بالرحيل عنها وجعلها بينه وبين المسلمين وامر بها اميرها كما امر على دمشق وكان من اصيب من المسلمين ثلاثة آلاف منهم عكرمة وابنه عمرو وعمه الحارث ابن هشام وسلمة بن هشام وعمرو بن سعيد وابان بن سعيد والطفيلى بن عمرو وطليح بن عير وهشام بن العاص اخو عمرو بن العاص وعياش بن ابي ربيعة وسعيد بن الحارث ابن قيس بن عدى السهمي ونعيم بن النحام والنضير ابن الحارث العبدي اخو النضر بن الحارث الذي قتل كافرا يوم بدر وروابو الروم بن عير العبدي اخو مصعب بن عير وقيل قتلوا يوم اجنادين اخرج ابن عساکر عن الزهرى ان عكرمة بن ابي جهل رضى الله عنه كان يوم اليرموك

اعظم الناس بلاء. وانه كان يركب الاسنة ويقاتل قتالا شديدا حتى جرححت الاسنة صدره
 ووجهه فقالوا له اتق الله وارفق بنفسك فقال كنت انا وابي من اشد الناس على النبي صلى الله
 عليه وسلم وكنت اقاتل عن اللات والعزى فابذل نفسي لها فكيف استبقها الا ان عن الله ورسوله
 لا والله ابدأ قال فلم يزد الا اقداما حتى مات يومئذ ووجدوا به بضعا وسبعين ما بين ضربة
 وطعنة ورمية واخرج ابن المبارك والبيهقي ان عكرمة بن جهل ترجل يوم كذا يقاتل فقال خالد
 بن الوليد لا تفعل فان قتلك على المؤمنين شديد فقال خل عنى يا خالد فانه قد كان لك مع رسول
 الله صلى الله عليه وسلم سابقة واني وابي كننا من اشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشي
 وقاتل حتى قتل وكان عكرمة يعظم القرآن غاية التعظيم وذكر الامام الغزالي في كتاب اداب
 تلاوة القرآن من احبها علوم الدين ان عكرمة المذكور كان اذا نشر المصحف غشى عليه
 ويقول هو كلام ربى هو كلام ربى وروى ابو نعيم وابن منده وابن عبد البر عن حبيب بن ابي ثابت
 ان الحارث بن هشام وابن اخيه عكرمة ابن ابي جهل وعياش بن ابي ربيعة اخو الحارث بن هشام
 لاهم جرحوا يوم اليرموك فلما اثبتوا دعى للحارث بن هشام بماء ليشربه فنظر اليه عكرمة فقال ادفعه
 الى عكرمة فلما اخذه عكرمة نظر اليه عياش فقال ادفعه الى عياش فواو صل الى عياش حتى مات
 ولا وصل الى واحد منهم حتى مانوا رضى الله عنهم وهذا شأنهم كلهم في هذا الاثار وما يدل
 على ذلك ان مثل هذه القصة بعينها قد تكررت من كثير منهم فقد روى ابن المبارك عن ابي جهل
 ابن حذيفة العدوى قال انطلقت يوم اليرموك اطلب بن عملى ومعى شنة من ماء
 وانا فقلت ان كان به رملق سقيته من الماء ومسحت به وجهه فاذا انا به ينشع
 فقلت اسقيك فاشار اى نعم فاذا رجل يقول اه فاشار ابن عمى ان انطق اليه
 فاذا هو هشام بن العاص اخو عمرو بن العاص رضى الله عنهم فأتيت به فقلت اسقيك
 فسمع آخر يقول اه فاشار هشام ان انطلق اليه فجئت فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو
 قد مات فاتيت ابن عمى فاذا هو قد مات رحهم الله تعالى ورضى عنهم وهذا الذى ذكرناه فى
 وقعة اليرموك هو اصح الاقوال وكذا كونها فى سنة ثلاث عشرة هو اصح الاقوال وانها
 قبل فتح الشام وقيل انها بعد وقعة اجنادين وبعد فتح الشام وان وقعة اليرموك واجنادين
 كانا سنة خمس عشرة وقيل فى وقعة اليرموك ان جيش الروم كان ستمائة الف وقيل الف الف
 وكان مع الروم من العرب المنتصرة ستون الفا من غسان ولخم وجذام وان القتال كان بين
 المسلمين ومنتصرة العرب فلما هزموا زحف الروم بجيوشهم ودام الحرب اياما كثيرة الى ان
 تمت الهزيمة على الروم وكان القتلى من الروم لا يحصى عددهم وقيل كانوا مائة الف وخمسة
 آلاف والاسرى كانوا اربعين الفا وان قتلى المسلمين اربعة آلاف ولما قمت الغنائم اصاب
 الفارس اربعة وعشرين الف مثقال من الذهب الاخر والراجل ثمانية آلاف وكذلك
 من الفضة واتبع خالد بن الوليد المنهزمين من الروم الى قريب دمشق الشام ومعه كثير من المسلمين
 يقتلون ويأسرون فيهم وكانت وقعة اليرموك من اعظم وقائع الاسلام ومن المعجزات الدالة
 على صدق النبي صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم

ذكر وقعة اجنادين

الاكثر من على انها بعد اليرموك وقيل انما كانت قبل اليرموك وحاصلها ان الروم اجتمع كثير من جنودهم قيل انهم كانوا تسعين الفا باجنادين فسار لهم جيوش المسلمين ونازلوهم وكان على الروم تدارق اخوهر قل لابويه وقيل كان على الروم القيقلان واجنادين يروى بكسر الدال وفتحها بين الرملة وبيت جرين من ارض فلسطين ولما نزلت الروم باجنادين واجتمعت المسلمون وعسكروا عليهم بعث القيقلان رجلا غريبا الى المسلمين يأتيه بخبرهم فدخل فيهم واقام يوما وليلة ثم عاد اليه فقال ما وراك قال وجدت قوما رهبا بالليل وفرسانا بالنهار ولو سرق ابن ملكهم قطعوه ولوزني رجوه لاقامة الحق فيهم فقال ان كنت صدقتني لبطن الارض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها ثم انتشب القتال بين المسلمين والروم وكان قتالا شديدا قتل فيه من المشركين في المعركة ثلاثة آلاف وقيل ان قتلهم بلغوا خمسين الفا وقتل المسلمين اربعمائة وخمسة وسبعون واتبعهم المسلمون يأسرون ويقتلون ثم تحصن المنهزمون منهم في المدائن العظام كدمشق وحص و ايليا وقيساريه واستشهد رجال من المسلمين منهم الفضل بن العباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه وضبار ابن الخطاب الفهرى وآخرون رجعهم الله ورضى عنهم وقتل تدارق اخوهر قل في وقعة اجنادين وقيل في وقعة اليرموك

ذكر فتح دمشق

لما انهزم الروم جاء الخبر لابي عبيدة انهم اجتمع لهم جيش بفحل بكسر الفاء وهو موضع بناحية الشام وانه الخبر ايضا بان اهل دمشق جاءهم مدد من حص فكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه في ذلك فجاءه الجواب يأمره فيه بان يبدأ بدمشق فانها حصن الشام وبيت ملكهم وان يشغل اهل فحل بخيل تكون بازائهم واذا فتح دمشق سار الى فحل فاذا فتحت سار هو وخالد الى حص وترك شرحبيل ابن حسنة وعمرو ابن العاص بالاردن وفلسطين فامتل ابو عبيدة امر عمر رضى الله عنه فارسل الى فحل طائفة من المسلمين فنزلوا قريبا منها وثبق الروم الماء حول فحل فوحت الارض فنزل عليهم المسلمون فكان اول محصور بالشام اهل فحل ثم اهل دمشق وفلسطين وبعث ابو عبيدة جند افنزلوا بيز حص ودمشق وارسل جندا آخر فكانوا بين دمشق وفلسطين وسار ابو عبيده وخالد فقدموا على دمشق وعليها فسطاس فنزل ابو عبيدة على ناحية وخالد على ناحية وعمرو بن العاص على ناحية ويزيد ابن ابي سفيان على ناحية فحصرهم المسلمون سبعين ليلة حصارا شديدا وقتلواهم بالزحف والمجانيق وجاءت خيول من هرقل مغيرة دمشق فغنتها خيول المسلمين التي عند حص فدخل اهل دمشق وطمع فيهم المسلمون واتخذ خالد بن الوليد حبالا كهية السلام وادهاقا والدهق الحبل يرمى في انشودة فتؤخذ به الدابة والانسان فلما امسى ذلك اليوم نهض هو ومن معه من جند الذين قدم عليهم وتقدمهم هو والقعقاع بن عمرو ومذعور واثبتوا الحبال بالشرف وكان ذلك الموضع احصن موضع بدمشق واكثره ماء فصعد المسلمون ثم اتحد خالد واصحابه وترك بذلك الموضع من يحميه وامرهم بالتكبير فكبروا فاتاهم المسلمون الى الباب و الى الحبال وانتهى

خالد الى من يليه فقتلهم وقصد الباب فقتل البوابين وثار اهل المدينة لا يدرون ما الحال
وتشاغل اهل كل ناحية بما يليهم وفتح خالد الباب وقتل من عنده من الروم فلما رأى الروم
ذلك قصدوا الجهة الاخرى التي فيها ابو عبيدة وقصدوا ابا عبيدة وبذلوا الصلح فقبل منهم
وفتحوا له الباب الذي من جهته وقالوا له ادخل وامنعنا من اهل ذلك الجانب ولم يعلم
ابو عبيدة بما صنع خالد ودخل اهل كل باب بصلح مما يليهم غير الباب الذي دخل منه
اصحاب خالد ودخل خالد عنوة فالتقى خالد وابو عبيدة في وسط المدينة هذا قتلا ونهباً
وهذا صفحاً وتسكيناً فامر ابو عبيدة خالدا ان يكف وقال اني صالحت القوم فقال خالد
اني دخلتها عنوة فتنازما في ذلك ثم اجروا ناحية خالد مجرى الصلح وكان صلحهم على
المقاسمة وقسموا معهم للجند التي عند فحل وعند حص وغيرهم من هو ردة للمسلمين هذا
هو الصلح في كيفية دخول خالد وابي عبيدة وقيل ان خالدا ومن معه نقبوا جانباً من السور
ودخلوا معه ويمكن ان جاعة منهم دخلوا بالجبال التي صنعها وجاعة آخرون نقبوا
جانباً من السور واما ابو عبيدة وبقية الامراء فانهم دخلوا بالصلح الذي عقد مع
ابي عبيدة وقد تقدم ان خبر وفاة ابي بكر واستخلاف عمر وعزل خالد وتولية ابي عبيدة
جاءهم وهم في قتال اليرموك سنة ثلاث عشرة وفتح دمشق كان في رجب سنة اربع
عشرة في خلافة عمر رضى الله عنه وقيل انما جاءهم خبر وفاة ابي بكر بعد فتح دمشق
سنة ثلاث عشرة وان وفاة ابي بكر رضى الله عنه كان في الليلة التي دخلوا فيها دمشق
وكان ذلك ثمان بقين من جادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة والقائلون بان خبر
وفاته انما جاء بعد فتح دمشق هم القائلون بان وقعة اليرموك كانت بعد فتح دمشق وانها
سنة خمس عشرة والقول الاول اصح وانما عزل عمر رضى الله عنه خالدا لانه كان ينقم عليه
قتل مالك بن نويرة وقال ايضا ان خالدا فيه تذبذب للمال يعطى الشاعر اذا مدحه ويعطى
للمجاهد والفراس بين يديه فوق ما يستحق ولا يبق لفقراء المسلمين ولا لضعفائهم شيئاً وكان
ذلك اجتهداً من عمر وما وقع من خالدا كان ايضا باجتهاد وكل منهما ماجور ولا يريد الا
الحق ولما جاء امر عمر رضى الله عنه بعزله امثل امره وما زال ابو عبيدة يستشير ولا يعمل
الابرايه ومشورته وكان كل منهما يعرف قدر صاحبه وما خص به من الفضائل رضى الله
عنهم ولما فتحت دمشق ارسل ابو عبيدة لعمر رضى الله عنهما بالفتح فكان لعمر واهل
المدينة سرور كثير عند ورود خبر الفتح وكتب له عمر ان يرسل الجند الذي جاؤا من
العراق مع خالد فارسلهم الى العراق وامر عليهم هاشم بن عتبة بن ابن وقاص وبقى خالد
مع ابي عبيدة وسيأتي ان شاء الله الكلام على بقية فتوحات العراق

ذكر غزوة فحل

بكسر الفاء وبالهاء المهملة لما فتحت دمشق سار ابو عبيدة الى فحل واستخلف
على دمشق يزيد ابن ابى سفيان وبعث خالدا على المقدمة وعلى الناس شرحبيل بن حسنة
وكان على المجنبتين ابو عبيدة وعمرو ابن العاص وعلى الخيل ضرار بن الازور وعلى الرجال

عياض بن غنم وتقدم ان الروم بثقوا الماحول فحل فوحلت الارض فانزل المسلمون اهل فحل
وبينهم وبين الروم تلك المياه والاوحال وكتب المسلمون الى عمر رضى الله عنه واقاموا
ينتظرون الجواب فاغترهم الروم فخرجوا عليهم وكان على الروم سقلار ابن الخارق فاتوهم
والمسلمون حذرون وكان شرحبيل بن حسنة لا يبيت ولا يصبح الا على تعبئة فلما هجموا
على المسلمين لم ينظروهم فاقتتلوا اشد القتال ليلتهم ويومهم واطلم الليل عليهم فانهمز الروم
وهم حيارى وقد اصيب رئيسهم سقلار والذي يليه تسطوس وظفر المسلمون بهم وركبوه
ولم تعرف الروم مأخذهم فانتهم بهم الهزيمة الى الوحل فركبوه ولحقهم المسلمون فاخذوهم
بحيث انهم صاروا لا ينعون يد لاس فزحزحوهم بالرماح فكانت الهزيمة بفعل والقتل
بالردغ فاصيب الروم وهم ثمانون الفا لم يفلت منهم الا الشريد وقد كان الله يصنع بالمسلمين
خيرا وهم كارهون كرهو البشوق والوحل فكانت عوناتهم على عدوهم وغنموا اموالهم
واقسموها ثم سار ابو عبيدة وخالد ومن معهما الى الحصص وسيأتي ذكر ذلك

✽ ذكر فتح بلاد ساحل دمشق ✽

لما استخلف ابو عبيدة يزيد ابن سفيان على دمشق وسار الى فحل بعث يزيد دحية الكلبي
الى تدمروا بالازاهر القشيري الى حوران فصاحوهم ووليا عليهما وسار يزيد الى مدينة
صيدا وعرقه وجبيل وبيروت وهى سواحل دمشق وعلى مقدمته اخوه معاوية ففتحتها
فتحا يسيرا وجلا كثير من اهلها وتولى فتح عرق معاوية بنفسه فى ولاية اخيه يزيد ثم
ان الروم غلبوا على بعض هذه السواحل فى آخر خلافة عمر واول ولاية عثمان فقصدهم
معاوية ففتحتها ثم رمها وشحنها بالمقاتلة واعطاهم القطائع ولما ولي عثمان الخلافة جمع لمعاوية
الشام كله فوجه معاوية سفيان ابن نجيب الازدى الى طرابلس وهى ثلاث مدن مجتمعة ثم
بنى فى مرج على اميال منها حصنا يسمى حصن سفيان قطع المادة عن اهلها من البر والبحر
وحاصروهم فلما اشتد عليهم الحصار اجتمعوا فى احد الحصون الثلاثة وكتبوا الى ملك الروم
يسألونه ان يدهم او يبعث اليهم براكب يهربون فيها الى الروم فوجه اليهم براكب
كثيرة وركبوا فيها ليلا وهربوا فلما اصبح سفيان وكان يبيت هو والمسلمون فى حصنه ثم
يغدوا على العدو فوجد الحصن خاليا فدخله وكتب بالفتح الى معاوية فاسكنه معاوية
جاعة كثيرة من اليهود وهو الذى فيه المينا اليوم ثم بناه عبد الملك ابن مروان وحصنه ثم
نقض اهله ايام عبد الملك ففتح ابنه الوليد فى زمانه

✽ ذكر فتح بيسان وطبرية ✽

لما قصد ابو عبيدة حصن من فحل ارسل شرحبيل بن حسنة ومن معه الى بيسان فقاتلوا اهلها
فقتلوا منهم خلقا كثيرا ثم صالحهم من بقى مثل صلح دمشق فقبل ذلك منهم وكان ابو
عبيدة قد بعث ابا الاعور السلمى الى طبرية يحاصروهم فصالحه اهلها على مثل صلح دمشق
يضا وان يشاطروا المسلمين المنازل فنزلها القواد وخيولها وكتبوا بالفتح الى عمر رضى الله
عنه ولقرب الزمن فى تلك الغزوات وقرب بعضها من بعض اختلفوا فى تقدم بعضها على

بعض والامر في ذلك سهل

ذكر الوقعة بمرج الروم

لما سار ابو عبيدة و خالد ومن معهما من فحل قاصدين حص بلغ الخبر هرقل فبعث جيشا عليهم توزر البطريق فنزل بمرج الروم غرب دمشق ونزل ابو عبيدة ايضا بمرج الروم ونازله يوم نزوله شغش الرومي في مثل جيش توزر ومدد التوزر وعونا لاهل حص فلما نزل اصبحت الارض من توزر بلاقع وكان خالد بازاؤه وابو عبيدة بازاء شغش وسار توزر يطلب دمشق فلما علم خالد بمسيره سار خلفه في جمع من معه وبلغ يزيد بن ابي سفيان فعل توزر فخرج من دمشق واستقبله فاقتلوا ولحق بهم خالد وهم يقتتلون فاخذهم من خلفهم ولم يفلت منهم الا الشريد وغنم المسلمون ما معهم فقسمه يزيد في اصحابه واصحاب خالد وعاد يزيد الى دمشق ورجع خالد الى ابي عبيدة وقد قتل توزر وقاتل ابو عبيدة شغش فاقتلوا بمرج الروم فقتلت الروم مقتلة عظيمة وقتل شغش وتبعهم المسلمون الى حص فلما بلغ هرقل ذلك امر بطريق حص بالمسير اليها وكان عنده وسار هو الى الرها وسار ابو عبيدة الى حص

ذكر فتح حص وبعلبك وغيرها

لما فرغ امر مرج الروم سار ابو عبيدة والمسلمون الى حص فنزلوها وقاتلوا اهلها فكانوا يفادونهم القتال ويراوونهم في كل يوم بارد ولقي المسلمون بردا شديدا ولقي الروم حصارا طويلا فصبر المسلمون والروم وكان هرقل قد ارسل الى حص يدهم المدد واما اهل الجزيرة جميعها بالنجهاز الى حص فساروا نحو الشام لينعوا حص عن المسلمين فسير سعد بن ابي وقاص من العراق السرايا الى هيت وحاصروها وسار بعضهم الى قريسا ففرق اهل الجزيرة وعادوا عن نجدة اهل حص فكان اهلها يقولون تمسكوا بمد يديكم فانهم حفاة فاذا اصابهم البرد تقطعت اقدامهم فكانت اقدام الروم تسقط ولا يسقط للمسلمين اصبع فلما خرج الشتاء قام شيخ من الروم فدعاهم الى مصالحة المسلمين فلم يجيبوه وقام اخر فلم يجيبوه فناجزهم المسلمون فكبروا تكبيرة فانهم كثير من دور حص * وزلزلت حيطانهم فتصدعت فكبروا ثانية فاصابهم اعظم من ذلك فخرج اهلها اليهم يطلبون الصلح ولا يعلم المسلمون بما حدث فيهم فاجابوهم وصالحوهم على مثل صلح دمشق وانزلها ابو عبيدة السمط بن الاسود الكنسدي في بني معاوية والاشعث بن مينا في السكون والمقداد في بلي وانزلها غيرهم ايضا وبعث بالاخماس الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع عبد الله بن مسعود وكتب عمر الى ابي عبيدة ان اقم بمد يديك وادع اهل القوة من عرب الشام فاني غير تارك البعثة اليك ثم استخلف ابو عبيدة على حص عبادة ابن الصامت وسار الى حاه فتلقاه اهلها مذعنين فصالحهم ابو عبيدة على الجزية لرؤسهم والخراج على ارضهم ومضى نحو شيرز فخرج اليه اهلها يسألونه الصلح على ما صالح عليه اهل حاه فصالحهم وسار الى معرة حص وهي معرة النعمان نسبت معرة الى النعمان بن بشير الانصاري رضي الله عنه فاذا عنوا له بالصلح على ما صالح اليه اهل حص ثم اتى اللاذقية فقاتله اهلها وكان لها باب عظيم يفتح جموع من الناس فعاسكر المسلمون على

مد منها ثم امر فحفر حفائر عظيمة تستر الحفرة منها الفارس را كبا ثم اظهروا انهم
 ياربون عنها ورحلوا فلما جنهم الليل عادوا واستتروا في تلك الحفائر واصبح اهل اللاذقية
 وهم يرون ان المسلمون قد انصرفوا عنهم فاخرجوا سرحهم وانتشروا بظاهر البلد فلم يرعهم
 الا المسلمون يصيحون بهم ودخلوا معهم المدينة وملكت عنوة وهرب قوم من النصارى
 ثم طلبوا الامان على ان يرجعوا الى ارضهم فمضوا على خراج يودونه قلووا وكثروا وترك لهم
 كنيسة لهم وبنى المسلمون باللاذقية بهما مسجدا جامعاء عبادة بن الصامت ثم وسع فيه بعد ولما فتح
 المسلمون اللاذقية جلا اهل جبله من الروم عنها فلما كان من معاوية بنى حصنا خارج الحصن
 الرومى وشحنه بالرجال وفتح المسلمون مع عبادة ابن الصامت انطرسوس وكان حصنا فجلا عنه
 اهله فبنى معاوية مدينة انطرسوس ومصرها واقطع بها القطائع المقاتلة وكذلك فعل بباياس
 وفتح سلميه ايضا

✽ ذكر فتح قنسرين ودخول هرقل القسطنطينية ✽

ثم ارسل ابو عبيدة خالد بن الوليد الى قنسرين فلما نزل الحاضر زحف اليهم الروم وعليهم
 ميناس وكان من اعظم الروم بعدهر قل فاقتلوا وقتل ميناس ومن معه مقتلة عظيمة لم يقتلوا
 مثلها فأتوا على دم واحد وسار خالد حتى نزل على قنسرين فتحصنوا منه فقال المسلمون لهم
 لو كنتم في السحاب لحملنا الله اليكم اولانزلكم اليانظروا في امرهم ورأوا ما لى اهل حصن
 فصالحوهم على مثل صلح حصن فابى خالد الاعلى خراب المدينة فاخر بها فعند ذلك دخل
 هرقل القسطنطينية وسببه ان خالد اوعياضا ادر با الى هرقل من الشام وادرب عمر وابن مالك
 من الكوفة فخرج من ناحية قرقيسا وادرب عبدالله ابن المعتمر من ناحية الموصل ثم رجعوا
 فعندها دخل هرقل القسطنطينية فلما بلغ عمر صنع خالد قال امر خالد نفسه يرحم الله ابا بكر هو كان
 اعلم بالرجال منى وقد كان عزله والمثنى بن حارثة وقال انى لم اعزلهما عن رية ولكن الناس
 عظموهم فحشيت ان يوكلوا اليهما ولما سار هرقل الى القسطنطينية خرج من ارها فنزل
 بشمشاط ثم ادرب منها الى القسطنطينية فلما اراد المسير من شمشاط علا على نسر ثم التفت
 الى الشام فقال السلام عليك ياسور سلام لا اجتماع بعده ولا يعود اليك رومى ابا
 الاخائفا حتى يولد المولود المشوم وياليت له لم يولد فاحلى فعله وامر فتيته على الروم ثم سار
 فدخل القسطنطينية واخذ اهل الحصون التى بين اسكندرونه وطرسوس معه لئلا يسير المسلمون
 فى عمارة ما بين انطاكية وبلاد الروم وشعث الحصون فكان المسلمون لا يجدون بها احدا
 ربما كن عندها الروم فاصابوا من المتخلفين فاحتاط المسلمون لذلك

✽ ذكر فتح حلب وانطاكية وغيرهما من العواصم ✽

سافر ابو عبيدة من قنسرين سار الى حلب فبلغه ان اهل قنسرين نقضوا وغدروا
 فوجه اليهم السمط الكندى فحصرهم وفتحها واصاب فيها بقرا وغنما فقسم بعضه
 فى جيشه وجعل بقيته فى المغنم ووصل ابو عبيدة الى حاضر حلب وهو قريب منها فجمع

اصنافا من العرب المنتصرة فصالحهم ابو عبيدة على الجزية ثم اسلموا بعد ذلك واقتل حلب
فتحصن اهلها وحصرهم المسلمون فلم يلبثوا ان طلبوا الصلح والامان على انفسهم
واولادهم ومدينتهم وكنائسهم وحصرهم فاعطوا ذلك واستثنى عليهم موضع المسجد
ثم سار ابو عبيدة الى انطاكية وقد تحصن بها كثير من الخلق من قنسرين وغيرها وحاصرها
من جميع الجوانب ثم انهم صالحوه على الجلاء او الجزية فجلا بعض واقام بعض فانهم
ثم نقضوا فوجه اليهم عياض بن غنم وحبيب بن مسلمة ففتحتها على الصلح الاول وكانت
انطاكية عاصمة الدكر عند المسلمين فلما فتحت كتب عمر الى ابي عبيدة ان رتب بانطاكية
جاعة من المسلمين واجعلهم بها مرابطه ولا تحبس عنهم العطا وبلغ ابا عبيدة
ان جعا من الروم بين معرة مصرين وحلب فسار اليهم فلقبهم فهزمهم وقتل عدة بطارقه
وسبي وغنم وفتح معرة مصرين على مثل صلح حلب وجالت خيوله فبلغت بوقا
وفتحت قرى الجومه وسرمين وتيزين وغلبوا على جميع ارض قنسرين وانطاكية
ثم اتى ابو عبيدة حلب وقد اتت اهلها فلم يزل لهم حتى ازعنوا وفتحوا المدينة وسار
ابو عبيدة يريد قورس فلقبته راهب من رهبانها بهم يسأله الصالح فصالحه على مثل صلح
انطاكية وبعث خيله فغلب على جميع ارض قورس وفتح تل عزاز ثم سار
الى منبج وصالحه اهلها على مثل صلح انطاكية وسير عياض بن غنم الى ناحية دلولك
وعبان فصالحه اهلها على مثل صلح منبج وولى ابو عبيدة كل كورة فتحها عاملا وضم اليه
جاعة وشحن النواحي المخوفة وسار الى بالس وبعث جيشا مع حبيب بن مسلمة الى قاصرين
فصالحهم اهلها على الجزية او الجلاء فجلى اكثرهم الى بلاد الروم واراض الجزيرة وقرية جسر منبج
واستولى المسلمون على الشام من هذه الناحية الى الفرات وعاد ابو عبيدة الى فلسطين
وكان يجبل الانكام مدينة يقال لها جرجومه واهلها يقال لهم الجراجمه فسار اليهم حبيب
بن مسلمة من انطاكية فافتتحها صلحا على ان يكونوا عونا للمسلمين وسير ابو عبيدة جيشا
مع ميسرة بن مسروق العبسي فسلخوا درب بغراسي من اعمال انطاكية الى بلاد الروم
فلقي جمعا للروم معهم عرب من غسان وتنوخ واياهم يريدون اللحاق بهرقل فوقع بهم
وقتل منهم مقتلة عظيمة ولحق به مالك بن الحارث الاشتر النخعي مددا من قبل ابي عبيدة
وهو بانطاكية فسلموه وعادوا وسير ابو عبيدة جيشا اخر الى مرعش مع خالد بن الوليد
ففتحتها على جلا اهلها بالامان واخربها وسير جيشا اخر مع حبيب بن مسلمة الى حصن الحداث
فلما وكل هذه الفتوحات كانت من سنة ثلاث عشرة الى سنة خمس عشرة يتلو بعضها بعضا
في ازمان متقاربة وكان فيها ايضا فتح قيساريه وحصر غزة

ذكر فتح قيساريه وحصر غزة

في سنة خمس عشرة على الصحيح كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى يزيد بن ابي سفيان
ان يرسل معاوية الى قيساريه وكتب عمر ايضا الى معاوية يامره بذلك فسار معاوية اليها
فحصر اهلها فجعلوا يزاحفونه وهو يهزمهم ويردهم الى حصنهم ثم زاحفوه اخر ذلك

سنتين فهزمهم وقتل فيهم مقتلة عظيمة وبلغت قتلهم في المعركة ثمانين الفا وكلها في هزيمتهم
مائة الف وفتحها وكان علقمة بن مجزز قد حصر القيقار بغزه وجعل يرأسه فلم يشفعه احد
ايريد فاته كأنه رسول علقمة فامر القيقار رجلا ان يقعدله في الطريق اذ ارجع فاذا مر به قتله
فقطن علقمة فقال للقيقار ان معي نفرا يشركوني في الرأي فأنطلق فأتيتك بهم فبعث القيقار
الى ذلك الرجل ان لا يعرض له فخرج علقمة من عنده فلم يعد فكان فعله هذا كما فعل
عمرو بن العاص بالارطبون كما سيأتي ومجزز يحيم وزاين

❖ ذكر فتح بيسان ووقعة اجنادين ❖

لما انصرف ابو عبيدة وخالد رضي الله عنهما الى حصن نزل عمرو بن العاص
وشرحبيل رضي الله عنهما على اهل بيسان فافتحاها وصالحا اهل الاردن واجتمع عسكر
الروم بغزه واجنادين وبيسان وسار عمرو وشرحبيل الى الارطبون ومن معه وكان الارطبون
باجنادين واستخلف على الاردن ابا الاعور السلمي وكان الارطبون ادهى الروم وابعدها غورا
وكان قد وضع جندا عظيما بايليا وجندا عظيما بالرملة فلما بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الخبر قال قد رمينا ارطبون الروم بارطبون العرب يعني عمرو بن العاص فانظروا عمن تنفرج
وكان معاوية قد شغل اهل قيسارية عن عمرو وكان عمرو قد جعل علقمة بن حكيم القراسي
ومسروق العمكي على قتال ايليا فشغلوا من به عنه وجعل ايضا ابا ايوب المسالكي على من
بالرملة من الروم فشغلهم عنه وتتابعت الامداد من عند عمر الى عمرو واقام عمرو على اجنادين
لا يقدر من الارطبون على شيء ولا تنفيه الرسل فسار اليه بنفسه فدخل عليه كأنه رسول
فقطن به الارطبون وقال لاشك ان هذا هو الامير او من يأخذ الامير برأيه فامر انسانا ان يقعد
على طريقه اذ ارجع ليقبله وفطن عمرو لفعله فقال له قد سمعت مني وسمعت منك وقد وقع لك
منى موقعا وانا واحد من عشرة بعثنا عمرو اليك فأرجع فأتيك بهم الآن فان راوا الذي
حرصت على الآن فقد رآه الامير واهل العسكر وان لم يروه رددتهم الى ما أمنهم فقال نعم ورد
الرجل الذي امره بقتله فخرج عمرو من عنده ثم علم الرومي انها خدعة اختدعه بها فقال هذا
ادهى الخلق وبلغت خديعته عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لله در عمرو وعرف
عمرو مأخذه اذا قاتله فقاتله باجنادين قتالا شديدا حتى كثرت القتلى بينهم وانهزم ارطبون
الى ايليا ونزل عمرو اجنادين وافر ج المسلمون الذين يحصرون بيت المقدس لارطبون فدخل
بيت المقدس

❖ ذكر فتح بيت المقدس ❖

كان فتح بيت المقدس سنة خمس عشرة من الهجرة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وقيل سنة ست عشرة في ربيع الاول وسبب ذلك انه لما دخل ارطبون بيت المقدس فتح عمرو
بن العاص غزاة ثم فتح سبطية وفيها قبر يحيى ابن زكريا عليهما الصلاة والسلام وفتح نابلس
بامان على الجزية وفتح مدينة لدثم فتح تقي وعمواس وبيت جبرين ويافا وقيل فتحها معاوية
وفتح عمرو مرج عيون فلما تم له ذلك ارسل الى ارطبون رجلا يتكلم بالرومية وقال له اسمع

ما يقول وكتب معه كتابا فوصل الرسول ودفع الكتاب الى اربطون وعنده وزراؤه فقام
اربطون لا يفتح والله عمرو شيئا من فلسطين بعد اجنادين فقالوا له من اين علمت هذا فقام
صاحبها رجل صفته كذا وكذا وذكر صفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فرجع الرسو
الى عمرو بن العاص واخبره الخبر فكتب الى عمر بن الخطاب يقول له انى اعالج عدوا شرا
وبلادا قد اذخرت لك فرايك فعلم عمر ان عمرا لم يقل ذلك الا بشيء سمعه فسار عمر من المدينة
وقيل ان الروم الذين كانوا بيت المقدس طلبوا من المسلمين ان يروههم اميرهم فاروها
ابا عبيدة و خالد ابن الوليد فقالوا لانسلم احدا من هذين مدينة بيت المقدس ولو حصرتمونا
عشره سنين وانما نسلها لرجل صفته كذا وكذا وذكروا صفة عمر بن الخطاب رضى الله
عنه فكتب ابو عبيدة وبقية الامرا بذلك لعمر بن الخطاب فقدم عليهم وكان ابو عبيدة
رضى الله عنه لما حصر بيت المقدس اراد ان يصالحهم على مثل صلح اهل مدن الشام فقالوا
لانصالحهم الا ان يكون المتولى للعقد عمر بن الخطاب فكتب اليه بذلك فسار عن المدينة واتى
بيت المقدس وفي تاريخ بن الوردي وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال لعمر رضى الله عنه
انك ستفتح بيت المقدس بلا قتال فكان في مجيئه اظهار معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم في اخباره
بالغيب فقبحها بلا سيف كما اخبره به النبي صلى الله عليه وسلم ولما سار عمر من المدينة استخلف
عليها على بن ابي طالب رضى الله عنه فقال له على اين تخرج بنفسك انك تريد عدوا كلبا
فقال عمر ابادر بالجهاد قبل موت العباس رضى الله عنه انكم لو فقدتم العباس لانقض بكم
الشركا ينتقض الحبل فأت العباس لست سنين من خلافة عثمان رضى الله عنه فاتقض الناس
وسار عمر رضى الله عنه من المدينة وهو على بعيره له وعليه غرارتان في احدهما سويق وفي
الآخرى تمر وبين يديه قربة مملوءة ماء وخلفه جفنة لازاد ومعه جماعة من الصحابة وكان
اذا نزلوا منزلا لا يبرح به حتى يصلى الصبح ثم يأخذ الجفنة يملأها سويقا ويصف التمر حولها
ويقرب للمسلمين ويقول كلوا هنيئا مريئا فيأكل ويأكل المسلمون ثم يرحل فلم يزل كذلك
في مسيره حتى قدم الشام وقيل انه لما قدم الجابية كان على فرس وكان قدومه الى الشام اربع
مرات الاولى على فرس والثانية على بعير والثالثة على بغل ورجع لاجل الطاعون والرابعة
على حمار وكتب الى امراء الاجناد ان يوافوه بالجابية ليوم سماء ويستخلفوا على اعمالهم فكان
اول من لقيه يزيد بن سفيان وابو عبيدة ثم خالد على الخيول عليهم الديباج والحرير فزل
واخذ الجحارة ورماهم بها وقال ما اسرع ما رجعت من رأيكم تستقبلوني في هذا الزى
وانما شبعتم منذ سنتين وبالله لو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم
فقالوا يا امير المؤمنين انها يلامعه وان علينا السلاح قال فقم اذن واليلا مع من السلاح
ما برق فلما دخل الجابية جاء اهل بيت المقدس وقد هرب عنهم اربطون الى
مصرف صالحوه على الجزية وفتحوها له وروى ان الروم امتنعوا من فتح باب السور
حتى يروا عمر ويجدوا فيه الصفة التي يجدونها في كتبهم فامر عمر ببعيره فقدم اليه فاستوى الى
ركوبه عليه وعليه مرقعة ليس عليه غيرها وعلى رأسه قطعة عباءة قطوانيه وقد عصب
بها رأسه وليس معه غير ابى عبيدة رضى الله عنهما سائرا بين يديه حتى قرب من السور ووقف

السور فنظر اليه البطريق وهو خلف السور وزعق باعلى صوته هذا والله الذى نجد
وصفته فى كتبنا وهو الذى يكون فتح بلادنا على يديه بلا محالة ثم قال لاهل بيت المقدس
بحكم انزلوا اليه واعقدوا معه الامان والذمة ففتحو الباب وخرجوا الى عمر يسألونه العهد
الميثاق والذمة وعقد الجزية فخر ساجدا لله على قتب بعيره ثم نزل اليهم وقال ارجعوا الى
دكم ولكم العهد والذمة اذسألتونا واقررتم بالجزية فرجع القوم ولم يغلثوا الابواب ورجع
عمر الى معسكره وبات فيه ليلة فلما كان من الغد قام فدخل اليها ومعه المسلمون وعقد الجزية
ايضا لاهل الرملة وجعل علقمه بن حكيم على نصف فلسطين واسكنه الرملة وجعل علقمه
بن مجرز على نصفها الاخر واسكنه بيت المقدس وضم اليه عمرو بن العاص وشرحبيل ولقياه
بالجابية راكبا فقبلاركبته وضم كل واحد منهما محتضنها ثم سار الى بيت المقدس من الجابية
فركب فرسه فرأى فيه عرجا فنزل عنه فأتى ببرذون فركبه فجعل يتجملجمل به فنزل وضرب
وجهه وقال لا اعلم من علمك هذه الخيلاء ثم لم يركب برذونا قبله ولا بعده وبقى ارطيون بمصر
فلما ملك المسلمون مصر قتل ولما دخل عمر بيت المقدس كشف عن الصخرة وامر ببناء المسجد
عليها واقام عشرة ايام ثم رجع الى المدينة وكان فى هذه السنة والتى بعدها كثير من
الفتوحات بالعراق وسندكرها ان شاء الله بعد تمام الكلام على فتوحات الشام ومصر

ذكر خبر حصن حين قصد هرقل من بها من المسلمين

فى سنة سبع عشرة قصد الروم ابا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين بحمص وكان الميخ
للروم اهل الجزيرة فانهم ارسلوا الى ملك الروم وحثوه على ارسال الجنود الى الشام واعدوا
من انفسهم المعاونة ففعل ذلك فلما سمع المسلمون باجتماعهم عسكروا بغناء مدينة حصن واقبل
خالد بن قنسر بن اليهم فاستشارهم ابو عبيدة فى المناجزة والتحصين الى مجئ الغياث فاشار خالد
بالمناجزة وشارسائرهم بالتحصين ومكاتبه عمر فاطاعهم وكتب الى عمر ذلك فكتب عمر الى
امراء الاجناد بالعراق ان يبعثوا جندا لا غائة ابي عبيدة وكان عمر رضى الله عنه قد اتخذ فى كل
مصر خيولا على قدر ذلك المصر من فضول اموال المسلمين عدة يكون ان كان بالكوفة فى
ذلك اربعة آلاف فرس وكان القيم عليها سلمان بن ربيعة الباهلى ونفر من اهل الكوفة وفى
كل مصر من الامصار على قبره فان تاتتهم اتيه ركب الناس وساروا الى ان يتجهز بقية الناس
فلما سمع عمر الخبر كتب الى سعد بن ابي وقاص بالعراق ان اندب الناس مع القعقاع بن عمرو
وسرحهم من يومهم فان ابا عبيدة قد احيط به وكتب اليه ايضا سرح سهيل بن عدى الى
الرقه وهى بلدة على الفرات بتشد يد الراء والقاف المفتوحتين فان اهل الجزيرة هم الذين
استناروا الروم على اهل حصن وامره ان يسرح عبد الله بن عتبان الى نصيبين ثم ليقتصد حيران
والرها وان يسرح الوليد بن عقبه على عرب الجزيرة من ربيعة وتوخي وان يكون عياض
ابن غنم على امراء الجزيرة ان كانت حرب فغضى القعقاع من يومه على اربعة آلاف الى حصن
وسار عياض بن غنم وامراء الجزيرة كل امير الى كورته وسار عمر بن الخطاب رضى الله عنه
من المدينة يريد حصن مغيثا لابي عبيدة ولما بلغ اهل الجزيرة الذين اعانوا الروم على اهل

حص خيبر الجنود الاسلامية فارقوا هرقل ورجعوا الى بلادهم وزحف ابو عبيدة الى الروم فانهزموا ووقدم القعقاع من العراق بعد الواقعة بثلاث فكتبوا الى عمر بالفتح وبقدم المدد اليهم فكتب اليهم ان اشركوهم في الغنيمة فانهم نفروا اليكم وانفرق لهم عدو وقال جز الله اهل الكوفة خيرا يكفون حوزتهم ويمدون اهل الامصار فلما فرغوا رجعوا وبلغ عمر في مسيره هذا الى الجابية فوافاه خبر انهزام الروم فكتب الجواب لابن عبيدة ورجع من الجابية واصحب معه خالد بن الوليد ومن معه ولما قدم سهيل بن عدي على الرقة سرح الوليد بن عقبة الى عرب الجزيرة فقبض اهل الرقة عن هرقل وساروا مع سهيل بن عدي الى اياد بن نزار فانهم ادخلوه ارض الروم فكتب عمر الى هرقل بلغني ان حيا من احيا العرب تركوا دارنا واتوا دارك فوالله لنخرجنهم ولنخرجن النصارى اليك فاخرجهم هرقل وتفرق منهم اربعة آلاف فيما بلى الشام والجزيرة

ذكر فتح الجزيرة واربينيه

الجزيرة بلاد تشمل على ديار بكر ومضرب وربيعة بين دجلة والفرات اليها ينسب الامام الجزري واربينيه كورة كانت للروم لما ارسل سعد العساكر الى الجزيرة ارفض به اهل الجزيرة عن الروم وساروا الى كورهم حين سمعوا بارسال العساكر من الكوفة فنزل عليهم سهيل بن عدي وحاصرهم حتى صالحوه ونازل عبدالله بن عتبان الموصل ونصيبين فصالحوه كصنع اهل الرقة وخرج الوليد بن عقبة فقدم على عرب الجزيرة فينهض معه مسلمهم وكافرهم الا اياد بن نزار فانهم دخلوا ارض الروم فكتب الوليد بذلك الى عمر فكتب عمر الى هرقل كما تقدم ولما اخذوا الرقة ونصيبين ضم عياض اليه سهيلا وعبدالله بن عتبان وسار بالناس الى حران فلما وصل اجابه اهلها الى الجزيرة فقبل منهم ثم ان عياض اسرح سهيلا وعبدالله الى الزها فاجابوهما الى الجزيرة واجروا كل ما اخذوه من الجزيرة عنوة مجرى الدمه فكانت الجزيرة اسهل البلدان فتحها ورجع سهيل وعبدالله الى الكوفة وكتب ابو عبيدة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد انصرافه من الجابية يسأله ان يضم اليه عياض بن غنم اذ اخذ خالد بن الوليد معه الى المدينة فصرفه اليه فاستعمل حبيب بن مسلمة على عجم الجزيرة وحربها والوليد بن عقبة على عربها وابي الوليد بن عقبة ان يقبل من تغلب الجزيرة وقال ليس الا الاسلام فكتب اليه عمر انما ذلك بجزيرة العرب لا يقبل منهم الا الاسلام فدعهم على ان لا ينصروا وليدا ولا يمنعوا احدا منهم من الاسلام وكان في تغلب عن وامتاع فهم بهم الوليد فخاف عمر ان يسطوا عليهم فعزله و امر عليهم فرات ابن حيسان وهند بن عمار الحلبي والصحيح الذي عليه الأكثر ان فتح الجزيرة معدود من فتح اهل الشام وانه سنة سبع عشرة وقبل انه من فتح العراق وانه سنة تسع عشرة وانما اخذ عمر خالدا معه وعزله عن امارة الاجناد لانه رأى منه تبذرا وسرفا في الاموال اعطى مرة للاشعث بن قيس عشرة آلاف وله عطايا كثيرة فلما قدم المدينة شك خالد عمر على الناس وقال له انك في امرى غير مجمل فقال له عمر من اين

هذا الثرا فقال من الغنائم والسهمان مازاد على ستين الفا فهو لك فتقوم عمر ماله فزاد
 شرين الفا فجعلها في بيت المال ثم قال يا خالد والله انك على لكريم وانك الى حبيب
 كتب الى الامصار اني لم اعزل خالدا عن سخطه ولا خيانة ولكن الناس فخموه وفتنوا
 فخنفت ان يوكلوا اليه فاحببت ان يعلموا ان الله هو الصانع وان لا يكونوا بعرض فتنة
 وعوضه عما اخذه منه وكان خالدا بن خال عمر رضى الله عنهما لان ام عمر حنته بنت هاشم
 بن المغيرة وخالد بن الوليد ابن المغيرة وكان في قلنسوة خالدا التي يقاتل فيها شعرات من شعر رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فيستنصر بها وببركته صلى الله عليه وسلم فلا يزال منصورا وكان
 يقول اعتمرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة اعتمرها فخلق شعره فاستبق الناس الى
 شعره فسبقت الى الناصية فاخذتها فالتحذت قلنسوه فجعلتها في مقدم القلنسوه فاواجهته
 في وجهه الا وفتح له وسماه النبي صلى الله عليه وسلم سيفا من سيوف الله يوم غزوه موته
 لما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بالمدينة بما وقع في تلك الغزوة يوم وقوعها فذكر
 لهم استشهد زيد بن حارثة وجعفر ابن ابي طالب وعبد الله بن رواحه وقال ثم اخذ الراية سيفا
 من سيوف الله خالدا بن الوليد ففتح الله عليه ومناقبه كثيرة وله ترجمة واسعة توفي رضى الله
 عنه في خلافة عمر رضى الله عنه بحمص وقيل بالمدينة سنة احدى وعشرين من الهجرة ولما
 حضرت خالدا الوفاة قال لقد شهدت مائة زحف اوزهاها وما في بدني موضع شبر الا وفيه
 ضربة او طعنة او رمية وهاانا اموت على فراشي كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء ومامن
 عمل عندي مارحى من لاله الا الله وانامترس بها وفي سنة ثمانية عشر وقع بالشام الطاعون
 المسمى طاعون عمواس مات فيه خمسة وعشرون الفا ومات فيه ابو عبيدة واستخلف معاذ
 ابن جبل فطعن ايضا فيه ومات فاستخلف عمر على الناس عمرو بن العاص وطعن فيه يزيد بن ابي
 سفيان فاستعمل عمر بن الخطاب اخاه معاوية ابن ابي سفيان على دمشق وخراجها واستعمل
 حبيب بن حسنة على جند الاردن وخراجها ولما حصل ذلك الطاعون قام ابو عبيدة خطيبا
 في الناس فقال ايها الناس ان هذا الوجع رحمة ربكم ووعدة نبيكم وموت الصالحين قبلكم
 وان ابا عبيدة سأل الله ان يقسم له منه حظ فطعن فأت واستخلف على الناس معاذ بن جبل
 فقام خطيبا بعده فقال ايها الناس ان هذا الوجع رحمة ربكم ووعدة نبيكم وموت الصالحين
 قبلكم وان معاذ يسأل الله ان يقيم لآل معاذ حظهم فطعن ابنه عبد الرحمن فأت ثم قال فدعا به
 نفسه فطعن في راحته فلقد كان يقبلها ثم يقول ما احب ان لي بما فيك شيأ من الدنيا فلما مات
 واستخلف عمرو بن العاص خرج بالناس الى الجبال ورفع الله عنهم وكان الناس قد اصابهم
 من الموت ما لم يروا مثله قط وطمع فيهم العدو وطال مكث ذلك الطاعون فانه مكث شهورا
 وكان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قدم الى الشام في مدة ذلك الطاعون فلما كان بسرغ
 وهو موضع قرب الشام بين المغيرة وتبوك لقيه امرا الاجناد فيهم ابو عبيدة بن الجراح
 فاخبروه بالوبا وشدة وكان معه كثير من المهاجرين والانصار لانه خرج بهم غازيا
 فجمع المهاجرين الاولين والانصار فاستشارهم فاختلفوا عليه فنههم القائل خرجت لوجه الله
 فلا يصدك عنه هذا ومنهم القائل انه بلاء وفناء فلا ترى ان تقدم عليه فقال لهم قوموا

ثم احضر مهاجرة القمح من قريش فاستشارهم فلم يختلفوا عليه و اشاروا بالعود فنادى
 عمر في الناس اني مصبح على ظهر فقال ابو عبيدة افرار من قدر الله فقال لو غيرك قاله
 يا ابا عبيدة اى لانتقم منه نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ارايت لو كان لك ابل فهبطت
 وادباله عدوتان احدهما مخضبة والاخرى مجذبة اليس ان رعيت المخضبة رعيته بقدر منه
 وان رعيت المجذبة رعيته بقدر منه وكان عبد الرحمن بن عوف غايبا فحضر فاخبر انه سمع
 من النبي صلى الله عليه وسلم حديثا في ذلك وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم بهذا الوبا
 ببلدة فلا تقدموا عليه و اذا وقع ببلد و انتم به فلا تخرجوا فرارا منه فكان ذلك الحديث
 موافقا لما رآه عمر رضى الله عنه فانصرف بالناس الى المدينة و مات في ذلك الطاعون
 كثير من الصحابة منهم الحارث بن هشام و سهيل بن عمرو رضى الله عنهما و لما فرغ الطاعون
 كتب امرأء الاجناد الى عمر رضى الله عنه بما في ايديهم من الموارث فسار عمر الى الشام و استخلف
 على المدينة على بن ابي طالب رضى الله عنه فلما قدم الشام قسم الموارث و الارزاق
 و سد فروج الشام و مصالحها و اخذ يدورها و رجع الى المدينة في ذى القعدة و لما كان بالشام
 و حضرت الصلاة قال له الناس لو امرت بلالا فاذن فامر فاذن فابقي احدا و ادرك
 النبي صلى الله عليه وسلم و بلالا يؤذن الياكى حتى بل لحيته و عمر اشدهم بكاء
 و بكى من لم يدركه يبكاؤهم لذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

✽ ذكر فتح مصر و الاسكندرية ✽

كان ابتداء الامر و انتهاءه في ذلك من سنة ثمانية عشر الى سنة عشرين و قيل ان فتوح مصر
 كان في سنة ست عشرة لان عمرو بن العاص رضى الله عنه حل الطعام لاهل المدينة عام الرمادة
 التي اشتد القحط فيه في بحر القلزم من مصر الى المدينة و عام الرمادة كان سنة ثمانية عشر
 و قال الجلال السيوطي في كتابه المسمى بحسن المحاضرة في اخبار مصر و القاهرة لما كانت
 سنة ثمان عشرة و قدم عمر بن الخطاب الجاهلي قام اليه عمرو بن العاص رضى الله عنه فخلابه
 فقال يا امير المؤمنين ائذنى ان اسير الى مصر و حرضه عليها و قال انك ان فتحتهما كانت
 قوة للمسلمين و عوناً لهم و هي اكثر الارض اموالا و اعجزهم عن القتال و الحرب فخوف
 عمر بن الخطاب على المسلمين و كره ذلك فلم يزل عمرو بن العاص يعظم امرها عند عمر و يخبره
 بحالها و يهون عليه فنجحها حتى ركن عمر بن الخطاب لذلك فاذن له في السير و سبب قوة رجاء
 عمرو بن العاص في ان الله يفتح مصر على يديه قصة وقعت له في الجاهلية ذكرها السيوطي ايضا
 في حسن المحاضرة و لنذكرها و ان كان فيها طول تميما للفائدة قال اخرج بن عبد الحكم
 عن خالد بن يزيد انه بلغه ان عمرو بن العاص قدم الى بيت المقدس بتجارة في نفر من قريش
 و اذ هم بشماس من شمامسة الروم من اهل الاسكندرية قدم للصلاة في بيت المقدس فخرج
 فخرج في بعض جبانها يسبح و كان عمرو بن العاص يرى ابله و ابل اصحابه و كانت
 رعية الابل نوبا بينهم فبينما عمرو يرى ابله اذ مر به ذلك الشماس و قد اصابه
 عطش شديد في يوم شديد الحر فوقف على عمرو فاستسأه فسقاه عمرو من قربته فشرب حتى روى بن

نام الشمس في مكانه وكان الى جانب الشمس حيث نام حفرة فخرجت منها حية عظيمة
 صر بهاعمر و فزع لها سهمافقتلها فلما استيقظ الشمس نظر الى حية عظيمة قد نجاه الله منها
 بال عمرو ماهذه فاخبره عمرو انه رماها بسهم فقتلها فاقبل الى عمرو فقبل رأسه وقال
 احيا في الله بك مرتين مرة من شدة العطش ومرة من هذه الحية فاقدمك هذه البلاد
 ان قدمت مع اصحاب لي نطلب الفضل من تجارتنا فقال له الشمس وكم ترجو ان تصيب
 من تجارتك قال رجائي ان اصيب ما اشترى به بعيرا فاني لا املك الا بعيرين فأملئ ان اصيب
 بعيرا اخر فيكون لي ثلاثة ابصره فقال له الشمس ارأيت دية احدكم بينكم كم هي قال مائة
 من الابل فقال له الشمس لسنا اصحاب ابل نحن اصحاب دنانير قال عمرو تكون الف دينار
 فقال له الشمس اني رجل غريب في هذه البلاد وانما قدمت اصلي في كنيسة بيت المقدس
 وقد قضيت ذلك وانا اريد الرجوع الى بلادى فهل لك ان تتبعني الى بلادى ولك عهد الله
 وميثاقه ان اعطيك دينين لان الله تعالى احيا في بك مرتين فقال له عمرو ابن بلادك قال مصر في
 مدينة يقال لها الاسكندرية فقال له عمرو لا اعرفها ولم ادخلها قط فقال له الشمس
 لو دخلتها علمت انك لم تدخل قط مثلها فقال له عمرو تفي لي بما تقول وعليك بذلك العهد
 والميثاق فقال الشمس نعم لك الله على بالعهد والميثاق اني افي لك وارذك الى اصحابك فقال
 عمرو وكم يكون مكثي في ذلك قال شهرا تنطلق معي ذاهبا عشرا وتقيم عندنا عشرا وترجع
 في عشر ولك على ان احفظك ذاهبا وابعث معك من يحفظك راجعا فقال له عمرو انتظرنى
 حتى اشاور اصحابي فانطلق عمرو الى اصحابه فاخبرهم بما عاهد عليه الشمس وقال لا تخرجوا
 واقموا حتى ارجع اليكم ولكم على العهد ان اعطيكم شطر ذلك على ان يصحبني
 منكم رجل أنس به فقالوا نعم وبعثوا معه رجلا منهم فانطلق عمرو وصاحبه مع الشمس
 الى مصر حتى انتهى الى الاسكندرية فرأى عمرو من عمارتها وكثرة اهلها وما بها من الاموال
 والخير ما اعجبه ذلك وقال ما رأيت مثل مصر قط وكثرة ما فيها من الاموال ونظر الى الاسكندرية
 وعمارتها وجودة بنائها وكثرة اهلها وما بها من الاموال فازداد تعجبا ووافق دخول عمرو
 الاسكندرية عيدافيه عظيم يجتمع فيها ملوكهم واشرافهم ولهم اكرة من ذهب مكلله
 يتراعى بها ملوكهم وهم يتلقونها باكرامهم وفيما اخبروا عن تلك الاكرة على ما وضعها من مضى
 منهم ان من وقعت الاكرة في كده واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم فلما قدم عمرو
 الاسكندرية اكرمه الشمس الاكرام كله وكساه ثوب ديباج البسه اياه وجلس عمرو
 والشمس مع الناس في ذلك المجلس حيث يترامون بالاكرة وهم يتلقونها باكرامهم فرمى بها
 رجل منهم فاقلت تهوى حتى وقعت في كم عمرو فتعجبوا من ذلك وقالوا ما كذبنا هذه الاكرة
 قط الا هذه المرة اترى هذا الاعرابي يملكنا هذا لا يكون ابدا وان ذلك الشمس مشى في اهل
 الاسكندرية واعلمهم ان عمرا احياه مرتين وانه قد ضمن له الف دينار وسألهم ان يجمعوا له
 ذلك فيما بينهم ففعلوا ودفعوها الى عمرو فاطلق عمرو وصاحبه وبعث معهما الشمس دليلا
 وسولا وزودهما واكرمهما حتى رجع هو ومن معه الى اصحابه فبذلك عرف عمرو مدخل
 نخرجها وراى منها ما علم انها افضل البلاد واكثرها مالا فلما رجع عمرو الى اصحابه

دفع اليهم فيما بينهم الف دينار وامسك لنفسه الف قال عمرو فكان ذلك المال اول مال ثألثته
 فلما اكرمه الله بالاسلام وفتح على يديه كثير من ارض الشام مالت نفسه الى فتح مصر ورجا
 ان يتحقق له وقوع الاكره في كفه مع ما صح من قول النبي صلى الله عليه وسلم لتفتح عليكم بعدى
 مصر فاستوصوا بقبطها خير ا فان لكم منهم صهرا وذمة فرغب عمر بن الخطاب في ان يسيره اليها
 حتى وافقه على ذلك فمقدله على اربعة الاف رجل كلهم من عك و يقال على ثلاثة الاف وخمس مائة
 فقال عمر سر وانا مستخير الله في مسيرك وسيأتي كتابي اليك سر يعا ان شاء الله تعالى فان
 ادركت كتابي آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل ان تدخلها اوشيا من ارضها فانصرف
 وان انت دخلتها قبل ان ياتي كتابي فامض اوجهك واستعن بالله واستنصره فسار عمرو
 ابن العاص من جوف الليل ولم يشعر به احد من الناس واستخار عمر الله فكانه يخوف على
 المسلمين في وجههم فكتب الى عمرو بن العاص ان ينصرف بمن معه من المسلمين فادرك
 الكتاب عمرا وهو برفح فنخوف عمرو بن العاص ان هو اخذ الكتاب وفتحه ان يجد فيه
 الانصراف كما عهد اليه عمر فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه وسار كما هو حتى نزل قرية
 فيما بين رفح والعرش فسأل عنها ف قيل له انها من مصر فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين
 فقال عمرو انتم تعلمون ان هذه القرية من مصر قالوا بلى فقال ان امير المؤمنين عهد الى
 وامرني ان ألحقني كتابه ولم ادخل مصر ان ارجع وان لم يلحقني كتابه حتى دخلنا ارض
 مصر فسيروا وامضوا على بركة الله فتقدم عمرو بن العاص فلما بلغ المقوقس قدوم عمرو
 توجه الى الغسقاط فكان يجهز على عمرو الجيوش فكان اول موضع قوتل فيه القريا قتله
 الروم قتالا شديدا نحو من شهر ثم فتح الله على يديه فهزم الروم وكان بالاسكندرية استقر
 للقبط يقال له ابو ميامين فلما بلغه قدوم عمرو بن العاص كتب الى القبط يعلمهم انه لا يكون
 للروم دولة وان ملكهم قد انقطع وبأمرهم يتلقى عمرو فيقال ان القبط الذين كانوا بالغزاة
 كانوا يومئذ لعمرو اعوانا ثم توجه عمرو لايدافع الا بالامر الخفيف حتى نزل القواحر فتلا
 ومن معه فقال بعض القبط لبعض لا تعجبون من هؤلاء القوم يقدمون على جوع الروم
 وانما هم في قلة من الناس فأجابه رجل آخر منهم ان هؤلاء القوم لا يتوجهون الى احد
 الا ظهروا عليه حتى يقتلوا آخرهم فتقدم عمرو لايدافع الا بالامر الخفيف حتى اتى بلبيس
 فقاتلوه بها نحو من شهر حتى فتح الله عليه ثم مضى لايدافع الا بالامر الخفيف حتى اتى ام
 دين فقاتلوه بها قتالا شديدا وابطأ عليه الفتح فكتب الى عمر يستدنه فأمد به بأربعة
 آلاف تمام ثمانية آلاف فسار عمرو بمن معه حتى نزل على الحصن فحاصره بالقصر الذي
 يقال له باب اليون حينا وقاتلهم قتالا شديدا يصحجهم ويمسيهم فلما ابطأ عليه الفتح كتب
 الى عمر بن الخطاب يستدنه فأمد عمر بأربعة آلاف رجل على كل الف رجل وكتب اليه
 اني قد امددتك بأربعة آلاف رجل منهم رجال مقام الالف الزبير بن العوام والمقداد بن
 الاسود وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد واعلم انه صار معك اثنا عشر الفا ولا تغلب
 اثنا عشر الفا من قلة وكان الروم قد خندقوا حول حصنهم وجعلوا الخندق ابوابا وجعلوا
 سكك الحديد موتدة بأفنية الابواب فلما قدم المدد الى عمرو بن العاص اتى الى القصر ووضع

عليه المنجنيق وكان على القصر رجل من الروم يقال له الاعرج والبا عليه وكان تحت يد
المقوقس ودخل عمرو الى صاحب الحصن كائنه رسول فتناظر معه في شيء مما هم فيه فقال
اخرج واستشير اصحابي وكان صاحب الحصن اوصى الذي كان على الباب اذا مر به
عمرو راجعا ان يلقى عليه صخرة فيقتله فرعمرو وهو يريد الخروج برجل من العرب فقال
قد دخلت فانظر كيف تخرج فرجع عمرو الى صاحب الحصن فقال اني اريد ان اتيك بنفر
من اصحابي حتى يسمعوا منك مثل الذي سمعت فقال العليج في نفسه قتل جماعة احب الى من
قتل واحد فارسل الى الذي امره بقتل عمرو ان لا يتعرض له رجاء ان يأتي بأصحابه فيقتلهم
وخرج عمرو فلما ابطأ عليه الفتح قال الزبير اني اهب نفسي لله ارجو ان يفتح الله بذلك على
المسلمين فوضع سلما الى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد و امرهم اذا سمعوا تكبيره
ان يحببوا جميعا فاشعروا الا والزبير على رأس الحصن يكبر معه السيف وتجمع الناس على
السلم حتى نهاهم عمرو خوفا ان ينكسر فلما اقتحم الزبير وتبعه من تبعه وكبر وكبر من معه واجابهم المسلمون
من خارج لم يشك اهل الحصن ان العرب قد اقتحموا جميعا فهربوا فعمد الزبير واصحابه الى
باب الحصن ففتحوه واقتحم المسلمون الحصن فخاف المقوقس على نفسه فبيئت طلب الصلح من
عمرو ابن العاص على ان يفرض للعرب على القبط دينارين على كل رجل منهم فاجابه عمرو الى
ذلك وكان مكثهم على باب القصر حتى فتحوه سبعة اشهر وقال بن عبد الحكم شهرا قال ان
المسلمين لما حاصروا باب اليون شهرا كان به جماعة من الروم واكابر القبط ورؤسائهم
وعليهم المقوقس فلما راوا حرص المسلمين على فتح الحصن ورغبتهم فيه خافوا ان يظهروا
فتنحى المقوقس وجماعة من اكابر القبط وخرجوا من باب القصر القبلي ودونهم جماعة
يقاتلون العرب فلحقوا بالجزيرة وامروا بقطع الجسر وتخلف الاعرج في الحصن بعد المقوقس
فلما خاف فتح الحصن ركب هراة من الروم فاجتمع اليه جماعة من الروم فاجتمع اليه جماعة
ثم لحقوا بالمقوقس في الجزيرة فارسل المقوقس الى عمرو ابن العاص انكم قوموا بفتح الحصن في بلادنا
والحتم على قتالنا و طال مقامكم في ارضنا وانما انتم عصبة يسيرة وقد اظلمكم الزم
وجهزوا اليكم ومعهم من العدة والسلاح وقد احاط بكم هذا النيل وانما انتم اسارى في ايدينا
فارسلوا النار جالا منكم نسمع من كلامهم فلعله ان يأتي الامر فيمابيننا وبينكم على ما نحب ونحب
وبقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل ان تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه
ولعلمكم ان تسدوا ان كان الامر مخالفا لطابتكم ورجائكم فابعث الينا رجالا من اصحابكم
نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به عن شيء فلما اتى الى عمرو بن العاص رسل المقوقس حبسهم
عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس فقال اترون انهم يقتلون الرسل ويحبسونهم
يستحلون ذلك في دينهم وانما فعل عمرو ذلك لاجل ان يروا حال المسلمين وما هم فيه ثم رد عليهم
عمرو مع رساله انه ليس بيني وبينك الا احدي ثلاث خصال اما ان دخلتم في الاسلام
فكنتم اخوانا وكان لكم مالنا وان ايتم فاعطيتم الجزية عن يد وانتم صاغرون
واما ان جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين فلما جاءت رسل المقوقس
اليه قال كيف رأيتموهم قالوا رأينا قوما الموت احب اليهم من الحياة والتواضع احب اليهم

من الرقة ليس لاحدهم رغبة في الدنيا ولا نهمه وانما جلوسهم على التراب واكلهم على ركبهم
واميرهم كواحد منهم ما يعرف رقيعهم من وضيعهم ولا السيد فيهم من العبد واذا حضرت
الصلاة لم يتخلف عنها منهم احد يغسلون اطرافهم بالماء ويتخشعون في صلاتهم فقال عند ذلك
المقوقس والذي يخلف به اوان هؤلاء استقبلوا الجبال لا زالوها ولا يقوى على قتال هؤلاء
احدولث لم نغتنم صلحتهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيونا بعد اليوم اذا امكنتهم
الارض وقدروا على الخروج من موضعهم فرد اليهم المقوقس رسله ان ابعثوا اليارسلا منكم
نعاملهم وتداعى نحن وهم الى ماعسى ان يكون فيه صلاح لنا ولكم فبعث عمرو بن العاص
عشرة نفر احدهم عبادة بن الصامت وكان طوله عشرة اشبار وهو احد الشجعان المشهورين
والفصحاء المتكلمين وامره عمرو ان يكون متكلم القوم وان لا يجيبهم الى شئ دعوه اليه الا
احدى هذه الخصال الثلاث فان امير المؤمنين امرني ان لا اقبل شياً سوى خصلة من هذه الثلاث
خصال وكان عبادة ابن الصامت رضى الله عنه اسود فلما دخلوا على المقوقس تقدم عبادة فهابه
المقوقس لسواده فقال نحو اعنى هذا الاسود وقدموا غيره يكلمنى فقالوا ان هذا الاسود افضلنا
رايا وعلمنا وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا وان انا رجع جميعا الى قوله ورأيه وقدامه الامير دوننا
بامره به فقال المقوقس لعبادة تقدم يا اسود وكلنى برفق فاني اهاب سوادك وان اشد على
كلامك ازددت لك هيبة فتقدم اليه عبادة فقال قد سمعت مقاتلك وان فين خلعت من اصحابي الف
رجل اسود وكلهم اشد سوادا منى وافزع منظر او لورأتهم لكنى اهابهم منى وانا قد وليت
واذر شبابي واني مع ذلك بحمد الله ما اهاب مائة رجل من عدوى ولو استقبلوني جميعا وكذلك
اصحابي وذلك لاننا انما نرغبنا وبغيتنا للجهاد في الله تعالى واتباع رضوان الله وليس غزونا
عدونا من حارب الله رغبة في الدنيا ولا طمعا للاستكثار منها الا ان الله قد احل لنا ذلك وجعل
ما غنمنا من ذلك جلالا وما يبالى احدنا اكان له قنطار من الذهب ام كان لا يملك الا درهمان لان
ناية احدنا من الدنيا اكلة ياكلها فيسدهم جوعته وشمة يلحفها فان كان احدنا لا يملك الا ذلك
كفاه وان كان له قنطار من ذهب انفق في طاعة الله واقتصر على هذا لان نعيم الدنيا ورخاها
ليس برخا انما التعمم والرخا في الآخرة وبذلك امرنا بناوامر به نبينا وعهدنا ان لا تكون
همة احدنا من الدنيا الا فيما يمسك جوعته ويستر عورته وتكون همته وشغله في رضاه به
وجهاد عدوه فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط لقد
هبت منظره وان قوله لاهيب عندي من منظره وان هذا واصحابه اخرجهم الله لخراب البلاد
وما ظن ملكهم الا سيغلب على الارض كلها ثم اقبل المقوقس على عبادة فقال ايها الرجل قد
سمعت مقاتلك وما ذكرته عنك وعن اصحابك ولعمري ما بلغت ما بلغت الاما ذكرته ولا ظهرتم على
ما ظهرتم عليه الا لجهنم الدنيا ورغبتهم فيها وقد توجه الينا لقتلكم من جمع الروم ما لا يحصى
عدده قوم معروفون بالنجدة والشدة من لا يبالى احدكم من لقي ولا من قاتل وانا نعلم انكم لن
تقدروا عليهم وان تطيقوهم لضعفكم وقتلتكم وقد اقمتم بين اظهرنا شهرا وانتم في ضيق
وشدة من معاشكم وحالككم ونحن زأف عليكم لضعفكم وقتلتكم وقلة ما بأيديكم ونحن تطيب
انفسنا ان نصالحكم على ان نفرض لكل رجل منكم دينارين ولا ميركم مائة دينار ولخليفكم

الف دينار فتقبضونها وتنصرفوا الى بلادكم قبل ان يغشاكم مالا قوة لكم به فقال عبادة ابن
الصامت رضى الله عنه يا هذا لاتعرن نفسك ولا اصحابك اماما تخوفونابه من جمع الروم وعددهم
وكثرتهم وانا لنقوى عليهم فلممرى ما هذا بالذى تخوفنابه ولا بالذى يكسرنا عما نحن فيه
ان كان ما قلتم حقا فذلك والله ارجب ما يكون في قتالهم واشد حرجنا عليهم لان ذلك اعذر لنا
عند ربنا اذا قدمنا عليه ان قتلنا عن آخرنا لان ذلك امكن لنا في رضوانه وجنته وما من شئ اقر
لاعيننا ولا احب اليها من ذلك وانا منكم حينئذ على احدى الحسينيين اما ان تعظم لنا بذلك
غنية الدنيا ان ظفرتا بكم او غنية الآخرة ان ظفرتم بنا وانهما الاحب الخصلتين الينا بعد الاجتهاد
منا وان الله تعالى قال لنا في كتابه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين
وما من رجل الا وهو يدعور به صباحا ومساء ان يرزقه الشهادة وان لا يرده الى بلده ولا الى
اهله وولده وليس لاحد منهم فيما خلفه وقد استودع كل واحد منار به اهله وولده وانما
همنا ما امامنا واما انا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن في اوسع السعة لو كانت الدنيا
كلها لنا ما اردنا لانفسنا منها اكثر مما نحن فيه فانظر الذى تريد فينبهنا فليس بيننا وبينكم
وحيثما نقبلها منكم ولا نجيبك اليها الا خصلة من ثلاث فاختر ايها شئت ولا تطمع نفسك
في الباطل بذلك امرنى الامير وبها امره امير المؤمنين وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليها من قبل اما ان اجبتم الى الاسلام الذى هو الدين الذى لا يقبل الله غيره وهو دين انبيائه
ورسله وملائكته امرنا الله ان نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه فان فعل
كان له مالنا وعليه ما علينا وكان اخانا في دين الله فان قبلت ذلك انت واصحابك فقد
سعدتم في الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نسهل اذاكم ولا التضرع لکم
وان ايتم الاجزية فادوا اليها الجزية عن يد وانتم صاغرون نعم املكم على شئ
رضى به نحن وانتم في كل عام ابدا ما بقينا وبقيتم ونقاتل عنكم من ناواكم
وعرض لكم فى شئ من ارضكم ودمائكم واموالكم ونقوم بذلك عنكم اذ كنتم فى ذمتنا
وكان لكم به عهد الله علينا وان ايتم فليس بيننا وبينكم الا المحامكة بالسيف حتى تموت عن
آخرنا او نصيب منكم ما نريد هذا ديننا الذى ندين الله به ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره
فانظروا لانفسكم فقال له المقوقس هذا مما لا يكون ابدا ما تريدون الا ان تأخذونا لكم
عبيدا ما كانت الدنيا فقال له عبادة هو ذلك فاختر ما شئت فقال له المقوقس افلا تجيبونا الى
خصلة غير هذه الثلاث فرفع عبادة يديه فقال لا ورب السما ورب هذه الارض ورب كل
شئ ما لكم عندنا خصلة غيرها فاختروا لانفسكم فالتفت المقوقس عند ذلك الى اصحابه فقال
قد فرغ القول فاتقوا ولون فقالوا او يرضى احد بهذا الذل اما ما ارادوا من دخولنا في
دينهم فهذا لا يكون ابدا ان نترك دين المسيح بن مريم وندخل في دين لا نعرفه واما ما
ارادوا من ان يسبونا ويحملونا عبيدا ابدا فلموت ايسر من ذلك لو رضوا منا ان نضعف
لهم ما اعطيناهم مرارا كان اهون علينا فقال المقوقس لعبادة قد ابى القوم فما ترى فراجع
صاحبك على ان نعطيكم في مرتكم هذه ما تبتيم وتنصرفون فقام عبادة واصحابه فقال
المقوقس لمن حوله عند ذلك اطيعوني واجيبوا القوم الى خصلة من هذه الثلاث فوالله

مالكم بهم طاقده وان لم تجيبوا الله طائعين لتجيبونهم الى ما هو اعظم منها كارهين فقلوا اي
 خصلة نجيبهم اليها قال اذن اخبركم اما دخولكم في غير دينكم فلا امركم به واما قتالهم فانا
 اعلم انكم لن تقدرُوا عليهم ولن تصبروا صبرهم ولا بد من الثلاث قالوا فتكون لهم عبيدا
 ابدا قال نعم تكونون عبيدا مسيطنين في بلادكم آمنين على انفسكم واما لكم وذراريكم خير
 لكم من ان تموتوا عن آخركم وتكونوا عبيدا تباعوا وتمزقوا في البلاد مستعبدين ابدا انتم
 واهلوكم وذراريكم قالوا فالموت اهون علينا وامروا بقطع الجسر بين القسطنطينية والجزيرة
 وبالقصير من الروم والقبط جمع كثير فالح المسلمون عند ذلك بالقتال على من في القصر حتى
 ظفروا بهم وامكن الله منهم فقتل منهم خلق كثير واسر من اسر وانحازت السفن كلها الى
 الجزيرة وصار المسلمون قد احرق بهم المائتين من كل وجه لا يقدر على ان ينفذوا
 ويتقدموا نحو الصعيد ولا الى غير ذلك من المداين والقرى والمقوس بقبول لاصحابه الم
 اعلمكم هذا واخافه عليكم ما تنظرون فوالله لتجيبونهم الى ما ارادوا طوعا او لتجيبونهم
 الى ما هو اعظم منه كرها فاطيعوني قبل ان تندموا فلما رأوا منهم ما رأوا وقال لهم المقوقس ما قال
 اذعنوا بالجزيرة ورضوا بذلك على صلح يكون بينهم يوفونه وارسل المقوقس الى عمرو
 العاص رضى الله عنه اني لم ازل حربا على اجابتي الى خصلة من تلك الخصال التي
 ارسلت الي بها فأبى ذلك من حضرني من الروم والقبط فلم يكن لي ان افتتات عليهم وقد
 عرفوا نصحي لهم وحبى صلاحهم ورجعوا الى قولي فاعطاني امانا اجتمع انا وائنت في مفر
 من اصحابي ونفرت من اصحابك فان استقام الامر بيننا تم ذلك لنا جميعا وان ايتهم رجعنا الى
 ما كنا عليه فاستشار عمرو اصحابه في ذلك السؤال فقالوا لا نجيبهم الى شيء من الصلح ولا
 الجزية حتى يفتح الله علينا وتصير كلها فينا وغنمة كما صار القصر وما فيه فقال عمرو
 قد علمتم ما عهد الى امير المؤمنين في عهده فان اجابوا الى خصلة من الخصال الثلاث التي عهد
 الي فيها اجبتهم اليها وقبلت منهم مع ما قد حال من الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم فاجتمعوا
 على عهد بينهم واصطلحوا على ان يفرض على جميع من بمصر اعلاها واسفلها من القبط
 دينار بن دينار بن عن كل نفس شريفةهم ووضعهم من بلغ الحلم منهم ليس على الشيخ الفاني ولا
 على الصغير الذي لم يبلغ الحلم ولا على النساء شيء وعلى ان للمسلمين عليهم من لا لجماعتهم حيث
 زلوا ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين او اكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة ايام
 وان لهم ارضهم واما لهم لا يعرض لهم في شيء منها فشرط هذا كله على القبط خاصة
 واحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم الجزية افرض عليهم الدينار بن رفع ذلك
 عرفا وهم بالائمان المؤكدة فكان جميع من احصى يومئذ بمصر فيما احصوا وكتبوا اكثر
 من ستة آلاف الف وذلك ستة ملايين فكانت فريضتهم يومئذ اثني عشر الف الف دينار
 اي اثنا عشر مليون من الدنانير كل سنة وقيل بلغت غلتهم ثمانية آلاف الف وشرط المقوقس
 للروم ان يخبروا فن احب منهم ان يقيم على مثل هذا اقام على هذا لازماله مفترضا عليه
 بمن اقام بالاسكندرية وما حولها من ارض مصر كلها ومن اراد الخروج منها الى ارض
 الروم خرج على ان للمقوقس الخيار في الروم خاصة حتى يكتب الى ملك الروم يعلمه ما فعل

فان قبل ذلك ورضيه جاز عليهم والا كانوا جميعا على ما كانوا عليه وكتبوا به كتابا وكتب المقوقس الى ملك الروم يعلمه على وجه الامر كله فكتب اليه ملك الروم يقبح رأيه ويعجزه ويرد عليه ما فعل ويقول في كتابه انما اتاك من العرب اثنا عشر الفا وبصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى فان كان القبط كرهوا القتال واحبوا اداء الجزية الى العرب واختاروهم علينا فان عندك بمصر من الروم وبالسكندرية ومن معك اكثر من مائة الف معهم العدة والقوة والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت فعجزت عن قتالهم ورضيت ان تكون انت ومن معك من الروم في حال القبط اذ لا تقاوتهم انت ومن معك من الروم حتى تموت او تظفر عليهم فانهم فيكم على قدر كثرتكم وقوتكم وعلى قدر قلتهم وضعفهم كالكلة فناهضهم القتال ولا يكون لك رأى غير ذلك وكتب ملك الروم مثل ذلك الى جماعة الروم فقال المقوقس لما اتاه كتاب ملك الروم والله انهم على قلتهم وضعفهم اقوى واشد منا على كثرتنا وقوتنا ان الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا وذلك انهم قوم الموت احب اليهم من الحياة يقاتل الرجل منهم وهو مستقبل ويتمنى ان لا يرجع الى اهله ولا بلده ولا ولده و يرون ان لهم اجرا عظيما فيمن قتلوا امناو يقولون انهم ان قتلوا ادخلوا الجنة وليس لهم رغبة في الدنيا ولا لذة الا على قدر بلغة العيش من الطعام واللباس ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياة ولذتها فكيف نستقيم نحن وهؤلاء وكيف صبرنا معهم واعلموا معشر الروم والله اني لا اخرج مما دخلت فيه وصالحت العرب عليه واني لا اعلم انكم سترجعون غدا الى قولي ورأيتي وتمنون ان لو كنتم اطعموني وذلك اني قد مايت ورأيت وعرفت ما لم يعاين الملك ولم يره ولم يعرفه ويحكم ما يرضى احدكم ان يكون امنا في دهره على نفسه وماله وولده بدينارين في السنة ثم اقبل المقوقس على عمرو بن العاص فقال له ان الملك قد كره ما فعلت وبجزي وكتب الى والي جماعة الروم ان لا يرضى بمصالحتك وامرهم بقتالك حتى يظفروا بك او تظفر بهم ولم اكن لا اخرج مما دخلت فيه وما قدتك عليه وانما سلطاني على نفسي ومن اطاعني وقد تم الصلح فيما بينك وبينهم ولم يأت من قبلهم نقض وانا متم لك على نفسي والقبض تمون لك على الصلح الذي صالحتهم عليه وعاهدتهم واما الروم فانا منهم برئ وانا اطلب منك ان تعطيني ثلاث خصال قال له عمرو وما هن قال لا تنقض بالقبط وادخلني معهم والزمني ما زهمهم وقد اجتمعت كلتي وكلتهم على ما عاهدتك فهم متمون لك على ما تحب واما الثانية فان سألك الروم بعد اليوم ان تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فيا وعبدا فانهم اهل لذلك فاني نصحتهم فاستغشوني ونظرت اليهم فاتهموني واما الثالثة فاطلب اليك ان انا مت ان تأمرهم ان يدفنوني في ابي حنش بالسكندرية فانهم له عمرو بن العاص واجابه الى ما طلب على ان يضموا له الجسرين جميعا ويقبوا له الازال والضيافة والاسواق والجسور ما بين القسطنطينية الى الاسكندرية ففعلوا وصارت لهم القبط اعوانا كما جاء في الحديث واستعدت الروم وجاشت وقدم عليهم من ارض الروم جمع عظيم ثم اتقوا بسلطيس فاقتلوا بها قتلا شديدا ثم هزمهم الله ثم اتقوا بالكر بون فاقتلوا بها بضعة عشر يوما وكنان عبد الله بن عمرو على المقدمة وحامل اللواء يومئذ ورد ان

مولى عمرو وصلى عمرو يومئذ صلاة الخوف ثم فتح الله يومئذ على المسلمين وقتلوا منهم مقتلة
 عظيمة واتبعوهم حتى بلغوا الاسكندرية فتحصن بها الروم وكانت عليهم حصون مبنية
 لاترام حصن دون حصن فنزل المسلمون ما بين حلوه الى قصر فارس الى ماورا ذلك ومعهم
 رؤساء القبط يدونهم بما احتاجوا اليه من الاطعمة والعلوفه ورسل ملك الروم يختلف الى
 الاسكندرية في المراكب بمادة الروم وكان ملك الروم يقول لئن ظفرت العرب على الاسكندرية
 ان ذلك انقطاع ملك الروم وهلاكهم لانه ليس للروم كنائس اعظم من كنائس الاسكندرية
 وانما كان عبد الروم حين غلبت العرب على الشام بالاسكندرية فقال الملك لئن غلبوا على
 الاسكندرية لقد هلك الروم وانقطع ملكها فامر بجهازه ومصلحته لخروجه الى الاسكندرية
 حتى يباشر قتالها بنفسه اعظاما لها وامر ان لا يختلف احد من الروم وقال مابق للروم بعد
 الاسكندرية حرمة فلما فرغ من جهازه صبره الله فاماته وكفى الله المسلمين مؤنته وكان موته سنة تسع
 عشرة وقال الليث بن سعد مات هرقل سنة عشرين فكسر الله بموته شوكة الروم فرجع كثير
 ممن قد توجه الى الاسكندرية وانتشرت العرب عند ذلك والحت القتال على اهل الاسكندرية
 فقاتلوهم قتالا شديدا وحاصروا الاسكندرية تسعة اشهر بعد موت هرقل وخسة قبل ذلك
 وفتحت يوم الجمعة شهر المحرم سنة عشرين وقال بن عبد الحكم اقام عمرو بن العاص محاصرا
 الاسكندرية اشهرا ولما بلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ما بظأ بفتحها الا لما
 احدثوا وكتب الى عمرو بن العاص اما بعد فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصر انكم تقاتلونهم
 منذ سنين وما ذاك الا لما احدثتم واحببتم من الدنيا ما احب عدوكم وان الله تبارك وتعالى
 لا ينصر قوما الا يصدق نياتهم وقد كنت وجهت اليك اربعة نفر واعلمت ان الرجل منهم مقار
 الف رجل على ما كنت اعرف الا ان يكون غيرهم ما غيرهم فاذا اتاك كتابي فاخطب الناس
 وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم في الصبر والنية وقدم اولئك الاربعة في صدور الناس وهم
 الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة ابن الصامت ومسلمة بن مخلد وامر الناس جميعا
 ان تكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فانها ساعة
 تنزل الرحمة فيها ووقت الاجابة وليعج الناس الى الله ويسألوه النصر على عدوهم ففعلوا
 ففتح الله عليهم قال بن عبد الحكم حدثني ابي قال لما ابطأ على عمرو بن العاص فتح الاسكندرية
 استلقى على ظهره ثم جلس فقال اني فكرت في هذا الامر فانه لا يصلح اخره الا من اصلح اوله
 يريد الانصار فدعا عبادة بن الصامت فعقد له ففتح الله على يديه الاسكندرية من يومهم ذلك
 ثم روى ابن عبد الحكم عن الامام مالك ان ذلك كان سنة عشرين ولما هزم الله الروم وفتحت
 الاسكندرية وهرب الروم في البر والبحر خلف عمرو بن العاص بالاسكندرية الف رجل من
 اصحابه ومضى عمرو ومن معه في طلب من هرب من الروم في البر ورجع من كان هرب من الروم
 في البحر الى الاسكندرية فقتلوا من كان فيها من المسلمين الا من هرب منهم وبلغ عمرو بن العاص
 فكر راجعا ففتحها واقام بها وكتب الى عمر بن الخطاب ان الله قد فتح علينا الاسكندرية
 عنوة بغير عقد ولا عهد فكتب اليه عمر بن الخطاب يأمره ان لا يجاوزها ويقبح رأيه في اتباعه من
 هرب والذي قتلوا من المسلمين من حين حصار الاسكندرية الى ان فتحت عنوة اثنا

وعشرون رجلا ولما فتحت بعث عمرو بن العاص معاوية ابن خديج وافدا الى عمر بن الخطاب
بمشراله بالفتح فقال معاوية ابن خديج لعمر بن العاص الاتكتب معي كتابا فقال
عمرو وما تصنع بالكتاب الست رجلا عريا تبلغ الرسالة وما رأيت وما حضرت
فلما قدم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه واخبره بفتح الاسكندرية خر عمر ساجدا
وقال الحمد لله وقيل بل كتب عمرو بن العاص مع الرسول كتابا لعمر بن الخطاب
وقال فيه اما بعد فاني فتحت مدينة لاصف ما فيها غير اني اصبت فيها اربعة الاف متنه
وهي المكان الصلب المرتفع باربعة الاف حمام واربعين الف يهودى واربعماية ملهى
للملوك قال بن عبد الحكم لما فتح عمرو بن العاص الاسكندرية وجد فيها اثني عشر الف بقال
يبيعون البقل الاخضر ورحل منها سبعون الف يهودى في الليلة التي خافوا فيها دخول
عمرو بن العاص قيل ان سبب فتح الاسكندرية ان رجلا كان يقال له ابن بسامه كان بوابا فسأل
عمرو بن العاص ان يؤمنه على نفسه وارضه واهل بيته ويفتح له الباب فاجابه عمرو الى ذلك
ففتح له الباب فدخل وكان عدة من الاسكندرية من الروم مائتي الف من الرجال فلحق بارض
الروم اهل القوة وركبوا السفن وكان بها مائة مركب من المراكب الكبار فحمل فيها ثلاثون
الفامع ماقدروا عليه من المال والمتاع والاهل وبقى من بقى من الاسارى ممن بلغ الخراج
فاحصى يومئذ ستمائة الفسوى النساء والصبيان فاختلف الناس على عمرو في قسمتهم
وكان اكثر الناس يريدون قسمتها فقال عمرو لا قدر اقسما حتى اكتب الى امير المؤمنين
فكتب اليه يعلمه بفتحها وشانها ويعلمه ان المسلمين طلبوا قسمتها فكتب اليه عمر لا تقسمها
لؤذهم يكون خراجهم فيثا للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم فأقرها عمرو واحصى
اهلها وفرض عليهم الخراج فكانت مصر صلحا كلها بقرضة دينارين دينارين على كل رجل
لايزاد على كل واحد في جزية اكثر من دينارين الا انه يلزم بقدر ما توسع فيه من الارض
والزرع الا الاسكندرية فاتهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليهم
لان الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم صلح ولا ذمة واخرج بن عبد
الحكم عن يزيد بن ابي حبيب قال كانت قرى من قرى مصر قاتلت ونقضوا فسبوا منها قرية
يقال لها بلهيت وقرية يقال لها الخيس وقرية يقال لها سلطيس وقرطس وفرق سباياهم
بالمدينة وغيرها فردهم عمرو بن الخطاب رضى الله عنه الى قراهم وصيرهم وجاعة القبط
اهل ذمة واخرج عن يحيى ابن ايوب ان اهل سلطيس وحصيل وبلهيت ظاهروا الروم
على المسلمين في جميع كان لهم فلما ظهر عليهم المسلمون استحلوهم وقالوا هؤلاءنا في مع
الاسكندرية فكتب عمرو بن العاص بذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه ان يجعل الاسكندرية
وهؤلاء الثلاث قرى ذمة للمسلمين ويضربون عليهم الخراج ويكون خراجهم وما صالح
عليه القبط قوة للمسلمين على عدوهم ولا يجعلوا لاهلها عبيدا ففعلوا اذلك واخرج ابن عبد الحكم
عن هشام ابن ابي رقية اللخمي ان عمرو بن العاص رضى الله عنه لما فتح مصر قال لقيت مصر
من كتمنى كنزا عنده فقد رت عليه قتلته وان قبطيا من اهل الصعيد يقال له بطرسا
ذكروا عمرو ان عنده كنزا فارسل اليه فسأله فانكروا فجدف به في السجن وعمرو يسأل عنه

هل يسمعون به يسأل عن احد فقالوا لا انما سمعناه يسأل عن راهب في الطور فارسل عمرو الى بطرس فترزع خاتمه من يده فكتب عمرو الى ذلك الراهب ان ابعث الى باعندك وختمه بخاتم بطرس فجاءه رسوله بقله شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة مكتوبا فيها ما لکم تحت الفاسقية الكبيرة فارسل عمرو الى الفاسقية فحبس عنها الماء ثم قلع منها البلاط الذي تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين اردبا ذهبيا مضروبة فضرب عمرو رأس بطرس عند باب المسجد فاخرج القبط كنوزهم شفقة ان يسعى على احد منهم فيقتل قتل بطرس ثم ذكر الجلال السيوطي في حسن المحاضرة اختلاف العلماء في ان مصر فتحت صلحا او عنوة فنقل عن الایث بن سعد عن يزيد بن ابی حبيب ان مصر كلها صلح الا الاسكندرية فانها فتحت عنوة ونقل عن عون بن حطان انه كان بقریات من مصر منهن ام ديني عه و اخرج عن يحيى بن ابوب و خالد بن حميد قال فتح الله ارض مصر كلها بصلح الاسكندرية وثلاث قریات ظاهرو الروم على المسلمين سلطيس وهصيل وبلهيت ونقل عن ابن هبيرة ان مصر فتحت عنوة واخرج عن عبد الرحمن بن زياد قال سمعت اشياخنا يقولون ان مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد واخرج عن ابی العالیه انه سمع عمرو بن العاص رضی الله عنه يقول لقد عقدت مقعدي هذا وما لاحد من قبط مصر على عهد ولا عقد الا اهل انطا بلس فان لهم عهدا بوفی لهم به وزاد في رواية عن ابن لهيعة ان عمرا قال ان شئت قتلت وان شئت خست وان شئت بعت وفي رواية عن ربيعة بن عبد الرحمن بن عمرو بن العاص ان عمر بن الخطاب حبس درها وصرها ان يخرج منه شيء نظرا للاسلام واهله واخرج عن زيد بن اسلم قال كان تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه وبين احد ممن عاهد فلم يوجد فيه لاهل مصر عهد واخرج عن الصلت بن ابی عاصم انه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز الى حيان بن شريح ان مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد واخرج نحو ذلك عن ابی سلمة ابن عبد الرحمن وعراك بن مالك وسالم بن عبد الله بن عمر واخرج ابن عبد الحكم ومحمد بن الربيع الجيزي عن طريق عن سفیان بن وهب الخولاني قال لما فتحنا مصر بغير عهد قام الزبير ابن العوام فقال يا عمرو اقسّمها فقال عمرو بن العاص لا اقسّمها فقال الزبير والله لتقسّمها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال عمرو لم اكن لاحد حدثا حتى اكتب بذات الى امير المؤمنين فكتب اليه عمر بن الخطاب اقرها حتى يقدوا منها حبل الحبله يعني ولد الولد وروى ابن عبد الحكم عن بن شهاب قال كان فتح مصر بعضها بعهد وذمة وبعضها عنوة فجعلها عمر بن الخطاب رضی الله عنه جميعا ذمة وحلهم على ذلك فضى ذلك فيهم الى اليوم قال القضاعي ان فتح مصر كان يوم الجمعة في شهر محرم سنة عشرين وانهم ساروا الى الاسكندرية في شهر ربيع الاول سنة عشرين وقيل في جادى الآخرة وان عمرو بن العاص رضی الله عنه قفل من الاسكندرية بعد فتحها والمقام بها في ذی القعدة سنة عشرين وقال الایث بن سعد اقام عمرو بالاسكندرية في حصارها وفتحها سنة اشهر ثم انتقل الى القسطنطية فاتخذها دارا واخرج ابن عبد الحكم عن يزيد بن ابی حبيب ان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبنائها هم ان يسكنها فكتب الى عمر بن

الخطاب رضى الله عنه يستأذنه في ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بيني وبين المسلمين ماء قال نعم يا امير المؤمنين اذا جرى النيل فكتب عمر الى عمرو لا احب ان تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف فتحول عمرو من الاسكندرية الى القسطاط واخرج بن عبد الحكم ايضا عن يزيد بن ابي حبيب ان عمر بن الخطاب كتب الى سعد بن ابي وقاص وهو نازل بمداين كسرى والى عامله بالبصرة والى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندرية ان لا تجعلوا بيني وبينكم ماء متى اردت ان اركب اليكم راحلتى حتى اقدم اليكم قدمت فتحول سعد من مداين كسرى الى الكوفة وتحول صاحب البصرة من المكان الذى كان فيه فنزل البصرة وتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية الى القسطاط قال بن عبد الحكم ان عمرو بن العاص لما كان بمصر كان له فسطاط فلما اراد التوجه الى الاسكندرية امر بنزع فسطاطه فاذا فيه يمام قد فرخ فقال لقد تحرم بنا فامر به فاقره كما هو حتى يطير الفراخ واوصى به صاحب القصر فلما قفل المسلمون من الاسكندرية قالوا اين نزل قال القسطاط يعنى فسطاطه الذى خلفه وكان مضروبا في موضع الدار الذى يعرف اليوم بدار الحصا فلذلك سميت مصر القسطاط قال القاضي لما رجع عمرو بن العاص من الاسكندرية ونزل موضع القسطاط اتضمت القبائل بعضها الى بعض وتنافسوا في المواضع فولى عليهم امرآ فكانوا هم الذين انزلوا الناس وفصلوا بين القبائل وقال بن قتيبة ان العرب تقول لكل مدينة فسطاط ولذلك قيل لمصر فسطاط قال ابن فضل الله في المسالك مسجد عمرو بن العاص مسجد عظيم بمدينة القسطاط بناه عمر وموضع فسطاطه وما جاوره وموضع فسطاطه حيث المحراب والمنبر وبني عمرو بن العاص دار العمر بن الخطاب وكتب له انا قد اختططنا لك دارا عند المسجد الجامع فكتب الى عمر انى لرجل بالجاز تكون له دار بمصر وامره ان يجعلها سوقا للمسلمين قال بن لهيعة هي دار البركة فجعلت سوقا فكان يباع فيها الرقيق وبني خارجة بن حذافه غرفة عالية فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص سلام عليك اما بعد فقد بلغنى ان خارجة ابن حذافه بنى غرفه واراد ان يطلع على صوراته جيرانه فاذا اناك كتابى هذا فاهدمها ان شاء الله والسلام فلما جاءه الكتاب هدمها وسأل المقوقس عمرو بن العاص ان يبيعه سفح الجبل المقطم بسبعين الف دينار فعجب عمرو من ذلك فكتب في ذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر لم اعطاك به ما اعطاك وهى لا تزرع وهى لا تستنبط بهاماء ولا ينتفع بها فسأله فقال انا لنجد صفتها في الكتاب ان فيها غراس الجنة وفي رواية انا لنجد في كتابنا ان ما بين هذا الجبل وحيث نزلتم نبت فيه شجر الجنة فكتب بقوله الى عمر بن الخطاب فقال صدق فاجعلها مقبرة للمسلمين وفي رواية انا لانعلم غراس الجنة الا للمؤمنين فاقر فيها من مات قبلك من المسلمين ولا تبعه بشئ فكان اول من دفن فيها رجل من مغافر يقال له عامر فقبل عمرت وروى عمرو بن العاص عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كشيئا فذلك الجند خير اجناد الارض فقال ابو بكر رضى الله عنه ولم يارسول الله قال لانهم واذا وجههم في رباط الى يوم القيامة ثم قال عمرو بن العاص فاجدوا الله

معاشر المسلمين على ما ولاكم ولما فتح عمرو مصر اتى اهلها اليه حين دخل بؤنه من اشهر العجم فقالوا له ايها الامير ان لبنا هذا سنة لايجرى الابهاء فقال لهم وما ذاك قالوا اذا كان لثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين ابويها فارضيها ابويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب افضل ما يكون ثم القيناها في هذا النيل فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فاقاموا بؤنه واييب ومسرى لايجرى النيل قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء فلما راي ذلك عمرو كتب الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عرقدا صبت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وقد بعثت اليك بطاقة فالتقها في داخل النيل اذا اتاك كتابي فلما قدم الكتاب على عمر وفتح البطاقة فاذا فيها من عبد الله عمر امير المؤمنين الى نيل مصر اما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجرى وان كان الواحد القهار الذي يجريك فتسأل الواحد القهار ان يجريك فالتقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب يوم وقد تنها اهل مصر للجلاء والخروج منها لانه لا يقوم بمصلحتهم فيها الا النيل فاصبحوا يوم الصليب وقد اجراه الله ستة عشر ذراعا وقد زالت تلك السنة السوء عن اهل مصر وعن يزيد بن ابى حبيب ان موسى عليه السلام دعا على فرعون فحبس الله عنهم النيل حتى ارادوا الجلاء حتى طلبوا موسى ان يدعو الله رجاء ان يؤمنوا فدعا الله فاصبحوا وقد اجراه الله ستة عشر ذراعا فاستجاب الله لعمر بن الخطاب كما استجاب لنبيه موسى عليه السلام

✽ ذكر فتوحات العراق بعد مسير خالد بن الوليد الى الشام ✽

لما اراد خالد بن الوليد المسير الى الشام بامر ابى بكر رضى الله عنه اخذ معه بعض الجند كما تقدم واستخلف على من بقى بالعراق المثنى بن حارثة الشيباني وهو صحابي من نسل ذهل بن شيبان وبنتهى نسبه الى ربيعة بن زرار وفد المثنى على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع مع وفد قومه وسيره ابو بكر الصديق رضى الله عنه في صدر خلافته الى العراق قبل مسير خالد بن الوليد الى العراق وهو الذي اطمع ابا بكر والمسلمين في الفرس وهون امر الفرس عندهم وكان شهما شجاعا ميمون النقيبة حسن الراى ابلى في قتال الفرس بلاء لم يبلغه احد وكان استخلاف خالد له على جيش العراق بامر من ابى بكر رضى الله عنه فلما توجه خالد الى الشام واستخلفه على الجند اقام بالحيرة وذلك سنة ثلاث عشرة وكان الفرس قد هلك ملكهم كسرى كما تقدم ثم استقام امرهم على تلك شهر زان ابن ازدشير ابن شهريار بن سابور فوجه الى المثنى بن حارثة جيشا عظيما عليهم هرمرز جاذويه فخرج المثنى من الحيرة نحوه فاقام ببابل فاقبل هرمرز نحوه وكتب ملكهم كسرى الذي ملكوه عليهم الى المثنى كتابا انى قد بعث اليكم جندا من وحش اهل فارس انما هم رعا الدجاج والخنازير ولست اقاتلكم الابهيم فكتب اليه المثنى انما انت احدر جليل اما باغ فذلك شرلك وخير لنا واما كاذب فاعظم الكاذبين عند الله فضيحة وعند الناس الملوكة واما الذي يدلنا عليه الراى فانكم انما اضرتم بهم فالحمد لله الذي رد كيدكم الى رعاة الدجاج والخنازير فجزع الفرس من كتابه فالتقى المثنى وهرمرز ببابل فاقتلوا قتلا شديدا وكان معهم فيل يفرق الناس فانتدب له المثنى ومعه

ناس فقتلوه وانهزم الفرس وتبعهم المسلمون الى المدائن يقتلونهم ومات ملكهم كسرى شهر زان
 لما انهزم هرمرز واختلف الفرس وبقى مادون دجمله بيد المثنى ثم اجتمعت الفرس وملكوا
 دخت زنان ابنة كسرى فلم ينفذ لها امر فخلعوها وملكوا سابور بن شهر زان وقام بتدبير
 امره الفراهزاد ابن لينذوان فقتل وثار بينهم فتنة وحصلوا الملك سابور ثم قتلوه
 وملكوا ازرميد اخت بنت كسرى وتشاغلوا بتلك الفتنة وابطأ على المثنى خبر ابي بكر رضى
 الله عنه فاستخلف على المسلمين بشير بن الخصاصية وهو صحابي من نسل سدوس ابن شيبان
 والخصاصية جدته نسب اليها وهي من الازد وابوه يزيد ابن سعيد قدم على النبي صلى الله
 عليه وسلم مع وفد الازد وكان اسمه زحما فسماه النبي صلى الله عليه وسلم بشيرا وكان سير المثنى
 الى ابي بكر رضى الله عنهما ليخبره خبر المشركين ويستأذنه في الاستعانة بمن حسنت توبته من
 المرتدين فانهم انشط الى القتال من غيرهم فقدم المدينة وابو بكر رضى الله عنه مريض قد اشفى
 فاخبره الخبر فاستدعى عمر وقال انى لارجوا ان اموت يومى هذا فاذا انامت فلاتمسين حتى
 تندب الناس مع المثنى ولا تشغلنكم مصيبة عن امر دينكم ووصية ربكم فقد رأيتنى متوفى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وما صنعت وما اصيب الخلق بمثله واذا فتح الله على اهل الشام
 فاردد اهل العراق الى العراق فانهم اهل وولادة امره واهل الجراة عليهم ومات ابو بكر رضى
 الله عنه ليلا فدفعه عمر رضى الله عنه وندب الناس مع المثنى وكان الانتداب الى فارس اثقل
 الوجوه على المسلمين واكرهها اليهم لشدة سلطانهم وقوة شوكتهم وقهرهم الاثم فكان عمر
 رضى الله عنه يبايع الناس ثلاثة ايام وفي الرابع ندب الناس الى العراق فكان اول من ندبه
 ابو عبيد ابن مسعود الثقفى وهو صحابى اسلم فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهو والد المختار
 وانتدب ايضا سعد بن عبيد الانصارى وسليط بن قيس الانصارى وكانا من شهد بدرًا وتابع
 الناس وتكلم المثنى فقال ايها الناس لا يعظم عليكم هذا الوجه فانا قد ففتحنا ريف فارس
 وغلبناهم على خير شقى السواد ولننا منهم واجترأنا عليهم ولنا ان شاء الله ما بعدها فاجتمع الناس
 فقل اعمر امر عليهم رجلا من السابقين من المهاجرين والانصار قال لا والله لا افعل وانما
 رفعهم الله بسببهم ومسارعتهم الى العدو فاذا فعل فعلهم قوم وتناقلوا كان الذين ينفرون
 خفافا وثقالا ويسبقون الى الرفع اولى بالرياسة فهم والله لا أؤمر عليهم الا اولهم انتدبا ثم دعا
 ابا عبيد وسعدا وسليطا وقال لهما لو سبقتماه لوليتكما ولادر كتما بهما مالكما من السابقة فامر ابا عبيد
 وقال له اسمع من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واشركهم فى الامر ولا يمنعنى ان أؤمر
 سليطا الاسرعت الى الحرب وفى التسرع الى الحرب ضياع الاعراب فانه لا يصلحها الا الرجل
 المكث وواصاء يجنده فكان بعث ابي عبيد اول جيش سيره عمر رضى الله عنه ثم بعده
 سريعل بن امية الى اليمن وامره باجلاء اهل نجران بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وان لا يجتمع بحزيرة العرب دينان واعتذر عمر فى عزله المثنى عن الامارة بقوله انى لم اعزله
 وخالد بن الوليد عن ربيعة ولكن الناس عظموهما فخشيت ان يوكلا اليهما فاحببت ان
 يعلموا ان الله هو الصانع وان لا يكونوا بعرض فتنة

ذكر خبر الفارق

فسار ابو عبيد الثقفي وسعد بن عبيد وسليط بن قيس الانصار يان ومن معهم والمثنى ابن حارثة وامره عمر بالتقدم الى ان يقوم عليه اصحابه و امرهم باستنفاار من حسن اسلامه من اهل الردة ففعلوا ذلك وسار المثنى فقدم الحيرة وكان الفرس تشاغلوا عن المسلمين بما وقع بينهم ثم ملكوا عليهم بوران بنت كسرى بشرط ان تملك رستم بن الفرخزاد عشر سنين ثم يكون الملك في ال كسرى ان وجدوا من غلمانهم والا ففى نسائهم فدعت بوران مرازة فارس وامرتهم ان يسمعوا لرستم و يطيعوا وتوجته فدانت له فارس قبل قدوم ابى عبيد ثم قدم المثنى الى الحيرة فى عشر وقدم بعده ابو عبيد بشهر فكتب رستم الى الدهاقين ان يؤثروا بالمسلمين و بعث فى كل رستاق رجلا يؤثر باهله ووعدهم يوما و بعث جند المصادمة المثنى و بلغ المثنى الخبر ففعل فخرج من الحيرة ونزل خفسان ونزل جيش الفرس الفارق فسار اليه ابو عبيد واقتتلوا بالفارق قتالا شديدا فهزم الله اهل فارس واسر رئيس جيشهم واسمه جابان ولحق المنهزمون كسكر وبها نرسى بن خالة الملك فسار اليهم ابو عبيد واقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزم الفرس وهرب نرسى وغلب المسلمون على عسكره وارضه وجمعوا الغنائم ولما بلغ بوران ورستم هزيمة جابان بعث الجالينوس بجيش فنزل بباقشيانا فسار اليه ابو عبيد فهزمه وهرب الجالينوس وغلب ابو عبيد على تلك البلاد ثم ارتحل حتى قدم الحيرة وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لابي عبيد انك تقدم على ارض المكر والخديعة والخيانة والجبرية تقدم على قوم تجروا على الشر فعلوه وتناسوا الخير فجهلوه فانظر كيف تكون واحذر اسنانك ولا تفشين سرك فان صاحب السر ما يضبطه فتخمن لا يؤتى من وجه يكرهه واذا ضيعه كان بمضيعة فكان ابو عبيد شديدا الحذر والتحفظ حسن التدبير محافظا على ما اوصاه به عمر رضى الله عنه

ذكر وقعه قس الناطف و يقال لها الجسر واستشهد ابى عبيد رضى الله عنه

ولما رجع الجالينوس الى رستم منهزما ومن معه من جنده قال رستم اى العجم اشد على العرب قالوا بهمين جاذو به المعروف بذى الحاجب فوجهه ومعه فيله ورد الجالينوس معه وقال لبهمين ان انهزم الجالينوس ثانية فاضرب عنقه فاقبل بهمين جاذو به فنزل بقس الناطف واقبل ابو عبيد فنزل بالمروحة فرأت دومة امرأة ابى عبيد فى منامها ان رجلا نزل من السماء باناء فيه شراب فشرب ابو عبيد ومعه نفر فاخبرت بها ابا عبيد فقال هذه الشهادة ان شاء الله تعالى وعهد الى الناس فقال ان قتلت فعلى الناس فلان فان قتل فعليهم فلان حتى امر الذين شربوا من الاناء وكلهم من قومه ثقيف ثم قال فان قتل فلان فعلى الناس المثنى بن حارثة ثم عبر على الجسر بمجيوشه الى قس الناطف فالتقى مع بهمين وجيوشه واقتتلوا قتالا شديدا واشتد الامر بالمسلمين فترجل ابو عبيد والناس ثم مشوا اليهم ثم صاحفوههم بالسبوف فجعلت الفيلة لا تحمل على جماعة الا دفعتهم فننادى ابو عبيد احتوشوا والفيلة وقطعوا بطانها واقلبوا عنها اهلها ووثب هو على الفيل الابيض فقطع بطانه ووقع الذى

عليه وفعل القوم مثل ذلك فتركوا فيلا الاحطوار حله وقتلوا اصحابه واهوى الفيل
لابي عبيد فضر به ابو عبيد بالسيف وخطبه الفيل بيده فوق فوطئه الفيل وقام عليه فلما
بصر به الناس تحت الفيل خشعت انفس بعضهم ثم اخذوا الذي امر به بعده فقاتل الفيل
حتى تنحى عن ابي عبيد فاخذ المسلمون فاحرزوه ثم قتل الفيل الامير الذي بعد ابي عبيد
وتابع سبعة انفس من ثقيف كلهم يأخذ اللواء ويقايل حتى يموت ثم اخذوا المثنى بن
حارثة فهرب عنه الناس فلما رأى عبدالله بن مرشد الثقفي ما لقي ابو عبيد وما يصنع
الناس با درهم الى الجسر فقطعه وقال ايها الناس موتوا على ما مات عليه امراءكم
او تظفروا وحاز المشركون المسلمين الى الجسر فتواثب بعضهم الى الفرات فغرق من لم يصبر
واسرعوا فبين صبر وحى المثنى وفرسان من المسلمين الناس وقال انادونكم فاعبروا على هينتكم
ولا تدهشوا ولا تغرقوا نفوسكم وقايل عروة ابن زيد الخيل وابو محجن الثقفي قتالا شديدا
وقايل ابوزيد الطائي قتالا شديدا حية للعرب وكان نصرانيا قدم الحيرة لبعض
امرو نادى المثنى من عبرنجما وامر بعقد الجسر فعبه الناس وكان اخر من قتل سليط بن قيس
وعبر المثنى فلما عبر ارفض عنه اهل المدينة وبقى المثنى في قلة وكان قد جرح واثبت فيه حلق
من درعه وكان جلة من مات من المسلمين اربعة الاف بين قتيل وغريق وقتل من الفرس
سنة الاف واراد بهم جاذويه العبور خلف المسلمين فانه الخبر باختلاف الفرس وانهم
قد نارو برستم ونقضوا الذي بينهم وبينه وانهم صاروا فر يقين الفهلوج على رسم واهل
فارس على الفيرزان فرجع بهم الى المداين

ذكر وقعت البويب

لما بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقعة ابي عبيد بالجسر ندب الناس الى المثنى وكان ممن ندب
يحييه وامرهم الى جرير بن عبدالله البجلي فاجتمع كثير منهم فامرهم عمر بالتوجه الى العراق
فابوا الا الشام فعزم عليهم عمر التوجه الى العراق وينقلهم ربع الخمس فاجابوا وسيرهم
الى المثنى وكتب الى اهل الردة فلم يأتوا احد الا بعثه الى المثنى وبعث المثنى الرسل فيمن يليه
من العرب فتوافوا اليه في جمع عظيم وجاءه انس بن هلال النمرى في جمع عظيم من النمر نصارى
وقالوا نقا تل مع قومنا وبلغ الخبر برستم والفيرزان فجمعوا جو عهم من ورا الفرات
 واجتمع المسلمون بالبويب وكان على جيش الفرس مهران الهمداني فارسل الى المثنى
يقول اما ان تعبر الينا واما ان نعبرك اليك فقال المثنى اعبروا فعب مهران ففر على شاطئ
الفرات وعبي المثنى اصحابه وكان في رمضان فامرهم بالافطار ليقوا على عدوهم فافطروا
واقبل الفرس في ثلاثة صفوف مع كل صف فيل ولهم زجل فقال المثنى لاصحابه ان الذي
تسمعون فشل فالزموا الصمت ودنوا من المسلمين وطاف المثنى في صفوفه يحرضهم وقال
اني مكبر ثلاث فتهيؤا ثم احموا في الرابع فلما كبر اول تكبيره اجمعتهم فارس وخالطوهم
فلما طال القتال واشتد قال المثنى لانس بن هلال النمرى انك امرء عربى وان لم تكن
على ديننا فاذا حملت على مهران فاحمل معي فاجابه فحمل المثنى على مهران فازاله حتى دخل

في ميسمته ثم خالطوهم واجتمع القلبان وارتفع الغبار والمجنبتان تقتتل ولا يستطيعون ان يفرعوا لنصر اميرهم لا المسلمون ولا المشركون وافنى المثنى قلب المشركين فلما راوه قد ازال القلب وثب مجنبتا المسلمين على مجنبتى المشركين وجعلوا يردون الاعاجم على ادبارهم حتى هزموا الفرس وسبقهم المثنى الى الجسر واخذ طريق الاعاجم فافترقوا مصعدين ومنحدرين واخذتهم خيول المسلمين حتى قتلوه وجعلوهم جثا بقيت عظام القتلى دهرًا طويلا وكانوا يحرزون القتلى مائة الف وسمى ذلك اليوم الاعشار احصى مائه رجل من المسلمين قتل كل رجل منهم عشرة من الفرس وتبعهم المسلمون الى الليل ومن القد الى الليل وغنم المسلمون غنائم كثيرة واعطى بحيله ربع الخمس كما شرط لهم عمر رضى الله عنه

✽ ذكر خبر الخنافس وسوق بغداد ✽

سوق الخنافس يجتمع بها تجار مدائن كسرى والسواد وقضاعة وربيعهم يخفرونهم فركب المثنى واغار على الخنافس يوم سوقها فانهب السوق وما فيها وسلب الخضرا ثم رجع الى الانبار فتحصن اهلها منه فلما عرفوه نزلوا اليه واتوه بالاغلاق والزاد واخذ منهم الادلا على سوق بغداد وهو موضع المدينة التي اختطها المنصور فيما بعد وصحبهم في اسواقهم فوضع السيف فيهم واخذ ماشا ثم رجع الى الانبار وشن الغارات بخيول اصحابه على الاطراف وبعث خيلا على احياء تغلب بصفين فاغاروا عليهم وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية واستاقوا الاموال واغاروا على قوم من تغلب والتمر بشاطى دجله ففروا وادركوهم بتكريت فاصابو ماشاؤا من النعم

✽ ذكر الخبر الذي هيج امر القادسية وتلك يزدرج ✽

لما رأى اهل فارس ما يفعل المسلمون بالسواد قالوا الرستم والفيروزان وهما على اهل فارس لم يبرح بكما الاختلاف حتى رهنتما اهل فارس واطمعتا فيهم عدوهم ولم يبلغ من امر كما ان تقر كما على هذا رأى وان تعرضاها لله لملكه ما بعد بغداد وساباط وتكريت الامداين والله لتجتمعان اولئذان بكما انتم نهلك وقد اشتفينا منكما ولم يبق لمن ولد كسرى من الذكور الا غلام عمره احد وعشرون سنة يدعى يزدرج فلكوه واجتمعوا عليه فاطمأنت فارس واستوثقوا وتبارى المرازبه في طاعته ومعونه فجنودا كثيرة فبلغ ذلك المثنى والمسلمين فكتبوا الى عمر ابن الخطاب ثم بلغهم ان اهل السواد كفروا وصار من له عهد كمن لا عهد له فلما وصل الكتاب الى عمر رضى الله عنه قال والله لا ضرر بن ملوك العجم بملوك العرب فلم يدع رأسا ولا ذراعى وشرف وبسطة ولا خطيبا ولا شاعرا الا ورماهم به فرماهم بوجوه الناس وغررهم وكتب عمر الى المثنى ومن معه يأمره بالخروج من بين العجم والتفرق في المياه التي تلى العجم وان لا يدعوا في ربيعة ومصر وحلفائهم احدا من اهل النجدات ولا فارسا الا احضروه اماطو ما اوكرها ففعلوا ذلك وكان ذلك في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وارسل عمر في الحجة عند محضره الى الحج الى عماله على العرب ان لا يدعوا من له نجدة او فرس او سلاح او رأى الا وجهه اليه فاما من كان على النصف ما بين المدينة والعراق فجاء اليه بالمدينة لما عاد من الحج وامان كان

اقرب الى العراق فانضم الى المثنى بن حارثة وجاءت امداد العرب الى عمرو لما اجتمع الناس
استخلف على المدينة عليا رضي الله عنه وخرج من المدينة حتى نزل على ما يدعى ضرار فمسك به
في ابتداء سنة اربع عشرة ولا يدري الناس ماذا يريد ايسر ام يقيم فساله عثمان عن سبب حركته
فاحضر الناس فاعلمهم الخبر واستشارهم في المسير الى العراق فقال العامة سر وسر بنا معك
فدخل معهم في رأيهم وقال اغدوا واستعدوا فاني سائر الا ان يحى رأى هو امثل من هذا
ثم جمع وجوه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وارسل يطلب حضور علي رضي الله عنه
من المدينة فاجتمع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن
ابن عوف ثم استشارهم فاتفقوا على ان يبعث رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرمي بالجنود فان كان الذي يشتهى فهو الفتح والا عا د رجلا وبعث اخر ففي ذلك غبن العدو
لجمع عمر بقية الناس وقال لهم انى كنت عزمت على المسير حتى صرفنى ذوو الراى منكم وقد
رأيت انى اقيم وابعث رجلا فاشير واعلى برجل وكان سعد بن ابى وقاص بعثه لصدقات هو اذن
وكتب اليه بانتخاب ذوى الراى والنجد والسلاح فجاء كتابه وعمر يستشير الناس فيمن يبعثه
يقول سعد فى كتابه قد انتخب لك الف فارس كلهم ذو نجدة ورأى وصاحب حيلة يحفظ
حريم قومه اليهم انتهت احسابهم ورأيهم فلما وصل كتابه لعمر قالوا له قد وجدته يا امير المؤمنين
قال من هو قالوا سعد بن مالك وهو سعد بن ابى وقاص فاتهى الى قواهم فارس الىه وطلبه واقره
على حرب العراق واوصاه بوصايا كثيرة وسرحه فيمن اجتمع اليه من نفر المسلمين وهم
اربعة الاف ثم امدته بالفين من اهل اليمن والفين من اهل نجد وكان المثنى فى ثمانية الاف
وكان سعد بن ابى وقاص من بنى زهرة ابن كلاب وهم رهط آمنة ام النبي صلى الله عليه وسلم
فهو وسعد بن مالك ابن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى
بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن
نزار بن معد بن عدنان وآمنة ام النبي صلى الله عليه وسلم بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة
ابن كلاب فيلتقى نسبه مع آمنه فى عبد مناف بن زهرة ومع النبي صلى الله عليه وسلم فى كلاب
ابن مره وكان سعد رضى الله عنه من السابقين فى الاسلام ومن العشرة المبشرين بالجنة ومن
الشجعان المشهورين وهو اول من اراق دما فى سبيل الله واول من رمى بسهم فى سبيل الله
شهد بنرا واحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابل يوم احد بلاء عظيما
وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض وشهد له بالجنة ودعا له ان الله يحب
دعوته فكان مجاب الدعوة ومناقبه كثيرة رضى الله عنه وبه فتح الله العراق ولما طعن عمر
رضى الله عنه جعله من الستة اصحاب الشورى المستحقين للخلافة ومما اوصاه به عمر رضى
الله عنه لما جعله اميرا على جيوش العراق انه قال له لا يغرنك من الله ان قيل خال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله لا يمحو بالسوء السئ
ولكنه يمحو السئ بالحسن وليس بين الله وبين احد نسب الاطاعته فالناس فى ذات الله
سوا الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويذكرون ما عندهم بالطاعة فانظر الامر
الذى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه ووصاه بالصبر وسار سعد والمثنى قبله

وصار ينتظر قدومه فات المثنى قيل قدوم سعد من جراحات كانت به انتقضت عليه ولما وصل سعد رتب الجيوش ولم يزل عمر رضي الله عنه يمد بالرجال حتى استكمل عنده سنة وثلاثون الفا واوصى المثنى قبل موته اخاه المعنى بن حارثة ان يبلغ سعد اذا قدم ان يقاتلوا الفرس على حدود ارضهم على ادنى حجر من ارض العرب ولا يقتلوه في عقرب دارهم فان يظهر الله المسلمين فلهم ماوراهم وان كانت الاخرى رجعوا الى فئة ثم يكونوا اعلم بسبيلهم واجراً على ارضهم الى ان يرد الله الكره عليهم فلما بلغ سعد ذلك ترحم على المثنى ومن معه وكان مع سعد تسعة وتسعون من اهل بدر وثلاثمائة وبضعة عشر من كانت لهم صحبة فيما بين بيعة الرضوان الى مافوق ذلك وثلاثمائة من شهدوا فتح مكة وسبعمائيه من ابناء الصحابة وقدم على سعد كتاب عمر بمثل رأى المثنى روى الطبراني ان عمر رضي الله عنه كتب الى سعد بن ابى وقاص قد وجهت اليك او امددتك بالفرج رجل عمرو بن معدى كرب وطلحة بن خويلد فشاورهما في الحرب ولا تولهما وانما قال ولا تولهما لما يعلم فيهما من شدة الاقدام بالأسكر وعدم التأني وكان كل منهما يعد بألف فارس لشجاعتهم وشدتهم وسيأتى ذكر شئ مما كان منهما مما يدل على ذلك وكان ملك العرب عامل كسرى بالخير قبيصة بن اياس الطائي فلما سمع بمجيئ سعد سأل عنه وعنده عبد الله بن سنان الاسدي فاخبره ان سعدا رجل من قر يش فقال قبيصة والله لا احاد به القتال فان قريشاً عبيد من غلب والله لا يخرجون من بلادهم الا بخفين فغضب عبد الله بن سنان من قوله وامهله حتى دخل قتله فقتله ولحق بسعد فاسلم وسار سعد بالجيوش حتى نزل القادسية وهي قريب من موضع الكوفة وكتب عمر بن الخطاب لسعد رضي الله عنهما انكم اذا لقيتم العدو وهزمتموهم فتى لاعب احد منكم احد من العجم بامان او باشارة او بلسان كان عندهم امانا فاجروا لهم ذلك بحري الامان والوفا فان الخطا بالوفا بقية وان الخطا بالغدر هلكة فيها وهنكم وقوة عدوكم وكان سعد قد جعل على مقدمة جيشه زهرة بن عبد الله بن قتادة بن الحوية التميمي وهو صحابي وقد على النبي صلى الله عليه وسلم واسلم فلما نزل زهرة في المقدمة وامسى بعث سرية في ثلاثين معروفين بالجند وامرهم بالغارة على الخيرة فلما جاوزوا السليحين سمعوا جلبة فكشوا حتى حاذوهم واذا اخت ازا مردا بن ازا به مرزبان الخيرة تزف الى صاحب الصنين وهو من اشرف العجم فحمل بكير بن عبد الله الاثبي امير السرية على شيرزاد بن ازاديه فدق صلبه وطارت الخيل على وجوهها واخذوا الاثقال وانية ازاديه في ثلاثين امراه من الدهاقين ومائة من التوابيع ومعهم ما لا يدري قيمته فاستاق ذلك ورجع به واتى به سعدا فقسم ذلك على المسلمين ومكث سعد بالقادسية شهرا لم يأت احد من الفرس وخيله تغير بالاطراف وتأتى بغنائم كثيرة حتى اخضب المسلمون ووصف بعض من كان مع سعد قوم سعد الذين كانوا معه في الجيش للحجاج بن يوسف بقوله مارأينا قط ازهد في دنيا منهم ولا شد بغضالها وكانوا ابرارا اتقيا ليس فيهم جبان ولا غدار فاستغاث اهل السواد الى يزدجر واعلموه ان العرب قد نزلوا القادسية ولا يبقى على فعلهم شئ وقد اخربوا ما بينهم وبين الفرات ونهبوا الدواب والاطعمه وان ابطلوا الغياث اعطيناهم بايدينا وكتب له بذلك الذي لهم الضياع وهيجه على ارسال الجنود

فارسل يزجرد الى رستم وقال له اني اريد ان اوجهك في هذا الوجه فانت رجل فارس
اليوم وقد ترى ما حل بالفارس مما لم يأتهم مثله فظهر له الاجابة ثم قال له دعني فان العرب
لا تزال تهاب العجم ما لم تضرب بهم بي ولعل الدولة ان تثبت بي اذا لم احضر الحرب فيكون الله
قد كفي ونكون قد اصبنا المكيدة والرأي في الحرب انفع من بعض الظفر والانا خير من العجالة
وقتل جيش بعد جيش امثل من هزيمة بجرة واشد على عدونا فابي عليه واعاد رستم
كلامه وقال قد اضطر في تضيق الرأي الى اعظام نفسي وتركيتها ولو اجد من ذلك بدا لم انتكم
به فانشدك الله في نفسك وملكك ودعني اقم بعسكري وامرح الجاليوس فان تكن لنا فذلك
والابشنا غيره حتى اذا لم نجد بدا صبرنا لهم وقد وهناهم ونحن حامون فاني لا ازال مرجوا
في اهل فارس ما لم اهزم فابي الان يسير فخرج حتى ضرب عسكره بساباط وعلى مقدمته
الجاليوس في اربعين الفا وخرج هو في ستين الفا وفي ساقته عشرون الفا وجاءت الاخبار
الى سعد بذلك فكتب الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر لا يكر بك ما يأتك عنهم واستعن بالله
وتوكل عليه وابعث اليه رجلا من اهل المناظرة والرأي والجلد يدعونه الى الله فان الله
جاعل دعاءهم توهينا لهم فارسل سعد نفرا من هم كذلك وامرهم ان ياتوا يزجرد فخرجوا
من العسكر وتركوا رستم واستأذنوا على يزجرد فاذن لهم فدخلوا وقد احضر وزراه
ورستم معهم واستشارهم فيما يصنع ويقول له واجتمع الناس ينظرون اليهم وتحتهم خيول
كلها صهال وعليهم البرود وبايديهم السياط واحضر الترجان وقال له سلمهم ماجا بكم
ومادما كم الى غزونا والولوع بلادنا من اجل اننا شاغلنا عنكم اجترأتم علينا فقال النعمان
ابن مقرن لاصحابه ان شئتم تكلمت عنكم ومن شاء أثرته فقالوا بل تكلم فقال ان الله رحنا
فارسل النبا رسولا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ووعدنا على اجابته خير الدنيا والآخرة
فلم يدع قبيلة الاوقار به منها فرقة وتباعد عنه منها فرقة ثم امر ان يبتدأ الى من خالفه من العرب
فبتدأنا بهم فدخلوا معه على وجهين مكره عليه فاغبط وطامع فازداد فعرنا جميعا فضل ماجا به
على الذي كنا عليه من العداوة والضيق ثم امرنا ان يبتدأ بمن يلبسنا من الائم فندعوهم
الى الانصاف فنحن ندعوكم الى ديننا وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح فان ايتم فامر من الشر
هو اهون من آخر شرمه الجزية فان ايتم فالناجزة فان اجبتم الى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله
واقنا على ان تحكموا باحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وان بذلتم الجزية قبلنا ومنعناكم
والا قاتلناكم فتكلم يزجرد وقال اني لا اعلم امة في الارض كانت اشق ولا اقل عددا ولا اسوأ ذات
بين منكم قد كنا نوكل بكم قري الضواحي فيكفونا امركم ولا تطمعوا ان تقدموا لفارس
فان كان غر لحقكم فلا يغرنكم منا وان كان الجهد فرضنا لكم قوتا الى خصبكم واكرمنا
وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم فقام المغيرة بن زرارة الاسدي
وقال ايها الملك ان هؤلاء رؤس العرب ووجوههم وهم اشراف يستحيون من الاشراف
وانما يكرم الاشراف ويعظم حقهم الاشراف وليس كل ما رسلوا به قالوه ولا كل ما تكلمت به
اجابوك عنه فجوابني لا كون الذي ابغاك وهم يشهدون على ذلك فاما ما ذكرت من سوء الحال
فهى على ما وصفت واشد ثم ذكر من سوء عيش العرب وارسل الله النبي صلى الله عليه وسلم

اليهم نحو قول النعمان وقتال من خالفهم او الجزية ثم قال له اختر ان شئت الجزية عن يد وانت صاغر وان شئت فالسيف او تسلّم فتجنّجى نفسك فقال لولا ان الرسل لا تقتل لقتلنكم لاشئ ليكم عندي ثم استدعى بوقر من تراب فقال احلوه علي اشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى بخر ج من باب المدائن ثم قال لرسل سعد ارجعوا الى صاحبكم فاعلموه اني مرسل اليه رستم حتى يدفنه ويدفنكم معه في خندق القادسية ثم اورده بلادكم حتى اشعلكم بانفسكم بأشد مما نالكم من سابور فقام حاصم ابن عمرو الكناني الاشبي ليأخذ التراب وقال انا اشرفهم اناسيده هؤلاء فحمله على عنقه وخرج الى راحلته فاخذ التراب وركبها وقال لسعد لما جاءه ابشر لقد اعطانا الله اقاليد ملكهم واشدد ذلك على جلساء الملك وقال الملك لرستم ما كنت اري ان في العرب مثل هؤلاء ما انتم باحسن جوابا منهم ولقد صدقني القوم لقد وعدوا امرأ ليدركنّه او ليموتن عليه علي اني وجدت افضلهم احقهم حيث حل التراب على رأسه فقال رستم ايها الملك انه اعقلهم وتطير الى ذلك وابصرها دون اصحابه وخرج رستم من عند الملك غضبان كئيبا وبعت في اثر الوفاء وقال لثقتهم ان ادركم الرسول تلافينا لارضنا وان اعجزوه سلمكم الله ارضكم فرجع الرسول من الحيرة بغواتهم فقال ذهب القوم بارضكم من غير مثال وكان منجما كاهنا واغار سواد بن مالك التميمي بعدمسير الوفاء الى بزدجر فعلى النجاف والقراض فاستاق ثلاثمائة دابة من بين بغل وحمار ونور واوقروها سمكا وصبح العسكر فقسمة سعد بين الناس ويسمون ذلك اليوم يوم الحيتان وبعت سعد سرية اخرى فاصابوا ابلا لبي تغلب والنمر واستاقوها ومن فيها فخر سعد الابل وقسمها في الناس فاخصبوا واغار عمرو ابن الحارث على النهرين فاستاق مواشي كثيرة وعاد وسار رستم من ساباط وجع آفة الحرب وقال رستم للملك يشجعه بذلك ان فتح الله علينا توجهنا الى ملككم في دارهم حتى نشغلهم في اهلهم وبلادهم الى ان يقبلوا المال ولما فصل رستم عن ساباط كتب الى اخيه البندوان اما بعد فرموا حصونكم واعدوا واستعدوا فكأنكم بالعرب قد قارعوكم عن ارضكم وابنائكم وقد كان من رأبي مدافعتهم ومطاولتهم حتى تعود سعودهم نحو سا فان السمكة قد كدرت الماء وان النعام حسنت والزهرة قد حسنت واعتدل الميزان وذهب بهرام ولا اري هؤلاء القوم الا سيظهرون علينا ويستولون على ما يلينا وان اشد ما رأيت ان الملك قال لتسيرن اولا سيرن بنفسى ولقي جابان رستم على قنطرة ساباط وكانا منجمين فتشكا اليه وقال له الاتري ما اري فقال له رستم اما انا فأقاد بخشاش وزمام ولا اجديدا من الانقياد ثم سار فنزل بكوشى فأتى برجل من العرب فقال ماجاء بكم وماذا تطلبون فقال جئنا نطلب موعد الله بملك ارضكم وابنائكم ان ايتم ان تسلموا قال رستم فان قتلتم قبل ذلك قال من قتل منا دخل الجنة ومن بقي منا انجزه الله ما وعده فنحن على يقين فقال رستم قد وضعنا اذن في ايديكم فقال اعمالكم وضعتمكم فاسلمكم الله بها فلا يغرنك من ترى حولك فانك لست تحاول الانس وانما تحاول القدر فضرب عنقه ثم سار فنزل البرس فغضب اصحابه الناس ابناهم واموالهم ووقعوا على النساء وشرّبوا الخمر فضعج اهلها الى رستم فقال يا معشر فارس والله لقد صدقني العربي والله ما سلنا الا اعمالنا والله ان العرب مع هؤلاء وهم لهم حزب احسن سيرة منكم ان الله كان ينصركم على العدو ويمكن لكم في البلاد بحسن السيرة وكف الظلم والوفاء

والاحسان فاذا تغيرتم فلا يرى الله الامغيرا ما بكم وما نانا با من من ان يزرع الله سلطانه منكم
واقي ببعض من يشكى منه فضرِب عنقه ثم سار حتى نزل الخيرة ودعا اهلها وتهدهم وهم بهم
فقال له ابن ببيعة لانجمع علينا ان تعجز عن نصرتنا وتلو منا على الدفع عن انفسنا ولما
نزل رستم بالنجف رأى في منامه كأن ملكا نزل من السماء ومعه النبي صلى الله عليه
وسلم وعمر فاخذ الملك سلاح اهل فارس فحتمه ثم دفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم
فدفعه النبي صلى الله عليه وسلم الى عمر فاصبح رستم حزينا وارسل سعد السرايا
ورستم بالنجف والجالينوس بين النجف والسليحين فطافت في السواد فبعث
سوادا وحيفة في مائة فاغاروا على النهرين وبلغ رستم الخبر فارسل اليهم رستم خيلا
وسمع سعد ان خيله قد غلت فارسل عاصم بن عمرو وجابر الاسدي في آثارهم فلقبهم عاصم
وخيل فارس تحوشهم ليخلصوا ما بأيديهم فلما رأته الفرس هربوا ورجع المسلمون بالغنائم
وارسل سعد عمرو بن معدى كرب وطلحة الاسدي طليعة فساروا في عشرة فلم يسروا الا
سحبا وبعض آخر حتى رأوا مسالحهم وسرحهم على الطفوف قد ملؤها فرجع عمرو
ومن معه وابى طليحة الا ان تقدم فقالوا له انت رجل في نفسك غدر ولن تفلح بعد قتل
اعكاشة بن محصن فارجع معنا فأبى فرجعوا الى سعد فاخبروه بقرب القوم ومضى طليحة
حتى دخل عسكر رستم وبات فيه يحوسه ويتوسم فهتك اطناب بيت رجل عليه واقتاد
فرسه ثم هتك على آخر بيته وحل فرسه ثم فعل بالآخر كذلك ثم خرج بعد وبه فرسه ونذر
به الناس فركبوا في طلبه فاصبح وقد لحقه فارس من الجند فقتله طليحة ثم آخر فقتله ثم لحق
به ثالث فرأى مصرع صاحبيه وهما ابنا عمه فازداد فلحق طليحة ففكر عليه طليحة واسره
ولحق الناس فرأوا فارسى الجند قد قتلوا واسر الثالث وقد شارف طليحة عسكره فاجموا
عنه ودخل طليحة على سعد ومعه الفارسى واخبره الخبر فسأل الترجان الفارسى عن ذلك
فطلب الأمان فأمنه سعد فقال اخبركم عن صاحبكم هذا قبل ان اخبركم عن قبلى باشرت
الحروب منذ انا غلام الى الآن وسمعت بالابطال ولم اسمع بمثل هذا ان رجلا قطع فرسخين
الى عسكره سبعة الف الف يخدم الرجل منهم الخمسة والعشرة فلم يرض ان يخرج كما دخل
حتى سلب فرسان الجند وهتك عليهم البيوت فلما ادركناه قتل الاول وهو يعد بألف
فارس ثم الثانى وهو نظيره ثم ادركته انا وخلفت من بعدى من يعدلنى وانا لثائر
بالقتيلين فرأيت الموت واستؤسرت ثم اخبره عن الفرس واسلم ولزم طليحة وكان من اهل
البلاء بالقادسية وسماء سعد مسلما ثم سار رستم وقدم الجالينوس وبهم ذوا الحاجب فنزل
الجالينوس بحيال زهرة بن الحوية ونزل ذوا الحاجب بطرنا باذ ونزل رستم بالحزاره ثم سار
رستم فنزل بالقادسية وكان بين مسيره من المدائن ووصوله القادسية اربعة اشهر لا يقدم
لاجل ان يطاول المسلمين رجاء ان ينجروا بمكانهم فينصرفوا وكان قصده ان يطاولهم اكثر
من ذلك لولا ان الملك يستعجله وينهضه وكان عمر قد كتب الى سعد يأمره بالصبر والمطاوله
ايضا فاستعد للمطاوله ولم يتضرر بها وكان مع رستم ثلاثة وثلاثون فيلا منها فيل سابور
الابيض وكانت الفيلة تألفه فجعل في القلب ثمانية عشر فيلا وفي الجنبين خمسة عشر فيلا

فلما أصبح رستم من تلك الليلة ركب وسار حتى اتى على منقطع عسكر المسلمين ثم صعد حتى انتهى الى القنطرة فتأمل المسلمين ووقف على موضع يشرف منه عليهم ووقف على القنطرة وارسل الى زهرة فواقفه قاداره على ان يصلح له ويجعل له جملا على ان ينصرفوا عنه من غير ان يصرح له بذلك بل يقول له كنتم جيراننا وكنا نحسن اليكم ونحفظكم ونخبره عن صنيعهم مع العرب فقال له زهرة ليس امرنا اولئك انا لم نأتكم لطلب الدنيا انما طلبنا وهمتنا الآخرة وقد كنا كما ذكرت الى ان بعث الله فينا رسولا فدعانا الى ربه فاجبناه فقال الله لرسوله انى سلطت هذه الطائفة على من لم يدين بدينى فانا منتقم بهم منهم وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به وهودين الحق لا يرغب عنه احد الا ذل ولا يعتصم به احد الا عز فقال له رستم ما هو قال اما عموده الذى لا يصلح الابيه فشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال واى شئ ايضا قال و اخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله والناس بنو آدم وحواء اخوة لاب وام قال ما احسن هذا ثم قال رستم ارأيت ان اجبت الى هذا ومعى قومى كيف يكون امركم اترجعون قال بى والله قال صدقتنى اما ان اهل فارس منذ ولى ازدشير لم يدعوا احدا يخرج من عمله من السفلة وكانوا يقولون اذا خرج من اعمالهم تعدوا طورهم وعادوا اشراقهم فقال زهرة نحن خير الناس للناس فلا نستطيع ان نكون كما تقولون بل نطيع الله فى السفلة ولا يضرنا من عصى الله فينا فانصرف عنه ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا فانفقوا فارسى الى سعد ان ابعت الينا رجلا نكلهم ويكلمنا فدعا سعد جماعة ليسلهم فقال له ربيعى ابن عامر متى نأتهم جميعا يروا انا قد احتفلنا بهم فلا تزدهم على رجل فارسى وحده فسار اليهم فحبسوه على القنطرة واعلم رستم بمجيئه فانظر زينته وجلس على سرير من ذهب وبسط البسط والتمارق والوسائد المنسوجة بالذهب واقبل ربيعى على فرسه وسيفه فى خرقة ومعه مشدود بعصب وقد فلما انتهى الى البسط قبل له انزل فحمل فرسه عليها ونزل وربطها بوسادتين شتھما وادخل الجبل فيهما فلم ينهوا واروه التهاون وعليه درع ولخذ عباة بعيره فتد رعاها وشدها على وسطه فقالوا ضع سلاحك فقال لهم لا تضع سلاحى بامركم انتم دعوتونى فاخبروا رستم فقال اندنوا له فاقبل بتوكا على رمحه ويقارب خطوه فلم يدع لهم غرقا ولا بسطا الا افسده وهتكه برمحه فلما دنى من رستم جلس على الارض وركز رمحه على البسط فقبل له ما حالك على هذا قال انا لانسحب القعود على زينتك فقال له ترجان رستم ما جاء بكم قال الله جاء بنا وهو بمشأ لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان الى عدل الاسلام فارسى بدينه الى خلقه من قبله قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه واراضه دوننا ومن ابى قاتلناه حتى نفضى الى الجنة او الظفر فقال رستم قد سمعنا قولكم فهل لكم ان تؤخروا هذا الامر حتى ننظر فيه قال نعم وان مما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا نتمكن الاعداء اكثر من ثلاث فنحن مترددون عنكم ثلاثا فانظر فى امرك واختر واحدة من ثلاث بعد الاجل اما الاسلام وندعك وارضك او الجزية فنقبل ونكف عنك وان احتجت الينا نصرناك او المناينة فى اليوم الرابع الا ان تبدأ بنا انا كفيل بذلك عن

اصحابي قال اسيدهم انت قال لالكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض يجيز ادناهم
 على اعلاهم فخلا رستم برؤساء قومه فقال هل رأيتم كلاما قط اعز واوضح من كلام
 هذا الرجل فقالوا معاذ الله ان نغبل الى دين هذا الكلب اما ترى الى ثيابه فقال ويحكم
 لا تنظروا الى ثيابه ولكن انظروا الى الرأي والكلام والسيرة ان العرب تستخف باللباس
 وتصمون الاحساب ليسوا مثلكم فلما كان من الغد ارسل رستم الى سعد ابعت الينا ذلك
 الرجل فبعث اليهم حذيفة بن محصن فاقبل في نحو من ذلك الزى ولم ينزل عن فرسه ووقف
 على رستم راكبا قال له انزل قال لا افعل فقال له ماجاء بك ولم يحثي الاول قال له ان اميرنا
 يحب ان يعدل بيننا في الشدة والرخا وهذه نوبتي فقال ماجاء بكم فاجابه مثل الاول فقال
 رستم المواعدة الى يوم ما قال نعم ثلاثا من امس فردده واقبل على اصحابه وقال ويحكم اما
 ترون ما ارى جانا الاول بالامس فغلبنا على ارضنا وحقمرنا نعظم واقام فرسه على زبرجنا
 وجاء هذا اليوم فوقف علينا وهو في بين الطائر يقوم على ارضنا دوننا فلما كان الغد ارسل
 الى سعد ابعت الينا رجلا فبعث المغيرة بن شعبه فاقبل اليهم وعليهم السجبان والثياب المنسوجة
 بالذهب وبسطهم على غلوة لا يوصل الى صاحبهم حتى يمشي عليها فاقبل المغيرة حتى
 جلس موضع رستم على سريره فوثبوا عليه وانزاهه ومعكوه فقال قد كانت تبلغنا
 عنكم الاحلام ولا ارى قوما اسفد منكم انا معشر العرب لا نستعبد بعضنا بعضا فظننت
 انكم تواسون قومكم كما تواسي فكان احسن من الذي صنعتم ان تخبروني ان بعضكم
 ار باب بعض فان هذا الامر لا يستقيم فيكم ولا يصنعه احد واني لم آتكم ولكن
 دعوتوني اليوم علمت انكم مغلوبون وان ملكتا لا يقوم على هذه السيرة ولا على
 هذه العقول فقالت السفلة صدق والله العربي وقالت الدهاقين والله لقد رمى بكلام
 لا تزال عبيدنا ينزعون اليه قاتل الله اولينا حيث كانوا يصفرون امر هذه الامة ثم تكلم رستم
 فحمد قومه وعظم امرهم وقال لم نزل متمكنين في البلاد ظاهرين على الاعداء اشرافا في الامم
 فليس لاحد مثل عزنا وسلطاننا نصصر عليهم ولا ينصرون علينا الا اليوم واليومين والشهر
 للذنوب فاذا انتقم الله منا ورضى علينا بردلنا الكرة على عدونا ولم يكن في الامم امة اصغر عندنا
 امر امنكم كنتم اهل قشف ومعيشة سيئة لانراكم شيئا وكنتم تقصدوننا اذا خبطت بلادكم فنأمر
 انكم بشيء من التمر والشعير ثم زردكم وقد علمت انه لم يحملكم على ما صنعتم الا للجهد في بلادكم
 فاننا امر لا ميركم بكسوة وبغل والاف درهم وامر لكل واحد منكم بقرقر وتنصرفون عنا
 فاني لست اشتبه ان اقتلكم فتكلم المغيرة فحمد الله واثني عليه قال ان الله خالق كل شيء ورازقه
 فمن صنع شيئا فافما هو بصنعه واما الذي ذكرت به نفسك واهل بلادك فنحن نعرفه فالله صنعه
 بكم ووضع فيكم وهوله دونكم واما الذي ذكرت فينا من سوء الحال والضيق والاختلاف
 فنحن نعرفه ولساننا نكره والله ابتلائنا به والدنيا دول ولم يزل اهل الشدايد يتوقعون الرخا
 حتى يصيروا اليه ولم يزل اهل الرخا يتوقعون الشدايد حتى تنزل بهم ولو شكرتم ما آتاكم الله
 لكان شكركم يقصر عما اوتيتكم واسلمكم ضعف الشكر الى تغير الحال ولو كنا فيما ابتلينا به اهلا
 لكان عظيم ما ابتلينا به مستجلبا من الله رحمة ورأفة علينا ان الله تبارك وتعالى بعث فينا

رسولا ثم ذكر مثل ما تقدم من ذكر الاسلام والجزية والقتال وقال له وان عيالنا قد ذاقوا اطعام بلادكم فقالوا لا صبر لنا عنه فقال رستم اذن قوتون دونها فقال المغيرة يدخل من قتل منسا الجنة ومن قتل منكم النار وبظفر من يبق منا بمن يبق منكم فاستشاط رستم غضبا ثم حلف أن لا يرتفع الصبح غدا حتى تقتلكم اجمعين وانصرف المغيرة وخلص رستم باهل فارس وقال اين هؤلاء معكم هؤلاء والله الرجال صادقين كانوا ام كاذبين والله لئن كان بلغ من عقلهم وصونهم لدرهم ان لا يختلفوا فاقوم ابلغ ما ارادوا منهم ولئن كانوا صادقين فاي قوم لهؤلاء شيء فليجوا وتجلدوا فارس رستم رسوله خلف المغيرة وقال له اذا قطع القنطرة فاعلمه أن عينه تفقا غدا فاعلمه الرسول بذلك فقال المغيرة بشرتني بخير وأجر ولولا أن اجاهد بعد هذا اليوم اشباهكم من المشركين لتميت أن الاخرى ذهبت فرجع الى رستم فاخبره فقال اطيعوني يا اهل فارس اني لا ارى فيكم نعمة لا تستطيعون ردها ثم ارسل اليه سعد بقية ذوى الرأى فساروا وكانوا ثلاثة فقالوا الرستم ان اميرنا يدعوك الى ما هو خير لنا ولك والعافية ان تقبل مادعاك اليه و نرجع الى ارضنا وترجع الى ارضك وداركم اليكم وامركم فيكم وما صبتكم كان زيادة لكم دوننا وكنا عون لكم على احد ان ارادكم فاتق الله ولا يكونن هلاك قوتك على يدك وليس بينك وبين ان تغبط بهذا الامر الا ان تدخل فيه وتطرد به الشيطان عنك فقال لهم ان الامثال اوضح من كثير من الكلام انكم كنتم اهل جهد وقشف لا تنصفون ولا تمتنعون فلم نسي جواركم وكنا غيركم ونحسن اليكم فلما طعمتم طعامنا وشربتم شرابنا وصفتم لقومكم ذلك ووعدوهم ثم اتفقونا وانما مثلكم ومثلا كمثل رجل كان له كرم فرأى فيه ثعبنا فقال وما ثعلب فانطلق الثعلب فدعا الثعلب الى ذلك الكرم فلما اجتمعوا اليه سد صاحب الكرم الثقب الذى كن يدخلن منه فقتلن فقد علمت ان الذى جعلكم على هذا الحرص والجهد فارجعوا ونحن غيركم لاني لا اشتهى ان اقتلكم ومثلكم ايضا كالذباب يرى العسل فيقول من يوصلني اليه وله درهمان فاذا دخل غرق ونشب فيقول من يخرجني وله اربعة دراهم وقال ايضا ان رجلا وضع سلة وجعل طعاما فيها فاتي الجرذان فخرقوا السلة فدخلوا فيها فاراد سدها فقالوا له لا تفعل اذن نخرقه ولكن انقب بحباله ثم اجعل قصبة مجوفة فاذا دخلها الجرذان وخرجن منها فاقتل كل ما خرج منها وقد سدت عليهم ان يقتحموا القصبة ولا يخرج منها احد الا قتل فاذما كنتم الى ما صنعتم ولا ارى عددا ولا عدة قال فتكلم القوم وذكروا سؤالهم وما من الله به عليهم من ارسال رسوله واختلافهم اولا ثم اجتماعهم على الاسلام وما امرهم به من الجهاد وقالوا واما ما نضر بت لنا من الامثال فليس كذلك ولكن انما مثلكم كمثل رجل غرس ارضا واختار لها اشجارا واجرى اليها الانهار وزينها بالقصور واقام فيها فلا حين يسكنون قصورها ويقومون على جناحها فخلا الفلاحون في القصور على ما لا يحب فاطال امها لهم فلم يستحيوا فدعا اليها غيرهم واخرجهم منها فان ذهبوا عنها تخلفهم الناس وان اقاموا فيها صاروا خولا لهؤلاء فيسومونهم الخسف ابداء الله لولم يكن ما نقول حقا ولم يكن الا الدينا لما صبرنا عن الذى نحن فيه من لذيذ عيشكم ورأينا من زبرجكم ولقا رعنكم عليه فقال رستم اتعبرون النيام نعيم اليكم فقالوا اعبروا النيام ورجعوا من عنده عشيا وارسل

سعد الى الناس ان يقفوا موافقهم وارسل اليهم شأ نكم والعبور فارادوا القنطرة فقال
لا ولا كرامة اما شئ غلبنا كم عليه فلا نرده عليكم فباتوا يسكرون (اي يسدون) العتيق حتى الصباح
بالتراب والعصب والبرادع حتى جعلوه طريقا واستتم بعد ما ارتفع النهار ورأى رستم
من الليل كأن ملكا نزل من السماء فاخذ قسي اصحابه فختم عليهما ثم صعد بها الى السماء
فاستيقظ مهموما واستدعى خاصته فقصصها عليهم وقال ان الله ليعطينا لو اتعظنا ولما ركب
رستم ليغير كان عليه درعان ومغفر واخذ سلاحه ووثب فاذا هو على فرسه ولم يضع رجله
في الركاب وقال غدا ندقهم دقا فقال له رجل ان شاء الله فقال وان لم يشأ ثم قال انما صفا
الثعلب حين مات الاسدي عني كسرى واني اخشى ان تكون هذه سنة القروذ وانما قال هذه
الاشياء توهينا للمسلمين عند الفرس والافلا مشهور عند الخوف من المسلمين وقد اظهر ذلك
الى من يشق به

✽ ذكر يوم ارمات ✽

التي عبر الفرس العتيق (اسم للماء مطلقا ويسمى به نهر هناك) وجلس رستم على سريرته وضرب عليه
طياره وعبا في القلب ثمانية عشر فيلا عليها صناديق ورجال وفي المجنبتين ثمانية اوسبعة
افعال واقام الجالينوس بينه وبين يمينته والفيروزان بينه وبين يسارته وكان الملك يزدرج وقد وضع
بينه وبين رستم رجالا على كل دعوة (اي وظيفة) رجلا اولهم على باب ابوانه وآخرهم مع رستم
فكل ما فعل رستم شيا قال الذي معه للذي يليه كان كذا وكذا ثم يقول الثاني ذلك للذي
يليه وهكذا الى ان ينتهي الى يزدرج في اسرع وقت واخذ المسلمون مصافهم وكان اميرهم
سعد بن ابي وقاص رضى الله عنه اصابه دمايل وعرق النساء فلا يستطيع الجلوس
انما هو مكب على وجهه في صدره وسادة على سطح القصر يشرف على الناس والصف
في اصل حائطه ولو تعداه الصف فواق ناقصة لاخذ برسته وما نقص ذلك من شجاعة
سعد رضى الله عنه وعابه بعض من كان يبغضه فقال

- * نقا نل حتى انزل الله نصره ✽ وسعد بباب القادسية معصم *
- * فأبنا وفد آمت نساء كثيرة ✽ ونسوة سعد ليس فيهن ايم *

فبلغت اياته سعدا وكان محباب الدعوه فقال اللهم ان كان هذا كاذبا قال الذي قاله ربا وسبعة فاقطع
عني لسانه فيمناهو واقف في الصف يومئذ اتاه سهم غرب فاصابه فكان سبيلا لاعتقال لسانه فاتكلم
بكلمة حتى لحق بالله تعالى ونزل سعد الى الناس فاعتذر اليهم واراهم ما به من القروح في
فخذه والبتية فعذره الناس وعلوا حاله ولما عجز عن الركوب استخلف خالد بن عرفة على
الناس فاختلف عليه فاخذ نفرا من شعب عليه فحبسهم في القصر منهم ابو محجن الثقفي
وقيدهم وقيل بل كان حبس ابي محجن بسبب شرب الخمر واعلم الناس انه قد استخلف خالد
ابن عرفة فسموا واطاعوا وخطب الناس يومئذ وهو يوم الاثنين من المحرم سنة اربع
عشرة وحثهم على الجهاد وذكرهم ما وعدهم الله من فتح البلاد وما نال من كان قبلهم من

المسلمين من الفرس وكذلك فعل امير كل قوم وارسل سعد نفرا من ذوى الراى والتجدة منهم
 المغيرة وحذيفة وعاصم وطلحة وقيس الاسدى وغالب وعمرو بن معدى كرب وامثالهم ومن
 الشعرا الشماخ والخطيئة واوس بن مغرة وعبيدة بن الطيب وغيرهم وامرهم بتخريص
 الناس على القتال ففعلوا وكان صف المسلمين مع حائط قديس والخندق فكان المسلمون
 والمشركون بين الخندق والعتيق وقد تقدم ان جيش رستم كان مائة وعشرين الفا وجيش
 المسلمين كان بضعة وثلاثين الفا وكان مع الفرس ثلاثون الف مسلسل وامر سعد الناس بقرأة
 سورة الجهاد وهى الانفال فلما قرئت هشت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع
 قرأتها فلما فرغ القراء منها قال سعد الزموا مواضعكم حتى تصلوا الظهر فاذا صليتم فاني مكبر
 تكبيرة فكبروا واستعدوا فاذا سمعتم الثانية فكبروا والبسوا عدتكم فاذا كبرت الثالثة
 فكبروا وينشط فرسانكم الناس فاذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعا حتى نخالطوا عدوكم
 وقولوا الاحول ولا قوة الا بالله فلما كبر سعد الثانية برز اهل النجدات فأنشبوا القتال وخرج
 اليهم من الفرس امثالهم فاعتوروا الطعن والضرب وبرز غالب بن عبد الله الاسدى وانشد
 ابياتا فخرج اليه هرمز وكان من ملوك الباب وكان متوجا فامره غالب فجاء به - ١٠٠ ز
 وبرز عاصم بن عمرو التميمي وطارد فارسا فانهزم فتيبعه عاصم حتى خالط صفهم فحموه فاسر
 عاصم رجلا على بغل وعاديه واذا هو خباز الملك ومعه من طعام الملك وخيصره فأتى به
 سعد فنفله اهل موقعه وخرج فارس فطلب البراز فبرز اليه عمرو بن معدى كرب فاخذ
 وجلده به الارض فذبحه واخذ سواريه ومنطقته وحملت القيلة على المسلمين ففرقت بين
 الكتائب ففرت الخيل وكانت الفرس قد قصدت بجيلة بسبعة عشر فيلا ففرت خيل بجيلة
 فكادت بجيلة تهلك لنفار خيلها عنها وعن معها وارسل سعد الى بنى اسد ان دافعوا عن
 بجيلة وعن معها من الناس فخرج طلحة بن خويلد ورجال بن مالك في كتائبهما فباشروا
 القيلة وخرج الى طلحة فيل عظيم منهم فقتله طلحة وقام الاشعث بن قيس في كندة فقال معشر
 كندة لله در بنى اسد اى فر يفر و اى هز يهزون عن مواضعهم اعنى كل قوم ما يليهم وانتم
 تنتظرون من يكفيكم اشهد ما احسنتم اسوة قومكم من العرب فنهذ ونهذوا معه فازالوا
 الذين بازائهم فلما رأى الفرس ما يلقى الناس والقيلة من اسد رموهم بحدهم وحملوا عليهم
 وفيهم ذو الحجاب والجالينوس والمسلمون ينتظرون التكبيرة الرابعة من سعد فاجتمعت حلبة
 فارس على اسد ومعهم تلك القيلة فثبتوا اليهم وكبر سعد الرابعة وزحف اليهم المسلمون ورحا
 الحرب تدور على اسد وحملت القيلة على المينة والميسرة فكانت الخيول تحيد عنها فارسل سعد
 الى عاصم بن عمرو التميمي فقال يا معشر بنى تميم اما عندكم لهذه القيلة من حيلة قالوا بلى
 والله ثم نادى فى رجال من قومه رماة وآخرين لهم ثقافة فقال يا معشر الرماة ذبوا ركبنا القيلة
 عنهم بالنبل وقال يا معشر الثقافة استدبروا القيلة فقطعوا وضنها (الوضين ما يربط به
 القتب) وخرج يحميهم ورحا الحرب تدور على اسد وقد جالت المينة والميسرة غير بعيد
 واقبل اصحاب عاصم على القيلة فاخذوا باذنان توابيتها فقطعوا وضنها وارتفع عواؤهم
 فسابق لهم فيل الاعوى وقتل اصحابها ونفس عن اسد وردوا فارسا عنهم الى مواضعهم

واقْتتلوا حتى غربت الشمس ثم حتى ذهبَت هداة من الليل ثم رجع هؤلاء وهؤلاء واصيب من اسد تلك العشية خمسمائة وكانوا ردا للناس وكان عاصم حامية للناس وهذا اليوم الاول وهو يوم ارمات

✽ ذكر يوم اغواث ✽

ولما اصبح القوم وكل سعد بالقتلى والجرحى من ينقلهم فسلم الجرحى الى النساء ليقرن عليهم واما القتلى فدفنوا هنالك على شرف وهو واد بين العذيب وعين الشمس فلما نقل سعد القتلى والجرحى طلعت نواصى الخيل من الشام وكان فتح دمشق قبل القادسية فلما قدم كتاب عمر على ابي عبيدة بن الجراح بأرسال اهل العراق سيرهم والامير عليهم هاشم بن عتبة ابن ابي وقس وكان من الشجعان المشهورين وكان له صحبة اسلم عام الفتح رضى الله عنه وعلى مقدمته القعقاع ابن عمر والتيمي وله صحبة روى عنه انه قال شهدت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعجل القعقاع فقدم على الناس بمسبحة هذا اليوم وهو يوم اغواث وقد عهد الى اصحابه ان يقطعوا اعشارا وهم الف كل مابلع عشرة مدى البصر سر حوا عشرة فقدم اصحابه في عشرة فأتى الناس فسلم عليهم وبشرهم بالجنود وحرضهم القتال وقال اصنعوا كما اصنع وطلب البراز فقالوا فيه (اي القعقاع) يقول ابو بكر رضي الله عنه لايهزم جيش فيهم مثل هذا فخرج اليه ذوالحاجب فعرفه القعقاع فنادى نارات ابي عبيدة وسليط واصحاب الجسر وتضاربا فقتله القعقاع وجعلت خيله ترد الى ليل وتنشط الناس وكان لم يكن بالامس مصيبة وفرحوا بقتل ذى الحاجب وانكسرت الاعاجم بذلك وطنب القعقاع البراز فخرج اليه الفيرزان والبند وان فأنضم الى القعقاع لما رث بن ظبيان بن الحارث احد بنى تميم اللات فتبارزوا فقتل القعقاع الفيرزان وقتل الحارث البند وان نادى القعقاع يا معشر المسلمين باثروهم بالسيف فانما يحصد الناس بها فاقتتلوا حتى المساء فلم ير اهل فارس في هذا اليوم ما يعجبهم واكثر المسلمون فيهم القتل ولم يقاتلوا في هذا اليوم على فيل لان نوابيتها كانت قد تكسرت بالامس فاستأنفوا عملها فلم يفرغوا منها حتى كان الغد وكان القعقاع كلما طلعت قطعة من اصحابه كبر وكبر المسلمون ويحمل ويحملون وحل بنو عم القعقاع عشرة عشرة على ابل قد البسوها وهى مجللة مبرقة واطافت بهم خيولهم تحمهم وامرهم القعقاع ان يحملوها على خيل الفرس يشبهون بالقبيلة ففعلوا بهم هذا اليوم وهو يوم اغواث كما فعلت فارس يوم ارمات فجعلت خيل الفرس تفر منها وركبتها خيول المسلمين فلما رأى الناس ذلك سروا بهم فلقى الفرس من الابل اعظم ما لقي المسلمون من القبيلة وحل رجل من تميم على رستم يريد قتله فقتل دونه وخرج رجل من فارس يبارز اليه الاعرف ابن الاعلم العقيلي فقتله ثم برز اليه آخر فقتله واحاطت به فوارس منهم فصرعوه واخذوا بسلاحه فغبر في وجوههم التراب حتى رجع الى اصحابه وحل القعقاع يومئذ ثلاثين حلة كلما طلعت قطعة حل حلة واصاب فيها وقتل فكان آخرهم بزرجهما الهمداني وبارز الاعور بن قطبة شهر يارسجستان فقتل كل واحد منهما

صاحبه وقالت الفرسان الى نصف النهار فلما اعتدل النهار تزا حفا الله
 انتصف الليل فكانت ليلة ارمات تدعى الهدأة وليلة اغواث تدعى السواد ولم يرك حبة
 يرون يوم اغواث الظفر وقتلوا عامة اعدائهم وجالت فيه خيل القلب وثبت رجلهم فلولوا
 ان خيلهم عادت أخذ رستم اخذا وبات الناس على ما بات عليه القوم ليلة ارمات وقد
 ذكرنا ان ابا محجن الثقفي كان قد حبس بالقصر وقيد فلما كان يوم اغواث قال لسلمي زوج
 سعد بن ابي وقاص هل لك ان تخمين عني وتعبريني بالبقا وهي فرس سعد فله على ان
 سلمني الله ان ارجع اليك حتى اضع رجلي في قيدي فأبى فأتى بهما حتى رضى ان
 تطلقه فاطلقتة واعطته البلقا فرس سعد فركبها وخرج للقتال ولم يعلم به احد فلما كان بحيال
 المينة كبرتم حل على ميسرة الفرس ثم رجع خلف المسلمين وحل على مينة الفرس فكان
 يقصف الناس قصفا منكرا وتعجب الناس منه وهم لا يعرفون من هو فقال بعضهم هو من
 بعض اصحاب هاشم او هاشم بنفسه وكان سعد يقول لولا محجن ابي محجن لقلت هذا ابو
 محجن وهذه البلقا وقال بعض الناس هذا الخضر وقال بعضهم لولا ان الملائكة لا تبشرون
 الحرب لقلنا انه ملك فلما انتصف الليل وتراجع المسلمون والفرس عن القتال اقبل ابو محجن
 فدخل القصر واعاد رجله في القيد فقالت له سلمى في اي شيء حبسك سعد فقال والله
 ما حبسني بحرام اكلته ولا شربته ولكنني كنت صاحب شراب في الجاهلية وانا امر
 شاعر يدب الشعر على لساني فقلت

- * اذا مت فادفني الى اصل كرمه * تروى عظامي بعد موتي عروقها *
- * ولا تدفني في الفلاة فاني * اخاف اذا ماتت ان لا اذوقها *

فلذلك حبسني فلما أصبحت سلمى اتت سعدا فصالحته وكانت مغاضبة له واخبرته بخبر ابي
 محجن فاطلقتة فقال اذهب فانا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله فقال لا جرم لا اجيب
 لساني الى قبجج ابدأ وكان عدد قتلى المسلمين وجرحاهم يوم اغواث الفين من جريح وميت
 ومن المشركين عشرة آلاف فجعل المسلمون ينقلون قتلاهم الى المقابر والجرحى الى النساء وكان
 النساء والصبيان يحفرون القبور وكان على الشهداء حاجب بن زيد واما قتلى المشركين فبين
 النصفين وكان ذلك ما يقوى المسلمين وبات القعقاع تلك الليل يسرب اصحابه الى المكان الذي
 فارقه فبه وقال اذا طلعت الشمس فأقبلوا مائة مائة فان جاء هاشم فذاك والاجدد ثم للناس
 رجاء وجد لا يشعرون به احد واصبح الناس على مواضعهم فلما ذر قرن الشمس اقبل اصحاب
 القعقاع فعبى اصحابه وكان المشركون قد باتوا يعملون توأيت القبيلة حتى اعدوا هوا واصبحوا
 على مواضعهم واقبلت الرجال مع القبيلة يحمونها ان تقطع وضنها ومع الرجال فرسان يحمونهم
 فلم تشفر الخيل منهم كما كانت بالامس لأن الفيل اذا كان وحده كان او حش واذا اطافوا به
 كان اونس فلما انتشب القتال كبر المسلمون وتقدموا وكثر الطعن والضرب واقبل هاشم
 والحرب قائم فعبى اصحابه سبعين سبعين وحل حتى خالط القلب واشتد القتال وحل عمرو
 ابن معدى كرب وضرب في الفرس حتى ستره الغبار وحل اصحابه فأفرج المشركون عنه
 بعد ما صرعوه وان سيفه لفي يده يصادهم وقد طعن فرسه فاخذ برجل فرس اعجمي فلم

لا سكر لهم ونشدت الدنانير

يطبق الجرى فنزل عنه صاحبه وفر الى اصحابه وركبه عمرو وبرز فارس فبرز اليه رجل من المسلمين يقال له بشر ابن علقمة وكان قصيرا فترجل الفارسي اليه فاحتمله وجلس على صدره ثم اخذ سيفه ليذبحه ومقود فرسه مشدود في منطقة فنه فلما سل سيفه نفر الفرس فجذبه المقود فقلبه عنه وتبعه المسلم فقتله واخذ سلبه فباعه باثني عشر الفا فلما رأى سعد الفيول قد فرقت بين الكتائب وعادت لفعالها ارسل الى القعقاع وعاصم بن عمرو اكفياني الايض وكانت كلها آلفة له وكان بازائهما وقال لجمال والزبيل اكفياني الاجرب وكان بازائهما فاخذ القعقاع وعاصم رمحين وتقدما في خيل ورجل وفعل جمال والزبيل بمثل فعلهما فحمل القعقاع وعاصم فوضعا رمحيهما في عين الفيل الايض فنفض رأسه فطرح ساسته ودلى مشفره فضر به القعقاع فرمى به ووقع جنبه وقتلوا من كان عليه وحل جمال والزبيل الاسديان على الفيل الآخر فطعنه جمال في عينه فأقعى ثم استوى وضر به الزبيل فلبان مشفره وبصر به سائسه فبقر انف الزبيل وجبينه بالطبرزين فأفلت الزبيل جريحا وبقي الفيل جريحا متخيلا بين الصفيين كالحاء صف المسلمين وخزوه واذا اتى صف المشركين نخسوه وولى الفيل وكان يدعى الاجرب وقد عور جمال عينه فالتقى نفسه في العتيق فاتبعته القيلة فخرقت صف الاعاجم فعبرت في اثره فأنت المدائن في توابيتها وهلك من فيها فلما ذهبت القيلة وخلص المسلمون والفرس ومال الظل تراحف المسلمون فاجتلدوا حتى مشوا فاشتد القتال وصبر الفريقان وجاء الليل وكانت تسمى تلك الليلة ليلة الهرير لتركم الكلام وانما كانوا يهرون هريرا وارسل سعد طلحة الاسدي وعمرو بن معدى كرب ليلة لهرير الى مخاضة اسفل العسكر ليقوموا عليها حرسا خشية ان يأتى القوم منها فلما اتياها لطلحة لو خضنا واتينا الاعاجم من خلفهم قال عمرو بل نمر اسفل فافترقا واخذ طلحة وورا لعسكروا كبر ثلاث تكبيرات ثم ذهب وقدار تاع اهل فارس وتعجب المسلمون وطلبه الاعاجم فلم يدركوه واما عمرو فانه اغار اسفل المخاضة ورجع وخرج جماعة من فرسان المسلمين وطاردوا جماعة من الفرس فاذا هم لا يشدون ولا يردون غير الزحف فقدم المسلمون مسوقهم وزاحفهم بغير اذن سعد وكان اول من زاحفهم القعقاع فقال سعد اللهم اغفرها له وانصره فقد اذنت له ان لم يستأذننى ثم لحقهم اسد فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم حلت النخع فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم حلت بجيلة فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم حلت كندة فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم زحف الرؤساء ورحا الحرب تدور على القعقاع وكان سعد قال لهم اذا كبرت ثلاثا فاحلوا فكبر في اثناء تلك الحملة تكبيرتين فلما كبرت الثالثة لحق الناس بعضهم بعضا وخالطوا القوم واستقبلوا الليل استقبالا بعدما صلوا العشاء وكان صليل الحديد فيها كصوت القيون * جمع قين وهو الحداد * ليلتهم الى الصباح وافرغ الله الصبر عليهم افراغا وبات سعد بليلة لم يبت بمثلها ورأى العرب والعجم امرا لم يروا مثله قط وانقطعت الاخبار والاصوات عن سعد ورستم واقبل سعد على الدماء فلما كان عند الصبح انتهى الناس فاستدل بذلك على انهم الاعلون واصبح الناس ليلة الهرير وتسمى ليلة القادسية من بين تلك الليالي وهم حمرى لم يغمضوا ليلتهم كلها فسار القعقاع في الناس

الهريرة حكاية زنبير الاسد

التمني البازي ارفع من موضعه

فقال ان الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم فاصبروا ساعة فاحلوا فان النصر مع الصبر فاجتمع اليه جماعة من الرؤساء وصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح فلما رأت ذلك القبائل قام فيهم رؤساؤهم وقالوا لا يكون هؤلاء أجدي في امر الله منكم ولا هؤلاء يعني الفرس اجرا على الموت منكم فحملوا فيماليهم وخالطوا من بازائهم فاقتتلوا حتى قام قائم الظهيرة فكان اول من زال الفيرزان والهرمزاني فتأخرا وثبنا حتى انتهيا وانفراج القلب وركد عليهم النقع وهبت ريح عاصف فقلعت طيارة رستم عن سريره فهوت في العتيق وهي دبور ومال الغبار عليهم وانتهى القعقاع ومن معه الى السرير فغمزوا به وقد قام رستم عنه حين اطارت الريح الطيارة الى بغال قد قدمت عليه بمال فهي واقفة فاستظل في ظل بغل وحله وضرب هلال بن علقمة الحبل الذي تحته رستم فقطع حباله ووقع عليه احد العدلين ولا يراه هلال ولا يشعر به فزال عن ظهره فقارا فراه هلال فضربه ضربة فتفتحت مسكا ومضى رستم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه واقتحمه هلال عليه واخذ برجليه ثم خرج به فضرب جبينه بالسيف حتى قتله ثم القاه بين ارجل البغال ثم صعد السرير وقال قتلت رستم ورب الكعبة الى الفاطم فوابه وكبروا فنفله سعدا سلبه ولم يظفر بقلنسوته ولو ظفر بها لكانت قيمتها مائة الف وقبل ان هلالا لما قصد رستم رماه رستم بمشابة اثبت قدمه بالركاب فحمل عليه هلال فضربه فقتله ثم احترق رأسه وعلقه ونادى قتلت رستم فانهزم قلب المشركين وقام الجالينوس على الردم (بالدال) ونادى الفرس الى العبور وكانوا انهمزيمة عليهم واما المقتربون فانهم جشعوا قتها فتهاوتوا في العتيق فوخزهم المسلمون برماحهم فاقلت منهم مخبروهم ثلاثون الفا واخذ ضرار بن الخطاب العلم الاكبر الذي كان للفرس فعوض منه ثلاثون الفا وكانت قيمته الف الف ومائتي الف وقتل من الفرس في المعركة عشرة آلاف سوى من قتلوا في الايام قبله وقتل من المسلمين قبل ليلة الهرير الفان وخمس مائة وقتل ليلة الهرير ويوم القادسية ستة آلاف وجمعت الاسلاب والاموال فجمع شئ لم يجمع قبله ولا بعده مثله وامر سعد التعقاع وشرحبيل باتباع المنهزمين حتى بلغا مقدار الحرارة من القادسية وخرج زهرة بن الحوية التميمي في آثارهم في ثلثمائة فارس ثم ادركه الناس فلحق المنهزمين والجالينوس يجمعهم فيقتله زهرة واخذ سلبه وقتلوا ما بين الحرارة الى السكينة الى النجف وعادوا من اثر المنهزمين ومعهم الاسرى فروى شاب من النخع وهو يسوق ثمانين رجلا أسير من الفرس واستكثر سلب الجالينوس فكتب فيه الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب عمر الى سعد تعمد الى مثل زهرة بن الحوية وقد صلى بمثل ما صلى به تفسد قلبه وقد بقي عليك من حربك ما بقي أمض له سلبه وفضلا على اصحابه عند عطائه بخمس مائة فلما تبع المسلمون الفرس كان الرجل يشير الى الفارس فيأتيه فيقتله وربما اخذ سلاحه فيقتله به وربما امر رجلين فيقتل احدهما صاحبه ولحق سلمان ابن ربيعة الباهلي وعبد الرحمن بن ربيعة بطائفة من الفرس قد نصبوا راية وقالوا لا نبرح حتى نموت فقتلهم سلمان ومن معه وكان قد ثبت بعد الهزيمة بضعة وثلاثون كتيبة من الفرس استنجحوا من الفرار فقصدهم بضعة وثلاثون من رؤساء المسلمين لكل كتيبة منها رئيس وكان قتال اهل الكتيائب من الفرس على وجهين منهم من هرب ومنهم من ثبت حتى قتل وكان ممن هرب من امراء الكتيائب الهرمزاني ثم تراجع الناس من طلب المنهزمين وقد قتل مؤذنه فنشاح

الخزارة موضع قرب الكوفة والسلي ماء الندي، في الغدران والنجف محرقة التل

المسلمون في الاذان حتى كادوا يقتتلون واقرع سعد بينهم فخرج سهم رجل فاذن وفضل اهل
البلاء من اهل القادسية عند العطاء بن خمسمائة وخمسمائة وهم خمسة وعشرون رجلا واما اهل
الايام قبلها فانهم فرض لهم على ثلاثة آلاف فضلوا على اهل القادسية فقبل لسعدوا لحقت بهم
اهل القادسية فقال لما كن لالحق بهم من لم يدركهم وقيل له لو فضلت من بعدت داره على
من قاتلهم بفنائهم قال كيف افضل عليهم وهم شجعن العدو وهل فعل المهاجرون بالا نصار
هذا وكانت العرب تتوقع وقعة العرب واهل فارس بالقادسية فيما بين العذيب الى عدن ابن
وفيمابين الابله واية يرون ان ثبات ملكهم وزواله بها وكانت في كل بلدة مصيخة اليها تنتظر
ما يكون من امرها فلما كانت وقعة القادسية سارت بها الجن فانت بها اناسا من الانس
فسبقت اخبار الانس وكتب سعد الى عمر بالفتح وبعده من قتلوا وبعده من اصيب من المسلمين
وسمى من يعرف مع سعد بن عيلة الفزاري وكان عمر يسأل الركبان من حين يصبح الى ان تصاف
النهار عن اهل القادسية ثم يرجع الى اهله ومنزله قال فلما اتى البشير سأله من اين فاجابه
قال يا عبد الله حدثني قال هزم الله المشركين وعمر يخب معه يسأله والاخر يخبره وهو يسير
على ناقته لا يعرفه حتى دخل المدينة واذا الناس يسلمون عليه بأمره المؤمنين قال البشير
هلا خبرتني رجلك الله الملك امير المؤمنين فقال عمر لا بأس عليك يا اخي واقام المسلمون بالقادسية
في انتظار قدوم البشير وامر عمر الناس ان يقوموا على اقباضهم ويصلحوا احوالهم ويتابع اليهم
اهل الشام ممن شهد اليرموك ودمشق بمدن لهم والصحيح ان وقعة القادسية كانت سنة
اربع عشرة كما تقدم وقيل كانت سنة خمس عشرة وقيل ست عشرة والله سبحانه وتعالى اعلم

ذكر الوقائع بعد فتح القادسية الى ان فتحت مدائن كسرى

لما فرغ سعد رضى الله عنه من امر القادسية اقام بها بعد الفتح شهرين وكتب عمر بن الخطاب
ارضى الله عنه فيما يفعل فكتب اليه عمر يأمره بالمسير الى المدائن وان يخلف النساء والعيال
بالتيق وان يجعل معهم جندا كشيئا وان يشركهم في كل مغنم ماداموا يخلفون المسلمين في عيالهم
ففعل ذلك وسار من القادسية لايام بقين من شوال فلما وصلت مقدمة المسلمين برس لقوا جندا
من الفرس فقاتلهم المسلمون فهزم الله الفرس وقتل المسلمون كثيرا منهم وانحاز المهزموون الى
بابل وكان بها كثير من جندهم وعليهم الفيرزان فقصدهم المسلمون فقاتلوهم وقتلوا كثيرا منهم
وهزموا الباقين فانطلقوا على وجوههم فسار الهرمزان نحو الاهواز فأخذ ما فيها من الاموال
لكسرى وسار الى نهاوند فأخذ ما فيها من الاموال كلها وكان بها كنوز لكسرى
وسار الخيرخان ومهران الرازي الى المدائن وقطعا الجسر فاقام سعد ببابل وارسل زهرة بن الحوية
الى نهر شير قبالة المدينة العتيقة من المدائن الغربية فقتلناه دهقان سابطا للصلح فأرسله الى سعد
فصالحه على تأدية الجزية فوصل سعد والمسلمون الى نهر شير ليحاصر المدائن فأرأوا الايو ان
من بعد فقال ضرار بن الخطاب الله اكبر ابيض كسرى هذا ما وعد الله ورسوله وكبر الناس معه
فكانوا اكما وصلت طائفة كبروا ثم نزأوا على المدينة محاصرين لها وكان نزولهم عليها في ذى الحجة
فحاصروها شهرين ونصبوا عليها عشرين منجنيقا ودنوا اليهم بالدبابات وارسل سعد الخيول

فأغار على من ليس له عهد فاصابوا مائة الف فلاح فارسل سعد الى عمر بالخبر فكتب له عمر ان من جاءكم من الفلاحين ممن لم يعينو عليكم فهو في امان ومن هرب فادركتموه فشا نكم به فخلى سعد عنهم وارسل الى الدهاقين ودعاهم الى الاسلام او الجزية ولهم الذمة فترجعوا فلم يبق غربي دجلة الى ارض العرب سوا دى الا آمن واغتبط بملك الاسلام واشتد الحصار بأهل المداين الغربية حتى اكلوا السنائير والكلاب وصبروا من شدة الحصار على امر عظيم فبينما هم محاصرونهم اذ اشرف عليهم رسول الملك فقال الملك يقول لكم هل لكم الى المصالحة على ان لنا ما يليك من دجلة الى جبلنا ولكم ما يليكم من دجلة الى جبلكم وما شيعتم لا اشبع الله بطونكم فقال له ابو مقرن الاسود مقالة انطقه الله بها ولا يدري ما قال لهم لاهو ولا من كان معه فرجع الرجل فقطعوا دجلة الى المداين الشرقية التي فيها الايوان فقال لا بى مقرن من كان معه ما قلت له فقال والذي بعث محمدا بالحق ما ادري وانا ارجو ان اكون نطقت بالذي هو خير وسأله سعد والناس عما قال فلم يعلم فنادى سعد في الناس فنهضوا اليهم فظهر عرو ليدبوا احد ولا خرج رجل الا رجل يساوى يطلب الامان فأمسوه فقال لهم ما بقي بالمداين من بكم فدخلوا فاجدوا فيها شيئا ولا احدا الا سارى وذلك الرجل فسأله لاي شيء هربوا فقال بعث الملك اليكم يعرض عليكم الصلح فأجبتوه انه لا يكون بيننا وبينكم صلح ابدا حتى تأكل عسل افر يدون بأثر ج كوثي فقال الملك يا ويلتان الملائكة تتكلم على السنتهم ترد علينا فساروا الى المدينة القصوى فدخل المسلمون المدينة الغربية وانزلهم سعد المنازل

ذكر فتح المداين التي فيها ايوان كسرى

لما دخل المسلمون المداين الغربية كان البحر بينهم وبين المداين الشرقية التي فيها الايوان وليس للمسلمين سفن يعبرون فيها ورأى سعد رؤيا ان خيول المسلمين اقتحمت دجلة فعبرت فعزم سعد أن يول الرؤيا فيجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان عدوكم قد اعتصم بهذا البحر فلا تخلصون اليهم معه ويخلصون اليكم اذا شئوا في سفنهم فيناوشونكم وليس وراءكم شيء تخافون ان تؤثروا منه وقد كفاكم اهل الايام وعطلوا ثغورهم وقد رأيت من الرؤيا ان تجاهدوا والعدو قبل ان تحصدكم الدنيا الا اني قد عزم على قطع هذا البحر اليهم فقالوا اجياعزم الله لنا ذلك على الرشدا ففعل فندب الناس الى العبور وقال من بدأ ويحصى لنا القراض (وهي فريضة) النهر ومن البحر محيط السفن) حتى تلاحق به الناس لكي لا يمنعوه من العبور فان دب له عاصم ابن عمرو وذوو البأس في ستمائه من اهل النجدات فاستعمل عليهم عاصما فبقدمهم عاصم في ستين فارسا وجعلهم على خيل ذكور واناث ليكون اساسا لسباحة الخيل ثم اقتحموا دجلة فلما رآهم الاعاجم وما صنعوا اخرجوا للخيل التي تقدمت مثلها فاقحموا عليها دجلة فلقوا عاصما وقد دنا من القراض فقال عاصم الرماح الرماح اشرعوا وتوخوا العيون فالتقوا فاطعنوا وتوخى المسلمون عيونهم فولوا ولحقهم المسلمون فقتلوا اكثرهم ومن نجا منهم صار اعور من الطعن وتلاقوا الستمائة بالستين غير متعبيين ولما رأى سعد عاصما على القراض قدمها اذن للناس في الاقتحام وقال قولوا نستعين بالله ونوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل

والله لينصرن الله وليه وليظهرن دينه وليهزم من عدوه ولا قوة الا بالله العلي العظيم وتلاحق
الناس في دجلة وانهم يتحدثون كما يتحدثون في البر وطبقوا دجلة حتى ما يرى من الشاطئ شئ
وكان الذي يسار سعدة سلمان الفارسي رضى الله عنهما فغابت بهم خيولهم وسعد يقول
حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه وليظهرن دينه وليهزم من عدوه ان لم يكن
في الجيش بغى او ذنوب تغلب الحسنات فقال له سلمان الاسلام جديد ذلات لهم البحور كما ذل لهم
البر اماو الذي نفس سلمان بيده يخرج من افواجا كما دخلوا فيه افواجا فخرجوا منه كما قال
سلمان لم يفقدوا شئ الا ان مالك بن عامر العنبري سقط منه قدح فذهبت به جرية الماء
فقال الذي يساره معيراله اصابه القدر فطاح فقال والله انى لعل حالة ما كان الله
ليسلبني قدحى من بين العسكر فلما عبروا القته الريح الى الشاطئ فتناوله بعض الناس
وعرفه صاحبه فأخذه صاحبه ولم يفرق منهم احد غير ان رجلا من بارق يدعى عرقمة
زال عن ظهر فرس له اشقر وكاد يغرق فثنى القعقاع عنان فرسه اليه فأخذه بيده فأخرجه
سالما وخرج الناس سالمين وخيلها تنفض اعرافها فلما رأى الفرس ذلك واتاهم امر لم يكن في
حسابهم خرجوا هاربين نحو حلوان وكان يزدرج قد قدم عياله الى حلوان قبل ذلك
وخلف مهران والنخير خان وكان على بيت المال بالنهر وان خرجوا معهم بما قدروا
عليه من الثياب والمتاع والآنية والفصوص والالطاف ما لا يدري قيمته وخلفوا
ما كانوا اعدوا للحصار من البقر والغنم والاطعمة وكان في بيت المال ثلاثة
آلاف الف الف ثلاث مرات اخذ منها رستم عند مسيره الى القادسية
النصف وبقي النصف ولما دخلوا المداين نزل سعد القصر الابيض وجاء جماعة من الفرس
وعقدوا دمة على تأدية الجزية وبعث سعد جماعة الى الاطراف من كل جهة يغيرون ويؤمنون
من اراد الامان واتخذ سعد ايوان كسرى مصلى ولم يغير ما فيها ولما دخل سعد الايوان قرأ
كم تركوا من جنات وعيون الى قوله قوما آخرين وصلى فيه صلاة الفتح ثمان ركعات ولم يكن
بالمدائن اعجب من عبور الماء وكان يدعى يوم الجراثيم لا يعيا احد الا اشغرت له جرتومة
من الارض يستريح عليها لما يبلغ الماء حزام فرسه

ذكر ما جمع من غنائم اهل المداين وقسمتها

اجتمع عند سعد بعد دخوله المداين من الغنائم والاموال ما لا يحصى ورأوا بالمداين قبايا مملوءة
سلا لا مخزومة برصاص فحسبوه طعاما فاذا فيه آنية الذهب والفضة وكان الرجل يطوف
ليبيع الذهب بالفضة ممتاثلين ورأوا كافورا كثيرا فحسبوه ملحاف عجنوا به فوجدوه مرا وادرك
الطلب مع زهرة جماعة من الفرس على جسر النهر وان فازدحوا عليه فوقع منهم بغل في الماء
فعجلوا وكبو اعليه فقال بعض المسلمين ان لهذا البغل لشأنا فجاءه المسلمون عليه حتى
اخذوه واذا هو محمل عليه حلبة كسرى ووشاحه ودرعه التي فيها الجوهر وكان يجلس
فيها للمباهاة ولحق الكلب بغلين معهما فارسا فقتلتهما واخذ البغلين فاذا عليهما سقطان فيهما
تاج كسرى مرصعا وعلى البغل الآخر سقطان فيهما ثياب كسرى التي كان يلبس من الديباج

المنسوج بالذهب المنظوم بالجواهر وغير الديباج منسوجا منظوما وادرك القبيح فارسيا
فقتله واخدمته عيبتين في احدهما خمسة اسيا وفي الاخرى ستة اسيا وأدراع منها
درع كسرى ومغافره ودرع هرقل ودرع خاقان ودرع ملك الترك ودرع النعمان ودرع داهر ملك
الهند استلبها الفرس ايام غزاهم خاقان وهرقل وداهر وايام هرب النعمان من كسرى وكذا
الاسيا فاحضر القعقاع الجميع عند سعد فخيره بين الاسيا فاختار سيف هرقل واعطاه
درع بهرام ونفل سائرهما الا سيف كسرى والنعمان بعث بهما الى عمر بن الخطاب لتسمع العرب
بذلك وبعثوا بتاج كسرى وحليته وثيابه الى عمر ليراه المسلمون وادرك عصمة بن خالد الضبي
رجلين معهما حارين فقتل احدهما وهرب الآخر واخذ الحمارين فاذا على احدهما سفيان
في احدهما فرس من ذهب بسرج من فضة وعلى ثغره ولباته الباقوت والزمرد المنظوم
على الفضة ولجام كذلك وفارس من فضة مكلل بالجواهر وفي الآخر ناقه من فضة عليها شليل
من ذهب وبطان من ذهب ولها زمام من ذهب وكل ذلك منظوم بالباقوت وعليها رجل من
ذهب مكلل بالجواهر كان كسرى يضعهما على اسطوانة التاج واقبل رجل بحق الى صاحب
الاقباض فقال هو والذي معه مارأينا مثل هذا ما يعدله ما عندنا ولا يقار به فقالوا اهل اخذت
منه شيئا فقال والله لولا الله ما اتيتكم به فقالوا من انت فقال والله لا اخبركم فتحمدوني
ولكن احدا لله وارضى بشوابه فأتبعوه رجلا فسأل عنه فاذا هو عامر بن عبد قيس وقال سعد
والله ان الجيش لذو أمانة ولولا ما سبق لاهل بدر لقلت انهم على فضل اهل بدر لقد تتبععت
منهم هذاة ما احسبها من هؤلاء وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما والله الذي لا اله الا هو
ما اطلعنا على احد من اهل القادسية انه يريد الدنيا مع الآخرة فلقد اتهمنا ثلاثة نفر فصارأينا
كأمانتهم وهم طليحة وعمر بن معدى كرب وقيس بن المكشوح وقال عمر رضى الله عنه لما قدم
عليه بسيف كسرى ومنطقته وز برجده ان قوما ادوا هذا لذو امانة فقال على رضى الله عنه
انك عفت فعت الرعية فلما جمعت الغنائم قسم سعد القى بين الناس بعد ما خسر
وكانوا ستين الفا فاصاب الفارس اثنا عشر الفا وكلهم كان فارسا ليس فيهم راجل ونقل
من الاخاس في اهل البلاء وقسم المنازل بين الناس واحضر العيالات فازلهم الدور فاقاموا
بالمداين حتى فرغوا من جلولا وحلوان وتكريت والموصل ثم تحولوا الى الكوفة وارسل
سعد من الخمس كل شئ اراد ان يعجب منه العرب وما كان يعجبهم ان يقس وكان من جملة
ما غنموه بساط كسرى ويقال له القطيف وهو من اعجب ما كان ملك الفرس وهو بساط واحد
طوله ستون ذراعا وعرضه ستون ذراعا كانت الاكاسرة تعد له لثاء اذا ذهبت الرياحين
شربوا عليه فكأنهم في رياض فيه طرق كالصور وفيه فصوص كالانهار ارضها مذهب
وخلاف ذلك فصوص كالدر وفي حافته كالارض المزروعة والارض المبقلة بالنبات
في الربيع والورق من الحرير على قضبان الذهب وزهره الذهب والفضة وثمره الجواهر
واشبه ذلك واراد سعد اخراج خمس القطيف فلم تعدل قسمته فقال للمسلمين هل تطيب انفسكم
على اربعة اخاسه فبعث به الى عمر يضعه حيث يشاء فانالازاه ينقسم وهو بيننا قليل وهو
يقع من اهل المدينة موقعا فقالوا نعم فبعث به الى عمر فلما قدم خمس الغنائم على عمر رضى الله عنه

قسمه في مواضعه ثم قال اشيروا على في هذا القطيف فن بين مشير بابقائه ذخيرة للملّة وآخر مفوض اليه فاشار على رضى الله عنه بقسمته بين المسلمين وقال ان تبقه على هذا اليوم لم تعدم في غد من يستحق به ما ليس له فقال صدقنى اذ نصحتنى فقطعه بينهم فاصاب عليا قطعة منه قال ابن الاثير فباعها بعشرين الفا وفي السيرة الحلبية بعشرين الف دينار وكان النبي صلى الله عليه وسلم قال لسراقة ابن مالك الكناني حين اراد التعرض للنبي صلى الله عليه وسلم وهو مهاجر الى المدينة كيف بك اذا لبست سوارى كسرى ومنطقته وتاجه فلما اتى بذلك كله لعمر بن الخطاب مع جلة ما اتى به من خمس الغنائم دعا سراقة بن مالك والبسه اياهما وكان سراقة رجلا زباى كثير شعر الساعدين فقال عمر ارفع يدك وقل الله اكبر الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز الذى كان يقول ان ارب الناس والبسهما سراقة رجلا اعرابيا من مدح ورفع عمر صوته ثم اركب سراقة وطيف به في المدينة اظهرا المعجزة النبي صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بذلك قبل وقوعه ولم يأخذ عمر رضى الله عنه شيئا من تلك الغنائم التى قسمها بين الناس وكان يقرأ قوله تعالى زين للناس حب الشهوات الآية ويقول اللهم انى لا طاف لنا ان نحب الا ما زينته فوفقنى ان انفق فى حقه وكان رضى الله عنه يبكى ويقول ان الله زوى الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه وفتحها الى فاخاف ان اكون مستدرجا وروى البخارى في صحيحه في كتاب الرقاق ان عمر رضى الله عنه قال اللهم انا لا نستطيع الا ان نفرح بما زينته لنا اللهم انى اسألك ان انفق فى حقه ورواه الدارقطني بأبسط من هذا فقال ان عمر بن الخطاب اتى بجال من الشرق يقال له نفل كسرى فامر به فصب وغطى ثم دعا الناس فاجتمعوا ثم امر به فكشف عنه فاذا هو حلى وجواهر ومتاع فيبكي عمر رضى الله عنه وجد الله عز وجل فقالوا له ما يبكيك يا امير المؤمنين هذه غنائم غنمها الله لنا ونزعها من اهلها فقال ما فتح الله من هذا على قوم الاسفكوا دمانهم واستحلوا حرمهم قال زيد بن اسلم فبقى من ذلك المال مناسيق وخواتم فرفع فقال عبد الله بن ارقم لعمر رضى الله عنه حتى متى تحبسه لا تقسمه فقال اذا رأيتنى فارغا فاذنى به فلما رآه فارغا بسط شيئا في حش نخله ثم جاء به في مكتل فصب فكانه استكثره ثم قال اللهم انت قلت زين للناس حب الشهوات فتلا الآية حتى فرغ منها ثم قال لا نستطيع الا ان نحب ما زينتنا ففنى شره وارزقنى ان انفق فى حقه فاقام حتى ما بقى منه شيء

✽ ذكر وقعة جلولا وفتح حلوان في سنة ست عشرة ايضا ✽

لما انتهى الفرس الى جلولا بعد الهرب من المداين احتفروا خندقا واجتمعوا على مهران الرازى وتقدم يز دجرد الى حلوان واحاطوا خندقهم بحسك الحديد الاطرقهم فبلغ ذلك سعدا فارسل الى عمر فكتب اليه عمر ان سرح هاشم بن عتبة الى جلولا واجعل على مقدمته القعقاع ابن عمرو وان هزم الله الفرس فاجعل القعقاع بين السواد والجبل وليكن الجند اثني عشر الفا فيهم وجوه المهاجرين والانصار واعلام العرب ففعل ذلك سعد وسار هاشم من المداين فرى بابل فصالحه دهقانها على ان يفرش له جريب الارض دراهم ففعل وصالحه ثم مضى حتى قدم جلولا فحاصره في خنادقهم واحاط بهم وطاولهم الفرس وجعلوا لا يخرجون الا اذا

ارادوا وزاحفهم المسلمون نحو ثمانين يوما كل ذلك ينصر المسلمون عليهم وجعلت الامداد ترد من يزدرج الى مهران وامن سعد المسلمين وخرجت الفرس وقد اختلفوا فاقتتلوا فارسل الله عليهم الريح حتى اظلت عليهم البلاد فتحاجزوا فسقط فرسانهم في الخندق فجعلوا فيه طرقا مما يليهم ليصعد منه خيلهم فافسدوا حصنهم وبلغ ذلك المسلمين فنهضوا اليهم وقتلوه قتلًا شديدًا لم يقتلوا مثله ولا ليلة الهرير الا انه كان اعجل وانتهى القعقاع ابن عمرو من الوجه الذي زحف فيه الى باب خندقهم فاخذ به وامر مناديا فتادى يامعشر المسلمين هذا اميركم قد دخل الخندق واخذ به فأقبلوا اليه ولا يمنعكم من بينكم وبينه من دخوله وانما امر بذلك ليقوى المسلمين فحملوا ولا يشكون بأن هاشما في الخندق فاذا هم بالقعقاع بن عمرو وقد اخذ به فانهزم المشركون عن المجال ينة ويسرة فهلكوا فيما اعدوا من الحسك ففقرت دوابهم وعادوا رجالة واتبعهم المسلمو فلم يفلت منهم الا القليل وقتل يومئذ منهم مائة الف فجالت القتلى المجال وما بين يديه وما خلفه فسميت جلولا بما جلها من قتلهم فهي جلولا الواقعة فسار القعقاع بن عمرو في الطلب حتى بلغ خانقين ولما بلغت الهزيمة يزدرج سار من حلوان نحو الرى وقدم القعقاع حلوان فنزلها في جند ولما سار يزدرج من حلوان استخلف عليها خسرسنوم وكان الزبيبي دهقان حلوان فلما قرب القعقاع من حلوان خرج عليه خسرسنوم والزبيبي بن معهما فقتل الزبيبي وهرب خسرسنوم واستولى المسلمون على حلوان وبقي القعقاع بها الى ان تحول سعد الى الكوفة فلحقه القعقاع واستخلف على حلوان قباذ وكان اصله خراسانيا وكتبوا الى ع بالفتح وبزول القعقاع حلوان واستأذنه في اتباعهم فابى وقال لو ددت ان بين السواد وبين الجبل سدا لا يخلصون النيا ولا يخلص اليهم حسينا من الريف السواد اني ائرت سلامة المسلمين على الانقال وادرك القعقاع في اتباعه الفرس مهران بخانقين فقتله وادرك القيرزان فزله وتوغل في الجبل فتحامى واصاب القعقاع سبايا فارس لهم الى هاشم فقسمهم فانخذل سرارى فولد بن وعمن ينسب الى ذلك السبي ام الشعبي وقسمت الغنيمة واصاب كل واحد من القوارس تسعة آلاف وتسعة من الدواب وقيل ان الغنيمة كانت ثلاثين ألف ألف وبعث سعد الاخماس الى عمر رضى الله عنه بعد ان قسم الاربعة الاخماس على الغامقين فلما قدم الحس على عمر رضى الله عنه قال والله لا يجنه سقف حتى اقسمه فبات عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن الارقم يحرقان في المسجد فلما أصبح جاء في الناس فكشف عنه فلما نظر الى ياقوته وزجر جده وجواهره بنى فقال له عبد الرحمن بن عوف ما يبكيك يا امير المؤمنين فوالله ان هذا الموطن شكر فقال عمر والله ما ذلك يبكينى وبالله ما اعطا الله هذا قوما الاتحاسدوا وتباغضوا ولا تحاسدوا الا الى الله بأسهم بينهم ومنع عمر من قسمة السواد لتعذر ذلك بسبب الآجام والغياض وتبعيض المياه وما كان لبيوت النار وسكك البرد وما كان لكسرى ومن جاء معه وما كان لمن قتل وخاف ايضا الفتنة بين المسلمين فلم يقسمه ومنع من بيعه لانه لم يقسموا قروها حبيسا يولونها من أجمعوا عليه بالرضا وكانوا لا يجمعون الا على الامراء فلا يحل بيع شئ من ارض السواد ما بين حلوان والقادسية واشترى جرير أرضا على شاطئ الفرات فرد عمر ذلك الشراء وكرهه

ذكر انخاذ البصرة والكوفة مصرًا من الامصار

اختلف في السنة التي اتخذت البصرة فيها مصرا فقبل سنة ست عشرة بعد فتح
جلولا ارسل سعد عتبة بن غزوان رضى الله عنه بأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه
فانخذها مصرا وخرج عليه اهل الابله فقاتلهم عتبة فهزمهم واجتمع اهل
دستيسان فقاتلهم عتبة فهزمهم واخذ مرز بانها اسيرا وكان من سبي ميسان بسار
ابو الحسن البصرى وارطبان جد عبدالله بن عون بن ارطبان وقيل ان اتخذ عتبة البصرة
مصرا كان في سنة اربع عشرة وقيل خمس عشرة واما الكوفة فانخذها سعد مصرا سنة
خمس عشرة دلهم على موضعها ابن بقليلة قال لسعد الا ادلك على ارض الله ارتفعت
عن القبة وانحدرت عن الفلاة فدلته على موضعها فتحول سعد من المداين اليها وسبب
ذلك ان العرب استوخت المداين وبعث سعد اناسا يستطيعون لهم ارضا يزلونها
فاستطابوا الكوفة وهواها فتحول اليها سعد ومن معه سنة سبع عشرة

ذكر فتح تكرت والموصل في سنة ست عشرة ايضا

كان ذلك بعد فتح جلولا وسبب ذلك ان الانطاق سار من الموصل الى تكرت وخذق
عليه لخمى ارضه ومعه الروم وايد وتغلب والنمر والشهارجة فبلغ ذلك سعدا فكتب
الى عمر فكتب اليه عمر ان سرح اليه عبدالله بن المعتم واستعمل على مقدمته ربيعى ابن الافكل
وعلى الخيل عرجة بن هرثة فسار عبدالله الى تكرت ونزل على الانطاق فحصره ومن
معه اربعين يوما فتراحفوا اربعة وعشرين زحفا وارسل عبدالله بن المعتم الى العرب الذين
مع الانطاق يدعوه الى نصرته وكانوا لا يخفون عليه شيئا ولما رأت الروم المسلمين ظاهرين
بهم تركوا امراءهم ونقلوا متاعهم الى السفن فارسلت تغلب وايد والنمر الى عبد الله بالخبر
بالوه الامان واعلموه انهم معه فارسل اليهم ان كنتم صادقين فاسلموا فاجابوه واسلموا
رسل اليهم عبدالله اذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا انا اخذنا ابواب الخندق فخذوا الابواب التي
الى دجلة وكبروا واقتلوا من قدرتم عليه ونهد عبدالله والمسلمون وكبروا وكبرت تغلب
وايد والنمر واخذوا الابواب فظن الروم ان المسلمين قد اتوهم من خلفهم مما يلى دجلة
فقصدوا الابواب التي عليها المسلمون واخذتهم سيوف المسلمين وسيوف الربيعين الذين اسلموا
تلك الليلة فلم يفلت من اهل الخندق الا من اسلم من تغلب وايد والنمر وارسل عبدالله بن
المعتم ربيعى بن الافكل الى الحصنين نينوى والموصل وقال اسبق الخبر وسرح معه تغلب
وايد والنمر فقدمهم ابن الافكل الى الحصنين فسبقوا الخبر واظهروا الظفر والغنية وبشروهم
ووقفوا بالابواب واقبل ابن الافكل فاقتم عليهم الحصنين وكتبوا ابوابهم فنادوا بالاجابة
الى الصلح وصاروا ذمة وقسموا الغنية فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف درهم وسهم الراحل
الف درهم وبعثوا بالاخاس الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وولى حرب الموصل ربيعى
ابن الافكل والخراج عرجة بن هرثة ثم فتحت بقية اعمال الموصل وجبى معاقل الاكراد
وصار الجميع للمسلمين

ذكر فتح ماسبذان في سنة ست عشرة ايضا

لما انقضى فتح جلولا بلغ سعدا ان آذين بن هرمز ان قد جمع جمعا وخرج بهم الى السهل

فارس اليهم ضرار بن الخطاب في جيش فالتقوا بسهل ماسبذان فاقتتلوا فاسرع المسلمون القتل في المشركين واخذ ضرار آذين اسيرا فضرب رقبته ثم خرج في الطلب حتى انتهى الى السيروان فاخذ ماسبذان عنوة فهرب اهلها في الجبال فدجأهم فاستجابوا له و اقام بها حتى تحول سعد الى الكوفة فارس اليه فنزل الكوفة واستخلف على ماسبذان ابن الهذيل الاسدي فكانت احد فروج الكوفة

✽ ذكر فتح قرقيسا في سنة ست عشرة ايضا ✽

لما انقضى ايضا فتح جلولا ارسل سعد عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف في جند نحو هيت فنزل من بها وقد خندقوا عليهم فلما رأى اعتصامهم بخندقهم ترك الاخبية على حالها وخلف عليهم الحارث بن يزيد يحاصرهم وخرج في نصف الناس فجاء قرقيسا على غرة فاخذها عنوة فاجابوا الى الجزية ثم ان الحارث بن يزيد راسل اهل هيت فاجابوا الى الجزية وكانت ثغور الكوفة اربعة حلوان وعليها القعقاع وما سبذان وعليها ضرار ابن الخطاب وقرقيسا وعليها عمر بن مالك والموصل وعليها عبد الله بن المعتم وكان بها خلفاؤهم اذا غابوا عنها.

✽ ذكر غزوة فارس من البحرين في سنة سبع عشرة ✽

لما كان العلاء بن الحضرمي على البحرين في خلافة ابي بكر ثم في خلافة عمر رضى الله عنهم نذب الناس لغزو فارس في البحر وقد كان عمرنها عن الغزو في البحر خوف الفرق فخالفه وندب الناس الى قتال فارس فاجابوه ففرقهم اجنادا على احدها الجارور بن المعلى وعلى الآخر سوار بن همام وعلى الآخر خليل بن المنذر بن ساوى وخليد على جميع الناس وحملهم في البحر الى فارس بغير اذن عمر فعبثت الجنود من البحرين الى فارس فخرجوا الى اصطخر و بازائهم اهل فارس وعليهم الهر بن فقاتلوهم قتالا شديدا فكان يدعى طاوس فقتل سوار والجارود وقتل من اهل فارس مقتلة عظيمة ثم اراد المسلمون الرجوع الى البصرة فلم يجدوا الى الرجوع سبيلا واخذت الفرس منهم طرقهم فعسكروا وانتعوا ولما بلغ عمر رضى الله عنه صنع العلاء ارسل الى عتبة بن غزوان يأمره بأنفاذ جند كفيف الى المسلمين بفارس قبل ان يهلكوا وقال فاني اتى في روعي كذا وكذا نحو الذي كان فارسـل عتبة جيشا كشيفا اثني عشر الفا مقاتلا وعليهم ابوسبرة بن ابي رهم احد بنى عامر بن لؤي فسار بالناس على الساحل لايعرض له احد حتى التقي ابوسبرة وخليد وكان اهل اصطخر حيث اخذوا الطريق على المسلمين جمعوا اهل فارس اليهم من كل وجهة فالتقوا هم وابوسبرة بعد طاوس وقد توافقت الى المسلمين امدادهم فاقتتلوا ففتح الله على المسلمين وقتل المشركين واصاب المسلمون منهم ماشاؤا وهي الغزوة التي شرفت بها بآبسة البصرة وكانوا افضل نوابت الا مضارثم انكفوا بما اصابوا فرجعوا الى البصرة سالمين

✽ ذكر الخبر عن فتح الاهواز ومانذر ونهر تيرى ✽

في سنة سبع عشرة فتحت الاهواز ومانذر ونهر تيرى وقيل سنة عشرين وكان السبب في

هذا الفتح انه لما انهزم الهرمزان يوم القادسية وهو احد البيوتات السبعة في اهل فارس
 قصد خورستان فلكها وقاتل بها من ارادهم فكان الهرمزان يغير على اهل ميسان ودستيسان
 من مناذر ونهرتيري فاستمد عتبة بن غزوان سعدة فامده بجيوش والتقوا هم والهرمزان
 بين نهرتيري وبين دلب وتوجه بعض جيوشهم لاختذ مناذر ونهرتيري فبينما الهرمزان
 يقاتل الذين التقى معهم جاءه الخبر بأخذ مناذر ونهرتيري فكسر ذلك قلب الهرمزان
 ومن معه فهزمه الله واياهم وقتل المسلمون منهم ماشاؤا واصابوا ماشاؤا واتبعوهم حتى
 وقفوا على شاطئ دجيل واخذوا مادونه وعسكروا بحيال سوق الاهواز وعبر الهرمزان
 جسر سوق الاهواز واقام وصار دجيل بين الهرمزان والمسلمين فلما رأى الهرمزان ما لا
 طاقة له به طلب الصلح فاستأمروا عتبة فاجاب الى ذلك على الاهواز كلها ما خلا نهرتيري
 ومناذر وما غلب المسلمون عليه من سوق الاهواز فانه لا يرد عليهم ثم وقع اختلاف بين
 المسلمين والهرمزان في حدود الارض فحاربهم الهرمزان ومنع ماقبله واستعان بالاكراذ
 فكتب عتبة بذلك الى عمر فكتب اليه عمر يأمره بقصده وامده بمجندين فالتقوا مع الهرمزان
 عند جسر سوق الاهواز بمابلي السوق فانهزم الهرمزان وسار الى راهرمز وفتح المسلمون
 سوق الاهواز واتسعت لهم البلاد الى تستر ثم لم يزل القتال بينهم وبين الهرمزان الى ان
 طلب الصلح فاجاب عمر الى ذلك وان يكون ما اخذه المسلمون بأيديهم واصطلحوا على ذلك
 واقام الهرمزان والمسلمون بمنعونه اذا قصده الاكراذ ويحبي اليهم

ذكر فتح راهرمز وتستر واسر الهرمزان

كان فتح راهرمز وتستر والسوس في سنة سبع عشرة وكان سبب فتحها ان يزدجرد لم يزل
 وهو مجروح يثير اهل فارس أسفا على ما خرج من ملكهم فتحرکوا وتكاتبوا هم واهل الاهواز
 وتعاهدوا على النصر فكتب الامراء بذلك الى سعد فكتب الى عمر فكتب اليه عمر ان ابعث
 الى الاهواز جندا كشيفا مع النعمان ابن مقرن وعجل وليثروا بازاء الهرمزان ويتحققوا امره
 وكتب الى ابي موسى الاشعري وكان على البصرة ان ابعث الى الاهواز جندا كشيفا وأمر
 عليهم سعد بن عدي الخاسمبل وابعث معه البراء بن مالك ومجزة بن ثور وعرجة بن هرثمة
 وغيرهم وعلى اهل الكوفة والبصرة جميعا بوسيلة بن ابي رهم فخرج النعمان بن مقرن في
 اهل الكوفة فسار الى الاهواز وسار نحو الهرمزان وهو براهمرمز فلما سمع الهرمزان
 بمسير النعمان اليه بادره بالشدة ورجا أن يقتطفه ومعه اهل فارس فالتقى النعمان والهرمزان
 باربك فاقتتلوا قتالا شديدا ثم ان الله عز وجل هزم الهرمزان فترك راهرمز ولحق بتستر
 وسار النعمان الى راهرمز ونزلها وصعد الى ايدج فصالحه تيرويه على ايدج ورجع الى
 راهرمز فاقام بها ووصل اهل البصرة فنزلوا سوق الاهواز وهم يريدون راهرمز
 فاتهم خبر الواقعة وهم بسوق الاهواز واتاهم الخبر ان الهرمزان نزل بتستر فساروا نحوه
 وسار ايضا النعمان وغيره من الامراء فاجتمعوا على تستروا بهم الهرمزان وجنوده من اهل فارس
 والجبيل والاهواز وعليهم الخنادق وامدعهم المسلمين ايضا بأبي موسى وجعله على اهل

البصرة وعلى الجميع ابوسبرة فحاصروهم اشهرا واكثروا فيهم القتل وزاحفهم المشركون
ايام تستر ثمانين زحفا يكون لهم مرة وعليهم مرة فلما كان في آخر زحف منها واشتد القتال قال المسلمون
للبراء بن مالك وهو اخوانس بن مالك رضى الله عنهما يابراء اقسم على ربك ليهزمهمم وكان
مجاب الدعوة فقال اللهم اهزمهم لنا واستشهدني ففهمهم حتى ادخلوهم خنادقهم ثم اقتحموها
عليهم ثم دخلوا مدينتهم واحاط بها المسلمون فبينما هم على ذلك وقضاقت المدينة بهم وطالت
حربهم خرج رجل الى النعمان يستأمنه على أن يده على مدخل يدخلون منه ورمى في ناحية
ابى موسى بسهم ان امنتموني دلتكم على مكان تأتون المدينة منه فأمنوه في نشابة فرمى
اليهم بأخرى وقال انهذوا من قبل مخرج الماء فانكم تقتحمونها فندب الناس اليه فاندب له عامر
ابن عبد قيس وبشر كثير ونهذوا لذلك المكان ليلا وقد ندب النعمان اصحابه ليسيروا مع
الرجل الذى يدلهم على المدخل الى المدينة فاندب له بشر كثير فالتقوا هم واهل البصرة على
ذلك المخرج فدخلوا في السرب والناس من خارج فلما دخلوا المدينة كبروا فيها وكبر
المسلمون من خارج وفتحت الابواب فاجتلدوا فيها فأناموا اكل مقاتل وقصد الهرمزان القلعة
فتحصن بها واطاف به الذين دخلوا فنزل اليهم على حكم عمر فاوثقوه واقتسموا ما افاء الله عليهم
فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف وسهم الرجل الفا وجاء صاحب الرمية والرجل الذى خرج
بنفسه فامنوهما ومن اعلق بابه معهما وقتل من المسلمين بشر كثير ومن قتله الهرمزان بنفسه
مجزاة ابن ثور والبراء بن مالك وخرج ابوسبرة بنفسه في اثر المنهزمين الى السوس ونزل عليها
ومعه النعمان ابن مقرن وابو موسى وكتبوا الى عمر فكتب الى ابى موسى يرده الى البصرة فانصرف
اليها من على السوس وسار زر بن عبد الله اللقيمي الى جنديسابور فنزل اليها وارسل ابوسبرة
وفدا الى عمر ابن الخطاب فيهم انس بن مالك والاحنف بن قيس ومعهم الهرمزان فقدموا اليه
المدينة والبسوه كسوته من الديباج الذى فيه الذهب وتاجه وكان مكللا بالياقوت والبسوه
حليته ليراهم والمسلمون فطلبوا عمر فلم يجدوه فسألوا عنه فقبل جلس في المسجد لو قدم الكوفة
فوجدوه في المسجد متوسدا برنسه وكان قد لبسه لا وفد فلما قاموا عنه توسده ونام فجلسوا
دونه وهو نائم والدرة في يده فقال الهرمزان اين عمر قالوا هوذا فقال اين حرسه
وحجابه قالوا ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب قال فينبغي ان يكون نديا قالوا بل يعمل بعمل
الانبياء فاستيقظ عمر يجلبسة الناس فاستوى جالسا ثم نظر الى الهرمزان فقال الهرمزان
قالوانم فقال الحمد لله الذى اذل بالاسلام هذا وغيره اشباهه فامر بيزع ماعليه فزعهوه
والبسوه ثوبا صفيقا فقال له عمر يا هرمان كيف رأيت عاقبة الغدر وعاقبة امر الله فقال
يا عمر انا واياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم فلما كان الآن معكم غلبتمونا
ثم قال له ما جئتكم وما عذر ك في انتقاصك مرة بعد اخرى فقال اخاف ان تقتلنى
قبل ان اخبرك قال لا تخف ذلك واستسقى ماء فأتى به في قدح غليظ فقال لومت عطشا لم استطع
ان اشرب في مثل هذا فأتى به في اناء ير ضاه فقال انى اخاف ان اقتل وانا اشرب فقال عمر لا بأس
عليك حتى تشرب به فاكفاه فقال عمر اعيدوا عليه ولا تجمعوا بين القتل والعطش فقال
لا حاجة لى في الماء انما اردت ان استأمن به فقال له عمر انى قاتلك فقال قد امنتمنى فقال كذبت

قال انس صدق يا امير المؤمنين قد امنت له قال عمر يا انس انا اؤمن قاتل مجزاة بن ثور والبراء بن مالك والله لتأتين بمخرج اولاء قبلك قال انك يا امير المؤمنين قلت له لا بأس عليك حتى نخبر في ولا بأس عليك حتى تشر به وقال لعمر من حوله مثل ما قال انس فاقبل على الهرمزان وقال خذ عني والله لا نخدع الا ان تسلم فاسلم ففرض له فبين فرض لهم الغين وا نزله المدينة وكان المترجم بينهما المغيرة بن شعبه لانه كان يفقه بالفارسية الى ان جاء المترجم

ذكر فتح السوس

لما نزل ابوسبرة على السوس كان بها شهر يار اخو الهرمزان فاحاط المسلمون بها وناوشوهم القتال مرات وحاصروهم ثم افتحموا الباب ودخلوا عليهم فالتقوا المشركون بابلديهم ونادوا الصلح الصلح فاجابهم الى ذلك المسلمون بعد ما دخلوها عنوة واقتحموا ما اصابوا وقيل في فتح السوس ان يزجرجردسار بعد وقعة جلولا فنزل اصطخر ومعه سياه في سبعين من عظماء الفرس فوجهه الى السوس والهرمزان الى تستر ونزل سياه بين راهرمز وتستر ودعا من معه من عظماء الفرس وقال لهم قد علمتم انا كننا نتحدث ان هؤلاء القوم سيغلبون على هذه المملكة وتروث دوابهم في ايوانات اصطخر ويشدون خيولهم في شجرها وقد غلبوا على مارأيتهم فانظروا الانفسكم فقالوا رأينا رأيك قال ارى ان تدخلوا في دينهم ووجهوا شرويه في عشرة من الاساورة الى ابي موسى فشرط عليهم ان يقاتلوا معه العجم ولا يقاتلوا العرب وان قاتلهم احد من العرب منهم ومنهم وينزلوا حيث شاؤوا ويلحقوا بأشرف العطاء ويعقد لهم ذلك عمر على ان يسلموا فاعطاهم عمر ما سألوا فاسلموا وشهدوا مع المسلمين حصار تستر ومضى سياه الى حصن قد حاصره المسلمون في زى العجم فالتقا نفسه الى جانب الحصن نضح ثيابه بالدم فراه اهل الحصن صريعا فظنوه رجلا منهم ففتحوا له باب الحصن ليدخلوه اليهم فوثب وقاتلهم حتى خلوا عن الحصن وهربوا فملكه

ذكر مصالحة جند يسابور

ثم سار بعض المسلمين عن السوس فنزل بجند يسابور ووزر بن عبد الله محاصره فاقاموا عليها يقا تلونهم فرمى الى من بها من عسكر المسلمين بالامان فلم يفجاء المسلمين الا وقد فتحت ابوابها واخرجوا اسواقهم فسألهم المسلمون فقالوا رميتم لنا بالامان فقبلناه وقررنا بالجزية فقال المسلمون ما فعلنا وسأل المسلمون بعضهم من فعل ذلك فاذا هو عبيد يعنى مكشفا كان اصله منها فعل هذا فقالوا هو عبيد فقال اهلها لانعرف العبد من الحر وقد قبلنا الجزية وما بد لنا فان شئتم فاغدروا فكتبوا الى عمر فاجاز ما نههم فامنواهم وانصرفوا عنهم

ذكر مسير المسلمين الى كرمان وغيرها

قيل في سنة سبع عشرة اذن عمر للمسلمين في الانسياب في بلاد فارس وانتهى في ذلك الى رأى الاحنف ابن قيس حيث قاله يا امير المؤمنين نهيتنا عن الانسياب في البلاد وان فارس لا يزالون يقاتلوننا مادام ملكهم فيهم فلا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا في الانسياب فنسيح في بلادهم

وزيل ملكهم فهناك يقطع رجاء اهل فارس فقال عمر صدقتني والله وأذن في الانسياب
فامر ابا موسى ان يسير من البصرة الى منقطع ذمة البصرة فيكون هناك حتى يأتيه امره
وبعث بالوبة من ولى مع سهيل بن عدى فدفع لواء خراسان الى الاخنف بن قيس ولواء ازدشير
وسابور الى مجاشع بن مسعود السلي ولواء اصطخر الى عثمان بن ابي العاص الثقفي ولواء فسا
ودارا يجرى الى سارية بن زعيم الكنسائي ولواء كرمان الى سهيل بن عدى ولواء سجستان
الى عاصم بن عمرو ولواء مكران الى الحكم بن عمير التغلبي فخرجوا ولم يتهيا مسيرهم في ذلك الوقت
وأمدهم بنفر من اهل الكوفة وسبأنى الكلام على تفصيل ذلك

ذكر وقعة نهاوند

قيل انها كانت سنة ثمان عشرة وقبل سنة تسع عشرة وقيل سنة احدى وعشرين
وكان الذي هيج امر نهاوند ان المسلمين لما خلاصوا من جند العلاء من بلاد فارس وفتحوا الاثوار
كأنت الفرس ملكهم وهو بروجركوه وكاتب الملوك بين الباب والسند وخراسان وحلوان
فتحركوا وتكاتبوا واجتمعوا الى نهاوند ولما وصلوا اهلهم بلغ سعدا الخبر فكتب الى عمر
وثار بسعد قوم سعوابه ولعمصوا عليه ولم يشغلهم منازل بالناس وكان جماعة خالفوا سعدا
وصاروا يشكون منه فمن تحرك في امره الجراح بن سنان الاسدي في نفر فقال لهم عمر والله
ما يمنعني منازل بكم من النظر فيما لديكم فبعث عمر محمد بن مسلمة والناس في الاستعداد للفرس
وكان محمد بن مسلمة صاحب العمال يقتص آثار من شكى زمان عمر فطاف بسعد على اهل الكوفة
يسأل عنه فاسأل عنه جماعة الاثنوا عليه خيرا سوى من مالا الجراح الاسدي فانهم سكتوا
ولم يقولوا سؤالا ولا يسوغ لهم حتى انتهوا الى بنى عباس فسألهم فقال اسامة بن قتادة
اللهم انه لا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية ولا يغزو في السرية فقال سعد اللهم ان كان قالهم رياء
وكذبا وسمعة فأعم بصره وأكثر عياله وعرضه لمضلات الفتن فعمى واجتمع عنده عشرينات
وكان يسمع بالمرأة فيأتيها حتى يحبسها فاذا عير عليها قال دعوة سعد الرجل المبارك
ثم دعا سعد على اولئك نفر فقال اللهم ان كانوا خرجوا اشرا وبطرا ورياء فاجهد بلادهم
فجهدوا وقطع الجراح بن سنان بالسيوف يوم بادر الحسن بن علي رضي الله عنهما ليعتاله بساباط
وشذخ قبضة بالحجارة وقتل اربد بالوحى ونعال السيوف وكان سعد رضي الله عنه
مجاب الدعوة لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له بذلك وكان من العشرة المبشرين
بالجنة ومن السابقين للاسلام ومن اخوال النبي صلى الله عليه وسلم وهو اول رجل
رحى بسهم في سبيل الله واول رجل اهرق دما من المشركين في سبيل الله وجع له النبي
صلى الله عليه وسلم ابويه فقال فذاك ابي وامى ثم ان محمد بن مسلمة رجع المدينة
بسعد وبالقوم الذين شكوا منه فقدموا على عمر فاخبروه الخبر فقال كيف تصلى يا سعد
قال اطيل الاولين واخف الاخرين فقال هكذا الظن بك يا ابا اسحاق ولولا الاحتياط
لكان سبيلهم بينا فاراد عمر رضي الله عنه الاحتياط وقطع النزاع لئلا يطول الشر
وينسح الامر فقال من خلفتك يا سعد على الكوفة فقال عبدالله بن عبدالله بن عتبة بن أقره

وامر سعد بالبقاء معه في المدينة ولما طعن عمر رضى الله عنه جعله من الستة اصحاب الشورى الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وقال ان تولوا سعدا فأهل هو والا فليستعن به الوالى فانى لم اعزله عن ضعف ولا خيانة هكذا كان سبب نهاوند فابتداء البعث كان في زمن سعد واما الواقعة فهي في زمان عبد الله بن عبد الله بن عتيان فنشرت الاعاجم بكتاب يزجر دفا جتمعوا بنهاوند على الفيرزان في حسين القا ومائة الف مقاتل وكان سعد كتب الى عمر بالخبر ثم شافه به لما قدم عليه وقال له ان اهل الكوفة يستأذنونك في الانسياح وأن يبدؤهم بالشدة ليكون اهيب لهم على عدوهم فجمع عمر الناس واستشارهم وقال لهم هذا يوم له ما بعده وقد هممت ان اسير فيمن قبللى ومن قدرت عليه فانزل منزلا وسطابين هذين المصرين ثم استنفرهم واكون لهم رداً حتى يفتح الله عليهم او يقضى ما احب فان فتح الله عليهم صديبتهم في بلدانهم فقال طلحة بن عبيد الله يا امير المؤمنين قد احكمتك الامور وعجمتك البلابل واحكمتك التجارب وانت وشأناك ورأيتك لا يذو في يدك ولا يكل عليك اليك هذا الامر فمرنا نطع وادعنا نجب واجلنا نركب وقدنا نشق فأنك ولى هذا الامر وقد بلوت وجربت واحتربت فلم ينكشف شئ من عواقب قضاء الله لك الا عن خيارهم ثم جلس فعاد عمر فقام عثمان فقال ارى يا امير المؤمنين ان تكتب الى اهل الشام فيسيروا من شامهم والى اهل اليمن فيسيروا من يمنهم ثم تسير انت بأهل الحرمين الى الكوفة والبصرة فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين فأنك اذا سرت قل عندك ما قد تكأثر من عدد القوم وكنت اعز غزاه واكثر يا امير المؤمنين انك لا تستبقى بعد نفسك من العرب باقية ولا تمتع من الدنيا بيزيز ولا تلوذ منها بحريز ان هذا يوم له ما بعده من الايام فاشهده برأيك واعوانك ولا تغب عنه وجلس فعاد عمر فقام على بن ابي طالب فقال اما بعد يا امير المؤمنين فأنك ان اشخصت اهل الشام من شامهم سارت الروم الى ذرارهم وان اشخصت اهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة الى ذرارهم وانك ان اشخصت من هذه الارض اشخصت عليك العرب من اطرافها واقطارها حتى يكون ما تدع وراءك اهم اليك مما بين يديك من العورات والعيال اقرره هؤلاء في امصارهم واكتب الى اهل البصرة فليتفرقوا ثلاث فرق فرقة في حرمهم وذرارهم وفرقة في اهل عهدهم حتى لا يبتعضوا ولتسر فرقة الى اخوانهم بالكوفة مددا لهم ان الاعاجم ان ينظروا اليك غدا قالوا هذا امير العرب واصلها فكان ذلك اشد لك بهم عليك واماماً ذكرت من مسير القوم فان الله هو اكره لمسيرهم منك وهو اقدر على تغيير ما يكره واما عددهم فان لم تكن نقا تل فيما مضى بالكثرة ولكن بالنصر فقال عمر هذا هو الراى كنت احب ان اتابع عليه فأشيروا على رجل اوليه ذلك الثغر وليكن عراقيا فقالوا انت اعلم بجندك وقد وفدوا عليك فقال والله لا أولين رجلا يكون اول الأُسنة اذ القيا غدا فقل من هو فقال النعمان بن مقرن الزنى فقالوا هولاء وكان النعمان يومئذ معه جمع من اهل الكوفة قد اقتحموا جند سابور والسوس فكتب اليه عمر يأمره بالمسير الى ما له لتجتمع الجيوش عليه فاذا اجتمعوا اليه سار بهم الى الفيرزان ومن معه وكتب عمر الى عبد الله بن عبد الله بن عتيان ليستنفر الناس مع النعمان ويجمعوا عليه بماه فنسب الناس فكان اسرعهم الى ذلك الرواد ايلوا في الدين

وليدركوا حظا فخرج الناس وعليهم حذيفة بن اليمان ومعه نعيم بن مقرن اخوج
 النعمان بن مقرن حتى قدموا على النعمان وكتب عمر الى الجند الذين كانوا بالاهواز
 ليشغلوا فارسا عن المسلمين وعليهم القرب وحرمة وزرقاموا بتخوم اصهبانير
 وفارس وقطعوا امداد فارس عن اهل نهاوند واجتمع الناس على النعمان وفيهم حذيفة
 ابن اليمان وعبد الله بن عمرو وجريز بن عبد الله البجلي والمغيرة بن شعبة وغيرهم فارسل النعمان
 طليحة بن خويلد الاسدي وعمرو بن معد كرب وعمرو بن ثني وهو ابن ابي سلمى ليأتوه بخبر القوت
 فخرجوا وساروا يوما الى الليل فرجع اليه عمرو بن ثني فقالوا ما رجعتك فقال لم اكن
 في ارض العجم وقتلت ارض جاهلها وقتل ارضا عالمها ومضى طليحة وعمرو بن معدى كرب
 فلما كان آخر الليل رجع عمرو فقالوا ما رجعتك قال سرنا يوما وابيلة ولم نر شيئا فرجعت
 ومضى طليحة حتى انتهى الى نهاوند وبين موضع المسلمين الذين هم به ونهاوند بضعة وتحشرون
 فرسنا فقال الناس ارتد طليحة الثانية فلم كلام القوم ورجع فلما رآوه كبروا فقال ماشا نكم فاعلموا
 بالذي خافوا عليه فقال والله لو لم يكن دين الا العربي ما كنت لا حرز العجم الطماطم هذه العرب
 العادية فاعلم النعمان انه ليس بينهم وبين نهاوند شيء يكرهه ولا احد في
 وعبي اصحابه وهم ثلاثون الفا فجعل على مقدمته اخاه نعيم بن مقرن وعمر بن حذيفة بن اليمان
 وسويد بن مقرن وعلى المجردة القعقاع بن عمرو وعلى الساقة مجاشع بن مسعود ونحو ذلك اليه اقدم
 المدينة فيهم المغيرة بن شعبة فأتوها الى اسيد هذا والفرس وقوف على تعبيتهم واميرهم
 الفيرزان وعلى مجنبيه الزردق ويهمن جاذويه الذي جعل مكان ذى الحجابة
 وقد توفي اليهم الامداد بنهاوند كل من غاب عن القادسية ليسوا بدونهم فلما رآهم النعمان
 كبروا كبر معه الناس فترازلت الأعاجم وحطت العرب الاثقال وضرب فسطاط العمادة
 فابتدأ اشرف الكوفة فضرربوا فسطاطهم ونشب القتال بعد حط الاثقال فاقتلوا يوم الأربعاء
 ويوم الخميس والحرب بينهم سجال وانهم اتحجزوا في خنادقهم يوم الجمعة وحاصره المسلمون
 واقاموا عليهم ماشاء الله والفرس بالخيار لا يخرجون الا اذا ارادوا الخروج فخاف المسلمون
 ان يطول امرهم حتى اذا كان ذات يوم في جمعة من الجمع اجتمع اهل الراى من المسلمين
 وقالوا نراهم علينا بالخيار واتوا النعمان في ذلك فوافوه وهو يروى في الذي رويوا فيه
 فأخبروه فبعث الى من بقى من اهل التجديدات والراى فاحضرهم فتكلم النعمان
 فقال قد ترون المشركين واعتصامهم بخنادقهم ومدنهم وانهم لا يخرجون الينا الا اذا شؤوا
 ولا يقدر المسلمون على اخراجهم وقد ترون الذي فيه المسلمون من التضاييق فالراى الذي به
 نستخرجهم الى المناجزة وترك التطويل فتكلم عمرو بن غنم وكان اكبر الناس وكانوا يتكلمون
 على الاسنان فقال التحصن عليهم اشد من المطاولة عليكم فدعهم وقال من اناك منهم
 فردوا عليه رآه وتكلم عمرو بن معدى كرب فقال ناهدكم وكابدهم ولا تخفهم فردوا جميعا
 عليه رآه وقالوا انما بناطخ بنا الجدران وهى اعوان علينا وقال طليحة أرى ان تبعت خيلا
 لينشبو القتال فاذا اختلطوا بهم رجعوا الينا استطرادا فانالم نستطرد لهم في طول ماقاتلناهم
 فاذا رآوا ذلك طمعووا وخرجوا فقاتلناهم حتى يقضى الله فيهم وفيما ما احب فأمر القعقاع

من عمرو وكان على المجردة فانشب القتال فأخرجهم من خنادقهم كأنهم جبال حديد
قد توثقوا ان لا يفرروا وقد قرن بعضهم بمضاكل سبعة في قران والقوا حرك الحديد
لهم اثنانهم زمو فلما خرجوا نكص ثم نكص واغتمها الاعاجم فعملوا كالمظن طليحة
وقالوا هي هي فلم يبق احد الا من يقوم على الابواب وركبوه وحق القعقاع بالناس وانقطع الفرس
من حصنهم بعض الانقطاع والمسلمون على تسمية في يوم جمعة صدر النهار وقد عهد النعمان
الناس عهده وامرهم ان يلبسوا الارض ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم ففعلوا واستتروا
لحرف من الرمي واقبل المشركون عليهم يرمونهم حتى افشوا فيهم الجراح وشكا الناس
قالوا للنعمان الان ترى ما نحن فيه فانتظر بهم اذن للناس في قتالهم فقال رويدا رويدا
وانتظروا النعمان بالقتال احب الساعات كانت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يلقى العدو فيها وذلك عند الزوال فلما كان قريبا من تلك الساعة ركب فرسه
وسار في الناس ووقف على كل راية يذكروهم ويحرضهم ويتنهم الظفر وقال لهم اني مكبر
ثلاثا فاذا كبرت الثالثة فاني حامل فاحملوا وان قتل فالامر بيد حذيفة بن اليمان فان قتل
فقلان حتى عد سبعة آخرهم المغيرة ثم قال اللهم اعزز دينك وانصر عبادك واجعل النعمان
اول شهيد اليوم على اعزاز دينك ونصر عبادك وقيل بل قال اللهم اني اسألك ان تقر عيني
اليوم بفتح يكون فيه عز الاسلام واقبضني شهيدا فبكى الناس ورجع الى موقفه وكبر ثلاثا
الناس سامعون مطيعون مستعدون للقتال وحل النعمان والناس معه وانقضت رايته
للقضاة العقاب والنعمان معلم بياض القبا والتلنوسة فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع السامعون
أقعة كانت اشد منها وما كان يسمع الا وقع الحديد وصبراهم المسلمون صبرا عظيما وانهم
عاجم وقتل منهم ما بين الزوال والاعتام ما طبق ارض المعركة دما يراق الناس والدواب
فلما اقر الله عين النعمان بالفتح استجاب له فقتل شهيدا رمي بسهم في خاصرته فقتله وزاق به
فرسه فصرع فمجاه أخوه نعيم شوب واخذ الراية وناولها حذيفة فاخذها وتقدم موضع
النعمان وترك نعيما مكانه وقال لهم المغيرة اكتموا مصاب اميركم حتى تنتظروا ما يجمع الله فينا
وفيهم لثا من الناس فاقتتلوا فلما اظلم الليل عليهم انهزم المشركون وذهبوا وتبعهم المسلمون
وعى الله على المشركين قصدهم فتركوه واخذوا نحو الاله الذي كانوا دونه فوقوا فيه
فكان الواحد منهم يقع فيقع عليه ستة بعضهم على بعضهم في قياد واحد فيقتلون جميعا
وجعل يعقرهم حرك الحديد فأت منهم في الاله مائة الف او يزيدون سوى من
قتل في المعركة وقيل قتل في الاله ثمانون الفا سوى من قتل في الطلب ولم يفلت
الا الشريد ونجا الفيرزان من الصرعى فهرب نحو همدان فتابعه نعيم بن مقرن وقدم
القعقاع قدامه فادركه بثبة همدان وهي اذ ذاك مشحونة من بغال وحير موقرة
عسلا فحبسه الدواب على اجله فلما لم يجد طريقا نزل عن دابته وصعد الجبل فقبعة القعقاع
راجلا فأدركه فقتل المسلمون الفيرزان على النية وقالوا ان لله جنودا من عسل واستاقوا
العسل وماءه من الاحبال وسميت الثنية ثنية العسل ودخل المشركون همدان والمسلمون في
آثارهم فنزلوا عليها واخذوا ما حولها فلما رأى ذلك بخبر شوم استأنهم ولما تم الظفر

للمسلمين جعلوا يسألون عن اميرهم النعمان بن مقرن فقال لهم اخوه معقل هذا اميركم
قد اقر الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة فاتبعوا حذيفة ودخل المسلمون نهاوند يوم الوقعة
بعد الهزيمة واحتوا على ما فيها من الامتعة والاموال والاسلاب والاثاث وانا هم الهريذ
صاحب بيت النار على امان فقال لحذيفة اتؤمنني ومن شئت على ان اخرج لك ذخيرة لكسرى
تركت عندي لنوائب الزمان قال نعم فاحضر جوهراني فاسافي سفطين فارسهما حذيفة مع
الاخماس الى عمر وكان حذيفة قد نفل منها وارسل الباقي مع السائب بن الاقرع الثقفي وكان
كاتباً حاسباً ارسله عمر اليهم وقال له ان فتح الله عليكم فاقسم على المسلمين فيهم وخذ الخمس
واثني به وان هلك هذا الجيش فاذهب فبطن الارض خير من ظهرها قال السائب فلما فتح
الله على المسلمين واحضر الفارسي السفطين اللذين كانا عنده فاذا فيهما اللؤلؤ والزبرجد
والياقوت فلما فرغت من القسمة احتملتهم امعي وقدمت على عمر وكان عمر رضى الله عنه قد
قدرا الوقعة فبات يتكلم ويخرج ويتوقع الاخبار فبينما رجل من المسلمين قد خرج في بعض
حوادثه فرجع الى المدينة ليلا فرأى راكباً فسأله من اين اقبل فقال من نهاوند واخبره بما
وقتل النعمان فلما أصبح الرجل تحدث بهذا بعد ثلاث من الوقعة فبلغ الخبر عمر فسأله فاخبره فقال له ذاك
بريد الجن ثم قدم البريد بعد ذلك فاخبره بما يسره ولم يخبره بقتل النعمان قال السائب فخرج عمر من
الغد يتوقع الاخبار قال فأتيت فقال ما وراءك فقلت خيراً يا امير المؤمنين ففتح الله عليك واعظم الله
واسمه شهد النعمان بن مقرن فقال عمر والله وانا ليد راجعون ثم بكى فاشج حتى بانت فروع ك
فوق كتفه فلما رأيت ذلك ومالني قلت يا امير المؤمنين ما اصاب بعدد رجل يعرف وجهه فقال
اولئك المستضعفون من المسلمين ولكن انذى اكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وانسابهم و
يصنع اولئك بمعرفة عمر ثم اخبرته بالسفطين فقال ادخلهما بيت المال حتى تنظر في شأنهم
والحق بخنك قال ففعلت وخرجت سريعاً الى الكوفة وبات عمر فلما أصبح بعث في اثرى
رسولاً فما ادركني حتى دخلت الكوفة فانحلت بعيري واناخ بعيره على عرقوب بعيري
فقال الحق يا امير المؤمنين فقد بعثني في طلبك فلم اقدر عليك الا الآن قال فركبت معه
فقدمت على عمر فلما رأى قال الى ومالى والسائب قلت ولما ذا قال ويحك والله ما هو الا
ان تمت الليلة التي خرجت فيها فباتت الملائكة تسبحني الى السفطين يشعلان ناراً يقولون
لكوينك بهما فاقول اني سأقسمهما بين المسلمين فخذهما عني فبعهما في عطية المسلمين
وارزاقهم قال فخرجت بهما فوضعتهما في مسجد الكوفة فاتبعهما مني عمرو بن خريث
المخزومي بالفي الف درهم ثم خرج بهما الى ارض الاعاجم فباعهما باربعة آلاف الف فما
زال اكثر اهل الكوفة مالا وكان سهم الفارس نهاوند ستة آلاف وسهم الراجل الفين
وكان المسلمون يسمون فتح نهاوند فتح الفتوح لانه لم يكن بعده للفارس اجتماع وملاك
المسلمون بلادهم ولم يزل يزدجر د امره في انتكاس ونقصان وكلما اخذت منه مدينة انتقل
الى اخرى الى ان قتل في خلافة عثمان رضى الله عنه سنة احدى وثلاثين وثمانين تفصيل
ذلك ان شاء الله تعالى

ذكر فتح الدينور والصيرة وغيرهما

لما انصرف ابو موسى من نهاوند وكان قد جاء مدداً على بعث اهل البصرة فر بالدينور

فاقام عليها خمسة ايام وصالحه اهلها على الجزية ومضى فصالحه اهل شيروان على مثل صلحهم وبعث السائب بن الاقرع الثقفي الى الصيرة مدينة مہرجا نقذف ففتحها صلحا

❖ ذكر فتح همذان والماهين وغيرهما ❖

لما انهزم المشركون دخل من سلم منهم همذان وحاصرهم زعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو فلما رأى ذلك خسر شنوم استأمنهم وقبل منهم الجزية على ان يضمن منهم همذان ودستبي وان لا يؤتى المسلمون منهم فاجابوه الى ذلك وامنوه ومن معه من الفرس واقبل كل من كان هرب منهم وبلغ الخبر الماهين بفتح همذان وملكها فاقعدوا بخسر شنوم وكاتبوا حذيفة فاجابهم الى ما طلبوا واجمعوا على القبول

❖ ذكر فتح اصبهان ❖

بعث عمر رضى الله عنه اليه ابي عبد الله بن عبد الله بن عتبان وكان شجاعا من اشراف الصحابة ومن وجوه الانصار وامده بابي موسى وكان على جند اصبهان الاسبيدان وعلى مقدمته شهر يار بن جاذ وبه شيخ كبير في جمع عظيم فاقتتلوا برستاق اصبهان قتلا شديدا ودحا الشيخ الى البراز فبرز له عبد الله بن ورقاء الرياحي فقتله وانهزم اهل اصبهان وسمى ذلك الرستاق رستاق الشيخ الى هذا اليوم وصالحهم الاسبيدان على رستاق الشيخ وهو اول رستاق اخذ من اصبهان ثم سار عبد الله الى مدينة جى وهى مدينة اصبهان والملك بأصبهان الفا ذو سفان فنزل بالناس على جى وحاصرها وقتلها ثم صالحه الفا ذو سفان على اصبهان وعلى ان ين اقام الجزية اقام على ماله وان يجرى من اخذت ارضه غنوة مجراهم ومن ابى وذهب كانت لكم ارض فخرج الناس من جى ودخلوا فى الذمة الا ثلاثين رجلا من اهل اصبهان فلحقوا بكرمان ثم قدم كتاب عمر الى عبد الله يأمره بالمسير الى سهيل بن عدى ليكون معه على قتال من بكرمان فسار واستخلف على اصبهان السائب بن الاقرع ولحق سهيل ونازلوا كرمان حتى فتحوها وسيأتى ذكر ذلك فى فتوحات سنة ثلاثة وعشرين

❖ ذكر فتح زويلة ❖

فى سنة احدى وعشرين بعث عمرو بن العاص من مصر عقبة بن نافع النهري بجيش فاقتح زويلة صلحا وما بين برقة وزويلة فصار سلا للمسلمين

❖ ذكر فتح همذان ثانيا ❖

قد تقدم مسير زعيم بن مقرن الى همذان وفتحها على يده وبدا القعقاع ابن عمرو فلما رجعا عنها كفر اهلها فرجع اليهم زعيم بن مقرن فى سنة اثنين وعشرين وحاصرهم ثم سألوا الصلح ففعل وقبل منهم الجزية وقبل ان ذلك كان سنة اربع وعشرين بعد مقتل عمر رضى الله عنه لسنة اشهر وان نعيم خرج اليهم فى جيش كثيف وقتلهم قتالا شديدا وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند فانهزم الفرس هزيمة قبيحة وقتل منهم مقتلة كبيرة لا يحصون وقبل ان

المغيرة بن شعبة حين كان عاملا على الكوفة ارسل جرير بن عبدالله الجلي الى همدان فقاتله اهلها واصيبت عين جرير بسهم فقال احتسبها عند الله الذي زين بها وجهي وسلبنيها في سبيلها ثم فتحها على مثل صلح نهاوند وغلب على ارضها قسرا وقيل كان فتحها على بدالمغيرة بنفسه وكان جرير على مقدمته وقيل فتحها قرظة بن كعب الانصاري

ذكر فتح قزوین و زنجان *

لما سير المغيرة جريرا الى همدان ففتحها سير البراء ابن عازب في جيش الى قزوین ففسار البراء حتى اتى اهر وهو حصن فقاتلوه ثم طلبوا الايمان فأمنهم وصالحهم ثم غزا قزوین فلما بلغ اهلها الخبر ارسلوا الى الديلم يطلبون النصرة فوعدهم ووصل المسلمون اليهم فخرجوا لتأليهم والديلم وقوف على الجبل لا يمدون يدا فلما رأى ذلك اهل قزوین طلبوا الصلح على صلح اهر ثم غزا البراء الديلم حتى ادوا اليه الاثاوة وغزا جيلان والطيلسان وفتح زنجان عنوة ولما ولي الوليد بن عقبة الكوفة غزا ايضا الديلم وجيلان وموقان والبير والطيلسان ثم انصرف

ذكر فتح الري *

في سنة اثنتين وعشرين غزا نعيم بن مقرن الري وخرج من الري الزبدي ابو الفرخان فلقى نعيما طالبا الصلح ومسالما له ومخالفا لملك الري وهو سياوخش بن مهران بن بهرام فاستلم ملك الري اهل ديباوند وطبرستان وقومس وجرجان فامدوه خوفا من المسلمين فالتقوا مع المسلمين في سفح جبل الري الى جنب مدينتها فاقتتلوا به وكان الزبدي قال لنعيم ان القوم كثير وانت في قلة فابعث معي خيلا ادخل بهم مدينتهم من مدخل لا يشعرون به وناهدهم انت فانهم اذا خرجنا عليهم لم يشتدوا لك فبعث معه نعيم خيلا من الليل عليهم ابن اخيه المنذر بن عمرو فادخلهم الزبدي المدينة ولا يشعرون القوم ويبيتهم نعيم بيانا فشغلهم عن مدينتهم فاقتتلوا وصبروا حتى سمعوا التكبير من ورائهم فانهم رموا فقتلوا مقتلة عظيمة وافاء الله على المسلمين بالري نحو مما في المداين وصالحه الزبدي على الري ومرزبة غلبهم نعيم وراسله المصمغان في الصلح على شيء يفقدى به منه على ديباوند فاجابه الى ذلك وقيل ان فتح الري كان سنة احدى وعشرين

ذكر فتح قومس وجرجان وطبرستان *

لما ارسل نعيم الى عمر بالبشارة واخاس الري كتب اليه عمر يأمره بارسال اخيه سويد بن مقرن ومعه هند بن عمر والجلي وغيره الى قومس ففسار سويد نحو قومس فلم يبق له احد فاخذها سلما وعسكر بها وكاتبه الذين لجؤا الى طبرستان منهم واهل المفاوز فاجابهم الى الصلح والجزية ثم سار الى جرجان فعسكر بها فكاتبه وصالحوه على الجزية وقيل ان ذلك كان سنة ثلاثين في خلافة عثمان رضي الله عنه

ذكر فتح طرابلس الغرب و برقة

في سنة اثنتين وعشرين سار عمرو بن العاص من مصر الى برقة فصالحه اهلها على الجزية ثم سار الى طرابلس الغرب فحاصرها شهرا فلم يظفر بها وكان قد نزل شرقها فخرج رجل من المسلمين من بني مدلج يتصيد في سبعة نفر وسلكوا غربا في المدينة فلما رجعوا اشتد عليهم الحر فاخذوا على جانب البحر ولم يكن السور متصلا بالبحر والبلد فدخلوا المدينة من ذلك الجانب وكبروا فلما سمع الروم التكبير في البلد ظنوا ان المسلمين دخلوها فلم يكن لهم ملجأ الا سفنهم ونظر عمرو ومن معه فرأى السيوف في المدينة وسمعوا الصياح فاقبل بجيشه حتى دخل عليهم البلد فلم يفلت من الروم الا القليل بما خف معهم في مراكبهم وكان اهل حصن سيرة قد تحصنوا لما نزل عمرو على طرابلس فلما امتنع عليه فتح طرابلس امنوا واطمانوا فلما فتحت طرابلس سير عمرو جندا الى سيرة فصيحوها وقد فتح اهلها الباب واخرجوا مواشيهم لتسرح لانهم لم يكن بلغهم خبر فتح طرابلس فوقع المسلمون عليهم ودخلوا الحصن سكرة وغنموا مافيها وعادوا الى عمرو ثم عاد عمرو الى برقة وقد اجتمع بها قوم من البربر فصالحهم ثلاثه عشر الف دينار يؤدونها جزية وشرطوا ان يبيعوا من ارادوا امن او لا يصير جزيتهم

ذكر فتح اذربيجان

قالا فتفتح نعيم الرمي بعث سمالك بن خرشة الانصاري و ليس بأبي دجانه ممددا لبكير بن عبد الله باذربيجان وكان بكير قد سار اليها بامر عمر رضى الله عنه فامر عمر نعيمان بمد بكير بسمالك بن خرشة وكان بكير حين بعث اليها سار حتى اذا طلع بحبال جرميدان طلع عليهم اسفنديار بن فرخزاد فاقتلوا فانهزم القرس واخذ بكير اسفنديار اسيرا فقال له اسفنديار الصلح احب اليك ام الحرب فقال بل الصلح فقال امسكني عندك فان اهل اذربيجان ان لم اصالح عليهم او اجئ اليهم لم يقوموا لك وجلوا الى الجبال التي حولها ومن كان على التحصن تحصن فامسكه عنده وصارت البلاد اليه الا ما كان من حصن وقدم عليه سمالك بن خرشة ممددا واسفنديار في امان وقد افتتح ما يليه وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه وكتب بكير الى عمر يستأذنه في التقدم فاذنه ان يتقدم نحو الباب وان يستخلف على ما افتتحه فاستخلف عليه عتبة بن فرقد فامر عتبة سمالك بن خرشة على عمل بكير الذي كان افتتحه وجمع عمر اذربيجان كلها لعتبة بن فرقد وكان بهرام بن فرخزاد قصد طريق عتبة واقام به في عسكره حتى قدم عتبة فاقتلوا فانهزم بهرام فلما بلغ خبره اسفنديار وهو في الاسر عند بكير قال الآن تم الصلح وطمئت الحرب فصالحه واجاب الى ذلك اهل اذربيجان كلهم وعادت اذربيجان سلا وكتب بذلك بكير وعتبة الى عمر وبعثا بخمسا

ذكر فتح الباب

الباب مدينة عظيمة بناها كسرى في هذه السنة اعنى سنة اثنتين وعشرين امر عمر رضى الله

عنه سراقه بن عمرو وكان يدعى ذاالنور بالسير الى الباب وجعل على مقدمته عبدالرحمن بن ربيعة الباهلي وكان له صحبة وكان ايضا يدعى ذاالنور وجعل على احد مجنبيه حذيفة بن سعيد الغفاري وعلى الاخرى بكير بن عبدالله الايثي وكان بكير سبقة الى الباب وجعل على المقاسم سلمان بن ربيعة الباهلي فسار سراقه فلما خرج من اذربيجان قدم بكير الى الباب وكان الملك يهايم منذ شهر يار وهو من ولد شهر يار الذي افسد بني اسرائيل واغزى الشام بهم فلما اطل عبدالرحمن بن ربيعة على الباب كاتبه شهر يار واستأمنه على ان يأتيه ففعل فانه فقال اني بازاء عدوك وبهم ائمت مختلفة ليست لهم احساب ولا ينبغي لذي الحسب والعقل ان يعينهم على ذي الحسب ولست من الفتيخ ولا الارمن في شيء وانكم قد غلبتم على بلادى وامتى فانا منكم ويدي مع ايديكم وجزيتي اليكم والنصر لكم والقيام بما تحبون فلانسوموننا الجزية فتوهنونا بعدوكم فسيره عبدالرحمن الى سراقه فلقبه بمثل ذلك فاجابه بقول ذلك منه ثم قال له سراقه لا بد من الجزية ممن يقيم ولا يحارب العدو فاجابه الى ذلك وكتب سراقه في ذلك الى عمر فاجازه عمر واستحسنه

ذكر فتح موقان

لما فرغ سراقه من الباب ارسل بكير بن عبدالله وحبيب بن مسلمة وحذيفة بن اسيد وسلمان بن ربيعة الى اهل تلك الجبال المحيطة بامنية فوجه بكير الى موقان وحبيب الى تفليس وسلمان بن ربيعة الى جبال اللان وسلمان الى الوجه الآخر وكتب سراقه الى عمر بفتح الباب وبارسان هو الفخر الى الجهات المذكورة فأتى عمر امر لم يظن ان يستسلم له بغيره فانه فرج عظيم وجند عظيم فلما استوسقوا واستحلوا الاسلام مات سراقه واستخلف عبدالرحمن بن ربيعة ولم يفتح احدا من اولئك القواد الا بكير فانه فض اهل موقان ثم تراجعوا على الجزية عن كل حالم دينار ولما اجمع عمر موت سراقه واستخلفه عبدالرحمن بن ربيعة اقر عبدالرحمن على فرج الباب وامره بغزو الترك

ذكر غزو الترك

لما امر عمر عبدالرحمن بن ربيعة بغزو الترك وكانوا في بلنجرج باقصى ولاية الباب وهم اثم كثيرة فخرج عبدالرحمن بالناس حتى قطع الباب فقال له شهر يار ما تريد ان تصنع قال اريد غزو الترك في بلنجرج قال انالرضى منهم ان يدعونا من دون الباب قال عبدالرحمن لكننا لا نرضى حتى نغزوهم في ديارهم وبالله ان معنا اقواما لو يأذن لهم اميرنا في الامعان لبلغت بهم الروم قال وما هم قال اقوام صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا في هذا الامر بنية ولا يزال هذا الامر لهم دائما ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلهم وحتى يلفقوا عن حالهم فغزا بلنجرج غزاة في زمن عمر فقالوا ما اجترأ علينا الا ومعنا الملائكة تمنعهم من الموت فهربوا منه وتحصنوا فرجع بالغنية والظفر وقد بلغت خيله البيضاء على رأس مائتي فرسخ من بلنجرج وعادوا ولم يقتل منهم احد ثم غزاهم ايام عثمان بن عفان غزوات فظفر كما كان يظفر حتى تبدل اهل الكوفة وظهر فيهم الاختلال فغزا عبدالرحمن بن ربيعة بعد ذلك الترك فذامرت عليه

واجتمعوا في القياقي فرمى رجل منهم رجلا من المسلمين على غرة فقتله وهرب عنه اصحابه فخرجوا عليه عند ذلك فاقتتلوا واشتد قتالهم ونادى مناد من الجوصبر اعد الرحن وموعدكم الجنة فقاتل عبدالرحن حتى قتل وانكشف اصحابه واخذ الراية اخوه سلمان بن ربيعة فقاتل بها ونادى مناد من الجوصبر آل سلمان فقال سلمان اوترى جزعا وخرج سلمان بالناس ومعه ابوهريرة السدوسي على جيلان فقطعوها الى جرجان ولم يمنعهم ذلك من انجاء جسد عبدالرحن فهم يستسقون به الى الآن

ذكر فتح خراسان

كان فتح خراسان في سنة ثلاث وعشرين على الصحيح وسبب ذلك ان يزيدجرد سار الى الري بعد هزيمة اهل جلولا وانتهى اليها وعليها ابان جاذويه فوثب على يزيدجرد فاخذه فقال يزيدجرد يا ابان تغدري قال لا ولكن قد تركت ملكك فصار في يد غيرك فاحببت ان اكتب ما كان لي من شيء واخذ خاتم يزيدجرد واكتب صكا بكل ما اعجبته ثم ختم عليها ورد الخاتم الى يزيدجرد فسار يزيدجرد من الري الى اصبهان ثم منها الى كرمان والنار التي يعبدونها معهم ثم قصد خراسان فأتى مرو فزلاها وبنى للنار بيتا واطمأن وامن من ان يؤتى وان له من بقي من الاعاجم وكتب الهرمزان واثار اهل فارس فنكثوا واثار اهل الجبال والقيريزان فنكثوا فاذن عمر للمسلمين فدخلوا بلاد الفرس وكتب الاحنف بن قيس بالمسير الى خراسان وكان قبل ذلك قد عقد له لو ادا عليها مع الالوية التي عقدها فصار بجيش كشف فدخلها من الطبسين فاقتح هراة عنوة واستخلف عليها صحار بن فلان العبدى ثم سار نحو مرو والشاهجان فارسل الى نيسابور مطرف بن عبدالله بن الشيخير والى سرخس الحارث بن حسان فلما دنا الاحنف من مرو والشاهجان خرج منها يزيدجرد الى مرو والروذ حتى نزلاهما ونزل الاحنف مرو والشاهجان وكتب يزيدجرد وهو بمرو والروذ الى خاقان والى ملك الصفد والى ملك الصين يستقدمهم وخرج الاحنف من مرو والشاهجان واستخلف عليها حارثة بن النعمان الباهلي بعد ما لحقت به امداد الكوفة وسار نحو مرو والروذ فلما سمع يزيدجرد سار عنها الى بلخ ونزل الاحنف مرو والروذ وقدم اهل الكوفة الى يزيدجرد واتبعهم الاحنف فالتقى اهل الكوفة ويزدجرد بلخ فانهزم يزيدجرد وعبر النهر ولحق الاحنف باهل الكوفة وقد فتح الله عليهم فبلغ من فتوحهم وتابع اهل خراسان فنهزم من هرب ومنهم من شد على الصلح فيما بين نيسابور الى طخارستان وعاد الاحنف الى مرو والروذ واستخلف على طخارستان ربيع بن عامر وكتب الاحنف الى عمر بالفتح فقال عمر وددت ان بيننا وبينها بحرا من نار فقال على ولم يامير المؤمنين قال لان اهلها ينتفضون منها ثلاث مرات فيجتاحون في الثالثة فكان ذلك باهلها احب الي من ان يكون بالمسلمين وكتب عمر الى الاحنف ان يقتصر على مادون النهر ولا يجوز له ولما عبر يزيدجرد النهر مهزوما انجده خاقان من الترك واهل فرغانة والصفد فرجع يزيدجرد وخاقان الى خراسان فنزل بلخ ورجع اهل الكوفة الى الاحنف بمرو والروذ ونزل المشركون عليه بمرو ايضا وكان الاحنف لما بلغه خبر عبور يزيدجرد وخاقان النهر اليه خرج ليلا يستمع هل يسمع رأى ينتفع به فر رجلين ينقبان

علفوا واحدهما يقول لصاحبه لو اسندنا الامير الى هذا الجبل فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقا
 وكان الجبل في ظهورنا فلا يأتون من خلفنا وكان قتالنا من وجه واحد رجوت ان ينصرنا
 الله عليهم فرجع فلما اصبح جمع الناس ورحل بهم الى سفح الجبل وكان معه من اهل البصرة
 عشرة آلاف ومن اهل الكوفة نحو منهم واقبلت الترك ومن معها فنزلت وجعلوا يغادونهم
 القتال وراوحوهم وفي الليل يشخون عنهم فخرج الاحنف ليلة طليعة لاصحابه حتى اذا كان
 قريبا من عسكر خاقان وقف فلما كان في وجهه الصبح خرج فارس الترك بطوقه فضرب بطبله
 ثم وقف قريبا من العسكر موقفا يقفه مثله فحمل عليه الاحنف فتقاتلا فطعمه الاحنف فقتله
 واخذ طوق التركي ووقف فخرج آخر من الترك ففعل مثل فعل صاحبه فحمل عليه
 الاحنف فتقاتلا فطعمه فقتله واخذ طوقه ووقف ثم خرج الثالث من الترك ففعل مثل فعل
 الرجلين فحمل عليه الاحنف فقتله ثم انصرف الاحنف الى عسكره وكانت عادة الترك انهم
 لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم اكفاء كلهم يضرب بطبله ثم يخرجون بعد خروج
 الثالث فلما خرجوا تلك الليلة بعد الثالث فاتوا على فرسانهم مقتولين فقام خاقان وتطير فقام
 قد طال مقامنا وأصيب فرساننا ما لا نفي قتال هؤلاء القوم خير فرجعوا وارتفع النهار للمسلمين
 ولم يروا منهم احدا واتاهم الخبر بانصراف خاقان والترك الى بلخ وقد كان يزددجرد ترك خاف
 مقابل المسلمين بمرو الروذ وانصرف الى مرو والشاهجان فتحصن حارثة بن النعمان ومن معه
 فحصرهم واستخرج يزددجرد خزائنه من موضعها وخاقان مقيم بلخ فلما جمع يزددجرد خزائنه وكال
 كبيرة عظيمة واراد ان يلحق بخاقان قال له اهل فارس اي شئ تريد ان تصنع قال اريد اللحد
 بخاقان فاكون معه او بالصين قالوا ان هذا رأى سوء ارجع بنا الى هؤلاء القوم فتصالحهم
 فانهم اوفياهم اهل دين وان عدوا يلينا في بلادنا احب الينا مملكة من عدو يلينا في بلادهم ولاد
 لهم ولا ندري ما وفائهم فاقبى عليهم فقالوا دع خزائنا نردها الى بلادنا ومن يلينا لا نخرج
 من بلادنا فاقبى فاعتزلوه وقتلوه واخذوا الخزائن واستولوا عليها وانهزم منهم ولحق
 بخاقان وعبر النهر من بلخ الى فرغانة واقام يزددجرد ببلد الترك فلم يزل مقيما بها زمن عمر كله الى ان
 كفر اهل خراسان زمن عثمان وكان يكتبهم ويكتبونه وسيرد ذكر ذلك في موضعه ثم اقبل
 اهل فارس بعد رحيل يزددجرد على الاحنف فصالحوه ودفعوا اليه تلك الخزائن والاموال
 وتراجعوا الى بلدانهم واموالهم على افضل ما كانوا عليه زمن الاكاسرة واغبطوا بملك
 المسلمين واصاب الفارس يوم يزددجرد كسهمه يوم القادسية وسار الاحنف الى بلخ فنزلها بعد
 عبور خاقان النهر منها ونزل اهل الكوفة في كورها الاربع ثم رجع الى مرو الروذ فنزلها وكتب
 بفتح خاقان ويزددجرد الى عمر ولما عبر خاقان ويزددجرد النهر لقوا رسول يزددجرد الذي
 ارسله الى ملك الصين فاخبرهما ان ملك الصين قال له صف لي هؤلاء القوم الذين اخرجوك
 من بلادكم فاني ارأى تذكر قلة منهم وكثرة منكم ولا يبلغ امثال هؤلاء القليل منكم مع كثرتكم
 الا بخير فيهم وشر فيكم فقلت سلمني عما احببت فقال ابووفون بالعهد قلت نعم قال وما
 يقولون لكم قبل القتال قال قلت يدعوننا الى واحدة من ثلاث اما دينهم فان اجبنا
 اجرونا مجراهم او الجزية والمنعة او المنازعة قال فكيف طاعتهم امراءهم قلت اطوع

قوم وارشدهم قال فبايحلون ومايبحرمون فاخبرته قال هل يحمون ما حرم عليهم او يبحرمون ما حلال لهم قلت لا قال ان هؤلاء القوم لا يزالون على ظفر حتى يحموا احرامهم ويبحرموا حلالهم ثم قال اخبرني عن لباسهم فاخبرته وعن مطاياهم فقلت الخيل العرب ووصفتها له قال نعمت الحصون ووصفت له الابل وبروكها وقيامها بحملها فقال هذه صفة دواب طوال الاعناق وكتب معه الى يزدجرد انه لم يمنعني ان ابعث اليك بجند اوله عمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق على ولكن هؤلاء القوم الذين وصفهم لي رسولك لو يحاولون الجبال لهدوها ولو خلاهم سربهم از الونى ماداموا على وصفهم فسالمهم وارض منهم بالمسألة ولا تهيجهم مالم يهيجوك فاقام يزدجرد بفرغانة ومعه آل كسرى بعهد من خاقان ولما وصل خبر الفتح الى عمر بن الخطاب جمع الناس وخطبهم وقرأ عليهم كتاب الفتح وحمد الله تعالى في خطبته على انجاز وعده ثم قال الاوان ملك الجوسية قد هلك فليس يملكون من بلادهم شيئا يضرب مسلم الاوان الله اورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وابنائهم لينظروا كيف تعملون فلا تبدلوا فيستبدل الله بكم غيركم فاني لا اخاف على هذه الامة ان تؤتى الا من قبلكم

❖ ذكر فتح شهرزور والصامغان ❖

استعمل عمر رضى الله عنه عزرة بن قيس على حلوان فحاول عزرة فتح شهرزور فلم يقدر عليها من اهلها عتبة بن فرقد ففتحها بعد قتال على مثل صلح حلوان فكانت العقارب تصيب رجل من المسلمين فيموت وصالح اهل الصامغان وداراباذ على الجزية والخراج وقتل لملقا كثيرا من الاكراد وكتب الى عمر ان فتوح قد بلغ اذربيجان فولاه اياها وولى هرثمة بن عريفة الموصل ولم تزل شهرزور واعمالها مضمومة الى الموصل حتى افردت عنها آخر خلافة الرشيد الى

❖ ذكر غزوة معاوية بلاد الروم ❖

في هذه السنة اعنى سنة اثنتين وعشرين غزا معاوية بلاد الروم ودخلها في عشرة آلاف من المسلمين فالتحن فيهم وغنم ورجع سالما

❖ ذكر الخبر عن فتح توج ❖

لما خرج اهل البصرة الذين توجهوا الى فارس امراء عليها وكان فيهم سارية بن زبيم الكناني فساروا واهل فارس مجتمعون بتوج فلم يقصدهم المسلمون بل توجه كل امير الى الجهة التي امر عليها وبلغ ذلك اهل فارس فتفرقوا الى بلدانهم كما افترق المسلمون فكانت تلك هزيمتهم وتشتت امورهم فقصدهم جاشع بن مسعود السلمي سابور وارديش فالتقى هو والفرس بتوج فاقتلوا اماساء الله ثم انهزم الفرس وقتلهم المسلمون كيف شاؤا اكل قتلة وغنموا ما في عسكرهم وحصروا توج فاقتنحوها وقتلوا منهم خلقا كثيرا وغنموا ما فيها وكان ذلك في افتتاح سنة ثلاث وعشرين وهذه توج الاخيرة والاولى هي التي استقدمتها جنود العلاء ابن الحضرمي ايام طاوس ثم دعوا الى الجزية فرجعوا واقروابها وارسل بجاشع بن مسعود السلمي بالبيشارة والاخاس الى عمر رضى الله عنه

❖ ذكر فتح اصطخر وجور وغيرهما ❖

في سنة ثلاث وعشرين قصد عثمان بن ابي العاص الثقفي اصطخر وكان عمر رضى الله عنه عقده لواء اصطخر لما عقد الالوية لمن اذن لهم في الانسياح الى بلاد فارس فالتقى عثمان هو واهل اصطخر بجور فاقتلوا وانهزم الفرس وفتح المسلمون جور ثم اصطخر وقتلوا ماشاء الله ثم فر منهم من فردها هم عثمان الى الجزية والذمة فأجابه الهر بذايها فتراجعوا وكان عثمان قد جمع الغنائم لما هزمهم فبعث بخمسها الى عمر وقسم الباقي في الناس وفتح عثمان كيزرون والنوبديجان وغلب على ارضها وفتح هو وأبو موسى مدينة شيراز وارجان وفتح سينيز على الجزية والخراج وقصد عثمان ايضا جنابا ففتحها ولقيه جع الفرس بناحية جهرم فهزمهم وفتحها ثم انشرك خلع الطساعة في آخر خلافة عمر واول خلافة عثمان فوجه اليه عثمان بن ابي العاص ابنه واتبه الامداد من البصرة واميرهم عبيد الله بن معمر وشبل بن معبد فالتقوا بارض فارس فقال شهرك لابنه وهما في المعركة وبينهما وبين قرية شهرك ثلاثة فراسخ وتسمى القرية ايضا شهرك يابني ابن يكون غداؤنا ههنا ام بشهرك قال له يا ابت ان تركونا فلا يكون غداؤنا ههنا ولا بشهرك ولا يكون الا في المنزل وما اراهم يتركوننا فافرغا من كلامهما حتى شب المسلمون الحرب فاقتلوا قتلا شديدا وقتل شهرك وابنه وخلق عظيم والذي قتل شهرك الحكم بن ابي العاص اخو عثمان وقيل قتله سوار بن همام العبدى حل عليه فطعمته فقتله وحل بن شهرك على سوار فقتله وحوصر الفرس بمدينة سابور فصالح عليها ملكها ارزنيان وكان في جيوش المسلمين ابو صفرة والد المهلب قيل ان عبيد الله بن معمر امير الامداد التي جاءت لهذا الجيش من البصرة بلغه ان ارزنيان يريد الغدر به فقال له احب ان تتخذ لاصحابي طعاما وتذبح لهم بقرة وتجعل عظامها في الجفنة التي تلينى فاني احب ان اتمشش العظام ففعل وجعل يأخذ العظم الذي لا يكسر الا بالفوس فيكسره بيده ويأخذ مخه وكان من اشد الناس فقام ارزنيان وقبل قدمه وقال هذا مقام العائذ بك واعطاه عهدا

❖ ذكر فتح فساودار الجرد ❖

قد تقدم ان عمر رضى الله عنه لما عقد الالوية لمن اذن لهم في الانسياح في بلاد فارس عقد لواء لساارية بن زعيم الكناني على فساودار الجرد في سنة ثلاث وعشرين فسار حتى انتهى اليهم فنزل عليهم وحاصرهم ماشاء الله ثم انهم استمدوا وتجمعوا وتجمعت اليهم اكراد فارس فذهبهم المسلمين امر عظيم وجمع كثير واتاهم الفرس من كل جانب فرأى عمر فيما يرى النائم تلك الليلة معركةهم وعددهم في ساعة من النهار فنادى من الغد الصلاة جامعة حتى اذا كان في الساعة التي رأى فيها ما رأى خرج اليهم وكان بن زعيم والمسلمون بصحراء ان اقاموا فيها احيط بهم وان استمدوا الى جبل من خلفهم لم يؤتوا الا من وجه واحد فقام عمر على المنبر فقال يا ايها الناس انى رأيت هذين الجمعين واخبر بحالهما وصاح عمر وهو يخطب يا ساارية بن زعيم الجبل يا ساارية الجبل ثم اقبل على الناس فقال ان الله جنودا ولعل بعضنا ان يبلغهم فسمع ساارية

ومن معه الصوت فلبجوا الى الجبل ثم قاتلوهم فهزمهم الله تعالى كذا في الكامل لابن الاثير وهذه القصة رواها كثير من أئمة الحديث بأسانيد صحيحة منهم البيهقي وابونعيم وابن مردويه واللالكاي وابن الاعرابي والخطيب بالفاظ متعددة والمعاني متقاربة فيها رواية لابن عمر قال وجه عمر جيشا ورأس عليهم رجلا يدعى سارية فيبغضونهم فيخطبونهم فينادي ياسارية الجبل ثلاثا ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر فقال يا امير المؤمنين هزمنا فيينا نحن كذلك اذ سمعنا صوتا ينادي ياسارية الجبل ثلاثا فاسندنا ظهورنا الى الجبل فهزمهم الله تعالى قال قيل لعمر انك تصيح بذلك وذلك الجبل الذي كان سارية عنده بنها وتدن من ارض العجم وفي رواية لابن عمر ايضا كان عمر يخطب يوم الجمعة فعرضه في خطبته ان قال ياسارية الجبل من استرعى الذئب ظلم فالتفت الناس بعضهم لبعض فقال لهم على رضى الله عنه ليخرجن مما قال فلما فرغ سألوه فقال وقع في خلدي ان المشركين هزموا اخواننا وانهم يرون يجبل فان عدلوا اليه قابلوهم من وجه واحد وان جازوا هلكوا فخرج مني ما نزعون انكم سمعتموه فجاء البشير بعد شهر فذكر انهم سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم قال فعدلنا الى الجبل ففتح الله علينا وفي رواية عن عمرو بن الحارث قال بينا عمر يخطب يوم الجمعة اذ ترك الخطبة فقال ياسارية الجبل مرتين او ثلاثا ثم اقبل على خطبته فقال بعض الحاضرين لقد جن انه لمجنون فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وكان يطعن اليه فقال انك لتجعل لهم على نفسك مقالا بينا انت تخطب اذ انت تصيح ياسارية الجبل اى شىء هذا قال انى والله ما ملكت ذلك رأيتم يقائلوني عند جبل يؤتون من بين ايديهم ومن خلفهم فلم املك ان قلت ياسارية الجبل ليحققوا بالاسل فلبشوا الى ان جاء رسول سارية بكتابه وفيه ان القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم حتى اذا حضرت الجمعة سمعنا مناديا ينادي ياسارية الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله وقتلهم فقال اولئك الذين طعنوا عليه دعوا هذا الرجل فانه مصنوع له انتهى واصاب المسلمون في مغائهم مع سارية سقاط فيه جوهر فاستوهبه منهم سارية وبعث به الى عمر فقدم الرسول على عمر وهو بطعم الطعام فأمره فجلس واكل فلما انصرف عمر تبعه الرسول فظنه عمر انه لم يشبع فأمره فدخل بيته فلما جلس اتى عمر بغدائه خبز وزيت وملح جريش فاكلا فلما فرغا قال الرجل انار رسول سارية يا امير المؤمنين قال مرحبا واهلا ثم ادناه حتى مس ركبته وسأله عن المسلمين فاخبره بقصة السفط فنظر اليه وصاح به لا ولا كرامة حتى يقدم على ذلك الجند فيقسمه بينهم فطرده فقال يا امير المؤمنين انى قد انضيت جملي واستقرضت في جائزتي فاهطني ما تبلغ به فا زال به حتى ابدله بعيرا من ابل الصدقة وجعل بعيره في ابل الصدقة ورجع الرسول مفضوبا عليه محروما وسأل اهل المدينة الرسول هل سمعوا شيا يوم الواقعة قال نعم سمعنا ياسارية الجبل الجبل وقد كدنا نهلك فلجأنا اليه ففتح الله علينا

ذكر فتح كerman

كان سهيل بن عدى قد عقد له عمر اوام على كerman مع الالوية التي عقد لها فامر في هذه السنة اعني سنة ثلاث وعشرين بالمسير الى كerman فصار ولحقه عبد الله بن عبد الله بن عتيان

وحشد لهم اهل كرمان واستعانوا عليهم بالتفص فاقبضوا في اداى ارضهم قفض الله تعالى المشركين واخذ المسلمون عليهم الطريق وقتل النسير بن عمرو العجلي مرزبانها فدخل النسير من قبل طريق القرى اليوم الى جيرفت وعبد الله بن عبد الله من مفازة سير فاصابوا ما ارادوا من بعير اوشاة فقوموا الابل والغنم فتحاصوها بالاثمان لعظم البخت على العرب وكرهوا ان يزدوا وكتبوا الى عمر بذلك فلجابهم اذارأيتم ان في البخت فضلا فزدوا

✽ ذكر فتح سجستان ✽

كان عاصم بن عمرو قد عقد له عمر لو اء على سجستان مع الاولوية التي عقدها فامره في هذه السنة بالمسير اليها فاسار ولحقه عبد الله بن عمر فاستقبلهم اهلها فالتقوا هم واهل سجستان في اداى ارضهم فهزمهم المسلمون ثم اتبعوهم حتى حصرهم وهم بزرنج ومخروا ارض سجستان ثم انهم طلبوا الصلح على زرنج وما احتازوا من الارضين فاعطوا وكانوا قد اشتترطوا في صلحهم ان فدافدها حتى فكان المسلمون يتجنبونها خشية ان يصيبوا منها شيئا فيخفروا فقيم اهل سجستان على الخراج وكانت سجستان اعظم من خراسان وابعد فروعها يقاتلون القندهار والترك واما كثيرة

✽ ذكر فتح مكران بضم الميم وسكون الكاف ✽

كان الحكم بن عمرو التغلبي قد عقد له عمر لو اء على مكران مع الاولوية التي عقدها فامره في هذه السنة بالمسير اليها فاسار حتى انتهى اليها ولحقه شهاب بن المخارق وسهيل بن عدي وعبد الله بن عبد الله بن عتيان فالتقوا الى دوين النهر واهل مكران على شاطئه فاستمد ملكهم ملك السند فامده بجيش كثيف فالتقوا مع المسلمين فانهزموا وقتل منهم في المعركة مقتلة عظيمة واتبعهم المسلمون يقتلونهم اياما حتى انتهوا الى النهر ورجع المسلمون الى مكران فاقاموا بها وكتب الحكم الى عمر بالفتح وبعث اليه بالاخاس مع صحرار العبدى فلما قدم المدينة - آله عمر عن مكران فقال يا امير المؤمنين هي ارض سهلها جبل وماؤها شل وممرها دقل ٣ وعدوها بطل وخيرها قليل وشرها طويل والكثير فيها قليل والقليل فيها ضائع وماورها هاشر منها فقال اسبجاع انت ام مخبر لا والله لا يفرزوها جيش لي ابدأ وكتب الى سهيل والحكم بن عمرو ان لا يجوزن مكران احد من جنودهما وامرهما ببيع الفيلة التي غنمها المسلمون ببلاد الاسلام وقسم اثانها على الفاعين

✽ ذكر فتح بيروذ والاهواز ✽

لما فصلت الخيول الى الكور اجتمع بيروذ جمع عظيم من الاكراد وغيرهم وكان عمر قد عهد الى ابي موسى ان يسير الى اقصى ذمة البصرة حتى لا يؤتى المسلمون من خلفهم وخشى ان يهلك بعض جنوده او يخلعوا في اعقابهم فاجتمع الاكراد ببيروذ وابطأ ابو موسى حتى تجمعوا ثم سار فنزل بهم ببيروذ فالتقوا في رمضان بين نهر تيرى ومناذر فقام المهاجر بن

زياد وقد تحنط واستقبل القوم وعزم ابو موسى على الناس فأفطروا وتقدم المهاجر وقاتل قتالا شديدا حتى قتل ووهن الله المشركين حتى تحصنوا في قلة وذلة واشتد جزع الربيع بن زياد على اخيه المهاجر وعظم عليه فقدته فرق له ابو موسى فاستخلفه عليهم في جند وخرج ابو موسى حتى بلغ اصبهان واجتمع بها بالمسلمين الذين يحاصرون جبلا فلما فتحت رجع ابو موسى الى البصرة وفتح الربيع بن زياد الحارثي بيروذ من نهر تيرى وغنم ماعهم

ذكر خبر سلمة بن قيس الاشجعي والاكراد

كان عمر رضى الله عنه اذا اجتمع اليه جيش من المسلمين امر عليهم اميرا من اهل العلم والفقه فاجتمع اليه جيش من المسلمين فبعث عليهم سلمة بن قيس الاشجعي فقال سر باسم الله قاتل في سبيل الله من كفر بالله فاذا القيمت عدوكم فادعوهم الى الاسلام فان اجابوا واقاموا بدارهم فعليهم الزكاة وليس لهم من الثمن نصيب وان ساروا معكم فلهم مثل الذى لكم وعليهم مثل الذى عليكم وان ابوا فادعوهم الى الجزية فان اجابوا فاقبلوا منهم وان ابوا فقاتلوهم وان تحصنوا منكم وسألوكم ان ينزلوا على حكم الله ورسوله اؤذمة الله ورسوله فلا تجيبوهم فانكم لاتدرون انصيئون حكم الله ورسوله وذمتها ام لا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدا ولا تمثلوا فساروا حتى لقوا عددا من الاكراد المشركين فدعوهم الى الاسلام او الجزية فلم يجيبوا فقاتلوهم فهزموهم وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية فقسمه بينهم ورأى سلمة جوهرها في سبط فاسترضى عنه المسلمين وبعث به الى عمر فقدم الرسول بالبخارة والسبط على عمر فسأله عن امور الناس وهو يخبره حتى اخبره بالسبط فغضب غضبا شديدا وامر به فوجى به في عنقه ثم قال ان تفرق الناس قبل ان تقدم عليهم ويقسمه سلمة فيهم لاسوء لك فسار حتى قدم على سلمة فباعه وقسمه في الناس وكان الفص يباع بخمسة دراهم وقيمته عشرون الفا وفي هذه السنة غزا معاوية الروم وفتح عسقلان صلحا الى هنا انتهت الفتوحات التى كانت في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه واستشهد عمر رضى الله عنه لاربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة فكانت خلافته عشر سنين وستة اشهر واربعة ايام وقصة استشهاد مشهورة لاحاجة الى الاطالة بذكرها اخرج ابو يعلى عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانى جبريل آنفا فقلت يا جبريل حدثنى بفضائل عمر بن الخطاب فقال لو حدثتك بفضائل عمر منذ لبث نوح في قومه ما نفذت فضائل عمر وان عمر حسنة من حسنات ابي بكر رضى الله عنهما وربما ان العقول القاصرة تستبعد كثرة هذه الفضائل لعمر رضى الله عنه لكن من كان ذا بصيرة وامعن فكره فيما خص الله به عمر من الفضائل في نفسه وفيما اجراه الله على يديه وما حصل للاسلام واهله بسببه من كونه اعز الله به الاسلام في ابتدائه ومن كثرة الفتوحات التى فتحها الله على يديه حتى كثر العلم واتسع الاسلام وكثر المسلمون يتضح له ان كل خير وقع لاهل الاسلام منذ خلافة عمر رضى الله عنه الى يوم القيمة كله من فضائل عمر رضى الله عنه ومن حسناته ويكتب الله له مثل اجورهم وذلك شئ كثير لا يمكن ضبطه ولا احصاؤه ولو مكث العبد منذ لبث نوح في

قومه واخرج عبدالله بن الامام احمد في زوائد المسند عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لارجو لامتى في حبيهم لابي بكر وعمر ما ارجو لهم في قولي لا اله الا الله واخرج ابو ذر الهروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر معي وانا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان وهذا مثل ما قال صلى الله عليه وسلم في حق علي رضى الله عنه وادرا الحق معه حيث دار فكل من عمر وعلي رضى الله عنهما كان مع الحق ولهذا كان علي رضى الله عنه مع الخلفاء الثلاثة قبله في زمن خلافتهم ولم ينزع احدا منهم لعله بأنهم كانوا مع الحق فكان هو معهم فلما جاءت نوبة خلافته ونوزع في ذلك قائل من نازعه فلا يصح ان ينسب اليه ان سكوت في زمن الخلفاء الثلاثة كان تقية جاء الله من المحابات في دين الله تعالى والله سبحانه وتعالى اعلم

ذكر الفتوحات في خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه

كانت البيعة لعثمان رضى الله عنه في اوائل المحرم سنة اربع وعشرين فعزل المغيرة بن شعبه عن الكوفة وولاه سعد بن ابي وقاص رضى الله عنه عملا بقول عمر رضى الله عنه اوصى الخليفة بعدي ان يستعمل سعدا فاني لم اعزله عن سوء ولا خيانة فكان اول عامل بعثه عثمان رضى الله عنه

ذكر خلاف اهل الاسكندرية

في سنة خمس وعشرين خالف اهل الاسكندرية ونقضوا صلحهم وكان سبب ذلك ان الروم عظم عليهم فتح المسلمين الاسكندرية وظنوا انهم لا يمكنهم المقام ببلادهم بعد خروج الاسكندرية عن ملكهم فكانوا من كان فيها من الروم ودعوههم الى نقض الصلح فاجابوهم الى ذلك فسار اليهم من القسطنطينية جيش كثير وعليهم منويل الخصي فأرسلوا بها واتفق معهم من بهمن الروم ولم يوافقهم المقوقس بل ثبت على صلحه فلما بلغ الخبر الى عمرو بن العاص سار اليهم وسار الروم اليه فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهمز الروم وتبعهم المسلمون الى ان ادخلوهم الاسكندرية وقتلوا منهم في البلد مقتلة عظيمة منهم منويل الخصي وكان الروم لما خرجوا من الاسكندرية قد اخذوا اموال اهل تلك القرى من وافقهم ومن خالفهم فلما ظفر بهم المسلمون جاء اهل القرى الذين خالفوهم فقالوا لعمرو بن العاص ان الروم اخذوا دوابنا و اموالنا ولم نخالف نحن عليكم وكنا على الطاعة فرد عليهم ما عرفوا من اموالهم بعد اقامة البيعة وهدم عمرو سور الاسكندرية وتركها بغير سور وفي هذه السنة بلغ سعد بن ابي وقاص عن اهل الري عزم على نقض العهد فارسل اليهم واصلحهم وغزا الديلم ثم انصرف

ذكر صلح اهل ارمينية واذربيجان

في هذه السنة نقضت اهل اذربيجان فامر عثمان رضى الله عنه الوليد بن عقبة بن ابي معيط ان يغزوهم وكان على الكوفة لان سعد بن ابي وقاص اختصم مع عبدالله بن مسعود فاستحسن عثمان رضى الله عنه ان يعزل سعدا قطعاً للنزاع فعزله وولاه الوليد فغزاهم

الوليد وعلى مقدمته عبد الله بن شليل الأحمسي فاغار على اهل موغان والبرو والطيلسان
 ففتح وغنم وسبي فطلب اهل كور اذ ربحان الصلح فصالحهم على ثمان مائة الف درهم
 وقبض المال وبث السرايا وبعث سلمان بن ربيعة الباهلي الى اهل ارمينية في اثني عشر الفاसार
 في ارمينية يقتل ويسبي ويغنم ثم انصرف وقدم لا يديه حتى اتى الوليد فعاد الوليد
 وقد ظفرو غنم وجعل طريقه على الموصل ثم اتى الحديثة فنزلها فأتاه بها كتاب عثمان فيه ان معاوية
 ابن ابي سفيان كتب الى يخبرني ان الروم قد اجلبت على المسلمين في جوع كثيرة وقد رأيت
 ان يذهب اخوانهم من اهل الكوفة فابعث اليهم رجلا له نجدة وبأس في ثمانية آلاف وتسعة آلاف
 من المكان الذي يأتيك كتابي فيه والسلام فقام الوليد في الناس واعلمهم الحال وندبهم مع سلمان
 ابن ربيعة الباهلي فاندب معه ثمانية آلاف فضوا حتى دخلوا مع اهل الشام الى ارض الروم
 فشنوا الغارات على ارض الروم فاصاب الناس ماشاؤا من الغنائم واقتحموا حصونا
 كثيرة وقيل ان الذي امد حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة كان سعيد بن العاص وكان على الكوفة
 بعد عزل الوليد وكان سبب ذلك ان عثمان كتب الى معاوية ان يغزى حبيب بن مسلمة
 في اهل الشام ارمينية وهي غير التي باذربيجان بالعراق فوجهه اليها فاتي قالي فلا فصرها
 وضيق على من بها فطلبوا الامان على الجلاء او الجزية فخلا كثير منهم فلحقوا ببلاذ الروم واقام حبيب
 فيهم فبين معه شهرا ثم بلغه ان بطريق ارمينا قس وهي البلاد التي صارت بعد يد اولاد السلطان
 ندم ارسلان السلجوقي وهي ملاطيه وسيواس واقسراى وقونية وما والاها من البلاد الى خليج
 لمسطنطينية قد توجه نحوه في ثمانين الفا من الروم واسم القس المذكور الموريان فكتب حبيب
 الى معاوية يخبره فكتب معاوية الى عثمان فارسل عثمان الى سعيد بن العاص يأمره بامداد
 حبيب فامده بسلمان في ستة آلاف واجمع حبيب على تبليت الروم فسمعه امراته ام عبد الله بنت يزيد
 الكلبيبة فقالت اين موعدا فقال سرادق الموريان ثم يتهم فقتل من وقفه ثم اتى السرادق فوجد
 امراته قد سبقته اليه فكانت اول امرأة من العرب ضرب عليها حجاب سرادق ولما انهزمت الروم
 عاد حبيب الى قالي فلا ثم سار منها ونزل مريالا فأتاه بطريق خلاط بكتاب عياض بن غنم بامان
 البطريق المذكور فاجراه عليه وحمل اليه البطريق ما عليه من المال ونزل حبيب خلاط
 ثم سار منها فلقبه صاحب مكس وهي من البسفرجان فقاطعه على بلاده ثم سار منها الى ازدشاط
 وهي القرية التي يكون منها القرمز الذي يصنع به فنزل على نهر ديل وسرح الخيول اليها
 فصرها فتحصن اهلها فنصب عليهم منجنيقا فطلبوا الامان فاجابهم اليه وبث السرايا
 فبلغت خيله ذات اللجم وانما سميت ذات اللجم لان المسلمين اخذوا لجم خيولهم فكبسهم
 الروم قبل ان يلجموها ثم الجموها فقاتلوههم فظفروا بهم ووجهه سرية الى سراج طير
 وبغروند فصالحه بطريقهما على اتاوة فقدم عليه بطريق البسفرجان فصالحه على
 جميع بلاده وأتى السيد بجان فخار به اهلها فهزمهم وغلب على حصونهم وسار الى جرزان
 فأتاه رسول بطريقها يطلب الصلح فصالحه وسار الى تفليس فصالحه اهلها وهي من جرزان
 وفتح عدة حصون تجاوزها صلحا وسار سلمان بن ربيعة الباهلي الى اران ففتح البيلقان صلحا
 على ان امنهم على دمائهم واموالهم وحيطان مدينتهم واشترط عليهم الجزية والخراج ثم اتى

سلمان مدينة بردعة فمسكر على الثرثور نهر بينه وبينها نحو فرسخ فقاتله اهلها اياما وشن الغارات في قراها فصالحوه على مثل صلح البيلقان ودخلها ووجه خيله ففتحت رساتيق الولاية ودعا اكراد البلاشجان الى الاسلام فقاتلوه فظفر بهم فافر بعضهم على الجزية وادى بعضهم الصدقة وهم قليل ووجه سرية الى شمكور قفخوها وسار سلمان الى مجمع ارس والكر قفخه وصالحه صاحب سكر وغيرها على الاتاوة وصالحه ملك شروان وسار ملوك الجبال واهل مسقط والشاربان ومدينة الباب وهي غير التي في العراق وهذه بقرب حلب

✽ ذكر غزوة معاوية الروم ✽

في هذه السنة سنة ٢٥ غزا معاوية الروم فبلغ عمورية وهي المسماة بروسا فوجد الحصون التي بين انطاكية وطرسوس خالية فجعل عندها جماعة كثيرة من اهل الشام والجزيرة حتى انصرف من غزاته ثم اغزى بعد ذلك يزيد بن الحر العباسي الصائفة وامره ففعل مثل ذلك ولما خرج هدم الحصون الى انطاكية

✽ ذكر غزوة افريقية ✽

في هذه السنة سير عمرو بن العاص عبدالله بن سعد بن ابي سرح الى اطراف افريقية غائبا بامر عثمان وكان عبدالله من جند مصر فلما سار اليها امده عمرو بالجنود فغنم هو وجنده فلما رجع عبدالله كتب الى عثمان يستأذنه في غزو افريقية فاذنه في ذلك

✽ ذكر غزوة كابل ✽

في هذه السنة ارسل عثمان رضى الله عنه عبدالله بن عامر الى كابل وهي عمالة سجستان فبلغها في قول فكانت اعظم من خراسان حتى مات معاوية فامتنع اهلها

✽ ذكر فتح افريقية ✽

كان ذلك في سنة ست وعشرين قد تقدم ان عبدالله بن ابي سرح استأذن عثمان رضى الله عنه في غزو افريقية فاذنه وقال له ان فتح الله عليك فلك من النقي خمس الخمس نقلا وامر عثمان عبدالله بن نافع بن عبد القيس وعبدالله بن نافع بن الحارث على جند وسرحهما وامرهما بالاجتماع مع عبدالله بن ابي سرح على صاحب افريقية فخرجوا حتى قطعوا ارض مصر ووطؤا ارض افريقية وكانوا في جيش كثير عدتهم عشرة آلاف من شجعان المسلمين فصالحهم اهلها على مال يؤدونه ولم يقدموا على دخول افريقية والتوغل فيها لكثرة اهلها ثم ان عثمان ولي عبدالله بن ابي سرح مصر فارسل الى عثمان يستأذنه في غزو افريقية والاستكثار من الجموع فاستشار عثمان من عنده من الصحابة فاشارا كثرهم بذلك فجهز اليه العساكر من المدينة وفيهم جماعة من اعيان الصحابة منهم عبدالله بن عباس وغيره فسار بهم عبدالله بن ابي سرح الى افريقية فلما وصلوا الى برقة لقيهم عبدالله بن نافع فيمن معه من المسلمين وكانوا بها وساروا الى طرابلس الغرب فنهبوا من عندها من الروم وساروا نحو افريقية

وبث السرايا في كل ناحية وكان ملكهم اسمه جرجير وملكه من طرابلس الى طنجة وكان
هرقل ملك الروم قد ولاء افريقية فهو يحمل الخراج اليه كل سنة فلما بلغه خبر المسلمين تجهز
وجمع العساكر واهل البلاد فبلغ عسكره مائة ألف وعشرين ألف فارس والتقى
هو والمسلمون بكان بينه وبين مدينة سبیطلة يوم وليلة وهذه المدينة كانت
ذلك الوقت دار الملك فاقاموا هناك يقتتلون كل يوم وراسله عبدالله بن ابي سرح يدعو
الى الاسلام او الجزية فامتنع منهما وتكبر عن قبول احدهما وانقطع خبر المسلمين عن عثمان
فسير عبدالله بن الزبير في جماعة اليهم لياتيه بأخبارهم فسار مجدا ووصل اليهم واقام معهم
ولما وصل كثرا الصباح والتكبير في المسلمين فسأل جرجير عن الخبر فقبل قدامهم عسكر ففت
ذلك في عنده ورأى عبدالله بن الزبير قتال المسلمين كل يوم من بكرة الى الظهر فاذا اذن الظهر
عاد كل فريق الى خيامه وشهد القتال من الغد فلم ير ابن ابي سرح معهم فسأل عنه فقبل انه سمع
منادى جرجير يقول من قتل عبدالله بن ابي سرح فله مائة الف دينار وازوجه ابنتي وهو
يخاف على جيش المسلمين ان قتل فحضر عنده عبدالله بن الزبير وقال له تأمر مناديا ينادى من
اتاني رأس جرجير نفلته مائة الف وزوجته ابنته واستعملته على بلاده ففعل ذلك فصار
جرجير يخاف اشد من عبدالله ثم ان عبدالله بن الزبير قال لعبدالله بن ابي سرح ان امرنا يطول
مع هؤلاء وهم في امداد متصلة وبلادهم لهم ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم وقد رأيت
ان نترك غدا جماعة صالحة من ابطال المسلمين في خيامهم متأهبين وتقاتل نحن الروم في باقي
الاستكر الى ان يصبحوا ويملوا فاذا رجعوا الى خيامهم ورجع المسلمون ركب من كان في الخيام
فالمسلمين ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون ونقصدهم على غرة فلعل الله ينصرنا عليهم
الضرجاعة من اعيان الصحابة واستشارهم فوافقوه على ذلك فلما كان الغد فعل عبدالله
اتفقوا عليه واقام جميع شجعان المسلمين في خيامهم وخبولهم عندهم مسرعة ومضى الباقيون
فقاتل الروم الى الظهر قتالا شديدا فلما اذن بالظهر هم الروم بالانصراف على العادة فلم يتمكنهم
ابن الزبير والحوال عليهم بالقتال حتى اتعبهم ثم عاد عنهم هو والمسلمون فكل من الطائفتين التي
سلاحه ووقع تعبها فعند ذلك اخذ عبدالله بن الزبير من كان مستريحا من شجعان المسلمين وقصد
الروم فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم وحلوا حلة رجل واحد وكبروا فلم يتمكن الروم من لبس
سلاحهم حتى غشيهم المسلمون وقتل جرجير قتله عبدالله بن الزبير وانهمز الروم وقتل منهم
مقتلة عظيمة واخذت ابنة الملك جرجير سبية واعطيت لعبدالله بن الزبير مع مائة الف ونازل
عبدالله بن ابي سرح المدينة فحصرها حتى فتحها ورأى فيها من الاموال ما لم يكن في غير هافكان
هم الفارس ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل الف ولما فتح عبدالله مدينة سبیطلة بث جيوشه
في البلاد فبلغت قفصة فسبوا وغنموا وسير عسكر الى حصن الاجم وقد احتفى به اهل تلك
البلاد فحصره وفتح بالامان فصالحه اهل افريقية على الف وخمسمائة الف دينار وارسل
الى عثمان بالبشارة بفتح افريقية ثم عاد عبدالله بن ابي سرح الى مصر وكان مقامه بافريقية سنة
وثلاثة اشهر ولم يفقد من المسلمين سوى ثلاثة منهم ابو ذؤيب الهذلي الشاعر فدفن هناك

❖ ذكر انتفاض افريقية وفتحها ثانية ❖

كان هرقل ملك القسطنطينية يؤدى اليه كل ملك من ملوك النصارى الخراج من مصر وافريقية واندلس وغير ذلك فلما صار ملك افريقية للمسلمين ارسل هرقل بعد مدة الى اهلها بطريقا وامر أن يأخذ منهم مثل ما اخذ المسلمون فنزل البطريق في قرطاجنة وجع النصارى الذين في افريقية واخبرهم بما امره الملك فأبوا عليه وقالوا نحن نؤدى ما كان يؤخذ منا وقد كان ينبغي له ان يسامحنا لما ناله المسلمون منا وكان قد قام بأمر افريقية بعد قتل جرجير رجل آخر من الروم فنزله البطريق بعد قتل كثيرة وتغلب الروم على افريقية فصار ذلك الرجل الى الشام وبه معاوية وقد استقر له الامر بعد قتل على رضى الله عنه فوصف له افريقية وطلب ان يرسل معه جيشا فسير معه معاوية بن حديج ٣٠ السكونى فوصل الى افريقية وهى نار تضطرم ومعه عسكر عظيم فنزل عند قونية وارسل البطريق اليه ثلاثين الف مقاتل فلما سمع بهم معاوية بن حديج سير اليهم جيشا من المسلمين فقاتلهم فانهزمت الروم وحصر حصن جملو لافلم يقدر عليه فانهدم الحصن فلكه المسلمون وغنمو اما فيه وبث السرايا فسكن الناس واطاعوا وعاد الى مصر

❖ ذكر غزوة الاندلس ❖

لما فتحت افريقية في خلافة عثمان رضى الله عنه امر عثمان رضى الله عنه عبد الله بن نافع ابن الحصين وعبد الله بن نافع بن عبد القيس ان يسيرا الى الاندلس فاتياها من قبل البحر وكتب عثمان الى من اتدب معهما اما بعد فان القسطنطينية لما افتتح من قبل الاندلس فخرجوا وفتحوا البربر ففتح الله على المسلمين فتوحات كثيرة من اراضى افريقية وزاد في سلطان المسلمين مثل افريقية واما الاندلس فلم تفتح الا في خلافة الوليد بن عبد الملك كما سيأتى ان شاء الله

❖ ذكر غزوة قنسرين ❖

وفي سنة سبع وعشرين غزا معاوية قنسرين فقتل وسبي وغنم ورجع وفي سنة ثمان وعشرين كان فتح قبرس على يد معاوية

❖ ذكر فتح قبرس في خلافة عثمان رضى الله عنه غزاها معاوية سنة ٢٨ ❖

وكان معه جماعة من الصحابة منهم ابوذر وابو الدرداء وعبادة بن الصامت ومعه زوجته ام حرام وكان معاوية قد استأذن عمر رضى الله عنه ان يغزو في البحر فلم يأذن له خوفا على المسلمين من ركوب البحر فلما كانت خلافة عثمان رضى الله عنه استأذن والح عليه فاذن له وقال لا تنتخب الناس ولا تفرع بينهم بل خيرهم فن اختار الغزو طائعا فاحله واعنه ففعل وسار المسلمون من الشام الى قبرس وسار عبد الله بن ابي سرح من مصر فاجتمعوا عليها فصالحهم اهلها على جزية سبعة الاف دينار كل سنة بعد قتل وسبي كثير في قبرس ويؤدون مثلها لملك الروم وفي هذه الغزوة ماتت ام حرام بنت ملحان الانصارية القتها بغلتها بجزيرة قبرس فاندقت عنها فانت تصديقاً للنبي صلى الله عليه وسلم حيث اخبرها انها في اول من يغزو في البحر كما في صحيح البخارى

❖ ذكر انتقاض اهل فارس ❖

في سنة تسع وعشرين انتقض اهل فارس فسار اليهم عبيد الله بن معمر فالتقوا على باب اصطخر فقتل عبيد الله وانهزم المسلمون وبلغ الخبر عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وكان على البصرة بعد عزل ابي موسى وكان لعبد الله بن عامر صحبة فاستنفر اهل البصرة وسار بالناس الى فارس فالتقوا باصطخر واشتد القتال فانهزم الفرس وقتل منهم مقتلة عظيمة وفتحت اصطخر عنوة واتي دارا بيجرد وقد غدر اهلها ففتحها وسار الى مدينة جور فانتقضت اصطخر فلم يرجع وتم السير الى جور وحاصرها الى ان فتحها وكان سبب فتحها ان بعض المسلمين قام يصلي ذات ليلة والى جانبه جراب له فيه خبز ولحم فجاء كلب فجره وغدابه حتى دخل المدينة من مدخلها خفي فلزم المسلمون ذلك المدخل حتى دخلوها منه وفتحوها عنوة فلما فرغ منها ابن عامر عاد الى اصطخر وفتحها عنوة بعد ان حاصرها واشتد القتال عليها ورميت بالمجانيق وقتل بها خلقا كثيرا من الاعاجم وافنى اكثر اهل البيوتات ووجوه الاساورة وكانوا قد لجؤا اليها

❖ ذكر غزوة سعيد بن العاص طبرستان ❖

سنة ثلاثين غزا سعيد بن العاص طبرستان وكان على الكوفة بعد عزل الوليد بن عقبة فخرج اهل طبرستان في خلافة عمر صالحوا سويد بن مقرن على مال بذلوه ثم تقصوا فغزاهم وانعبد بن العاص ومعه الحسن والحسين وابن عباس وابن عمر وابن الزبير وعبد الله بن عمرو فابن العاص وحذيفة بن اليمان واناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وخرج ابن عامر من البصرة يريد خراسان فسبق سعيدا ونزل نيسابور ونزل سعيد قزو وس واتي جرجان فصالحوه على مائتي الف ثم اتى طميسة فقاتله اهلها وضرب سعيد يوما رجلا بالسيف على حبل عاتقه فخرج السيف من تحت مرفقه فسأله الامان فاعطاهم وفتح ايضا نامية وفي هذه السنة غزا حذيفة الباب مددا لعبد الرحمن بن ربيعة وفي هذه الغزوة رأى حذيفة اخلافا كثيرا بين الناس في القرآن فلما رجع اشار على عثمان بجمع القرآن في المصاحف ففعل وقصة ذلك مشهورة لاحاجة لذكرها

❖ ذكر غزوة الصواري ❖

في سنة احدى وثلاثين غزا معاوية الصواري وسبها ان المسلمين لما اصابوا من اهل افرقية وقتلوه وسبوه خرج قسطنطين بن هرقل في جمع له لم يجمع الروم مثله منذ كان الاسلام فخرجوا في خمسمائة مركب اوسمائة وخرج المسلمون وعلى اهل الشام معاوية بن ابي سفيان وعلى اهل مصر عبد الله بن ابي سرح على طريق البحر وكانت الرياح على المسلمين لما شاهدوا الروم فأرسلوا فارسى المسلمون والروم وسكنت الرياح فقال المسلمون الامان بيننا وبينكم فباتوا ليلتهم والمسلمون يقرؤن القرآن ويصلون ويدعون والروم يضربون بالنواقيس وقرّبوا من الغد سفنهم وقرب المسلمون سفنهم فربطوا بعضها مع بعض واقتتلوا بالسيوف والخنجر وقتل من المسلمين بمر كثير وقتل من الروم مالا يحصى وصبر الفريقان صبرا لم يصبروا في

موطن قط مثله ثم انزل الله نصره على المسلمين فانهم قسطنطين جريحا ولم ينج من الروم الا الشريد وسار قسطنطين الى صقلية فسأله اهلها عن حاله فاخبرهم فقالوا اهلكتم النصرانية وافيت رجالها ولو انا العرب لم يكن عندنا من يمنعهم ثم ادخلوه الحمام وقتلوه وتركوا من كان معه واذنوا لهم في المسير الى القسطنطينية

ذكر مقتل يزدجرد بن شهر يار ملك الفرس

في سنة احدى وثلاثين كان مقتل يزدجرد واختلف في كيفية قتله اختلافا كثيرا وكان قد هرب من فارس الى خراسان ولم يزل المسلمون يتبعونه ويقفون اثره من مدينة الى مدينة وهو يهرب ثم بيته جماعة من الترك فقتلوه وقيل نام عند رجل ينقر الارحاء فقتله وقيل غير ذلك وكان ملكه عشرين سنة منها اربع سنين في دعة وست عشرة في تعب من محاربة العرب اياه وغلظتهم عليه وكان آخر من ملك من آل ازديشير بن بابك وصفا الملك بعده للعرب

ذكر مسير عبد الله بن عامر الى خراسان وفتحها

لما قتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه تقص اهل خراسان وغدروا فلما افتتح ابن عامر فارس قام اليه حبيب بن اوس التميمي فقال له ايها الامير ان الارض بين يديك ولم يفتح منها الا القليل فسر فان الله ناصرك قال اولم تؤمر بالمسير وقيل ان الاحنف بن قيس قال له اذ عدوك منك هارب ولك هائب والبلاد واسعة فسر فان الله ناصرك ومعزدينه فسار الى كرمان واستعمل عليها مجاشع بن مسعود السلمي وله صحبة وامره بمحاربة اهلها وكانوا قد نكثوا ايضا واستعمل على سجستان الربيع بن زياد الحارثي وكانوا ايضا قد ذقوا الصلح وغدروا ثم سار ابن عامر الى نيسابور وجعل على مقدمته الاحنف بن قيس فأتى البطسين وهما حصنان وهما بابا خراسان فصالحه اهلها على ستمائة الف درهم وبعث سرية الى رستاق زام من اعمال نيسابور ففتحته عنوة وفتح باخرز من اعمال نيسابور ايضا وفتح جوين من اعمال نيسابور ايضا ووجه الاسود بن كثوم العدوي الى يهق من اعمالها ايضا فقصده قصبته ودخل حيطان البلد من ثلثة كانت فيه ودخلت معه طائفة من المسلمين فاخذ العدو عليهم تلك الثلثة فقاتل الاسود حتى قتل هو وطائفة ممن معه وقام بامر الناس بعده اخوه ادهم بن كثوم فظفر وفتح يهق وكان الاسود يدعو الله ان يحشره في بطون السباع والطير فلم يواره اخوه ودفن من استشهد من اصحابه وافتتح ابن عامر في هذه الغزوة بشت من نيسابور وهذه بشت بالشين المعجمة وليست ببست التي بالسين المهملة فان تلك من بلاد الداو و هذه من خراسان من نيسابور وافتتح ايضا خواف واسفر ابن واريغان ثم قصد نيسابور بعد ما استولى على اعمالها وافتتحها فحصر اهلها اشهرا وكان على كل ربع منها مرزبان لفرس يحفظه فطلب صاحب ربع من تلك الارباع الامارة على ان يدخل المسلمين المدينة فاجيب الى ذلك فادخلهم ليلا ففتحوا الباب وتحصن مرزبانها الاكبر في حصنها ومعها جماعة وطلب الامان والصلح على جميع نيسابور فصالحه على الف الف درهم وولى نيسابور قيس بن الهيثم السلمي وسير جيشا الى نسا واپور وافتتحوها صلحا وسير

سرية اخرى الى سرخس مع عبدالله بن خازم السلمي فقاتلوا اهلها ثم طلبوا الامان والصلح على امان مائة رجل فاجيبوا الى ذلك فصالحهم مرزبانها على ذلك وسمى مائة رجل ولم يذكر نفسه فقتله عبدالله ودخل سرخس عنوة واتى مرزبان طوس الى ابن عامر فصالحه عن طوس على ستمائة درهم وسير جيشا الى هراة عليهم عبدالله بن خازم فبلغ مرزبان هراة ذلك فسار الى ابن عامر فصالحه عن هراة وبادغيس ووشنج وقيل بل سار ابن عامر في الجيش الى هراة فقاتله اهلها ثم صالحه مرزبانها على الف الف درهم ولما غلب ابن عامر على هذه البلاد ارسل اليه مرزبان مرو فصالحه على الف الف ومائتي الف درهم وارسل ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلي الى مرزبانها وكانت مرو كلها صلحا الا قرية منها يقال لها سنج فانها اخذت عنوة ووجه ابن عامر الاحنف بن قيس الى طخارستان فر برستاق يعرف بعد ذلك برستاق الاحنف ويدعى سوانجرد فحصر اهلها فصالحوه على ثلثمائة الف درهم فقال الاحنف اصالحكم على ان يدخل رجل منا القصر فيؤذن فيه وقيم فيكم حتى ينصرف فرفضوا بذلك ومضى الاحنف الى مرو الروذ فقاتله اهلها فقتلهم وهزمهم وحصرهم وكان مرزبانها من اقارب باذان صاحب اليمن فكتب الى الاحنف انه دعاني الى الصلح اسلام باذان فصالحه على ستمائة الف وسير الاحنف سرية فاستولت على رستاق بغ واستاقت منه مواشى ثم صالحه اهلها وجمع له اهل طخارستان فاجتمع اهل الجوزجان والطاقان والغارياب ومن حولهم في خلق كثير فالتقوا واقتتلوا وحمل ملك الصغانيان على الاحنف فانزع الاحنف الرمح من يده وقا تل قتلا شديدا فانهزم المشركون وقتلهم المسلمون قتلا ذريعا كيف شاؤا وعاد الى مرو الروذ ولحق بعض العدو بالجوزجان فوجه اليهم الاحنف الاقرع بن حابس التميمي في خيل وقال يابني نعيم تحابوا وتبادلوا تعدل امورك وابدؤا بجهاد بطونكم وفروجكم بصلح لكم دينكم ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم فسار الاقرع فلقى العدو بالجوزجان فكانت بالمسلمين جولة ثم عادوا فهزموا المشركين وفتحوا الجوزجان عنوة وفتح الاحنف الطالقان صلحا وفتح الغارياب ثم سار الاحنف الى بلخ وهي مدينة طخارستان فصالحه اهلها على اربعمائة الف وقيل سبعمائة الف واستعمل على بلخ أسيد بفتح الهزة بن المشمس ثم سار الى خوارزم وهي على نهر جيحون فلم يقدر عليها فاستشار اصحابه فقال له حضين بالضاد المعجمة بن المنذر قال عمرو بن معدى كرب * اذا لم تستطع شيأ فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع *

فعاد الى بلخ وقد قبض أسيد صلحها ولما تم لابن عامر هذا الفتح قال له الناس ما فتح لاحد ما فتح عليك فارس وكرمان وسجستان وخراسان فقال لاجرم لاجعلن شكرى لله تعالى على ذلك ان اخرج محرما من موقفي هذا فاحرم بعمره من نيسابور وقدم على عثمان واستخلف على خراسان قيس بن الهيثم فسار قيس بعد شخوصه في ارض طخارستان فلم يأت بلدا منها الا صالحه اهلها واذعنوا له حتى اتى سمجان فامتنعوا عليه فحصرهم حتى فتحها عنوة

ذكر فتح كرمان

لما سار ابن عامر عن كرمان الى خراسان واستعمل مجاشع بن مسعود السلمي على كرمان امره

ان يفتحها وكان اهلها قد نكثوا وغدروا ففتح همد عذوة ^{استبقى اهلها} وبنى بها قصر يعرف بقصر مجاشع واتى السرجان وهي مدينة ^{ان فاقام عليها اياما} يسيرة واهلها متحصنون وفتحها عذوة فجلا كثير من اهلها عنها وفتح جيرف ^{ان فاقام عليها اياما} في كرمان فدوخ اهلها واتى القفص وقد تجمع له خلق كثير من الاعاجم الذين جلوا فقاتلهم فظفر بهم وظهر عليهم وهرب كثير من اهل كرمان فركبوا البحر ولحق بعضهم بكران وبعضهم بسجستان فأقطعت العرب منازلهم واراضهم فعمروها واحتفروا لها القنى في مواضع منها وادوا العشر

❖ ذكر فتح سجستان وكابل وغيرها ❖

قد تقدم ذكر فتح سجستان ايام عمر بن الخطاب ثم ان اهلها نقضوا بعده فلما توجه ابن عامر الى خراسان سيرا اليها من كرمان الربيع بن زياد الحارثي فقطع المغازة حتى اتى حصن زالق فاغار على اهل يوم مهرجان واخذ الدهقان فاقتدى نفسه بان غرز عذوة وغمرها ذهباً وفضة وصالحه على صلح فارس ثم اتى بلدة يقال لها كركوبه فصالحه اهلها وسار الى زرنج فزل على مدينة روست بقرب زرنج فقاتله اهلها واصيب رجال من المسلمين ثم انهزم المشركون وقتل منهم مقتلة عظيمة واتى الربيع ناشروذ ففتحها ثم اتى شروان فغلب عليها وسار منها الى زرنج فنازلها وقاتله اهلها فهزمهم وحصرهم فارس اليه مرز بانها ليصالحه واستأمنه على نفسه ليحضر عنده فامنه وجلس له الربيع على جسد من اجساد القتلى واتكأ على آخرو وامر اصحابه ففعلوا مثله فلما رآهم المرز بان هاله ذلك فصالحه على الف وصيف مع كل وصيف جام من ذهب ودخل المسلمون المدينة ثم سار منها واتى القرية التي بها سار بفرس رستم الشديد فقاتله اهلها فظفر بهم ثم عاد الى زرنج واقام بها نحو سنة وعاد الى ابن عامر واستخلف عليها عاملاً فاخرج اهلها العامل وامتنعوا فكانت ولاية الربيع سنة ونصفا وسبى فيها اربعين الف رأس وكان كاتبه الحسن البصري فاستعمل ابن عامر عبدالرحمن بن سمرة ابن حبيب بن عبد شمس على سجستان فسار اليها فحصر زرنج فصالحه مرز بانها على الف درهم والفي وصيف وغلب عبدالرحمن على ما بين زرنج والكش من ناحية الهند وغلب من ناحية الرخم على ما بينه وبين الداون فلما انتهى الى بلاد الداون حصرهم في جبل الزوز ثم صالحهم ودخل على الزوز وهو صنم من ذهب عناه ياقوتستان فقطع يده واخذ الياقوتين ثم قال للمرز بان دونك الذهب والجوهر وانما اردت ان اعلمك انه لا يضر ولا ينفع وفتح كابل وزابلستان وهي ولاية غزنة ثم عاد الى زرنج فاقام بها ثم استخلف عليها امير بن اجر اليشكري وانصرف فاخرج اهلها امير بن اجر وامتنعوا

❖ غزوة مضيق القسطنطينية ❖

في سنة اثنين وثلاثين غراماوية بن ابي سفيان مضيق القسطنطينية فقتل وسبى وغنم ورجم

❖ ذكر غزوة بلنجر ❖

لما تابعت الغزوات على الخزر والترك تدامروا وقالوا كنا لا يقرن بنا احد حتى جاءت هذه

الامة القليلة فصرنا لانقوم لها فقال بعضهم ان هؤلاء لا يموتون وما اصاب منهم احد في غزاهم وكان المسلمون غزاهم قبل ذلك فلم يقتل منهم احد فلهذا ظنوا انهم لا يموتون فقال بعضهم افلا تجربون فكمنوا لهم في الفيض فربالكمين نقر من الجند فرمواهم منها فقتلوه فتواعد رؤسهم على حربهم ثم اتعدوا يوما وكان عثمان قد كتب الى عبدالرحمن بن ربيعة وهو على الباب ان الرعية قد ابطرها البطنة فلا تقتحم بالمسلمين فاني اخشى ان يقتلوا فلم يرجع عبدالرحمن عن مقصده فغزا نحو بلنجير وكان الترك قد اجتمعت مع الخزر فقاتلوا المسلمين قتالا شديدا وقتل عبدالرحمن وكان يقال له ذوالنون وهو اسم سيفه فأخذ اهل بلنجير جسده فجعلوه في تابوت فهم يستسقون به فلما قتل وقتل كثير من معه انهزم الناس واشرقت فرقته نحو الباب فلقوا سلمان بن ربيعة اخا عبد الرحمن كان قد سيره سعيد بن العاص مدد للمسلمين بأمر عثمان فلما لقوه نجوا معه وفرقة نحو جيلان وجرجان فيهم سلمان الفارسي وابو هريرة

❖ ذكر خروج الترك مع ملكهم قارن ❖

في سنة ثنتين وثلاثين خرجت جوع من الترك من ناحية خراسان في اربعين الف عليهم قارن من ملوكهم فانهى الى الطبيين واجتمع له اهل بادغيس وهرات وقهستان وكان على خراسان يومئذ قيس بن الهيثم السلمي استخلفه عليها ابن عامر عند خروجه الى مكة محرما فدوخ جهتها وكان معه ابن عمه عبدالله بن خازم فقال لابن عامر اكتب لي على خراسان عهدا اذا خرج منها قيس ففعل فلما اقبلت جوع الترك قال قيس لابن خازم ما ترى قال ارى ان تخرج من البلاد فان عهد ابن عامر عندي بولايتها فترك منازعته وذهب الى ابن عامر وقيل اشار عليه ان يخرج الى ابن عامر يستدعيه فلما خرج اشهر عهد بن عامر له بالولاية عند مغيب قيس وسار ابن خازم للقاء الترك في اربعة آلاف وأمر الناس فحملوا الودك فلما قرب من قارن أمر الناس ان يدرج كل رجل منهم على زج رمحه خرقة او قطناء ثم يكتفوا دهنه ثم سار حتى امسى فقدم مقدمته ستمائة ثم اتبعهم وأمر الناس فاشعلوا النار في اطراف الرماح فانهت مقدمته الى معسكر قارن نصف الليل فناوشوهم وهاج الناس على دهش وكانوا آمنين من البيات ودنا ابن خازم منهم فأروا النيران بمنة ويسرة تتقدم وتتأخر وتخفض وترفع فهاهم ذلك ومقدمة ابن خازم يقاتلونهم ثم غشيهم ابن خازم واكثروا القتل في المشركين وقتل ملكهم قارن فانهزم المشركون واتبعهم المسلمون يقتلونهم كيف شاؤوا واصابوا صيدا كثيرا وكتب ابن خازم بالفتح الى ابن عامر فرضى واقره على خراسان

❖ غزوة حصن المرأة ❖

في سنة ثلاث وثلاثين غزا معاوية حصن المرأة من ارض الروم بناحية ملاطية فقتل وسبي ثم ورجع وفي هذه السنة كانت غزوة عبدالله بن سعد بن ابي سرح افريقية الثانية حين لما اهلها العهد

ذكر انتفاض اهل قبرس وغزوهم في سنة ٣٣

وفي هذه السنة نقض اهل قبرس واما انوا الروم على الغزو في البحر بمراكب اعطوهم اياها فغزا معاوية اهل قبرس وفتحها عنوة وقتل وسبي ثم أقرهم على صلحهم وبعث اليهم اثني عشر الفا فبنوا المساجد وبنى مدينة وفي تاريخ جنابي ان في سنة خمس وثلاثين ركب البحر امير مصر عبدالله بن ابي سرح من الاسكندرية بقصد غزو القسطنطينية فاستقبلهم ملك الروم في الف مركب وكان المسلمون في مائة مركب فالتقوا باسكلة فكنه مغرب انطاكية فرأى ملك الروم رؤيا عبرت له بتعبير مستخرج من الالفاظ التي رآها فجمعت وخرج منها حروف ترجمتها لا تطلب الغلبة فلم يعمل بمقتضى ذلك بل استهان بالمسلمين وقاتلهم ففتح الله النصر للمسلمين وولى الكفار هاربين فنهزم من غرق في البحر ومنهم من أخذ السيف ومنهم من اسر وغنم المسلمون كثيرا من مراكبهم ورجعوا الى جزيرة رودس وشنوا عليها الغارة وفتحوها في اربع زمان وضربوا على من فيها الجزيرة واعطوهم الامان

ذكر فتح رودس في سنة ٣٥

وفي تاريخ ابن الاثير ان فتح رودس كان في سنة ثلاث وخسين في خلافة معاوية ففتحها جنادة بن ابي امية الازدي وسيأتي ذكر ذلك واعلمه فتح ثان بعد هذا الفتح انتهت الفتوحات التي كانت في خلافة عثمان رضي الله عنه ثم وقع الاختلاف بين المسلمين في شأن الامراء الى ان قتل عثمان رضي الله عنه شهيدا وقصته مشهورة لاحاجة الى ذكرها وكان استشهاده للثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين يوم الجمعة وكانت خلافته اثني عشرة سنة الاثني عشر يوما وقيل الاثمانية ايام وقيل بل قتل ايام التشريق وكان عمره اثنتين وعشرين سنة وقيل ثمانيا وعشرين وقيل تسعين ثم بويع على رضي الله عنه ووقع الاختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم في قسلة عثمان وكانوا يجتهدون في طلب الحق فنهزم من اصاب ومنهم من اخطأ فالمصيب له اجران والخطيئ له اجر واحد فيجب الامساك عما جرى بينهم وتأويله باحسن التأويل وحله على احسن المحامل واستمر الحال الى ان استشهد على رضي الله عنه سبع عشرة خلت من رمضان سنة اربعين وعمره ثلاث وستون سنة ومدة خلافته خمس سنين الاثلاثة اشهر ثم بويع ابنه الحسن رضي الله عنه واستمر سنة اشهر ثم نزل عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه حقنا لدماء المسلمين وتحقيقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم ان ابني هذا سيد وسمي بيمين عظيمتين من المسلمين فكان اجماع الصحابة على خلافة معاوية رضي الله عنه سنة احدى واربعين في ربيع الاول وقيل الآخر وفي هذه السنة استعمل عمرو بن العاص وكان على مصر عقبة بن نافع بن عبد قيس على افرقية فانهى الى لوانة ومزانة فاطاعوا ثم كفروا فغزاهم من سنه فقتل وسبي ثم افتتح في ستة اثنى واربعين غدامس فقتل وسبي وفتح في سنة ثلاث واربعين كورا من كور السودان وافتتح ودان وهي من برقة وافتتح عامة بلاد البربر وهو الذي اختط القيروان سنة خمسين وفي سنة اثنى

واربعين ايضا غزا المسلمون اللان وغزوا الروم ايضا وهزموهم هزيمة منكرة وقتلوا اجاعة من بطارتهم وفي سنة ثلاث واربعين غزا بسر بن ابي ارطاة الروم وشق بارضهم حتى بلغ القسطنطينية وفيها اعاد معاوية عبدالله بن عامر على ولاية البصرة وجعل اليه ولاية خراسان وسجستان فاستعمل ابن عامر عبدالرحمن بن سمرة على سجستان فأتاها وعلى شرطته عباد ابن الحصين الحبطي فكان يغزو البلد قد كفرا هله ففتحته حتى بلغ كابل فحصرها اشهرها ونصب عليها مجانيق فلم سورها ثلثة عظيمة فبات عليها عباد بن الحصين ليلة يطاعن المشركين حتى اصبح فلم يقدرُوا على سدها وخرجوا من الغد يقاتلون فهزمهم المسلمون ودخلوا البلد عنوة ثم سار الى بست ففتحها عنوة وسار الى زران فهرب اهلها وغلب عليها ثم سار الى خشك فصالحه اهلها ثم اتى الرخج فقاتلوه فظفر بهم وفتحها ثم سار الى زابلستان وهي غزنة واعمالها فقاتله اهلها وقد كانوا نكثوا ففتحها وعاد الى كابل وقد نكث اهلها ففتحها واستعمل ابن عامر على ثغر السند عبدالله بن سوار العبدى فغزا القيقان فاصاب مغنا ثم غزاهم مرة أخرى فاستنجدوا بالترك فقتلوه وكان كريما لم يوقد احد في عسكره نارا فرأى ذات ليلة نارا فقال ماهذه قالوا امرأة تقساء يعمل لهما الخبيص فامر ان يطعم الناس الخبيص ثلاثة ايام

✽ ذكر غزوه السند ✽

وفي سنة اربع واربعين دخل المسلمون مع عبدالرحمن بن خالد بن الوليد بلاد الروم وشقوا بها وغزا بسر بن ابي ارطاة في البحر وغزا المهلب بن ابي صفرة ثغر السند فأتى بنة والاهواز بين الملتان وكابل فلقيه العدو وقاتله ولقي المهلب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارسا من الترك فقاتلوه فقتلوا جميعا وفي سنة ست واربعين غزا الروم مالك بن عبدالله وشق في ارض الروم وقيل بل كان عبدالرحمن بن خالد بن الوليد وقيل بل كان مالك بن هبيرة السكوني وفي سنة سبع واربعين كان مشى مالك بن هبيرة بارض الروم غازيا ومشى عبدالرحمن القيني بانطاكية وفيها سار الحكم بن عمرو الغفاري وكان على خراسان الى جبال الغور فغزا من بها وكانوا قد ارتدوا فاخذهم بالسيف عنوة وفتحها واصاب منها مغنائم كثيرة وسبأيا وكان المهلب بن ابي صفرة مع الحكم بن خراسان وغزاه معه بعض جبال الترك فغنموا واخذ الترك عليهم الشعاب والطرق فعمى الحكم بالامر فولى المهلب الحرب فلم يزل يقاتل حتى اسر عظيم من عظماء الترك فقال له اما ان تخرجنا من هذا المضيق او لاقتلنك فقال له او قد النار حيال طريق من هذه الطرق وسير الاتقال نحوهم فانهم يستجمعون فيه ويخلون ماسواه من الطرق فبادرهم الى طريق اخرى فما يدركونكم حتى تخرجوا منه ففعل ذلك فسلم الناس بامعهم من الغنائم وفي سنة ثمان واربعين كان على غزو المسلمين الروم في الشتاء عبدالرحمن القيني وفي الصيف عبدالله بن قيس الفزاري وغزا مالك بن هبيرة السكوني البحر وغزا عقبه بن عامر الجهني باهل مصر البحر بن وغزا يزيد بن شجرة الرهاوى باهل الشام في البحر

✽ ذكر غزوة القسطنطينية ✽

في سنة تسع واربعين وقيل ثمان واربعين سير معاوية جيشا كثيفا الى بلاد الروم للغزو وجعل

عليهم سفيان بن عوف الأزدي وكان في الجيش عبدالله بن عباس وابن عمر وابن الزبير وابو
ايوب الانصاري ويزيد بن معاوية فاوغلوا في بلاد الروم وحاصروا القسطنطينية واقتتل
المسلمون والروم قتلا شديدا واستشهد ابو ايوب رضي الله عنه ودفن بالقرب من سورها وفي
سنة خمس مائة اغرام معاوية بسر بن اوطاة وسفيان بن عوف ازدي ارض الروم واغرام فضالة
ابن عبيد الله الانصاري في البحر وفي هذه السنة استعمل معاوية عقبة بن نافع الفهري على
افريقية وكان مقيما يرقه وزويلة منذ فتحها ايام عمر بن العاص وله في تلك البلاد جهاد
وقروح فلما استعمله معاوية سير اليه عشرة آلاف فارس فدخل افريقية وانضاف اليه من اسلم
من البربر فكثر جمعه ووضع السيف في اهل البلاد لانهم كانوا اذا دخل اليهم امير اطاعوا
واظهر بعضهم الاسلام فاذا عاد الامير عنهم نكثوا وارتد من اسلم ثم رأى ان يتخذ مدينة يكون بها
عسكر المسلمين واهلهم واموالهم ليأمنوا من ثورة تكون من اهل البلاد فقصد موضع القبروان
وكانت اجرة مشتبكة بهاشي كثير من انواع الحيوان من السباع والحيات وغير ذلك فذما
الله تعالى وكان مستجاب الدعوة ومن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم نادى ايها الحيات
والسباع انا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحلوا عنا فاننا نازلون ومن وجدناه بعد
ذلك قتلناه فنظر الناس ذلك اليوم الى الدواب تحمل اولادها وتنقل ورأى ذلك كثير من
قبائل البربر فاسلخوا وقطع الاشجار وامر ببناء المدينة فبنيت وبني المسجد الجامع وبني الناس
مساجدهم ومساكنهم حتى كان دورها ثلاثة آلاف باع وستمائة باع وكان في اثناء عمارة المدينة
المذكورة يغزو ويرسل سرايا فتغير وتنهب ودخل كثير من البربر في الاسلام واتسعت خطة المسلمين
وفوى جنان من هناك من الجنود بمدينة القبروان وامنوا واطمأنوا على المقام فثبت الاسلام
فيها وفي سنة احدى وخمسين كان على غز المسلمين فضالة بن عبيدة فشتى بالروم وفي
بسر بن ابي اوطاة وفي السنة المذكورة غزا بلخ الربيع بن زياد والחרث وكان على خراسان
ففتحها صلحا وكانت قد تنقضت بعدما صالحهم الاحنف بن قيس وفتح الربيع ايضا قهستان
عنوة وقتل من بناحيها من الاثراك وبنى منهم نيزك طرخان فقتله قتيبة بن مسلم في ولايته وفي
سنة ثنتين وخمسين كان على غزو المسلمين الروم سفيان بن عوف وبسر بن ابي اوطاة في الشتاء
وفي الصيف محمد بن عبدالله الثقفي وفي سنة ثلاث وخمسين كان على الجيش في الشتاء عبد الرحمن
ابن ام الحكم الثقفي بالروم وفي هذه السنة فتحت رودس جزيرة في البحر ففتحها جنادة بن
ابي امية الأزدي ونزلها المسلمون وهم على حذر من الروم وكانوا اشد شئ على الروم
يعترضونهم في البحر ويأخذون سفنهم وكان معاوية يكثر لهم العطا وكان العدو قد خافهم فلما
توفي معاوية اقلعهم ابنه يزيد واخذ الجزية والخراج من اهلها وفي سنة اربع وخمسين كان على
جيش المسلمين في غزوهم الروم محمد بن مالك شتاب ومعاوية بن يزيد السلمي صيفا وفي هذه السنة
فتح المسلمون جزيرة ارواد قريب القسطنطينية ومقدمهم جنادة بن ابي امية وفي هذه السنة
ايضا استعمل معاوية على خراسان عبيد الله بن زياد فسار الى خراسان فقطع النهر الى جبال
بخارى على الابل في جيش وفتح رامي ونسف ويكند وهي من بخارى وغنم كثيرة ولما لقي
الترك وهزمهم كان مع ملكهم زوجته فعبجوها عن لبس خفيها فلبست احدهما وبقي الآخر

فاخذه المسلمون فقوم بمائتي الف درهم وفي سنة خمس وخسين كان على جيش المسلمين في الغزو
 شتاء عمرو بن محرز وقيل عبدالله بن قيس الفزارى وفي سنة ست وخسين كان على جيش
 المسلمين في غزو الروم جنادة بن ابي امية وغزاه في البحر يزيد بن شجرة وفي البر عياض بن الحارث
 وفي هذه السنة استعمل معاوية على خراج خراسان وحربها سعيد بن عثمان بن عفان رضى
 الله عنه فلما قدم خراسان قطع جيكون الى سمرقند والصغد وهزم الكفار وفتح ترمذ صلحا وفي
 سنة سبع وخسين كان على جيش المسلمين بارض الروم عبدالله بن قيس شتاء وفي سنة ثمان وخسين
 كان على جيش المسلمين بارض الروم مالك بن عبدالله الخثعمي وفي البحر عمرو بن يزيد الجهني وقيل
 جنادة بن ابي امية وفي سنة تسع وخسين كان على جيش المسلمين عمرو بن مرة الجهني
 بارض الروم في السبر وفي البحر جنادة بن ابي امية وقيل لم يكن في البحر غزوة هذه السنة
 وفي هذه السنة غزا المسلمون حصن كعخ من بلاد الروم ومعهم عمير بن الحباب السلمي فصعد عمير
 السور ولم يزل يقاتل عليه وحده حتى كشف الروم فصعد المسلمون فكان الفتح بعمير وبذلك كان
 يفخر وفي سنة ستين كانت غزوة لمالك بن عبيد الله في سورية وفي السنة المذكورة توفي
 معاوية رضى الله عنه وفي سنة احدى وستين استعمل يزيد على خراسان سلم بن زياد فقدم
 خراسان وعبر نهر جيكون وكان معه المهلب بن ابي صفرة وكان ثمالى خوارزم مدينة يجتمع
 فيها كثير من ملوكهم وكان المسلمون يطالبون امراءهم غزوت تلك المدينة فيأبون عليهم
 فاجاب المهلب على سلم وسأله التوجه الى تلك المدينة فوجهه في ستة آلاف فحاصروهم فطلبوا
 اليه بالخروج على ان يعدوا اتقهم فاجابهم الى ذلك وصالحوه على نيف وعشرين الف الف
 كان في صلحهم ان يأخذ منهم عروضاً فكان يأخذ الرأس والدابة والمتاع بنصف ثمنه
 فبلغت قيمة ما اخذ منهم خمسين الف الف وغزا سلم سمرقند ووجه جيشا الى خجندة فهزموا واستعمل
 سلم اخاه يزيد على سجستان فغدر اهل كابل فنكثوا واسروا ابا عبيدة بن زياد فسار اليهم
 يزيد بن زياد في جيش فاقتلوا وانهزم المسلمون وقتل منهم كثير فلما بلغ الخبر سلم بن زياد سير طلحة
 ابن عبدالله الخزازي وهو طلحة الطلحات ففدى ابا عبيدة بن زياد بخمسمائة الف درهم
 وسار طلحة من كابل الى سجستان واليا عليها فجبى المال واعطى زواره ومات بسجستان
 فيه يقول القائل رحم الله اعظمها دفنوها بسجستان ان طلحة الطلحات

❖ ذكر غزوة عقبة بن نافع بلاد السوس وكثير من وقائع افریقیة ❖

سنة ثنتين وستين ترك بالقيروان عقبة بن نافع جندا مع الذراري والاموال واستخلف بها
 هير بن قيس البلوى واحضر اولاده فقال اني قد بعت نفسي من الله عز وجل فلا زال اجاهد
 بن كافر بالله واوصى بما يفعل بعده ثم سار في عسكر عظيم حتى دخل مدينة باغايه وقد اجتمع بها
 خلق كثير من الروم فقاتلوه قتالا شديدا وانهزموا وعنه وقتل فيهم قتلا ذريعا وغنم منهم غنائم كثيرة
 دخل المنهزمون المدينة وحاصروهم عقبة ثم كره المقام عليهم فسار الى بلاد الزاب وهي بلاد
 اسعة فيها عدة مدن وقرى كثيرة فقصد مدينتها العظمى واسمها اربة فاضع بها من هناك
 من الروم والنصارى وهرب بعضهم الى الجبال فاقتتل المسلمون ومن بالمدينة من النصارى عدة

دفعات ثم انهزم النصراني وقتل كثير من فرسانهم ورحل الى تاهرت فلما بلغ الروم خبره استعانوا بالبربر فاجابوهم ونصروهم فاجتمعوا في جمع كثير واقتتلوا قتالا شديدا واشتد الامر على المسلمين لكثرة العدو ثم ان الله تعالى نصرهم فانهزم الروم والبربر واخذهم السيف وكثر فيهم القتل وغنم المسلمون اموالهم وسلاحهم ثم سار حتى نزل على طنجة فلقبه بطريق من الروم اسمه بليان فأهدى له هدية حسنة ونزل على حكمه ثم سأل عن الاندلس فعظم الامر عليه فسأله عن البربر فقال هم كثير ولا يعلم عددهم الا الله تعالى وهم بالسوس الادنى وهم كفار لم يدخلوا في النصرانية ولهم بأس شديد فسار عقبة اليهم نحو السوس الاقصى وهو مغرب طنجة فأتتهى الى اوائل البربر فلقوه في جمع كثير فقتل فيهم قتلا ذريعا وبعث خيله في كل مكان هربوا اليه وسار هو حتى وصل الى السوس الاقصى وقد اجتمع له البربر في عالم لا يحصى فلقبهم وقاتلهم وهزمهم وقتل المسلمون فيهم حتى ملوا وغنموا منهم وسبوا سبيا كثيرا وسار حتى بلغ مالبيان ورأى البحر المحيط فقال يا رب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهدا في سبيلك ثم عاد ففر الروم والبربر عن طريقه خوفا منه واجتاز بمكان يعرف اليوم بماء القرس فنزله ولم يكن به ماء فالحق الناس عطش كثير واشرفوا على الهلاك فصرى عقبة ركعتين ودعا فبحث فرس له الارض بيديه فكشف له عن صفاة فالتجبر الماء فنأدى عقبة في الناس فحفروا احسا كثيرة وشربوا فسمى ماء القرس فلما وصل الى مدينة طنجة وبينهم وبين القيروان ثمان نيسة ايام امر اصحابه ان يتقدموا فوجا فدوا ثقة منه بمائال من الله وانه لم يبق احد يخشاه وسار الى تهودا لينظر اليها في نفر يسير فلما رآه الروم في قلعة طمعوا فيه واغلاقوا باب الحصن وشتموه وقاتلوه وهو يدعوهم الى الاسلام فلم يقبلوا منه ثم ارسل الروم الى كسيلة بن كرم الى افرى ليمر ع لقتال عقبة فبادر الى ذلك وكان كسيلة المذكور قد اسلم في مدة اماره فاجابهم افرى بقبلة عقبة وحسن اسلامه وهو من اكابر البربر وصحب ابا المهاجر فلما ولي عقبة افرى ابوا المهاجر محل كسيلة وأمره بأكرامه فلم يقبل عقبة واستخف بكسيلة واتى عقبة مرة اخرى فأمر كسيلة بذبحها وسلحها مع السلاحين فقال كسيلة هؤلاء فتيان وغلماي يكفونني المؤنة فبذل وأمره بسلحها ففجع ابوا المهاجر ذلك عند عقبة فلم يرجع فقال له اوثق الرجل فأنى اخاف عليك منه فتهاون به عقبة فاضمر كسيلة الغدر فلما كان الآن ورأى الروم قلة من مع عقبة ارسلوا الى كسيلة واعلموه حاله وكان في عسكر عقبة وقد اضمر الغدر واعلم الروم بذلك واطمعهم فلما راسلوه اظهروا ما كان يضره وجمع اهله وبنى عمه وقصد عقبة فقتل ابوا المهاجر عاجله قبل ان يقوى جمعه فزحف عقبة الى كسيلة فتنحى كسيلة عن طريقه ليكثر جمع فلما كثر جمعه قاتل عقبة فهزمه فكسر عقبة والمسلمون اجفان سيوفهم وتقدموا الى البربر وقاتلوهم فقتل المسلمون جميعهم لم يفلت منهم احد واسر محمد بن اوس النصراني في نفر يسير فخلصهم صاحب قفصة وبعث بهم الى القيروان فعزم زهير بن قيس البلوي على القتال وكان خليفة عقبة بالقيروان فخالفه جيش الصنعا في وعاد الى مصر فقتله اكثر الناس فاضطرزها الى العود معهم فسار الى برقة واقام بها واما كسيلة فاجتمع اليه جمع من افرى بقبلة وقصد افرى بقبلة وبها اصحاب الانفال والذراري من المسلمين فطلبوا الايمان من سمة فأمّنهم ودخل

القيروان واستولى على افرريقية واقام بها وحصلت الفتنة بين عبد الملك بن مروان
وعبد الله بن الزبير فلما قوى امر عبد الملك انفذ الجيوش الى افرريقية وكتب الى زهير بن قيس
البلوي بولاية افرريقية فصار سنة تسع وستين الى افرريقية بالجيوش فبلغ خبره الى كسيلة
فاحتفل وجمع وحشد البربر والروم واحضر اشراف اصحابه وقال قد رأيت ان ارحل
الى ممش فانزلها فان بالقيروان خلقا كثيرا من المسلمين ولهم علينا عهد فلانغدر بهم ونخاف
ان قاتلنا زهير ان يثبت هؤلاء من ورائنا فاذا نزلنا ممش امناهم وقاتلنا زهير فان ظفروا بهم تبعناهم
الى طرابلس وقطعنا اثرهم من افرريقية وان ظفروا بنا تعلقنا بالجبال ونجونا فأجابوه الى ذلك
ورحل الى ممش وبلغ ذلك زهير فلم يدخل القيروان بل اقام ظاهرها ثلاثة ايام حتى اراح
واستراح ثم رحل في طلب كسيلة فلما قاربها نزل وعي اصحابه وركب اليه فالتقى العسكران
واشتد القتال وكثر القتل في الفريقين حتى ابس الناس من الحياة فلم يزالوا كذلك اكثر النهار
ثم نصر الله المسلمين وانهزم كسيلة واصحابه وقتل هو وجاعة من اعيان اصحابه بممش وتبع
المسلمون الروم والبربر فقتلوا من ادر كوا منهم فأكثروا وفي هذا الواقعة ذهب رجال
البربر والروم وملوكهم واشرافهم وعاد زهير الى القيروان ثم ان زهير رأى بافرريقية ملكا
عظيما فأبى ان يقيم وقال انما قدمت للجهاد فاخاف ان اميل الى الدنيا فاهلك وكان عابدا زاهدا
فترك بالقيروان عسكرا وهم آمنون لخلو البلاد من عدو اودى شوكة ورحل في جمع كثير
يريد مصر وكان قد بلغ الروم بالقسطنطينية مسير زهير من برقة الى افرريقية لقتال كسيلة
فاغتموا خلوهما فخرجوا اليها في مراكب كثيرة وقوة قوية من جزيرة صقلية واغاروا
على برقة فأصابوا منها سبيا كثيرا وقتلوا ونهبوا ووافق ذلك قدوم زهير من افرريقية
الى برقة فاخبر الخبر فأمر العسكر بالسرعة والجد في قتالهم ورحل هو ومن معه وكان الروم
خلقا كثيرا فلما رآه المسلمون استغاثوا به فلم يمكنه الرجوع فباشر القتال واشتد الامر
وعظم الخطب وتكاثر الروم عليهم فقتلوا زهير واصحابه ولم ينج منهم احد وما دالروم بما
غنموا الى القسطنطينية ولما سمع عبد الملك بن مروان بقتل زهير عظم عليه واشتد وكان مشغولا
بما كان بينه وبين ابن الزبير فلما قتل ابن الزبير واجتمع المسلمون عليه جهز جيشا كثيرا ثم
سيرهم الى افرريقية واستعمل عليهم وعلى افرريقية حسان بن النعمان الغساني ولم يدخل افرريقية
قط جيش مثله فلما ورد القيروان تجهز منها وسار الى قرطاجنة وكان صاحبها اعظم ملوك
افريقية ولم يكن المسلمون قط حاربوها فلما وصل اليها رأى بها من الروم والبربر ما لا يحصى كثرة
فقتلهم وحصرهم وقتل منهم كثيرا فلما رأوا ذلك اجتمع رأيهم على الهرب فركبوا في
زمر اكبرهم وسار بعضهم الى صقلية وبعضهم الى الاندلس فدخل حسان قرطاجنة بالسيف
ونهب وقتلهم قتلا ذريعا وارسل الجيوش فيما حولها فأسرعوا اليه خوفا فامرهم
بخدموا من قرطاجنة ما قدروا عليه ثم بلغه ان الروم والبربر قد اجتمعوا له في صطفورة
وبنزت وهما مدينتان فسار اليهم وقتلهم ولقي منهم شدة وقوة فصر لهم المسلمون فانهزمت
الروم وكثر القتل فيهم واستولوا على بلادهم ولم يترك حسان موصعا من بلادهم الا وطئه
وخافه اهل افرريقية خوفا شديدا ولجأ المنهزمون من الروم الى مدينة باجة فتحصنوا بها

وتحصن البربر بمدينة بونة فعاد حسان الى القيروان لان الجراح قد كثرت في اصحابه فأقام
 بها حتى صحوا فلما صلح الناس قال حسان دلوني على اعظم من بقي من ملوك افرقية
 فدلوه على امرأة تملك البربر تعرف بالكاهنة وكانت تجربهم بأشياء من الغيب ولهذا سميت
 الكاهنة وكانت بربرية وهى بجبل اوراس وقد اجتمع حولها البربر بعد قتل كسيلة فساد
 اهل افرقية عنها فعضموا محلها وقالوا له ان قتلنا لم نختلف البربر بعد عليك فساد اليها
 فلما قاربها هدمت حصن باغايه فلما منها انه يريد الحصون فلم يرجح حسان على ذلك وسار
 اليها فالتقوا على نهريتي واقتتلوا اشد قتال رآه الناس فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق
 كثير واسر منهم كثير وانهزم حسان ثم انها اطلقت الاسرى سوى خالد بن يزيد القيسى
 وكان شريفا شجاعا فاتخذته ولدا فسار حسان حتى فارق افرقية واقام وكتب الى
 الملك بالمقام الى ان ياتيه امره فأقام يعمل برقة خمس سنين فسمى ذلك المكان قصور حسان
 الى الآن وملكت الكاهنة افرقية كلها واساءت السيرة في اهلها وعسفتم وظلمتم ثم سار
 اليه عبد الملك الجنود والاموال وامره بالمسير الى افرقية وقتال الكاهنة فارسل حسان
 رسوله سرا الى خالد بن يزيد وهو عند الكاهنة بكتاب ليتعلم منه الامور فكتب اليه خالد
 جوابه في رقعة يعرفه بفرق البربر ويأمره بالسرعة وجعل الرقعة في خبزة وعاد الرسول
 فخرجت الكاهنة ناشرة شعرها تقول ذهب ملكهم فيما يأكل الناس فطلب الرسول فلم يوجد
 فوصل الى حسان وقد احترق الكتاب بالنار فعاد الى خالد وكتب اليه بما كتب اولا
 واودعه قربوس السرج فوصل الى حسان فسار فلما علمت الكاهنة بمسيره اليها قالت العرب
 يريدون البلاد والذهب والفضة ونحن انما نريد المزارع والمراعى ولا نريد ان نخرب
 افرقية حتى يأسوا منها وفرقت اصحابها ليخربوا البلاد فخرجوا بها
 ونهبوا الاموال وهذا هو الخراب الاول لافريقية فلما قرب حسان من البلاد استعمل
 اهلها من الروم يستغيثون من الكاهنة ويشكون اليه منها فمهره ذلك فسار الى قابس
 اهلها بالاموال والطاعة وكانوا قبل ذلك يستخصمون من الامرا وجعل فيها عاملا وسار
 الى قفصة ليترب الطريق فأطاعه من بها واستولى عليها وهى قسطنطينية ونفزاوه وبلغ
 الكاهنة قدومه فاحضرت ولدين لها وخالد بن يزيد وقالت لهم انى مقتولة فامضوا الى
 حسان وخذوا لانفسكم منه اما ناساروا اليه وبقوا معه وسار حسان نحوها فالتقوا
 واقتتلوا واشتد القتال وكثر القتل حتى ظن الناس انه القنا ثم نصر الله المسلمين وانهزم البربر
 وقتلوا قتلا ذريعا وانهزمت الكاهنة ثم ادركت فقتلت ثم ان البربر استأمنوا الى حسان
 فأمنهم وشرط عليهم ان يكون منهم عسكر مع المسلمين عدتهم اثنا عشر الفا يجاهدون العدو
 فأجابوه الى ذلك فجعل على هذا العسكر ابنى الكاهنة ثم فشى الاسلام في البربر وعاد حسان
 الى القيروان واقام لا ينازعه احد الى ان توفي عبد الملك سنة ست وثمانين فلما ولى ابنه الوليد
 ولى افرقية عمه عبد الله بن مروان وعزل حسان ثم استعمل الوليد على افرقية موسى بن
 نصير سنة تسع وثمانين وصيأنى الكلام على غزواته

✽ ذكر صلح عبد الملك بن مروان ملك الروم ✽

كانت الصوائف تعطلت من الشام منذ وفاة معاوية لحدوث الفتن بين المسلمين والصوائف الجيوش التي كانت تجهز في أوامير الصيغ لصد الغزوات وحرب الكفار واستمر ذلك من صدر الاسلام الى اواخر الدولة العباسية ولما اشتدت الفتنة بين ابن الزبير وعبد الملك اجتمعت الروم سنة سبعين واستجاشوا على من بالشام من المسلمين فصالح عبد الملك ملكهم على ان يؤدي اليه كل جمعة الف دينار خوفا منه على المسلمين وفي سنة ثلاث وسبعين خرج الروم من ناحية ارمينية في ستين الفا وكان على ارمينية محمد بن مروان من قبل اخيه عبد الملك فقاتلهم وهزمهم واكثر القتل فيهم وفي سنة اربع وسبعين استعمل عبد الملك على خراسان اسية بن عبد الله بن خالد بن أسيد فلما وصل امية الى كرمان استعمل ابنه عبد الله على سجستان فلما قدمها غزا ملك الترك رتبيل وكان رتبيل هائبا للمسلمين فلما وصل عبد الله الى بستان ارسل رتبيل يطلب الصلح وبذل الف الف وبعث اليه بهدايا ورقق فابى عبد الله قبول ذلك وقال ان ملائ هذا الرواق ذهبا والا فلا صلح وكان غزا ٣ فحلى له رتبيل البلاد حتى اوغل فيها واخذ عليه الشعب والمضايق فطلب ان يحل عنه وعن المسلمين ولا يأخذ منه شيئا فابى رتبيل وقال بل يأخذ ثلاثمائة الف درهم صلحا ويكتب لنا كتابا ولا يغزو بلادنا ما كنت اميرا ولا يحرق ولا ينحرب ففعل ذلك وبلغ ذلك عبد الملك فعزله وفي هذه السنة غزا محمد بن مروان صائفة وكانت الروم خرجت من قبل مرعش وكذا في السنة التي بعدها وفي سنة خمس وسبعين كان على نجر السند مجاعة بن سعد التميمي من قبل الحجاج فعزا وفتح اماكن من قنابيل وفي سنة ست وسبعين غزا محمد بن مروان الروم من ناحية ملاطية وفي سنة سبع وسبعين غزا الصائفة الوليد بن عبد الملك وفي سنة ثمان وسبعين ولي الحجاج عبد الله بن ابي بكره سجستان وكان رتبيل ملك الترك مصالحا وكان يؤدي الخراج وربما امتنع منه فبعث الحجاج الى عبيد الله بن ابي بكره يأمره بمناجزته وان لا يرجع حتى يستبيح بلاده ويهدم قلاعه ويقتل رجاله فسار عبيد الله في اهل البصرة واهل الكوفة وكان على اهل الكوفة شريح بن هانئ كان من اصحاب علي رضي الله عنه ومضى عبيد الله حتى دخل بلاد رتبيل فاصاب من الغنائم ماشاء وهدم حصونا وغلب على ارض من اراضيهم واصحاب رتبيل من الترك يتركون لهم ارضا بعد ارض حتى امعنوا في بلادهم ودنوا من مدنتهم وكانوا منها على ثمانية عشر فرسخا فاخذوا على المسلمين العقاب والشعاب فسقط في ايدي المسلمين فظنوا ان قد هلكوا فصالحهم عبيد الله على سبعمائة الف درهم بوصلها الى رتبيل ليتمكن المسلمين من الخروج من ارضه فلقبه شريح فقال له انكم لا تصالحون على شيء الا حسبته السلطان من اعطياتكم وقد بلغت من العمر طويلا وقد كنت اطلب الشهادة منذ زمان وان فاتني اليوم الشهادة ما ادركها حتى اموت ثم قال شريح يا اهل الاسلام تعاونوا على عدوكم فقال له عبيد الله بن ابي بكره انك شيخ قد خرفت فقال له شريح انما حسبك ان يقال بسستان عبيد الله وحمام عبيد الله يا اهل الاسلام من اراد منكم الشهادة فالى قاتبعه ناس من المتطوعة وفرسان الناس واهل الحفاظ

فقاتلوا حتى اصابوا الا قليلا وقاتل شريح حتى قتل في اناس من اصحابه ونجا من نجا
فخرجوا من بلاد رتبيل وفي هذه السنة اصاب اهل الروم اهل انطاكية وظفروا بهم
وفي سنة ثمان وسبعين عزل عبد الملك امية بن عبد الله عن خراسان وضمها لعمال الحجاج
فولى على خراسان المهلب بن ابي صفرة

❖ ذكر غزوة المهلب ما وراء النهر حين كان واليا على خراسان ❖

في سنة ثمانين قطع المهلب نهر بلخ ونزل على كش فأتاه ابن عم ملك الختل ودعاه الى غزو
الختل وكان اسم ملكهم الشبل فوجه المهلب مع ابن عم الملك ابنه يزيد بن المهلب فنزل يزيد ناحية
ونزل ابن عم الملك ناحية فينته الشبل واخذه فقتله فحصر يزيد قلعة الشبل فصالحوه على
فدية جلت اليه ورجع يزيد عنهم ووجه المهلب ابنه حبيباً فوافى صاحب بخارا في اربعين
الفا فنزل جماعة من العدو قرية فسار اليهم حبيب في اربعة آلاف فقتلهم واحرق القرية
فسميت المحترقة ورجع حبيب الى ابيه واقام المهلب بكش سنتين فقبل له لو تقدمت الى
ماوراء ذلك فيقال ليت حظي من هذه الغزوة سلامة هذا الجند وصالح المهلب اهل كش
على فدية يأخذها منهم واتاه كتاب ابن الاشعث بخلع الحجاج ويدعوه الى مساعدته فبعث
بكتابه الى الحجاج واقام بكش

❖ ذكر تسيير الجنود الى رتبيل مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ❖

قد تقدم ذكر حال المسلمين حين دخل بهم ابن ابي بكرة بلاد رتبيل ثم استأذن الحجاج عبد
الملك في تسيير الجنود نحو رتبيل فاذن له عبد الملك فاخذ الحجاج في تجهيز الجيش فجعل على
اهل الكوفة عشرين الفا وعلى اهل البصرة عشرين الفا وجد في ذلك واعطى الناس
اعطياتهم كلاً وانفق فيهم النفي الف سوى اعطياتهم وانجدهم بالخيال الرائقة والسلاح
الكامل واعطى كل رجل يوصف بشجاعة وغناء وكان يسمى جيش الطواويس لحسنه
فلما فرغ من امر الجند بعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بأمر من عبد الملك وكان
الحجاج يبغي عبد الرحمن المذكور فسيره على ذلك الجيش طاعة لأمر عبد الملك فسار بهم
حتى قدم سجستان وبلغ الخبر رتبيل فأرسل يعتذر ويبدل الخراج فلم يقبل منه فسار اليه
ودخل بلاده وترك له رتبيل ارضاً ارضاً ورستاقاً ورستاقاً وحصناً وحصناً وعبد الرحمن
يخوى ذلك وكلما حوى بلداً بعث اليه عاملاً وجعل معه اعواناً وجعل الارصاد على
العقاب والشعاب ووضع المسالخ بكل مكان مخوف حتى اذا جاز من ارض عظيمة وملاً
الناس ايديهم من الغنائم العظيمة منع الناس من الوغول في ارض رتبيل وقال نكتفي بما
اصبناه العام من بلادهم حتى نجيبها ونعرفها ويجترى المسلمون على طرقها وفي العام المقبل
نأخذ ماوراءها ان شاء الله تعالى ثم كتب الى الحجاج بما فتح الله عليه وبما يريد ان يعمل فلما
اتى كتابه الى الحجاج كتب جوابه ان كتابك كتاب امرئ يحب الهدنة ويستريح الى المودة
قد صانع عدواً قليلاً ذليلاً قد اصابوا من المسلمين جنداً كان بلاؤهم حسناً وغنائمهم عظيماً

واحبت ان تكف عن ذلك العدو وتسخر النفس بمن أصيب من المسلمين فامض لما امرتك به من الوغول في ارضهم والهدم لحصونهم وقتل مقاتليهم وسبي ذرارهم ثم أردفه كتابا آخر بنحو ذلك وفيه اما بعد فمن قبلك من المسلمين فليجربوا وليقيموا بها فانها دارهم حتى يفتحها الله عليهم ثم كتب كتابا ثالثا بذلك ويقول له ان مضيت لما امرتك به والا فآخوك اسحاق بن محمد امير الناس فدعا عبد الرحمن الناس وقال لهم ايها الناس اني لكم ناصح ولصالحكم محب ولكم في كل ما يحبطه نفعتكم ناظر وقد كان رأيي فيما بيني وبين عدوي بما رضىه ذوو احلامكم واولو التجربة منكم وكتبت بذلك الى اميركم الحجاج فاناني كتابه يعجزني ويضعفني ويأمرني بتعجيل الوغول بكم في ارض العدو وهي البلاد التي هلك فيها اخوانكم بالامس وانما انا رجل منكم امضى اذ مضيت وآبى اذ ايتتم فثار اليه الناس وقالوا بل نأبى على عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع فكان اول من تكلم ابو الطفيل عامر بن واثلة الكنتاني وله صحبة رضى الله عنه فقال بعد حمد الله اما بعد فان الحجاج يرى بكم مارأى القائل الاول احل عبدك على الفرس فان هلك فلك وان نجأ فلك وان الحجاج ما يالى ان يخاطر بكم فيفتحكم بلايا كثيرة ويغشى الهوب والاصوب ٣ فان ظفرتهم وغنم اكل البلاد وحاز المال وكان ذلك زيادة في سلطانه وان ظفر عدوك كنتم انتم الاعداء البغضاء الذين لا يالى عنهم ولا يبق عليهم اخلعوا وعدو الله الحجاج وبايعوا الامير عبد الرحمن فاني اشهدكم اني اول خالع فنادى الناس من كل جانب فعلمنا فعلنا قد خلعنا عدو الله وقام عبد المؤمن بن شيب بن ربيع فقال عباد الله انكم ان اطعم الحجاج جمل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم وجرتم تجمير فرعون الجنود (التجمير حبس الجيش في ارض العدو من غير رجوع) فانه بلغني انه اول من جرد البعوث ولن تعابوا الا حبة او يموت اكثركم فيما ارى فبايعوا اميركم وانصرفوا الى عدوك الحجاج فاقوه عن بلادكم فوثب الناس الى عبد الرحمن فبايعوه على خلع الحجاج وتقيه من ارض العراق وعلى النصرة لعبد الرحمن ولم يذكروا عبد الملك وجعل عبد الرحمن على بست عياض بن هيمان الشيباني وعلى زربج عبد الله بن عامر التميمي وصالح رتبيل على ابن الاشعث ان يظهر فلاخراج عليه ابداما يبق وان هزم فاراد منعه رجوع الى العراق وجعل عبد الرحمن على مقدمة عطية بن عمرو العنبري وجعل على كرمان حربثة بن عمرو التميمي فلما بلغ فارس اجتمع الناس بعضهم الى بعض وقالوا اذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك فقد خلعنا عبد الملك فاجتمعوا الى عبد الرحمن فكان اول الناس خلع عبد الملك نبحان بن البحر من بني تيم الله بن ثعلبة قام فقال ايها الناس اني خلعت ابا ذبان (كنية عبد الملك) كخلع قيصي فخلعه الناس الا قليلا منهم وبايعوا عبد الرحمن وكانت بيعته تبايعوا على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى جهاد اهل الضلالة وخلعهم وجهاد الحليين فلما بلغ الحجاج خلعه كتب الى عبد الملك بخبر عبد الرحمن ويسأله ان يعجل بعثه يخذل اليه ولما بلغ المهلب خبر عبد الرحمن كتب الى الحجاج من خراسان اما بعد فان اهل العراق قد اقبلوا اليك وهم مثل السيل ليس يرده شئ حتى ينهى الى قراره وان لاهل العراق شدة في اول مخرجهم وصباية الى ابنائهم ونسائهم فتركهم حتى يسقطوا الى اهل اليهم ويشعروا لولادهم ثم واقفهم عندها فان الله ناصرك عليهم فلما قرأ كتابه شتمه وسبه وقال مالى نظر وانما نظر الى ابن عمه يعنى

قوله الهوب له معان منها مهاوى ما بين كل جبلين وقوله الاصوب هي الشعاب الضيقة في الجبل

عبدالرحمن لان كلا من المهلب وعبدالرحمن من قحطان ثم بعد وقوع بعض الوقائع بين الحجاج وعبدالرحمن نظر في كتاب المهلب فاستصوب ما قاله وقال لله دره اى صاحب حرب هو ولما وصل كتاب الحجاج لعبد الملك هاله ودعا خالد بن يزيد بن معاوية فأقرأه الكتاب فقال يا امير المؤمنين ان كان الحدث من سجستان فلا تخفه فان كان من خراسان فاني أخوفه فجهز عبد الملك الجند الى الحجاج على البريد من مائة ومن خمسين واقل واكثر وكتب الحجاج تتصل بعبد الملك كل يوم بخبر عبدالرحمن فنزل الحجاج البصرة ولما اجتمع الجند عنده سار من البصرة ليلقى عبدالرحمن ولم يتركهم حتى يسقطوا الى اهل اليهم كما كتب اليه المهلب فنزل تستر وقدم بين يديه مقدمة الى دجيل فلقوا عنده خيلا لعبدالرحمن فانهزم اصحاب الحجاج بعد قتال شديد وكان ذلك يوم الاصحى سنة احدى وثمانين وقتل منهم جمع كثير فلما اتى خبر الهزيمة الى الحجاج رجع الى البصرة وتبعه اصحاب عبدالرحمن فقتلوا منهم واصابوا بعض ائقالهم واقبل الحجاج حتى نزل الزاوية وجع عنده الطعام وترك البصرة لاهل العراق فاقبل عبدالرحمن حتى دخل البصرة فبايعه جميع اهلها قراؤها وكهولها مستبصرين في قتال الحجاج ومن معه من اهل الشام ثم دخل عبدالرحمن ومن معه الكوفة وبايعه اهلها وصار له جيش يبلغ مائة الف فيهم كثير من الصحابة وابنائهم وعلماء التابعين وغيرهم ومن بايع عبدالرحمن وكان في جيشه سعيد بن جبير والشعبى وعبدالرحمن بن ابى ليلى وهؤلاء من كبار علماء التابعين ومن الصحابة ابو الطفيل عامر بن وائلة ووقع بينهم وبين جيوش الحجاج وقائع كثيرة في اكثرها كان النصر لجيوش عبدالرحمن ثم ان عبد الملك واهل الشام قالوا ان كان يرضى اهل العراق بنزع الحجاج عنهم نزعه فان عزله ايسر من حربهم ونحقق بذلك الدماء فبعث عبد الملك ابنه عبد الله واخاه محمد بن مروان الى الحجاج في جند كشف وامرهما ان يعرضا على اهل العراق عزل الحجاج وان يجريا عليهم اعطياتهم كما يجري على اهل الشام وان ينزل عبدالرحمن بن الاشعث اى بلد شاء من بلاد العراق فاذا نزل كان واليا عليه مادام حيا وعبد الملك خليفة فان اجاب اهل العراق الى ذلك عزل الحجاج وصار محمد بن مروان امير العراق وان ابى اهل العراق قبول ذلك فالجحاج امير الجماعة ووالى القتال ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعته فلم يأت الحجاج امر قط كان اشد عليه ولا اوجع لقلبه من ذلك فخاف ان يقبل اهل العراق عزله فيعزله عنهم فكتب الى عبد الملك والله لو اعطيت اهل العراق نزعى لم يلبثوا الا قليلا حتى يخالفوك ويسير واليك ولا يزيدهم ذلك الاجراء عليك وذكر له اشياء مما فعله اهل العراق ايام عثمان بن عفان رضى الله عنه ثم قال له ان الحديد بالحديد يطلع فأبى عبد الملك الا عرض عزله على اهل العراق فلما اجتمع عبد الله بن عبد الملك ومحمد بن مروان مع الحجاج خرج عبد الله بن عبد الملك وقال يا اهل العراق انا بن امير المؤمنين وهو يعطيكم كذا وكذا وخرج محمد بن مروان وقال انارسل امير المؤمنين وهو يعرض عليكم كذا وكذا فذكر هذه الخصال فقالوا نرجع العشية فرجعوا واجتمع اهل العراق عند ابن الاشعث فقال لهم قد اعطيتم امرا انتهزكم اليوم اياه فرصة وانكم اليوم على النصف فان كانوا اعتدوا عليكم يوم كذا فانتهم تعتدون عليهم يوم كذا فاقبلوا ما عرضوا عليكم وانتم

اعزاء اقوياء لقوم لكم هائبون وانتم لهم منتقضون فوالله لازاتم عليهم جرأاً وعندهم اعزاء
ابدا ما بقيتم ان انتم قبلتم فوثب الناس من كل جانب فقالوا ان الله قد اهلككم فاصبحوا في
الضنك والمجاعة والقلة والذلة ونحن ذوو العدد الكثير والسعر الرخيص والمادة القريبة
والله لا تقبل واعادوا خلعه ثانية وابلغوا ذلك عبدالله بن عبد الملك ومحمد بن مروان فقالا
للحجاج شأنك بمسكرك وجندك واعمل برأيك فانا قد امرنا ان نسمع لك ونطيع فقال قد قلت انه
لا يراد بهذا الامر غيركم فكانا يسمان عليه بالامرة ويسلم عليهما بالامرة ثم اعيد القتال واشتد
الامر وتفصيل ذلك يطول وجلة الايام التي اقتتلوا فيها مائة يوم وثلاثة ايام ثم وقعت الهزيمة على
اصحاب عبد الرحمن ثم رجع الحجاج الى الكوفة وعاد محمد بن مروان الى الموصل وعبدالله بن
عبد الملك الى الشام واخذ الحجاج يبايع الناس الذين كانوا مع عبد الرحمن وكان لا يبايع احدا
الا قال له اشهد انك كفرت فان قال نعم بايعه والا قتله فاتاه رجل من خشم كان معتزلاً للناس جميعاً
فسأله عن حاله فاخبره باعتزاله فقال له انت متربص اشهد انك كافر قال بئس الرجل انا عبد الله ثمانين
سنة ثم اشهد على نفسي بالكفر قال اذن اقتلك قال وان قتلتني فقتله ولم يبق أحد من اهل الشام
والعراق الا رجه ثم أتى بعده بأخرف فقال له الحجاج أرى رجلاً ما ظنه يشهد على نفسه بالكفر
فقال له الرجل اتخادعني عن نفسي انا كفر اهل الارض واكفر من فرعون فضحك منه وخلي
سبيله وأتى بمحمد بن سعد بن ابي وقاص فقال له يا ظل الشيطان اعظم الناس تيهاً وكبراً تأبى بيعة
يزيد بن معاوية وتتشبه بالحسين وعبدالله بن عمر ثم صرت مؤذناً لابن الاشعث وجعل يضرب
رأسه بعود في يده حتى ادماه ثم أمر به فقتل ثم اتى بعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر فقال
يا عبيد المرأة يقوم بالعامود على رأسك ابن الحائك يعني ابن الاشعث وتشرب معه في الحمام فقال
اصلى الله الامير كانت فتنة شملت البر والفاجر فدخلنا فيها فقد أمكنك الله منافان عفوت
فجلمك وفضلك وان عاقبت عاقبت مذنبين فقال الحجاج اما انها شملت البر فكذبت ولكنها
شملت الفاجر وعوفي منها الاررار واما اعترافك فعمى انه ينفعك فرحله السلامة ثم أمر به
فقتل واتى الحجاج بأسيرين فامر بقتلهما فقال احدهما اني عندك يدا قال وما هي قال ذكر
عبد الرحمن بن الاشعث يوما ملك بسوء فنهيته قال ومن يعلم ذلك قال هذا الاسير الآخر فسأله
الحجاج فصدقه فقال له الحجاج فلم تفعل كما فعل قال وينفعني الصدق عندك قال نعم قال منعني
البغض لك ولقومك فقال خلوا عن هذا القعلة وعن هذا الصدقه وقتل الحجاج يوم الهزيمة
من قبض عليهم عشرة آلاف ولما انهزم اصحاب عبد الرحمن بن الاشعث نادى منادى الحجاج
من لحق بقتيبة بن مسلم الباهلي فهو آمن وكان قدولى قتيبة الري وسار اليه فلحق به ناس كثير
وكان منهم الشعبي فذكره الحجاج يوما فسأل عنه فقالوا له انه لحق بقتيبة بن مسلم بالري
فكتب الحجاج الى قتيبة يأمره بارسال الشعبي فأرسله قال الشعبي فلما قدمت على الحجاج لقيت
يزيد بن ابي مسلم وكان صديقاً لي فاستشرته فقال اعتذر منهما استطعت واسار بمثل ذلك
اخواني ونصحائي فلما دخلت على الحجاج فرأيت غير ما ذكر والى فسلمت عليه بالامرة وقلت
ايها الامير ان الناس قد امروني ان اعتذر بغير ما يعلم الله انه الحق ويم الله لا اقول في هذا المقام
الا الحق قد والله مردنا عليك وحرضنا وجهدنا فاكنا بالاقوياء الفجرة ولا بالانقياء البررة

ولقد نصر الله علينا وأظفرك بنا فان سطوت فبذنونا وما جرت اليه ايدينا وان عفوت غنا
فبحلمك وبعد الفجة لك علينا فقال الحجاج انت والله احب الى قولامن يدخل علينا يعطى
سيفه من دماءنا ثم يقول ما فعلت ولا شهدت وقدامت يا شعبي كيف وجدت الناس بعدنا
فقلت اصلى الله الامير اكنحلت بعدك السهر واستوعرت الجنب ٣ واستحلست الخوف
وفقدت صالح الاخوان ولم اجد من الامير خلفا قال انصرف يا شعبي فانصرفت واما سعيد
ابن جبير فانه اختفى ثم هرب الى خراسان وتقل الى اماكن كثيرة مخفيا ثم جاور بمكة فلما ولي
امارة مكة خالد بن عبد الله القسري بعمود عبد الملك ومبايعه ابنه الوليد قيل لسعيد بن
جبير ان خالد را رجل سوء فلوسرت عن مكة فقال والله لقد فررت حتى استحييت من الله
ويستحيى ما كتب الله لي فلما قدم خالد مكة كتب له الوليد بحمل اهل العراق الى الحجاج
فاخذ سعيد بن جبير وارسله مع حرسين فانطلق احدهما لحاجة وبقى الآخر فقال لسعيد اني
ابرا الى الله من دمك اني رأيت في منامي فليل لي تبرأ من دم سعيد بن جبير فاذهب حيث شئت
فاني لا اطلبك فابى سعيد فرأى ذلك الحرسى تلك الرؤيا ثلاثا وبأذن لسعيد في الذهاب وهو
لا يفعل فقدموا به الكوفة فازل في داره وأناه قراء الكوفة فجعل يحدثهم وهو يضحك وبنهله
في حجره فلما نظرت الى القيد في رجله بكى ثم ادخلوه على الحجاج فلما أتى بدأ قبل عليه فقال يا سعيد
الم اشركك في امارتي الم افعل بك كذا الم استعملك قال بلى قال فما خرجك على قال انما امرؤ من
المسلمين يخطئ مرة ويصيب مرة فطابت نفس الحجاج ثم ماودة في شئ فقال انما كانت
بيعة في عنقي فغضب الحجاج وانتفخ وقال يا سعيد الم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير واخذت بيعة
اهلها واخذت بيعتك لامي المؤمنين عبد الملك قال بلى قال ثم قدمت الكوفة واليا فجددت
البيعة فاخذت بيعتك لامي المؤمنين ثانية قال بلى قال فنكشت بيعتين وتوفي بواحدة للحائك
ابن الحائك والله لا قتلنك قال اني اذن لسعيد كما سئمتني امي فامر به فضربت عنقه فلما سقط
رأسه همل ثلاثا فلما قتل التبس عقل الحجاج فجعل يقول قيودنا قيودنا فظنوا انه يريد القيود
فقطعوا رجلي سعيد من انصاف ساقيه واخذوا القيود وكان الحجاج اذا نام يراه في منامه
ياخذ بمجامع ثوبه فيقول يا عدو الله فيم قتلتنى فيقول مالى وسعيد بن جبير مالى وسعيد بن
جبير وعاش الحجاج بعده اياما ثم هلك قال الامام الشعراي في الطبقات قتله في شعبان وتوفي
الحجاج في رمضان وكان بينهما خمسة عشر يوما وفي تاريخ بن خلكان ان الحجاج روى في النوم
بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال قتلنى بكل قبيل قتلته قتله وسعيد بن جبير سبعين
قتله وكان عمر سعيد بن جبير سبعا واربعين سنة وقيل سبعا وخسين قيل ان سعيد بن جبير قال
اللهم لا تسلطه على احد بعدى فلم يقتل احدا بعده قال الامام احمد قتل الحجاج سعيد بن جبير
وما على وجه الارض احدا لا وهو مفتر الى علمه وكان قتله سنة اربع وتسعين وقيل خمس
وتسعين فبين قتله وانتهاء فتنة ابن الاشعث احدى عشرة سنة فقد كان ابتداء فتنة ابن الاشعث
سنة احدى وثمانين وانتهائها سنة ثلاث وثمانين واما ابن الاشعث فانه لما انهزم من جيوشه
سار الى رتبيل ملك الترك فاكرمه وآواه ثم ارسل اليه الحجاج بتوعدة ويتهده فقتله وبعث
برأسه الى الحجاج وقيل بل اصابه مرض فأت فقطع رأسه وارسله للحجاج فبعث به الى

عبد الملك فطيف به في الشام ليريه الناس ثم ارسله لاختيه عبدالعزيز بن مروان بمصر فطيف به في مصر وكان ذلك سنة خمس وثمانين

فتح قالي قلا

في سنة احدى وثمانين سير عبد الملك بن مروان ابنه عبيد الله في جيش ففتح قالي قلا وفي هذه السنة هجم جماعة من الديلم على قزوين فتصايح الناس واغلاقوا الابواب وقتلوهم قتالا عظيما وظفر المسلمون بهم فلم يفلت منهم احد وفي هذه السنة كان يزيد بن المهلب في مفازة بست في ستين فارسا فلق بهم خمسمائة من الترك فقاتلوهم قتالا شديدا فقتلوا كثيرا من الترك الى ان انهزموا وفي سنة اثنين وثمانين توفي المهلب واستخلف على خراسان ابنه يزيد فاقره الحاج وفي سنة اربع وثمانين فتح يزيد بن المهلب قلعة نيرك بباذغيس بعد حصار وقتال فملكها وما فيها من الاموال والذخائر وكانت من أحصن القلاع وأمنعها وكان نيرك اذا رآها سجد لها معظمها وفي هذه السنة غزا عبيد الله بن عبد الملك الروم ففتح المصيصة وبني حصنها ووضع بها ثلاثمائة مقاتل من ذوى البأس ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك وبني مسجد لها وفي هذه السنة غزا محمد بن مروان ارمينية فهزمهم ثم سألوه الصلح فصالحهم وفي سنة خمس وثمانين عزل الحاج يزيد بن المهلب وولى اخاه الفضل بن المهلب فعز باذغيس واصاب مغنا فقسمة فاصاب كل رجل ثمانون ثم غزا اخرون (اسم بلد) وشومان فغنم وقسم ما اصاب ولم يكن للفضل بيت مال كان يعطى الناس كلما جاءه شئ وان غنم شياً قسمه فيهم وفي هذه السنة غزا محمد بن مروان ارمينية فصاف بها وشى وفي سنة ست وثمانين توفي عبد الملك بن مروان وولى ابنه الوليد فابقى الحاج وولى الحاج خراسان قتيبة بن مسلم الباهلى وباهلة من قيس عيلان بن مضر وعزل الفضل واقتنع قتيبة خوارزم وسمرقند وبخارا وقد كانوا كفروا بعد فتحها الاول وبلغ ما لم يبلغه المهلب ولا غيره فجهر قتيبة عند قدومه الجيوش للغزو فلما كان بالطالقان اتاه دهاقين بلخ وساروا معه فقطع النهر فتلقيه ملك الصغانيان بهدايا ومفاتيح من ذهب ودعاه الى بلده فضى معه فسلها اليه لان ملك اخرون وشومان كان يسمى جواره ثم سار قتيبة الى اخرون وشومان وهما من طخارستان فصالحه ملكهما على فدية اداها اليه فقبلها فتمت ثم انصرف الى مرو (احدى قواعدا قليم خراسان الاربع وهى مرو وهرات وبلخ ونيسابور) فخلف على الجند اخاه صالح بن مسلم ففتح صالح بعد رجوع قتيبة كاشان وأورشث يسمى من فراغانة وفتح اخشيك وسمى مدينة فراغانة القديمة وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك ارض الروم وفي سنة سبع وثمانين كتب قتيبة الى نيرك طرخان صاحب باذغيس ان يطلق من عنده من اسرى المسلمين وكتب اليه يتهدده فخافه نيرك فأطلق الاسرى وبعث بهم اليه وكتب له قتيبة مع سليم الناصح مولى عبيد الله بن ابي بكره يدعو الى الصلح والى ان يؤمنه وكتب اليه يحلف بالله ان لم يقدم عليه ليغزونه ثم ليطلبه حيث كان حتى يظفر به او يموت دونه فقدم سليم بالكتاب فقال له نيرك وكان يستنصحه يا سليم ما ظن عند صاحبك خيرا كتب الى كتابا لا يكتب الى مثلى فقال له سليم انه رجل شديد في سلطانه سهل اذا سهل

صعب اذا عوسر فلا يمنحك منه غلظة كتابه اليك فأحسن حالك عنده فمقد الصلح لاهل
باذغيس على ان لا يدخلها قتيبة وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الروم فقتل منهم
عددا كثيرا سنة من ناحية المصبصة وقيل ان الذي غزا في هذه السنة هشام بن عبد الملك
ففتح حصن بواق وحصن الاخرم وحصن بولس وققم وقاتل من المستعربة نحو امان الف
وسبي ذريتهم ونساءهم

✽ ذكر غزوة قتيبة بيكند ✽

كانت غزوة بيكند سنة سبع وثمانين وهي ادنى مدائن بخارا سار اليهم قتيبة بيجوشه فلما نزل
بهم استنصروا الصغد واستمدوا من حولهم فأتوهم في جمع كثير واخذوا الطرق على قتيبة
فلم ينفذ لقتيبة رسول ولم يصل اليه خبر شهرين وابطأ خبره على الحاج فاشفق على الجند
فأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد وهم يقتتلون كل يوم وكان لقتيبة عين من العجم يقال له
تندر فأعطاه اهل بخارا مالا ليرد عنهم قتيبة فأناه سرامن الناس وقال له ان الحاج قد عزل
وقد اتى عامل الى خراسان فلو رجعت بالناس كان اصلح فأمر به فقتل خوفا من ان يظهر
الخبر فيهلك الناس ثم أمر اصحابه بالجد في القتال فقاتلهم قتالا شديدا فانهزم الكفار
يريدون المدينة وتبعهم المسلمون قتلا واسرا كيف شاؤوا ونحس من دخل المدينة بها فوضع
قتيبة الفعلة ليهدم سورها فسألوه الصلح فصالحهم واستعمل عليهم عاملا وارتحل عنها
يريد الرجوع فلما سار خسة فراسخ نقضوا الصلح وقتلوا العامل ومن معه فرجع قتيبة
فنقب سورهم فسقط فسألوه الصلح فلم يقبل ودخلها عنوة وقتل من كان بهامن المقاتلة وكان
فيهم اخذوا من المدينة رجل اعور هو الذي استجاش الترك على المسلمين فقال لقتيبة افدى
نفسى بخمسة آلاف حريرة قيمتها الف الف فاستشار قتيبة الناس فقالوا هذا زيادة في الغنائم
وما عسى ان يبلغ كيد هذا قال لا والله لا يروع بك مسلم ابدا فأمر به فقتل واصابوا فيها
من الغنائم والسلاح وآنية الذهب والفضة ما لا يحصر ولا اصابوا بخراسان مثله فقوى
المسلمون فلما فرغ قتيبة من فتح بيكند رجع الى مرو

✽ ذكر فتح طوانة من بلد الروم ✽

في سنة ثمان وثمانين غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك بلد الروم
وكان الوليد قد كتب الى صاحب ارمينية يأمره ان يكتب الى ملك الروم يعرفه ان الخزر
وغيرهم من ملوك جبال ارمينية قد اجتمعوا على قصد بلاده ففعل ذلك وقطع الوليد البعث
على اهل الشام الى ارمينية واكثر واعظم جهازه وساروا نحو الجزيرة ثم عطفوا منها الى
بلد الروم فاقتتلواهم والروم فانهزم الروم ثم رجعوا فانهزم المسلمون فبقى العباس في نفر منهم
ابن محيرز الجمحي فقال له العباس ابن اهل القرآن الذين يريدون الجنة فقال ابن محيرز
نادهم يا ثوا فنادى العباس يا اهل القرآن فاقبلوا جميعا فهزم الله الروم حتى دخلوا
طوانة وحصرهم المسلمون وفتحوها قيل وفي هذه السنة ايضا غزا مسلمة بن عبد الملك

الروم ايضا ففتح ثلاثة حصون احدها حصن قسطنطين وغازالة وحصن الاخرم وقتل من المستعربة نحو من الف واخذ الاموال

✽ ذكر غزو نومشكت ورامشة ✽

في هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم نومشكت واستخلف على مرو اخاه يسار بن مسلم فتلقيه اهلها فصالحهم ثم سار الى رامشة فصالحه اهلها وانصرف عنهم وزحف اليه الترك ومعهم الصغد واهل فرغانة في مائتي الف وملكهم ابن اخت ملك الصين فاعترضوا المسلمين فلمحقوا عبدالرحمن بن مسلم اخا قتيبة وهو على الساقة بينه وبين قتيبة واوائل العسكر ميل فلما قربوا منه ارسل الى قتيبة يخبره وادركه الترك فقاتلوه ورجع قتيبة فأتتهى الى عبدالرحمن وهو يقاتل الترك وقد كاد الترك يظهرون عليه فلما رأى المسلمون قتيبة طابت نفوسهم وقاتلوا الى الظهر وابلى يومئذ نيرك وهو مع قتيبة فانهمز الترك ورجع قتيبة فقطع النهر عند ترمذ واتى مرو وفي سنة تسع وثمانين غزا مسلمة بن عبدالملك والعباس ابن الوليد الروم فافتتح مسلمة حصن عمورية وفتح العباس اذولية ولقي من الروم جمعا فهزمهم وقيل ان مسلمة قصد عمورية فلقى بها جمعا من الروم كثيرا فهزمهم وافتتح هرقة وقونية وغزا العباس الصائفة من ناحية البذلون

✽ ذكر غزو قتيبة بخارا ✽

في هذه السنة اتى قتيبة كتاب الحاج يأمره بقصد وردان خذاه فعبى النهر من زم فلقى الصغد واهل كش ونسف في طريق المغازة فقاتلوه فظفر بهم ومضى الى بخارا فنزل خرقة السفلى عن يمين وردان فلقوه في جمع كثير فقاتلهم يومين ولبتتين فظفر بهم وغزا وردان خذاه ملك بخارا فلم يظفر بشئ فرجع الى مرو وكتب الى الحاج يخبره فكتب اليه الحاج ان صورها فبعث اليه بصورتها فكتب اليه الحاج أن تب الى الله جل ثناؤه بما كان منك واثنتها من مكان كذا وكذا وكتب اليه أن كس بكش وانسف ونسف ورد وردان واياك والتخويط ودعنى من ثبات الطريق فلما ورد الكتاب على قتيبة خرج غازيا سنة تسعين فاستباح وردان خذاه بالصغد والترك ومن حوله فاتوه وقد سبق اليها قتيبة فحصرها فلما جاءتهم امدادهم خرجوا الى المسلمين يقاتلونهم فقالت الازد اجعلونا ناحية وخلوا بيننا وبين قتالهم فقال قتيبة تقدموا فتقدموا وقاتلوهم قتالا شديدا ثم ان الازد انهزموا حتى دخلوا العسكر وركبهم المشركون فحطموهم حتى ادخلوهم عسكرهم وجازوه حتى ضرب النساء وجوه الخيل وبكين فكروا راجعين فانطوت مجنبتا المسلمين على الترك فقاتلوهم حتى ردوهم الى مواقفهم فوقف الترك على نشر فقال قتيبة من يزيلهم عن هذا الموضع فلم يقدم عليهم احد من العرب فاتى قتيبة بنى تميم فقال لهم يوم اكايامكم فاخذ وكيع بن حسان بن قيس التميمي اللواء وقال يا بنى تميم اتسلموننى اليوم قالوا لا يا ابا مطرف وكان هريم ابن ابي طمحة على خيل تميم وو كيع رأسهم فقال وكيع يا هريم قدم خيلك ودفع اليه الراية فتقدم هريم وتقدم وكيع في الرجلة فاتتهى هريم الى نهر بينهم وبين الترك فوقف فقال

وكيع تقدم ياهريم فنظر هريم نظرا لجل الهاجج الصائل وقال أقم الخيل هذا النهر فان
انكشفت كان هلاكها يا احمق فقال وكيع يا ابن اللخناء اترد امرى فخذفه بعمر و كان معه فغير
هريم في الخيل وانتهى وكيع الى النهر فعمل عليه جسرا من خشب وقال لاصحابه من وطن
نفسه على الموت فليعبر والا فليثبت مكانه فاعبر معه الا ثمانمائة رجل فلما عبر بهم ودنا من
العدو قال لهريم انى مطاعنهم فاشغلهم عنا بالخيل فحمل عليهم حتى خالطهم وحل هريم
في الخيل فطاعنوه ولم يزالوا يقتلونهم حتى احسروهم من التل ونادى قتيبة ما ترون
العدو ومنهم من لم يعبر احد النهر حتى انهزموا وعبر الناس ونادى قتيبة من اتى برأس فله
مائة فأتى برؤس كثيرة فجاء يومئذ احد عشر رجلا من بنى قريع كل رجل برأس فيقال
له من انت فيقول قريعي فجاء رجل من الأزد برأس فقيل له من انت فقال قريعي فعرفه
جهم بن زحر فقال كذب والله انه ازدي فقال له قتيبة ما دماك الى هذا فقال رأيت كل
من جاء يقول قريعي فظننت انه ينبغي لكل من جاء برأس ان يقوله فضحك قتيبة وجرح
خاقان وابنه وفتح الله عليهم وكتب بالفتح الى الحاج

✽ ذكر صلح قتيبة مع الصفد ✽

لما اوقع قتيبة باهل بخارا هابة الصفد فرجع طرخون ملكهم ومعه فارسان فدان من عسكر
قتيبة وطلب رجلا يكلمه فارسل اليه قتيبة حيان النبطى فطلب الصلح على فدية يؤديها
اليهم فاجابه قتيبة الى ما طلب ورجع طرخون الى بلاده ورجع قتيبة ومعه نيزك

✽ ذكر غدر نيزك وفتح الطالقان ✽

لما رجع قتيبة من بخارا ومعه نيزك وقد خاف لما يرى من الفئوح فقال لاصحابه انا مع
هذا يعنى قتيبة ولست آمنه فلو استأذنته ورجعت كان الرأى قالوا افعل فاستأذن قتيبة
فاذن له وهو باكمل فرجع يريد طخارستان واسرع السير حتى اتى النوبهار قال لاصحابه لا
اشك ان قتيبة قد ندم على اذنه وسيبعث الى المغيرة بن عبد الله يأمره بحبسى وندم قتيبة
على اذنه له فارسل الى المغيرة يأمره بحبس نيزك وسار نيزك وتبعه المغيرة فوجده قد دخل
شعب خلم فرجع المغيرة واظهر نيزك الخلع وكتب الى اصبهيد بلخ والى باذان ملك مرو
الروز والى ملك الطالقان والى ملك الفرياب والى ملك الجوزجان يدعوهم الى خلع
قتيبة فاجابوه فواعدهم الربيع ان يجتمعوا ويغزوا قتيبة وكتب الى كابل شاه يستظهر به
وبعث اليه بثقله وماله وسأله ان يأذن له ان اضطر اليه ان يأتيه فاجابه الى ذلك وكان
جبعويه ملك طخارستان ضعيفا فاخذه نيزك فقيده بقيد من ذهب لئلا يخالف عليه وكان
جبعويه هو الملك ونيزك عبده فاستوثق منه واخرج عامل قتيبة من بلاد جبعويه وبلغ
قتيبة خلمه قبل الشتاء وقد تفرق الجند فبعث اخاه عبد الرحمن بن مسلم فى اثني عشر الفا
الى البروقان وقال اقم بها ولا تحدث شيئا فاذا انقضى الشتاء سرنحو طخارستان واعلم انى
قريب منك فصار فلما كان آخر الشتاء كتب قتيبة الى نيسابور وغيرها من البلاد ليقدم عليه الجنود
فتقدموا قبل اوانهم فصار نحو الطالقان وكان ملكها قد خلع وطابق نيزك على الخلع فاتاه

قتيبة فلو وقع باهل الطالقان فقتل من اهلها مقتلة عظيمة و صلب منهم سماطين اربعة فراسخ
 في نظام واحد ثم استعمل على الطالقان اخاه عمر بن مسلم ثم سار الى القارياب فخرج اليه
 ملكها مدعنا فقبل منه ولم يقتل بها احدا واستعمل عليها رجلا من اهلها وبلغ ملك
 الجوزجان خبرهم فهرب الى الجبال وسار قتيبة الى الجوزجان فلقية اهلها سامعين مطيعين
 فقبل منهم ولم يقتل بها احدا واستعمل عليها عامر بن مالك الحماني ثم اتى بلخ فلقية اهلها
 فلم يبق بها الا يوما واحدا وسار يتبع اخاه عبدالرحمن الى شعب خلم ومضى نيرك الى بغلان
 وخلف مقاتلة على فم الشعب ومضائقه لينعوه ووضع مقاتلته في قلعة حصينة من وراء
 الشعب فاقام قتيبة اياما يقاتلهم على مضيق الشعب لا يقدر على دخوله ولا يعرف طريقا
 يسلكه الى نيرك الا الشعب او مغارة لا تحتلها العساكر فبقى متحيرا فقدم انسان فاستأمنه على ان يده
 على مدخل القلعة التي من وراء الشعب فأمنه قتيبة وبعث معه رجلا لافاته بهم الى القلعة من
 وراء شعب خلم فطرقوهم وهم آمنون فقتلوهم وهرب من بقي منهم ومن كان في الشعب
 فدخل قتيبة الشعب فأتى القلعة ومضى الى سمجان فاقام بها اياما ثم سار الى نيرك وقدم
 اخاه عبدالرحمن فارتحل نيرك من منزله فقطع وادي فرغانة ووجه ثقله وامواله الى كابل
 شاه ومضى حتى نزل الكرز وعبدالرحمن يتبعه فنزل عبدالرحمن حذاء الكرز ونزل قتيبة بمنزل
 بينه وبين عبدالرحمن فرسخان فتحصن نيرك في الكرز وليس اليه مسلك الا من وجه واحد
 وهو صعب لا تطيقه الدواب فحصره قتيبة شهرا حتى قل ما في يد نيرك من الطعام
 وأصابهم الجدرى وجدر جبغويه وخاف قتيبة الشتاء فدعا سليما الناصح وكان يصادق
 نيرك فقال انطلق الى نيرك واحتل لتأتيني به من غير أمان فان احتال وأبى فأمنه واعلم اني
 ان عاينتك وليس هو معك صلبتك قال فاكتب الى عبدالرحمن لا يخالفني فكتب اليه فقدم
 عليه فقال له ابعث رجلا ليكونوا على فم الشعب فاذا خرجت انا ونيرك فليعطوا من ورائنا
 فيحولوا بيننا وبين الشعب فبعث عبدالرحمن خيلا فكانت هناك وحل سليم معه اطعمة
 وأخبصة اوقارا واتي نيرك فقال له انك اسأت الى قتيبة وغدرت قال نيرك فالرأى قال أرى
 أن تأتبه فانه ليس يبارح وقد عزم على ان يشتم مكانه هلك اوسلم قال نيرك كيف آتبه على غير
 امان قال ما ظنه يؤمنك لما في نفسه عليك لانك قد ملأته غيظا ولكني ارى ان لا يعلم حتى تضع
 يدك في يده فاني ارجو ان يستحي ويعفو قال اني ارى نفسي تأبى هذا وهو ان رأيتي قتلني
 فقال سليم ما أتيتك الا لأشير عليك بهذا ولو فعلت لرجوت ان تسلم وتعود حالك عنده فاذا
 أبيت فاني منصرف وقدم سليم الطعام الذي معه ولا عهد لهم بمثله فأنه به اصحاب نيرك فسأه
 ذلك فقال له سليم اني لك من الناصحين ارى اصحابك قد جهدوا وان طال بهم الحصار لم آمنهم
 ان يستأمنوا بك فانت قتيبة فقال لا آمنه على نفسي ولا آتبه الا بأمان وان ظني ان يقتلني وان
 أمتني ولكن الامان اعذر الى قال بن خلدون ولم يزل يقتله في الذروة والغارب وهو يمتنع
 حتى قال وانه قد امنك وقوله ولم يزل الخ هو مثل من امثال العرب يضرب في الخداع
 والمماكرة اه ميداني فقال سليم قد أمنك افنتهمني قال لا وقال له اصحابه اقبل قول سليم فلا
 يقول الا حقا فخرج معه ومع جبغويه وصول طرخان خليفة جبغويه وحبس طرخان

صاحب شرطته وشقران ابن اخي نيزك فلما خرجوا من الشعب عطف الخيل التي خلفها سليم
بغالوا بين الاترك اصحاب نيزك والخروج فقال نيزك هذا اول الغدر قال سليم تخلف
هؤلاء عنك خيرك واقل سليم ونيزك ومن معه حتى دخلوا على قتيبة فحبسهم وكتب
الى الجحاج يستأذنه في قتل نيزك واستخرج قتيبة ما كان في الكرز من متاع ومن كان فيه
فقدم به على قتيبة فانتظر بهم كتاب الجحاج فأتاه كتاب الجحاج بعد اربعين يوما يأمره بقتل
نيزك فدعا قتيبة الناس واستشارهم في قتله واختلفوا فقال ضرار بن حصين اني سمعتك تقول
اعطيت الله عهدا ان امكنك منه ان تقتله فان لم تفعل فلا ينصرك الله عليه ابدا فدعا نيزك
فضرب عنقه بيده وأمر بقتل صول وابن اخي نيزك وقتل من اصحابه سبع مائة وقيل اثني
عشر الفا و صلب نيزك وابن اخيه وبعث برأسه الى الجحاج واخذ الزبير مولى عباس الباهلي
حقا لنيزك فيه جوهر فكان اكثر من في بلاده مالا وعقارا من ذلك الجوهر واطلق قتيبة
جبعويه ومن عليه وبعث به الى الوليد فلم يزل بالشام حتى مات الوليد فلما قتل قتيبة نيزك
رجع الى مرو وارسل ملك الجوزجان يطلب الامان فامنه على ان يأتيه فطلب رهنا وبعطى
رهائن فاعطاه قتيبة حبيب بن عبد الله بن حبيب بن محمد واعطى ملك الجوزجان رهائن
من اهل بيته و قدم على قتيبة ثم رجع فات بطالقان فقال اهل الجوزجان انهم سموه فقتلوا
حبيبا وقتل قتيبة الرهائن الذين كانوا عنده وذلك سنة احدى وتسعين

ذكر قتل داهر ملك السند وفتح السند

قد تقدم ذكر اول غزو المسلمين السند في سنة ثلاث واربعين في خلافة عثمان
رضي الله عنه وان عبد الله بن عامر استعمل على ثغر السند عبد الله بن سواد العبدي
وفي سنة اربع واربعين غزا المهلب بن ابي صفرة ثغر السند عاملا للحكم بن عمرو الغفاري
حين كان على خراسان وفي سنة خمس وسبعين كان على ثغر السند بجاعة بن مسهر
التميمي من قبل الجحاج وفي سنة تسع وثمانين تم فتح بقية السند للمسلمين على يد محمد بن القاسم بن
الحكم بن ابي عقيل الثقفي ابن عم الجحاج لان الجحاج هو بن يوسف بن الحكم فيجتمع هو
والجحاج في الحكم بن ابي عقيل ولي الجحاج محمد بن القاسم المذكور واستعمله على ذلك
الثغر وسير معه ستة آلاف مقاتل وجهزه بكل ما يحتاج اليه حتى المسال والابر والخيوط
فصار محمد الى مكران فاقام بها اياما ثم اتى قزنبور ففتحها ثم سار الى ارمائل ففتحها ثم سار
الى الديبل فقدمها يوم جمعة ووافته سفن كان حل فيها الرجال والسلاح والاداة فخذق
حين نزل الديبل وأرسل الناس منازلهم ونصب منخيقا يقال له العروس كان يسد به خسمائة
رجل وكان بالديبل بدعظيم والبد صنم في بناء عظيم وكان تحت منارة عظيمة مرتفعة وفي
رأس المنارة دقل عظيم وعلى الدقل راية جراء اذا هبت الريح اطافت بالمدينة وكانت تدور
وكل ما يعبد فهو عندهم بدعظيم الديبل وطال حصارها فرمى الدقل بحجر العروس فكسره
فنتطير الكفار بذلك ثم خرجوا اليه فناهضهم القتال فهزمهم حتى ردهم الى البلد وامر
بالسلام فنصبت فصعد عليها الرجال ففتحت عنوة وقتل فيها ثلاثة ايام وهرب عامل داهر

ملك السند عنها وانزلها محمد بن القاسم اربعة آلاف من المسلمين وبنى جامعها وسار عنها الى البيرون وكان اهلها يبعثوا الى الجحاج فصالحوه فلقوا محمدا بالميرة وأدخلوه مدينتهم ثم سار عنها فجعل لا يمر بمدينة الافتحها حتى عبر نهرا دون مهران فأناه اهل سر بيدس فصالحوه ووظف عليهم الخراج ثم عبر نهر مهران واستعد ملك السند لمحاربتهم واسمهم ذاهر بن صعصعة ثم عقد الجسر على النهر فقاتله ذاهر وهو على فيل وحوله القيلة ومعه التسكاكرة وهم قواد السند فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع بمثله وترجل ذاهر فقاتل حتى قتل عند المساء ثم انهزم الكفار وقتلهم المسلمون كيف شاؤوا فلما قتل ذاهر لحقت امرأة ذاهر بمدينة راور فساروا اليها وخافته فاحرقت نفسها وجوار بها وملك المدينة ولحق المنهزمون بمدينة برهنا باذالعية ففتحتهم عنوة وقتل من وجد بها وخر بها ثم استولى على مدائن السند واحدة واحدة وقطع نهر بياس الى الملتان فحاصرها وقطع الماء عنها فنزلوا على حكمه فقتل مقاتلة وسبي الذرية وقتل سدة البد وهم ستة آلاف واصابوا ذهابا كثيرا فجمع في بيت طوله عشرة اذرع وعرضه ثمانية اذرع يلقى اليه من كوة في وسطه فسميت الملتان فرج بيت الذهب والفرج الثغر وكان بد الملتان تهدي اليه الاموال ويحجج ٣ من البلاد ويحلقون رؤسهم ولحاهم عنده ويزعمون ان صنمه هو ايوب النبي صلى الله عليه وسلم وعظمت فتوح محمد بن القاسم ونظر الجحاج في النفقة على ذلك الثغر فكان ستين الف الف درهم ونظر في الخمس الذي حل اليه فكان مائة الف الف وعشرين الف الف فقال رب بحسنا النصف وهو ستون الف الف وادركنا ثارنا ورأس ذاهر ولما مات الجحاج سنة خمس وتسعين كان محمد بن القاسم بالملتان فأناه خبر وفاته فرجع الى الرور والبغور وكان قد فتحهما فاعطى الناس ووجه الى البلمان جيشا فلم يقاتلوا وأعطوا الطاعة ثم أتى محمد الكبير فخرج اليه دهر فقاتله فانهزم دهر وقيل بل قتل ونزل اهل المدينة على حكم محمد فقتل وسبي ومات الوليد بن عبد الملك وولى اخوه سليمان فعزل محمد بن القاسم عن السند وولاه يزيد بن ابي كبشة السكسكي فاخذ محمدا وقيده وحمله الى العراق فبكا اهل السند على محمد فلما وصل الى العراق حبسه صالح بن عبد الرحمن بواسط فعذبه صالح ثم قتله وكان الجحاج قتل آدم اخا صالح وكان يرى رأى الخوارج ومات يزيد بن ابي كبشة بعد قدومه ارض السند بثمانية عشر يوما واستعمل سليمان بن عبد الملك على السند حبيب بن المهلب فقدمها وقد رجع ملوك السند الى ممالكهم وغلبوا عليها فنزل حبيب على شاطئ مهران فاعطاه اهل الرور الطاعة وحارب قوما فظفر بهم ثم مات سليمان واستخلف عمر بن عبد العزيز فكتب الى الملوك يدعوهم الى الاسلام والطاعة على ان يملكهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم فاسلم جيشة بن ذاهر والملوك وتسموا بأسماء العرب وكان عمرو ابن مسلم الباهلي عامل عمر بن عبد العزيز على ذلك الثغر

قوله ويحجج
بالبناء بالمفعول مؤلف

ذكر غزو الهند وفتحها

لما كان عمرو بن مسلم الباهلي عاملا لعمر بن عبد العزيز على السند غزا بعض الهند فظفر ثم ان الجنيد ابن عبد الرحمن المري ولى السند ايام هشام بن عبد الملك فأتى الجنيد شط مهران فغعه جيشة

ابن ذاهر العبور وارسل اليه اني قد اسلمت وولاني الرجل الصالح بلادي ولست آمنتك فاعطاه
رهننا واخذ منه رهننا على خراج بلاده ثم تراءوا وكفر جيشه وحارب وقيل انه لم يحارب
ولكن الجنيد تجنى عليه فأتى الهند فجمع جوعا واعد السفن واستعد للحرب فسار اليه الجنيد
بالسفن فالتقوا في بطيحة فاخذ جيشه اسيرا فقتله وهرب صصة بن ذاهر وهو يريد أن يمضي
الى العراق ويشكو غدر الجنيد فلم يزل الجنيد يؤنسه حتى وضع يده في يده فقتله وكان ذلك سنة
سبع ومائة وغزا الجنيد الكيرج من آخر الهند وكانوا قد نقضوا فالتقوا فالتقوا فالتقوا فالتقوا
المدينة والكباش آله من خشب وحديد يجرونها بنوع من الخيل فتدق الحائط فيهدم فلما صك
السور بالكباش ثلثه فدخلها فقتل وسبي ووجه العمال الى المرمذ والمندل ودهنج وبرونج
وبعث جيشا الى ازين فاغاروا عليها وحرقوا ربضها وفتح البيلان وحصل عنده سوى ما حل
اربعون الف الف وجل مثلها وولى الجنيد الهند تميم بن زيد القيني فضعف ووهن ثم مات
وفي ايامه خرج المسلمون عن بلاد الهند ورفضوا مراكزهم ثم ولى الحكم بن عوام الكلبي وقد كفر
اهل الهند الا اهل قصة فبنى مدينة سماها المحفوظة وجعلها مأوى للمسلمين وكان معه عمر بن محمد
ابن القاسم الثقفي وكان يفوض اليه عظيم الامور فأغراه من المحفوظة فلما قدم عليه وقد ظفر امره
فبنى مدينة سماها المنصورة فهي التي ينزلها الامراء واستخلص ما كان قد غلب عليه العدو
ورضى الناس بولايته ثم قتل الحكم وكان العمال يقاتلون العدو فكانوا يفتنحون ناحية
ويأخذون ما تيسر لهم لضعف الدولة الأموية بعد ذلك الى ان جاءت الدولة العباسية

ذكر فتوحات موسى بن نصير بأفريقية

في سنة تسع وثمانين استعمل الوليد على افريقية موسى بن نصير فوصل الى افريقية وكان البربر
قد طمعوا في البلاد وبلغه ان باطراف البلاد قوم خارجين عن الطاعة فوجه اليهم ابنه عبد الله
فقاتلهم فظفر بهم وسبي منهم الف رأس وسير ابنه ايضا في البحر الى جزيرة ميورقة فنهبها وغنم
منها ما لا يحصى وعاد سالما فوجه ابنه هرون الى طائفة اخرى فظفر بهم وسبي منهم نحو ذلك
وتوجه هو بنفسه الى طائفة اخرى فغنم نحو ذلك فبلغ الخمس ستين الف رأس من السبي ولم يذكر
احد انه سمع بسبي اعظم من هذا ثم ان افريقية قطعت واشتد بها الغلاء فاستسقى بالناس وخطبهم
ولم يذكر الوليد فقبل له في ذلك فقال هذا مقام لا يدعى فيه لا حدود ولا يدكر الا الله عز وجل
فسقى الناس ورخصت الاسعار ثم خرج غازيا الى طنجة يريد من بقي من البربر وقد هربوا خوفا
منه فقبضهم وقتلهم قتلًا ذريعا حتى بلغ السوس الا دني لا يدافع احد فاستأمن البربر اليه واطاعوه
واستعمل على طنجة مولاة طارق بن زياد وجعل معه جيشا كثيفا جلهم البربر وجعل معهم
من يعلمهم القرآن والفرائض وعاد الى افريقية فربط قلعة مجانة فتحصن اهلها منه وترك عليها
من يحاصرها حتى فتحت وحينئذ لم يبق له في افريقية من ينازعه وقيل كانت ولاية موسى
سنة ثمان وسبعين استعمله عليها عبد العزيز بن مروان وهو حينئذ على مصر لاختيه عبد الملك
وفي هذه السنة اعنى تسعا وثمانين غزا مسلمة بن عبد الملك الترك من ناحية اذربيجان ففتح
حصونا ومدائن هناك وغزا مسلمة ايضا ارض الروم سنة تسعين ففتح حصونا خمسة
العباس بن الوليد حتى بلغ اردن

✽ ذكر غزو قتيبة بن مسلم شومان وكش ونسف ✽

في سنة احدى وتسعين سار قتيبة الى شومان فحصرها وكان سبب ذلك ان ملكها طرد عامل قتيبة من عنده فأرسل اليه قتيبة رسولين احدهما من العرب اسمه عياش والاخر من اهل خراسان يدعوان ملك شومان ان يؤدي ما كان صالح عليه فقدموا على شومان فخرج اهلها اليهما فرموهما فانصرف الخراساني وقتلهم عياش وقتلوه ووجدوا به ستين جراحة وبلغ قتله قتيبة فسار اليهم بنفسه فلما اتاها ارسل اخاه صالح بن مسلم الى ملكها وكان صديقه يأمره بالطاعة ويضمن له رضا قتيبة ان يرجع الى الصلح فابى وقال لرسول صالح اتخوفني من قتيبة وانا منع الملوك حصنا فاتاه قتيبة وقد تحصن ببلده فوضع عليه المجانيق ورمى الحصن فهشمه وقتل رجلا في مجلس الملك فبحجر فلما خاف ان يظهر عليه قتيبة جمع ما كان بالحصن من مال وجوهر ورمى به في بئر بالقلعة لا يدرك قعرها ثم فتح القلعة وخرج اليهم فقاتلهم حتى قتل واخذ قتيبة القلعة عنوة فقتل مقاتلة وسبي الذرية ثم سار الى كش ونسف ففتحهما وامتنعت عليه فارياب فاحرقها فسميت المحترقة وسير من كش ونسف اخاه عبد الرحمن الى الصغد وكان ملكها طرخون فقبض عبد الرحمن من طرخون ما كان صالحه عليه قتيبة ودفع اليه رهنما كان معه ورجع الى قتيبة ببخارا وكان قد سار اليها من كش ونسف فرجعوا الى مرو ولما كان قتيبة ببخارا تملك ببخارا خذاه وكان غلاما حدثا وقتل من يخاف ان يضاده وقيل ان قتيبة سار بنفسه الى الصغد فلما رجع عنهم قالت الصغد لطرخون انك رضيت بالذل واستطبت الجزية وانت شيخ كبير لا حاجة لنا فيك فحبسوه وولوا غوزك فقتل طرخون نفسه وفي هذه السنة غزا عبدالعزيز بن الوليد الصائفة وفيها عزل الوليد عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وارمينة واستعمل عليها اخاه مسلمة بن عبد الملك فغزا مسلمة الترك من ناحية اذربيجان حتى بلغ الباب وفتح مدائن وحصونا ونصب عليها المجانيق وغزا مسلمة بن عبد الملك ارض الروم في سنة ثنتين وتسعين ففتح حصونا ثلاثة وجلا اهل سوسنة الى بلاد الروم

✽ ذكر فتح الاندلس ✽

في سنة ثنتين وتسعين في خلافة الوليد بن عبد الملك غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الاندلس في اثني عشر الفا وكانوا قبل ذلك سبعة آلاف فزولوا جبل طارق ثم امدهم موسى بخمسة آلاف فصاروا اثني عشر الفا فلقى ملك الاندلس بعد ان جمع جيوشه في اعمال شدونة فزحف له طارق بجميع من معه وزحف الملك وكان جيشه مائة الف واتصلت الحرب ثمانية ايام ثم قتل ملكهم قتله طارق بيده وهزم الله الكفار وسار طارق متبعالهم فادرك خلقا من المنهزمين فقاتلوه قتالا شديدا ثم انهزموا ولم يلق المسلمون بعدها حربا مثلها ولم تقف هزيمة لعدو على موضع بل كانوا يسلمون له بلدا بلدا ومعتلا معتلا فتوغل في بلاد الاندلس فتحها مدينة بعد مدينة والكلام على ذلك يطول وهو مبسوط في التواريخ واستقامت الامور وعلو الاسلام واما القتلى من الكفار من اول الفتح الى آخره فشيء كثير لا يمكن احصاؤه من المسلمين بالنسبة لذلك قليل جدا واما الغنائم من الذهب والفضة والخيول والجواهر

والاثاث وبثية الاشياء فشيء كثير لا يمكن حصره ولا ضبطه وكانت توجد الطنفسة منسوجة بقضبان الذهب وتنظم السلسلة من الذهب بالؤلؤ والياقوت والزبرجد فكان الجنود اذا وجدوها لا يستطيعون حملها فيأتون بالغاس فيضربون به وسطها فيأخذ احدهم نصفها والاخر النصف الآخر ومما وجد في تلك الغنائم مائة وسبعون تاجا من الذهب الاحمر مرصعة بالدر واصناف الجواهر الثمينة ووجد فيها الف سيف ملوكي مرصعة بالجواهر ووجد فيها من الدر والياقوت اكيال ومن اواني الذهب والفضة مالا يحيط به وصف ومما وجدوه مائة سليمان عليه السلام قيل انها من منهوبات بخت نصر لما خرب بيت المقدس وقيل انها لم تكن لسليمان وانما اصلها ان العجم في ايام ملكهم كان اهل الثروة منهم اذا مات احدهم اوصى بمال لاكننايس فصاغوا من ذلك المال تلك المائدة وكانت مصوغة من الذهب وقيل من الذهب والفضة مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزمر لم ير الراؤن مثلها وكان عليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرد كلها مكللة بالجواهر وحافاتها وارجلها منها وكان لها ثلاثمائة وستون رجلا وقيل وخمسة وستون فحملت الى الوليد ومعها ثلاثون الف رأس من السبي ومن الذهب والفضة والجواهر ونفائس الامتعة مالا يقدر قدره وكان ابتداء القتال والفتح ليومين بقيتا من رمضان سنة ثنتين وتسعين والتحق موسى بن نصير بمولاه طارق بن زياد في رمضان سنة ثلاث وتسعين ومعه ثمانية عشر الفا وتوغلا في الاندلس الى ان وصلوا الى بلاد الافرنج فغنى الخبر الى الوليد بن عبد الملك واشتد قلقه على المسلمين فبعث اليهم يأمرهم بالرجوع قيل انهم انتهوا الى مفازة كبيرة وارض سهلة ذات آثار فاصابوا فيها صنما عظيما قائما كالسارية مكتوبا فيه بالنقر كتابة عربية قرئت فاذا فيها يابني اسما عيل انتهيتم فارجموا وان سألتم الى ماذا ترجعون اخبرتكم انكم ترجعون الى الاختلاف فيما بينكم حتى يضرب بعضكم اعناق بعض وقد فعلتم فرجعوا سنة خمس وتسعين وولى موسى على افر يقية ابنه عبد الله وعلى الاندلس ابنه عبد العزيز وعلى طنجة ابنه عبد الملك فصار جميع الاندلس والمغرب بين اولاده ورجع هو ومولاه طارق قيل كان رجوعهم قبل وفاة الوليد وقيل بل كان بعد موت الوليد وولاية سليمان وقيل قدموا والوليد مريض مرض الموت ثم اتسع امر المسلمين بالاندلس وصار لهم ملك ضخم ثم استولى عليها النصارى شيئا فشيئا الى سنة تسعمائة واربعة فاستولوا عليها جميعها وبقي قليل من المسلمين لانصارهم قاموا في بعض الجبال على النصارى ثم تقوا واعلهم واخرجوهم وكان آخرهم خروجا سنة الف وعشرة واسأل الله ان يهتدي للاسلام من ينصره حتى يسترجع ما استولى عليه الكفار

ذكر غرق المسلمين الذين حصل منهم غلول في غنائم الاندلس

لما فتح موسى بلاد الاندلس سير طائفة من عسكره في البحر الى جزيرة سبيل الملك في بحر الروم من اكبر الجزائر كثيرة القواكه فدخلها المسلمون وعمد الان ففتح من آنية ذهب وفضة فالتقوا الجميع في المينا التي لهم وجعلوا اموالهم سبيد وامروه للبيعة العظمى التي لهم تحت السقف الاول وغنم المسلمون فيها مالا يحصى ولا يوصف عال ذاهوا الغلول

فاتفق ان رجلا اغتسل في المينا فعلق رجلاه في شئ فأخرجه فاذا صحفة من فضة فأخذ المسلمون جميع ما في المينا ثم دخل رجل من المسلمين الى تلك الكنيسة فنظر الى حمام في سقف الكنيسة فرماه بسهم فأخطأه ووقع في السقف وانكسر لوح فنزل منه شئ من الدنانير فاستخرج المسلمون جميع ما كان في السقف واخذوه وازدادوا غلوا فكان بعضهم يذبح الهرة ويرمي ما في جوفها ويملا جلوده دنانير ويخيط عليه ويلقيها في الطريق فاذا خرج اخذها وكان يضع قائم سيفه على الجفن ويلمؤه ذهباً فلما ركبوا في البحر سمعوا قائلاً يقول اللهم غرقهم فغرقوا عن آخرهم فوجدوا اكثر الغرقى والدنانير على اوساطهم وفي سنة خمس وثلاثين ومائة غزا هذه الجزيرة عبد الرحمن بن حبيب الفهري وكان على الاندلس فقتل من بها قتلاً ذريعاً ثم صالحوه على الجزية فأخذت منهم ثم منعوا وبقيت لم يغزها احد بعده فغمرها الروم فلما كانت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة اخرج اليها المنصور بن القائم العلوي صاحب افريقية اسطولاً من المهدي فروا بجنوة ففتحوا المدينة واوقعوا باهل سردانية وسبوا فيها واحرقوا مراكب كثيرة واخر بواجنوة وغنوا ما فيها وفي سنة ست واربع مائة غزاها مجاهد العامري من الاندلس وكان صاحبها في البحر في مائة وعشرين مركباً ففتحها وقتل فاكثر وسب النساء والذرية فسمع بذلك ملوك الروم فجمعوا اليه وساروا اليه من البر الكبير في جمع عظيم فاقتلوا وانهزم المسلمون واخرجوا من جزيرة سردانية ولم تغز بعد ذلك

✽ ذكر غزو سجستان ✽

وفي سنة ثنتين وتسعين غزا قتيبة بن مسلم سجستان واراد قصد رتبيل الاعظم فلما نزل قتيبة سجستان ارسل رتبيل اليه رسلاً بالصلح فقبل ذلك وانصرف واستعمل عليهم عبد ربه ابن عبد الله اللبي

✽ ذكر صلح خوارزم شاه وفتح خام جرد ✽

في سنة ثلاث وتسعين صالح قتيبة بن مسلم خوارزم شاه وكان سبب ذلك ان ملك خوارزم كان ضعيفاً فعليه اخوه خرزاد على أمره وكان اصغر منه وكان اذا بلغدان عند احد ممن هو منقطع الى الملك جارية او مالا او دابة او بنتاً او اختاً او امرأة جيلة ارسل اليه واخذه منه وكان لا يمنع عليه احد ولا الملك فاذا قيل للملك قال لا اقوى به وهو مغتاض عليه فلما طال ذلك عليه كتب الى قتيبة يدعوه الى ارضه ليسلمها له واشترط عليه ان يدفع اليه اخاه وكل من يضاده ليحكم فيهم بما يرى ولم يطلع احداً من مرآته على ذلك فاجابه قتيبة الى ما طلب وتجهز للغزو واظهر قتيبة انه يريد الصغد وسار من مرو وجع خوارزم شاه اجناده ودهاقينه وقال ان قتيبة يريد الصغد وليس بغازيكم فهلما نتعم في ربيعنا هذا فاقبلوا على الشرب والتعم فلم يشعروا حتى نزل قتيبة في هزارسب فقال خوارزم شاه لاصحابه ماترون قالوا نرى ان نقاتله قال لكني لا اري ذلك لانه قد عجز عنه من هو اقوى منا واشد شوكة ولكني اصرفه بشئ اؤديه اليه فاجابوه الى ذلك فسار خوارزم شاه ونزل بمدينة القيل من وراء النهر وهي احصن بلاده وقتيبة لم يعبر النهر فارسل اليه خوارزم شاه فصالحه على عشرة آلاف رأس وعين ومتاع

وعلى ان يعينه على خام جرد فقبل قتيبة ذلك وقبل صاحبه على مائة الف رأس ثم بعث قتيبة اخاه عبد الرحمن الى خام جرد وكان احدا عدا خوارزم شاه وكان يغازي خوارزم شاه فقاتله فقتله عبد الرحمن وغلب على ارضه وقدم منهم باربعة آلاف أسير فقتلهم قتيبة وسلم قتيبة الى خوارزم شاه اخاه ومن كان يخالفه فقتلهم ودفع اموالهم الى قتيبة

ذكر فتح سمرقند

لما قبض قتيبة صلح خوارزم شاه قام اليه المجشر بن مزاحم السلمي فقال له سر ان اردت الصفد يوما من الدهر فالآن فانهم آمنون من أن يأتيهم عامل وانما بينك وبينهم عشرة ايام فقال اشار عليك بهذا احد قال لا قال فسمعه منك احد قال لا قال والله لئن تكلم به احد لا ضربت عنقك فلما كان الغد امر اخاه عبد الرحمن فسار في الفرسان والرماة وقدم الانتقال الى مرو فسار يومه فلما امسى كتب اليه قتيبة اذا أصبحت فوجه الانتقال الى مرو وسر بالفرسان والرماة الى الصفد واكتبتم الاخبار فاني في الاثر ففعل عبد الرحمن ما امره وخطب قتيبة الناس وقال لهم ان الصفد شاغرة برجلها وقد نقضوا العهد الذي بيننا وصنعوا ما بلغكم واني ارجو ان تكون خوارزم والصفد كقريظة والنضير ثم سار فاني الصفد فبلغها بعد عبد الرحمن بثلاث او اربع فحصرهم بسمرقند شهرا واستجاشوا ملك الشاش واخشاد خاقان وفرغانة وكتبوا لهم ان العرب ان ظفروا بنا اتوكم بمثل ما اتونا به فانظروا لانفسكم ومهما كان عندكم من قوة فابذلوها فنظروا وقالوا انما نؤتي من سفلتنا فانهم لا يجدون كجدنا فانتخبوا اهل النجدة من ابناء الملوك والمرزبة والاساورة والابطال وولوا عليهم ابن خاقان وامروهم ان يأتوا عسكر قتيبة فيبيتوه فانه مشغول بحصار سمرقند فساروا وبلغ قتيبة الخبر فانتخب من عسكره ستمائة فارس من الشجعان وبعث بهم اخاه صالح بن مسلم وأمرهم بالمسير الى عدوهم فساروا فزلوا على فرسخين من العسكر على طريق القوم فجعل صالح له كمينين فلما مضى نصف الليل جاءهم عدوهم فلما رأوا صالحا حملوا عليه فلما اقتتلوا شد الكمينان عن يمين وشمال فلم يرقوم كانوا أشد من أولئك قال بعض اصحاب صالح اننا لشفناهم في الليل اذ رأيت قتيبة وقد جاء سرا فضررت ضربة اعجبتني فقلت كيف ترى بأبي وامى قال اسكت فض الله فك ثم قاتلوههم اشد القتال فهزموهم وقتلوههم وقتلوا ابن خاقان ولم يفلت منهم الا الشريد وحوينا اسلابهم وسلاحهم واجتزنا رؤسهم وأسرا منهم أسرى فسألناهم عن قتلنا فقالوا ما قتلتم الا ابن ملك او عظيما او بطلا كان الرجل منهم يعد بمائة رجل وكتبنا اسماءهم على آذانهم ثم دخلنا العسكر حين اصبحنا فلم يأت احد بمثل ما جئنا به من القتل والأسرى والخيل ومنطق الذهب والسلاح قال واكرمني قتيبة واكرم معي جماعة وظننت انه رأى منهم مثل الذي رأى مني ولما رأى اهل الصفد ذلك خافوا خوفا شديدا ونصب قتيبة عليهم المجانيق فرماهم بها وثم ثلثة فقام عليها رجل فشم قتيبة فرماه بعض الرماة فقتله فاعطاه قتيبة عشرة آلاف وسمع بعض المسلمين قتيبة وهو يقول كانه يناجي نفسه حتى متى يا سمرقند يعيش فيك الشيطان اما والله لئن أصبحت لأحاولن من امره لابيعة اقصى غاية فانصرف ذلك الرجل فقال لاصحابه كم من نفس توت غدا واخبر الخبر ففرغوا الغلو

قتيبة أمر الناس بالجد في القتال فقاتلوهم واشتد القتال وأمرهم قتيبة أن يبلغوا ثلثة السور
 فجعلوا الترس على وجوههم وجلدوا فبلغوها ووقفوا عليها ورماهم الصغد بالشباب
 فلم يبرحوا فأرسل الصغد الى قتيبة فقالوا انصرف عنا اليوم حتى نصلحك غدا فقال قتيبة
 لانصالحهم الاورجالنا على الثلثة فصالحوه والرجال على الثلثة على الف الف ومائتي الف منقال
 في كل عام وان يعطوه في تلك السنة ثلاثين الف رأس وان يخلوا لقتيبة مدينة سمرقند فلا يكون
 لهم فيها مقاتل الى ان يبنى فيها مسجدا ويدخل ويصلي ويخطب ويتغدى ويخرج فلما تم الصلح
 واخلوا المدينة وبنى المسجد دخلها قتيبة في اربعة آلاف انتخبهم فدخل المسجد فصلى فيه
 وخطب واكل طعاما ثم ارسل الى الصغد من أراد منكم ان يأخذ مناعه فليأخذ فاني لست خارجا
 منها ولست آخذ منكم الا ما صالحتكم عليه غير أن الجند يقيمون فيها فأكرهم على اقامة جند
 فيها وقبل انه شرط عليهم ايضا بيوت النيران وحلقة الاصنام فقبض ذلك واتى الاصنام
 فكانت كالقصر العظيم واخذ ما عليها من الحلية وأمر بها فأحرقت فجاءه غوزك فقال
 ان شكرك على واجب لا تعرض لهذه الاصنام فان منها اصناما من احرقها هلك فقال قتيبة
 انا احرقها بيدي فدعا بالنار فكبر ثم اشعلها فاحترقت فوجدوا من بقايا مسامير الذهب خمسين
 الف مثقال واصاب بالصغد جارية من ولد يزيد جرد فارسلها الى الحجاج فارسلها الحجاج
 الى الوليد فولدت له يزيد بن الوليد ولما بعث قتيبة بالفصح الى الحجاج انتقل الى مرو
 واستعمل على سمرقند اياس بن عبدالله ثم ان اهل خوارزم استضعفوا اياها فجمعوا له جوعا
 وارادوا قتاله فوجد قتيبة جوعا الى خوارزم مع المغيرة بن عبدالله وعزل اياسا من سمرقند
 وولى اخاه عبدالله بن مسلم فلما قدم المغيرة على سمرقند خشي ملكهم من ابناء الذين كان قتلهم
 ففر الى بلاد الترك وجاء المغيرة فقتل وسبي وملك خوارزم وصالحه الباقر على الجزية

ذكر غزوة قتيبة الشاش وفرغانة

في سنة اربع وتسعين قطع قتيبة النهر وفرض على اهل بخارى وكش ونسف وخوارزم
 عشرين الف مقاتل فساروا معه فوجههم الى الشاش وتوجه هو الى فرغانة فأتى
 خجندة فجمع له اهلها جوعا واقتتلوا معه مرارا كل ذلك يكون الظفر للمسلمين ثم ان
 قتيبة اتى كاشان مدينة فرغانة وانه الجنود الذين وجههم الى الشاش وقد فتحوها واحرقوا
 أكثرها وانصرف الى مرو وفي هذه السنة غزا العباس بن الوليد ارض الروم ففتح
 انطاكية وفيها غزا عبدالعزيز بن الوليد غزاة وبلغ الوليد بن هشام المعيطى برج الحمام
 ويزيد بن ابي كبشة ارض سورية

ذكر غزوة الشاش

في سنة خمس وتسعين بعث الحجاج بجيش من العراق الى قتيبة فغزا بهم الشاش فلما كان بشاش
 او بكثماهان أتاه موت الحجاج في شوال فغمه ذلك ورجع الى مرو وتفرق الناس فأتاه كتاب
 أؤذنه ليدفع عن امير المؤمنين بلاءه ووجدك واجتهادك في جهاد اعداء المسلمين وامير المؤمنين رافعك
 بلاءه ووليك الذي يجب لك فأنتم مغازبك وانتظر ثواب ربك ولا تغب عن امير المؤمنين

كتبك حتى كأتى انظر الى بلائك والثغر الذى انت فيه وفي هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح هرقله وفيها فتح آخر الهند الا الكيرج والمندل وقد تقدم ذكر ذلك وفي هذه السنة افتتح العباس بن الوليد قنسرين

✽ ذكر فتح قتيبة مدينة كاشغر ✽

في سنة ست وتسعين غزا قتيبة كاشغر فسار وحل مع الناس عيالهم ليضعهم بسمرقند فلما عبر النهر استعمل رجلا على معبر النهر لينع من يرجع الا يجرى - واز منه ومضى الى فرغانة وارسل الى شعب عصام من يسهل الطريق الى كاشغر وهى ادنى مدين الصين وبعث جيشا مع كبير بن فلان الى كاشغر فغنم وسبي سبيا ففتح اعناقهم واوغل حتى بلغ قريب الصين فكتب اليه ملك الصين ان ابعث الى رجلا شريفا يخبرني عنكم وعن دينكم فانخب قتيبة عشرة لهم جبال والسن وبأس وعقل وصلاح فامر لهم بعدة حسنة ومتاع حسن من الخبز والوشى وغير ذلك وخيول حسنة وكان منهم هبيرة بن مشمرج الكلابي فقال لهم اذا دخلتم عليه فأعلموه انى قد حلفت انى لا انصرف حتى اطأ بلادهم واختم ملوكهم واجي خراجهم فساروا وعليهم هبيرة فلما قدموا عليه دعاهم ملك الصين فلبسوا ثيابا بيضا تحتها الغلال وتطيبوا ولبسوا النعال والاردية ودخلوا عليه وعنده عظماء قومه فجلسوا فلم يكلمهم الملك ولا احد ممن عنده فنهضوا فقال الملك لمن حضره كيف رأيتم هؤلاء فقالوا رأينا قوما ماهم الا نساء مابق منا احد الا انتشر ما عنده فلما كان الغد دعاهم فلبسوا الوشى والعمائم الخبز والمطارف وغدوا عليه فلما دخلوا قيل لهم ارجعوا وقال لاصحابه كيف رأيتم هذه الهيئة قالوا هذه اشبه بهيئة الرجال من تلك فلما كان اليوم الثالث دعاهم فشدوا سلاحهم ولبسوا البيض والمغافر واخذوا السيوف والرماح والقسى وركبوا فنظر اليهم ملك الصين فرأى مثل الجبل فلما دنوا ركزوا رماحهم واقبلوا مشمرين فقبل لهم ارجعوا فركبوا خيولهم واخذوا رماحهم ودفعوا خيلهم كأنهم يتطاردون فقال الملك لاصحابه كيف ترونهم فقالوا ما رأينا مثل هؤلاء فلما امسى بعث اليهم أن ابعثوا الى زعيمكم فبعثوا اليه هبيرة بن مشمرج فقال له قد رأيتم عظم ملكى وانه ليس احد يمنعكم منى واتم في يدى بمنزلة البيضة في كفى وانى سائلكم عن امر فان لم تعد قونى قتلتمكم قال سل قال لم صنعتم بزيكم الاول اليوم الاول والثانى والثالث ما صنعتم قال امازينا اليوم الاول فلباسنا فى اهلنا واما اليوم الثانى فزينا اذا أمننا امرانا واما الثالث فزينا لعدونا قال ما احسن ما دبرتم دهركم فقولوا لاصحابكم ينصرف فانى قد عرفت قلة اصحابه والا بعثت عليكم من يهلككم قالوا كيف يكون قليل الاصحاب من اول خيله فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون يعنون الشام واما نخوفك ايانا بالقتل فان لنا آجالا اذا حضرت فاكرمها القتل ولسنا نكرهه ولا نخافه وقد حلف اميرنا ان لا ينصرف حتى يطأ ارضكم ويختم ملوككم وتعطوا الجزية قال فانا نخرجه من عيینه ونبعث تراب ارضنا فيطؤه ونبعث اليه بعض ابناؤنا فيختمهم ونبعث اليه بجزية رضاهم بعث اليه بهدية واربعة غلمان من ابناؤهم ملوكهم وشئ من تراب ارضهم واجاز

العشرة الواقد بن فاحسن جائزتهم فقدموا على قتيبة فقبل الجزية وختم الغلمان وردد هم ووطئ التراب ووصل الخبر الى قتيبة في هذه الغزوة بموت الوليد فرجع

✽ ذكر مقتل قتيبة بن مسلم ✽

كان قتيبة فحل عمال الدولة الاموية والحجاج فرعونها ومكث قتيبة على خراسان ثلاث عشرة سنة وفتح كثيرا من المداين التي كانت ففتح قبله ثم كفر اهلها وتغلبوا فقاتلهم حتى فتحها وفتح غيرها ايضا كما تقدم وفي هذه السنة اعنى سنة ست وتسعين قتل وعمره سبع واربعون سنة وسبب قتله موافقته للوليد بن عبد الملك حين اراد خلع اخيه سليمان وذلك ان عبد الملك بن مروان عهد بالخلافة لابنه الوليد ثم من بعده لاختيه سليمان فاراد الوليد ان يخلع اخاه سليمان ويبيع لابنه عبد العزيز فلم يوافقوه على ذلك الا الحجاج وعتيبة بن مسلم ثم مات الحجاج ثم مات الوليد ولم يتمكن من خلع اخيه فبويع لاختيه سليمان فخاف قتيبة منه وكان سليمان بن عبد الملك صديقا ليزيد بن المهلب فخاف قتيبة ان يعزله ويولي يزيد بن المهلب فدعى الناس لخلع سليمان وكان قتيبة قد عزل وكيع بن حسان عن رياسة بنى تميم وصيرها لضرار بن حصين الضبي فلما اراد خلع سليمان لم يوافقوه وكيع وتجمع معه كثير من قومه فثار من ذلك فتنة بين المسلمين بخراسان يطول الكلام بذكرها فقتل فيها قتيبة وقتل معه من اهل اخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحصين وعبد الكريم ومسلم وقتل كثير ابنه وكان عدة من قتل مع قتيبة من اهل بيته احد عشر رجلا ونجاعة بن مسلم اخو قتيبة وحل رأس قتيبة ورؤس اهل بيته الى سليمان بن عبد الملك وقام بالامر بخراسان وكيع بن حسان تسعة اشهر ولما قتل قتيبة قال رجل من اهل خراسان يامعشر العرب قتلتم قتيبة والله لو كان منافات لجعلناه في تابوت فكنا نستسقى به ونستفتح به وفي هذه السنة جهز سليمان بن عبد الملك الجيوش الى القسطنطينية واستعمل ابنه داود على الصائفة فافتتح حصن المرأة وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الوضاحية ففتح الحصن الذي فتحه الوضاح صاحب الوضاحية وفيها غزا عمر بن هبيرة ارض الروم في البحر فشتى بها

✽ ذكر ولاية يزيد بن المهلب خراسان ✽

كان سليمان بن عبد الملك ولي يزيد بن المهلب العراق وبعد مقتل قتيبة بتسعة اشهر ولاء خراسان فاقام عماله بالعراق وتوجه الى خراسان

✽ ذكر فتح جرجان وطبرستان ✽

في سنة ثمان وتسعين غزا يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان لما قدم خراسان وسبب غزوهما واهتمامه بهما انه لما كان عند سليمان بن عبد الملك بالشام كان سليمان كلما فتح قتيبة فتحها يقول ليزيد الاترى الى ما يفتح الله على قتيبة فيقول يزيد ما فعلت جرجان التي قطعت الطريق وافسدت قومس ونيسابور ويقول هذه الفتوح ليست بشيء الشأن هي جرجان ولم تكن جرجان يومئذ مدينة انما هي جبال ومخارم وابواب يقوم الرجل على باب منها فلا

يُقدم عليه أحد فلما ولاه سليمان خراسان لم يكن له همّة غير جرجان فسار إليها في
مائة ألف من أهل الشام والعراق وخراسان سوى الموالى والمنطوعة فابتدأ بقهستان
فحاصرها وكان أهلها ظنّة من الترك وكان أهلها يخرجون ويقاتلون فيبرزهم المسلمون
في كل ذلك فإذا هزموا دخلوا الحصن فخرجوا ذات يوم وخرج اليهم الناس فاقتتلوا قتالا
شديدا ثم انهزموا ودخلوا الحصن ثم ألح عليهم القتال وقطع عنهم المواد واشتد عليهم
الحصار فطلب الصلح صول دهقان قهستان على أن يؤمنه على نفسه وأهله وماله ليدفع
له المدينة بما فيها فصالحه ووفى له ودخل المدينة فاخذ مما كان فيها من الأموال والكنوز
والسبي ما لا يحصى وقتل أربعة عشر ألف تركي صبيرا وكتب إلى سليمان بن عبد الملك بذلك ثم
خرج حتى أتى جرجان وكان أهل جرجان قد صالحهم سعيد بن العاص وكانوا يحبون أحيانا
مائة ألف وأحيانا مائتي ألف وأحيانا ثلاثمائة ألف وربما أعطوا ذلك وربما منعوه ثم امتنعوا
وكفروا فلم يعطوا خراجا ولم يأت جرجان بعد سعيد أحد ومنعوا ذلك الطريق فلم يكن
يسلك طريق خراسان أحد الأعلى فارس وكرمان وأول من صير الطريق من قومس قتيبة
ابن مسلم حين ولي خراسان وبقى أمر جرجان كذلك حتى ولي يزيد بن المهلب فاتاهم فاستقبلوه
بالصلح وزادوه وهابوه فأجابهم إلى ذلك وصالحهم فلما فتح قهستان وجرجان طمع في
طبرستان أن يفتحها فعزم على أن يسير إليها فاستعمل عبدالله بن المعمر اليشكري على ساسان
وقهستان وخلف معه أربعة آلاف ثم أقبل إلى أداني جرجان مما يلي طبرستان فاستعمل على
أيزوسا راشد بن عمرو وجعله في أربعة آلاف ودخل بلاد طبرستان فإرسا إليه الأصهبيد صاحبها
يسأله الصلح وأن يخرج من طبرستان فأبى يزيد ورجا أن يفتحها ووجه أخاه أبا عينة من وجه
وابنه خالد بن يزيد من وجهه وأبا الجهم الكلبي من وجهه ومع كل منهما جيش وقال إذا اجتمعتم
فأبو عينة على الناس فسار أبو عينة وأقام يزيد معسكرا واستجاش الأصهبيد أهل جيلان
والديلم فأتوه فالتقوا في سفح الجبل فانهزم المشركون في الجبل واتبعهم المسلمون حتى انتهوا
إلى قم الشعب فدخل المسلمون وصعد المشركون في الجبل واتبعهم المسلمون يرومون الصعود
فرماهم العدو بالنشاب والحجارة فانهزم أبو عينة والمسلمون يركب بعضهم بعضا يتساقطون
في الجبل حتى انتهوا إلى عسكر يزيد وكف عدوهم عن اتباعهم وخافهم الأصهبيد فكانت
أهل جرجان ومقدمهم المرزبان يسألهم أن يبيتوا من عندهم من المسلمين وأن يقطعوا عن
يزيد المادة والطريق فيما بينه وبين بلاد الإسلام ويعدهم أن يكافئهم على ذلك فثاروا
بالمسلمين فقتلواهم أجمعين وهم غارون في ليلة وقتل عبدالله بن المعمر ومن معه فلم ينج منهم
أحد وكتبوا إلى الأصهبيد بأخذ المضايق والطرق وبلغ ذلك يزيد بن المهلب وأصحابه فعظم
عليهم وهالهم وفرع يزيد إلى حيان النبطي وكان من رؤساء جنده يسير إلى الأصهبيد في عمل
الصلح فأتى حيان الأصهبيد فقال له أنا رجل منكم وإن كان الدين فرق بيني وبينكم فأنالكم
ناصح فانت أحب إلى من يزيد بن المهلب وقد بعث يستمد وأمداده منه قريبة وإنما أصابوا منه
طرفا ولست آمن من أن يأتيك من لا تقوم له فأرح نفسك وصالحه فان صالحته صير حده على أهل
جرجان بغدرهم وقتلهم أصحابه فصالحه على سبعمائة ألف وأربعمائة وقر زعفران وأوقيته

فاخذ الرجل السائل فأتى به يزيد فاخبره فاخذ يزيد التاج وعوض السائل مالا كثيرا

ذكر محاصرة القسطنطينية

وفي هذه السنة اعنى سنة ثمان وتسعين سار سليمان بن عبد الملك الى دابق وجهاز جيشا مع اخيه مسلمة بن عبد الملك ليسير الى القسطنطينية وسبب ذلك انه مات ملك الروم فاتى اليون من اذر بيجان لسليمان بن عبد الملك فاخبره بموته وضمن له فتح الروم فوجه ذلك الجيش مع اخيه مسلمة فسار الى القسطنطينية فلما دنا منها امر كل فارس ان يحمل معه مدين من طعام على عجز فرسه الى القسطنطينية ففعلوا فلما اتاها امر بالطعام فالتقى امثال الجبال وقال للمسلمين لا تأكلوا منه شيئا واغبروا في ارحمهم وازرعوا وعمل بيوتا من خشب فشتى فيها وصاف وزرع الناس وبقى الطعام في الصحراء والناس يأكلون ما اصابوا من الغارات والزرع و اقام مسلمة قاهرا للروم معه اعيان الناس فارسل الروم الى مسلمة يعطونه عن كل رأس دينارا فلم يقبل فقالت الروم لا ليون ان صرفت عنا المسلمين ملكناك فاستوثق منهم فاتى مسلمة فقال له ان الروم قد علموا انك لا تصدقهم القتال وانك تطاولهم مادام الطعام عندك فلو احرقته اعطوا الطاعة بأيديهم فامر به فاحرق فقوى الروم واصابوا المسلمين حتى كادوا يهلكون وبقوا على ذلك حتى مات سليمان سنة تسع وتسعين وقيل انما خدع اليون مسلمة بان سألوه ان يدخل من الطعام الى الروم بمقدار ما يعيشون به ليلة واحدة ليصدقوا ان امر مسلمة وامره واحد وانهم في امان من السبي والخروج من بلادهم فاذن له وكان اليون قد اعد السفن والرجال فنقلوا تلك الليلة الطعام فلم يتركوا في تلك الحظائر الا ما لا يدكروا اصبح اليون محاربا وقد خدع مسلمة خديعة لو كانت لا امرأة لعبت بها ولقى الجند ما لم يلقه جيش آخر حتى ان الرجل كان يخاف ان يخرج من العسكر وحده واكلوا الدواب والجلود واصول الشجر والورق وكل شئ غير التراب وسليمان مقيم بدابق ودخل الشتاء فلم يقدر ان يدهم حتى مات فلما بويع عمر بن عبد العزيز بعده بمثل الى مسلمة وهو بأرض الروم يأمره بالتقفل منها بمن معه من المسلمين ووجه له خيلا عتاقا وطعاما كثيرا وحث الناس على معونتهم فرجعوا سنة تسع وتسعين وفي سنة مائة واحدى توفي محمد بن مروان وتوفي عمر بن عبد العزيز فبويع ايزيد بن عبد الملك وكان في مدته الحرب المتقدم ذكره بينه وبين يزيد بن المهلب

ذكر غزوة الترك

في سنة اثنين بعد قتل يزيد بن المهلب استعمل يزيد بن عبد الملك على العراق وخراسان اخاه مسلمة بن عبد الملك فاستعمل مسلمة على خراسان سعيد الملقب خزينة ومعناه الدهقانة ربة البيت لانه كان رجلا لنا متنعما وهو سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن وهب العاص فجده الحارث اخو مروان بن الحكم فاستضعفه الناس وسموه خزينة فطمعهم فجمعهم خاقان ووجههم الى الصفد وعلى الترك صول فاقبلوا حتى نزلوا قصم محاصرين لمن فيه من المسلمين وفيه اهل مائة بيت من المسلمين بذرارهم وكان

عثمان بن عبد الله بن مطرف بن الشخير استعمله سعيد خدينة فكاتبوا اليه يستمدونه وخافوا ان يبطئ عليهم المدد فصالحوا الترك على ان يعين الفاعطوهم سبعة عشر رجلا رهينة وندب عثمان الناس فاندب اربعة آلاف مع المسيب بن بشر الرياحي من سائر القبائل فقال لهم المسيب من اراد الغزو والصبر على الموت فليقدم فرجع عنه الف وقال ذلك ايضا بعد فرسخ فرجع الف آخر ثم اعادها ثلاثة بعد فرسخ فاعتزله الف فلما كان على فرسخين من العدو اخبره بعض الدهاقين بأن القوم اتاهم ملك الترك وابعه كل الدهاقين غيري وانا في ثلاثمائة مقاتل منهم معكم وعندى الخبر قد كانوا صالحوهم واعطوهم سبعة عشر رجلا رهينة فلما بلغهم مسيركم اليهم قتلوا الرهائن وميعادهم ان يقاتلوا غدا ويفتحوا لهم القصر يعنى قصر الباهلى الذى فيه اهل مائة بيت فبعث المسيب الى القصر المذكور رجلين عجيبا وعريا يأتياه بالخبر فجاءوا فى ليلة مظلمة وقد اجرت الترك الماء بدار القصر لئلا يصل اليه احد ودنوا من القصر فصاح بهما الربيعة فقالا له اسكت وادع لنا فلانا من المسلمين الذين فى القصر فدعاه فأعلماه قرب العسكر وسألاه هل عندكم امتناع غدا فقال لهما نحن مستعيتون وقد اجعنا على تقديم نساءنا للموت امامنا حتى نموت جميعا غدا فرجعنا الى المسيب فاخبراه فقال لمن معه انى سائر الى هذا العدو المحاصرين للقصر فن احب ان يذهب فليذهب فلم يفارقه احد وابعوه على الموت فاصبح وسار وقد ازداد القصر تحصينا بالماء الذى اجراه الترك فلما كان بينه وبين الموضع الذى فيه الترك نصف فرسخ نزل وكان قد اجع على يياتهم فلما امسى امر اصحابه بالصبر وحثهم عليه وقال ليكن شعاركم يا محمد ولا تتبعوا موليا وعليكم بالدواب التى لهم فاعقروها فانها اذا عقرت كانت اشد عليهم منكم وليست بكم قلة فان سبعمائة سيف لا يضرب بها فى عسكر الا او هنوه وان كثر اهلها فلما دنوا منهم كبروا وذلك فى السحر ونار الترك وخالطهم المسلمون فعقروا الدواب وترجل المسيب فى رجال معه فقاتلوا قتالا شديدا وانقطعت عين رجل من المسلمين فاخذ السيف بشماله فقطعت فجعل يذب بيديه حتى استشهد وقتلوا كثيرا منهم وعظيما من عظامهم فانهمزمت الترك ونادى منادى المسيب لا تتبعوهم واقصدوا القصر لاطلاق من فيه واحملوا من فيه ولا تحملوا من متاعهم الا الماء ومن حل امرأة اوصيا اورجلا ضعيفا لا يقدر على المشى حسبة فأجره على الله ومن ابى فله اربعون درهما وان كان فى القصر احد من اهل عهدكم فاحلوه فأتوا القصر وحملوا من فيه واخرجوهم ثم ساروا الى سمرقند ورجعت الترك من الغد فلم يروا فى القصر احدا ورأوا قتلاهم فقالوا لم يكن الذين جاؤنا بالامس من الانس قال بعض من كان بالقصر لما التقوا ظننا ان القيامة قد قامت لما سمعنا من هماهم القوم ووقع الحديد وصهيل الخيل وفى هذه السنة غزا عمر بن هبيرة الروم من ناحية ارمينية وهو على الجزيرة قبل ان يلى العراق فهزمهم واسر منهم خلقا كثيرا وقتل سبعمائة اسير وفيها غزا عباس بن الوليد بن عبد الملك الروم فافتتح دلسة

ذكر غزوة الصفد

وفى هذه السنة عبر سعيد خدينة النهر وغزا الصفد وقد كانوا نقضوا العهد واعانوا الترك على

المسلمين فقال الناس لسعيد انك قد تركت الغزو وقد اغار الترك وأعانهم اهل الصغد فقطع
النهر وقصد الصغد فلقية الترك وطائفة من الصغد فهزمهم المسلمون فقال سعيد لا تتبعوهم
وقال هم جباية امير المؤمنين يعني يأخذ منهم المال في استئصالهم ضياع له وفي رواية قال
هم بستان امير المؤمنين وقد هزمتموهم افتريدون بوارهم وقد قاتلتم يا اهل العراق الخلفاء
غير مرة فهل ابادوكم فانكفوا عنهم ثم سار المسلمون الى واد بينهم وبين المرج فقطعه بعض
العسكر وقد اكن لهم الترك فخرجوا عليهم وانهم المسلمون الى الوادي ثم تلاحق المسلمون
وجاء الامير والناس فانهم العدو وكان سعيد اذا بعث سرية فاصابوا وغنموا وسبوا
رد السبي وعاقب السرية فشغل سعيد على الناس وضعفوه وسعوا في عزله فعزل سنة ثلاث
ومائة وولى مكانه سعيد الحرشي بالحاء المهملة والشين المعجمة من بني الحر يش بن كعب بن ربيعة
ابن عامر بن صعصعة ينتهي الى قيس بن عيلان بن مضر وفي سنة ثلاث ومائة غزا العباس
ابن الوليد الروم ففتح مدينة يقال لها دسلة

ذكر الواقعة بين الحرشي والصغد

لما قدم الحرشي خراسان كان الناس بأزاء العدو وقد تكبوا فخطبهم وحث الناس على الجهاد
وقال انكم لا تقاتلون بكثرة ولا بعدة ولكن بنصر الله وعز الاسلام فيقولوا الاحول ولا قوة
الا بالله ولما سمع اهل الصغد بقدوم الحرشي خافوا على نفوسهم لانهم كانوا قد اعانوا الترك
على اصحاب خذينة فاجمع عظماءهم على الخروج من بلادهم فقال لهم ملكهم لا تفعلوا
واقبلوا واحلوا خراج ماضى واضمنوا له خراج مايتى وعمارة الارض والغزو معه
ان اراد ذلك واعتذروا بما كان منكم واعطوه رهائن قالوا الخفاف ان لا يرضى ولا يقبل ذلك منا
ولكن نأتى خجندة فنستجير ملكها ورسل الى الامير فئسأله الصغد عما كان منا ونوثق انه لا يرى
امرا يكرهه فقال لهم ملكهم ان ارجل منكم والذي اشرت به عليكم خير لكم فأبوا وخرجوا
الى خجندة وارسلوا الى ملك فرغانة يسألونه ان يمنعهم وينزلهم مدينته فاراد ان يفعل فقالت
امه لا يدخل هؤلاء الشياطين مدينتك ولكن فرغ لهم رستاقا يكونون فيه فأرسل اليهم سموارستاقا
تكونون فيه حتى افرغه لكم وأجلوني اربعين يوما وقيل عشرين يوما فاختروا شعب عصام
ابن عبد الله الباهلي وكان قتيبة قد خلفهم فيه فقال نعم ولا انا على عقد وجوار حتى تدخلوه
وان اتاكم غزية قبل ان تدخلوه ليس لكم على جوار فرضوا ففرغ لهم الشعب فجاء الخبر
الى الحرشي فغزاهم وعاجلهم قبل ان يدخلوا شعب عصام وخرج اهل الصغد للقتال فانهمزوا
وقد كانوا حفروا خندقا وغطوه بالتراب ليسقط فيه المسلمون عند القتال فلما انهزموا اخطأهم
الطريق واسقطهم الله في ذلك الخندق ثم حاصرهم الحرشي ونصب عليهم المجانيق فارسلوا
الى ملك فرغانة ليحيرهم فقال قد شرطت عليكم ان لا جوار قبل الاجل الذى بينى وبينكم
فطلبوا الصلح من الحرشي على ان يردوا ما في ايديهم من سبي العرب ويعطوا ما كسروا من الخراج
ولا يتخلف احد منهم بخجندة ولا يفتالوا احدا فان احدثوا حدثا استبيحت دماؤهم فقبل منهم
وخرجوا من خجندة ونزلوا في العسكر وبلغ الحرشي انهم قتلوا امرأة ممن كان في ايديهم

من المسلمين فقتل الذي قتلها فخاف منه بعض عظمائهم ان يقتله فنقض وخرج واعترض الناس
ومعه جماعة منهم فقتل ناسا وتضعض العسكر ولقوا منه شرا وانتهى الى ثابت بن عثمان بن مسعود
فقتله ثابت وقتل الصغد اسرى عندهم من المسلمين مائة وخمسين رجلا فاخبر الحرشي بذلك فامر
بقتلهم وعزل التجار عنهم فقاتلهم الصغد بالخشب ولم يكن لهم سلاح فقتلوا عن آخرهم
وكانوا ثلاثة آلاف وقيل سبعة آلاف وغنم اموال الصغد وذراريهم واخذ منه ما عجب به وكتب
الى يزيد بن عبد الملك بالفتح وسرح الحرشي سرية الى حصن يطيف به وادى الصغد فتلقوها
على فرسخ وقاتلوا فهزموا ودخلوا الحصن فحوصروا فيه ثم طلبوا الصلح على ان لا يتعرض
النساء لهم وذراريهم ويسلموا القلعة فقبل منهم ذلك وبعث الامناء لقبض ما في القلعة فقبضوه
وباعوه وقسموه وسار الحرشي الى كش وصالحوه على عشرة آلاف رأس وولى نصر بن سيار قبض
صلح كش وكان في نفس خزائن منيعة فوجه اليها المسربل بن الخريت وكان صديقا للملكها فجاء للملك
واخبره بما صنع الحرشي بأهل خجندة وخوفه قال فما ترى قال ان تنزل بأمان قال فما صنع
عن لحق بن قال نجعلهم في امانك فصالحهم فامنوه وبلاده ورجع الحرشي الى بلاده ومعه الملك
فقتله وصلبه ومعه الامان وكانت هذه الوقائع سنة اربع ومائة وفيها عزل الحرشي عن خراسان
ووليا مسلم بن سعيد الكلابي

ذكر غزو المسلمين بلاد الخزر وظفر الخزر بهم

في هذه السنة دخل جيش للمسلمين بلاد الخزر من ارمينية وعليهم ثبيت النهراني فاجتمعت الخزر
وهم التركان في جمع كثير واعانهم قفجاق وغيرهم من انواع الترك ولقوا المسلمين في مكان يعرف
بمرج الجمارة فاقتتلوا هناك قتلا شديدا فقتل كثير من المسلمين واحتوت الخزر على عسكرهم
وغنموا جميع ما فيه واقبل المنهزمون الى الشام فقدموا على يزيد بن عبد الملك وفيهم ثبيت
فونجهم يزيد على الهزيمة فقال ثبيت يا امير المؤمنين ما جئت ولا نكبت عن لقاء العدو ولقد
لصقت الخيل بالخيول والرجل بالرجل ولقد طاعنت حتى انقصف رمحي وضربت حتى
انقطع سيفي غير ان الله تبارك وتعالى يفعل ما يريد

ذكر غزوة أخرى على الخزر

ولما تمت الهزيمة المذكورة على المسلمين طمع الخزر في البلاد فجمعوا وحشدوا فولى يزيد
على ارمينية الجراح بن عبد الله الحنكسي وامده بجيش ككثيف فسار لغزو الخزر
فتسامعوا به فعادوا حتى نزلوا بالباب والابواب ونزل الجراح الى برذعة فاقام بها حتى استراح
هو ومن معه وسار نحو الخزر فعبر نهر الكرفس فسمع بأن بعض من معه من اهل تلك الجبال قد كاتب
ملك الخزر يخبره بمسير الجراح اليه فحينئذ امر الجراح مناديه فنادى في الناس ان الامير مقيم
ههنا عدة ايام فاستكثروا من الميرة فكتب ذلك الرجل الى ملك الخزر يخبره ان الجراح مقيم
ويشير عليه بترك الحركة فلما كان الليل امر الجراح بالرحيل فسار مجدا حتى انتهى الى مدينة
الباب والابواب فلم ير الخزر فدخل البلد وبت السرايا للنهب والغارة على ما يجاوره فغنموا
وعادوا من الغد وسار الخزر اليه وعليهم ابن ملكهم فالتقوا عند نهر اراان واقتتلوا شديدا

فظفروا بالخزr وهزموهم وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فقتل منهم خلق كثير وغنم المسلمون جميع مامعهم وساروا حتى نزلوا على حصن يعرف بالحصين فنزل اهله بالامان على مال يحملونه فاجابهم ونقلهم عنها ثم سار الى مدينة يرغوا فاقام عليها ستة ايام وهو مجد في قتالهم فطلبوا الامان فامنهم وتسلم حصنهم ونقلهم منه

ذكر فتح بلنجر

ثم سار الجراح الى بلنجر وهو حصن مشهور من حصونهم فنزله وكان اهل الحصن قد جمعوا ثلاثائة عجلة فشدوا بعضها الى بعض وجعلوها حول حصنهم ليحتموا بها وتنع المسلمين من الوصول الى الحصن وكانت تلك العجلة اشدشى على المسلمين في قتالهم فلما رأوا الضرر الذى عليهم انتدب جماعة منهم نحو ثلاثين رجلا وتعاهدوا على الموت وكسروا جفون سيوفهم وحملوا حيلة رجل واحد وتقدموا نحو العجل وجد الكفار في قتالهم ورموا من الشباب ما كان يحجب عين الشمس فلم يرجع اولئك حتى وصلوا الى العجل وتعلقوا ببعضها وقطعوا الحبل الذى يمسكها وجذبوها فانحدرت وتبعها سائر العجل لان بعضها كان مشدود الى بعض وانحدرا جميع الى المسلمين والتحم القتال واشتد وعظم الامر على الجميع حتى بلغت القلوب الحناجر ثم ان الخزr انهزموا واستولى المسلمون على الحصن عنوة وغنموا جميع ما فيه فاصاب الفارس ثلاثائة دينار وكانوا بضعة وثلاثين الفاتم ان الجراح احضر صاحب بلنجر ورد اليه امواله واهله وحصنه وجعله عينا لهم يخبرهم بما يفعل له الكفار ثم سار عن بلنجر فنزل على حصن الويندر وبه نحو اربعين الف بيت من الترك فصالحوا الجراح على مال يؤدونه ثم ان الترك والتركمان تجمعوا واخذوا الطرق على المسلمين فكتب صاحب بلنجر الى الجراح يعلمه بذلك فعاد مجدا حتى وصل الى رستاق ملو وادركهم الشتاء فاقام المسلمون به وكتب الجراح الى يزيد بن عبد الملك يخبره بما فتح الله عليه وبما اجتمع من الكفار ويسأله المدد فوعده انفاذ العساكر اليه وادرك يزيد اجله قبل انفاذ الجيش وكان موته فى شعبان سنة خمس ومائة فلما مات يزيد وبويع اخوه هشام بن عبد الملك ارسل الى الجراح واقره على عمله ووعدته المدد ثم ارسله اليه فقبو امر الجراح فغزا اللان فى سنة ست وصالحه اهلها فادوا الجزية ثم ان هشاما عزل الجراح عن ارمينية سنة سبع ومائة وولاه اخاه مسلمة بن عبد الملك الى سنة احدى عشرة ثم عزل اخاه مسلمة وولاه الجراح ثانية فدخل بلاد الخزr من ناحية تفلح ففتح مدينةهم البيضاء وانصرف سالما فجمعت الخزr جو عها وحشدت وسارت الى بلاد الاسلام من ناحية اللان فلقبهم الجراح فبين معه من اهل الشام فاقتتلوا اشد قتال رآه الناس فصبر الفريقان وتكاثر الخزr والترك على المسلمين فاستشهد الجراح ومن كان معه بمرج اردبيل وكان قد استخلف اخاه الجراح بن عبد الله على ارمينية ولما قتل الجراح طمع الخزr واوغلوا فى البلاد حتى قاربوا الموصل وعظم الخطب على المسلمين وكان الجراح خيرا فاضلا وكان اولا من عمال عمر بن عبد العزيز على خراسان ورثاه كثير من الشعراء ولما بلغ هشاما خبره دعا سعيد الخرسى وكان قد عزل عن خراسان فقال له بلغنى ان الجراح قد انحاز عن المشركين

قال كلا يا امير المؤمنين الجراح اعرف بالله من ان يهزم ولكنه قتل قال فارأيك قال تبعثنى على
اربعين دابة من دواب البريد ثم تبعث الى كل يوم اربعين رجلا ثم اكتب الى امراء الاجناد
يوافوني ففعل ذلك هشام وسار الحرشي فكان لا يمر بمدينة الا ويستنهض اهلها فيجيبه من
يريد الجهاد ولم يزل كذلك حتى وصل الى مدينة ارزن فلقبه بجماعة من اصحاب الجراح
وبكوا وبكى لبكائهم وفرق فيهم نفقة وردهم معه وجعل لا يلقاه احدا من اصحاب الجراح
الارده معه ووصل الى خلاط وهي ممتعة عليه فحصرها وفتحها وقسم غنائمها في اصحابه
ثم سار عن خلاط وفتح القلاع والحصون شيئا بعد شيء الى ان وصل الى بردعة فنزلها وكان
ابن خافان يومئذ باذربيجان يغير وينهب ويسبي ويقتل وهو محاصر مدينة ورتان فخاف
الحرشي ان يملكها فارسل بعض اصحابه الى اهل ورتان سرا يعرفهم وصولهم ويأمرهم
بالصبر فسار القاصد ولقيه بعض الخزر فاخذوه وسألوه عن حاله فاخبرهم وصدقهم فقالوا
له ان فعلت ما نأمرك به احسننا اليك واطلقناك والافتناك قال فالذي تريدون قالوا تقول
لاهل ورتان انكم ليس لكم مدد ولا من يكشف ما بكم وتأمرهم بتسليم البلد الينا فاجابهم
الى ذلك فلما قرب المدينة وقف بحيث يسمع اهلها كلامه فقال لهم اتعرفوني قالوا نعم انت
اذن قال فان الحرشي قد وصل الى مكان كذا في عساكر كثيرة وهو يأمركم بحفظ البلد
والصبر ففي هذين اليومين يصل اليكم فرفعوا اصواتهم بالتكبير والتهليل وقتلت الخزر ذلك
الرجل ورحلوا عن مدينة ورتان فوصلها الحرشي في العساكر وليس عندها احد فارتحل
يطلب الخزر الى اردبيل فسار الخزر عنها ونزل الحرشي باجروان فاتاه فارس على فرس ابيض
فسلم عليه وقال له هل لك ايها الامير في الجهاد والغنية قال كيف لي بذلك قال هذا عسكر
الخزر في عشرة آلاف ومعهم خمسة آلاف من المسلمين اسارى وسبايا وقد نزلوا على اربعة
فراسخ فسار الحرشي ليلا فوافاهم آخر الليل وهم نيام ففرق اصحابه في اربعة جهات
فكبسهم مع الفجر ووضع المسلمون فيهم السيف فا بزغت الشمس حتى قتلوا الجعون غير رجل
واحد واطلق الحرشي من معهم من المسلمين واخذهم الى باجروان فلما دخلها اتاه ذلك الرجل
صاحب الفرس الابيض فسلم وقال هذا جيش للخزر ومعهم اموال للمسلمين وحرم الجراح
واولاده بكان كذا فسار الحرشي اليهم فاشعروا الاو المسلمون معهم فوضعوا فيهم
السيف فقتلوهم كيف شاؤوا ولم يفلت من الخزر الا الشريد واستنقذوا من معهم
من المسلمين والمسلمات وغنموا اموالهم واخذ اولاد الجراح فاكرمهم واحسن اليهم وحمل
الجميع الى باجروان وبلغ خبر ما فعله الحرشي بعساكر الخزر ابن ملكهم فونج عساكره
وذمهم ونسبهم الى العجز والوهن فحرض بعضهم بعضا واشاروا عليه بجمع اصحابه
والعود الى قتال الحرشي فجمع اصحابه من نواحي اذربيجان فاجتمع معه عساكر كثيرة وسار
الحرشي اليه فالتقيا بارض برزند واقتتل الناس اشد قتال واعظمه فانهز المسلمون يسيرا
فحضرهم الحرشي فأمرهم بالصبر فعادوا الى القتال وصدقوهم الحملة واستغاث من مع
الخزر من الاسارى نادوا بالتكبير والتهليل والدعاء فعندها حرض المسلمون بعضهم بعضا
ولم يبق احد الا وبكى رجوة للاسرى واشتدت نكايتهم في العد وفولوا الادبار منهزمين

وتبعهم المسلمون حتى بلغوا بهم نهر ارس وعادوا عنهم وحووا ما في عساكرهم من الاموال والغنائم واطلقوا الاسرى والسبايا وجلوا الجميع الى باجروان ثم ان ابن ملك الخزر جمع من لحق به من عساكره وعاد بهم نحو الحرشي فنزل على نهر البيلقان وبلغ الخبر الحرشي فसार نحوه في عساكر المسلمين فوافاهم وهم على نهر البيلقان فالتقوا هناك فصاح الحرشي بالناس فحملوا حملة صادقة وضعفوا صفوف الخزر وتابع الحملات وصبر الخزر صبرا عظيما ثم كانت الهزيمة عليهم فولوا الادبار منهزمين وكان من غرق منهم في النهر اكثر ممن قتل وجمع الحرشي الغنائم وعاد الى باجروان فقسمها وارسل الخمس الى هشام بن عبد الملك وعرفه ما فتح الله على المسلمين فكتب اليه هشام يشكره واقام بباجروان فأتاه كتاب هشام يأمره بالمسير اليه واستعمل اخاه مسلمة بن عبد الملك على ارمينية واذر بيجان فوصل الى البلاد وسار الى الترك في شتاء شديد حتى جاز البلاد في آثارهم وفي سنة ثلاث عشرة ومائة فرق مسلمة الجيوش ببلاد خاقان ففتحت مدائن وحصون على يديه وقتل منهم واسر وسبي واحرق ودان له من وراء جبال بلنجر وقتل ابن خاقان فاجتمعت تلك الامة جميعها بالخزر وغيرهم عليه في جمع لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقد جاز مسلمة بلنجر فلما بلغه خبرهم أمر اصحابه فأوقدوا النيران ثم ترك خيائهم وانقالتهم وعاد هو وعسكره جريدة وقدم الضعفاء وآخر الشجعان وطووا المراحل كل مرحلتين في مرحلة حتى وصل الى السباب والابواب في آخر رمق فغزله هشام وولى ارمينية واذر بيجان مروان بن محمد وسيأتي الكلام ان شاء الله على غزواته وما افتتحه وانما تابعنا الكلام الى سنة ثلاث عشرة لارتباط بعضه ببعض ولنرجع الى اتمام الكلام على الفتوحات الحاصلة في غير اذر بيجان و ارمينية من سنة خمس الى سنة ثلاث عشرة فنقول كان في سنة خمس غزوة لسعيد بن عبد الملك بارض الروم فبعث سرية في نحو الف مقاتل فأصيبوا جميعا وفي سنة ١٠٤ استعمل مسلم بن سعيد الكلابي اميرا بخراسان بعد عزل الحرشي عنها فغزا الترك بما وراء النهر سنة ١٠٥ فلم يفتح شيئا وقفل فبغته الترك فلحقوه والناس يعبرون جيجون فوقف على الساقعة عبيد الله بن زهير ومعه خيل بنى تميم حتى عبر الناس سالمين وغزا مسلم ايضا تلك السنة افشين فصالح اهلها على ستة آلاف رأس ودفع اليه القلعة وفي سنة خمس ايضا غزا مروان بن محمد الصائفة النخعي فافتتح قونية من ارض الروم وكمن

ذكر غزو مسلم بن سعيد الكلابي الترك

في سنة ست ومائة قطع مسلم النهر ولحق به من لحق من اصحابه فلما بلغ بخارا أتاه كتاب خالد ابن عبد الله القسري يخبره بولايته العراق ويأمره باتمام غزاته فصار الى فرغانة فلما وصلها بلغه ان خاقان قد اقبل عليه وانه في موضع ذكروه فارتحل فصار ثلاث مراحل في يوم واقبل اليهم خاقان فلقى طائفة من المسلمين واصاب دواب مسلم وقتل جماعة من المسلمين ثم اطاف خاقان بالعسكر وثار الناس في وجوههم فأخرجوهم من العسكر فرحل مسلم بالناس فصار ثمانية ايام والترك يحيطون بهم واصاب الناس عطش واحرق الناس ما ثقل من الامتعة ففرقوا ما قيمته الف الف واتوا اخجندة فأصابتهم مجاعة ولما أراد عبور النهر والترك يحيطون به أمر

مسلم الناس ان يخرطوا سيوفهم ويحملوا ففعلوا وصارت الدنيا كلها سيوفاً فرجوا لهم فعبروا ثم وافاه كتاب خالد بن عبد الله بعزله وولاية اخي خالد وهو اسد بن عبد الله القسري وفي سنة سبع ومائة ملك الجنيد بن عبد الرحمن بعض بلاد السند وقتل صاحبه جيشه وتقدم تفصيل ذلك

✽ ذكر غزوة بالاندلس ✽

في سنة سبع ومائة غزا عنبسة بن شحيم النكبي عامل الاندلس لهشام بن عبد الملك بلد القرنج في جمع كثير ونازل مدينة قرقونه وحصر اهلها فصالحوه على نصف اعمالها وعلى جميع ما في المدينة من اسرى المسلمين واسلابهم وان يعطوا الجزية ويلتزموا باحكام الذمة من محاربة من حاربهم المسلمون ومسالمة من سالموه فعاد عنهم عنبسة

✽ ذكر غزوة الغور ✽

في هذه السنة غزا اسد بن عبد الله الغور وهو جبال هراة فعمد اهلها الى ائصالهم فصيروها في كهف ليس اليه طريق فامر اسد باتخاذ ثوابيت ووضع فيها الرجال ودلاها بسلاسل فتوصلوا الى الكهف فاستخرجوا ما قدروا عليه

✽ ذكر غزوة الختل والغور ✽

في سنة ثمان ومائة قطع اسد النهر واتاه خاقان فلم يكن بينهما قتال وقيل عادهمز ومامن الختل واطهرانه يريد يشتبو سرخ دره فامر الناس فارتحلوا ووجه رايته وسار في ليلة مظلمة الى سرخ دره فكبر الناس فقال ما لهم فقالوا هذه علامتهم اذا قفلوا فقال للمنادي نادان الامير يريد الغوريين فضى اليهم فقاتلوههم يوما وصبروا لهم ثم عادوا من الغد فاقتتلوا وانهمز المشركون وحوى المسلمون عسكرهم وظهروا على البلاد واسروا وسبوا وغنموا ورجعوا وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الروم بمابلي الجزيرة ففتح قيسارية وهي مدينة مشهورة وفيها ايضا غزا ابراهيم بن هشام ففتح حصنا من حصون الروم وفيها ايضا سار ابن خاقان ملك الترك الى اذربيجان فحصر بعض مدنها فسار اليه الحارث بن عمرو الطائي فالتقوا فاقتتلوا فانهمز الترك وتبعهم الحارث حتى عبر نهر ارس فعاد اليه ابن خاقان فعادوا الحرب ايضا فانهمز ابن اتان وقتل من الترك خلق كثير وفي سنة تسع ومائة فصل هشام بن عبد الملك ولاية خراسان عن اية العراق وعنه اسد عن خراسان واستعمل على خراسان اشرس بن عبد الله السلمي وله وقائع مع اهل سمرقند ستأتي وفي هذه السنة غزا عبد الله بن عتبة القهري في البحر وغزا معاوية بن هشام ارض الروم ففتح حصنا يقال له طيبة وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الترك من ناحية اذربيجان وتقدم ذكر ذلك وفي هذه السنة ايضا غزا بشر بن صفوان عامل افريقية جزيرة صقلية فغنم شيئا كثيرا ثم رجع الى ارضه وان

✽ ذكر ما جرى لاشرس بن عبد الله على مع اهل سمرقند وغيرها ✽

في سنة عشر ومائة ارسل اشرس جماعة الى سمرقند وغيرها مما وراء النهر يدعوهم الى

الاسلام على ان توضع عنهم الجزية فدعوههم لذلك فاسلموا فجاء الخبر الى اشرس بأن الخراج قد انكسر فكتب اشرس الى العامل بلغني انهم لم يسلموا رغبة وانما اسلموا نفورا من الجزية فانظروا من اختن واquam الفرائض وقرأ سور من القرآن فارفعوا الجزية عنه وعزل ذلك العامل وولى ابن هاني فكتب لاشرس انهم اسلموا وبنوا المساجد فكتب اليه اشرس ان يعيد الجزية على من كانت عليه ولو اسلم فاعتزلوا في سبعة آلاف على فراسخ من سمرقند وامتنعوا وارادوا القتال فكتب اشرس بوضع الخراج عنهم فرجعوا وضعف امرهم ثم تبعوا وحبسوا واقامت عليهم العقوبات وخرقت ثيابهم والقيت مناطقهم في اعناقهم واخذت الجزية من اسلم فكفرت الصغد وبخارى واستجاشوا بالترك فخرج اشرس غازيا فنزل آمل واقام شهرا وقدم قطن بن قتيبة بن مسلم في عشرة آلاف فعبر النهر ولقي الترك واهل الصغد وبخارى ومعهم خاقان فحصروا قطنا في خندقه واغار الترك على سرح المسلمين فبعث اشرس خيلا استنقذت من ايدى الترك ما اخذوه ثم عبر اشرس النهر بالناس وحلق بقطن ولقيهم العدو فانهمزوا امامهم وسار اشرس بالناس حتى جاء بيكند فحصرها المسلمون فقطع اهل البلد عنهم الماء واصابهم العطش فرحلوا قاصدين البلد فاعترضهم دونها العدو فقاتلوهم قتالا شديدا حتى ازالوا الترك عن الماء وحل قطن بن قتيبة في جاعة تعاقدوا على الموت فانهمز العدو واتبعهم المسلمون يقتلونهم الى الليل ثم رجع اشرس الى بخارى وجهز عليها عسكريا يحاصرونها ثم حاصر خاقان مدينة كرجه من خراسان وبها جمع من المسلمين فاغلغوا الباب وقطعوا القنطرة التي على الخندق لينعوا الكفار من الدخول اليهم ثم أمر خاقان بقطع الخندق فجعلوا يلقون فيه الحطب الرطب ليعبروا عليه وجعل المسلمون يلقون حطبا يابساً على الحطب الرطب حتى سوى الخندق فأشعلوا فيه النيران وهاجرت ريح شديدة صنعا من الله فاحترق الحطب في ساعة واحدة وكانوا جمعوه في سبعة ايام ثم فرق خاقان على الترك اغناما وأمرهم ان يأكلوا لحمها ويحشوا جلودها ترابا ويكبسوا خندقها ففعلوا ذلك فأرسل الله سبحانه فامطرت مطرا شديدا فاحتمل السيل ما في الخندق والقاء في النهر الاعظم ورماهم المسلمون بالسهم فاصابت بازغرى نشابة في سترته فأت من ليلته وكان داهية وكان خاقان لا يخالفه فدخل عليهم بموته أمر عظيم فلما امتد النهار جاؤا بالاسرى الذين عندهم وهم مائة فقتلوهم وكان عند المسلمين ما ثمان من اولاد المشركين رهائن فقتلوههم واستماتوا واشتد القتال ولم يزل اهل كرجه كذلك حتى اقبلت جنود العرب فنزلت فرغانة فعبر خاقان قومه في طول المدة وعدم الفتح وقال زعمتم انها تفتح في خمسة ايام فصارت الخمسة شهرين وأمرهم بالرحيل وشتهم فقالوا امهلتنا الى غد وانظر ما نصنع فلما كان الغد وقف خاقان وتقدم ملك الطار بنده فقاتل المسلمين وقتل منهم ثمانية وجاء حتى وقف على ثلثة الى جنب بيت فيه مريض من تميم فرماه التميمي بكلوب فتعلق بدرعه ثم نادى النساء والصبيان فجذبوه فسقط لوجهه ورماه رجل بحجر فاصاب اصل اذنه فصرع وطعنه آخر فقتله فاشتد قتله على الترك وأرسل خاقان الى المسلمين انه ليس من رأينا ان نرتحل عن مدينة نحاصرها دون افتتاحها فارحلوا انتم عنا فقالوا له ليس من ديننا ان نعطي بايدينا حتى تقتل فاصنعوا ما بآدمكم فاعطاهم

الترك الامان على ان يرسل خاقان عنهم و يرسلوا هم عنها الى سمرقند او الدبوسية فرأى اهل كرجة ما هم فيه من الحصار فاجابوا الى ذلك فاخذوا من الترك رهائن ان لا يعرضوا لهم وطلبوا ان كورصول التركي يكون معهم في جاعة لينعمهم الى الدبوسية فسلموا اليهم الرهائن واخذوا هم ايضا من المسلمين رهائن وارتحل خاقان عنهم ثم رحلوا هم بعده فقال الاترك الذين مع كورصول ان بالدبوسية عشرة آلاف مقاتل ولانأمن ان يخرجوا علينا فقال لهم المسلمون ان قاتلوكم قاتلناهم معكم فساروا فلما صار بينهم وبين الدبوسية فرسخ نظرا هلهما الى الفرسان فظنوا ان كرجة فتحت وان خاقان قد قصدهم فتأهبوا للحرب فارسل المسلمون اليهم يخبرونهم خبرهم فلقوهم وحلوا من كان يضعف عن المشي ومن كان مجروحا فلما بلغ المسلمون الدبوسية ارسلوا الى من عنده الرهائن يعلمونه بوصولهم ويأمرونه باطلاقهم فجعلت العرب تطلق رجلا من الرهن والترك رجلا حتى بقي سباع بن النعمان مع الترك ورجل من الترك عند العرب وجعل كل فريق يخاف من صاحبه الغدر فقال سباع خلوا رهينة الترك فخلوه وبقى سباع مع الترك فقال له كورصول ما جالك على هذا قال وثقت بك وقلت ترفع نفسك عن الغدر فوصله كورصول واعطاه سلاحه و رذونا واطلقه وكان مدة حصار كرجة ثمانية وخسين يوما فيقال انهم لم يسقوا ابلهم خمسة وثلاثين يوما وفي هذه السنة ارتد اهل كردر فارسل اليهم اشرس جندا فظفروا بهم وفي هذه السنة غزا معاوية بن هشام الروم ففتح صملة وغزا الصائفة عبدالله بن عقبة النهري وفيها مات الحسن البصري وعمره سبع وثمانون سنة وفيها ايضا مات محمد بن سيرين وعمره احدى وثمانون سنة

✽ ذكر غزو ما وراء النهر ✽

في سنة احدى عشرة ومائة عزل هشام بن عبد الملك اشرس بن عبدالله عن خراسان واستعمل عليها الجنيد بن عبد الرحمن المري الغطفاني القيسي فلما قدم خراسان سار الى ما وراء النهر وارسل الجنيد الى اشرس وهو يقاتل اهل بخارى والصغد أن امدني بخيل وخاف ان يقتطع دونه فوجه اليه اشرس عامر بن مالك الحناني في جاعة فلما كان عامر ببعض الطريق عرض له الترك والصغد فدخل حائطا حصينا وقاتلهم على التلثة وكان من معه واصل بن عمرو القيسي وعاصم بن غير السمرقندي فاستداروا مع جاعة من القوم حتى صاروا من وراء الماء الذي هناك ثم جمعوا قسبا وخشبا وعبروا عليه فلم يشعر خاقان الا والتكبير من خلفه وحل المسلمون على الترك فقاتلوهم وقتلوا عظميا من عظمائهم وانهزم الترك وسار عامر الى الجنيد فلقبه واقبل معه فلما انتهى الى فرسخين من بيكند تلقته خيل الترك فقاتلهم فكاد الجنيد يهلك ومن معه ثم اظهره الله وسار حتى قدم العسكر فظفر الجنيد وقتل الترك وزحف اليه خاقان فالتقوا دون رزمان من بلاد سمرقند واسر الجنيد من الترك ابن اخي خاقان فبعث به الى هشام ورجع الجنيد الى مرو وقد ظفر وفي هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزا سعيد بن هشام الصائفة اليمنى حتى اتى قيسارية وغزا في البحر عبدالله بن ابي كريم وفي سنة ثنى عشرة ومائة كان دخول الجراح بن عبدالله الحكمي بلاد الخزر وقتله وتقدم الكلام على ذلك مستوفي

ذكر وقعة الجنييد بن عبد الرحمن المري بالشعب

في سنة ثلثي عشرة ومائة خرج الجنييد من مرو غازيا طخارستان فوجه عمارة بن حريم الى طخارستان في ثمانية عشر الفا ووجه ابراهيم بن بسام الليثي في عشرة آلاف الى وجه آخر وجاشت الترك فاتوا سمرقند وعليها سورة بن الحر فكتب سورة الى الجنييد ان خاقان جاش الترك فخرجت اليهم فلم اطق ان امنع حائط سمرقند فالغوث الغوث فامر الجنييد الناس بعبور النهر فقال له جماعة من جنده ان الترك ليسوا كغيرهم لا يلقونك صفا ولا زحفا وقد فرقت كثيرا من الجند ولا يعبر النهر في اقل من خمسين الفا فكتب الى عمارة فليأتك وامهل ولا تعجل قال فكيف بسورة ومن معه من المسلمين لولم اكن الا في بني مرة او من طلع معي من الشام لعبرت ثم عبر الجنييد بمن كان حاضرا فنزل كش وتأهب للمسير وبلغ الترك مسيره فقوروا الا بار التي في طريق كش فقال الجنييد اي طريق الى سمرقند اصلح فقالوا طريق المحترقة فقال المجشر بن مزاحم السلمي القتل بالسيف اصلح من القتل بالنار طريق المحترقة كثير الشجر والحشيش ولم يزرع منذ سنين فان لقينا خاقان احرق ذلك كله فقتلنا بالنار والدخان ولكن خذ طريق العقبة فهو بيننا وبينهم سواء فاخذ الجنييد طريق العقبة فارتقى في الجبل فاخذ المجشر بعنان دابته وقال انه كان يقال ان رجلا مترفا من قيس يهلك على يديه جند من جنود خراسان وقد خفنا ان تكونه فقال لي فرخ روعك قال اما ما كان بيننا مثلك فلاقيات في اصل العقبة ثم سار بالناس حتى صار بينه وبين سمرقند اربع فراسخ ودخل الشعب فصبحه خاقان في جمع عظيم وزحف اليه اهل الصغد وفرغانة والشاش وطائفة من الترك فحمل خاقان على المقدمة فرجعوا الى العسكر والترك تتبعهم وجاؤا من كل وجه فرتب الجنييد جيشه وجعل على كل جهة رئيسا مشهورا بالشجاعة وشد نصر بن سيار هو ومن معه على العدو فكشفوهم ثم كروا عليهم وقتل يومئذ من الازد ثمانون رجلا وصبر الناس يقاتلون حتى اعيوا فكانت السيوف لا تقطع شيئا فقطع عبيدهم الخشب يقاتلون به حتى مل الفريقان فكانت المعانقة ثم تحاجزوا فبينما الناس كذلك اذ اقبل رهمج وطلعت فرسان فنادى فنادى الجنييد الارض الارض فترجل وترجل الناس ثم نادى ليخندق كل قائد على حباله فخنقوا وتحاجزوا وقد اصيب من الازد مائة وتسعون رجلا وكان قتالهم يوم الجمعة فلما كان يوم السبت قصدهم خاقان وقت الظهر فلم يجد موضعا للقتال اسهل من الموضع الذي نزل به قبائل بكر بن وائل فقصدتهم فلما قربوا حملت بكر عليهم فافرجوا لهم وسجد الجنييد واشتد القتال بينهم فلما رأى الجنييد شدة الامر استشار اصحابه فقال له عبد الله بن حبيب اختر اما ان تهلك انت وسورة بن الحر قال هلاك سورة اهون على قال فكتب له فليأتك من سمرقند في اهل سمرقند فانه اذا بلغ الترك اقباله توجهوا اليه فكتب اليه الجنييد يأمره بالقدوم فقال لسورة حليس بن غالب الشيباني ان الترك بينك وبين الجنييد فان خرجت كروا عليك فاخطفوك فكتب الى الجنييد اني لا اقدر على الخروج فكتب اليه الجنيديا بن اللغناء تخرج والوجه اليك شداد بن خليل الباهلي وكان عدوه فاخرج والزم الماء ولا تفارقه فأجمع على المسير وقال اذا سرت على النهر لا اصل في يومين وبني وبين هذا الوجه ليلة فاذا سكنت الرجل سرت فجاءت عيون الاتراك فاخبروهم

بقالة سورة ورحل سورة واستخلف على سمرقند موسى بن اسود الحنظلي وسار في اثني عشر الفا فاصبح على رأس جبل فتلقيه خاقان حين اصبح وقد سار ثلاثة فراسخ وبين الجنيد فرسخ فقاتلهم اشد القتال وصبر وافقال غوزك لخاقان اليوم حار فلا تقاتلهم حتى يحمى عليهم السلاح فوافقهم واشعل النار في الحشيش وحال بينهم وبين الماء فقال سورة لعبادة ماترى يا اباسليم فقال ارى ان التركز بدون الغنيمة فاعقر الدواب واحرق المتاع وجرد السيف فانهم يخلون لنا الطريق وان منعونا شرعنا الرماح ونزحف زحفا وانما هو فرسخ حتى نصل الى العسكر فقال لا اقوى على هذا ولا فلان وفلان وعذر جالا ولكن اجمع الخيل فاصكهم بها سلمت ام عطبت وجمع الناس وجلو فانكشفت الترك وثار الغبار فلم يبصروا وكان من وراء الترك لهيب فسقطوا فيه وسقط العدو والمسلمون وسقط سورة فاندقت فخذته وتفرق الناس فقتلهم الترك ولم ينج منهم غير الفين ويقال الف وكان ممن نجى عاصم بن عير السمرقندي وانحاز المهلب بن زياد العجلي في سبعمائة الى رستاق يسمى المرغاب فنزلوا وقصروا هناك فانما هم الاشكند صاحب نصف ومعه غوزك فاعطاهم غوزك الامان فقال قريش بن عبد الله العبدى لا تنفقوا بهم ولكن اذا جننا الليل خرجنا عليهم حتى نأتى سمرقند فعصوه فنزلوا بالامان فساقتهم الى خاقان فقال لا اجيز امان غوزك فقاتلهم الوجف بن خالد ومعه المسلمون فاصيبوا غير سبعة عشر رجلا فقتلوا غير ثلاثة وقتل سورة في الالهة فلما قتل خرج الجنيد من الشعب يريد سمرقند مبادرا فقال له خالد بن عبد الله سرو اسرع فقال له المجنن انزل واخذ بلجام دابته فنزل ونزل الناس معه فلم يستتم نزولهم حتى طلع الترك فقال المجنن له لولقونا قبل نزولنا ونحن نسير ألم يهلكونا فلما اصبحوا تناسها وضوا فجاء الناس فقال الجنيد ايها الناس انها النار فرجعوا ونادى الجنيد اى عبد قاتل فهو حرق قاتل العبيد قتلا لا يحب منه الناس فمروا بمارأوا من صبرهم وصبر الناس حتى انهزم العدو ومضوا فقال موسى بن النعمان تفرحون بما رايتم من العبيد ان لكم منهم ليوم ما روزبان اى ذار ياسة ومضى الجنيد الى سمرقند فحمل عيال من كان مع سورة الى مرو واقام بالصغد اربعة اشهر ولما انصرف الترك بعث الجنيد بالخبر الى هشام وكتب اليه ان سورة عصاني امرته بلزوم الماء فلم يفعل فتفرق عنه اصحابه فاتتني طائفة وطائفة الى نصف وطائفة الى سمرقند واصيب سورة في بقية اصحابه فكتب هشام الى الجنيد قد وجهت اليك عشرف آلف من اهل البصرة وعشر آلف من اهل الكوفة ومن السلاح ثلاثين الف رمح ومثلها ترسة ومثلها سيفا فرض اى ماشئت في العطا فلا غاية لك في القريضة بخمسة عشر الفا ولما سمع هشام مصاب سورة قال ان الله وانا اليه راجعون مصاب سورة بخراسان ومصاب الجراح بالباب وابلى نصر بن سيار يومئذ بلاء حسنا وارسل الجنيد ليلية بالشعب رجلا وقال له تسمع ما يقول الناس وكيف حالهم ففعل ثم رجع اليه فقال رأيتهم طيبة انفسهم يتناشدون الاشعار و يقرؤن القرآن فسرته ذلك قال عبيد بن حاتم بن النعمان رأيت فسايطط بين السماء والارض فقلت لمن هذه فقالوا لعبد الله بن بسطام واصحابه فقتلوا في غد فقال رجل مررت في ذلك الموضع بعد ذلك بحين فشممت رائحة المسك واقام الجنيد بسمرقند وتوجه خاقان الى بخارى وعليها قطن بن قتيبة بن مسلم فخاف الجنيد الترك على قطن بن قتيبة فشاورا صاحبه فقال قوم نلزم سمرقند وقال قوم نسير منها

فأتى ربحن ثم كش ثم إلى نسف فنتصل منها إلى أرض زم ونقطع النهر ونزل آمل فنأخذ عليه الطريق واستشار عبدالله بن أبي عبدالله مولى بني سالم وأخبره بما قالوا فاشتراط عليه أن لا يخالفه فيما يشير به عليه من ارتحال ونزول وقتال فقال نعم قال فاني اطلب اليك خصالا قال وما هي قال تخندق حيثما نزلت ولا يفوتك حل الماء ولو كنت على شاطئ نهر وان تطيعني في نزولك وارتحالك قال نعم قال اما ما اشاروا عليك في مقامك بسمرقند حتى يأتيك الغياث فالغياث يبطل عنك واما ما اشاروا من طريق كش ونسف فانك ان سرت بالناس من غير الطريق قتت في اعضاءهم وانكسروا عن عدوهم واجترأ عليك خافان وهو اليوم قد استفتح بخاري فلم يفتحوا له فان اخذت غير الطريق بلغ اهل بخاري ما فعلت فيستسلموا لعدوهم وان اخذت الطريق الاعظم هابك العدو والرأى عندي أن تأخذ عيال من قتل مع سورة فتقسمهم على عشارهم وتحملهم معك فاني ارجو بذلك أن ينصررك الله على عدوك وتعطى كل رجل تخلف بسمرقند الف درهم وفرسا فأخذ برأيه وخلف بسمرقند عثمان بن أبي عبدالله بن الشخير في اربعمائة فارس واربع مائة راجل فقتل الناس عبدالله بن أبي عبد الله وقالوا ما اراد الا هلاكنا فخرج الجنيد وحل العيال معه وسرح الاشجب بن عبيد الحنظلي ومعه عشرة من الطلائع وقال كلما مضت مرحلة تسرح إلى رجلا يعلمني الخبر وسار الجنيد فامسرع سيره فقال له عطاء الدبوسي انظر اضعف شيخ في العسكر فسلحه سلاحا تاما بسيفه ورمحه وترسه وجعبته ثم سر على قدر مشيه فانما لا تقدر على سرعة المسير والقتال ففعل الجنيد ذلك ولم يعرض للناس عارض حتى خرجوا من الاماكن المخوفة ودنا من الطواويس واقبل اليه خافان بكر مينة اول يوم من رمضان واقتلوا فاتاه عبدالله بن أبي عبدالله وهو يضحك فقال الجنيد ليس هذا يوم ضحك قال الحمد لله اذ لم يلقك هؤلاء في جبال معطشة وعلى ظهر انما اتوك وانت تخندق آخر النهار كالين وانت معك الزاد فقاتلوا قليلا ثم رجعوا ثم قال للجنيد ارتحل فان خافان ودألك تقيم فينطوى عليك اذا شاء فسار وعبدالله على الساقة ثم امره بالنزول فنزل واستقى الناس وباتوا فلما أصبحوا ارتحلوا فقال عبدالله اتوقع ان خافان يصدم الساقة اليوم فشدوها بالرجال فقواهم الجنيد وجاءت الترك قالت على الساقة فاقتتلوا واشتد القتال بينهم وقتل مسلم بن احوز عظيما من عظماء الترك فطبروا من ذلك وانصرفوا من الطواويس وسار المسلمون فدخلوا بخاري يوم المهرجان فتلقوهم بالدرهم البخارية فاعطاهم عشرة عشرة قال عبدالمؤمن بن خالد رأيت عبدالله بن أبي عبدالله في المنام بعد موته فقال حدث الناس عني برأى يوم الشعب وكان الجنيد يذكر خالد ابن عبدالله فيقول زبدة من الزبد صنبور من صنبور قل من قل هيفة من الهيف والهيفة الضبيع والقل القرد والصنبور الذي لا اخله وقدمت الجنود من الكوفة والبصرة على الجنيد فمسرح معهم حوثة بن زيد العبدي فبين اتدب معه وبقي الجنيد في ولايته الى سنة ست عشرة ومائة كما سيأتى وفي هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة فافتتح خرشنة وفي سنة ثلاث عشرة ومائة غزا عبدالله البطال ارض الروم ومعه عبد الوهاب ابن بنح فانهزم الناس عن البطال فحمل عبد الوهاب وهو يقول ما رأيت فرسا اجبن منك

وسفك الله دمي ان لم اسفك دمك ثم التي بيضته عن رأسه وصاح انا عبد الوهاب بن بخت
 أمن الجنة تفرون ثم تقدم في نحر العدو فر رجل يقول واعطشاه فقال تقدم الرى امامك
 فخالط القوم فقتل وقتل فرسه وفي هذه السنة ايضا فرق مسلمة بن عبد الملك الجيوش ببلاد
 خاقان ففتحت مداين وحصون على يديه وقتل منهم وأسروسي واحرق ودان له من كانوا
 وراء جبال بلنجير وقتل بن خاقان فاجتمعت تلك الامم جميعها الخزر وغيرهم على خاقان
 في جمع لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقد جاز مسلمة بلنجير فلما بلغه خبرهم امر اصحابه فاوقدوا
 النيران ثم ترك خيامهم واثقالهم وعادوه وعسكره جريدة وقدم الضعفاء واخر الشجعان
 وطوى المراحل كل مرحلتين في مرحلة حتى وصل الى الباب والابواب في آخر رمق وقد
 تقدم ذكر ذلك واعيد هنا ليرتبط الكلام ببعضه

✽ ذكر قتل عبد الرحمن الغافقي امير الاندلس ✽

وفي سنة ثلاث عشرة ايضا كان غزو من المسلمين الذين بافريقية على بلاد افرنجة وذلك ان
 هشام بن عبد الملك كان قد استعمل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي على افريقية والاندلس فاستعمل
 عبيدة على الاندلس عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي فغزا افرنجة واوغل في ارضهم وغنم
 غنائم كثيرة وكان فيما اصاب صورة رجل بكسر الراء وسكون الجيم من ذهب مفصصة بالدر
 والياقوت والزمرد فكسرها وقسمها في الناس فبلغ ذلك عبيدة فغضب غضبا شديدا وكتب
 اليه يتهدده فأجابه عبد الرحمن وكان رجلا صالحا اما بعد فان السموات والارض لو كانتا رتقا
 لجعل الله للمتقين منها محرجا يعني فان الله قادر أن ينجي مني مما تهددني به ثم خرج غازيا مرة ثانية
 ببلاد الفرنج فقتل هو ومن معه شهداء

✽ ذكر ولاية مروان بن محمد ارمينية واذر بيجان بعد انقضاء غزو مسلمة بن عبد الملك ✽

في سنة اربع عشرة ومائة استعمل هشام بن عبد الملك مروان بن محمد بن مروان وهو ابن عمه
 على الجزيرة واذر بيجان ورمينية وكان سبب ذلك انه كان في عسكر مسلمة بarmينية حين غزا
 الخزر فلما عاد مسلمة سار مروان الى هشام فلم يشعر به حتى دخل عليه فسأله عن سبب قدومه
 فقال ضمت ذراعيا اذكره ولم ار من يحمله غيري قال وما هو قال مروان قد كان من دخول
 الخزر الى بلاد الاسلام وقتل الجراح وغيره من المسلمين ما دخل به الوهن على المسلمين ثم رأى
 امير المؤمنين انه يوجه اخاه مسلمة بن عبد الملك اليهم فوالله ما وطئ من بلادهم الا ادناها ثم
 انه لما رأى كثرة جمعه اعجبه ذلك فكتب الى الخزر يؤذنه بالحرب واقام بعد ذلك ثلاثة اشهر
 فاستعد القوم وحشدوا فلما دخل بلادهم لم يكن له فيهم نكايه وكان قصاراه السلامة وقد
 اردت ان تأذن لي في غزوة اذهب بهاعنا العار وانتقم من العدو قال قد اذنت لك قال
 وتمدني بمائة وعشرين الف مقاتل قال قد فعلت قال وتكتم هذا الامر عن كل واحد قال قد
 فعلت وقد استعملتكم على ارمينية فودعه وسار الى ارمينية واليا عليها وسير هشام الجنود
 من الشام والعراق والجزيرة فاجتمع عنده من الجنود والمتطوعة مائة وعشرون الفا فظهر انه

يريد غزو اللان وقصد بلادهم وارسل الى ملك الخزر يطلب منه المهادنة فاجابه الى ذلك وارسل اليه ملك الخزر من يقرر الصلح فأمسك الرسول عنده الى ان فرغ من جهازه وما يريد ثم اغلظ لهم القول وآذنههم بالحرب وسير الرسول الى صاحبه بذلك ووكل به من يسيره على طريق فيه بعدو سار هو في اقرب الطرق فواصل الرسول الى صاحبه الامروان قد وافاهم فاعلمه صاحبه الخبر وأخبره بما قد جمع له مروان وحشدوا استعداد فاستشار ملك الخزر اصحابه فقالوا ان هذا قد اغترك ودخل بلادك فان اقت الى ان تجتمع جنودك لم يجتمعوا عندك الا بعد مدة فيبلغ منك ما يريد وان انت لقيته على حالك هذه هزمك وظفرك والراى ان تأخر الى اقصى بلادك وتدعه وما يريد فقبل رأيهم وسار حيث أمروه ودخل مروان البلاد واوغل فيها واخربها وغنم وسبي وانتهى الى آخرها واقام فيها عدة ايام حتى اذلهم وانتقم منهم ودخل بلاد ملك السريز فوقع باهله وفتح قلاع وادان له الملك وصالحه على الف رأس نصفين خمسمائة غلاما وخمسمائة جارية سود الشعور ومائة الف مد من البر ثم دخل ارض زريكران فصالحه ملكها ثم اتى ارض جزين فابى جزين ان يصالحه فحاصروهم فافتتح حصنهم عنوة ثم اتى سغدان فافتتحها صلحا ووظف على طير شانشاه عشرة آلاف مد بكل سنة تحمل الى الباب ثم نزل على قلعة صاحب الكز وقد امتنع من اداء الوظيفة فخرج ملك الكز يريد ملك الخزر فقتله راع بسهم وهو لا يعرفه فصالح اهل الكز مروان واستعمل عليهم عاملا وسار الى قلعة شروان وهى على البحر فاذعن اهلها بالطاعة وسار الى الدودانية فوقع بهم ثم عاد وفي هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى فاصاب ر بضع اقرن وغزا عبد الله البطال الروم والتقى هو وقسطنطين في جمع فهزمهم البطال واسر قسطنطين وغزا سليمان بن هشام الصائفة اليمنى وبلغ قيسارية وفي سنة خمس عشرة ومائة غزا معاوية بن هشام ارض الروم وغزا عبد الملك بن قطن حامل الاندلس ارض البشكنس فغنم وعاسالما وفي سنة ست عشرة ومائة غزا معاوية بن عبد الملك ارض الروم الصائفة وفيها عزل هشام بن عبد الملك الجنيدي بن عبد الرحمن المرى عن خراسان واستعمل عليها عاصم بن عبد الله الهلالي وسبب ذلك ان الجنيدي تزوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب فغضب هشام لعداوته ليزيد بن المهلب لانه خلع اخاه يزيد بن عبد الملك كما تقدم فولى عاصما خراسان وكان الجنيدي اصابه استسقاء فقال هشام لعاصم ان ادركته وبه رمق فأزهق نفسه فقدم عاصم وقدمات الجنيدي وفي هذه السنة استعمل هشام على افر يقية عبد الله بن الحجاب الموصلى فسير جيشا الى صقلية وهى بكسرات مشددة اللام جيرة بالمغرب فلقبهم مراكب الروم فاقتلوا وقتلوا شديدا فانهزمت الروم وكانوا قد اسروا جماعة من المسلمين منهم عبد الرحمن بن زياد فبقى اسيرا الى سنة احدى وعشرين ومائة وفي سنة ست عشرة ايضا جهز عبد الله بن الحجاب جيشا مع حبيب بن ابى عبيدة وسيرهم الى ارض السودان فظفر بهم ظفرا لم يظفر احد مثله واصاب ماشاء غزا البحر ثم انصرف سالما وفيها سير ايضا ابن الحجاب جيشا الى السوس فغنموا وظفروا وعادوا وفي سنة سبع عشرة ومائة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزا سليمان بن هشام الصائفة اليمنى

من نحو الجزيرة و فرق سراياه في ارض الروم وفيها بعث مروان بن محمد وهو على ارمينية بعثين وافتتح احدهما حصونا ثلاثة من اللان ونزل الآخر على توما نشاه فنزل اهلها على الصلح وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك عاصم بن عبد الله عن خراسان واعاد امر خراسان لوالي العراق خالد بن عبد الله القسري فولى خالد خراسان اخاه اسد بن عبد الله وهذه ولايته الثانية وسيأتي ذكر غزواته وفيها بعث عبيد الله بن الحبحاب حبيب بن ابي عبيدة بن عقبة بن نافع غازيا الى المغرب فبلغ السوس الاقصى وارض السودان فلم يقاتله احد الا ظفربه واصاب من الغنائم والسبي امرا عظيما فلى اهل المغرب منه رعبا واصاب في السبي جارين من البربر ليس لكل واحدة منهما غير ثدي واحد ورجع سالما وسير جيشا في البحر سنة سبع عشرة ومائة ايضا الى جزيرة السردانية وهي جزيرة كبيرة ببحر المغرب ففتحوا منها ونهبوا وغنموا وعادوا وسير جيشا الى صقلية سنة اثنين وعشرين فلم يلقه احد الا هزمه فظفر ظفرا لم يمثله حتى نزل على مدينة سرقوسة وهي من اعظم مدن صقلية فقاتلوه فهزمهم وحصرهم فصالحوه على الجزية وفي سنة ثمان عشرة ومائة غزا معاوية وسليمان ابنا هشام بن عبد الملك ارض الروم وفي هذه السنة كانت وفاة معاوية المذكور في حياة والده واعقب اولادا منهم عبد الرحمن الداخل ابن معاوية بن هشام الذي ملك الاندلس ثم اولاده بعده وفي هذه السنة غزا اسد بن عبد الله القسري والى خراسان طخارستان ثم ارض جبوية فغنم وسبي وفيها غزا مروان بن محمد بن مروان ارمينية ودخل ارض ورنيس من ثلاثة ابواب فهرب منه ورنيس الى الخزر ونزل حصنه فحصره مروان ونصب عليه المجانيق فقتل ورنيس قتله بعض من اجتاز به وارسل رأسه الى مروان فنصبه لاهل حصنه فنزلوا على حكمه فقتل المقاتلة وسبي الذرية

ذكر مقتل خاقان

لما كانت سنة تسع عشرة ومائة غزا اسد بن عبد الله القسري بلاد الختل فافتتح منها قلاعاً وامتلاّت ايدي العسكر من السبي والشاء ولما بلغ الخبر خاقان جيش جيوشه وقصد اسداً عبر المسلمون النهر راجعين الى بلادهم فتبعهم خاقان والتقوا بعد عبور النهر واقتتلوا قتالاً شديداً وهزموا خاقان ثم مضى اسد الى بلخ وشتى فيها ثم قصدهم خاقان بجيوشه الى بلخ ثم لتقوا على فرسخين من الجوزجان فانهزم خاقان ومن معه وتبعهم المسلمون ثلاثة فراسخ غنموا مائة وخمسين الفا من الشاء ودوا الى كثيرة ورجع اسد الى بلخ ثم وصل خاقان اب بلاده واخذ في الاستعداد للحرب ولاعب يوماً خاقان بالنردكور صول فغزاه كورصول وتشاجرا فصك كورصول يد خاقان فكسرها فحلف خاقان ليكسرن يده فتنحى وجع جمعاً ثم بيت خاقان فقتله وتفرقت الترك واشتغلت الترك بغير بعضهم على بعض وأرسل اسد مبشراً الى هشام فلما بلغ هشام بن عبد الملك مقتل خاقان سجد شكراً لله ثم غزا اسد الختل مرة ثانية وفرق عسكره في اودية الختل فملؤا ايديهم من الغنائم والسبي وهرب اهله الى الصين وفي سنة تسع عشرة ايضا غزا الوليد بن القعقاع ارض الروم وغزا مروان بن محمد

ابن مروان من ارمينية فدخل بلاد اللان وسار فيها حتى خرج منها الى بلاد الخزر فر بيلنجر وسمندر وانتهى الى البيضاء التي يكون فيها خاقان وكان ذلك قبل مقتل خاقان فهرب منه خاقان وفي سنة عشرين توفي اسد بن عبد الله بمدينة بلخ وفيها عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن العراق وولى يوسف بن عمر الثقفي وولى نصر بن سيار الكنتاني خراسان بعد موت اسد بن عبد الله وفي هذه السنة غزا سليمان بن هشام بن عبد الملك الصائفة وفتح سندرة وغزا اسحاق بن سلم العقيلي توما نشا وافتتح قلاعها وخرب ارضها وفي هذه السنة توفي مسلمة بن عبد الملك بن مروان وفي سنة احدى وعشرين ومائة غزا مسلمة بن هشام الروم فاقتتح بها مطامير

ذكر غزوات نصر بن سيار الكنتاني ما وراء النهر

كان نصر بن سيار عاقلا حازما شجاعا مدبرا عمرت خراسان في مدة ولايته عمارة لم تعمر قبلها واحسن الولاية والجابة مكث واليا على خراسان الى سنة ثلاثين ومائة فكانت مدة ولايته عشرين سنة وكان قبل ولايته من امراء الاجناد بخراسان وولى على بعض المداين وكان جعفر بن حنظلة الذي استخلفه اسد على خراسان عند موته قد عرض على نصر أن يوليه بخارى فاستشار البخترى بن مجاهد مولى بني شيبان فقال له لا تقبلها لانك شيخ مضر وكانك بعهدك قد جاء على خراسان كلها فلما اتاه عهده بعث الى البخترى ليا تيه فقال البخترى لاصحابه قد ولى نصر خراسان فلما اتاه سلم عليه بالأمانة فقال له من ابن علمت فقال كنت تأتيني فلما بعثت الى علمت انك قد وليت ولما مات اسد بن عبد الله وبلغ خبر موته هشام بن عبد الملك استشار عبد الكريم بن سليط الحنفي وكان عالما فيمن يوليه خراسان فقال عبد الكريم يا امير المؤمنين اما رجل خراسان حزما ونجدة فالكرمانى فاعرض عنه وقال ما اسمه قال جديع بن على قال لا حاجة لي فيه وتطير قال فالمن الجرب يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيباني قال هشام ربيعة لا تسد بها الثغور قال عبد الكريم فقلت في نفسي كره ربيعة والين فارمه بمضر فقلت عقيل بن معقل البثي ان غفرت هنته قال ما هي قلت ليس بالعفيف قال لا حاجة لي فيه قلت منصور بن ابى الخرقاء السلمي ان غفرت نكره فانه مشؤم قال غيره قلت فالجشر بن مزاحم السلمي عاقل شجاع له رأى مع كذب فيه قال لا خير في الكذب قلت يحيى بن الحصين قال الم اخبرك ان ربيعة لا تسد بها الثغور قال فقلت نصر بن سيار قال هولها قلت هو عفيف مجرب عاقل ان غفرت له واحدة قال ما هي قلت عشيرته بخراسان قليلة قال لا ابالك تريد اكثر منى عشيرة انا عشيرته فكاتب عهده وبعثه مع عبد الكريم فاعطاه نصر لما اتاه به عشرة آلاف درهم واستعمل نصر على اعمال خراسان رجال مضر الى اربع سنين لم يستعمل احدا من غير مضر وغزا نصر في سنة احدى وعشرين ما وراء النهر مرتين احدهما من نحو الباب الجديد فسار من بلخ من تلك الناحية ثم رجع الى مرو وخطب الناس واخبرهم انه اقام منصور بن عمر بن ابى الخرقاء على كشف المظالم وانه يريد وضع الجزية عن قدا سلم وجعلها على من كان يخفف عنه من المشركين فرغبوا في الاسلام فلم تمض جمعة

حتى أنه ثلاثون ألف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤسهم وثمانون ألفاً من المشركين كانت قد القيت عنهم فحول ما كان على المسلمين اليهم ووضعهم عن المسلمين ثم ضيف الخراج ووضعهم مواضعه ثم غزا الثانية الى زرشغر وسمرقند ثم رجع ثم غزا الثالثة الى الشاش من مرو فحال بينه وبين عبور نهر الشاش كورصول في خمسة عشر ألفاً وكان معهم الحارث بن سريج وكان قبل ذلك من أمراء المسلمين على جند خراسان ثم وقعت فتنة بينهم فاعتزلهم وصار مع خاقان ثم مع كورصول فعبور كورصول في اربعين رجلاً فبيت العسكر في ليلة مظلمة ومع نصر ملك بخارى في اهل بخارى ومعه اهل سمرقند وكش ونسف وهم عشرون ألفاً فننادى نصر أن لا يخرج احد واثبتوا على مواضعكم فخرج عاصم بن عمير السعدي وهو على جند سمرقند فرت به خيل الترك فحمل على رجل في آخرهم فاسره فاذا هو ملك من ملوكهم صاحب اربعة آلاف قبة ثم تبين انه كورصول فأتى به الى نصر فقال له نصر من انت قال كورصول فقال نصر الحمد لله الذي امكن منك يا عدو الله قال ما ترجو من قتل شيخ وانا اعطيك اربعة آلاف بعير من ابل الترك والف برزون تقوى به جندك وتطلق سبيلي فاستشار نصر اصحابه فأشاروا باطلاقه فلم يوافقهم ثم سأله عن عمره قال لا ادري قال كم غزوت قال اثنتين وسبعين غزوة قال اشهدت يوم العطش قال نعم قال نصر اوا عطيتني ما طمعت عليه الشمس ما فلت من يدي بعدما ذكرت من مشاهدك وقال لعاصم بن عمير السعدي قم الى سلبه فخذ فقال من اسرني فقال نصر وهو يضحك اسرك يز يدن قران الحنظلي وأشار اليه قال هذا لا يستطيع ان يغسل استه ولا يستطيع ان يتم له بوله فكيف يأسرني اخبرني من اسرني قال اسرك عاصم بن عمير قال لست اجد الم القتل اذا كان اسرني فارس من فرسان العرب فقتله وصلبه على شاطئ النهر فلما قتل كورصول احرقت الترك ابنته وقطعوا آذانهم وقطعوا شمو رهم واذناب خيلهم فلما اراد نصر الرجوع احرقه لئلا يحملوا عظامه فكان ذلك اشد عليهم من قتله وارتفع الى فراغة فسبى بها الف رأس وكتب يوسف بن عمر امير العراق الى نصر سر الى هذا الغادر دينه في الشاش يعني الحارث بن سريج فان اظفرك الله به وبأهل الشاش فخر ببلادهم واسب ذرارهم واياك وورطة المسلمين فقرأ الكتاب على الناس واستشارهم فقال يحيى بن الحصين انظر اهذا من امير المؤمنين او من الامير فقال نصر يا يحيى تكلمت بكلمة ايام عاصم فبلغت الخليفة فخطبت بها وبلغت الدرجة الرفيعة فقلت اقول مثلها سر يا يحيى فقد وليتك مقدمتي فلام الناس يحيى فسار الى الشاش فأناهم الحارث بن سريج فنصب عليهم عرادتين بالتشديد تشية عرادة شيء اصغر من المنجنيق واغار الاخرم وهو فارس الترك على المسلمين فقتلوه والقوار أسه الى الترك فصاحوا وانهزموا وسار نصر الى الشاش فلتقاه ملوكها بانصلح والهدية والرهن واشترط عليه نصر اخراج الحارث بن سريج عن بلده فأخرجه الى فاراب ثم تنقل الحارث في بلاد الترك الى سنة ست وعشرين ثم اصطلح مع المسلمين ورجع الى خراسان سنة سبع وعشرين فكانت مدة مفارقتهم للمسلمين واتصاله بالترك ثنتي عشرة سنة ورد عليه نصر ما كان اخذله ثم استعمل نصر على الشاش بعد الصلح مع اهله نيزك بن صالح مولى عمرو بن

العاص ثم سار حتى نزل قباء من ارض فرغانة وكانوا احسوا بمجيئه فأحرقوا الخشيش وقطعوا الميرة فوجه نصر الى ولي صاحب فرغانة فحاصروه في حصن وغفلوا عنه فخرج وغنم دواب المسلمين فوجه اليهم نصر رجالا من تميم ومعهم محمد بن المثنى ومكن المسلمون لهم فخرج الترك واستاقوا بعض الدواب فخرج عليهم المسلمون فهزموهم وقتلوا الدهقان واسروا منهم واسروا ابن الدهقان فقتله نصر ثم سألوه الصلح فأرسل نصر سليمان ابن صول بكتاب الصلح الى صاحب فرغانة فأمر به فادخل الخزان ليراه ثم رجع اليه فقال كيف رأيت الطريق فيما بيننا وبينكم قال سهلا كثير الماء والمرعى فكره ذلك وقال ما اعلمك فقال سليمان قد غزت غرستان وغورو الختل وطبرستان فكيف لا اعلم قال فكيف رأيت ما عددنا قال عدة حسنة ولكن ما علمت ان المحصور لا يسلم من خصال لا يامن اقرب الناس اليه واوثقهم في نفسه او يفتنى ما جمع فيسلم برمته او بصييه داء فيموت فكره ما قال له وأمره فأحضر كتاب الصلح فأجاب اليه وسيرأه معه وكانت صاحبة أمره فقدمت على نصر فاذا نزلها وجعل يكلها وكان ما قالت له كل ملك لا يكون عنده ستة اشياء لا يكون ملكا ويزير يلبث اليه ما في نفسه وبشاورة ويثق بنصيخته وطباخ اذا لم يشته الطعام اتخذ له ما يشتهي وزوجة اذا دخل عليها مغتما فنظر الى وجهها زال غمه وحسن اذا فرغ اناه فأنجاه تعنى البرذون وسيف اذا قاتل لا يخشى خيانه وذخيرة اذا حملها عاش بها ابن كان من الارض ثم دخل تميم ابن نصر في جاعة فقالت من هذا قالوا هذا فتى خراسان تميم بن نصر فقالت ماله نبل الكبير ولا حلاوة الصغير ثم دخل الحجاج بن قتيبة بن مسلم الباهلي فقالت من هذا فقالوا الحجاج بن قتيبة بن مسلم فأحبته وسألت عنه وقالت يا معشر العرب مالكم وفاء ولا يصلح بعضكم بعضا قتيبة الذي ذلل لكم ما ارى وهذا ابنه تقعه دونك فحقه ان تجلسه امت هذا المجلس وتجلس انت مجلسه وعقدت الصلح ورجعت

✽ ذكر غزو مروان بن محمد بن مروان ✽

في سنة احدى وعشرين غزا مروان بن محمد بأرمينية وهو واليها فأتى قلعة بيت الله فقتل وسبي ودخل غوميك وهو حصن فيه بنت الملك وسريه فهرب الملك منه حتى نزل حصنا يقال له خيرج فيه سريه من ذهب فسار اليه مروان ونازله صيفيته وشتوته فصالح الملك على الف رأس كل سنة ومائة الف مد فصالحه وسار مروان فدخل ارض ارز ويطران فصالحه ملكها ثم سار في ارض تومان فصالحه وسار حتى اتى حزين فأخرب بلاده وحصر حصناله شهرا فصالحه ثم اتى مروان ارض مسداره فافتتحها على صلح ثم نزل مروان كيران فصالحه طبرسران وفيلان وكل هذه الولايات على شاطئ البحر من ارمينية الى طبرستان وفي هذه السنة غزا مسلمة بن هشام الروم فافتتح بها مطامير وفي هذه السنة قتل البطال واسمه عبد الله ابو الحسين الانطاكي وقتل معه جاعة من المسلمين ببلاد الروم وكان كثير الغزو الى الروم والاغارة على بلادهم وله عندهم ذكر عظيم حكى انه دخل بلادهم في بعض غزاته هو واصحابه فدخل قرية لهم ليلا وامرأة تقول لصغيرها يبكي تسكت والاسم لك للبطال ثم رفعت يدها

وقالت خذته يابطال وكان قريبا منها ولم تعلم به فتناوله من يدها وكان عبد الملك بن مروان يرسله مع ابنه مسلمة الى بلاد الروم وامره مرة على رؤساء اهل الجزيرة والشام وامر ابنه مسلمة ان يحمله على مقدمته وطلائمه وقال انه ثقة شجاع مقدم فجعله مسلمة على عشرة آلاف فارس وله قصص ووقائع كثيرة

✽ ذكر صلح نصر بن سيار مع الصفد ٣ ✽

في سنة ثلاث وعشرين ومائة صالح نصر بن سيار الصفد وسبب ذلك ان خاقان لما قتل في ولاية اسد بن عبدالله تفرقت الترك في اغارة بعضها على بعض فطمع اهل الصفد في الرجعة اليها وانحاز قوم منهم الى الشاش فلما ولي نصر بن سيار ارسل اليهم يدعوهم الى الرجوع الى بلادهم واعطاهم ما ارادوا وكانوا يسألون شروطا انكرها امراء خراسان منها ان لا يعاقب من كان مسلما فارتد عن الاسلام ولا يعدي عليهم في دين لاحد من الناس ولا يؤخذ اسراء المسلمين منهم الا بقضية قاض وشهادة عدول فغاب الناس ذلك على نصر وتكلموا فيه فقال لو عاينتم شوكتهم في المسلمين مثل ما عاينتم ذلك وارسل رسولا الى هشام بن عبد الملك في ذلك فاجابه اليه وفي سنة اربع وعشرين ومائة غزا سليمان بن هشام الصائفة فلقى أليون ملك الروم فهزمه وقتل وسبي وغنم وفي سنة خمس وعشرين توفي هشام بن عبد الملك وبويع الوليد بن يزيد بن عبد الملك فأقر نصر بن سيار على خراسان ثم ثارت فتن بين اولاد عبد الملك وقتل الوليد بن يزيد سنة ست وعشرين وبويع ليزيد بن الوليد بن عبد الملك وتوفي بعد ستة اشهر وبويع اخوه ابراهيم بن الوليد ثم خلع بعد سبعين يوما وبويع مروان بن محمد سنة سبع وعشرين فأقر نصر بن سيار على ولاية خراسان واستمر مروان بن محمد خمس سنين وعشرة اشهر وثار الفتن بينه وبين بني العباس وقتل مروان بن محمد سنة اثنين وثلاثين وعمره اثنتان وستون سنة وقامت الدولة العباسية وتفصيل ذلك كله طويل مذكور في التواريخ والقصد في هذا الكتاب ذكر الفتوحات التي فيها جهاد الكفار وفي مدة هذه الفتن انقطع الغزو والجهاد وانتشرت الفتن بين المسلمين في كل قطر واقليم

✽ ذكر ملك الروم ملاطية ✽

نشأ من الفتن التي كانت بين المسلمين في هذه السنين ان الروم طمعوا في البلاد فاقبل قسطنطين ملك الروم الى ملاطية وكنخ في سنة ثلاث وثلاثين في خلافة السفاح اول خلفاء بني العباس فلما اقبل قسطنطين نازل كنخ فأرسل اهلها الى اهل ملطية يستنجدونهم فصار اليهم منها ثمانمائة مقاتل فقاتلهم الروم فانهمز المسلمون ونزل الروم ملطية وحاصروها وامرهم الى اهل ملطية اني لم احصركم الا على علم من المسلمين واختلافهم فلكنم الامان ورواؤن الى بلاد المسلمين حتى احترت ملطية فلم يجيئوه الى ذلك فنصب المجانيق فاذعنوا وسلموا البلد على الامان وانتقلوا الى بلاد الاسلام وحملوا ما امكنهم حمله وما لم يقدرُوا على حمله القوه في الآبار والمجاري وسار ملك الروم الى قاليقلا فنزل مرج الخصى وارسل كوشان الارمني فحصرها فنقب اخوان من الارمن من اهل المدينة ردما كان في سورها فدخل كوشان ومن

صفديضم
الصاد
وسكون القين موضع نهر قند وموضع بخاري و صفديبر بلدة بأرمينية بناها التوشروان العادل واما صفد بالقاء فهي بلدة بالشام اه مؤلف

معه المدينة فغلبوا عليها وقتلوا رجالها وسبوا النساء وساق الغنائم الى ملك الروم وفي هذه السنة كان متوليا على خراسان ابو مسلم القائم بدعوة بنى العباس فوجه اباداود خالد بن ابراهيم الذهلي الى الختل فدخلها فلما انتهى الى ارض فرغانة تحالف اخشيذ فرغانة وملك الشاش واستمد اخشيذ ملك الصين فأمدته بمائة الف مقاتل فحاصروا ملك الشاش فنزل على حكم ملك الصين وبلغ الخبر ابامسلم فوجه الى حربهم زياد بن صالح فالتقوا على نهر طراز فقتلهم المسلمون وقتلوا منهم زهاء خمسين الفا واسروا نحو عشرين الفا وهرب الباقيون الى الصين

ذكر غزوة كش

في سنة اربع وثلاثين غزا اباداود خالد بن ابراهيم الذهلي اهل كش فقتل ملكها وهو سامع مطيع وقتل اصحابه وأخذ منهم من الاواني الصينية المنقشة المذهبة ما لم ير مثلها ومن السروج ومتاع الصين من الدياج والطرف شيئا كثيرا وحمله الى ابي مسلم وهو بسمرقند وقتل عدة من دهاقيهم ورجع اباداود الى بلخ وفي سنة خمس وثلاثين غزا عبد الله بن حبيب جزيرة صقلية وغنم بها وسبى بعد أن غزا ايضا تلمسان وفي سنة ست وثلاثين توفي السفاح وبويع اخوه المنصور وقتل ابامسلم سنة سبع وثلاثين وولى خراسان بعد قتل ابي مسلم اباداود خالد بن ابراهيم الذهلي وفي سنة ثمان وثلاثين خرج قسطنطين ملك الروم الى بلاد الاسلام فدخل ملطية عنوة وغلب وقهر اهلها وهدم سورها وعفا عن فيها من المقاتلة والذرية فبعث المنصور اخاه العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ومعه صالح بن علي وعيسى بن علي في جيش فبنوا ما كان ملك الروم اخر به من سور ملطية ثم غزوا الصائفة سنة تسع وثلاثين ومائة من درب الحدث فوغلوا في ارض الروم وغزاهم صالح اخناه ام عيسى ولبابة وكانتا نذرنا ان زال ملك بنى امية ان تجاهدا في سبيل الله وغزا من درب ملطية جعفر بن حنظلة المهراني وفي هذه السنة كان الفداء بين المنصور وملك الروم فاستقضى المنصور اسرى قاليقلا وغيرهم من الروم وبناهما وعمرها ورد اهلها اليها ونذب اليها جنودا من اهل الجزيرة وغيرهم فاقاموا فيها وجوها ولم يكن بعد ذلك صائفة الى سنة ست واربعين لاشتغال المنصور بالفتنة التي كانت بينه وبين بنى عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب وقيل ان الحسن بن قحطبة غزا الصائفة سنة اربعين مع عبد الوهاب بن ابراهيم الامام واقبل قسطنطين ملك الروم في مائة الف فبلغ جيحان فسمع كثرة المسلمين فاجم عنهم ثم لم يكن بعدها صائفة الى سنة ست واربعين لكانت حصلت وقائع وغزوات بخراسان وغيرها في هذه المدة كما سترى ذلك وفي سنة تسع وثلاثين ومائة كان دخول عباس بن الحسن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الاندلس وتملكها فخرجت الاندلس عن ولايته بنى العباس وقصة تلك عبد الرحمن الداخل الاندلس طويلة ملخصة انه لما قامت الدولة العباسية اخذوا يتبعون بنى امية قتلا فهرب عبد الرحمن المذكور مختفيا وما زال يتنقل حتى دخل الاندلس وكان بالاندلس رجال من بقايا عمال بنى امية ومواليهم فاعانوه حتى

انتزع الاندلس من عمال بنى العباس بعد حروب كثيرة واستفحل ملكه وملك بنيه بعده بالاندلس وكان دخوله الاندلس في خلافة المنصور العباسي وكان المنصور يتعجب من امره ويسميه صقر قریش واراد استرجاع الاندلس من يده فلم يتمكن له ذلك والكلام على ذلك طويل ذكرته في التاريخ الذي جمعته في اخبار الاندلس ملخصا من نفع الطيب وغيره ولما استقامت اموره وتمكنت دولته بلغه عن بعض من امانه انه يقول لولا انا ما توصل لهذا الملك وكان منه ابعد من النجم وقال قائل آخر انما امانه سعده لاعقله وتدبيره فخره ذلك الى ان قال

- * لا يلف ممتن علينا قائل * لولاى ماملك الامام الداخل *
- * سعدى وحزمى والمهند والقنا * ومقادير بلغت وحال حائل *
- * ان الملوك مع الزمان كواكب * نجم يطالعنا ونجم آفل *
- * والحرم كل الحزم ان لا يغفلوا * ابروم تدبير البرية غافل *
- * ويقول قوم سعده لاعقله * خير السعادة ما حواها العاقل *
- * ابني امية قد جبرنا صدعكم * بالغرب رغما والسعود قبائل *
- * مادام من نسلى امام قائم * فالملك فيكم ثابت متواصل *

وما زال مستمرا في ملكه ثلاثا وثلاثين سنة واربعة اشهر الى ان توفي سنة ١٧٢ وعمره تسع وخسون سنة واستمر الملك في بنيه الى اواخر القرن الرابع وسيأتي ذكر كثير من غزواته وفتوحاتهم ولزجع الى تمام الكلام على فتوحات بنى العباس في سنة ١٤٠ مات ابو داود خالد بن ابراهيم الذهلي عامل خراسان واقام مقامه عبد الجبار بن عبد الرحمن الازدي ثم ظهر منه مخالفة وعصيان واراد خلع المنصور فجهاز المنصور في سنة احدى واربعين ابنة المهدي وعمره نحو خمس عشرة سنة ومعه جيش فأسر عبد الجبار وبعث به الى المنصور فقتله وصارت ولاية خراسان للمهدي بن المنصور وكان كثير من اهل خراسان قد نقضوا لما تغيرت الدولة واسترجع بعض الكفار ما كان لهم من الملك فكتب المنصور الى ابنة المهدي ان يغزو طبرستان

ذكر غزوة طبرستان

في سنة احدى واربعين ومائة كتب المنصور الى ابنة المهدي وهو على خراسان ان يغزو طبرستان وينزل الري ويوجه ابا الخصيب وخازم بن خزيمة والجنود الى الاصهبند وكان الاصهبند يومئذ محاربا للمصمغان ملك ديناوند معسكرا بارزاه فلما بلغه دخول جنود الاسلام بلاده ودخول ابي الخصيب سايره فقال المصمغان للاصهبند متى قهروك صاروا الى فاجتمعوا على حرب المسلمين فانصرفوا للاصهبند الى بلاده فخارب المسلمين فطالت تلك الحروب فوجه المنصور عمر بن العلاء الى طبرستان وكان عالما ببلاد طبرستان فاخذ الجنود وقصد الرويان ففتحها واخذ قلعة الطلق وما فيها وطالت الحرب فالح خازم على القتال ففتح طبرستان وقتل منهم فاكثر وسار الاصهبند الى قلعته فحصر فطلب الامان على ان يسلم القلعة

بما فيها من الذخائر وكتب المهدي الى المنصور بذلك فوجه المنصور رجلا احصوا ما في الحصن وانصرفوا ودخل الاصبهيد بلاد جيلان من الديلم و اخذت ابنته وقصدت الجنود بلد المصمغان فظفروا به وبالحيرة ام منصور بن المهدي وفي سنة ثنتين واربعين ومائة خلع الطاعة عبيدة بن موسى بن كعب عامل السند فبعث المنصور عمر بن ابي حفص العتكي عاملا على السند والهند فسار وغلب عليها بعد حروب

❖ ذكر نكت الاصبهيد ❖

في سنة ثنتين واربعين ومائة نكت الاصبهيد بطبرستان العهد بينه وبين المسلمين وقتل من كان يبلاده منهم فلما انتهى الخبر الى المنصور سير مولا ابا الخصيب وخازم بن خزيمة وروح ابن حاتم فاقاموا على الحصن يحاصرونه وهو فيه فلما طال عليهم المقام احتال ابو الخصيب في ذلك فقال لاصحابه اضربوني واحلقوا رأسي ولحيتي ففعلوا ذلك ولحق بالاصبهيد فقال له فعل بي هذا ثممة منهم لي ان يكون هو اى معك وأخبره انه معه وانه دليل على عورة عسكرهم فقبل ذلك الاصبهيد وجعله في خاصته والطفه وكان باب حصنهم من حجر يلقي القاء يرفعه الرجال وتضعه عند فتحة واغلاقه وكان الاصبهيد يوكل به ثقات اصحابه نو باينهم فلما وثق الاصبهيد الى ابي الخصيب وكله بالباب فتولى فتحه واغلاقه حتى انس به ثم كتب ابو الخصيب الى روح وخازم والقي الكتاب في سهم وأعلمهم انه قد ظفر بالحيلة وواعدهم ليلة في فتح الباب فلما كانت تلك الليلة فتح لهم فقتلوا من في الحصن من المقاتلة وسبوا الذرية واخذوا اسكلام ابراهيم بن المهدي وكان مع الاصبهيد سم فشر به ومات

❖ ذكر نكت الديلم ❖

في سنة ثلاث واربعين نكت الديلم وثاروا بالمسلمين فقتلوا منهم مقتلة عظيمة فبلغ ذلك المنصور فندب الناس الى قتال الديلم وجهادهم فساروا اليهم وقتلواهم حتى اخضعوهم سنة اربع واربعين وفي سنة خمس واربعين كان ابتداء بناء مدينة بغداد وانتقل المنصور اليها سنة ست واربعين وفيها خرجت الترك والخزر بباب الابواب فقتلوا من المسلمين بأرمينية جماعة كثيرة وفي سنة ست واربعين غزا الصائفة جعفر بن حنظلة البهراني وغزا مالک بن عبدالله الخثعمي بلاد الروم فغنم غنائم كثيرة وفي سنة سبع واربعين اغار استرخان الخوارزمي في جمع من الترك على المسلمين بناحية ارمينية وسبي من المسلمين خلقا ودخلوا تفليس فسير المنصور الى محاربهم جبرائيل بن يحيى وحرب بن عبدالله في جند كثير فقتلواهم فهزم جبرائيل وقتل حرب وقتل من اصحاب جبرائيل خلق كثير وفي سنة تسع واربعين غزا العباس بن محمد ارض الروم ومعه الحسن بن خطبه ومحمد بن الاشعث واغزا عبد الرحمن الداخل صاحب الاندلس مولا بدر الى بلاد العدو فجاوز اليه واخذ الجزية

❖ ذكر خروج استاذ سيس ❖

في سنة خمسين ومائة خرج استاذ سيس في اهل هراة وباذغيس وسجستان وغيرها من خراسان

وكان فيما قبل في ثلاثمائة الف مقاتل فغلبوا على عامة خراسان وساروا حتى التقوا هم واهل مرو الروذ فخرج اليهم الاجشم المروزي في اهل مرو الروذ فقاتلوه قتلا شديدا فقتل الاجشم وكثر القتل في اصحابه وهزم عدة من القواد فوجه المنصور وهو بالراذان خازم بن خزيمه الى المهدي فولاه المهدي محاربة استاذ سيس وضم اليه القواد فسار خازم واخذ معه من انهرم وجعلهم في آخريات الناس يكثر بهم من معه وكان معه من هذه الطبقة اثنان وعشرون الفا ثم انتخب منهم ستة آلاف وضمهم الى اثني عشر الفا كانوا معه من المنتخين وكان بكار بن سلم العقيلي فبينما انتخب وتعي للقتال وكان لو اؤه مع الزبرقان فكر بهم وراو غمهم في ان يقتلهم من موضع الى موضع وخندق الى خندق حتى قطعهم ثم سار خازم الى موضع فزله وخندق عليه وعلى جميع اصحابه وجعل له اربعة ابواب وجعل على كل باب الفا من اصحابه الذين انتخبوا وأتى اصحاب استاذ سيس ومعهم القوس والرازة ٢ والزلبل ليظموا الخندق فانوا الخندق من الباب الذي عليه بكار بن سلم فحملوا على اصحاب بكار حلة هزموهم بها فرمى بكار بنفسه فترجل على باب الخندق وقال لاصحابه لا يؤتى المسلمون من ناحيتنا فترجل معه من اهله وعشيرته نحو من خمسين رجلا وقتلوه حتى ردوهم من باهم ثم اقبل على الباب الذي عليه خازم رجل من اصحاب استاذ سيس اسمه الحريش وهو الذي كان يدبر امرهم فلما رآه خازم مقبلا بعث الى الهيثم بن شعبة وكان في المينة يأمره ان يخرج من الباب الذي عليه بكار فان من بازائه قد شغلوا عنهم ويسير حتى يغيب عن ابصارهم ثم يرجع من خلف العدو وقد كانوا يتوقعون قدوم ابي عون وعمر بن مسلم بن قتيبة من طخارستان وبعث خازم الى بكار يقول له اذا رأيت رايات الهيثم قد جاءت فكبروا وقولوا قد جاء اهل طخارستان ففعل ذلك الهيثم وخرج خازم في القلب على الحريش يشغلهم بالقتال وصبر بمضهم لبعض فينماهم على ذلك نظروا الى اعلام الهيثم قد اقبلت فتنادوا بينهم جاء اهل طخارستان وحمل اصحاب خازم فكشفوهم ولقبهم اصحاب الهيثم فطعنوهم بالرمح ورموهم بالنشاب وخرج نهار بن حصين من ناحية الميسرة وبكار بن سلم واصحابه من ناحيتهم فهزموهم ووضعوا فيهم السيوف فقتلهم المسلمون فاكثروا فكان عدد من قتل سبعين الفا واسروا اربعة عشر الفا ونجا استاذ سيس الى جبل في نفر يسير فحصرهم خازم وقتل الاسرى ووافاه ابو عون وعمر بن مسلم ومن معهم فنزل استاذ سيس على حكم ابي عون فحكم ان يوثق استاذ سيس وبنوه واهل بيته بالحديد وان يعتق الباقيون وكانوا ثلاثين الفا فامضى خازم حكمه وكسى كل رجل ثوبا بين وكتب الى المهدي بذلك فكتب المهدي الى المنصور وقد قيل ان استاذ سيس كان قد ادعى النبوة وظهر اصحابه الفسق وقطع السبيل قيل انه جد المأمون ابو راجل وابنه غالب خال المأمون وفي هذه السنة قدم المهدي من خراسان فقدم عليه اهل بيته من الشام والكوفة والبصرة وغيرها فهنؤه بمقدمه فأجازهم وحلهم وكساهم وفعل بهم المنصور مثل ذلك وبنى له الرصافة وفيها غزا الصائفة عبد الوهاب بن ابراهيم الامام ابن محمد بن علي وفي سنة ثنتين وخسين ومائة استعمل المنصور على خراسان حيد بن حنظلة فغزا كابل وغزا الصائفة عبد الوهاب بن ابراهيم الامام وفي سنة ثلاث وخسين

يعني البائين قال في القاموس الرازي رئيس البائين جمعه الرازة اه مؤلف

غزا الصائفة معيوف بن يحيى فوصل الى حصن من حصون الروم ليلا واهله نيام فسي
واسر من كان فيه ثم قصد الاذقية الخراب فسي منها ستة آلاف رأس سوى الرجال البالغين
وفي سنة اربع وخسين غزا الصائفة زفر بن عاصم الهلالي فبلغ الفرات وفي سنة خمس وخسين
غزا الصائفة يزيد بن اسيد السلمي وفيها طلب ملك الروم الصلح الى المنصور على ان يؤدي الجزية
وفي سنة ست وخسين غزا الصائفة زفر بن عاصم الهلالي وفي سنة سبع وخسين غزا الصائفة
يزيد بن اسيد السلمي فسي وغنم وفي سنة ثمان وخسين توفي المنصور وبويع ابنه محمد المهدي
وغزا الصائفة معيوف بن يحيى من درب الحدث فلقى العدو فاقتتلوا ثم تحاجزوا وفي سنة تسع
وخسين غزا العباس بن محمد الصائفة الرومية فبلغوا القره وفتحوا مدينة لاروم ومطمورة
ولم يصب من المسلمين احد ورجعوا سالمين

ذكر فتح مدينة باربد بالهند

في سنة ستين ومائة فتحت مدينة باربد وكان المهدي سير في سنة تسع وخسين جيشا في البحر
وعليهم عبد الملك بن شهاب السمعى الى بلاد الهند في جمع كثير من الجند والمتطوعة وفيهم
الربيع بن صبيح فساروا حتى نزلوا على باربد فلما نزلوها حاصروها من نواحيها وحرض الناس
بعضهم بعضا على الجهاد وضايقوا اهلها ففتحها الله عليهم عنوة واحتمى اهلها بالبد الذي
اهم فأحرقه المسلمون عليهم فاحترق بعضهم وقتل البساقون واستشهد من المسلمين بضعة
وعشرون رجلا وأفتاها الله عليهم وفي سنة ستين ايضا غزا ثمامة بن العباس الصائفة
وغزا الغمر بن العباس النخعي بحر الشام وفي سنة احدى وستين غزا الصائفة ثمامة
ابن الوليد فنزل بذاق وجاشت الروم في ثمانين الفا فاتي ثمامة عمق مرعش فقتل وسبي واتى
مرعش فحاصرها فقاتلهم وقتل من المسلمين عدة كثيرة وكان عيسى بن علي مرابطا بحصن
مرعش فانصرف الروم الى جيحان وبلغ الخبر المهدي فعظم عليه وتجهز لغزو الرم كما سنده كره
وفي سنة اثنتين وستين خرجت الروم الى الحدث فهدموا سورها وغزا الصائفة الحسن بن
قطبة في ثمانين الف مرتزق سوى المتطوعة فبلغ اذروليه واكثر التخريب والتخريب
في بلاد الروم ولم يفتح حصنا الا لقي جمعا ورجع الناس سالمين وفيها غزا يزيد بن اسيد السلمي
من ناحية قابلا فغنم واقتنع ثلاثة حصون وسبي

ذكر غزاه والمهدي

في سنة ثلاث وستين تجهز المهدي لغزو الروم فخرج وعسكر بالبردان وجمع الاجناد من
خراسان وغيرها وسار عنها واستخلف على بغداد ابنه موسى الهادي وعمره نحو عشرين
سنة واستحب معه ابنه هارون الرشيد وعمره نحو سبع عشرة سنة وسار على المرسل
والجزيرة وعبر الفرات الى حلب وارسل وهو بحلب فجمع من تلك الناحية من الزنادقة
فجمعوا فقتلهم وقطع كتبهم وسار عنها مشيها لابنه هارون الرشيد حتى جازا الدرب وبلغ
جيحان فسار هارون بالجيش حتى نازل حصن سمالوا فحاصروه ثمانية وثمانين يوما ونصب

عليه المجانيق ففتح الله عليهم بالامان ووفى لهم وفتحوا فتوحا كثيرة ورجعوا ولما عاد المهدي من الغزاة زاز بيت المقدس وفي سنة اربع وستين ومائة غزا عبدالكبير بن عبد الحميد بن زيد ابن الخطاب من درب الحدث فأتاه ميخائيل البطريق في تسعين الفا فخاف عبدالكبير ومنع الناس من القتال ورجع بهم فاراد المهدي قتله فشفع فيه فحبسه وفي هذه السنة غزا عبد الرحمن الاموي صاحب الاندلس بلاد الفرنج فدوخها ونهب وسبي وبلغ قلمهرة وفتح مدينة فكيكة وهدم قلاع تلك الناحية وسار الى بلاد البشكنس ونزل على حصن مئين الاقرع فافتحه ثم تقدم الى ملد وثون بن اطلال وحصر قلعه وقصد الناس جبلها وقتلواهم فيها فلكوها عنوة وخربوها ثم رجعوا

ذكر غزو هرون الرشيد الروم

في سنة خمس وستين سبر المهدي ابنه هارون الرشيد لغزو الروم في خمسة وتسعين الفا وتسعمائة وثلاثة وتسعين رجلا فأوغلوا في بلاد الروم ولقيهم عسكر نقيظا قومس القوامسة فبارزه يزيد بن يزيد الشيباني فأنقذه يزيد وانهزمت الروم وغلب المسلمون على عسكرهم وساروا الى الدستق وهو صاحب المسالخ اى الثغور فحمل لهم مائة الف دينار وثلاثة وتسعين الفا واربعمائة وخمسين دينارا ومن الفضة احدى وعشرين الف الف درهم واربعة عشر الفا وثمانمائة درهم وسار الرشيد حتى بلغ خليج القسطنطينية ومالك الروم يومئذ عطسة امرأة أليون وذلك ان ابنها كان صغيرا قد هلك ابوه وهو في حجرها فجرى الصلح بينها وبين الرشيد على القدية وان تقيم له الادلاء والاسواق في الطريق وذلك انه دخل مدخلا ضيقا مخوفا فأجابه الى ذلك ومقدار القدية سبعون الف دينار كل سنة ورجع عنها وكانت الهدنة ثلاث سنين وكان مقدار ما غنم المسلمون الى ان اصطلموها خمسة آلاف رأس سبي وستمائة وثلاثة واربعين رأسا ومن الدواب الدلل بادواتها عشرين الف رأس وذبح من البقر والغنم مائة الف رأس وقتل من الروم في الوقائع قبل الصلح اربعة وخمسون الفا وقتل من الاسرى صبورا القان وتسعون اسيرا وفي سنة ثمان وستين ومائة نقض الروم الصلح فوجد على بن سليمان وهو على الجزيرة وقنسر بن يزيد بن البدر بن البطال فغنموا وظفروا وفي سنة تسع وستين ومائة توفي المهدي وبويع ابنه موسى الهادي وغزا الصائفة معيوف بن يحيى من طريق الراهب وقد كانت الروم قبل ذلك جاؤا مع بطريقهم الى الحديشة فهرب الوالى واهل السوق فدخلها الروم فقصدهم معيوف فبلغ مدينة أشنة فغنم وسبي وفي سنة سبعين ومائة توفي الهادي وبويع اخوه هارون الرشيد واستمر الى سنة ثلاث وتسعين ومائة فكانت مدته ثلاثا وعشرين سنة وكان يحج سنة ويفزو سنة وفي سنة احدى وسبعين توفي عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام صاحب الاندلس وكانت دولته بالاندلس ثلاثا وثلاثين سنة ثم صار الملك لاولاده بعده فقام بالامر بعده ابنه هشام وفي سنة اربعة وسبعين غزا الصائفة عبد الملك بن صالح الهاشمي من قبل هارون الرشيد وفي سنة خمس وسبعين غزاها ابنه عبد الرحمن بن عبد الملك ابن صالح وفيها سار هشام بن عبد الرحمن صاحب الاندلس الى بلاد الفرنج فقصد ابله والقلاع

فلحقه العدو فظفر بهم وقتل منهم خلقا كثيرا وفتح الله عليه وفي السنة التي بعدها غزا عبد الملك ابن عبد الواحد ففعل مثل ذلك وكذا في سنة سبع وسبعين فدخلوا بلاد العدو فبلغوا اربونة وجردة وكان بها حامية الفرنج فقتل رجالها وهدم اسوارها وارجعها واشرف على فتحها فرحل عنها الى اربونة ففعل مثل ذلك واوغل في بلادهم ووطئ ارض برطانية فاستباح حريمها وقتل مقاتلتها وجاس البلاد شهورا يخرب الحصون ويحرق ويعظم قد أجفل العدو من بين يديه هاربا واوغل في بلادهم ورجع سالما معه من الغنائم ما لا يعلم الا الله تعالى وهي من اشهر مغازي المسلمين بالاندلس وفعل مثل ذلك في السنتين اللتين بعدها وتوفي هشام صاحب الاندلس سنة ثمانين ومائة وقام بالامر بعده ابنه الحكم ومن غزوات الرشيد الشهيرة غزوة ارض الروم في سنة احدى وثمانين ففتح فيها حصن الصفصاف وفيها غزا عبد الملك بن صالح ارض الروم فبلغ انقرة وافتتح مضمورة وفي هذه السنة كان القداء بين المسلمين والروم وكان عدة الاسرى ثلاثة آلاف وسبعمائة وفي سنة الثنتين وثمانين ومائة غزا الصائفة عبد الرحمن ابن عبد الملك بن صالح فبلغ افسوس مدينة اصحاب الكهف

ذكر غزو الخزر ٢ بلاد الاسلام

في سنة ثلاث وثمانين ومائة خرج الخزر من باب الابواب فوقعوا بالمسلمين واهل الذمة وسبوا اكثر من مائة الف رأس وانتهكوا امرا عظيما لم يسمع بمثله فولى الرشيد ارمينية ايريدن مر بد الشيباني مضافا الى اذر بيجان ووجهه اليهم فظفر بهم وفي سنة ست وثمانين ومائة ملك الفرنج لعنهم الله مدينة برشلونة بالاندلس واخذوها من المسلمين ونقلوا حجارة ثغورهم اليها وتأخر المسلمون الى ورائهم وكان سبب ملكهم اياها اشغال المسلمين بفتنة كانت بينهم

ذكر غزو الروم

وحيث ذكر الروم هنا وفيما تقدم وفيما يأتي فلما راد بهم النصارى اليونان الذين كان لهم ملك القسطنطينية وهم غير النصارى المعروفين بالافرنج كالفرنسيس وانكائرا وفي سنة سبع وثمانين ومائة دخل القائم بن الرشيد ارض الروم فالتاح على قرة وحصرها ووجه النصارى ابن جعفر بن محمد بن الاشعث فحصر حصن سنان حتى جهد اهلها فبعث اليه الروم للاغاثة وعشرين اسيرا من المسلمين على ان يرحل عنهم فاجابهم ورحل عنهم صلحا وكان ملك الروم حينئذ امرأة اسمها ريني فخلعها الروم وملكته نقفور فكتب نقفور الى الرشيد من نقفور ملك الروم الى هارون ملك العرب اما بعد فان الملكة التي كانت قبلي اقامتك مقام الرخ واقامت نفسها مقام البيدق فحملت اليك من اموالها ما كنت حقيقا بحمل اضعافها اليها لكن ذلك لضعف النساء وحقهن فاذا قرأت كتابي هذا فاردد ما حصل لك من اموالها والا فالسيف بيننا وبينك فلما قرأ الرشيد الكتاب استغره الغضب حتى لم يقدر احد ان ينظر اليه دون ان يخاطبه وتفرق جلساؤه فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب بسم الله الرحمن من هرون امير المؤمنين الى نقفور كلب الروم قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون ما تسمعه والسلام ثم سار من يومه حتى نزل على هرقة ففتح

الخزر طائفة من الكفار خزر العيون اي صغارها اه مؤلف

وغنم و احرق و خرب فسأله نقفور المصالحة على خراج يحمله كل سنة فاجابه الى ذلك فلما رجع من غزوته وصار بالرقه نقض نقفور العهد وكان البرد شديدا فأمن رجعة الرشيد اليه فلما جاء الخبر بنقضه ماجسر احد على اخبار الرشيد خوفا على انفسهم من العود في مثل ذلك البرد واشفاقا من الرشيد فاحتبل له بشاعر من اهل جنده فقال ابياتا منها

- * نقض الذي اعطيته نقفور ❖ فعليه دائرة البوارت دور *
- * ابشير امير المؤمنين فانه ❖ فتح اتاك به الا له كبير *
- * فتح يزيد على الفتوح يؤمنا ❖ بالنصر فيه لواؤك المنصور *

فلما سمع الرشيد ذلك قال او قد فعل ذلك نقفور فرجع الى بلاد الروم في اشد زمان واعظم كلفة حتى بلغ بلادهم فاقام بها حتى شفي واشتفى وبلغ ما اراد ورجع وفي هذه السنة ملك الفرنج مدينة تطيلة بالاندلس فجهز الحكيم صاحب الاندلس وسير العساكر مع ابن عم له فلقى المشركين وقتلهم فقبض جمعهم وهزمهم وقتل اكثرهم ونجا الباقون منهزمين وفي سنة ثمان وثمانين ومائة غزا ابراهيم بن جبرئيل الصانعة فدخل ارض الروم فخرج اليه نقفور ملك الروم واقتتلوا وقتل من الروم اربعون الفا وسبعمائة وفي سنة تسع وثمانين كان القداء بين المسلمين والروم فلم يبق بأرض الروم مسلم

❖ ذكر فتح هرقله و قبرس و غيرها ❖

في سنة تسعين غزا هارون الرشيد الروم في مائة الف وخمسة وثلاثين الفا من المرتزقة سوى الاتباع والمنطوعة وفتح هرقله واخربها ووجه داود بن عيسى سائرا في ارض الروم في سبعين الفا نجرب ونيهب ففتح الله عليه وفتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة ودلسه وافتتح زيد بن مخلد الصفصاف ومقدونية واستعمل حيد بن معيوف على سواحل الشام ومصر فبلغ قبرس وكانوا قد نقضوا العهد فهدم واحرق وسبي من اهلها سبعة عشر الفا ثم سار الرشيد الى طوانة فنزل بها وبعث نقفور بالخراج والجزية عن رأسه اربعة دنانير وعن رأس ولده دينارين وعن بطارقه كذلك وكتب نقفور الى الرشيد في جارية من سبي هرقله كان خطبها لولده فأرسلها اليه

❖ ذكر غزو الفرنج بالاندلس ❖

في سنة احدى وتسعين ومائة تجهز لذريق ملك الفرنج بالاندلس وجمع جوعه ليسير الى مدينة طرطوشة ليحصرها فبلغ ذلك الحكيم صاحب الاندلس فجهز العساكر وسيرها مع ولده عبد الرحمن فاجتمعوا في جيش عظيم وتبعهم كثير من المنطوعة فسار فلحقوا الافرنج في اطراف بلادهم قبل ان ينالوا من بلاد المسلمين شيئا فاقتتلوا وبذل كل من الطائفتين جهده واستنفد وسعه فأزال الله تعالى نصره على المسلمين فانهزم الكفار وكثر القتل فيهم والاسرو نهبت اموالهم واثقالهم وعاد المسلمون ظافرين غانمين وفي هذه السنة غزا يزيد ابن مخلد الهبيري ارض الروم في عشرة الاف فأخذت الروم عليه المضيق فقتلوه وخسبن

رجلا وسلم الباقون وفيها أمر الرشيد بهدم الكنائس التي في الثغور وألزم أهل الذمة بمخالفة هيئة المسلمين في لباسهم وركو بهم وفي سنة اثنين وتسعين تحركت الحزمية بناحية اذربيجان فوجه اليهم الرشيد عبدالله بن مالك في عشرة آلاف فقتل وسبي وأسر فأمره الرشيد بقتل الاسرى وبيع السبي وفي هذه السنة كان القداء الثاني بين المسلمين والروم وكان عدة الاسرى من المسلمين الفين وخسمائة اسروا في سنة ثلاث وتسعين توفي هارون الرشيد وبويع ابنه الامين ثم وقع الاختلاف بينه وبين اخيه المأمون الى ان قتل الامين سنة ثمان وتسعين ومائة وكان المأمون بخراسان فبويع وقدم العراق سنة اثنين ومائتين وقيل سنة اربع

✽ ذكر الغزو بالاندلس الى بلاد الفرنج ✽

في سنة مائتين جهز الحكيم صاحب الاندلس جيشا مع وزيره عبدالكريم بن مغيث الى بلاد الفرنج فسار بالعساكر حتى دخل ارضهم وتوسط بلادهم فخر بها ونهبها وهدم عدة من حصونها كلها اهلك موضعها وصل الى غيره فاستخرج خراثن ملوكهم فلما رأى ملكهم فعل المسلمين ببلادهم كاتب ملوك جميع تلك النواحي مستنصرين بهم فاجتمعت اليه النصرانية من كل اوب فاقبل في جوع عظيمة بازاء عسكر المسلمين وبينهم نهر فاقتلوا قتلا شديدا عدة ايام والمسلمون يريدون ان يعبروا النهر وهم ينعون المسلمين من ذلك فلما رأى المسلمون ذلك تأخروا عن النهر فغير المشركون اليهم فاقتلوا اعظم قتال فانهزم المشركون الى النهر فأخذهم السيف والاسر فغن عبر النهر سلم واسر جماعة من ملوكهم وقامصتهم وعاد الفرنج ولزموا جانب النهر ينعون المسلمين من جوارحه فبقوا كذلك ثلاثة عشر يوما يقتتلون كل يوم فجاءت الامطار وزاد النهر وتعذر جوارحه فقتل عبدالكريم عنهم وفي سنة احدى ومائتين وقع انتفاض في الديلم فسير المأمون عبدالله بن خر داذبه والى طبرستان فافتتح جبال طبرستان واسر ملك الديلم واشخصه الى المأمون وفي سنة ست ومائتين توفي الحكيم صاحب الاندلس وقام بالامر بعده ابنه عبدالرحمن الاوسط وفي هذه السنة غز المسلمون من افر يقية جزيرة سردانية ففتحوا واصابوا من الكفار واصيب منهم ثم عادوا في سنة ثمان ومائتين سير عبد الرحمن بن الحكيم صاحب الاندلس جيشا الى الافرنج واستعمل عليه الوزير عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث فساروا الى البية والقلاع فنهبوا بلاد البية واحرقوها وحاصروا عدة من الحصون ففتحوا بعضها وصالحه بعضها على مال واطلاق الاسرى من المسلمين فغنم اموال الجيلة القدر واستبقذوا من اسارى المسلمين وسبيهم كثيرا وعادوا سالمين وفي سنة عشر ومائتين سير عبدالرحمن بن الحكيم ايضا جيشا الى بلاد الافرنج واستعمل عليه ابنه عبدالله المعروف بابن البلمنسي فسار ودخل بلاد العدو وتردد فيها بالغارات والسبي والقتل والاسر ولقي جيوش الاعداء في ربيع الاول فاقتلوا وانهزم المشركون وكثر القتل فيهم وكان فتحا عظيما وفيها افتتح عسكر سيرة عبدالرحمن ايضا حصن القلعة من ارض العدو وتردد فيها بالغارات منتصف شهر رمضان وفي سنة ثني عشرة ومائتين

سير عبدالرحمن ايضا جيشا الى بلاد الافرنج فوصلوا الى برشلونة ثم ساروا الى جرندة
وقاتل اهلها فاقام الجيش شهرين يهيبون ويقتلون ويخربون ثم رجعوا وفي هذه السنة
سير زبادة الله بن ابراهيم بن الاغلب عامل المأمون على افرقية جيشا في البحر الى جزيرة
صقلية وكان الروم تغلبوا عليها فلما وصلوا اليها ملكوا كثيرا منها ثم امد الروم قسطنطين
ملكهم بجيوش ووقعت وقائع كثيرة ثم كان النصر للمسلمين وقتلوا من الروم خلقا كثيرا

ذكر غزوة المأمون الى الروم

في سنة خمس عشرة ومائتين سار المأمون الى الروم في المحرم وانتهى الى طرسوس ودخل
منها بلاد الروم في جمادى الاولى ودخل ابنه العباس من ملطية فاقام المأمون على حصن قرة
حتى افتتحه عنوة وهدمه وقبل ان اهله طلبوا الامان فأمّنهم وفتح قبله حصن ماجدة ووجه
اشناس الى حصن سندس فأتاه برئيسه ووجه عجيف بن غنبة وجعفر الخياط الى صاحب
حصن سناذ فسمع واطاع ثم رجع المأمون وفي سنة ست عشرة ومائتين عاد المأمون الى بلاد
الروم وسبب ذلك انه بلغه ان ملك الروم قتل القسا وستائة من اهل طرسوس والمصيصة
فسار حتى دخل ارض الروم وقيل ان سبب دخوله ان ملك الروم كتب اليه بدأ بنفسه فسار
ولم يقرأ كتابه فلما دخل ارض الروم اتاخ على انطيعوا فخرجوا على صلح ثم سار الى هرقله
فخرج اهلها على صلح ووجه اخاه المعتصم فافتتح ثلاثين حصنا ومطمورة ووجه يحيى
ابن اكنم من طوانة فأغار وقتل واحرق واصاب سببا ورجع ثم سار المأمون الى كيسوم
فاقام بها يومين ثم ارتحل الى دمشق ثم الى مصر ثم رجع الى الروم سنة سبع عشرة ومائتين
فأتاخ على لؤلؤة وهي اسم لخصن مائة يوم ثم رحل عنها وترك عجيفا عليها فخدع واسر ثمانية
ايام ثم اطلق ثم جاء ملك الروم فحاط بعجيف فبعث اليه المأمون الجنود فارتحل ملك الروم
وخرج اهل لؤلؤة الى عجيف بامان وارسل ملك الروم يطلب المهادنة فلم يتم ذلك وفي سنة
ثمانية عشر ومائتين توفي المأمون وهو في بلاد الروم عند نهر البندنون وحل الى طرسوس
فدفن بها وبوع اخوه المعتصم بوصية منه وعهد اليه وفي هذه السنة دخل كثير من اهل
همدان واصفهان وماسبذان وغيرها في دين الخزمية ونجمعوا ففسكروا في عمل
فوجه اليهم المعتصم العساكر وعليهم اسحاق بن ابراهيم بن مصعب فوقع بهم في
اعمال همدان وقتل منهم ستين الفا وهرب الباقون الى بلاد الروم والخزمية فرقة من المجوس
يعتقدون مذهب التناسخ وان الارواح تنتقل من حيوان الى غيره والرجل منهم ينكح امه
واخته وبنته ورئيسهم بابك الخزمي وكان للمعتصم معهم وقائع يطول الكلام بذكرها الى
ان اباد كثيرا منهم بالقتل والاسر

ذكر خروج الروم الى زبطرة ٢

في سنة ثلاث وعشرين ومائتين خرج ملك الروم الى بلاد الاسلام واوقع باهل زبطرة
وغيرها قبل انه خرج في مائة الف وقيل اكثر من ذلك فقتل اهل زبطرة الرجال وسبي
الذرية والنساء واغار على اهل ملطية وغيرها من حصون المسلمين وسبي المسلمين ومثل

زبطرة كقطرة بكسر القاف وفتح الباء وسكون الطاء بلدة بين ملطية وبيضا طاه مؤلف

عن صار في يده من المسلمين وسمل اعينهم وقطع انوفهم وآذانهم ففر الى قتالهم اهل الشفور
من الشام والجزيرة الامن لم يكن له دابة ولا سلاح

✽ ذكر فتح عمورية وهى بروسة ✽

لما خرج ملك الروم وفعل في بلاد الاسلام ما فعل بلغ الخبر المعتصم فاستعظمه وكتب
اليه وبلغه ان امرأة هاشمية صاحت وهى اسيرة فى ايدى الروم وامعتصماه فاجابها
وهو جالس على سريره لبيك لبيك ونهض من ساعته وصاح فى قصره النفير النفير وبلغه
ان عمورية عين النصرانية واشرف عندهم من القسطنطينية فتنجهز بما لم يمهّد من السلاح
وحياض الادم وغير ذلك وفرق عساكره ثلاث فرق فخر بوا بلاد الروم وقتلوا كثيرا
واحرقوا ووصلوا الى انقورية ثم اجتمعوا فى عمورية وحاصروها ونصبوا عليها الجانيق
وكانت فى غاية الحصانة وقد ذكر الشيخ محبى الدين بن العربى فى كتابه المسمى بالسامرة فتح
عمورية فقال فتحها المعتصم فى رمضان سنة ثلاث وعشرين ومائتين وسبب فتحها ان رجلا
وقف على المعتصم فقال يا مير المؤمنين كنت بعمورية وجارية من احسن النساء اسيرة قد لطمها
علج فى وجهها فنادت وامعتصماه فقال العليج وما يقدر عليه المعتصم يحى على ابلق ينصرك
وزاد فى ضربه فقال المعتصم وفى اى جهة عمورية فقال له الرجل هكذا و اشار الى جهتها
فرد المعتصم وجهه اليها وقال لبيك ايها الجارية لبيك هذا المعتصم بالله اجابك ثم تجهز اليها
فى اثني عشر الف فرس ابلق وفى هذه التلبية يقول له فى قصيدة ابوقام حبيب الطائي

✽ لبيت صوتا رطيبا قد هزقت له ✽ كاس الكرى ورضاب الخرد العرب ✽

فلما حاصرها وطال مقامه عليها جمع المنجمين فقالوا له ان انا رى انك ما تفتحها الا فى زمان نضج
العنب والتين فبعد عليه ذلك واغتم لذلك فخرج ليلة متجسسا فى العسكر يسمع ما يقول الناس
فربخيمة حداد يضرب دعال الخيل وبين يديه غلام اقرع قبيح الصورة يضرب دعال الخيل ويقول
فى رأس المعتصم فقال له معلم اتركنا من هذا مالك والمعتصم فقال ما عنده تدبير له كذا وكذا
يوم على هذه المدينة مع قوته ولا يفتحها لو اعطاني الامر ما بات غدا الا فيها فتعجب المعتصم
مما سمع وانصرف الى خيامه وترك بعض رجاله موكلا بالغلام فلما اصبح جاءه به فقال ما حدث
يا هذا على ما بلغنى عنك فقال الذى بلغك حق وانى ما وراء خيائك وقد فتح الله عمورية فقال
قد وابتك وخلع عليه وقدمه على الحرب فجمع الرماة واختار منهم اهل الاصابة وجاء الى بدن
من ابدان الصور وفى البدن من اوله الى آخره خط اسود من خشب عرضه ثلاثة اشبارا واكثر
لحمى السهام بالنار وقال للرماة من اخطأ منكم ذلك الخط الاسود ضربت عنقه واذا بذلك الخط
خشب ساج فعند ما حصلت فيه السهام المحمية قام النار فيه واحترق فنزل البدن كما هو
وتحاضى الرجال ودخل البلد بالسيف وذلك قبل الزمان الذى ذكره المنجمون وفى ذلك
يقول ابوقام حبيب الطائي فى قصيدته التى امتدح بها المعتصم عند فتحه عمورية

✽ السيف اصدق انباء من الكتب ✽ فى حده الحدين الجد واللعب ✽

✽ بيض الصفائح لاسود الصفائح فى ✽ متونهن جلاء الشك والريب ✽

الى آخر ما ذكره في القصيدة فلما دخلها ومعه الرجل الذي بلغه حديث الجارية قال له سرني الى الموضع الذي رأيتها فيه فسار به واخرجها من موضعها وقال لها يا جارية هل اجابك المعتصم وملكها العليج الذي لطمها والسيد الذي كان يملكها وجميع ماله واخذ السيف الروم واقبل الناس بالاسرى والسبي من كل وجه واقام عليها خمسة وخمسين يوما وفرق الاسرى على القواد وسار الى نحو طرسوس ثم رجع الى دار ملكه

﴿ ذكر غزوات زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب عامل افر بقة ﴾

قد تقدم ذكر غزوة من غزواته سنة ثنتي عشرة وما ثنين ثم كانت له غزوة في سنة ثلاث عشرة وكذا في سنة اربع عشرة وهكذا الى سنة ثلاث وعشرين وما ثنين والكلام على تفصيل تلك الغزوات طويل وفي اكثرها كان النصر للمسلمين وتوفي زيادة الله المذكور سنة ثلاث وعشرين وولى بعده اخوه الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب وسير سرية سنة اربع وعشرين الى صقلية فغمت وسلمت وفي سنة خمس وعشرين استأمن عدة حصون الى المسلمين من جزيرة صقلية منها حصن البلوط وقرلوره ومرو وسار اسطول المسلمين الى قلوريه ففتحها ولقي اسطول صاحب القسطنطينية فهزمه بعد قتال فعاد الاسطول الى القسطنطينية مهزوما فكان فتحا عظيما وفي سنة ست وعشرين وما ثنين سارت سرية للمسلمين بصقلية الى قصر يانة فغمت واحرقت وسبت فلم يخرج اليهم احد فسارت الى حصن الغيران وهو اربعون غارا فغمت جميعها وفي سنة ثلاث وعشرين سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا الى البلة والقلاع فزلوا حصن القرات وغنموا ما فيه وقتلوا اهله وسبوا النساء والذرية وعادوا وسير جيشا ايضا في سنة اربع وعشرين فكان بينهم وبين المشركين حرب شديدة فانهمز المشركون وقتل منهم ما لا يحصى وفعل مثل ذلك سنة خمس وعشرين وما ثنين وفي سنة اربع وعشرين نقض كثير من اهل طبرستان فجهز المعتصم عليهم الجيوش وقتلهم وقتل كثيرا منهم واسر آخرين حتى رجعوا الى الطاعة وتوفي المعتصم سنة سبع وعشرين وما ثنين وبويع ابنه الواثق وفي هذه السنة سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا الى ارض العدو فلما كانوا بين اربونة وبلطانية نجحت الروم عليهم واحاطوا بالعسكر وقتلوهم الليل كله فلما اصبحوا انزل الله عليهم على المسلمين وهزم عدوهم وفي هذه السنة ايضا سير عبد الرحمن بن الحكم جيشا الى بلطانية المعروف بابن البلنسي الى بلاد العدو فوصلوا الى البلة والقلاع فخرج اليه المشركون في جمعهم وكان بينهم حرب شديدة وقتال عظيم فانهمز المشركون وقتل منهم ما لا يحصى وجمعت الرؤس اكداسا يجمعونها بعضها فوق بعض حتى كان الفارس لا يرى من يقابله وفيها خرج ملكهم لذريق في عسكره واراد الغارة على مدينة سالم من الاندلس فسار اليه فرتون بن موسى في عسكر جرار فلقه وقتله فانهمز لذريق وكثر القتل في عسكره وسار فرتون الى الحصن الذي كان بناه اهل البسة ورآه تغور المسلمين فحصره واقتحمه وهدمه

﴿ ذكر غزوات بأفريقية ﴾

وفي سنة ثمان وعشرين وما ثنين غزا في البحر بأفريقية الفضل بن جعفر الهمداني فزل

مرسى مسيني و بث السرايا فغنموا غنائم كثيرة واستأمن اليه اهل نابل وصاروا معه وقاتل الفضل الروم الذين بها مدة سنتين واشتد القتال فلم يقدر على اخذها فغضى طائفة من العسكر واستداروا خلف جبل مطل على المدينة فصعدوا اليه ونزلوا الى المدينة و اهل البلد مشغولون بقتال الفضل بن جعفر ومن معه فلما رأى اهل البلد ان المسلمين دخلوا عليهم من خلفهم انهزموا وفتح البلد وفتح ايضا مدينة مسكان وفي سنة تسع وعشرين ومائتين خرج ابو الاغلب العباس بن الفضل في سرية فبلغ شرة فقاتله اهلها قتالا شديدا فانهرمت الروم وقتل منهم ما يزيد على عشرة آلاف رجل واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر ولم يكن بصقلية مثلها وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين حصر الفضل بن جعفر مدينة مسيني فاخبر الفضل ان اهل مسيني كاتبوا البطريرق الذي بصقلية لينصرهم فاجابهم وقال لهم ان العلامة عند وصولي ان توقد النار ثلاث ليال على الجبل الفلاني فاذا رأيتم ذلك في اليوم الرابع اصل اليكم فاجتمع انا وانتم على المسلمين بغتة فارسل الفضل من اوقد النار على ذلك الجبل ثلاث ليال فلما رأى اهل مسيني النار اخذوا في امرهم واعد الفضل ما ينبغي ان يستعديه ولكن الكهنة و امر الذين يحاصرون المدينة ان ينهزموا الى جهة الكمين فاذا خرج اهلها عليهم قاتلوهم فاذا جاوزوا الكمين عطفوا عليهم فلما كان اليوم الرابع خرج اهل مسيني وقاتلوا المسلمين وهم ينتظرون وصول البطريرق فانهم المسلمون واستجروا الروم حتى جاوزوا الكمين ولم يبق بالبلد احد الا خرج فلما جاوزوا الكمين عاد المسلمون عليهم وخرج الكمين من خلفهم ووضعوا السيف فيهم فلم ينج منهم الا القليل فسألوا الايمان على انفسهم واموالهم ليسلوا المدينة فاجابهم المسلمون الى ذلك وأمنوهم وسلوا المدينة وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وصل عشر سلميديات من الروم فارسوا برسى الطين وخرجوا ليعبروا ففضلوا الطريق فرجموا خائبين وركبوا البحر راجعين فغرق منها سبع قطع وفي سنة اربع وثلاثين ومائتين صالح اهل رغوس وسلوا المدينة الى المسلمين بما فيها فهدمها المسلمون واخذوا منها ما امكن حمله وفي سنة خمس وثلاثين سار طائفة من المسلمين الى مدينة قصر يانة فغنموا وسبوا واحرقوا وقتلوا في اهلها وكان الامير على صقلية للمسلمين محمد بن عبد الله بن الاغلب وكان مقما بمدينة بلرم ولم يخرج منها وانما كان يخرج الجيوش والسرايا فتفتح وتغنم وكانت امارته عليها تسع عشرة سنة وتوفي سنة ست وثلاثين ومائتين وفي سنة ثمان وعشرين ومائتين بعث عبدالرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا عليهم الحارث بن بزيع لقتال الافرنج فوقع القتال واصاب الحارث ضربة في وجهه فلعنت عينه ثم اسر فجهازه عبدالرحمن بن الحكم جيشا واستعمل عليه ابنه محمدا فوقع بالافرنج وقتل ملكهم غرسية وكثيرا من قومه واطلق الحارث بن بزيع وفي سنة ثلاثين ومائتين خرج جماعة كثيرون في بحر الاندلس من الجيوش واوقعوا بالمسلمين في مدائن كثيرة فجهازهم عبدالرحمن بن الحكم جيوشا كثيرة مع قواده فقاتلوا الجيوش قتالا شديدا وهزموهم وقتلوا كثيرا منهم في وقائع كثيرة وفي سنة احدى وثلاثين ومائتين بعث الواثق جيشا لقتال الروم فقصدا وجلبية وقتلوا واسروا وسبوا وغنموا ثم قصدوا مدينة اليون فحاصروها ورموها بالمجانيق فخاف اهلها فتركوها بما فيها

وخرجوا هاربين بين فئم المسلمين منهم ما اردوا واخربوا البلاد ولم يقدر واعلى هدم سورها لان غرضه سبع عشرة ذراعا فتركوه ومضوا وقد ثلوا فيه ثلثا كثيرة وفي هذه السنة امر الواثق بفداء المسلمين واجتمع المسلمون والروم على نهر اللامس واحضر المسلمون من معهم من الاسرى واحضر المشركون من معهم من الاسرى وكان النهر بين الطائفتين فكان المسلمون يطلقون الاسير فيطلق الروم الاسير من المسلمين فيلتقيان في وسط النهر ويأتي كل الى اصحابه فاذا وصل الاسير الى المسلمين كبروا واذا وصل الاسير الى الروم صاحوا حتى فرغوا وكان النهر مخاضة تعبهم الاسرى وكان عدة اسرى المسلمين اربعة آلاف واربع مائة وستين نفسا ومن النساء والصبيان ثمانمائة نفس والمحقق بالمسلمين من اهل الذمة مائة نفس ولما فرغوا من الفداء غزا اجد بن سعيد بن مسلم الباهلي المقدم في امر الفداء شاتيا فاصاب الناس ثلج ومطرفات من المسلمين مائتا نفس واسر نحوهم وغرق بالبدن ون خلق كثير وجاء بطريق من الروم يذره فقال وجوه الناس لاجد ان عسكرا فيه سبعة آلاف لا تتخوف عليهم فان كنت كذلك فواجه القوم واطرق بلادهم ففعل وغنم نحو من الف بقرة وعشرة آلاف شاة ورجع فغزله الواثق واستعمل مكانه نصر بن حزة الخزاعي وتوفي الواثق سنة اثنين وثلاثين وبويع اخوه المنوكل بن المعتصم وفي سنة خمس وثلاثين سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا كشيفا لقتال الافرنج فبلغوا البة وغنموا وظفروا وفي سنة ست وثلاثين سير جيشا الى برشلونة فقتلوا من اهلها فاكثروا واسروا جبا غفيرا وغنموا وعادوا سالمين وكذا في سنة سبع وثلاثين وتوفي الحكم سنة ثمانية وثلاثين وقام بالامر بعده ابنه محمد

ذكر غزوات وفتوحات بأفريقية

قد تقدم ان ابتداء فتوح المسلمين لأفريقية كان في خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه على يد عبد الله بن سعد بن ابي سرح سنة عشر من الهجرة ولما كانت خلافة هارون الرشيد ولي على أفريقية ابراهيم بن الاغلب التحمي سنة اربع وعشرين ومائة وتوارث بنوه بعده عمالا خلفاء بني العباس واستمر ذلك فيهم الى سنة مائتين وست وتسعين فزالت وصار ملك أفريقية لأفطيميين ويقال لهم العبيديون فكانت مدة ملك بني الاغلب مائة سنة وستة اشهر وكان مقر ملكهم القيروان واتسع ملكهم وقوى بأفريقية وصار لهم ثمانية عشرة وخيل وجنود وافرة وملك ضخم ومراكب في البحر ولهم كثير من المآثر المحمودة والمواقف المشهودة والغزوات الكثيرة والفتوحات الشهيرة وقد تقدم ذكر كثير منها وسيأتي غيرها واكثر فتوحات أفريقية كان على ايديهم ٨ وتقدم ان اول من اختط مدينة القيروان عقبة بن نافع القهري رضي الله عنه ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم تثبت له صحبة وكان صالحا من كبار التابعين وخيارهم وكان خطه القيروان سنة خمس من الهجرة حين كان اميرا على أفريقية في خلافة معاوية رضي الله عنه فلما اختطها صارت قاعدة أفريقية ومقر ملكها ثم بعد سنين كثيرة صارت مدينة تونس بدلا عنها وأفريقية بلاد واسعة قال في القاموس ان أفريقية قبالة الاندلس وقال السيد مرتضى في شرحه على

ومن ما روي عن ابن الاغلب ان احد أمرهم اجد بن محمد بن الاغلب بن بارض افريقية عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس وابواب الحديد والكلس بالكسر كما في القاموس الصاروخ وهو التوراه اه مؤلف

القاموس ان افريقية قبالة جزيرة صقلية منحرفة الى الشرق والاندلس منحرفة عنها الى
جهة الغرب وصقلية بكمرات مشددة اللام جزيرة عظيمة بالمغرب كثيرة البلدان والقرى
والمواشي افتتح المسلمون كثيرا من مدائنها وقراها بعد غزوات كثيرة وكان اول الغزو اليها
زمن ولاية معاوية بن حديج على افريقية في خلافة معاوية رضى الله عنه ولم يفتحها
وتتابع الغزو اليها في زمن ولاية بنى الاغلب من اول دولتهم الى آخرها وتلكوا اكثر الجزيرة
ولم يزل الفتح فيها والغزو اليها ولم يتم فتحها الى ان انقضت ولاية بنى الاغلب سنة مائتين
وست وتسعين وجزيرة صقلية الآن داخلية في ممالك ايطاليا واعلم ان المغرب يشتمل على
ثلاث ممالك عظام وهى المغرب الادنى والمغرب الاوسط والمغرب الاقصى فالمغرب الادنى
القيروان وتونس وطرابلس المغرب واعمال كل منها والمغرب الاوسط تلمسان والجزائر
واعمالها وذلك الآن بيد الفرنسيس تملكوه من سنة الف ومائتين وست واربعين والمغرب
الاقصى فاس ومراكش والسوس واعمال كل منها وذلك الآن بيد سلطان فاس وانما قيل
لذلك المغرب الاقصى لانه ابعد عن دار الخلافة في صدر الاسلام وكان قبل استحداث مدينة
تونس موجود مدينة عظيمة تسمى (قرطاجنة) بتشديد النون المفتوحة وكانت مدينة شهيرة
من عجائب الدنيا وكانت عند الروم تضاهى مدينة روم وكان بها كثير من ملوك الفرنج
ومعهم من الفرنج ائمة لا تحصى فغزاها المسلمون سنة تسع وستين من الهجرة بأمر بعين الفياض
الجند اميرهم حسان بن النعمان في خلافة عبد الملك بن مروان فحاصرها حسان بن النعمان
عين معه من الجند الى ان افتتحها وقتل كثيرا من كان فيها ونجا قوم منهم في المراكب الى
جزيرة صقلية وقوم منهم الى الاندلس ولما انصرف عنها حسان بن النعمان دخلها قوم من
اهل الضواحي والبادية وتحصنوا بها فرجع اليهم حسان وقتلهم اشد قتال وافتتحها
عنوة وأمر بتخريبها واعفاء اثرها وكسر قوتها فذهبت كأمس الدار ولم يبق بها الا آثار
خفية تدل على ما كان فيها من عجائب الصنعة واحكام العمل وعمر بألقاضها مدينة تونس
بالقرب منها ومن غزوات بنى الاغلب غزوة لزيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب في سنة مائتين
والثنتين جهز جيشا في مراكب في البحر الى مدينة سردانية وهى جزيرة كبيرة ببحر
المغرب كانت للروم فغفموا وقتلوا كثيرا ورجعوا سالمين وفي سنة سبع ومائتين سير جيشا
ففتحوا مواضع من جزيرة صقلية وسير ايضا جيشا في سنة ثمانى عشرة ففتحوا ايضا
مواضع كثيرة من جزيرة صقلية ثم وقع اختلاف بين ملوك الروم الذين كانوا في صقلية
فاستنجد بعض منهم بزيادة الله بن الاغلب ووعدوه بأنه يملكه جزيرة صقلية فسير معه
جيشا في ربيع الاول من سنة ثمانى عشرة ومائتين فوصلوا الى مدينة مازر من صقلية ثم
ساروا فلقبهم جمع من الروم فقاتلهم المسلمون قتالا شديدا فانهزمت الروم وقتل كثير منهم
وغنم المسلمون اموالهم ودوابهم واستولى المسلمون على عدة حصون من الجزيرة ثم توجهوا
الى حصار قصر يانة وهى من جزيرة صقلية وبث المسلمون سرايا في كل ناحية فغفموا
شيئا كثيرا وافتتحوا عمراناً كثيرة حول سرقوسة وحاصروا سرقوسة براً وبحراً ولحقهم
الامداد من افريقية فضيقوا على سرقوسة فوصل اسطول من القسطنطينية فيه جمع كثير

من الروم مدد الجملعاتهم وذلك في سنة ثلاث عشرة ومائتين وكان قد حل بالمسلمين وباء شديد هلك فيه كثير منهم فلما رأى المسلمون شدة الوباء ووصول الروم تحمل المسلمون في مراكزهم ليسيروا ويتركوا الحصار فوق الروم في مراكزهم على باب المرسى فنعوا المسلمين من الخروج فلما رأى المسلمون ذلك احرقوا مراكزهم وعادوا ورحلوا الى مدينة ميناو فحاصروها ثلاثة ايام وتسلموا الحصن وسار طائفة منهم الى حصن جرجنت فقاتلوا اهله وملكوه وسكنوا فيه واشتدت نفوس المسلمين بهذا الفتح وفرحوا ثم ساروا الى مدينة قصر يانة ووصل جيش كثير من القسطنطينية مددا لمن في الجزيرة فتصافوا هم والمسلمون واقتتلوا فانهزم الروم وقتل منهم خلق كثير ودخل منهم من سلم قصر يانة ثم ان سرية للمسلمين سارت للغمية فخرج عليها طائفة من الروم فاقتتلوا وانهزم المسلمون وعادوا من الغد ومعهم جمع من عسكر المسلمين فخرج اليهم الروم وقد اجتمعوا وحشدوا وتصافوا مرة ثانية واقتتلوا فانهزم المسلمون ايضا وقتل منهم نحو الف قتيل وعادوا الى معسكرهم وخندقوا عليهم فحصرهم الروم ودام القتال بينهم فضاعت الافوات على المسلمين فعزموا على بيت الروم فغلبوا بهم ففسار قوا الحيام فلما خرج المسلمون لبيت الروم لم يجدوا احدا واقبل عليهم الروم من كل ناحية فاكثروا القتل في المسلمين وانهزم الباقون من المسلمين ودخلوا ميناو فحصرهم الروم ودام الحصار على المسلمين حتى اكلوا الدواب والكلاب فلما سمع بذلك من في مدينة جرجنت من المسلمين هدموا المدينة وساروا الى مازر ولم يقدرروا على نصرة اخوانهم من المسلمين ودام الحال الى ان دخلت سنة اربع عشرة ومائتين وقد اشرف المسلمون على الهلاك اذا قبل اسطول كثير من المسلمين الذين في الاندلس خرجوا غزاة ووصل ايضا في ذلك الوقت مراكز كثيرة من افريقية مددوا المسلمين فبلغت عدة الجميع ثلاثمائة مركب فزلوا الى الجزيرة فانهزم الروم عن حصار المسلمين وفرح الله عنهم وسار المسلمون الى مدينة بلرم وكانت للروم فحاصروها وضيقوا على من بها فطلب صاحبها الامان لنفسه ولاهله ولماله فاجيب الى ذلك وسار في البحر الى بلاد الروم ودخل المسلمون البلد في رجب سنة ست عشرة ومائتين فلم يروا فيه الاقل من ثلاثة آلاف انسان وكان فيه لما حصروه سبعون الفا وماتوا كلهم وبقى المسلمون الى سنة تسع عشرة ومائتين ثم ساروا الى مدينة قصر يانة فخرج اليهم من كان فيهم من الروم فاقتتلوا اشد قتال ففتح الله على المسلمين وانهزم الروم الى معسكرهم ثم رجعوا في الربيع فقاتلوهم فنصر الله المسلمين ايضا ثم سار المسلمون ايضا سنة عشر بن الى قصر يانة فقاتلهم الروم فهزمهم الله تعالى واتصر المسلمون عليهم واسرت امرأة لبطريقهم وابن له وغنم المسلمون ما كان في معسكرهم وعادوا الى بلرم ثم ساروا عسكرا الى ناحية طبرمين فغنموا غنائم كثيرة ثم عاد بعض عسكر المسلمين على امير المسلمين وهو محمد بن سالم فقتلوه ولحقوا بالروم فارسل زيادة الله بن الاغلب من افريقية الفضل بن يعقوب عوضا عنه فسار في سرية الى ناحية سرقوسة فاصابوا غنائم كثيرة وعادوا ثم سارت سرية كبيرة فغنمت وعادت فعرض لهم الملك صاحب صقلية ومعه جمع كثير من الروم فتحصنوا من الروم في ارض وعرة وشجر كثيف فلم يتمكن الملك من قتالهم وواقفهم الى العصر فلما رأى انهم لا يقاتلونهم عاد عنهم فتفرق اصحابه وتركوا التعبئة فلما رأى المسلمون ذلك حملوا

عليهم حلة صادقة فانهزم الروم وطعن الملك وجرح عدة جراحات وسقط عن فرسه فأتاه
حياة أصحابه واستنقذوه جريحا وجلوه وغنم المسلمون مامعهم من سلاح ومتاع ودواب
فكانت وقعة عظيمة وسير زيادة الله بن الأغلب من إفريقية إلى صقلية أبا الأغلب إبراهيم بن عبد
الله أميراً على تلك الجيوش فوصل إليهم منتصف رمضان فبعث أسطولاً فلقوا جمعاً للروم
في أسطول فغنم المسلمون مافيته من مال وأسروا مافيته من رجال فضرب أبو الأغلب رقاب كل
من فيه وبعث أسطولاً آخر إلى قوصرة فظفر بحراقة فيها رجال من الروم ورجل من أهل
إفريقية كان مسلماً فتصرفت فيهم فضربت رقابهم وسارت سرية أخرى إلى جبل النار
والحصون التي في تلك الناحية فأحرقوا الزرع وغنموا واكثروا القتل ثم سير أبو الأغلب سنة
أحدى وعشرين ومائتين سرية إلى جبل النار أيضاً فغنموا غنائم عظيمة حتى بيع الرقيق
بأخمس الأثمان وعادوا سالمين وفيها سير أبو الأغلب أيضاً سرية إلى قسطنطينة فغنموا وسبوا
ولقيهم العدو فكانت بينهم حرب استظهر فيها الروم وفيها أيضاً جهز أسطولاً فساروا نحو
الجزائر فغنموا غنائم عظيمة وفتحوا مدناً ومعامل وعادوا سالمين وفيها أيضاً سير سرية إلى
مدينة قصر يانة فخرج إليهم العدو فاقتتلوا فانهزم المسلمون وأصيب منهم جماعة ثم كانت
وقعة أخرى بين الروم والمسلمين فانهزم الروم وغنم المسلمون منهم تسعة مراكب كبار
رجالها وشلندى فلما جاء الشتاء وأظلم الليل رأى رجل من المسلمين غفلة من أهل قصر يانة
فتقرب ورأى طريقاً فدخل منه ولم يعلم به أحد ثم انصرف إلى العسكر فأخبرهم بما فرأى معه
فدخلوا من ذلك الموضع وكبروا وملكوا أرضه وتحصن المشركون منهم بحصنه وطلبوا
الامان فامنواهم وغنم المسلمون غنائم كثيرة وعادوا إلى بلرم وفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين
وصل كثير من الروم في البحر إلى صقلية وكان المسلمون قد حاصروا جفعلو ذى وقد طال حصارها
فلما وصل الروم رحل المسلمون عنها وجرى بينهم وبين الروم الواصلين حروب كثيرة
ثم جاء للمسلمين الخبر بوفاة زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقية فوهن المسلمون ثم
تجمعوا وضبطوا أنفسهم (سرقوسة) بسين مفتوحة وقاف وواو وسين ثانية (و بلرم) بفتح الباء
الموحدة واللام وتسكين الراء وبعدها ميمو (ميناء) بيم وباء تحتها نقطتان ونون وبعدها ألف
واو (جرجنت) بجيم ذرا وبجيم ثانية مفتوحة وتاء فوقها نقطتان و (قصر يانة) بالقاف والصاد
المهملة والراء والياء تحتها نقطتان وبعدها ألف نون مشددة وهاء وهذه الغزوات هي التي
ذكرت بمجلة قبل هذا الموضع بورقة استحسن تدارك ذكرها تفصيلاً لما شتمت عليه من الفوائد
ولما توفي محمد بن عبد الله أمير صقلية سنة ست وثلاثين كما تقدم اجتمع المسلمون بها على ولايته
العباس بن الفضل بن يعقوب فولوه أمرهم وكتبوا بذلك إلى محمد بن الأغلب أمير إفريقية
فأرسل إليه عهداً بولايته فكان العباس يرسل المرابيا وتأتيه الغنائم إلى أن أتاه عهده
بولايته فخرج بنفسه وأرسل سرية إلى قلعة أبي ثور فغنموا وأسروا وعادوا فقتل الأسرى
ثم توجه إلى مدينة قصر يانة فنهب وأحرق وخرب ليخرج إليه البطريق فلم يفعل فعاد
العباس وفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين خرج حتى بلغ قصر يانة وهي المدينة التي بهادار
الملك بصقلية وكان قبلها يسكن سرقوسة فلما ملك المسلمون بعض الجزيرة نقل دار الملك

الى قصر يانة لحصانتها فخرج العباس ومعه جمع عظيم فغنم وخرب واتي قطانية وسرقوسة ونوطس ورغوس فغنم من جميع هذه البلاد وخرب واحرق ونزل على شيرة وحصرها خمسة اشهر فصالحه اهلها على خمسة آلاف رأس وفي سنة اثنتين واربعين سار العباس في جيش كثيف ففتح حصونا جة وفي سنة ثلاث واربعين سار الى قصر يانة فخرج اهلها فلقوه فهزمهم وقتل فيهم فاكثر وقصد سرقوسة وطبرمين وغيرهما فنهب وخرب واحرق ونزل على القصر الجديد وحصره وضيق على من به من الروم فبذلوا له خمسة عشر الف دينار فلم يقبل منهم واطال الحصر فسلموا اليه الحصن على شرط ان يطلق مائتي نفس فأجابهم الى ذلك وملكه و باع كل من فيه سوى مائتي نفس وهدم الحصن

ذكر فتح قصر يانة

في سنة اربع واربعين ومائتين فتح المسلمون مدينة قصر يانة وهي المدينة التي بهادار الملك بصقلية وكان الملك قبلها يسكن سرقوسة فلما ملك المسلمون بعض الجزيرة نزل دار الملك الى قصر يانة لحصانتها وسبب فتحها ان العباس سار في جيوش المسلمين الى مدينة قصر يانة وسرقوسة وسير جيشا في البحر فلقبهم اربعون شلندي للروم فاقتتلوا اشد قتال فانهزم الروم واخذ المسلمون منهم عشر شلنديات رجالها وعاد العباس الى مدينته فلما كان الشتاء سير سرية فبلغت قصر يانة فنهبوا وخربوا وعادوا وكان معهم اسير من الروم له عند الروم قدر ومزلة فامر العباس بقتله فقال استبقني ولك عندي نصيحة قال وما هي قال املكك قصر يانة والطريق في ذلك ان القوم في هذا الشتاء وهذه الثلوج آمنون من قصدكم اليهم فهم غير محتارين ترسل معي طائفة من عسكركم حتى ادخلكم المدينة فانتخب العباس النقي فارس انجادا ابطلا وسار الى ان تاربها وكن هناك مستترا وسير معه رباحا في شجعانهم فساروا مستخفين في الليل والرومي معهم مقيد بين يدي رباح فأراهم الموضع الذي ينبغي ان يملك منه فتصبوا السلام وصعدوا حتى وصلوا الى سور المدينة قريبا من الصبح والحرس نيام فدخلوا من باب صغير فيه يدخل منه الماء وتلقى فيه الاقذار فدخل المسلمون كلهم فوضعوا السيف في الروم وفتحوا الابواب وجاء العباس في باقي العسكر فدخلوا المدينة وصلوا الصبح بها يوم الخميس وبنى فيها في الحال مسجدا ونصب فيه منبرا وخطب فيه يوم الجمعة وقتل من وجد فيه من المقاتلة واخذوا ما فيها من بنات البطارقة بحليهن وابناء الملوك واصابوا فيها ما يعجز الوصف عنه وذل الشرك يومئذ بصقلية ذلا عظيما ولما سمع الروم بذلك ارسل ملكهم بطريقا من القسطنطينية في ثلاثمائة شلندي وعسكر كثير فوصلوا الى سرقوسة فخرج اليهم العباس من المدينة ولقي الروم وقاتلهم فهزمهم فركبوا في مراكبهم هاربين وغنم المسلمون منهم مائة شلندي وكثر القتل فيهم ولم يصب من المسلمين ذلك اليوم غير ثلاثة نفر بالنشاب وفي سنة ست واربعين ومائتين نكت كثير من قلاع صقلية فخرج العباس اليهم وقاتلهم فانهزم الروم وقتل كثير منهم وسار الى بعض القلاع التي نكتت فحصرها فأناه الخبر بأن كثيرا من عساكر الروم قد وصلت فرحل اليهم وجرى بينه وبينهم قتال

شديد فهزمهم وباد الى قصر يانة فحصبها وشحنها بالعساكر وفي سنة سبع واربعين ومائتين سار العباس الى سرقوسة فغنم وسار الى غير ان فرقة فاعتل ومات بعد ثلاثة ايام فنبشه الروم واحرقوه وكانت ولايته احدى عشرة سنة وادام الجهاد شتاء وصيفا وغزا ارض قلورية وانكبردة واسكنها المسلمين

ذكر مسير الروم الى ارض مصر

في سنة تسع وثلثين ومائتين في خلافة المتوكل جاءت ثلاثمائة مركب للروم مع ثلاثة رؤساء فاناخ احدهم في مائة مركب بدمياط وبينها وبين الشط شبيه بالبحيرة يكون ماؤها الى صدر الرجل فنجازها الى الارض آمن من مراكب البحر فجازه قوم فسلموا وغرق كثير من نساء وصبيان ومن كان بدعوة سار الى مصر وكان على معونة مصر عنبسة بن اسحاق الضبي فلما حضر العيد امر الجند الذين بدمياط ان يحضروا الى مصر فساووا منها فاتفق وصول الروم وهي فارغة من الجند فتهبوا واحرقوا وسبوا واحرقوا جامعاها واخذوا ما بها من سلاح ومتاع وغير ذلك وسبوا من النساء المسلمات والذميات نحو ستمائة امرأة وأوقروا سفنهم من ذلك وكان عنبسة قد حبس بسربن الا كشف بدمياط فكسر قيده وخرج يقاتلهم وتبعه جاعة وقتل من الروم جماعة وسارت الروم الى أشنوم تيس وكان عليه سور وبابان من حديد قد عملهما المعتصم فتهبوا اما فيه من سلاح واخذوا البايين ورجعوا ولم يعرض لهم احد وغزا الصائفة في هذه السنة على بن يحيى الارمني وفي سنة اربعين كان قتال بين محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس وبين الافرنج فكان النصر له عليهم وقتل منهم نحو ثمانية آلاف وفي سنة احدى واربعين قتلت تدورة ملكة الروم من اسرى المسلمين اثني عشر الفا فانها عرضت النصرانية على الاسرى فن نصرت ركنه ومن ابى قتلته وارسلت تطلب المفاداة لمن بقي منهم ففداهم المتوكل وكانوا سبعمائة وخمسة وثمانين رجلا ومن النساء مائة وخمسة وعشرين امرأة

ذكر اشارة الجحاة على مصر وبجاعة ارض النوبة والجحاة اهل تلك الارض

في سنة احدى واربعين اغارت الجحاة على ارض مصر وكانت قبل ذلك لا تغزو ابلاد الاسلام لهدنة قديمة وفي بلادهم معادن الذهب يؤدون منها الخمس الى اهل مصر فامتنعوا ايام المتوكل وقتلوا من وجدوه من المسلمين فلما بلغ الخبر المتوكل شاوور وزراره في امرهم فذكروا له انهم اهل بادية واهل ابل وشياه وان الوصول الى بلادهم صعب لانها مفاوز وبين ارض الاسلام وبينها مسيرة شهر في ارض قفر وجبال وعرة وأن كل من يدخلها من الجيوش يحتاج ان يتزود للمدة التي يتوهم انه يقيمها الى ان يخرج الى بلاد الاسلام فانهم جاوز تلك المدة هلك واخذتهم الجحاة باليدوان ارضهم لا ترد على سلطان شيئا فامسك المتوكل عنهم فطمعوا وزاد شرهم حتى خاف اهل الصعيد على انفسهم منهم فولى المتوكل محمد بن عبد الله القمي محاربهم وكتب الى عنبسة بن اسحاق عامل حرب مصر بازاحة علته واعطاه

الجند ما يحتاج اليه ففعل ذلك وسار محمد الى ارض البجاة وتبعه من يعمل في المعادن
والمتطوعة عالم كثير فبلغت عدتهم نحو من عشرين الفا بين فارس وراجل ووجه الى
القلزم فحمل في البحر سبعة مراكب موقورة بالذخيرة وامر اصحابه ان يوافوه بها في ساحل
البحر مما يلي بلاد البجاة وسار حتى جاوز المعادن التي يعمل منها الذهب وسار الى حصونهم
وقلاعهم وخرج اليه ملكهم وكان معه صنم من حجارة كهيفة الصبي يسجد له في جيش كثير
اضعاف من مع القمى وكانت البجاة على الابل فتحاربوا اياما وطاولهم البجاة لتفنى ازواد
المسلمين وعلو قاتهم فيأخذوهم بغير حرب فاقبلت تلك المراكب التي فيها الاقوات في البحر
ففرق القمى ما كان فيها في اصحابه فانتسعوا فيها فلما رأى ملك البجاة ذلك صدقهم القتال
وجمع لهم فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا وكانت ابلهم ذعرة تنفر من كل شيء فلما رأى القمى
ذلك جمع كل جرس في عسكره وجعلها في اعناق خيله ثم حملوا على البجاة فنفرت ابلهم
لاصوات الاجراس فحملتهم على الجبال والودية وتبعهم المسلمون قتلا واسرا حتى ادركهم
الليل ثم رجع الى معسكره ولم يقدر على احصاء القتلى لكثرتهم ثم ان ملكهم طلب الامان فامنه
على مملكته وبلاده فادى لهم الخراج للمدة التي كان منعها وهي اربعمائة سنين وسار القمى الى
المتوكل فخلع عليه وعلى اصحابه وفي هذه السنة اغارت الروم على عين زربة فأخذت من
كان بها اسيرا من الزط (الزط جبل من السودان طوال الاجسام) من نسائهم وذرارهم
ودوابهم وفي هذه السنة ايضا سير محمد صاحب الاندلس الجيوش الى غزو الافرنج فدخلوا
بلادهم ووصلوا الى البة والقلاع وافتتحوا بعض حصونها وعادوا وفي سنة اثنتين واربعين
خرجت الروم من ناحية ٣ سيمساط حتى قاربوا آمد وخرجوا من النفور الجزيرة فانهبوا
واسروا نحو من عشرة آلاف ثم رجعوا فخرج قوم من المتطوعة في آثارهم فلم يلحقوهم
وكتب المتوكل الى علي بن يحيى الارمني ان يسير الى بلادهم ثانيا ففعل وفي هذه السنة سير
محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس جيشا الى بلاد الافرنج فدخلوا الى برشلونة وحاربوا
قلاعها وجاوزوها الى ما وراء اعمالها ففتحوا كثيرا وافتتحوا حصنا من اعمال برشلونة يسمى
اجة من آخر حصون برشلونة وفي سنة اربع واربعين بعث المتوكل بغا الكبير في العساكر
الصائفة فدخل بلاد الروم فذو خها واكتسحها من سائر النواحي ورجع وفي سنة خمس واربعين
اغارت الروم على سيمساط فقتلوا وسبوا واسروا خلقا كثيرا وغزاعلى بن يحيى الارمني الصائفة
ومنع اهل لؤلؤة رئيسهم من الصعود اليها فبعث اليهم ملك الروم يضمن لكل رجل منهم الف
دينار على ان يسلموا اليه (لؤلؤة) قلعة للصقالبة فاصعدوا البطريق اليهم ثم اعطوا ارزاقهم
الفائنة وما ارادوا ثم سلموا البطريق ولؤلؤة الى بلكاجور فسيره الى المتوكل فبذل ملك الروم
في فدائه الف مسلم كانوا مأسورين عنده وفي سنة ست واربعين ايضا غزا عمر بن عبيد الله
الاقطع الصائفة فجاءوا بسبعة عشر الف رأس وغزا قرياس فجاء بخمسة آلاف رأس
وغزا الفضل بن قارن فافتتح حصن انطاكية وغزا بلكاجور فغنم سبا وغزا على بن يحيى
الارمني فاخرج خمسة آلاف رأس ومن الدواب والرمك والحجير نحو من عشرة آلاف رأس
في السنة كان الفداء على يد علي بن يحيى الارمني ففودى بألفين وثلاثمائة وسبعة وستين

نفسا وفي هذه السنة والتي قبلها خرج المجوس من بلاد الاندلس في مراكب الى بلاد الاسلام
فامر محمد بن عبد الرحمن صاحب البلاد باخراج العساكر الى قتالهم فوصلت مراكب
المجوس الى اشبيلية فحلت بالجزيرة ودخلت الى قتالهم واحترقت المسجد الجامع ثم حاربوا
الى العدو ثم تقدموا الى حائط افرنجية واغاروا واصابوا من النهب والسبي كثيرا ثم بصرهم
فلقيتهم مراكب محمد فقاتلوههم فاحرقوا مركبين من مراكب المجوس واخذوا مركبين
ثم مضى فمضى المجوس عند ذلك وجدوا في القتال واستشهد جماعة من المسلمين
ثم مضت مراكب المجوس حتى وصلت الى مدينة بلبونة فاصابوا صاحبها غرسة الفرنجي
فاقتدى نفسه منهم بتسعين الف دينار وفي هذه السنة غزا عامل طرسوس بلبونة فافتتح
حصن بيلسان وسبى اهله ثم كانت على المسلمين في اليوم الثاني وقعة استشهد فيها جماعة وفي
سنة سبع واربعين غزا محمد صاحب الاندلس في جيوش كثيرة بلبونة فوطى بلادها ودورها
وخربها ونهبها وقتل فيها كثيرا ففتح حصونا واسفرتون بن غرسة فحبسه بقرطبة
عشرين سنة ثم اطلقه وفي هذه السنة قتل المتوكل قتله خذمه الاتراك وبوبع ابنه المنتصر
ومات بعد ستة اشهر وبوبع المستعين بن المعتصم

✽ ذكر فتوحات وغزوات بافر بقية ✽

لمات توفي امير صقلية العباس بن الفضل سنة سبع واربعين ولى الناس عليهم ابنه عبد الله
وكتبوا الى الامير بافر بقية بذلك واخرج عبد الله السرايا ففتح قلاع متعددة وبعد خمسة
اشهر وصل من افريقية خفاجة بن سفيان اميرا على صقلية وكان وصوله سنة ثمان واربعين
فاكثر الغزوات والسرايا على الروم الذين بتلك النواحي وشن عليهم الغارات ففتح حصونا
كثيرة واستمر على ذلك الى سنة خمس وخسين وتوفي واقيم بعده ابنه محمد وكان الروم يحاصرون
مالطة فسير اليهم جيشا سنة ست وخسين فلما سمع الروم بذلك رحلوا ثم قتل محمد بن خفاجة
سنة سبع وخسين قتله خذمه الخصيان وهربوا فطلبهم الناس فادركوه فقتلوههم وفي سنة
ثمان واربعين ومائتين سار محمد بن الفضل بالاندرلس الى بلاد الروم ففتحها واربعة
فئاتهم المدد فنازلوا برشلونة وقاتلوا قتالا شديدا فلكوا ارباضها وبرجين من ابراج المدينة
فقتل من المشركين بها خلق كثير وسلم المسلمون وعادوا وقد غنموا وفي سنة ثمان واربعين غزا
وصيف التركي بلاد الروم ومعه اثنا عشر الفا فدخل بلاد الروم وافتتح حصن قرورية وفي
سنة تسع واربعين سير محمد صاحب الاندلس جيشا الى مدينة البة والقلاع من بلد الفرنج
فجالت الخيل في ذلك الثغر وغنمت وافتتحت بها حصونا منيعة وفي سنة تسع واربعين
ايضا غزا جعفر بن دينار الصائفة فافتتح حصنا ومطامير واستأذنه عمر بن عبد الله الاقطع
في السير الى بلاد الروم فأذن له فسار في خلق كثير من اهل ملطية فلقبه الملك في جمع عظيم
من الروم بمرج الاسقف فخار به محاربة شديدة قتل فيها من الفريقين خلق كثير ثم احاطت
به الروم وهم خمسة الف وقاتل عمر وعنه الفان من المسلمين فلما قتل عمر بن عبد

خرج الروم الى الثغور الجزرية وكتبوا عليها وعلى اموال المسلمين وحرّمهم فبلغ ذلك علي بن يحيى وهو قافل من ارمينية الى ميفارقين في جاعة من اهلها ومن اهل السلسلة فنفر اليهم فقتل في نحو من اربعمائة رجل ولما اتصل الخبر ببغداد وسامرا بقتل عمر بن عبيد الله وعلي بن يحيى وكانا من شجعان الاسلام شديدا بأسهما عظيما غناؤهما عن المسلمين في الثغور شق ذلك عليهم مع استعظامهم قتل الاتراك للمتوكل واستيلائهم على امور المسلمين فاجتمعت العامة ببغداد بالصراخ والنداء بالنفير وقام بعض الاجناد يطلبون ازراقهم وثار من ذلك فتن متتابعة يطول الكلام بذكرها واستمرت الى ان خلع المستعين وبيع المعتز بن المتوكل سنة احدى وخسين ومائتين ثم قتل المستعين سنة ثنتين وخسين وفي سنة ثلاث وخسين ايام المعتز غزا محمد بن معاذ من ناحية ملطية فانهمز واصر

ذكر غزوة عظمى بالانديلس على بلاد الفرنج

في سنة احدى وخسين وقيل اثنين وخسين سير محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس جيشا مع ابنه المنذر الى بلاد الفرنج فساروا وقصدوا الملاحه وكانت اموال لذريق ملك الفرنج بناحية البه والقلاع فلما غم المسلمون بلدهم بالخراب والنهب جمع لذريق عساكره وسار يريددهم فالتقوا بموضع يقال له فحج المراكبين فاقتتلوا فانهمز الفرنج الا انهم لم يبعدوا واجتمعوا بهضبة بالقرب من موضع المعركة قبعهم المسلمون وحملوا عليهم واشتد القتال فولى الفرنج منهزمين لا يلوون على شيء ونيعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وكان عددا ما اخذ من رؤس الفرنج الفين واربعمائة واثنين وتسعين رأسا وكان فتحا عظيما وعاد المسلمون بالغنائم الكثيرة وسير جيشا ايضا في السنة التي بعدها فقصدوا البه والقلاع ومدينة مانه وقاتلوا من اهلها عددا كثيرا ثم قفلوا سالمين وفي سنة ثلاث وخسين ايضا سير جيشا فاقتتلوا حصون جرفيق وغلبوا على اكثرها وفي سنة خمس وخسين ومائتين خلع المعتز ثم قتل وبيع المهدي بن الواثق وخلع ثم قتل سنة ست وخسين وبيع المعتز على الله بن المتوكل وفي سنة سبع وخسين ومائتين خرجت عساكر الروم فنازلوا سميساط ثم نالوا ملطية وقاتلهم اهلها فانهمز الروم وقتل بطريق من بطارقهم وفي هذه السنة سارت سرية للمسلمين بافريقية الى سرقوسة فصالحهم اهلها على ان يطلقوا الاسرى من المسلمين الذين كانوا عندهم وكانوا ثلاثمائة وستين اسيرا فلما اطلقوهم عادوا عنهم

ذكر القتال مع صاحب الزنج

ابتداء ظهور صاحب الزنج كان في سنة خمس وخسين ومائتين وذكر القتال معه ملحق بالقتال مع الكفار لانه وان كان يدعى الاسلام لكن مافعله باهل الاسلام اشنع مما فعله الكفار كاستراه والكلام على قصته طويل مبسوط في التواريخ وتلخيصها ان رجلا من بني عبد القيس اسمه محمد بن عبد الله بن في سر من رأى واصله من الرى وكان متصلا بحاشية المنتصر كل يمدحهم ويستعجبهم من عطائهم ثم انه شخص من سر من رأى سنة تسع

واربعين ومائتين الى البحرين وادعى نسبته في العلويين فقال مرة انه على بن محمد بن احمد ابن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضى الله عنهما وقال مرة انه من ولد الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن ابي طالب ودعا الناس بهجر الى طاعته فاتبعه جماعة كثيرة من اهلها ومن غيرهم وخالفه آخرون فخرى بين الطائفتين عصبية وقتل قتل فيه جماعة وكان اكثر اهل البحرين محليين ووجي الخراج ونفذ فيهم حكمه وقتلوا اصحاب البحرين ثم تنقل في البادية وقال اوتيت في تلك الايام بالبادية آيات من آيات امامتي ظاهرة للناس منها اني لقنت سورا من القرآن فخرى بها لسانى في ساعة وحفظتها في دفعة واحدة منها سبحان والكهف وص ومنها اني تفكرت في الموضع الذي اقصد حيث نبت في البلاد فاطلتنى غمامة وخوطبت منها فقبل لي اقصد البصرة الى غير ذلك من مقالته المخترعة وفي تاريخ الخلفاء للجلال السيوطي انه ادعى انه ارسل الى الخلق فرد الرسالة وكان له منسبر يصعد اليه ويسب عثمان وعليا معاوية والزبير وطلحة وعائشة وفي تاريخ ابن الاثير وابن خلدون انه كان يرى رأى الخوارج وهذا يبطل انتسابه الى العلويين وكان اول ظهوره للناس سنة خمس وخمسين ومائتين وكان في مبدى امره يدعو الغلمان من الزنوج الذين يسكنون السباح في جهة البصرة فاجتمع له منهم خلق كثير وكان يعدهم بالعق و برغبهم في الاحسان فاذا جاء احد من موالى الزنوج يطلبون عبيدهم بأمر كل عبد ان يضرب مولاه ثم يحبسهم ثم يطلقهم فامتنع موالى الزنوج من طلب عبيدهم وكان يخاطب العبيد وغيرهم ممن تبعه في كل وقت ويرغبهم ولم يزل هذا دأبه والزنوج يأتون اليه بكثرة ويتابعونه ويدخلون في امره واتخذ له راية وكتب عليها قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الآية فكثرت جيوشه واستحكم امره وشن الغارات وبث اصحابه يمينا وشمالا للاغارة والنهب وسار بالجيش الى الابل فخرجوا له باربعة آلاف فهزمهم وملك الابل ثم سار الى القادسية فملكها ونهبها فكثر عنده المال والسلاح

وكان معه ماسفن القنهار يرح الى الشط فغنم ما فيها وكثر شعبه وفساده وجاء ابو هلال من قواد الاتراك في اربعة آلاف مقاتل فلقبه فهزمه وقتل كثيرا من اصحابه ثم خرج اليه ابو منصور احد موالى الهاشميين في عسكر عظيم فهزمهم وكان من اعيان اصحابه يحيى بن محمد الازرق البكراني وسليمان بن جامع وهو قائد جيشه وذكر ربحان احد غلمان السورجيين وهو اول من صحبه منهم انه قال كنت موكلا بغلمان مولاي انقل لهم الدقيق فاخذني اصحابه فسااروا بي اليه وأمروني أن اسلم عليه بالامرة ففعلت فسالني عن الموضع الذي جئت منه فاخبرته وسألني عن اخبار البصرة فقلت لا علم لي وسألني عن غلمان السورجيين وعن احوالهم وما يجري لهم فاعلمته فدعاني الى ما هو عليه فاجبته فامرني ان احتال على من قدرت عليه من الغلمان الزنج و اقبل بهم عليه ووعدني ان يجعلني قائدا على من اتيتهم بهم فعدت اليه من الغداة وقد اتيتهم بجماعة من الزنج

جماعة مع غلمان الدباشين وما زال يدعو غلمان اهل البصرة. وغيرهم فيقبلون اليه للخلاص
 من الرق والتعب فاجتمع عنده خلق كثير منهم فخطبهم ووعدهم ان يجعلهم قواداً وملكهم
 الاموال وحلف لهم بالايان ان لا يغدر بهم ولا يخذلهم ولا يدع شيئاً من الاحسان اليهم
 ولين اتى بهم وجاء اليه بعض موالى العبيد وبذلوا له على كل عبد خمسة دنانير ليسلم لكل
 منهم عبده فبطح اولئك الموالى وامر كل من عنده من العبيد فضر بوا موالىهم كل سيد
 خمسمائة سوط وكان اذا خطب العبيد يذكروهم ما كانوا فيه من الشقاء وسوء الحال وان الله
 تعالى ابعدهم من ذلك وانه يريد ان يرفع اقدارهم ويملكهم العبيد والاموال وجاءه مرة
 رجل من رؤساء الزنج يكنى بأبى صالح بثلاثمائة من الزنج فلما كثروا جعل القواد فيهم منهم
 وقال لهم كل من اتى منكم برجل فهو مضموم اليه وما زالت جيوشه تكثر من الزنج
 وغيرهم حتى بلغت الوفا مؤلفة واعداداً لا تحصى فشحن الغارات على القرى والامصار
 واكثر القتل والنهب وجهاز له الخليفة الجيوش الكثيرة المرة بعد الاخرى وهو يهزم تلك
 الجيوش ويقتل كثيراً منها ويسبي من القرى والامصار النساء والذرية وما زال امره
 هكذا اربع عشرة سنة حتى ظفروا به وقتلوه واضمحل امره قال الجلال السيوطى فى
 تاريخ الخلفاء استمر القتال مع صاحب الزنج من حين تولى المعتد على الله ابن المتوكل بن المعتصم
 ابن هارون الرشيد سنة ست وخسين ومائتين الى سنة سبعين ومائتين فقتل فيهارئىس الزنج
 لعنه الله قال وذكر الصولى ان الذين قتلهم من المسلمين الف الف وخمسمائة الف انسان
 وقتل فى يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة الف ولما قوى امر صاحب الزنج صار المباشر لقتاله
 وقيادة الجيوش لقتاله الموفق طلحة بن المتوكل وهو اخو الخليفة المعتد على الله بن المتوكل وباشر
 معه ايضا لقيادة بعض تلك الجيوش ابنه ابو العباس احمد الذى صار بعد المعتد على الله
 خليفة ولقب بالمعتضد قال المسعودى فى تاريخه المسمى مروج الذهب شخص الموفق لمحاربة
 صاحب الزنج فى صفر سنة سبع وستين ومائتين وقدم الموفق ابنه ابا العباس فى ربيع الآخر
 الى سوق الجيش وقيادته وكان رجل يقال له الشعرانى من اصحاب صاحب الزنج قد تحصن
 فى جمع كثير من الزنج ففتح ابو العباس بن الموفق هذا الموضع وغنم جميع ما كان فيه ثم فتح
 مواضع كثيرة وقتل من كان فيها من الزنج وسار الموفق الى الاهواز فاصلىح ما افسده الزنج ثم
 عاد الى البصرة فلم يزل منازل لصاحب الزنج حتى قتل فكانت مدة ايامه اربع عشرة سنة
 واربعة اشهر يقتل الصغير والكبير والذكر والانثى ويحرق ويخرب وقد كان اتى البصرة فى
 وقعة واحدة من وقائعه فقتل ثلاثمائة الف من الناس وكان المهلبى من اصحاب صاحب الزنج بعد هذه
 الوقعة بالبصرة فنصب منبراً وكان يصلى يوم الجمعة بالناس ويخطب على ذلك المنبر ويدعو
 لصاحب الزنج ويلعن جبابرة بنى العباس وكثيراً من الصحابة فاجتمع من بقى من اهل البصرة
 وارادوا الخروج على المهلبى ليقتلوه فعلم بهم فوضع السيف فيهم فنناج سالم ومن مقتول
 ومن غريق واخفى كثير من الناس فى الدور والآبار فكانوا يظهرون فى الليل فباخذون الكلاب
 فيذبونها فبأكلونها والقيروان والسنانير فافقوها حتى لم يقدرروا منها على شئ فكانوا اذا مات
 منهم الواحد اكلوه وعدموا مع ذلك الماء العذب وذكر عن امرأة منهم انها حضرت امرأة

تنازع وعندها اختها وقد احتوشوها ينظرون ان تموت فيأكلون لحمها قالت المرأة فإني
حتى ابتدرنا فقطعناها واكلناها ولقد حضرت اختها ثم جاءت وهي تبكي ومعها رأس
اختها فقيل لها وبحك مالك تبكين قالت اجتمعوا على اختي فتركوها حتى تموت موتا حسنا
حتى قطعوها فظلموني فلم يعطوني من لحمها شيئا إلا رأسها هذا وهي تشتكي ظلمهم لها في اختها
ومثل هذا كثير واعظم مما وصفنا ثم قال المسعودي وبلغ من امر عسكر صاحب الزنج انه كان
ينادي فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولد هاشم وقريش
وغيرهم من سائر العرب وابناء الناس فتباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة وينادي عليها
بنسبها هذه فلانة ابنة فلان الفلاني واصل زنجي منهم العشرة والعشرون والثلاثون
يطؤون الزنج ويخدم النساء الزنجيات كما تخدم الوصائف ولقد استغاثت الى صاحب
الزنج امرأة من ولد الحسن بن علي بن ابي طالب رضى الله عنهما كانت عند بعض الزنج
وسألته ان ينقلها منه الى غيره من الزنج او يعتقها مما هي فيه فقال هو مولك واولى بك من
غيره ثم قال المسعودي وقد تكلم الناس في مقدار ما قتل في هذه السنين من الناس فكثروا وقلل
عليها المكث قاله يقول أفنى من الناس ما لا يدركه العد ولا يقع عليه الاحصاء ولا يعلم ذلك الا الله
تعالى عالم الغيب فمما فتح من هذه الامصار والمدائن والضياع وأباد اهلها والمقلل يقول أفنى
من الناس خمسمائة الف انتهى وقال الجلال السيوطي في تاريخ الخلفاء ولما قتل من الخلفاء
لعنه الله تعالى اتى برأسه على رمح ودخلوا به بغداد وعملت الزينة وضج الناس بالدعاء للموفق
طلحة ومدحه الشعراء وكان يوم مشهودا وتراجع الناس الى المدائن التي كان قد أخذها وهي
كثيرة كواسط والبصرة وغيرهما انتهى وبالجملة فان هذه القضية كانت مصيبة عظيمة على اهل
الاسلام هذه تلخيص قصة صاحب الزنج باختصار وان اردت تفصيل الوقائع والحروب التي
كانت لهذه القضية في تلك السنين فانظرها في التواريخ تجدناها مبسطة والله سبحانه وتعالى اعلم

ذكر ملك الروم لؤلؤة

في سنة ثلاث وستين ومائتين سلمت الصقالبة لؤلؤة الى الروم وهي قلعة للصقالبة وكان
ذلك ان احمد بن طولون قد اذن من الغزو بطرسوس قبل ان يلى مصر فلما ولى مصر سنة خمس
 وخمسين كان يؤثر ان يلى طرسوس ليغزو منها امير افلم يجب الى ذلك وكان العمال الذين
يأتون الى طرسوس يسيئون السير وآل الامر الى استيلاء الروم على القلعة المذكورة فشق
ذلك على اهل طرسوس لانها كانت شجى في حلق العدو ولم يكن يخرج الروم في برا وبحر
الارأوه وأندروا به واتصل الخبر بالعمد على الله فقتل طرسوس احمد بن طولون واستعمل
عليها من يقوم بغزو العدو ويحفظ ذلك الثغر ويقوم الجهاد وفي هذه السنة سير محمد صاحب
الاندلس ابنه المنذر في جيش كبير وجعل طريقه على ماردة فلما اجاوزها الى ارض العدو
تبعه تسعمائة فارس من العسكر فخرج عليهم جمع كثير من الفرنج فاقتلوا قاتلا كثيرا صبروا فيه
وقتل من الفرنج عدد كثير ثم استظهر المشركون على التسعمائة فوضعوا السيف فيهم فقتلوه
عن آخرهم اكرمهم الله بالشهادة وفي سنة اربع وستين غزا بالصائف عبد الله بن رشيد بن

كلوس في اربعين الفا من اهل الثغور الشامية فأثخن في الروم وغنم ورجع فلما رحل عن
الروم خرج عليه جمع من الروم فاحاطوا بالمسلمين فاستمات المسلمون ونزلوا وعرقبوا
دوابهم وقتلوا حتى قتلوا الاخمسة مائة فانهم حملوا حلة رجل واحد ونجوا على دوابهم
وقتل الروم من قتلوا واسروا عبدالله بن رشيد بعد ضربات اصابته وحل الى ملك الروم فبعث
به الى احمد بن طولون صاحب مصر ومعه كثير من الاسرى وأهدى لابن طولون
عدة مصاحف

ذكر ملك المسلمين مدينة سرقوسة

في سنة اربع وستين ومائتين ملك المسلمون سرقوسة وهي من اعظم مدائن صقلية وكان سبب
ملكها ان جعفر بن محمد امير صقلية غزاها فافسد زرعها وزرع ماحولها من بلاد صقلية التي
بارض الروم ونازل سرقوسة وحصرها برا وبحرا وملك بعض ارباضها فوصل مرابط
الروم بنجدة لها فسير اليها اسطولاً فاصابوها فتمكنوا حينئذ من حصرها فاقام العسكر
محاصراً لها تسعة اشهر وفنحت عنوة وقتل من اهلها عدة الوف واصيب فيها من الغنائم
ما لم يصيب بمدينة اخرى ولم ينج من رجالها الا القذ النادر واقاموا فيها بعد فتحها شهرين ثم
هدموا ثم وصل بعد هدمها من القسطنطينية اسطول فالتقوا هم المسلمون فظفر بهم المسلمون
واخذوا منهم اربع قطع فقتلوا من فيها وانصرف المسلمون الى بلادهم وفي هذه السنة سير
محمد بن عبدالرحمن صاحب الاندلس ابنه المنذر في جيش الى مدينة بلبونة وجعل طريقه
على سرقوسة فقاتل اهلها ثم انتقل الى تطيلة وجال في مواضع ثم دخل بلبونة فخرّب كثيراً
من حصونه واذهب زروعه وعاد سالماً وفي سنة خمس وستين خرج خمسة من بطارقة
الروم الى اذنة فقتلوا واسروا قتلوا نحو امان الف واربع مائة واسروا نحو امان اربع مائة وكان
ارجوز والى الثغور فعزل عنها وفي سنة ست وستين ومائتين وردت سرية من الروم الى
ديار ريعة فاسرت نحو امان مائتين وخمسين انساناً ومثلت بالمسلمين ففر اليهم اهل الموصل ونصيبين
فرحوا بهم وفي هذه السنة اتى اسطول المسلمين اسطول الروم عند صقلية فظفر الروم
بالمسلمين بعد قتال شديد ولحق من سلم منهم الى مدينة بلرم من صقلية وفي هذه السنة ايضا غزا
عادل ابن طولون على الثغور الشامية في ثلاثمائة من اهل طرسوس واعترضهم اربعة آلاف من
الروم فاقتلوا قتلاً شديداً وقتل المسلمون خلقاً كثيراً من العدو واصيب من المسلمين جماعة
وفي سنة سبع وستين ولى جزيرة صقلية الحسن بن العباس فبعث السرايا الى كل ناحية وخرج
الى قطانية فافسد زرعها وزرع طبرمين وقطع اشجارها وسار الى بقارة فافسد زرعها وانصرف
الى بلرم واخرجت الروم سرايا فاصابوا من المسلمين كثيراً وفي سنة ثمان وستين سارت سرية من صقلية
فلقى جيش الروم فاصيب المسلمون كلهم غير سبعة نفر وعزل الحسن بن العباس عن صقلية ووليها
محمد بن الفضل فبث السرايا في كل ناحية من صقلية وخرج هو في جيش عظيم فسار الى مدينة
قطانية فاهلك زرعها ثم رحل الى اصحاب الشلندية فقاتلهم فاصاب فيهم فاكثرا القتل ثم رحل
الى طبرمين فافسد زرعها ثم رحل فلقى عسكر الروم فاقتلوا وانهزم الروم وقتل اكثرهم فكانت

عدة القتلى ثلاثة آلاف قتيل ووصلت رؤسهم الى بلرم ثم سار المسلمون الى قلعة كان الروم بنوها عن قريب وسموها مدينة الملك فلكها المسلمون عنوة وقتلوا مقاتلتها وسبوا من فيها وفي هذه السنة خرج ملك الروم المعروف بابن الصقلية فتنازل ملطية فاعانهم اهل مرعش والحدث فانهزم ملك الروم وغزا الصائفة من ناحية الثغور الشامية الفرغانى عامل ابن طولون فقتل من الروم بضعة عشر الفا وغنم الناس فبلغ السهم اربعين دينارا وفي سنة تسع وستين خرج محمد بن الفضل امير صقلية فى عسكر الى ناحية رمطة وبلغ العسكر الى قطانية فقتل كثيرا من الروم وسبى وغنم ثم انصرف الى بلرم وفي سنة سبعين زحف الروم فى مائة الف ونزلوا قليعة على ستة اميال من طرسوس فخرج اليهم بازمار عامل طرسوس لابن طولون ليلا فيتهم وقتل منهم سبعين الفا وجاعة من البطارقة وقتل مقدمهم بطريق البطارقة وغنم منهم سبعة صلبان ذهبيا وفضة وكان اعظمها من ذهب مكملا بالجواهر وغنم خمسة عشر الف دابة ومن السروج والسيوف مثل ذلك واربع كراسى من ذهب ومائتين من فضة وعشرين علما من الديباج وآنية كثيرة ونحوها من عشرة آلاف علم ديباج وديباجا كثيرا وغير ذلك وفي هذه السنة اراد اسماعيل بن موسى احد امراء الاندلس بناء مدينة ماردة فلما سمع الفرنجى صاحب برشلونة جمع وحشد يريد منعه من ذلك فسمع به اسماعيل فكتب اليه وقاتله وهزمه وقتل اكثرهم وبقى اكثر القتلى فى تلك الارض دهر اطويلا وفي سنة احدى وسبعين سارت سيرة المسلمين بصقلية الى رمطة فخرت وغنمت وسبت وامرت كثيرا وعادت وسار جيش كثير من صقلية الى قطانية فاهلك ما فيها وسار الى طبرمين فقاتل اهلها وافسد زرعها وتقدم فيها فأتى رسول بطريق الروم يطلب الهدنة والمقادة فهادنه ثلاثة اشهر وفاداه ثلاثمائة اسير من المسلمين ورجع الجيش وفي سنة اثنتين وسبعين غزا الصائفة بازمار وخرجت سيرة من صقلية الى الروم الذين بها فغنمت وعادت وفيها قدم بطريق من القسطنطينية فى عسكر كبير فنزل على مدينة سبرينة فحصرها وضيق على من بها من المسلمين فسلموها على امان ولحقوا بصقلية ثم سار عسكر البطريق الى مدينة منية فحصرها حتى سلمها اهلها بامان وفي سنة ثلاث وسبعين غزا بالصائفة بازمار وتوغل فى ارض الروم وقتل وغنم واسر وسبى وعاد الى طرسوس وفيها توفي محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس ومدة ملكه اربع وثلاثون سنة وولى بعده ابنه المنذر وتوفى بعد سنة واحد عشر شهرا وبويع اخوه عبد الله

ذكر غزو الروم ووفاة بازمار

فى سنة ثمان وسبعين خرج بازمار غازيا فى جيش فبلغوا اشكند ونازلوها فاصاب بازمار شظية من حجر منجنيق فرجع ومات فى طريقه ودفن بطرسوس وفى سنة تسع وسبعين توفى المعتمد على الله وبويع المعتضد بن الموفق بن المتوكل وفى سنة ثمانين غزا اسماعيل بن احمد السامانى صاحب خراسان بلاد الترك وافتتح مدينة ملكهم واسر أباه وامرأته خاتون ونحوها من عشرة آلاف وقتل منهم خلقا كثيرا وغنم من الدواب ما لا يحصى واصاب الفارس

من الغنية الف درهم وفي سنة احدى وثمانين غزا المسلمون الروم فدامت الحرب بينهم اثني عشر يوما فظفر المسلمون وغنموا غنمة كثيرة وعادوا

ذكر حصر الصقالبة ٣٠ القسطنطينية

في سنة ثلاث وثمانين سارت الصقالبة الى الروم فحسروا القسطنطينية وقتلوا من اهلها خلقا كثيرا وخرّبوا البلاد فلم يجد ملك الروم منهم خلاصا فجمع من عنده من اسارى المسلمين واعطاهم السلاح وسألهم معونته على الصقالبة ففعلوا ليكون الصقالبة كفارا فكشفوا الصقالبة وازاحوهم عن القسطنطينية ولمسأرى ملك الروم ذلك خاف من المسلمين على نفسه فردهم واخذ السلاح منهم وفرقهم في البلاد حذرا من جنائهم عليه وفي هذه السنة كان القداء بين المسلمين والروم فكان جلة من فدى من المسلمين الرجال والنساء والصبيان الفين وخمسمائة واربعة انفس وفي سنة خمس وثمانين غزا راغب مولى الموفق في البحر فغنم مراكب كثيرة فضرب اعناق ثلاثة آلاف من الروم كانوا فيها واحرق المراكب وفتح حصونا كثيرة وعاد سالما وفيها غزا ابن الاخشيد صاحب مصر بأهل طرسوس ففتح الله على يديه وبلغ اسكندرونه وفي سنة سبع وثمانين غزا ابو العباس احمد بن الاغلب مدينة بلرم برا وبحرا فخرج اليه اهلها فقاتلوه ثم انهزموا ووقع القتل فيهم وملك البلد ثم رحل الى طبرمين فقطع كرومها وقتلهم ثم رحل الى قطانية فحصرها فلم يزل منها غرضا فرجع الى صقلية الى ان دخلت سنة ثمان وثمانين فتجهز للغزو وطاب الزمان وعمر الاسطول وسيره الى قطانية ونصب عليها المجانيق واقام اياما ثم انصرف الى مسيني وجاز الى ريو وقد اجتمع بها كثير من الروم فقاتلهم على باب المدينة وهزمهم وملك المدينة بالسيف وغنم من الذهب والفضة ما لا يحصى وشحن المراكب بالدقيق والامعة ورجع الى مسيني وهدم سورها ووجد بها مراكب وصلت من القسطنطينية فاخذ منها ثلاثين مركبا ورجع الى المدينة وفي سنة ثمان وثمانين ومائتين سير المعتضد جيشا الى صائفة الروم ففتحوا حصونا كثيرة ورجعوا باسرى كثيرة ثم ان الروم ساروا في البر والبحر الى ناحية كيسوم فاخذوا من المسلمين اكثر من خمسة عشر الفا وعادوا وفي سنة تسع وثمانين توفي المعتضد بويع ابنه المكتفي وفي سنة احدى وتسعين ومائتين خرجت الترك في خلق كثير الى ماوراء النهر فوجه اليهم صاحب خراسان اسماعيل الساماني جيشا كثيرا وتبعهم من المتطوعة خلق كثير فساروا نحو الترك فوصلوا اليهم وهم غارون فكبسهم المسلمون مع الصبح وقتلوا منهم خلقا عظيما لا يحصى وانهمز الباقيون واستبجح عسكرهم وعاد المسلمون سالمين غانمين وفي هذه السنة خرج من الروم مائة الف عشرة صلبان مع كل صليب عشرة آلاف الى الثغور فقصد جماعة منهم الحدث (بلدة بالروم) فاغاروا وسبوا واحرقوا وفي هذه السنة غزا من طرسوس القائد المعروف بغلام زرافه ففتح مدينة انطاكية بالسيف وقتل خمسة آلاف من الروم واسر مثلهم واستنقذ من الاسارى خمسة آلاف وغنم ستين من مراكب الروم بما فيها من المال والمتاع فقسمها مع غنائم انطاكية فكان السهم الف دينار وفي سنة اثنتين وتسعين اغار الروم على مرعش ونواحيها فنفر اهل المصيصة واهل طرسوس

واجلواهم واصيب جماعة من المسلمين وفي هذه السنة كان القداء فكان جلة من فودى من اسرى المسلمين الف نفس ومائتي نفس وفي سنة ثلاث وتسعين اغارت الروم على قورس من اعمال حلب فقاتلهم اهلها قتالا شديدا ثم انهزموا وقتل الروم اكثرهم ودخل الروم قورس فاحرقوا جامعها وساقوا من بقي من اهلها وفي سنة اربع وتسعين غزا ابن كيغليخ من طرسوس فاصاب من الروم اربعة آلاف رأس سبي ودواب ومتاع ودخل بطريق من بطارقة الروم في الامان واسلم وفيها ايضا غزا ابن كيغليخ فبلغ شكند وفتح الله عليه وسار الى اليبس فغتموا نحو من خمسين الف رأس وقتلوا مقتلة عظيمة من الروم وانصرفوا سالمين وكان بطريق على حرب اهل الثغور من قبل ملك الروم فارسل ذلك البطريق الى المكتفي يطلب الامان فاعطاه فخرج من حصنه ومعه مائتا اسير من المسلمين كانوا معه في الحصن وكان ملك الروم ارسل ليقبض عليه فاعطا المسلمين سلاحا فخرجوا معه وقبضوا على الذين ارسلهم ملك الروم ليقبضوا عليه وقتلوا منهم خلقا كثيرا وغنموا ما في عسكرهم فاجتمعت الروم لمحاربة البطريق فسار اليهم جمع من المسلمين ليخلصوه ومن معه من اسرى المسلمين فبلغوا قونية فبلغ الخبر الى الروم فانصرفوا عنه فانصرف البطريق ومن معه الى بغداد واخرب المسلمون قونية وارسل ملك الروم الى الخليفة المكتفي فطلب القداء وفي سنة ثلاث وتسعين افتتح اسماعيل الساماني صاحب خراسان مدائن كثيرة من بلاد الترك والديلم وفي سنة خمس وتسعين توفي المكتفي وبويع اخوه المقتدر بن المعتضد وفي هذه السنة فودى من المسلمين ثلاثة آلاف نفس رجالا ونساء وفي سنة ست وتسعين كان ابتداء دولة العبيديين بافريقية وتفصيل ذلك طويل مذكور في التواريخ وفي هذه السنة بعث المقتدر جيشا لغزو الروم وعليه مونس الخادم فظفر وغنم واسر منهم جماعة وعاد وفي سنة سبع وتسعين وجه المقتدر القائد ابن سيماء لغزو الصائفة وكذا في سنة ثمان وتسعين وفي سنة تسع وتسعين غزا الصائفة رستم امير الثغور من ناحية طرسوس فحصر حصن ملبج الارمني ثم دخل بلده واحرقها وفي سنة ثلاثمائة توفي عبدالله بن محمد صاحب الاندلس وبويع حفيده عبدالرحمن الناصر بن محمد بن عبدالله واستمر عبدالرحمن الناصر خمسين سنة وهو اول من تسمى منهم بأمير المؤمنين لما رأوا ظهور الضعف في خلفاء بني العباس وكانوا قبل ذلك يقال لمن ولى منهم الامير فلان وغزا عبدالرحمن الناصر في بلاد الفرنج غزوات كثيرة وانحن فيهم حتى خضعوا له وصاروا بها دونه ويلتمسون رضاه وتفصيل غزواته يطول الكلام بذكرها وسيأتي ذكر شيء منها وفي سنة اثنتين وثلاثمائة سار الوزير للمقتدر على بن عيسى لغزو الصائفة فلم يتيسر له فغزاها ثانية في برد شديد وثلج وغزا ايضا بشر الخادم والى طرسوس بلاد الروم ففتح فيها وغنم وسبي واسر مائة وخمسين بطريقا وكان السبي نحواً من الف رأس وفي سنة ثلاث وثلاثمائة اغارت الروم على الثغور الجزرية وقصدوا حصن منصور وسبوا من فيه وجري على الناس امر عظيم وظهرت الروم ايضا فأوقعوا بجماعة من مقاتلة طرسوس والغزاة فقتلوا منهم نحو مائة فارس ولم تكن للمسلمين صائفة في هذه السنة لكثرة الفتن في بغداد في مدة المقتدر وفيها خرج ملبج الارمني الى مرعش فعات في بلدها واسر جماعة

من حولها وعاد وفي سنة اربع وثلاثمائة سار مؤنس الخادم الى بلاد الروم لغزو الصائفة
بجيوش كثيرة وفتح حصونا كثيرة من الروم وعاد فاكرمه المقتدر وخلق عليه وفي سنة
خمس وثلاثمائة جاءت رسل من ملك الروم للخليفة المقتدر يطلبون المهادنة والفداء فاجبوا
الى ذلك وانفذ المقتدر مع مؤنس للفداء مائة الف وعشرين الف دينار وكان قبل ذلك
عقد لثمال الخادم على الغزاة في بحر الروم وسار وكان قبل ذلك ايضا غزا جنى الصفوا في
بلاد الروم فغنم ونهب وسبي وعاد سالما فقرئت الكتب على المنابر ببغداد بذلك ثم جاءت
رسل ملك الروم بطلب الهدنة وفي سنة ثلاثمائة وثمان غزا عبدالرحمن الناصر صاحب
الاندلس الى جليقية فاستنجد عليه ملوك الافرنج بعضهم بعضا فهزمهم ووطئ بلادهم
ودوخ ارضهم وفتح معاقلمهم وخرب الحصون وفي سنة ثلثي عشرة وثلاثمائة غزا بنبلونة
وفعل اكثر من ذلك وله غزوات غيرها يطول الكلام بذكرها والجلالة هم الاسبنيول وفي
سنة عشر انقضت الهدنة التي كانت بين المقتدر وملك الروم فغزا المسلمون في البر والبحر
فغنموا وسلوا ودخل اهل طرسوس ملطية فظفروا وبلغوا من بلاد الروم والظفر بهم مالم
يظنوه وعادوا وفي سنة احدى عشرة غزا مؤنس بلاد الروم فغنم وفتح حصونا وغزا ثمال
ايضا في البحر فغنم من السبي الف رأس ومن الدواب ثمانية آلاف رأس ومن الغنم مائتي الف
رأس ومن الذهب والفضة شيئا كثيرا وفي سنة ثلثي عشرة جاء رسول ملك الروم بهدايا
بطلب الهدنة وتقدير الفداء فاجيب الى ذلك ثم غدروا بالصائفة فدخل المسلمون بلاد الروم
فانحنوا ونهبوا وسبوا وعادوا وفي سنة ثلاث عشرة كتب ملك الروم الى اهل الثغور بأمرهم
بحمل الخراج فان فعلوا والا قصدهم فقتل الرجال وسبي الذرية وقال انني قد صبح عندي
ضعف ولا تنكم فلم يفعلوا ذلك فسار اليهم وأخرب البلاد ودخل ملطية واخربها وسبي منها
سنة اربع عشرة وفتح الروم ابوابا من الرض فدخلوا فقاتلهم اهلها واخرجوهم وخربوا
قرى كثيرة من قراها ونبشوا الموتى ومثلوا بهم وقصد اهل ملطية ببغداد مستغيثين فلم يغاثوا
فعادوا بغير فائدة وغزا اهل طرسوس صائفة فغنموا وعادوا

ذكر حرب بين المسلمين والروم

في سنة خمس عشرة وثلاثمائة خرجت سرية من طرسوس الى بلاد الروم فوقع عليها العدو
فاقتلوا فاستظهر الروم وامروا من المسلمين اربعمائة رجل فقتلوا اصبرا وسار الدمستق في
جيش عظيم الى مدينة ديل فحاصرها وضيق عليها والدمستق عندهم ملك عظيم يلي بلاد
الروم التي هي شرقي دجلة القسطنطينية ويكون تحت امر الملك الذي في القسطنطينية وكان
مع الدمستق دبابات ومجانيق ومزاريق تزرق بالنار فلا يقوم بين يديها احد وكان الرامي بها
من اشجعهم فرماه رجل من المسلمين بسهم فقتله واراح الله المسلمين منه وكان الدمستق يجلس
على كرسي عال ليشرف على البلد وعلى عسكره فأمرهم بالقتال على ما يراه فصبر له اهل البلد
وهو ملازم للقتال حتى وصلوا الى سور المدينة فقبوا فيه نقوبا كثيرة ودخلوا المدينة فقاتلهم
اهلها ومن فيها من العسكر قتلا شديدا فانتصر المسلمون واخرجوا الروم منها وقتلوا منهم نحو

عشرة آلاف رجل وفي هذه السنة ايضا غزا ثمال الصائفة من طرسوس ولقي جمعا كثيرا من الروم فاقتلوا فانتصر المسلمون عليهم وقتلوا من الروم كثيرا وعاثوا في انعامهم وغنموا ثلاثمائة رأس من الغنم ولقبهم رجل من رؤساء الاكراد يعرف بابن الضحاك وكان له حصن يعرف بالجعفرى وكان قد ارتد عن الاسلام وتنصر وصار الى ملك الروم وخدمه فاجزل له القطيعة وامره بالعود الى حصنه فلقية المسلمون فقاتلوه فاسروه وقتلوا كل من معه وفي سنة ست عشرة وثلاثمائة خرج الدمستقي في عساكر الروم فحاصر خلاط وملكها صلحا وجعل الصليب في جامعها ورحل الى بدليس ففعل بها كذلك وخاف اهل ارزن وغيرهم ففارقوا بلادهم واتخذوا اعيانهم الى بغداد واستغاثوا الى الخليفة فلم يغاثوا وفي هذه السنة وصل سبعمائة رجل من الروم والارمن الى ملطية ومعهم القوس والمعاول واطهروا انهم يتكسبون بالعمل ثم ظهر ان مليحا الارمني وضعهم ليكونوا بها فاذا حصرها سلوها اليه فعلم بهم اهل ملطية فقتلوه واخذوا ماعهم وفي سنة سبع عشرة خلع المقتدر وبويع اخوه القاهر ثم بعد يومين اعيد المقتدر وخلع القاهر وكانت هذه الفتنة هائلة وبسببها ضعفت الثغور الجزرية عن دفع الروم عنهم منها ملطية وميافارقين وآمد وارزن وغيرها وعزموا على طاعة ملك الروم والتسليم اليه لعجز الخليفة المقتدر بالله عن نصرهم وارسلوا الى بغداد يستأذنون في التسليم ويذكرون عجزهم ويستمدون العساكر لثمنع عنهم فلم يحصلوا على فائدة فعادوا فصالحوا الروم وملكوهم البلاد وفي سنة سبع عشرة ايضا كان دخول القرامطة مكة يوم التروية وهو الثامن من ذي الحجة فنهبوا اموال الحاج وقتلوهم حتى في المسجد الحرام وفي البيت نفسه وقلعوا الحجر الاسود وانفذوه الى هجر وقلعوا باب البيت واصعدوا رجلا ليقلع الميزاب وكان من ذهب فاصيب بسهم من جبل ابي قبيس فما اخطأ نحوه وخرميا فاصعدوا آخر مكانه فسقط من فوق الى اسفل على رأسه ومات فهاب الثالث الاقدام على القلع فتركوا قلع الميزاب وكان جلة من قتلوه من الطائفين والمصلين والمحرمين في مكة وشعابها زهاء ثلاثين الفا وسبوا من النساء والذرية مثل ذلك وتلك مصيبة ما اصاب الاسلام بمثلها ^{من رياسهم عند الله المكنى بأبي طاهر} ورخص عند الكعبة فرسه وسيفه مشهور بيده وصغر لفرسه ^{من رياسهم عند الله المكنى بأبي} فبال وراث قيل ان الذين قتلهم في المطاف الف وسبعمائة وملا بئر زمزم من رؤسهم والكلام على هذه القصة وغيرها من وقائعهم طويل مذكور في التواريخ وقاتلهم خلفاء بني العباس ولهم معهم وقائع كثيرة وكان ابتداء ظهورهم سنة ثمان وسبعين ومائتين ولهم عقائد قبيحة يكفرون بها وان كانوا يدعون الاسلام ويزعمون انهم يدعون الناس للبيعة للمهدي المنتظر وزعموا انه محمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق وكل ذلك زور وباطل قال ابن الاثير ولم يكن لمحمد بن اسماعيل ولد اسمه عبد الله ومكث الجرا الاسود عندهم في هجر اثنين وعشرين سنة وكانوا يريدون تحويل الحج الى هجر فلما ايسوا من ذلك ارجعوه الى موضعه من البيت وكان ذلك في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وابلى ابو طاهر رئيسهم بداء الاكلة فصار يتناثر لحمه بالدود وتقطعت اوصاله وطال عذابه ومات شرمية ولعذاب الآخرة اشد وابقى وانما ذكرنا هذه القصة لان قتال هؤلاء وما فعلوه ملحق بقتال

الكفار وافعالهم ولاهبة بكونهم يدعون الاسلام فانهم كانوا يستبيحون دماء المسلمين ويرون ضلال كافة المسلمين ومن عقائدهم الزائغة المكفرة ان الصلاة ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان بعد غروبها فقط وان النبيذ حرام والخمر حلال ولاغسل من الجنابة الا الوضوء كوضوء الصلاة وان محمد بن الحنفية رسول الله بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك من ضلالاتهم واستمرت شوكتهم الى سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ثم اضمحل امرهم شيئا فشيئا حتى لم يبق لهم دولة

تنبيه

يوجد على وجه الجبل الاسود قطع كانت تكسرت منه ثم الصقت به واشتهر على السنة كثير من الناس ان سبب تكسر هذه القطع من القرامطة لما اخرجوا الجبل الاسود وليس الامر كذلك بل سبب تكسرها ما ذكره السنجاري في تاريخ مكة ونص عبارته في سنة اربعمائة واربع عشرة يوم النفر الاول وكان جمعة دخل المسجد رجل اشقر بيده سيف مسلول ودبوس من حديد فتقدم بعد أن فرغ الامام من صلاة الجمعة وقصد الجبل الاسود فضر به بالدبوس ثلاث مرات وقال الى متى يعبد هذا الجبل ومحمد وعلى فليمنعني مانع من هذا فاني اريد رب هذا البيت فخافه اكثر الحاضرين وكاد يهرب فثار اليه رجل فضر به بخنجر فقتله وقطعه الناس بالسلاح ثم احرقوه فحصل في الجبل الاسود شطب وخرج منه قطع صغار فاعادها سدنة الكعبة وامير مكة والصقوها باللك فصارت آثار ذلك باقية الى الآن اه وانرجع الى ما كتبنا بصدده وفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة غر ثمال الى طرسوس بلاد الروم فعبر نهر او نزل عليهم ثلج الى صدور الخيل وأتاهم جمع كثير من الروم فواقعوهم فنصر الله المسلمين فقتلوا من الروم ستمائة واسروا نحو من ثلاثة آلاف وغنموا من الذهب والفضة والديباج وغيره شيئا كثيرا وعاد ثمال الى طرسوس ودخل بلاد الروم صائفة في جمع كثير من الفارس والراجل فبلغوا عمورية وكان قد تجمع بها كثير من الروم ففارقوها لاسمعوها خبر ثمال ودخل المسلمون فوجدوا فيها من الطعام والامعة شيئا كثيرا فاحذوه واحرقوا ما كانوا عمروه نهبا او غلوا في بلاد الروم ينهاون ويقتلون ويحربون حتى بلغوا النقرة وهي التي تسمى الآن انكورية وعادوا المسلمين لم يلقوا كيذا فبلغت قيمة السبي مائة الف دينار وستة وثلاثين الف دينار وفي هذه السنة كاتب ابن الديراني وغيره من الارمن وهم باطراف ارمينية الروم وحثوهم على قصد بلاد الاسلام ووعدهم النصر فسارت الروم في خلق كثير فحربوا بزكري وبلاد خلاط وماجاورها وقتل من المسلمين خلق كثير واسروا كثير منهم فبلغ خبرهم مفلحا غلام يوسف بن ابي الساج وهو الى اذربيجان فسار في عسكر كبير وتبعه كثير من المتطوعة الى ارمينية وقصد بلد ابن الديراني ومن وافقه فخر به وقتل اهله ونهب اموالهم وبالغ الناس في كثرة القتل من الارمن حتى قيل انهم كانوا مائة الف قتيل والله اعلم وتحصن ابن الديراني بقلعة له وفي هذه السنة ايضا سارت الروم الى سميساط فحصروها فاستصرخ اهلها بسميع بن جردان صاحب الموصل وديار ربيعة فتجهز وسار مسرعا اليهم وقد كاد الروم يفتحونها فلما قاربهم هربوا منه فسار الى ملطية وكان اهلها قد ضعفوا فصالحو الروم وسلموا فاتيهم فحكموا على المسلمين وكان في ملطية جمع من الروم ومن عسكر مليح الارمني ومعهم بني بن نفيس صاحب

المقتدر وكان قد تنصر وهو مع الروم فلما احسوا باقبال سعيد خرجوا منها وخافوا ان يأتهم
سعيد بن جردان في عسكره من خارج المدينة ويشور اهلها بهم فيهلكوا فغار قواها
ودخلها سعيد ثم استخلف عليها اميرا وعاد عنها ودخل بلاد الروم غازيا وقدم بين يديه
سريتين فقتلا من الروم خلقا كثيرا قبل دخوله اليها وفي سنة عشرين بن قتل المقتدر (استطرد)
قال العلامة القطبي في تاريخه كان المقتدر في كل عام يصرف يوم عرفة من الابل والبقر
اربعين الف رأس ومن العنم خمسين الفا وكان يصرف في كل سنة في طريق مكة
والحرمين ثلاثمائة الف دينار وخمسة عشر الف دينار وكان في داره احد عشر الف غلام
خصى غير الصقالبة والروم والسود وخمسة وخمسة من اولاده فصرف في ختامهم ستمائة
الف دينار وقدم مرة عليه رسل ملك الروم يهدايا لطلب الهدنة فعمل المقتدر
موكبا عظيما لارهاب العدو فاقام مائة وستين الف مقاتل بالسلاح الكامل صفين من باب
الشماسية الى دار الخلافة ببغداد ثم الرسل بين الصفين في هذه المسافة واقام بعدهم الخدم
وهم سبعة آلاف خادم ثم الحجاب وهم سبعة مائة حاجب ونصبت الستور على حيطان دار الخلافة
فبلغت ثمانية وثلاثين الف ستر من الديباخ وكانت البسط الفاخرة التي فرشت في الارض اثنين
وعشرين الف بساط وفي الحضرة مائة سبع في سلاسل الذهب والفضة وكان من جملة
الزينة شجرة صيغت وصنعت من الذهب والفضة والجزواهر واغصانها تتمايل بحركات
مضبوطة وعلى الاغصان طيور من ذهب وفضة ينفتح الريح فيها فيسمع لكل طير تغريد
وصفير خاص وهذا بعد وهرن الدولة العباسية وضعفها فكيف كانت زينتها في ايام قوة
دولتهم في كمال وضعها فسبحان من لا يزول ولا يزال ولا يفنى ملكه ولا يعزبه الزوال ولا تغيره الشؤون
ولا تحوله الاحوال وهو الله الكبير المتعال لا اله الا هو وحده لا شريك له ولا ضد ولا ند
ولا مثال كون الا كوان وقدرها تقدير الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك
في الملك ولم يكن له ولي من الدن والكره تكبرا انتهى ولذا كرقصة قتل المقتدر فان فيها
اعتبار الكل من كانت له بصيرة وهي تدل على هوان الدنيا وخسة قدرها عند الله تعالى
وذوى البصائر من عباده وحاصلها ان مؤنس الخادم كان عبدا خصبيا من عبيد المعتضد والد
المقتدر فلما صارت الخلافة للمقتدر زاده في رفعة القدر وولاه قيادة كثير من جيوشه وصار
من اعظم وزرائه وفي سنة عشرين وثلاثمائة حصلت وحشة بينه وبين المقتدر فسار
مؤنس الى الموصل مغاضبا للمقتدر فاستولى المقتدر على اقطاع مؤنس وماله واملاكه واملاك
اصحابه وكتب الى بن جردان امراء الموصل بصدد مؤنس عن الموصل وقتل له فجرى بين
مؤنس وبينهم قتال فالتصر مؤنس واستولى على الموصل واجتمعت عليه العساكر من كل
جهة فسار بهم الى جهة بغداد ثم لما وصل الى بغداد نزل عند باب الشماسية بجنوده فخرج
المقتدر الى قتال مؤنس بن بقي معه من العساكر لان كثيرا منهم انزلوا عنه وانحدروا
الى واسط ليكونوا مع مؤنس ولما خرج المقتدر للقتال كان بين يديه الفقهاء والقراء ومعهم
المصاحف منشورة وعليه البردة النبوية ووقف على تل فألح عليه اصحابه بالتقدم الى القتال
فتقدم ثم انهزمت اصحابه فلحق المقتدر قوم من العساكر فغار به فقال لهم ويحكم انا خليفة

فقالوا قد عرفناك بأسفلة انت خليفة ابليس فضربه واحد منهم بسيفه فسقط الى الارض
فدبحوه وقطعوا رأسه ورفعوه على خشبة وهم يكبرون ويلعنونه واخذوا ماعليه حتى
سراويله وكشفت عورته ثم حفروا له في موضعه ودفنوه وعفى قبره وحلوا رأسه الى
مؤنس وهو بالراشدية لم يشهد الحرب فلما رأى مؤنس رأس المقتدر لطم وجهه وبكى ثم ان
القاهر اخا المقتدر لما بويع بعد قتل المقتدر وتمكن له الامر قتل مؤنسا ولم تطل مدة القاهر
بل خلع سنة اثنتين وعشرين وسملت عيناه وعاش دهرا طويلا اعمى محبوسا في دار الخلافة
ثم اطلقوه واهملوه فوقف يوما بمجامع المنصور بين الصفوف وقال تصدقوا على فأنامن
قد عرفتم وذلك في ايام المستنصر في ايشنع عليه فنعوه من الخروج الى ان مات سنة
تسع وثلاثين وعمره ثلاث وخمسون سنة ولما خلع القاهر بويع الراضى بن المقتدر وفي هذه
السنة سار المستنصر الى سميساط في خمسين الفا ونازل ملطية وحصرها مدة طويلة هلك
اكثر اهلها بالجوع وضرب خيمتين على احدهما صليب وقال من اراد النصرانية انحاز
الى خيمة الصليب ليرد اليه اهله وماله ومن اراد الاسلام انحاز الى الخيمة الاخرى وله
الامان على نفسه وبلغه مامنه فانحازا اكثر المسلمين الى الخيمة التى عليها الصليب طمعا في
اهليهم واموالهم وسير مع الباقين بطريقا يبلغهم مأمنهم وفتحها بالامان ثم افتحو اسميساط
وخرّبوا اعمالها واكثروا القتل وفعلوا الافاعيل الشنيعة وصار اكثر البلاد في ايديهم
وفتحو بلاد جنوة ومروا بسردانية فاوقعوا باهلها ثم مروا بقريسا من ساحل الشام فاحرقوا
مراكبها وعادوا سالمين وفي سنة ست وعشرين كان الغداة بين المسلمين والروم وكان عدة
من فودى من المسلمين ستة آلاف وثلاثمائة اسير ما بين ذكر وانثى وفي سنة تسع وعشرين وثلاثمائة
توفي الراضى وبويع اخوه المنقى بن المقتدر وفي سنة ثلاثين وصل الروم الى قريب حلب ونهبوا
وخرّبوا البلاد وسبوا نحو خمسة عشر الف انسان وفي هذه السنة غزا التلى من ناحية طرسوس
الى بلاد الروم فقتل وسبى وغنم وعاد سالما وقد اسر عدة من بطارتهم وفي سنة احدى وثلاثين
ارسل ملك الروم الى المنقى لله يطلب منه مديلا يزعم ان المسيح مسح بها وجهه فصارت صورة
وجهه فيه وانه في بيعة الرها وذكر انه ان ارسل المنديل اطلق عددا كثيرا من اسارى المسلمين
فاحضر المنقى لله الفضة والفتها واستغاثهم فاختلقوا فبعض رأى تسليمه الى الملك واطلاق
الاسرى وبعض قال ان هذا المنديل لم يزل من قديم الدهر في بلاد الاسلام لم يطلبه ملك من ملوك
الروم وفي دفعه اليهم غضاضة وكان في الجماعة على بن عيسى الوزر فقال ان خلاص المسلمين
من الاسر ومن الضر والضناك الذى هم فيه اولى من حفظ هذا المنديل فامر الخليفة بتسليمه
اليهم واطلاق الاسرى ففعل ذلك وارسل الى الملك ان يستلم الاسرى من بلاد الروم فاطلقوا

ذكر خروج الروسية على بلاد الاسلام

في سنة ثنتين وثلاثين خرجت طائفة من الروسية في البحر الى نواحي اذربيجان
وركبوا في البحر في نهر الكر وهو نهر كبير فانتهوا الى مدينة رذعة فخرج
اليهم نائب ملك الديلم بأذربيجان في جوع من الديلم والمتطوعة يزبدون على خمسة آلاف

رجل فلقوا الروس فلم يكن الاساعة حتى انهزم المسلمون منهم وقتلوا عن آخرهم وتبعهم
الروس الى البلد فهرب من كان له مركوب وترك البلد فنزله الروس ونادوا فيه بالامان
واقبلت العساكر الاسلامية من كل ناحية لمقاتلتهم فكانت الروس تقتلهم فلا يثبت المسلمون
لهم وكان عامة البلد يخرجون ويرمون الروس بالحجارة ويصيحون بهم فينهاهم الروس
عن ذلك فلم ينتهوا سوى العقلاء فانهم كفوا انفسهم وسار العامة والرعاع لا يضبطون انفسهم
فلما طال ذلك عليهم نادى مناديتهم بخروج اهل البلد منه وان لا يقيموا بعد ثلاثة ايام فخرج
من كان له ظهر يحمله وبقي اكثرهم بعد الاجل فوضع الروسية فيهم السلاح فقتلوا منهم
خلفا كثيرا واسروا بعد القتل بضع عشرة الف نفس وجعوا من بقي بالجامع وقالوا اشتروا
انفسكم والاقتلناكم وسعى لهم انسان نصراني فقتر على كل رجل عشرين درهما فلم يقبل
منهم الا عقلاؤهم فلما رأى الروسية انه لا يحصل منهم شيء قتلوه عن آخرهم ولم ينج منهم الا
الشريد وغنموا اموال اهلها واستعبدوا السبي واختاروا من النساء من استحسنوها

✽ ذكر مسير المرزبان بن محمد بن مسافر ملك الديلم اليهم ✽

لما فعل الروس باهل برذعة ما ذكرناه استعظمه المسلمون وتنادوا بالنفي وجمع المرزبان بن محمد
الناس واستنفرهم فبلغ عدة من معه ثلاثين الفا وسار بهم فقاتلوه فاستنصروا عليه فاكف لهم
بعض الايام فهزموهم وقتل اميرهم ونجا الباقون الى حصن البلد وحاصره المرزبان حتى
هربوا من البلد وحملوا ما قدروا عليه وظهر الله اليهم وملك الروس ايضا في هذه السنة
رأس عين واستباحوها ثلاثا وقاتلهم الاعراب فقارقوها وكانوا ثمانين الفا مع من سبق وفي
سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة خلع المنق وبويع المستكفي بن المكتفي بن المعتضد ومكث سنة
واربعة اشهر ثم خلع وبويع المطيع لله بن المقتدر بن المعتضد سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة حين
تغلب بنو بويد على الخلفاء وبنو بويه كزير ويقال ايضا بسكون الواو وفتح الياء ينتهي نسبهم
الى ملوك الفرس وانما نسبوا الى الديلم لانهم طال مقامهم ببلادهم وخدموا كثيرا من عمال الخلفاء
حتى صاروا قواد جيوش ثم تقوى امرهم حتى تغلبوا على الخلفاء وصار الملك بايديهم وليس
للخلفاء الا الاسم والدعاء على المنابر وكتابة المناشير وكتابة اسمهم على الدراهم والدنانير
واخبارهم طوبى مذكورة في التواريخ ودخل مع الدولة بن بويه بغداد بغير حوش سنة اربع
وثلاثين وثلاثمائة وخلع الخليفة المستكفي بن المكتفي واقام في الخلافة المطيع لله بن المقتدر
وكان ابتداء ظهورهم سنة عشرين وثلاثمائة وما زالوا يتغلبون على عمالك بنى العباس شيئا
فشيئا حتى تغلبوا على بغداد سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وصاروا يتوارثون الملك بالتغلب
الى سنة ثمان واربعين واربعمائة فقامت دولة السلجوقية وتغلبوا عليهم وعلى الخلفاء ايضا
وفي سنة خمس وثلاثين كان الغداء بالثغور بين المسلمين والروم على يد نصر النجلي امير الثغور
لسيف الدولة بن جردان صاحب حلب وحصن وكان عدة الاسرى الفين واربعمائة اسير
وثمانين اسيرا من ذكر واتى وفضل للروم على المسلمين مائتان وثلاثون اسيرا لكثرة من معهم
من الاسرى فوافاهم ذلك سيف الدولة ومن هذا التاريخ صار امر الصوائف الى سيف الدولة

ابن جردان صاحب حلب وحص وفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة غزا سيف الدولة ابن جردان الى بلاد الروم فلقية الروم واقتتلوا فانهزم سيف الدولة واخذ الروم مرعش واوقعوا بأهل طرسوس وفي سنة ثمان وثلاثين غزا سيف الدولة ايضا بلاد الروم واوغل فيها وفتح حصونا كثيرة وسبي وغنم فلما اراد الخروج من بلاد الروم اخذوا عليه المضايق فهلك من كان معه من المسلمين اسرا وقتلا واسترد الروم الغنائم والسبي وغنموا ائصال المسلمين واموالهم ونجاسيف الدولة في عدة يسيرة

ذكر غزوة بصقلية

في سنة اربعين غزا الروم بصقلية الحسن بن علي الكلبى عامل المنصور العبيدى وجاءت جنود من القسطنطينية مددا للروم بصقلية فاقتتلوا مع المسلمين اشد القتال ثم انهزم الروم وركبهم المسلمون يقتلون ويأسرون الى الليل وغنموا جميع ائصالهم وسلاحهم ودوابهم وفي سنة احدى واربعين ملك الروم مدينة سروج وسبوا اهلها وغنموا اموالهم واخربوا المساجد وفي سنة ثلاث واربعين غزا سيف الدولة ابن جردان بلاد الروم فقتل واسر وسبي وغنم وكان فيمن قتل قسطنطين بن الدمستق فعظم الامر على الروم وعلى الدمستق فجمع عساكره من الروم والروس والبلغار وغيرهم وقصد الثغور فصار اليه سيف الدولة فالتقوا عند الحدث فاشتد القتال بينهم وصبر الفريقان ثم ان الله تعالى نصر المسلمين فانهزم الروم وقتل منهم ومن معهم خلق كثير واسر صهر الدمستق وابن ابنته وكثير من بطارقته وعاد الدمستق مهزوما مسلولا وفي سنة خمس واربعين وثلاثمائة سار سيف الدولة في جيوش الى بلاد الروم وغزاها حتى بلغ خرشنة وصارخة وفتح عدة حصون وسبي واسر واحرق وخرب واكثر القتل فيهم ورجع الى اذنة فاقام بها ثم رجع الى حلب فلما سمع الروم بما فعل جمعوا وساروا الى ميفارقين واحرقوا اسوارها ونهبوا واخربوا وسبوا اهلها ونهبوا اموالهم وعادوا وفي هذه السنة سار الروم في البحر فاوقعوا بأهل طرسوس وقتلوا منهم الفا وثمانمائة رجل واحرقوا القرى التي حولها وفعلوا مثل ذلك ايضا بطرسوس والرها سنة ثمان واربعين وفي سنة تسع واربعين غزا سيف الدولة بلاد الروم في جمع كثير فأثر فيها آثارا كثيرة واحرق وفتح عدة حصون واخذ من السبي والغنائم والاسرى شيا كثيرا وبلغ الى خرشنة ثم ان الروم اخذوا عليه المضايق فلما اراد الرجوع قال له من معه من اهل طرسوس ان الروم قد ملكوا الدرب خلف ظهرك فلا تقدر على العود منه والرأى ان ترجع معنا فلم يقبل منهم وكان معجبا برأيه يحب ان يستبد ولا يشاور احدا لئلا يقال انه اصاب برأى غيره وعاد من الدرب الذي دخل منه فظهر الروم عليه واستردوا ما كان معه من الغنائم واخذوا ائقاله ووضعوا السيف في اصحابه فأثروا عليهم قتلا واسرا وتخلص هو في ثلاثمائة رجل بعد جهد ومشقة وهذا من سوء رأى كل من يجهل اراء الناس العقلاء والله اعلم بالصواب وفي سنة ثلاثمائة وخسين سار قفل عظيم من انطاكية الى طرسوس ومعهم صاحب انطاكية فخرج عليهم كمين للروم فأخذ

من كان فيها من المسلمين وقتل كثيرا منهم وافلت صاحب انطاكية وبه جراحات وفي هذه السنة غزا نجا غلام سيف الدولة بلاد الروم من ناحية ميفارقين وغنم ما قيمته قيمة عظيمة وسبي واسر وخرج سالما

✽ ذكر استيلاء الروم على مدينة زربة وهو ثغر قرب المصيصة والمصيصة بلدة بالشام ✽

في سنة احدى وخسين وثلاثمائة نزل الروم مع الدمستق على عين زربة وهي في سفح جبل عظيم وهو مشرف عليها وهم في جمع عظيم فانفذ بعض عسكره فصعدوا الجبل فملكوه فلما رأى ذلك اهلها وان الدمستق قد ضيق عليهم ومعه الدبابات وقد وصل الى السور وشرع في النقب طلبوا الامان فأنهم الدمستق وفتح له باب المدينة فدخلها فرأى اصحابه الذين في الجبل قد نزلوا الى المدينة فندم على اجابتهم الى الامان ونادى في البلد اول الليل بأن يخرج جميع اهلها الى المسجد الجامع ومن تأخر في منزله قتل فخرج من امكنه الخروج فلما أصبح انفذ رجاله في المدينة وكانوا استين القا وامرهم بقتل من وجدوه في منزله فقتلوا خلقا كثيرا من الرجال والنساء والصبيان وأمر يجمع ما في البلد من السلاح فجمع فكان شيا كثيرا وأمر من في المسجد ان يخرجوا من البلد حيث شاؤوا يومهم ذلك ومن امسى قتل فخرجوا مزدحين فأت بالزجة جاعة ومروا على وجوههم لا يدرون اين يتوجهون وماتوا في الطرقات وقتل الروم من وجدوه بالمدينة آخر النهار واخذوا كل ما خلفه الناس من اموالهم وامتعتهم وهدموا سور المدينة واقام الدمستق في بلد الاسلام احدا وعشرين يوما وفتح حول عين زربة اربعة وخسين حصنا للمسلمين بعضها بالسيف وبعضها بالامان وكان من جملة تلك الحصون التي فتحت بالامان حصن أمر اهلها بالخروج منه فخرجوا فافترض احد الارمن لبعض حرم المسلمين فلحق المسلمين غيرة عظيمة فجردوا سيوفهم فاغتاز الدمستق لذلك فأمر بقتل جميع المسلمين وكانوا اربعمائة رجل وقتل النساء والصبيان ولم يترك الا من يصلح ان يسترق فلما ادركه الزمن الذي يصوم فيه النصراني انصرف على انه يعود بعد العيد وخلف جيشه بقيسارية وكان ابن الزيات صاحب طرسوس قد خرج في اربعة آلاف رجل من الطرسوسيين فوقع بهم الدمستق فقتل اكثرهم وقتل اخا لابن الزيات فعاد الى طرسوس وكان قد قطع الخطبة لسيف الدولة بن جردان فلما اصابهم هذا الوهن اعاد اهل البلد الخطبة لسيف الدولة وارسلوا له بذلك فلما علم ابن الزيات حقيقة الامر صعد الى روشن في داره فالتقى نفسه الى نهر تحتة فغرق وراسل اهل بقراس الدمستق وبذلوا له مائة الف درهم فأقرهم وترك معارضتهم

✽ ذكر استيلاء الروم على مدينة حلب وعودهم منها بغير سبب ✽

في هذه السنة استولى الروم على مدينة حلب دون قلعها وكان سبب ذلك ان الدمستق سار الى حلب ولم يشعر به المسلمون لانه كان قد خلف عسكره بقيسارية ودخل بلادهم كما ذكرناه فلما قضى صوم النصراني خرج الى عسكره من البلاد جريدة ولم يعلم به احد وسار بهم فعند وصوله سبق خبره وكبس مدينة حلب ولم يعلم به سيف الدولة بن جردان

ولا غيره فلما بلغها وعلم سيف الدولة الخبر اعجبه الامر عن الجمع والاحتشاد فخرج اليه فين معه فقاتله فلم يكن له قوة الصبر لقلة من معه فقتل اكثرهم ولم يبق من اولاد داود بن حمدان احد قتلوا جميعهم فانهزم سيف الدولة في نفر يسير وظفر الدمستق بداره وكانت خارج مدينة حلب تسمى الدارين فوجد فيها لسيف الدولة ثلاثمائة بدرة من الدراهم واخذ له الف واربعمائة بغل ومن خزائن السلاح ما لا يحصى فاخذ الجميع وخرّب الدار وملك الحاضر وحصر المدينة فقاتله اهلها وهدم الروم في السور رثلة فقاتلهم اهل حلب عليها فقتل من الروم كثير ودفعوهم عنها فلما جنهم الليل عمروها فلما رأى الروم ذلك تأخروا الى جبل جوشن ثم ان رجال الشرطة بحلب قصدوا منازل الناس وخانات التجار لينهبوها فلحق الناس اموالهم لينعوا فخللا السور منهم فلما رأى الروم السور خاليا من الناس قصدوه وقرّبوا منه فلم يمنعهم احد فصعدوا الى اعلاه فأروا الفتنة قائمة في البلد بين اهله فنزلوا وفتحوا الابواب ودخلوا البلد بالسيف يقتلون من وجدوا ولم يرفعوا السيف الى ان تعبوا وضجروا وكان في حلب الف واربعمائة من الاسارى فتخلصوا واخذوا السلاح وقتلوا الناس وسبوا من البلد بضعة عشر الف صبي وصبيّة وغنموا ما لا يوصف كثرة فلما لم يبق مع الروم ما يحملون عليه الغنيمة امر الدمستق باحراق الباقي واحرق المساجد وكان قد بذل لاهل البلد الامان على ان يسلموا اليه ثلاثة آلاف صبي وصبيّة وما لا ذكره وينصرف عنهم فلم يجيبوه الى ذلك فلكمهم كما ذكرنا وكان عدة عسكره مائتي الف رجل منهم ثلاثون الفا بالجواشن وهى الصدر والدرع وثلاثون الفا للهدم واصلاح الطرق من الثلج ومعدار بعة آلاف بغل تحمل الحسك الحديد وهى اداة للحرب من حديد لها شوكة تلتقى حول العسكر للحفظ من الدخول اليهم ولما دخل الروم البلد قصد الناس القلعة فن دخلها نجابحاشاة نفسه واقام الدمستق تسعة ايام واراد الانصراف عن البلد بما غنم فقال له ابن اخت الملك وكان معه هذا البلد قد حصل في ايدينا فليس من يدفعنا عنه فلا شئ سبب تنصرف عنه فقال له الدمستق قد بلغنا ما لم يكن الملك يؤمله وغنمنا وقتلنا وخرّبنا واحرقنا وخلصنا اسرانا وبلغنا ما لم يسمع بمثله فتراجعنا الكلام الى ان قال له الدمستق ازل على القلعة فحاصرها فائني مقيم بعسكرى على باب المدينة فقدم ابن اخت الملك الى القلعة ومعه سيف وترس وتبعه الروم فلما قرب من باب القلعة التى عليه جرف سقط ورمى بخشب فقتل فاخذ اصحابه وعادوا الى الدمستق فلما رآه قتيلا قتل من معه من اسرى المسلمين وكانوا الفاً ومائتي رجل وعاد الى بلاده ولم يعرض لسواد حلب وامر اهله بالزراعة والعمارة ليعود اليهم بزعمه

ذكر فتح طبرمين من صقلية

وفي هذه السنة سارت جيوش المسلمين بصقلية واميرهم حينئذ احد بن الحسن بن على بن ابي الحسين عامل العبيد بين الى قلعة طبرمين من صقلية ايضاً وهى بايدي الروم فحاصروها وهى من امنع الحصون واشدها على المسلمين فامتنع اهلها ودام الحصار عليهم فلما رأى المسلمون ذلك عمدوا الى الماء الذى يدخلها فقطعوه عنها واجروه الى مكان آخر فعظم الامر عليهم

وطلبوا الامان فلم يجابوا اليه فعادوا وطلبوا ان يؤمنوا على دمايتهم ويكونوا رقيقاً للمسلمين و اموالهم فبأ فاجبوا الى ذلك و اخرجوا من البلد وملكه المسلمون وكان مدة الحصار سبعة اشهر ونصفاً واسكن القلعة نفرأ من المسلمين وسميت المعز ية نسبة للمعز العبيدي صاحب افريقية و سارجيش الى رمطة مع الحسن بن عمار فحصروها وضيّقوا عليها فلما رأى الروم ذلك خافوا وارسلوا الى ملك القسطنطينية يعلونه الحال و يطلبون منه ان ينجدهم بالعساكر فجهر اليهم عسكرياً عظيماً يزيدون على اربعين الف مقاتل وسيرهم في البحر فوصلت الاخبار الى الامير احمد امير صقلية فارسل الى المعز بأفريقية يعرفه ذلك ويستدّه ويسأله ارسال العساكر اليه سريعاً وشرع هو في اصلاح الاسطول و الزيادة فيه وجمع الرجال المقاتلة في البر والبحر واما المعز فانه جمع الرجال وحشد وفرق فيهم الاموال الجلبيلة وسيرهم مع الحسن ابن علي والد احمد فوصلوا الى صقلية في رمضان و ساروا الى الذين يحاصرون رمطة فكانوا معهم على حصارها فأما الروم فانهم وصلوا ايضاً الى مدينة صقلية في شوال ونزلوا عند مدينة مسيني وزحفوا منها بجموعهم التي لم يدخل صقلية مثلها الى رمطة فلما سمع الحسن ابن عمار مقدم الجيش الذين يحاصرون رمطة ذلك جعل عليها طائفة من عسكره يمنعون من يخرج منها وبرز بالعساكر للقاء الروم وقد عزموا على الموت ووصل الروم واحاطوا بالمسلمين ونزل اهل رمطة الى من يلهم اياتوا المسلمين من ظهورهم فقاتلهم الذين جعلوا هناك لمنعهم و ابعد وهم عما ارادوا وتقدم الروم الى القتال وهم مدلون بكثرتهم وبما معهم من العدد وغيرها والتحم القتال وعظم الامر على المسلمين والحقهم العدو وبخيامهم وابقن الروم بالنظر فلما رأى المسلمون عظم ما نزل بهم اختاروا الموت ورأوا انه اسلم لهم واخذوا بقول الشاعر * تأخرت استبق الحياة فلم اجد * انفسى حياة مثل ان اتقدما *

فحمل بهم الحسن بن عمار اميرهم وحى الوطيس حينئذ وحرصهم على قتال الكفار وكذلك فعل بطارقة الروم وحلوا وحرصوا عساكرهم وحل منو يل مقدم الروم فقتل في المسلمين فتلعه المسلمون فلم يؤثر فيه لكثرة ما عليه من اللباس فرمى بعضهم فرسه فقتله واشتد القتال عليه فقتل هو وجاعة من بطارقه فلما قتل انهزم الروم اقبح هزيمة واكثر المسلمين فيهم القتل ووصل المنهزمون الى حرف خندق عظيم كالحفرة فسقطوا فيها من خوف المسلمين فقتل بعضهم بعضاً حتى امتلأت وكان الحرب من بكرة الى العصر وبات المسلمون يقاتلونهم في كل ناحية وغنوا من السلاح والخيول وصنوف الاموال ما لا يحصى وكان في جملة الغنيمة سيف هندي عليه مكتوب هذا سيف هندي وزنه مائة وسبعون مثقالاً طالما ضرب به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى المعز مع الاسرى والرؤس و سار من سلم من الروم الى ريو واما اهل رمطة فانهم ضعف نفوسهم وكانت الاقوات قد قلت عندهم فاخرجوا من فيها من الضعفاء وبقى المقاتلة فرحف اليهم المسلمون وقاتلوه الى الليل ولزموا القتال في الليل ايضاً وتقدموا بالسلايم فلكوها عنوة وقتلوا من فيها وسبوا الحرم والصغار وغنوا ما فيها وكان شيئاً كثيراً عظيماً ورتب فيها من المسلمين من يعمرها ويقم فيها ثم ان الروم تجمع من سلم منهم واخذوا معهم من في صقلية وجزيرة ريو منهم وركبوا امراكبهم

يحفظون نفوسهم فركب الامير احد في صاكره واصحابه في المراكب ايضاً وزحف اليهم في الماء وقتلهم واشتد القتال بينهم والقي جاعة من المسلمين نفوسهم في الماء وخرقوا كثيراً من المراكب التي للروم ففرقت وكثراقتل في الروم فانهزموا لايلوي احد على احد وسارت سرايا المسلمين في مداين الروم فغنموا منها فبذل اهلها اهلهم كثيراً من الاموال وهادنوهم وكانت هذه الوقائع في سنة ثلاث وخسين وثلاثمائة والهدنة في سنة اربع وخسين وهذه الواقعة الاخيرة تعرف بوقعة الحجاز وانرجع الى تمام الكلام على حوادث سنة احدى وخسين ففيها اخذ الروم حصن دلوك وثلاثة حصون مجاورة له وفيها سير سيف الدولة حاجبه في جيش مع اهل طرسوس الى بلاد الروم فغنموا وقتلوا وسبوا وعادوا فقصص الروم حصن سيبية فلكوه وفيها سار نجا غلام سيف الدولة في جيش الى حصن زياد فلقبه جمع من الروم فهزمهم واستأن اليه من الروم خمسمائة رجل وفي هذه السنة ايضاً في شوال اسرت الروم ابا فراس بن سعيد بن جردان من منبج وكان متقلداً لها وكان ذا فصاحة وبلاغة وله ديوان شعر جيد وبقى اسيراً الى سنة خمس وخسين فاقدها سيف الدولة بمال جزيل وتسلمه منهم وفي سنة احدى وخسين ايضاً سار جيش من الروم الى جزيرة اقر بطش فارسل اهلها الى المعز العبيدي صاحب افرقية يستنجدونه فارسل اليهم نجدة فقاتلوا الروم فانتصر المسلمون واسر من كان بالجزيرة من الروم وفي سنة اثنتين وخسين دخل اهل طرسوس بلاد الروم غازين ودخلها ايضاً نجا غلام سيف الدولة من درب آخر واوغل اهل طرسوس في غزوتهم حتى وصلوا الى قونية وعادوا وفي هذه السنة اجتمع جاعة كثيرة من الارمن وقصدوا الرها فغاروا عليها فغنموا واسروا وعادوا موفورين

ذكر حصر الروم المصبية ووصول الغزاة من خراسان

في سنة ثلاث وخسين حصر الروم مع الدمستق المصبية وقتلوا اهلها ونهبوا سورها واشتد قتال اهلها على القبة حتى دفعوهم عنه بعد قتال عظيم واحرق الروم رستاقها ورستاق اذنة وطرسوس لمساعدتها اهلها فقتل من المسلمين خمسة عشر الف رجل واقام الروم في بلاد الاسلام خمسة عشر يوماً لم يقصد منهم من يقتلهم فعادوا الغلاء الاسعار وقله الاقوات ثم ان انساناً وصل الى الشام من خراسان يريد الغزو ومعه خمسة آلاف رجل وكان طريقهم على ارمينية وميا فارقين فلما وصلوا الى سيف الدولة في صفر اخذهم سيف الدولة وسار بهم نحو بلاد الروم لدفعهم عن المسلمين فوجد الروم قد عادوا واقترب الغزاة الخراسانية الى الثغور لشدة الغلاء وعاد اكثرهم الى بغداد ومنها الى خراسان ولما اراد الدمستق العود الى بلاد الروم ارسل الى اهل المصبية واذنة وطرسوس اني منصرف عنكم لا لعجز ولكن لضيق الملوقة وشدة الغلاء وانا عائد اليكم فن انتقل منكم فقد نجا ومن وجدته بعد عودى قتلته ثم نزل ملك الروم بعد ذلك على طرسوس وحصرها وجرى بينهم وبين اهلها حروب كثيرة سقط في بعضها الدمستق الى الارض وكاد يؤسر فقاتلت عليه الروم وخلصوه واسر اهل طرسوس بطناً كبيراً من بطارقة الروم ورحل الروم عنهم وتركوا عسكرياً على المصبية مع الدمستق في

ثلاثة اشهرام بينهم منها احد فاختد الفلاء على الروم وكثر فيهم الوباء فأتت كثير منهم فاضطروا الى الرحيل

ذكر استيلاء الروم على المصيصة وطرسوس

في سنة اربع وخسين وثلاثمائة سارت قنقور ملك الروم الى قيسارية ليقرب من بلاد الاسلام واقام بها ونقل اهله اليها فارسل اليه اهل طرسوس والمصيصة يذلون له اتاوة ويطلبون منه ان ينفذ اليهم بعض اصحابه يقيم عندهم فجزم على اجابتهم فاتاه الخبر بانهم قد ضعفوا وعجزوا وانهم لا ناصر لهم وان الفلاء قد اشتد عليهم وقد عجزوا عن القوت واكلوا الكلاب والميتة وقد كثر فيهم الوباء فموت منهم في اليوم نحو ثلاثمائة نفس فعاد قنقور عن اجابتهم واحضر الرسول واحرق الكتاب على رأسه واحترقت لحية وقال لهم انتم كالحية في الشتاء تحذر وتذبل حتى تكاد تموت فان اخذها انسان واحسن اليها وادفأها انعمت ونهشته وانتم اغناطعتم لضعفكم وان تركتكم حتى تستقيم احوالكم تأذيت بكم واعاد الرسول وجع جيوش الروم وسار الى المصيصة بنفسه فحاصرها وفتحها عنوة بالسيف ووضع السيف فيهم فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم رفع السيف ونقل كل من بها الى بلد الروم وكانوا نحو مائتي الف انسان ثم سار الى طرسوس فحاصرها فاذعن اهلها بالطاعة وطلبوا الامان فاجابهم اليه وفتحوا البلد فلقبهم بالجميل وامرهم ان يحملوا من سلاحهم واموالهم ما يطيقون ويتركوا الباقي ففعلوا ذلك وساروا برا وبحرا وسير معهم من يحميهم حتى بلغوا انطاكية وجعل الملك المسجد الجامع اصطبلا لدوابه واحرق المبروعمر طرسوس وحصنها وجلب المسيرة اليها حتى رخصت الاسعار وتراجع اليها كثير من اهلها ودخلوا في طاعة الملك وتنصر بعضهم والعياذ بالله تعالى واراد الملك المقام بها ليقرب من بلاد الاسلام ثم عاد الى القسطنطينية واراد الدمستق ان يقصد ميفارقين وبها سيف الدولة فأمره الملك باتباعه الى القسطنطينية وفي هذه السنة نزلت طائفة من الترك على بلاد الخزر فاستنصر اهل الخزر باهل خوارزم فلم يجدوهم وقالوا انتم كفار فان اسلمتم نصرناكم فاسلموا الاملكهم فنصرهم اهل خوارزم وازالوا الترك عنهم ثم اسلم ملكهم بعد ذلك

ذكر خروج الروم الى بلاد الاسلام

في سنة خمس وخسين وثلاثمائة في شوال خرجت الروم فتصدوا مدينة آمد ونزلوا عليها وحاصروها وقتلوا اهلها فقتل منهم ثلاثمائة رجل واسر نحو اربعمائة اسير ولم يمكنهم فتحها فانصرفوا الى دارا وقرى بها من نصيبين والقيهم قافلة وارده من ميفارقين فاخذوها وهرب الناس من نصيبين خوفا منهم حتى بلغت اجرة الدابة مائة درهم وراسل سيف الدولة الاعراب ليهرب معهم وكان في نصيبين فاتفق ان الروم عادوا قبل هربهم فاقام بكانه وساروا من ديار الجزيرة الى الشام فجازوا انطاكية فاقاموا عليها مدة طويلة يقاتلون اهلها فلم يمكنهم فتحها فغزوا بلادها ونهبوها وعادوا الى طرسوس وفي سنة ست وخسين توفي سيف الدولة وملك ابنه ابو

المعالى شريف وفي سنة سبع وخسين وثلاثمائة وصلت سرية كبيرة من الروم الى انطاكية فقتلوا في سوادها وغنموا وسبوا اثني عشر الفا من المسلمين وفي سنة ثمان وخسين دخل ملك الروم الشام وبنمعه احد ولاقاته فسار في البلاد الى طرابلس واحرق بلدها وحصر قلعة عرقه فملكها ونهبها وسبي من فيها وكان صاحب طرابلس قد اخرج اهلها لشدة ظلمه فقصد قلعة عرقه فاخذ الروم وجيع ماله وكان كثيرا وقصد ملك الروم حصن وكان اهلها قد انتقلوا عنها واخلوها فاحرقها ملك الروم ورجع الى بلدان الساحل فاتي عليها نهبوا وتحريقا وملك ثمانية عشر منبرا واما القرى فكثير لا يحصى واقام في الشام شهرين يقصد اى موضع شاء ويخرب ماشاء ولا يمنعه احد الا ان بعض العرب كانوا يغيرون على اطرافهم فانا جماعة منهم وتنصروا وكادوا المسلمين من العرب وغيرهم فامتنعت العرب من قصدهم وصار للروم الهيبة العظيمة في قلوب المسلمين فاراد ان يحصر انطاكية وحلب فبلغه ان اهلها قد اعدوا الذخائر والسلاح وما يحتاجون اليه فامتنع من ذلك وعاد معه من السبي نحو مائة الف رأس ولم يأخذ الا الصبيان والصبايا والشبان فاما الكهول والشيخ والعجائز فبهم من قتله ومنهم من اطلقه وكان بحلب قرعويه غلام سيف الدولة فصانع الروم عليها فعدوا الى بلادهم فقبل كان سبب عودهم كثرة الامراض والموت وقيل ضجروا من طول السفر والغيبة عن بلادهم فعدوا على عزم الرجوع وسير ملك الروم سرية الى الجزيرة فنهبوا وسبوا واحرقوا وعادوا

ذكر ملك الروم انطاكية

في سنة تسع وخسين وثلاثمائة ملك الروم مدينة انطاكية وسبب ذلك انهم حصروا حصنا بالقرب من انطاكية يقال له حصن لوقا ووافقوا اهلها وهم نصارى على ان يرحلوا منه الى انطاكية ويظهروا انهم انما انتقلوا منه خوفا من الروم فاذا صاروا بانطاكية امانوهم على فتحها وانصرف الروم عنهم بعد موافقتهم على ذلك وانتقل اهل الحصن وزلوا بانطاكية بالقرب من الجبل الذي بها فلما كان بعد انتقالهم بشهرين جاءت الروم مع اخي تقفور الملك وكانوا نحو اربعمائة الفا فحاطوا بسور انطاكية وصعدوا الجبل الى الناحية التي بها اهل حصن لوقا فلما رأهم اهل البلد قدموا كوا تلك الناحية طرخوا انفسهم من السور وملك الروم البلد ووضعوا في اهلها السيف ثم اخرجوا المشايخ والعجائز والاطفال من البلد وقالوا لهم اذهبوا حيث شئتم واخذوا الشباب من الرجال والنساء والصبيان والصبايا فحملوهم الى بلاد الروم سبيا وكانوا يزيدون على عشرين الفا

ذكر ملك الروم مدينة حلب وعودهم عنها

لما ملك الروم انطاكية انفذوا جيشا كثيفا الى حلب وكان ابو المعالى شريف بن سيف الدولة محاصرا لها وبها قرعويه غلام سيف الدولة متغلبا عليها فلما سمع ابو المعالى خبر الروم فارق حلب وقصد البرية ليعمد عنهم وحصرها البلد وبه قرعويه واهل البلد قد تحصنوا بالقلعة فلما كان الروم المدينة وحصروا القلعة فخرج اليهم جماعة من اهل حلب وتوسطوا بينهم وبين قرعويه وترددت الرسل فاستقر الامر بينهم على هدنة مؤبدة على مال يحمله قرعويه اليهم وان يكون الروم اذا ارادوا الغزو لا يمكن قرعويه اهل القرى من الجلاء عنها لئلا يذبح الروم ما يحتاجون

اليه منها وكان مع حلب جاء وحص وكفر طاب والمرة واقامية وشيرز وما بين ذلك من الحصون والقرايا وسلموا الرهائن الى الروم وعادوا من حلب وتسلمها المسلمون

✽ ذكر ملك الروم ملاز كرد ✽

وفي هذه السنة ارسل ملك الروم جيشا الى ملاز كرد من اعمال ارمينية فحصروها وضيقوا على من بها من المسلمين وملكوها عنوة وقهرا وعظمت شوكتهم وخافهم المسلمون في اقطار البلاد وصارت كلها سائبة لا تمتنع عليهم يقصدون ايها شاؤا لضعف ملوك الاسلام عن مدافعتهم ووقوع الفتن بينهم

✽ ذكر ما فعله الروم بالجزيرة ✽

في سنة احدى وستين وثلاثمائة في المحرم اغار ملك الروم على الرها ونواحيها وساروا في ديار الجزيرة حتى بلغوا نصيبين فغنوا وسبوا واحرقوا وخرّبوا البلاد وعلوا مثل ذلك بديار بكر فسار جماعة من اهل تلك البلاد الى بغداد مستغفرين وقاموا في الجوامع والمشاهد واستغفروا المسلمين وذكر ما فعل الروم من النهب والقتل والاسر والسبي فاستعظمه الناس وخوفهم اهل الجزيرة من افتتاح الطريق وطمع الروم وانهم لا مانع لهم عنهم فاجتمع معهم اهل بغداد وقصدوا دار الخليفة المطيع لله وارادوا الهجوم عليه فغفوا من ذلك واغلقت الابواب فاسمعه ما يقع ذكره

✽ ذكر انهزام الروم واسر الدمستق ✽

في سنة اثنتين وستين وثلاثمائة كانت وقعة بين هبة الله بن ناصر الدولة بن جدان وبين الدمستق بناحية ميفارقين وكان سببها ما ذكرناه من غزو الروم بلاد الاسلام فلما رأوا انهم لا مانع لهم قوى طمّهم على أخذ آمد فسار الدمستق اليها وبها هزأ من دم غلام ابي الهيجاء بن جدان فكتب الى ابي تغلب ابن ناصر الدولة يستصرخه ويعلمه الحال فسير اليه اخاه هبة الله بن ناصر الدولة واجتمعوا على حرب الدمستق وكان الدمستق في كثرة فلقياه في مضيق لا تجول فيه الخيل والروم على غير اهبة فانهزموا واخذ المسلمون الدمستق اسيرا ولم يزل محبوبا الى ان مرض سنة ثلاث وستين وبالغ ابو تغلب في علاجه وجمع اطباء له فلم ينفعه ذلك ومات وفي سنة ثلاث وستين اصاب الخليفة المطيع لله فالج فنقل لسانه وتعذرت عليه الحركة فخلع نفسه وبويع لابنه الطائع لله وفي سنة ست وستين توفي الحكم بن عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس واقيم بعده ابنه هشام وكان صغيرا ولقب المؤيد وقام بامرّه الوزير المنصور بن ابي عامر واشتغل بالغزو وفتح من بلاد الاعداء كثيرا وامتلات الاندلس بالغنائم واستمر المنصور ستا وعشرين سنة غزا فيها ثنتين وخمسين غزوة يطول الكلام بذكرها وسيأتي ذكر شيء منها ومن محاسن غزواته انه دخل بلاد الفرنج غازيا فجاز الدرب اليها وهو مضيق بين جبلين واوغل في بلاد الفرنج يسبي ويخرب ويغنم فلما اراد الخروج رآهم قد سدوا الدرب وهم عليه يحفظونه من المسلمين فظهر انه يريد المقام في بلادهم وشرع هو وعسكره في عمارة المساكن وزرع الغلات واحضروا الخطب والتبن والميرة وما يحتاجون اليه فلما رأوا عزه على المقام مالوا الى السلم فراسلوه في ترك الغنائم

والجواز الى بلاده فقال انا عازم على المقام فتركوا له الغنائم فلم يجبههم الى الصلح فبذلوا له مالا ودواب تحمل له ما غنمه من بلادهم فاجابهم الى الصلح وفتحوا له الدرب فجاز الى بلاده

ذكر غزوات بالهند

وكان القائم بتلك الغزوات السلطان سبكتكين بضم السين وفتح الباء وسكون الكاف الاولى وفتح التاء وكسر الكاف الثانية و بنوه بعده وسبكتكين كان في الاصل غلاما لابي اسحق ابن التكين صاحب جيش غزنة للسامانية ملوك خراسان عمال الخلفاء العباسيين وكان سبكتكين مقدما عند مولاه ابي اسحق المذكور فلما مات ابو اسحق لم يخلف من اهله واقارب به من يصلح للتقدم فاجتمع عسكره واتفقوا على تقديم سبكتكين لما عرفوه من عقله ودينه ومروءته فقدموه عليهم وواووه امرهم سنة ست وستين وثلاثمائة فاحسن السيرة فيهم وصار له ملك ضخيم توارثه بنوه في كابل والهند وخراسان الى سنة سبع واربعين وخمسائة فتكون مدة ولايتهم مائتي سنة وثلاث عشرة سنة تقريبا وكان ملوكهم من احسن الملوك سيرة لاسيما السلطان محمود بن سبكتكين فان آثاره في الجهاد معروفة واعماله للآخرة مشهورة وكان مقر سلطنتهم غزنة فهي دار ملكهم وهي من مدائن كابل وهذا اول ذكر غزواتهم في سنة ست وستين وثلاثمائة غزاه سبكتكين وهو والد السلطان محمود صاحب غزنة فافتتح قلاعاً حصينة على شواطئ الجبال وعاد سالماً ظافراً ولما رأى جييال ملك الهند ما دهمه وان بلاده تملك من اطرافها جمع الجيوش الكثيرة واستكثر من الفيول وسار حتى اتصل بولاية سبكتكين فمارس سبكتكين عن غزنة اليه ومعه عساكره وخلق كثير من المتطوعة فالتقوا واقتتلوا اياماً كثيرة وصبر الفريقان وبالقرب منهم عتبة غورك وفيها عين ماء لا تقبل نجساً ولا قدراً واذا التي فيها شيء من ذلك اكفهرت السماء وهبت الرياح وكثر الرعد والبرق والامطار ولا تزال كذلك الى ان تظهر من الحدى التي فيها قامر سبكتكين بالقاء نجاسة في تلك العين فجاء الغيم والرعد والبرق وقامت القيامة على الهند لانهم رأوا ما لم يروا مثله وتوا لتعظيم الله عز وجل في ذلك اليوم عاق والامطار واشتد البرد حتى هلكوا وبعيت عليهم المذاهب واستسلموا لسلطانهم وارسل ملك الهند الى سبكتكين يطلب الصلح وترددت الرسل فأجابهم اليه بعد امتناع على مال يؤديه وبلاد يسلمها وخسين فيلًا يحملها اليه فاستقر ذلك ورهن عنده جماعة من اهله على تسليم البلاد وسير معه سبكتكين من يتسلمها فان المال والقبيلة كانت معجولة فلما بعد ملك الهند قبض على من معه من المسلمين وجعلهم عنده عوضاً عن رهائهم فلما سمع سبكتكين بذلك جمع العساكر وسار نحو الهند فاخرب كل مامر عليه من بلادهم وقصد لغان وهي من احسن قلاعهم فافتتحها عنوة وهدم بيوت الاصنام واقام فيها شعار الاسلام وسار عنها يفتح البلاد ويقتل اهلها فلما بلغ ما اراده عاد الى غزنة فلما بلغ الخبر ملك الهند جمع العساكر وسار في مائة الف مقاتل فلقبه سبكتكين وأمر اصحابه ان يتناوبوا القتال مع الهند ففعلوا ذلك فضجر الهند من دوام القتال معهم وحلوا جملة واحدة فعند ذلك اشتد الامر وعظم الخطب وحل المسلمون ايضا جيهم واختلط

بعضهم ببعض فانهزم الهنود واخذهم السيف من كل جانب واسر منهم مالا يعدد وغنم اموالهم واثقالهم ودوابهم الكثيرة وذل الهنود بعد هذه الواقعة ولم يبق لهم بعد هاراية ورضوا بأن لا يطلبوا في اقصى بلادهم ولما قوى سبكتكين بعد هذه الواقعة اطاعه الافغانية والخلج وصاروا في طاعته

ذكر غزوة الامير ابي القاسم الكلبي امير صقلية

في سنة احدى وسبعين وثلاثمائة في ذي القعدة سار الامير ابو القاسم من صقلية يريد الجهاد وسبب ذلك ان ملكا من ملوك الفرنج يقال له برد ويل خرج في جوع كثيرة يريد صقلية فحصر قلعة مالطه وملكها واصاب سريتين للمسلمين فسار الامير ابو القاسم بعساكره ليرحله عنها فلما قاربها خاف وجبن فجمع وجوه اصحابه وقال لهم اني راجع من مكاني هذا فلا تكسروا على رأي فرجع هو وعساكره وكان اسطول الكفار يسير المسلمين في البحر فلما رأوا المسلمين راجعين ارسلوا الى برد ويل ملك الفرنج يعلمونه ويقولون له ان المسلمين خائفون منك فالحق بهم فانك تنظر فجرد الفرنجي من عساكره اثقالهم وسار جريدة وجد في السير فادر كهم في العشرين من المحرم سنة ثنتين وسبعين فتبعها المسلمون لاقبال واقتتلوا واشتدت الحرب بينهم فحمل طائفة من الفرنج على القلب والاعلام فشقوا العسكر ووصلوا اليها وقد تفرق كثير من المسلمين عن اميرهم واختل نظامهم فوصل الفرنج اليه فأصابته ضربة على ام رأسه فقتل وقتل معه جماعة من اعيان الناس وشجعانهم ثم ان المهزمين من المسلمين رجعوا مصممين على القتال ليظفروا او يموتوا واشتد حينئذ الامر وعظم الخطب على الطائفتين فانهزم الفرنج اقبح هزيمة وقتل منهم نحو اربعة آلاف قتيلا واسر من بطارتهم كثير وتبعهم المسلمون الى ان ادركهم الليل وغنموا من اموالهم كثيرا وافلت ملك الفرنج هاربا ومعه رجل يهودي كان خصيصا به فوقف فرس الملك فقال له اليهودي اركب فرسي فان قتلت فانت لولدي فركبه الملك ونجا وقتل اليهودي ولما قتل الامير ابو القاسم كان معه ابنه جابر فقام مقام ابيه ورحل بالمسلمين لوقتهم ولم يكتمهم من انقام الغنية فتركوا كثيرا منها

ذكر دخول الروسية في دين النصرانية

قد تأخر دخول الروسية في النصرانية عن بقية الافرنج سكان اوروبا وذلك انه كان اول دخول الروسية في دين النصرانية سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وسبب ذلك انه وقع اختلاف بين ملوك الروم مع بعضهم فاستجد بعض منهم بملوك الاسلام وذلك البعض هو ورد الرومي وكان من اكابر رؤسائهم وقوادجيو شهم وعظما بطارتهم فطمع في الملك ولا قدرته على قتال بقية المتنازعين فكانت ابان تغلب بن جردان امير حلب والموصل نيابة عن الخليفة واستجده وصاهره فاجابه ابن جردان واستجاش بالمسلمين من الثغور فحصل له جيش ضخم فقصد قتال الروم بذلك الجيش فاخرجوا له جيشا بعد جيش وهو يهزمهم فقوى جناحه فقصد القسطنطينية ومع تلك الجيوش ايضا ورد الرومي الطالب لملك القسطنطينية فجمعوا له جيوشا

شيرة وقائلوه قد لا شديدا حتى انهزم فرجع ورد الرومي الى بلاد الاسلام وقصد ديار بكر ونزل
 شاهرميا فارقي وكان عضد الدولة بن بويه المتغلب بالعراق على الخلفاء وعنده يذل الطاعة
 فاجابه بجواب حسن ووعده بأنه ينسره فبلغ ذلك ملوك الروم وكان ملكان منهما اخوين
 مشتركين في ملك القسطنطينية فكتبوا عضد الدولة وبمثاله بهدايا واستمالاه فتوى في نفسه
 ترجيح جانبهما وأعرض عن نصرة ورد الرومي وكتب لنائبه بديار بكر وهو ابو علي التميمي أن
 يقبض على ورد الرومي واصحابه فشرع يدبر الحيلة عليه فبلغ الخبر بعض اصحاب ورد فذوقوا له
 ان ملوك الروم قد كاتبوا عضد الدولة وراسلوه مرنا ولا شك انهم يرغبونه بالمال وغيره
 فيسلنا اليهم فالرأي ان ترجع الى بلاد الروم ونعنيهم ان امكننا او نحاربهم ونذل انفسنا
 فاما ظفرونا ومانا كراما فنادى ورد ما هنأ رأيي لا رأي ائمان عضد الدولة غير الجليل ولا يجوز ان تنصرف
 قبل ان نعلم ما عنده فلما قال لهم ورد ذلك فارقه كثير من اصحابه فطلع فيه ابو علي التميمي نائب
 عضد الدولة بديار بكر فكتبه وطلب حضوره عنده والاجتماع به فأجابه ورد الى ذلك وحضر
 عنده فلما اجتمع به قبض عليه وعلى ولده واخيه وبعض اصحابه وذلك سنة سبعين وثلاثمائة
 وحبسهم بميفارقين ثم جعلهم لعضد الدولة ببغداد فبقوا في الحبس الى ان مات عضد الدولة
 سنة خمس وسبعين وصار ملك بنى بويه لعضد الدولة فاطلق ورد الرومي ومن كان
 محبوسا معه وشرط عليه اطلاق عدد كثير من اسارى المسلمين وأن يسلم له سبع حصون
 عنهما من بلاد الروم برساتيقها وأن لا يقصد بلاد الاسلام لاهو ولا احد من اصحابه مدة
 حياته وجهازه بما يحتاج اليه من مال وغيره فصار ورد الى بلاد الروم واستمال في طريقه خلقا
 كثيرا من اهل البوادي وغيرهم واطمئنتهم في العطاء والغنيمة فاجتمع معه جيش فصار به حتى نزل
 بالطبة فتملكها فتوى بها وبما فيها من مال وغيره وقصد من ملوك الروم ورديس بن لارن
 وراسله واستماله فاستقر الامر بينهما على ان تكون القسطنطينية وماجاورها من شمال الخليج
 لو ورديس والجانب الآخر لو ورد وتحالفا ثم اجتمعا فقبض ورديس على ورد وحبسه ثم ندب
 فأطلقه عن قريب وعبر ورديس الخليج وحصر القسطنطينية وبها الملكان وضيق عليهما
 فكتبتا ملكا روسية واستنجدا به وعرضا عليه التزوج بأخت لهما فأجابهما لما طلباه منه
 من الروسية فاستعتا اختهما من تسليم نفسيهما الى من يخالفها في الدين فتنصر ملك الروسية
 فكان ذلك اول دخول الروسية في النصرانية ثم تزوجها وسار بجنوده الى قتال ورديس
 فاقتلوا وقتل ورديس واستقر الملكان في ملكهما وكتبوا وردا واصطلحا معه وأقره على ما
 يده من الممالك وبقي دهرأ طويلا ثم هلك مسموما

✽ استطراد ✽

حيثما ذكر بعض المؤرخين ابتداء دخول الروسية في النصرانية فينبغي ايضا ذكر ابتداء
 دخول غيرهم من دول الأفرنج في النصرانية وذلك يتوقف اولا على ذكر ابتداء دولة
 كل دولة منها وكيف كانت ديارها قبل دخولها في النصرانية وبيان ذلك ان اقدم الدول
 واقواها في اوائل الدهور دولة الفرس فانهم كانوا اقوى الدول وكانت الدول في اقطار
 الارض تخضع لهم وتتقاد لامرهم وينتهي نسب ملوك الفرس الى وشهنج وهو مهلاييل بن

قيان بن شيث بن آدم عليه السلام وكان وشهنج ملكا مسلماً صالحاً له ملك واسع وآثار
 حميدة كثيرة ثم تغير من جاء بعده من عقبه فأحد ثوادين الجوسية واتخذ واليهين اثنين
 النور والظلة فأثبتوا الها وهو النور وشيطاناً وهو الظلة وقالوا ان النور هو الله وقالوا
 انه قديم وسموه يزدان وقالوا ان الظلة الله مخلوق وهو الشيطان وسموه اهر من فأصل
 دينهم مبني على تعظيم النور وهو يزدان وتحقير الظلة وهو اهر من فلما عظموا النور عبدوا
 النار وقيل ان الفرس وملوكهم ينتهي نسبهم الى فارس بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل
 انهم من نسل يافث بن نوح وهم يقولون انهم من ولد كيو مرث وهو آدم عليه السلام
 ويقولون ان الملك فيهم من كيو مرث وهو آدم عليه السلام وبقي فيهم الى ان استلبه منهم
 المسلمون من هذه الامة في اوائل ظهور الاسلام وكان في زمن قوة ملكهم موجودا في مشارق
 الارض ومغارها ملوك كثيرة ولكنهم كانوا اقوى الملوك وكان اكثر الملوك يتقادون لهم
 ويدخلون تحت طاعتهم ومن جلة الملوك الذين كانوا يخضعون لهم ملوك اليونان وملوك
 الروم الى ان صار ملك اليونان للاسكندر رفقاً تلهم وقهرهم واستلب الملك منهم وجعل في
 ارضهم ملوكاً من اكابرهم صاروا تحت طاعته يسمون ملوك الطوائف وكانوا عشرين
 ملكاً وكذلك قهر الاسكندر ملوك الروم فكانوا تحت طاعته في حين غلبة الاسكندر للملوك
 الفرس صار ملك اليونان اقوى الملوك ودخل تحت طاعته ملوك الفرس وملوك
 الروم وهذا الاسكندر يقال له الاسكندر الرومي مع انه كان من اليونان لكنه نسب الى
 الروم لغلبته اياهم وقهره لهم ودخلوا لهم تحت طاعته وينتهي نسب اليونان الى يونان بن
 يافث بن نوح عليه السلام وكان مبدأ ملك اليونان قبل ميلاد ابراهيم عليه السلام لكنهم
 كانوا تحت طاعة ملوك الفرس الى زمن غلبة الاسكندر للفرس فصار الروم ايضاً تحت
 طاعته وقيل ان اول من ظهر امره من اليونان رجل اسمه اللن ولد سنة اربع وسبعين لمولد
 موسى عليه السلام وقيل ان تاريخ ظهور ملك اليونان سنة ثمان وستين وخمسة لوفاة موسى
 عليه السلام وكان تاريخ غلبة الاسكندر للفرس والروم بعد مضي خمسة آلاف سنة ومائتين
 واحدى وثمانين سنة من هبوط آدم عليه السلام الى الارض وذلك ايضاً بعد مضي ثلاثة
 آلاف سنة وتسع وثلاثين سنة من الطوفان وذلك ايضاً بعد مضي الف وتسعمائة سنة
 وثمانية وخسين سنة من مولد ابراهيم عليه السلام وبعد مضي الف وستمائة سنة وثلاث
 عشرة سنة من وفاة موسى عليه السلام واما عيسى عليه السلام فكان ميلاده بعد غلبة
 الاسكندر بثلاثمائة وثلاث سنين وكان الناس قبل ميلاد عيسى عليه السلام يؤرخون بغلبة
 الاسكندر ثم بعد ميلاد عيسى عليه السلام صاروا يؤرخون بميلاد عيسى عليه السلام
 وتركوا التاريخ بغلبة الاسكندر ولما بعث نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اصطلح المسلمون
 في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه على انهم يؤرخون بالهجرة وكان بين الهجرة وميلاد عيسى
 عليه السلام ستمائة واحدى وثلاثين سنة وقيل ستمائة واحدى وعشرين سنة وكان اليونان
 يعبدون الكواكب وكانت لهم اصنام على صور الكواكب يعبدونها وكان من اليونان
 الفلاسفة الذين دونوا علم الطب اليوناني وكان كثير منهم ينكرون حدوث العالم ويقولون

انه قديم و يعتقدون التأثير الطبيعي ولما غلب الاسكندر ملوك فارس والروم بقي الملك في اليونان الى مضي ثلاثة عشر ملكا منهم وذلك في مدة مائتين واثنين وعشرين سنة اولها من غلبة الاسكندر رثم غلبهم الروم واستلبوا الملك منهم فصارت الغلبة لملك الروم وهذا الاسكندر الذي غلب فارس والروم غير الاسكندر المذكور في القرآن الذي يقال له ذو القرنين كما حقق ذلك جواهر المفسرين للقرآن فانهم حققوا ان الاسكندر ذا القرنين المذكور في القرآن كان مسلماً صالحاً بل قبل نبوته وانه كان قبل الاسكندر الرومي بدهور طويلة واما الروم الذين غلبوا اليونان واستلبوهم ملكهم فانهم من عقب روم بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم عليهما السلام فغلب الروم اليونان واستلبوهم ملكهم بعد مضي مائتين واثنين وعشرين سنة من غلبة الاسكندر ولم يرجع لليونان ملكهم واستمروا رعية لغيرهم وسكنوا المورة واستمروا رعية ايضاً الى ظهور الدولة العثمانية فلما كانت سنة الف ومائتين وست وثلاثين حصل منهم خروج عن الطاعة لاسلطان محمود الثاني العثماني فجهز عليهم وقتلهم ثم توسط بعض الدول بينهم بالصلح وتوسطوا ايضاً في جعلهم دولة مستقلة ببلاد المورة فكان الامر كذلك الى هذا الوقت واما الاروام فانهم بعد فتح السلطان محمد القسطنطينية سنة ثمان وخمسين وعثمانية انقضت دولتهم ولم ترجع لهم دولة بل هم رعية لدولة العثمانية الى الآن وكان انتقال ملك اليونان للروم قبل ميلاد المسيح عليه السلام بمائة وخمس واربعين سنة وكانت ديانة الروم عبادة النكواكب والاصنام التي على صور النكواكب فكانوا تابعين في ذلك لليونان لان الغالب على الناس ان يكونوا على دين ملوكهم واستمر الروم على ذلك الى ان دخلوا في دين النصراني وذلك بعد مضي مائتين وسبع وثلاثين سنة من ميلاد المسيح عليه السلام ثم ان بعض ملوك الروم اعاد عبادة الاصنام وصار يقتل من يتبع الملة المسيحية وبعضهم يقبلها ويردها الى ان قتل منهم الملك قسطنطين فارتضى الملة المسيحية ودخل فيها وامر الناس بالدخول فيها والتمسك بها وكان ذلك سنة ثلاثمائة وست من ميلاد المسيح فتصصر الروم جميعاً وكان مقر ملك الروم مدينة رومة الى ان بنى القسطنطينية فان الملك قسطنطين المذكور هو الذي بناها ونقل كرسى السلطنة من رومة الى القسطنطينية وكان ذلك سنة ثلاثمائة واثنى عشر من ميلاد المسيح عليه السلام وقيل ان هذا تاريخ بناء القسطنطينية واما نقل كرسى السلطنة اليها فكان سنة ثلاثمائة وثلاثين من ميلاد المسيح عليه السلام واما مدينة رومة فاوّل من بناها ملك من ملوك الروم قبل غلبتهم لليونان اسمه روملس ويقال لها رومة ورومية وكان بناؤه اياها قبل ميلاد المسيح عليه السلام بسبعمائة وثلاث وخمسين سنة واما بيان كيفية غلبة اليونان للفرس وغلبة الروم لليونان والمحاربات الواقعة بينهم فلا حاجة الى ذكر شي منها لان ذلك شئ طويل لا فائدة في ذكره ولما ملك الروم اليونان وغلبوا عليهم واستلبوهم ملكهم خضع للروم كثير من الملوك ودخل تحت طاعتهم كثير من الملوك الذين لا يستطيعون محاربة ملك الروم كملوك الافرنج الذين في اوربا وكثير من ملوك افريقيا وآسيا وصار ملك ملك الروم ضخماً قوياً واسعوا واستمر ذلك الى سنة اربعمائة وست وسبعين مسيحية وذلك قبل الهجرة بمائة وست واربعين سنة فاستلب ملك ايطاليا ملك رومة وانتزعها من ملك القسطنطينية وهو ملك الروم وفصلها

عن ملكه وصارت من ممالك ايطاليا لكنهم لم يستقل بملكها بل نازعه في ذلك كثير من دول
اوروبا ووقع بينه وبينهم محاربات وانتزاع ورجوع مرة بعد اخرى والكلام على ذلك
طويل وما صار لملك ايطاليا استقلال تام بالملك الاسنة الف وسبع وعشرين من ميلاد
المسيح الموافق ذلك سنة اربعمئة وثمانية عشر هجرية فاستلأهم بالملك تأخر الى هذا الوقت
وان كانوا يتقدمين بالندبة الى وجود اصل ملكهم فهم اقدم دول اوروبا بالنسبة لكونهم
اول من اخرج رومة عن طاعة ملك الروم وان كان تمام استلأهم متأخرا واما اول
الاستقلال فهو سنة اربعمئة وست وسبعين مسيحية وذلك قبل الهجرة بمائة وست واربعين
سنة بل كان لهم ملوك ايضا قبل ذلك لكنهم كانوا تحت طاعة ملوك الروم بل قال بعضهم ان
اول وفودهم الى ارض ايطاليا وسكنائهم فيها كان قبل ميلاد المسيح بالف وسبعمائة سنة
فهذا وجد قول من قال انهم اقدم ملوك الافرنج الذين في اوروبا ومن حين وفودهم في ذلك
الوقت كان لهم رئيس بمنزلة الملك واما دخولهم في دين النصارى فكان بعد ميلاد المسيح
عليه السلام بخمسة مئة سنة ثم لم يزل دين النصارى ينتشر عند الافرنج سكان اوروبا الى سنة
خمس مئة وست وتسعين من ميلاد المسيح عليه السلام ثم زاد انتشاره حتى عم اكثرهم وتأخر
عن الدخول فيه الروسية لانهم لم يقدروا فيه سنة ثلاث مئة وخمس وسبعين هجرية كما تقدم
ولما كانت ايطاليا اقدم تلك الطوائف كان تأسيس دينهم ومقر رؤساء الدين عندهم وقد كانت
النصارى بعد رفع عيسى عليه السلام على مثل ما كانوا عليه حين كان بين اظهريهم من الاقرار
لله بالوحداية ولله بالرسالة مع الاقرار بأنه عبدالله ورسوله ثم بعد رفته دخلت عليهم شبه
حصل بسببها الافتراق في دينهم فانقسموا ثلاث طوائف ملكانية ونسطورية ويعقوبية
فالملكانية مصرحة بالتثليث كما قال الله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان لله ثالث ثلاثة فيؤلفون
الالهة ثلاثة المسيح واهه والله ويقولون ان المسيح ناسوت كلبي قديم ازل من قديم ازل ويقولون
ان مريم ولدت لها ازليا ويطلقون لفظ الابوة على الله تعالى وتزعمه اي يقول الظالمون
علموا كبيرا ويطلقون ايضا لفظ البنوة على عيسى عليه السلام اطلاقا حقيقيا واما النسطورية
فخالفوا الملكانية فلم يقولوا بالاتراج بل قالوا ان الكلمة اشرقت على جسد عيسى فاشراق
الشمس على كوة او على بلور واما يعقوبية فيقولون انقلبَت الكلمة لحما ودما فصار الله
هو المسيح كما حكى الله عنهم ذلك بقوله لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم
واما المسلمون فقالوا كما ذكر الله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له
كن فيكون فهذا هو المراد من الكلمة ومن الشبه التي دخلت على النصارى حتى قالوا بالوهمية
عيسى عليه السلام انه يرى الاله والابص ويحي الموتى وما عقلوا ان ذلك بامر الله
بل هو فعل الله وخلقته وابتداهه اجراء على يد عيسى عليه السلام وقد اقام الله عليهم الحجة
في ابطال زعمهم فقال سبحانه وتعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل
وامه صديقة كانا يا كلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر اني يؤفكون فتوله
سبحانه وتعالى كانا يا كلان الطعام برهان على افتقارهما الى الطعام كافتقار جميع الحيوانات
فكيف يكون الهان من يفتقر الى الطعام ولا يكون قوامه الاله وايضا كل الطعام يستلزم البول

والغائط فكيف يكون الها من يحتاج الى ان يبول ويتغوط فاكل الطعام كناية عن البول والغائط لكن لم يعبر بالبول والغائط لفحش الايتان بلفظهما والقرآن العزيز الفاظه في غاية الزاظة والعدو به مع غاية الفصاحة والبلاغة ومن شبههم ايضا كون المسيح ولد بلاب فنسبوه الى الله تعالى وغاب عن عقولهم آدم عليه السلام فانه اغرب من عيسى عليه السلام فانه بلاب ولاام وقد ابطال الله لهم هذه الشبهة حيث قال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلته من تراب ثم قال له كن فيكون فخلق آدم بلاب ولاأم اعجب من خلق عيسى من أم بلاب وبعد دهور طويلة افترق النصارى فرقتين احدهما تسمى كاتوليكية والاخرى بروتستانية ومع ذلك فينبهم اختلاف كثير وينشعب من اختلافهم مذاهب كثيرة ليس هذا محل تفصيلها وكلهم يقولون بالبعث ثم منهم من يقول ان البعث بالاجساد والارواح ومنهم من يقول انه بالارواح فقط وفي تاريخ الامام محمد بن جرير الطبري ان قيام الساعة مما يؤمن ويقر به جميع اهل الاسلام واهل التوراة واهل الانجيل والمجوس وغاينكره قوم من غسير اهل التوحيد ثم قال وكل الذين ذكرناهم فانهم مقررون بقاء جميع العالم حتى لا يبق غير القديم الواحد ومقررون بأن الله عز وجل محييهم بعد موتهم وباعثهم بعد هلاكهم الاقوما من عباد الاوثان فانهم يقولون ببقاءه وينكرون البعث اه ويسمون الملكانية كاتوليكية وهي صفة مدح عندهم مثل التسمية باهل السنة عند المسلمين اما اليعقوبية والنسطورية فلم يوجد الا ان احد منهم في بلاد الافرنج بل هم الان كلهم ملكانية وكان اليعقوبية والنسطورية موجودين في الزمن السابق وانقرضوا ولم يجد احد من اليعقوبية والنسطورية في نيسارى الشام ومصر والعراق والحيرة والحاصل ان اهل المذهب الكاتوليكي كلهم ملكانية ورئيس المذهب الكاتوليكي عند النصارى هو الاسقف العظيم والخير الكبير والقسيس العظيم ويسمونه البابا ومقره وسكناه رومة عند دولة ايطاليا فله الرئاسة على كل متمسك بالمذهب المذكور بمعنى ان له النظر في اجراء الاحكام الدينية الباطنية فهو عندهم بمنزلة القطب عند المسلمين وكان له عندهم ملك سياسي في الاراضي التي تحت سلطته واكثر ايطاليا على المذهب الكاتوليكي وكانوا في سنة سبع مائة و عشرين من بلاد المسيح الموافق مائة وثمانية من الهجرة جعلوا البابا دولة جمهورية تحت رياسته فكان ذلك التاريخ مبدأ امره ولم يزل يترقى امر الباباوات حتى صارت لهم سطوة الدين والدنيا فكانت لهم ملك واسعة في الارض وكانوا رؤساء في الدين والدنيا بحيث نهم صار لهم حق كبير في تولية ملوك اوربا وعزاهم حسب مشيئتهم فكانت سطوتهم سائدة على كل ملوكهم وكان لغيرهم من الملوك تاج واحد وامامهم فكان لهم ثلاث تيجان واحد فوق واحد دلالة على كمال السلطنة وعلوها وبلغ اعتبارهم عندهم انهم عند ما كانوا يركبون على الخيل يمسك لهم الركاب كثير من ملوكهم وكانوا اذا أمروا بمحاربة امة لا يخافهم احد ويحرقون من خالفهم بالنار وهو حي وكان البابا امره الزم اميرا طور المانيا ان يقف حافيا ثلاثة ايام في فصل الشتاء امام باب قصره ليطلب منه الغفران ورفس البابا مرة برجله تاج ملك جرمانيا حيث كان جاثيا امامه يطلب الغفران قال بعض مؤرخي الافرنج المتأخرين ان جهالة تلك الاعصار طمست بصائر الشعوب حتى لم يروا خطأ في رؤسهم فكانوا

يذعنون لكل احكامهم و يخضعون لكل ما يستقر عليه رؤيهم كأنه منزل من الله تعالى لا يشوبه عيب فلما بلغت شوكتهم الى هذا الحد لم يبق في اوربامملكة الا واضطربت من افمأ لهم ولا ملك الا تعكر من مطامعهم ولا كرسى الا وارتج من شوكتهم فنشأ من ذلك فتن كثيرة كان منها انحطاط امر الباباوات شيئاً فشيئاً الى سنة الف وثمانمائة واحدى وسبعين مسيحية الموافق الف ومائتين وثمان وثمانين هجرية فسقط أمرهم بالكلية ودخل الايطاليون الى عاصمة مملكة البابا واخذوها منه وابقوه على الكاثوليكية رئيساً فقط ومقره في الكنيسة الرومانية وليس له من الرئاسة غير ذلك واستمر الامر كذلك الى هذا الوقت واما الاحكام بين الرعايا وما يتعلق بالسياسة وتدبير الملك فعدجعلوها لهماقوانين دونوها بمقولهم واتخذوا لكل نوع منها مجالس مخصوصة وهكذا سار دؤول اوربامع انه كان عندهم في الانجيل وفي الكتب القديمة احكام مدونة تتعلق بالعبادات والمعاملات والانكحة فتركوا كثيرا منها واسسوا تلك القوانين العقلية ورأوها اقوى في تثبيت ملكهم ثم ان الملكانية الذين تتقدم انهم يسمون كاثوليكية استمروا على المذهب الكاثوليكي الى القرن التاسع فلما كثر المكرون رياسة البابا صاحب رومة صاروا يسمون المنكرين لرياسته بروتستان وصارت هذه التسمية عندهم مثل تسمية المبتدعة الخارجين عن مذهب اهل السنة عند المسلمين فان المسلمين من اهل السنة يسمون المخالفين لهم بالمبتدعة فصارعندالنصارى الملكانية لايسمى كاثوليكية الا من اعترف برياسة البابا ومن لم يعترف بهافهو بروتستان بمنزلة المبتدع عند المسلمين وكان هذا الاصطلاح عندهم في القرن التاسع من قرون الهجرة النبوية فهذا هو الفرق الاعظم عندهم بين الفريقين ومع ذلك فالذين يسمونهم بروتستان كثير منهم لا يستأنفون من هذه التسمية لكن الاكثر منهم اذا قيل له انت بروتستان يستأنف من ذلك ولا يرضى بهذا اللقب لانه بمنزلة المبتدع ويقول بل انا كاثوليكي وان كان غير معترف برياسة البابا ثم ان بين الفريقين ايضا اختلاف في مسائل كثيرة فاعظمها ان البروتستان لا يعترفون برياسة البابا بل يقولون هو من جلة رؤساء الاساقفة ولا تخصررياسة الاساقفة فيه بل هي فيه وفي اسقف القسطنطينية واسقف اسكندرية لامرية ولا رياسة لاحدا من الثلاثة على الاخرين ولا يزيدقدر احد الثلاثة على الاخرين واما الكاثوليكية الاصليون عندهم فهم المعترفون برياسة البابا صاحب رومة على غيره ومن الاختلاف الواقع بينهم ان بعض البروتستان يخالفون مذهب الملكانية الاصلى للفريقين في اعتقاد التثليث لانهم نظروا في كتب اهل الاسلام وادلتهم على وحدانية الله فاعترفوا بصحة تلك الادلة واعترفوا بوحدانية الله تعالى لكنهم لم يعترفوا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واعترفوا برسالة عيسى المسيح عليه السلام وقالوا انه عبد الله ورسوله ووافقون النصارى في بقية دياناتهم فهذا موضع من مواضع المخالفة بينهم وبين الكاثوليكية لكن هذا الاعتقاد ادعى اعتقاد الوحدانية لله تعالى لا يقول به كل البروتستان بل بعضهم والبعض الاخر من البروتستان يقولون بالتثليث مثل الكاثوليكية لكنهم سموهم بروتستان لعدم اعترافهم برياسة البابا بل يقولون اصول الاساقفة اسقف رومة واسقف القسطنطينية واسقف الاسكندرية ثم ان جميع الفريقين لهم عبادات ومشروعات مختلفة اختلافا كثيرا لم يتفقوا كلهم على شيء

منها الا للدعاء فانهم كلهم اعترفوا بجموع عبيته واما صلاتهم وصيامهم وباقي عباداتهم فهم مختلفون فيها اختلافا كثيرا فن ذلك ان الصوم يقول الكاثوليك انه فرض ويقول البروتستان انه سنة وليس بفرض والصوم المذكور هو صوم اربعين يوما في فصل الربيع الذي يكون قبل الصيف بحيث يكون آخر الاربعين موافقا لآخر الربيع هذا متفق عليه بينهم لكن الكاثوليك اكثر منهم وهم اهل الديانة القوية منهم يقولون ان الصوم هو امساك عن تناول الطعام والشراب من طلوع الشمس الى غروبها في الاربعين يوما واما البروتستان وبعض الكاثوليك الذين ضعف ديانتهم فانهم يجوزون في حالة الصيام تناول الطعام والشراب انكهم يقولون لا يجوز تناول اللحم بجميع انواعه وكذا ما تولد من الحيوان كاللبن والسمن والاحوت فانهم يجوزون تناوله حالة الصيام ويتناولون ايضا الخبز والحلوى وسائر الاطعمة غير اللحم الذي ليس لحم حوت ويشربون الخمر والماء في حالة الصيام ومن الفرق بين الفريقين ان لكل منهم اولياء يعتقدون فيهم ويتوسلون بهم لكن بينهم اختلاف في بعض الاولياء فهذا البعض يعترف به احد الفريقين دون الآخر وبالعكس فاذا كان الاولياء الذين يعتقدهم الكاثوليك لا يعتقدهم انسان يقولون انه بروتستان وهناك فرقة يسمونهم اللاتينية وفرقة يسمونهم اهل الديانة الروسية (ارثوذكس) وذلك بسبب عدم اعترافهم برياسة البابا وان كانوا موافقين الكاثوليك في جميع ما هم عليه من الديانات والاعتقادات ومع ذلك فكثير من اللاتينية واهل الديانة الروسية يقولون نحن كاثوليك افتخارا بهذا اللقب فيقولون لهم كذبت انتم لاتينية او من اهل الديانة الروسية حيث انكم لم تعترفوا برياسة البابا وهناك فروق كثيرة بين طوائفهم ومذاهب مختلفة يكفر فيها بعضهم بعضا لاحاجة الى ذكرها وانما المدار عندهم في الفرق بين الكاثوليك والبروتستان الاعتراف برياسة البابا وعدم الاعتراف بها وقد عرفت ان الاصل الاصيل عندهم في تأسيس الديانات والاقدمية في الملك هي دولة ايطاليا ومع ذلك فبعض منهم ينكرون برياسة البابا فيكونون عندهم بروتستان لكن الاكثر منهم يعترفون بها فيقرون لهم بانهم كاثوليك وبعض من الفرنسيين والانكليز وغيرهم خرجوا عن ملة النصارى بالكليّة في الباطن وان كانوا يعترفون بها في الظاهر واما في الباطن فصاروا كالزنادقة عند المسلمين فهؤلاء لا يعترفون في الباطن بشيء من دياناتهم بل ولا بنبوة عيسى ولا غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بل بعض منهم ينكرون الصانع ولا يعترفون ببعث ولا نشور ويقولون ما هي الارحام تدفع وارض تبلع وما يهلكنا الا الدهر فهو لاء دهرية لكنهم لا يتظاهرون بذلك بل يخفونه ويظهرون انهم على ملة النصارى وفي هذا القدر كفاية فلنم الكلام على ذكر بقية دولهم وكيفية ابتداء كل دولة ومتى كان دخولهم في النصرانية (امادولة الفرنسيين) نأصلهم ايضا شعوب وقبائل مختلفة دخلت تلك البلاد في اوقات مختلفة واستوطنوا تلك الارض التي هم فيها الآن واخص تلك القبائل واشهرها قوم يقال لهم الكليتين ويقال لهم ايضا الافرنك بالكاف ثم غيرت بحيم فصار الافرنج و قيل اصله فرنك بالكاف فابلت الكاف سينا فصار فرنسه وفي تاريخ ابن خلدون عند ذكره الفرنسيين قال هذه الامة المعروفة بالافرنجة تسميها العامة بالافرنسيين نسبة الى بلد من امهات بلدانهم تسمى افرنسة وينتهي نسب الاكثر منهم الى يافت بن نوح عليه السلام ومع ذلك فقد اختلط بهم كثير من غير جنسهم

وصاروا ملحقين بهم والغالب انه اذا اطلق الافرنج انما ينصرف اليهم في اديبهم الفرنسيين وقد يطلق اسم الافرنج على غيرهم من تلك الطوائف الساكنين باوروبا حتى صار هذا الاطلاق شائعا في هذا الزمان وابتدأ الملك في الفرنسيين من سنة اربعمائة وعشرين من ميلاد المسيح عليه السلام وذلك قبل الهجرة بمائتين واثنين من السنين هذا ابتداء انتظام الملك فيهم واستقلالهم فيه واما قبل ذلك فكان لهم ملوك لم ينتظم امرهم ولم يكمل لهم الاستقلال بل كانوا تارة يكون لهم استقلال وتارة يكونون تحت طاعة غيرهم وقهره واما اذا اعتبر ابتداءهم الاصلى فانه كان قبل ميلاد المسيح عليه السلام بخمسة قرون وكانوا تحت قهر ملوك اليونان ثم بعد ذهاب ملك اليونان صاروا تحت قهر ملوك الروم فلا يحسب لهم ملك مستقل في تلك الازمان وكانت دياناتهم عبادة الاوثان التي على صور الكواكب وغير بعضها عن ديانتهم قبل دخولهم في النصرانية بانها تشبه ديانات اهل الهند عبادة الاوثان ثم دخلوا في النصرانية سنة ست وتسعين واربعمائة من ميلاد المسيح عليه السلام وكان اول من دخل منهم في النصرانية الملك كلويس واكثرهم يدعون انهم على المذهب الكاثوليكي وكثير منهم على المذهب البروتستانتي ومنهم من لا يتدين بدين النصراني ولا غيرهم وينكرون بعثة الانبياء عليهم السلام بل منهم من ينكر الصانع ولكنهم يتسترون ويقولون انهم على دين النصراني ومن ملوك الفرنسيين المشهورين كارلويس الكبير السمي شارلمان كان ساعيا في ترقى اسباب العلوم العقلية والفنون الادبية والصناعية التي يتسع بها ملكهم وشاع صيته وانتشر ذكره ومكث في الملك خمسا واربعين سنة وكان معاصرا لاهارون الرشيد وكان بينه وبينه مكاتبات واهدى اليه الرشيد مرة شطرنجا ثمينا وساعة فلكية من مخترعات بلاد المشرق واهدى اليه ايضا انواعا كثيرة من البرورات التي تزرع وليست في بلادهم الافرنجية وارسله مفاتيح كنيسة في بيت المقدس وامر الرشيد العمال الذين كانوا له في بيت المقدس ان يعاملوا الزوار الذين يأتون من بلاد الفرنسيين للزيارة احسن المعاملة ومات شارلمان المذكور سنة ثمانمائة واربعة عشر مسيحية الموافق مائة وتسعة وتسعين هجرية فيكون موته بعد وفاة الرشيد واما عدد سكان ارضهم وعدد رعاياهم وعدد عساكرهم وما هو عندهم من الاموال والسلاح وغير ذلك فلا حاجة بنا الى ذكره وكذا ما كان يقع بينهم وبين بقية الدول الافرنجية من المحاربات وتغلب بعضهم على بعض فلا حاجة بنا الى ذكره نعم وقع بينهم وبين الانكليز امر غريب عجيب وهو انهم تحاربوا ومكث الحرب بينهم واستدام نحو مائة وست عشرة سنة تارة تكون الغلبة لهؤلاء وتارة لهؤلاء وكان ابتداء ذلك الحرب من سنة الف وثلاثمائة وسبع وثلاثين مسيحية الموافق سنة ثمانمائة وسبع وخمسين هجرية وبالصلح بينهم سنة الف واربعمائة وثلاث وخمسين مسيحية الموافق سنة ثمانمائة وسبع وخمسين هجرية وذلك مبسوط في تواريخهم ويسمونه حرب المائة سنة وكان استيلاء الفرنسيين على الجزائر باقية سنة الف ومائتين وست واربعين وفي سنة الف ومائتين وست وتسعين ادخلوا المحاكم التونسية في حيايتهم (واما دولة الانكليز) ويقال لها دولة انكلترا او بريطانيا فكان اول ظهورهم قبل ميلاد المسيح عليه السلام بخمسة وخمسين سنة وكان بينهم وبين الافرنج دول اوروبا بحاربات كثيرة ولم ينتظم

الملك لهم ويتم الاستقلال الاسنة ثمانمائة وسبع وعشرين مسيحية الموافق مائتين وثلاث واربعين هجرية وكان اول دخولهم في النصرانية سنة خمسمائة وست وتسعين مسيحية وذلك قبل الهجرة بست وعشرين سنة وهم ايضا مثل الفرنسيين فيهم الكاتوليكية والبروتستانت والديهرية واما اصلهم الذي تنهى اليه انسابهم فهم ايضا مجتمعون من اصناف وفروع شتى وفيهم جماعة من الكليتين وجماعة ينتهي نسبهم الى يافث بن نوح عليه السلام ولهم جزيرتان منفصلتان احدهما جزيرة برتانيا والآخرى جزيرة ايرلندا وذلك اشهرت مملكتهم بمملكة برتانيا وايرلندا وكانوا في اول امرهم كالوحوش ويلبسون جلود الوحوش وكانت مساكنهم حقيرة يقيمونها تارة من الاعواد واوراق الشجر وتارة من الطين وكان شغلهم صيد الحيوانات يبيعونها منها وحالهم يشبه اجلاف العرب وكانوا يسجدون للصخور والحجارة وينابيع الماء ثم لم يزل امرهم يظهر ويتوى حتى صارت لهم دولة قوية وكان استيلاؤهم على الهند مبتداه سنة الف وسبعمائة وسبع وخسين مسيحية الموافق سنة الف ومائة وثلثين وسبعين هجرية وتام استيلاؤهم على الهند سنة الف وثمانمائة وست عشرة مسيحية الموافق سنة الف ومائتين وثمانية هجرية وكان تمام استيلاؤهم المذكور بعد حروب وعناء شديد واما استيلاؤهم على جبل طارق الذي في المغرب فكان سنة الف ومائة وست عشرة هجرية انتزعه من الاسبانيول في السنة المذكورة وقد حاول الاسبانيول والفرنسيين انتزاعه بعد ذلك من الانقليز مرارا عديدة فلم يقدروا على ذلك وكان الاسبانيول قبل اخذه منهم قد انتزعه من المسلمين سنة ثمانمائة وسبعة وستين هجرية وهذا الجبل من اعظم الحصون في العالم ويعتبر مفتاحا للبحر المتوسط وهو مقابل للجزيرة الخضراء التي هي من بلاد الاندلس فاصل بينهما وبين افريقية ويسمى جبل الفتح وجبل طارق وهو طارق بن زياد الذي فتح الاندلس سنة ثنتين وتسعين من الهجرة وطارق هذا هو مولى موسى بن نصير بضم النون وفتح الصاد مصغرا وموسى المذكور هو مولى عبدالعزيز بن مروان اخو عبد الملك بن مروان والد عمر بن عبد العزيز فعسمى الجبل باسم طارق المذكور لانه نزل بالمسلمين عنده لما قصد فتح الاندلس ويسمى جبل الفتح ايضا للعلة المذكورة والعامية يسمونه جبل الطار وصوابه جبل طارق

❖ واما دولة النمسا المسماة ايضا اوستوريا ❖

فهم ايضا من اصناف شتى واكثرهم من التتار وابتداء دولتهم كان من سنة ثلاث وثلثين من ميلاد المسيح عليه السلام وكان بعض دول اورو پايدخلونهم تحت طاعتهم ويتغلبون عليهم واما حصل للنمسا استقلال الملك التام الامن سنة تسعمائة وثلثين وثمانين مسيحية الموافق سنة مائتين وثمانية واربعين هجرية ودخولهم في النصرانية في حدود السنين التي دخل فيها من تقدم ذكرهم ومثل ذلك يقال فيمن يأتي ذكرهم من الدول الاروسية فانه تأخر دخولهم في النصرانية الى سنة ثلاثمائة وخمس وسبعين هجرية كما تقدم

❖ واما دولة البروسية ❖

فهم قسم كبير من جرمانيا ويقال جرمانيا ايضا المانيا وهم ايام كثيرة لهم ملوك شتى والبروسية

طائفة منهم وابتداء دولتهم من سنة اربع وخسين من ميلاد المسيح عليه الصلاة والسلام واستقلالهم التام بالملك من سنة الف وثلاثمائة وخمس عشرة مسيحية الموافق سنة ثمانمائة وثمان عشرة هجرية ثم انضم الى حياتهم كثير من الدول الصغار من دول جرمانيا فقوى ملكهم واتسع ❖ واما دولة الروسية المسماة بالموسكوف ❖

فهم ايضا مجتمعون من اجناس كثيرة ومنهم من ينتهى نسبه الى يافث بن نوح عليه السلام وكانوا قبل استقلالهم في الملك تحت الرومانية قبل ميلاد المسيح عليه السلام ثم لما تقوى بعض دول اورويا تغلبوا عليهم فكانوا تحت طاعتهم وما كان لهم الاستقلال التام بالملك الا من سنة ثمانمائة واثنين وستين مسيحية الموافق مائتين وثمانية واربعين هجرية وكانوا يعبدون الاوثان كغيرهم من دول اورويا ودخلهم في النصرانية سنة ثلاثمائة وخمس وسبعين كما تقدم

❖ واما دولة اسبانيا ويقالهم ايضا الاسبانيول ❖

فهم ايضا من اجناس مختلفة وكان لهم ملوك في القديم تابعون لدولة اليونان ثم لدولة الرومانيين بعد اليونان ثم تغلب عليهم بعض من هو اقوى منهم من ملوك اورويا ثم استولى المسلمون على اكثر ممالكهم لما فتح الاندلس فكان الاندلس تحت يد اسبانيا الى سنة اثنين وتسعين هجرية فانزع المسلمون منهم وبقي لهم ملك ضعيف في آخر الاندلس ووقع بينهم وبين المسلمين حروب كثيرة ثم انتزعوا الاندلس من المسلمين شيئا فشيئا الى اواخر التسعمائة من الهجرة ثم اخرجوا من بقي من المسلمين بالاندلس في سنة الف وعشرة واستقلوا بالملك وكانت ديانتهم عبادة الاوثان كغيرهم ممن تقدم ودخلوا في النصرانية في الزمن الذي دخل فيه من تقدم ذكرهم

❖ واما دولة البرتوغال ❖

فكانت تابعة ايضا للرومانيين وكانت ممالكهم في اواخر الاندلس فلما استولى المسلمون على الاندلس اضافوها الى ما بيدهم من الاندلس ثم انتزعت من المسلمين سنة اربعمائة وتسع وثمانين هجرية واستولى عليها الاسبانيول ثم انتزعها البرتوغال من الاسبانيول واستقلوا بالملك فيها سنة الف وخسين هجرية

❖ واما دولة هولاندا ويقال لهم الفلنك ❖

فكانت تحت طاعة اسبانيا وكان بين الدولتين حروب كثيرة استمرت نحو ثمانين سنة الى ان استقلوا بالملك في حدود تسعمائة وسبع وثمانين من الهجرة وكان في السنين المذكورة استيلاؤهم على بلاد الجاوى وكان دخولهم في النصرانية في حدود السنين التي دخل فيها من تقدم ذكرهم

❖ واما دولة الدنيارك ❖

فكانت تحت طاعة ملوك اورويا الى سنة ست وتسعين وثلاثمائة والف مسيحية الموافق سبعمائة وتسع وتسعين هجرية فاستقلوا بالملك

❖ واما دولة السويد والنرويج ❖

فكانت ايضا تحت ملوك اورويا ثم ساروا تحت طاعة الدنيارك ثم استقلوا بالملك سنة الف وخمسمائة وثلاث وعشرين مسيحية الموافق تسعمائة وثلاثين هجرية

❖ واما دولة البلجيك ❖

فهى من ممالك جرمانيا وما صار استقلالها الامن سنة الف وثمانائة وثلاثين مسيحية
الموافق سنة الف ومائتين وست واربعين هجرية

❖ واما دولة السويسره ❖

فكانت ايضا يداول التملك عليها ملوك اوروبا واستقلت بالملك سنة الف وستائة وثمان واربعين
مسيحية الموافق سنة الف وثمان وخسين هجرية

❖ واما دولة باواريا ❖

فماكنتهم نجيع ملوكا كثيرة كل واحد منهم له مملكة صغيرة وكانت تلك الملك وملوكها
تحت طاعة من قوى من ملوك اوروبا ثم صارت ممالك باواريا مستقلة سنة خمسائة وثلاثين
مسيحية الموافق لما قبل الهجرة باثني وتسعين سنة ثم صارت هذه الممالك فى هذه السنين
تابعة لملك البروسية

❖ فائدتان ❖

الاولى تنفرع مسئلة فقهية على معرفة تاريخ دخول هذه الطوائف فى دين النصرانية وهى
انه ان كان دخولهم فيه قبل نسخه فانهم يلحقون باهل الكتاب فى حل اكل ذبيحتهم وفى حل
تزوج المسلمين نساءهم وان كان دخولهم فيه بعد نسخه فلا يلحقون باهل الكتاب فيما ذكر
ونسخ دينهم انما كان بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال الامام الرازى فى تفسيره عند تفسيره
قوله تعالى والمحصنات من الذين اتوا الكتاب من قبلكم مانصه قال الكثير انما يحل نكاح
الكتابية التى دانت بالتوراة والانجيل قبل زول القرآن قالوا والدليل عليه قوله تعالى والمحصنات
من الذين اتوا الكتاب من قبلكم فقوله من قبلكم يدل على أن من دان بالكتاب بعد نزول
القرآن خرج عن حكم اهل الكتاب اه و ذكر الخطيب الشربيني فى تفسيره مثل ذلك فى حل
اكل ذبائحهم وهذا الذى ذكره كل منهما هو مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه واما اهل
المذاهب الثلاثة فلم يقولوا بهذا التفصيل بل اطلقوا القول بحل اكل ذبائح اهل الكتاب
وحل التزوج من نساءهم ولو دخلوا فى دين اهل الكتاب بعد نسخه

❖ الفائدة الثانية ❖

كانت دول الفرنج قبل ظهور الاسلام فى غاية التوحش وعدم المعرفة بالحرف والصنائع
وانواع السياسات وتدبير الحروب وانواع العلوم العقلية وما وجد ذلك فيهم وانتشر الابد
ظهور الاسلام ومخالطتهم للمسلمين فتعلموا ذلك منهم فحصل لهم التمدن والحضارة قال بعض
مؤرخيهم عند ذكر الحروب التى كانت بينهم وبين المسلمين فى القرن السادس ايام السلطان
صلاح الدين الايوبى السمطة بحرب الصليب مانصه ان تلك الحروب وان هلك فيها كثير
من النفوس وذهب فيها كثير من الاموال من غير حصول على المقصود لكنه اعقب نتائج
نافعة لهم منها أنهم من ذلك الوقت شرعوا فى ترتيب العساكر وتعلموا بمواصلتهم المسلمين صناعة
التجارة والزراعة وكثيرا من العلوم العقلية والفلكية وألقوا التواريخ النافعة وتوسعوا
فى معرفة علم الفلك وألقوا فيه وتخلقوا باخلاق الحضرة وتعودوا الاسفار برا وبحرا لاستكشاف

احوال الاقطار واكتشفوا على امرىكا في اسفارهم سنة ثمانمائة وتسعين هجرة
ولم تكن قبل ذلك معلومة لأحد قط واكتسبوا من المسلمين انواع الفروسية والالعاب بالخيول
والرماح وتعاطوا المعاني الغريبة في كلامهم واشعارهم لاسيما من كانوا منهم مخالطين للمسلمين
بالاندلس وتعلموا ايضاً المشورة في الاحكام وعلموا ان الملك يفسد بالاستبداد وعدم المشورة
فدونوا لهم احكاماً وقوانين يرجعون اليها واستكثروا من جمع كتب الاسلام وترجمتها بلسانهم
ليعلموا معانيها فأخذوا منها ما يكون به صلاح الملك واتخذوا مدارس لتعليم انواع الفنون
وعرفوا ان الملك لا ينتظم الا بذلك كله ومن مقالات بعض مؤرخيهم لا تصلح السكنى ببلد
حتى تكون الثريفة فيها اقوى من السلطان ومراده بالثريفة مأسسوه من القواعد العقلية
لاحكامهم وسياسة ملكهم واذا كان هذا في تلك الاحكام العقلية فكيف اذا رجع المسلمون
الى شريعتهم المطهرة المؤسسة بالوحي من الله تعالى وتمسكوا بها حتى يكون حكم السلطان
تابعاً لحكمها فلا شك انها تكون اقوى من السلطان وقال بعض مؤرخيهم ايضاً ما بلغت امة
من الانم غاية الاستقامة الا باحترام قوانين احكامها المؤسسة على العدل كما ان عدم احترامها
يكون منشأ الرجوع الى القهقري ولايتوهم ان ذلك لبركة في قوانينهم العقلية وانما ذلك
بسبب ابتنائها على التجارب العادي ومراماة الوازع الديوى واما الثريفة المطهرة فهي
اقوى من ذلك كله لانها مبنية على الوحي الالهى الذى يحصل من اتباعه كمال البركة واذا
كانت مخالفة قوانينهم يرونها موجبة الانحطاط فلا شك ان مخالفة الثريفة المطهرة يحصل
منها كمال الانحطاط مع ما يعقب ذلك من العذاب في الدار الآخرة وقال بعض مؤرخيهم وبالجملة
فبالسبب المذكور وهو انحطاط الاوروپا وبين اللائمة الاسلامية المتقدمة عليهم في التمدن
والحضارة كان ابتداء التمدن عند الاوروپا وبين

تتميم

ذكر كثير من المفسرين للقرآن العزيز وكثير من المؤرخين أن الذين ملكوا الدنيا من مشرقها
الى مغربها ثلاثة مسلمون وكافر اما المسلمون فهما سليمان بن داود عليهما السلام وذوالقارن
واما الكافر فهو النمرود الذى كان في زمن ابراهيم الخليل عليه السلام وزاد بعضهم رابعاً
كافراً وهو بخت نصر فيكونون اربعة مسلمون وكافران لكن قال ابن الاثير في الكامل أن
بخت نصر لم يملك الدنيا كلها وانما كان له ملك واسع وهو الذى خرب بيت المقدس وقتل
بنى اسرائيل وامر سبعين الفاً منهم لان الله سلطه عليهم لما كثرت فيهم المعاصى والمخالفات
وبخت نصر هذا كان مجوسياً من مجوس بابل ولم يعرف له اب وكان عاملاً على العراق
ملك الفرس وكان بين ابتداء ملكه وتخريبه بيت المقدس تسع عشرة سنة وبين الهجرة
وتخريبه بيت المقدس الف وثلثمائة وتسع وستون سنة وبقى خراباً سبعين سنة ثم عمر
وتراجعت اليه بنوا اسرائيل والذى عمره بعض ملوك الفرس بوحى من الله تعالى الى النبي
أرميا عليه السلام فاخبر ذلك النبي ملك الفرس فامثل امره وعمره ثم خرب مرة ثانية بعد
رفع عيسى عليه السلام بأربعين سنة وذلك قبل الهجرة بخمسمائة ونيف وخسين سنة

وكان ذلك النخرب لما قتل اليهود يحيى بن زكريا عليهما السلام فسلط الله عليهم الفرس
والروم فقتلوه وسبوه ونفوه من ديارهم وخرّبوا بيت المقدس وقد ذكر الله
تعالى هذين النخربين في القرآن العزيز في سورة الاسراء في قوله تعالى وقضينا الى بني
اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علواً كبيراً فاذا جاء وعد اولاهما
بعثنا عليكم عباداً اولى بأس شديد الآية وذكر المرة الثانية في قوله تعالى فاذا جاء
وعد الآخرة ليسوّوا وجوهكم اي بعثناهم وسلطانهم ليسوّوا وجوهكم وبقي خراباً
الى ان عمره ملك من ملوك الروم بعد تنصرهم وبني كنيسة قائمة على القبر الذي تزعم النصارى
ان عيسى عليه السلام دفن فيه وخرّبوا هكل بيت المقدس الى الارض وأمروا أن يلقى في
موضعه قمامات البلد وزبالته فصار موضع الصخرة الشريفة من بلة وبقي على ذلك الى ان
قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام سنة ست عشرة من الهجرة وفتح بيت المقدس
فأزال ذلك وأرجع موضع الصخرة كما كان والله سبحانه وتعالى اعلم وانرجع الى ما كتبنا
بصدده من ذكر الفتوحات الاسلامية فقول وفي سنة احدى وثمانين وثلاثمائة خلع الطمع
لله وبويع القادر بالله احدى اعمق بن المقدس وفي سنة ثنتين وثمانين نزل ملك الروم
بأرمينية وحصر خسلط ولاذ كرد وأرجش فضعت نفوس الناس عند ثم هادنّه ابو
علي الحسن بن مروان الكردي مدة عشر سنين فعاد ملك الروم الى بلاده وفي هذه السنة
سار بغرا خان ايلك ملك الترك بعساكره الى بخارى فسير اليه الامير نوح بن منصور الساماني
جيشاً كبيراً ولقيهم ايلك فهزموهم فعادوا الى بخارى وهو في اثرهم فخرج الامير نوح
بنفسه وسار بعساكره ولقيهم فاقتتلوا قتالاً شديداً اجلّت المعركة عن هزيمة ايلك فعاد
منهزماً الى بلاده وفي سنة ثلاث وثمانين جمع ملك الترك جيوشاً كثيرة وسار الى بخارى
فانكها بسبب اختلاف وقع بين المسلمين مع بعضهم وفي سنة سبع وثمانين توفي سيكتكين
صاحب غزنة ووقع اختلاف بين ولديه استماعيل ومحمود ثم الملك محمود فاستولى على
خراسان وغيرها وصار له ملك صخيم وجاءه التتليد من الخليفة القادر بالله ولقب بميم الدولة

ذكر غزوة ميم الدولة السلطان محمود بن سيكتكين صاحب غزنة

في سنة اثنين وتسعين تجهز بجيوش كثيرة لغزو الهند وقصد برشور فأتاه عدو الله جبال
ملك الهند في عساكر كثيرة فاختر ميم الدولة من عساكره خمسة عشر ألفاً وسار نحوه
فالتقوا واقتتلوا وصبر الفريقان فلما انصف النهار انهزم الهنود وقتل منهم قتلة عظيمة
وامر ملك الهند ومعه جماعة كثيرة من اهله وعشيرته وغنم المسلمون منهم اموالاً جلييلة
وجواهر نفيسة ومن جملة ذلك قلادة كانت في عنق ملكهم من الجوهر العديم النظير قومت
بثني الف دينار واصيب امثالها في اعناق مقدمي الامرى وغنموا خمسمائة الف رأس
من العبيد وفتح من بلاد الهند بلاداً كثيرة فلما فرغ من غزواته احب ان يطلق ملك الهند
الذي اسره ليراه الهنود في شمار الذل فاطلقه بما قرره عليه فأدى المال ومن عادات الهنود
انهم من حصل منهم في ايدي المسلمين اسيراً لم يعقد له بعدها رياسة فلما رأى ملك الهند

حاله بعد خلاصه حلق رأسه ثم القى نفسه في النار فاحترق بنار الدنيا قبل نار الآخرة
 ذكر غزوة أخرى إلى الهند أيضاً

الفرغ عيين الدولة السلطان محمود سيكتكين من امر جيال رأى ان يغزو غزوة أخرى فسار
 نحو ويهند فأقام عليها محاصراً لها حتى فتحها قهراً وبلغه ان جماعة من الهند قد اجتمعوا
 بشعاب تلك الجبال عازمين على الفساد والعناد فسير اليهم طائفة من عسكره فأوقعوا بهم
 وأكثروا القتل فيهم ولم ينبج منهم إلا الثريد الفريد وعاد إلى غزنة سالماً ظافراً
 ذكر غزوة بهاطية من بلاد الهند

في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة غزا عيين الدولة بهاطية من أعمال الهند وهي مدينة حصينة
 عالية السور يحيط بها خندق عميق فامتنع صاحبها ثم انه خرج إلى ظاهرها فقاتل المسلمين
 ثلاثة ايام ثم انهزم في الرابع وطلب المدينة ليدخلها هو واصحابه فسبقه المسلمون إلى باب
 البلد فلكوه عليهم واخذتهم السيوف من بين ايديهم ومن خلفهم فقتل المقاتلة وسبيت
 الذرية واخذت الاموال واما الملك فانه لما عين الهلاك اخذ جماعة من ثقاته وسار إلى رؤس
 تلك الجبال فسير اليه عيين الدولة سرية فلم يشعر الملك الا وقد احاطوا به وحكموا السيوف
 في اصحابه فلما ايقن بالعطب اخذ خنجيراً فقتل نفسه واقام عيين الدولة بهاطية حتى اصلح
 أمرها ورتب قواعدها وعاد عنها إلى غزنة واستخلف بهامن يعلم من اسلم من اهلها ما يجب
 عليهم تعليمه ولقى في عوده شدة شديدة من الامطار وكثرتها وزيادة الانهار فغرق بماءه
 ومن عسكره شيء عظيم

ذكر غزوة المولتان

في سنة ست وتسعين وثلاثمائة غزا السلطان عيين الدولة المولتان وكان سبب ذلك ان
 واليها كان قد اسلم ثم نقل عنه خبث الاعتقاد ونسب إلى الاتحاد ودعا اهل ولايته إلى
 ما هو عليه فاجابوه فرأى عيين الدولة ان يجاهده ويستنزله عما هو عليه فسار نحوه فرأى
 الانهار التي في طريقه كثيرة الزيادة عظيمة المد وخاصة سيحون فانه منع جانبه من العبور
 فأرسل إلى انديال يطلب اليه ان يأذن له في العبور من بلاده إلى المولتان فلم يجبه إلى ذلك
 فابتدأ به قبل المولتان فدخل بلاده وجاسها واكثر القتل فيها والنهب لاموال اهلها
 والاحراق لابنتها فغرا نديال من بين يديه وهو في أثره كالشهاب في أثر الشيطان من مضيق
 إلى مضيق إلى ان وصل إلى قشمر ولما سمع ملك المولتان بخبر اقباله علم بعجزه عن الوقوف
 بين يديه والعصيان عليه فتنقل امواله إلى سرنديب واخلى المولتان فوصل عيين الدولة
 اليها ونازلها فاذا اهلها في ضلالهم يعمهون فحصرهم وضيق عليهم وتابع القتال
 حتى افتتحها عنوة وازم اهلها عشرين الف درهم عقوبة لعصيانهم

ذكر غزوة كوكا كير

ثم سار عن المولتان إلى كوكا كير وكان بها ستمائة صنم فافتتحها واحرق الاصنام فهرب
 صاحبها إلى قلعة له فسار خلفه إليها وهي حصن كبير يسع خمسمائة الف انسان وفيه
 خمسمائة فيل وعشرون الف ذابة وفي الحصن ما يكفي الجميع مدة فلما قام بهائمين الدولة

وبقي بينهما سبعة فراسخ رأى من الغياض المانعة من سلوك الطريق مالا أحد طاقة عليه فأمر بقطعها ورأى في الطريق واديا عظيم العمق بعيد القعر فأمر أن يطعم منه مقدار ما يسع مئتين فارسا فطموه بالجلود المملوءة ترابا ووصل إلى القلعة فحصرها ثلاثة وأربعين يوما وراسله صاحبها في الصلح فلم يجبه ثم بلغه اختلال في خراسان فأراد الرجوع فصالح ملك الهند على خمسمائة فيل وثلاثة آلاف منافضة ولبس خلعة يمين الدولة بعد أن استعفى من شدة المنطقة وقطع أصبعه الخنصر والنغذا إلى يمين الدولة توثقة فيما يعتقدونه وعاد يمين الدولة إلى خراسان لاصلاح ما اختلف فيها وكان غازما على الدخول في بلاد الهند

✽ ذكر غزوة إلى الهند ✽

في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة سار يمين الدولة نحو الهند وسبب ذلك أن بعض أولاد ملوك الهند كان قد أسلم على يده واستخلفه على بعض ما فتحه من بلادهم فلما كان الآن بلغه أنه ارتد عن الاسلام ومال لاهل الكفر والطغيان فسار اليه مجدا فحين قارب به فرالهندي من بين يديه واستعاد يمين الدولة تلك الولاية و أعادها إلى حكم الاسلام واستخلف عليها بعض اصحابه وعاد إلى غزنة

✽ ذكر غزوة بهيم نغر ✽

في سنة ثمان وتسعين غزا يمين الدولة وأنهى إلى شاطئ نهر هند مند فلاقاه هناك ابرهمن بال ابن اندبال في جيوش الهند فاقتتلوا مليا من النهار وكادت الهند تنظر بالمسلمين ثم ان الله تعالى نصر عليهم فظفر بهم المسلمون فانهمزوا على اعقابهم واخذهم المسلمون بالسيف وتبع يمين الدولة اثر ابرهمن بال حتى بلغ بهيم نغر وهي على جبل عال وكان الهند قد جعلوها خزنة لصفهم الاعظم فيقتلون اليها انواع الذخائر قرنا بعد قرن واعلاق الجواهر وهم يعتقدون ذلك دينا وعبادة فاجتمع فيها على طول الازمان ما لم يسمع بمثله فنازلهم يمين الدولة وحصرهم وقتلهم فلما رأى الهنود كثرة جمعه وحرصهم على القتال وزحفهم اليهم مرة بعد اخرى خافوا وجبنوا وطلبوا الامان وفتحوا باب الحصن وملك المسلمون القلعة وصعد يمين الدولة إلى خواص اصحابه وثقاته فاخذ منها من الجواهر ما لا يحصى ومن الدراهم تسعين الف الف درهم شاهية ومن الاواني الذهبية والفضيات سبعمائة الف واربعمائة منسا وكان فيها بيت مملوء من فضة طوله ثلاثون ذراعا وعرضه خمسة عشر ذراعا إلى غير ذلك من الامتعة وعاد إلى غزنة بهذه الغنائم ففرش تلك الجواهر في صحن داره وكان قد اجتمع عنده رسل الملوك فادخلهم اليه فأروا ما لم يسموا بمثله

✽ ذكر غزوة بالهند ✽

في سنة اربعمائة تجهز يمين الدولة إلى الهند غازما على غز و نارين فسار اليها واخترقها واستباحها ونكس اصنامها فلما رأى ملك الهند انه لا قوة لديه راسله في الصلح والهدنة على مال يؤديه وخمسين فيلا وان يكون له في خدمته الفافارس لا يزالون قبض منه ما يدايه وعاد عنه إلى غزنة

ذكر غزو عيين الدولة بلاد الغور وغيرها

في سنة احدى واربعمئة غزا عيين الدولة بلاد الغور وهى بلاد تجاور غزنة وكان الغور كفارا يقطعون الطريق ويخيفون السبيل وبلادهم جبال وعرة ومضاييق غلقة وكانوا يحتمون بها ويعصمون بصعوبة مسلكها فلما كثر ذلك منهم أنف عيين الدولة ان يكون مثل أولئك المفسدين جبرانه وهم على هذه الحال من الفساد والكفر فجمع العساكر وسار اليهم حتى انتهى مقدمة جيشه الى مضيق قد شحن بالمقاتلة فتساوشوا الحرب وصبر الفريقان فسمع عيين الدولة الحال فدر في السير اليهم وملك عليهم مسالكهم فتفرقوا وساروا الى عظيم الغورية فبرز من مدينته فى عشرة آلاف مقاتل فقاتلهم المسلمون الى ان انتصف النهار فرأوهم أشجع الناس واقواهم على القتال فأمر عيين الدولة عساكره ان يولوا الادبار على سبيل الخديعة والاستدراج ففعلوا فلما رأى الغورية ذلك ظنوه هزيمة فاتبعوهم حتى ألدوا عن مدينتهم فمظف المسلمون عليهم ووضعوا السيف فيهم فأبادوهم قتلا واسرا وكان فى الاسرى كبيرهم وزعيمهم ودخل المسلمون المدينة وملكوها وغنموا ما فيها وفتحوا تلك القلاع والحصون التى لهم جميعا فلما رأى كبيرهم ما فعل المسلمون شرب سما كان معه مات وخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وظهر عيين الدولة فى تلك الاعمال شعار الاسلام وجعل عندهم من يعلمهم شرائعه وعادتم سار الى طائفة اخرى من الكفار فقطع مغازة من رمل ولحق عساكره عطش شديد كادوا بهلكون فمد فلفظ الله سبحانه وتعالى بهم وارسل عليهم مطرا سقاهاهم وسهل عليهم السير فى الرمل فوصل الى الكفار وهم جمع عظيم ومعهم سمائة قتل فقاتلهم اشد قتال صبر فيه بعضهم ابعض ثم ان الله نصر المسلمين وهزم الكفار واخذ غنائمهم واكثر القتل فيهم وعاد سالما مظفرا منصورا

ذكر فتح عيين الدولة ناردى

فى سنة اربع واربعمئة سار عيين الدولة الى الهند فى جمع عظيم وحشد كثير وقصد واسطة البلاد من الهند فسار شهرين حتى قارب مقصده ورتب اصحابه وعساكره فسمع عظيم الهند به فجمع من عنده من قواده واصحابه وبرز الى جبل هناك صعب المرتقى ضيق المسالك طاحمتى به وطاول المسلمين وكتب الى الهنود يستدعيهم من كل ناحية فاجتمع عليه منهم كل من يحمل سلاحا فلما تكاملت عدته نزل من الجبل وتصاف هو والمسلمون واشتد القتال وعظم الامر ثم ان الله تعالى منح المسلمين اكتافهم فهزموهم واكثروا القتل فيهم وغنموا ما معهم من مال وقيل وسلاح وغير ذلك فلما فرغ من غزوته ارسل الى الخليفة القادر بالله يخبره فكتب له منشورا وعهدا بخراسان وما يبدى من الممالك واقبه نظام الدين

ذكر غزوة تانيش

فى سنة خمس واربعمئة ذكر عيين الدولة ان بناحية تانيش قبلة من جنس قبيلة الصيلان الموصوفة فى الحرب وان صاحبها غال فى الكفر والطغيان والعناد للمسلمين فغزم على غزوه فى عقدراره وان يديقه شربة من كاس قتاله فسار فى الجنود والعساكر والمتطوعة فلقى فى طريقه اودية بعيدة القعر وعرة المسالك وقفارا فسحقة الاقطار والاطراف بعيدة الاكفاف والماء بها

قليل فلقوا شدة وقاسوا مشقة الى ان قطعوها فلما قاربوا متصد بهم لقوا نهرا شديدا الجرية صعب
المخاضة وقد وقف صاحب تلك البلاد على طرفه يمنع من عبوره ومعه عساكره وقيلته التي
كان يدل بها الى تعزيز بها فأمر يمين الدولة شجيمان عسكره بعبور النهر واشغال الكفار بالقتال
ليتمكن باقي العسكر من العبور ففعلوا ذلك وقتلوا الهنود وشغلوهم عن حفظ النهر حتى عبر
سائر العسكر في المخاضات وقتلواهم من جيع جهاتهم الى آخر النهار فانهزم الهنود وظفر المسلمون
وغنموا مالههم من اموال وفيلة وعادوا الى غزنة موفرين ظافرين

ذكر غزوة الى الهند

في سنة ست واربعمائة غزا يمين الدولة الهند على عادته فضل ادلاؤه الطريق ووقع هو
وعسكره في مياه فاضت من البحر فغرق كثير من معد وخاض الماء بنفسه ايما حتى
تخلص وعاد الى خراسان

ذكر غزوة قشمر وقنوج وغيرها

في سنة سبع واربعمائة سار يمين الدولة السلطان محمود بن سبكتكين من غزنة الى الهند عازما
على غزو قشمر اذ كان قد استولى على ما بينه وبين قشمر من بلاد الهند واتاه المتطوعة نحو
عشرين الف مقاتل مما وراء النهر وغيره من البلاد وسار اليها ثلاثة اشهر سيرا دائما وعبر
نهر سيحون وجيلوم وهما نهرا ن عميقان شديدا الجرية فوطئ ارض الهند واتاه رسل ملوكها
بالطاعة وبذل الامانة فلما بلغ درب قشمر اتاه صاحبها واسلم على يده وسار بين يديه الى
مقصده فبلغ ماجون في العشرين من رجب وفتح ما حولها من الولايات الفسيحة والحصون
النيمة حتى باغ حصن هودب وهو آخر ملوك الهند فنظر هودب من اعلى حصنه فرأى
من العساكر ما عاله وارعبه وعلم انه لا ينجيه الا الاسلام فخرج في نحو عشرة آلاف ينادون
بكلمة الاخلاص طلبا للخلاص فقبله يمين الدولة وسار عنده الى قلعة كلجند وهو من اعيان
الهند وشياطينهم وكان على طريقه غياض مائة لا يقدر السالك على قطعها الا بمشقة فسير
كلجند عساكره وفيوله الى اطراف تلك الغياض يمنعون من سلوكها فترك يمين الدولة عليهم
من يقاتلهم وسلك طريقا مختصرة الى الحصن فلم يشعروا الا وهو معهم فقاتلهم قتالا شديدا فلم
يطيقوا الصبر على حد السيوف فانهزموا واخذهم السيف من خلفهم ولقوا نهرا عميقا بين ايديهم
فاقتحموه فغرق اكثرهم وكان القتلى والغرقى قريبا من خمسين الفا وعمد كلجند الى زوجته
فقتلها ثم قتل نفسه بعدها وغنم المسلمون امواله وملكوا حصونه ثم سار نحو بيت متعبد لهم
وهو من مهرة الهند وهو من احصن الابنية على نهر ولهم به من الاصنام كثير منها خمسة اصنام
من الذهب الاحمر مرصعة بالجواهر وكان فيها من الذهب ستمائة الف وتسعون الفا وثلاثمائة
مئقال وكان بها من الاصنام المصوغة من النقرة نحو مائتي صنم فاخذ يمين الدولة ذلك جميعه
واحرق الباقي وسار نحو قنوج وصاحبها راجيال فوصل اليها في شعبان فرأى صاحبها قد
فارقها وعبر الماء المسمى كنك وهو ماء شريف عندهم يرون انه من الجنة وان من غرق نفسه فيه
طهر من الآثام فاخذها يمين الدولة واخذ قلاعها واعمالها وهي سبع على الماء المذكور وفيها
قريب من عشرة آلاف بيت صنم يذكرون انها عملت من مائتي الف سنة الى ثلاثمائة الف كذبا

منهم وزورا ولما فتحها اباها عسكره ثم سار الى قلعة البراهمة فقاتلوه وثبتوا فلما عضهم السلاح علموا انهم لا طاقاة لهم فاستسلموا للسيف فقتلوا ولم ينج منهم الا الشريد ثم سار نحو قلعة آسي وصاحبها جندبال فلما قاربها هرب جندبال واخذ يمين الدولة حصنه وما فيه ثم سار الى قلعة شروة وصاحبها جندراي فلما قاربها نقل ماله وفيوله نحو جبال هناك منيعة يحتمى بها وعمى خبره فلم يدري اين هو فانزل يمين الدولة حصنه فافتتحه وغنم ما فيه وسار في طلب جندراي جريدة وقد بلغه خبره فلحق به في آخر شعبان فقاتله فقتل اكثر جند جندراي واسر كثير منهم وغنم مامعه من مال وفيول وهرب جندراي في نفر من اصحابه فنجوا وكان السبي في هذه الغزوة كثيرا حتى ان احدهم كان يباع بأقل من عشرة دراهم ثم عاد الى غزنة ظافرا ولما عاد من هذه الغزوة امر ببناء جامع غزنة فبنى بناء لم يسمع بمثله ووسع فيه وكان جامعها القديم صغيرا وانفق ما غنمه في هذه الغزوة في بنائه وفي هذه السنة تفرقت ممالك الاندلس وصار عامل كل قطر منه متغلبا على ما بيده لضعف ملوك بني أمية وكثرت الفتن بينهم وبين العلويين بنى ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى

ذكر خروج الترك من الصين

في سنة ثمان واربع مائة خرج الترك من الصين في عدد كثير يزيدون على ثلاثمائة الف خركاه وكانوا اجناسا منهم الخطابية الذين ملكوا ما وراء النهر وكان خروجهم للاستيلاء على ممالك الاسلام وكان اقرب بلاد الاسلام اليهم بلاساغون وكان ملكها من صالحى ملوك الاسلام يحب العلم واهله ويميل الى اهل الدين ويصلهم ويقربهم واسمه طغان خان وكان قد ملك ايضا تركستان ومرض مرضا شديدا وطال به المرض فطمعوا في البلاد لذلك فساروا اليه وملكوا بعض ممالكه وغنموا وسبوا وبقى بينهم وبين بلاساغون ثمانية ايام فلما بلغه الخبر وكان مريضا به اسأل الله ان يعافيه فبنتهم من الكفرة ويحرمي البلاد منهم ثم يفعل به بعد ذلك ما اراد فاستجاب الله له وشافاه فجمع العساكر وكتب الى سائر بلاد الاسلام يستنفر الناس فاجتمع اليه من المتطوعة مائة الف وعشرون الفا فلما بلغ الترك خبر عافيته وجمعه العساكر وكثرة من معه عادوا الى بلادهم فسار خلفهم نحو ثلثة اشهر حتى ادركهم وهم آمنون لبعده المسافة فكبسهم وقتل منهم زيادة على مائتي الف رجل واسر نحو مائة الف وغنم من الدواب والخركاها وغير ذلك من الاواني الذهبية والفضية ومعمول الصين ما لا يعدل احد بمثله وعاد الى بلاساغون فلما بلغها عاوده مرضه فمات منه وما اشبه قصته بقصة سعد بن معاذ الانصارى في غزوة الخندق فانه دعا الله لما جرح في أكلكه ان يبقيه حتى يأخذ ثاره من بنى قريظة فاستجاب الله دعاءه ثم بعد الانقام منهم وقتلهم انفجر جرحه ومات رضى الله عنه ولما مات طغان خان ملك بعده اخوه ارسلان خان ولقب شرف الدولة

ذكر غزوة يمين الدولة الى الهند والافغانية

في سنة تسع واربع مائة سار يمين الدولة الى الهند غازيا واحتشد وجمع واستعد واعد اكثر مما تقدم وقصد يدا اللعين وكان اعظم ملوك الهند مملكة واكثرهم جيشا وتسمى مملكته بكوراها وسار يمين الدولة عن غزنة وابتدأ في طريقه بالافغانية وهم كفار يسكنون الجبال

و ينسدون في الارض و يقطعون الطريق بين غزنة و بينه فقصد بلادهم و سلك مضائقها و فتح مغالقتها و خرب عامرها و غنم اموالهم و اكثر القتل فيهم و الاسر و غنم المسلمون من اموالهم الكثير ثم استقل على المسير و بلغ الى مكان لم يبلغه فيما تقدم من غزواته و عبر نهر كنهك و لم يعبره قبلها فلما جازه رأى قفلاً قد بلغت عدة احواله الف عدد ففتحها و هي من العود و الامتعة الفاخرة و جده السير فأتاه في الطريق خبر ملك من ملوك الهند يقال له پروچيال قد سار من بين يديه ملتجئاً الى يد اليميني به عليه فطوى المراحل فلحق پروچيال و من معه رابع عشر شعبان و بينه و بين الهندو نهر عميق فمهر اليهم بعض اصحابه و شغلهم بالقتال ثم عبر هو و باقي العسكر اليهم فاقتتلوا عامة نهارهم فانهمز پروچيال و من معه و كثرت فيهم القتل و الاسر و اسلموا اموالهم و اهلهم ففتحها المسلمون و اخذوا منهم الكثير من الجواهر و اخذوا ما يزيد على مائتي فيل و سار المسلمون يقتصون آثارهم و انهمز ملكهم جريحاً و تحير في امره و ارسل الى يمين الدولة يطلب الامان فلم يؤمنه و لم يقع منه الا بالاسلام و قتل من عساكره ما لا يحصى و سار پروچيال ليحلق ببیدا فانفرده بعض الهندو فقتله فأتى رأى ملوك الهند ذلك تابعوا رسلهم الى يمين الدولة يبذلون له الطاعة و الاثا و سار يمين الدولة بعد الوقعة الى مدينة باري و هي من احصن القلاع و البلاد و اقواها فراها من سكانها خالية و على عروشها خاوية فأمر بهدمها و تخريبها و عشرين قلاع معها متناهية الحصانة و قتل من اهلها خلقاً كثيراً و سار يطلب بيد الملك فتحه و قد نزل الى جانب نهر و اجرى الماء من بين يديه فصار و حلوا ترك عن يمينه و شماله طريقاً يديماً يقاتل منه اذا اراد القتال و كان عدة من معه ستة و خمسين الف فارس و مائة الف و اربعة و ثمانين الف راجل و سبع مائة و ستة و اربعين فيلاً فأرسل يمين الدولة طائفة من عساكره للقتال فأخرج اليهم يد مثلهم و لم يزل كل عسكر يد اصحابه حتى كثرا الجمعان واشتد الضرب و الطعان فأدركهم الليل و حجز بينهم فلما كان الغد بكر يمين الدولة اليهم فرأى الديار منهم بلاقع و ركب كل فرقة منهم طريقاً مخالفاً لطريق الاخرى و وجد خزائن الاموال و السلاح بحالها فغنموا الجميع و اقتنى آثار المنهمزين فلحقوهم في الغياض و الآجام و اكثروا فيهم القتل و الاسر و نجا بيدا فريداً و حيداً و عاد يمين الدولة الى غزنة منصوراً

ذكر فتح قلعة من الهند

في سنة اربع عشرة و اربعمائة غزا يمين الدولة الهند و اوغل فيها فغنم و قتل حتى وصل الى قلعة على رأس جبل منبع ليس له مصعد الا من موضع واحد و هي كبيرة تسع خلقاً و بها خمسمائة فيل و في رأس الجبل من الغلات و المياه و جيع ما يحتاج الناس اليه فحصرهم يمين الدولة و ادام الحصار و ضيق عليهم و استمر القتال فقتل منهم كثير فلما رأوا ما حل بهم اذعنوا له و طلبوا الامان فأمّنهم و أقر ملكهم فيها على خراج يأخذه منه و أهدى له هدايا كثيرة منها طائر على هيئة القمرى من خاصيته انه اذا حضر الطعام و فيه سم دمعت عيناه هذا الطائر و جرى منها ماء و تحجر فاذا حك و جمل على الجراحات الواسعة الجمها

ذكر فتح سومنات

في سنة ست عشرة واربع مئة فتح عيين الدولة في بلاد الهند عدة حصون ومدن وأخذ الصنم المعروف بسومنات وهذا الصنم كان اعظم اصنام الهند وهم يحجون اليه كل ليلة خسوف فيجتمع عنده ما ينيف على مائة الف انسان وتزعم الهنود ان الارواح اذا فارقت الاجساد اجتمعت اليه على مذهب التناسخ فينشئها فينشا، وكانوا يحملون اليه كل علق نفيس ويعطون سدنة كل مال جزيل وله من الوقوف ما يزيد على عشرة آلاف قرية وقد اجتمع في البيت الذي هو فيه من نفيس الجوهر ما لا يحصى قيمته ولاهل الهند نهر كبير يسمى كنك يعظمونه غاية التعظيم ويلقون فيه عظام من يموت من كبريائهم ويعتقدون انها تساق الى جنة النعيم وبين هذا النهر وبين سومنات نحو مائتي فرسخ وكان يحمل من مائه كل يوم الى سومنات ما يفسل به ويكون عنده من البرهمنين كل يوم الف رجل لعبادته وتقديم الوفود اليه وثلاثمائة رجل يحلقون رؤس زواره ولحاهم وثلاثمائة رجل وخمسة مائة أغنة يغنون ويرقصون على باب الصنم ولكل واحد من هؤلاء شيء معلوم كل يوم وكان عيين الدولة كلما فتح من الهند فتحاً وكسراً صنماً يقول الهنود ان هذه الاصنام قد سخط عليها سومنات ولو انه راض عنها لاهلك من قصدها بسوء فلما بلغ ذلك عيين الدولة عزم على غزوه واهلاكه ظنانه ان الهنود اذا فقدوه رأوا كذب ادعائهم دخلوا في الاسلام فاستخار الله تعالى وسار عن غزنة عاشر شعبان في هذه السنة في ثلاثين ألف فارس من عساكره سوى المتطوعة وسلك سبيل الملتان فوصلها منتصف شهر رمضان وفي طريقه الى الهندية قفر لاساكن فيها ولاماء ولا ميرة فتحجز هو وعسكره على قدرها ثم زاد بعد الحاجة عشرين ألف رجل تحمل الماء والميرة وقصد انه لواراة فلما قطع المفازة رأى في طرفها حصونا مشحونة بالرجال وعندها آبار قد غوروها ليمدبر عليه حصنها فيسرها الله فتحها عند قربها منها بالرعب الذي قد فقه الله في قلوبهم وتسلها وقتل سكانها واثارتها وامتاروا منها الماء وما يحتاجون اليه وسار الى انه لواراة فوصلها مستهل ذي القعدة فرأى صاحبها المدعو بهم قد أجفل عنها وتركها وأمن في الهرب وقصد حصنها له يحتمي به فاستولى عيين الدولة على المدينة وسار الى سومنات فلقى في طريقه عدة حصون فيها كثير من الاوثان شبه الحجاب والنقباء لسومنات على ماسول لهم الشيطان فيقاتل من بها وفتحها وخربها وكسر اصنامها وسار الى سومنات في مفازة قفرة قليلة الماء فلقى عشرين الف مقاتل من سكانها لم يدينوا للملك فارسل اليهم السرايا فقاتلواهم فهزم موهم وغنموا مالهم وامتاروا من عندهم وساروا حتى بلغوا دبولواره وهي على مرحلتين من سومنات وقد ثبت اهلها له ظناً منهم ان سومنات يمدحهم ويدفع عنهم فاستولى عليها وقتل رجالها وغنم اموالها وسار عنها الى سومنات فوصلها يوم الخميس منتصف ذي القعدة فرأى حصنها حصينا مبني على ساحل البحر بحيث تبلغه امواجه واهله على الاسوار يتفرجون على المسلمين واثنين ان معبودهم يقطع دابرهم ويباكيهم فلما كان الغد وهو يوم الجمعة زحف وقاتل من به فرأى الهنود من المسلمين قتالاً يمهّدوا مثله فنارقوا السور فنصب المسلمون عليه السلايم

وصعدوا اليه وأعلنوا بكلمة الاخلاص وأظهروا شعار الاسلام حينئذ اشتد القتال وعظم الخطب وتقدم جماعة الهنود الى سومنات ففكروا له خدودهم وسألوه النصر وأدركهم الليل فكف بعضهم عن بعض فلما كان الغد بكر المسلمون اليهم وقتلوهما فاكثروا في الهنود القتل واجلوههم عن المدينة الى بيت صنهم سومنات فقاتلوا على بابه اشد قتال وكان الفريق منهم بعد الفريق يدخل الى سومنات فيعتقونه ويبكون ويتضرعون اليه ويخسرون فيقاتلون الى ان يقتلوا حتى كاد القناء يستوعبهم فبقى منهم القليل فدخلوا البحر الى مركبين لهم لينجوا فيهما فأدركهم المسلمون فقتلوا بعضا وغرق بعض واما البيت الذي فيه سومنات فهو مبنى على ست وخسين سارية من الساج المنصع بالرصاص وسومنات من حجر طوله خمسة اذرع ثلاثة مدورة ظاهرة وذراعان في البناء وليس بصورة معصورة فاخذه بين الدولة فكسره وأحرق بعضه وأخذ بعضه الى غزنة لجماله عتبة الجامع وكان بيت الصنم مظلمًا وانما الضوء الذي عنده من قناديل الجوهر الفائق وكان عنده سلسلة ذهب فيها جرس وزنها مائتان كلما مضى طائفة من الليل حركت السلسلة فيصوت الجرس فيقوم طائفة من البرهمنين الى عبادتهم وعنده خزانة فيها عدة من الاصنام الذهبية والفضية وعليها الستور المعلقة المرصعة بالجواهر كل واحد منها منسوب الى عظيم من عظمائهم وقيمة ما في البيوت يزيد على عشرين ألف ألف دينار فاخذوا الجميع وكانت عدة القتلى تزيد على خمسين ألف قتيل ثم ان يمين الدولة ورد عليه الخبر ان بهيم صاحب انهلوار قد قصد قلعة تسمى كندهة في البحر بينها وبين البر من جهة سومنات اربعمائة فرسخا فسار اليها يمين الدولة من سومنات فلما حاذى القلعة رأى رجلين من الصيادين فسألهما عن خوض البحر هناك ففرقا انه يمكن خوضه لكن ان تحرك الهواء سير الفرق من فيه فاستخار الله تعالى وخاضه هو ومن معه فخرجوا سالمين فرأوا بهيم قد فارق قلعة وأخلاها فماد عنها وقصد المنصورة وكان صاحبها قد اسلم ثم ارتد عن الاسلام فلما بلغه خبر مجيئ يمين الدولة فارقها واحتفى بغياض اثنية فقصد يمين الدولة من موضعين فأحاط به ومن معه فقتلوا اكثرهم وغرق منهم كثير ولم ينج منهم الا القليل ثم سار الى بهاطية فأطاعه أهلها ودنوا له فرحل الى غزنة فوصلها عاشر صفر من سنة سبع عشرة واربعمائة

ذكر غرق الاسطول بحريرة صقلية

في سنة ست عشرة واربعمائة خرج الروم الى جزيرة صقلية فجمع كثير وملكوا ما كان للمسلمين في جزيرة قلورية وهي مجاورة لجزيرة صقلية وشرعوا في بناء المساكن يستظرون وصول مراكبهم وجوعهم مع ابن اخت الملك فبلغ ذلك العزيز بن باديس عامل افريقية للعبيد بين فجهاز اسطولا كبيرا اربعمائة قدامة وحشد فيها وجمع خلفا كثيرا وتطوع جمع كثير بالجهاد رغبة في الاجر فسار الاسطول في كانون الثاني فلما قرب من جزيرة قوصرة وهي قريب من بر افريقية خرج عليهم ريح شديد ونوء عظيم فغرق اكثرهم ولم ينج الا اليسير

ذكر غزوة المسلمين الى الهند

في سنة احدى وعشرين واربعمائة غزا الحد بن ياتكين النائب عن يمين الدولة بلاد الهند

مدينة للهنود وهى من اعظم مدنها يقال انها بنيت ومع احد نحو مائة الف فارس وراجل
وشن الغارة على البلاد ونهب وسبي وخرب الاعمال واكثر القتل والاسر فلما وصل الى
المدينة دخل من احد جوانبها ونهب المسلمون في ذلك الجانب يوما من بكرة النهار الى آخر
النهار ولم يفرغوا من نهب سوق العطارين والجوهر جيين حسب وباقي اهل البلد لم يعلموا
بذلك لان طوله منزل من منازل الهنود وعرضه مثله فلما جاء المساء لم يحمر احد على
المبيت فيه لكثرة اهله فخرج منه لياً من على نفسه وعسكره وبلغ من كثرة ما نهب انهم اقتسموا
الذهب والفضة كيلا ولم يصل الى هذه المدينة عسكر للمسلمين قبله فلما فرقه اراد العود اليه
مرة اخرى فلم يقدر على ذلك ومنعه اهله وفي هذه السنة توفى بين الدولة السلطان محمود
ابن سبكتكين وعمره احدى وستون سنة ومدة ملكه اربع وثلاثون سنة وكان صالحا عادلا
محباً للعلماء مكرماً لهم ومحباً للجهاد ووقع بعده اختلاف بين ابنه محمد ومسعود وتم
الملك لمسعود

❖ ذكر خروج ملك الروم الى الشام وانهزاه ❖

في سنة احدى وعشرين واربعمئة خرج ملك الروم من القسطنطينية في ثلاثمائة الف
مقاتل الى الشام فلم يزل بعساكره حتى بلغ قريب حلب فلحقهم عطش شديد وكان اصحابه
مختلفين عليه وعبر على عسكره جمع من العرب ليسوا بالكثير فظن انها كبسة فخاف ورحل
وتبعهم العرب واهل السواد حتى الارمن يقتلون وينهبون واخذوا من الملك اربعمائة
بغل محملة مالا وثيابا وهلك كثير من الروم عطشا ونجا الملك وحده ولم يسلم معه من امواله
وخزائنه شئ البتة وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا حتى ان الملك لبس خفا
اسود وعادة ملوكهم لبس الخف الاخر فتزكه ولبس الاسود ليعمى خبره على من يريده
وانهزموا وغنم المسلمون جميع ما كان معهم

❖ ذكر غزو وفضلون الكردي الخزر وما كان منه ❖

كان فضلون الكردي هذا بيده قطعة من اذر يجان استولى عليها وملكها فاتفق انه غزا
الخزر في هذه السنة فقتل منهم وسبي شياً كثيراً فلما اراد العود الى بلاده ابطأ في سيره وظن انه
دوخمهم وشغلهم بما عمل بهم فاتبعوه مجدين وكبسوه وقتلوا من اصحابه والمتطوعة الذين معه اكثر
من عشرة آلاف قتيل واستردوا الغنائم التي اخذت منهم وغنوا اموال العساكر الاسلامية وعادوا

❖ ذكر ملك الروم مدينة الرها ❖

في سنة ثنتين وعشرين واربعمئة ملك الروم مدينة الرها وكان بالرها برجان حصينان
احدهما اكبر من الآخر الكبير بيد ابن عطير والصغير بيد ابن شبل فراسل ابن عطير ارمانوس
ملك الروم وباعه ما بيده بعشرين الف دينار وعسدة قرى فتسلوا البرج الذي له ودخلوا
البلد فلكوه وهرب منه اصحاب ابن شبل وقتل الروم المسلمين وخربوا المساجد فسمع نصر
الدولة بن مروان مالك بلاد الكرديا خبر فسير جيشا الى الرها فحاصروها وقتحوها عنوة
واعتصم من بها من الروم بالبرجين واحتفى النصراني غيرهم بالبيعة التي لهم وهى من اكبر
البيع واحسنها عمارة فحصرهم المسلمون بها واخرجوهم وقتلوا اكثرهم ونهبوا البلاد

وبقي الروم بالبرجين وسير اليهم ابن مروان عسكريا نحو عشرة آلاف مقاتل فانهمز اصحاب ابن مروان من بين ايديهم ودخل الروم البلد وملكوها وماجاورهم من بلاد المسلمين فضالحهم ابن وثاب التيمري على حران وسروج وحل اليهم خراجا وفي هذه السنة توفي الخليفة القادر بالله وكانت خلافته احدى واربعين سنة وثلاثة اشهر وبويع بعده ابنه القائم بأمر الله

﴿ ذكر ملك الروم قلعة افامية ﴾

في سنة ثنتين وعشرين واربع مائة ملك الروم قلعة افامية بالشام بسبب اختلاف العمال من المسلمين فدخل حسان بن المخرج الطائي بلد الروم هاربا من الدزبري عامل الشام خليفة مصر ولبس خلعة ملكهم وخرج من عنده وعلى رأسه علم فيه صليب ومعه عسكري كثير فصار الى افامية فكبسها وغنم ما فيها وسبي اهلها واسرهم

﴿ ذكر فتح قلعة سرستي وغيرها من بلاد الهند ﴾

في سنة خمس وعشرين واربع مائة قصد السلطان مسعود بن محمود سبكتكين قلعة سرستي وهي من اضع حصون الهند واحصنها فحصرها وقد كان ابوه حصرها غير مرة فلم يتهيا له فتحها فلما حصرها مسعود راسله صاحبها وبذل له مالا على الصلح فأجابته الى ذلك وكان فيها قوم من التجار المسلمين فعزم صاحبها على اخذ اموالهم وحلها لمسعود من جلة ما تقرر عليه فكتب التجار رقعة في نشابة ورهوا بها اليه يعرفونه فيها ضعف الهنود بها وانه ان صابروهم ملكهم فرجع عن الصلح وطم خندقها بالشجر وقصب السكر وغيره وفتح الله عليه وقتل كل من فيها وسبي ذراريهم واخذ ما جاورها من البلاد ثم رحل عنها الى قلعة تسمى وحصرها فأراها عالية لا ترام يرتد البصر دونها وهو حسير الا انه اقام عليها يحصرها فخرجت عجوز ساحرة فتكلمت بالاسان الهندي طويلا واخذت مكنسة فبلتها بالماء ورشته منها الى جهة عسكري المسلمين فرض واصبح لا يقدر ان يرفع رأسه وضعفت قوته ضعفا شديدا فرحل عن القلعة لشدة المرض فحين فارقه زال ما كان به واقبلت الصحة والعافية اليه وسار نحو غزنة

﴿ ذكر ملك الروم قلعة بركوى ﴾

هذه قلعة متاخة للارمن كانت في يد ابي الهيجاء بن ريب الدولة ابن اخت وهودان بن ملان فتنافروا وخاله فارسل خاله الى الروم فاطمعهم فيها فسير ملك الروم اليها جمعا كثيرا فلكوها سنة خمس وعشرين واربع مائة فبلغ الخبر الى الخليفة فارسل الى ابي الهيجاء وخاله من يصلح بينهما ليتفقا على استعادة القلعة فاصطلحا ولم يتمكنوا من استعادتها واجتمع اليهما خلق كثير من المنتوعة فلم يقدروا على ذلك لثبات قدم الروم بها وفي سنة سبع وعشرين اجتمع ابن وثاب وابن عطير وتصاهرا وجما جوعا وامدهما نصر الدولة بن مروان بمسكركشيف فساروا جميعا الى السويديا وربض الرها وكان الروم قد احدثوا عمارتها في ذلك الوقت واجتمع اليها اهل القرى المجاورة لها فحصرها المسلمون وفتحوها عنوة وقتلوا فيها ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل وغنموا ما فيها وسبوا خلقا كثيرا وقصدوا الرها فحصروها وقطعوا الميرة عنها واشتد الامر فخرج البطريرق الذي فيها متخفيا ولحق بملك الروم وعرفه

الحال فسير معه خمسة آلاف فارس فعماد بهم فعرف ابن وثاب ومقدم عساكر نصر الدولة
الحال فكمنناهم فلما قاربوهم خرج الكمين عليهم فقتل من الروم خلق كثير واسر مثلهم
واسر البطريق وحل الى باب الرها وقالوا لمن فيها اما ان تفتحوا الباب والاقنانا البطريق
والاسرى الذين معه ففتحوا الباب للعجز عن حفظه وتحصن اجنادا لروم بالقلعة ودخل
المسلمون المدينة وغنموا ما فيها وامتلاّت ايديهم من الغنائم والسبي واكثروا القتل وارسل
ابن وثاب الى آمد مائة وستين راحلة عليها رؤس القتلى واقام محاصراً للقلعة ثم ان حسان
ابن الجراح الطائي سار في خمسة آلاف فارس من العرب والروم نجدة لمن بالرها فسمع ابن
وثاب بقربه فسار اليه مجداً ليلقاه قبل وصوله فخرج من الرها بجمع من الروم الى حران
فقاتلهم اهلها وسمع ابن وثاب الخبر فعاد مسرعاً فوقع على الروم فقتل منهم كثيراً وعاد
المنهزمون الى الرها ثم صالح ابن وثاب الروم الذين بالرها فجزه عنهم وسلم اليهم ريش الرها
وكثر الروم بها وعمروها وحصنوها وفي سنة تسع وعشرين هاجد المستنصر بالله العبيدي
صاحب مصر ملك الروم وشرط عليه اطلاق خمسة آلاف اسير وشرط الروم عليه ان
يمروا بعة قائمة فأرسل الملك اليها من عمرها واخرج على غارتهما لاجليلا ثم انقضت
الهدنة سنة ٣٢ وجهاز الروم جيشاً فالتقوا مع جيش المسلمين بين مدينة حاة واقامية واشتد
القتال ثم ان الله نصر المسلمين واذل الكافرين فانهزموا وقتل منهم عدة كثيرة واسر ابن عم
للملك وبنوا في فدائه ما لاجزى لا وعدة وافرة من اسراء المسلمين وانكف الروم عن الاذى
بعدها وفي سنة اثنين وثلاثين ايضاً قتل مسعود بن محمود سبكتكين وتلك ابنة مودود
والقاتل لمسعود اولاد اخيه محمد والقصة طويلة ليس هذا محل ذكرها وفي سنة خمس
وثلاثين اخرج ملك الروم من القسطنطينية المسلمين والغربا ونادى ان لا يقيم احد وردا للبلد
منذ ثلاثين سنة فن اقام بعدها لكل فخرج منها اكثر من مائة الف انسان ولم يبق بها اكثر
من اثني عشر نفساً ضمهم الروم فتركهم

ذكر تلك مودود بن مسعود بن محمود سبكتكين عدة من حصون بلاد الهند

وفي سنة خمس وثلاثين واربعمائه اجتمع ثلاثة من ملوك الهند وقصدوا لها ووروحصروها
فجمع مقدم العساكر الاسلامية تلك الديار من عنده منهم وارسل الى صاحبه مودود ويستنجده
فارسل اليه العساكر فاتفق ان بعض اولئك الملوك فارقههم وعاد الى طاعة مودود فرحل
الملكان الآخران الى بلدهما فسارت العساكر الاسلامية الى احدهما فانهزم منهم وصعد الى
قلعة له منيعة هو وعساكره فاحتوا بها وكانوا خمسة آلاف فارس وسبعين الف راجل
وحصروهم المسلمون وضيقوا عليهم واكثروا القتل فيهم فطلب الهنود الامان على تسليم
الحصن فامتنع المسلمون من اجابتهم الى ذلك الابد ان يضيفوا الى ذلك باقي حصون ذلك الملك
الذي اهم فحملهم الخوف وعدم الاقوات على اجابتهم الى ما طلبوا وتسلم المسلمون الجميع وغنموا
الاموال واطلقوا ما في الحصون من اسرى المسلمين وكانوا نحو خمسة آلاف نفر فلما فرغوا
من هذه الناحية قصدوا ولاية الملك الثاني فتقدم اليهم ولقيهم فاقبلوا قتالا شديداً وانهزمت

الهندود واجلت المعركة عن قتل ملكهم وخسـة آلاف قتيل وجريح واسر ضـفاؤهم وغنـم
المسلون اموالهم وسلاحهم ودوابهم فلما رأى باقى الملوك من الهند ما لى هؤلاء اذعنوا بالطاعة
وطلبوا الامان وحملوا الاموال وطلبوا الاقرار على بلادهم فاجبوا الى ذلك

ذكر اخبار الروم والروسية

وفى سنة خمس وثلاثين ورد الى القسطنطينية عدد كثير من الروسية فى البحر يريدون حرب الروم
فاجتـمعت الروم على حربهم وكان بعضهم قد فارق المراكب الى البر فالتقى الروم فى مراكبهم النار فلم
يهددوا الى اطرافها فهلك كثير منهم بالحرق والفرق واما الذين فى البر فقاتلوا ثم انهزموا فلم يكن لهم
ملجأ فمن استسلم اولا استرق ومن امتنع حتى اخذ قهرها قطع الروم ايمانهم وطيف بهم فى البلد
ولم يسلم منهم الا اقليل مع ابن ملك الروسية وفى سنة تسع وثلاثين سـير المـز بن باديس صاحب
افريقية اسطولا الى جزائر القسطنطينية فظفر وغنم وعاد

ذكر غزو السلجوقية بلاد الروم

ولنذكر اولاً ابتداء ظهور الدولة السلجوقية اصلهم من الترك الذين ماوراء النهر اسلم جدهم
سلجوق ووفقه على الاسلام جماعة منهم فخرج بهم من دار الحرب الى ديار الاسلام وصار
يقاتل الكفار من الترك ووقع بينه وبين ملوك خراسان المسلمين وقائع وقتال يطول الكلام
بذكره وولده اولاد قاموا بالجهاد بعده وكثرت جوعهم وقويت شوكتهم وصاروا يتغلبون
على ممالك خراسان والعراق شيئاً الى ان دخلوا بغداد واذهبوا دولة بنى بويه وتغلبوا على الخلفاء
كما كان بنو بويه وكان دخواهم بغداد فى خلافة القائم بامر الله بن القادر بالله بن اسحاق بن
المقتدر سنة سبع واربعين واربعمئة وكان الداخل منهم بغداد السلطان طغرل بك بن ميكائيل
ابن سلجوق وتوفى السلطان طغرل بك سنة خمس وخسين واربعمئة وصار الملك بعده لابن اخيه
الب ارسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق واستمر الملك فى بنيه الى سنة تسع وثمانين
وخمسائة وكان ابتداء تملكهم طوس وقيل الى سنة اربعمئة وتسع وعشرين فتكون مدة
ملكهم مائة وستين سنة وطغرل بك ضبطه ابن خاكان بقوله بضم الطاء وسكون الغين المعجمة
وضم الراء وسكون اللام وفتح الباء الموحدة بمدها كاف وهو اسم تركى مركب من طغرل وهو
اسم علم وبك معناه امير وسلجوق بفتح السين المهملة وسكون اللام وضم الجيم وسكون الواو
وبمدـها كاف وكانت هذه الغزوة التى سـنـد كرها قبل تملكهم بغداد وهذه الغزوة التى سـنـد كرها
هى انه فى سنة اربعين واربعمئة غزا السلجوقية بلاد الروم وقائد الجيش الامير ابراهيم ايتال
اخو السلطان طغرل بك السلجوقى فظفروا وغنموا ووصلوا الى ملاز كرد وأرزن الروم
وقالـقـلوا وبلغوا طرابزون وتلك النواحي كلها ولقيهم عسكر الروم يـلـغـون خـسـين الفـاقتـلوا
واشد القتال بينهم وكانت بينهم عدة وقائع تارة يظفر هؤلاء وتارة هؤلاء وكان آخر الامر
الظفر للمسلمين فاكثروا القتل فى الروم وهزموهم واسروا جماعة كثيرة من بطارقتهم ومن
اسرقا ريط وكان من ملوكهم فبذل فى فداء نفسه ثلاثمائة الف دينار وهدايا بمائة الف فلم يجب
الى ذلك ولم يزل السلجوقية يحوسون تلك البلاد الى ان صار بينهم وبين القسطنطينية خمسة
عشر يوماً واستولى المسلمون على تلك النواحي فنهبوها وغنموا ما فيها وسبوا اكثر من مائة الف

راس واخذوا من الدواب والبغال والغنائم والاموال ما لا يقع عليه الاحصاء وحملت الغنائم على عشرة آلاف مجلعة ومن جملة الغنائم عشرة آلاف درع ثم في سنة احدى واربعين واربعمائة ارسل ملك الروم الى السلطان طغرل بك هدية عظيمة وطلب منه الصلح والمعا هدة فاجابه اليها وعمر ملك الروم مسجدا بالقسطنطينية وكان بها كثير من المسلمين فاقاموا بالمسجد المذكور الصلاة والخطبة لطغرل بك بامر ملك الروم ثم بعد ذلك دانت الناس لطغرل بك وتمكن في ملكه وتلك كثيرا من البلاد قبل دخوله بغداد

ذكر غزوة اخرى للسجوقية

في سنة ست واربعين واربعمائة سار طغرل بك سلطان السجوقية الى ارمينية وقصد ملاز كرد وهي للروم محصنة وضييق على اهلها ونهب ما جاورها من البلاد واخر بها وهي مدينة حصينة واثار السلطان المذكور في هذه الغزوة آثار عظيمة ونال منهم من النهب والقتل والاسر شيئا كثيرا وبلغ في غزوته هذه الى ارض الروم وعاد الى اذربيجان لما هجم الشتاء ومن السجوقية قتلش ابن عم طغرل بك كانت له وبنية دولة في قونية واقصرا وبلاد الروم لان السجوقية لما انتشروا في البلاد طالبن للمالك دخل قتلش هذا الى بلاد الروم وملك قونية واقصرا ونواحيها وافتتح بلادا واسعة وبقي الملك في بنية الى ظهور الدولة العثمانية فن تلك الممالك التي افتحوها وكانت تحت ايديهم قونية واقصرا وسيواس وتوقان وانقورية وملطية وبلاد البستان وقيسارية ونيكسار واماسية واعمال هذه المدن

ذكر فتح الب ارسلان مدينه * آنى * وغيرها من بلاد النصرانية *

في سنة ست وخسين واربعمائة غزا السلطان الب ارسلان بلاد النصارى فسار من الرى الى اذربيجان ثم سلك مضائق الى ان وصل الى نقجوان فأمر بعمل السفن لعبور نهر أرس فقبل له ان سكان خوى وسلماس من اذربيجان لم يقوموا بواجب الطاعة وانهم قد امتنعوا ببلادهم فسير اليهم عيذ خراسان ودعاهم الى الطاعة وتهدهم ان امتنعوا فاطاعوا وصاروا من جملة حزبه وجنده واجتمع عليه هناك من الملوك والعساكر ما لا يحصى فلما فرغ من جمع العساكر والسفن سار الى بلاد الكرج وجعل عسكرا مع ولده ملكشاه ونظام الملك وزيره فسار ملكشاه ونظام الملك الى قلعة فيها جمع كثير من الروم فنزل اهلها منها وتحطفوا من العسكر وقتلوا منهم فئة كثيرة فنزل نظام الملك وملكشاه وقتلوا من بالقلعة وزحفوا اليهم فقتل امير القلعة وملكها المسلمون وساروا منها الى قلعة سر مارى وهي قلعة فيها المياه الجارية والبساتين فقاتلوا وملكوها وانزلوا منها اهلها وكان بالقرب منها قلعة اخرى ففتحها ملكشاه واراد تخريبها فنهاء الوزير نظام الملك عن ذلك وقال هي ثغر للمسلمين وشحنها بالرجال والاموال والسلاح والذخائر وسلم هذه القلاع الى امير نقجوان وسار ملكشاه ونظام الملك الى مدينة مريم نشين وفيها كثير من الرهبان والقسيسين وملوك النصارى وامانتهم يتقربون الى اهل هذه البلدة وهي مدينة حصينة سورها من الاجار الكبار الصلبة المشدودة بالرصاص والحديد عندها نهر كبير فأعد نظام الملك

لقتالها ما يحتاج اليه من السفن وغيرها وقاتلها وواصل قتلها ايسلا ونهارا وجعل
العساكر عليها يقاتلون بالنوبة فضجر الكفار واخذهم الاعيا والكلال فوصل المسلمون
الى سورها ونصبوا عليها السلام وصعدوا الى اعلاها لان المعاول كلت عن نقبه لقوة
جره فلما رأى اهلها المسلمين على السور فت ذلك في اعضاءهم اى اضعفهم وسقط في ايديهم
ودخل ملكشاه ونظام الملك البلد واحرقوا البيع وخربوا وقتلوا كثيرا من اهلها
واسلم كثير منهم فنجوا من القتل واستدعى الب ارسلان ابنه ملكشاه ونظام الملك فلحقوه
في بلاد الكرج وفرح بمبايسره الله من الفتح على يدولده وفتح ملكشاه في طريقه عدة
من القلاع والحصون واسر من النصارى ما لا يحصى ثم ساروا جميعا مع السلطان
الب ارسلان الى تسين شهر فجرى بين اهلها وبين المسلمين حروب شديدة استشهد فيها من المسلمين
كثير ثم ان الله تعالى يسر فتحها فملكها الب ارسلان وسار منها الى مدينة اعال لال وهى
حصينة عالية الاسوار شاهقة البنيان وهى من جهة الشرق والغرب على جبل عال وعلى
الجبلى عدة من الحصون ومن الجانبين الاخرين نهر كبير فلما رآها المسلمون علموا عجزهم
عن فتحها والاستيلاء عليها وكان ملكها من الكرج وهكذا تقدم من البلاد التى ذكرنا
فتحها وعقد السلطان جمر على النهر عريضا واشتد القتال وعظم الخطب فخرج من المدينة
رجلان يستغيثان ويطلبان الامان والتسامن السلطان ان يرسل معهما طائفة من العسكر
فسير جمعنا صالحا فلما جازوا الفصيل احاط بهم الكرج من اهل المدينة وقاتلوهم
فاكثروا القتل فيهم ولم يتمكن المسلمون من الهزيمة لضيق المسالك وخرج الكرج من البلد
وقصدوا العسكر واشتد القتال وكان السلطان ذلك الوقت يصلى فأناه الصريح فلم يبرح حتى
فرغ من صلاته وركب وتقدم الى الكفار وقاتلهم وكبر المسلمون عليهم فاولوا منهزمين
فدخلوا البلد والمسلمون معهم ودخلها السلطان وملكها واعتصم جماعة من اهلها فى برج
من ابراج المدينة فقاتلهم المسلمون فامر السلطان بالقاء الخطب حول البرج واحراقه ففعل
ذلك واحرق البرج ومن فيه وعاد السلطان الى خيامه وغنم المسلمون من المدينة ما لا يحصى
ولا يحصى ولما جن الليل عصفت ريح شديدة وكان قد بقى من تلك النار التى احرق بها البرج
بقية كثيرة فاطارتها الريح فاحترقت المدينة بأسرها وملك السلطان قلعة حصينة كانت الى
جانب تلك المدينة ثم سار منها الى ناحية قرس ومدينة آنى وبالقرب منها ناحيتان يقال لهما
دسل ورده ونوره فخرج اهلها مذعنين بالاسلام وخربوا البيع وبنوا المساجد وسار منها
الى مدينة آنى فوصل اليها فرآها مدينة حصينة شديدة الامتناع لاترام ثلاثة ارباعها على
نهر ارس والربع الاخر نهر عميق شديد الجرية لو طرحت فيه الحجارة الكبار لاختدها
وحملها والطريق اليها على خندق عليه سور من الحجارة الصم وهى بلدة كبيرة عامرة
كثيرة الامل فيها ما يزيد على خمسمائة بيعة فحصرها وضيق عليها الا ان المسلمين قد ايسوا
من فتحها المارأوا من حصانتها فممل السلطان برجا من خشب وشحنه بالقاتلة ونصب عليه
المنجنيق ورمات النشاب فكشفوا الكرج عن السور وتقدم المسلمون اليه ايتقوه فقاتلهم من
لطف الله ما لم يكن فى حسابهم فانهدمت قطعة كبيرة من السور بغير سبب فدخلوا المدينة

وقتلوا من اهلها ما لا يحصى عددهم بحيث ان كثير من المسلمين هجروا من دخول البلاد بسبب كثرة القتلى واسروا نحو مائة الف و سارت البشرية بهذا الفتوح في البلاد فسر المسلمون وقرئ كتاب الفتح ببغداد في دار الخليفة فبرز خط الخليفة بالثناء على الب ارسلان والدعاء له ورتب فيها اميرا في عسكر جرار وعاد عنها وقد راسله ملك الكرج في الهندنة فصالحه على اداء الجزية كل سنة فقبل ذلك وفي سنة ثنتين وستين واربع مائة اقبل ملك الروم من القسطنطينية في عسكر كثيف الى الشام ونزل على مدينة منبج ونهبها وقتل اهلها وهزم جوعا للمرب ثم ارتحل وعاد الى بلاده ولم يمكنه المقام لشدة الجوع

ذكر خروج ملك الروم الى خلاط واسره

في سنة ثلاث وستين واربع مائة خرج ارمانوس ملك الروم في مائتي الف من الروم والفرنج و الروس والكرج وغيرهم من طوائف تلك البلاد فجؤا في تحمل كثير وزى عظيم وقصد بلاد الاسلام فوصل الى ملاز كرد من اعمال خلاط فبلغ السلطان الب ارسلان الخبر وهو بمدينة خوى من اذربيجان وسمع ما فيه ملك الروم من كثرة الجموع فلم يتمكن من جمع العساكر لبعدها وقرب العدو فسير الاثقال مع زوجته ونظام الملك الى همدان وسار هو فبين معه من العساكر وهم خمسة عشر الف فارس وجد في السير وقال لهم اني اقاتل محتسبا صابرا فان سلمت فنعمة من الله تعالى وان كانت الشهادة فان ابني ملك شاه ولي عهدي وساروا فلما قاربوا العدو وجعل له مقدمة فصادفت مقدمته عند خلاط مقدم الروسية في نحو عشرة آلاف فاقتتلوا فانهمزمت الروسية وامر مقدمهم وحل الى السلطان فجذع انفه وانفذ بالسلب الى نظام الملك وامره ان يرسله الى بغداد فلما تقارب العسكران ارسل السلطان الى ملك الروم يطلب منه المهادنة فقال ملك الروم لاهدنة الابرارى فانزعج السلطان لذلك فقال له امانه وفتحيه ابو نصر محمد بن عبد الملك البخارى الخنفي انك تقاتل عن دين الله وقد وعد الله بنصره واطهاره على سائر الاديان وارجو ان يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح فالتهم يوم الجمعة بعد الزوال في الساعة التي تكون الخطباء على المنابر فانهم يدعون للمجاهدين بالنصر والدعاء مقرون بالاجابة فلما كانت تلك الساعة صلى بهم وبكى السلطان فبكى الناس لبكائه ودعوا معه وقال لهم من اراد الانصراف فليصرف فها هنا سلطان يامر وينهى وألقى القوس والمنشاب واخذ السيف والدبوس وعقد ذنب فرسه بيده وفعل عسكره مثله وابس البياض وتحنط وقال ان قتلت فهذا كفى وزحف الى الروم وزحفوا اليه فلما قاربهم ترجل وعفر وجهه على التراب وبكى واكثر الدعاء ثم ركب وحل وحلت العساكر معه فحصل المسلمون في وسطهم وجز الغبار بينهم فقتل المسلمون فيهم كيف شاؤوا وانزل الله نصره عليهم فانهمزمت الروم وقتل منهم ما لا يحصى حتى امتلأت الارض من جثث القتلى واسر ملك الروم امره بعض الغلمان فأراد قتله ولم يعرفه فقال له خادم مع ملك الروم لا تقتله فانه الملك وكان هذا الغلام الذي امره قد عرفه سيده على نظام الملك فردده استحقاقا له فأثنى عليه سيده فقال نظام الملك عسى ان يثني

جاءت الروم اسيراً فكان كذلك فلما اسر الغلام ملك الروم احضره عند سيده فقصد السلطان
واخبره بأمر الملك فأمر باحضاره فلما احضر ضربه السلطان الب ارسلان ثلاثة مقارع
بيده وقال له الم ارسل اليك في الهدنة فأبيت فقال دعني من التوبخ وافعل ما تريد فقال
السلطان ما عزمت ان تفعل بي ان اسرتني فقال افعل القبيح قال له فما تظن اني افعل بك
قال اما ان تقتلني واما ان تشهرني في بلاد الاسلام والاخرى بعيدة وهي العفو وقبول
الاموال واصطناعي نائباً عنك قال ما عزمت على غير هذا ففداه بألف الف دينار وخمسمائة
الف دينار وان يرسل اليه عساكر الروم اى وقت طلبها وان يطلق كل اسير في بلاد الروم
واستقر الامر على ذلك وانزله في خيمة وارسل اليه عشرة آلاف دينار يجهز بها واطلق له
جاعة من البطارقة وخلع عليه من الغد فقبل ملك الروم ابن جهة الخليفة فدل عليها فقام
وكشف رأسه واوماً الى الارض بالخدمة وهادنه السلطان حسين سنة وسيره الى بلاده
وسير معه عسكرياً اوصلوه الى مأمنه وشيعه السلطان فرسخاً واما الروم فانهم لما بلغهم خبر
الوقعة واسر الملك وثب ميخائيل على المملكة فلك البلاد فلما وصل ارمانوس الملك الى قلعة
دقيقة بلغه الخبر فلبس الصوف وظهر الزهد وارسل الى ميخائيل يعرفه ما تقرر مع السلطان
وقال ان شئت ان تفعل ما استقر وان شئت امسكت فأجابه ميخائيل بايثار ما استقر وطلب
وساطته وسؤال السلطان في ذلك وجع ارمانوس ماعنده من المال وكان مائتي الف دينار
فأرسله الى السلطان وطبقاً ذهباً عليه جواهر بتسعين الف دينار وحلف له انه لا يقدر
على غير ذلك ثم ان ارمانوس استولى على اعمال الارمن وبلادهم ومدح الشعراء السلطان
الب ارسلان وذكروا هذا الفتح فأكثروا لانه يشبه فتوحات الصحابة رضى الله عنهم

ذكر مقتل السلطان الب ارسلان

في سنة خمس وستين واربع مائة قصد السلطان الب ارسلان ما وراء النهر لقتال ملك من
ملوك الاسلام خرج عن طاعته اسم الملك شمس الملك فمقد على جيحون جسراً وعبر عليه في
نيف وعشرين يوماً وعسكره يزيد على مائتي الف فارس فأتاه اصحابه بمسحوظ قلعة يعرف
يوسف الخوارزمي جرى منه جناية وارتكاب وحل الى قرب سريره مع غلامين فأراد
عقابه على ارتكابه فأمر ان تضرب له اربعة اوتاد وتشد اطرافه اليها فقال له يوسف
ياخذت مثلي يقتل هذه القتل فغضب السلطان الب ارسلان واخذ القوس والذباب وقال
للالامين خلباء ورماء السلطان بسهم فأخطأ ولم يكن يخطئ سهوة فوثب يوسف يريده
والسلطان على سريره فقام عنه وعثر فوقع فبرك عليه يوسف وضربه في خاصرته
بسكين كانت معه وقتل الاتراك يوسف وقطعوه ونهض السلطان فدخل الى خيمة اخرى
ومات السلطان من جراحته تلك بعد ايام وكان اهل سمرقند لما بلغهم عبور السلطان النهر
اجتمعوا وختموا وختمات وسألو الله ان يكفيهم امره فاستجاب الله لهم ولما جرح السلطان
قال ما من وجه قصده وعدو اردته الا استعنت بالله تعالى عليه ولما كان امس صعدت
على تل فارجت الارض تحتي من عظم الجيش وكثرة العسكر فقلت في نفسي انا ملك الدنيا

وما يقدر احد على فجزنى الله تعالى باضعف خلقه وانا استغفر الله واستغفله من ذلك الخاطر
وتلك بعده ابنه ملكشاه وفي سنة سبع وستين واربع مائة توفي القائم بأمر الله وبويع
حفيدته المقتدى بأمر الله وفي سنة ثمان وستين اخذت مدينة منبج من الروم ورجعت الى
الاسلام والذي انتزعها منهم نصر بن محمود بن مرداس

❖ ذكر فتوح في بلاد الهند ❖

في سنة اثنين وسبعين واربع مائة غزا الملك ابراهيم بن مسعود بن محمود سيكتكين صاحب
غزنة بلاد الهند فحصر قلعة اجور وهى على مائة وعشرين فرسخا من لاهور وهى قلعة
حصينة في غاية الحصانة كبيرة تحوى عشرة آلاف رجل من المقاتلة فقاتلوه وصبروا تحت
الحصر وزحف اليهم غير مرة فأروا من شدة حربه ماملا قلوبهم خوفا ورعبا فسلوا
القلعة اليه وفتح ايضا قلعة روبال وكانت على رأس جبل وليس لها طريق الا من مكان ضيق
ملوء بالقبيلة والمقاتلة وبها من رجال الحرب الوف كثيرة فتابع عليهم الوقائع والحل عليهم بالقتال
بجميع انواع الحرب الى ان ملك القلعة واستنزلهم منها وكان في موضع يقال له دره نوره اقوام
من الكفار لم يتعرض اليهم احد من الملوك فسار اليهم ابراهيم ودعاهم الى الاسلام اولا
فامتنعوا من اجابته وقاتلوه فظفر بهم واكثر القتل فيهم وتفرق من سلم منهم في البلاد وسبى
واسترق من النسوان والصبيان مائة الف ثم قصد موضعا آخر يقال له وره في طريقه عقبات
كثيرة واشجار ملتفة واهله كفار فقاتلهم ثلاثة اشهر الى ان نصره الله عليهم فقتل كثيرا
منهم وسبى وغنم وعاد سالما وكان ابراهيم بن مسعود بن محمود عاقلا ذا رأى متين فن آرائه
ان السلطان ملكشاه السلجوقي جمع عساكره يريد قتال ابراهيم المذكور في غزنة وينتزع
الملك منه ونزل باسفرار فكتب ابراهيم بن مسعود كتبنا الى جماعة من اعيان امراء ملكشاه
يشكرهم ويعتذر لهم بما فعلوا من تحسين قصد ملكشاه بلاده لئتم لنا ما استقر بيننا من الظفر به
وتخليصهم من يده ويعدهم الاحسان على ذلك وامر القاصد بالكتب ان يتعرض ملكشاه
في الصيد ففعل ذلك فاخذ واحضر عند السلطان فسأله عن حاله فانكره فامر السلطان
بجلده فجلد فدفع الكتب اليه بعد جهد ومشقة فلما وقف ملكشاه عليها تحيل على امرائه
وترك المسير الى ابراهيم وعاد الى بلده ولم يقل لاحد من امرائه في هذا الامر شيئا خوفا
ان يستوحشوا منه ثم وقعت المكاتبة بينه وبين ابراهيم والمصافاة حتى زوج ابراهيم ابنه
مسعود بانية ملكشاه

❖ ذكر فتح انطاكية وانتزاعها من الروم ❖

في سنة سبع وسبعين واربع مائة سار سليمان بن قلمش السلجوقي صاحب قونية الى الشام
فلك مدينة انطاكية وكانت بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة حصرها بمساكره
ونصب السلام فصعدوا عليها واخذ البلد فقاتله اهل البلد فهزيمهم مرة بعد اخرى وقتل
كثيرا من اهلها ثم اذعنوا له ففنى عنهم وتسلم القلعة واحسن الى الرعية ورجع سالما

❖ ذكر استيلاء الفرنج على جزيرة صقلية ❖

في سنة اربع وثمانين واربع مائة خرج الفرنج بجموع كثيرة وغلبوا جزيرة صقلية بعد حروب

كثيرة وكان ملوك المسلمين بصقلية لما ضعف امر الخلفاء قد تفرقوا فمالك صقلية وصارت كل جهة منها بيد ملك تغلب عليها مستبد لا يسأل عن غيره فصار الفرنج ينتزعون تلك الممالك منهم مملكة بعد مملكة الى ان بقي بأيدي المسلمين قصر يانة وجرجنت فحصرهما الفرنج في سنة اربع وثمانين واربع مائة بجيوش كثيرة فكان من ذلك ذل للمسلمين وتضييق شديد عليهم حتى اكلوا الاموات فلما اشتد الامر عليهم اذعنوا الى التسليم فتسلمهما الفرنج لعنهم الله تعالى في السنة المذكورة فصارت الجزيرة كلها بأيديهم وفي سنة خمس وثمانين توفي السلطان ملكشاه السلجوقي ووقع بين اولاده اختلاف وحروب كثيرة لطلب الملك وفي سنة سبع وثمانين واربع مائة توفي المقتدى بامر الله وبويع ابنه المستظهر بالله ثم ان الفرنج لما ملكوا صقلية بالتمام كان الملك عليهم رجار الفرنجي من ملوك ايطاليا ثم طمعوا في تلك كثير من افريقية فخرجوا في اسطول كبير وجم غفير من مشهورى فرسان الفرنج فحاصروا مدينة جربة ونزلوا بساحتها واداروا المراكب بجهاتها فاجتمع اهلها وقاتلوا قاتلاً شديداً فقتل منهم بشر كثير ثم انهزموا وملك الفرنج الجزيرة وغنموا اموالها وسبوا حريمها ونساءها وهلك اكثر رجالها ومن بقي منهم اخذوا لانفسهم اماناً من صاحب صقلية واقتكوا اسراهم وسيبهم وحرعهم ثم بعد مدة سارت مراكب الفرنج من صقلية الى طرابلس الغرب فحاصروها وعلقوا الكلاب في سور البلد ونقبوه ثم وصل جماعة من العرب نجدة لاهل البلد فقوى اهل البلد بهم فخرجوا الى الاسطول فحملوا عليهم حلة منكزة فانهزموا هزيمة فاحشة وقتل منهم خلق كثير ولحق الباقون بالاسطول وتركوا الاسلحة والانتقال والدواب والاكات فذهبها العرب واهل البلد ورجع الفرنج الى صقلية فجهزوا اسلحتهم وتجهزوا الى المغرب فوصلوا الى جيجل فلما رآهم اهل البلد هربوا الى البراري والجبال فدخلها الفرنج وسبوا من ادركوافها وهدموها واحرقوها واخربوا القصر الذي بناه الامير يحيى بن عبدالعزيز بن جاد للزفة ثم عادوا ثم جهزوا اسطولاً كثيراً وسيروه الى طرابلس الغرب فاحاطوا بها برا وبحرا فخرج اليهم اهلها وانشأوا القتال فدامت الحرب بينهم ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع وقع اختلاف بين اهل طرابلس مع بعضهم آل الامر فيه الى قتال بعضهم بمضافات تهز الفرصة الفرنج ونصبوا السلام وطلعوا على السور واشتد القتال فلكت الفرنج البلدة عنوة وقهرا بالسيف فسفكوا دماء اهلها وسبوا نساءهم واخذوا اموالهم وهرب من قدر على الهرب والتجأ الى البرير والعرب ثم نودي بالامان في كافة الناس فرجع كل من فرمها واقام الفرنج ستة اشهر حتى حصنوا سورها وحفروا خنادقها ولما رجعوا اخذوا رهائن من اهلها وولوا عليها رجلاً من اهلها واخذوا رهائنه وحده واعادوا رهائن غيره واستقامت امور المدينة والزم ملكهم اهل صقلية والروم بالسفر اليها وعمرت برية ثم ان اهل قابس عصى اميرهم على الحسن بن علي بن يحيى بن تميم امير افريقية وكاتب صاحب صقلية وبذل له الطاعة وقال له اريد منك خلعة وعهداً بولاية قابس لا كون نائباً عنك فسير اليه صاحب صقلية الخلعة والعهد فلبسها وقرى العهد بمجمع من الناس فسمع بذلك الحسن امير افريقية فجهز عسكرياً كثيراً فساروا الى قابس ونازلوها وحاصروها فثار اهل البلد

بالامير الذي ملكها لصاحب صقلية وقبضوا عليه بعد قتال بينهم وبينه وسبروه الى امير
افريقية فقتله بعد تعذيبه بأنواع العذاب من ذلك انهم قطعوا ذكره وجعلوه في فيه وتولى
على قابس معمر بن رشيد وهرب جماعة من اقارب الامير الاول الى صقلية وشكوا الى
صاحب صقلية واستجاروا به فغضب لذلك فجهاز اسطولا كثيراً بلغ نحو مائتين وخمسين
شينة مملوءة رجالاً وسلاحاً وقوتاً وقصدوا المهدية وكان بها امير افريقية الحسن بن علي
وكان قد حصل بافريقية في تلك السنين قحط وغلاء شديد حتى ان اكثر الناس فارقوا البلاد
والقرى وساروا الى صقلية فلما علم الحسن بن علي بمسير الفرنج اليه جمع الفقهاء والاعيان
وشاورهم في القتال فقالوا نقاتل عدونا فان بلدنا حصين فقال اخاف ان يحصرنا فابراً
وبحراً ويحاولوا بيننا وبين الميرة وليس عندنا ما نقتات به شهراً فنؤخذ قهراً وانا ارى
سلامة المسلمين من الاسر والقتل خيراً من الملك فالرأى ان نخرج بالاهل والولد ونسلم البلد
فن اراد ان يفعل ذلك فليباد رحم امر في الحال بالرحيل واخذ معه من حضره وماخف حله
وخرج ناس كثير معه بأهلهم واولادهم ومن الناس من اختفى عند النصارى وفي
الكنائس ثم دخل الفرنج البلد بلا مناع ولا مدافع ووجدوا قصر الامير بحاله لم يأخذ
الحسن منه الا ماخف من ذخائر الملوك وفيه جماعة من حظاياهم ورأوا الخزان مملوءة من
الذخائر وكل شئ نفيس غريب يقل وجود مثله فتحتم الفرنج عليه وجعلوا سراري الحسن
من قصره ونهبت المدينة مقدار ساعتين ثم نادوا بالامان فخرج من كان مستخفياً وبعد جماعة
رجع اهل البلد واما الحسن امير افريقية فانه سار الى ملك مراکش عبد المؤمن بن علي
فأكرمه واحسن زله وبقي عنده مكرماً الى ان فتح المهدية عبد المؤمن بن علي كما سيأتي
ذكر ذلك ولما استقر الفرنج بالمهدية سيروا اسطولا الى سفاقس واسطولا الى مدينة سوسة
واسطولا الى قابس فأما اهل سوسة فانهم لما سمعوا خبر المهدية وكان اميرهم علي بن الحسن
امير افريقية خرج على المذكور والتحقيق بأبيه الحسن وخرج الناس لخروجه ودخل الفرنج
البلد بلا قتال واما سفاقس فان اهلها اتاهم كثير من العرب فامنعوا بهم فقاتلهم الفرنج
فخرج اليهم اهل البلد فأظهر الفرنج الهزيمة وتبعهم الناس حتى ابعدوا عن البلد ثم عطفوا
عليهم فانهزم فـوم الى البلد وقـوم الى البرية وقتل منهم كثير ودخل الفرنج البلد فملكوه
بعد قتال شديد وقتلوا كثيرة وامر من بقي من الرجال وسبي الحرير ثم نودي بالامان فعاد
اهلها اليها واقتكوا حريمهم وفعلوا مثل ذلك بقابس وملكوها ثم سار الفرنج الى قلعة
قلبيد وهي قلعة حصينة فلما وصلوا اليها سمع بذلك العرب فاجتمع منهم خلق كثير وقتلوا
الفرنج حتى هزموه وقتلوا من الفرنج خلقاً كثيراً فرجعوا خاسرين الى المهدية ثم رجع
الفرنج اليهم مرة اخرى وملكوها والحاصل ان الفرنج لما ملكوا صقلية تابعت اماراتهم
على افريقية فملكوا الجزائر وماطلة وجربة وتطاون وغير ذلك وصار للفرنج من طرابلس
العرب الى قريب تونس ومن العرب الى القيروان وكانت هذه الوقائع متتابعة في سنين وكان
انتهوا سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وذكرناها متتابعة لينصل بعضها ببعض وفي سنة
اربع واربعين وخمسمائة خلف ملك الفرنج صاحب صقلية وملك القسطنطينية وجرى

بينهما حروب كثيرة ودامت عدة سنين فاشتغل بعضهم ببعض من المسلمين ولولا ذلك لملك صاحب صقلية جميع بلاد افريقية وكان اقتتال بينه وبين صاحب القسطنطينية برا وبحرا والظفر في جميع ذلك لصاحب صقلية حتى دخل في المينا واخذ عدة شواني لصاحب القسطنطينية واسر كثيرا من الروم ورحى الفرنج طاقات قصر الملك بالنشاب وكان الذي يفعل هذا بالروم وبالمسلمين جرجي وزير صاحب صقلية ثم هلك جرجي ولم يكن عند صاحب صقلية من يقوم مقامه ففقد صلحا مع صاحب القسطنطينية وسكنت الفتنة وفي سنة ثمان واربعين وخمسمائة هلك رجار ملك صقلية وكان عمره قريبا من ثمانين سنة وملك بعده ولده غليلام وكان فاسد التدبير وسلك طريقة ملوك الاسلام من الجنايت والجلب وغير ذلك واسكن في الجزيرة صقلية الفرنج مع المسلمين واكرم المسلمين ومنع من التعدي عليهم وقربهم فخرج عن حكمه عدة حصون من حصون صقلية وتعدى الامر الى افريقية فانه لما كانت سنة احدى وخسين وخمسمائة قوى طمع الناس فيه فخرج عن طاعته جزيرة جربة وجزيرة قرقة واطهروا الخلاف عليه وخالف عليه اهل افريقية منهم اهل سفاقس وقد كان ابوه رجار لما فتحها استعمل عليها ابالحسين الفرياني وكان من العلماء الصالحين فاطهر العجز والضعف وقال له استعمل ولدي فاستعمل ولده عمر بن ابى الحسين واخذ اباه رهينة الى صقلية فلما اراد المسير اليها قال لولده عمر اني كبير السن وقد قارب اجلي فغنى امكنتك الفرصة في الخلاف على العدو فافعل ولا تراقبهم ولا تنظر في اني اقتل واحسب اني قدمت فلما وجد الفرصة دنا اهل المدينة الى الخلاف وقال يطلع جماعة منكم الى السور وجماعة يقصدون مساكن الفرنج والنصارى جميعهم ويقتلونهم كلهم فقالوا له ان سيدنا الشيخ والدك نخاف عليه قال هو امرني بهذا واذا قتل بالشيخ ألوف من الاعداء فمات فلم تطلع الشمس حتى قتلوا الفرنج عن آخرهم ثم اتبعه يحيى بن مطروح بطرابلس وفعل مثل فعله وبعدهما محمد بن رشيد بقابس وسار عسكر لعبد المؤمن الى بونة فلكوها وخرج جميع افريقية عن حكم الفرنج ماعدا المهديّة وسوسة وارسل عمر بن ابى الحسين الى زويلة وهى مدينة بينها وبين المهديّة نحو مئتين يحرّضهم على الوثوب على من معهم فيها من النصارى ففعلوا ذلك وقدم عرب البلاد الى زويلة فاعانوا اهلها على من بهامن الفرنج وقطعوا الميرة عن المهديّة فلما اتصل الخبر بغليلام ملك صقلية أحضر ابالحسين والد عمر صاحب سفاقس وعرفه ماعمل ابنه وامره ان يكتب اليه ينهاء عن ذلك ويأمره بالعود الى طاعته ويخوفه عاقبة فعله فقال له من قدم على هذا لا يرجع بكتاب فارسل ملك صقلية اليه رسولا يتهدده ويأمره بترك ما ارتكبه فلم يكنه عمر من دخول البلد يومه ذلك فلما كان الغد خرج اهل البلد جميعهم ومعهم جنازة والرسول يشاهدهم فدفنوها وعادوا وارسل عمر الى الرسول يقول له هذا ابى قد دفنته وقد جلست للامراء فاصنعوا به ما اردتم فعاد الرسول الى غليلام فاخبره بما صنع عمر بن ابى الحسين فاخذ اباه وصلبه فلم يزل يذكر الله حتى مات واما اهل زويلة فانهم كثر جهم بالعرب وبأهل سفاقس وغيرهم فحصروا المهديّة وضيقوا عليها وكانت الاقوات بالمهديّة قليلة فسير اليهم صاحب صقلية عشرين شينيا فيها الرجال والطعام والسلاح فدخلوا البلد وارسلوا الى العرب وبذلوا لهم مالا لينهزموا وخرجوا من الغد

فاقتلواهم واهل زويلة فانهزمت العرب وبقى اهل زويلة واما اهل سفاقس فانهزم ركبوا في البحر فنجوا وبقى اهل زويلة فحمل عليهم الفرنج فانهزموا الى زويلة فوجدوا ابوابها مغلقة فقاتلوا تحت السور وصبروا حتى قتل اكثرهم ولم ينج الا القليل ففرقوا ومضى بعضهم الى عبد المؤمن فدخلوا من قتلوا هرب من سلم من الحرم والصبيان والشيوخ في البر ولم يرجوا على شيء من اموالهم ودخل الفرنج زويلة فقتلوا من وجدوا فيها من النساء والاطفال ونهبوا الاموال واستقر الفرنج بالمهدية الى ان اخذها عبد المؤمن وسيأتي ان شاء الله ذكر ذلك هذا حاصل ما كان من الفرنج في افرقية واما ما كان منهم في هذه السنين في الديار الشامية فسيأتي ذكره عند ذكر الحرب المسمى بحرب الصليب لكن ينبغي قبل ذلك ان تذكر بقية ما كان بالاندلس من الفتوحات والغزوات وما يتبع ذلك ثم بعد اتمام ذلك تذكر حرب الصليب

❖ اتمام الكلام على غزوات الاندلس وما يتبع ذلك ❖

قد تقدم ذكر بعض غزوات الاندلس باختصار ولوسط الكلام فيها لطال وبقى كثير من غزواتها واخبارها لم يذكر فينبغي اتمام الكلام على ذلك تنجيماً للفائدة واكثر التواريخ لم يذكر فيها كثيراً من اخبار الاندلس فصار المشهور المستفيض عند اكثر الناس اخبار غير الاندلس مع ان المسلمين كان لهم بالاندلس ملك ضخم وكانت لهم وقائع ومجامع واخبار عجيبة فينبغي ذكر كثير من ذلك وان كان في بعض تلك الاخبار زيادة على الغزوات والفتوحات التي لاجلها كان جمع هذا الكتاب لان ذلك يحصل به زيادة فائدة ولا يخل بمقصود الكتاب وقد تقدم ان الاندلس فتح في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة اثنتين وتسعين على يد طارق بن زياد مولى موسى بن نصير بضم النون مصغراً والصاد المهملة وهو مولى عبدالعزیز بن مروان والد عمر بن عبدالعزیز وعبدالعزیز هو اخو عبدالملك بن مروان والاندلس مشتمل على قول العلماء المبرزين في كثير من الفنون ومشتمل على كثير من العجائب والمعادن وغير ذلك قال في نفع الطيب نقلاً عن لسان الدين بن الخطيب خص الله بلاد الاندلس من الربيع وغدق السقيا ولذا اذاعت الاقوات وفراهة الحيوان ودرور الفواكه وكثرة المياه وبحر العمران وجودة اللباس وشرف الآنية وكثرة السلاح وصحة الهواء وايضا ان الوان الاسنان ونبل الازهار وفنون الصنائع وشهامة الطباع ونفوذ الادراك واحكام التمدن بما حرمة الكثير من الاقطار بما سواها اعادها الله للاسلام ببركة النبي عليه الصلاة والسلام وقال ايضا ان لاندلس بلد كرم البقعة طيب التربة خصب الجنان منجس الانهار الغزار والعيون العذاب قليل الهوام وذوات السموم معتدل الهواء والجو والنسيم ربيع وخريفه ومشتاه ومضيفه على قدر من الاعتدال وتوسط من الحال تتصل فواكه اكثر الازمنة وتدوم متلاحقة غير مفقودة وفي نفع الطيب ان من الاندلس مدينة شترة من خواصها ان القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضى اربعين يوماً من زراعته وان التفاح فيها دور كل واحدة ثلاثة اشبار واكثر قال ابن اليسع قال لي ابو عبدالله الباكوري وكان ثقة ابصرت عند المعتمد بن عباد رجلاً من اهل شترة اهدى اليه اربعمائة من التفاح ما يقل الحامل على رأسه غيرها دور كل واحدة خمسة اشبار وفي الاندلس

من انواع المعادن ما لا يحصى وفيه المدن الحصينة والمعقل المنيع والقلاع الجريزة والمصانع
الجليلة وطول الاندلس ثلاثون يوماً وعرضه سبعة ايام ويشقها اربعمون نهراً كبيراً وبها
ثمانون مدينة من القواعد الكبار وازيد من ثلاثمائة من المتوسط وفيها من القرى والحصون ما لا يحصى
كثرة حتى قيل ان عدد القرى التي على نهر اشبيلية اثنا عشر الف قرية وقيل ان طول
الاندلس اربعمون يوماً وعرضه ثمانية عشر يوماً واما طيب ثمار الاندلس فلا يعاد له شيء
في الدنيا قال بعض العلماء ان النصراني حرموا الجنة الآخرة فأعطاهم الله الجنة الدنيا يعني بذلك
الاندلس وقال بعضهم ان المرية مدينة من مدائن الاندلس كان بها النسيج طرز الحرير ثمانمائة
نول وللحلل النفيسة والدياج الفاخر الف نول والاسقلاطون كذلك وللثياب الجرجانية
كذلك وللصفهانية كذلك وكان بها من الحمامات نحو الالف واتسع ملك المسلمين فيها وكانت
دور قرطبة اربعة عشر ميلاً وعرضها ميلان وعدد دور الرمايا الواجب على اهلها البيت
داخل السور مائة الف دار وثلاثة عشر الف دار غير دور الوزراء واكابر الناس وعدة
دور اهل الدولة ستة آلاف دار وثلاثمائة دار ومساجدها ثلاثة آلاف وثمانمائة وثلاثون
مسجداً وحماماتها سبعمائة وكانت قرطبة قبلة الاسلام وبها استقر سرير الخلافة المروانية وهي
معدن العلماء وهي من الاندلس بمنزلة الرأس من الجسد ومسجدها ليس له نظير في الدنيا طوله
ثلاثمائة وثلاثون ذراعاً وعرضه مائتان وخسون ذراعاً وسواريه الف واربع مائة وهو
مزخرف بالرخام والمرمر وماء الذهب واللازورد وبخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية في
كل واحدة منها منبر وفتية مقلص تكون الفتية في الاحكام اليه وكانوا لا يكون فيهم مقلص
الامن حفظ الموطأ وقيل الامن حفظ عشرة آلاف حديث وحفظ المدونة وكان هؤلاء
المقلصون المجاورون لقرطبة يأتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة بقرطبة ويسلمون عليه
ويخبرونه بأحوال بلدهم ويعلمون في مساجدهم نواباً يصلون بالناس الجمعة نيابة عنهم
وتقدم ان ملوك بني امية الذين كانوا بالاندلس اول من تملك منهم عبدالرحمن بن معاوية بن
هشام بن عبدالملك بن مروان ويقال له عبدالرحمن الداخل كان ابتداء ملكه بالاندلس سنة
ثمان وثلاثين ومائة هرب من الشام مستخفياً حين كان ابتداء دولة بني العباس وكانوا يقتلون
بني امية فلما كان بالاندلس تغلب على عمال بني العباس الذين كانوا بالاندلس وانتزع الملك
منهم فكان له ملك ضخم وكان في عصر المنصور ثاني خلفاء بني العباس وكان المنصور يسميه
صقر قرطبة قال المنصور يوماً لاصحابه اخبروني عن صقر قرطبة من هو قالوا امير المؤمنين
يعنون المنصور الذي راض الملك وسكن الزلازل وحسم الادواء وأباد الاعداء قال ما عندهم
شيئاً قالوا نعماً وية قال ولا هذا قالوا فميد الملك ابن مروان قال ولا هذا قالوا فن يا امير
المؤمنين قال عبدالرحمن بن معاوية بن هشام الذي عبر البحر وقطع القفر ودخل بلداً اعجمياً
مفرداً فصر الامصار وجند الاجناد ودون الدواوين واقام ملكاً بعد انقطاعه بحسن تدبيره
وشدة شكيته ان معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان وذلالا له صعبه وعبدالملك
كان ببيعة له عقدها وامير المؤمنين يعني نفسه بطلب غيره واجتماع شيعته وعبدالرحمن مفرد
بنفسه مؤيد برأيه مستحب لعزمه اه وقد كانت مدة ملك عبدالرحمن الداخل ثنتين وثلاثين

سنة وخمسة اشهر توفي سنة اثنتين وسبعين ومائة وعمره تسع وخسون او ثمان وخسون سنة ومن عقبه الخليفة عبدالرحمن الناصر بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن الاوسط ابن الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل ولي الملك سنة ثلاثمائة وتوفي سنة ثلاثمائة وخسين واتسع الملك بالاندلس في مدته ومن اتساعه انه بنى تجاء قرطبة مدينة سماها الزهراء لسكانها هي من عجائب الدنيا دالة على عظم قدر بانها وانفق فيها من الاموال خمسة وسبعين مائة الف دينار وكان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر الف فتى وسبع مائة وخسين فتى اهمهم من اللحم كل يوم ثلاثة عشر الف رطل غير انواع الطير والحوت وعدد النساء بقصر الزهراء الصغار والكبار والخدم ستة آلاف وثلاثمائة واربعة عشر وعدد الصبيان الصغالة ثلاثة آلاف وسبع مائة وسبع وثمانون وقيل ستة آلاف وثلاثمائة وثمانون والمرتب من الخبز لحياتان بحيرة الزهراء اثنا عشر الف خبزة ويتقع لها من الحمص كل يوم ستة اقفر واما اوصاف مدينة الزهراء فانها طويلة ثم لما كثرت الفتن في الاندلس هدمت تلك المدينة ومن اغرب ما يحكى عن الناصر انه اراد الفصد يوماً فقعده في البهو الكبير المشرف بأعلى مدينة الزهراء واستدعى الطبيب لذلك فأخذ الطبيب الآلة وجس يدالنا صر فبينما هو كذلك اذا طل زر زور فصعد على ابناء من ذهب في المجلس وأنشد ذلك الزر زور

* ايها الفاصد رفقاً بأمر المؤمنين * انما تقصد عرفاً فيه محى العالمينا *

وجعل يكرر ذلك المرة بعد المرة فاستظرف الناصر ذلك وسر به غاية السرور وسأل عن اهتدى الى ذلك وعلم الزر زور فذكروا له ان ام ولده الحكم صنعت ذلك واعدته لذلك الامر فذهب لها ما ينيف على ثلاثين الف دينار وتقدم ان الناصر مكث في الملك خمسين سنة وكان اذا حصل له يوم كان مسروراً فيه بدون نكد وتكدير يكتبه ووجد ذلك مكتوباً بخطه فاذا هي اربعة عشر يوماً في تلك الخمسين سنة وكان جده هشام بن عبدالرحمن الداخل يقتدى في سيرته بعمر بن عبيد العزيز وكان يبعث بقوم من ثقاته يسألون الناس عن سيرة عماله ويحجرونه بحقائقها فاذا انتهى اليه جور من احد من عماله اوقع به واسقطه وانصف منه ولم يستعمله ولما وصفه زياد بن عبيد الرحمن للامام مالك رضى الله عنه قال نسأل الله ان يزين موصفاً بمثل هذا وفي رواية نسأل الله ان يزين حرمنا بملككم او كلاماً هذا معناه فبلغ هشاماً ما قاله مالك مع ما بلغه من جلالة مالك ودينه فحمل هشام الناس على مذهب مالك وكانوا قبل ذلك يأخذون بمذهب الاوزاعي فهشام هو السبب في ان مذهب الامام مالك بالمغرب وغزا هشام مدينة اريونة الشهيرة وافتتحها واشترط على المعاهدين من اهل جليقية ان ينقلوا عدداً من احوال التراب من سور اريونة المفتحة يحملونها الى باب القصر بقرطبة فبنى منه المسجد الذي قدام امام باب الجنان ومناقب هشام هذا كثيرة قال في العقد الفريد في وصفه هو احسن الناس وجهاً واشرفهم نفساً التكامل المرؤء الحاكم بالكتاب والسنة الذي اخذ الزكاة على حلها ووضعها في حقتها لم يعرف منه هفوة في حياته ولا زلة في ايام صباه وكان يصير الصرر بالاموال في ليلالى المطر والظلمة ويبعث بها الى المساجد فيعطى من وجد فيها يريد بذلك عمارة المساجد بالعلم والعبادة واوصى رجل في زمنه

بمال في فك سبية من ارض العدو فطلبت فلم توجد اسيرة احتراسا منه للشر واستنفاذا لاهل
السبي وكان في ايامه المنجم الضبي وكان مشهورا بكمال المعرفة في علم النجوم فلما ولي هشام
الملك سألته عن مدة ملكه فاخبره انه نحو ثمانية سنين فاطرق هشام ساعة ثم رفع رأسه وقال
ياضبي ماخوفني ان يكون الذير كلني بلسانك والله ان هذه المدة لو كانت في سجدته لله تعالى
لكانت قليلا في طاعة ثم ازداد هذا في الدنيا وفلا للخير توفي سنة ثمانين ومائة وولى بعده
ابنه الحكم بن هشام وكان الحكم بن عبد الرحمن الداخل يشبه بابي جعفر المنصور
من خلفاء بني العباس في توطيد الدولة وشدة الملك وقمع الاعداء وغضب الحكم يوما على
خادم له فامر بقطع يده وحضر عنده زياد بن عبد الرحمن فقال له زياد اصالح الله الامير ان
ما لك حدثني في خبر رفعه ان من انظم غيظا يقدر على افاذه ملاء الله تعالى انما واما نا يوم
القيامة فامر أن يمك عن الخادم وأن يعفى عنه ثم قال له الله ان ما لك حدثك بهذا فقال زياد
الله ان ما لك حدثني بهذا وما يحكي عن الحكم بن هشام ان عمه سعيد الخير بن عبد الرحمن الداخل
كان له خصومة مع ابن بشير وكان مع سعيد الخير وثيقة فيما شاهدت شهود من جنتهم الحكم بن هشام
كان شهد بها قبل ان يصير خليفة فجاء عمه سعيد الخير يطلب منه الشهادة وهو خليفة فخشى أن
يقاضى يرد شهادته فاسل قبل ان يؤدي الشهادة ورقة بخطه للقاضي يخبره بأنه يشهد على ذلك
القاضي ان يقبل فأبى شهادته فلم يغضب من رد شهادته بل قال ان القاضي رجل صالح ولا تأخذه
في الله لومة لائم ومن اخبار عبد الرحمن بن الحكم بن هشام انه اغضب جاريته طروب فهاجرت وكان
يحجبها فاسل اليها بترضاها فأبى واغلقت باب مجلسها فامرهم بسد الباب عليها من خارجه فبدر
الدرهم ففعلوا وبنا عليها بالبدر فاقبل حتى وقف بالباب وكلها مسترضيا راغبا في المراجعة
على ان لها جميع ما سده الباب من البدر فاجابت وفتحت الباب فانها البدر في بيتها فاكنت
على رجله تقبلها وحازت المال وكانت تبرم الامور مع مضر الخصى فلا يرد شيئا تبرمه وخلف
عبد الرحمن المذكور من المذكور مائة وخمسين ومن الاناث خمسين وكانوا يسمونه عبد الرحمن
الاوسط ومن اخبار عبد الرحمن الناصر انه لما بنا الزهراء صنع له قبة جلوسه وزخرفها
وزينها بالذهب وصنع طعاما دعى اليه العلماء وجلس في تلك القبة فلما حضر العلماء ومعه
القاضي منذر بن سعيد البلوطي فلما رأى تلك القبة جملة دموعه تتحادر على خديه ثم قال
والله يا امير المؤمنين ما ظننت ان الشيطان اعنه لله تعالى باغ منك هذا المبلغ ولا ان تمكنه من
قيادك هذا التمكن مع ما أناك الله من فضله ونمته وفضلك به على العالمين حتى ينزلك منازل
الكافرين فان فعل عبد الرحمن الناصر لقوله وقال له انظر ما تقول وكيف انزلتني منزلةهم
قال نعم أليس قال الله تعالى ولولا أن يكون الناس امة واحدة لجعلنا ان يكفر بالرحمن ابوتهم
سقا من فضة ومعارض عليها يظهر ان الآية فوجهم الخليفة واطرق مليا ودموعه تتساقط
خشوعا لله تعالى ثم اقبل على منذر فقال له جزاك الله يا قاضي عنا وعن نفسك خيرا وعن
الدين والمسلمين اجل جزائه وكثر في الناس امثالك وامر بنقض سقف القبة الذي طلوه
بالذهب واعادها على صفة ليس فيها ما ينكر عليه فيه وكان القاضي منذر بن سعيد ذا علم متين
وذكار صين متفنا في العلوم عاملا بعلمه ورعا زاهدا وكان خطيبا بليغا آية في الوعظ لا يسمع

احد وعظه الاخشع وبكى وكان حاضر الجواب قوى الحجمة ذا منظر جبل وخلق حبيب
وتواضع لاهل الطلب وانحطاط اليهم واقبال عليهم قد افردت ترجمته بالتأليف ولد رضى
الله عنه سنة خمس وستين ومائتين وتوفى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وعمره تسعون سنة
ولاه الناصر قضاء الجماعة سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ولبث قاضيا من ذلك التاريخ للخليفة
الناصر الى ان توفى الناصر فابقاه في قضاء الجماعة الحكم بن الناصر واستمر منذر المذكور
في القضاء الى ان توفاه الله سنة خمس وخمسين وثلاثمائة فكانت مدة ولايته لقضاء الجماعة ست
عشرة سنة وقضاء الجماعة عند اهل المغرب هو المبر عنه عند اهل المشرق بقاضى القضاة
وله رحمه الله تأليف منها كتاب احكام القرآن والناسخ والمندوخ وغير ذلك من كتب الفقه
وغيرها وقد تقدم ذكر غزو عبد الرحمن الناصر الجلالة سنة ثمانية وثلاثمائة وانه وطئ
بلادهم ودوخ ارضهم وفتح معاقلهم وخرب حصونهم ثم غزا بلبونة سنة ثلاثمائة
وثنتي عشرة ودخل دار الحرب ودوخ البساتط وفتح المعاقل وخرب الحصون وافسد
العمار وجال فيها وتوغل في قاصيتها والعد ويحاذيه في الجبال والاطوار فلم يقدر العدو أن
يظفر منه بشئ ورجع سالما وقسم الغنائم ثم بعد مدة ثار عليه بعض المسلمين واستعان بالنصارى
فظفر بذلك الشار وقاتله وقتل من كان معه من النصارى اهل البية وسار اليهم وفتح
ثلاثين من حصونهم وكان البشكنس ملكوا عليهم امرأة يقال لها طوطرة وانعقد بينه
وبينهم صلحا ثم نقضوا ذلك الصلح فغزا طوطرة ملكة البشكنس في بلبونة ودوخ
ارضها واستباحها ورجع الى قرطبة ثم غزا الجلالة سنة ٣٢٧ سبع وعشرين وثلاثمائة
وسار اليهم بنفسه فنزل على دار ملكة الجلالة وهى مدينة سمورة عليها سبعة اسوار
من اعجب البنيان قد احكمته الملوك السابقة وبين الاسوار وصلات ومياه واسعة ففتح
منها سورين وكان جيشه مائة الف اوزير يدون واتقى مع ردمير ملك الجلالة وكان معه
جنود كثيرة من الفرنج وحصل القتال الشديد بين الفريقين فكان النصر في اول الامر
للمسلمين ثم رجع النصارى عليهم فحصل الانهزام للمسلمين وكتب الله الشهادة لكثير منهم
وكان الذين قتلوا من المسلمين نحو خمسين الفاسم والى عليهم الغزوات وصار يبعث
الجيش مع قواده وقتل منهم اضعاف ما قتلوا من المسلمين قبل ذلك وقد ذكر العلامة
احمد بن عبدربه الاندلسى في كتابه المسمى بالعقد الفريد ثنتين وعشرين غزوة من غزواته
ونظم كل غزوة منها في منظومة من الرجز وكان معاصرا له قال واوطأ عساكر المسلمين من بلاد
الفرنج مالم يطؤوه قبل ذلك في ايام سلفه حتى اذعن له ائم النصرانية واوفدوا اليه
رسلمهم وهذا ياهم من رومة والقسطنطينية في سبيل المهادنة والسلم والاعمال فيما يعين
في مرضاته ووصل الى سدة الملوك من اهل جزيرة الاندلس المتأخين لبلاد المسلمين
بجهاث قشالة وبلبونة وما يليها من اشغور فقبلوا يده والتمسوا رضاه واحتقبوا
جوائزه وامتطوا مركبه ثم سما ملكه فتملك سبنة وفاسا وغيرهما من بلاد المغرب وطار
صيته وانتشر ذكره واطاعه بنوا دريس امراء العدو وملوك زنانة والبربر حتى صار
ملكه في غاية الضخامة ورفعة الشأن وتقدم ان مدة ملكه كانت خمسين سنة وانه توفى

سنة خمسين وثلاثمائة وبويع بعده ابنه الحكم المستنصر بالله فتنام باعياه الملك اتم قيام
ولما توفي والده الناصر طمع الجلالقة في الثغور فغزاهم الحكم بنفسه واقتحم بلد فردلندين
فتنازل شنب اشتبير وفتحها عنوة واستباحها وقفل فبادروا الى عقد السلم معه وانقبضوا
عما كانوا فيه ثم اغزا غالبا مولاه وسار الى مدينة سالم ايتوصل منها الى دخول دار الحرب
فجمع له الجلالقة ولقيهم فهزمهم واستباحهم واتخذ فيهم واوطأ العساكر بلد فردلندين
ودوخها وكان البشكنس قد انقض فاغزاه الحكم صاحب سر قسطة في العساكر وجاء
ملك الجلالقة لنصر البشكنس فهزمهم فامتنعوا بقورية وعاثوا في نواحيها ثم اغزا الحكم
ابن يعلى ويحيى بن محمد التجيبي الى بلاد برشلونة فعاشت العساكر في نواحيها واغزى
هذيل بن هاشم ومولاه غالبا الى بلاد القوص فعاثا فيها وقفلا وعظمت فتوحات
الحكم وقواد الثغور في كل ناحية وكان من اعظمها فتح قلورية من بلاد البشكنس على يد
غالب مولاه ثم عمرها الحكم واعتنى بها ثم فتح بعض عمالة قطونية وغنم فيها من الاموال
والسلاح والاقوات والاثاث والغنم والبقر والرمك والاطعمة والسبي مالا يحصى كان كل
ذلك في اقرب الزمن وفي سنة اربع وخمسين وثلاثمائة جهز جيشا مع مولاه غالب الى بلد
البتة معه يحيى بن محمد التجيبي وقاسم بن مطرف فدوخو بلادهم ورجعوا غنائم وفي هذه السنة
ظهرت مراكب للمجوس في البحر الكبير فافسدوا بسائط اشبونة من الاندلس وناشبهم الناس
القتال واخرج الحكم القواد لاحتراس السواحل ثم جاءت الاخبار بان العساكر
نالت منهم من كل جهة فرجعوا الى مراكبهم ثم كانت وفاة اردون ابن ادفونش ملك
الجلالقة بتوقع مظاهرة الحكم مستجيابه من ان عم له خرج عليه فاكرمه الحكم ووعد
النصر من عدوه وخلع عليه ثم بعث ابن عمه ايضا يطلب البيعة والدخول في الطاعة
فتقبل بيعتهم على شروط ثم بعث ملك برشلونة وملك طركونة وغيرهما من ملوك الفرنج
كلهم يطلبون المعاهدة والدخول في طاعة الحكم وبعثوا بهدايا جزيلة فتقبلهم الحكم وعقد
اهم الصلح والبيعة وشرط عليهم ان يهدموا الحصون التي تضر بثغور المسلمين وان لا يظاهروا
عليه اهل ملتهم وان يندروا بان يكون من النصاري في الاجلاب على المسلمين ثم وصلت رسل
غربية ملك بشكنس يسألون الصلح والدخول في الطاعة والبيعة فقبلهم فاعتبطوا ورجعوا
ثم وصلت ام لذريرق وهو القومس الاكبر فاحتفل لقدها فقصدت السلم لابنها فرجعت وصنع
لقدهم هؤلاء الملوك عليه احتفالات ومواكب فيها اظهار عز الاسلام بطول الكلام يذكرها
وكلها مذكورة في التواريخ وكانوا عند دخولهم على الحكم يكشفون رؤسهم ويخضعون
برائتهم اعظاما له ويقبلون يده ويقول كل واحد منهم انا عبد امير المؤمنين اذ اقام كل
واحد منهم للانصراف يكون مقهرا لا يولى الخليفة ظهره تعظيما له ويعلنون له
بالدعاء وكان الحكم عالما نبلا اقام للمساء والعلم سوقا نافعا واجتمع عنده من خزائن
الكتب ما لم يجمه احد من الملوك قبله قال ابن حزم ان عدد فهرست التي فيها الاسماء
الكتب اربع واربعون فهرست وفي كل فهرست عشرون ورقة ليس فيها الاسماء
الدواوين واما غير الدواوين من سائر فنون العلوم فثي كثيرة ان كتبه كلها

كانت اربعمائة الف مجلد وقيل يوجد كتاب منها الاوله فيه قرأته ونظر ومكتوب على هوامشه خطه ولما الف ابو الفرج الاصفهاني كتابه المسمى بالاغانى بعث للحكم نسخة فاجازه بالف دينار تولى الحكم سنة ست وستين وثلاثمائة ومدة ملكه ست عشرة سنة وخلف ابنه هشام المؤيد وكان صغيرا عمره تسع سنين وكان جملة ولى عهده واستوزر له محمد ابن ابى عامر الملقب بالمنصور المعافى ومعاشر بطن من حبر وكان يخدم ام هشام المؤيد ثم ترقى الى ان ولاء الحكم قضاء بعض المواضع فظهرت نجاته ثم ترقى الى أن ولاء الزكاة والمواريث ثم استوزره لابنه فحجب الخليفة هشام المؤيد وباشرا الوزير المذكور تدبير الملك بنفسه وله صفات جيدة مذكورة في التواريخ ومفردة بالتأليف وجاشت الروم في اول ولاية هشام فجهاز عليهم الوزير المذكور جيوشا له لدفاعهم فنصره الله عليهم فتمكن حبه من قلوب الناس خاصتهم وعامتهم واستجلب الناس بكرمه وحسن اخلاقه فانتشر صيته واعلى مراتب العلماء وقمع اهل البدع واوسع الجند في العطاء وكان ذاعقل ورأى وشجاعة وكرم وبصيرة بالحروب ودين متين وكان عالما متفطنا وسيرة هذا الوزير وهو منصور بن ابى عامر طويلة مذكورة في التواريخ وأباد المتغلبين على الخلافة المارقين عن الطاعة وكرر الغزو والجهاد واستبد في جميع الامور بحيث لم يبق ذكر لاحد من رجال الدولة ولا من اولاد الخلفاء بل الذكر والتصرف كله له وحده والخليفة محجور عليه واستمر على ذلك سبعا وعشرين سنة وكان يغزو كل سنة غزوتين غزوة في الصيف وغزوة في الشتاء قال في نفع الطيب ان المنصور بن ابى عامر تفرس ببلاد الشرك اعظم تفرس ومحام طواغيتها كل تجرف وتعطرس وغادرهم صرعى في البقاع وتركهم اذل من وتد بقاع

ذكر غزوة من غزواته

سبب هذه الغزوة أن احدرسله سار في بعض مسيراته الى غربية ملك البشكنس ابن شانجة فوالى في اكرامه وتناها في ربه واحترامه وطالت اقامته عنده فلا منتزه الامر عليه متفرجا ولا منزل الاسار اليه معرجا فل مرة اكبر الكنائس هناك فبينما هو يحول في ساحتها ويحبل العيين في ساحتها اذ عرضت له امرأة قديمة الاثر قوية على طول الكسر فكلمته وعرفته بنفسها وقالت له ارضى المنصور ان يتنعم بلبوس العافية ولى سنين مأسورة محتببة وناشدته الله ان يبلغ المنصور خبرها فلما رجع الى المنصور عرفه بما يجب تعريفه وهو مصغ اليه حتى تم كلامه فلما فرغ قال له المنصور هل وقفت هناك على امر انكرته ام لم تقف على غير ما ذكرته فتذكر امر المرأة المأسورة فاعلمه بقصتها فلامه على ان لم يبدأ به كلامه ثم اخذ للتجهز للجهاد من فورهم فلما تم جهازه وتكاملت جنوده سار حتى وادى ابن شانجة فاخذت هيبتة بسمعه وبصره فبادر بالكتاب اليه ليعترف بالجلية ويحلف انه ما جنى ذنبا ولا جفا عن مضجع الطاعة فعنفه المنصور رسل شانجة وقال لهم قد كان ما قدنى على انه لا يبقى بيلا لاده مأسورة ولا مأسور ولو بمته الى في حواصل الطيور وقد بلغتني بقاء فلانة المسلمة في تلك الكنيسة والله لا انتهي عن ارضه حتى اكتبها فرجعوا الى شانجة واخبروه فارسل المرأة ومعها امرأتان اخرا واقام

انه ما ابصرهن ولا سمع بهن قبل ذلك واعلم ان تلك الكنيسة قد بالغ في هدمها تحقيقا لقوله وتضرع اليه في الاخذ فيه بطوله فاستجى منه وصرف الجيش عنه واوصل المرأة ومن معها الى نفسه والحق توحشهن بانسه واوصلها الى اهلها ورجع من غزوته وكان الخليفة هشام لا يراه خاص وعام ولا يخاف منه باس ولا يرجي منه انعام واغنى الناس عنه وازال اطماعهم منه وصيرهم لا يعرفونه وامرهم لا يذكرونه ولا يعهد فيه الا الاسم السلطاني في السكة التي يتعامل الناس بها والدعوة على المنابر وربما اركبه في بعض السنين وجعل عليه برنسا ويركب معه بعض جواريه ويجعل عليهم مثل ما عليه فلا يعرف من بينهم ويأمر من يخشى الناس عن طريقه حتى ينتهي الى موضع تنزهه ثم يعود واخذ في اغتيال من يخشى منه خوفا من ان يثروا به وكانت غزواته نحو الخمسين يطول الكلام بذكرها وكلها كانت من مفاخر الاسلام حتى اشددت هيئته في قلوب الكفرة اللثام وبما يخشى مما كان في بعض غزواته ان بعض الاجناد نسي رايته مركوزة على جبل بقرب احدى مدائن الروم فقامت عدة ايام لا يعرف الروم ما وراءها بعد رحيل العسكر وهذا مما يفتخر به اهل التوحيد على اهل التلذذ لانهم لما اشربت قلوبهم بالخوف من المنصور وعلم كل من ملوكهم انه لا طاقة له بحربه لجئوا الى الفرار وتحصنوا بالماقل والقلاع ولم يحصل منهم غير الاشراف من بعد والاطلاع ومن مفاخر المنصور في بعض غزواته انه مربين جبلين عظيمين في طريق ضيق بوسط بلاد الفرنج فلما جاوز ذلك المحل وهو آخذ في التخریق والتخريب والقنارات والسبي يمينا وشمالا لم يجسر احدهم الا فرنج على لقائه حتى افقرت البلاد مسافة ايام ثم عاد من ذلك الطريق فوجد الا فرنج قد استباحوا من ورائهم وضبطوا ذلك المحل الضيق الذي بين الجبلين وكان الوقت شتاء فلما رأى ما فعلوه رجع واختار منزلا من بلادهم لجيشه ونزل به فبين معه من العساكر وامرهم ببناء دور ومنازل وان يجمعوا آلات الحرب ونحوها ليعلم الفرنج انه اراد الاقامة بارضهم وبث سراياه فسبت وغنم فلما طال البلاء على العد وارسلوا اليه في طلب الصلح وان يخرج بغير اسرى ولا غنائم فامتنع من ذلك فلم تزل رسلهم تتردد اليه حتى سألوه ان يخرج بغنائمه واسراهم فاجابهم ان اصحابي قد ابوا ان يخرجوا وقالوا انا لانكاد ان نضل الى بلادنا الا وقد جاء وقت الغزوة الاخرى فنقعد ههنا الى وقت الغزوة الاخرى فاذا غزونا عدنا فزال الا فرنج يسألونه أن يرتحل الى ان قرر عليهم ان يحملوا على دوابهم مامعه من الغنائم والسبي وان يدوه بالميرة حتى يصل الى بلاده وان ينفخوا جيف القتلى عن طريقه بانفسهم ففعلوا ذلك كله وانصرف عنهم ولم يمرى ان هذا العز ما وراءه مطمح وانصر لا يكاد الزمان يجود بمثله ويسمح خصوصا اذ اتهم جيف قتلاهم عن الطريق وقد تقدم ذكر هذه الغزوة مختصرا فامادتها لا تخلوا من فائدة

✽ خبر عجيب من اخبار المنصور ✽

ومن اخبار المنصور بن ابي عامر انه قدم عليه رسول ملك الروم الذي هو اعظم ملوكهم في ذلك الزمان وكان قصد ملك الروم من ارساله اياه ان يطلع على احوال المسلمين وقوتهم

فما علم المنصور به قبل وصوله امر ان يغرس نيلوفر كثير عند بركة عظيمة في بستان من
بساتينه ثم امر باربعة قناطير من الذهب واربعة من الفضة فسيكت قطعاً صغاراً على قدر
ماتسع النيلوفر ثم ملأ بها جميع انيلوفر الذى عند البركة فلما جاء رسول ملك الروم اليه
فحضر عنده قبل الفجر في مجلسه السامى في موضعه المسمى بالزاهرة المشرف على موضع
البركة فلما قرب طلوع الفجر جاء الف من العمالة عليهم اقبية الذهب والفضة ومناطق الذهب
والفضة وبید خمسة مناهم اطباق من الذهب وبید خمسمائة اطباق من الفضة فتعجب
الرسول من حسن صورهم وجيـل هيئتهم ولم يدرك ما المراد فحين اشرقت الشمس ظهر
النيلوفر من البركة فبادروا لاختذ الذهب والفضة من انيلوفر وصاروا يحتنونهم كما يحتنى
الثر من الشجر وكانوا يجعلون الذهب في اطباق الفضة والفضة في اطباق الذهب حتى
النقطوا جميع ذلك وجأوا به فوضعه بين يدي المنصور حتى صار كوما بين يديه فتعجب
رسول ملك الروم من ذلك واعظمه وظن ان ذلك ثمر ذلك الشجر فطلب المهادنة من
المسلمين وذهب مسرعاً الى مرسله وقال له لاتعاد هؤلاء القوم فاني رأيت الارض تحدمه
بكنوزها وهذه القصة من الغرائب وانها لحيلة عجبية في اظهار عز الاسلام واهله وكان
المنصور بن ابي عامر آية من آيات الله سبحانه وتعالى في السعد ونصرة الاسلام

✽ غزوة اخرى من غزواته ✽

سبب هذه الغزوة انه لتيته امرأة حين رجع من بعض غزواته فقالت له يا منصور
استمع ندائي فانت في طيب عيشك وانا في بكائي فساء لها عن مصيبتها فذكرت ان لها
ابناً أسيراً في بلاد ستمها له واخبرته انها لا بها عيشها لفتده فحرب المنصور بها
واظهر الرقة بسببها وأمر بالتجهز الى الغزو وسار بجيوشه حتى بلغ تلك البلاد التي
ستمها له وفيها ابنها فجا سوا أقطار تلك الديار وتخللها قتلاً وأمرأوا نهياً وتخريباً
حتى دوخها حتى خلص ابنها وجميع من كان هناك من الأسرى ورجع مظفراً منصوراً
فهيكذا تكون المهمة السلطانية والنجدة اليمانية ومن مناقبه التي لم تكن غيره من الملوك
أن أكثر جنده من السبي الذي كان يأخذه من العدو ومن محاسن اخباره انه خطيب
مصحف كان يحمله معه في اسفاره يقرأ فيه ومن قوة رجائه انه اعتنى بجمع ماعاق بوجهه
من الغبار في غزواته ومواطن جهاده فكان الخدم يأخذونه منه بالمساقيل في كل من
من منازلهم حتى اجتمع له منه صرة ضخمة عهد اليهم ان يجعلوه في حنوطه فكان كذلك
وكان يحمل تلك الصرة حيث سار ومن اوضح الدلائل على سعادته انه لم ينهزم في حرب
قط وما انصرف من موطنه الا قاهراً غالباً على كثرة ما زاول من الحروب قبل له مرة
ان فلانا مشوم فلا تستخدمه فتعال اف السعد لا يغطى على شومه فاستخدمه ولم ينله
من شومه الذي به جرت العادة شئ

✽ ذكر غزوة اخرى من غزواته ✽

من غزواته المشهورة غزوة مدينة شنت ياقب وهي قاصية غلبية واعظم مشاهد النصارى
الكائنات ببلاد الاندلس وما يتصل به من الارض الكبيرة وكانت كنيستها عندهم بمنزلة

الكعبة عندنا وللكعبة المثل الاعلى فيها يحافون واليهما يحجون من اقصى بلاد رومة وما وراءها ويزعمون ان القبر المزور فيها بقرياقب الحواري احد الاثني عشرة الحواريين وكان اخصهم بيمسى على نبيسا وعليه افضل الصلاة والسلام وهم يسمونه اخاه للزومه اياه وياقب بلسا نهم يعقوب وكان اسقفا بيت المقدس ثم خرج يستقرى الارض داعيا الى الله لمن فيها حتى انتهى الى هذه القاصية ثم عاد الى الشام فأت بها وعمره مائة وعشرون سنة فاحتمل اصحابه جثته فدفنوه بهذه الكنيسة ولم يطمع احد من ملوك الاسلام في قصدها والوصول اليها لصعوبة مدخلها وخشونة مكانها وبعد مشقتها فخرج المنصور اليها من قرطبة غازيا بالصائفة سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ليست بقين من جسادى الآخرة ودخل على مدينة قورية فلما وصل الى مدينة غليسة وافاه عدد عظيم من القوامس المتكئين فى الطاعة فصاروا فى عسكر المسلمين وكان المنصور امر بانشاء اسطول كبير فى الموضع المعروف بقصر ابى وانس من ساحل غرب الاندلس وجهزه برجاله وحمل فى الاسطول الاقوات والعدة والسلاح استظهارا على نفوذ العزيمة الى ان خرج ذلك الاسطول معه فرتقال على نهر دوين فدخل فى النهر الى المكان الذى عينه لهم المنصور للمبور منه فعقد هناك جسرا بقرب الحصن وجعله يتصل بالاسطول فوجهوا ما كان فيه من الميرة الى الحصن ثم منه الى الجند فتوسعوا فى التزود منه الى ارض العدو ثم نهض منه يريد شنت ياقب فقطع ارضين متباعدة الاقطار وقطع عدة انهار كبار وخلقجان يدها البحر الاخضر ثم افضى العسكر بعد ذلك الى بساطة جميلة من بلاد فرطارس وما ينصل بها ثم افضى الى جبل شاذ شديد الوعر لامسلك فيه ولا طريق ولم يهتد الادلاء الى سواء فتقدم المنصور الفعلة بالحديد لتوسعة شعباه وتسهيل مسالكه حتى قطعاه العسكر وعبروا بعده وادى يابسة وانسبط الملون بعد ذلك فى بساطة عريضة وارضين وانتهت مغيرتهم الى دير قشان وبسيط بانسوعلى البحر المحيط وفتحوا حصن شنت بلاية وغنموا وعبروا بساحته الى جزيرة من البحر المحيط لجأ اليها خلق عظيم من اهل تلك النواحي فسبوا من فيها ممن لجأ اليها وانتهى العسكر الى جبل مراسية المتصل من اكثر جهاته بالبحر المحيط فتخللوا اقطاره واستخرجوا من كان فيه وحازوا غنائمه ثم اجاز المسلمون بعد هذا خليجا فى معبرين ارشد الادلاء عليه ثم نهر ابلة ثم افضوا الى بساطة واسعة العمارة كثيرة الفائدة ثم انتهوا الى موضع من مشاهد ياقب صاحب القبر تلو مشهد قبره عند التصارى فى الفضل يقصد ذبا كهم اليه من اقصى بلادهم ومن بلاد القبط واثوبة وغيرهما فغادره المسلمون قاعا صافصفا ثم كان انزول بعده على شنت ياقب وذلك ليلتين خلتا من شعبان فوجدها المسلمون خالية من اهلها فجاز المسلمون غنائمها وهدموا مصادمها واسوارها وكنيستها وغفوا آثارها ووكى المنصور بقرياقب من يحفظه ويدفع الاذى عنه وكانت مصادمها بدبعة محكمة فغودرت هشيا كان لم تغن بالامس ونشفت بعد ذلك سائر البساطات وانتهت الجيوش الى مدينة شنت ما تكش منقطع هذا الصقع على البحر المحيط وهى غاية لم يبلغها قبلهم مسلم ولاوطمها لغير اهلها قدم فلم يكن بمدى الخيل مجال ولاوراءها انتقال وانكفأ المنصور عن باب

شنت ياقب وقد باسغ غاية لم يبلغها قبله مسلم فجعل في طريقه وهو راجع القصد على عمل
برمدين اردون تميش جيوشه في عمله تخر به وتفسده حتى وقع في عمل القهامة هدين
الذين كانوا معه في عسكره فأمر بالكف عنها ومر بجنتا حتى خرج من حصن بليقية
فأجاز هناك القوامس الذين كانوا معه واكرمهم على اقدارهم وكساهم وصرفهم الى بلادهم
وكتب بالفتح من بليقية وكان مبلغ ما كساه في غزاته هذه ملوك الروم ولمن حسن غنوه
من المسلمين الفين ومائتين وخمسا وثمانين شقة من صوف الخز الطرازي واحدى وعشرين
كساء من صوف البحر وكسائين عنبريين واحد عشر سقلا طونا وخمسة عشر مرشيا
وسبعة اتماط ديباج وثوبى ديباج رومى وفروة فنك ووافى قرطبة بجميع العماكر
سالما غانما وعظمت المنسة على المسلمين ولم يوجد بشنت ياقب الا شيخا من الرهبان
جالسا على القبر فسأله عن مقامه فقال اونس يعقوب فأمر بالكف عنه

✽ غزوة اخرى من غزواته ✽

سبب هذه الغزوة ان جماعة من صنهاجة وهم من البربر قدموا على المنصور بن ابي عامر
من المغرب سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة فنزلوا عليه بقرطبة فاکرمهم واجرى عليهم الوظائف
وسألهم عن سبب انتقالهم من افریقیة الى الاندلس فقالوا انما اخترناك على غيرك واحبين ان
نكون معك نجاهد في سبيل الله تعالى فاستحسن ذلك منهم ووعدهم ووصلهم فأقاموا اياماً
ثم دخلوا عليه وسألوه اتمام ما وعدهم به من الغزو فقال انظروا ما اردتم من الجند لا أجل ان
نعطیکم فقالوا ما يدخل من بلاد العدو وغيرنا الا الذين معنا من بنى معنا ومن بقية صنهاجة ومواليها
فأعطاهم الخيل والسلاح والاموال وبمئ معهم دليلاً وكان الطريق ضيقاً فأثروا ارض
جليقية فدخلوها ليلاً وكمنوا في بستان بالقرب من المدينة وقتلوا كل من به وقطعوا
اشجاره فلما اصبحوا خرج جماعة من البلد فضربوا عليهم واخذوا جميع الخارجين
وقتلوهم جميعهم ورجعوا فتسمع العدو فركبوا في اثرهم فحاربوا فبذلک كمنوا وراه
ربوة فمنا جاوزهم العدو وخرجوا عليهم من ورائهم وضربوا في ساقاتهم وكبروا فلما سمع
العدو تكبيرهم ظنوا ان العدو وكثيفانهمزوا واتبهم صنهاجة فقتلوا خلقاً كثيراً وغنموا
دوابهم وسلاحهم وعادوا الى قرطبة فعظم ذلك عند ابن ابي عامر ورأى من شجاعتهم
مالم ير من جند الاندلس فأحسن اليهم وجملهم بطاعته فلما رأى اهل الاندلس فعل صنهاجة
حسدوهم ورغبوا في الجهاد فقالوا للمنصور بن ابن عامر لقد نشطنا هؤلاء للغزو فجمع
الجيوش الكثيرة من سائر الاقطار وخرج الى الجهاد بنفسه وكان رأى في المنام تلك الليلة
كان رجلاً اعطاه الاسراج وهو اسم انبت فأخذه من يده واكل منه فبره على ابن ابي
جعة فقال له اخرج الى بلداليون فألك ستفتحها فتال من اين اخذت هذا فقال لان
الاسراج يقال له في المشرق الهليون كبرزون فلك الرؤيا قال لك هاليون فخرج بتلك
الجيوش ونازها وهي من اعظم مدائنهم واستمد اهلها الفرنج فأمدوهم بخنود كثيرة
واقبلوا ليلاً ونهاراً فكثرت القتل في الفرنج وصبرت صنهاجة صبراً عظيماً ثم خرج قومص

كبير من الفرنج لم يكن لهم مثله فجل بين الصفوف وطلب البراز فبرز اليه جلاله بن زيري
الصنهاجي فحمل كل منهم على صاحبه فطعنه الفرنجي فال عن الطعنة وضرب الفرنجي بالسيف
على عاتقه فسقط الفرنجي الى الارض وحل المسلمون على النصاري فانهمزوا الى بلادهم
وقد منهم ما لا يحصى وملك المدينة وغنم ابن ابي عامر غنيمة عظيمة لم ير مثلها واجتمع من السبي
ثلاثون الفا وامر بالقتلى فنضد بعضها على بعض وامر مؤذناً بأذن فوق القتل بالمغرب
وخرّب مدينة قامونة ورجع سالماً هو وعساكره قال في نفع الطيب وانتهت هبة المنصور
ابن ابي عامر وضبطه للجند الى غاية لم يصلها ملك قبله فكانت مواقيهم في الميدان على
احتفاله مثلاً في الاطراق حتى ان الخيل لتتمثل في الاطراق مثل فرسانها فلا تكثر الصهيل
والخحمة ولقد وقعت عينه مرة على بارقة سيف قد سل به بعض الجند اقصى الميدان اهزل اوجد
بحيث ظن ان لحظ المنصور لا يناله فقال على بشاهر السيف فثقل بين يديه اوقته فتنازل
ما حلك على ان شهرت سيفك في مكان لا يشهر فيه الا عن اذن فقال اني اشترت به الى صاحبي
مغماً فزاق من غدره فقال ان مثل هذا لا يسوغ بالدعوى وامر به فضربت عنقه بسيفه
وطيف برأسه ونودي عليه بذنبه وذكر ايضا ان المنصور كان به داء في رجله واحتاج
فيه الى الكي فامر الذي يكيه ان يكيه وهو قاعد في موضع مشرف على اهل مملكته فجل يأمر
وينهى ويتصرف في اموره ورجله تكوى والناس لا يشعرون حتى شموا رائحة الجلد والدمع
وهو غير مكترث بذلك ففجّب الناس من ذلك وذكر في نفع الطيب كثيراً من اخباره في الكرم
والعفو والحلم وحسن الخلق ثم قال واخبار المنصور تحتل مجلدات فلنذكر العنان توفي
المنصور بن عامر في غزوة الافرنج في شهر صفر سنة ثلاثمائة واثنين وتسعين بمكة سلم
ل سبع وعشرين سنة من ملكه وقام بالامر بعده ابنه عبد الملك وعبد الرحمن واحدا بعد
واحد فقام بالامر اولاً ابنه عبد الملك فحرق على سنن ابيه في السياسة والغزو وكانت ايامه
اعياداً دامت مدة سبع سنين ثم قام بالامر بعده الابن الآخر عبد الرحمن وجري على سنن ابيه
واخيه في الحجز على الخليفة هشام والاستبداد عليه ثم تاب له رأى في الاستيثار بالملكة فطلب
ان هشاماً يحمله ولي عهده فاجابه لذلك لتغلبه عليه واحضر ذلك ارباب الشورى واهل
الحل والعقد وكتب عهده بذلك فقرئ في ذلك الجمع وكتب التضاة والوزراء وسائر الناس
شهاداتهم بخطوطهم ثم سعى كثير من الامويين وغيرهم في نقضه واثاروا ذلك فتنة الى ان
قتلوا عبد الرحمن سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ثم خلعوا الخليفة هشاماً وابعوا محمد بن هشام
بن عبد الجبار بن امير المؤمنين الناصر ثم اعيد هشام ثم فقد سنة ثلاث واربعمائة وقبل قتل
وثار من ذلك فتنة كثيرة بطول الكلام بذكرها آل الامر فيها الى زوال ملكهم وافتراق كلمتهم
وكل يوم يخلعون خليفة ويباعون آخر ثم صار في كل مملكة خليفة يدعى امير المؤمنين وتبدد
شمل الجماعة بالاندلس ثم صار الملك في طوائف تغلبين في كل ناحية ملك مستقل تغلب ولا حاجة
بنا الى ذكر اسمائهم وعند ذلك استفحل امر النصاري وصاروا يتغلبون على ممالك الاندلس
ويملكونها قطاراً بقطر وناحية بعد ناحية وصار ملوك الطوائف لا يسأل بعضهم عن بعض
ولا يحامي ولا يدافع الا عن نفسه وربما قاتلوا مع بعضهم وتغلب بعضهم على البعض

✽ ذكر اول مدينة تملكها الطاغية ✽

اول مدينة تملكها الطاغية بالنسية سنة ست وخسين واربعمائة وتعرف هذه الوقعة بوقعة بطرنة اسم موضع هناك وذلك ان الافرنج خذلهم الله تعالى انتدبت منهم قطعة كثيفة ونزلت على بالنسية في السنة المذكورة واهلها جاهلون بالحرب معرضون عن امر الطمن والضرب مقبلون على لذات الاكل والشرب ولما نازلها لفرنج اظهروا لاهلها الندم على من زلتها والضعف عن مقاومة من فيها وخذعوههم بذلك فاختدعوا واطمئنههم فطمعوا وكان المتغلب على تملكها من ملوك الطوائف عبدالعزيز بن ابي عامر الماعافى ثم نال العدو وجل في مواضع خارج لمدينة كبناء وجاعة من الفرسان فقتل اهل البلدان العدو وتفرق وارتحل عنهم فخرجوا في زينتهم ومعهم اميرهم فصر العدو بهم استدرجا ومكرا حتى خرج الناس كانهم في عيد فخرج عليهم الكبناء وعطفوا عليهم بالقتل والاسرحى استأصلوهم وما نجا منهم الا من بقي اجله وخلص الامير نفسه واستولى العدو على بالنسية وكانت بالنسية في شرق الاندلس وكان في شرق الاندلس من المدائن العظيمة بالنسية ومرسية وتبيلة وسرقسطة ولاردة ودانية والسهلة والثغر الاعلى ولكل واحدة من هذه اعمال واسعة وكان ابو ايوب سليمان ابن محمد بن هود الجذامي ملكا مستبدا بمدينة تبيلة ثم ملك سرقسطة والثغر الاعلى و بالنسية ولاردة ودانية والسهلة فكان استيلاء العدو واولا على بالنسية في السنة المذكورة وسيأتى ذكر رجوعها للمسلمين ثم استرجاع النصارى اياها مرة اخرى

✽ ذكر تملك العدو بر بشر وسرقسطة وذلك قصبة برطانية ✽

من الممالك التي في شرق الاندلس بر بشر وسرقسطة والثغر الاعلى ومدينة تبيلة ومرسية و بالنسية وغير ذلك والمتغلبون عليها من ملوك الطوائف بنو سليمان بن محمد بن هود الجذامي من سنة احدى وثلاثين واربعمائة وكان قباهم متعلبا عليهم ابو منذر بن طارق التجيبى فانزعها منهم بنو هود في السنة المذكورة فيما كانت سنة ست وخسين واربعمائة نازلها جيش الاردن لميلش وحاصرها وقصر الامير يوسف بن سليمان بن هود في حياتها واكل اهلها الى نفوسهم فقام العدو عليها اربعين يوما ووقع فيما بين اهلها تفرق في القوات اقتله واتصل الخبر بالعدو فشدد القتال عليها والحصر لها وكان لها مدينتان فدخل المدينة الاولى خمسة الاف مدرع فدهش الناس وتحصنوا بالمدينة الداخلة وجرت بينهم حروب شديدة قتل فيها خمسة مائة افرنجي ثم اتفق أن اقناة التي كان الماء يجري فيها من انهر الى المدينة تحت الارض في سرب موزون فانهارت القناة وفسدت ووقع فيها صخرة عظيمة سدت السرب بأسره فاقطع الماء عن المدينة ويأس من بها من الحياة فلا ذوا يطلب الامان على انفسهم خاصة دون مال وعبال فاعطاهم العدو الامان فلما خرجوا نكث بهم وغدر وقتل الجميع الا القليل بن الطويل والقاضى ابن عيسى ومعهما نفر من الوجوه وحصل للعدو من الاموال والامتنعة ما لا يحصى حتى ان الذى خص بمضى مقدمى العدو الف وخمسمائة جارية ابكارا ومن اوقار الحلى والكسوة ما يحمل خمسمائة جبل وقدر القتلى والاسرى مائة الف نفس ومن نوادر ما جرى على هذه المدينة لما فسدت القناة وانقطعت المياه ان المرأة كانت

تقف على السور وتنادي من كان بالقرب منهما ان يعطيها جرعة ماء لنفسها اولولدها
 فيقول لها اعطني مامعك فتمطيه مامعها من كسوة وحلي وغيرها وكان السبب في قتلهم
 انه خاف من وصول احد لنجدتهم وشاهد من كثرتهم ما هاله فشرع في قتلهم فلما قتل
 منهم نيفا على ستة الاف نادى الملك بتأمين من بقي وامر ان يخرج من بقي بالبلد فازدحوا على
 السباب الى ان مات منهم خلق كثير وزاوا من الاسوار بالحبال خشية من الازدحام في الابواب
 ومبادرة الى شرب الماء وقد كان تحيز في المدينة جاعة ولم يخرجوا وكانوا مقدار
 سبعمائة نفس من الوجوه وخاروا في نفوسهم وانتظروا ما ينزل بهم فلما خلت ممن اسر
 وقتل واخرج من الابواب والاسوار وهلك في الزحمة نودي في تلك البقية ان يسادر كل
 منهم الى داره باهله وله الامان وارفقوا وازعجوا فلما حصل كل منهم بمن معه من اهله
 في منزله اقتسمهم الا فرنج لعنهم الله تعالى بامر الملك واخذ كل واحد منهم دارا بمن فيها
 نعوذ بالله تعالى وكان جاعة من اهل المدينة قد نفروا ولاذوا برؤس الجبال وتحصنوا
 بمواضع منيعة وكادوا بهلكون من العطش فانهم الملك على نفوسهم وبرزوا في صورة
 الهلكى من العطش فاطلق سبيلهم فبينهم في الطريق اذ انبتهم خيل الكفر من لم يشهد
 الحادثة فقتلوهم الا القليل من بقي اجله وكان الفرنج لعنهم الله تعالى لما استولوا على المدينة
 يفتضون البكر بحضرة ابينا والشيخ بحضرة زوجها واعلمها وجرى من هذه الامور
 والاحوال ما لم يشهد المسلمون مثله قط فبما مضى من الزمان ومن ام برض منهم ان يبطأ بعض
 النساء ذوات الهمة اعطاهن خدمه وغلسانه يمشون فيهن وبلغ الكثرة منهم ما لا يمكن
 ان يوصف على الحقيقة ولما عزم ملكهم على القبول الى بلده فخرج من بنات المسلمين
 الجوارى الابكار واشييات ذوات الجمال ومن صبيانهم الوفا حلقهم معه ليهديهم الى من فوقه
 من ملوكهم وترك من رابطة خيله ببربشترافا وخمسمائة ومن الرجال الفين ومما كان في هذه
 الوقعة الشنعاء ان بعض تجار اليهود جاء ببربشتر بعد الحادثة ملتصقا فدية بنات بعض
 الوجوه من نجاص كن حصان في سهم قومس منهم كان يعرفه قال فذهبت الى منزله
 واستأذنت عليه فوجدته جالسا مكان رب الدار مستويا على فراشه رافلا في نفيس
 ثيابه والمجلس والسريركما خلفهما ربهما يوم محنته لم يغير شيء من رياستهما وزينتهما
 ومصانفه مضجعات الشعور قائمات على رأسه ساعات في خدمته فرحب بي وسألني
 عن قصدي فعرفته وجهه واشرت الى وفور ما ابدله في بعض اللواتي كن واقفات على
 رأسه وفيه كانت حاجتي فتبسم وقال بلسانه ما اسرع ما طمعت في عرضناه لك اعرض
 عنهن وتعرض لمن شئت من صيرته لخصني من سبي واسرى من اقاربك فقلت له اما اندخول
 الى الحصن فلا رأى لي فيه وبقر بك انست وبكفك اطمأنت فأعطني بعض من هنا فأني
 اعطيتك رغبتك قال وما عندك فقلت العين الكثير الطيب والبر الرفيع الغريب فقال كأني
 تشهيني ما ليس عندي بابا جه ينادى بعض اوائك الوصائف يريد بالهجة فغيره بعجمته قومي
 فأعرضني عليه ما في ذلك الصندوق فقامت اليه واقبلت بيد الدنانير واكياس الدراهم
 واسفاط الحلى فكشف وجعل بين يدي العليج حتى كادت توارى شخصه ثم قال لها ادنى الى

من تلك النخوت فادنت منه قطعة من قطع الوشي والخز والديباج الفاخر حتى حار لذلك
 ناظري وبهت واسترذلت ما عندي ثم قال لي لقد كثرت هنا عندي كل شيء حتى ما التذبه ثم
 حلف لي انه لو لم يكن عنده شيء من ذلك ثم بذل لي احد مثل ذلك ما صنعت بهذه الجارية
 التي تطلبها نفسي فهي ابنة صاحب المنزل وله حسب في قومه واصطفيتها لنفسى لمزيد جالها
 لاجل ان تلد لي وفعلنا هذا مثل ما كان قومها يصنعون بنسائنا اذا ملكونا حين كانت
 دولتهم وقد رد الله لنا الكرة عليهم فصرنا فيما نراه واز يدك بأن تلك الخوذة الناعمة و اشار
 الى جارية اخرى كانت مغنية لو الدها ثم قال لها يا فلانة خذي عودك فأخذت العود
 وقعدت تسويه واني انا أمل دمعها يقطر على خدها فتسارع العليج مضمومة يده واندفعت تغني
 بشعر ما فهمته انا فضلا عن العليج واظهر الطرب فلما يثبت مما عنده قت منطلقاً واطلعت على
 كثرة ما بأيديهم من السبي والغنم فطال تعجبي قال في نفع الطيب فهذا مقنع لمن تدبره وتذكره
 لمن تذكره ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فان اهل الاندلس لما تواتل عليهم
 الذم انهم كوا في الاذات والشبهوات وحل بهم داء التقاطع وقد امروا بالتواصل والالفة
 فأصبحوا على شفا جرف يؤدي الى الهلكة لا محالة وانهم كانوا يعلمون انفسهم بالباطل
 ويفترون بالنعيم الزائل وقد بدوا عن طاعة خالقهم ورفضوا وصية نبيهم وغفلوا عن
 سد ثغورهم حتى جاس عدوهم بخلال ديارهم ثم سرى البقي اليهم جميعاً فلا حول ولا قوة
 الا بالله العلي العظيم

ذكر استرجاع المسلمين ببشتر وسر قسطة

لما كانت السنة التي بعد اخذها وهي سنة سبع وخسين واربعمائة ثار احد القتدر بن هود
 المفرط فيها والمتهم على اهلها لانحرافهم الى اخيه صمداه مع امداد المعتد بن عباد صاحب
 قرطبة وسعى لاصحات سؤ القالة عنه وقد كتب الله تعالى عليه منها ما لا يحصى الاغوة تعالى
 فتأهب لقصد ببشتر في جوع من المسلمين لجاهدوا الكفار بها جلاد الرتاب منه كل جبان واعز الله
 تعالى اهل الحفظة والشجعان وحى الوطيس يذهبهم الى ان نصر الله تعالى اوليائه وخذل اعدائه
 وولوا الادبار ففتحهم ابواب المدينة فافتحمها المسلمون عليهم وملكوهم اجمعين الامن فر من
 مكان الوقعة ولم يدخل المدينة فاجبل السيف في الكافرين واستوصلوا اجمعين الامن استرق
 من اصاغرهم وفدى من اعظمهم وسبوا جمع من كان فيها من عيالهم وابنائهم وملكوا
 المدينة بقدره الخالق الباري واصيب في منحة النصر الناح طائفة من حاة المسلمين الجادين
 في نصره الدين نحو الخمين كتب الله لهم الشهادة وقتل فئة من اعداء الله لكافرين نحو الف
 فارس وخمسة الاف راجل فقتلها المسلمون من رجس الشرك وجلوها من صدى الافك
 واسترجع بالنسبة المأمون بن ذى النون وولى عليها ابا بكر بن عبد العزيز المنصور فداخله
 بن هود في الانتقاض ففعل واستبد بالنسبة وضبطها وذلك سنة ثمان وستين واربعمائة
 ثم مات ابو بكر بن عبد العزيز فتملكها بعده ابنه القاضي عثمان بن ابي بكر وبقى الى سنة ثمان
 وسبعين واربعمائة فلما تملك الطاغية طليطلة في هذا العام كما سيأتى وتسلمها من القادر

ابن ذى النون شرط عليه القادر ان يملكه بلنسية فسار معه الطاغية بجيوشه الى ان ملكه بلنسية وذلك ان المسلمين لما اقبل عليهم القادر بن ذى النون ومعه جيوش الطاغية خافوا ان يملكها الطاغية فخلعوا القاضى عثمان بن ابى بكر وسلموها للقادر بن ذى النون وذلك سنة ثمان وسبعين واربعمائة وبقي الى سنة ثلاث وثمانين واربعمائة وكان ذلك بعد دخول يوسف ابن تاشفين الاندلس وتغلبه على ملوك الطوائف كما سيأتى بيانه فجهز جيشاً لتخليص بلنسية من القادر بن ذى النون وجعل اماره بلنسية للقاضى ابى احمد جعفر بن عبد الله بن جحاف فحصر بها القادر بن ذى النون الذى مكن الاذفونش من طليطلة ثم هجم عليه القاضى فى جماعة من المرابطين فقتلوه وذلك سنة ثلاث وثمانين واربعمائة وتلك ابى حجاج بلنسية ثم رجع عند طائفة المرابطين الذين كان استنصر بهم واعانوه على تملكه اياها وصار خائفاً من استيلاء الطاغية عليه وجعل يستصرخ الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين فيبطاً عليه النصر وفى اثناء ذلك انقض يوسف بن احمد بن هود صاحب سرقسطة لذر بى الطاغية للاستيلاء على بلنسية فدخلها وعاهده القاضى بن حجاج واشترط عليه احضار ذخيرة كانت للقادر بن ذى النون فاقسم انها ليست عنده فاشترط عليه انه ان وجدها عنده قتله فاتفق انه وجدها عنده فأحرقه بالنار وعات فى بلنسية وكان الاستيلاء عليها سنة ثمان وثمانين واربعمائة وقيل فى التى قبلها وهذا الطاغية الذى اخذها يقال له ايضاً القنطيور وحاصرها قبل اخذها عشرين شهراً قيل انه دخلها صلحاً وقيل بل عنوة وحرقتها وعات فيها ومن احرقوا فيها الاديب ابى جعفر ابن الباء الشاعر المشهور ثم وجه اليها جيشاً امير المسلمين يوسف بن تاشفين وجعل اميراً على الجيش ابى محمد مرزلى ففتحها الله تعالى على يديه سنة خمس وتسعين واربعمائة وبقيت بلنسية بيد المسلمين الى سنة ست مائة وثلاثين ثم اخذها العدو وسيأتى ما كان بعد ذلك ومما استولى عليه العدو مدينة المريّة وهى من مدائن الاندلس العظيمة الشهيرة استولى عليها العدو سنة ثنتين واربعين وخمسمائة واحصى عدد من سبى من انكارها فكان اربعة عشر الفا قال ابن حبيش وهو آخر الحفاظ بالاندلس كنت فى قلعة المريّة لما وقع الاستيلاء عليها اعادها الله للاسلام فتقدمت الى زعيم النصارى وهو ابن بنت الاذفونش وقلت له انى احفظ نفسك منك الى هرقل فيقول لى قل فذكرته له فقال لى اخرج انت واهلك ومن معك طلقاً بلا شئ ثم انها بعد ان اخذت فى السنة المذكورة استرجعها المسلمون سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة وبقيت بيد المسلمين الى ان اخذها الكفار مرة اخرى سيأتى ذكرها ان شاء الله تعالى

ذكر تلك الطاغية طليطلة

قال فى نفع الطبيب ان الاندلس ينقسم الى مشرق ومغرب ومتوسطة وكل واحد من الاقسام الثلاثة مشتمل على مدائن عظيمة كل مدينة منها مملكة مستقلة مشتملة على اعمال وقرى ومزارع وبساتين واقطار واسعة وخلائق لا يحصون فى غاية النعم والرفاهية فمن المتوسطة قرطبة وطليطلة وجيان وقسطة وغرناطة والمريّة ومالقة وغير ذلك مما يطول ذكره ومن شرق

الاندلس مرسية وبلنسية وشاطبة ووانية والسهلة والثغرى الأعلى وسرقسطة ونطيلة وغير ذلك مما يطول ذكره ومن غرب الاندلس اشبيلية وماردة واشبونة وشلب وشريش ولبله والخضرا وبطليوس وغير ذلك مما يطول ذكره ولما ضعف امر الخلافة وافترق ملوك الاندلس وكثر الاختلاف بينهم وانتشرت الفتن صارت الممالك بيد ملوك كثيرة يسمون ملوك الطوائف لكل مملكة ملك مستقل ينفذ امره ونهيه فيما كان تحت يده من الممالك وهم يختلفون في اتساع ممالكهم وعدم اتساعها وكان ابتداء تفرق الممالك واستبداد تلك الطوائف من سنة سبع واربعمائة وصاروا يقاتلون بعضهم بعضاً فيتغلب بعضهم على بعض ويستولى على ما يبدل الآخر وكان عدد اولئك الملوك خمسة عشر لاحاجة الى ذكر اسمائهم وكان اعظم الممالك عندهم قرطبة وهى مقر دار الخلافة وسرير الملك والسلطنة وكان المستولى على قرطبة من ملوك الطوائف المعتضدين عباد وكانت قبل تغلبه عليها عند ابي الحزم جهور بن محمد بن جهور المغافرى الكلبي استبد بها من سنة ثنتين وعشرين واربعمائة ثم صارت لبيده من بعده فأخذها منهم ابن ذى النون صاحب طليطلة سنة احدى وستين وبقيت عنده الى سنة تسع وستين واربعمائة فانترعها منهم المعتضدين عباد بعد قتال وضماها الى ما كان بيده من الممالك فصار ابن عباد اعظم ملوك الطوائف فكانوا يهابونه ويهادونه ويخضعون له ويخشون سطوته وكان ابوالمعتضد هو الذى اسس له هذا الملك قيل انه من نحم وينتهى نسبه الى النعمان بن المنذر ملك الحيرة فى الجاهلية وتوفى المعتضدين عباد سنة احدى وستين واربعمائة وصار الملك بعده لابنه المعتمد محمد بن عباد فاتسع ملكه وشجع سلطانه اكثر مما كان لآبيه وكان ايضا من اعظم الممالك طليطلة وكانت ابني ذى النون وكانت قباهم ليعيش بن محمد بن يعيش من اول الفتنه والتفرق الى سنة سبع وعشرين واربعمائة فانترعها منهم وتغلب عليها اسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان بن ذى النون اصله من البربر من قبيلة هواارة وضماها الى ما كان بيده من الممالك فاتسع ملكه وتوفى سنة تسع وعشرين واربعمائة فولى بعده ابنه المأمون ابو الحسن يحيى فاستفحل ملكه وعظم بين ملوك الطوائف سلطانه وتوفى سنة سبع وستين واربعمائة فولى بعده حفيده القادر بالله يحيى بن اسماعيل بن المأمون يحيى فانترعها الطاغية منه ربيعة المتوسطة من الاندلس وكانوا يسمونها وجهاتها الثغر الادنى ويسمونها سر قسطة وجهاتها الثغر الاعلى وتسمى طليطلة ايضا مدينة الاملاك لانها ملكها اثنان وسبعون ملكا قيل ان سليمان بن داود عليه السلام دخلها وكذا عيسى بن مريم عليهما السلام ودخلها ايضا ذوالقرنين وهى مدينة حصينة قديمة من بناء العملاقة ولها من جميع جهاتها اقاليم رفيعة ورساتيق مريضة وضياع بديمة وقلاع منيعة وبها القنطرة الجحيمية البناء يجرى الواصفون عن وصفها وطول تلك القنطرة ثلاثمائة باع وعرضها ثمانون باعا على قوس واحد والماء يدخل تحتها بمنف وشدة جرى ومع آخر النهر ناعورة ارتشاعها فى الجوتسعون ذراعا وهى تصعد الماء الى اعلى القنطرة ويمجرى الماء على ظهرها فيدخل المدينة وبني المأمون فيها قصرا تانق فى بنائه وانفق مالا كثيرا وصنع فيه بحيرة وبني فى وسطها

قبة وسبق الماء الى اعلى القبة على تدبير احكمه المهندسون فكان الماء ينزل من اعلى القبة تنواليا
كلها محيطاً بها متصلاً ببعضه بعض فكانت القبة في غلالة من الماء يسكب ولا يفتر
والمأمون قاعد فيها لاجسه من الماء شىء واوشاء ان يوفد فيها الشمع ليعمل فيبثها هو فيها يوماً اذ
سمع منشداً يقول

انبنى بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها لو علمت قليل

لقد كان في ظل الاراك كفاية * لمن كل يوم بعثريه رحيل

فلم يلبث بعد هذا الا يسيراً حتى قضى نحبه وذلك سنة خمس وثلاثين واربعمئة وولى بعده
ابنه يحيى القادر بالله الى ان اخذت منه ثم صارت له بالنسية بواسطة الطاغية الى ان قتل
كما تقدم وبطليطة بساتين محدقة وانهار مخزقة ورياض وجنان وفواكه حسان مختلفة الطعموم
والالوان وفيها ابوان كبير يقال ان الخليل تلعب فيه وكان بنو ذى النون ملوك طليطة لهم
دولة كبيرة وبلغوا في البذخ والترف الى الغاية فطمع في ملكهم الطاغية المسمى بالاذفونش
واشغل القادر يحيى صاحبها بالخلاعة والمجون واكثر مهادة الافرنج ومصانقهم ليتلذذ
باللعب وابتدت يده الى اموال الرعية ولم تزل الفرنج تأخذ حصونه شيئاً بعد شىء حتى اخذت
منه طليطة وسلبته ملكه ولما ارادوا اخذها صار اليها الاذفونش يحبوشه وصار يملك
قراها واعمالها ويضيق عليها بالحصار وكان ذلك كله في مدة سبع سنين فلما اشتد عليهم
الحصار رضى صاحبها والمسلمون ان ينزلوا عنها وقد فنى بالقتل والاسر والنهب كثير منهم
في قراها وبوادها قال ابن بسام بعد ذكره وقعة بطرنة المتقدم ذكرها وذكر ما صار
للمسلمين عند اخذها وهكذا جرى لاهل طليطة فان العدو خذله الله استظهر عليهم وقتل
هميرهم وكان من جملة ما غنمه الفرنج من اهلها لما خرجوا اليهم من ثياب الترفه الف عفارة
خارجاً عما سواها وكان اخذ الطاغية طليطة سنة ثمان وسبعين واربعمئة واعطى الامان
لصاحبها القادر بالله ولمن بقي بها من المسلمين ثم لما ملكها الطاغية صار يستميل اهلها الباقين
فيها ويظهر لهم صورة العدل حتى حجب انتصر الى كثير من الطعام منهم وقيل نلكتهم الطاغية
ينبغي ان تلبس التاج كن كان قبلك من الملوك فتعال حتى تأخذ قرطبتهم واعد لذلك ناقوساً
تأفق فيه واخذ في الاستعداد لتلك قرطبة ومما يدل على عظم مدينة طليطة وحصانتها
ان المسلمين لما استرجعوا ما غنمته الاعداء من المدائن والقري عجزوا عن استرجاع طليطة
وبقيت في يدا العدو الى آخر المدة ولما فتح المسلمون الاندلس في اول الامر اتى الله الرعب
في قلوب النصارى وصاروا يأخذون في الفرار ولم يثبت منهم احد بعد اول وقعة كانت
بينهم وبين المسلمين حتى انهم اخلوا طليطة فوجدها المسلمون خالية ووجدوا فيها مائة
سليمان غايه السلام وقبل انها ليست لسليمان وانما هى للموكم تأفقوا في صنعها وكانت
مصوغة من الذهب مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزمرد ولم ير الاوثن مثلها وكان لها
ثلاثمائة وخمسة وستون رجلاً بكسر الراء وسكون الجيم وكان عليها طوق من اللؤلؤ
وطوق من الياقوت وطوق من الزمرد وكلها مكللة بالجواهر حافاتها وارجلها وكانت ارجلها
منها فأخذها طارق بن زياد فاتح الاندلس واتحف بها الوليد بن عبد الملك

ذكر ماجرى بعد استيلاء العدو على طليطلة بين العدو والمعتد بن عباد صاحب قرطبة

قد تقدم ان ابن عباد كان اعظم ملوك الطوائف وذلك لانه قاتل كثيرا من ملوك الطوائف وانزع منهم كثيرا من ممالكهم فصار له قرطبة واشبيلية وبطيلوس وشريش وقرمونة ورندة وغير ذلك فكان الباقون من ملوك الطوائف يهابونه ويلتمسون رضاه ولما رأى ابن عباد قوة الاذفونش الطاغية صار يداها به ويخضع له وجعل له ضريبة على نفسه يؤديها اليه كل سنة فلما تملك الاذفونش طليطلة وارسل اليه المعتد الضريبة المعتادة التي كان يدفعها كل سنة فلم يقبلها الاذفونش وارسل اليه يتهدده ويتوعده بالمسير الى قرطبة ليفتحها الا ان يسلم اليه الحصون المنيعات التي يريدونها فيبقى العهد للمسلمين وكان رسول الاذفونش الى المعتد معه جمع من النصارى اتباع الاذفونش كانوا نحو خمسمائة فارس فلما وصل الى المعتد انزله وحده وفرق اصحابه على قواد عسكره ثم امر المعتد قواد عسكره ان يقتل كل منهم من كان عنده من اولئك النصارى الذين جاؤا مع رسول الاذفونش فقتلواهم واحضر الرسول وصفه حتى خرجت عيناه وسلم من اولئك النصارى المرسلين ثلاثة نفر فرجعوا الى الاذفونش واخبروه الخبر وكان قد تجهز الى قرطبة ليحاصرها فرجع الى طليطلة يريد في التجهيز ويجمع ما بقى من آلات الحصار ويكثر الجيوش والعدة فلما بلغ المعتد اهتمام الطاغية في التجهيز رحل الى اشبيلية لتدبير هذا الامر وسمع بذلك العلماء من مشايخ قرطبة وتحققوا بجسيع ماجرى وعلوا قوة الفرنج وضعف المسلمين وتأملوا في امر ملوك الطوائف فوجدوهم منهمكين في اللذات والشهوات ويقاتل بعضهم بعضا ويستعين بعضهم على بعض بالفرج فاجتمع العلماء يشاورون في هذا الامر فقال بعضهم هذه بلاد الاندلس قد غلب عليها الافرنج وملكوها كثيرا ولو استمرت الحال على ما ترى عادت نصرانية كما كانت ثم ساروا الى قاضى القضاة المسمى عندهم بقاضى الجماعة وكان في ذلك الوقت هو القاضى عبد الله بن محمد بن ادهم فقالوا له لا تنتظر الى ما فيه المسلمون من الصغار والذلة واعطائهم الجزية لاطاغية بعد ان كانوا يأخذونها منه وقد رأينا رأيا نرضه عليك قال ما هو قالوا نكتب الى عرب افرقية ونبذل لهم اذا وصلوا الينا انصاف اموالنا ونخرج منهم مجاهدين في سبيل الله فقال لهم اذا وصلوا الينا يخرجون بلادنا ويظلمون فيها ويدعون بنا قبل الافرنج ثم يذهبون باموالنا الى بلادهم ويتركوننا مع الافرنج فيزدادون قوة علينا والذي اراه ان المرابطين اتباع يوسف بن تاشفين له ملك ضخم وقوة عظيمة في مراکش وفاس واعمالهما فاستحسن العلماء ما قاله قاضى الجماعة ثم ذهب قاضى الجماعة الى المعتد بن عباد وعرض عليه ما قالوه واستحسنوه فاستحسنه المعتد بن عباد وقال للقاضى المذكور انت الرسول الى ملك مراکش يوسف بن تاشفين فامتنع وارا دان يبرى نفسه من تهمة تقع عليه فلم يقبل منه المعتد هذا الامتناع بل اخرج عليه المعتد الى ان رضى وعزم على المسير اليه فكان ما سبأ في ذكره وينبغي قبل ذكر مسير قاضى الجماعة ان تذكر شيئا مما يتعلق بدولة يوسف بن تاشفين ملك مراکش وكيف كان ابتداء امره ليعلم بذلك كيف ترفت دولته

حتى كانت في غاية القوة والمتانة وتعرف دولته بدولة المرابطين والمتمشين لا نهم كانوا
يتلمذون دائماً وهم عدة قبائل اشهر تلك القبائل قبيلة لمتونة وكان يوسف بن تاشفين
منهم ومنهم قبيلة جدالة ولحطة واختلفوا في انتهاء نسبهم اختلافاً كثيراً فاختار بن
الاثيرانهم ينسبون الى حير فهم على قوله من العرب وكان اول مسيرهم من اليمن في خلافة
ابي بكر الصديق رضى الله عنه فسيرهم الى الشام زمن فتوحات الشام ثم انتقلوا الى مصر
ثم دخلوا المغرب مع موسى ابن نصير ثم توجهوا مع طارق بن زياد فاتح الاندلس ثم احبوا
الانفراد ودخلوا الصحراء واستوطنوها ثم توحشوا وتوالد منهم قبائل كثيرة واختار
ابن خلدون انهم ليسوا من العرب وانما هم من البربر وان نسبهم ينتهي الى يافث بن نوح
عليه السلام ولما توحشوا في البوادي صاروا لا يعرفون من الاسلام الا الشهادتين والصلاة
ثم حج رجل منهم سنة ثمان واربعين واربع مائة فلما رجع صحب معه واحداً من العلماء وكان
فقيهاً صالحاً اسمه عبدالله بن يس الكزولي وقصد بمجيئه به الى قسومه ان يعلمهم الاحكام
والشرائع فجاء معه فأكرموه وصار يعلمهم وينقادون له ثم جعلوا عليهم اميراً من لمتونة وهو
ابوبكر بن عمر وكان هورأس لمتونة ثم صاروا يقاتلون اهل البغي والفساد ممن كان قريباً
منهم فقتلوا امرهم ثم خرجوا الى السوس الاقصى وصاروا يأخذون الزكاة ووقع
بينهم وبين اهل السوس قتال الى ان انقادوا لهم ثم قاتلوا اهل سلجماسه الى ان انقادوا
لهم ايضا ثم توفي اميرهم ابوبكر بن عمر بعد ان استخلف بن اخيه ابابكر بن ابراهيم بن عمر
ثم توفي ابوبكر ايضا سنة ثنتين وستين واربع مائة فاجتمعت طوائفهم على بن عمه يوسف
ابن تاشفين وملكوه عليهم ولقبوه امير المسلمين فكثرت جوعهم وقوى امرهم وكان
يوسف المذكور مشهوراً بالعقل والصلاح وحسن التدبير فظهر امرهم وعلا شأنهم
فقصدوا موضع مدينة مراکش وكان قائماً صفصفاً لا عارة فيه فاخترط يوسف
هناك مدينة مراکش ونزلها بمن كان معه من القبائل ثم لم يزل يملك مدائن المغرب مدينة بعد
مدينة حتى صار له من القوة والمناة ما هو مشهور مذكور في التواريخ والكلام على ذلك
طويلاً فلما نزل باهل الاندلس ما نزل من الكفار قصده فبعثوا اليه قاضي الجماعة
بقرطبة القاضي عبدالله بن محمد بن ادهم فسار الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين بمكتبة من المعتمد
بن عباد وعلماء قرطبة فابلقه الرسالة واعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من الازفونش وكان
امير المسلمين بمدينة سبتة في الحال امر بعبور العساكر الى الاندلس وارسل الى مراکش
في طلب من يبق من العساكر فاقبلت اليه يملؤ بعضها بعضها فلما تكاملت عنده عبر البحر وسار
الى ان اجتمع بالمعتمد بن عباد باشبيلية فكانت غزوة الذلاقة المشهورة

ذكر غزوة الذلاقة

لما اجتمع امير المسلمين يوسف بن تاشفين بالمعتمد بن عباد باشبيلية وجده قد جمع عساكره وكان
فيهم من اهل قرطبة عساكر كثير ومهم من المتطوعة من سائر بلاد الاندلس خاق كثير فلما
وصلت الاخبار الى الازفونش الطاغية جمع عساكره وسار من طليطلة وكتب الى امير

المسلمين يوسف بن شغين كتابا بالاسان العري كتيبه له بعض المخذولين ممن يدعون الانتساب
 الى الاسلام يغلف فيه القول ويصف ما عنده من القوة والعدد والعدة وبالغ الكاتب
 في الكلام وتجاوز الحد فامر يوسف بن تاشفين كاتبه ان يكتب الجواب لاذفونش فكتب
 كلاما كثيرا فلما قرأه على امير المسلمين يوسف بن تاشفين قال هذا كلام طويل احضر كتاب
 الاذفونش واكتب في ظهره الذي سيكون ما ستراه لا ما ستقرأه فلما رجع الكتاب الى
 الاذفونش ارتاع لذلك وعلم انه بلى رجل له عزم وحزم فازداد استعدادا وكان في جيشه
 اربعون الف دارع وجلة جيشه ثلاثمائة الف بغاية الاستعداد فرأى في منامه كانه راكب
 على فيل وبين يديه طبل صغير وهو يقر فيه فقص رأياه على القسيسين فلم يعرفوا تأويل هذه
 الرؤيا فاحضر رجلا من علماء المسلمين فقص الرؤيا عليه فاستغفاه من تعبها فلم يفقه فطلب منه
 الامان على نفسه اذا عبر هاله فأمنه فقال له تأويل هذه الرؤيا يؤخذ من كتاب الله عز وجل
 وهو قوله تعالى المتركيف فعل ربك بأصحاب الغيل الى آخر السورة وقوله تعالى فأذا
 نقر في الناقور فلذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير وهذا التأويل يقتضي هلاك هذا
 الجيش الذي جئته فقال الاذفونش للذي عبره الرؤيا بهذا الجيش اتى اله محمد صاحب كتابكم
 وقاتل بهذا الجيش الجن والانس وملائكة السماء فانصرف ذلك المعبر وقال لبعض المسلمين
 هذا الاذفونش هالك وكل من معه وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات
 شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وكان الاذفونش استنفر جميع اهل بلاده
 وما يليها وما وراءها ورفع القسيسون والرهبان والاساقفة صلبانهم ونشروا اناجيلهم
 وايقنوا بالنصر والظفر اغتراراً بكبريائهم وقوة استعدادهم وما علموا ان النصر من عند الله
 وان العاقبة للمتقين ثم سار امير المسلمين والمعتمد ابن عباد بجيشه وجيوش ملوك الطوائف
 حتى اتوا ارضاً يقال لها الدلاقية بين بلاد بطليوس واتى الاذفونش بمجيوشه فنزل
 موضعاً بينه وبينهم ثمانية عشر ميلاً ولم يبق احد من ملوك الطوائف بالاندلس الا بادر
 واعان بالمسال والرجال وخرج بنفسه واخرج عساكره لكن لم يبلغ عدد
 مقدار جيش العدو وقيل لا امير المسلمين ان ابن عباد ربما انه لا ينصح ولا يذل
 نفسه دونك فأرسل امير المسلمين بأمره ان يكون في المقدمة ففعل ذلك وسار وقد ضرب
 الاذفونش خيامه في سفح جبل والمعتمد في سفح جبل يتراؤن ونزل امير المسلمين وراء الجبل
 الذي عنده المعتمد وظن الاذفونش ان عساكر المسلمين ليس الا الذين يراهم مع ابن عباد
 فتيقنوا القلب وارسل الاذفونش الى المعتمد في ميقات القتال فقال يكون يوم الاثنين فقد
 وصلنا على حال تعب واستقرار الامر على هذا فركب الاذفونش ليلة الجمعة سحراً وصبح بجيشه
 جيش المعتمد بكرة الجمعة غدرا وظنائه ان ذلك الخيم هو جميع عسكر المسلمين فوقع القتال
 بينهم فصر المسلمون واحاط عليهم الاذفونش بجموعه من كل جهة وحى الوطيس واستمر
 القتل في اصحاب ابن عباد وقتل ابن عباد بنفسه قتالاً لم يعهد مثله لاحد وجرح جراحت
 وضرب على رأسه ضربة فلقت هامته حتى وصلت الى صدغه وجرحت عنق يديه
 وطعن في احد جانبيه وعقرت تحته ثلاثة افراس كلها هلك واحد قدم له آخر وهو يقاضى

حياض الموت ويضرب عينا وشمالا وكان ابن عباد قد بعث الى امير المسلمين يستحث نصرته
فبينما هم في القتال اذ وصل امير المسلمين بجيوشه بعد ان كاد المسلمون يهزمون وقصد خيام
الفرنج ومحنة الاذفونش فاقتمحوها واحرقوها وقتكوا فيها وضربت الطبسول وزعقت
البوقات فاهتزت الارض وتجاوبت الجبال والافاتق وتراجعت الروم الى محلاتهم بعد ان علموا
ان امير المسلمين فيها فصدموا امير المسلمين فخرج لهم عنها ثم كر عليهم فاخرجهم منها ثم كروا
عليه فخرج لهم عنها ولم تزل النكرات بينهم تنوالى الى ان امر امير المسلمين حشمة السودان
فترجل منهم زهاء اربعة آلاف ودخلوا المعترك بالدرق والسيوف والمزاريق فطعنوا الرجال
والخيل فرمحت الخيل بفرسائها واجمعت عن اقرانها وكان اهل الاندلس لا يعرفون الجمال
وايست في بلادهم فجاء امير المسلمين معه بجمال كثيرة فكانت من جملة اسباب النصر لان خيل
العدو كانت تجحج من رؤية الجمال ومن رغائها وارتفع رغائها الى عنان السماء ومن منفعة تلك
الجمال انه كان يمدق بها العسكر وقت نزولهم وكان يحضرها الحرب فيكثر رغائها ثم تحسول
اناس من جيش امير المسلمين جاؤا الى موضع القتال فلقبهم من بين ايديهم ووضع السيف فيهم
فلم يتمالكوا الثبات وانزل الله النصر وانزل السكينة على المسلمين فانهمز العدو واخذهم السيف
من كل جانب وصدق المسلمون جميعا الحملة فتزلزلت الارض بحوافر خيولهم واطم النهار
بالبحاج والغبار وخاضت الخيل في الدماء فانكشف الطاغية وفرها ربا منهمزما وقد طعن في احدى
ركبتيه طعنة بقي يخنع بها وافلت فارا مع نفر يسير من قومه وهلك الباقون وكان موضع القتال
متسعا جدا لما كان فيه موضع قدم الا وفيه من تلك الواقعة ميت اودم وجع المسلمون من رؤس
القتلى كوما فكانوا يؤذنون عليها الى ان جيفت فاحرقوها قبل ان يرجع من الفرنج الى بلادهم
غير ثلاثمائة فارس وغنم المسلمون كل ما لهم من مال وسلاح ودواب وغير ذلك وجع امير المسلمين
الغنائم وعف عنها واعطاها ملوك الاندلس وعرفهم ان مقصده الجهاد ونيل الثواب العظيم
واقام اربعة ايام لجمع الغنائم وعاد ابن عباد الى اشبيلية ورجع امير المسلمين الى الجزيرة الخضراء
وعبر الى سبتة وسار الى مراکش ولما بلغ الاذفونش الى بلاده وسأل عن ابطاله وشجاعته
واصحابه ففقدهم ولم يسمع الا نوح الشكلى فاهتم ولم يأكل ولم يشرب حتى هلك هما وغما
وهوى الى امه الهاوية وكانت هذه الواقعة في يوم الجمعة في العشر الاول من رمضان سنة تسع
مربعين واربعمائة فكانت هذه الغزوة من اعظم غزوات المسلمين وفتوحاتهم

✽ ذكر ما كان بعد غزوة الدلاقة ✽

ولما فرغ امير المسلمين يوسف بن تاشفين من غزوة الدلاقة اقام بالاندلس اياما ثم لما اراد التوجه
الى مراکش ترك جيشا عظيما بالاندلس لقصد غزى والافرنج وشكا اليه كثير من علماء الاندلس
جور ملوك الاندلس الذين اقتسموها وانهم اكلهم في اللذات والشهوات والمعاصي فوعظ
الملوك وزجرهم ونهاهم عن المكوس وعن الظلم والجور والانهماك في اللذات والشهوات
ثم رجع الى مراکش فجاءته الاخبار بانهم تقاعدوا عن جهاد الكفار واستغرقوا الاوقات
في اللذات والشهوات وزادوا في الظلم عما كانوا فاستغنى علماء العراق فيهم فافتنوا بجوار

انزع الملك منهم فغير اليهم في سنة اربع وثمانين واربعمائة وانزع الملك منهم واستولى على الاندلس بعد قتاله لبعض المملوكين لها وقتل بعضهم واسر بعضهم وحملهم الى مراکش وحبسهم الى ان ماتوا وصار ملك الاندلس كلها بيده ويد عماله مضافاً ذلك الى ما بيده من المغرب الاقصى واكثر من الغزو والجهاد بالاندلس هو وجنوده وتوفي سنة خمسمائة وكان الامام الغزالي لما بلغه حسن سيرته اراد زيارته فرحل من العراق الى الشام ثم بلغه موته قبل ان يصل اليه فرجع وكان يوسف بن تاشفين يخطب لبني العباس وكان قد طلب منهم تقليداً لانه قيل له لا تجب طاعتك وتغذا حكامك الا اذا كانت ولايتك من الخليفة فأرسل رسلاً الى الخليفة ومعهم هدية وطلب التقليد فكتب له المستظهر بالله العباسي بن المقتدى بامر الله بن القائم بامر الله بن القادر بالله بن اسحاق بن المتندر بالله بن المعتضد وعقد له على الاندلس وبقية الممالك التي كانت تحت يده واقبله امير المسلمين وناصر الدين وابعوا بعد وفاته ولده علي بن يوسف بن تاشفين وكان حليماً عادلاً صالحاً عادلاً

ذكر خروج الفرنج بالاندلس بعد وفاة يوسف بن تاشفين

لما توفي يوسف بن تاشفين قوى طمع النصارى في الاستيلاء على الاندلس فخرج الاذفونش الافرنجي صاحب طبطلة سنة خمس وخمسمائة يطلب ما بأيدي المسلمين من ممالك الاندلس فجمع وحشد فاكثر فسار اليه امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين من مراکش في عساكره وجوعه فلقيد فاقتلوا اشد القتال فكان الظفر للمسلمين وانهزم الافرنج وقتلوا قتلاً ذريعاً واسر منهم شيء كثير وسبي منهم وغنم من اموالهم ما يخرج عن الاحصاء فخافه الافرنج بعد ذلك وفي سنة اربع عشرة وخمسمائة خرج ابن ردمير من ملوك الافرنج بجموع كثيرة فالتقى مع امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين بجموعه فكانت الهزيمة على المسلمين ثم رجع ابن ردمير الى بلاده ثم اشتغل امير المسلمين بأمر محمد بن تومرت الذي ادعى انه المهدي فأتسع الخرق في الاندلس فأرسل امير المسلمين ابنه تاشفين اميراً على الاندلس لجهاد الكفار ووقع بينه وبين ابن ردمير وقائع وانتصر في بعضها على ردمير فأت معموماً من الهزيمة بعد عشرين يوماً وكان من أشد ملوك الفرنج على المسلمين فكفى الله المسلمين شره وبقي من ملوك الفرنج الاذفونش الذي كان قد تلك طبطلة فوق وقع بينه وبين المسلمين وقائع ثم عقدوا معه صلحاً عشرين سنة

ذكر قيام محمد بن تومرت المدعى انه المهدي المنتظر

اعلم ان هذه القضية الكلام عليها طويل مذكور في التواريخ وتلخيص ذلك باختصار ان محمد بن تومرت رجل من جبل السوس يدعى انه شريف علوى حنبلى قرأ علوماً بالمغرب ثم ارتحل الى المشرق والعراق واجتمع بكثير من العلماء واخذ عنهم قيل منهم الامام الغزالي وقيل لم يجتمع بالغزالي وكان يرى منامات يؤولها بالقيام بأمر الامة منها انه شرب البحر مرتين وقيل كان له معرفة بالرمل والنجوم فقام في نفسه انه المهدي المنتظر وكنتم ذلك في اول امره واطهره في آخره وكان كثير الصلاة والصوم والعبادة والتعشف فاتبدأ اولاً بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبعه جماعة يأخذون عنه العلم ويحتمون معه على الذكر

وكان اعظمهم عبد المؤمن بن علي الكومي القيسي وابو حفص عمر بن يحيى الهنثاني وعبد الله
الونشريسي ٨ وكان الونشريسي عالما متضلعا بالعلوم فامره ان يكتب ما عنده من العلوم ويجعل
نفسه ابكم ويقوم بخدمة الشيخ وقال له ابق العلوم عندك مكتومة الى ان تحتاج الى اخراجها
في وقت يكون اخراجها فيه كالعجزة والبرهان لانما ما تريد فامثل امره وبقى ابكم بين الناس
ابله ولعابه يجري على صدره ولا يتكلم الا مع الشيخ في وقت الخلوة ثم انهم دخلوا امرا كش
فرأوا نساء راكبات على بغال وهن سافرات الوجوه وكانت تلك عادة لهن في تلك البلاد
فانكروا عليهن وضر بوا بعض البغال فسقطت من فوقها امرأة فاذا هي اخت امير المسلمين
فرفع الامر الى امير المسلمين واخبروه بان هذا الرجل يتحدث في تغيير الدولة فاحضروه ومن
معه وحضر عند امير المسلمين جماعة من العلماء ووقع بينهم وبين ابن تومرت مجادلات فاقام الحجة
عليهم بوجود كثير من المنكرات بين اظهروهم ولم ينكروها ووعظ امير المسلمين حتى ابكاه فقال
مالك بن وهيب وكان عالما صالحا يكثر بحجاسة امير المسلمين بل كان احد وزرائه ان عندي نصيحة
ان قبلتها حدث ما قبلتها فقال امير المسلمين ما هي فقال اني خائف عليك من هذا الرجل وارى انه
لا يريد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما يريد فتنة والغلبة على بعض النواحي فاقتله وقلدني
دمه وان لم تقتله فخلده في الحبس فقال بعض الحاضرين من جلساء امير المسلمين يقبح على امير
المسلمين ان يبكي من موعظة هذا الرجل ثم يسى اليه في مجلس واحد وان يظهر منك الخوف
منه على عظم ملكك وهو رجل فقير لا يملك سد جوعه فلما سمع الملك كلامه اخذته عزة النفس
واستهون امره وصرفه وسأله الدعاء فلما خرج من عند الملك قال لاصحابه لاقمواكم براكش
مع وجود مالك بن وهيب فساروا الى انغاث ثم ذهبوا الى جبل تينل وكان جبلا عظيما فيه
كثير من القبائل وكثير من الزروع والقواكه واتصلوا بالسوس وذلك سنة اربع عشرة
وخمسمائة واجتمع عليه خلق كثير وتسامع به اهل تلك النواحي وجعل يعظمهم ويذكرهم
بايام الله ويذكر لهم شرائع الاسلام وما غير منها وما حدث من الظلم والفساد وانه لا يجب طاعة دولة
من هذه الدول لاتباعهم الباطل بل الواجب قتالهم ومنعهم عما هم فيه فتابعه قبائل كثيرة
وسمى اتباعه الموحدين واعلمهم ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر بالمهدي الذي يملأ الارض
عدلا وان مكانه الذي يخرج منه الغرب الاقصى فقام اليه عشرة رجال احدهم عبد المؤمن
فقالوا لا يوجد هذا الا فيك فانت المهدي فبايعوه على ذلك فانهى خبره الى امير المسلمين فجهز
جيشا وسيره اليه مع بعض اصحابه ووعده المهدي اصحابه بالنصر فلقوا جيش امير المسلمين
فجهزهم وهم واخذوا السلاهم وقوى ظنهم في صدق المهدي واقبلت اليه افواج القبائل من الحلل
التي حوله شرقا وغربا وبايعوه وانف لهم كتابا في التوحيد سماه المرشد وكتابا في العقيدة
ونصح لهم طريق الادب بعضهم مع بعض والاقتصار على القصير من الشباب القليل الثمن
ويزهدهم في الدنيا وكان قوته كل يوم برغيف وقليل من زيت اوسمن وكان يحرضهم على قتال
عدوهم واخراج الاشرار من بينهم وكان يستميل الاحداث وذوى القرعة بالراء بعد الفين المجعة
كان ذوو الحلم والعقل من اهلهم يغوونهم عنه ويحذرونهم من اتباعه ويخوفونهم من سطوة
ملك فلما علم بذلك خشي ان يفسدوا عليه من اتبعه ويسلموه لملك فصار يسأل ويتجسس عن

٨ قوله الونشريسي
ضبطه ابن خلكان
بفتح الواو وسكون
النون وفتح الشين
المجعة وكسر الراء
وسكون الياء المشاة
من تحت وبعد
الياء سين هههههههه
الى وانشريسي وهي
بلدة بأفريقية وفي
المغرب جبل يقال
له وانشريسي النسبة
اليه وانشريسي
فهو غير وانشريسي
اه مؤلفه

هؤلاء الذين يذمّون اولادهم وعشائرهم من اتباعه ويكتب اسمائهم في جريدة عنده ولم يطلع على ذلك احد الا عبد الله الوئشريسي الابكم الذي يخدمه ليرتب الامر معه وقد تقدم انه امره ان يكتب ما عنده من العلم ويظهر البله والبكم فقال له في هذا الوقت هذا وقت اظهار ما عندك وامره ان يفعل ما سنده ذكره فخرج المهدي يوما لصلاة الصبح فرأى في جانب محرابه انسانا حسن الثياب طيب الرائحة فاظهره انه لا يعرفه وقال من هذا فقال انا الوئشريسي فقال المهدي ما قصتك فقد كنت ابكم لا تتكلم فقال اتاني الليلة ملك من السماء فغسل قلبي وعلني الله القرآن والموطأ وغيره من العلوم والاحاديث فبكي المهدي بحضرة الناس ثم قال نحن نتمنحك فقال افعل وابتدأ يقرأ القرآن قراءة حسنة من اي موضع سئل وكذلك الموطأ وغيره من كتب الفقه والاصول وبقية العلوم ففجّب الناس من ذلك واستمضوه ثم قال لهم ان الله اعطاني نورا اعرف به اهل الجنة من اهل النار وامرهم ان يقتلوا اهل النار وتركوا اهل الجنة وقد انزل الله ملائكة الى البئر التي في موضع كذا يشهدون بصديقي وكان قد وضع في البئر جالا ثلاثة يشهدون بصدقه فسار المهدي والناس معه وهم يبكون الى البئر وصلى المهدي عند رأسها ركعتين وقال يا ملائكة الله ان عبد الله الوئشريسي قد زعم كيت وكيت فقال من في البئر صدق فلما قيل ذلك من البئر قال المهدي ان هذه البئر مطهرة مقدسة قد نزل اليها الملائكة فالمصلحة ان تطم اثلا يقع فيها نجاسة او مالا يجوز وقال ذلك لئلا يظهر الرجال منها فيفشون السر فيفسد الامر الذي دبره فألقوا فيها من الحجارة والتراب ما طمها واهلك من فيها من الرجال ثم نادى اهل الجبل بالحضور الى ذلك الموضع فحضروا ليميز اهل الجنة من اهل النار فكان الوئشريسي يعمد الى الرجل الذي عرفه المهدي به انه يخاف ما قبته وكتبه في الجريدة التي اطلعه عليها فيقول هذا من اهل النار فيقتل والى الشاب الغرو من لا يخاف منه فيقول من اهل الجنة فيترك على عيئه ولم يزل يجمعهم في ايام مرة بعد اخرى ويفعل ذلك حتى تتبع كل من يخشى منه فقتله قال ابن الاثير في الكامل فكان عدة من قتلهم سبعين الفا وصار الباقيون معه على نيات صادقة وقلوب متفقة على طاعته فجهاز منهم جيشا وجمل الامير عليهم عبد المؤمن بن علي وسيرهم لقتال المرابطين قوم امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين وتتابع القتال بينهم مرارا وشرح ذلك بطول واستمر امره يعلو الى سنة اربع وعشرين فرض مرضا شديدا وكان عبد المؤمن غائبا مع الجيوش التي تقايل اهل مراکش فاوصى المهدي بان خليفة عبد المؤمن وامرهم باتباعه وتسليم الامر اليه والانقياد له ثم توفي فلما رجع عبد المؤمن بايعه الناس وانقادوا له وتسمى دولته دولة الموحدين لان المهدي سماه بذلك كما تقدم فجهاز الجيوش وازال ملك بني تاشفين وفتح البلدان وملك كثيرا من مدار المغرب وكل ذلك مبسوط في التواريخ وصار لعبد المؤمن ملك عظيم في المغرب والاندلس توارثه بنوه بعده الى سنة ثمان وستين وستمائة فانزع الملك منهم بنو مرين فكانت مدة دولة بني عبد المؤمن مع مهديهم مائة وثلثين وخمسين سنة قال في نفع الطيب كانت دولة بني عبد المؤمن من اعظم الدول الاسلامية وكان كل واحد منهم يلقب امير المؤمنين ومسلما مسلك الخلفاء وكانوا يدعون على المنابر لمهديهم محمد بن تومرت ويضربون اسمه على السكة

وتوفي عبد المؤمن سنة ثمان وخسين وخمسمائة وعمره ثمان وستون سنة ومدة ملكه ثلاث وثلاثون سنة وكان عاقلا حازما سديد الرأي حسن السياسة كثير البذل للاموال الا انه كان سفاكا للدماء على الذنب الصغير وكان يعظم امر الدين ويلزم الناس في سائر بلادهم بالصلاة ومن ترك الصلاة قتله وكان الغالب على مجلسه اهل العلم والدين ومانع من كرمه ان شاعرا مدحه بقصيدة مطلعها

* ماهر عطفه بين البيض والاسل * مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي *

فاشار اليه ان يقتصر على هذا البيت ولا يتم قراءة القصيدة وامر له بالف دينار فقيل له لم لم تسمع تمام القصيدة فقال عبد المؤمن وما عسى ان يقول بعد قوله ماهر عطفه البيت يعني انه لا يمكنه ان يأتي بدمج اعظم مما في هذا البيت وفي المونس في اخبار تونس للامامة ابي القاسم الرعيني القيرواني ان هذا الشاعر بعد ان قبض الالف الديار عاد اليه من الغد وانشده البيت المذكور فأسكته وامر له بالف دينار اخرى ثم لم يزل ينشده كلما دخل عليه ويأمر له بالف دينار الى ان وصله باربعين الف فحسده بعض الشعراء وقال له الى متى تفعل هكذا وما يؤمنك من تغير اخلاق امير المؤمنين وقد وصلت بما فيه غاؤك فارتحل من فوره الى بلده ثم سأل عنه عبد المؤمن فاخبر برحيله فقال لاحول ولا قوة الا بالله لقد ظن بنا غير ما اردناه واوطال مقامه لزدناه على ذلك وكان لعبد المؤمن معرفة بالشعر والادب يحكى عنه انه مر ببعض طرق مراکش ومعه وزيره ابو جعفر بن عطية فأطلت من شبك جارية بارعة الجمال فقال عبد المؤمن * قدت فؤادي من الشباك اذ نظرت * فقال ابن عطية * حوراء ترنو الى العشاق بالقل * فقال عبد المؤمن * كما غا لظهما في قلب عاشقها * فقال ابن عطية * سيف المؤيد عبد المؤمن بن علي ويقال لعبد المؤمن ألقبي نسبة الى قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ويقال له الكومي نسبة الى كومية قرية بتلمسان وكان المهدي محمد بن تومرت يقول له ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله ينصر هذا الدين في اخر الزمان برجل من قيس وارجو ان تكون انت وكان ابو صانعا في عمل الطين يعمل منه الآنية ويدهمها قال ابن خلدون في ترجمة عبد المؤمن كان في صباه يوما انما تجاه ابيه وكان ابوهم مشغولا بعمل الآنية من الطين فسمع ابوهم دويما في السماء فرفع رأسه رأى سحابة سوداء من النحل قد هوت مطبقة على الدار فنزلت كلها مجتمعة على ابنه عبد المؤمن وهونائم فغطته ولم يظهر من تحتها ولا استيقظ لها فرأته امه على تلك الحالة فصاحت خوفا على ولدها فسمكتها ابوهم فقالت اخاف عليه فقال لا بأس عليه بل اني متعجب مما فعل عليه ثم انه غسل يديه من الطين ولبس ثيابه ووقف ينتظر ماذا يكون من امر النحل فطار عنه باجمه فاستيقظ الصبي ومابه الم فتعقدت امه جسمه فلم تر به اثر اوام يشك لها الما كان بالقرب منهم رجل معروف بالزجر فغضى اليه ابوهم واخبره بما رأى من النحل مع ولده فقال ذلك الرجل يوشك ان يكون اولدك هذا شأن يجتمع على طاعته اهل المغرب فكان من امره ما كان وتقدم ان من اصحاب المهدي عمر بن يحيى الهناني قيل انه ينتهي نسبه الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه صار بعد المهدي من وزراء عبد المؤمن واعطى بنو عبد المؤمن اولاد عمر المذكور ولاية تونس فكانوا يسمون الخفصيين استمر ملك تونس فيهم

الى سنة تسعمائة واحدى وثمانين فانترع الملك منهم الدولة العثمانية وكانوا يلقبون بالخفصيين وكانت مدة ملكهم تونس ثلاثمائة وثمانية وسبعين سنة وهم من فروع دولة المهدي محمد بن تومرت واختلف الناس في امر ابن تومرت فقال بعض العلماء انه اراد اظهار الحق فاجتهد واخطأ وقال بعضهم انه كان على الامه شرا من الجحاج ويزيد والله اعلم بحقيقة الحال ولندكر ماكان من الفتوحات في مدة عبدالمؤمن وبنيه وفي مدة الخفصيين ملوك تونس

ذكر اول تجهيز لعبد المؤمن على الاندلس

قال ابن الاثير في الكامل في حوادث سنة احدى واربعين وخسمائة في هذه السنة سير عبد المؤمن بن علي جيشا الى جزيرة الاندلس فلكوا ما فيها من بلاد الاسلام وسهب ذلك ان عبد المؤمن لما كان يحاصر مراکش جاء اليه جماعة من اعيان الاندلس ومعهم مكتوب يتضمن بعة اهل البلاد التي هم فيها عبدالمؤمن ودخولهم في زمرة اصحابه الموحدين واقاتهم لامره فقبل عبدالمؤمن منهم ذلك وشكرهم عليه وطيب قلوبهم وطلب منهم النصره وطلبوا منه النصره على الفرنج فجهز جيشا كثيفا وسيره معهم وعمر اسطولا وسيره في البحر فصار الاسطول الى الاندلس وقصدوا مدينة اشبيلية وصعدوا في نهرها وبها جيش من المثلثين وهم اتباع يوسف بن تاشفين ويقال لهم المرابطون فحصروها برأ وبحراً وملكوها عنوة وقتل فيها جماعة وامن الناس فسكنوا واستولت العساكر على البلاد وكان لعبدالمؤمن من كان بها وانترعت عساكر عبدالمؤمن كثيراً من مدائن الاندلس التي كانت في طاعة المرابطين مدينة بمد مدينة بعد حروب بطول ذكرها وفي سنة ثنتين واربعين حصر الفرنج مدينة المرية من الاندلس وضيقوا عليها برأ وبحراً فلكوها عنوة واكثروا القتل بها والنهب وملكوا ايضاً مدينة شاسة وولاية جيان وكلها بالاندلس وفي سنة ثلاث واربعين ملك الفرنج بالاندلس مدينة طرطوشة وملكوا معها جميع قلاعها وحصون لاردة وافرغة ولم يبق للمسلمين شئ في تلك الجهات الا واستولى الفرنج عليه وفي سنة خمس واربعين سار السليطين وهو الاذفونش وهو ملك طليطلة واعمالها وهو من ملوك الخلافة نوع من الفرنج في اربعين الف فارس الى مدينة قرطبة فحصرها وهي في ضعف وغلاء فبلغ الخبر الى عبد المؤمن وهو بمراكش فجهز عسكراً كثيراً وجهز مقدمهم ابا زكريا يحيى بن يرموز ونفذهم الى قرطبة فلما قربوا منها لم يقدروا ان يلقوا عسكر السليطين في الوطاء وارادوا الاجتماع بالمسلمين المحصورين بقرطبة فسلكوا الجبال الوعرة والمضائق المتشعبة فساروا نحو خمسة وعشرين يوماً في الوعر في مسافة اربعة ايام في السهل فوصلوا الى الجبل المطل على قرطبة فلما رأهم السليطين وتحقق امرهم رحل عن قرطبة ليذهب اليهم وكان فيها القائد ابو الغمر السائب من ولد القائد ابن غلبون وهو من ابطال اهل الاندلس وامرائها فلما رحل الفرنج خرج من قرطبة لوقته وصعد الى ابن يرموز وقال له انزلوا عاجلاً وقال له ادخلوا البلد ففعلوا وباتوا فيها اصبحوا من الغد راوا عسكر السليطين على رأس الجبل الذي كان فيه عسكر عبدالمؤمن فقالوا ابو الغمر هذا الذي خفته عليكم لاني علمت ان السليطين ما ارتحل الا طالباً

الموضع الذي كان فيه الى الجبل طريقاً سهلاً ولو لحقكم هناك نال مراده منكم
ومن قرطبة فلما رأى السليطيين انهم قد فاتوه علم انهم دخلوا قرطبة ولم يبق له طمع في
قرطبة فرحل عائداً الى بلاده وكان حصره لقرطبة ثلاثة اشهر وفي سنة ست واربعين
سير عبد المؤمن جيشاً كبيراً نحو عشرين الف فارس الى الاندلس مع ابي حفص عمر
الهنثاني وسير معهم نسائهم فكان يسرن مفردات عليهن البرانس السودايس معهن غير
الخدم ومتى قرب منهن رجل ضربه الخدم بالسياط فلما قطعوا الخليج ساروا الى غرناطة
وبها جمع من المرابطين جماعة ابن تاشفين فحصرها عمر وعسكره وضيقوا عليها فجاء اليه
احد بن لمعان صاحب مدينة وادي آش واعمالها بجماعته ووجدوا وصاروا معه واتاه
ابراهيم بن همشك صهر ابن مردنيش صاحب جيان واصحابه ووجدوا وصاروا ايضاً
معه فكثرت جيشه وحرضوه على المسارعة الى ابن مردنيش ملك بلاد شرق الاندلس
ليبقته بالحصار قبل ان يتجهز فلما سمع ابن مردنيش ذلك خاف على نفسه فأرسل الى ملك
برشلونة من بلاد الفرنج يخبره ويستنجده ويستحثه على الوصول اليه فسار اليه الفرنجي
في عشرة آلاف فارس وسار عسكر عبد المؤمن فوصلوا الى بلقوارة وبينها وبين
مرسية التي هي مقر ابن مردنيش مرحلة فسمعوا بوصول الفرنجي مع ملك برشلونة فرجع
جيش عبد المؤمن وحصروا مدينة المرية وهي للفرنج عدة شهور فاشتد الغلاء في العسكر
وعدمت الاقوات فرحلوا عنها وعادوا الى اشبيلية فاقاموا بها وفي سنة احدى وخسين
استعمل عبد المؤمن ابنه ابا سعيد عثمان على سبتة والجزيرة الخضراء ومالقة فغبر ابو سعيد البحر
الى مالقة وهي من الاندلس واتخذها داراً وكاتبه ميمون بن بدر الملتوني صاحب غرناطة
ورضى انه يوحد ويسلم اليه غرناطة فقبل ذلك منه ابو سعيد وتسلم غرناطة فسار ميمون الى
مالقة باهله وولده فتلقاء ابو سعيد واكرمه ووجهه الى ابيه عبد المؤمن بمراكش فاقبل عليه
عبد المؤمن واكرمه وانقرض بذلك دولة المرابطين ويقال لهم ايضاً الملتون كما تقدم ولم يبق
لهم الا جزيرة ميروقة مع احد بن غانية فلما ملك ابو سعيد غرناطة جمع الجيوش وسار الى مدينة
المرية وهي بأيدى الفرنج اخذوها من المسلمين سنة ثنتين واربعين وخمسائة فلما نازلها
وافاه الاسطول من سبتة وفيه خاق كثير من المسلمين فحصروا المرية برأ وبحراً فلجأ الفرنج
الى حصنها فحصرهم ونزل عسكره على الجبل المشرف عليها وبني ابو سعيد سوراً على الجبل
المذكور الى البحر وعمل عليه خندقاً فصارت المدينة والحصن الذي فيه الفرنج محصوراً
بهذا السور والخندق ولا يمكن من ينجد هماً من ان يصل اليهما فجمع الاذفونش ملك الفرنج
بالاندلس المعروف بالسليطيين جو عا من الفرنج بلغت اثني عشر الف فارس ومعه محمد بن سعد
ابن مردنيش في ستة الاف فارس من المسلمين وراموا الوصول الى المدينة ليدفعوا المسلمين عنها
فلم يطيقوا ذلك فرجع السليطيين وابن مردنيش خائنين فات السليطيين في عوده قبل ان يصل الى
الطابطة وتمادى الحصار على المرية ثلاثة اشهر فضاقت الميرة وقلت الاقوات على الفرنج فطلبوا
من الاندلس لیسلو الحصن فاجابهم ابو سعيد اليه وتسلم الحصن ورحل الفرنج في الغد عائدين الى بلادهم
لؤ من اوكهم المرية مدة عشرين سنين وفي سنة سبع وخسين وخمسائة ارسل اهل غرناطة من بلاد

الاندلس وهى لعبد المؤمن الى الامير ابراهيم بن همشك صهر ابن مردنيس فاستلموه اليهم ليسلوا اليه البلد وكان قد وحدثا تقدم وصار من اتباع عبد المؤمن وفي طاعته ولمن يحرض على قصد ابن مردنيس فلما وصل اليه رسل اهل غرناطة طمع في الملك فصار معهم اليها فدخلها وبها جمع من اصحاب عبد المؤمن فامنعوا بحصنها فبلغ الخبر اباسعيد عثمان بن عبد المؤمن وهو بمدينة مالقة لجمع الجيش الذى كان عنده وتوجه الى غرناطة لنصرة اصحابهم المسلمين الذين بغرناطة فلم بذلك ابراهيم بن همشك فاستنجد ابن مردنيس ملك البلاد بشرق الاندلس فأرسل اليه النوفارس من انجاد اصحابه ومن الفرنج الذين جندهم معه فاجتمعوا بنواحي غرناطة فالتقواهم ومن بغرناطة من عسكر عبد المؤمن من قبل وصول ابى سعيد اليهم فاشتد القتال بينهم فانهزم عسكر عبد المؤمن وقدم ابوسعيد بن معه فاقبلوا ايضا فانهزم كثير من اصحابه وثبت معه طائفة من الاعيان والفرسان المشهورين والرجال والاغلا حتى قتلوا عن آخرهم وانهزم حينئذ ابوسعيد ولحق بمالقة وسمع عبد المؤمن الخبر فسير في الحال ابنه ابا يعقوب يوسف في عشرين الف مقاتل فيهم جماعة من شيوخ الموحدين فجدا والسير فبلغ ذلك ابن مردنيس فصار بنفسه وجيشه الى غرناطة ليعين ابن همشك فاجتمع منهم بغرناطة جمع كثير فنزل ابن مردنيس في الشريعة بظاهرها ونزل العسكر الذى امر به لابن همشك اولاً وهم الفوفارس بظاهر القلعة الحمراء ونزل ابن همشك بباطن القلعة الحمراء فبين معه ووصل عسكر عبد المؤمن الى جبل قريب من غرناطة فأقاموا في سفحه اياماً ثم سيروا سرية اربعة آلاف فارس فبيتوا العسكر الذى بظاهر القلعة الحمراء وقتلوه من جميع جهاتهم فالحقوا ان يركبوا فقتلوه عن آخرهم واقتل عسكر عبد المؤمن بجملة فقتلوا بضواحي غرناطة فعلم ابن مردنيس وابن همشك انهم لا طاقة لهم بهم ففروا في الليلة الثانية ولحقوا ببلادهم واستولى الموحدون على غرناطة وفي سنة ثمان وخمسين وخمسمائة توفي عبد المؤمن فبايع الموحدون ابنه محمداً ثم خلفوه بعد خمسة واربعين يوماً وبايعوا اخاه يوسف بن عبد المؤمن ونلقب بأبى المومنين كآبيه قال ابن خلدان كان يوسف فقيراً حافظاً متقناً نشأ في ظهور الخيل بين ابطال الفرسان وفي قراءة العلم بين افاضل العلماء كان اعرف الناس كيف تكلمت العرب واحفظهم لا يامها في الجاهلية والاسلام ويقال انه كان يحفظ صحيح البخارى وكان يحفظ القرآن مع جملة من الفقه وسبأى الكلام على فتوحاته ولتتم الكلام على جميع فتوحات ابيه عبد المؤمن في غير الاندلس

✽ ذكر فتوح المهديّة ✽

المهديّة مدينة من مدائن افریقیة كانت المهديّة في يد الحسن بن على بن محمد بن تميم الصنهاجى وكان من عمال العبيديين ملوك مصر ثم تغلب عليها فلذلكها الفرنج وانزعوها من يده سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وفر الاثامير المذكور منها وقصد عبد المؤمن فأكرمه واحسن زله وكان اهل سفاقس وزويلة يقتلون الفرنج لتخليص المهديّة فلم يقدروا وانهزموا مرة بعد اخرى وقتل كثير منهم وذلك سنة احدى وخمسين وخمسمائة ثم دخل الفرنج زويلة وقتلوا

من وجدوا فيها من النساء والأطفال ونهبوا الأموال فقصص جماعة من أهل زويلة
عبد المؤمن وهو بمراكش يستجيرون به فأكرمهم وأخبروه بما جرى على المسلمين وأنه ليس
في ملوك الإسلام من يقصد سواه فدمعت عيناه وقال ابشروا لأنصرتكم ولو بعد حين
وأمر بأنزالهم وأن يعطوا التي دينار ثم جهز الجيوش واستعد لذلك ثلاث سنين فاجتمع معه
مائة ألف مقاتل ومن الاتباع والسوقة اثنا عشر ألفاً وسار بجيوشه في شهر صفر سنة أربع وخمسين
وخمسائة وكان يقع من حفظه لعسكره أنهم كانوا يعيشون بين الزرع فلا يتأذى منهم أهل
الزرع ولا يصيدون شيئاً منه وإذا نزلوا صلوا جميعهم مع إمام واحد بتكبيره واحدة ولا
يتخلف منهم أحد كائناً من كان خوفاً من عقابه لأنه كان يقتل من يتأخر منهم وقدم بين يديه
أمير إفريقية الذي فر منها حين أخذها الفرنج وهو الحسن بن علي بن محمد بن تميم الصنهاجي
فلم يزل يسير إلى أن وصل إلى مدينة تونس في شهر جادى الآخرة من السنة المذكورة وكان
ملك تونس يد احدين خراسان وأقبلت أساطيل عبد المؤمن في البحر سبعين شينياً وطريدة
وشلندى فلما نازل تونس أرسل إلى أهلها يدعوهم إلى طاعته فامتنعوا فقاتلهم من الغد أشد
قتال فلم يبق إلا أخذها ودخول الأسطول إليها فجاءت ريح عاصف منعت الموحدين من
دخول البلد فرجعوا إليها كروا القتال ويملكوا فلما جن الليل نزل سبعة عشر رجلاً من أعيان
أهل تونس إلى عبد المؤمن يسألونه الأمان لأهل بلدهم فأجابهم إلى الأمان لهم في أنفسهم
وأهلهم وأموالهم لم يادرهم إلى الطاعة وأما من عداهم من أهل البلد فيؤمّنهم على أنفسهم
وأهلهم ويقاسمهم أموالهم وأملأهم نصفين وأن يخرج صاحب البلد هو وأهله منها
فاستقر الأمر على ذلك وتسلم البلد وأرسل إليه من يمنع العسكر من الدخول وأرسل أمناه
ليقاسموا الناس أموالهم وأقام عليها ثلاثة أيام وعرض الإسلام على من بها من اليهود
والنصارى فغنوا بمسلم ومن امتنع قتل وأقام أهل تونس بها بأجرة تؤخذ عن نصف مساكنهم
ثم سار عبد المؤمن منها إلى المهديّة والأسطول يحاذيه في البحر فوصل إليها ثامن عشر رجب
وكان بالمهديّة أولاد ملوك الفرنج وأبطال الفرسان وقد اخلوا زويلة وبينها وبين المهديّة
غاية رمية سهم فدخل عبد المؤمن زويلة وامتلاّت بالمسار والسيوف فصارت مدينة
معمورة في ساعة واحدة ومن لم يجد له موضعاً من العسكر نزل بظاهرها وانضاف إليه من
صنهاجة والعرب وأهل البلاد ما يخرج عن الإحصاء وأقبلوا يقاتلون المهديّة مدة أيام فلا
يؤثر فيها لخصائنها وقوة سورها وضيق موضع القتال عليها لأن البحر دائر بأكثرها
فكأنها كفت في البحر وزندها متصل بالبر وكان أول من بناها وأخذها مدينة عبيد الله
المهدي أول ملوك العبيديين بناها سنة ثلاث وثلاثمائة وكان الفرنج يخرج شجعانهم إلى أطراف
العسكر فينالون منهم ويعودون سريعاً فأمر عبد المؤمن أن يبني سور من جهة غرب المدينة
يمنعهم من الخروج وأحاط الأسطول بها في البحر وركب عبد المؤمن في شينى ومعه الحسن بن
علي الذي كان صاحبها وطاف بها في البحر فهاهنا ما رأى من حصانيتها وعلم أنها لا تقفح بقتال
لأبراً ولا بجرأ وليس لها إلا المطاولة بالحصار وقال للحسن كيف نزلت عن مثل هذا الحصن
فقال لقلّة من يوثق به وعدم القوت وحكم القدر فقال صدقت وعاد من البحر وأمر بجميع

الغلات والاقوات وترك القتال فلم يمض غير قليل حتى صارت الغلات والاقوات في العسكر
كالجبلين من الحنطة والشمير فكان من يصل الى العسكر من بعيد يقول متى حدثت هذه الجبال
فيقال لهم هي حنطة وشعير فيتعجبون من ذلك وتماذى الحصار وفي مدته اطاع عبد المؤمن
اهل سفاقس وطرابلس وجبال نفوسة وقصور افر بقة وما والاها وفتح مدينة قابس
بالسيف فلما رأى اهل قفصة ذلك اطاعوه وكان الفرنج قد تملكوا صقلية في سنة اربع
وثمانين واربعمائة جاؤا بها بجموع كثيرة وانتزعوها من عامل البيهدين وبقيت في
يديهم وحصار لهم فيها قوة عظيمة فكانوا يمدون هؤلاء المحصورين في المهدية في شهر
شعبان من السنة المذكورة اعني سنة اربع وخسين وخمسمائة جاء اسطول صاحب صقلية
من ملوك الفرنج في مائة وخسين شينيا غير الطرائد وكان قد وفد من جزيرة بابسة من بلاد
الاندلس وقد سبى اهلها واسرهم وحملهم معه فارسل اليه ملك الفرنج يأمره بالجنح الى
المهدية فقدموا في التاريخ المذكور فلما قاربوا المهدية حطوا شرعهم ليدخلوا المينا فخرج
اليهم اسطول عبد المؤمن وركب فيه العسكر جميعه ووقفوا على جانب البحر فاستمعهم
الفرنج مارأوه من كثرة العساكر ودخل الرعب في قلوبهم وبقي عبد المؤمن يبرغ وجهه
على الارض ويبكي ويتضرع الى الله تعالى ويدعو للمسلمين بالنصر ثم اقتتلوا في البحر
فانهزمت شواني الفرنج واعادوا القلوع راجعين الى بلادهم فتبعهم الموحدون فاخذوا منهم
سبع شواني ولو كان معهم شواني لآخذوا اكثرهم وكان امرا عجيبا وفتح اقرينا وعاد
اسطول المسلمين مظفرا منصورا وفرق فيهم عبد المؤمن الاموال ويثس اهل المهدية من
النجدة وصبروا على الحصار ستة اشهر الى آخر الحجة من السنة المذكورة فنزل حينئذ من
فرسان الفرنج الى عبد المؤمن وسأله الامان لمن فيها من الفرنج على انفسهم واموالهم
ليخرجوا منها ويعودوا الى بلادهم وكان قوتهم قد نفى حتى اكلا الخيل ففرض عليهم
الاسلام ودعاهم اليه فلم يجيبوا ولم يزالوا يترددون اليه اياما بالكلام الذين فاجابهم الى ذلك
وأمنهم واعطاهم سفنا فركبوا فيها وساروا وكان الزمان شتاء ففرق اكثرهم في البحر
ولم يصل منهم الى صقلية الا النفر اليسير وكان صاحب صقلية يقول ان قتل عبد المؤمن
اصحابنا بالمهدية قتلنا المسلمين الذين بجزيرة صقلية واخذنا حرهم واموالهم فاهلك الله اكثرهم
بالفرق في البحر وكانت مدة ملكهم المهدية ثنتي عشرة سنة ودخل عبد المؤمن المهدية
بكرة عاشوراء سنة خمس وخسين وخمسمائة واقام بها عشرين يوما فرتب احوالها واصالح
ما نال من سورها ونقل اليها الذخائر من الاقوات والرجال والعدد واستعمل عليها
بعض اصحابه وجعل معه الحسن بن علي الذي كان صاحبها وامره ان يقتدي برأيه
في افعاله واقطع الحسن بها اقطاعا واعطاه دورا نفيسة يسكنها ورحل من المهدية
اول صفر من السنة المذكورة وتوجه الى بلاد المغرب وجهز جيوشا الى الاندلس

ذكر فتوحات يوسف بن عبد المؤمن

لما استقرت البيعة له بمد موت ابيه وخلع اخيه اخذ منهم ابيه وسار سيرته واستكثر من الجيوش

وهذا البلاد فصار له ملك ضخم اكثر من ابيه فكان ملكه من قاصية افرقيصة الى بلاد القبلية
وبلاذ الاندلس يحجى اليه خراجها دون مكس ولا جور فكثرت الاموال وامتد الطرق
ثم رحل الى الاندلس اكشف مصالح دولته ونفذ احوالها وفي صحبته مائة الف فارس ونزل
اشبيلية وشرع في استرجاع بلاد المسلمين من ايدي الفرنج وكانوا قد استولوا على كثير منها فاتسع
ملكه وحاصروا اذفونش في طليطلة وضيق عليه شهورا فراسله اذفونش في انه يسلم المدينة
ويعطيهم الامان على نفوسهم فامتنع يوسف من ذلك فلما اشتد بهم العطش سمع لهم في بعض
الايام لفظ عظيم وأصوات هائلة وذلك أنهم اجتمعوا بأمرهم ودعوا الله تعالى فجاءهم مطر
عظيم ملا ما كان عندهم من الصهاريج فارتووا وتفرغوا على المسلمين فهادتهم سبع سنين
وانصرف عنهم الى اشبيلية وكان يرتفع اليه في كل سنة من خراج اشبيلية واعمالها حل مائة
اربعين بغلا خارجا عما يرتفع اليه من بقية البلاد وفي سنة خمس وستين وخمسة مائة اتفق ابن
مردنيش ملك شرق الاندلس هو والفرنج على يوسف بن عبد المؤمن فاستفحل امرهم فحوز
يوسف العساكر فحاسبوا بلاد ابن مردنيش وخربوها وأخذوا مدينتين من بلاده وأحافوا
عساكره وجنوده وأقاموا بلادهم مدة ثلثون فيها ويحبون اموالها وفي سنة سبع وستين
وفي الأمير محمد بن سعد بن مردنيش صاحب البلاد بشرق الاندلس وهي مرسية وبلنسية
غيرهما وأوصى اولادهم بعد موته بقصدون يوسف بن عبد المؤمن وكان قد اجتاز الى الاندلس
في هذا العام في مائة الف مقاتل قبل موت ابن مردنيش فقدموا عليه بعد موت ابيهم حين رآهم
وسف فرح بهم وسره قدومهم عليه ونسبم بلادهم وتزوج اختهم واكرمهم وعظم امرهم
هو صلهم بالاموال الجزيلة واقاموا معه وفي سنة ثمان وستين توجه يوسف الى الاندلس بعساكره
نزل اشبيلية ثم سار منها وقصد بلاد الفرنج ونزل على مدينة رندى فحصرها واجتمعت الفرنج
على ابن الغش في جمع كثير فلم يقدرُوا على لقاء المسلمين فاتفق ان الغلاء اشتد على المسلمين وعدت
لاقوات عندهم وهم في جمع كثير فاضطروا الى مفارقة بلاد الفرنج فعادوا الى اشبيلية وهو
مع ذلك يجهز العسكر ويسيرها الى غزو الفرنج في كل وقت فكان له بها عدة وقائع وغزوات
نهر منها العرب من الشجاعة مالا يوصف وصار الفارس من العرب يبرز بين الصفيين ويطلب
بارزة الفارس المشهور من الفرنج فلا يبرز اليه أحد ثم عاد يوسف بن عبد المؤمن الى مراکش
أما وقائده مع من خرج عن طاعته من المسلمين في افرقية فكثيرة لا حاجة بنا الى ذكرها
هي مذكورة في التواريخ وفي سنة ست وسبعين أثار رسول ملك الفرنج صاحب صقلية
لتمس الصلح معه فهادنه عشرين وفي سنة ثمانين وخمسة مائة سار يوسف الى الاندلس في جمع
عظيم من عساكر المغرب وقصد غربي بلاد الاندلس فحصر مدينة تشير شهرا وهي للفرنج
أصابها مرض فمات فيه في ربيع الاول من السنة المذكورة وحل في تابوت الى اشبيلية
فيل انه اصابته طعنة فمات منها وبعد أن وصلوا به اشبيلية حملوه في التابوت الى جبل تيفل
فدفنوه هناك عنده ابيه عبد المؤمن بجانب قبر المهدي محمد بن نومرت واتفق شيوخ الموحدين
على مبايعة ابنه يعقوب فبايعوه ولقبوه المنصور * لطيفة * يحكى ان الاديب احمد بن
السلام الكوراني كان من طرفاء الدماء وكوران قبيلة من البربر وكان يحالس عبد المؤمن

ثم ابنه يوسف ثم ابنه يعقوب فاتفق انه حضر يوما عند يوسف بن عبد المؤمن وهناك الطبيب
سعيد الغماري وغارة ايضا قبيلة من البربر فقال يوسف من عجائب الدنيا شاعر من كوران
وطبيب من غارة فقال الكوراني وضرب لنا مثلا ونسي خلقه أعجب منهما والله خلفية من
كومية فقال يوسف في نفسه أعاقبه بالحلم والعفو ففيه تكذيبه فعفى عنه ولم يعاقبه

ذكر فتوحات يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن

كان يعقوب المذكور دينا مقما للحدود فاستقامت له الدولة وانقادت اليه بأسرها فأقام راية الجهاد
وأحسن السيرة في الناس ورتب ثغور الاندلس وشجعها بالرجال ورتب المقاتلة في سائر بلادها
وكان يحب العلماء ويربهم ويشاورهم وكان مشارك في علوم كثيرة ومن لطائفه انه بعث لبعض
عماله أن ينظر له رجلا لتأديب أولاده فبعث له العامل رجلين وكتب معهما كتابا يقول فيه
بعثت اليك رجلين أحدهما بحر في علمه والآخر بر في دينه فلما امتحنهما لم يرض بهما فوقع على
ظهر كتاب العامل ظهرا انفساد في البر والبحر وفي سنة ست وثمانين بلغه ان الفرنج ملكوا
مدينة شلب وهي في غرب الاندلس فتجهز اليها بنفسه وحاصرها وأخذها وأنفذ في الوقت
جيشا من الموحدين ومعهم جماعة من العرب ففتحوا اربع مدن كانت بيد الفرنج كانوا قد
أخذوها من المسلمين قبل ذلك باربعين سنة وخافه صاحب طليطلة وسأله الصلح فصالحه
خمس سنين وعاد الى مراکش فلما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها سوى القليل خرجت
طائفة من الفرنج في جيش كشف الى بلاد المسلمين فجهزوا وسبوا وعاثوا عياضا فظفما قاتلهم
الامر الى يعقوب وهو بجراكش فتجهز لقصدهم في جيش كبير وذلك في سنة احدى وتسعين
فسمع الفرنج بذلك فجمعوا خلقا كثيرا من أقاصي بلادهم وأدانيها وأقبلوا نحوه وبعد أن
عزم يعقوب على السير بمد جمع جيوشه أصابه مرض شديد حتى أيس منه أطباؤه فتأخر
عن السير فطعم المجاورون له من العرب وغيرهم في البلاد وعاثوا فيها فجهزوا على النواحي
والاطراف وكذلك فعل الاذفونش فيما يليه من بلاد المسلمين بالاندلس فاحال تفرقة
جيوش الامير يعقوب لاصلاح ما فسد في الاطراف واشتغلوا بالدفاع والقتال فكتب اليه
الاذفونش في البلاد وبعث رسولا الى الامير يعقوب يتهدده ويتوعده ويطلب منه بعض
الخصون من بلاد الاندلس وكتب له رسالة من انشاء بعض من خذله الله ممن يدعى انه من
المسلمين وهي باسمك اللهم فاطر السموات والارض وصلى الله على السيد المسيح روح الله
وكلمته الرسول الفصيح اما بعد ايها الامير فلا تخفى على كل ذي عقل لازب ولا ذى لب ثاقب
انك امير الملة الخفية كما انه هو امير الملة النصرانية وانك لا تخفى عليك ما هو عليه رؤساء
الاندلس من التخاذل والتواكل واهمال الرعايا واخلادهم الى الراحة وانا أسوهم بحكم
القهر الخفيف وأخلي الديار وأسبي الذراري وامثل بالكهول وأقل الشبان ولا عذر لكم
عن التخلف عن نصرتهم وقد امكنتك بالقدره وانتم تعتقدون ان الله فرض عليكم قتال عشرة
منا بواحد منكم والآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فقد فرض عليكم قتال اثنين
منا بواحد منكم ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا ولا تقدر ان تدافعوا ولا تستطيعون

امتاعاً ثم حكى لي انك اخذت في الاحتفال واشرفت على ربوة القتال وتمطل نفسك بما بعد
 عام تقدم رجلاً وتؤخر أخرى ولا ادري الجبن ابطالك ام التكنذيب بما انزل عليك ثم حكى لي
 عنك انك لا تجد سبيلاً الى الحرب لملك مايسوغ لك التقمع بها انها انا اقول لك ما في ذلك
 واعتذر عنك ولك ان توجه بحملة من عندك بالمراكب والشواني واجوز اليك بحملتي
 وابارئك في اعز الاماكن عندك فان كانت لك الغلبة فغنيمة عظيمة جاءت اليك وهدية
 مثلت بين يديك وان كانت لي كانت يدي العليا عليك واستحققت اماراة المثلين
 والتقدم على الفتيين والحكم على السبرين والله يوفق الارادة ويوضح السعادة
 لارب غيره ولاخير الاخير فلما وصل كتابه وقرأه يعقوب كتب في اعلاه ارجع اليهم فلنايتهم
 بخنود لا قبل لهم بها ولنخرجهم منها اذلة وهم صاغرون والجواب ما نراه لا ما نسمعه او تقرأه
 وكتب ايضاً بيتاً مشهوراً للمتنبي

• ولا كتب الا المشرفة واقفا • ولا رسل الا الغميس العرمم •

واحد الكتاب اليه وجمع العساكر الكثيرة من المسلمين وعبر الى الاندلس في جيش يضيق
 عنه الفضاء فسمعت الفرنج بذلك فجمعت قاصيها ودانيها واقبلوا اليه مجدين مصممين على
 القتال واثنى بالظفر لكثرتهم فالتقوا تاسع شعبان شمالي قرطبة فاقتلوا قتالاً شديداً اشتهد
 فيه كثير من المسلمين وكانت الدائرة في اول الامر على المسلمين ثم تراجعوا وعادوا على الفرنج
 فانهمز الفرنج اقبح هزيمة وانتصر المسلمون عليهم وجعل الله كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله
 هي العليا والله عزيز حكيم وكان عدد من قتل من الفرنج مائة الف وستة واربعين الفاً
 وامر منهم ثلاثة عشر الفاً وقيل ثلاثون الفاً وغنم المسلمون منهم شيئاً كثيراً فن الخيام
 مائة الف وثلاث واربعون الفاً ومن الخيل ستة واربعون الفاً وقيل ثمانون الفاً ومن
 البغال مائة الف ومن الحمير مائة الف وقيل اربعمائة الف جاءهم الكفار لحمل انقالهم لانهم لا ابل
 عندهم بالاندلس ومن الدروع التي صارت ابيت لمال ستون الفاً غير ما اخذه المسلمون منها
 واما الذهب والفضة والجواهر والاموال فلا تحصى وبيع الاسبر بدرهم والجمار بدرهم
 وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع ونجا الفئش بروحه وهو ملك النصراني اذ
 ذاك الى طليطلة في اسوء حال وحلق رأسه ونكس الصليب وحلف ان لا ينم على فراش
 ولا يقرب النساء ولا يركب فرساً ولا دابة حتى يأخذ بانذار وصار يجمع الرجال من البلاد
 البعيدة ويستعد للقاء ثم لقي يعقوب بالجوش مرة ثانية فهزمه وساق خلفه الى طليطلة
 وحصره فيها ورمى عليه بالجنانيق ولم يبق الا فتحها فخرجت اليه والدلة الاذفونش وبناته
 ونساؤه يكيين بين يديه ويسألانه ابقاء البلد عليهن فرق اهن ومن عليهن بها ووهب لهن اموالا
 كثيرة وعفا بعد القدرة ورجع الى قرطبة فأقام بها شهر ايقسم الغنائم فجاءته رسل الفئش يطلب
 الصلح فصالحه وهادته خمس سنين وأمن الناس وكان يعقوب قد نادى في عسكره من غنم
 شيئاً فهو له واحصى ما حل اليه من السلب فكان زيادة على سبعين الفاً وهذه الواقعة تسمى
 وقعة الارك وهو اسم للموضع الذي كانت فيه الواقعة ولم يسمع بعد وقعة الدلافة التي كانت
 على يد امير المسلمين يوسف بن تاشفين بمثل وقعة الارك هذه بل صرح بعض المؤرخين بأنها

اعظم من رفعة الذلاقة وكان جلة من استشهد من المسلمين في هذه الواقعة نحو عشرين ألفاً
وعظم امر الاسلام بالاندلس بعد هذه الواقعة ومدح الشعراء يعقوب بعد هذا الفتح بقصائد
كثيرة واجازهم بعهديات وافرة فمنهم ابن منقذ وكان شاعراً بايقاً مدحه بقصيدة منها قوله
* شأشكر بحراً ذا عباب قطمته * الى بحر جود ما لا تخراه ساحل *
* الى معدن انتقوى الى معدن الندى * الى من سميت بالذكور من الاولاد الى رحل *
* اليك امير المؤمنين ولم تزل * الى بابك المأمول ترحى الى كافل *
* فطمت اليك البر والبحر موقنا * بأن ذلك الغمر بالنجح في الفواضل *
* وحزت بقصديك الغنا فبلغتها * وادنى عطائك الملاسل *
* فلا زلت لاهلياء والجود باقياً * تلبسك الاسمال في يعقوب الفرخ وهادنهم

وعدد ابيات القصيدة اربعون بيتاً فأعطاه اربعين ألفاً وانه صالحي مرا كش لقمع هذا المأثر
لانه بلغه قيام تأثر من المرابطين بأفريقية فأراد يعقوب الرجوع اليه فمما فوقه
واحاده فرجع وقدمه واحده (اطيفة) قال الشيخ محبى الدين كرم الموحدين قد جازت
في الفتوحات الملكية كنت بمدينة فاس سنة احدى وتسعين وخمسة مائة في هذا الجيش هل
الى الاندلس لقتال العدو وقلقت رجلاً من رجال الله فسألني ما تقول ان الله تعالى قد
يفتح له ويتصر في هذه السنة ام لا فقلت له ما عندك انت في ذلك ^{فصداً} ^{أهيناً}
ذكره في كتابه وبشر به نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انا فتحنا لك قديماً
وموضع البشرى فتحاً مبيئاً من غير تكرار الالف في مبيئاً فانها لا تطلق الوقوف في تمام آية
فطرت وحسبت الحروف فوجدت الفتح يكون في سنة احدى وتسعين وخمسة مائة ثم جرت الى
الاندلس في السنة المذكورة وقد نصر الله جيش المسلمين فهذا من الفتح الالهى لهذا الشخص اه
فتحاً مبيئاً وتوفي الامير يعقوب بمدينة سلا وقبل بمراسل سنة خمس وتسعين وخمسة مائة
١٠٢٤ ٤٨٩ وعمره احدى واربعون سنة قال ابن خلكان في ترجمة يعقوب المذكور ثم
٥٩١ حكى لي جمع كثير بدمشق سنة ثمانين وستمائة ان بالقرب من الجبل البلدة التي
من اعمال البقاع العزيزية بالشام قرية يقال لها حجارة والى جانبها مشهد يعرف بقبر الامير
يعقوب ملك المغرب وكل اهل تلك النواحي يتفقون على ذلك وليس عندهم فيه خلاف اه
قال في نفع الطيب توفي السلطان يعقوب سنة خمس وتسعين وخمسة مائة سنة سلا وكانت
ولايته خمس عشرة سنة وما يقال انه ساح في الارض وتخلي عن الملك ووصل الى الشام
ودفن بالبقاع لا اصل له وان حكى ابن خلكان بعضه وعن صرح بطلان هذا القول
الشرىف الغرناطى في شرح مقصورة حازم وقال ان ذلك من هذيان العامة او اوعهم
بالسلطان المذكور انتهى قال ابن خلكان وسمعت عن الامير يعقوب حكاية يابى ان تذكر
ههنا وهى ان الامير ابا محمد عبد الواحد بن ابي حفص عمر الهنتاني كان قد تزوج اخت الامير
يعقوب المذكور واقامت عنده ثم جرت بينهما منافرة فجاءت الى بيت اخيه يعقوب المذكور
واقامت عنده فسير الامير عبد الواحد في طلبها فامتنعت فشكا الامير عبد الواحد الى قاضى
الجماعة بما كش وهو ابو عبد الله محمد بن علي بن مزوان فاجتمع القاضى المذكور بالامير يعقوب وقال

له ان ابا محمد عبد الواحد يطلب اهله فسكت الامير يعقوب ومضى على ذلك ايام ثم ان
الامير عبد الواحد اجتمع بالقاضي المذكور في قصر الامير يعقوب وقال له انت قاضي المسلمين
وقد طلبت اهلي فا جاؤني فاجتمع القاضي بالامير يعقوب وقال له يا امير المؤمنين ان الشيخ
عبد الواحد قد طلب اهله وهذه الثانية فسكت الامير يعقوب ثم بعد ذلك بمدة لقي الامير
عبد الواحد القاضي بالقصر المذكور فقال له يا قاضي المسلمين قد قلت لك مرتين وهذه
الثالثة انا اطلب اهلي وقد منعوني عنها فاجتمع القاضي بالامير يعقوب وقال له يا مولانا
ان الشيخ عبد الواحد قد تكرر طلبه لاهله فاما ان تسير اليه اهله والا فاعزلني من القضاء
فقال له يا ابا عبد الله ما هذا الاجد كبير ثم استدعى خادما وقال له في السر تحمل اهل الشيخ
عبد الواحد اليه فحملت اليه في ذلك النهار وام تغير على القاضي ولاقال له شيأ يكرهه وتبع
في ذلك حكم الشرع المطهر وانقاد لوامره قال ابن خلكان وهذه حسنة تعدله وللأقاضي
ايضا فانه بالغ في اقامة منار الشرع بالعدل انتهى

ذكر محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن

وما جرى في مدته من الغزو لما توفي الامير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بايع شيوخ الموحدين
ابنه محمد ولقبوه الناصر وكان النصراني بالاندلس لما سمعوا بموت يعقوب اخذوا يتغلبون
على كثير من الحصون بالاندلس وكان محمد المذكور حديث السن عمره نحو تسع عشرة سنة
فاستخف بكثير من وزراء ابيه ورجال دوائه وبكثير من رجال الاندلس العارفين بالقتال حتى
انه قتل بعض رجال دوائه وشق بعضهم فكان ذلك سببا لفساد النيات ولقوة الشكينة
للافرنج فلما بلغه قوة شكيتهم وطمهم في التغلب على بعض الحصون بل اخذوا بعضها
بالعمل شرع في التجهز للمسير لقتالهم فتجهز في ستمائة الف مقاتل ودخله الاعجاب بكثرة
من معه من الجيوش واستعد له العدو بجموع كثيرة فلما التقوا وتقاتلوا في شهر صفر سنة
تسع وستمائة انهزم المسلمون وكثر القتل فيهم ولم ينج من الستمائة الف الذين مع محمد بن يعقوب
غير عدد يسير لم يلقوا الا الف فكانت هذه الواقعة هي الطامة الكبرى على الاندلس بل على
المغرب كله وما ذاك الا لسوء التدبير والاعتماد على القوة وكثرة الجند والله غالب على امره
واستولى العدو بعدها على كثير من الاندلس وتسمى هذه الواقعة بوقعة العقاب ثم كثر الثأرون
والخارجون ايضا في المغرب وتوفي محمد بن يعقوب المذكور سنة ست عشرة وستمائة
ثم تفرقت كلمة بني عبد المؤمن وكثر الاختلاف والقتال بينهم مع بعضهم وانشرت فتن
كثيرة بينهم فكانوا كلما بويع لواحد منهم خلعه وخرجوا عليه الى ان انقضت دوائهم
وكانوا كلهم يدعون لمهديهم محمد بن تومرت على المنابر في الخطبة ويسترجعون عليه ويكتبون
اسمه على سكة الدراهم والدنانير الا العائز من خلفائهم وهو ابو الملا ادريس الملقب بالمؤمن
ابن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فانه امر باسقاط اسم مهديهم محمد بن تومرت من السكة
والخطبة والف في ذلك رسالة طويلة افصح فيها تكذيب مهديهم المذكور وضلاله
وصار يلغنه وكان ادريس المؤمن عالما فصيحاً متمكناً في علم الاصول والقروع ناظماً

ثامرا وكان سفاكا للدماء وكانوا يسمونه حجاج المغرب قتل مائة من شيوخ الموحدين وسفك دماء كثيرة من دماء الخارجيين الشائرين عليهم وقتل في يوم واحد اربعة آلاف وانشب رؤسهم على اسوار مدينة مراکش مائة سنة ثلاثين وستة وثمانون سنة مع مهاديهم مائة واثنين وخمسين سنة وجللة من تولى منهم ثمان وستين وستة وثمانون سنة فكانت مدة دولتهم مع مهاديهم مائة واثنين وخمسين سنة وجللة من تولى منهم مع مهاديهم ستة عشر شخصا فبجنان الملك الباقي الذي لا يمتري ملكه الزوال والنقصان وتفصيل ملوكهم مع القتل التي وقعت بينهم ذكرته في تاريخ جمته في اخبار الاندلس وكان المنتزع لل ملك بنى عبد المؤمن جماعة من بنى مرين وسند كرمهم انشاء الله تعالى ونذكر ما كان منهم من الغزو لكفار الاندلس لكن ينبغي قبل ذكرهم ان نذكر الخفصيين ملوك تونس لانهم من فروع دولة الموحدين والجميع من فروع دولة محمد بن تومرت المهدى على زعمهم والخفصيون ملوك تونس هم اولاد ابي حفص عمر الهنتاني وهو الوزير الثاني لمحمد بن تومرت لانه اول قيامه بدعواه كان الملازمون القاثون بأمره ثلاثة عبد المؤمن بن علي وعبد الله الونشريسي وابو حفص عمر الهنتاني اما عبد المؤمن فقد تقدم الكلام عليه وعلى اولاده الذين ورثوا الملك منه الى ان ذهب ملكهم واما عبد الله الونشريسي فقتل في بعض الحروب التي كانت اول ظهور محمد بن تومرت واما ابو حفص عمر الهنتاني فكان وزيرا لعبد المؤمن وكان ولي العهد بعده ثم احتال عليه عبد المؤمن وخلعه وجعل ولاية العهد لابنه محمد ثم يوسف بن عبد المؤمن وكان عبد المؤمن في مدة ملكه اتخذ اباحفص عمر الهنتاني وزيرا وخلصا يقر به ويدنيه ويستشيره في اموره كلها ثم صار ابنه عبد المؤمن يقربون ابنه ابي حفص ويدنونهم ويتخذون منهم وزراء وامراء وفي سنة ست مائة وثلاثة في مدة ملك محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن جعلت ولاية تونس لعبد الواحد بن ابي بكر بن ابي حفص عمر الهنتاني وتوارثها بنو عبد الواحد المذكور وبقي ملك تونس فيهم الى سنة تسعمائة واحدى وعثمانين فانتزع ملك تونس منهم سلاطين آل عثمان فكانت مدة تلك تونس لبني حفص ثلاثمائة وثمانية وسبعين سنة وعدة ملوكهم ثمانية وعشرون ملكا فدولتهم ايضا من فروع دولة المهدى محمد بن تومرت وكان لهم ملك ضخم وجرى منهم غزوات وفتوحات سيأتي كثير منها بعد اتمام الكلام على دولة بنى مرين المتراعين ملك بنى عبد المؤمن وبعد ذكر ما كان منهم من الغزوات والفتوحات بالاندلس

ذكر دولة بنى مرين وغزوهم بالاندلس

اعلم ان بنى مرين قبيلة من قبائل البربر كانوا متوحشين يسكنون الصحراء والقفار وكانت لهم مواش ثم صارت لهم خيل وقوة فلما ضعف ملك بنى عبد المؤمن ورأى بنو مرين ضعفهم واختلال ملكهم تخلصوا من الصحراء والقفار وتفرقوا في جهات المدن والامصار واوجفوا بخيلهم وركابهم وظهرت لهم رياسة وقوة شوكة فخلعوا اماعة بنى عبد المؤمن بعد ان كانوا تحت طاعتهم فصار كثير من رعايا بنى عبد المؤمن يحتمون ببنى مرين ويلتجئون اليهم لاسيما اذا وقعت عليهم مظلة من بنى عبد المؤمن فتمسك كثير من الناس بمعتصمات بنى مرين واطلم الجوار بينهم وبين بنى عبد المؤمن وثار من ذلك فتن كثيرة بين الفريقين ووقع بينهم

محاربات يطول الكلام بذكرها فصار بنو مرين يقوى امرهم كلما ضعف ملك بنى
عبد المؤمن الى ان استلبوهم الملك وانتزعوه منهم واستولوا عليه واول ما ظهرت
الرياسة في بنى مرين بعد الخمين والخماتة من الهجرة واول من ظهرت عليه الرياسة منهم
محيو بن ابي بكر بن حامة فقدموه رئيسا عليهم الى ان توفي سنة احدى وتسعين وخماتة
فقام بالرياسة بعده ابنه عبدالحق بن محيو الى ان توفي سنة اربع عشرة وستمائة فقام بالرياسة
بعده ابنه عثمان بن عبدالحق الى ان توفي سنة سبع وثلاثين وستمائة ثم بعده اخوه محمد بن عبد
الحق الى ان توفي سنة اثنتين واربعين وستمائة ثم اخوه ابو يحيى بن عبدالحق الى ان توفي سنة
ست وخسين وستمائة فقام بالرياسة بعده اخوه يعقوب بن عبدالحق وفي هذه المدة السابقة
كانت محاربات كثيرة بينهم وبين بنى عبدالمؤمن فقوى امرهم وانتصر صيتهم واستولوا على
مدائن وقرى منها مكناسة وفاس وتلمسان وطنجة وسبتة وغير ذلك الاتونس واعمالها فان
ملكها كان بيد الخفصيين انشاء ابي حفص عمر الهنتاني احد اصحاب المهدي محمد بن تومرت وقد
تقدم ذكر ذلك وكان تملك بنى مرين فاس سنة ست واربعين وستمائة وآخر الامر ملكوا مراکش
سنة ثمان وستين وستمائة وقتلوا ابا دبوس الملقب بالواثق وهو آخر ملوك بنى عبد المؤمن
واستقر الملك لبنى مرين على يد يعقوب بن عبدالحق فهو الذى ينبغى ان يكون اولهم ولما استقرت
دولته بمدينة مراکش جائته البيعة من اهل الاندلس وجاءه جماعة منهم يستنصرون به على
النصارى المغلبين على اكثر الاندلس وسأى ذكر تجهيزه لغزو العدو بالاندلس انشاء الله تعالى

✽ ذكر ما كان من استيلاء العدو على كثير من مدائن الاندلس مدة ضعف

دولة بنى عبد المؤمن ✽

كان بالاندلس عمال لبنى عبد المؤمن متفرقون في اقطارها ومدائنها فلما حصل الضعف لدولتهم
وانتشرت الفتنة بينهم مع بعضهم وبين بنى مرين واشتغلوا بقتالهم اغتم العدو الفرصة
وصار يقتطع كثيرا من المدائن والمناطق والحصون ويستولى عليها ولم يوجد بالاندلس
من الجيوش والرجال من يدافع العدو ويقاؤه وقد كثر ما استولى عليه الطاغية في هذه المدة
التي ضعف فيها ملك بنى عبد المؤمن وبعض المدائن استولى عليها العدو قبل ظهور الضعف
في دولتهم فمن ذلك مدينة تطيلة واختها طرشونة استولى عليها الطاغية سنة اربع وعشرين
 وخماتة وكان ذلك في اول دولة بنى عبد المؤمن وآخر دولة المرابطين بل كان قد استولى قبل
ذلك على طليطلة سنة ثمان وسبعين واربعمائة كما تقدم حتى ان يوسف بن تاشفين لما عبر الاندلس
وكانت وقعة الذلاقة بمنزلة عن تخليص طليطلة من يد الطاغية واستولى الطاغية على مدينة سرقسطة
سنة سبع وخسين واربعمائة ثم استرجعت ثم استولى عليها ثانيا سنة خماتة واثني عشر
واستولى على بلنسية سنة اربعمائة وسبع وخسين ثم ارتجمها السلون ثم تكرر استيلاؤهم عليها
واسترجاعها كما تقدم ثم تغلب العدو عليها وأخذها مرة أخرى سنة ست وثلاثين وستمائة
واستولى على حصن روطنة سنة تسع وعشرين وخماتة وكان من امنع الحصون سلمه ابن هود
لصاحب طليطلة لما عجز عن مقاومتها واستولى العدو على مدينة المرية سنة اثنتين واربعين وخماتة

وكان قبل ذلك استولى على مدينة لوشة سنة اثنتين وعشرين وستمائة ثم ارتجع الموحدون
 المدة سنة اثنتين وخسين وخمسمائة وبقيت بيد المسلمين سنين ثم ارتجعها العدو خذله الله مرة
 أخرى واستولى على كورة ماردة سنة ست وعشرين وستمائة وعلى ميروقة سنة سبع وثلاثين
 وستمائة وعلى جزيرة شقرة سنة تسع وثلاثين وستمائة وعلى قرطبة دار الخلافة سنة ست
 وثلاثين وستمائة وعلى شرق الاندلس شاطبة وغيرها سنة خمس واربعين وستمائة واستولوا
 سنة اربع واربعين وخمسمائة على مدينة طرطوشة وملكوا معها جميع قلاعها وحصون
 لاردة وافرغة وعلى مرسية صلحا في العام المذكور وحصروا اشبيلية سنة خمس واربعين
 وستمائة وملكوها في العام القابل وبيان وقائع اخذ الطاغية لهذه المدائن بطول الكلام بذكره
 وذلك مشتمل على ما تفرح له الاكباد وتتمجج له العميون ولما اخذت قواعد المدائن وامهاتها
 بالاندلس مثل قرطبة واشبيلية وطليطلة ومرسية وغيرها انحاز اهل الاسلام الى قطعة من
 شرق الاندلس كانت بيد المسلمين منهم محمد بن يوسف بن هود الجذامي كان آباؤه لهم ملك بالاندلس
 من جلة ملوك الطوائف فكان محمد بن يوسف المذكور بمرسية من شرق الاندلس وكان هناك
 عمال ابني عبد المؤمن قتلهم عليهم واخرجهم واستعان على ذلك ببعض اهل الاندلس
 وعلمائهم واعيانهم وصار الملك له وخطب ابني العباس واقام الدعوة لهم ثم كثرت المازعون له
 والثارون عليه من المسلمين ومن الفرنج وطموهوا فيه فاضطربت عليه الامور وكان ممن نازعه
 من المسلمين بنو الاحمر وهم قوم ينسبون الى سعد بن عباد رضى الله عنه الانصاري سيد
 الخرج في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كان تحت ايديهم بعض مدائن بغرب الاندلس فانزعوا
 ما كان تحت يد محمد بن يوسف بن هود وضموه الى ما كان تحت ايديهم وكان اول من قام من بني
 الاحمر محمد بن نصر وكان ابوه نصر في دولة بني عبد المؤمن من امراء الاجناد وكان محمد
 بن نصر يقال له محمد الشيخ وبويع سنة تسع وعشرين وستمائة وخطب لابن زكريا يحيى
 ابن عبد الواحد بن ابي حفص عمر الهنتائي وكان ابو زكريا المذكور اذذاك صاحب تونس
 وكان قد استفحل ملكه بتونس وافريقية فخلع طاعة بني عبد المؤمن ودعا لنفسه وتسمى
 بامير المؤمنين فبايع ابن الاحمر الناس له ليعصده على ابن هود بيعته ابني العباس ودخل مع ابن
 الاحمر في تلك البيعة اهل جيان وشريش وكان الطاغية في ذلك الوقت محاصرة اشبيلية
 وذلك سنة ست وثلاثين وستمائة ثم ارسل ابن الاحمر جماعة من اعيان اهل الاندلس ذبي
 زكريا الحفصى بتونس فقدموا عليه وعقدوا له بيعة اهل الاندلس واستصرخوا به
 يريدون منه النجدة في قتال الانصاري فاجابهم الى مطلبهم وعقد ابو زكريا تلك البيعة يوم
 مشهوداً بتونس وانشد شاعر اهل الاندلس القصيدة المشهورة التي اولها

- * أنجد بحبيلك خبيل الله اندلسا * ان السبيل الى منجتها درسا *
- * وهب لها من عزيز النصر ما التمس * فلم يزل منك عز النصر ملتصا *

وهي قصيدة طويلة بليغة مذكورة في نفع الطيب فاجاب ابو زكريا بيعتهم ولبى دعوتهم
 وجهازهم اساطيل فيها المال والرجال فلما وصلوا الاندلس وجدوا الطاغية المحاصر
 بالمسية قد ملكها ثم ملك مرسية ايضا صلحا وكان ممن قام بالاندلس ايضا ابو محمد اشقبولة

استولى على قارش و وادي آش وكان بينه وبين ابن الاحمر مصاهرة و قرابة مع منافسة باطنية
 ستعان به ابن الاحمر على ابن هود وكان ابن هود قبل ان تغلبوا عليه قد جاءه خطاب وتقليد
 من الخليفة العباسي المستنصر بالله بن الظاهر بن الناصر ففوى ابن هود لما جاءه التقليد فبايعه
 ابن الاحمر وترك الخطبة لابي زكريا الخفصى صاحب تونس و افر يقية ثم قام باشبيلية ابو مروان
 ابا يحيى فدخله ابن الاحمر على ان يزوجه ابنته فاطمة ابو مروان فدخل ابن الاحمر اشبيلية ثم فلك
 باين مروان فقتله ثم ان اهل اشبيلية بعد شهر كاتبوا ابن هود ودخلوا في طاعته و اخرجوا ابن
 الاحمر ثم تغلب ابن الاحمر على غرناطة سنة خمس وثلاثين و ستمائة بمواطاة من اهلها فجاءته
 بيعتهم و هو بجيان فجاء الى غرناطة فدخلها و جعلها كرسى مملكته ثم تغلب على مالقة و في
 هذه المدة التي وقعت فيها هذه الفتن بين المسلمين بالاندلس قوى امر النصارى و طمعوا فيما يدي
 المسلمين و تلقفوا كثيرا من مدائن الاندلس و حصونها و داخلهم ابن هود و هادنهم بالصالح
 ليدفعوا عنه ابن الاحمر و اعطاهم كثيرا من المعادل و الحصون قيل انه اعطاهم ثلاثين حصنا
 و جعل على نفسه ضريبة لهم كل سنة اربعمائة الف دينار ثم ثار على ابن هود وزيره ابن الرميى
 فقتله و استولى على ما بيده ثم استولى ابن الاحمر على ما بيد الرميى سنة ثلاث و اربعين و ستمائة
 ثم بايع ابن الاحمر اهل مروة سنة ثلاث و ستين و ستمائة و حصل لاقاب ابن هود في هذه الفتن
 خطوط كثيرة و حروب بينهم و بين ابن الاحمر ثم دخلوا في طاعته فبعث ابن الاحمر ابن اشقيلولة
 منهم مرسية و خطب لابن الاحمر و عوضهم عن مرسية حصنا من عملها سنة ثمان و ستين
 و ستمائة ثم انقضت دولة بني هود بالكلية و كان ابن الاحمر في اول امره يداخل النصارى
 و يستعين بهم على ابن هود فلما دخل النصارى ابن هود و اعطاهم الحصون المتقدم ذكرها
 و جعل لهم الضريبة على نفسه فزع اليهم ابن الاحمر لانهم كفوا عن معاضدته التي كانت منهم له
 بل ذلك و صاروا معاضدين لابن هود ثم لما رأى ابن الاحمر امر النصارى يقوى و رآهم تغلبوا
 على قرطبة و غيرها خاف ان يستولوا على ما بيده فمخطهم و نبذ عهدهم و صار محترسا منهم
 و حاز في ملكه مدائن بغرب الاندلس و بالمتوسطة من الاندلس من ذلك غرناطة و المرية و مالقة
 و غيرها و توفي ابن الاحمر محمد الشيخ بن يوسف بن نصر سنة ستمائة و احدى و سبعين فبويغ
 ابنه محمد الفقيه بن محمد الشيخ و كان ممن بقى من ملوك الاندلس بنو اشقيلولة و كانوا نظراء لابن
 جرفى الياسة و بينهم و بينه مصاهرة و منافسة و كان الرئيس فيهم ابا محمد صاحب مالقة و اخاه
 ابا اسحاق صاحب وادى آش و قارش ثم ان ابن الاحمر محمد الفقيه في سنة ثلاث و سبعين و ستمائة
 مع جماعة من المسلمين الى بنى مرين يستصرخون بهم و يسألونهم النصرة و الاعانة على
 قتال النصارى و كان في ذلك الوقت قد تمكن الملك في مراکش و المغرب الاقصى لبنى مرين
 و كان الملك في ذلك الوقت من بنى مرين يعقوب بن عبدالحق

ذكر اول تجهيز من بنى مرين لغزو النصارى بالاندلس

لما جاء الصريح من اهل الاندلس مع الجماعة الذين بعثهم ابن الاحمر محمد الفقيه بن محمد الشيخ بن
 يوسف بن نصر جهز السلطان يعقوب بن عبدالحق جيوشا كثيرة من مدينة فاس و مراکش
 فاجتازت الى الاندلس مع بعض اولاد السلطان يعقوب و اتفقوا مع النصارى و قاتلوهم اشد

القتال وهزموهم شرهزيمة وملؤا ايديهم من غنائمهم واسلابهم وتحصن النصارى في حصونهم ومعاقلمهم وفي المدائن التي ملكوها ورجع بنو مرين سالمين منصورين ولم يخلصوا في هذه الغزوة شيئا من المدائن التي ملكها العدو

✽ غزوة أخرى لبنى مرين الى الاندلس ✽

في سنة اربع وسبعين وستمائة جمع امير المسلمين السلطان يعقوب بن عبدالحق المربني جوعا كشيعة واستنفر المسلمين من كل ناحية وغزا الاندلس بنفسه فلما وصل طريف لقيه ابن الاحر محمد الفقيه صاحب غرناطة والرئيس ابو محمد ابن اشقيلولة صاحب مالقة فاكرمهما وفاوضهما في أمر الجهاد ثم امرهما بالرجوع الى بلديهما فانصرف ابن الاحر مغاضبا لكلمات صدرت من ابن اشقيلولة اغضبته وجاء الخبر للسلطان يعقوب ان زعيم النصارى جمع جوعا كثيرة بضيق منها القضاء فرتب السلطان جيوشه للقاءه ثم التقوا وتقاتلوا قتالا شديدا وهزم الله النصارى هزيمة قبيحة حتى قال بعض المؤرخين ان المسلمين بعد ان هزموا يوم العقاب الذي كان في دولة الموحدين في مدة محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن مانصروا حتى دخل السلطان يعقوب ابن عبدالحق المربني الاندلس وقتل بهم وقتل الله زعيم النصارى في هذه الوقعة وكان اسمه ذنبة وقتل من جيشه اكثر من اربعين الفا وهزم الباقون شرهزيمة وملك السلطان من الاندلس رندة والجزيرة الخضراء وطريف وجبل طارق وغير ذلك واعز الله به الدين بعد قتل النصارى ولما قتل ذنبة زعيم النصارى في القتال المذكور بعث السلطان يعقوب رأس ذنبة الى ابن الاحر فقبل ان ابن الاحر طيبه واكرمه ورداه الى النصارى وجعل ذلك صنيعا عندهم وكرامة لهم وولاية اخلاصها لهم وكان ذلك منه اخرافا عن السلطان يعقوب قال ابن خلدون وظهرت شواهد عليه بعد حين ورجع امير المسلمين من غزوته الى الجزيرة منتصفا ربيع الاول من سنة فقسم الغنائم في المجاهدين وما اخذوه من اموال عدوهم وسبائهم واسراهم بعد اخراج الخمس لبيت المال على موجب الكتاب والسنة ليصرف في مصارفه وكان مبلغ الغنائم في هذه الغزوة مائة الف من البقر واربعة وعشرين الفا من الاسارى سبعة آلاف وثمانمائة وثلاثين اميرا ومن الكراع اربعة عشر الفا واما الغنم فثني كثير خارج عن الحصر وكذا السلاح واقام امير المسلمين بالجزيرة اياما

✽ غزوة أخرى ✽

بعد فراغ الغزوة السابقة ورجوع السلطان الى الجزيرة واقامته اياما خرج غازيان من الجزيرة الى اشبيلية فحاس خلال ديارها وتبع اقطارها ونواحيها واقطارها واثنى بالقتل والنهب في جهاتها وعمرانها ثم ارتحل الى شريش فاذاقها وبال العيث والاكتساح ثم رجع الى الجزيرة بعد شهرين ثم رجع الى المغرب من السنة المذكورة بعد ان رتب في الاندلس جيشا يقيم هناك ليدوم الغزو والجهاد للكفار

✽ غزوة أخرى لبنى مرين للاندلس ✽

في سنة ست وسبعين وستمائة تجهز السلطان يعقوب بن عبدالحق وصار يجموعه وازل بطريف آخر المحرم ثم ارتحل الى رندة ووافاه الرئيس ابو محمد ابن اشقيلولة صاحب مالقة واخوه ابو اسحاق صاحب قارش يريدان الغزوة ولم يأتها ابن الاحر محمد الفقيه صاحب غرناطة

ارتحل السلطان ومن معه الى منازل اشيلية وكان باشيلية اذ ذاك ملك الجلالة ابن اذفونش
نار وجبن عن اللقاء وبرز الى ساحة البلد محاميا عن اهله فرتب امير المسلمين جبوشه وجعل
بنه يوسف في المقدمة وزحف في التعبية فانهجز العدو الى البلد واقتحموا اثرهم في الوادى
انخنوا فيهم الى ان جاء الليل وبات العسكر ليلتهم على ظهور خيولهم وقد اضرموه النيران
ساحة العدو وضربوا الحصار عليهم وبثوا المرايا والغزوات في سائر النواحي حتى ابادوا
عمرانها وملكوا حصن قطيانه عنوة وكذا حصن جليانه وحصن القليعة وانخنوا في القتل
والسبي ثم ارتحل السلطان الى الجزيرة الخضراء بالغنائم فارتحل وقسم الغنائم في المجاهدين

غزوة اخرى

في منتصف ربيع الثانى من السنة المذكورة ارتحل السلطان من الجزيرة الخضراء غازيا الى شريش
فاذاقها نكال الحرب واقمر نواحيها وقطع اشجارها وحرق كثير من ديارها واعمالها ونواحيها
وانخن فيها بالقتل والاسر وتحصن العدو بمدينة شريش وجبن عن اللقاء فاراد السلطان اخذ
الاطراف ليسهل حصار البلد وبعث ابنه يوسف في سرية للاغارة على اشيلية وحصون الوادى
فبالغ في النكاية واكتسح حصن روطه وشلوقة وغليانه والقناطر ثم صبح اشيلية وانكف
الى امير المسلمين فقتلوا جميعا الى الجزيرة الخضراء فاراحوا وقسموا الغنائم في المجاهدين

غزوة اخرى

ثم لما كان السلطان بالجزيرة الخضراء حث المسلمين على غزو قرطبة ورغبهم في عمرانها وثروة
مساكنها وخصب بلادها فانهطفوا الى جانبه وارسل لابن الاجر يستنفره ودارت بينهما
مكاتبات فيها عتاب ذى به ما كان في نفس ابن الاجر فعزم على لقاء السلطان وخرج امير
المسلمين من الجزيرة الخضراء لاول جادى ووافاهم ابن الاجر بناحية ارشدونة فاكرم وصوله
فمنازلوا جميعا حصن بنى بشر وملكوه عنوة وقتلوا المقاتلة وسبوا النساء ونقلوا
الاموال وخربوا الحصن ثم بث السرايا والشارات في البسائط فاكنتحها وامتلأت
الايدى وأثرى العسكر وتقروا المنازل والعمران في طريقهم حتى احتلوا بساحة قرطبة
وانهجزت حامية العدو من وراء الاسوار وانبتت بعوث المسلمين وسراياهم في نواحيها
ففسدوا آثارها وخربوا عمرانها واكتسحوا قراها وضياعها وترددوا على جهاتها
وملكوا حصن بركونة عنوة ثم ارجونة كذلك وجبن العدو وعن اللقاء وأيقن بخراب العمران
فخرج الى السلم وارسل لامير المسلمين يطلب السلم فدفعه الى ابن الاجر وجعل الامر في ذلك اليه
تكرمة لمشهده ووفاء بحقه فأجابهم ابن الاجر الى الصلح بعد عرضه على امير المسلمين واذنه
فيه لما فيه من المصلحة وجنوح اهل الاندلس اليه منذ المد الطويلة فانهقد السلم وقفل امير
المسلمين من غزاته وجعل طريقه على غرناطة كرسي ملك ابن الاجر احتفالا به وخرج له امير
المسلمين عن الغنائم كلها فاحتوى عليها ابن الاجر وقال له السلطان يعقوب يكون حظ بنى
مري من هذه الغزوة الاجر والثواب مثل ما فعل يوسف بن تاشفين مع اهل الاندلس يوم
الذلاقة ودخل امير المسلمين الى الجزيرة الخضراء في اول رجب من العام المذكور فأراهم ونظر
في ترتيب المصالح على الثغور وكان بنو اشقيلولة مع امير المسلمين في هذا الغزو وفارقوه بعد فراغ

الغزو ولما قفلوا اعتل ابو محمد صاحب مالقة ثم مات غرة جادى من السنة المذكورة فلمحق
ابنه محمد السلطان آخر شهر رمضان وهو بالجزيرة فنزل للسلطان عن مالقة ودعا الى
احتيازها لانه رأى ابن الاحمر يطمع في انتزاعها منه ولا قدرة له على دفاعه وقال للسلطان
ان لم تحزها اعطيتها للفرنج ولا تملكها ابن الاحمر فقبلها السلطان منه وعقد عليها امير المسلمين
لابنه ابى زبال منديل ثم سار امير المسلمين اليها بعد انقضاء شهر الصيام فوافاها سادس شوال
وبرز اليه اهلها في يوم مشهود واحتفلوا له احتفال ايام الزينة سرورا بقدمه ودخولهم
في اياله واقام فيها الى خاتم سنته ثم عقد عليها لعمر بن يحيى وكان من صنائع دولتهم وانزل
معه المسالخ وزيان ابنه ابى عباد بن عبد الحق في طائفة من ابطال بنى مرين واستوصاه
بمحمد ابن اسقيلولة ولما علم ابن الاحمر ان امير المسلمين تملكها شق عليه ثم ارتحل السلطان
الى الجزيرة ثم الى المغرب سنة سبع وسبعين وستمائة وقد اهتزت الدنيا لقدمه وامتلاّت
القلوب بما اعطاه الله من نصر المسلمين لكن نشأ من تملكه مالقة غيظ لابن الاحمر وعظم عليه
الامر فتظاهر بطاغية النصارى واتفق معه على منع دخول السلطان الاندلس بعد هذه المرة
ان اراد ذلك فاغتم الطاغية مظاهرة ابن الاحمر له فنكث عهد امير المؤمنين واغزى اساطيله
الجزيرة الخضراء حيث مسالخ السلطان وعساكره واحتال ابن الاحمر على عامل مالقة فأخذها
منه وراسلوا بعض النصارى على السلطان بالمغرب وحشوهم على افساد الثغور واتصل الخبر
بأمر المسلمين وهو عراكش وبلغه ان المسلمين في الجزيرة الخضراء في شدة من ضيق الحصار
فعمد لانه على الغزو واغزى الاساطيل في البحر الى جهاد العدو

غزوة اخرى لبني مرين بالاندلس

لما بلغ امير المسلمين ما تقدم من نكث الطاغية المهد ومظاهرة ابن الاحمر فعمد السلطان لابنه
فوصل الى طنجة في شهر صفر من سنة ثمان وسبعين وستمائة واوغر الى البلاد البحرية لاعداد
الاساطيل بسبته وطلجة وسلاو قسم الاعطآت واستفر الناس فتوفرت همم المسلمين على
الجهاد وصدقت عزائمهم على الموت ولما رأى ابن الاحمر ما نزل بالمسلمين في الجزيرة الخضراء
من حصار الطاغية لها واشرافه على اخذها اخذت الحجة الاسلامية واعد اساطيله وكانت
اثني عشر وبشر مددا للمسلمين واغاثة لهم وكانت اساطيل امير المسلمين تناهز السبعين في
البحر وسبعين وبعث الامير صاحب سبته خمسة واربعين اسطولا واساطيل الطاغية تناهز
اربعمائة وتلاقوا مع العدو واخلصوا لله عزائمهم وصدقوا في نياتهم ووعظهم خطباؤهم
والتحم القتال ونزل الصبر فلم يكن الا كلا ولا حتى نضحوا بالدم وبالنبل فانكشفوا وتساقطوا
في البحر فاستلحمهم السيف وغشيم اليم وملك المسلمون اساطيلهم ودخلوا مرفأ الجزيرة
وفرضتها عنوة فاختل عسكر الطاغية ودخلهم الرعب وخرج الناس المحصورون من البلد
وانتشرت النساء والصبيان بساحته فقتلوا كثيرا من الحنطة والادام والفواكه حتى ملؤا
اسواق البلد من ذلك اياما واجاز الامير يوسف من حينه الى الاندلس وارهب العدو في كل
ناحية ثم صده عن التوسع شأن الغنة مع ابن الاحمر فرأى ان يعقد مع الطاغية صلحا ويصل
بهذا ليعزل غرناطة كرسى ملك ابن الاحمر فأجاب الطاغية الى ذلك رهبة من بأسه وموجدة

على ابن الاحمر في اعداده المدد لاهل الجزيرة وتظاهر الطاغية بالعداوة لابن الاحمر وبعث
الطاغية اساقفته لعقد الصلح فأجازهم الامير يوسف الى ابيه امير المسلمين فغضب لذلك وأنكر
على ابنه ولم يرض بما اراده ابنه وزوى عنه وجده رضاه وارجعهم الى طاغيتهم مخفي
السعي وجاء اهل الجزيرة الخضراء الى امير المسلمين فلقوه بأرض السوس فولى عليهم ابنه
ابا زبال منديل فنزل بالجزيرة واتم الصلح مع الطاغية ونازل المربة برا وبحرا وكانت لابن
الاحمر فامتنع اخذها عليه وانصوى اليه اهل الحصون القريبة بطاعتهم خذرا من الطاغية
فتقبلهم ونازل الطاغية ابن الاحمر بغرناطة وحاصره فراجع ابن الاحمر رسالة بني مرين
وبعث لابي زبال ابن السلطان في طلب الصلح فأنهى الامر الى ابيه فأشفق السلطان على
المسلمين وعلى ما نال ابن الاحمر من منازل الطاغية فراسله السلطان الى ان تم الصلح بينه وبين
ابن الاحمر وارتحل الطاغية من غرناطة واشترط السلطان على ابن الاحمر ارجاع مائة للسلطان

✽ غزوة اخرى ✽

من لطف الله بالمسلمين وعنايته ببني مرين ان اوقع الخلف بين الطاغية ابن اذفونش وابنه
شانجة حتى سلب اياه ملكه وتقلب عليه فوفد على السلطان بطارقة الطاغية وزعماء دولته
مستصرخين على ابنه شانجة مخبرين بأنه خرج على ابيه في طائفة من النصاري فغلبوه
على امره فجاءوا يطلبون النصرة من امير المسلمين ليرجع للطاغية ملكه وينزعه من ابنه
ففرح امير المسلمين باقتراحهم وأحب الدخول الى الاندلس ليقضي مأربه من جهاد الكفار
فأجاب امير المسلمين رسل الطاغية ووعدهم بالقيام مع الطاغية ليرجع ملكه اليه وينزعه من
ابنه الغاصب له فأوغر الى الناس بالجهاد وامرهم بالتفريق وجهاز الجيوش واجاز الى الجزيرة
الخضراء فاحتل بها في ربيع الثاني سنة احدى وعشرين وستمائة واجتمعت عليه مسالح الثغور
بالاندلس وسار حتى نزل محبرة عباد فوافاه الطاغية بنفسه ذليلا لاهل الاسلام وملا صريح السلطان
فاكبر وفادته وأكرم موصله وعظم قدره وذكر ابن خلدون وابن الخطيب ان هذا الطاغية
لما اجتمع بالسلطان يعقوب قبل يده اعظم ما لقدرة وخضوعا لعزده فدعا السلطان بماء فغسل يده
من تلك القبلة بمحضر من كان هناك من جوع المسلمين والفقر والتمس الطاغية من السلطان
ان يمد يده بشيء من المال يستعين به فأمده لتفقاته مائة الف من مال المسلمين استرهن فيها الطاغية
تاجه وبقي بيد المسلمين فخر الالاعاب ودخل السلطان معه دار الحرب حتى نازل قرطبة وبها
شانجة ابن الطاغية الخارج على ابيه السائب الملكة فقاتلها ابائا ثم تنقل في جهاتها ونواحيها
وارتحل الى طليطلة فقات في جهاتها وخرّب عمرانها حتى انتهى الى حصن مجريط من اقصى
الثغر فامتلات ايدي المسلمين من الغنائم وضاق معسكره منه وارجع السلطان الى الجزيرة فاحتل
بها الشعبان من السنة ولما اتصلت يد السلطان بيد الطاغية خشي ابن الاحمر غائتته فجرح الى
موالاة شانجة الخارج على ابيه ووصل يده يده واكد له العقد واضرمت له الاندلس نارا
وقنعة ولم يبق ذلك شانجة شيئا فلم يزل السلطان مع الطاغية حتى ظهر على ابنه وذلك ان السلطان
كان اشترط على ابن الاحمر ارجاع مائة فلم يفعل فنهض السلطان الى مائة ونازلها فاقام ثنتين
وعشرين فتغلب على الحصون القريبة ثم حاصر مائة فضايق النطاق على ابن الاحمر فالتجأ الى

الإمير يوسف ابن السلطان وخطابه مستصرا لرفع هذا الخرق وجمع كلمة الاسلام فأجابه وأجاز لشهر صفر فوافى السلطان امير المسلمين بمسكركه على مالقة ورغب منه السلم لابن الاحمر والتجافي عن مالقة فأسعف رغبة ابنه لما يؤمل في ذلك من رضا الله في جهاد عدوه واعلاء كلمته وانعقد السلم وانبسط امل ابن الاحمر وتجددت عزائم المسلمين وقفل السلطان الى الجزيرة وبث السرايا في دار الحرب فأوغلوا وانحنوا ثم استأنف الغزو بنفسه الى طليطلة فخرج من الجزيرة غازيا غرة ربيع الثاني من سنة ثنتين وثمانين وستمئة حتى انتهى الى قرطبة فأثنى وغنم وخرب العمران وافتتح حصونا ثم رجع الى الجزيرة في شهر رجب وقسم الغنائم ثم رجع الى المغرب وفي فاتح سنة ثلاث وثمانين بلغه مهلك الطاغية ابن اذفونش واجتماع النصرانية على ابنه شانجة الخارج على ابيه فتحركت الى الجهاد عزائم السلطان

✽ غزوة اخرى ✽

في سنة ثلاث وثمانين عزم السلطان على جهاد العدو بالاندلس فجمع الجيوش ونهض ثم مر اكش في شهر جادى الآخرة واحتل برباط الفتح متصرف شعبان فقصى صومه ثم سار الى الجزيرة الخضراء الى خاتمة سبته ثم أجاز البحر بنفسه غرة صفر من سنة اربع وثمانين ولما انتهى من بلاد العدو وبث السرايا والغارات في جميع النواحي فأثنى القتل والتخريب والسبي ففسد من الذرية وركب غازيا بنفسه كثيرا من تلك الجهات وجرى في هذه الغزوات ما يطول الكلام بذكره وتمداد الجهات والحصون التي اخربوها وسلبوا ما فيها وبقي النصراني متحصنين في حصونهم المنيعة لا يقدر على المباشرة للقتال ولا على الخروج من حصونهم فاستيقن الطاغية شانجة واهل ملته ان بلادهم قد فثيت وارضهم قد خربت وتبينوا العجز عن المدافعة والحماية فجنحوا الى السلم وضرعوا الى امير المسلمين في كف ما دبت عنهم واجتمع النصاري الى طاغيتهم شانجة خاشعة ابصارهم وسألوه ان يبعث الى امير المسلمين الملائم كبار النصاري يسألونه الصلح فأجابهم شانجة الى مادعوه اليه فأوفد الى امير المسلمين وفدا من بطارقهم وكبار دولتهم فردهم امير المسلمين اعترافا عليهم فأعادهم الطاغية بترديد الرغبة على ان يشترط امير المسلمين ماشاء من عزدنيه وقومه فأسمفهم امير المسلمين لما يتيقن عن ذلهم لعز الاسلام ولانه اراد الرجوع الى المغرب لاصلاح ما فسد من الرعايا بقيام بعض اثوار الخارجين عن طاعته فمقد الصلح مع طاغية النصاري واشترط عليهم ما اراد من ذلك انهم يقفون عند مرضاته في ولاية جيرانه من الملوك او عدائوتهم ورفع الضريبة عن تجار المسلمين المقيمين بدار الحرب من ممالكهم وترك التضريب بين ملوك المسلمين والدخول بينهم في فتنة

✽ ذكر وفادة الطاغية على السلطان ✽

لما رجعت رسل الطاغية اليه بمذعق الصلح وفد على الطاغية رسل ابن الاحمر ابعد السلم معه دون امير المسلمين وان تكون يده ويده واحدة على السلطان فأخبرهم بما عقده مع امير المسلمين ثم قال هذا امير المسلمين ولست اطيق مقاومته ولا دفاعه عنكم فانصرفوا ثم اشار عليه بعض رجال دولته بالوفادة على امير المسلمين لتمكن الالفة فقبل اشارتهم والتقى قبل ذلك بولى عهد امير

ابن وهو ابنه يوسف وكان نازلا على فراسخ من شريش فلقبه وبات في معسكر المسلمين ثم ارتحل من الغد لقاء امير المسلمين فامر المسلمين بالاحتفال لقاء الطاغية وقومه واظهار شعار الاسلام وابتهته فاحتفلوا واظهروا عزالملة وشدة الشوكة ووفور الحماية فلقبه امير المسلمين باحسن مبرة واتم كرامة يلقي بهامثله من عظماء الملل وقدم هدية سنية لامير المسلمين وابنه فقبلاها منه وقابلاه بكفائها ومضاعفتها وكل عقد الصلح وتقبيل الطاغية سائر الشروط ورضى بعز الاسلام وانقلب الى قومه وسأله السلطان ان يعثله من كتب المسلمين التي استولى عليها النصاري فلما رجع بعث اليه ستة عشر رجلا وقفل امير المسلمين الى الجزيرة في آخر شعبان وصام بهار رمضان ثم اعمل نظره في الثغور وترتيب المسالخ ثم اعتل وهو بالجزيرة واستمر به المرض الى ان توفي لا آخر المحرم من سنة خمس وثمانين وستمائة فكانت مدة ملكه تسعا وعشرين سنة وكان ابنه ولي عهده في اقصى المغرب بمعه ابوه اتفق الاخوان وهو ابو يعقوب يوسف بن يعقوب بن هبدالحق فأخذ البيعة له ووزراء ابية وعظماء قومه وحضر بنفسه في شهر صفر فأخذوا البيعة على الخاصة والعامة وكان اول شيء احدث من امره ان بعث الى ابن الاحمر وضرب موعدا للقاء فبدر اليه واقبه بظاهر مريالة لاو لربيع فلقبه هو بمزة وتكريم وتجاوز له عن جميع الثغور الاندلسية التي كانت للملكة والده السلطان يعقوب ماعدا الجزيرة وطريف وتقرقا على اكل حالات المصافات والوصلة ورجع السلطان يوسف الى الجزيرة فواظم بها الطاغية شائخة فجددوا عقد السلم الذي عقده امير المسلمين يعقوب رحمه الله فأجاباه

✽ غزوة اخرى ✽

في سنة سبع وثمانين غزا الخبر للسلطان يوسف بن يعقوب بان الطاغية انتفض العهد ونجاوز التخوم واغار على الثغور فارسل السلطان الى قائد المسالخ بالاندلس ان يدخل الى دار الحرب وينازل شريش وبشن الغارات على بلاد الطاغية فنهض لذلك وجاس خلاها وتوغل في افطارها وابلغ في النكاية وفصل السلطان في ربيع الآخر سنة تسعين من تازي غازيا واستنفر اهل المغرب وقبائله فنفروا وتفرع في اجازتهم البحر وبمت الطاغية اساطيله فالتقوا مع اساطيل السلطان في شعبان فاقتتلوا وانكشف المسلمون ووقعت عليهم هزيمة قدرها الله عليهم واستشهد كثير منهم محصهم الله تعالى ثم اغزاله ثانيا فحبت اساطيل الطاغية عن اللقاء ثم ملكتها اساطيل السلطان

✽ غزوة اخرى ✽

ثم أجاز السلطان بنفسه في اواخر رمضان سنة احدى وتسعين واحتل بطريف ثم دخل دار الحرب غازيا فنازل حصنا منيعا ثلاثة اشهر وضيق عليهم وبث المرابي في ارض العدو ورد الغارات على شريش وسبيلية ونواحيها الى ان بلغ الغاية في النكاية للعدو والاثخان وقضى من الجهاد وطرا وزاحه فصل الشتاء وانقطع الميرة عن العسكر فافزع عن الحصن ورجع الى الجزيرة ثم أجاز الى القرب فاتح سنة اثنيتين وتسعين

✽ غزوة اخرى ✽

في سنة اثنيتين وتسعين نظهر ابن الاحمر والطاغية واتفقا على منع السلطان ان اراد الجنى

بعد المرة السابقة وسبب ذلك انه لما أجاز السلطان الى الاندلس سنة احدى وتسعين وابلغ
من نكاية العدو اهم الطاغية أمره وثقلت عليه وطأته وحذر بن الاحمر ايضا غائلة
السلطان ورأى ان مغبة حاله الاستيلاء على الاندلس وان يغلبه على أمره ويستلبه ملكه
ففاوض الطاغية وتحدثوا ان استمكنه من الاجازة اليهم انما هو لقرب مسافة بحر الزقاق
وانتظام ثغور المسلمين حواله فان ذلك يسهل عبور شوانهم وسفنهم وان ام تلك الثغور
طريف وانهم اذا استمكنوا منها وملكوها من المسلمين تكون اساطيلهم برفاهة بمرصاد اساطيل
المسلمين فتمنع عبورها فاعتزم الطاغية على منازلة طريف ليمتلكها وزعمه ابن الاحمر
مظاهرتة على ذلك ووعدته بالمدد وارسال الميرة لاقوات العسكر ايام منازلتها ووعدته
الطاغية انها تكون لابن الاحمر ان خلصت من ايديهم فأتاها الطاغية بعساكر النصرانية
على طريف والح عليها بالقتال ونصب الآلات واحتلت اساطيله ببحر الزقاق فخالوا بين
صريح المسلمين ووصله الى السلطان وجمع ابن الاحمر عساكره على طريف وهبأها قريبا منه
وسرب اليه المدد من السلاح والرجال والميرة من الاقوات واتصلت هذه الحال اربعة اشهر حتى
اصاب اهل طريف الجهد ونال منهم الحصار غاية المشقة فراسلوا الطاغية في الصلح والنزول عن
صغر من سنساحلهم واعتز لهم ووفى لهم بعهده واستشف ابن الاحمر ان الطاغية يسلمه طريف حسبا
البلد وجمع النواحي وحبوه وجمع اليه واستأثر بها بعد ان كان ابن الاحمر لا يرضى بالطاغية عن
كان الوعد بينهما فأعرض الطاغية عن سبب ذلك لان ابن الاحمر لا يرضى بالطاغية عن
سنة من الحصون عوضا عنها ففسد ذات بينهما ورجع ابن الاحمر يطلب التمسك بالسلطان ليستعين
به على الطاغية فأوفد ابن عمه ابوسعيد ووزيره ابالسلطان الداني في وفد من رجال دولته على
السلطان لتجديد العهد وتقرير المعذرة فوافوا السلطان فقبلهم وقبل ما اعتذروا به وأحكموا
الصلح ورجعوا لابن الاحمر باسما غرضه من المواخاة وقد ذكرنا فيما تقدم انه كان جيش لبني
مرين مقيم بالاندلس دائما لغزو فقدر الله ان في خلال ذلك توفي قائد الجيش الذي بالاندلس
لبني مرين فعقد السلطان لابنه ولي عهده ابى عامر على ثغور الاندلس التي في طاعته مع النظر
في امر الجيش الذي بالاندلس وانفذه الى قصر المجاز بعساكر فوافاه ابن الاحمر هناك وقدم له
هدية وللسلطان هدية ايضا فلقاه الامير ابو عامر واحتفل في مبرته ثم قدم ابن الاحمر على السلطان
فوافاه بطنجة فبالغ في تكريمه وبسط له ابن الاحمر العذر في شأن طريف فقبل عذره ووزنه
ابن الاحمر عن الجزيرة ورندة والغربية وعشر بن حصنا من ثغور الاندلس كانت قبل ذلك
لسلطان المغرب وعاد ابن الاحمر الى الاندلس خاتمة سنة ثنتين وتسعين محبوا مجبورا وأجازت
عساكر السلطان معه لحصار طريف وعقد السلطان على حربها لوزيره عمر الخرباش فنازلها
مدة فامتنع عليه اخذها ففرج عنها وهلك الطاغية شائخة سنة ثلاث وتسعين وستمائة واجتمع
النصارى على ابنه اذفونش هراندة وحصل قيام نائرين من المسلمين بتلسان خرجوا عن طاعة
السلطان فاعتزم السلطان على التجهيز والمسير اليهم بنفسه وانتشر بذلك فتنة يظول الكلام
بذكرها فسار السلطان يبعث اليهم وطالت تلك الفتنة الى سنة احدى وسبعمائة ومات ابن
الاحمر في هذه السنة بالاندلس وقام بالامر بعده ابنه محمد المعروف بالخلوع بن محمد التقي بن محمد
الشحن بن يوسف بن نصر وبمات ولده للسلطان بتلسان فحكموا الامر والعهد بينهما وكتب

السلطان الى رجاله القيمين بغور الاندلس في اعانتهم وامدهم بالرجال سنة ثنتين وسبعمائة فكانت
لهم نكاية في العدو ثم بدال ابن الاحر محمد المعروف بالخلوع ان يصل يده بالطاغية هراندة بن شاذبة
فكاتبه واحكم عقدا السلم بينه وبينه واتصل الخبر بالسلطان وهو محاصر لتلمسان فسخطه
واستغره الصرخ فبعث ابنه ابا سالم لشد تلك الفرجة وجع اليه العساكر واستعد ابن الاحر
لمدافعة ابن السلطان فدخل اهل سبتة في خلع السلطان والقبض على عامله فتم له ذلك فسار
ابو سالم ابن السلطان بعساكره الى سبتة وحاصرها مرة ثم يتو له ليلة فاختل معسكره فأفرح عنها
منهزما فسخطه السلطان واعتزم على النهوض لذلك بنفسه الا انه قد اشرف على فتح تلمسان
فلم يكنه النهوض بنفسه وكانت هذه القصة متسلا بمضها ببعض وانجر الامر فيها الى سنة ست
وسبعمائة فقدر الله بهلك السلطان يوسف وهو محاصر لتلمسان طعنه خصي من عبيده وهو على
غفلة بمواطاة وزير من وزراء السلطان ثم صار الاختلاف الكثير بين اولاده واختلف بنو مرين
فبين يختارونه للملك منهم وبايعوا بعضهم ثم خلعوه وبايعوا آخر ثم خلعوه وبايعوا آخر من
اخوته والكلام على ذلك طويل لاحاجة بنا الى ذكره ووقعت بينهم مع بعضهم قننة هائلة واستمر
الامر بينهم الى سنة عشر وسبعمائة فاستقر الملك لاسي السلطان يوسف الملعون واخوه الذي
استقر الامر له هو ابو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق وفي خلال هذه الفتن قتل بالاندلس
ابو الجيوش نصر بن محمد الفقيه اخاه محمد المخلوع بن محمد الفقيه بن الاحر وذلك سنة ثمان قنار
عليه ابن عمه ابو الوائد اسماعيل بن فرج الملقب بالرئيس ابن سعيد بن اسماعيل بن يوسف بن نصر
وانقطع الملك عن اولاد محمد الشيخ بن يوسف بن نصر وصار في اولاد ابن سعيد فرح الرئيس
ابن اسماعيل بن يوسف بن نصر لانه لما ناز ابو الوائد على ابني الجيوش صالحه ابو الجيوش سنة
سبع عشرة وسبعمائة على الخروج الى وادي آش فلحق بها وجدده بها ملكا الى ان مات سنة
ثنتين وعشرين وسبعمائة ودخل ابو الوائد غرناطة فأصل لنفسه وبنيه ملكا وفي هذه المدة التي
كانت فيها هذه الفتن اغتتم الطاغية الفرصة ونازل الجزيرة الخضراء ثم أقبل عليها على صلح بعد
ان اذنت له الحصار شدة وبعده نازل جبل الفتح المسمى جبل طارق وتقدم ان طارقا هو اول من
سكن الجزيرة وتسميه العامة الآن جبل الطار فتغلب عليه الطاغية وتملكه وذلك سنة تسع
وسبعمائة وراسل هراندة ابن اذفونش مع صاحب برشلونة وامره ان يشغل اهل الاندلس
من ورائهم فنزل المرية وحاصرها ونصب عليها الآلات وحفر العدو تحت الارض سر باقدار
ما يسير فيه عشرون راكبا وتفتن المسلمون لذلك فاحتفروا قبائلهم مثله الى ان نفذ بعضهم الى بعض
فاقتتلوا من تحت الارض وبعث ابن الاحر عسكرا مددا لاهل المرية ونبذ عهد الطاغية فلقبهم جمع
للا نصارى كان الطاغية بعثهم لحصار مرشانة فهزهم عسكرا بن الاحر واستلحمهم ونزل قريمان
معسكر الطاغية واقامت عسكرا الطاغية على سمائة واسطبونة وزحفت عسكرا بن مرين المقيون
بالاندلس للجهاد على عسكرا اسطبونة وقتلوا قائده الفتح وثلاثة آلاف من قومه ودخل بعض
عسكرا المسلمين برجين فحاصروهم جوع النصارى فجاء مدد للمسلمين فانقض النصارى المحاصرون له
وكان الطاغية بظاهر الجزيرة فارتحل يريد لقاء مدد للمسلمين فخالف اهل البلد الى معسكره وانتهبوا
محلاته وفساطيطه وصار للمسلمين الكرة وامتلأت ايديهم من غنائمهم وأسرهم ثم هلك

الطاغية أثناء هذه الهزائم سنة ثنتي عشرة وسبعمائة وهو هراند بن شانجة وولي بعده ابنه الهشة وكان طملا صغيرا جعلوه تحت نظر عمه دون بطرة ابن شانجة مع زعيم للنصارى اسمه جوان فكفلاه واستقام أمرهم على ذلك وشغل السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبدالحق ملك المغرب بشأن ابنه على فانه خرج على أبيه وكان بينهما ما يطول ذكره فاغتنم النصارى الفرصة وقوى أمرهم بالاندلس فرحفوا على غرناطة كرسى سلطنة ابن الأحمر سنة ثمانية عشرة وسبعمائة واناخوا عليها بمسكرهم وأعمهم فبعث أهل الاندلس صريخهم إلى السلطان أبي سعيد وهو في شغله فيما كان بينه وبين ابنه وكان بالاندلس كما تقدم جيش ابنى مرين جعلوه مقبلا دائما بالاندلس لقصص الجهاد ودفع العدو وكان الرئيس على أوائل المجاهدين عثمان بن أبي العلا ادريس بن عبد الله بن عبدالحق المريني فلما جاء صريخ أهل الاندلس للسلطان أبي سعيد اعتذر إليهم السلطان بسبب ما هو مشغول به من أمرايته واعتذر إليهم أيضا بوجود عثمان بن أبي العلا رئيس الجيوش بالاندلس وكان له قوة ورئاسة وكان السلطان يخشى منه التغلب على السلطنة فتفرق كلمة بنى مرين فشرط عليهم أن يقبضوا على عثمان بن أبي العلا ويدفعوه إليه برمه فيبقى عنده ويعتزل إليهم من يقوم بتدبير جيوش بنى مرين بالاندلس مع ما يمكنه من إرسال العساكر ثم إذا تم الجهاد يعيد ابن أبي العلا إليهم احتياطا على المسلمين لئلا تفرق الكلمة فلم يمكنهم ذلك لثورة رياسة عثمان بن أبي العلا بمصائبه من قومه فأخفق سعي هؤلاء المستصرخين بالسلطان ولم تحصل لهم نجدة منه واطالت أم النصرانية الحصار على غرناطة واكثر الجيوش وطمعوا في تملكها ثم إن الله تعالى نفس مختهم ودافع يد قدرته كما استراه مذكور الحلاف في هذه الغزوة العظمى

✽ غزوة عظمى ✽

لما أراد الله حصول النصر والفرح للمسلمين الذين حاصروهم العدو بغرناطة سنة ثمان عشرة وسبعمائة وفق الله شيخ الغزاة من بنى مرين القيمين بالاندلس للجهاد وهو عثمان بن أبي العلا المتقدم ذكره حتى كان النصر بسيد واما انه فكانت هذه من الغرائب والعجائب بل هي من اعظم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم في نصرته الله لآمنه والقصة طويلة ولحقها ان انصارى عزموا في ذلك العام على امتياع المسلمين واخراجهم من الاندلس بحيث لا يبقى شئ من الاندلس تحت يد المسلمين فتجهزوا لغزو غرناطة التي فيها أبو الوائد اسماعيل بن الأحمر وأنها الطاغية دون بطرة في جيش لا يحصى ومعه خمسة وعشرون ملكا من ملوك الفرنج وكان النصارى وملوكهم قبل ذلك رحلوا إلى من يرجعون إليه في دينهم وهو البابا صاحب رومة فدخل ملكهم دون بطرة صاحب طليطلة على البابا وسجد له وتضرع وطلب منه استيصاله من بقى المسلمين بالاندلس وأكد عزمه فقلق المسلمون بغرناطة وغيرها وعزموا على الاستنجاد بالسلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبدالحق المريني صاحب فاس ومراكش وأنفذوا إليه رسلا فاعتد منهم كما تقدم بيانه فرجعوا إلى اعظم الادوية وهو الالتجاء إلى الله تعالى واخلصوا النيات مع حصول غاية الاضطرار واقبل الافرنج في جوع لا تحصى فتضى ناصر من لا ناصر له سواه بهزيمة جيش النصرانية وقتل طاغيتهم دون بطرة ومن معه وكان نصرا عزيزا ويوما مشهورا مشهورا وكان سلطان الاندلس اذ ذاك الغالب بالله أبو

الوليد اسماعيل ابن الرئيس ابي سعيد فرح بن اسماعيل بن يوسف بن نصر المعروف بان
الاجر وشيخ الغزاة المقيم بالاندلس من بني مرين الشيخ العالم ابو سعيد عثمان بن ابي العلا
ادريس بن عبد الله بن عبد الحق المريني فاجتهد ابن الاجر في تحصين البلاد واشغور فلما بلغ
النصارى ذلك التحصين عزموا على منازلة الجزيرة لخضراء فانتدب ابن الاجر لردهم وجهز
الاساطيل والرجال فصاروا ذلك عزموا على استيصال المسلمين وتوجهوا الى طليطلة ليكملوا
التأهب بذلك فأعدوا غاية الإهبة ووصلت الاثقال والمجانيق وآلات الحصار والاقوات
والمراكب ووصل العدو الى غرناطة كرسى ملك ابن الاجر وامتثلت الارض منهم فتمتدح ابن
الاجر الى شيخ الغزاة ابي سعيد عثمان بن ابي العلا وسأله لخروج للجهاد واجاد المسلمين بمن
معه من الغزاة والشجعان فخرج اليهم يوم الخميس الموفى عشرين من ربيع الاول سنة تسع
عشرة وسبعمائة ولما كانت ليلة الاحد اغارت سرية من العدو وعلى سرية من المسلمين فخرج
اليهم جماعة من فرسان الاندلس الرماة فذتطعهم عن الجيش وفرت تلك السرية امامهم الى
جهة سلطانهم فقتلهم المسلمون الى الصبح فاستأصلوهم فكان هذا اول النصر ولما كان يوم
الاحد ركب شيخ الغزاة اتت ل العدو وفي خمسة آلاف من ابطال المسلمين المشهورين فلما شاهدتهم
الفرنج عجبوا من اقوامهم معقتهم في تلك الجيوش العظيمة فركب النصارى بحملتهم وحاولوا
عليهم فقاتلهم المسلمون اشدا القتال وهزم الله الفرنج اقعح هزيمة وأخذتهم السيوف وتبعهم المسلمون
يقتلون ويأسرون ثلاثة ايام وقتل الله دون بطرة ملك النصارى وقتل الملوك الخمسة
والعشرين الذين كانوا معه جرحهم وخرج اهل غرناطة لجمع الاموال واخذوا لاسرى فاستولوا
على اموال عظيمة منها من اذهب ثلاثة ولوبون قطارا ومن الهضة مائة واربعون قطارا
ومن السبي سبعة آلاف وكان من جملة السبي امرأة الطاغية واولاده فبذلت في نفسها مدينة
طريف وجبل القنقح وثمانية عشر حصنا لم يقبل المسلمون ذلك وزادت عدة القتلى من النصارى
في هذه الغزوة على خمسين الفا ويقل انه هلك منهم بالوادى مثل هذا العدد لهدم معرفتهم
بالطرق واما الذين هلكوا بالجبال والشعاب فلا يحصون واستمر البيع في الاسرى والاسباب
والدواب ستة اشهر ووردت البشارة بهذا النصر الى سائر البلاد ومن العجب انه لم يقتل من
المسلمين والاجناد سوى ثلاثة عشر فارسا وقيل عشرة انفس وكان عسكر المسلمين خمسة
آلاف وخمسمائة منهم الف وخمسمائة فارس واربعه آلاف رجالة وكانت العزيمة تفوق الوصف
وسلح الطاغية دون بطرة وحشي جلده قطنا وعلق على باب غرناطة وبقي معلنا سنوات
وطلب النصارى الهدنة فعدت لهم وكانت هذه الغزوة سنة تسع عشرة وسبعمائة وكانت
وفاة شيخ الغزاة عثمان بن ابي العلا سنة ثلاثين وسبعمائة وعمره ثمان وثمانون سنة واستوفى
في المشهور سبعمائة واثنين وثلاثين غزوة رحمه الله تعالى ورضى عنه وكتبوا على قبره ترجمة
طويلة تدل على علو شأنه في العلم والعمل والاخلاص في الجهاد وكانت وفاة ابن الاجر سنة
سبع وعشرين وسبعمائة وولى بعده ابنه ابو الفاج يوسف وتوفي السلطان عثمان المريني سنة
احدى وثلاثين وسبعمائة وولى بعده ابنه ابو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني

ذكر استخلاص جبل الفتح من النصارى

قد تقدم ان الطاغية تلك جبل الفتح سنة تسع وسبعمائة وكان هذا الجبل للمسلمين من احسن الثغور وكان شجافى حلق العدو وهو فاصل بين افرقية والاندلس فأهم المسلمين شأنه وكان ابن الاحمر قدم على السلطان في سنة اثنتين وثلاثين فأكبر مقدمه واركب المسلمين للقائه وباغ في اكرامه فتذاكر معه في شأن استخلاص الجبل المذكور فاتفقا على التجهيز لاستخلاصه فأمر السلطان ابو الحسن بالتجهيز لاستخلاصه وعقد لابنه الامير ابى مالك على جيش من بنى مرين وانفذ معه ابن الاحمر لمنازلة الجبل فاحتل بالجزيرة وتابع اليه الاسطول بالمدد وارسل ابن الاحمر حاشرين في الاندلس يحجمون الناس ويستنفرونهم لذلك فتسايلاوا اليه واجتمع معسكرهم جيبا بساحة جبل الفتح وأبلوا في حربه ومنازلاته بلاء حسنا الى ان تغلبوا عليه وملكوه سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة واقتحمه المسلمون عنوة وقتلوا من كان به من النصراينة وغنوا ما كان معهم ووافاهم الطاغية ومعه امم كثيرة مددا لقومه بدمضى ثلاثة ايام من الفتح وقد شجنته المسلمون بالاقوات ونقلوها من الجزيرة على خيولهم ولما وصل الطاغية اتاخ بجيوشه عليه وبرز ابو مالك بمساكره فنزل بمخاضه ونزل ايضا عسكر الاندلس بمخاض الطاغية وتحصن العدو في محلتهم فبادر ابن الاحمر الى لقاء الطاغية وسبق الناس الى فسطاطه وتلقاه الطاغية راجلا حاملا اعظاماله فسأله ابن الاحمر الافراج عن هذا المعتقل فرأى الطاغية ان تملكه الجبل وانترأعه من المسلمين شديد عسر عليه فأجاب ابن الاحمر الى ماسأل وأتخفه بذخائر ماله وارتحل لغوره واخذ الامير ابو مالك في تضييق اطراف الثغر وسد فرجه وانزل الحامية به ونقل الاقوات وكان هذا الفتح فتخاطق دولة السلطان ابى الحسن فلاة الفخر طول الدهر وكانت مدة منازلة المسلمين الى ان ملكوه سنة اشهر ثم اراد السلطان ابو الحسن ان يحصن سفح الجبل بسور محيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع العدو في منازلاته ولا يجد طريقا للتضييق عليه عنده محاصرته ورأى الناس ذلك من المحال فأثفق السلطان كثير من الاموال وارضى العمال حتى بنى سورا احاط بمجموعه احاطة الهائلة بالهلال ثم زاد في التحصين بعده ابنه ابو عنان

ذكر غزوة للسلطان ابى الحسن الى الاندلس

كان السلطان ابو الحسن بعد استيلائه على جبل الفتح اشتغل بقتل جماعة ثأرين عابه بتلسان واستمر ذلك الى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة فرجعوا الى طاعته فتوجهت همته بعد ذلك لغزو النصارى بالاندلس فقصدا ولا ولاية ابنه ابى مالك على تغور عمه بالاندلس وصرفه اليها وكان الطاغية مدة اشتغال السلطان بقتال اهل تلسان قد اعترى على المسلمين وتازل السلطان ابى الوليد ابن الاحمر بغرناطة مرارا ووضع عليه جزية فتقبلها اهدم قدرته على دفاعه واقبل الطاغية على اتهام المسلمين بالاندلس فلما فرغ السلطان ابو الحسن من شأن اهل تلسان دعت نفسه الى الجهاد فأوغر الى ابنه الامير ابى مالك امير الثغور سنة اربعين بالدخول الى دار الحرب وجهز اليه عساكر كثيرة ثم شخص بنفسه غازيا فتوغل في بلاد الطاغية واكتسحها واكثر القتل والسبي وغنم عساكره غنا ثم كثيرة فلما شرع

في الرجوع عن ارضهم اتصل به الخربان النصاري جموا له وأجدوا السير في اتباعه فشار
 عليه وزراؤه بالخروج من ارضهم وان يصير الى مدن المسلمين ويتحصن بها فامتنع من الرجوع
 وكان قرمانا بئرا لانه غير بصير بالحروب لصغر سنه فصحبهم عساكر النصرانية في مضاجعهم قبل
 ان يركبوا وادركوا الأمير ابامالك قبل ان يركب على فرسه فقتلوه وكتب الله الشهادة وقتلوا
 كثيرا من قومه واحتنوا على عسكره بما فيه من الاموال ورجعوا على اعقابهم واتصل الخبر
 بالسلطان ابى الحسن ففجع لهلاك ابنه واسترجع واسترحله واحتسب عند الله اجره وشرع في اجازة
 العساكر للجهاد وتجهيز الاساطيل وفتح ديوان العطاء وعرض الجند وأراح عيالهم واستنفر اهل
 المغرب وارتحل الى سبتة لياشر أحوال الجهاد فتساعت لهم النصرانية بذلك فاستمدوا للدفاع
 وأخرج الطاغية اسطولها الى الموضع المعروف عندهم بالزقاق لينزع السلطان من الاجازة واستحث
 السلطان اساطيل المسلمين من مراسى العدو وبعث الى ملوك بني حفص بافريقية بتجهيز اسطولهم
 اليه فبعثوا اليه عشرين اسطولا مشحونة بالعساكر وتوافت اساطيل المسلمين بسبتة تناهز
 المدة فاجزوا اسطول النصاري التي بالزقاق وزحفوا عليهم وتوافوا مليا ثم قربوا الاساطيل
 بعضها الى بعض وقرنوها للمصاف فلم يرض الاقليل حتى هبت ريح النصر واطفر الله المسلمين
 بدمهم وخالطوهم في اساطيلهم واستلحموهم ضربا بالسيوف وطعنا بالرماح والقوا السلاهم
 باليم وقتلوا قائلهم واستاقوا اساطيلهم الى مراسى سبتة واستولى المسلمون عليها فبرز الناس
 لمشاهدتها وطيف بكثير من رؤس العدو في جوانب البلد ونظمت اصفاذ الاسرى بدار الانشاء
 وعظم الفتح وجلس السلطان ابو الحسن للتهنئة وانشد الشعراء القصائد بين يديه وكان يوما
 من اعز الايام ولله الحمد والمنة ثم شرع السلطان في اجازة من عنده من العساكر الغزاة والمتطوعة
 والمرتزة ولما استكمل اجازة العساكر اجازهم في اسطوله مع خاصته وحشمه آخر سنة اربعين
 وثلثمائة طريف واناخ بعساكره عليها وهي يد النصاري واحاط عسكره بفنائها ووافاه
 سلطان الاندلس ابن الاحمر بمسكر الاندلس واحاط الجميع بطريف نطاقا واحدا ونصبوا عليها
 الآلات وجهاز الطاغية اسطولا آخر اعترض به الزقاق لقطع المرافق عن العسكر وطال حصارهم
 بالمد فنفيت ازودتهم وافتقدوا العلوفات واختلت احوال المسكر واحشد الطاغية امم النصرانية
 وامانه البرتقال صاحب اشبونة وغرب الاندلس فجاء معه في قومه وزحف على المسلمين لسته اشهر
 من منازلتهم ولم يقرب معسكرهم ارسلا فقطعت من جيش النصاري الى طريف فدخلوها ليل على
 غفلة من العسس واحسوا بهم آخر الليل فثاروا بهم من مراصدهم وادركوا اعقابهم قبل دخول
 البلد فقتلوا منهم عددا وابسوا على السلطان وقالوا له لم يدخل البلد سواهم حذرا من سطوته
 وزحف الطاغية من الغد في جوعه وعبي السلطان مواكب المسلمين صفوفات وتزاحفوا ولم ينشب
 القتال كان للعدو جيش كين فبرز وخالفوهم الى معسكر السلطان وعمدوا الى فسطاط السلطان
 ودافعه عنهم من كان عند الفسطاط للحراسة فاستلحموهم وقتلوا منهم وكان مع السلطان في هذه
 الغزوة بعض نسائه فوصل هؤلاء الهاجون الى النساء فدافع النساء عن انفسهن فقتلوهن وخلفوا
 الى حظايا السلطان عائشة بنت عمه بي يحيى بن يعقوب وقاطمة بنت سلطان افرقية ابى يحيى الحفصي
 غيرهن من حظاياهم فقتلوهن عن آخرهن واستلبوهم وانهبوا سائر الفسطاط وأضرعوا

المعسكر ناراً وأحس المسلمون الذين يقاتلون الكفار بماوراءهم في معسكرهم فاختلف مصافهم
 وارتدوا على أعقابهم بعد أن كان ابن السلطان هجم في طائفة من قومه حتى خالط الكفار في
 صفوفهم فأحاطوا به وقبضوا عليه وولى السلطان متحيراً إلى فئة المسلمين واستشهد كثير من الغزاة
 ووصل الطاغية بنفسه إلى فسطاط السلطان أبي الحسن وانكر على قومه قتل النساء والولدان
 ووقع منه لنتهى أثره ثم انكفأ راجعاً إلى بلاده ولحق ابن الأحرار بفرناطة كرسى ملكه وخلص
 السلطان إلى الجزيرة ثم إلى الجبل ثم ركب إلى سبته ومحصى الله المسلمين واجزل ثوابهم ولما رجع
 الطاغية من طريق استأمد أي صار كالأسد على المسلمين بالاندلس وطمع في التهامهم وجمع
 عساكر النصرانية ونازل قلعة بني سيد ثغر فرناطة على مرحلة منها وجمع الآلات والأيدي
 على حصارها واشتد محنتها واصابهم الجهد من العطش فنزلوا على حكمه وذلك سنة اثنين
 وأربعين وسبعمائة وانصرف إلى بلده وأما السلطان أبو الحسن فإنه لما أجاز إلى سبته أزم
 نفسه بالعود إلى الجهاد وذهب إلى فاس وبث في الأمصار للاستغاثة وأخرج قواده إلى
 سواحل البحر لتجهيز الأساطيل حتى اكتمل منها عدة وافرة ثم ارتحل إلى سبته لمشارفة فيها وقدم
 عساكره إلى العدو مع وزيره وبث إلى الجزيرة بعض أقارب الوزير وبث إليهم مدداً وبلغ
 الطاغية الخبر فجهز أسطولاً وأجراه إلى بحر الزقاق للمرافعة وتلاقت الأساطيل ومحصى الله
 المسلمين واستشهد منهم أعداد وتغلب أسطول الطاغية على بحر الزقاق وملكوا دور المسلمين
 وأقبل الطاغية من الشبيلية في عساكر النصرانية حتى اتاخ بها على الجزيرة الخضراء مرفأ
 أساطيل المسلمين وأمل أن يظفها في مملكته مع جارتها طريقاً وحشراً لليلة والصراع بالآلات
 وجمع الأيدي عليها وطاولها الحصار واتخذ أهل المعسكر بيوتاً من الخشب للمطالبة وجاء
 السلطان أبو الحجاج ابن الأحرار بمساكر الاندلس فنزل قبالة الطاغية بظاهر جبل الفتح على
 سبيل الممانعة وأقام السلطان أبو الحسن بمكانه من سبته ليعتد المدد من الفرسان والمال
 والميرة فلم يفتهم ذلك شيئاً واشتد الحصار عليهم واصابهم الجهد وأجاز إليه السلطان ابن الأحرار
 إيفاضه في شأن السلم مع الطاغية بعد أن الطاغية له في الجواز مكرابه وترصد له بعض
 الأساطيل في طريقه فصدمهم المسلمون القتال وخلصوا إلى الساحل بعد غص الريق وضافت
 أحوال الجزيرة ومن كان بها من عساكر السلطان وسألوا من الطاغية الأمان على أن ينزل
 عن البلد فبذل الأمان لهم وخرجوا فوق فيهم وأجازوا إلى المغرب وذلك سنة ثلاث وأربعين
 فأنزلهم السلطان أبو الحسن ببلاده على خير نزل ولقاهم من المبرة والكرامة ما لا يحصى مما عفا عنهم
 وخلص عليهم وأجازهم بحواجز سنوية لا يزال الناس يتحدثون بها وانكفأ السلطان إلى حضارته
 موقفاً بظهور أمر الله وانجاز وعده في رجوع الكرة وعلو الدين والله متم نوره ولو كره الكافرون
 ثم تار على أبي الحسن تارون بالمغرب وتوالت فتن كثيرة إلى أن توفي سنة ثنتين وخمسين وسبعمائة
 وولى بعده ابنه أبو عنان وثار بينه وبين أخوته فتن كثيرة وأما سلطان الاندلس أبو الحجاج
 ابن الأحرار فقتل في الصلاة يوم عيد الفطر طعنه أسود مدسوس عليه وولى بعده ابنه محمد الغني
 بالله وذلك سنة خمس وخمسين وسبعمائة ثم خلع سنة ستين ثم أعيد سنة ثلاث وستين
 والكلام على ذلك طويل لأحاجة لتأنيده واستمر في ملكه إلى أن توفي سنة ثلاث

وتسعين وسبعمائة وكان قد قوى ملكه وسلطانه بعد رجوعه الى ملكه سنة ثلاث وستين حتى صار ملك المغرب وسلطان بنى مرين تحت امره ووقع في هذه السنين فتن بالاندلس بين النصرارى مع بعضهم وذلك ان الهنش ملك النصرارى هلك سنة احدى وخسين وسبعمائة وولى بعده ابنه بطرة وثارت فتن وحروب بينه وبين اخوته وانهز الفرصة ابن الاحمر وجع جيوش المسلمين للجهاد ودخل بمساكر المسلمين فأتى في ارض النصرانية وخرب معاقلهم ومدنهم ثم رجع الى غرناطة وذلك سنة سبع وستين وسبعمائة ثم تشوف المسلمون الى ارتجاع الجزيرة الخضراء الى المسلمين فزاسل ابن الاحمر مع ملك مراکش وفاس وكان السلطان حينئذ السلطان عبدالعزيز بن السلطان ابى الحسن واتفقا على ان ابن الاحمر يزحف بمساكره وملك المغرب يمدد بالمال والاساطيل اهزة جمع العسكر عليه لما كان فيه من الفتن فأوغر صاحب المغرب الى اساطيله فمهرت وسارت وبعث بال كثير وذخائر وزحف ابن الاحمر بمساكره واستعد الآلات للحصار فانزلها اياما قلائل فأيقن النصرارى بالهزيمة لبعدهم عن الصريح وبأسهم من مدد ملوكهم فألقوا باليد وسألوا النزول على حكم السلم فاجابهم السلطان ابن الاحمر اليه ونزاعا عن البلد واقبت فيه شعائر الاسلام ومراسمه ومحيت منه كلمة الكفر ومعالمه وكان ذلك في سنة سبعين وولى عليها ابن الاحمر من قبله ولم تزل تحت نظره الى ان تمحض له النظر في هدمها خشية استيلاء النصرانية عايلها فهدمت سنة ثمانين وسبعمائة واصبحت حاوية كان لم تغن بالامس والبقاء لله وحده وتوفي الفتي بالله محمد بن ابى الجراح يوسف بن الاحمر سلطان الاندلس سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وولى ابنه يوسف وتوالت فتن كثيرة فقصد الافرنج البرتغال مدينة سبتة سنة اربع عشرة وثمانمائة في مراكب كثيرة فقاتلهم اهلها ثم تغلب عليهم الفرنج فلكوها وبقيت معهم نحو مائتين وخسين سنة ثم انتزعها الاسبانيول منهم ثم توالت فتن بين بنى الاحمر مع بعضهم في الاندلس وجرت امور بطول الكلام بشرحها وآل الامر فيها الى خروج ملك الاندلس عن ايدى المسلمين فأخذ العدو مائة سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة واخذوا غرناطة سنة سبع وتسعين وثمانمائة وانقرض ملك بنى مرين سنة تسعين وثمانمائة وانتقل الملك لوزرائهم بنى وطاس ثم منهم للاشراف السعديين والكلام على ذلك طويل ولما حاصر العدو غرناطة أصاب المسلمون وقت حصار العدو لهم بها شدة الجوع وتفاقمت عليهم الخطوب فكتبوا العدو في الصلح واشتروا شروطا وعقدوا وثايق ومكنوا العدو من غرناطة وكانت الشروط سبعا وستين شرطا منها تأمين الصغير والكبير في النفس والاهل والمال ومنها ابقاء الناس واماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم ومنها اقامة شريعتهم على ما كانت ولا يحكم على احد منهم الابشريعتهم ومنها ان تبقى المساجد كما كانت والاوقاف كذلك وان لا يدخل النصرارى دار مسلم وان لا يغيصبوا احدا وان لا يتولى على المسلمين في الاحكام نصرانى ولا يهودى وان يفك من كان اسيرا منهم ومنها أن من اراد الجواز الى المغرب لا يمنع ولا يؤخذ من قتل احدا من النصرارى ايام الحرب الى غير ذلك من بقية الشروط ثم ان النصرارى نقضوا تلك الشروط شيئا فشيئا ونكثوها عروة عروة الى ان آل الامر الى جملهم المسلمين على التنصر حتى صاروا يقولون لبعض المسلمين ان جديك كان نصرانيا فأسلم في زمن كذا فلا بد ان ترجع نصرانيا كما

كان اجدادك السابقون فلما غش هذا الامر قام جماعة من المسلمين كانوا بموضع يقتله البيازين
فقتلوا النصارى الذين كانوا عندهم فخرج الامر من سلطانهم بقتل المسلمين الا من تنصر فانه
ينجو من القتل فتنصر خلق كثير في البادية والحاضرة وانتفع قوم من التنصر واعتزلوا
النصارى واجتمعوا في بعض القرى متحصنين بها فجمع اهل العدو الجموع واستأصلهم عن
آخرهم قتلا وسبوا وبقي جماعة من المسلمين صعدوا جبلا واحتموا فيه وقتلهم العدو فقتلوا من
العدو خلقا كثيرا فآخروا على الامان الى فاس بميالهم وماخف من اموالهم ثم بعد هذا
كله كان من اظهر التنصر من المسلمين ولم يكن من نصرا في الباطن بعبد الله في خفية ويصلي
فشد عليهم النصارى في البحث حتى انهم احرقوا منهم كثيرا بسبب ذلك ومنعواهم
من حل السكينة الضعيفة فضلا من غيرها من الحديد وقام المسلمون الذين تحصنوا في بعض
الجبال على النصارى مرارا ثم تغلب النصارى عليهم ولم يفيض الله لهم ناصرا الى ان كان
آخر وقت أخرجهم النصارى فيه سنة الف وعشر فخرج الوف من المسلمين الى فاس
والوف الى تلمسان ووهران وجهورهم خرج الى تونس وتسلط على كثير منهم الاعراب
ومن لا يخشى الله ونهبوا اموالهم في البوادي والطرق واكثر النهب والاخذ وقع على الذين
ذهبوا الى تلمسان وفاس واما الذين ذهبوا الى تونس فكثرهم سلم من ذلك وقد عمر هؤلاء
الخارجون من الاندلس كثيرا من القرى الخالية في تلك الموضع التي ذهبوا اليها ومنهم
جماعة بسلا وطاؤون والجزائر واستخدم سلطان المغرب منهم عسكر اجرار او وصل جماعة منهم
الى القسطنطينية العظمى والى مصر والشام وغيرها لانهم كانوا عددا كثيرا لا يحصيهم الا الله
تعالى والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين قال في نفع الطيب والسلطان الذي
أخذت منه غرناطة آخر سلاطين بني الاحمر الذي انقضت بانقراض دولته مملكة الاسلام
بالاندلس ومجيت رسو مها هو السلطان ابو عبد الله محمد بن السلطان ابي الحسن بن السلطان سعد
ابن الامير على بن السلطان يوسف بن السلطان الغني بالله محمد واسطة عقدهم والمشيدين بانيهم
الائتة وسلطان دولتهم على الحقبة ابن السلطان ابي الجراح يوسف بن السلطان اسماعيل بن
الرئيس ابي سعيد فرج بن اسماعيل بن نصر بن قيس الانصاري الخزرجي رحمه الله
جميعا وانتهى السلطان المذكور الى مدينة فاس باهله واولاده معتذرا عما
أسلفه متلفعا على ما خلفه وبني بفاس قصورا قال في نفع الطيب وعهده بذريته
بفاس الى الآن سنة سبع وثلاثين والف يأخذون من اموال الفقراء والمساكين وبعض
من جلة الشحاذين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هذا خلاصة ما كان بالاندلس
بغاية الاختصار ولترجع الى اتمام الكلام على ما كان بالديار الشامية وغيرها وليكن ابتداء
مذكر حرب الصليب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

—————▶▶▶▶▶◀◀◀◀—————

✽ تم الجزء الاول من الفتوحات الاسلامية ✽

وبالله الجزء الثاني اوله ذكر ابتداء الحروب الصليبية

فهرست الجزء الثاني من الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية

صحيحة	صحيحة
٣٧ ذكر رحيل الفرنج الى ناحية عسقلان	٢ ذكر ابتداء الحروب الصليبية
٣٩ ذكر رحيل الفرنج الى نظرون	٤ ذكر تلك الفرنج قونية وانطاكية
٣٩ ذكر مسير صلاح الدين الى القدس	٥ ذكر تلك الفرنج معرة النعمان
٤١ ذكر الهدنة مع الفرنج وفيها ذكر وفاة صلاح الدين ومناقبه ثم مناقب نور الدين	٥ ذكر مصالحة اهل عرقة وحصن للفرنج
٥٢ ذكر ملك الفرنج القسطنطينية	٥ ذكر تلك الفرنج بيت المقدس
٥٣ ذكر غارات الفرنج بالشام وحصن الاكراد	٦ ذكر تلك الفرنج مدينة سروج وحيفا
٥٤ ذكر ظهور الفرنج الى الشام ومسيرهم الى مصر وملكتهم دمياط	وقيسارية والفتوحات التي كانت بعد ذلك
٥٥ ذكر حصر الفرنج دمياط الى ان ملكوها	١٨ ذكر فتح اللاذقية
٥٧ ذكر ملك المسلمين دمياط من الفرنج	١٩ ذكر فتح صهيون
٥٩ ذكر وفاة الملك العادل	١٩ ذكر فتح عدة حصون
٦٠ ذكر خروج الفرنج الى الشام وعمارة صيدا وملكهم بيت المقدس	٢٠ ذكر فتح قلعة برزية
٦١ ذكر استرجاع بيت المقدس للمسلمين	٢١ ذكر فتح درب ساك
٦١ ذكر ملك الفرنج دمياط مرة اخرى غير المرة السابقة	٢٢ ذكر فتح بغراس
٦٣ ذكر خروج التتار وملكهم بغداد وانقراض الدولة العباسية	٢٢ ذكر الهدنة بين المسلمين وصاحب انطاكية
٦٦ ذكر تلك جنكز خان بخارى	٢٣ ذكر فتح الكرك وما يجاوره
٦٧ ذكر مسير جنكز خان الى سمرقند	٢٣ ذكر فتح قلعة صفد
٦٧ ذكر مسير التتار الى خوارزم شاه وانهزامه وموته	٢٣ ذكر فتح كوكب
٦٨ ذكر استيلاء التتار المغربة على ما زندران	٢٦ ذكر مسير الفرنج الى عكا ومحاصرتها
٦٩ ذكر وصول التتار الى الري وهمدان	٢٨ ذكر وقعة اخرى
٦٩ ذكر وصول التتار الى اذربيجان	٢٨ ذكر الوقعة الكبرى على عكا
٧٠ ذكر تلك التتار مراغة	٢٩ ذكر رحيل صلاح الدين عن الفرنج وتمكنهم من حصر عكا
٧٢ ذكر تلك التتار همذان وقتل اهلها	٣٠ ذكر احراق الابراج ووقعة الاسطول
٧٣ ذكر مسير التتار الى اذربيجان وما اردويل وغيرها	٣٢ ذكر وصول ملك الامان الى الشام وموته
	٣٢ ذكر وقعة المسلمين والفرنج على عكا
	٣٣ ذكر خروج الفرنج من خنادقهم
	٣٤ ذكر وصول فليب ملك الفرنسيين ثم ملك انكلترا
	٣٥ ذكر ملك الفرنج عكا

صحيفة

- ٧٤ ذكر وصول التتر الى بلاد الكرج
 ٧٤ ذكر وصولهم الى دربند شروان
 ٧٤ ذكر ما فعلوه بالان وقفجاق
 ٧٥ ذكر ما فعله التتر بقفجاق والروس
 ٧٦ ذكر عود التتر من بلاد قفجاق والروس
 الى ملكهم
 ٧٦ ذكر ما فعله التتر بجاوراء النهر بعد بخارى
 وسميرقند
 ٧٦ ذكر تلك التتر خراسان
 ٧٨ ذكر قتلهم خوارزم وتخريبها وتجهيز
 جنكز خان الى غزنة
 ٨٠ ذكر عود التتر الى الري وهمذان وغيرهما
 ٨١ ذكر خروج التتر الى اذربيجان وما
 كان منهم
 ٨٢ ذكر وصول جلال الدين الى آمد
 وانهزم عنه عند ما كان منه
 ٨٥ ذكر وفاة ابن الاثير
 ٨٦ ذكر اسباب تسلط التتر على المسلمين
 ٨٧ ذكر النار التي ظهرت بالحجاز
 ٨٩ ذكر اخذ التتر بغداد وقتلهم الخليفة
 ٩٢ قائد تان
 ٩٣ القادة الثانية
 ٩٤ ذكر مسير التتر الى ميفارقين في البلاد الشامية
 ٩٦ ذكر عود التتر الى الشام
 ٩٧ ذكر مبايعة خليفة من بني العباس بمصر
 ٩٨ ذكر فتح يافا وانطاكية وعكا
 ٩٩ ذكر ابتداء عمل المحمل
 ٩٩ ذكر عدد ملوك مصر المماليك البحرية
 والجزراكسة
 ١ ذكر فتح عكا
 ويليها ذكر فتوح عدة حصون

صحيفة

- ١٠٣ ذكر فتح قلعة الروم
 ١٠٤ ذكر دخول التتر الى الشام وكسرتهم
 مرة بعد اخرى
 ١٠٥ ذكر المصاف الثاني والنصرة العظيمة
 ١٠٥ ذكر اغارة عسكر حلب على بلاد سويس
 ١٠٦ ذكر فتح ملطية وكانت بيد الارمن
 ١٠٧ ذكر الاغارة على سويس وبلادها
 ١٠٧ ذكر فتوح اياس من بلاد سويس
 ١٠٧ ذكر غزوة عساكر حلب بلاد سويس
 ١٠٨ واقعة الاسكندرية سنة ٧٦٧
 ١٠٩ انقراض دولة الارمن والاستيلاء على
 سويس
 ١١٠ ذكر ظهور التيمور
 ١١٢ ذكر كتاب التيمور الى السلطان برقوق
 ١١٤ ذكر تجهيز تيمور الجيوش لقصد الشام
 ١١٥ ذكر دخول تيمور حلب
 ١١٨ ذكر دخول تيمور دمشق
 ١١٩ ذكر وقوع التتر بين تيمور والسلطان
 بايزيد بن السلطان مراد
 ١٢٠ ذكر تجهيز الجيوش من سلاطين مصر
 لقتال اهل قبرس
 ١٢٢ ذكر الغزو الى رودس
 ١٢٣ ذكر الدولة العثمانية وفتوحاتها ثابتة
 الله ملكهم ووفقهم لما يحبونه
 ١٢٦ ذكر فتح بروسيا
 ١٢٦ ذكر فتوحات سلطان اورخان في
 بلاد اليونان
 ١٢٧ ذكر القتال مع اهل كاييولى
 ١٢٨ ذكر فتح ادرنة
 ١٢٨ ذكر ابتداء اختراع عسكر الانكشارية
 ١٢٨ ذكر استشهاد السلطان مراد الاول
 بن السلطان اورخان

صحيحة

١٢٩ ذكر ولاية السلطان السعيد يلدرم بايزيد

الاول

١٣٠ ذكر اسر التيمور للسلطان بايزيد ووفاته.

بتبريز

١٣٠ ذكر ولاية السلطان محمد بن بايزيد

١٣١ ذكر ولاية السلطان مراد الثاني بن محمد

١٣٢ ذكر غزوة عظمى ثم غزوة اخرى

١٣٢ ذكر ولاية السلطان محمد فاتح

القسطنطينية

١٣٢ ذكر فتح القسطنطينية

١٣٢ ذكر دخول المسلمين القسطنطينية بعد

فتحها

١٣٥ ذكر احاديث في فتح القسطنطينية

١٣٦ ذكر الغزو الى بوسنة

١٣٧ ذكر اغراء العجم والترعلى الاغارة

والنهب

١٣٧ ذكر الغزو الى البغدان ووفاة السلطان

محمد

١٣٨ ذكر ولاية السلطان بايزيد الثاني

١٣٩ ذكر ظهور اسماعيل شاه سلطان العجم

١٤٠ ذكر الحرب الذي كان بين السلطان

بايزيد وولده سليم

١٤٠ حكاية انقلاب السلطان سليم من الانوثة

للكورة

١٤٠ ذكر الحرب بين السلطان سليم و السلطان

العجم

١٤٠ ذكر محاربة السلطان سليم للسلطان

الغورى

١٤٥ فائدتان استطراديتان لهما تعلق

بالفتوحات

١٤٦ ذكر التأييد لاميير مكة الشريف ابى غنى

١٤٧ ذكر خيرات السلطان سليم بالخرمين مع

كثير من القوائد

١٤٩ ذكر القامات الاربعة للائمة بمكة المشرفة

صحيحة

١٥٠ ذكر ولاية السلطان سليمان الاول

١٥١ ذكر اول فتح وانتصار للسلطان سليمان

١٥١ ذكر غزوات للسلطان سليمان

١٥٢ الغزوة الثانية غزوة رودس

١٥٤ ذكر عصيان احمد باشا والى مصر

وخلع السلطان

١٥٥ ذكر استغاثة ملك الفرنسيس

بالسلطان سليمان

١٥٥ الغزوة الثالثة الى الانكروس

١٥٦ الغزوة الرابعة الى بلاد النيسا وقره دنز

١٥٧ الغزوة الخامسة الى بلاد النيسا أيضا

١٥٧ الغزوة السادسة الى بلاد الألمان

١٥٨ الغزوة السابعة الى بلاد السرب

١٥٨ الغزوة الثامنة الى بلاد العجم

١٥٨ الغزوة التاسعة الى مملكة اسبانيا

وجزار المغرب

١٥٩ الغزوة العاشرة الى البغدان

١٥٩ الغزوة الحادية عشر الى سبسطور

من بلاد أنكروس

١٥٩ الغزوة الثانية عشر غزوة استرعون

١٦٠ الغزوة الثالثة عشر الى الهند بارسال

الوزير سليمان باشا

١٦٠ الغزوة الرابعة عشر الى بلاد العجم

١٦١ الغزوة الخامسة عشر الى بلاد العجم أيضا

١٦١ الغزوة السادسة عشر لقتل سلطان المغرب

١٦٢ الغزوة السابعة عشر الى اليمن بارسال

الجيش

١٦٢ الغزوة الثامنة عشر الى جزيرة جربا

بارسال سنان باشا

١٦٣ الغزوة التاسعة عشر الى بلاد المجر

١٦٣ الغزوة المكملة عشرين الى بلاد المجر

أيضا وكان فيها وفاة السلطان سليمان

١٦٤ ذكر خبر عجيب يدل على شدة ورع

السلطان سليمان وخوفه من الله تعالى

صحيفة

- ١٦٤ الغزوة الحادية والعشرون ببند رجدة
بباشرة الشريف أبي غني نيابة عن
السلطان
١٦٥ تنبيه فيه ذكر مجي الحبيشة الى جدة سنة
١٧٣ وفيه ذكر فضل الرباط بمجدة
١٦٦ ذكر فتوحات معوية للسلطان سليمان
١٦٧ ذكر فتوحات السلطان سليم الثاني
١٦٨ ذكر أول غزوة من غزواته
١٦٨ ذكر الغزوة الثانية الى قبرس
١٦٩ ذكر الغزوة الثالثة الى قبرس أيضا
١٧٠ ذكر الغزوة الرابعة الى البغداد
١٦٩ ذكر الغزوة الخامسة الى تونس
١٧١ ذكر وفاة السلطان سليم الثاني وولاية
السلطان مراد الثالث وأول غزوة
من غزواته الى بلاد العجم
١٧٢ الغزوة الثانية الى بلاد العجم أيضا
١٧٢ الغزوة الثالثة الى بلاد العجم أيضا
١٧٣ الغزوة الرابعة الى بلاد البحر
١٧٣ ذكر وفاة السلطان مراد الثالث
وولاية ولده السلطان محمد الثالث
١٧٣ الغزوة الأولى من غزوات السلطان
محمد الثالث
١٧٤ الغزوة الثانية الى بلاد الأناضول
١٧٤ الغزوة الثالثة بارسال محمد باشا الى
قلعة واردار
١٧٥ الغزوة الرابعة الى قلعة قانيسره
بارسال ابراهيم باشا
١٧٥ الغزوة الخامسة الى بلاد البحر
١٧٥ الغزوة السادسة الى بلاد العجم
١٧٥ ذكر وفاة السلطان محمد الثالث وولاية
ولده السلطان احمد الأول
١٧٥ ذكر غزوة من غزواته بارسال علي باشا
١٧٦ ذكر غزوة أخرى ثم ثلاث غزوات

الى بلاد العجم

صحيفة

- ١٧٦ ذكر وفاة السلطان احمد وولاية اخيه
السلطان مصطفى الأول
١٧٧ ذكر خلع السلطان مصطفى وولاية
السلطان عثمان بن احمد
١٧٧ ثم غزوة من غزواته ثم أخرى الى البغداد
١٧٨ ذكر غزوة ثالثة الى بولينا
١٧٨ ذكر ارادته الخروج للحج ثم ذكر قتله
١٧٩ ذكر ولاية السلطان مراد الرابع
١٨٠ ذكر استيلاء العجم على مدينة بغداد
١٨١ ذكر فتح بغداد
١٨٢ ذكر بناء الكعبة المعظمة
١٨٣ ذكر وفاة السلطان مراد الرابع وولاية
اخيه السلطان ابراهيم
١٨٣ ذكر أول غزواته ثم بعدها أخرى
لجزيرة كريد
١٨٤ ذكر خلع السلطان ابراهيم ثم قتله
١٨٤ ذكر فائدة في ان من كان اسمه ابراهيم
من الخلفاء لا يتم له أمر الخلافة
١٨٥ ذكر ولاية السلطان محمد الرابع
ابراهيم
١٨٥ ذكر غزوات له
١٨٦ ذكر غزوات له أيضا
١٨٧ ذكر غزوة الى بلاد النمسا
١٨٩ ذكر خلع السلطان محمد بن ابراهيم
لطيفة فيمن ادعى انه المسيح و
ادعى انه المهدي
١٩٠ ذكر ولاية السلطان سليمان الثاني
ابن ابراهيم وغزوتين له
١٩١ ذكر غزوة أخرى ووفاته السلطان
وولاية اخيه احمد الثاني وغزوة له و
١٩١ ذكر ولاية السلطان مصطفى الثاني
ابن محمد الرابع بن ابراهيم

١٩٢ ذكر غزوات للسلطان مصطفى الثاني

١٩٣ ذكر وفاة السلطان مصطفى الثاني

وولاية السلطان احمد الثالث بن محمد

ابن ابراهيم وغزوة الى الروسية.

ذكر غزوات للسلطان احمد الثالث

١٩٥ ذكر غزوة الى بلاد العجم ووفاته وولاية

السلطان محمود الاول بن مصطفى

ابن محمد بن ابراهيم

١٩٦ ذكر غزوتين له الى بلاد العجم

١٩٧ ذكر غزوة الى بلاد الموسكوف وغزوة

اخرى ووفاته السلطان محمود الاول

وولاية اخيه عثمان الثالث ووفاته

وولاية السلطان مصطفى الثالث

ابن احمد بن محمد بن ابراهيم

١٩٨ ذكر غزوة الى بلاد الموسكوف ووفاته

ابن احمد بن محمد بن ابراهيم

عبد الحميد الاول وذكر غزوة له

١٩٩ ذكر غزوات للسلطان عبد الحميد الاول

ووفاته وولاية ابن اخيه السلطان

سليم بن مصطفى الثالث بن احمد

ولغزوة من غزواته

٢٠١ ذكر غزوتين للسلطان سليم الثالث

٢٠٢ ذكر فتنة الوهابية

٢١٠ ذكر قتل الصناجق المتغلبين على مصر

٢١٢ ذكر استيلاء الفرنسيين على مصر

٢١٩ ذكر دخول الفرنسيين مصر وترتيب

ديوان لفصل الخصومات

٢٢٧ ذكر خروج الفرنسيين من مصر

٢٢٨ ذكر ما كان من استعداد الفرنسيين

٢٣١ ذكر خلع السلطان سليم الثالث

٢٣٢ ذكر ولاية السلطان مصطفى الرابع

ابن عبد الحميد الاول وقتل السلطان سليم

صحيحة

٢٣٣ ذكر ولاية السلطان محمود الثاني بن

عبد الحميد الاول وقتل السلطان مصطفى

٢٣٤ ذكر حرب الموره

٢٣٥ ذكر قتل العساكر الانقشارية

٢٣٦ ذكر القتال مع الروسية

٢٣٧ ذكر استيلاء الفرنسيين على الجزائر

٢٣٧ ذكر القتال بين محمد علي باشا والسلطان

محمود

٢٣٩ ذكر وفاة السلطان محمود الثاني وولاية

ابنه السلطان عبد الحميد ووضع التنظيمات

الخيرية

٢٣٩ ذكر الحرب مع الروسية

٢٤١ الفتنة بمكة بسبب المنع من بيع الرقيق

فتنة اخرى في جدة

٢٤٢ فتنة بين المسلمين والنصارى بالشام

وفتنة الدروز في جبل لبنان

٢٤٢ ذكر خيرات السلطان عبد الحميد

بالحرمين وذكر وفاته

٢٤٢ ذكر ولاية السلطان عبد العزيز

وعيان اهل الجبل الاسود ومسيره

الى مصر والى باريس ولندرة للتفرج

٢٤٣ فتنة محمد بن عايش في بلاد عسير وخلع

السلطان عبد العزيز ووفاته

٢٤٣ ولاية السلطان مراد الخامس وخلعه

٢٤٤ ولاية السلطان عبد الحميد الثاني

وتجهيزه لقتال الروسية واعطاء قبرس

للاقلير وخلع اسماعيل باشا

٢٤٥ استيلاء الفرنسيين على تونس وفتنة

عراي باشا بمصر واستيلاء الاقلير

على مصر

صحيفة

٢٤٦ ذكر القائم بالسودان المسمى محمد احمد

الذي يقال انه المهدي ووقائع مع الانكليز
والعساكر المصرية

٢٤٧ ذكر الاحاديث التي فيها ذكر ظهور

سودان

٢٤٨ ذكر المهدي وبقاء قوة الدولة العثمانية

الى ظهوره واعانتهم له

٢٤٩ ذكر تعدد المهديين وان المهدي المنتظر

واحد

٢٥١ ذكر كثير من يدعون المهدي

٢٥٤ ذكر سيرة المهدي واستقامته

٢٥٦ خاتمة نسأل الله حسنهما في ذكر ما كان

عليه النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء

الراشدون من الاقتصاد وحسن السيرة

٢٦٠ ذكر ما كان لابي بكر الصديق رضي الله

عنه من الاقتصاد في الدنيا وحسن السيرة

٢٨٩ ذكر ما كان لعمر بن الخطاب رضي الله

عنه من الاقتصاد في الدنيا وحسن السيرة

٢٩٤ مجيئ البشير بفتح القادسية وتقسيم

غنائم كسرى وتقسيم بسط كسرى

وما يتبع ذلك

٣٠٣ ذكر طعن عمرو ثناء الناس عليه

ووصيته لاصحاب الشورى

واستخلافهم عثمان رضي الله عنه

٣٠٩ ذكر القحط الذي كان عام الرمادة

وقصة استسقاء عمر بالعباس رضي الله

عنهما

٣١١ قصة نيل مصر والكشف لعمر عن

جيس سارية الذي في نهاوند

صحيفة

٣١٣ ذكر موافقات عمر التي نزل القرآن بها

٣١٧ ذكر الباس سراقسة تاج كسرى

واساوره وتدوين ديوان العطاء

٣٢٤ ذكر موعظة الاوزاعي للمنصور وما

يشاكلها

٣٣٢ ذكر تزوج عمر بأم كلثوم بنت علي

رضي الله عنه

٣٣٣ ذكر احاديث وآثار رفيعا كثير من

فضائل عمر رضي الله عنه

٣٣٧ ذكر تشديد عمر على كثير من عماله

وادخال شيء من اموالهم بيتا

وكثير من فضائل عمر رضي الله عنه

٣٤٣ ذكر مقتل عمر رضي الله عنه

٣٤٥ ذكر ما كان لسيدنا عثمان بن عفان

رضي الله عنه من الاقتصاد في الدنيا

وحسن السيرة

٣٥١ ذكر ما كان لسيدنا علي بن ابي طالب

رضي الله عنه من الاقتصاد في الدنيا

وحسن السيرة

٣٦٠ ذكر ما كان لعمر بن عبد العزيز

الله عنه من الاقتصاد في الدنيا

وحسن السيرة

٣٧٠ الختام بذكر شيء من مناقب الدولة

العثمانية وذكر واسطة عقدهم

سلطان العصر مولانا السلطان

الغازي عبد الحميد الثاني لازال محفوظ

بالسبع الثاني

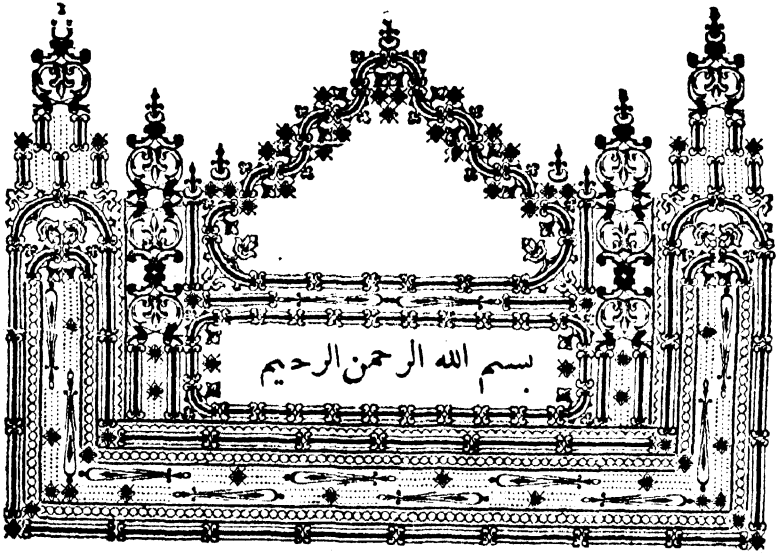
✽ الجزء الثاني من الفتوحات الإسلامية بعدهضى الفتوحات النبوية ✽
 ✽ مؤلفها فريد العصور والأوان على المهمة عظيم الشأن شيخ ✽
 ✽ الإسلام بالقطار الجحازية ومفتى السادة الشافعية ✽
 ✽ بمكة المحمية المستمد من فيض جده سيد ولد ✽
 ✽ عدنان مولانا وسيدنا الاستاذ السيد احمد ✽
 ✽ ابن السيد زيني دحلان متع الله بحياته ✽
 ✽ جميع المسلمين وادام نفعه عليهم ✽
 ✽ يحياه الأئمين آمين ✽
 ✽ آمين ✽
 ✽ آمين ✽

✽ طبع في المطبعة الميرية الكائنة بمكة المحمية ✽

سنة

١٣٠٢

﴿ ماشاء الله كان ﴾



﴿ ذكر ابتداء الحروب الصليبية ﴾

اعلم ان المسلمين منذ اقتحموا الشام في خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه انما كان قتلهم في تلك الاراضى مع الروم ملوك القسطنطينية ثم صار من الخلفاء والامراء للاسلامية غزوات وفتوحات كثيرة اقتحموا فيها كثيرا من ممالك الروم وتقدم بيان ذلك ثم لما كان آخر القرن الخامس وظهر الضعف في الخلفاء العباسيين واستولى على مصر وبعض الشام الخلفاء العبيديون وتغلب على كثير من الممالك الاسلامية العمال الذين فيها طمع في ممالك الشام الافرنج الذين نشأت لهم دول في اوروبا بعد ضعف الملوك الرومانية فتجتمعت جوع من الافرنج ملوك اوروبا وساروا لتلك الممالك الاسلامية التي في الشام واعمالها وكان ذلك سنة ثمان مائة وتسعين هجرية وكان من اسباب قيامهم وهيجانهم لتلك الحروب ان رجلا منهم اسمه بطرس الناسك تهرب وانفرد عن اهله سائحاً تنسكاً فزار بيت المقدس واخذته الحمية في استخلاص تلك الاماكن من ايدى المسلمين فلما رجع الى بلاد ايطاليا اجتمع مع البابا وخطبه في ذلك فوافقه البابا على استحسان افكاره ومقام بنفسه وعزم في الحال على اتخاذ الاسباب والوسائط المقتضية لانعام هذا المشرع فأمر بطرس ان يحول في اقطار البلاد منادياً ومبشراً للشعوب بانقاذ النصرارى واستخلاص تلك الاراضى من ايدى المسلمين فأخذ بطرس يحول من مكان الى آخر منذراً ومحركاً قلوب الناس للاشتراك في هذا العمل فاجتاز من ايطاليا الى فرنسا ثم سار الى اكثر ممالك اوروبا زار عابدين الجميع هذه الافكار مهيجاً اياهم للنهوض والقيام وفي اثناء ذلك عقد البابا عدة مجامع في ايطاليا وفرنسا وطرح فيها هذه المسئلة امام الجمهور الحاضرين منتهضاً همتهم للبيادة والاستعداد في هذا المشروع وجعل للرعايا القائمين بذلك انعامات ورفع عنهم كثيرا من الضرائب والخراجات فنهض احد الاساقفة وطلب من البابا ان يكون اول من يجاهد

في هذا السبيل فسلمه البابا راية الصليب فتبعه جملة من رؤساء الدين ومن عامة الناس ورسموا
جميعا على صدورهم صورة الصليب بلون احمر وجعلوا هذه العلامة على الاسلحة والالوية
والرايات والبنود ومن ذلك الوقت سمو الصليبيين ودعيت حروبهم بالحروب الصليبية واذا
اراد الله ظهور امر هيا اسبابه فظهر لهم أمور واسباب قوى بها عزهم على ما اراد واغن
ذلك ما ذكره بعض مؤرخيهم أنه في اثناء المناذاة بهذه الحروب وتجهيز الناس للدخول فيها
ظهر لهم جملة من العجائب في السماء والارض منها تساقط بعض النجوم من السماء على الارض
وظهر بانتقالها علامة جراء دموية في جانب الافق وظهر لهم عمود نارى على شكل حربة ذات
حديد يقرب الشمس وشوهد في الجو صورة مدن وعساكر وخيول وأسلحة وفرسان
مرسومة بالصليبان ومنها انه كان يرى في مدة ستة ايام متوالية على اثواب المسيحية صليبان
من نور مطبوعة على ملابسهم بطريقة عجيبة بحيث لا يمكن لاحد ان يحوها بالماء ولا بالنار فهذه
المرائى التي كانت تترأى لهم شددت عزائمهم وجمعلتهم لا يتوقعون عن السفر وكانوا يستعدون
من يوم الى يوم حتى بلغ عددهم ثلاثمائة الف مقاتل وكان الملك الكبير منهم المتقدم في قيادة
جيوشهم يسمى بردويل وكان بينه وبين صاحب صقلية مصاهرة وصداقة فأراد ان يكون
مرور جيوشهم على افرقية فيملكوها ثم يسيرون منها الى الشام فأرسل الى صاحب صقلية
يقول له قد جعت جوعا كثيرة وانا واصل اليك وسائر من عندك الى افرقية افتحها واكون
بجوارك لجمع صاحب صقلية اصحابه واستشارهم في ذلك فقالوا وحق الانجيل هذا
جيد لنا ولهم وتصبح البلاد كلها بلاد النصرانية فرفع رجليه لهم وشرط ضرورة عظيمة وقال
وحق ديني هذه خير من كلامكم قالوا وكيف ذلك قال اذا وصلوا الى احتاج الى كلفة كثيرة
ومراكب تحملهم الى افرقية وعساكر من عندي ايضا فان فتحوا البلاد كانت لهم وصارت
المؤنة لهم من صقلية وتقطع عنى ما يصل من المال من ثمن الغلات كل سنة وان لم يفعلوا رجعوا
الى بلادى وتأذيت بهم ويقول عيسى امير افرقية غدرت بى ونقضت ما بينى وبينك من اليهود
وتقطع الوصلة والاسفار بيننا مع ان بلاد افرقية باقية لنا متى وجدنا قوة اخذناها واحضر
رسول بردويل وقال له اذا عزمتم على جهاد المسلمين فأفضل ذلك فتح بيت المقدس وتخلصونه
من ايديهم ويكون لكم الفخر واما افرقية فبيني وبين اهلها عهد وايمان لا يمكننى نقضها فلما
لم يمكنهم صاحب صقلية من المرور عليه عزموا على التوجه الى الشام من طريق القسطنطينية
فنعهم ملك الروم من الاجتياز ببلاده الا بشرط انهم يحلفون له انهم يسلمون له انطاكية اذا
ملكوها وكان يظن انهم لا يقدرّون على تلك البلاد الشامية لما فيها من جنود الاسلام وهو يريد
هلاكا لا فرنج خوفا من انهم يتغلبون عليه لانه يراقوتهم تزيد كلما مضى زمن الازمان فلما شرط
عليهم ان يعطوه انطاكية اذا ملكوها اجابوه الى ذلك وقبلوا شرطه وعبروا الخليج عند
القسطنطينية طالبين القسطنطينية ليحتمعوا فيها وكانوا اجناسا عديدة وفرا كثيرة من
الاطاليين والفرنساويين وغيرهم من سكان اوروبا وكان بطرس الناسك المتقدم ذكره متوشحا
بثوبه الرهبانى قائدا للفرقة الاولى منهم فسار بهم على طريق المانيا وهنكاريا وبلغاريا فكانوا
ينهبون ويخطفون من سكان المدن والسواحل وهم سائرّون فوثب عليهم الالهالى وقتلواهم

وقتلوا منهم عددا كثيرا وبعد ان قاسوا احوالا شديدة انتهوا الى القسطنطينية فأذن لهم ملكها ان يقيموا في المدينة الى ان يحضر رفقاؤهم ثم نقلهم ملك القسطنطينية في مراكبه الى سواحل آسيا فلما انتهوا اليها التفتهم عساكر الاسلام في نواحي قونية وكانت تلك العساكر للملوك السلجوقية الذين كانت محالكم في الروم وأحاطوا بهم وقتلوهم قتلا شديدا فاستنصر المسلمون عليهم وتمكنوا منهم واستولوا على مضاربهم وذنباثرهم فلم ينج منهم الا القليل فهكذا كانت نهاية الوقعة الاولى واما بطرس الناسك فكان قد رجع الى القسطنطينية قبل حدوث هذه الوقعة متشكيا من عدم انتظام الصليبيين وعدم طاعتهم وانقيادهم لرؤسائهم ولكن لما بلغته هذه الاخبار المحزنة أقسم بأنه لا يرجع قط عن عزمه حتى يشاهد حربا صليبية ثانيا

* ذكر تلك الفرنج قونية وانطاكية *

قد تقدم ان الروم كانوا قد استولوا على انطاكية سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وبقيت بأيديهم الى سنة اربعمائة وسبع وسبعين فانتزعها منهم سليمان بن قلمش السلجوقي فلما كانت هذه السنة اعنى سنة اربعمائة وتسعين كان الامير العامل على انطاكية باغيسان التركاني وبلغ اهل اورشليم ما حل بأصحابهم من النكال حزونا جدا وتحركت عزائمهم على اخذ الثار والاساءة على تلك الديار فتجهز بهم جيش جرار وساروا كالاولين الى ان وصلوا الى قونية فالتفتهم جيوش الاسلام ووقع بينهم عدة حروب شديدة وكانت الغلبة فيها لطوائف الافرنج فاستولوا على مدينة قونية وكان ملكها يد قلع ارسلان السلجوقي وهو الذي قابلهم بمجموعه فهزموه وملكوا منه قونية ثم تقدموا الى انطاكية فحاصروها تسعة اشهر ثم ملكوها في جادى الاولى سنة ٤٩٠ من صاحبها باغيسان التركاني بعد ان ظهر منه من الشجاعة وجودة الرأى والحزم ما لم يشاهد من غيره لانهم لما قدموا على انطاكية قابلهم بجيوشه وقتلهم قتلا شديدا وجرت وقائع متعددة وهجمات هائلة ثم لما عجز هرب ثم قتل ولما دخل الافرنج انطاكية قتلوا من فيها من المسلمين ونهبوا اموالهم ولما سمع صاحب الموصل بملكهم انطاكية جمع عساكره وسار الى الشام وهو الامير قوام الدولة ابوسعيد كربوقا ثم اقام بعساكره بمرج دابق واجتمع معه عساكر الشام تركها وعربها سوى من كان بحلب وحصر وسنجار واجتمع كثير من الامراء وعظمت المصيبة على الافرنج وارسلوا الى كربوقا يطلبون منه الاثمان لما أقبل بالجيوش على انطاكية فامتنع وقال لا تخرجون الا بالسيف وحاصروهم ثم ان كربوقا المذكور اساء السيرة فبين اجتمع معه من الملوك والامراء وتكبر عليهم فخبثت نياتهم عليه ولما ضاق الامر على الافرنج وقلت الاقوات عندهم خرجوا من انطاكية واقتتلوا مع المسلمين وكان معهم راهب مطاع فيهم وكان داهية من الرجال فقال لهم قبل خروجهم ان المسيح عليه السلام كان له حربة مدفونة بالقيسان الذي بانطاكية وهو بناء عظيم ان وجدتموها فانكم تظفرون وان لم تجدوها فانهلاك متحقق وكان قد دفن قبل ذلك حربة في مكان فيه وعفا أثرها وأمرهم بالصوم والتوبة ففعلوا ذلك ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع أدخلهم الموضع جيهم ومعهم عا متهم والصناع منهم وحفروا في جميع الاماكن فوجدوها كما ذكر فقال لهم ابشروا بالظفر فخرجوا في اليوم الخامس من الباب متفرقين خمسة وستة ونحو ذلك فقال المسلمون لكربوقا

يفتني ان تقف على الباب فتقتل كل من يخرج فان امرهم الآن وهم متفرقون سهل فقال لا تفعلوا اهلوهم حتى يتكامل خروجهم فقتلهم ولم يمكنهم من معاجلتهم فقتل قوم من المسلمين جماعة من الخارجين فجاء اليهم هو بنفسه ومنعهم ونهاهم فلما تكامل خروج الفرنج ولم يبق بانطاكية منهم احد ضربوا مصاف عظيماء فولى المسلمون منهزمين لما علموا به كروبا اولاً من الاستمانة لهم والاعراض عنهم وثانياً من منعهم عن قتل الفرنج وتمت الهزيمة على المسلمين ولم يضرب احد منهم بسيف ولا طعن برمح ولا رمي بسهم وانهم كروبا معهم فلما رأى الفرنج ذلك ظنوه مكيدة اذ لم يجر قتال ينهزم من مثله وخافوا ان يتبعوهم وثبت جماعة من المسلمين وقتلوا حسبة وطلبوا للشهادة فقتل الفرنج منهم ألوفا وغنوا ما في العسكر من الاقوات والاموال والاثاث والدواب والاسلحة فصلحت حالهم ومادت عليهم قوتهم

❖ ذكر قتل الفرنج مرة النعمان ❖

ثم سار الفرنج نحو شهرهم الى معرة النعمان وحاصروها وقتلهم اهلها قتلاً شديداً ورأى الفرنج منهم شدة ونكاية ولحقوا منهم الجدد في حربهم والاجتهاد في قتالهم فعملوا عند ذلك برجا من خشب يوازي سور المدينة ووقع القتال عليه فلم يضرب المسلمين ذلك فلما كان الليل خاف قوم من المسلمين وتدخلهم الفشل والهلع وظنوا انهم اذا تحصنوا ببعض الدور الكبار امتنعوا بها فزلوا من السور وأخلوا الموضع الذي كانوا يحفظونه فرآهم طائفة اخرى من المسلمين منهم ففعلوا كعملهم فخلوا مكانهم ايضا من السور ولم تزل تتبع طائفة منهم التي يليها في النزول حتى خلا السور فصعد الفرنج اليه على السلام فلما علموه تحير المسلمون ودخلوا دورهم فوضع الفرنج فيهم السيف ثلاثة ايام فقتلوا ما يزيد على مائة الف وسبوا السبي الكثير وملكوا المعرة وأقاموا اربعين يوماً

❖ ذكر معصاة اهل عرقه وحص للفرنج ❖

ثم ساروا الى عرقه فحاصروها اربعة اشهر ونقبوا سورها عدة نقوب فلم يقدروا عليها ورأساهم منقذ صاحب شيرز فصالحهم عايناهم ساروا الى حص وحاصروها فصالحهم صاحبها جناح الدولة ثم ساروا الى عكا فلم يقدروا عليها

❖ ذكر قتل الفرنج بيت المقدس ❖

ثم ساروا الى بيت المقدس وكانوا الف الف وكان فيهم رجل يعرف بافتخار الدولة فاملا للبيديين ملوك مصر لان بيت المقدس كان بأيديهم انتزعوه من خلفاء بني العباس فلما وصل الفرنج اليه حاصروه نيفا واربعين يوماً ثم ملكوا المدينة المذكورة لسبع بقين من شعبان سنة ٤٩٢ هجرية وركبوا الناس بالسيف ولبت الفرنج بالبلدة اسبوعاً يقتلون فيه المسلمين وقتل الفرنج بالسجدة الاقصى ما يزيد على سبعين الفا منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم وأخذوا من عند الصخرة نيفا واربعين قنديلاً من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم وأخذوا تنورا من فضة وزنه اربعون رطلا بالشامي وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلاً فضة نقرة ومن الذهب نيفا وعشرين قنديلاً وغنوا منه ما لا يقبع عليه الا حصاء وورد المستنفرون من الشام الى بغداد صحبة القاضي ابي سعيد الهروي فأوردوا في الديوان كلاماً ابكى العيون وأوجع القلوب وقابوا بالجامع يوم الجمعة فاستغاثوا وبكوا

وأبكوا وذكروا ما دهم المسلمين من قتل الرجال وسبي الجريم والاولاد ونهب الاموال وكانوا صياما في رمضان فليشدة ما أصابهم أفطروا وأنشأ الشعراء في ذلك قصائد تنبكي لها العيون وتنغطر بها القلوب وكان ذلك في خلافة المستظهر بالله ابن المقتدى بأمر الله العباسي وكان في ذلك الوقت اختلاف كثير بين السلاطين السلجوقية وفتن قائمة بينهم بالعراق فلم تحصل منهم نتيجة ولا من الخليفة وبعث المصريون جيشا لقتال الفرنج لما بلغهم ما وقع بالقدس واقتتلوا مع الفرنج ثم انهزموا وحصرهم الفرنج بعسقلان وضيقوا عليهم فبذلوا لهم اثني عشر الف دينار وقيل عشرين الفا فارتحلوا عنهم ورجعوا الى القدس وجعلوها دار ملكهم ثم استولى الفرنج على اكثر سواحل الشام فلكوا يافا وغيرها من القلاع والحصون وكانت محنة فاحشة على المسلمين ثم في سنة اربع وتسعين واربعمائة ساروا الى مدينة عكا فلم يقدروا على فتحها وكانوا قد عمروا مدينة يافا وسلموها الى قصص من الفرنج واقام بلك القدس افرنجي آخر وقيل بل اقام بهار دويل بنفسه ومكث بيت المقدس بايدي الفرنج احدى وتسعين سنة وكذا ماجاوره من سواحل الشام وعجز ملوك الاسلام عن استرجاعه الى ان استرجع ذلك السلطان صلاح الدين الايوبي سنة ثلاث وثمانين وخمسائة كما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى

✽ ذكر تملك الفرنج مدينة سروج وحبفا وقيسارية ✽

في هذه السنة ملك الفرنج مدينة سروج من الجزيرة وقتلوا كثيرا من اهلها وسبوا حريمهم ونهبوا اموالهم وملكوا ايضا مدينة حبفا بالقرب من عكا على ساحل البحر وملكوا مدينة قيسارية وقتلوا اهلها ونهبوا ما فيها وفي سنة ٤٩٥ ساروا الى طرابلس الشام فقتلهم اهلها وقتلوا من الفرنج نحو ثلاثمائة ثم هادنهم الفرنج على مال وخيل ثم رحلوا عنهم الى انطرسوس وهي من اعمال طرابلس فحاصروها وملكوها وقتلوا من بها من المسلمين ثم ساروا الى حصن الطوبان فقتلهم ابن العريض وأسرفارسا من اكابر الفرنج فبذلوا في فدائه عشرة آلاف دينار والالف أسير فلم يجبه ابن العريض الى ذلك وفي هذه السنة ايضا سار الفرنج الى حصن وقائد هم ملك من ملوكهم يسمى صنجيل فحاصروها وملكوا اعمالها ونزل القمص على عكا وضيق عليها وكاد يأخذها ونصب عليها المنجنيقات والابراج وكرله في البحر ست عشرة قطعة فاجتمع المسلمون من سائر السواحل واتوا الى منجنيقها تهم فأحرقوها واحرقوا سفنهم وكان ذلك نصرا عجيبا للمسلمين اذ الله به الكفار وفيها سار القمص الفرنجي الى بيروت وحاصرها وضيقها وأطال المقام عليها فلم يرفها طمما فرحل عنها وفيها في رجب خرجت عساكر من مصر الى عسقلان لينعموا الفرنج عما بقي في ايديهم من بلاد الشام فسمع بهم بردويل صاحب القدس فسار اليهم وقتلهم فنصر الله المسلمين وانهزم الفرنج وكثر القتل فيهم وانهزم بردويل فاخفى في اجرة قصب فاحترقت تلك الاجرة ولحقت النار بعض جسده ونجا منها الى الرملة فتبعه المسلمون وأحاطوا به فتنكر وخرج منها الى يافا وكثر القتل والاسر في اصحابه وفي سنة ٤٩٦ جاءتهم جيوش المسلمين من مصر ووقعت بينهم وقائع يطول ذكرها كانت الغلبة في بعضها للمسلمين وفي بعضها للفرنج وخرجت هذه السنة ويبدأ الفرنج لعنهم الله البيت المقدس وفلسطين ماعدا عسقلان ويدهم ايضا يافا وارسوف وقيسارية وحبفا وطبرية ولاذقية ولهم بالجزيرة الزها

وسروج وكان صنجيل يحاصر طرابلس الشام والمواد تأتية وبها فخر الملك بن عمار وكان يرسل اصحابه في المراكب يغزون على البلاد التي بيد الفرنج ويقتلون من وجدوا وفي سنة ٤٩٧ أعار الفرنج من الرها على مرج الرقة وقلعة جبر واستاقوا المواشي واسروا من وقع بأيدهم من المسلمين وفي هذه السنة وصلت مراكب من بلاد الفرنج الى مدينة لاذقية فيها الاجناد والتجار فاستعانوا بهم على حصار طرابلس برا وبحرا وضائقوها وقائلوها اياما فلم يرو فيها مطمعا فرحلوا الى مدينة جبيل فحاصروها وقائلوها اهلها قتالا شديدا فلما رأى اهلها عجزهم عن الفرنج أخذوا أمانا وسلموا البلد اليهم فلم تنف الفرنج لهم بالامان وأخذوا اموالهم وعاقبواهم بالعقوبات وانواع العذاب فلما فرغوا من جبيل ساروا الى مدينة عكا واستعانوا بملكهم صاحب القدس على حصارها فنارلوها وحاصروها في البر والبحر ثم ملكوها وفعلوا باباها بالافعال الشنيعة ثم ساروا الى حران ووقع بينهم وبين المسلمين وقابع بطول ذكرها كان النصر فيها للمسلمين وقتلوا من الفرنج اثني عشر الفا وأسروا القمص فافتداه الفرنج بخمسة وثلاثين الف دينار وستين اسيرا من المسلمين وفي سنة ٤٩٨ سار الفرنج الى حصن ارتاح ووقع بينهم وبين المسلمين قتال شديد وانهزم المسلمون وقتل وأسركثير منهم وملك الافرنج الحصن وفي سنة ٤٩٩ وقع بينهم وبين المسلمين قتال على حصن كان بيد الفرنج بينه وبين دمشق يومان فلكه المسلمون وقتلوا من كان بالحصن من الفرنج واستبقوا الفرسان أسرى وكانوا مائتي فارس وملكوا ايضا منهم حصن ريفية وهو من حصون الشام وقتلوا به خمسمائة من الفرنج وفي هذه السنة ملك الفرنج حصن اقامية وكان من ائمن الحصون الشامية وقتلوا من فيه من المسلمين وفي سنة ٥٠٠ وقعت وحشة بين ملك القسطنطينية والافرنج الذين بالشام ثم وقع بينهم قتال شديد انهزم فيها الفرنج ولم يزل الفرنج يتابعون الحصار على طرابلس الشام وبيروت والكلام على ذلك طويل الى ان ملكوها سنة ٥٠٣ وقتلوا وأسروا كثيرا من الرجال وسبوا النساء والاطفال ونهبوا من الاموال ما لا يحصى ثم ملكوا باناس وصيدا وصور وحصن ارتاب وهو قريب من حلب وغير ذلك وفي سنة احدى عشرة وقيل اربع عشرة قصد بردويل بجيوشه الديار المصرية لياخذها فانهى الى غزة ودخلها وخربها وأحرق مساجدها ورحل عنها وهو مريض فهلك في الطريق والحاصل ان الفرنج لم يزالوا يملكون كثيرا من الممالك الشامية ويقع بينهم وبين المسلمين الوقائع الهائلة التي يطول الكلام بذكرها حتى لم يبق بيد المسلمين سوى حصن وحاه والشام وحلب وبعض القرى الحفيرة واستمر الحال الى سنة ١١٢٨ مسيحية الموافق سنة ٥٢٢ هجرية فصار ملك حلب والموصل للسلطين السلجوقية وانتزعوا هم من بعض امراء المسلمين المتغلبين عليهما فاقاموا فيها عماد الدين زنكي والد السلطان محمود نور الدين الاتي ذكره وكان لعماد الدين شجاعة وشهامة وعزم شديد على جهاد الكفار فشن على الافرنج الغارات ووالى عليهم الغزوات واسترجع كثيرا مما ملكوه وتوفي مقتولا قتله بعض اليكه سنة ٥٤١ وكان ابوه آق سنقر مملوكا للسلطان ملك شاه السلجوقي ولما قتل عماد الدين وصار ملك حلب لابنه السلطان نور الدين محمود كان على الفرنج أشد من ابيه فزاد في قتالهم بينهم وكان من اهل العلم والصلاح والتقوى والاستقامة وله ترجمة طويلة سيأتي ذكرها

فأول ما ابتدأ في ولايته انه جهز جيشا للقتال الافرنج وفتح مدينة ارتاح وأورفا واماكن أخر
 وفي سنة ١١٤٧ مسيحية الموافق سنة ٥٤٢ هجرية اشتدت حروب السلطان محمود وتوالت
 غزواته وفتوحاته فاستمد الفرنج الذين كانوا في مدائن الاسلام بالفرنج اهل أوروبا فأمسكهم
 بنجدة عظيمة تحت قيادة ملك جرمانيا والمانيا وملك فرانسوا لوي السابع وقبل قدوم ملك فرانسوا
 بأيام يسيرة وصل ملك جرمانيا الى فلسطين في حالة يرثى لها اذ كان قد تلفا أكثر من نصف جيشه
 في الطريق بمرض وبعضهم بالجوع والمرض وبعضهم بالسيف في المعارك التي أثارها عليهم الاعداء في
 أثناء الطريق فلما بلغ سواحل سوريا وافته مواكب السلطان نور الدين بجيوش الاسلام
 وفتكت بمساكره فانهزم مع باقي جيشه وبنفاهو راجع التقي بملك فرانسوا مع جنوده وقصد
 وصلوا في حالة احسن من حالته فالتقهم جيوش الاسلام في نواحي انطاكية وانقشبت بينهم
 نيران القتال واستمر القتال بينهم مدة ايام وكانت الدائرة على ملك الفرنسيين وجنوده فانقلب
 راجعا ببقية قواده وجيوشه ونزلوا في السفن وساروا الى القدس وانضموا الى ما فيه من العساكر
 مع بقايا العساكر الجرمانية وفي سنة احدى واربعين وخمسمائة ملك الفرنج طرابلس الغرب وفي سنة
 ثلاث واربعين وخمسمائة غزا نور الدين الفرنج من نواحي انطاكية وقتل البرنس صاحب
 انطاكية وهزم الفرنج هزيمة قبيحة وقتل منهم جمعا كثيرا وأسروا منهم واكثر الشعراء من القضاة
 بدمشق وتهمتهم وفتح نور الدين في هذه السنة والتي تليها حصونا كثيرة وكان الفرنج نازلوا
 دمشق مرارا وحاصروها فلم يقدروا على تملكها واستمر القتال والغزوات بينهم وبين
 السلطان نور الدين الى سنة ١١٧٣ مسيحية الموافق سنة ٥٦٩ وكان السلطان صلاح الدين
 ابن ايوب من اتباع السلطان نور الدين فجهزه الى مصر سنة ٥٦٤ وملك مصر وانتزعها من
 العبيديين وقصة ذلك طويلة مذكورة في التواريخ وكان السلطان صلاح الدين في العلم والتقوى
 والصلاح مثل السلطان نور الدين فلما توفي السلطان نور الدين سنة ٥٦٩ جمع السلطان
 صلاح الدين بين ملك مصر والشام فصار الملك فيهماله وتابع الغزوات في قتال الفرنج
 لاستخلاص ما بأيديهم من بلاد المسلمين وأول قتال وقع بينه وبين الافرنج كان في حبات نور
 الدين سنة ٥٦٥ وذلك انه جائت جوع كثيرة منهم وحاصروا مدينة دمياط وضيقوا على من
 بها فجهز السلطان صلاح الدين من مصر بجيوش حافلة وقتلهم وأمدد السلطان نور الدين
 بجيوش كثيرة وشن عليهم السلطان نور الدين الغارات بالشام ووالى على
 المداين التي بأيديهم الغزوات فارتحلوا من دمياط ورجعوا خائبين وفي سنة ٥٦٦
 سار السلطان صلاح الدين من مصر وأغار على الفرنج بمسقلان والرملة وهجم على
 ربض غزة فهجمه فأناه ملك الفرنج بمساكر ليرده فقتلهم وهزمهم وأفلت ملك الفرنج
 بعد ان أشرف ان يوحذ اسيرا وعاد صلاح الدين الى مصر ثم غزا ايلة برا وبحرا وانتزعها
 من الفرنج وفي سنة ٥٦٩ كتب بعض اهل مصر اتباع العبيديين الذين انقضت دولتهم
 الى الفرنج الذين بالشام والذين بصقلية ان يرسلوا اليهم جيوشا يستعينون بهم على اخراج
 السلطان صلاح الدين من الديار المصرية فبعث اليهم الفرنج مائتي اسطول تحمل الرجال
 وغلائين طريدة تحمل الخيل وست مراكب كبار تحمل آلة الحرب واربعين مراكبا تحمل

الازواد وفيها من الرجاله خمسون الفا ومن الفرسان الف وخمسمائة ونازلوا الاسكندرية في السادس والعشرين من ذى الحجة سنة ٥٦٩ على حين غفلة من اهلها وطمأينة فخرج اهل الاسكندرية بسلاحهم وعدتهم لينعولهم من النزول فنعهم الوالى عليهم من ذلك وامرهم بلازمة السور ونزل الفرنج في البرمالي البحر وتقدموا الى المدينة ونصبوا عليها الدبابات والمنجنيقات وقاتلوا اشد القتال وصبر اهل البلد ولم يكن عندهم من العسكر الا القليل ورأى الفرنج من شجاعة اهل الاسكندرية وحسن سلاحهم ماراعهم وسيرت الكتب بالخال الى مصر الى السلطان صلاح الدين يستدعونه لدفع العدو عنهم ودام القتال اول يوم الى اخر النهار ثم عاود الفرنج القتال اليوم الثاني وجدوا ولازموا الزحف حتى وصلت الدبابات الى قريب السور ووصل ذلك اليوم من العساكر الاسلامية من كان قريبا من الاسكندرية فقيب بهم نفوس اهلها واحسنوا القتال والصير فلما كان اليوم الثالث فتح المسلمون باب البلد وخرجوا منه على الفرنج من كل جانب وهم غارون وكثر الصياح من كل جهة فارتاع الفرنج واشتد القتال فوصل المسلمون الى الدبابات فاحرقوها وصبروا للقتال فانزل الله نصره عليهم وظهرت اماراته ولم يزل القتال الى اخر النهار ودخل اهل البلد اليه وهم فرحون مستبشرون بما راوا من تباشير الظفر وفشل الفرنج وكثر القتل فيهم والجراح واما صلاح الدين فانه لما وصله خبر منازلة الفرنج الاسكندرية سار من مصر بعساكره وسير طائفة من العسكر الى دمياط خوفا عليها واحتياط وسير مملوكه مبشرا لاهل الاسكندرية بقدوم صلاح الدين والعساكر فوصل المملوك الاسكندرية وقت العصر والناس قد رجعوا من القتال فنادى في البلد ببشرهم بمجيء صلاح الدين والعساكر مسرعين ثم وصل صلاح الدين بعساكره في اثر المملوك فلما سمع الناس ذلك فرحوا وعادوا الى القتال وقد زال ما بينهم من تعب القتال والم الجراح وكل منهم يظن ان صلاح الدين معه فهو يقا تل قتال من يريد ان يشاهد قتاله وسمع الفرنج بوصول صلاح الدين في عساكره فسقط في ايديهم وازدادوا تعباً وفنورا فهاجهم المسلمون عند اختلاص الامم ووصلوا الى خيائهم ففخموها بما فيها من الاسلحة الكثيرة والتجملات ونثر القتل في الفرنج فهرب كثير منهم الى البحر وقربوا شوانيهم الى الساحل ليركبوا منها فسلم بعضهم وركب وغرق بعضهم وغاص بعض المسلمين في الماء وخرق بعض شوانى الفرنج ففرقت فخاف الباقون من ذلك فولوا بشوانيهم هاربين واحتمى ثلاثمائة من فرسان الفرنج على رأس تل فقاتلهم المسلمون الى بكرة ودام القتال الى ان اضحى النهار فقلبهم اهل البلد وقهروهم فصاروا بين قتيل واسير وكفى الله المسلمين شرهم وفي سنة ٥٧١ عظم ملك صلاح الدين فكاتبه الفرنج وطلبوا منه صلحا وهدنة فها دنهم على شروط معلومة وفي سنة ٥٧٣ انتقض الصلح لامور جرت فسار السلطان صلاح الدين من مصر بجيشه قاصدا قتل الفرنج وكان ذلك في جادى الاولى من السنة المذكورة فوصل الى عسقلان في الرابع والعشرين من الشهر هو وجنوده فنهبوا واسروا وقتلوا واحرقوا وتفرقوا في تلك الاعمال مغيين فلما رأوا ان الفرنج لم يظهر لهم عسكر ولا اجتمع لهم من يحمى البلاد طبعوا وساحوا الارض آمنين ووصل صلاح الدين الرملة عازما على ان يقصد بعض حصونهم ليحصره

فوصل الى نهر فاذبح الناس للعبور فلم يرعهم الا والا فرنج قد اشرفت عليهم بجنودها
وابطالها وكان مع صلاح الدين بعض العسكر لان اكثرهم تفرقوا في طلب الغنيمة فلما رأى
الفرنج وقفاهم فيامعه وقتلهم فقتل جماعة من الفريقين وقتل بن تقي الدين بن اخي صلاح
الدين ثم صارت الهزيمة على المسلمين وحل بعض الفرنج على صلاح الدين فغار به حتى كاد
يصل اليه فقتل الفرنجي بين يديه وتكاثر الفرنج عليه فغضى منهزما يسير قليلا ويقف قليلا
ليلحقه العسكر الى ان دخل الليل فسلك البرية الى ان مضى في نفر يسير الى مصر ولقوا
في طريقهم مشقة شديدة وقتل عليهم القوت والماء وهلك كثير من الدواب جوعا وعطشا
وسرعة سير واما العسكر الذي دخلوا بلاد الفرنج في الغارة فان اكثرهم ذهب مابين قتيلا
واسيرا وكان من جملة من اسر الفقيه عيسى الهكاري وكان من اشد الناس قتالا وكان جامعاً
بين العلم والدين والشجاعة واسرايضاً اخوه الظهير وكان قد سارا منهزمين فضلاً الطريق
فاخذوا معهم جماعة من اصحابها وبقوا سنين في الاسر فافتدى صلاح الدين الفقيه عيسى
بستين الف دينار وفدى ايضا جماعة كثيرة من الاسرى ولما حصلت هذه الهزيمة سار الفرنج
الى مدينة حماة وحا صروها وكان الامير عليها شهاب الدين الحارمي فقاتلهم هو واهل
البلد وكاد الفرنج يملكون البلد واشتد القتال وعظم الخطب وهجم الفرنج على بعض
البلد ودام القتال ليلاً ونهاراً واستمقتل المسلمون وحاموا عن الانفس والاهل والمال
ثم انزل الله عليهم النصر فاكثروا القتل في الفرنج واخرجوهم من البلد فارتحلوا خائبين
وكفى الله المسلمين شرهم ثم ساروا وحا صروا حارم فلم يتمكن لهم اخذها فساروا عنها
وفي سنة ٥٧٤ في ربيع الاول سار جمع كثير من الفرنج الى مدينة حماة وكثر جمعهم من الفرسان
والرجال طمعا في النهب والغارة فشنوا الغارة ونهبوا وخرّبوا القرى في طريقهم واسروا
وقتلوا فلما سمع العسكر المقيمون بحماة ساروا اليهم وهم قليل متوكلون على الله تعالى فالتقوا
وافتلوا وصدق المسلمون القتال فنصرهم الله تعالى وانهزم الفرنج وكثر القتل والاسرى
فيهم واستردوا ما غنموا من السواد وكان صلاح الدين بمحصر فحملت الروس والاسرى
والاسلاب اليه فأمر بقتل الاسرى فقتلوا لان الامام مخير في الاسرى بين القتل والفدا
والمن بلا فدا وفي ذى القعدة من هذه السنة اجتمع الفرنج وساروا الى دمشق مع ملكهم
فاغاروا على اعمالها فنهبوها واسروا وقتلوا وسبوا فارسل صلاح الدين فرخشا ولد اخيه
ومعه كثير من العسكر فقاتلهم ونصره الله عليهم وقتل كثير منهم وقتل جماعة من مقدميهم
منهم هنقرى كان يضرب به المثل في الشجاعة والرأى في الحرب فاراح الله من شره وفي
سنة ٥٧٥ بنى الفرنج حصناً منيعاً بالقرب من بانياس عند بيت يعقوب عليه السلام فكان
يعرف بمخاضة الاحزان فلما سمع بذلك صلاح الدين بذل للفرنج ستين الف دينار ليهدموه بغير قتال
فامتنعوا فصار من دمشق الى بانياس واقام بها وبيت الغارات على الفرنج ثم سار الى الحصن بعساكره
فحاصروا الحصن وقتلوا من به وعاد هو الى بانياس وخيله تغير على بلاد العدو وارسل
جماعة من عسكره مع جالبي الميرة فلم تشعرا الا والفرنج مع ملكهم قد خرجوا عليهم فارسلوا
الى صلاح الدين يعرفونه الخبر فسار في العساكر مجدافاً فاهمهم وهم في القتال فقاتل الفرنج قتالاً

شديدا وحملوا على المسلمين جلالات كادوا يزيلونهم عن مواقعهم ثم انزل الله نصره على المسلمين
 وهزم المشركين وقتلت منهم مقتلة كثيرة ونجا ملكهم فريدا واسر كثيرا منهم ابن بيرزان
 صاحب الرملة و نابلس وهو اعظم الفرنج محلا بعد الملك واسروا ايضا اخا صاحب جبيل
 وصاحب طبرية وغيرهم من مشاهير فرسانهم فأما ابن بيرزان فأه فدى نفسه بمائة الف وخمسين
 الف دينار واطلاق الف اسير من المسلمين ثم عاد صلاح الدين الى بانياس من موضع المعركة وبجهاز
 للدخول الى ذلك الحصن ومحاصرته فأحاط به وبث العساكر للانغارة على الفرنج في تلك
 الاطراف ثم زحف المسلمون على الحصن واشتد القتال وعظم الامر ونقبوا الحصن واشعلوا
 النيران فيه وانتظروا سقوط السور وكان عرضه تسعة ازرع بالبجاري فلم يسقط الا بعد
 ايام فدخل المسلمون الحصن عنوة وقتلوا كل من فيه واطلقوا من كان فيه من اسرى المسلمين
 وقتل صلاح الدين كثيرا من اسرى الفرنج وادخل الباقين الى دمشق فسجنوا واقام صلاح
 الدين بمكانه حتى هدم الحصن وعفي اثره والحقه بالارض وكان جلة من الفرنج قد احتموا
 بطبرية ليحموا الحصن فلما اتاهم الخبر بأخذه تفرقوا وفي سنة ٥٧٨ فتح المسلمون شقيفا
 واخذوه من الفرنج وهو من اعمال طبرية مطل على السواد وكان على المسلمين منه اذى
 شديد ولما بلغ الفرنج مسير صلاح الدين من مصر الى الشام جمعوا له وحشده والفراس
 والراجل واجتمعوا بالكرك بالقرب من الطريق لعلمهم ينتهزون فرصة وربما عاقوا المسلمين
 عن السير بان يقفوا على بعض المضائق فلما فعلوا ذلك خلت بلادهم من ناحية الشام فسمع
 فرخ شاه ابن اخي صلاح الدين الخبر فجمع من عنده من عساكر الشام وقصد ما بأيديهم من
 البلاد واغار عليها ونهب وبورية وما يجاورها من البلاد واسر الرجال وقتل وسبي
 النساء وغنم الاموال وفتح منهم الشقيف ففرح المسلمون بفتحهم فرحا عظيما لما كان يحل لهم
 من الاذى منه ولما وصل صلاح الدين الى دمشق سار الى طبرية وكانت الفرنج بجموعها
 نازلة بطبرية فنزل بالقرب منها واغار ابن اخي صلاح الدين على بيسان فدخلها قهرا وغنم
 ما فيها وقتل وسبي واغارت العساكر والعربان في تلك الولاية حتى قاربوا مرج عكا
 وسار جماعة من الفرنج من طبرية فنزلوا تحت جبل كوكب فقاتلهم المسلمون قتالا شديدا
 وأثنوا القتل فيهم فرجعوا ورجع صلاح الدين الى دمشق ثم سار منها الى بيروت يريد
 حصارها وفتحها فأتاه الخبر ان البحر التي مركبا للفرنج فيه جمع عظيم منهم الى دماط كانوا
 قد خرجوا لزيارة بيت المقدس فأسر المسلمون من بها بعد ان غرق كثير منهم وكان عدة
 الاسرى الفا وستمائة وستا وسبعين الفا فضربت بذلك البشارة وسار اسطول للمسلمين من مصر
 في البحر فلقوا اسطولا للفرنج فيه ثلاثمائة منهم معهم الاموال والسلاح مرسلين الى فرنج ان ساحل
 فقاتلهم المسلمون فظفروا بهم واخذوا والفرنج اسرى فقتلوا بعضهم وابقوا بعضهم وغنموا
 ما معهم ثم اغار صلاح الدين على بيسان فأحرقها وخربها وقتل من فيها ثم اغار على الكرك
 واطرافها ثم وصل الى نابلس فأحرقها وخربها وقتل واسر وسبي ولم يزل يشن على الفرنج
 الغارات في كل الاطراف ويطول الكلام بذكر وقايعة مع الفرنج الى ان فتح طبرية بعد
 قتال شديد ووقايعة هائلة واكثر القتل والاسر والفرنج وكان جيش صلاح الدين لما حاصر

طبرية ثمانين الفاغلا اشرف عليها وحاصرها وافاه ملك الفرنج الذي بيت المقدس بجيوش هائلة للمدافعة والمحامات عن اهل طبرية لانها كانت عندهم من اهم مراكز البلاد وهناك التقى المعسكران وماجت الارض بالعساكر واستمر القتال بين الفريقين وكانت الدائرة على الصليب فانقلبوا منهزمين على الاعقاب طالبين النجاة بعد ان فقد منهم نحو ثلاثين الفا ووقع الملك اسيرا مع خواصه واكابر رؤسائه في ايدي الاسلام وعند نهاية الحرب قتل صلاح الدين مائتين وثلاثين رجلا من اعيان الافرنج المأسورين واما الملك فأنه ارسله الى دمشق ثم سار صلاح الدين الى عكا وحاصرها وضيق عليها فطلب اهلها الامان فأمّنهم على انفسهم واموالهم وخيرهم بين الإقامة والظمن فاختراروا الرحيل خوفا من المسلمين وساروا متفرقين وحلوا ما امكنهم حمله وتركوا الباقي على حاله ودخل المسلمون عكا يوم الجمعة مستهل جادى الاولى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ثم تابعت الفتوحات بعد فتح طبرية وعكا وهما فتحان عظيمان وفي الحقيقة هما اول الفتوحات والذي كان قبلهما انما كان اغارة في الاطراف وغزوات وسريات وسبب تأخر الفتوحات الى سنة ٥٨٣ مع ان السلطان نور الدين توفي سنة ٥٦٩ وصار الملك بعده لصلاح الدين ان كثيرا من اعمال السلطان نور الدين الذين تحت حكمهم كثير من ممالكه امتنعوا من الدخول تحت طاعة السلطان صلاح الدين ووقع بينه وبينهم محاربات في هذه السنين بطول الكلام يذكرها حتى ادخلهم تحت طاعته وصفي له الامر وقبل ذلك ما كان ممكنا من التفرغ لقتال الفرنج كل التفرغ واما في هذه السنة سنة ٥٨٣ فقد تفرغ لهم كل التفرغ وتوجه غاية التوجه ولما ارتحل الفرنج من عكة ودخلها المسلمون غنموا ما بقى مما لم يطق الفرنج حمله وكان من كثرته يعجز الاحصاء عنه فراوا فيها من الذهب والجوهر والبندق والسلاح وغير ذلك من انواع الامتعة كثيرا فانها كانت مقصد التجار الافرنج والروم وغيرهم من اقصى البلاد وادناها وكان كثير منها قد خزنه التجار وسافروا عنه لكساده فلم يكن له من يتقله فغنه المسلمون واقام صلاح الدين بعكا اياما لا صلاح حالها وتقرير قواعدها ثم ارتحل وفرق العساكر الى الناصرية وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيبوف والغولة وغيرها من البلاد المجاورة لعكا فلكوها ونهبوها وامسروا رجالها وسبوا نساءها واطفالها وقدموا بما سدا الفضا وبعث احاده سيف الدين الى مدينة يافا فحصرها وملكها وغنم ما فيها واسر الرجال وسبي الحرير وجرى على اهلها ما لم يجز على احد من اهل تلك البلاد وسار صلاح الدين وابن اخيه تقي الدين وكثير من العساكر وحاصروا تبين وضايقوها وهى من القلاع المنيعه على جبل فلما ضاق عليهم الامر واشتد الحصر أطلقوا من كان عندهم من اسرى المسلمين وهم يزيدون على مائة ثم ارسلوا يطلبون الامان فأمّنهم وسيرهم الى مأمنهم ثم رحل الى صيدا فاجتاز في طريقه بصرفند فأخذها صفوا عفوا بغير قتال ثم سار الى صيدا وهى من مدن الساحل المعروفة فلما سمع صاحبها بمسيره نحوه سار عنها وتركها فارغة من مانع ومدافع فلما وصلها صلاح الدين تسلمها ساعة وصوله ثم سار عنها الى بيروت وهى من احصن مدن الساحل فلما وصل اليها رأى اهلها قد صعدوا على سورها واطهروا القسوة والجلد والعدد قاتلوا على

سورها قلة الاشديدا واغتروا بحصانة البلد وظنوا انهم قادرون على حفظه وزحف المسلمون اليهم مرة بعد اخرى فيبغا الفرنج يقسانلون اذ سمعوا من البلد جلبة عظيمة وغلبة زائدة فأتاهم من اخبرهم ان البلد قد دخله المسلمون من الناحية الاخرى غلبة وقهرا فأرسلوا ينظرون ما الخبر واذا ليس له صحة فأرادوا تسكين من به فلم يمكنهم ذلك لكثرة ما اجتمع فيه من السواد فلما خافوا على انفسهم من الاختلاف الواقع ارسلوا يطلبون الامان فأمهم على انفسهم واماوهم وتسلمها في التاسع والعشرين من جادى الاولى من السنة المذكورة وكان مدة حصرها ثمانية ايام ثم اراد صلاح الدين السير الى جبيل وكان صاحبها من جملة الاسرى الذى سبروا الى دمشق فتحدث مع نائب صلاح الدين بدمشق في تسليم جبيل على شرط اطلاقه فعرف صلاح الدين بذلك فأمر بأرساله اليه فأحضره مقيدا وكان العسكر حينئذ على بيروت فسلم حصنه وأطلق اسرى المسلمين الذين به وأطلقه صلاح الدين كما شرط له وكان هذا صاحب جبيل من اعيان الفرنج واصحاب الرأى والمكر والشر يضرب به المثل بينهم وكان للمسلمين عدوا ازرق فكان اطلاقه من الاسباب الموهنة للمسلمين على ماسباتى بيانه ولما ملك صلاح الدين بيروت وجبيل وغيرهما كان امر عسقلان والقدس عنده اهم لاسباب منها انهما على طريق مصر يقطع بينهما وبين الشام وكان يختار ان تتصل الولايات فيسهل خروج العسكر منها ودخولهم اليها ولما في فتح القدس من الذكر الجليل والصيت العظيم الى غير ذلك من الاغراض فسار عن بيروت نحو عسقلان واجتمع بأخيه سيف الدين العادل ومن معه من عساكر مصر ونازلوا هابوم الاحد سادس عشر جادى الآخر وكان صلاح الدين قد احضر من دمشق ملك الفرنج الذى اسر في وقعة طبرية ومعه مقدم الداوية وقال لهما ان سلمتما البلد الى فلانكم الامان فارسلنا الى من بعسقلان من الفرنج يأمرانهم بتسليم البلد فلم يسمعوا امرهم فارتدوا عليهم اجمع رد وجبهوهما بما يسؤهما فلما رأى السلطان ذلك جد فى قتال المدينة ونصب المنجنيقات عليها وزحف بجيوشه اليها مرة بعد اخرى وتقدم النقايون فنقبوا منه شيا ولم يكن يكرر اليهم المراسلات بالتسليم ويشير عليهم ويعددهم انه اذا اطلق من الاسر اضرهم البلاد على المسلمين نارا واستجبد بالفرنج من البحر واجلب الخيل والرجل من اقاصى بلاد الفرنج وادانيها وهم لا يجهلون الى ما يقول ولا يسمعون ما يشير به ولما رأوا انهم كل يوم يزدادون ضعفا ووهنا واذا قتل منهم الرجل لا يجدون له عوضا ولاهم نجدة ينتظرونها ارسلوا صلاح الدين في تسليم البلد على شروط اشترطوها فأجابهم صلاح الدين اليها وسلموا المدينة سلخ جادى الآخرة من السنة المذكورة وكان مدة الحصار اربعة عشر يوما وسيرهم صلاح الدين ونساءهم واماوهم واولادهم الى بيت المقدس ووفى لهم بالامان ثم اقام صلاح الدين بظاهر عسقلان وبث السرايا من اطراف البلاد المجاورة لها ففتحوها الرملة والداروم وغزة والخليل وبيت لحم وبيت جبريل والنظرون وكل ما كان للداوية ثم لما فرغ من امر عسقلان وما يجاورها من البلاد سار الى فتح بيت المقدس وكان قد ارسل اسطولا في البحر يقطعون الطريق على الفرنج كل ما رأوا وهم مركبا غنموه وشايبا أخذوه وكان في بيت المقدس البطرك المعظم عندهم وهو اعظم شانا من ملكهم وبه ايضا باليان

ابن بيرزان صاحب الرملة وكانت مرتبته عندهم تقارب مرتبة الملك وبه ايضا من خلص
فرسانهم كثيرون وقد جرموا وحشدوا واجتمع اهل تلك النواحي عسقلان وغيرها فاجتمع
به كثير من الخلق يبلغون ستين الفا ما بين فارس وراجل سوى من يتبعهم من النساء
والولدان كلهم يرى الموت أيمر عليه من ان يملك المسلمون البيت المقدس ويأخذوه منهم
ويرى ان بذل نفسه وماله واولاده بعض ما يجب عليه من حفظه وحصونه تلك الايام
بها وجدوا اليه سبيلا وصعدوا على سوره بحدهم وحديدهم مجتمعين على حفظه والذب
عنه بحدهم وطاقتهم مظهرين العزم على المناضلة وانه بحسب استطاعتهم ونصبوا
المنجنيقات فيمنعون من يريد الدنونه والنزول اليه فلما قرب صلاح الدين منه رأى على
سوره من الرجال ما هاله وسموا الالهة من الغلبة والفجيج من وسط المدينة ما استدلوا به
على كثرة الجمع وبقي صلاح الدين خمسة ايام يطوف حول المدينة لينظر من اين يقاقله لانه
في غاية الحصانة والامتناع فلم يجد عليه موضع قتال الا من جهة الشمال نحو باب عمودا وكنيسة
صهيون فانقل الى هذه الناحية في العشرين من رجب ونصب تلك الليلة المنجنيقات فأصبح
من القد وقد فرغ من نصبها ورمى بها ونصب الفرنج على سور البلد منجنيقات ورموا بها
وقاتل كل من الفريقين اشد قتال كل يرى ذلك دينا وحملا واجبا فلا يحتاج فيه الى باعث
سلطاني بل كانوا ينعون فلا ينعون ويزجرون فلا يزجرون وكان خيالة الفرنج كل يوم
يخرجون الى ظاهر البلد يقاتلون ويارزون فيقتل من الفريقين ومن استشهد من المسلمين
الامير عز الدين بن مالك وهو من اكابر الامراء وكان محبوسا الى الخاصة والعامة فلما رأى
المسلمون مصرعه عظم عليهم ذلك وأخذ من قلوبهم فحملوا حلة رجل واحد فازالوا الفرنج
من مواقعهم فادخلوهم بلدهم ووصل المسلمون الى الخندق فجاوزوه والتصقوا الى السور
فنتقبوه وزحفوا الرماة يحمونهم والمنجنيقات توالى الرمي لتكشف الفرنج عن الاسوار ليتمكن
المسلمون من القرب فلما رأى الفرنج شدة قتال المسلمين وتحكم المنجنيقات بالرمي المتدارك وتمكن
النقابين من النقب وانهم قد اشرفوا على الهلاك اجتمع مقدموهم يتشاورون فيما يأتون
ويذرون فاتفق رأيهم على طلب الامان وتسليم البيت المقدس لصلاح الدين فارسلوا جماعة
من كبرائهم واعيانهم في طلب الامان فامتنع السلطان صلاح الدين من اجابتهم وقال لا افعل بكم
الا كما فعلتم باهله حين ملكتموه سنة ٤٩٢ من القتل والسبي وجزاء السيئة بمثلها فلما رجع
الرسول خائبين محرومين ارسل باليان بن بيرزان وطلب الامان لنفسه ليحضر عند صلاح
الدين في هذا الامر وتحريره فاجيب الى ذلك وحضر عنده ورغبه في الامان وسأله فيه فلم
يجبه الى ذلك واستعطفه فلم يعطف عليه واسترحه فلم يرجه فلما ايس من ذلك قال ايها السلطان
اعلم اننا في هذه المدينة في خلق كثير لا يعلمهم الا الله تعالى وانما يفترقون عن القتال رجاء الايمان
ظنا منهم انك نجيبهم كما اجبت غيرهم وهم يكرهون الموت ويرغبون في الحياة فاذا رأينا الموت
لا بد منه فوالله لنقتلن ابنائنا ونسائنا ونحرق اموالنا وامتنعنا ولا نترككم تغفون منها ديناراً
واحداً ولا درهماً ولا تسبون وتأسرون رجلاً ولا امرأة واذا فرغنا من ذلك اخبرنا
الصخرقو المجد الاقصى وغيرهما من المواضع ثم نقتل من عندنا من اسرى المسلمين وهم خمسة

آلاف ولا نترك لنادابة ولا حيوانا الاقتلناه ثم خرجنا اليكم كلنا وقاتلناكم قتال من يريد ان
يحمي دمه ونفسه وحينئذ لا يقتل الرجل حتى يقتل امثاله وغت اعزاً أو نظفر كراما فاستشار
صلاح الدين اصحابه فاجمعوا على اجابتهم الى الامان وان لا يخرجوا ويحملوا على ركوب مالا
يدري عاقبة الامر فيه عن اي شيء تنجلي ونحسب انهم اسرى بايدينا فنيدهم نفوسهم بما يستقر
بيننا وبينهم فاجاب صلاح الدين حينئذ الى بذل الامان للفرنج فاستقر ان يؤخذ من الرجل عشرة
دنانير يستوى فيه الغني والفقير ويؤخذ من الطفل من الذكور والاناث ديناران وتزن المرأة خمسة
دنانير فن أدى ذلك الى اربعين يوماً فقد نجحوا ومن انقضت الاربعون يوماً عنه ولم يؤد ما عليه فقد
صار مملوكاً فبذل باليان ابن بيرزان عن الفقراء ثلاثين الف دينار فأجيب الى ذلك وسلمت المدينة
يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسائة وكان يوم مشهود اورفعت
الاعلام الاسلامية على اسواره ورتب صلاح الدين على ابواب البلد في كل باب أمينا من الامراء
ليأخذ من اهله ما استقر عليهم فاستعملوا الخيانة ولم يؤدوا فيه امانة واقتسم الامناء الاموال
وتفرقت أيدي سبا ولو ادبت فيه الامانة لملا الخزائن وعم الناس وبقي بعد هذا جيعه من لم يكن
معه ما يعطى وأخذ أسير استة عشر الفا انسان ما بين رجل وامرأة وصبي وأظهر صلاح
الدين من علو الهمة والشفقة والرحمة مالا يزيد عليه فكان يرضى من الفقراء والمحتاجين بما يتيسر
عليهم حتى انه اطلق ثلاثة آلاف رجل بدون فدية وكان في المدينة الملكة زوجة الملك
المأسور وعند مقابلة صلاح الدين اياها أظهر لها من الرقة واللاطف وكرم الاخلاق مالا يوصف
وكان يكلمها ودعوه تجرى واطلق لها مالها وحشمها واستأذنته في المسير الى زوجها وكان
محبوسا بقلعة نابلس فأذن لها فأتته واقامت عنده وخرج البطرک الكبير الذي للفرنج
ومعه احوال البيع منها الصخرة والاقصى وقامة وغيرها مالا يعلمه الا الله تعالى وكان له من
المال مثل ذلك فلم يعرض له صلاح الدين قتيلا له ليأخذ ما معه يقوى به المسلمين فقال لا اغدر به
ولم يأخذ منه غير عشرة دنانير وسير الجميع ومعهم من يحميهم الى مدينة صور وامر صلاح
الدين بتطهير المسجد والصخرة من الاقدار ولما كانت الجمعة الاخرى رابع شعبان صلى المسلمون
فيه الجمعة ومعهم صلاح الدين ثم رتب فيه صلاح الدين خطيبا واماما برسم الصلوات الخمس
وامر ان يعمل له منبر فقبل له ان نور الدين محمود كان قد عمل منبر البيت المقدس رجاء ان
يفتحه الله على يديه وامر الصنائع بتحسينه واتقانه لم يعمل في الاسلام مثله فأمر بأحضاره
فحمل من حلب ونصب ببيت المقدس وكان بين عمل المنبر وحله ما يزيد على عشرين سنة
وكان هذا من كرامات نور الدين وحسن مقاصده رحمه الله ثم امر صلاح الدين بعمارة المسجد
الاقصى واستنفاد الوسع في تحسينه وازالة ما احدثوه من التصويرات وكان الفرنج فرشوا
الرخام فوق الصخرة وغيبوها فأمر بكشفها وكان سبب تغطيتها بالرخام ان القيسيين باعوا
كثيرا منها للفرنج الواردين اليهم من داخل البحر للزيارة فكانوا يشترونه بوزنه ذهباً رجاء
بركتها وكان احدهم اذا دخل الى بلاده باليسير منها بنى له الكنيسة ويجعله في مذبحها
فخاف بعض ملوكهم ان تقضى فأمر بها ففرش فوقها الرخام حفظا لها فلما كشفت نقل اليها
رح الدين المصاحف الحسنة والربعات الجيدة ورتب القراء وأدر عليهم الوظائف الكثيرة

فما دالاسلام هناك غضا نظريا وهذه المكرمة من فتح بيت المقدس لم يفعلها بعدد عمر بن الخطاب
رضي الله عنه غير صلاح الدين رحمه الله وكفاه ذلك فخرا وشرفا واما الافرنج من اهل قانهم
اقاموا وشرعوا في بيع ما لا يمكنهم حمله من امتعتهم وذخايرهم واموالهم وباعوا ذلك بأرخص
الثلث فاشترى التجار من اهل العسكر واشترى النصارى من اهل القدس الذين ليسوا من الافرنج
فأنهم طلبوا من صلاح الدين ان يملكهم من المقام في مساكنهم و يأخذ منهم الجزية فأجابهم الى ذلك
فاستغروا واشترىوا حينئذ من اموال الافرنج التي تركوها اشياء كثيرة لم يمكنهم بيعها من الاسرة
والصناديق وغير ذلك وتركوا ايضا من الرخام الذي لا يوجد مثله من الاساطين والالواح
وغير ذلك شيا كثيرا وساروا وفرق صلاح الدين على ارامل وايتام القتلى من الافرنج مالا
كثيرا وسمع للمنولجين على القشلات والمستشفيات ان يقولوا في المدينة سنة اخرى للملاحظة
المرضى والعاجزين والاعتناء بهم ثم اقام صلاح الدين بظاهرا القدس الى الخامس والعشرين
من شعبان يرتب امور البلد واحوالها وتقدم بعمل الربط والمدارس لجعل دار الاستنار
مدرسة للشافعية وهي في غاية ما يكون من الحسن وكانت مدة استيلاء الفرنج على
بيت المقدس احدى وتسعين سنة لانهم ملكوه سنة اثنتين وتسعين واربعمئة واخذ منهم
سنة ثلاث وثمانين وخمسائة فلما فرغ من امر البلد سار الى مدينة صور وكانت قد اجتمع
فيها من الفرنج عالم كثير وقد صار المراكيش صاحبها والحاكم فيها وكان تاجرا من تجارهم
وقد ساسهم احسن سياسة وبالغ في تحصين البلد ووصل صلاح الدين الى عكا
فيها اياما فلما سمع المراكيش بوصوليه اليها جدي في عمل سور صور وخنادقها وتعميرها
ووصلها من البحر الى البحر من الجانب الآخر فصارت المدينة كالجزيرة في وسط الماء لا يمكن
الوصول اليها ولا الدخول منها ثم رحل صلاح الدين من عكا فوصل الى صور تاسع شهر رمضان
فزل على نهر قريب من البلد بحيث يراه حتى اجتمع الناس وتلاحقوا وسار في الثاني والعشرين
من رمضان فزل على تل يقارب سور البلد بحيث يرى القتال وقسم القتال على العسكر كل جمع
منهم له وقت معلوم يقاتلون فيه بحيث ان يتصل القتال على اهل البلد على ان الموضع الذي
يقاتلون منه قريب المسافة يكفيه الجماعة اليسيرة من اهل البلد لحفظه وعليه الكنادق التي
وصلت من البحر الى البحر فلا يكاد الطير يطير عليهما فان المدينة كالكف في البحر والساعد
متصل بالبر والبحر من جانبي الساعد والقتال اغاهو في الساعد فرحف المسلمون مرة بالمنجنيقات
والعرادات والشمروخ والدبابات والعرادات شىء اصغر من المنجنيق والشمروخ نصل لم يركب
والدبابة آلة تتخذ للحروب فتدفع في اصل الحصن فيقبون وهم في جوفها وكان عشرة صلاح
الدين يتناوون القتال مثل ولده الفضل وولده الظاهر غازي واخيه العاد بن ايوب
وابن اخيه تقي الدين وكذلك سائر الامراء وكان للفرنج شواني وحرقات يركبون فيها في البحر
ويقفون من جانب الموضع الذي يقاتل المسلمون منه اهل البلد فيرمون المسلمين من جانبهم
بالشمروخ ويقاتلونهم وكان ذلك يعظم على المسلمين لان اهل البلد يقاتلونهم من بين ايديهم
واصحاب الشواني يقاتلونهم من جانبهم فكانت سهامهم تنفذ من احد الجانبين الى الجانب
الآخر لضيق الموضع فكثير الجراحات في المسلمين والقتل ولم يتمكنوا من الدخول الى البلد فارسل

صلاح الدين الى الشوانى التي جاءت من مصر وهي عشر قطع وكانت بعكا فاحضرها برجانها ومقاتلتها وعدتها فكانت في البحر تنزع شوانى اهل صور من الخروج الى قتال المسلمين فتتمكن المسلمون حينئذ من القرب من البلد ومن قتاله فقاتلوه برا وبحرا وضايقوه سم حتى كادوا يظفرون فجاءت الاقدار بما لم يكن في الحساب وذلك ان خمس قطع من شوانى المسلمين باتت في بعض تلك الليالى مقابل ميناء صور لينمووا من الخروج والدخول اليهم فباتوا اليهم يحرسون فلما كان وقت السحر آمنوا فناموا فاشمروا الالبشوانى الفرنج قد نازلتهم فازاتتهم وضايقتهم فلو قعت بهم فقتلوا من ارادوا قتله واخذوا الباقين براكبهم وادخلوهم ميناء صور والمسلمون في البر ينظرون اليهم ورعى جماعة من المسلمين انفسهم من الشوانى في البحر فذهب من سبع فنجاء ومنهم من غرق وتقدم السلطان الى الشوانى الباقية وامرهم بالمسير الى بيروت لعدم انتفاعه بها لقلتها فسارت قتبها شوانى الفرنج حين رأى من في شوانى المسلمين الفرنج مجدين في طلبهم ألقوا انفسهم من شوانىهم الى البر فنجوا وتركوها فأخذها صلاح الدين ونقضها وعاد الى مقاتلة صور في البر وكان ذلك قليل الجدوى لضيق المجال وفي بعض الايام خرج الفرنج فقاتلوا المسلمين من وراء خنادقهم فاشتد القتال بين الفريقين ودام الى آخر النهار وكان خروجهم قبل العصر وأسروا منهم فارس كبير مشهور بعدان كثر القتال والقتل عليه من الفريقين لما سقط فلما أسر قتل وبقوا كذلك عدة ايام فلما رأى صلاح الدين ان امر صور يطول رحل عنها وندم على ما فرط منه قبل ذلك فانه كان كلما فتح مدينة وأمن اهلها الفرنج يجهزهم باموالهم ورجالهم الى صور من اهل عكا وعسقلان والقدس وغير ذلك فصار فيها بالساحل فرسان الفرنج باموالهم ورجال التجار وغيرهم فحفظوا المدينة وراسلوا الفرنج داخل البحر يستمدونهم فاجابوهم بالتلبية لدعوتهم ووعدهم بالنصر وامروهم بحفظ صور لتكون دار هجرتهم يحتمون بها ويلتجئون اليها فزادهم ذلك حرصا على حفظها والذب عنها فلا ينبغي للملك ان يترك الحزم وان ساعدته الاقدار فلان يهجز حازما خيرا من ان يظفر مفردا مضيقا بالحزم ويكون الحزم اعذر له عند الناس فرحل عنها آخر شوال الى عكا واذن للعسكر بالعود الى اوطانهم والاستراحة في الشتاء والعود في الربيع فمادت عساكر الشرق والموصل وغيرها وعساكر الشام وقصر ربيعي في حلقة الخاصة معيابعكا وكان قد ارسل قبل ذلك جماعة لحصار هونين فلما كان محاصرا مدينة صور ارسل اهل هونين يطلبون الامان فأمنهم فسلموا ونزلوا منها فوق في اهلهم بامان ولما دخل المحرم سنة ٥٨٤ سار صلاح الدين من عكا فبين تخلف عنده من العسكر الى قلعة كوكب وهي مطلقة على الاردن ونازلها ظنانه ان ملكها سهل وهو في قلعة من العسكر فلما رآها مالبة منيعة والوصول اليها متعذر وكان عنده منها ومن صفد والكرك المقيم المقعد لان البلاد الساحلية من عكا الى جهة الجنوب كانت قد ملك جيهها ما عدا هذه الحصون وكان اهل هذه القلاع يقطعون الطريق على التجار فكان احب شيء اليه ان يملكها ليأمن الطريق للتجارين فلما احصرها وراها منيعة يبطئ ملكها رحل عنها وجعل عليها جماعة يحاصرونها وسار الى دمشق وكتب الى البلاد جيهها باجتماع العساكر وسار من دمشق منتصف ربيع الاول ووصل الى حصن ثم اغار على مواضع للفرنج ووصل الى قريب طرابلس وابصر البلاد وعرف

من اين يأتيهم ما ذالى معسكره سالما وقد غنم العسكر من الدواب على اختلاف انواعها ما لا يحصى
ونزل على حصن الاكراد من الجانب الشرقى من حصن واقام الى آخر ربيع الآخر وكانت جيلة
من اعمال انطاكية بيد الفرنج وفيها كثير من المسلمين ولها قاض مسموع الكلمة عند الفرنج والمسلمين
وجعله الفرنج يحكم على المسلمين واسمه منصور بن شيل فاخذته القفرة للدين فجاء الى السلطان
صلاح الدين وتكفل له بفتح جيلة واللاذقية والبلاد الشمالية فاستجاب لهم بفتحها بفتح رابع
جداى الاولى فنزل بانطرسوس سادسه فرأى الفرنج قد اخلوا الاساطين وحقوا في برجين
حصينين كل واحد منهما قلعة حصينة ومقل منيع فحرب المسلمون دورهم ومساكنهم وسور
البلد ونهبوا ما وجدوه من ذخائرهم وحاصروا احد البرجين فنزل اليه من في احدهما بامان
وسلموه فامتهم وخرب البرج والى ججارتها في البحر وترك من في البرج الآخر فحرب صلاح الدين
ولاية انطرسوس ورحل عنها واتى مرقبة وقد رحل عنها اهلها وساروا الى المرقب وهى
من حصونهم التى لا ترام ولا تحدث احد نفسه بملكه لعلوه وامتناعه والطريق تحته والحصن
على عين المجتاز الى جيلة والبحر عن يساره والطريق مضيق لا يسلكه الا الواحد بعد الواحد
واتفق ان ابن صاحب صقلية ارسل نجدة الى فرنج الساحل ستين قطعة من الشوانى وكانوا
بطرابلس فلما سمعوا بمسير صلاح الدين جاؤا ووقفوا في البحر تحت المرقب في شوانيم لينموا
من يجتاز بالسهام فلما رأى صلاح الدين ذلك امر بوضع سرر واخشاب فصفى على الطريق
مما بلى البحر من اول المضيق الى آخره وجعل وراها الرماة فنعوا الفرنج من الدنوا اليهم فاجتاز
المسلمون عن آخرهم حتى عبروا المضيق ووصلوا الى جيلة ثانى عشر جداى الاولى وتسلمها
وقت وصوله وكان قاضيا قد سبق اليها ودخل فلما وصل صلاح الدين رفع اعلامه على
سورها وسلمها اليه وتحصن الفرنج الذين كانوا بها واحتموا بقلعتها فزال قاضى جيلة يخوفهم
ويرغبهم حتى استزلهم بشرط الامان وان يأخذ رهاينهم يكونون عنده الى ان يطلق الفرنج
رهانهم من المسلمين من اهل جيلة وكانوا بانطاكية وقرر صلاح الدين احوال جيلة وجعل فيها اميرا

ذكر فتح اللاذقية

وسار الى اللاذقية فترك الفرنج المدينة للجزهم عن حفظها وصعدوا الى حصنين
لهم على الجبل فامتدوا بهما فدخل المسلمون المدينة وحاصروا الحصنين وزحفوا
اليهما ونقبوا الاسوار وعظم القتال واشتد الامر عند الوصول الى السور فلما يقن
الفرنج العطب دخل اليهم قاضى جيلة فخوفهم من المسلمين فطلبوا الامان فامتهم
صلاح الدين ورفعوا الاعلام الاسلامية الى الحصنين وسلم صلاح الدين اللاذقية لابن اخيه
تقي الدين عمر وجعله اميرا عليها ولما نازل صلاح الدين اللاذقية وصل اسطول صقلية الذى
يقدم ذكره فوقف بازاء ميناء لاذقية فلما سلمها الفرنج الذين بها الى صلاح الدين عزم اهل
هذا الاسطول على اخذ من يخرج منها من اهلها الفرنج غيظا عليهم حيث سلموها سريعا
فسمع بذلك اهل لاذقية فأقاموا وبذلوا الجزية فكان ذلك سبب مقامهم فيها ثم ان مقدم هذا
الاسطول طلب من السلطان الامان ليحضر عنده فأمنه وحضر وقبل الارض بين يديه
وقال ما معناه انك سلطان رحيم كريم وقد فعلت بالفرنج ما فعلت فذلوا فتركهم يكونوا

ما اليك وجندك تفتح بهم البلاد والممالك وترد عليهم بلادهم والاجاءك من البحر ما لا طاقة لك به فيعظم عليك الامر ويشتد الحال فأجابه صلاح الدين بنحو من كلامه مع اظهار القوة والاستهانة بكل من يحمي من البحر وانهم ان خرجوا اذاقهم ما اذاق اصحابهم من القتل

فانقلب على وجهه ورجع الى اصحابه

ذكر فتح صهيون

ارحل صلاح الدين في السابع والعشرين من جادى الاولى وقصد قلعة صهيون وهى قلعة منيعة شاهقة في الهواء صعبة المرتقى على قنة جبل يطيف بها واد عميق فيه ضيق في بعض المواضع بحيث ان حجر المنجنيق يصل منه الى الحصن الا ان الجبل متصل بها من جهة الشمال وقد عملوا لها خندقا عميقا لا يرى قعره وخيمة اسوار منيعة فنزل صلاح الدين على هذا الجبل المتصق بها ونصبت عليه المنجنيقات ورماها وتقدم الى ولده الظاهر صاحب حلب فنزل على المكان الضيق من الوادى ونصب عليه المنجنيقات ايضا فراى الحصن منه وكان معه من الرجاله الحلبيين كثير وهم في الشجاعة بالمرلة المشهورة ودام رشق السهام من قسي اليد والشرخ وغير ذلك فخرج اكثر من الحصن وهم يظهرون التجملد والامتناع وزحف المسلمون اليهم فتعلقوا بقرنة من ذلك الجبل فتسلقوا بين الصخور حتى التحقوا بالسور فلكوا منها ثلاثة وغنموا ما فيها من ابقار ودواب وذخائر وغير ذلك واحتفى الفرنج بالقصة التى للقلعة فقاتلهم المسلمون عليها فنادوا وطلبوا الامان فلم يجبههم صلاح الدين اليه فقرروا على انفسهم مثل قطيعة البيت المقدس وتسلم الحصن وسله الى امير بقال له ناصر الدين فحصد وجعله من احصن الحصون

ذكر فتح عدة حصون

ولما ملك المسلمون صهيون تفرقوا في تلك الواحى فلكوا حصن بلاطنوس وحصن العبد وحصن الجماهرين فانسعت الممالك الاسلامية بتلك الناحية ثم سار صلاح الدين عن صهيون ثالث جادى الآخرة فوصل الى قلعة بكاس فراى الفرنج قد اخلاوها وتحصنوا بقلعة الشفر فلما قلعة بكاس بغير قتال وتقدم الى قلعة الشفر وهى وبكاس على الطريق السهل المسلوكة الى لاذقية وجبله والبلاد التى افتتحها صلاح الدين من بلاد الشام الاسلامية فلما نازلها رآها منيعة حصينة لا ترام ولا يوصل اليها بطريق من الطرق الا انه امرهم بمزاحمتهم ونصب المنجنيق اليها ففعلوا ذلك ورماوا بالمنجنيق فلم يصل من احجاره الى القلعة شئ الا القليل الذى لا يؤذى فبقى المسلمون اياما لا يرون فيها طمعا واهله غير مهتمين بالقتال لامتناعهم عن ضرر يتطرق اليهم وبلاء ينزل عليهم فبينما صلاح الدين جالس وعنده اصحابه وهم في ذكر القلعة واعمال الحيلة فى الوصول اليها فقال بعضهم هذا الحصن كما قال الله تعالى فما استطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا فنزل صلاح الدين او يأتى الله بنصر من عنده وفتح فبينما هم فى الحديث اذ اشرف عليهم افرنجى ونادى يطلب الامان لرسول يحضر عند صلاح الدين فأجيب الى ذلك ونزل رسول وسأل انظارهم ثلاثة ايام فان جاءهم من يمنعهم والا سلوا القلعة بما فيها من ذخائر ودواب وغير ذلك فأجابهم اليه واخذ زهاءهم

على الوفاء فلما كان اليوم الثالث سلوها اليه وسبب استهمهم انهم ارسلوا الى صاحب
انطاكية وكان هذا الحصن له يعرفونه انهم محصورون ويطبون منه ان يرسل عنهم المسلمين
والاسلواها وانما فعلوا ذلك لرعب قذفه الله في قلوبهم والافلو اقاموا الدهر الطويل لم
يصل اليهم احد ولا بلغ المسلمون منه غرضا فلما تسلم صلاح الدين الحصن سلمه الى امير يقال
له قلع وامره بعمارته ورحل عنه وكان قد سير ولده الظاهر غازي صاحب حلب الى سرمينية
فحصرها وضيق على اهلها واستنزلهم على قطعة قدرها عليهم ثم هدم الحصن وعنى اثره
وكان في هذه الحصون كلها في ست جمع مع انها كانت في ايدي اشجع الناس واشدهم عداوة
للمسلمين فسبحان من اذا اراد ان يسهل الصعب فعمل وهى جميعها من اعمال انطاكية ولم
يبق لها سوى القصر وبغراس ودرب ساك وسباتى ذكرها ان شاء الله تعالى

ذكر فتح قلعة برزية

ولما رحل صلاح الدين من قلعة الشغرسار الى قلعة برزية وكانت قد وصفت له وهى تقابل
حصن افامية وتناصفا في اعمالها وينهما بحيرة تجتمع من ماء العاصى وعيون تنجبر من
جبل برزية وغيره وكان اهلها اضربى على المسلمين يقطعون الطريق ويالقون في الاذى
فلما وصل اليها نزل شرقها في الرابع والعشرين من جادى الآخرة ثم ركب من الغد وطاق
عليها لينظر موضعا يقابلها منه فلم يجد الا من جهة الغرب فنصب له هناك خيمة صغيرة
ونزل فيها ومعه بعض العسكر جريده لضيق المواضع وهذه القلعة لا يمكن ان تقاتل من جهة
الشمال والجنوب البتة فانها لا يقدر احد ان يصعد جبلها من هاتين الجهتين واما الجانب
الشرقى فيمكن الصعود منه لكن لغير مقاتل لعلوه وضعوته واما جهة الغرب فان الوادى
اللطيف يجبلها قد ارتفع هناك ارتفاعا كثيرا حتى قارب القلعة بحيث يصل منه حجر المنجنيق
والسهام فزله المسلمون ونصبوا عليه المنجنيقات ونصب اهل القلعة عليها منجنيقا ابطلها
وكان ابن الاثير صاحب التاريخ مع صلاح الدين في هذه الغزوة طلبا للجهاد قال ورأيت امان
رأس جبل عال يشرف على القلعة لكنه لا يصل منه شئ اليها امرأ ترمى من القلعة عن
المنجنيق وهى التى ابطلت منجنيق المسلمين فلما رأى صلاح الدين ان المنجنيق لا ينفعون به عزم
على الزحف ومكاثرة اهلها بجموعه فقسم عسكره ثلاثة اقسام يزحف قسم فاذا تعبوا
وكلوا عادوا ويزحف القسم الثانى فاذا تعبوا وضجروا عادوا وزحف القسم الثالث ثم
يدور الدور مرة بعد اخرى حتى تعب الفرنج وينصبوا فانه لم يكن عندهم من الكثرة
ما ينفعون كذلك فاذا تعبوا واعبوا سلموا القلعة فلما كان الغد وهو السابع والعشرون
من جادى الآخرة تقدم احد الاقسام وزحفوا وخرج الفرنج من حصنهم فقاتلهم ورماهم
المسلمون بالسهام من وراء ٢ الجفنيات والجنوبات والطارقيات ومشوا اليهم حتى قربوا
الى الجبل فلما قربوا من الفرنج عجزوا عن الدنوم منهم خشونة المرتقى وتسلط الفرنج عليهم لعلو
مكانهم بالنشاب والجارة فانهم كانوا يلقيون الحجارة الكبار فتندحرج الى اسفل الجبل فلا
يقوم لها شئ فلما تعب هذا القسم انحدروا وصعد القسم الثانى وكانوا جلوسا ينظرونهم

٢ الجفنيات شجر طيب
الريح والجنوبات
شجر يتفطر في الهند
والطارقيات جلود
على مقدار الترس

تلقى بالترس

وهم خلقة صلاح الدين الخاصة فقاتلوا قتالا شديدا وكان الزمان حرا شديدا فاشتد الكرب على الناس وصلاح الدين في سلاحه يطوف عليهم ويحرضهم وكان تقي الدين ابن اخيه كذلك فقاتلوه الى قريب الظهر ثم تعبوا ورجعوا فلما رأهم صلاح الدين قد عادوا تقدم اليهم ويده جاق يردهم وصاح في القسم الثالث وهم جلوس ينتظرون نوبتهم فوثبوا ملبيين وساعدوا اخوانهم وزحفوا معهم فجاء الفرنج ما لا قبل لهم به وكان القسم الاول قد استراحوا فقاموا ايضا معهم فحينئذ اشتد الامر على الفرنج وبلغت القلوب الحناجر وكانوا قد اشتد تعبهم ونصبهم فظهر عجزهم عن القتال وضعفهم عن حمل السلاح لشدة الحرب والقتال فخالطهم المسلمون فماد الفرنج يدخلون الحصن فدخل المسلمون معهم وكان طائفة قليلة في الخيام شرقي الحصن فرأوا الفرنج قد أهملوا ذلك الجانب لأنهم لم يروا فيه مقاتلا وليكثروا في الجهة التي فيها صلاح الدين فصعدت تلك الطائفة من العسكر فلم يمنعهم مانع فصعدوا ايضا الحصن من الجهة الاخرى فالتفتوا مع المسلمين الداخلين مع الفرنج فلكوا الحصن عنوة وقهرا ودخل الفرنج القلعة التي للحصن واحاط بها المسلمون وارادوا انقبها وكان الفرنج قد رفعوا من عندهم من اسرى المسلمين الى سطح القلعة وارجلهم في القيود والخشب المشقوب فلما سمعوا تكبير المسلمين في نواحي القلعة كبروا في سطح القلعة وظن الفرنج ان المسلمين قد صعدوا على السطح فاستسلموا وألقوا بأيديهم الى الاسر فلكها المسلمون عنوة ونهبوا ما فيها واسروا وسبوا من فيها واخذوا صاحبها وأهله وامست خالية لاديار بها والقي المسلمون النار في بعض بيوتهم فاحترقت قال ابن الاثير ومن اعجب ما يحكى من السلامة اني رأيت رجلا من المسلمين في هذه الوقعة قد جاء من طائفة من المؤمنين شمالي القلعة الى طائفة اخرى من المسلمين جنوبي القلعة وهو بعد وفي الجبل عرضا فألقبت عليه الحجارة وجانه حجر كبير او ناله لبعجه فنزل عليه فناداه الناس يحذرونه فالتفت ينظر ما حجر فسقط على وجهه من عثرة فاسترجع الناس وجاء الحجر اليه فلما قاربته وهو منبطح على وجهه لقيه حجر آخر ثابت في الارض فوق موضع الرجل فضر به المنحدر فارتفع الحجر المنحدر عن الارض وجاز الرجل ثم عاد الى الارض من جانبه الآخر لم ينله منه اذى ولا ضرر وقام الرجل حتى لحق بأصحابه فكان سقوطه سبب نجاته فتعست ام الجبان واما صاحب برزية فانه اسره واصحابه وامراته واولاده ومنهم بنت له ومعها زوجها فتفرقهم العسكر فلرسل صلاح الدين في الوقت وبحث عنهم واشتراهم وجع شمل بعضهم ببعض فلما قارب انطاكية اطلقهم وسيرهم اليها وكانت امرأة صاحب برزية اخت امرأة صاحب انطاكية وكانت ترسل صلاح الدين وتهاديه وتعلمه كثيرا من الاحوال التي تؤثر فاطاق هؤلاء لاجلها ثم بعد فتح برزية رحل صلاح الدين من الغد فأتى جسر الحديد وهو على العاصي بالقرب من انطاكية فأقام عليه حتى وافاه من تخلف عنه من عسكره

✽ ذكر فتح درب ساك ✽

ثم سار عنه الى درب ساك فنزل عليها ثامن رجب وهو من القلاع الحصينة التي يدخرونها لحمايتهم عند نزول الشدائد فلما نزل عليها نصب المنجنيقات وتابع الرمي بالحجارة فهدمت من سورها

شيئا يسيرا فلم يبال من فيه بذلك فأمر بالزحف عليها ومهاجتها فبادرها العسكر بالزحف وقاتلوها وكشفوا الرجال عن سورها وتقدم النقاون فنتقبوا منها برجاً وعلقوه فسقط واتسع المكان الذي يريد ان المقاتلة يدخلون منه وعادوا يومهم ذلك ثم باكروا الزحف من الغد وكان من فيه قد ارسلوا الى صاحب انطاكية يستنجدون فصرخوا واظهروا الجلد وهم ينظرون جوابه اما بانجادهم وازاحة المسلمين عنهم واما بالتخلي عنهم ليقوم عذرهم في التسليم فلما علموا عجزه عن نصرتهم وخافوا هجوم المسلمين عليهم واخذهم بالسيف وقتلهم واسرهم ونهب اموالهم طلبوا الامان فأتهم على شرط ان لا يخرج احد الا بئابه التي عليه بغير مال ولا سلاح ولا اثاث بيت ولا دابة ولا شيء مما بها ثم اخرجهم منه وسيرهم الى انطاكية وكان فتحه تاسع عشر رجب سنة اربع وثمانين وخمسمائة

❖ ذكر فتح بغراس ❖

ثم سار صلاح الدين عن درب ساك الى قلعة بغراس فحصرها بعد أن اختلف اصحابه في حصرها ففهم من اشار به ومنهم من نهى عنه وقال هو حصن حصين وقلعة متينة وهو بالقرب من انطاكية ولا فرق بين حصره وحصرها ويحتاج ان يكون اكثر العسكر في البرك مقابل انطاكية فاذا كان الامر كذلك قل المقاتلون عليها ويتعذر الوصول اليها فاستخار الله تعالى وسار اليها وجعل اكثر عسكره يزك مقابل انطاكية يغيرون على اعمالها وكانوا احذرين من الخوف من اهلها ان غفلوا القرب بهم منها وصلاح الدين في بعض اصحابه على القلعة يقاتلها ونصب المنجنيقات فلم يؤثر فيها شيء لعلوها وارتقاءها فغلب على الظنون تعذر فتحها وشق على المسلمين قلة الماء عندهم الا ان صلاح الدين نصب الحياض وامر بحمل الماء اليها فخفف الامر عليهم فبينما هو على هذه الحال اذ قد فتح باب القلعة وخرج منه انسان يطلب الامان فأجيب الى ذلك فاذن له في الحضور فحضر وطلب الامان لمن في الحصن حتى يسلموه اليه بما فيه على قاعدة درب ساك فاجابهم الى ما طلبوا افعاد الرسول ومعه الاعلام الاسلامية فرفعت على رأس القلعة ونزل من فيها وتسلم المسلمون القلعة فيها من ذخائر واهوال وسلاح وامر صلاح الدين المسلمين بتخريبه فخرّب ثم ندم على ذلك بعدلانه حصل منه بعد ذلك مضرة على المسلمين لان ابن اليون صاحب الارمن خرج اليه من ولايته وهو مجاوره فجدد عمارته واتقنه وجعل فيه جماعة من عسكره يغيرون منه على البلاد فتأذى منهم السواد الذي حلب

❖ ذكر الهدنة بين المسلمين وصاحب انطاكية ❖

لما فتح صلاح الدين بغراس عزم على التوجه الى انطاكية وحصرها فخاف صاحب انطاكية من ذلك واشفق منه فارسل الى صلاح الدين يطلب الهدنة وبذل اطلاق كل اسير عنده من المسلمين فاستشار صلاح الدين من عنده من اصحاب الاطراف وغيرهم فاشاروا اكثرهم باجابهته الى ذلك ليعود الناس ليستريحوا ويحددوا ما يحتاجون اليه فاجاب الى ذلك واصطلحوا ثمانية اشهر وسير رسوله الى صاحب انطاكية يستحلفه ويطلق من عنده من الاسرى وكان صاحب انطاكية في ذلك الوقت اعظم الفرنج شائنا واكثرهم ملكا فانه كان الفرنج قد سلموا اليه طرابلس بعد موت صاحبها وجميع اعمالها مضافا الى ما كان له فلما سلت اليه

عمر ابلس جميل ولده الاكبر فيها نائبا عنه واما صلاح الدين فانه قاد الى حلب ثالث شعبان فدخلها وسار منها الى دمشق وفرق اكثر العساكر وكان مع صلاح الدين الامير عز الدين ابو فتيحة قاسم ابن المهنا العلوي الحسيني وهو امير مدينة النبي صلى الله عليه وسلم كان قد حضر عنده وشهد معه مشاهدته وفتوحه وكان صلاح الدين قد تبرك برؤيته وتبين بصحبان وكان يكرمه كثيرا وينبسط معه ويرجع الى قوله في اعماله كلها ودخل دمشق اول شهر رمضان فاشير عليه بتفريق من بقي من العسكر فقال ان العمر قصير والاجل غير مأمون وقد يقرب الفرنج من الحصون الكرك وصفد وكوكب وغيرها ولا بد من الفراغ منها فانها في وسط بلاد الاسلام ولا يؤمن شر اهلها وان اغفلناهم ندمننا فيما بعد والله اعلم

❖ ذكر فتح الكرك وما يحاوره ❖

هنا صلاح الدين قد جعل على الكرك عسكرا يحصره فلازمو الحصار هذه المدة الطويلة حتى فنيت ازواد الفرنج وذخائرهم واكلوا دوابهم وصبروا حتى لم يبق للصبر مجال فراسلوا الملك انعاذل اخا صلاح الدين وكان صلاح الدين قد جعله على قلعة الكرك في جمع من العسكر يحصرها ويكون مطلعا على هذه الناحية من البلاد لما ابعده الى درب ساك وبغراس فوصلته رسل الفرنج من الكرك يبذلون تسليم القلعة اليه و يطلبون الامان فاجابهم الى ذلك وارسل الى مقدم العسكر الذي يحصرها فتسلم القلعة منهم وانهم وتسلم ايضا يقاربهم من الحصون كالشوبك وهرمز والوعيرة والسلع وفرغ القلب من تلك الناحية والى الاسلام هناك جرانته وأمنت قلوب من في ذلك الصقع من البلاد كالقدس وغيرها فانهم كانوا ممن بتلك الحصون وجلسين ومن شرهم مشفقين

❖ ذكر فتح قلعة صفد ❖

لما وصل صلاح الدين الى دمشق واشير عليه بتفريق من بقي من العسكر قال لا عد من الافرنج من صفد وكوكب وغيرها فأقام بد دمشق الى منتصف رمضان وسار عن دمشق الى قلعة صفد فحصرها وقائلها ونصب عليها المنجنيقات وأدام الرمي اليها اياما كثيرة بالجحارة والسهام وكان اهلها قد قارب ذخائرهم وازوادهم ان تغنى في المدة التي حاصرين فان عسكر صلاح الدين كان يحاصره فلما رأى اهلها جدد صلاح الدين في قتالهم خافوا ان يقيم الى ان يفتي ما بقى معهم من اقواتهم وكانت قليلة يأخذهم غنوة ويهلكهم او انهم يضعفون عن مقاومتها قبل فناء ما عندهم من القوت فيأخذهم فارسلوا يطلبون الامان فأمنهم وتسلمها منهم فخرجوا عنه وساروا الى مدينة صور وكفى الله المؤمنين شرهم فانهم كانوا وسط البلاد الاسلامية

❖ ذكر فتح كوكب ❖

لما كان صلاح الدين يحاصر صفد اجتمع من بصر من الافرنج وقالوا ان فتح المسلمون قلعة صفد لم يبق كوكب ولو انها معلقة بالكوكب وحينئذ يقطع طمعنا من هذا الطرف من البلاد فاتفق رأيهم على انفاذ نجدة لهم اسرا من رجال وسلاح وغير ذلك فاخرجوا مائتي رجل من شحمان الفرنج واجلادهم فساروا الليل مستخفين واقاموا النهار مكمنين فاتفق من قدر

الله تعالى ان رجلا من المحاصرين كوكب خرج متصيدا فلحق رجلا من تلك النجدة فاستغفر به
 بتلك الارض فضر به ليعلم بحاله وما الذي اقدمه الى هناك فاقر بالحال ودله على اصحابه فعاد
 الجندى المسلم الى مقدم المسكر فاعلمه الخبر والفرنجى معه فركب في طائفة من العسكر الى الموضع
 الذى اختفى فيه الفرنج فكبسهم فاخذهم وتبعهم في الشعاب والكهوف فلم يفلت منهم احد
 فكان معهم مقدمان من فرسان الفرنج فحملوا الى صلاح الدين وهو على صفه ^{الضرب} ليقنلها فلما
 ليقنلها فلما امر بقتلها قال له احدهما ما اظن ان ينالنا سوء وقد نظرنا الى ^{طال} واسع
 ووجهك الصبيح وكان يفعل فيه الاعتذار والاستعطاف فلما سمع كلامهم ^{القد} وكان
 بهما فحجنا ولما فتح صفد سارعنا الى كوكب ونازلها وحاصرها وارسل الى ^{الظنون}
 الفرنج يبذل لهم الامان ان سلموا ويتهددهم بالقتل والسبي والنهب ان امتنعوا فلم ^{يخفوا}
 قوله وأصروا على الامتناع فجذب في قتالهم ونصب عليهم المنجنيقات وتابع رعى الاجار اليهم
 وزحف مرة بعد اخرى وكانت الامطار كثيرة لا تنقطع ليلا ولا نهارا فلم يتمكن المسلمون من
 القتال على الوجه الذى يريدونه وطال مقامهم عليها وفي آخر الامر زحف اليها دفعات
 متتابعة في يوم واحد ووصلوا الى باشورة القلعة ومعهم النقبان والرمات يحمونهم بالنشاب
 عن قوس اليد والجروح فلم يقدر احد منهم ان يخرج رأسه من اعلى السور فقبوا بالباشورة
 فسهطت وتقدموا الى السور الاعلى فلما رأى الفرنج ذلك اذعنوا بالتسليم وطلبوا الامان
 فانهم وتسلم الحصن منهم منتصف القعدة وسيرهم الى صور فوصلوا اليها واجتمع بها
^{من سياتين} من سياتين الفرنج وشجعانهم ^{كل} كل صديد فاشتدت شوكتهم وحيت جوعهم وتابعوا
 الرسل الى الفرنج الذين في اورو ^{بالايندلس} بالايندلس وصقلية ونصبتهم من حصار البحر يستغيثون
 ويطلبون الامداد والنجدة وفي كل قليل تأتيتهم وكان ذلك ^{كله} كله بتفريده ^{بـ} بـ
 في اطلاق كل من حصره حتى عض بنانه ندما واسفاحيت لم ينفعه ذلك واجتمع للمسلمين
 بفتح كوكب وصفد من حد ايلة الى اقصى اعمال بيروت لا يفصل بينه غير مدينة صور
 وجميع اعمال انطاكية سوى القصور ولما ملك صلاح الدين صفد وكوكب سار الى البيت المقدس
 فعيد فيه عيد الاضحى ثم سار منه الى عكة فاقام بها حتى انسخت سنة ٥٨٤ ودخلت سنة ٥٨٥
 وهى مسحية سنة ١١٨٩ فى ربيع الاول من هذه السنة سار الى شقيف ارنوم وهى من امنسج
 الحصون ليحصره فنزل بمرج عيون فنزل صاحب الشقيف وهو ارناط صاحب صيدا
 وكان هذا ارناط من اعظم الناس دهاء ومكرا فدخل اليه واجتمع به واظهر له الطاعة
 والمودة وقال له انا محب لك ومعترف باحقائك واخاف ان يعرف المركيس صاحب صور
 ما بيني وبينك فينال اولادى واهلى منه اذى فانهم عنده فاحب ان تمهلى حتى اتوصل
 في تخليصهم من عنده وحيث انا احضرانا وهم عندك ونسلم الحصن اليك واكون انا وهم
 في خدمتك نقتنع بما تعطينا من اقطاع فظن صلاح الدين صدقه فاجابه الى ما سأل فاستقر
 الامر بينهما على ان يسلم الشقيف في جادى الآخرة واقام صلاح الدين بمرج عيون
 ينتظر الميعاد وهو قلق مفكر لقرب انقضاء مدة الهدنة بينه وبين صاحب انطاكية فأمر
 تقي الدين ابن اخيه شاهنشاه ان يسير فيمن معه من عساكره ومن يأتيه غيرهم ويكون

مقابل انطاكية اثنى عشر صاحبها على بلاد الاسلام عند انقضاء الهدنة وكان ايضا منزعج
 الخاطر كثير الهم لما بلغه من اجتماع الفرنج بمدينة صور وما اتصل بهم من الامداد في البحر وان
 ملك الفرنج الذي كان امره صلاح الدين واطلقه بعد فتح القدس قد اصطلح هو وصاحب
 صور بعد اختلاف كان بينهما وانهما قد اجتمعوا في جمع لا يحصى وخرجوا من مدينة صور الى
 اهرها فكان هذا واشباهه مما يزيد ويخاف من ترك الشقيف وراء ظهره والتقدم الى صور
 وفيها الجموع المتوافرة فتقطع الميرة عنه الا انه مع هذه الاشياء مقيم على العهد مع صاحب
 الشقيف في مدة الهدنة يشتري الاقوات من سوق العسكر والسلاح وغير ذلك مما يحسن به شتيه
 وكان صلاح الدين يحسن الظن به واذ قيل له عنه ما هو فيه من المكر وان قصده المطاولة الى
 ان يظهر الفرنج من صور وحينئذ يبدى فضيخته ويظهر مخالفته لا يصدق فيه فلما قرب انقضاء
 الهدنة تقدم صلاح الدين من معسكره الى القرب من شقيف ارنوم واحضر عنده ارناط
 صاحب الشقيف وقد بقي من الاجل ثلاثة ايام فقال له في معنى تسليم الشقيف فاعتذر باولاده
 واهله وان صاحب صور لم يمكنه من المجئ اليه وطلب التأخير مدة أخرى فحينئذ علم السلطان
 مكره وخداعه فاخذته وحبسه وامره بتسليم الشقيف فطلب قسيسا ذكره ليحمل رسالته
 الى من بالشقيف ليسلوه فاحضروه عنده فساره عالم يعلموا فغضى ذلك القسيس الى الشقيف
 فظهر اهله العصيان فارسل صلاح الدين ارناط صاحب الشقيف الى دمشق وسجنه وتقدم
 الى الشقيف فحصره وضيق عليه وجعل عليه من يحفظه ويمنع من الذخيرة والرجال وجاءته
 كتب من اصحابه الذين جعلهم يزكوا مقابل الفرنج على صور يخبرونه فيها ان الفرنج قد اجتمعوا
 على عبور الجسر الذي لصور وعزموا على حصار صيدا فسار صلاح الدين جريدة في شجعان
 اصحابه سوى من جعله على الشقيف فوصل اليهم وقد فات الامر وذلك ان الفرنج قد فارقوا
 صور وساروا عنه لمقصدهم فلقبهم البرك على مضيق هناك وقتلوه ومنعواهم وجرى لهم
 معهم حرب شديدة بشيب لها الوليد واسروا من الفرنج جماعة وقتلوا جماعة وقتل من المسلمين
 ايضا جماعة منهم مملوك لصلاح الدين كان من اشجع الناس فحمل وحده على صف الفرنج فاخذ
 بهم وضربهم بسيفه يمينا وشمالا فتكاثروا عليه فقتلوه رحمه الله تعالى ثمان الفرنج عجزوا
 عن الوصول الى صيدا فعادوا الى مكانهم ولما وصل صلاح الدين الى البرك وقد فاتته الوقعة
 اقام عندهم في خيمة صغيرة ينتظر عودة الفرنج لينتقم منهم ويأخذ بشار من قتلوه من المسلمين فركب
 في بعض الايام في عدة بسيرة على ان ينظر الى مخيم الفرنج من الجبل ليحمل بمتضى ما يشاهده
 رظن من هناك من غزاة العجم والعرب المتطوعة انه على قصد المصاف في الحرب فساروا
 مجدين واوغلوا في ارض العدو ومبشرين وفارقوا الخزم وخلفوا السلطان وراء ظهورهم
 فارقوا بواالفرنج فارسل صلاح الدين عدة من الامراء يردونهم ويحسونهم الى ان يخرجوا
 فلم يسمعوا ولم يقبلوا وكان الفرنج قد اعتقدوا ان وراهم كين فلم يقدموا عليهم فارسلوا من
 ينظر حقيقة الامر فانهم اخبر انهم منقطعون عن المسلمين وليس وراهم ما يخاف فحملت الفرنج
 عليهم جملة رجل واحد فقاتلوه فلم يلبثوا ان اياموهم وقتل معهم جماعة من العروفين
 وشق على صلاح الدين والمسلمين ما جرى عليهم وكان ذلك بشفر يطهم في حق انفسهم

رحمهم الله تعالى ورضى عنهم وكانت هذه الواقعة تاسع جادى الاولى فلما رأى صلاح الدين ذلك انحد من الجبل اليهم فى عسكره فحملوا على الفرنج الى الجسر وقد اخذوا طريقهم فالتقوا انفسهم فى الماء ففرق منهم نحو مائة دارع سوى من قتل وعزم السلطان على مصابرتهم ومحاصرتهم فتسامع الناس فقصده واجتمع معه خلق كثير فلما رأى الفرنج ذلك عادوا الى مدينة صور فلما عادوا اليها عاد صلاح الدين الى تدين ثم الى عكا ينظر حالها ثم عاد الى المعسكر والمخيم ولما عاد صلاح الدين الى المعسكر اتاه الخبر ان الفرنج يخرجون من صور للاختطاب والاحتشاش فكتب الى من بعك من العسكر وواعدهم يوم الاثنين ثامن جادى الآخرة ليلاقوهم من الجانبين ورتب كميناً فى موضع من تلك الاودية والشعاب واختار جماعة من شجعان عسكره وامرهم انهم اذا حل عليهم الفرنج قاتلوهم شيئاً من قتال ثم تطاردوا اليهم وأروهم العجز عن مقاتلتهم فاذا تبعهم الفرنج استجروهم الى ان يجوزوا موضع الكمين ثم يعطفوا عليهم ويخرج الكمين من خلفهم فخرجوا على هذه العزيمة فلما ترائى الجمعان والتقت الفئتان انف فرسان المسلمين ان يظهر عنهم اسم الهزيمة وثبتوا فقاتلوهم وصبر بعضهم لبعض واشتد القتال وعظم الامر ودامت الحرب وطال على الكمين انظار فخافوا على اصحابهم فخرجوا من مكانهم نحوهم مسرعين اليهم قاصدين قاتوهم وهم فى شدة الحرب فازداد الامر شدة على شدته وكان منهم اربعة امراء من ربيعة طى وكانوا يجهلون تلك الارض فلم يسلكوا مسلك اصحابهم فسلكوا الوادى فلما منهم انه يخرج بهم الى اصحابهم وتبعهم بعض مماليك صلاح الدين فلما رآهم الفرنج بالوادى علموا انهم جاهلون قاتوهم وقاتلوهم واما المملوك فانه نزل عن فرسه وجلس على صخرة واخذ قوسه بيده وحى نفسه وجعلوا يرمونه بسهام الزنبوك وهو يرميهم فخرج منهم جماعة وجرحوه جراحة كثيرة فسقط قاتوه وهو بأخر رفق فتركوه وانصرفوا وهم يحسبونه ميتاً ثم ان المسلمين جاؤا من الغد الى مواضعهم فرأوا القتلى ورأوا المملوك حياً فحملوه فى كساء وهو لا يكاد يعرف من الجمل فأسسوا حياته وعرضوا عليه الشهادة وبشره فغضبوا فتركوه ثم عادوا اليه فأروه وقد قويت نفسه فاقبلوا عليه يشربوه فمضى فى ثم كان بعد ذلك لا يحضر مشهداً الا كان له فيه اثر العظمى

ذكر مسير الفرنج الى عكا ومحاصرتها

لما كثر جمع الفرنج بصور على ما ذكرناه مع ان صلاح الدين كان كلما فتح مدينة او قلعة اعطى اهلها الامان وسيرهم اليها بأموالهم ونساءهم واولادهم فاجتمع بها منهم عالم كثير لا يعد ولا يحصى ومن الاموال ما لا ينفى على كثرة الانفاق فى السنين الكثيرة ثم ان الرهبان والقسيسين وخلقاً كثيراً من مشهورهم وفرسانهم لبسوا السواد واطهروا الحزن على خروج بيت المقدس من ايديهم واخذهم البطرك الذى كان بالقدس ودخل بهم بلاد الفرنج يطوفها بهم جعلاً ويستجدون اهلها ويحثونهم على الاخذ بشار البيت المقدس وصوروا المسيح عليه السلام وجعلوا صورة رجل عربى والعربى يضربه وقد جعلوا الدماء فى صورة المسيح عليه السلام وقالوا لهم هذا المسيح يضربه محمد نبي المسلمين وقد جرحه وقتله فعظم ذلك على

على الفرنج فحشروا وحشدوا حتى النساء فانهم كان معهم على عكا عدة من النساء يارزن
الاقران ومن لم يستطع منهم الخروج بنفسه استأجر من يخرج عوضا عنه يعطيهم مالا على قدر
حالهم فاجتمع اهلهم من الرجال والاموال مالا يتطرق اليه الاحصاء حتى ان بعض الاسرى منهم
حدث ان له والدته ليس لها ولد سواء وما كانت تلك من الدنيا غير بيت فباعته وجهزته
بثمنه وسيرته لاستنقاذ بيت المقدس فاخذ اسيرا فكان عند الفرنج من الباعث الديني والنفساني
ما هذا حده فخرجوا على الصعب والذلول برا وبحرا من كل فج عميق وحاصروا عكا ثلاث
سنين حتى ملكوها وكان ابتدا نجمهم وسيرهم هذا المسير سنة ٥٨٥ وهى مسيحية سنة ١١٨٩
فنازلوا عكا منتصف رجب من السنة المذكورة والامداد تأتيتهم في كل وقت بالمال والرجال
والمسلون بقاتلونهم وفي سنة ١١٩٠ مسيحية وهى سنة ٥٨٦ هجرية قامت اهل التجريدة
الثالثة ونفروا نفرا عاما من بلاد اوروبا تحت راية قليب ملك فرانسوا و فريد ملك جرمانيا
و بريكا ردوس الاول ملك انكلترا الملقب بقلب الاسد وغيرهم من الامراء فنهضوا جميعا
وقصدوا بلاد فلسطين بما تى سفينة مشحونة بالعتاكر والمهمات وعند وصولهم الى مدينة
صور وهى الباقية بأيديهم تقدموا منها الى مدينة عكا وحاصروها مع من كان قبلهم محاصرها
حتى تم عدد المحاصرين ستمائة الف ولاقى المسلمين من حربهم اشد البلاء وكان ابتداء سيرهم
من صور ثامن رجب سنة ٥٨٥ يهوج بعضهم في بعض ومعهم الاموال العظيمة والبحر يدهم
بالاقوات والذخائر والعدد والرجال من بلادهم وازموا ساحل البحر في سيرهم لا يفارقونه
في السهل والوعر والضيق والسمعة ومراكبهم تسير مقابلتهم في البحر فيها سلاحهم وذخائرهم
ولتكون عدة اهلهم ان جاءهم مالا قبل اهلهم به ركبوا فيها وعادوا ولما كانوا سائرين كان
يزك المسلمين يتخطفونهم ويأخذون المنفرد منهم ولما راحلوا جاء الخبر الى صلاح الدين
برحيلهم فسار حتى قاربهم ثم جمع امراءه واستشارهم هل يكون المسير محاذاة الفرنج
ومقاتلتهم وهم سائرون او يكون في غير الطريق التى سلكوها فقالوا لاجابة بنا الى
احتمال المشقة في مسيرتهم فان الطريق وعروضه ضيق ولا يتهدى لنا ما زريده منهم والرأى اننا
نسير في الطريق الواسع ونجتمع عليهم عند عكا فنفرقهم وغرقهم فلم يلبثهم الى الراحة المحجلة
فوافقهم وكان رأيه مسيرتهم ومقاتلتهم وهم سائرون وقال ان الفرنج اذا نزلوا لصقوا
بالارض فلا يتهدى لنا ازعاجهم ولا نيل الغرض منهم والرأى قتالهم قبل الوصول الى
عكا فخالفوه فتبعهم وساروا على طريق واسع فسبقهم الفرنج وكان صلاح الدين قد جعل
في مقابل الفرنج جماعة من الامراء بسايرونهم وينا وشونهم القتال ويتخطفونهم فلم يقدم الفرنج
عليهم مع قتلهم فلو ان العساكر اتبعت رأى صلاح الدين في مسيرتهم ومقاتلتهم قبل نزولهم
على عكا كان بلغ منهم غرضه وصددهم عنها ولكن اذا اراد الله امرا هينا اسبابه ولما وصل
صلاح الدين الى عكا رأى الفرنج قد نزلوا عليها من البحر الى البحر من الجانب الاخر
ولم يبق للمسلمين طريق الى عكا فنزل صلاح الدين عليهم وضرب خيمته على تل كيسان
وامتدت ميمنه الى تل القياضية وميسرته الى النهر الجارى ونزلت الاثقال بصفورية وسير
الكتب الى الاطراف باستدعاء العساكر فأتاه الناس من كل البلاد وكانت الامداد تأتي

المسلمين في البر وتأتى الفرنج في البحر وكان بين الفريقين مدة مقامهم على عكا خروب كثيرة ما بين صغيرة وكبيرة ولما نزل السلطان عليهم لم يقدر على الوصول اليهم ولا الى عكة حتى انسلخ رجب ثم قاتلهم مستهل شعبان فلم يزل منهم ما يريد وبات الناس على تعبئة فلما كان الغد باكرهم القتال بحده وحديده واستدار عليهم من سائر جهاتهم من بكرة الى الظهر وصبر الفريقان صبرا حارله من رآه فلما كان وقت الظهر حل عليهم تقي الدين بن اخي صلاح الدين حملة منكرة من المينة على من يليه منهم فازاحهم عن مواقفهم فركب بعضهم بعضا لا يلوى اخ على اخ والتجوا الى من يليهم من اصحابه واجتمعوا بهم واخلو نصف البلد وملك تقي الدين مكانهم والتصق بالبلد وصار ما أخلوه بيده ودخل المسلمون البلد وخرجوا منه واتصلت الطرق وزال الحصر عن فيه وادخل صلاح الدين اليه من اراد من الرجال وما اراد من الدخائر والاموال والسلاح وغير ذلك ولو ان المسلمين لزموا قتالهم الى الليل لبلغوا ما ارادوه فان لصدمة الاولى روعة لكنهم لما نالوا منهم هذا القدر اخلدوا الى الراحة وتركوا القتال وقالوا نباكرهم غدا ونقطع دابرهم وقتل من الفرنج هذا اليوم جماعة كبيرة

✽ ذكر وقعة اخرى ✽

ثم ان المسلمين نهضوا الى الفرنج من الغد وهو سادس شعبان عازمين على بذل جهدهم واستنفاد وسعهم في استيصالهم فتقدموا على تعبيتهم فراوا الفرنج حذرين محتاطين قدندموا على ما فرطوا فيه بالامس وهم قد حفظوا اطرافهم ونواحيهم وشرعوا في حفر خندق يمنع عن الوصول اليهم فالح المسلمون عليهم في القتال فلم يتقدم الفرنج اليهم ولا فارقوا مراضهم فلما رأى المسلمون ذلك عادوا عنهم ثم ان جماعة من العرب بلغهم ان جماعة من الفرنج تخرج من الناحية الاخرى الى الاحتطاب وغيره من اشغالهم فكمنوا لهم في معاطف النهر ونواحيه سادس عشر شعبان فلما خرج جمع الفرنج على عادتهم حل عليهم العرب فقتلوه عن آخرهم وغنموا ما كان معهم وحاولوا الرأس الى صلاح الدين فأحسن اليهم بالجوائز والاعان

✽ ذكر الوقعة الكبرى على عكا ✽

لما كان بعد هذه الوقعة المذكورة بقي المسلمون الى عشرين من شعبان كل يوم يغادون القتال مع الفرنج ويراو حونه والفرنج لا يظهرون من معسكرهم ولا يفارقونه ثم ان الفرنج اجتمعوا للمشورة فقالوا ان عسكر مصرام يحضروا والحال مع صلاح الدين هكذا فكيف يكون اذا حضروا قال رأى انا نلقى المسلمين غدا العلنا نظفر بهم قبل اجتماع العسكر والامداد اليهم وكان كثير من عسكر صلاح الدين غائبا عن بعضهم مقابل اقطاعية ايرد صاحبها عن اعمال حلب وبعضهم في حصص مقابل طرابلس ليحفظ ذلك الثغر ايضا وعسكر في مقابل صور لحماية ذلك البلد وعسكر بمصر يكون بغير دمياط والاسكندرية وغيرهما والذي بقي من عسكر مصر لم يصلوا لطول بكاكرهم فكان هذا مما اطمع الفرنج في الظهور الى قتال المسلمين واصبح المسلمون على عادتهم منهم من يتقدم الى القتال ومنهم من هو في خيمته ومنهم من قد توجه في حاجة

من زيارة صديق وتحصيل ما يحتاج اليه هو واصحابه ودوابه الى غير ذلك فخرج الفرنج من معسكرهم كأنهم الجراد المنشر يدبون على وجه الارض قد ملاؤها طولاً وعرضاً وطلبوا مينة المسلمين وعليها تقي الدين عمر بن اخي صلاح الدين فلما رأى الفرنج نحوه قاصدين حذرهم واصحابه فتقدموا اليه فلما قربوا منه تأخر فلما رأى صلاح الدين الحال وهو في القلب امتنقى الدين رجال من عنده ليتقوى تقي الدين فلما رأى الفرنج قلة الرجال في القلب وان كثير منهم قد سار نحو المينة مددا لهم عطفوا على القلب فحملوا حلة رجل واحد فاندفعت المساكر بين يديهم منهم مين وثبت بعضهم فاستشهد جماعة منهم ولم يبق بين ايديهم في القلب من يردهم فقصدوا التل الذي عليه خيمة صلاح الدين فقتلوا من مروايه ونهبوا وقتلوا عند خيمة صلاح الدين جماعة وانحدروا الى الجانب الآخر من التل فوضعوا السيف فيمن لقوه ثم ان الفرنج نظروا الى ورائهم فرأوا امدادهم قد انقطعت عنهم فرجعوا خوفاً ان يقطعوا عن اصحابهم فحملت الميسرة على الفرنج الواصلين الى خيمة صلاح الدين صاد فوهم وهم راجعون وكان صلاح الدين لما انهزم القلب قد تبعهم يناديهم ويأمرهم بالكره ومعودة القتال فاجتمع منهم معه جماعة فحمل بهم على الفرنج من وراء ظهورهم وهم مشغولون بقتال الميسرة فاخذتهم سيوف الله من كل جانب فلم يفلت منهم احد وقتل اكثرهم واخذ الباقون اسرى وكان عدة القتلى عشرة آلاف قتيل سوى من كان الى جانب البحر ثم امر بالقتلى فalcوا في النهر الذي يشرب منه الفرنج وكان في جلة الاسرى ثلاث نسوة فربحيات كن يقاذن على الخيل ولو لا ان المساكر تفرقت في الهزيمة لكانوا بلغوا من الفرنج الاستيصال والاهلاك على ان الباقين بذلوا جهدهم وجدوا في القتال وصمموا على الدخول مع الفرنج في معسكرهم لعلهم يفرغون منهم فجاء للمسلمين الصريح بان رجالهم واموالهم نهب وكان سبب هذا ان الناس لما رأوا الهزيمة حملوا اثقالهم على الدواب فثار بهم او باش العسكر وغلبته فنهبوه واتوا عليه وكان في عزم صلاح الدين ان يباكرهم القتال والزحف فرأى اشتغال الناس بما ذهب من اموالهم وهم يسعون في جمعها وتخصيلها فامر بالذبأحضار احضر منه ماملأ الارض من المقارش والعيب المملوءة واشياب والسلاح وغير ذلك فجمع الجميع على اصحابه ففاته ذلك اليوم ما اراد فمكن روع الفرنج واصلحوا شأن الباقين منهم

✽ ذكر رحيل صلاح الدين عن الفرنج وتمكنهم من حصر عكا ✽

لما قتل من الفرنج ذلك العدد الكثير جافت الارض من نثر ريحهم وفسد الهوى والجوى ووجدت الاممجة فسادا وانحرف مزاج صلاح الدين وحدث له قولنج مبرح كان يعتاده فحضر عنده الامرا واثاروا عليه بالانتقال من ذلك الموضع وترك مضايقة الفرنج وحسنوه له وقالوا قد ضيقنا على الفرنج ولو ارادوا الانفصال عن مكانهم لم يقدرُوا والرأى اننا نبعد عنهم بحيث يتمكنون من الرحيل والعود فان رحلوا فقد كفينا شرهم وكفوا اشرنا وان اقاموا عاودنا القتال ورجعنا معهم الى ما نحن فيه ثم ان مزاجك منحرف والالم شديد ولو وقع ارجاف لهلك الناس والرأى على كل تقدير البعد عنهم ووافتهم الاطباء على ذلك

فاجابهم اليه لما يريد الله ان يفعله واذا اراد الله بقوم سؤا فلا مروله ومالهم من دونه من وال
فرحلوا الى الخروبة رابع شهر رمضان وارسل لمن في عكا من المسلمين يأمرهم بحفظها واغلاق
ابوابها والاحتياط واعلمهم بسبب رحيله فلما رحل هو وعساكره امن الفرنج وانسطوا
في تلك الارض وعادوا وحصروا عكا واحاطوا بها من البحر الى البحر ومراكبهم ايضا في البحر
تحصروها وشرعوا في حفر الخندق وعمل السور من التراب الذي يخر جونه من الخندق
وجاؤا بالجم يكن في الحساب وكان اليرك كل يوم يواقعهم وهم لا يقاتلون ولا يتحركون انما هم
معتمدون بحفر الخندق والسور عليهم ليتحصنوا به من صلاح الدين ان عاد الى قتالهم فحينئذ
ظهر رأى المشيرين بالرحيل انه غير صواب وكان اليرك كل يوم يجرون صلاح الدين
بما يصنع الفرنج ويعظمون الامر عليه وهو مشغول بالمرض لا يقدر على النهوض للحرب
واشار عليه بعضهم بان يرسل العساكر جميعها اليها لينتقمهم من الخندق والسور ويقاتلوهم
ويتخلف هو عنهم فقال اذالم احضر معهم لا يفعلون شيئا وربما كان من الشر اضعاف
ما نرجوه من الخير فتأخر الامر الى ان عوفي فتمكن الفرنج وعملوا ما ارادوا واحكموا
امورهم وحصنوا نفوسهم بما وجدوا اليه السبيل وكان من عكا يخر جون اليهم كل يوم
ويقاتلونهم وينالون منهم بظاهر البلد ولما برى صلاح الدين من مرضه كان الشتاء قد دخل
فاقام بمكانه الى ان ذهب الشتاء وكان يرك وطلائمه لا تنقطع عن الفرنج وفي منتصف
شوال وصلت اليه العساكر المصرية ومقدمها الملك العادل سيف الدين اخو صلاح
الدين فقويت نفوس الناس به واحضر معه من آلات الحصار من الدرق والطاريات
والنشاب والاقواس شيئا كثيرا ومعه من الرجالة الجم الغفير ووصل بعده الاسطول
المصرى ومقدمه الامير لؤلؤة وكان شهما شجاعا مقداما خبيرا بالبحر والقتال فيسبى
النقيب ووقع في طريقه على بطسة كبيرة للفرنج فغنمها واخذ منها اموالا كثيرة ثميرة
عظيمة ودخلت سنة ست وثمانين فلما دخل صفر سمع الفرنج ان صلاح الدين قد سار للصيد
ورأى المعسكر الذي في المعسكر عندهم قليلا وان الوحل الذي في مرج عكا كثير يمنع من سلوكه
من اراد ان يتحدر الى اليرك فاغنموا ذلك وخرجوا من خندقهم على السيرك وقت العصر
فقاتلهم المسلمون وجوا نفوسهم بالنشاب واجم الفرنج عنهم حتى فني نشاب المسلمين فحملوا
عليهم حينئذ حلة رجل واحد فاشند القتال وعظم الامر وعلم المسلمون انه لا ينجيهم الا الصبر
وصدق القتال فقاتلوا قتالا مستقتل الى ان جاء الليل وقتل من الفريقين جماعة كثيرة وعاد
الفرنج الى خندقهم ولما عاد صلاح الدين الى المعسكر سمع خبر الواقعة فندب الناس الى نصير
اخوانهم فاتاه الخبر ان الفرنج عادوا الى خندقهم فاقام ثم انه رأى الشتاء قد ذهب وجاءته العساكر
من البلاد القريبة منه دمشق وحاص وحاص وغيرها فتقدم من الخروبة نحو عكا فزل قيل كيسا
وقاتل الفرنج كل يوم ليشغلهم عن قتال من بعك من المسلمين فكانوا يقاتلون الطائفتين ولا يسأمو

ذكر احراق الابراج ووقعة الاسطول

كان الافرنج في مدة مقامهم على عكا قد عملوا ثلاثة ابراج من الخشب مائلة جدا طول كل برج

منها في السماء ستمون ذراعاً وعملوا كل برج منها خمس طبقات كل طبقة مملوءة من المقاتلة
وغشوها بالجلود والخل والطين والادوية التي تمنع النار من احراقها واصلحوا الطرق لها
وقدموها نحو مدينة عكا من ثلاث جهات وزحفوا بها من العشرين في ربيع الاول فاشرفت
على السور وقاتل بها من عليه فانكشفوا وشرعوا في طم خندق البلد فاشرف البلد على ان
يملك عنوة وقهرها فارسل اهل البلد الى صلاح الدين انسانا سجع في البحر فاعلمه ما هم فيه من
الضيق وما قد اشرفوا عليه من اخذهم وقتلهم فركب هو وعساكره وتقدم الى الفرنج وقتلهم
من جميع جهاتهم قتالا عظيماً دائماً شغلهم عن مكثرة البلد فافترق الفرنج فرقتين فرقة تقاتل
صلاح الدين وفرقة تقاتل اهل عكا الا ان الامر قد خف عن البلد ودام القتال ثمانية ايام متتابعة
آخرها الثامن والعشرون من الشهر وسمم الفريقان القتال وملو امته لملازمته ليلاً ونهاراً
والمسلمون قد يتقنوا استيلاء الفرنج على البلد لما راوا من عجز من فيه عن دفع الابراج فانهم لم
يتركوا حيلة الاعملوها فلم يقد ذلك ولم يغن عنهم شيئاً وتابعوا رمي النفط الطيار عليها فلم يؤثر
فيها فاقنوا بالبوار والهلاك فاتاهم الله بنصر من عنده واذن من احراق الابراج وكان سبب ذلك
ان انساناً من اهل دمشق كان مولعاً بجمع آلات النفاطين وتحصيل عقاقير تقوى عمل النار فكان
من يعرفه يلومه على ذلك وينكره عليه وهو يقول هذه حالة لم ياشرها بنفسى انما اشتهى
معرفة ما كان بعكا لا مريد به الله فلما رأى الابراج قد نصبت على عكا شرع في عمل ما يعرفه
من الادوية المقوية للنار بحيث لا ينعها شيء من الطين والجل وغيرهما فلما فرغ منها حضر
عند الامير قراقوش وهو متولى الامور بعكا والحاكم فيها وقال له يا امر المنجنيق ان يرمى في
المنجنيق المحاذي لبرج من هذه الابراج ما اعطيه حتى احرقه وكان عند قراقوش من الغيظ
والخوف على البلد ومن فيه ما يكاد يقتله فازداد غيظاً لقوله وحرد عليه فقال له قد بالغ
اهل هذه الصناعة في الرمي بالنفط وغيره فلم يفلحوا فقال له من حضر لعل الله تعالى قد جعل
للمنجنيق على هذا ولا يصبر ان نوا قته على قوله فاجابه الى ذلك وامر المنجنيق بامثال امره فرمى
عدة قذوم فقط وادوية اشرف فيها نار فكان الفرنج اذا راوا القدر لا يحرق شيئاً يصيحون
ويصيحون ويلعبون على سطح البرج حتى علم ان الذي القاه قد تمكن من البرج والتصق به
حتى اذا جاته النار اشتعل سريعاً التي قد راعملوة وجعل فيها النار فاشتعل البرج والقي قدراً
ثانية وثالثة فاضطربت النار في نواحي البرج واجعلت من في طبقاته الخمس عن الهرب
والخلاص فاحترق هو ومن فيه وكان فيه من الزرديات والسلاح شيء كثير وكان طمع الفرنج
بما راوا ان القدر الاول لا يعمل يحملهم على الطمانينة وترك السعي في الخلاص حتى جعل
الله لهم النار في الدنيا قبل الآخرة فلما احترق البرج الاول انتقل الى الثاني وقدهرب من
فيه لخوفهم فاحرقه وكذلك الثالث وكان يوماً مشهوداً لم ير الناس مثله والمسلمون الذين مع
صلاح الدين خارج البلد ينظرون ويفرحون وقد اسفرت وجوههم بعد الكآبة فرحاً بالنصر
في خلاص المسلمين من القتل لانهم ليس فيهم احد الا وله في البلد اما نسيب واما صديق وحل
ذلك الرجل الى صلاح الدين فبذل له الاموال الجزيلة والاقطاع الكثيرة فلم يقبل منه الحبة
الفردة وقال انما علمته الله تعالى ولا اريد الجزاء الامته وسيرت الكتيب الى البلاد بالبشارة وارسل

صلاح الدين يطلب العساكر الشرقية فاول من اتاه صاحب سنجار بعساكره وديار الجزيرة
ثم صاحب الموصل بعساكره ثم صاحب اربل بعساكره وكان كل منهم اذا وصل يتقدم الى
الفرنج بعساكره وينضم اليهم غيرهم ويقاومونهم ثم يزولون ووصل الاسطول من مصر فاستمع
الفرنج بقره جهزوا الى طريقه اسطولا يلقيه ويقاومه فركب صلاح الدين في العساكر جميعها
وقاتلهم من جهاتهم ليستغلوا بقتاله عن قتال الاسطول ليتمكن من دخول عكا فلم يشتغلوا
عن قصده بشيء فكان القتال بين الفريقين برا وبحرا وكان يوما مشهودا لم يؤرخ مثله
واخذ المسلمون من الفرنج مراكبهم من الرجال والسلاح واخذ الفرنج من المسلمين مثل ذلك
الا ان القتال في الفرنج كان اكثر منه في المسلمين ووصل الاسطول الاسلامي سالما

✽ ذكر وصول ملك الالماني الى الشام وموته ✽

في هذه السنة كان خروج ملك الالماني من بلاده والالماني نوع من الفرنج من اكثرهم عددا
واشداهم بأسا وكان قد ازعمه تلك المسلمين بيت المقدس فجمع عساكره وازاح عنهم وسار
عن بلاده وكان طريقه على القسطنطينية وكان ملك القسطنطينية عقد صلحا مع صلاح الدين
وصار يكاتبه ويظهر له المودة فارسل ملك الروم لصلاح الدين يخبره بقدوم ملك الالماني
ويعدده انه لا يمكنه من العبور في بلاده فلما وصل ملك الالماني الى القسطنطينية عجز ملكها عن منعه
من العبور لكثرة جوده لكنه منع عنهم الميرة ولم يمكن احدا من رعيته من حمل ما يريدونه
اليهم فضاعت بهم الامداد والاقوات وساروا حتى عبروا خليج القسطنطينية وساروا على
بلاد الاسلام وهي مملكة الملك قلع ارسلان السلجوقي وكان من ملوك الاسلام فلما وصلوا الى
اوائلها ثار بهم المسلمون فازالوا يسايرونهم ويقتلون من انفردوا يأخذون ما قدروا عليه
من اموالهم وكان الزمان شتاء والبرد في تلك البلاد شديد والثلج متراما فاهلكهم البرد والجوع
والقتل والاخذ فلما قاربوا مدينة قونية خرج اليهم الملك قطب الدين بن قلع ارسلان السلجوقي
ليمنعهم فلم يكن له بهم قوة فعاد الى قونية فماروا حتى بلغوا انطاكية وكانوا فيها واربعين
الفا ووقع فيهم مرض ووباء فمات كثير منهم ودخل ملكهم في نهر ليغتسل فغرق فحملوا ابنه
ملكها عليهم بدله ثم ساروا حتى وصلوا الى عكا فلما رأوا ما نالهم من المشقات اراد كثير
منهم العود الى بلادهم فركبوا في مراكب غرقت بهم ولم يبق منهم الا القليل ولما بلغ
صلاح الدين اقبالهم استشار اصحابه فاشرك كثير منهم عليه بالمسير الى طريقهم ومحاربتهم
قبل ان يتصلوا بمن على عكا فقال بل نقيم الى ان يقر بواننا وحيث نضع فعل ذلك لئلا يستسلم
من بمكان عساكرنا لكنه سير بعض عساكره الى اعمال حلب ليكونوا من اطراف البلاد
يحفظونها من عاديته وكان حال المسلمين كما قال الله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل
منكم واذا زأغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى
المؤمنون وزالوا زالا شديدا لكن كفى الله شرهم واول عددهم بما اصابهم من العوارض
والسلايا في طريقهم

✽ ذكر وقعة المسلمين والفرنج على عكا ✽

وفي هذه السنة اعني سنة ٥٨٦ في العشرين من جمادى الآخرة خرجت الفرنج فارسها

وراجلها من وراء خنادقهم وتقدموا الى المسلمين وقصدوا نحو عسكر مصر ومقدمهم الملك
العادل اخو صلاح الدين فركب المصريون واصطفوا اللقاء الفرنج فالتقوا واقتتلوا قتالا
شديدا فانحاز المصريون عنهم ودخل الفرنج خيامهم ونهبوا اموالهم ففكر المصريون
ورجعوا عاطفين عليهم فقاتلوهم من وسط خيامهم فأخرجوهم عنها وتوجهت طائفة من
المصريين نحو خنادق الفرنج فقطعوا المدد عن اصحابهم الذين خرجوا وكانوا متصلين كاللحم
فلما انقطعت امدادهم القوا بايديهم وأخذتهم السيوف من كل ناحية فلم ينج منهم الا الشريد
وقتل منهم مقتلة عظيمة يزيد عدد القتلى على عشرة آلاف قتيل ولما جرت عليهم هذه الحادثة
خربت جرتهم ولانت عريكتهم فلما كان بعد يومين اتهم امداد في البحر مع كند من الكنود
البحرية يقال له الكندهزي ابن اخي ملك فرانساليه وابن اخي ملك انكلترا لأمه ووصل
معه من الاموال شيء كثير يفونه الاحصاء فلما وصل جند الاجناد وبذل الاموال فعادت
مدرسهم قوية واطمأنت واخبرهم ان الامداد واصلة اليهم يتلوا بعضها بمضافتماسكوا
وحفظوا مكانهم ثم اظهروا انهم يريدون الخروج الى لقاء المسلمين وقتالهم وكانت منزلة المسلمين
قد انتت برمح القتلى فاختراروا الانتقال الى موضع ينسع فيه المجال فالتقوا من مكانهم الى
الخروبة في السابع والعشرين من جادى الآخرة ثم ان الكندهزي نصب منجنيقا ودبابات
وعرادات للتوصل الى دخول عكا فخرج من عكا من المسلمين فاخذوها وقتلوا عندها كثيرا
من الفرنج ثم ان الكندهزي بهداخذ منجنيقانه اراد ان ينصب منجنيقا آخر فلم يتمكن من ذلك
لان المسلمين الذين بعكا كانوا يمنعون من عمل سنائر يستتر بها من يرمى من المنجنيق فعمل تلامن
تراب بالبعد من البلد فكان الفرنج يتقلون التل الى القرب من البعد بالتدريج ويستترون به فلما
قرب الى البلد وصار بحيث تصل من عنده جحر المنجنيق نصبوا من ورائه منجنيقين وصار التل
ستر لهما وكانت الميرة قد قلت بعكا فأرسل صلاح الدين الى الاسكندرية يأمرهم بانفاذ الاقوات
واللحوم وغير ذلك في المراكب الى عكا فتأخر انفاذها فسير الى نايه بمدينة بيروت في
ذلك فسير بطسة عظيمة مملوءة من كل ما يريدونه وامر من بها فلبسوا ملابس الفرنج وتشبهوا
بهم فرفعوا عليها الصليبان فلما وصلوا الى عكا لم يشك الفرنج انها لهم فلم يتعرضوا لها فلما
حاذت ميناء عكا ادخلها من بها ففرح بها المسلمون وانعشوا وقويت نفوسهم الى ان اتهم الميرة
من الاسكندرية وخرجت مائة من الفرنج من داخل البحر في نحو الف مقاتل فاخذت بنواحي
الاسكندرية واخذت من معها ثم ان الفرنج وصلهم كتاب من البابا وهو كبيرهم الذي يصدر
عن امره وكان قوله عندهم كقول النبيين لا يخالف والمحروم عندهم من حرمه والمقرب من
قربه وهو صاحب رومة الكبرى يأمرهم في كتابه بملزمة ما هم بصدده ويعلمهم انه قد
أرسل الى جميع الفرنج يأمرهم بالمسير الى نجدتهم برا وبحرا ويعلمهم بوصول الامداد اليهم
فازدادوا قوة وطما

ذكر خروج الفرنج من خنادقهم

لما تابعت الامداد الى الفرنج وجند لهم الكندهزي جمعا كثيرا بالاموال التي وصلت معه

هزموا على الخروج من خنادقهم ومناجزة المسلمين فتركوا عكا من يحصرها ويقاثل
 اهلها وخرجوا حادى عشر شوال من السنة المذكورة في عدد كارمل كثيرة وكانار جرة
 فمارأى صلاح الدين ذلك نقل اتقال المسلمين الى ميون وهو على ثلاثة فراسخ عن عكا ولقى
 الفرنج على تعبئة حسنة وكان اولاده الافضل على والظاهر غازى والظاهر ممابلى القلب
 واخوه المادل ابوبكر فى المينة ومعه عساكر مصر ومن انضم اليه وكان فى الميسرة عماد الدين
 صاحب سنجار وتقى الدين صاحب جاء ومعهالدين صاحب جزيرة ابن عمر مع جماعة من
 امرائه وانفق ان صلاح الدين اخذهم مخص كان يعتاده فنصب له خيمة صغيرة على تل مشرف
 على العسكر ونزل فيها ينظر اليهم فصار الفرنج شرقى نهر هناك حتى وصلوا الى رأس النهر
 فشاهدوا عساكر الاسلام وكثرتها فارتاعوا لذلك ولقيهم الجالسية وامطروا عليهم من السهام
 ما كاد يستر الشمس فلارأوا ذلك تحولوا الى غربى النهر ولزمهم الجالسية يقاتلونهم والفرنج
 قد تجهوا ولزم بعضهم بعضا وكان غرض الجالسية ان تحمل الفرنج عليهم فيلقاهم المسلمون
 ويلتحم القتال فيكون الفصل ويستريح الناس وكان الفرنج قدندوا على مفا رقة خنادقهم
 فزموا مكانهم وباتوا ليلتهم تلك فلما كان الغد عادوا نحو عكا ليعتصموا بخنادقهم والجالسية
 فى اكتافهم يقاتلونهم تارة بالسيف وتارة بالرمح وتارة بالسهام وكما قتل من الفرنج قتيل
 أخذوه معهم اثلا يعلم المسلمون ما اصابهم واولا ذلك الالم الذى حدث بصلاح الدين لكانت
 هى الفصل وانما الله فى كل شىء حكمة وله امر هو بالغه ولاراد لما اراد فلما بلغ الفرنج خنادقهم
 ولم يكن لهم بعدها ظهور منه عاد المسلمون الى خيامهم وقد قتلوا من الفرنج خلقا كثيرا وفى
 الثالث والعشرين من شوال ايضا كن جماعة من المسلمين وتمرض جماعة أخرى من المسلمين
 للفرنج فخرج اليهم اربعمائة فارس فقاتلهم المسلمون شيأ من قتال وتطاردوا لهم وتبعهم الفرنج
 حتى جاوزوا الكمين فخرج من كان فى الكمين من المسلمين عليهم فقتلوه فلم يفلت منهم احد
 واشتد الغلاء على الفرنج حتى بلغت غرارة الخنطة اكثر من مائة دينار صورى فصبروا على
 هذا ولما هجم الشتاء عصفت الرياح خاف الفرنج على مراكزهم التى عندهم لانها لم تمكن من
 المينا فسيروها الى صور لانها كانت بأيديهم فانفتح الطريق الى عكا فى البحر للمسلمين فأرسل
 اهلها الى صلاح الدين يشكون الضجر والملافة والسامة وكان بها الامير حسام الدين ابوالهيجا
 السمين فامر صلاح الدين باقامة البادل وانفاذه اليها واخراج من فيها وأمر اخاه الملك
 العادل بمباشرة ذلك فانتقل الى جانب البحر ونزل تحت جبل حيفا وجع المراكب والشوانى
 وكما جاءه جماعة من العسكر سيرهم اليها واخرج عوضهم فدخل اليها عشرون اميرا
 فكان الذين دخلوا قليلا بالنسبة الى الذين خرجوا وأهمل نواب صلاح الدين تجنيده
 الرجال وانفاذهم فتفرق خلق كثير فأنحسر الشتاء والامر كذلك وعادت مراكز الفرنج
 الى عكا وانقطع الطريق الامن سابع باتى بكتاب ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة

ذكر وصول فليب ملك الفرنسيس ثم ملك انكلترى

فى هذه السنة اعنى سنة ٥٨٧ ثانى عشر ربيع الاول وصلت امداد الفرنج فى البحر الى الفرنج

الذين على عكا وكان اول من وصل منهم الملك فليب ملك الفرنسيس ومعه ست بطون كبار عظيمة فتقويت به نفوسهم وكان صلاح الدين يركب كل يوم ويقصد الفرنج يشغلهم بالقتال عن مزاحفة البلد وأرسل الى مستحفظ بيروت يأمره بتجهيز ما عنده من الشواني والمراكب وتشحيتها بالمقاتلة وتسيرها في البحر لينع الفرنج من وصول شئ من شوانهم الى عكا ففعل ذلك صاحب بيروت وسير الشواني في البحر فصادت خمسة مراكب للفرنج مملوءة رجالا من اصحاب ملك انكلترا الملقب بقلب الاسد المسمى دريكادوس الاول وكان قد سبىهم بين يديه وتأخره بجزيرة قبرس لملكها من ملك الروم لانها كانت بأيديهم فاقتلت شواني المسلمين مع مراكب انكلترا فغلهم المسلمون واستظهروا عليهم وغنوا ما معهم من قوت ومتاع ومال وأسروا الرجال واما الفرنج الذين على عكا فانهم لازموا قتال من بها ونصبوا عليها سبع منجنيقات رابع جادى الاولى فلما رأى صلاح الدين ذلك تحول من موضعه الذى كان فيه ونزل قريبا من خنادق الفرنج مقابلته اثلا يتعب العسكر كل يوم في المحر اليهم والعود عنهم فقرب منهم وكانوا كلما تحركوا لاقتال ركب وقاتهم من وراء خنادقهم فكانوا يشتغلون بقتاله فيخف القتال عن بالبلد ثم وصل ملك انكلترا ثالث عشر جادى الاولى من السنة المذكورة سنة ٥٨٧ بعد ان استولى في طريقه على جزيرة قبرس واخذها بالملك والخدمة من الروم فانه لما وصل اليها غدر بصاحبها وملكها فكان ذلك زيادة في ملكه وقوة للفرنج فلما فرغ منها سار عنها الى من بعكا من الفرنج فوصل اليهم في خمس وعشرين قطعة كبارا مملوءة رجالا واما الافعظم به شر الفرنج واشتدت نكايتهم في المسلمين وكان رجل زمانه شجاعة ومكرا وجلدا وصبرا وبلى المسلمون منه بالداوية التي لا مثل لها ولما وردت الاخبار بقدر ما صلاح الدين بتجهيز بطسة كبيرة مملوءة من الرجال والعدد والاقوات فتجهزت وسيرت من بيروت وفيها سبع مائة مقاتل فلقبها ملك انكلترا مصادفة فقاتلها وصبر من فيها على قتاله فلما أيسوا من الخلاص نزل مقدم من بها فخرقها خرقا واسعا لئلا يظفر الفرنج عن فيها وما معهم من الذخائر ففرق جميع ما فيها وكانت عكا محتاجة الى رجال ثم ان الفرنج عملوا دبابات وزحفوا بها فخرج المسلمون وقاتلوهم بظاهر البلد وأخذوا تلك الكباش فلما رأى الفرنج ان ذلك جبهه لا ينفعهم عملوا تلاكبرا من التراب مستطبلا وما زالوا يقربونه الى البلد ويقاتلون من ورأه لا ينالهم من البلد اذى حتى صار على نصف غلوة فكانوا يستظلون به ويقاتلون من خلفه فلم يكن للمسلمين فيه حيلة لا بالنار ولا بغيرها فحينئذ عظمت المصيبة على من بعكا من المسلمين فارسلوا الى صلاح الدين يعرفونه حالهم فلم يقدر اراهم على نفع ولا منع

ذكر ملك الفرنج عكا

في يوم الجمعة سابع عشر جادى الآخرة سنة ٥٨٧ سبع وثمانين وخمسمائة استولى الفرنج لعنهم الله على مدينة عكا وكان اول وهن دخل على من في عكا ان الامير سيف الدين على بن احمد الهكاري المعروف بالمشطوب كان فيها ومعه عدة من الامراء كان هو أشملهم وأكبرهم

فخرج الى ملك افرنسيس وبذل له تسليم البلد بما فيه على ان يطلق المسلمين الذين فيه
ويمكنهم من اللعوق بسلطانهم فلم يجبه الى ذلك فعاد على بن احمد الى البلد فوهن من فيه
وضمعت نفوسهم وتخاذلوا وأهملتهم انفسهم ثم ان اميرين ممن كان بمكا لما رأوا ما فعلوا
بالمشطوب وان الفرنج لم يجيبوا الى الامان اتخذوا الليل جلا وركبا في شئ صغير وخرجوا
سرا من اصحابهم ولحقا بعسكر المسلمين وخرج معهما جماعة فلما أصبح الناس وعلوا ذلك
ازدادوا وهنا الى وهنهم وضعفا الى ضعفهم وايقنوا بالعطب ثم ان الفرنج ارسلوا الى
صلاح الدين في معنى تسليم البلد فأجابهم الى ذلك واشترط ان يطلق من امراهم بعدد
من في البلد ليطاقواهم من بمكا وان يسلم اليهم صليب الصليبوت فلم يفتنعوا بائذل فارسل
الى من بمكا من المسلمين ان يخرجوا من عكايدا واحدة ويتركوا البلد بما فيه ووعدهم انه
يتقدم الى تلك الجهة التي يخرجون منها بمساكره فشرعوا في ذلك واشتغلوا باستصحاب
ما يمكنونه فما فرغوا من اشغالهم حتى اسفر الصبح فبطل ما عزموا عليه من استصحاب
ما يمكنونه اظهروه فلما عجز الناس عن حفظ البلد وزحف اليهم الفرنج بحدهم وحديدهم
فظهر من بالبلد على السور يحركون اعلامهم ليراهم المسلمون الذين في خارج البلد وكانت
هي العلامة اذا اخترتهم امر فلما رأى المسلمون ذلك ضجوا بالبكاء والعيول وحلوا على الفرنج
من جميع جهاتهم طلبا منهم ان الفرنج يشتغلون عن الذين بمكا وصلاح الدين يحرضهم
وهو في اولهم وكان الفرنج زحفوا عن خنادقهم ومالوا الى جهة البلد فقرب المسلمون من
خنادقهم حتى كادوا يدخلونها عليهم ويضعون السيف فيهم فوق الصوت فعاد الفرنج
ومنعوا المسلمين وتركوا في مقابلة من بالبلد من يقاتلهم فلما رأى المشطوب ان صلاح الدين
لا يقدر على نفع ولا يدفع عنهم ضرا خرج الى الفرنج وقرروا تسليم البلد وخروج من فيه
بأموالهم وانفسهم وبذل لهم من ذلك مائتي الف دينار وخمسمائة اسير من المعروفين واعادة
صليب الصليبوت واربعة عشر الف دينار للمركيس صاحب صور فاجابوه الى ذلك وحلفوا
له عليه وان يكون مدة تحصيله المال والاسر الى شهرين فلما حلفوا له سلم البلد اليهم ودخلوه
سلا فلما ملكوه غدروا واحتاطوا على من فيه من المسلمين وعلى اموالهم وحبسوهم واظهروا
انهم يفعلون ذلك ليحصل اليهم ما بذل لهم وراسلوا صلاح الدين في ارسال المال والاسرى
والصليب حتى يطلقوا من عندهم فشرع في جمع المال فلما اجتمع عنده مائة الف دينار جمع
الامراء واستشارهم فاشاروا عليه بأن لا يرسل شيئا حتى يعاود يستخلفهم على اطلاق
اصحابه وان يضمن الداوية ذلك والداوية طائفة من الفرنج كان لهم وفاء فراسلهم صلاح
الدين في ذلك فقال الداوية لا نخلف ولا نضمن لانا نخاف غدرا من عندنا وقال ملوك الفرنج
اذا سلمتم البنا المال والاسرى والصليب فلنا الخيار فبين عندنا فحينئذ علم صلاح الدين عزمهم
على الغدر فلم يرسل اليهم شيئا واعاد الرسالة اليهم وقال نحن نسلم اليكم هذا المال والاسرى
والصليب ونعطيك رهنا على الباقي وتطلقون اصحابنا وتضمن الداوية الرهن ويحلفون
على الوفاء لهم فقالوا لا نخلف انما ترسل البنا المائة الف دينار التي حصلت والاسرى
والصليب ونحن نطلق من اصحابكم من نريد ونترك من نريد عندنا حتى يحسب باقي المال فلم الناس

حينئذ غدرهم واغابوا بطلقون غلمان العسكر والفقراء والاكراد ومن لا يعاينهم ويمسكون
عندهم الامراء وارباب الاموال ويطلبون منهم الفداء فلم يجبههم السلطان الى ذلك فلما
كان يوم الثلاثاء السابع والعشرين من رجب ركب الفرنج وخرجوا الى ظاهر البلد بالفارس
والراجل وركب المسلمون اليهم وقصدوهم وحلوا عليهم فانكشفوا عن مواقعهم واذا
اكثر من كان عندهم من المسلمين قتلى قد وضعوا فيهم السيف وهم خلق كثير واستبقوا
الامراء والمقدمين ومن كان له مال وقتلوا من سواهم من سوادهم واصحابهم ومن لا مال له فلما
رأى صلاح الدين ذلك تصرف في المال الذي كان جمعه وسير الاسرى والصليب الى
الشام وكان ملك الفرنسيس قد توجه قبل ذلك الى صور لترتيب اموره وبقي في عكا
ملك انكلترا الى ان تم استيلاؤه عليها وغدر بالمسلمين وفعل بهم ما تقدم وارتحل
الى عسقلان في عشر شعبان واستمرت عكا بايديهم بعد استيلائهم عليها وبقيت عندهم
مائة سنة وثلاثين الى سنة ثمانمائة وتسعين فافتتحها وانتزعتها منهم السلطان الملك الاشرف
صلاح الدين خليل بن السلطان الملك المنصور قلاوون وسيأتى انه سار اليها بجيشه
وعساكره ونصب عليها الجانيق العظيمة وقاتله اهلها اشد القتال الى ان ملكها وقتل
من فيها من الفرنج وغنم منها اموالا لا تحصى وكان نزوله عليها في اوائل جادى الاولى
من السنة المذكورة اعنى سنة ٦٩٠ وفتحها يوم الجمعة السابع عشر من جادى الآخرة
من السنة المذكورة ومن عجائب الاتفاق ان الفرنج استولوا على عكا واخذوها من صلاح
الدين ظهر يوم الجمعة سابع عشر جادى الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسمائة واستولوا
على من بها ثم قتلوه فقدر الله عز وجل في سابق علمه انها تفتح في يوم الجمعة سابع عشر
جادى الآخرة سنة تسعين وثمانمائة على يد صلاح الدين بن قلاوون فكان فتوحها في مثل
الشهر الذى ملكها فيه الفرنج وفي مثل اليوم الذى ملكوها فيه من الشهر واقب
السلطان الذى فتحها مثل لقب السلطان الذى اخذت منه اذ كل منها بلقب صلاح
الدين والله في كل شىء حكمة وكل شىء عنده بمقدار لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص
لاراد ما قضاه وقدره ثم فتح السلطان صلاح الدين قلاوون بقية البلدان التى كانت بيد الفرنج
من ارض الشام وقطع دابرهم وتطهرت ارض الشام وسواحلها منهم فله الحمد على ذلك

ذكر رحيل الفرنج الى ناحية عسقلان

لما فرغ الفرنج لعنهم الله من اصلاح امر عكا رحلوا مستهل شعبان فاصدين عسقلان
وكان توجههم من جهة حيفا مع شاطىء البر لا يفارقونه ومراكبهم تسيرهم في البحر بحاذية
لهم فلما سمع صلاح الدين برحيلهم نادى في عسكره بالرحيل فساروا فضايقوا الفرنج
في مسيرهم وارسلوا اليهم من السهام ما كاد يحجب الشمس ووقعوا على ساقة الفرنج فقتلوا
منها جماعة واسروا جماعة فلما وصل الفرنج حيفا نزلوا بها ونزل المسلمون قريبا منهم
ثم ساروا الى قيسارية والمسلمون يسايرونهم ويقتلون من قدروا عليه منهم فلما قاربوا قيسارية
لاصغهم المسلمون وقتلوه اشد قتال فزالوا منهم نيل كثيرا ونزل الفرنج بها ونزل

المسلمون قريبا منهم ولما نزلوا قيسارية خرج من الفرنج جماعة فأبعدوا عن جاعتهم فأوقع
 بهم المسلمون فقتلوا منهم واسروا ثم ساروا من قيسارية الى ارسوف وكان المسلمون
 قد سبقوهم اليها ولم يمكنهم سائرتهم لضيق الطريق فلما وصل الفرنج اليهم حل المسلمون
 عليهم حيلة منكرة فألقوهم بالبحر ودخله بعضهم فقتلوا كثيرا منهم فلما رأى الفرنج
 ذلك اجتمعوا وحملت الخيالة منهم على المسلمين حلة رجل واحد فلولوا منهزمين لا يملو
 احد على احد والتجأ المنهزمون الى القلب وفيه صلاح الدين فلو علم الفرنج انها هزيمة
 بتعتهم واشتهرت الهزيمة وهلك المسلمون لكن كان بالقرب من المسلمين قطعة كثيرة الشجر
 فدخلها المسلمون فظن الفرنج انها مكيدة فعادوا وزال عنهم ما كانوا فيه من الضيق ثم سار
 الفرنج الى يافا ولم يكن بها احد من المسلمين فلكوها ثم سار صلاح الدين الى الرملة وجمع
 الامراء واستشارهم فيما يفعل فأشاروا عليه بتخريب عسقلان وقالوا قد رأيت ما كان منا
 بالامس واذا جاء الفرنج عسقلان ووقفنا في وجوههم نصددهم عنها فهم لاشك يقاتلوننا
 فزاح عنها ويزلون عليها فاذا كان ذلك عدنا الى مثل ما كنا عليه على عكا ويعظم الامر
 علينا لان العدو قد قوى باخذ عكا وما فيها من الاسلحة وغيرها ونحن قد ضعفنا بما خرج
 عن ايدينا ولم تطل المدة حتى نستجد غيرها فلم تسمح نفسه بتخريبها ونذب الناس الى دخولها
 وحفظها فلم يجب احد الى ذلك وقالوا ان اردت حفظها فادخل انت معنا وبعض اولادك الكبار
 والا فادخلها منا اخذ كل لا يصيبنا ما اصاب اهل عكا فلما رأى الامر كذلك سار الى عسقلان وامر
 بتخريبها فخربت تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة سنة ٥٨٧ والقيت حجارتهافي البحر وهلك
 فيها من الاموال والذخائر التي للسلطان والرعية ما لا يمكن حصره وعنى اثرها حتى لا يبقى
 للفرنج في قصدها مطمع ولما سمع الفرنج بتخريبها اقاموا مكانهم ولم يسيروا اليها وكان
 المركيس صاحب صور لعنه الله تعالى لما كان بعكا احس من ملك انكلا ترا الغدربه ليقمك
 منه صور فهرب من عنده الى صور فحفظها وكان رجل الفرنج شجاعة ورأيا وكل هذه
 الحروب هو الذي اثارها فلما خربت عسقلان ارسل ملك انكلا ترا يقول له مثلك لا ينبغي ان يكون
 ملكا و يتقدم على الجيوش تسمع ان صلاح الدين قد خرب عسقلان وتقيم مكانك يا جاهل
 لما بلغك انه قد شرع في تخريبها كنت سرت اليه مجدا فرحلتها وملكيتها صفوا عفا وبغير
 قتال ولا حصار فانه ما خربها الا وهو عاجز عن حفظها وحق المسيح لو انني معك كانت
 عسقلان بأيدينا اليوم لم يخرب منها غير برج واحد وقد عمر الفرنج عسقلان في المحرم
 سنة ٥٨٨ وملكوها ثم ان صلاح الدين لما خرب عسقلان مضى الى الرملة فخرّب حصنها
 وخرّب كنيسة لدثم سار صلاح الدين الى القدس وحصنها واعتبر ما فيها من ذخائر وسلاح
 وقرر قواعده واسبابه وما يحتاج اليه وعاد الى المخيم ثامن رمضان وفي مدة اقامة الفرنج
 بيافا خرج ملك انكلا ترا من عسكره ومعه نفر من عسكره فوقع به نفر من المسلمين فقاتلوه
 قتالا شديدا وكاد ملك انكلا ترا يسرف ففداه بعض اصحابه بنفسه فتخلص الملك واسر ذلك
 الرجل وفيها ايضا وقعت وقعة بين طائفة من المسلمين وطائفة من الفرنج كان النصر فيها للمسلمين

✽ ذكر رحيل الفرنج الى نظرون ✽

لما رأى صلاح الدين ان الفرنج قد لزموا باقا ولم يفارقوها وشرعوا في عمارتها رحل من منزلته الى نظرون ثالث عشر رمضان وخيم بها فراسله ملك انكلترا يطلب المهادنة فكانت الرسل تتردد الى الملك العادل أخى صلاح الدين فاستقرت القاعدة ان ملك انكلترا يزوج اخته من الملك العادل ويكون القدس وما بأيدى المسلمين من بلاد الساحل للعادل وتكون عكا وما بأيدى الفرنج من البلاد لا تخت ملك انكلترا مضافا الى مملكة كانت لها داخل البحر قد ورثتها من زوجها الاول فعرض العادل ذلك على أخيه صلاح الدين فاجاب الى ذلك فلما ظهر الخبر اجتمع القيسيون والأشافقة والرهبان الى اخت ملك انكلترا وأنكروا عليها ذلك فامتنعت من الاجابة وكان الملك العادل في مدة الخوض في الصلح يجتمع في بعض الاوقات مع ملك انكلترا ويتذاكران حديث الصلح وطلب من الملك العادل مرة أن يسمعه غناء المسلمين فاحضر له مغنية تضرب بالجنك فغنت له فاستحسن ذلك ثم ان الصلح لم يتم بينهما لما امتنعت اخت ملك انكلترا ثم تبين أن ملك انكلترا كان يفعل ذلك خديعة ومكرا ثم ان الفرنج اظهروا العزم على قصد بيت المقدس فسار صلاح الدين الى الرملة ومعه العسكر وترك الانتقال في نظرون وقرب من الفرنج وبقي عشرين يوما ينتظرهم فلم يرحلوا فكان بين الطرفين مدة المقام عدة وقعات كلها ينتصر فيها المسلمون على الفرنج وعاد صلاح الدين الى نظرون ورحل الفرنج من باقا الى الرملة ثالث ذى القعدة على عزم قصد بيت المقدس فقرب بعضهم من بعض وعظم الخطب واشتد الحذر فكان كل ساعة يقع الصوت في العسكرين فلقوا من ذلك شدة شديدة واقبل الشتاء وحالت الاحوال والامطار بينهما

✽ ذكر مسير صلاح الدين الى القدس ✽

لما رأى صلاح الدين ان الشتاء قد هجم والامطار متتابعة والناس منها في ضنك وخرج ومن شدة البرد ولبس السلاح والسهر في تعب دائم وكان كثير من العسكر قد طال عليهم البكار فأذن لهم في العبور الى بلادهم للاستراحة وسار هو الى بيت المقدس فبين بقى معه فزلوا جميعا داخل البلد وقدم اليه عسكر من مصر فقويت نفوس المسلمين بالقدس وسار الفرنج من نظرون ثالث ذى الحجة على قصد بيت المقدس فكانت بينهم وبين يرك المسلمين وقعات أسر المسلمون في وقعة منها نيفا وخسين فارسا من مشهورى الفرنج وشجعانهم وكان صلاح الدين لما دخل القدس امر بمهارة سورته وتجديد مآرث منه فأحكم المواضع الذى تملك البلد منه واتقنه وامر بحفر خندق خارج الفصل وسلم كل برج لأمير يتولى عمله ثم ان الجحارة قلت عند العماليين فكان صلاح الدين رحمه الله يركب وينقل الجحارة بنفسه على دابته من الامكنة البعيدة فيقتدى به الأمراء والعسكر فكان يجتمع من العماليين في اليوم الواحد من يعملون قدر عدة ايام ثم ان الفرنج رجعوا الى الرملة في العشرين من ذى الحجة وكان سبب عودهم انهم كانوا ينقلون ما يريدونه من الساحل فلما بعدوا عنه كان المسلمون يخرجون على من يجلب لهم الميرة فيقطعون الطريق ويغنمون مالههم ثم ان ملك انكلترا قال لمن معه من الفرنج الشاميين صوروا الى مدينة القدس

فاني ماريتها فصوروها له فرأى الوادى يحيط بها ماعدا موضعا يسيرا من جهة الشمال
 فسأل عن الوادى وعن عمقه فاخبروه انه عميق وهو المملك فقال هذه مدينة لا يمكن حصرها
 مهما كان سلاح الدين حيا وكلمة المسلمين مجمعة لانه انزلنا في الجانب الذى يلي المدينة
 بقيت مائر الجوانب غير محصورة فيدخل اليهم منها الرجال الذخائر وما يحتاجون اليه
 وان نحن افترقنا فنزل بعضنا من جانب الوادى وبعضنا من الجانب الآخر جمع سلاح الدين
 اصحابه وواقع احدى الطائفتين ولم يتمكن للطائفة الاخرى ان يجد اصحابهم لانهم ان فارقوا
 مكانهم خرج من البلد من المسلمين فغنموا ما فيه وان تركوا فيه من يحفظه وساروا نحو اصحابهم
 قال ان يخلصوا من الوادى ويحققوا بهم قد فرغ صلاح الدين منهم هذا سوى ما يعذر علينا
 من ائصال ما يحتاج اليه من العلوفات والاقوات فلما قال لهم ذلك علموا صدقهم ورأوا قسلة
 الميرة عندهم وما يجرى للجالبين لها من المسلمين فأشاروا عليه بالعود الى الرملة فمادوا خائنين
 خامسين ثم دخلت سنة ٥٨٨ ثمان وثمانين وخمسمائة فمهر الفرنج مستقلان كما تقدم وجرى
 بينهم وبين المسلمين حين عمارتها قتال شديد وعده وقايح فكان المسلمون تارة تواقع طائفة
 منهم وتارة تقطع عليهم الميرة واخذوا منهم قوافل كبيرة وفي شهر ربيع من هذه السنة
 جهل صلاح الدين لباطنيين من الاسماعيلية عشرة آلاف دينار ان قتلوا ملك انكلترا
 او المركيس صاحب صور فتمكنوا من قتل المركيس صاحب صور فقتلوه ثم قتلوا فتمكن
 صور الكندى هنرى وتقدم انه ابن اخت ملك الفرنسيس من ابيه وابن اخت ملك انكلترا
 لاه وفي تاسع جادى من هذه السنة استولى الفرنج على حصن الداروم فخر به ثم ساروا
 الى بيت المقدس وصلاح الدين فيه وكان يبب طمعهم أن صلاح الدين فرق كثيرا من عساكره
 لاجل الشتاء ليستريحوا فظنوا انهم ينالون غرضهم فلما سمع صلاح الدين بفرجهم منه فرق
 ابراج البلد على الامراء وسار الى الفرنج وكانوا على فرسخين من القدس فصب عليهم
 البلاء وتابع ارسال السرايا فعملوا انهم اذا نزلوا القدس كان الشر اليهم اسرع والتمسك
 عليهم امكن فرجعوا القهقري وركب المسلمون اكتافهم بالرماح والسهام ولما بعث الفرنج
 عن يافا سير صلاح الدين سرية من عسكره اليها فقاربوها وكثروا عندها فاجتاز بهم حاشية
 من فرسان الفرنج مع قافلة فخرجوا عليهم وقتلوا منهم واسروا وغنموا وكان ذلك آخر
 جسادى الاولى وفي تاسع جسادى الآخرة بلغ الفرنج خروج قفل كبير من مصر
 فأمرى الفرنج اليهم واخذوا بعض القفل بنواحي الخليل وسلم البعض ثم ان الفرنج أيقنوا
 انهم لا طائفة لهم بالمسلمين اذا فارقوا البحر وبعثوا عنه فرجموا الى عكا واقاموا بها فلما علم
 صلاح الدين بذلك جمع العساكر وسار الى مدينة يافا وكانت بيد الفرنج فنزلها وقاتل
 من بها الى ان ملكها بالسيف عنوة في عشرين من رجب وغنم ما فيها وقتل كثيرا واسر كثيرا
 وكان بها اكثر الاموال التي غنموها من قفل مصر وتحصن من بقى من الفرنج بالقلعة
 فحاصرهم فجاءتهم نجدة من عكا ومعها ملك انكلترا فأخرج من يافا من المسلمين وتابع اليه
 المدد من عكا وبرز الى ظاهر المدينة واعترض المسلمين وحده وحل عليهم فلم يتقدم اليه احد
 فوقف بين النصفين واستدعى طعاما من المسلمين ونزل وأكل ثم رجع الى يافا

ذكر الهدنة مع الفرنج

في العشرين من شعبان من هذه السنة عقدت هدنة بين المسلمين والفرنج لمدة ثلاث سنين
وثمانية اشهر وسببها ان ملك انكلترا لما رأى اجتماع العساكر وانه لا يمكنه مفارقة
ساحل البحر وليس بالساحل بلد للمسلمين يطعم فيه وقد طالت غيبته عن بلاده فارسل
الى صلاح الدين في الصلح فلم يجبه صلاح الدين بل طلب منه المصاف والحرب فاعاد الفرنجي
رسله مرة بعد اخرى وارسل الى الملك العادل اخي صلاح الدين في تقرير الهدنة فأشار
هو وجماعة من الامراء بالاجابة الى الصلح وعرفوا صلاح الدين ما عند العساكر من الفجر
والملل وما قد هلك من اسلحتهم ودوابهم ونفذ من نفقاتهم وقالوا ان هذا الفرنجي
انما طلب الصلح ليركب البحر ويعود الى بلاده فان تأخرت اجابته الى ان يجي الشتاء
وينقطع الركوب في البحر نحتاج الى البقاء هنا سنة اخرى فيعظم الضرر على المسلمين
اكثر والقول في هذا المعنى فاجاب صلاح الدين حينئذ الى الصلح فحضر رسل الفرنج
وهقدوا الهدنة ونحالفوا على هذه القاعدة وكان في جملة من حضر عند صلاح الدين
من الفرنج باليان بن بارزان الذي كان صاحب الرملة وناي بس ومن جملة ما قال لصلاح
الدين ما عمل احد في الاسلام مثل ما عملت ولا هلك من الفرنج مثل ما هلك منهم هذه المدة فاننا
احصينا من خرج البنا في البحر من المقاتلة فكانوا ستمائة الف مقاتل ما عاد منهم الى بلادهم
من كل عشرة واحد بعضهم قتلته انت وبعضهم مات وبعضهم غرق ولما انفصل امر الهدنة
اذن صلاح الدين للفرنج في زيارة بيت المقدس فزاروه وعادت كل طائفة الى بلادها ورجع ملك
انكلترا الى بلاده واقام بالساحل الشامي ملكا على الفرنج وعلى البلاد التي بأيديهم الكندهنزي
وسار صلاح الدين الى القدس وصام به رمضان ثم سار الى دمشق في شوال وفرح
الناس به لطول غيبته وذهب العدو عن بلاد الاسلام وكانت هذه الهدنة من لطف الله
بالمسلمين لان الله لما علم قرب وفاة صلاح الدين قدر وقوع هذه الهدنة لانه لو توفي صلاح
الدين في مدة الحرب لزاد طمع الفرنج في بلاد الاسلام وانتشر شرهم ولربما انه لا يوجد
بعده من يوم مقامه وكانت وفاة صلاح الدين بدمشق في السابع والعشرين من شهر
صفر سنة ٥٨٩ تسع وثمانين وخسمائة بعد ان مرض اياما وكان رحمه الله عا لما صالحا
حليما حسن الاخلاق متواضعا صبورا كثير المحاسن والافعال الجميلة عظيم الجهاد في الكفار
وقتوحاته تدل على ذلك وخلف سبعة عشر ولدا ذكرا وبنات واحدة ولم يخلف دارا
ولا عقارا ولم يوجد في خزانته غير سبعة واربعين درهما ودينار واحد صوري وكانت
ولادته سنة اثنين وثلاثين وخسمائة فكان عمره قريبا من سبع وخمسين سنة وكانت مدة ملكه
للبدار المصرية نحو اربع وعشرين سنة وملكه الشام قريبا من تسع عشرة سنة وكان رحمه
الله مشغوبا بالانفاق في سبيل الله تعالى فكان اذا عمر او جرح لاحد من العسكر فرس في سبيل
الله يعوضه مثله ويزيده في عطائه وحسبوا ما وهبه من الخيل للحاضر بن معه في الجهاد
في مدة ثلاث سنين فكان اثني عشر الف رأس وكان كريما شديدا الكرم كثير البذل للاموال
لا سيما للجهاديين ولم يكن له فرس يركبه الا وهو وهو محبوب لانسان من المجاهدين او موعود

بهيمته وصاحبه ملازم في طلبه وما حضر للقتال الا واستعار فرسا يقاتل عليه فاذا نزل عنه جاء صاحبه وأخذه وكانت مجالسه حافلة باهل العلم والدين والفضل يحب مناظرة العلماء بين يديه ويشاركهم في المناظرة احسن مشاركة في المسائل الغامضة حتى صار لمدامته مجالسته للعلماء أعرف منهم بالاحكام الفرعية والادلة الشرعية وكان كثير الاكرام للعلماء متواضعا لهم مواظبا على الفرائض الخمس لم يؤخر صلاة عن وقتها ولا صلى الا في جاعة وكان متوكلا على الله لا يفضل في عزه يوما على يوم وكان كثير التغافل عن سيئات خدعه واتباعه وزلاتهم يسمع ما يكره ولا يتأثر به ولا يخبر بخبيثة من اخطأ منهم حتى ان بعض مماليكه رمى بعضا آخر بسرموزة فاخطأته ووقعت قريبا من السلطان وكادت تصيبه فانفتحت الى الجهة الاخرى تغافلا عنها وصار يكلم من بجانبه وكان طاهر المجلس طاهر اللسان قال العماد الكاتب مات جموتة الرجال وفات بفواته الافضال وفاضت الايادي وفاضت الاعادي وانقطعت الارزاق وادلهمت الاقافى وجمع الزمان ورزى الاسلام وكانت مجالسه كلها مجالس الآخرة لانها لما في اقامة عدل ينشره اوجهاد يتجهزله او سماع الاحاديث النبوية او بر يوليه او احسان يوصله الى ذوى الحاجات وارباب الضرورات الى غير ذلك من انواع البر وابواب القربى مع ما انطوى عليه من السجيا الجليلة والاخلاق الطاهرة الجميلة والحياء الذى لا مزيد عليه والسخاء الذى لا يلحق فيه وكان يهب الجزيل ولا يراءى بل يرى الفضل لا تحذه وكان دائم البشر والبشاشة لا يرد سائلا ولا يصد نائلا ولا يخجل قائلا ولا يخيب آسألا مرة بعض الامراء عن تحلفه عن غزوة تخلف عنها فذكر ديناعليه فاحضر الفراء وتحمل الدين عن ذلك الامير وكان ذلك الدين اثني عشر الف دينار وكان كل مماليكه وخواصه وجيعة امرائه واجناده يقتدون به في اخلاقه وكرمه وحسن سجايه فكانوا اعف من الزهاد واكثر عبادة من العباد قال العماد الكاتب ورأى الى يوما دواة محلاة بشئ يسير من الفضة فانكرها فقلت له ان الامام ابا محمد الجوينى ذكر وجهها في جواز مثل ذلك فقال الى لا تنبع الرخص فلم اكتب بها بعد ذلك وكان كثير الاوراد والاذكار وتلاوة القرآن اوقاته كلها مستغرقة بالعبادة علما وعملا قلبا وقالباً قد هجر لذة الدنيا وزينتها وأخرج من قلبه محبتها وبهجتها فكان كالأسير في هذه الدار لا يؤمل بفك الاسر عنه الا في دار القرار وكان لشدة حبه لسماع الحديث النبوى على قائله افضل الصلاة والسلام يسمعهما بين الصغين وسبب ذلك انه قيل له انك يامولانا سمعت الحديث في جميع المواطن الشريفة الا بين الصغين حين القتال فاحضر جزأ من اجزاء الحديث وقرى عليه هو وجنوده على ظهور الخيل بين الصغين يمشون تارة ويقفون أخرى والرؤس تندر والرؤس تقصر وواظب على ملازمة ذلك وتكراره في كثير من مواقفه وكان ذلك من اسباب النصر العظيم والفتح المبين وكان رحمه الله شجاعا من اعظم الشجعان قوى النفس والقلب شديد البأس عظيم الثبات لا يهوله امر حتى كان يقابل بالجمع القليل من جنده الجيوش الكثيرة من الفرنج مع ان يجدتهم كانت ايضا متواصلة وعساكرهم متواترة وهو مع ذلك لا يزداد الا قوة نفس وصبر ولقد وصل في ليلة واحدة من الفرنج ما يزيد على سبعين مركبا عند محاربة عكا وصلوا بعض اتباعه يعدون تلك المراكب من بعد العصر الى غروب الشمس وكما كانت مشحونة

بعضا كره الفرنج ويخبرونه بها وهو مع ذلك لا يزداد الا قوة نفس وشجاعة وشهامة
قال القاضي ابن شداد ولما انعقد الصلح سألت بعض ملوك الفرنج وهو جالس بين يدي
السلطان يوم انقطاع الصلح عن عدتهم فقال خسمائة الف قلت فكم هلك منكم
فقال اما بالقتل فقر يب من مائة الف واما بالموت والفرق فكثير لا نعلم عددهم
وارجع الى بلادهم الا القليل وكان رحمه الله اذا اشتد الحرب يطوف بين الصفين
ويخرق صفوف العساكر من المينة والميسرة ويأمرهم بالتقدم تارة والوقوف
تارة في مواضع يراها وكان يشارف العدو ويحاورهم ليدبر الامر على ما يقتضيه الحال
وكان رحمه الله له كمال المعرفة بتدبير الحرب ومكايده وما استعظم عدوه قط ولا استكثره لشدة
توكله على الله تعالى وقوة وثوقه به وكان رحمه الله تميزه امراض في ايام منازلته للعدو
فكان شديد الصبر ولا يخل المرض بشيء مما يلزمه واعتراه ايام محاربة عكا دمايل كثيرة
من وسطه الى ركبته بحيث انه لا يستطيع الجلوس فكان لم يزل متكئا على جنبه وهو في الخيمة
وامتنع من الجلوس على الطعام مع من كان يجلس معهم ليجزه عن الجلوس فكان يأمر بالطعام
ان يفرق بين الناس وهو مع ذلك كله يركب من بكرة النهار الى الظهر يطوف على الاطراف
ويدبر امريوشه صابرا على شدة الالم وقوة ضربان الدمايل فكانوا يتعجبون من شدة صبره
فكان يقول لهم اذا ركبت يزول عني ألمها حتى انزل وهذه كرامة عظيمة اكرمها الله تعالى
بها وكان رحمه الله اذا جاء الشاء يعطى الجيش دستورا فيتفرقون ويبقى هو في طائفة يسيرة
من جنده في مقابلة العدو والعدو اكثر من معه بأضعاف مضاعفة وكان رحمه الله كثيرا التعظيم
لشعائر الله شديد القيام على المبتدعة والفلاسفة لا تأخذه في الله لومة لائم وكان حسن
العشرة نظيف الاخلاق جليل المحاضرة طيب المفاكهة حافظا لانساب العرب ووقائدهم
طارفا بسيرهم واحوالهم عالما بمجائب الدنيا ونوادرها بحيث ان محاضره يستفيد منه مالا
يسعه من غيره ومن محاسن اخلاقه مع خدمه انه طلب الماء مرة فلم يحضر وعاود الطلب في مجلس
واحد خمس مرات فلم يحضر فقال يا أصحابنا قد قتلتني العطش فأحضر الماء فشربه ولم ينكر
التواني في احضاره وكان مرة قد مرض مرضا شديدا ارجف عليه بالموت فلما برئ منه
ادخل الحمام فكان الماء حارا فطلب ماء باردا فأحضره الذي يحده فسقط من الماء شيء
على الارض فناله منه شيء فتألم له لضيقه ثم طلب البارد ايضا فأحضر فلما قارب سقطت
الطاسة على الارض فوقع الماء جميعه عليه فكاد يهلك فلم يزد على ان قال للعالم ان كنت
تريد قتلي فعرني فاعتذر اليه فسكت عنه ومن كرمه انه اخرج في مدة مقامه على عكا
قبالة الفرنج ثمانية عشر الف دابة من فرس وبغل سوى الجمال واما العين والسياب والسلاح
فانه لا يدخل تحت الحصر ويكفي دليلا على كرمه انه لما مات لم يخلف في خزائنه غير دينار
واحد صوري واربعين درهما ناصرية مع ان اولاده الذين خلفهم كانوا سبعة عشر
ولدا وبناتا فلم يبال بكونه لم يترك لهم مالا يرثونه بعده ولا خلف دارا ولا عقارا ولا ضيعة
ولا بستانا وذلك لشدة زهده في الدنيا وقوة وثوقه بالله تعالى وتوكله عليه ولما انقضت دولة
العبيديين بمصر واستولى هو على مصر اخذ من ذخائرهم من سائر الانواع ما بقوت الاحياء

ففرقه جميعه ولم يأخذ لنفسه شيئا ومن تواضعه رحمه الله انه لم يتكبر على احد من اصحابه
وكان يعيب الملوك المتكبرين وكان يحضر عنده الفقراء الصوفية ويعمل اهم السماع المعروف عند
الصوفية فاذا قام احد منهم لتواجد يقوم له فلا يقعد حتى يفرغ ذلك الفقير ولم يلبس
قط شيئا مما ينكره الشرع ولما مرض مرض الموت حضر عنده ليلة من تلك الالبالي القاضي
الفاضل وكان القاضي الفاضل اعظم وزرائه وحضر ايضا بعض اولاده والعماد الكاتب
قال العماد فاجلسناه وأسندنا ظهره الى محدة واحضر ماء فاتر ليشربه عقيب شراب يلين
الطبع فشربه فوجده شديدا لحرارة فشكا من شدة حره فغير وعرض عليه ثانيا فشكا من
برده ولم يفضب ولم يصحب ولم يقل سوى هذه الكلمات سبحان الله لا يمكن احدا تعديل الماء
قال العماد فخرجت انا والقاضي الفاضل من عنده وقد اشدت منا البكاء لما شاهدناه من مرضه
والقاضي الفاضل يقول انظر الى هذه الاخلاق التي قد اشرف المسلمون على مفارقتها والله
لو ان هذا بعض الناس كان قد ضرب بالقدح رأس من احضره وكان رحمه الله له امام
راتب ملازم مواظب فان غاب يوما صلى به من حضره من اهل العلم اذا عرفه متقيا متجنبيا
للآثم وكان يأخذ بالشرع ويعطى به ولم يكن الى المنجم مصغيا ولم يزل لقوله ملغيا لا يتعيف
ولا يتغير ولا يتعين ولا يتخير بل اذا عزم توكل على الله فلا يفضل يوما على يوم ولا زما
نا على زمان الابتغضيل الشرع وما زال ناصرا للتوحيد وقامعا لجميع اهل البدع بالتبديد
شافعي المذهب اصولا وفروعا معتقلا له معقولا ومسموعا يذني اهل التنزيه ويقصى اهل
التشبيه ويدبم استفادة فقه الفقيه واستفادة نباهة الفقيه ووجاهة الوجيه فالعالمون في عدله
والمالمون في نصه والبلاد في امنه والعباد في منه وكان رحمه الله حسن العقيدة وكان قد
جمع له الشيخ الامام قطب الدين النيسابوري عقيدة تجمع جميع معتقدا اهل السنة والجماعة لحفظها
وكان يحفظها الصغار من اولاده وكان من القايمين بالليل للتعبد وكان يحب سماع القرآن العظيم
ويشترط على من يتخذ اماما ان يكون عالما بعلوم القرآن العظيم متقنا لحفظه وكان رحمه الله
خاشع القلب سريع الدفعة اذا سمع القرآن العزير ينخشع قلبه وتدمع عينه وكان شديدا مواظبا على
الجهاد عظيم الاهتمام به ولو حلف حالف انه ما انفق بعد خروجه الى الجهاد دينارا ولا درهما
الا في الجهاد لصدق وبر في عينه ولقد هجر في محبة الجهاد الاهل والاولاد والوطن والمسكن
وسائر المالاذ وقنع من الدنيا في ظل خيمة تهب بها الريح بمنى وبصرة ولقد وقعت عليه الحمية
في ليلة ذات ريح وكادت تقتله لما وقعت عليه ولا يزيد ذلك الارغبة ومسايرة واهتماما ومناقبه
رحمه الله كثيرة قد افردت بالتأليف اللهم اجعل مقره جنات النعيم واقرب عينه بالنظر الى وجهك
الكريم يا ارحم الراحمين واجمع بيننا وبينه في دار كرامتك مع الذين انعمت عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وهو مع ما جمع الله فيه من الصفات حسنة من حسنات السلطان
محمود نور الدين ابن زنكي فان السلطان محمود نور الدين هو الذي أقامه حتى صار من الكاملين
ومن عباد الله المقربين وقد تقدم الوعد بك لترجمة السلطان نور الدين المذكور عند ذكر وفاته
سنة خمس مائة وتسع وستين وترجمته واسمها افردت بالتأليف ولند كرنبذة منها علما نال ببركة
السلطانين انواع التشریف وقد تقدم ان السلطان نور الدين هو ابن عماد الدين زنكي بن قسيم

الدولة آق سنقر كان جده آق سنقر من ممالك السلطان ملك شاه السلجوقي ولاء الولايات
الجليلة ثم بعده ابنه عماد الدين زنكي ولى كثير من الولايات وقمع اعظم الفتوحات ثم صار
الامر بعده لولده السلطان محمود نور الدين فكان له ولاية حلب والموصل وغيرهما من الممالك
وقمع كثير من البلاد التي استولى عليها النصارى وبعث السلطان صلاح الدين الى مصر فانتزعها
من ايدي العبيدين فماذا كروه في ترجمة السلطان نور الدين انه كان عالما فقيها على مذهب
الامام ابي حنيفة رضى الله عنه عابدا ورعا زاهدا فخر زهده وورعه انه كان لا يأكل ولا يلبس
ولا يتصرف الا في الذي يخصه من ملك كان له قد اشترى من سهمه من الغنمة ومن الاموال المرسدة
لمصالح المسلمين ولقد شكت اليه زوجته الضيق فاعطاها ثلاثة دكاكين في خمس كانت له
يحصل له منها في السنة نحو عشرين دينارا فاستقلتها فقال ليس لي الا هذا وجميع ما يدي انا فيه
خازن للمسلمين لا اخونهم فيه ولا أخوض نار جهنم لاجلك وكان يصلى كثيرا بالليل وله فيه
اوراد حسنة وكان كاقيل

* جمع الشجاعة والخشوع لربه * ما احسن الحراب في الحراب *

وكان عارفا بالفقه على مذهب الامام ابي حنيفة رضى الله عنه وسمع الحديث واسمعه طلبا
للاجر من الله تعالى واما عدله فانه لم يترك في مملكه على سعتها مكسا ولا عشورا بل أبطلها
جميعها في مصر والشام والجزيرة والموصل وكان الولاية قبله قد جاروا في ذلك غاية الجور
حتى وصلوا الى انهم يأخذون من المائة خمسة واربعين فأبطل ذلك كله فبارك الله له في الغنائم
وقمع له الفتوحات حتى انتزع هو والسلطان صلاح الدين كثير من الممالك الشامية
وغيرها من ايدي النصارى وكانوا قد استولوا عليها قريبا من مائة سنة وقد تقدم بيان ذلك
بالاختصار وكان رحمه الله يعظم الشريعة ويقف عند احكامها وله في ذلك اخبار عجيبة
فمن ذلك ان بعض رعيته ادعى عليه بدعوى غير صحيحة ولا ثابتة وشكاه على القاضى الذى
اقامه هو لتنفيذ الاحكام الشرعية فاستدعاه القاضى فحضر مجلس الحكم وقال للقاضى
انى قد جئت محاكما فالت معى مثل ما تسلكه مع غيرى وسأوى خصمه فى المجلس وحاكاه فلم
يبس عليه الحق وذهب الملك لنور الدين فقال اشهدوا انى قد وهبت لخصمى هذا كل الذى
سألتني فيه وما كنت اعلم انه لاحق له عندى وانما حضرت معه لثلايظن انى ظلمه فحيث
ظهر ان الحق لى وهبته له وهذا غاية العدل والانصاف بل غاية الاحسان وهى درجة وراء العدل
فرحم الله هذه النفس الزكية الطاهرة المنقادة للحق وهذا مستكثر من ملك متأخر بعد فساد
الازمنة وتفرق الكلمة والافتقار انقاد الى مجلس الحكم بجماعة من المتقدمين مثل عمر بن الخطاب
وعلى بن ابي طالب رضى الله عنهم ومن عدله انه لم يكن يعاقب العقوبة التى يعاقب بها الملوك
فى هذه الاعصار على الظنة والتهمة بل يطلب الشهود على المتهم فان قامت البينة الشرعية عاقبه
العقوبة الشرعية من غير تعد فدفع الله بهذا الفعل عن الناس من الشر ما كان يوجد فى غير
ولايته وكان للسلطان نور الدين شيخ يحبه ويمتدحه يقال له الشيخ عمر الملا ولقب بأمره
بالملا لان الشيخ عمر المذكور كان على تناير الجص بأجرة يتقوت منها فكان لا يأكل الا من كسب
يده وذلك حلال وكان نازلا بالموصل وكان السلطان نور الدين يرسل اليه من حلب من يأتيه منه

بشيء يفطر عليه في رمضان يكون حلالا فكان الشيخ عمر الملا يرسل للسلطان نور الدين اكياسا فيها الفتيت والرقاق فكان نور الدين يفطر عليه وكان اذا قدم السلطان نور الدين الموصل لا يأكل الى من طعام الشيخ عمر الملا وكان يقبل قوله ويعمل بشارته ويأمر عماله بالموصل والجزيرة ان يعملوا بقول الشيخ عمر الملا وبقبلوا اشارته لعله وصلاحه وديانته وورعه فاتفق انه كثر الذنار وارباب الفساد بالموصل والجزيرة فحضر العمال والنواب عند الشيخ عمر الملا وقالوا له انه قد كثر الذنار وارباب الفساد ولا يستقيم الامر الا بشيء من السياسة كالقتل والصلب واذا اخذ مال انسان في البرية من يحمي يشهد له فلو كتبت الى السلطان نور الدين ان يأذن لنا في شيء من السياسة فوافقهم الشيخ عمر الملا وكتب للسلطان نور الدين يسأله أن يأذن لهم في شيء من السياسة التي يمتنع بها الذنار واهل الفساد وقال اذا اخذ مال انسان في البرية من يحمي يشهد له فكتب السلطان نور الدين كتابه وكتب له على ظهره ان الله تعالى خلق الخلق وهو اعلم بمصلحتهم وشرع لهم شريعة وهو اعلم بما يصلحهم وأن مصلحتهم تحصل فيما شرعه على وجه كامل فيها ولو علم ان الشريعة تحتاج الى زيادة لانعام المصلحة لشرعه غالنا حاجة الى زيادة على ما شرعه الله تعالى فلما وصل الكتاب الى الشيخ عمر الملا جمع اهل الموصل واقرأهم الكتاب وقال انظروا في كتاب الزاهد الى الملك وكتاب الملك الى الزاهد فعرفوا ان ما قاله السلطان نور الدين هو الصواب وان الصلاح انما يكون بالعمل بالشريعة وكان السبب في اسقاطه المكوسات ان وزيره موفق الدين خالده ابن القيسراني رأى في منامه انه يغسل ثيابه فقص ذلك عليه ففكر ساعة ثم امر بكتابة اسقاط المكوسات وقال هذا تفسير منامك وكان في تهجده يقول ارحم العشار المكاس وبعد أن ابطل ذلك طلب من الناس الذين اخذت منهم قبل ذلك ان يجعلوه في حل وقال والله ما اخرجنا الا في جهاد عدو الاسلام يعتذر بذلك اليهم عن اخذها منهم وكان رحمه الله لا يفعل شيئا من الاعمال الابنية صالحة من ذلك انه كان يخرج بالعساكر ويحرون الخيل في صورة اللعب ويريد بذلك تمرين الخيل والعسكر على الدكر والفر فكاتب اليه الشيخ عمر الملا ما كنت اظنك تلهو وتلب وتغذب الخيل لغير فائدة بينة فكاتب اليه نور الدين والله ما يحملني على ذلك اللهم واللعب وانما نحن في ثغر العدو قريب منا وبيتنا نحن جلوس اذ يقع صوت فركب في الطلب ولا يمكننا ايضا ملازمة الجهاد ليلا ونهارا شاء وصيفا اذ لابد من الراحة للجند ومتى تركنا الخيل على مرابطها صارت جاما لا قدرة لها على ادمان السير في الطلب ولا معرفة لها ايضا بسرعة الانعطاف والطاعة لراكبها في الحرب فهذا والله الذي بعثني على ذلك قال ابن الاثير فانظر الى هذا الملك العظيم العديم النظير الذي يقل في اصحاب الزوايا المتقطعين الى العبادة مثله فان من يحمي الى اللعب بنية صالحة حتى يصير من اعظم العبادات واكبر القربات يقل في العالم مثله وفيه دليل على انه كان لا يفعل شيئا الابنية صالحة وهذه أفعال العلماء الصالحين العاملين بعلمهم وكان رحمه الله كثير المطالعة للكتب الدينية متبعا للآثار النبوية مواظبا على الصلوات في الجماعات عاكفا على قراءة القرآن حريصا على فعل الخير غفيف البطن والفرج مقصدا في الانفاق متحررا في الطعام والملابس لم تسمع منه كلمة فحش في رضاء ولا في سجره وأشهى

ما اليه كلمة حق يسمعها وارشاد الى سنة يتبعها قال ابن الاثير قد طالعت تواريخ الملوك المتقدمين
 قبل الاسلام وفيه الى زماننا هذا فلم أر بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز احسن سيرة من
 الملك العادل نور الدين ولا أكثر تحريبا للعدل والانصاف منه قد قصر ليله ونهاره على
 عدل ينشره وجهاد يجهزله ومظلة يزيلها وعبادة يقوم بها واحسان يوليه وانعام يسديه
 فلو كان في امة لا فتخرت به اما زهده وعبادته وعلمه فانه كان مع سعة ملكه وكثرة ذخائر
 بلاده واموالها لا يأكل ولا يلبس ولا ينصرف الا من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة
 ومن الاموال المرصدة لمصالح المسلمين واذا اراد أخذ شئ من الاموال المرصدة لمصالح
 المسلمين احضر الفقهاء واستفتاهم في اخذ ما يحل له من ذلك فيأخذ ما اقتوه بحله ولم يتعده
 الى غيره البتة ولم يلبس قط ما حرمة الشرع من حرير او ذهب او فضة ومنع من شرب الخمر
 وبيعها في جميع بلاده ومن ادخالها الى بلد ما وكان يحذر شاربيها الحد الشرعي وكل الناس
 عنده فيه سواء وكان يصلي فيطيل الصلاة وله اوراد في النهار فاذا جاء الليل وصلى العشاء
 ينام ويستيقظ نصف الليل ويقوم الى الوضوء والصلاة الى بكرة فيظهر ويشتغل بمهمات
 الدولة ومصالح المسلمين وارسلت له زوجته تخبره بان النفقة قلت عليها ولم يكفها
 ما كان قرره لها وطلبت منه الزيادة فنكر واحر وجهه وقال للرسول من اين اعطيتها
 ما يكفيها والله لا اخوض النار في هواها ان كانت تظن ان الذي بيدي من الاموال لي فيفس
 الظن انما هي اموال المسلمين مرصدة لمصالحهم ومعدة لفتق ان كان من عدو الاسلام وانا
 خازنهم عليها فلا اخونهم فيها ثم قال للرسول لي بمدينة حص ثلاثة دكاكين ملكا وقد
 وهبتها اياها فلنأخذها وكان يحصل منها قدر قليل وذلك نحو عشرين ديناراً وحكى انه
 حل اليه من مصر عمامة من القصب الرفيع مذهبة فلم يحضرها عنده فوصفت له فلم يلتفت
 اليها وبيئهاهم معه في حديثها اذ قد جاءه رجل صوفي فأمر بها له فقيل انها لا تصلح لهذا الرجل
 ولو اعطى غيرها كان انفع له فقال اعطوها له لبيعها وينتفع بثمنها فاني ارجو ان اعوض
 عنها في الآخرة فسلمت الى ذلك الصوفي فسار بها الى بغداد فباعها بست مائة دينار اوسبع
 مائة رطل باعها في همدان بالف دينار وكان الملوك قبله كالجاهلية هممة احدهم بطنه
 ووجهه لا يعرف معروفه ولا ينكر منكرا حتى جاء الله بدولته فوقف مع اوامر الشرع ونواهيها
 وألزم بذلك اتباعه وذويه فاقندى به عماله ومن سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها
 الى يوم القيامة فان قال قائل كيف يوصف بالزهد من له الممالك الفسيحة وتجي اليه
 الاموال الكثيرة فليذكر نبي الله سليمان عليه السلام فانه مع ملكه كان سيد الزاهدين
 في زمانه ونبينا صلى الله عليه وسلم قد حكم على حضرموت واليمن والحجاز وجميع جزيرة
 العرب من حدود الشام الى العراق وهو على الحقيقة سيد الزاهدين من جميع العالمين وانما
 الزهد خلو القلب من محبة الدنيا واما عدله فانه كان احسن الملوك سيرة واعدلهم حكما
 فمن عدله انه لم يترك في بلد من بلاده ضريبة ولا مكسا ولا عسرا بل اطلقها رحمة الله جميعها
 في بلاد الشام والجزيرة جميعها والموصل واعمالها وديار مصر وغيرها مما حكم عليه وكان
 المكس في مصر يؤخذ من كل مائة دينار خمسة واربعون ديناراً وهذا لم تتسع له نفس غيره

وكان يهجرى العدل وينصف المظلوم من الظالم كأنما من كان القوى والضعيف عنده في الحق
 سواء وكان يسمع شكوى المظلوم ويتولى كشف حاله بنفسه ولا يكل ذلك الى حاجب
 ولا امير فلا جرم سار ذكره في شرق الارض وغربها ومن عدله انه كان بعظم الشريعة المطهرة
 ويوقف عند احكامها ويقول نحن مسخرون لها غضي او امرها حتى انه دخل يوما
 الى خزانة المال فرأى فيها مالا انكره فسأل عنه فقيل له ان القاضي كمال الدين ارسله وهو
 من جهة كذا فقال ان هذا المال ليس لنا ولا لبيت المال في هذه الجهة شئ وامر برده واعادته
 الى كمال الدين ليرده على صاحبه فارسله فتولى الخزانة الى كمال الدين فرده كمال الدين الى
 الخزانة وقال اذا سأل الملك العادل عنه فقولوا له عنى انه له فدخل نور الدين الخزانة
 مرة اخرى فرأه فانكر على النواب وقال ألم اقل لكم يعاد هذا المال الى اصحابه فذكروا له
 قول كمال الدين فرده اليه وقال للرسول قل لكم كمال الدين انت تقدر على حل هذا المال
 واما انا فربقتي دقيقة لا يطيق حله والمخاصمة عليه بين يدي الله تعالى يعاد قولوا واحدا ومن
 عدله ايضا بعد موته وهو من اعجب ما يحكى ان انسانا كان بدمشق غربا استوطنها واقام بها
 لما رأى من عدل نور الدين رحمه الله تعالى فلما توفي تعدى بعض الاجناد على هذا الرجل
 فشكا فلم ينصف فنزل من القلعة وهو يستغيث ويبكى وقد شق ثوبه وهو يقول يا نور الدين
 لو رأيتنا ونحن فيه من الظلم لرجت ابا عبدك وقصد تربة نور الدين ومعه من الخلق مائة
 بحصى وكلمهم يبكى ويصبح فوصل الخبر الى صلاح الدين فقيل له احفظ البلد والرعية
 والاخرج عن يدك فارسل الى ذلك الرجل وهو عند تربة نور الدين والناس معه وطيب قلبه
 وازاح ظلامته ووجهه شيئا انصفه فيكى اشد من بكائه الاول فقال له صلاح الدين
 لم ينبكى قال ابكى على سلطان عدل فينا بعد موته فقال صلاح الدين هذا هو الحق وكما
 ترى فينا من عدل فنه تعلمناه ومن عدل نور الدين رحمه الله انه بنى دارا للكشف سماها دار
 العدل فكان يجلس فيها لفصل الخصومات في الاسبوع يومين وعنده القاضي والفقهاء
 واما شجاعته وحسن رأيه فقد كانت النهاية اليه فيهما فانه اصبر الناس في الحرب
 واحسنهم مكيدة ورأيا واجودهم معرفة بأموال الاجناد واحوالهم وبه كان يضرب المثل
 في ذلك وكان الناس يقولون انهم لم يروا على ظهر الفرس احسن منه كأنما خلق عليه لا يتحرك
 ولا يتزلزل وكان اذا حضر الحرب اخذ قوسين وتركشين وباشر القتال بنفسه وكان يقول طالما
 تعرضت للشهادة فلم ادركها سمعته يوما الامام قطب الدين النيسابورى الفقيه الشافعى
 وهو يقول ذلك فقال له بالله لا تخاطر بنفسك وبالاسلام والمسلمين فانك عمادهم ولئن
 أصيبت والعياذ بالله تعالى في معركة لا يبقى من المسلمين احدا لا اخذه السيف واخذت
 البلاد فقال يا قطب الدين ومن محمود حتى يقال له هذا قبلى من حفظ البلاد والاسلام ذلك
 الله الذى لا اله الا هو وكان رحمه الله يكثر اعمال الخيل والمكر والخداع مع الفرنج
 خذلهم الله تعالى واكثر ما ملكه من بلادهم بحسن تدبيره في اعمال الخيل عليهم ومن جيل
 الراى ما سلكه مع سليج بن ليون ملك الارمن فانه ما زال يخذله ويستميله حتى جعله في خدمته
 سقرا وحضرا وكان يقاتل به الافرنج وكان يقول اغا حلى على اسمائه ان بلاده حصينة

وعرة المسالك وقلاعه منيعة وليس لنا طريق اليها وهو يخرج منها اذا اراد فينال من بلاد الاسلام فاذا طلب التحجز فيها فلا يقدر عليه فلما رأيت الحال هكذا بذلت له شياً من الاقطاع على سبيل التألف حتى اجاب الى طاعتنا وخدمتنا وساعدنا على الفرج ولما توفي نور الدين وملك غيره غير هذا الطريق ملك متولى الارمن بعد سلب كثير من بلاد الاسلام وحصونهم وصار منه ضرر عظيم وخرق واسع لا يمكن رفعه وكان رحمه الله يكرم العلماء ويكثر الاحسان اليهم ويبالغ في تعظيمهم حتى انه اذا دخل عليه الفقيه او الصوفي او الفقير يقوم له ويمشي بين يديه ويجلسه الى جانبه كأنه اقرب الناس اليه مع انه كان له هبة عظيمة في قلوب الملوك والامراء وما كان احد من الامراء يقدر ان يجلس في مجلسه الا بعد الاذن له في ذلك وكان يכתب العلماء بخط يده وينسط معهم ولا يرد لهم قولاً واذا اعطى احداً من العلماء والفقهاء شيئاً يقول ان هؤلاء لهم في بيت المال حق فاذا قنعوا مناي بعضه فلهم المنة عليها كان مجلسه كما روى في صفة مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس حكم وحياء تنتهك فيه الحرم ولا يذكر فيه العلم والدين واحوال الصالحين والمشاورة في امر الجهاد صد بلاد العدو لا يتعدى هذا وقد حضر الحافظ ابن عساكر مجلس صلاح الدين لما ملك دمشق فرأى فيه من اللفظ وسوء الادب من الجالسين فيه ما لاحد له فشرع يحدث صلاح الدين كان يحدث نور الدين فلم يتمكن من القول لكثرة الاختلاف من المتحدثين وقلة استماعه فقام وبقي مدة لا يحضر المجلس الصلحي وتكرر من صلاح الدين الطلب له فحضر فعاتبه صلاح الدين على انقطاعه فقال زهت نفسي عن مجلسك فاني رأيتك ببعض مجالس السوق لا يستمع فيه الى قائل ولا يرد فيه جواب متكلم وقد كنا بالامس نحضر مجلس نور الدين فكنا كما قيل كأنما على رؤسنا الطير تعلمونا الهيبة والوقار فاذا تكلمنا انصتنا واذا تكلمنا استمع لنا فامر صلاح الدين اصحابه انه لا يكون منهم ماجرت به عادتهم اذا حضر الحافظ ابن عساكر قال ابن الاثير فهكذا كانت احواله جميعها رحمه الله تعالى مضبوطة محفوظة واما حفظ اصول الديانات فانه كان مراعيها لا يسهلها ولا يمكن احداً من الناس من اظهار ما يخالف الحق وحتى اقدم مقدم على ذلك ادبه بما يناسب بدعته وكان يبالغ في ذلك ويقول نحن نحفظ الطرق من لص وقاطع طريق والاذى الحاصل منهما قريب افلا نحفظ الدين ونمنع عنه ما ينقضه وهو الاصل وحكي ان انساناً بدمشق يعرف بيوسف بن آدم كان يظهر النسك والزهد وقد كثر اتباعه واظهر شيئاً من التشبيه فبلغ خبره نور الدين فاحضره واركبه حاراً وامر بصفه فليف به في البلد جميعه ونودي عليه هذا جزء من اظهر في الدين البدع ثم نفاه الى حران فأقام بها الى ان مات وكان لنور الدين رحمه الله مجالس يقرأ فيها كتب الحديث مع جماعة من العلماء فر به يوماً ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج متقلداً سيفه وكان من عادة الجند انهم يربطون سيوفهم بأوساطهم فلما سمع هذا الحديث أبطل ما كان عليه الجند وخرج من غد ذلك اليوم متقلداً سيفه فاقتدى به الجند وفعلوا مثل فعله فهذا يدل على انه لم يفرط في الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في كل سنة تبلغه عنه وامر رحمه الله باسقاط القابه في الدماء له على المنبر وطلب من ابن القيسر ان يكتب له صورة ما ينبغي ان يدعى له به فكتب له اذا اراد الخطيب

ان يدعو له يقول اللهم أصلح عبدك الفقير الى رحمتك الخاضع لهيبتك المنصم بقولك المجاهد
 في سبيلك الم رابط لا عداء دينك ابا القاسم محمود بن زكري بن آق سنقر ناصر امير المؤمنين فكتب
 نور الدين على رأس الرقعة بخطه مقصودى ان لا يكذب على المنبر انما نخل بكل ما يقال لا افرح
 بالاعمال وكتب في آخر الرقعة ثم تبدأ بالدعاء اللهم اره الحق اللهم أسعده اللهم انصره اللهم
 وفقه من هذا الجنس ودخل في ايام نور الدين الى حلب تاجر موسر فأت بها وخلف ولدا
 صغيرا ومالا كثيرا فكتب بعض من كان بحلب الى نور الدين يذكر له انه قد مات تاجر موسر
 وخلف ولدا صغيرا وخلف عشرين الف دينار وحسن له ان يرفع المال الى الخزانة ويتفق على
 الصغير شئ يسير ويملك الباقي الى الخزانة فكتب على رقعة اماليت فرجه الله واما الولد
 فأنشأه الله واما المال فثمره الله واما الساعى فلعنه الله وكفى السلطان نور الدين منقبه ما ذكره
 العلامة السيد السهوى في تاريخ المدينة المسمى خلاصة الوفا في اخبار دار المصطفى صلى
 الله عليه وسلم ان السلطان المذكور رأى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات في ليلة واحدة
 وهو يقول له في كل مرة يا محمود انقضى من هذين الشخصين وهما شخصان اشقران تجاهه
 فاستحضر وزيره قبل الصبح فذكر ذلك له فقال هذا امر حدث بالمدينة النبوية ليس له
 غيرك فتجهز بمقدار الف راحلة ومائة بعها وسار حتى دخل المدينة على حين غفلة من اهلها
 ثم امر بكتابة اسماء الناس ليتصدق عليهم وتصدق باموال كثيرة ولا يعطى كل انسان الا بده
 لينظر اليه رجاء ان يرى الشخصين الاشقرين الذين اراه اياهما النبي صلى الله عليه وسلم حتى
 لم يبق احد ولم يشاهد فبين حضر عنده الشخصين الاشقرين فسأل هل بقي احد فقالوا لم يبق
 الا رجلان مجاوران من اهل الاندلس نازلان في الرباط الذي في قبلة حجرة النبي صلى الله عليه
 وسلم فجدوا في طلبهما حتى احضروهما فلما رآهما قال للوزير هما هذان فسألهما عن حالهما
 فقالا جئنا للحجورة فقال لهما اصدقاني وعاقبهما حتى أقرا انهما من النصارى وانهما وصلا
 ابنى ينقلان من بالجرة الشريفة باتفاق من ملوكهما ووجدتهما قد حفرنا الارض من تحت
 حائط المسجد القبلية لجهة الحجرة الشريفة ويجعلان التراب في بئر عندهما في الرباط وقيل كانا
 يجعلان التراب في محفظتيهما ويخرجان بلبقائه في الخارج فضرب اعناقهما عند الشباك الذي
 هو شرقي الحجرة خارج المسجد ثم احرقهما بالنار وحفر خندقا حوالى الحجرة الشريفة وسكب
 فيه الرصاص والنحاس المذاب واستحفظه غاية الاستحفاظ ثم ركب السلطان نور الدين راجعا
 الى الشام وكان السلطان محمود المذكور موصوفا بكثير من الصفات الحميدة وقد اتسع ملكه
 وخطب له بالشام ومصر والحرمين واليمن ويذكرون اسمه بعد ذكر الخليفة العباسى والسلطان
 السلجوقي وترجمته واسمعة قد افردت بالنايلف وفي هذا القدر كفاية وانما ذكرنا ترجمته
 وترجمة السلطان صلاح الدين لغرابة وجودهما في الزمن الذى كثرت فيه جور الملوك والسلاطين
 ليعلم انهما انما فتحا البلاد وانتزعاها من النصارى بالعدل لاسيما في بيت المال وليعلم ايضا ان الخلفاء
 الراشدين انما فتحوا البلاد بالعدل في بيت المال وقد ذكر كثير من العلماء ان الدعاء مستجاب عند
 قبر السلطان نور الدين والسلطان صلاح الدين اللهم اجعل مقرهما جنات النعيم وأقر
 اعينهما بالنظر الى وجهك الكريم يا ارحم الراحمين واجمع بيننا وبينهما في دار كرامتك مع

الذين انعمت عليهم من النبين والصدّيقين والشهداء والصالحين اهـ ولزج الى تمام الكلام على ما كنا بصده من ذكر الفتوحات فنقول بعد وفاة السلطان صلاح الدين وقع اختلاف كثير بين اولاده ليس هذا محل ذكره وصار ملكه مقسمين اولاده واخيه الملك العادل ثم تغلب اخوه عليهم ففهم من انتزع الملك منه ومنهم من مات في ملكه ثم صفا الامر لـ اخيه فقسم الممالك بين اولاده كما سيأتي ذكره ولما مات صلاح الدين كان ملك مصر لولده الملك العزيز عثمان فجدد الهدنة مع الفرنج وزاد في مدة الهدنة واستمر الامر الى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة وكان الملك الافضل على بن صلاح الدين ملك دمشق بعد وفاة ابيه فانترعها منه اخوه الملك العزيز عثمان صاحب مصر وجعل فيها عمه الملك العادل وأعطى الافضل صرخد وكان مدينة بيروت امير يعرف بأسماء فكان يرسل الشواني تقطع الطريق على الفرنج فاشتكى الفرنج من ذلك الى الملك العادل اخي صلاح الدين وكان بدمشق والى الملك العزيز بمصر فلم ينعم اسماء من ذلك فارسل الفرنج الى ملوكهم الذين داخل البحر يشتهكون اليهم ما يفعل بهم المسلمون ويقولون ان لم نجدونا والاخذ المسلمون البلاد فأمدهم الفرنج بالعساكر الكثيرة سنة ٥٩٣ وكان اكثرهم من ملك الالمان فلما سمع الملك العادل بذلك ارسل الى الملك العزيز بمصر يطالب العساكر وكذا من بقية الاطراف واجتمعوا على عين جالوت فأقاموا شهر رمضان وبعض شوال سنة ٥٩٣ ورحلوا الى يافا وملكوا المدينة وامتنع من بها بالقلعة التي بها فخر المسلمون المدينة وحصروا القلعة فلكوها عنوة وقهرا بالسيف واخذوا كل من بها أسرا وسبوا ووصل الفرنج من عكا الى قيسارية لينعموا المسلمين عن يافا فوصلهم الخبر بما وقع فعادوا وعاد المسلمون الى عين جالوت فوصلهم الخبر بأن الفرنج على عزم قصد بيروت فغزم المسلمون على تحرير بيروت فسار اليها الملك العادل بجمع من العسكر فهدموا سور المدينة سابع ذي الحجة سنة ٥٩٣ وشرعوا في تخريب دورها وتخريب القلعة فغضبهم اسماء من ذلك وتكفل بحفظها ورحل الفرنج من عكا الى صيدا وعاد عسكر المسلمين من بيروت فالتقواهم والفرنج بنواحي صيدا وجرى بينهم مناوشة فقتل من الفريقين جماعة وحجز بينهم الليل وسار الفرنج سابع ذي الحجة سنة ٥٩٣ فوصلوا الى بيروت فلما قاربوها هرب منها اسماء وجميع من معه من المسلمين فلكوها صفوا عفوا بغير حرب ولا قتال فكانت غنيمة باردة فأرسل العادل الى صيدا من خرب ما كان بقي منها فان صلاح الدين كان قد خرب اكثرها وسافرت العساكر الاسلامية الى صور فقطعوا اشجارها وخرّبوا مالها من قرى وأبراج فلما سمع الفرنج بذلك رحلوا من بيروت الى صور واقاموا عليها ونزل المسلمون عند قلعة هونين ثم اتاهم الخبر ان الفرنج يريدون ان يحصروا حصن تبين فسار العادل اليه عسكرا يحمونه ورحل الفرنج من صور ونازلوا تبين اول صفر سنة ٥٩٤ اربع وتسعين وخمسمائة وقاتلوا من به وجدوا في القتال ونقبوه من جهاتهم فلما علم العادل بذلك أرسل الى الملك العزيز بمصر يطلب منه الحضور بنفسه فسار العزيز بمجدد من معه من العساكر فلما سمع الفرنج بوصولهم رحلوا الى عكا وعاد العزيز الى مصر وبقي العادل وترددت الرسل بينه وبين الفرنج وانهم قد صلح وعاذ العادل الى دمشق

ذكر ملك الفرنج القسطنطينية

في سنة ستمائة ملك الفرنج مدينة القسطنطينية في شعبان وانتزعوها من الروم وازالوا ملك الروم عنها وكان سبب ذلك أن ملك الروم تزوج اخت ملك افرنسيس وهو من اكبر ملوك الفرنج فرزق منها ولدا ذكرا وكان لملك الروم اخ فوثب الاخ على الملك فقبض عليه وملك البلد منه وسمل عينيه وسجنه فهرب ولد الملك الى خاله ملك افرنسيس مستنصرا به على عمه فاتفق ذلك وقد اجتمع كثير من الفرنج ليخرجوا الى بلاد الشام لاستنقاذ بيت المقدس فأخذوا ولد الملك معهم وجعلوا طريقهم على القسطنطينية قصد الاصلاح الحال بينه وبين عمه ولم يكن له طمع في سوى ذلك فلما وصلوا خرج عمه في عساكر الروم محاربا لهم فوقع القتال بينهم في ذي القعدة سنة ٥٩٩ تسع وتسعين وخمسمائة فانهزمت الروم ودخلوا البلد فدخل الفرنج معهم فهرب ملك الروم الى اطراف البلاد وقيل ان ملك الروم لم يقابل الفرنج بظاهر البلد وانما حصروه فيها وكان في الروم من يريد الصبي فألقوا النار في البلد فاشتغل الناس بذلك ففتحوا بابا من ابواب المدينة فدخلها الفرنج وخرج ملكها هاربا وجعل الفرنج الملك في ذلك الصبي وليس له من الحكم شيء وأخرجوا اباه من السجن انما الفرنج هم الحكام في البلد فشقلوا الوطأة على اهله وطلبوا منهم اموال اعجزوا عنها واخذوا اموال البيع وما فيها من ذهب وفضة وغير ذلك حتى ماعلى الصليان وما هو على صورة المسيح عليه السلام والحواريين وما على الانجيل من ذلك ايضا فعظم ذلك على الروم وتحملوا منه خطبا عظيما فعمدوا الى ذلك الصبي الذي تملك فقتلوه واخرجوا الفرنج من البلد واغلقوا الابواب واستحضروا الملك وكان ذلك في جادى الاولى سنة ٦٠٠ ستمائة فقام الفرنج بظاهرة محاصرين للروم وقتلوههم ولازموا قتالهم ليلا ونهارا وكان الروم قد ضمهفوا ضمما كثيرا فارسلوا الى السلطان زكى الدين السلجوقي صاحب قونية وغيرها من البلاد يستنجدونه فلم يجد الى ذلك سبيلا وكان بالمدينة كثير من الفرنج مقيمين يقاربون ثلاثين الفا ولعظم البلد لا يظهر امرهم فتواضعواهم والفرنج الذي بظاهر البلد ووثبوا فيه وألقوا النار مرة ثانية فاحترق نخور بع البلد وفتحوا الابواب فدخلوها ووضعوا السيف ثلاثة ايام وفتكوا بالروم قتلا ونهبها فاصبح الروم كلهم مابين قتيل او فقير لا يملك شيئا ودخل جماعة من اعيان الروم الكنيسة العظمى التي تدعى اياصوفيا فجاء الفرنج اليها فخرج اليهم جماعة من القسيسين والاساقفة والرهبان بايد بهم الانجيل والصلب يتوسلون بها الى الفرنج ليقبوا عليهم فلم يلبثوا اليهم وقتلوههم اجمعين ونهبوا الكنيسة وكان رؤساء الفرنج الذين ملكوا القسطنطينية ثلاثة ملوك دوقس البادقة وهو صاحب المراكب البحرية وفي مراكبه ركبوا الى القسطنطينية وكان شيخا اعمى اذا ركب تقاد فرسه والاخر يقال له المركيس وهو مقدم الافرنسيس والثالث يقال له كندا فلند وهو اكثرهم عددا فلما استولوا على القسطنطينية اقترعوا على الملك فخرجت القرعة على كندا فلند فامادوا القرعة ثانية وثالثة فخرجت عليه فلكوه والله يؤتى ملكه من يشاء وينزعه من يشاء فلما خرجت القرعة ملكوه عليها وهلى مايجاورها

وجعلوا الدوقس البنادقة الجزائر البحرية مثل جزيرة آفريطش وجزيرة رودس وغيرهما ويكون
لوكيس الافرنسي البلاد التي هي في الخليج مثل ازيق ولازيق ولكن لم يحصل لاحد منهم
شيء غير الذي اخذ القسطنطينية واما الباقي فلم يسلمه من به من الروم بل دفعوا عما بأيديهم
وبقي لهم واما البلاد التي كانت لملك القسطنطينية شرقي الخليج المجاورة لبلاد ركن الدين
السلجوقي ومن جعلتها زنيق فانه تغلب عليها بطريق كبير من بطارقة الروم اسمه كسكري
وبقيت بيده ولم تزل القسطنطينية بأيدي الفرنج من هذا التاريخ الى سنة ستين وستمائة
فتجمع الروم وقصدوها وقتلوا الفرنج وانزعوها منهم وعادت لملكهم ولما ملك
الفرنج القسطنطينية في السنة المذكورة اعني سنة ٦٠٠ تقوى ملكهم بالشام فخرج
كثير منهم من القسطنطينية في البحر الى الشام وأرسوا بمكا وعزموا على قصد بيت المقدس
حرسه الله فلما استراحوا بمكا ساروا فذهبوا كثيرا من بلاد الاسلام بنواحي الاردن
وسبوا وقتلوا في المسلمين وجاء اسطول منهم الى فوة من الديار المصرية فاستولوا عليها
ونهبوها خمسة ايام وعساكر مصر في مقابلتهم وبينهم النيل ليس لهم وصول اليهم لانهم
لم تكن لهم سفن وكان الملك العادل بدمشق فارسل في جميع العساكر من بلاد الشام
ومصر فسار وزل من القرب من عكا لمنع الفرنج من قصد بلاد الاسلام وزل الفرنج بخرج
عكا وأغاروا على بعض الاطراف منها فاخذوا كل من بها ودام الامر في اغارات بينهم
وبين المسلمين الى ان انقضت السنة ودخلت سنة احدى وستمائة فانهقد صلح بينهم وبين الملك
العادل على ان دمشق واعمالها وما بيد العادل من الشام يبقى له وزل لهم عن كثير
من المناصقات في الرملة وغيرها واعطاهم ناصرة وغيرها وسار نحو الديار المصرية
فقصد الفرنج مدينة حماة فلقبهم صاحبها ناصر الدين محمد بن تقي الدين ابن اخي صلاح الدين
شاهنشاه بن ايوب فقاتلهم وكان في قتله فهزموه الى البلد فخرج العامة الى قتال الفرنج
منهم جماعة ثم عاد الفرنج الى عكا بعد ان انهقد صلح بينهم وبين صاحب حماة وفي سنة ٦٠٣
ثلاث وستمائة ملك غياث الدين السلجوقي أنطاكية بالام مدينة للروم على ساحل البحر وهي
خير انطاكية بالكاف وكان تملكه لها بعد قتال وحصار لاهلها ثم قتل من كان فيها من الفرنج

ذكر غارات الفرنج بالشام وحسن الاكراد

في سنة ٦٠٤ اربع وستمائة كثر الفرنج الذين بطرابلس الشام وأكثروا الاغارة على
بلد حص وولايتهما ونازلوا مدينة حص وكان جمهم كثيرا فلم يكن لصاحبها أسد الدين
شيركو قوة ولا قدرة على دفعهم ومنهمهم فاستنجد بالملك الظاهر غازي بن صلاح الدين
صاحب حلب وغيره من ملوك الشام فلم ينجده أحد الا الظاهر غازي فانه سير له
عساكر أقاموا عنده ومنعوا الفرنج عن ولايته ثم ان الملك العادل خرج من مصر بالعساكر
الكثيرة وقصد مدينة عكا فحاصرها وغار على اطرافها فصالحه صاحبها الفرنجي على
قاعدة استقرت من اطلاق أسرى من المسلمين وغير ذلك ثم سار الى حص ثم منها الى طرابلس
وحاصرها موضعا منها يسمى القليعات ثم ملكه صلحا واطلسق صاحبها وغنم ما قيمته

من دواب وسلاح وخزبه وتقدم الى طرابلس فنهب واحرق قوسي وغنم وترددت
الرسل بينه وبين الفرنج في الصلح فلم يتم ودخل الشتاء فجعل طائفة من العسكر بمحصر
عند صاحبها وعاد الى دمشق فشتى بها وكان سبب خروج الملك العادل من مصر
بالعساكر أن اهل قبرس الفرنج اخذوا عدة قطع من أسطول مصر وأسروا من فيها فأرسل
العادل الى صاحب عكا في رد ما أخذوه ويقول له نحن في صلح فلم غدرتم باصحابنا
فاعتذربان اهل قبرس ليس لي عليهم حكم وان مرجعهم الى الفرنج الذين بالقسطنطينية ثم ان
اهل قبرس ساروا الى القسطنطينية بسبب غلاء كان عندهم وتعذرت عليهم الاقوات وعاد حكم
قبرس الى صاحب عكا فأعاد العادل مراسلته فلم يفصل بينهما حال فصار بالعساكر وفعل بعكا
ما ذكرنا فأجابه حينئذ صاحب عكا الى ما طلب وارسل الاسرى ثم لم تزل الوقائع تتوالى وتتابع
والصلح يتم تارة ويقطع اخرى الى ان دخلت سنة اربع عشرة وستمائة فحصلت وقائع شتى

✽ ذكر ظهور الفرنج الى الشام ومسيرهم الى مصر وملكهم دمياط ✽

كان من اول هذه الحادثة الى آخرها اربع سنين غير شهر وحاصلها انه في سنة اربع
عشرة وستمائة وصلت امداد الفرنج في البحر من رومية الكبرى وغيرها من بلاد الفرنج
في الغرب والشمال الا أن المتولى لها كان صاحب رومية البابا لانه ينزل عند الفرنج بمنزلة
عظيمة لا يرون مخالفة امره ولا العدول عن حكمه فيما سرهم وساء لهم فجهز العساكر من
عنده مع جماعة من مقدمي الفرنج وامر كل ملوك الفرنج ان يسير بنفسه او يرسل جيشا
ففعلموا ما امرهم فاجتمعوا بعكا من ساحل الشام وكان الملك العادل بن ايوب بمصر فسار منها
الى الشام فوصل الى الرملة ومنها الى الدورز وسار الفرنج من عكا ليقصدوه فصار العادل
نحوهم فوصل الى نابلس عازما على ان يسبقهم الى اطراف البلاد مما يلي عكا ليحجمها منهم
فساروا هم فسبقوه فنزل على بيسان من الاردن فتقدم الفرنج اليه في شعبان عازمين على
محاربتهم لانه في قلة بالنسبة اليهم لان عساكره كانت متفرقة في البلاد فلما رأى الملك العادل
قربهم منه لم ير أن يلقاهم في الطائفة التي معه خوفا من هزيمة تكون عليه وكان حازما كثير
الحذر ففارق بيسان نحو دمشق ليقم بالقرب منها ويرسل الى البلاد في تجمع العساكر فوصل
الى مرج الصفر فنزل فيه وكان اهل بيسان وتلك الاعمال لما رأوا الملك العادل عندهم
اطمأنوا فلم يفارقوا بلادهم ظنا منهم ان الفرنج لا يقدمون عليه فلما أقدموا كان اقدامهم على
غفلة من الناس فلم يقدر على النجاة الا القليل فأخذ الفرنج كل ما في بيسان من ذخائر قد
جمعت وكانت كثيرة وغنموا شيئا كثيرا ونهبوا البلاد من بيسان الى بانياس وبشوا السرايا
في الزرى فوصلت الى خسقين ونوى واطراف السواد ونازلوا بانياس واقاموا عليها ثلاثة
ايام ثم عادوا عنها الى مرج عكا ومعهم من الغنائم والسبي والاسرى ما لا يحصى كثرة سوى
ما قتلوا واحرقوا واهلكوا فأقاموا اياما استراحوا فيها ثم جاؤا الى صور وقصدوا بلد
الشقيف ونزلوا بينهم وبين بانياس مقدار فرسخين فنهبوا البلاد صيدا والشقيف وعادوا
الى عكا وكان هذا من نصف رمضان الى العيد والذي سلم من تلك البلاد كان مخفيا قدر على

النجاة ولما سار العادل الى مرج الصفر رأى رجلا في طريقه يحمل شيا وهو يمشي تارة
ويقعد تارة يستريح فعاد العادل اليه وحده فقال له يا شيخ لا تجعل وارفق بنفسك فمرره
الرجل فقال يا سلطان المسلمين انت لا تجعل فاننا اذا رأيناك قد سرت الى بلادك وتركنا
مع الاعداء كيف لا نجل قال ابن الاثير وبالجملة فالذى فعله العادل هو الحزم والمصلحة لئلا
يخطر بالقاء على حال تفرق من العساكر ولما نزل العادل على مرج الصفر سير ولده الملك المعظم
عيسى وهو صاحب دمشق في قطعة صالحة من الجيش الى نابلس يمنع الفرنج عن بيت
المقدس ولما نزل الفرنج بمرج عكا تجهزوا واخذوا معهم آلة الحصار من مجانيق وغيرها
وقصدوا قلعة الطور وهي قلعة منيعة على رأس جبل بالقرب من عكا كان العادل بناها عن
قريب فتقدموا اليها وحاصروها وزحفوا اليها وصعدوا في جبلها حتى وصلوا الى
سورها وكادوا يملكونه فاتفق ان بعض المسلمين ممن فيها قتل بعض ملوك الفرنج فعادوا
عن القلعة وتركوها وقصدوا عكا وكان مدة مقامهم على الطور سبعة عشر يوما ولما فارقوا
الطور اقاموا قريبا ثم ساروا في البحر الى ديار مصر فتوجه الملك المعظم الى قلعة الطور
فخبر بها الى ان ألحقها بالارض لانها قريبة من عكا يتعذر حفظها

✽ ذكر حصر الفرنج دمياط الى ان ملكوها ✽

لما عاد الفرنج من حصار الطور اقاموا بعكا الى ان دخلت سنة خمس عشرة وستائة فصاروا في البحر
الى دمياط فوصلوا في صفر فأرسوا على الجزيرة بينهم وبين دمياط النيل فان بعض النيل
يصب في البحر المالح عند دمياط وقد بنى المسلمون في النيل برجا كبيرا منيعا وجعل فيه سلاسل
من حديد غلاظ ومدوها في النيل الى سور دمياط لتمنع المراكب الواصلة من البحر المالح ان
تصعد في النيل الى ديار مصر ولولا هذا البرج وهذه السلاسل لكانت مراكب العدو
لايقدرا احد على منعها من اقاصي ديار مصر وادانها فلما نزل الفرنج على الجزيرة وبينهم
وبين دمياط النيل بنوا عليهم سورا وجعلوا خندقا بينهم ممن يريدهم وشرعوا في قتال
من بدمياط وعملوا آلات وأبراجا يرحفون بها في المراكب الى هذا البرج الذي للمسلمين
في النيل ليقاتلوا من فيه ويملكوه وكان السرج مشحونا بالرجال وقد نزل الملك الكامل بن
الملك العادل وهو صاحب دمياط وجميع ديار مصر بمنزلة تعرف بالعادلية بالقرب من
دمياط والعساكر متصلة من عنده الى دمياط لمنع العدو من العبور الى ارضها وأدام الفرنج
قتال البرج وتابعوه فلم يظفروا منه بشئ وكسرت آلاتهم ومع هذا فهم ملازمون لقتاله فبقوا
كذلك اربعة اشهر ولم يقدروا على أخذه ثم بعد ذلك ملكو البرج فلما ملكوه قطعوا السلاسل
لتدخل مراكبهم من البحر المالح في النيل ويحكموا في البر فنصب الملك الكامل عوض السلاسل
جسرا عظيما منقوبا به من سلوك النيل ثم انهم قاتلوا عليه ايضا قتالا شديدا كثيرا متتابعيا
حتى قطعوه فلما قطع اخذ الملك الكامل عدة مراكب كبار وملاؤها وخرقها وغرقها في
النيل فذهبت المراكب من سلوكه فلما رأى الفرنج ذلك قصدوا خليجا هناك يعرف بالازرق
كان النيل يجري عليه قديما فحفروا ذلك الخليج وعمقوه وأجروا الماء فيه الى البحر المالح

وأصعدوا مراكبهم فيه الى موضع يقال له بورة على ارض الجزيرة ايضا مقابل المنزل التي
كان فيها الملك الكامل ليقاتلوه من هناك فانهم لم يكن لهم اليه طريق يقاتلون فيها وكانت
دمياط تحجز بينهم وبينه فلما صاروا في بورة حاذوه فقاتلوه في الماء وزحفوا عليه غير
مرة فلم يظفروا بطائل ولم يغير على اهل دمياط شئ لان الميرة والامداد متصلة بهم والنيل
يحجز بينهم وبين الفرنج فهم ممنعون لا يصل اليهم اذى وابوابها مفتحة وليس عليهم من
الحصير ضيق ولا ضرر فاتفق لما يريد الله عز وجل ان الملك العادل والملك الكامل توفي
بالشام في جادى الآخرة من سنة خمس عشرة وستمائة فلما جاء خبر وفاته لابنه الملك الكامل
ضعفت نفوس الناس لان الملك العادل هو السلطان في الحقيقة واولاده وان كانوا ملوكا الا انهم
تحت حكمه والامر اليه وهو الذى ملكهم البلاد فاتفق موته والحال هكذا من مقاتلة العدو
وكان من جملة الامراء عصر امير يقال له عماد الدين احدى على ويعرف بابن المشطوب وهو من
الاكراد الهكارية وهو اكبر امير عصر وله لغيف كثير وجبى الامراء يتقادون له ويطيعونه
لا سيما الاكراد فاتفق هذا الامير مع غيره من الامراء ان يخلعوا الملك الكامل من الملك
ويملكوا اخاه الملك الغازي بن العادل ليصير الحكم اليهم عليه وعلى البلاد فبلغ الخبر الملك
الكامل ففارق المنزل ليلا مع بعض اصحابه وسار الى قرية يقال لها اشمون طنح فزل
عندها فأصبح العسكر وقد فقدوا سلطانهم فركب كل انسان منهم هواه ولم يقف الا
على اخيه ولم يقدروا على اخذ شئ من خيامهم وذخائرهم واموالهم وأسلمتهم الا اليسير
الذى يخف حله وتركوا الباقي بحاله من ميرة وسلاح ودواب وخيام وغير ذلك ولحقوا
بالكامل واما الفرنج فانهم اصبحوا من الغد فلم يروا احدا من المسلمين على شاطئ النيل
بجاري مادتهم فبقوا لا يدورن ما الخبر واذا قد اتاهم من أخبرهم الخبر على حقيقة فعبهروا
حينئذ النيل الى بردمياط آمين بغير منازع ولا منازع وكان عبورهم في العشرين من ذى
القعدة سنة خمس عشرة وستمائة فنجحوا ما في عسكر المسلمين فكان عظيما يعجز العادين وكان
الملك الكامل قد فارق الديار المصرية لانه لم يبق بأحد من عسكره وكان الفرنج قد ملكوا
الجميع بغير تعب ولا مشقة فاتفق من لطف الله بالمسلمين ان الملك العظيم عيسى صاحب دمشق
وبيت المقدس ابن الملك العادل بعد هذه الحركة بيومين وصل الى اخيه الكامل والناس في
امر مرج فقوى به قلبه واشتد ظهره وثبت جنانه واقام بمنزله واخرجوا ابن المشطوب الى
الشام فأتصل بالملك الاشرف موسى صاحب الجزيرة وديار بكر ابن الملك العادل ولم يجهل
الله تعالى ابن المشطوب بل اخذه اخذه راية فانه بعد اتصاله بالملك الاشرف والتحاqqه
بجذبه وقعت منه خيانة فقبض عليه وحبسه الى ان مات ولما عبر الفرنج الى ارض دمياط
اجتمعت العرب على اختلاف قبائلها ونهبوا البلاد المجاورة لدمياط وقطعوا الطريق وأفسدوا
وبالفوا في الافساد فكانوا أشد على المسلمين من الفرنج وكان اضر شئ على اهل دمياط
انهم لم يكن بها من العسكر احد لان السلطان ومن معه من العساكر كانوا عندها بمنحون العدو
عنها فأتتهم هذه الحركة بغتة فلم يدخلها احد من العسكر واحاط الفرنج بدمياط وقاتلوا بها
وبجرا وعملوا عليها خندقا يمنعهم ممن يريد منهم من المسلمين وكانت هذه عادتهم واداموا القتال

واشتد الامر على اهلها وتعدرت عليهم الافوات وغيرها وسثموا القتال وملازمته لان الفرنج كانوا يتناوبون القتال عليهم اكثرتهم وليس بدمياط من الكثرة ما يجعلون القتال بينهم مناوبة ومع هذا صبروا صبرا لم يسمع بمثله وكثر القتل فيهم والجراح والموت والامراض ودام الحصار عليهم نحو ثمانية اشهر من اواخر ذي القعدة الى السابع والعشرين من شعبان سنة ست عشرة وستمائة فحجز من بقي من اهلها عن الحفظ اقلتهم وتعذر القوت عندهم فسلوا البلد من هذا التاريخ بالامان فخرج منهم قوم واقام آخرون لهجزهم عن الحركة ففرقوا ايدي سبا

ذكر ملك المسلمين دمياط من الفرنج

لما ملك الفرنج دمياط اقاموا بها وبنوا السرايا في كل ما جاورهم من البلاد يهبون ويقتلون في اهلها عنها وشرع الفرنج في عمارتها وتحصينها وبنوا في ذلك حتى انها بقيت لا تكاد ترام واما الملك الكامل فانه اقام بالقرب منهم في اطراف بلاده يحميها ولما سمع الفرنج في بلادهم بفتح دمياط على اصحابهم اقبلوا يهرعون من كل فج عميق واصبحت دار هجرتهم وعاد الملك المعظم صاحب دمشق الى الشام فحرب بيت المقدس في ذي القعدة سنة خمس عشرة وستمائة وانما فعل ذلك لان الناس كافة خافوا الفرنج واشرف الاسلام وكافة اهل وبلاده على خطة الخسف في شرق الارض وغربها لان التتر اقبلوا من المشرق حتى وصلوا الى نواحي العراق واذر بيجان واران وغيرها واقبل الفرنج من الغرب فلكوا مثل دمياط في الديار المصرية مع عدم الحصون المانعة بها من الاعداء واشرف سائر البلاد بمصر والشام على ان تلك وخافهم الناس كافة وصاروا يتوقعون البلاء صباحا ومساء واراد اهل مصر الجلاء عن بلادهم خوفا من العدو ولات حين مناص والعدو قد احاط بهم من كل جانب ولو تمكنهم الملك الكامل من الجلاء لتركوا البلاد خاوية على عروشها وانما منعوا منه فثبتوا وتابع الملك الكامل كتبه الى اخويه الملك المعظم صاحب دمشق والملك الاشرف موسى صاحب الجزيرة وديار بكر يستنجدهما ويحثهما على الحضور بانفسهما فان لم يمكن فيرسلان العساكر اليه فسار الملك المعظم بنفسه الى الملك الاشرف فراه مشغولا بآباده من اختلاف الكلمة عليه وزوال الطاعة عن كثير من بطيئه فعذره وعاد عنه وبقي الامر كذلك مع الفرنج الى سنة ثمان عشرة وستمائة ثم ان الملك الاشرف زال عنه الخلاف ورجع الملوك الخارجون عن طاعته اليه واستقامت له الامور والملك الكامل مقابل الفرنج فلما دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة علم الملك الكامل بزوال المانع للاشرف عن انجاده فارسل يستنجده واخاه صاحب دمشق فسار الملك الاشرف بمساكره الى دمشق ثم سار الى مصر وكان الفرنج قد ساروا عن دمياط القارس والراجل وقصدوا الملك الكامل وزلوا مقابلته بينهما خليج من النيل يسمونه بحر اشمون وهم يرمون بالمنجنيق والجزخ الى عسكر المسلمين وقد تيقنوا هم وكل الناس انهم يملكون الديار المصرية فلما سمع الملك الكامل بقرية اخيه الملك الاشرف فرح بذلك فلما وصل الى مصر توجه اليه فلقية واستبشره وكافة المسلمين باجتماعهما لعزل الله يحدث بذلك نصرا وظفرا واما الملك المعظم صاحب دمشق فانه سار الى دمياط ظن ان اخويه وعسكرهما قد نازلوا دمياط

وقيل بل أخبر في الطريق ان الفرنج قد توجهوا الى دمياط فسبقهم اليها ليلقاهم من بين ايديهم
وأخواه من خلفهم ولما اجتمع الاشرف بالكامل استقر الامر بينهما على التقدم الى خليج من النيل
يعرف ببحر المحلة فتقدموا اليه فقاتلوا الفرنج وازدادوا قربا وتقدمت شواني المسلمين من النيل
وقاتلوا شواني الفرنج فاخذوا منها ثلاث قطع بمن فيها من الرجال وما فيها من الاموال والسلاح
ففرح المسلمون بذلك واستبشروا وتفاءلوا وقويت نفوسهم واستطاعوا على عدوهم والرمل
مرتدة بينهم وبين الفرنج في تقرير قاعدة الصلح وبذل المسلمون لهم تسليم بيت المقدس وعسقلان
وطبرية وصيدا وجبله واللاذقية وجبج مفتح صلاحي الدين ماعدا الكرك ليسلوا دمياط
فلم يرضوا وطلبوا ثلاثمائة الف دينار عوضا عن تخريب بيت المقدس ليعمروه بها فلم يتم بينهم
امر وقالوا لا بد من الكرك فبينما الامر في هذا وهم يمتنعون فاضطر المسلمون الى قتالهم وكان
الفرنج لا قدر ادهم في نفوسهم لم يستحبوا معهم ما يقوتهم عدة ايام فلما منهم ان العساكر
الاسلامية لا تقوم لهم ولا تقدر على مقابلتهم وان القرى والسواد جيعه بقي بايديهم يأخذون
منه ما ارادوا من الميرة لا امرير يده الله تعالى بهم فغير طائفة من المسلمين الى الارض التي عليها
الفرنج فعبجروا النيل وخرقوا مواضع منه حتى خرج منه ماء كثير وسال كالبحر فركب الماء
أكثر تلك الارض ولم يبق للفرنج جهة يسلكون منها غير جهة واحدة فيها ضيق فنصب
الملك الكامل حينئذ الجسور على النيل عند اشمون وعبر العساكر عليها فلك الطريق الذي
يسلكه الفرنج ان ارادوا العود الى دمياط فلم يبق لهم خلاص وانفق في تلك الحال انه وصل
اليهم مركب كبير للفرنج من اعظم المراكب وحوله عدة حراقات تحميه والجميع ملوه من الميرة
والسلاح وما يحتاجون اليه فوقع عليه شواني المسلمين وقاتلوه فظفروا بالمركب المذكور
وماعده من الحراقات وأخذوها فلما رأى الفرنج ذلك سقط في ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا
الصواب بفارقتهم دمياط في ارض يجهلون فيها هذا وعساكر المسلمين محيطة بهم يرمونهم
بالنشاب ويحملون على اطرافهم فلما اشتد الامر على الفرنج أحرقوا خيامهم ومجانيقهم
وانقأ لهم وارادوا الزحف على المسلمين ومقاتلتهم لعلهم يقدرّون على العود الى دمياط فأروا
ما ملوه بعيدا وحيل بينهم وبين ما يشتهون لكثرة الوحال والمياه حولهم والوجه الذي
يقدرّون على سلوكه قد ملكه المسلمون فلما يتقنوا انهم قد أحيط بهم من سائر جهاتهم وان
ميرتهم قد تعذر عليهم وصولها وان المنايا قد كثرت لهم عن انايها ذلت نفوسهم وتنكست
صلبانهم وضل عنهم شيطانهم فراسلوا الملك الكامل يطلبون الامان ليسلوا دمياط
بغير عوض فبينما المراسلات مترددة اذ أقبل جيش كبير له وهج شديد وجبله
عظيمة من جهة دمياط فظنه المسلمون نجدة انت للفرنج فاستشعروا واذا هو الملك
العظيم صاحب دمشق قد وصل اليهم وكان قد جعل طريقه على دمياط كما تقدم فاشتدت ظهور
المسلمين وازداد الفرنج خذلا نا ووهنا ونعموا الصلح على تسليم دمياط واستقرت القاعدة
والايمان سابع رجب من سنة ثمان عشرة وثمان مائة وانتقل ملوك الفرنج وكنودهم وقاصصهم
الى الملك الكامل والاشرف رهائن على تسليم دمياط وكان اولئك الملوك الذين صاروا
رهائن كثيرين منهم فليب ملك الفرنسي ونائب بابا صاحب رومية وملك عكا وكندريش

وغيرهم وراسلوا قسوسهم ورهبانهم الى دمياط في تسليمها فلم يمتنع من بها وسلموها الى المسلمين
تاسع رجب المذكور وكان يوما مشهودا ومن العجب ان المسلمين لما تسلموها وصلت للفرنج
نجدة في البحر فلوسبقوا المسلمين اليها لامتدعوا من تسليمها ولكن سبهم المسلمون ليقضى الله
امرا كان مفعولا ومما اتفق انه لما انعقد الصلح وحضر ملك الفرنسيس وملوك الفرنج عند
الملك الكامل محمد وكان في مجلس الكامل اخواه الملك المعظم عيسى والملك الاشرف موسى
وكثير من ملوك الاسلام قام راجع الخلى وأنشد قصيدة بليغة تهنئة للملك الكامل محمد
وفيها بيت طريف وهو قوله

* أعباد عيسى ان عيسى وحزبه * وموسى جميعا يخدمون محمدا *

وأشار الى الملك المعظم عيسى والملك الاشرف موسى والملك الكامل محمد ولما اراد ملوك
الفرنج الحضور عند الملك الكامل طلبوا منه رهينة تكون عندهم فارسل لهم ولده الملك الصالح
ايوب وعمره خمس عشرة سنة ثم لما تم الصلح وتسلم المسلمون دمياط ارتحل ملك الفرنسيس
فليب ومن معه من الملوك الى بلادهم وكانت مدة ملك فليب على الفرنسيس ثلاثا واربعين
سنة وهلك سنة ستمائة وعشرين هجرية ولما دخل المسلمون دمياط رأوها حصينة قد
حصنها الفرنج تحصينا عظيما بحيث بقيت لاترام ولا يوصل اليها وأعاد الله سبحانه ونعالي
الحق الى نصابه ورده الى اربابه واعطى المسلمين ظفرا لم يكن في حسابهم فانهم كانت غاية
أمانهم ان يسلموا البلاد التي بالشام ليعيدوا لهم دمياط فرزقهم الله اعادة دمياط وبقيت البلاد
التي بالشام بأيديهم على حالها فآله تعالى هو المحمود المشكور على ما انعم به على الاسلام
والمسلمين من كف عادية هذا العدو وكفاهم ابضاثر التتركا سيأتى

✽ ذكر وفاة الملك العادل التي قد تقدمت الإشارة اليها ✽

قد تقدم ان الفرنج لما دخلت سنة خمس عشرة وستمائة ساروا في البحر الى دمياط ووصلوها
في صفر وكان الملك العادل بالشام في مرج الصفر ثم انتقل الى عاقين ومرض وتوفي سابع
جادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة ونقل الى دمشق ودفن بها وكان ابنه الملك
الكامل اقامه هو ملكا في مصر نيابة عنه وكان وقت وفاة ابيه مشغلا بقتال الفرنج النازلين
على دمياط كما تقدم وكان عمر الملك العادل لما توفي خمسا وسبعين سنة لان ولادته كانت سنة
اربعين وخمسمائة وقيل ثمانية وثلاثين وخمسمائة وكان ملكا عظيما ذا رأى ومعرفة تامة
قد حكته التجارب حسن السيرة جيل الطوية وافر العقل حازما للامور صالحا
محافظة على الصلوات في اوقاتها متبعا لارباب السنة ما تلا الى العلماء حتى صنف له فخر الدين
الرازي كتاب تأسيس التقويس وذكر اسمه في خطبته وسيره اليه من بلاد خراسان وكان
الملك العادل في حياة اخيه صلاح الدين تابعا له تحت طاعته ينقله في الولايات وبعد وفاة
صلاح الدين سنة ٥٨٩ وقع بينه وبين اولاد اخيه صلاح الدين امور يطول الكلام
بذكرها الى ان استقل بمملكة الديار المصرية والشامية وكان استقلاله بمملكة الديار
المصرية سنة ست وتسعين وخمسمائة واستقلاله بمملكة الديار الشامية سنة ثمان وتسعين

وخمسائة وملك بلاداين سنة اثنتى عشرة وستمائة وسير اليها ولد ولد الملك المسعود
الملك الكامل ثم ان الملك العادل لما انتزع الملك من اولاد اخيه صلاح الدين واستقل به قسماً
عما لكان بين اولاده وكان رجلاً مسعوداً وكذا اولاده لم يخلف احدهم الملوك امثالهم في نجابتهم
وبسالتهم ومعرفتهم وعلو همتهم ودانت لهم العباد وملكوا خبار البلاد وكان يتردد بينهم
وينقل اليهم من مملكة الى اخرى وكان بالغالب يصيف بالشام لاجل القواكه والتلج والمياه
الباردة ويشقى في الديار المصرية لاعتدال الوقت فيها وقلة البرد وعاش في ارغد عيش وكان
يأكل كثيراً خارجاً عن المعتاد حتى يقال كما في تاريخ ابن خلكان انه كان يأكل وحده خروفاً
لطيفاً مشوياً وخلف ستة عشر ولداً ذكر اغير البنات رحمه الله تعالى

ذكر خروج الفرنج الى الشام وعمارة صيدا وملكهم بيت المقدس

لما توفي الملك المعظم عيسى صاحب دمشق وبيت المقدس بن الملك العادل طمع الفرنج في الشام
وكانت وفاة الملك المعظم سنة اربع وعشرين وستمائة في ذى القعدة وصار ملك دمشق اولده
الناصر داود ثم انتزعها منه عمه الملك الكامل واعطاه الكرك بدلاً عن دمشق وبعد وفاة
الملك المعظم خرج كثير من الفرنج من بلادهم القاصية الى بلادهم التي ملكوها في الشام
عكا وصور وغيرهما فكثر جمهم وكان منهم امپراطور الالمان واسمه فرديك وقيل بل هو
صاحب جزيرة صقلية ومعنى الامپراطور بلغة الفرنج ملك الامراء فاستولوا على صيدا
وكانت مناصفة بينهم وبين المسلمين فلكوها وعمرها سورها وكان خراباً وازالوا عنها حكم
المسلمين فعمطت شوكتهم وقوى طمعهم واستولى في طريقه على جزيرة قبرس وكانت عند
ملك انكلترا ولما بلغ الملك الكامل انهم يقصدون دمشق وبيت المقدس خرج بعساكره من
مصر وترددت الرسل بينه وبين الامپراطور واستقرت القاعدة بينهما على الصلح وان المسلمين
يسلمون للفرنج بيت المقدس ومعه مواضع يسيرة من اعماله ويكون باقي البلاد للمسلمين مثل
الخليل ونابلس والفور وطبرية وكان سور بيت المقدس قد خربه الملك المعظم كما تقدم
فلما تسلم الفرنج بيت المقدس شرط عليهم عدم عمارة السور واستعظم المسلمون تلك الفرنج
بيت المقدس وأكبروه ووجدوا له من الوهن والتألم ما لا يمكن وصفه وكان تسلمهم اياه سنة
ست وعشرين وستمائة وفي سنة ٦٢٨ ثمان وعشرين وستمائة انتهى تاريخ ابن الانسير
المسمى بالكامل وتوفي مؤلفه سنة ثلاثين ببلاد الموصل وفي سنة ثمانية وعشرين ايضاً
فصد الفرنج الذين بالشام مدينة جبلة وهي من المدن المضافة الى حلب ودخلوا اليها
وكانت حلب بيد شهاب الدين اتابك تابع الملك العزيز بن الظاهر غازي بن صلاح الدين وكان
شهاب الدين الاتابك مملوكاً لاسلطان الظاهر غازي فلما بلغه دخول الفرنج مدينة جبلة
سير اليهم العساكر فقاتلوا الفرنج وقتل كثيراً منهم وأخرجهم واسترد الاسرى والغنيمة
وفي سنة اربع وثلاثين وستمائة أغار الفرنج على ربض ديرساك وهي لصاحب حلب فوقع
بهم عسكر حلب وولى الفرنج منهزمين وكثر فيهم القتل والاسر وعاد عسكر حلب بالاسرى
ووقر في الفرنج وكانت هذه الوقعة من أعظم الوقائع وفي سنة خمس وثلاثين توفي الملك

بل وأخوه الملك الأشرف موسى وكثر الاختلاف بين أولاد الملك الكامل وليس هذا محل ذكره وكان الملك الكامل من أعظم الملوك وله مشاركة في العلوم وذلك مصر أربعين سنة عشرين نيابة عن أبيه وعشرين استقلالاً وتوفي وعمره ستون سنة

✽ ذكر استرجاع بيت المقدس للمسلمين في سنة سبع وثلاثين وستمائة ✽

قصده الناصر داود بن الملك العظيم القدس وحاصرها وفتحها وكان الناصر داود ابن الملك العظيم له ملك الكرك اعطاه اياه عمه الملك الكامل بعد ان انتزع منه دمشق كما تقدم فصار بيت المقدس له ايضا لما فتحه وتقدم ان تسليم بيت المقدس للأفرنج كان سنة ست وعشرين فتكون مدة بقاءه تحت ايديهم الى ان استرجعه الناصر داود احدي عشرة سنة ومن غريب الاتفاق ان الناصر صلاح الدين استخلص بيت المقدس اولاً والناصر دلود استخلصه ثانياً ولذلك قال جلال الدين بن مطروح

- * المسجد الأقصى له آية * سارت فصار مثلاً سائراً *
- * اذ قد غدا للكفر مستوطناً * أن يبعث الله له ناصراً *
- * فناصر طهره اولاً * وناصر طهره آخراً *

وفي سنة اثنين واربعين وقع اختلاف بين صاحب دمشق وهو الملك الصالح اسماعيل ابن الملك العادل وبين ابن اخيه صاحب مصر وهو الملك الصالح ايوب بن الملك الكامل وأدى ذلك الاختلاف الى القتال فلما كان القتال بينهما استعان صاحب دمشق بالفرنج الذين في عكا ووعدهم بحجز من بلاد مصر فخرجت الفرنج بالفارس والراجل واجتمعوا بعسكر دمشق ووصل لقتالهم عسكر مصر مع ركن الدين بيبرس مملوك الملك الصالح ايوب والنقي الفريقان بظاهر غزة فانهزم الفرنج وعسكر دمشق واستولى الملك الصالح ايوب على غزة والسواحل وبيت المقدس انتزعه من الناصر داود ووصلت الاسرى والرؤس الى مصر ودقت بها البشائر عدة ايام ثم استولى الملك الصالح ايوب على دمشق سنة ثلاث واربعين وستمائة وانتزعه من عمه الصالح اسماعيل بن الملك العادل وفي سنة خمس واربعين وستمائة فتح الملك الصالح عسقلان وطبرية بعسكر جهزه مع فخر الدين بن الشيخ وقد كان تسليهما للفرنج سنة احدى واربعين وستمائة فاستمرتا الى الآن ففتحنا

✽ ذكر ملك الفرنج دمياط مرة أخرى غير المرة السابقة ✽

في سنة سبع واربعين وستمائة سار لوزير ملك الفرنسيس في خمسين الفا وقصده دمياط وحاصرها ثم ملكها في شهر صفر وكان ذلك في مدة سلطنة الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل فركب في عصايب المسلمين لقتالهم فحاصروهم واستمر محاصرتهم الى ان توفي في شعبان وكان ولده توران شاه غائباً بمحضر كيفافقام بالامر شجرة الدر زوجة ايه الملك الصالح الى ان حضرا به توران شاه فقام مقام ابيه وتقدم الفرنج عن دمياط الى المنصورة وجرى بينهم وبين المسلمين في مستهل رمضان وقعة عظيمة ثم نزل الفرنج شرمساح ثم قربوا من المسلمين ثم كبسوا المسلمين على المنصورة ثم اشتد القتال بينهم وبين المسلمين براً وبحراً فكان النصر

أخيرا للمسلمين بعد ان كان اول الفرنج وكانت لهم مراكب كثيرة بالبحر وفي حسن المحاضرة للجلال السيوطي ان الشيخ عز الدين بن عبد السلام كان مع عسكر المسلمين فقال بأعلى صوته مشيرا الى الرمح يارمح خذهم فجاءت ربح قوية على مراكب الفرنج فكسرتهم وحصل القمع والنصر للمسلمين وغرق اكثر الفرنج وصرخ صارخ في المسلمين قائلا الحمد لله الذي ارانا في امة محمد صلى الله عليه وسلم رجلا سخر الله له الرمح وحل المسلمون على الفرنج فردوهم على اعقابهم وأخذ المسلمون من مراكبهم اثنين وثلاثين مركبا منها تسع شواني فضعف الفرنج لذلك وأرسلوا يطلبون القدس وبعض السواحل الشامية ويتركون دمياط فلم تقع الاجابة الى ذلك وكانوا قد فنيت ازوادهم وانقطع عنهم المدد من دمياط فان المسلمين قطعوا الطريق الواصل من دمياط اليهم فلم يبق لهم صبر على المقام فرحلوا متوجهين الى دمياط فركب المسلمون اكثافهم وبذلوا فيهم السيف فلم يسلم منهم الا القليل وبلغت عدة القتلى ثلاثين الفا وانحاز ملكهم ومن معه من الملوك الى بلد هناك وطلبوا الامان فأنهم الطواشي محسن الصالحى ثم أحيط عليهم وأحضروا الى المنصورة وقيد ملكهم وأركب على جل وطيف به ثم حبس في دار ابن لقمان ووكل به الطواشي صبيح ثم افقده الصلح معه على تسليم دمياط وان يطلق ويدفع ثمانمائة الف دينار وقيل انه افتدى نفسه بقناطير من الذهب تبلغ سبعة ملايين فرنك فأطلق ورجع الى بلاده فلما وصلها اخذ في الاستعداد ونوى الرجوع لحرب المسلمين فنذم المسلمون على اطلاقه فأنشأ جبال الدين ابن مطروح قصيدة كتبت وأرسلت اليه وانشد لها القاصد بين يديه وهو قائم منها قوله

- * قل للفرنيس اذا جثته * مقال صدق عن قؤول نصيح *
- * اتيت مصر اتبغى ملكها * تحسب ان الزمر يا طبل ربح *
- * وكل اصحابك اوردتهم * بحسن تدبيرك بطن الضريح *
- * خسون الغالا يرى منهم * غير قتيل او اسير جريح *
- * وقل لهم ان أضمر وعوده * لاخذ ثار اولفعل قبيح *
- * دار ابن لقمان على حالها * والقيد باق والطواشي صبيح *

فلما سمع المقالة ذلت نفسه ونأى عن العودة الى مصر ثم اراد ان ياخذ ثاره من تونس لامر جرى بينه وبين ملكها وهو ابو عبد الله محمد بن ابي زكريا الخفصى الملقب بالمستنصر بالله وحاصل ما كان بينه وبين ملك الفرنيس المذكور انه جرى ذكره يوما عند المستنصر فهضم من جانبه وقال هو الذي اسره هؤلاء واطلقوه و اشار الى بعض الاتراك الذين كانوا يخدمون بين يديه وكان قد استخدم منهم جماعة فبلغت مقالة المستنصر ملك الفرنيس فحقد عليه وتجهز بجنوده يريد اخذ تونس وذلك سنة ثمان وستين وستمائة فسار ومعه ثلاثون الفا واساطيله ثلاثمائة بين كبار وصغار وحاصر تونس ستة اشهر فقال بعض ادباء تونس

- * يا فرنيس هذه اخت مصر * فتنبأ لما اليه نصير *
- * لك فيها دار ابن لقمان قبر * وطواشيك منكرون كبير *

فقد الله هلاك ملك الفرنسيس وهو محاصر تونس قبل أصابه سهم فقتله وقيل أصابه مرض الوباء فقتله وذلك سنة تسع وستين وستمائة وهلك كثير من جنده بالوباء وتلك بعده ابنة فقعد صلحا مع اهل تونس وارتحل عنهم وكفى الله شرهم وذكرنا قصة تونس قبل مجيئ الموضع الذي ينبغي ان تذكر فيه أعنى سنة تسع وستين لتتصل هذه القصة بالقصة السابقة لما بينهما من التشاسب

ذكر خروج التتر وتملكهم بغداد وانقراض الدولة العباسية من بغداد

قال ابن خلدون ان التتر من شعوب الترك و ان الترك كلهم من ولد كومر بن يافث بن نوح عليه السلام ومساكنهم بلاد الصين مما وراء نهر سيحون وهم ام كثيرة وسيحون نهر مما وراء النهر قريب خجند بعد سمرقند وهو في حدود بلاد الترك و يطلق ايضا على نهر الهند و اما جيحون فهو نهر خوارزم و جيحان نهر بالشام وفي سنة ست وخسين وستمائة كان استيلاء التتر على بغداد وانقراض الدولة العباسية و ينبغي قبل ذلك ان تذكر ابتداء امر التتر وكيف كان خروجهم على اهل الاسلام ذكر كثير من المؤرخين ان حادثة التتر حادثة عظيمة ومهمة كبرى عمت الخلائق وخصت المسلمين بشدة بلائها فلو قال قائل ان العالم منذ خلق الله آدم عليه السلام الى وقت خروج التتر لم يبتل بمثلها لصدق فان التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها ومن اعظم ما يذكر من الحوادث ما فعله بمختصر بني اسرائيل من القتل وتخريب بيت المقدس وما بيت المقدس بالنسبة الى ما خرب هؤلاء الملاحين من البلاد التي كل مدينة منها اضعاف بيت المقدس وما بنو اسرائيل بالنسبة الى من قتلوا فان اهل مدينة واحدة ممن قتلوا اكثر من بني اسرائيل ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة الى ان يقرض العالم وتقنى الدنيا الايا جوج ومأجوج واما الدجال فانه يبقى على من اتبعه وبهلك من خالفه وهؤلاء لم يقوا على احد بل قتلوا العلماء والصالحين والزهاد والعباد والخواص والعوام والنساء والرجال والاطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الاجنة فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لهذه الحادثة التي استطار شررها وغم ضررها وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح فان قوما خرجوا من اطراف الصين وعبروا نهر سيحون فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر و بلاد سغون ثم منها الى بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند وبخارى وغيرهما فيملكونها و يفعلون بأهلها مما سذكروه ثم ذهب منهم طائفة الى خراسان فيفرغون منها ملكا وقتلا وتخريبا ونهبها ثم يجاوزونها الى الري وهمذان وبلد الجبل وما فيه من البلاد الى حد العراق ثم يقصدون بلاد اذربيجان وارمينية وغيرهما ويخربونها ويقتلون اكثر اهلها ولم ينج الا الشريد النادر في اقل من سنة هذا ما لم يسمع بمثله ثم لما فرغوا من اذربيجان وارمينية ساروا الى دربند شروان فملكوا مدنه ولم يسل غير القاعة التي بها ملكهم وعبروا عندها الى بلاد اللان والترك ومن كان هنالك من الامم المختلفة فالوسعوهوم قتلوا ونهبوا وتخرابوا ثم قصدوا بلاد قفقياق وهم من اكثر الترك عددا فقتلوا كل من وقف امامهم فهرب الباقون الى القياض

ورؤس الجبال وغار فوا بلادهم واستولى هؤلاء التتر عليها فعملوا هذا في اسرع زمان لم يلبثوا
 الا بقدر مسيرهم لا غير ومضى طائفة اخرى غير هذه الطائفة الى غزنة واعمالها وما يجاورها
 من بلاد الهند وسجستان وكرمان فعملوا فيها مثل ما فعل هؤلاء واشد هذا ما لم يطرُق الاسماع
 مثله فان الاسكندر الذي اتفق المؤرخون على انه ملك الدنيا لم يملكها في هذه السرعة
 انما ملكها في نحو عشرين سنة ولم يقتل احدا انما رضى من الناس بالطاعة وهؤلاء قد ملكوا
 اكثر العمور من الارض واحسنه واكثره عمارة واهلا واعدل اهل الارض اخلاقا وسيرة
 في نحو سنة ولم يبت احد من اهل البلاد التي بطرقونها الا وهو خائف يتوقعهم ويتربص
 وصولهم اليه ثم انهم لا يحتاجون الى ميرة ومدد ياتيهم بل كان معهم الاغنام والبقر والخيول
 وغير ذلك من الدواب يأكلون لحومها لا غير واماد وابهم التي يركبونها فانها تحفر الارض
 بحوافرها الخرد تأكل عروق النبات لا تعرف الصغير فهم اذا نزلوا منزلا لا يحتاجون الى شيء
 من خارج واما ديارتهم فانهم يصيدون سمك من طلعوها ولا يخرمون نيشا فانهم يأكلون
 جميع الدواب حتى الكلاب والخنازير والخشرات وبنى آدم ولا يعرفون نكاحا بل المرأة
 ياتيها غير واحد من الرجال فاذا جاء الولد لا يعرف اياه ولقد بلى الاسلام والمسلمون في مدتهم
 بمصائب لم يبل بها احد من الامم فهؤلاء التتر فبحمهم الله اقبلوا من المشرق ففعلوا الافعال التي
 يستعظمها كل من سمع بها وكانوا كلما ملكوا مدينة قتلوا العلماء والصالحين والزهاد والعباد
 والخواص والعوام وخرّبوا الجوامع واحرقوا المصاحف وفعلوا اشياء لم يسمع بمثلا وفي
 مدتهم ايضا كان خروج الفرنج لغنهم الله من المغرب الى الشام ثم قصدوا ديار مصر
 وانتشرت الفتن في ممالك الاسلام فان الله وانا اليه راجعون قال ابن الاثير نسأل الله ان
 ييسر للاسلام والمسلمين نصرا من عنده فان الناصر والمعين والذاب عن الاسلام معدوم
 واذا اراد الله بقوم سوا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال وهؤلاء التتر نوع من الترك
 ومساكنهم كانت جبال طمغاج من بلاد الصين وبينها وبين بلاد الاسلام ما يزيد على ستة
 اشهر ومملكة الصين متسعة دورها ستة اشهر وهي منقسمة ستة اجزاء كل جزء مسيرة
 شهر وعلى كل جزء ملك ويقال له عندهم خان وواحد منهم رئيس على الجميع ولما
 انتهت الرئاسة الى واحد منهم يقال جنكزخان كان ابتداء خروجهم على بلاد الاسلام
 وذلك سنة ست عشرة وستمائة في خلافة الناصر لدين الله العباسي بن المستضي بأمر الله
 ابن المستنجد بالله بن المقتني لأمر الله بن المستظهر بالله بن المقتدي بأمر الله بن القائم
 بأمر الله بن القادر بالله بن اسمعق بن المقتدر بن المعتمد وكانت مدة خلافة الناصر ستا
 واربعين سنة وعشرة اشهر لانه كانت ولايته الخلافة سنة خمس وسبعين وخمسمائة ووفاته
 سنة ثنتين وعشرين وستمائة فكان اكثر فتنه التتر في مدته وكان سبب خروجهم ان ملكا
 من ملوك الاسلام كان مالكا خراسان وما وراء النهر يقال له خوارزم شاه كان بينه وبينهم
 فتنه فاقتتلوا معه واتسع امرهم حتى كان منهم ما كان وكان خوارزم شاه منتسبا الى شخص
 يقال له انوش تكين وهو مملوك لبعض امراء السلجوقية وكان حسن الطريقة فترقى الى ان
 صار مقدما مرجوعا اليه فولد له ابن يقال له محمد خوارزم شاه وانتشأ عارفا دينا واشتهر

عنه العفل وحسن التدبير فقدر الله ان وقعت فتنة في خوارزم سنة اربعمائة وتسعين
وقتل امير خوارزم وكانت تحت حكم السلاطين السلجوقية والخلفاء العباسية فولوا ملك
خوارزم لمحمد خوارزم شاه ابن انوشكين ثم توارث الملك بنوه وانسع ملكهم وعظم
امرهم وصار كل ملك منهم يقال له خوارزم شاه ولم يزل ملكهم يقوى ويتسع حتى تغلبوا
على الممالك وصار ملكهم من حد العراق الى تركستان وملكوا خراسان جميعه وغزنة
وكابل وبعض الهند وسجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبل وبعض فارس
فلم يزلوا يتوالى رثون الملك الى سنة خمسمائة وست وتسعين فكان الملك منهم في التاريخ
المذكور لمحمد خوارزم شاه بن تكش بن ارسلات بن اطن بن محمد خوارزم شاه ابن نوش
تكش فانسع ملكه غاية الاتساع حتى صار يتطلب تملك بغداد قال الجلال السيوطي
في تاريخ الخلفاء في وصف خوارزم شاه المذكور انه اباد الملوك واخذ الممالك وعزم
على قصد الخليفة فلم يتهبأ له مدة وكان خوارزم شاه قسم مملكه بين اولاده وكانوا اربعة
وضرب لكل منهم نوبة مثل نوبته وكان تحته سبعة وعشرون ملكا تضرب نوبة
لكل واحد منهم في اوقات الصلوات وانفرد هو بنوبة ذى القرنين تضرب وقت طلوع
الشمس وغروبها وكانت سبعا وعشرين دبدابة والدبداب هو الطبل الكبير وكانت
هذه السبع والعشرون من الذهب مرصعة بانواع الجواهر فلما انتهى امر ملكه الى هذا
الحدا احتقر امر التتر سكان الصين وصار يغازيهم ويغير على بلادهم وهم ايضا يغازونه
ويغيرون على بلاده ثم انمقد صلح بينهم وبينه ومهادنة وصار تجارهم يأتون الى بلاده
تم ان عامل خوارزم شاه على آخر مملكته مما يليهم كانت له قوة ومعه عشرون الف فارس
وكان خال خوارزم شاه فشرهت نفسه الى اموال التجار واتفق انه دخل في محل ملكه
كثير من التجار والاراك معهم اموال للتجارة من التتروا اموال الملك التتر فكتب ذلك
العامل الى خوارزم شاه يقول له ان هؤلاء القوم قد جاؤا بزى التجارة وما قصدهم
الا التجسس وان اذنت لي فيهم قبضت عليهم فاذن له فقبض عليهم واخذ اموالهم ثم وقعت
مكاتبات بين ملك التترو وخوارزم شاه في اطلاقهم وكتب ملك التترو لخوارزم شاه يهدده
ان لم يطلقهم فغضب وامر بقتلهم فقتلهم ذلك العامل وسير اليه ما كان معهم من الاموال
وكان شيئا كثيرا ففرقه خوارزم شاه على تجار سمرقند وبخارى واخذ منهم قيمة تملكهم فلما بلغ
الخبر جنكز خان ارسل جماعة الى خوارزم شاه يهدده ويقول انت قتلت جماعة
فاستعد للحرب فاني واصل اليكم بجمع لا قبل لكم به فقتل خوارزم شاه كبير هؤلاء
الجماعة وامر بحلق لحي الجماعة الذين كانوا معه واعادهم الى جنكز خان فقالوا له
ان خوارزم شاه يقول لك اناسا ربك ولوانك في آخر الدنيا حتى انتقم منك وافعل
بك كما فعلت باصحابك وتجهز خوارزم شاه وسار بعد الرسول مبادرا ليسبق خبره ويكبسه
وأدمن السير فمضى وقطع مسيرة اربعة اشهر فوصل الى بيوتهم فلم ير منها الا النساء والصبيان
والاطفال فوقع بهم وغنم الجميع وسبي النساء والذرية وكان سبب غيبة الكفار انهم
ساروا لمقاتلة ملك من ملوك الترك فقاتلوه وهزموه وغنوا اموالهم وعادوا فلقبهم في الطريق

الخبر بما فعل خوارزم شاه بمخلفيهم فجدوا السيروا در كوه قبل ان يخرج من ارضهم وتضافوا
للحرب واقتتلوا قتالا لم يسمع بمثله ثلاثة ايام بلباليها وجرى الدم في الارض حتى صارت
الخليل تراق من كثرتة واحصى من قتل من المسلمين فكانوا عشرين الفا واما الكفار فلا يحصى
من قتل منهم ثم رجع الكفار الى بلادهم ورجع المسلمون الى بخارى واستعدوا لمحبي جنكز خان اليهم

ذكر تلك جنكز خان بخارى

ثم جاءهم جنكز خان بعد خمسة اشهر يجيوشه وحاصر مدينة بخارى وفيها خوارزم شاه
واقتتلوا ثلاثة ايام متتابعة ولم يكن لعسكر خوارزم شاه قوة لمقاومة جنكز خان ففارق
خوارزم شاه بمساكره بخارى وسار الى خراسان فارسل اهل بخارى الشيخ بدر الدين
قاضي خان الى التتر ليطلب الامان للناس فاعطوهم الامان وكان قديمي من عسكر خوارزم
شاه طائفة لم يمكنهم الهرب مع اصحابهم فاعتصموا بالقلعة فلما اجابهم جنكز خان الى الامان
فتحت ابواب المدينة وكان ذلك رابع ذي الحجة سنة ست عشرة وسمائة فدخل الكفار بخارى
ولم يترضوا الى احد بل قالوا اهم كل ما هو لاسلطان عندكم من ذخيرة وغيره اخرجوه
وساعدونا على قتال من بالقلعة واطهروا عندهم العدل وحسن السيرة ودخل جنكز خان
بنفسه واحاط بالقلعة ونادى في البلد ان لا يتخلف احد ومن تخلف قتل فحضروا جميعهم
فامرهم بطم الخندق فطموه بالاخشاب والتراب حتى ان الكفار كانوا يأخذون المنابر وبعث
القرآن ويلقونها في الخندق فان الله واما اليه راجعون ثم تابعوا الزحف الى القلعة وبها نحو
اربعمائة من المسلمين فبدلوا جهدهم ومنعوا القلعة اثني عشر يوما يقاتلون جميع الكفار
واهل البلد ولم يزالوا كذلك حتى زحفوا اليهم ووصل القبايون الى سور القلعة فقبوه واشتد
حينئذ القتال ومن بها من المسلمين يرمون بكل ما يجدون من ججارة ونار وسهام فغضب الاعين
جنكز خان ورد اصحابه ذلك اليوم وبأكرهم من الغد فجدوا في القتال وقد تعب من في القلعة
وجاءهم مالا قبل لهم به فقهروهم الكفار ودخلوا القلعة وقتلهم المسلمون الذين فيها حتى قتلوا
عن آخرهم فلما فرغ من القلعة امر ان يكتب له رؤساء البلد ففعلوا ذلك فلما عرضت اسماءهم
عليه امر باحضارهم فحضروا فقال اريد منكم الاموال التي باعكم خوارزم شاه التي كانت
مع التجار الذين قتلهم خوارزم شاه في اول ابتداء الامر كانت قد قدمت ذكرهم وقال لهم انه الى
ومن اصحابي اخذت وهي عندهم فاحضر كل من كان عنده شيء منها بين يديه ثم امرهم
بالخروج من البلد فخرجوا من البلد مجردين من اموالهم ليس مع احد منهم غير ثيابه التي عليه
ودخل الكفار البلد فقبوه وقتلوا من وجدوا فيه واحاط بالمسلمين الذين اخرجهم من البلد
فامر اصحابه ان يقتسموهم فاقسموهم وكان يوما عظيما من كثرة البكاء من الرجال والنساء
والودان وتفرقوا ايدي سبا وتمزقوا كل ممزق واقتسموا النساء ايضا واصبحت بخارى خاوية
على عروشها كان لم تقن بالامس وارتكبوا من النساء الامر العظيم والناس ينظرون ويبكون
ولا يستطيعون ان يدفعوا عن انفسهم شيئا مما نزل بهم فنعهم من لم يرض بذلك واختار الموت
على ذلك فقاتل حتى قتل ومن فعل ذلك واختار ان يقتل ولا يرى ما نزل بالمسلمين الفقيه الامام

ركن الدين امام زاده وولده فانهما لما رآيا ما يفعل بالحرم فالا حتى قتلا وكذلك فعل القاضي صدر الدين خان ومن استسلم اخذ اسيرا وألقوا النار في البلد والمدارس والمساجد وعذبوا الناس بانواع العذاب لطلب المال

✽ ذكر مسير جنكزخان الى سمرقند ✽

لما انقضى امر بخارى ارتحل جنكزخان وجنوده نحو سمرقند وقد تحققوا عجز خوارزم شاه عن مقابلتهم وكان هو بمكان بين ترمذ وبلخ واستصحبوا معهم من سلم من اهل بخارى اسارى فساووا بهم شاهة على اقبح صورة فكل من اعيبى وعجز عن المشى قتل فلما قاربوا سمرقند قدموا الخيالة وتركوا الرجالة والاثقال ومع كل عشرة من الاسارى علم فظن اهل البلدان الجميع حساكر مقاتلة واحاطوا بسمرقند وفيه خسون الف مقاتل من الخوارزمية وامامة اهل البلد فلا يحصون كثرة فخرج اليهم شجعان اهل واهل القوة والجدد رجاله ولم يخرج معهم من العسكر الخوارزمي احد لما في قلوبهم من خوف هؤلاء الملاعين فقاتلهم الرجالة بظاهر البلد فلم يزل التتر يتأخرون واهل البلد يتبعونهم ويطمعون فيهم وكان الكفار قد كنوا لهم كينا فلما جاوزوا الكمين خرجوا عليهم وحالوا بينهم وبين البلد ورجع الباقون الذين انشؤا القتال اولا فبقوا في الوسط واخذهم السيف من كل جانب فلم يسلم منهم احدو قتلوا عن آخرهم شهداء رضى الله عنهم وكانوا سبعين الفا فلما رأى الباقون من الجند والعامه ذلك ضعفت نفوسهم وايقنوا بالهلاك فقال الجند وكانوا اتركا نحن من جنس هؤلاء ولا يقتلوننا فطلبوا الامان فاجابوهم الى ذلك ففتحوا ابواب البلد ولم تقدر العامة على منعهم وخرجوا الى الكفار باهوان واماوهم فقال لهم الكفار ادفعوا الينا سلاحكم واماوكم ودوا بكم ونحن نسيركم الى ما نمنكم ففعلوا ذلك فلما اخذوا اسلحتهم ودوا بهم وضعوا السيف فيهم وقتلوه عن آخرهم واخذوا اموالهم ودوا بهم ونساءهم فلما كان اليوم الرابع نادوا في البلد أن يخرج اهلهم جميعهم ومن تأجر قتلوه فخرج جميع الرجال والنساء والصبيان ففعلوا مع اهل سمرقند مثل فعلهم مع اهل بخارى من النهب والقتل والسبي والفساد ودخلوا البلد فنهبوا ما فيه واحرقوا الجامع وتركوا باقى البلد على حاله وانقضوا الابكار وعذبوا الناس بانواع العذاب في طلب المال وقتلوا من لم يصلح لاسبي وكان ذلك في المحرم سنة سبع عشرة وثمانية وكان خوارزم شاه بمنزلته كلما اجتمع اليه عسكر سيره الى سمرقند فيرجمون ولا يقدمون على الوصول اليها نعوذ بالله من الخذلان سير مرة عشرة آلاف فارس فعادوا وسير مرة عشرين الفا فعادوا ايضا

✽ ذكر سير التتر الى خوارزم شاه وانهزاه وموته ✽

لما ملك الكفار سمرقند عمد جنكزخان لعنه الله وسير عشرين الف فارس وقال لهم اطلبوا خوارزم شاه اين كان ولو تعلق بالسماء حتى تدركوه وتأخذوه وهذه الطائفة تسمى بها التتر المغربة بتشديد الراء المكسورة لانها سارة نحو غرب خراسان ليقع الفرق بينهم وبين غيرهم منهم لانهم هم الذين اوغلوا في البلاد فلما امرهم جنكزخان بالسير ساروا وقصدوا موضعا يسمى بنجاب ومعناه خمس مياه منها نهر جيحون فوصلوا اليه فلم يجدوا هناك سفينة فعملوا

من الخشب مثل الاحواض الكبار وألبسوها جلود البقر لئلا يدخلها الماء وضجوا بها
سلاحهم وامتعتهم وألقوا الخيل في الماء وامسكوا اذنايها وتلك الحياض التي من الخشب
مشدودة اليهم فكان الفرس يجذب الرجل والرجل يجذب الخوض المملوء من السلاح وغيره
فعبروا كلهم دفعة واحدة فلم يشعر خوارزم شاه الا وقد صاروا معه على ارض واحدة
وكان المسلمون قد ملئوا رعبا وخوفا منهم وقد اختلفوا فيما بينهم فانهم كانوا قبل ذلك ثابتين
متماسكين بسبب أن نهر جيحون بينهم فلما عبروه اليهم لم يقدرُوا على انثبات ولا على المسير
مجتَمعين بل تفرقوا ايدى سببا وطلب كل طائفة منهم جهة ورحل خوارزم شاه لا يلوى على
على شئ في نفر من خاصته وقصدوا نيسابور فلما دخلها اجتمع اليه بعض العسكر فلم يستقر
حتى وصل اولئك التتر اليها وكانوا لم يتعرضوا في مسيرهم لشيء لانهب ولا قتل بل يجدون
السير في طلبه لا يهملونه حتى يجمع لهم جوعا فلما سمع بقربهم منه رحل الى مازندران وهي
له ايضا فرحل التتر المغربون في اثره ولم يرجعوا على نيسابور بل تبعوه فكان كلما رحل من
من منزلة نزاهوا فوصل الى مرسى من بحر طبرستان تعرف باب سككون وله هناك قلعة في البحر
فلما نزل هو واصحابه في السفن وصلت التتر فلما رآوا خوارزم شاه وقد دخل البحر وقفوا على
ساحل البحر فلما أيسوا من لحاق خوارزم شاه رجعوا فهم الذين قصدوا الرى وما بعد
كما سذكروه وقيل ان خوارزم شاه سار من مازندران حتى وصل الى الرى ثم منها الى همدان
والتتر في اثره فقارِق همدان في نفر يسير جريدة ليستريحه ويكتم خبره وعاد الى مازندران
وركب في البحر الى هذه القلعة ثم لما وصل الى القلعة المذكورة قدر الله تعالى انتقضاء اجله
فتوفي بها وكان رحمه الله عالما فاضلا بالفتنة والاصول وغيرهما مكرما للعلماء محبا لهم محسنا
اليهم يكثر مجالستهم ويحب مناظرتهم بين يديه وكان صبورا على التعب وادمان السير
غير متعب ولا يقبل على الاذات انما همه في الملك وتدبيره وحفظه وحفظ رعاياه وكان معظما
لاهل الدين مقبلا عليهم تبركا بهم ومناقبه رحمه الله كثيرة وكان قد اتسعت ممالكه
من جهة العراق الى تركستان وملك بلاد غزنة وبعض الهند

ذكر استيلاء التتر الغربية على مازندران

لما أيس التتر الغربية من ادراك خوارزم شاه عادوا فقصدوا بلاد مازندران فملكوها
في اسرع وقت مع حصانتها وصعوبة الدخول اليها وامتناع قلاعها فانها لم تزل متمعة
في قديم الزمان وحديثة حتى ان المسلمين لما ملكوا بلاد الاكاسرة جيهمها من العراق الى اقاصى
خراسان بقيت اعمال مازندران يؤخذ منهم الخراج ولا يقدرُون على دخول البلاد الى ان
ملك ايام سليمان بن عبد الملك سنة تسعين وهؤلاء الملاعين ملكوها صفوا عفا الامر يريده
الله تعالى ولما ملكوا بلاد مازندران قتلوا وسبوا ونهبوا وأحرقوا البلاد ولما فرغوا من مازند
ران سلكوا نحو الرى فرأوا في الطريق والدة خوارزم شاه ونسائه واما لهم وذخائرهم
التي لم يسمع بتلها من الاعلاق النفيسة وكان سبب ذلك ان والدة خوارزم شاه لما سمعت
باجرى على وادها خافت ففارت نحو خوارزم وقصدت نحو الرى لتصل الى اصفهان

وهذان وبلاد الجبل تمتنع فيها فصادفوها في الطريق فأخذوها ومأمعها قبل وصوالها
الرى فكان فيما ماملا عيونهم وقلوبهم ومما يشاهد الناس مثله من كل غريب
من المتاع والتفيس من الجوهر وغير ذلك وسيروا الجميع الى جنكز خان بامر قنند
ذكر وصول التتر الى الرى وهذان

في سنة سبع عشرة وستمائة وصل التتر لعنهم الله الى الرى في طلب خوارزم شاه محمد لانهم
بلغهم انه مضى نحو الرى منهزم ما منهم فجدوا السير في اثره وقد انضاف اليهم كثير من عساكر
المسلمين والكفار وكذلك ايضا من المفسدين الذين يريدون النهب والشرف فوصلوا الى
الرى على حين غفلة من اهلها فلم يشعروا الا وقد وصلوا اليها وملكوها ونهبوها وسبوا
الحريم واسترقوا الاطفال وفعلوا الافعال التي لم يسمع بمثلا ولم يقيموا بل مضوا مسرعين
في طلب خوارزم شاه فنهبوا في طريقهم كل مدينة وقرية مروا عليها وفعلوا في الجميع
اضعاف ما فعلوا في الرى واحرقوا وخربوا ووضعوا السيف في الرجال والنساء والاطفال
فلم يبقوا على شيء وتموا على حالهم الى همدان فلما قاربوا همدان خرج رئيسها ومعه الحمل
من الاموال والثياب والدواب وغير ذلك جعله هدية لهم ليطلب الامان لاهل البلد
فأمسواهم ثم فارقوها وساروا الى زنجان ففعلوا اضعاف ما فعلوا من قبل ثم وصلوا
الى قزوین فاعتصم اهلها منهم بمد يدهم فقاتلواهم وجدوا في قتالهم ودخلوها
عنوة بالسيف فاقتلواهم واهل البلد في باطنه حتى صاروا يقتلون بالسكاكين فقتل
من الفريقين ما لا يحصى ثم فارقوا قزوین فعد القتل من اهل قزوین فزادوا على اربعين
الف قتل رحيم الله تعالى

ذكر وصول التتر الى اذربيجان

لما هجم الشتاء على التتر في همدان وبلاد الجبل رأوا بردا شديدا وثلجا متراكما فساروا الى
اذر بيجان ففعلوا في طريقهم بالقرى والمدن الصغار من القتل والنهب مثل ما تقدم منهم
وخربوا واحرقوا ووصلوا الى تبريز وبها صاحب اذر بيجان اوزبك بن البهلوان فلم يخرج
اليهم ولا حدث نفسه بقتالهم لاشتغاله بما هو بصدد من ادمان الشرب ليللا ونهارا لا يفيق
وانما ارسل اليهم وصالحهم على مال وثياب ودواب وحل الجميع اليهم فساروا من عنده
يريدون ساحل البحر لانه يكون قليل البرد ليشتموا عليه والمرامى به كثيرة لاجل دوابهم
فوصلوا الى موقان وتطرقوا في طريقهم الى بلاد الكرج فغضب اليهم من الكرج جمع كثير
من العسكر نحو عشرة آلاف مقاتل فقاتلواهم فانهزمت الكرج وقتل اكثرهم وارسل الكرج
الى اوزبك صاحب اذر بيجان يطلبون منه الصلح وازالة ما كان بينهم وبينه وان يتوقف
مهم على دفع التتر فاصطلموا على أنهم يجتمعون اذا انحسر الشتاء وكذلك ارسلوا الى الملك الاشرف
ابن الملك العادل صاحب خلاط ود يار الجزيرة يطلبون منه الموافقة عليهم وظنوا جيبهم
ان التتر يصبرون في الشتاء الى الربيع فلم يفعلوا كذلك بل تحركوا وساروا نحو بلاد الكرج
وانضاف اليهم مملوك تركي من مماليك اوزبك صاحب اذر بيجان اسمه اقوش وجمع اهل
تلك الجبال والصحرى من التركان والاكراد وغيرهم فاجتمع معه خلق كثير وارسل التتر في

الانضمام اليهم فأجابوه الى ذلك وما لوا اليه للجنسية فاجتمعوا وساروا في مقدمة التتر الى الكرج فلكوا حصنا من حصونهم وخرّبوه ونهبوا البلاد وخرّبوها وقتلوا اهلها ونهبوا اموالهم حتى وصلوا الى قريب تفليس فاجتمعت الكرج وخرجت بجدها وحديدتها اليهم فلقبهم اقوش اولافين اجتمع اليه فاقتتلوا قتالا شديدا صبروا فيه كاهم فقتل من اصحاب اقوش خلق كثير وادركهم التتر وقد تعب الكرج من القتال وقتل منهم ايضا كثير فلم يثبتوا للتتر وانهمزوا اقبح هزيمة وركبهم السيف من كل جانب فقتل منهم ما لا يحصى كثرة وكانت الواقعة في ذي القعدة من هذه السنة اعني سنة سبع عشرة وستمائة ونهبوا من البلاد ما كان سلم منهم ولقد جرى لهؤلاء التتر ما لم يسمع بمثله في قديم الزمان وحديثه طائفة تخرج من حدود الصين لا تنقضي عليهم سنة حتى يصل بعضهم الى بلاد ارمينية من هذه الناحية ويجاوزون العراق من ناحية همذان قال ابن الاثير في الكامل وكان هو موجودا في ذلك العصر مطلعا على تلك الاحوال قال وتالله لا اشك ان من يجئ بعدنا اذا بعد العهد ويرى هذه الحادثة مسطورة ينكرها ويستبعدا والحق بيده فتي استبعد ذلك فلينظر اننا سطرنا نحن وكل من جمع التاريخ في زماننا هذه في وقت كل من فيه يعلم هذه الحادثة استوى في معرفتها العالم والجاهل لشهرتها يسر الله للمسلمين والاسلام من يحفظهم ويحوطهم فلقد دفعوا من العدو الى امر عظيم ومن الملوك المسلمين الى من لا تعدى همته بطنه وفرجه ولم ينل المسلمين اذى وشدة منذ جاء النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا الوقت مثل ما دفعوا اليه الا ان هذا العدو والكافر التتر قد وطؤا بلاد ما وراء النهر وخرّبوها وناهيك به سعة بلاد وتعدت طائفة منهم النهر الى خراسان فلكوها وفعلوا مثل ذلك ثم الى اري وبلاد الجبل واذر بيجان وقد اتصلوا بالكرج فغلبوهم على بلادهم والعدو الآخر الفرنج قد ظهروا من بلادهم في اقصى بلاد الروم بين الغرب والشمال ووصلوا الى مصر فلكوها مثل دمياط واقاموا فيها ولم يقدر المسلمون على ازواجهم عنها ولا اخراجهم منها وباقي ديار مصر على خطر فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ومن اعظم الامور على المسلمين ان سلطانهم خوارزم شاه محمد قد عدم ولم يعرفوا حقيقة خبره فتارة يقال مات عند همذان واخفى موته وتارة يقال انه دخل اطراف بلاد فارس ومات هناك واخفى موته وهذا امر عظيم حيث اصبح مثل خراسان وعراق العجم وغيرهما سائبا لامانع له ولا سلطان يدفع عنه والعدو يحوس البلاد يأخذ ما اراد ويترك ما اراد على انهم لم يبقوا على مدينة الاخر بوها كلما مروا عليه نهبوه وما لا يصلح لهم احرقوه فكانوا يحجمون الابريسم تلالا ويلقونه في النار وكذلك غيره من الامعة

ذكر تلك التتر مراغة

في صفر سنة ثمان عشرة وستمائة تلك التتر مدينة مراغة من اذر بيجان وسبب ذلك اننا ذكرنا سنة سبع عشرة وستمائة ما فعله التتر بالكرج وانقضت تلك السنة وهم في بلاد الكرج فلما دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة ساروا من ناحية الكرج لانهم رأوا ان بين ايديهم

شوكة قوية ومضايق تحتاج الى قتال وصداع فعدلوا عنهم وهذه كانت عادتهم اذا قصدوا مدينة ورأوا عندها امتناعا عدلوا عنها فوصلوا الى تبريز وصاندهم صاحبها بال ونياب ودواب فصاروا عنه الى مدينة مراغة فحصروها وليس بها صاحب يمنعها لان صاحبها كانت امرأة وهى مقيمة بقلعة رويذ وقال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان يفلح قوم ولوا امرهم امرأة فلما حصروها قاتلهم اهلها فنصبوا عليها المجانيق وزحفوا اليها فكانت عادتهم اذا قاتلوا مدينة قدموا من معهم من اسارى المسلمين بين ايديهم يزحفون ويقاتلون فان عادوا قتلوهم فكانوا يقاتلون من امامهم كرها فكانوا كما قيل كالاشقر ان تقدم ينحر وان تأخر يعقر وكان التتر يقاتلون وراء المسلمين فيكون القتل اولاً في المسلمين الاسارى وهم بنجوة منه فأقاموا على المدينة عدة ايام ثم ملكوها عنوة وقهر رابع صفر ووضعوا السيف في اهلها فقتل منها ما يخرج عن الحد والاحصاء ونهبوا كل ما صلح لهم وما لا يصلح لهم احرقوه واختفى بعض الناس عنهم وكانوا يأخذون الاسارى ويقولون لهم نادوا في الدروب ان التتر قد حلوا فاذا نادى اولئك خرج من اخفى فيؤخذ ويقتل قال ابن الاثير وبلغنى ان امرأة من التتر دخلت دارا وقتلت جماعة من اهلها وهم يظنونها رجلا فوضعت السلاح واذا هى امرأة فقتلها رجل اخذته اسيرا قال وسمعت من بعض اهل مراغة ان رجلا من التتر دخل دربا فيه مائة رجل فزال يقتلهم واحدا واحدا حتى أفناهم ولم يداحد منهم يده اليه بسوء ووضعت الذلة على الناس فلا يدفعون عن نفوسهم قليلا ولا كثيرا فمؤذ بالله من الخذلان ثم رحلوا من مراغة قاصدين نحو مدينة اربل قال ووصل الخبر اليها بذلك فى الموصل فتحفنا حتى ان بعض الناس هم بالجلاء خوفا من السيف وجاءت كتب مظفر الدين صاحب اربل الى بدر الدين صاحب الموصل يطلب منه نجدة من العساكر فسير جمعا صالحا من عسكره واراد ان يمضى الى طرف بلاده من جهة التتر ويحفظ المضايق لئلا يجوزها احد فانها جميعها جبال وعرة ومضايق لا يقدر أن يجوزها الا الفارس بعد الفارس ويمنعهم من الجواز اليه ووصلت كتب الخليفة الناصر ورسله الى الموصل والى مظفر الدين يأمر الجميع بالاجتماع مع عساكره بمدينة دقوقا ليمنعوا التتر فانهم ربما عدلوا عن جبال اربل لصعوبتها الى هذه الناحية ويطرقون العراق فصار مظفر الدين من اربل فى صفر وسار اليهم جمع من عسكر الموصل وتبعهم من المتطوعة كثير وارسل الخليفة ايضا للملك الاشرف يأمره بالحضور بنفسه فى عساكره ليجتمع الجميع على قصد التتر وقتالهم فانفق ان الملك المعظم ابن الملك العادل وصل من دمشق الى اخيه الاشرف يستنجده على الفرنج الذين بمصر وطلب منه ان يحضر بنفسه ليسيروا كلهم الى مصر يستنقذوا دمياط من الفرنج فاعتذر الملك الاشرف الى الخليفة بأخيه وقوة الفرنج وان لم يتداركها خرجت هى وغيرها وشرع يتجهز للسير الى الشام ليدخل مصر فعلم ذلك واستنقذوا دمياط كما ذكرناه فيما سبق فلما اجتمع مظفر الدين والعساكر بدقوقا سير الخليفة اليهم مملوكه قشمر وهو اكبر امير بالعراق ومعه غيره من الامراء فى نحو ثمانمائة فارس فاجتمعوا هناك ليمنعوا بهم باقى عسكر الخليفة وكان المقدم على الجميع مظفر الدين فلما رأى قلة العسكر لم يقدم على قصد التتر وحكى مظفر

الدين قال لما ارسل الى الخليفة في معنى قصد التفرقت له ان العدو قوى وليس لي من العسكر ما لقيه به فان اجتمع معي عشرة آلاف فارس استغذت ما اخذت من البلاد فأمرني بالمسير ووعدني بوصول العسكر فلما سرت لم يحضر عندي غير عدد لم يبلغوا ثمانمائة طواش فافتت وما رأيت المخاطرة بنفسي وبالمسلمين ولما سمع التتر باجتماع العساكر لهم رجعوا القهقري ظنناهم ان العسكر يتبعهم فلما لم يروا احدا يطلبهم أقاموا وأقام العسكر الاسلامي عندد قوا فلما لم يروا ان العدو يقصدهم ولا المدد يأتيهم تفرقوا وعادوا الى بلادهم

ذكر تلك التتر همدان وقتل اهلها

وهمدان بفتح الميم وبالذال المجمة بعدها الفونون اسم مدينة بناها همدان بن القلوج ابن سام بن نوح واما همدان بسكون الميم وبالذال المهملة بعدها الف ونون فاسم قبيلة باليمن لما تفرق العسكر الاسلامي عاد انتثر الى همدان فزلوا بالقرب منها وكان لهم بها شحنة اى حاكم يحكم فيها فارسلوا اليه يأمرونه ليطلب من اهلها مالوا وثيابا وكانوا قد استغنوا اموالهم في طول المدة وكان رئيس همدان شريفا علويا وهو من بيت رياسة قديمة لهذه المدينة وهو الذى يسعى في امور اهل البلد من التترو يوصل اليهم ما يحجبهم من الاموال فلما طلبوا الا ان منهم المال لم يجد اهل همدان ما يحملونه اليهم فحضروا عند الرئيس ومعه انسان فقيه قد قام في اجتماع الكلمة على الكفار قياما مرضيا فقالوا لهما هؤلاء الكفار قد أنفوا اموالنا ولم يبق لنا ما نعطيهم وقد هلكنا من اخذهم اموالنا وما يفعله النائب عنهم بنا من الهوان وكانوا قد جعلوا بهمدان شحنة لهم يحكم في اهلها بما يختاره فقال الشريف اذا كنا نعجز عنهم فكيف الحيلة فليس لنا الامسا نعتهم بالاموال فقالوا له انت أشد علينا من الكفار وأغلظوا له في القول فقال انا واحد منكم فاصنعوا ما شئتم فأشار الفقيه باخراج شحنة التتر من البلد والامتناع فيه ومقاتلة التتر فوثب العامة على الشحنة فقتلوه وامتنعوا في البلد فتقدم التتر اليهم وحاصروهم وكانت الاقوات متعذرة في تلك البلاد جميعها لخرابها وقتل اهلها وجلاء من سلم منهم فلا يقدر احد على الطعام الا قليلا واما التتر فلا يزالون لعدم الاقوات لانهم لا يأكلون الا اللحم من اى حيوان كان ولو من الحشرات والوحوش وبنى آدم ولا تأكل دوابهم الا نبات الارض حتى انها تحفر بحوا فرها الارض عن عروق النبات فتأكلها فلما حاصروا همدان قاتلهم اهلها والرئيس والفقيه في اوائلهم فقتل من التتر خلق كثير وجرح الفقيه عدة جراحات وافترقوا ثم خرجوا من البلد فاقتتلوا أشد من القتال الاول وقيل ايضا من التتر اكثر من اليوم الاول وجرح الفقيه ايضا عدة جراحات وهو صابر وارادوا ايضا الخروج في اليوم الثالث فلم يطق الفقيه الركوب وطلب الناس الرئيس العلوى فلم يجدوه وكان قد هرب في سرب صنعه الى ظاهر البلد هو واهله الى قلعة هناك على جبل عال فامتنع فيها فلما فقده الناس بقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون الا انهم اجتمعت كلمتهم على القتال الى ان يموتوا فأقاموا في البلد ولم يخرجوا منه وكان التتر قد عزموا على الرحيل لكثرة من قتل منهم فلما لم يروا أحدا خرج

اليهم من البلد طمعوا واستدلوا بذلك على ضمه اهلهم فقصدهم وقتلوههم وذلك في رجب من سنة ثمان عشرة وستمائة ودخلوا المدينة بالسيف وقالهمم الناس في الدروب فبطل السلاح لازجة واقتلوا بالسكاكين فقتل من الفريقين ما لا يحصىه الا الله تعالى وقوى التتر على المسلمين فافنوههم قتلوا ولم يسلم الا من كان عمل نفقا يخفى فيه وبقي القتل في المسلمين عدة ايام ثم ألقوا النار في البلد فأحرقوه ورحلوا عنها الى مدينة اردويل وكان السبب في ملكها اعنى همدان ان اهل البلد لما شكوا الى الرئيس الشريف ما يفعل بهم الكفار عليهم بمكاتبة الخليفة ليسفد اليهم عسكر امير يجمع كلمتهم فاتفقوا على ذلك فكتب الى الخليفة ينهى اليه ما هم عليه من الخوف والذل وما يركبهم به العدو ومن الصغار والخزى ويطلب نجدة ولو الف فارس مع امير يقاتلون معه ويجمعون عليه فلما سار القصاد بالكتب ارسل بعض من علم بالحال الى التتر يعلمهم ذلك فأرسلوا الى الطريق فأخذوهم واخذوا الكتب منهم وارسلوا الى الرئيس ينكرون عليه الحال فبحمد فارسوا اليه كتبه وكتب الجماعة فسقط في ايديهم وتقدم اليهم التتر حينئذ وقتلوههم وجرى في القتال كما ذكرنا الى ان ملكوهم

✽ ذكر مسير التتر الى اذربيجان وملكهم اردويل وغيرها ✽

لما فرغ التتر من همدان ساروا الى اذربيجان فوصلوا الى اردويل فملكوها وقتلوا فيها وأكثروا القتل وخرّبوا أكثرها وساروا منها الى تبريز وكان قد قام بأمرها شمس الدين الطغرائي وجع كلمة اهلها وقد فارقتها صاحبها اوزبك بن البهلوان وكان اميرا متخلفا لا يزال منهمكا في الخمر ليل ونهارا يبقى الشهر والشهرين لا يظهر واذا سمع هبة طار بجفلاها وله جميع اذربيجان واران وهو اعجز خلق الله عن البلاد من عدو يريد ها ويقصدها فلما سمع بمسير التتر من همدان فارق هو تبريز وقصد نقيجوان وسير اهلها ونساءه الى خوى ليعبد عنهم فقام هذا الطغرائي بأمر البلد وجع الكلمة وقوى نفوس الناس على الامتناع وحذرهم عاقبة التخاذل والتواني وحصن البلد بجهده وطاقته فلما قارب التتر وسمعوا بما اهل البلد عليه من اجتماع الكلمة على قتالهم وانهم قد حصنوا المدينة وأصلحوا السور والخندق ارسلوا يطلبون منهم مالا وثيابا فاستقر الامر بينهم على قدر معلوم من ذلك فسيروه اليهم فأخذوه ورحلوا الى مدينة سراو فنهبوها وقتلوا كل من فيها ورحلوا منها الى بيلقان من بلاد اران فنهبوا كل ما مروا به من البلاد والقرى وخرّبوا وقتلوا من ظفروا به من اهلها فلما وصلوا الى بيلقان حصروها فاستدعى اهلها منهم رسولا يقررون معه الصلح فأرسلوا اليهم رسولا من اكابرهم ومقدميهم فقتله اهل البلد فزحف التتر اليهم وقتلوههم ثم ملكوا البلد عنوة في شهر رمضان سنة ثمان عشرة ووضعوا السيف فلم يبقوا على صغير ولا كبير ولا امرأة حتى انهم يشقون بطون الحبالى ويقتلون الاجنة وكانوا يفجرون بالراة ثم يقتلونها وكان الانسان منهم يدخل الدرب فيه الجماعة فيقتلهم واحدا بعد واحد حتى يفرغ من الجميع لا يمد احد منهم اليه يدا فلما فرغوا منها استقصوا ما حواها من النهب والتخريب وساروا الى مدينة كنجة وهي ام بلاد اران فعملوا

بكثرة اهلها وشجاعتهم لكثرة دريتم بقتال الكرج وحصانها فلم يقدموا عليها فأرسلوا الى اهلها يطلبون منهم المال والثياب فحملوا اليهم ما طلبوا فصاروا عنهم
 ذكر وصول التتر الى بلاد الكرج

لما فرغ التتر من بلاد المسلمين بأذربيجان واران بعضه بالتلك وبعضه بالصلح وساروا الى بلاد الكرج من هذه الاعمال ايضا وكان الكرج قد أعدوا الهم واستعدوا وسيروا جيشا كبيرا الى طرف بلادهم لينعوا التتر فالتقوا فلم يثبت الكرج بل ولوا منهزمين فأخذهم السيف فلم يسلم منهم الا الشريد قال ابن الاثير ولقد بلغني انهم قتل منهم نحو ثلاثين الفا ونهبوا ما وصلوا اليه من بلادهم وخربوها وفعلوا بها ما عوادتهم فلما وصل المهزمون الى تفليس وبها ملكهم جمع جوعا اخرى وسيرهم الى التتر ايضا لينعواهم من توسط بلادهم فرأوا التتر وقد دخلوا البلاد لم ينعمهم جبل ولا مضيق ولا غير ذلك فلما رأوا فعلهم عادوا الى تفليس فأخلوا البلاد ففعل التتر فيها ما ارادوا من النهب والقتل والتخريب ورأوا بلادا كثيرة المضائق والدر بنات فلم يتجاسروا على الوغول فيها فعادوا منها وداخل الكرج منهم خوف عظيم قال ابن الاثير حتى سمعت عن بعض اكابر الكرج وكان قدم رسولا انه قال من حدثكم ان التتر انهزموا أو أسروا فلا تصدقوه واذا حدثتم انهم قتلوا فصصدقوا فان القوم لا يفرون ابدا ولقد اخذنا اسيرا منهم فالتقى نفسه من الدابة وضرب رأسه بالحجر الى ان مات ولم يسلم نفسه للاسر

ذكر وصولهم الى دربند شروان وما فعلوه

لما عاد التتر من بلاد الكرج قصدوا دربند شروان فحاصروا مدينة شمشاخى وقتلوا اهلها فصبروا على الحصر ثم ان التتر صعدوا سورها بالسلالم وقيل بل جمعوا كثيرا من الجمال والبقر والغنم وغير ذلك ومن قتل الناس منهم ومن قتل من غيرهم وألقوا بعضه فوق بعض فصار مثل التل وصعدوا عليه فأشرفوا على المدينة وقتلوا اهلها فصبروا تلك الليلة فانتنت تلك الجيف وانهمضت فلم يبق للتتر على السور استعلاء ولا تسلط على الحرب فعادوا الزحف وملازمة القتال فصبجوا اهلها ومسهم التعب والكلال والاعياء فضعضوا فغلب التتر البلد وقتلوا فيه كثيرا ونهبوا الاموال واستباحوها فلما فرغوا منه ارادوا عبور الدربند فلم يقدرروا على ذلك فأرسلوا رسولا الى شروان شاه ملك دربند شروان يقولون له ليرسل اليهم رسولا ليسعى بينهم في الصلح فأرسل عشرة رجال من اعيان اصحابه فاخذوا احدهم فقتلوه ثم قالوا للباقيين ان انتم نمر فتمونا طريقا فمبر فيه فلكم الامن وان لم تفعلوا قتلناكم كما قتلنا هذا ففعلوا لهم ان هذا الدربند ليس فيه طريق البتة ولكن فيه موضع هو اسهل مافيه من الطرق فصاروا معهم الى ذلك الطريق فمبروا فيه وخلفوا الدربند وراء ظهورهم

ذكر ما فعلوه باللان وقفجاق

لما عبر التتر دربند شروان ساروا في تلك الاعمال وفيها امم كثيرة منهم اللان والكز وطوائف من الترك فمبروا وقتلوا من الكز كثيرا وهم مسلمون وكفار واوقعوا من عداهم من اهل تلك البلاد ووصلوا الى اللان وهم امم كثيرة وقد بلغهم خبرهم فجدوا وجمعوا عندهم جمعا

من قفجاق فقاتلوهم فلم تظفر احدى الطائفتين بالآخرى فأرسل التتر الى قفجاق يقولون نحن وانتم جنس واحد وهؤلاء اللان ليسوا منكم حتى تنصروهم ولا دينكم مثل دينهم نحن نعاهدكم اننا لا تعرض اليكم ونحمل اليكم من الاموال والثياب ماشئتم وتتركون بيننا وبينهم فاستقر الامر بينهم على مال جلوه وثياب وغير ذلك فحملوا اليهم ما استقر وفارقهم قفجاق فأوقع التتر باللان فقتلوا منهم واكثر واذهبوا وسبوا وساروا الى قفجاق وهم آمنون متفرقون لما استقر بينهم من الصلح فلم يسمعوا بهم الا وقد طرقتهم ودخلوا بلادهم فأوقعوا بهم الاول فالاول واخذوا منهم اضعاف ما حملوا اليهم وسمع من كان بعيد الدار من قفجاق الخبر ففروا من غير قتال وابتدوا فذهب منهم من اعتصم بالغياض ومنهم من اعتصم بالجبال ومنهم من لحق ببلاد الروس واقام التتر في بلاد قفجاق وهي ارض كثيرة المراعى في الشتاء والصيف وفيها اماكن باردة في الصيف كثيرة المرعى واماكن حارة في الشتاء كثيرة المرعى وهي غياض على ساحل البحر ووصلوا الى مدينة سوداق وهي مدينة قفجاق التي منها مادتهم فانها على بحر حزرية والمراكب تصل اليها وفيها الثياب فتشترى منهم وتبيع عليهم الجوارى والممالك والبرطاس والقندر والسنباب وغير ذلك مما هو في بلادهم وبحر خزرية هذا متصل بخليج القسطنطينية ولما وصل التتر الى سوداق ملكوها وقتلوا اهلها وتفرق اهلها الذين سموا من القتل فذهب منهم من صعد الجبال باهله وماله ومنهم من ركب البحر وسار الى بلاد الروم التي بيد المسلمين من اولاد قلج ارسلان السلجوقي

ذكر ما فعله التتر بقفجاق والروس

لما استولى التتر على ارض قفجاق وتفرق اهل قفجاق كما ذكرنا سار طائفة كثيرة منهم الى بلاد الروس وهي بلاد كثيرة طويلة عريضة تجاورهم واهلها يدينون بالنصرانية فلما وصلوا اليهم اجتمعوا كلهم واتفقت كلمتهم على قتال التتر ان قصدوهم واقام التتر بمدينة قفجاق مدة ثم انهم ساروا سنة عشرين وستمائة الى بلاد الروس فسمع الروس بقفجاق وخبرهم وكانوا مستعدين لقتالهم فساروا الى طريق التتر ليلقوهم قبل ان يصلوا الى بلادهم لينعموهم عنها فبلغ مسيرهم التتر فعادوا على اعقابهم راجعين فطمع الروس وقفجاق فيهم وظنوا انهم مابدوا خوفا منهم وعجزا عن قتالهم فجدوا في اتباعهم ولم يزل التتر راجعين واواثك يقفون اثرهم اثني عشر يوما ثم ان التتر عطفوا على الروس وقفجاق فلم يشعروا بهم الا وقد لقوهم على غرة منهم لانهم كانوا قد امنوا التتر واستشعروا القدرة عليهم فلم يجتمعوا للقتال الا وقد بلغ التتر منهم مبلغا عظيما فصر الطائمتان صبرا المي مع بعضه ودام القتال بينهم عدة ايام ثم ان التتر ظفروا واستظهروا فانهم قفجاق والروس هزيمة عظيمة بعد ان اتحن فيهم التتر وكثر القتل في المنهزمين فلم يسلم منهم الى القليل ونهب جميع ما معهم ومن سلم وصل الى البلاد على اقبح صورة لبعد الطريق والهزيمة وتبعهم كثير يقتلون وينهبون ويحرقون البلاد حتى خلا اكثرها فاجتمع كثير من اعيان تجار الروس واغنياهم وحملوا ما يبيع عليهم وساروا يقطعون البحر الى بلاد الاسلام في عدة مراكب فلما قاربوا المرسى الذي يريدونه انكسر

مركب من مراكبهم ففرق الآن الناس نجوا وكانت العادة جارية ان السلطان له المركب الذي ينكسر فأخذ من ذلك شيئا كثيرا وسلم باقي المراكب واخبر من بها هذه الحال

✽ ذكر عود التتر من بلاد قفجاق والروس الى ملكهم ✽

لما فعل التتر بالروس ما ذكرناه ونهبوا بلادهم عادوا عنها وقصدوا بلغار أو آخر سنة عشرين وستمائة فلما سمع اهل بلغار بقرية منهم كنوا اليهم في عدة مواضع وخرجوا اليهم فلقوهم واستجروهم الى ان جاوزوا موضع الكمناء فخرجوا عليهم من وراء ظهورهم واخذهم السيف من كل ناحية فقتل اكثرهم ولم ينج منهم الى القليل فساروا الى سقسين عائدین الى ملكهم جنكز خان وخلت ارض قفجاق منهم فعاد من سلم من قفجاق الى بلادهم وكان الطريق منقطعا منذ دخلها التتر فلم يصل منهم شيء من اليرطاس والسنجاب والقندر وغيرها مما يحمل الى تلك البلاد فلما فارقه التتر وعاد القفجاق اليها اتصل الطريق وجرى الامعة كما كانت هذه اخبار التتر المغربية ذكرناها سياقة واحدة لئلا تنقطع

✽ ذكر ما فعله التتر بما وراء النهر بعد بخارى وسمرقند ✽

قد ذكرنا ما فعله التتر المغربية التي سيرها ملكهم جنكز خان لعنه الله الى خوارزم شاه واما جنكز خان فانه بعد ان سير هذه الطائفة الى خوارزم شاه وبعد ان هزم خوارزم شاه من خراسان قسم اصحابه عدة اقسام سير قسما منها الى بلاد فرغانة ليلكوها وسير قسما آخر الى ترمذ وسير قسما آخر منها الى كلانة وهي قلعة حصينة على جانب جيحون من احصن القلاع وامنع الحصون فسارت كل طائفة الى الجهة التي امرت بقصدها ونازلتها واستولت عليها وفعلت من القتل والاسر والسبي والنهب والتخريب وانواع العذاب مثل ما فعل اصحابهم فلما فرغوا من ذلك عادوا الى ملكهم جنكز خان وهو بسمرقند فجهز جيشا آخر فمروا جيحون الى خراسان

✽ ذكر تلك التتر خراسان ✽

لما سار الجيش المنفذ الى خراسان عبروا جيحون وقصدوا مدينة بلخ فطلب اهلها الامان فامنواهم فسلم البلد وكان ذلك سنة سبع عشرة وستمائة ولم يتعرضوا اليه بنهب ولا قتل بل جعلوا فيه شحنة وساروا وقصدوا الزوزان وميمند واند خوى وقاريات فملكوا الجميع وجعلوا فيه ولاية ولم يتعرضوا الى اهلها بسوء ولا اذى سوى انهم كانوا يأخذون الرجال ليقاتلوا بهم من يمتنع عليهم حتى وصلوا الى الطالقان وهي ولاية تشتمل على عدة بلاد وفيها قلعة حصينة يقال لها منصور كوه لا ترام علوا وارتقا عا وبها رجال يقاتلون شجوة ان فحصرها مدة ستة اشهر يقاتلون اهلها ليلا ونهارا ولا يظفرون منها بشيء فارسلوا الى جنكز خان يعرفونه بعجزهم عن تلك هذه القلعة لكثرة ما فيها من المقاتلة ولا مئنا عنها بحصانها فسار بنفسه وبعين عنده من جوعه اليهم وحصرها ومعه خلق كثير من المسلمين اسرى فامرهم بمباشرة القتال والاقبلتهم فقاتلوا معه واقام عليها اربعة اشهر اخرى فقتل من التتر عليها خلق كثير فلما رأى ملكهم ذلك امر ان يجمع له من الخطب والاخشاب ما يمكن جمعه ففعلوا ذلك وصاروا يعملون صفا من خشب وفوقه صفا من تراب فلم يزالوا كذلك حتى صار نارا عاليا يوازي القلعة فاجتمع من بها وفتحوا بابها وخرجوا منها وحملوا حلة

رجل واحد فسلم الخيالة منهم ونجوا وسلمكوا تلك الجبال والشعاب ونجوا واما الرجال فقتلوا ودخل التتر القلعة وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الاموال والامتنعة ثم ان جنكزخان جمع اهل البلاد الذين اعطاهم الامان ببلخ وغيرها وسيرهم مع بعض اولاده الى مدينة مرو فدخلوا اليها وقد اجتمع بها من الاعراب والأتراك وغيرهم ممن نجا من المسلمين ما يزيد على مائتي الف رجل وهم معسكرون بظاهر مرو وهم عازمون على لقاء التتر ويحدثون نفوسهم بالغلبة لهم والاستيلاء عليهم فلما وصل التتر اليهم التقوا واقتتلوا وصبر المسلمون واما التتر فلا يعرفون الهزيمة حتى ان بعضهم اسر فقتل وهو عند المسلمين ان قبل ان التتر يقتلوا فصدقوا وان قيل انهم يهزمون فلا تصدقوا فلما رأى المسلمون صبر التتر واقدامهم ولوا منهزمين فقتل التتر منهم واسر والكثير ولم يسلم الا القليل ونهبت اموالهم وسلاحهم ودوابهم وارسل التتر الى ماحولهم من البلاد يحجمون الرجال لخصار مرو فلما اجتمع لهم ما ارادوا تقدموا الى مرو وحصروها وجدوا في حصرها ولازموا القتال وكان اهل البلد قد ضعفوا بانتهزام ذلك العسكر وكثرة القتل والاسر فيهم فلما كان اليوم الخامس من زوالهم أرسل التتر الى الامير الذي بها متقدما على من فيها يقولون له لا تهلك نفسك واهل البلد واخرج اليها فنحن نجعلك امير هذه البلد وزحل عنك فأرسل يطلب الامان لنفسه ولاهل البلد فأتهم فخرج اليهم فخلع اليهم عليه ابن جنكزخان واحترمه وقال له اريد ان تعرض على اصحابك حتى ننظر من يصلح لخدمتنا استخدمناه واعطيناه اقطاعا ويكون معنا فلما حضروا عنده وعكس منهم قبض عليهم وعلى اميرهم وكتفؤهم فلما فرغ منهم قال اكتبوا الى تجار البلد ورؤساءه وارباب الاموال في جريدة واكتبوا الى ارباب الصناعات والحرف في نسخة اخرى واعرضوا ذلك علينا ففعلوا ما امرهم فلما وقف على النسخ امر ان يخرج اهل البلد منه بأهلهم فخرجوا كلهم ولم يبق فيه احد يجلس على كرسي من ذهب وامر ان يحضر اولئك الاجناد الذين قبض عليهم فأحضروا وضربت اعناقهم صبرا والناس ينظرون اليهم ويبكون واما الامامة فانهم قسموا الرجال والنساء والاطفال والاموال فكان يوما مشهودا من كثرة الصراخ والبكاء والعويل واخذوا ارباب الاموال فضر بهم وعذبوهم بأنواع العقوبات في طلب الاموال فرمى مات احدهم من شدة الضرب ولم يكن بقله ما يفترى به نفسه ثم انهم احرقوا البلد واحرقوا تربة السلطان سنجر السلجوقي ونشوا القبور طلبا للمال فبقوا كذلك ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع امر بقتل اهل البلد كافة وقال هؤلاء عصوا علينا فقتلواهم اجمعين وامر باحصاء القتلى فكانوا نحو سبعمائة الف قتيل فيهم العلماء والصالحون والزهاد والعباد كما كان مثل ذلك من التتر المغرقة فيما اخذوه من البلاد كما تقدم فانا لله وانا اليه راجعون مما جرى على المسلمين وسبحان من يدر ملكه كيف يشاء ولا يسئل عما يفعل ثم ساروا الى نيسابور فحاصروها خمسة ايام وبها جمع صالح من العسكر الاسلامي فلم يكن لهم بالتتر قوة فملكوا المدينة واخرجوا اهلها الى الصحراء فقتلواهم وسبوا حريمهم وعاقبوا من اتهموه بما لم يفعلوا بمرور اقاموا خمسة عشر يوما يخربون ويفتشون المنازل عن الاموال وكانوا لما قتلوا اهل مرو قيل لهم ان قتلناهم سلم منهم كثير لكونهم لم

يتموا قتلهم حتى زهق ارواحهم وان كثيرا منهم نجوا الى بلاد الاسلام كسليم بن
 نيسابور ان قطع رؤسهم ثلاثا يسلم من القتل احد ففعلوا ذلك فلما فرغوا من ذلك
 طائفة منهم الى طوس ففعلوا بها كذلك ايضا وخر بوها وخر بوا المشهد الذي فيه على
 الرضابن موسى الكاظم والذي فيه هارون الرشيد وجعلوا الجميع خرابا ثم ساروا الى هراة
 وهي من احصن البلاد فحاصروها عشرة ايام ثم ملكوها واننوا اهلها وقتلوا منهم البعض
 وجعلوا عند من سلم منهم شحنة وساروا الى غزنة فلقبهم جلال الدين بن خوارزم شاه لانه
 كان مملكا ذلك القطر فقاتلهم وهزمهم كما سذكركه فلما سمع بذلك اهل هراة وثبوا على الشحنة
 فقتلوه فلما عاد المنهزمون الى هراة وجدوا عسكرا جاءهم مددا من جنكزخان فانضموا
 اليهم ودخلوا هراة قهرا وعنوة وقتلوا كل من فيها ونهبوا الاموال وسبوا الحرير ونهبوا
 السواد وخربو المدينة جميعها واحرقوها وعادوا الى ملكهم جنكزخان وهو بالطالقان
 يرسل السرايا الى بلاد خراسان ففعلوا بخراسان مثل ما فعلوا في غيرها ولم يسلم من
 شرهم وفسادهم شئ من البلاد وكان جميع ما فعلوا بخراسان سنة سبع عشرة وستائة
 ذكر غلكتهم خوارزم ونخريها

واما الطائفة من الجيش التي سيرها جنكزخان الى خوارزم فانها كانت اكثر السرايا جميعها
 لعظم البلد فساروا حتى وصلوا الى خوارزم وفيها عسكر كبير من المسلمين واهل البلد
 معروفون بالشجاعة والكثرة فقاتلوهم اشد قتال سمع به الناس ودام الحصر ايام خمسة
 اشهر فقتل من الفريقين خلق كثير الا ان القتلى من التتر كانوا اكثر لان المسلمين كان يحجمهم
 السور فأرسل التتر الى ملكهم جنكزخان يطلبون المدد فأمدهم بخلق كثير فلما وصلوا الى
 البلد زحفوا زحفا متابعا فملكوا طرفا منه فاجتمع اهل البلد وقاتلوه في طرف الموضع
 الذي ملكوه فلم يقدروا على افراجهم ولم يزالوا يقاتلونهم والتتر يملكون منهم محلة بعد
 محلة وكلما ملكوا محلة قاتلهم المسلمون في المحلة التي تليهم فكان الرجال والنساء والصبيان
 يقاتلون فلم يزالوا كذلك حتى ملكوا البلد جميعه وقتلوا كل من فيه ثم انهم فتحوا السد الذي
 كان يمنع ماء جيحون عن البلد فدخل الماء فغرق البلد جميعه وتهدمت الابنية وبقي موضعه
 ماء كالبحر ولم يسلم من اهله احد البتة فان غيره من البلاد قد كان يسلم بعض اهله منهم
 من يختفي ومنهم من يهرب ومنهم من يخرج ثم يسلم ومنهم من يلقي نفسه بين القتلى فيظنون انه مقتول
 فينجو واما اهل خوارزم فن اختفى منهم من التتر غرقه الماء او قتله الهدم فأصبحت خرابا يابا
 * كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ولم يسم بركة سامر *

فانا لله وانا اليه راجعون قال ابن الاثير وهذا لم يسمع بمثله في قديم الزمان وحديثه نموذج
 بالله من الخور بعد الكور ومن اخذ لان بعد النصر فلقد عمت هذه المصيبة الاسلام واهله
 فكم من قتل من اهل خراسان وغيرها لان القاصدين من التجار وغيرهم كانوا كثيرين
 ومضى الجميع تحت السيف ولما فرغوا من خراسان وخوارزم عادوا الى ملكهم بالطالقان
 ذكر تجهيز جنكزخان الجيوش الى غزنة لقتال جلال الدين بن خوارزم شاه

لسافر التتر خراسان وعادوا الى ملكهم جهز جيشا كشيفا وسيره الى غزنة

وبها جلال الدين بن خوار زمشاه مالكا لها وقد اجتمع اليه من عسكريه نحو ستين
 الفسا وذلك غير ما كانوا عنده من عسكريه ملكته فلما وصل التتر الى اعمال غزنة خرج
 اليهم المسلمون مع جلال الدين بن خوار زمشاه فالتقوا في موضع يقال له بلق فاقتملوا
 هناك قتالا شديدا وبقوا كذلك ثلاثة ايام ثم انزل الله نصره على المسلمين فانهمز
 وقتلهم المسلمون كيف شاؤوا ومن سلم منهم عاد الى ملكهم بالطالقان فلما سمع اهل هراة
 بذلك تاروا بالوالي الذي عندهم للتتر فقتلوه وسير اليهم جنكز خان عسكريا فاجتمعوا مع
 المنهزمين من غزنة ودخلوا هراة وملكوا البلد وقتلوا اهلها وخربوه وقد ذكرنا ذلك
 فيما تقدم ثم ان جلال الدين بن خوار زمشاه بعد ان هزم جيش جنكز خان ارسل رسولا الى
 جنكز خان يقول له اي موضع تريد يكون فيه الحرب حتى تأتي اليه فجهز جنكز خان عسكريا كثيرا
 اكثر من الاول مع بعض اولاده وسيره اليه فوصل الى كابل فتوجه العسكري الاسلامي
 اليهم وتضافوا هناك وجرى بينهم قتال عظيم فانهمز التتر ثانيا وقتل منهم كثير وغنم
 المسلمون ما معهم وكان عظيما وكان معهم من اسارى المسلمين خلق كثير فاستقذوهم وخلصوهم
 ثم ان المسلمين جرى بينهم قتلة مع بعضهم لاجل الغنيمة وسبب ذلك ان اميرا منهم يقال
 له سيف الدين بغراق اصله من الازراك كان شجاعا مقداما ذارأى في الحرب ومكيدة واصطلى
 الحرب مع التتر بنفسه وقال لعسكر جلال الدين تأخروا انتم فقدملتم منهم رعبا وهو الذي
 كسر التتر على الحقيقة وكان من المسلمين ايضا امير كبير يقال له ملك خان بينه وبين خوار
 زمشاه سب وهو اخ لبغراق فقال
 الكفار ويقتل اخي لاجل هذا المحبة فغضب وفارق
 العسكري وسار
 جلال الدين رجل واحد
 بين يديه فلم يقتل
 الخبران جنكز خان قد وصل في جوعه وجيوشه فلما رأى جلال الدين ضعف المسلمين
 لاجل من فارقهم من العسكري عزم على مفارقة غزنة ولم يقدر على المقام فسار نحو بلاد
 الهند فوصل الى ماء السند وهو نهر كبير فلم يجد من السفن ما يعبر فيه وكان جنكز خان يقص
 اثره مسرعا فلم يتمكن جلال الدين من العبور حتى ادركه جنكز خان يحيوشه فاضطر المسلمون
 حينئذ الى القتال والصبر لتعذر العبور عليهم وكانوا في ذلك كالا شقران تأخر بخروان
 تقدم يعقر فتضافوا واقتتلوا اشد قتال اعترفوا كلهم ان ماضي من الحروب كان لهبا بالنسبة
 الى هذا القتال وبقوا كذلك ثلاثة ايام فقتل الامير ملك خان المقدم ذكره وخلق كثير وكان
 القتل في الكفار اكثر والجراح اعظم فرجع الكفار عنهم فأبعدوا ونزلوا فلما رأى
 المسلمون انهم لا مدد لهم وقد ازدادوا ضعفا من قتل منهم وجرح ولم يعملوا بما اصاب الكفار
 من ذلك فأرسلوا يطلبون السفن فوصلت وعبر المسلمون الى الهند معهم جلال الدين وقيل
 انهم عبروا بغير سفن وان جلال الدين اقتحم النهر العظيم هو وعساكره وما نجا منهم
 الا اربعة آلاف خفاة عراة ورمى الموج جلال الدين مع ثلاثة من خواصه الى موضع

بعيد وفقد أصحابه ثلاثة أيام ثم وجدوه واعتدوا بتمده عيادهم جرى بين جلال الدين وبين أهل تلك البلاد فأتبع انتصر فيها جلال الدين وملك إلى لاهور من الهند واد جنكز خان وعساكره فانهم عادوا إلى غزنة وقد قويت نفوسهم بعبور المسلمين إلى الهند وبمدهم عنهم فلما وصلوا غزنة ملكوها وخلوها من العساكر والحامى فقتلوا أهلها والاموال وسبوا الحريم ولم يبقوا احدا من العلماء والصالحين وغيرهم وخربوها واحرقوها وفعلوا بسوادها وما حولها من المدائن والقرى كذلك فأصبحت تلك الاعمال جميعها خالية من الناس خاوية على عروشها كان لم تغن بالامس ثم رجع جنكز خان بجيوشه إلى بلاده واما الممالك التي ملكها وخربها فترك الكثير منها ولم يجعل له عمالا فيها فرجع اليها أهلها وتملكها ملوكها الذين كانوا فيها (غربية عجبية) لما وصل جلال الدين إلى حافة نهر السند ولم يجد من السفن ما يعبر فيه وجنكز خان خلفه يقص أثره ضاقت الأرض بما رحبت على جلال الدين ومن معه ورأى والدته وام واده وجاعة من حرمة يبكين ويصحن بقلن له بالله عليك اقتلنا او خلصنا من الاسر فامر بهن فغرقن في النهر وهذه من عجائب البلايا ونوادر المصائب والرزايا

ذكر عود التتر إلى الري وهمذان وغيرهما

في سنة احدى وعشرين وصل طائفة من التتر من عند ملكهم جنكز خان وهؤلاء غير الطائفة الغربية التي ذكرنا اخبارها قبل وصول هؤلاء الري وكان من سلم من أهل الري قد عادوا اليها وعمرها فلم يشعروا بالتتر الا وقد وصلوا اليهم فلم يتعنوا عنهم فوضعوا في أهلها من التتر المائتين وقتلواهم كيف شاؤوا ونهبوا البلد وخربوه وساروا إلى ساوة ففعلوا بها ما يشاء كذلك ثم إلى قم وقاشان وكانا قد سلتا من التتر الاولين فانهم لم يقر بوهما صاب أهلها اذى فأتاهما هؤلاء وملكواهما وقتلوا أهلها وخربوها وألحقوها بروهما من البلاد الخراب ثم ساروا في البلاد يخربون ويقتلون وينهبون ثم قصدوا همذان وكان قد اجتمع بها كثير من سلم من أهلها فأبادوهم قتلا واسرا ونهبوا وخربو البلد وكانوا لما وصلوا إلى الري راؤا بها عسكرا كثيرا من الخوار زمية فكبسوهم وقتلوا منهم وانهزم الباقون إلى اذر بيجان فقتلوا باطرا فها فلم يشعروا الا والتتر ايضا قد كبسوهم ووضعوا السيف فيهم فولوا منهزمين فوصل طائفة منهم إلى تبريز وارسلوا إلى صاحبها اوزبك ابن البهلوان يقولون له ان كنت موافقا وعلى طاعتنا فسلم اليك من الخوار زمية والا فمرفنا لك غير موافق لنا ولا في طاعتنا فعمد ابن البهلوان إلى من عنده من الخوار زمية فقبض عليهم ثم قتل بعضهم وجعل بعضا منهم اسرى وارسل رؤس من قتلهم إلى التتر وارسل معهم الاسرى وأخذ مع الجميع من الاموال والاثياب والدواب شيئا كثيرا فعادوا عن بلاده وساروا نحو خراسان وفعل التتر هذا كله في هذه العودة وليسوا في كثرة نحو ثلاثة آلاف وكان الخوار زمية الذين انهزموا منهم نحو ست آلاف فارس والرجال العرب في قتلهم من التتر وان كانوا قليلا وكان عسكر ابن البهلوان اكثر من

عندما فلم يحدث نفسه ولا الخوارزمية بالامتناع منهم قال ابن الاثير فندسأل الله ان يسير
الاسلام والمسلمين من يقوم بنصرتهم فقد دفعوا الى امر عظيم من قتل النفوس ونهب
الاسواق واسترقاق الاولاد وسبي الحرير وقتلهم وتخريب البلاد

ذكر وصول جلال الدين بن خوارز مشاه الى خوزستان والعراق

في اول سنة اثنين وعشرين وصل جلال الدين بن خوارز مشاه الى بلاد خوزستان والعراق
واسكن في ممالك الهند واستولى على كرمان واصفهان وباقي عراق العجم وفارس وقارب
جوزستان فخاف اهل بغداد منه ثم سار الى تبريز واذر بيجان وكثرت عساكره واستفحل
امرهم وصار ينتزع الممالك من يد الملوك الذين كانت الممالك بايديهم والكلام على ذلك طويل
سار يفعل في كثير من البلاد التي يملكها من القتل والاسر والنهب مثل ما يفعل التترو في
سنة السنة توفي الخليفة الناصر لدين الله وكانت مدة خلافته قريبا من سبع واربعين سنة
قيل ان اصل قيام التترو كان بكاتبهم يأمرهم بقتال خوارز مشاه ليشغلوه عن تطليبه ملك
العراق والله اعلم بحقيقة الحال وولى الخلافة بعد الناصر ولده الظاهر بامر الله ومكث تسعة
اشهر في وولى ابنه المستنصر بالله ابو جعفر المنصور ثم المستعصم ختام خلفائهم كما سيأتي
ذكر امر جلال الدين بن خوارز مشاه واستفحل ملكه بلغه سنة اربع وعشرين وستمائة
ان طائفة من التترو عظمية قد بلغوا الى دماغان بالقرب من اري عازمين على بلاد الاسلام فسار
اليهم وحاربهم واشتد القتال بينه وبينهم فانهزموا منه فأوسعهم قتلا وتبع المنهزمين مدة ايام
يقتل ويأسر فينما هو كذلك قد اقام بنواحي اري خوفا من جمع آخر للتترو اذ اتاه الخبر بان كثيرا
منهم واصلون اليه فأقام ينتظرهم فوصلوا اليه في سنة خمس وعشرين وجرى بينه وبينهم
حروب كثيرة كان في اكثرها الظفر لهم عليه وفي الاخير كان الظفر له عليهم فهزمهم وهؤلاء
التترو الذين جاؤ في هذه المرة كانوا قد سخط جنكزخان على مقدمهم وأبعده وأخرجهم من بلاده
فقصده خراسان هو وجيوشه فأرأها خرابا فقصده اري ليتغلب على تلك النواحي والبلاد
فلقبه بها جلال الدين واقتتلوا اشد القتال الى ان كانت آخر هزيمة على التترو كما ذكرنا وجاءت
بكتابة من طولي بن جنكزخان لجلال الدين يقول له ان هؤلاء ليسوا من اصحابنا انما نحن
بهم فلما امن جانب ابن جنكزخان امن وعاد الى اذربيجان وانما كانت الكتابة مع ابن
جنكزخان لان جنكزخان كان قدهلك سنة اربع وعشرين وستمائة وكانت مدة ملكه نحو
ثلاث وعشرين سنة ولما أيس من الحياة جمع اولاده وقسم بينهم الممالك وجعل التترو
لرئيس عليهم وهو ولده الصغير طولي خان ثم هلك عن قرب وتولى مكانه ولده هلاكو
الذي كان على يده اخذ بغداد

ذكر خروج التترو الى اذربيجان وما كان منهم

في اول سنة ثمان وعشرين وصل التترو من بلاد ما وراء النهر الى اذربيجان وكان جلال الدين
من ذلك ملكه لانه كان سبي السيرة فبيع التدبير لم يترك احدا من الملوك المجاورين له الا عاذه
انهم عبر لك ووقع بينه وبينهم حروب وهزموه في آخر الامر في كثير منها فضغفت شوكتهم
الا اري على التترو بعض الملوك الذين كان يحاربهم يحثونهم على المجي لاستيصال جلال الدين

ويعرفونهم ضعفه عن لقائهم فهذا كان ايضا من اسباب محبتهم فلما اقبل التتر في هذه المرة ولم يقدم جلال الدين على لقائهم وقتالهم فدخلوا بلاده واستواو اعلى الرى وهمذان وما بينهما من البلاد ثم قصدوا اذر بيجان فجزبوا ونهبوا وقتلوا من ظفروا به وجلال الدين لا يقدر على منعهم من البلاد قدملى رعبا وخوفا وانضاف الى ذلك ان عسكره اختلفوا عليه وخرج وزيره عن طاعته في طائفة كثيرة من العسكر وكان السبب في ذلك ان امراغريا فعله جلال الدين اظهر من قلة عقله ما لم يسمع بمثله وذلك انه كان له خادم خصى وكان جلال الدين بهواه واسمه قلمج فاتفق ان ذلك الخادم مات فآظهر من الهلع والجزع عليه ما لم يسمع بمثله ولا الجنون ليلى وامرا الجند والامراء ان يمشوا في جنازته رجاله وكان موته بموضع بينه وبين تبريز عدة فراسخ فغشى الناس رجاله ومشى جلال الدين بعض الطريق راجلا فالزمه امراؤه ووزيره بالركوب فلما وصل الى تبريز ارسل الى اهل البلد فامرهم بالخروج عن البلد لتلقى تابوت الخادم ففعلوا فأتكر عليهم حيث لم يظهر من الحزن والبكاء اكثر مما فعلوا واراد معاقبتهم فشفع فيهم امراؤه فتركهم ثم لم يدفن ذلك الخصى وانما كان يستحببه معه اين سار وهو يلطم ويبكى وامتنع من الاكل والشرب وكان اذا قدم له طعام يقول احملوا من هذا الى قلمج ولا يتجاسر احد ان يقول انه مات فانه قيل له مرة انه مات فقتل القائل له ذلك انما كانوا يحملون اليه الطعام ويعودون يقولون انه يقبل الارض ويقول اننى الآن اصلى مما كنت فلمحق امراء من الغيظ والانتفة من هذه الحالة ما جعلهم على مفارقة طاعته والانحياز مع وزيره فبقى حيران لا يدري ما يصنع لاسيما لما خرج التتر هذه المرة فحينئذ دفن الغلام الخصى وأرسل الى الوزير واستماله الى ان حضر عنده فلما وصل اليه بقى اياما ثم قتله جلال الدين وهذه نوادر غريبة لم يسمع بمثله تدل على الخذلان

ذكر وصول جلال الدين الى آمد وانهمزاه عندها وما كان منه

في سنة ثمان وعشرين ايضا حصر التتر مراغة من اذر بيجان ثم ملكوها بالامان وقتلوا في البلد الا انهم لم يكثروا القتل واشتد خوف الناس منهم بأذر بيجان فلما رأى جلال الدين ما يفعله التتر بأذر بيجان ورأى ما هو عليه من الضعف والوهن فارق اذر بيجان يريد الخليفة وملكوك الاطراف ليعضدوه على التتر ويخوفهم عاقبة امرهم فلم يشعر وهو بالقرب عن آمد الا وقد كبس التتر ليللا وخالطوا مخيمه فهرب جلال الدين ثم لم يزل يتنقل في الهرب من موضع الى موضع وهو بغاية الذل بعد ذلك العز الى ان دخل قرية من قرى ميا فارقين فلحقته التتر في تلك القرية فهرب الى جبل هناك فيه اكراد يخطفون الناس فأخذوه وشحوه وأبادوا قتله فقال جلال الدين لاحدهم انى انا السلطان فاستبقنى أجعلك ملكا لجملة الكردى عند امرأته ومضى الى الجبل فحضر كردى آخر معه حربة فقال للملك لا تقتلون هذا الخوارزمى فقالت المرأة قد آمنه زوجى فقال الكردى انه السلطان وكما بما فعل قتل كاحا بخلاط خيرا منه وضر به بالحربة فقتله وكان ذلك منتصف شوال سنة ثمان وعشرين وستمائة فسبحان من لا يزول ملكه وفي ذلك عبرة لأولى الابصار وعلم مكان الامر

يذكر في هذه الاخبار الحبيبة الدالة على كمال قدرة الله تعالى وانه يتصرف في عباده كيف
 يشاء قصة الصناديق التي كانت لا يبه محمد خوارزم شاه وذلك ان خوارزم شاه لما هرب
 من التتر كما تقدم تفصيل ذلك والتتر تبعه نزل لما وصل عراق العجم عند بسطام وأحضر
 خوارزم شاه كاتباً كان معه عشرة صناديق ثم قال انها كلها جواهر لا تعلم قيمتها ثم اشار الى
 صندوقين منها وقال ان فيهما من الجواهر ما يساوي خراج الارض بحملتها ثم امر بحمل
 العشرة الصناديق الى قلعة ازدهن وهي من احصن قلاع الارض واخذ خط النائب بها
 بوصول الصناديق المذكورة مختومة فلما استولى جنكزخان على تلك البلاد حملت اليه
 الصناديق بختموها فاخذ جميع ما فيها ولم ينفع خوارزم شاه الذي جمعها بشيء منها وقد
 تقدم انه مات في مهربه ذلك قال ابن الاثير فسبحان من بدل أمنهم خوفاً وعزهم ذلاً وكرهتهم
 قلة فتبارك الله رب العالمين الفعّال لما يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولما دخل التتر
 ديار بكر والجزيرة يطلبون جلال الدين وقع منهم من الفساد والنهب والقتل والتخريب
 شيء كثير ونهبوا اسواد آمد وارزن وميا فارقين وقصدوا مدينة اسعرد فقاتلهم اهلها
 فبذل لهم التتر الايمان فوثقوا منهم واستسلموا فلما تمكن التتر منهم بذلوا فيهم السيف وقتلوه
 حتى كانوا يسمون عليهم فلم يسلم منهم الا من اختفى وقليل ما هم قال ابن الاثير وحكى لي بعض
 التجار انهم قد وصل من آمد انهم حزروا القتلى فكانوا يزيدون على خمسة عشر الف
 قتيل وكان مع هذا التاجر جارية من اسعرد فذكرت ان سيدها خرج ليقاتل وكان له ام
 فبذنته ولم يكن لها ولد سواه فلم يصغ الى قولها فبشت معه قليلاً فقتلها جميعاً وورثها ابن
 اخ للام فباعها من هذا التاجر وذكرت من كثرة القتلى امراً عظيماً وان مدة الحصار كانت
 خمسة ايام ثم ساروا منها الى مدينة طنزة ففعلوا فيها كذلك وساروا من طنزة الى وادي
 القرشية وكان فيه طائفة من الاكراد وفيه مياه جارية وبساتين والطريق اليه ضيق
 فقاتلهم الاكراد فبغواهم عنه وقتل منهم كثير فعاد التتر ولم يبلغوا منهم غرضاً وساروا
 في البلاد لامانع بينهم ولا احد يقف بين ايديهم فوصلوا الى ماردین فنهبوا ما وجدوا
 من بلدها واحتفى صاحب ماردین بقلعة ماردین ثم وصلوا الى نصيبين والجزيرة ونهبوا
 سوادها وقتلوا من ظفروا به وغلقت ابوابها فعادوا عنها ومضوا الى سنجار ووصلوا
 الى الجبال من اعمال سنجار فنهبوها ودخلوا الى الحابور فوصلوا الى عرابان فنهبوا وقتلوا
 ومضى طائفة منهم الى الموصل فوصلوا الى قرية تسمى المونسة قريبة من الموصل فنهبوها
 واحتفى اهلها بخان فيها فقتلوا كل من فيه قال ابن الاثير وحكى لي عن رجل منهم انه
 قال اختفيت منهم بيت فيه تبن فلم يظفروا بي وكنت اراهم في نافذة في البيت فكانوا اذا
 أرادوا قتل انسان فيقولون لا بالله فيقتلونه فلما فرغوا من القرية ونهبوا ما فيها وسبوا الحریم
 فيهم وهم يلعبون على الخيل ويضحكون ويغنون بلغتهم ويقولون لا بالله ونصف طائفة
 وفي نصيبين الروم فنهبوها وقتلوا فيها ثم عادوا الى آمد ثم الى بلد يدعى فمحصن
 قلت لمعة وبالجبال فقتلوا فيها بسيراً وأحرقوا المدينة قال ابن الاثير وحكى انسان من
 نه ههنا وكان عندنا خمسمائة فارس لم يسلم من التتر احد لان الطريق ضيق بين الجبال

والقليل يقدم على منع الكثير ثم ساروا من بدليس الى خلاط فحاصروا مدينة من اعمال
 خلاط يقال لها باكرى وهى من احصن البلاد فلكوها عنوة وقتلوا كل من بها وقصدوا
 مدينة ارجيش من اعمال خلاط وهى مدينة كبيرة عظيمة ففعلوا كذلك وكان هذا في
 ذى الحجة من سنة ثمان وعشرين وستمائة قال ابن الاثير ولقد حكى لى عنهم حكايات يكاد
 سامعها يكذب بها من الخوف الذى ألقاه الله سبحانه وتعالى فى قلوب الناس منهم حتى قبل
 ان الرجل الواحد منهم كان يدخل القرية او الدرب وبه جمع كثير من الناس فلا يزال يقتلهم واحدا
 بعد واحد لا يتجمهر احد بمديده الى ذلك الفارس ولقد بلغنى ان انسانا منهم اخذ رجلا ولم يكن مع
 التترى ما يقتله به فقال له ضع رأسك على الارض ولا تيرح فوضع رأسه على الارض
 ومضى التترى أحضر سيفا فقتله به وحكى لى رجل قال كنت انا ومعى سبعة عشر رجلا
 فى طريق فجاءنا فارس من التترى وقال لنا مقالا يأمرنا فيه ان يكشف بعضنا بعضا فشرع
 اصحابى يفعلون ما أمرهم فقلت لهم هذا واحد فلم لانقتله ونهرب فقالوا نخاف فقلت
 هذا يريد قتلكم الساعة فنحن نقتله فلمل الله يخلصنا فوالله ما جمر احد يفعل ذلك فاخذ
 سكيننا وقتلته وهربنا فنجونا وامثال هذا كثير فهذه مصائب وحوادث لم ير الناس من قبل
 الزمان وحديثه ما يقار بها قاله سبحانه وتعالى يلطف بالمسلمين ويرحمهم ويرد العدو عنهم والعجب
 ان هذا العدو فعلوا هذه الافعال فى هذه المرة وعادوا المسلمين يذبحهم احدى ولا وقف فى وجوههم
 فارس فسبحان من يده ملكوت كل شئ يعز من يشاء وينزل من يشاء ولا يستل عما يفضل وشم
 يسألون ولما وصل التترى بلاد اذربيجان أطاعهم اهلها جميعا وحملوا اليهم الاموال والنياب
 الخطائى والنلوبى والعتابى وغير ذلك وسبب طاعتهم ان جلال الدين لما انهزم الى آمد
 من التترى صرفت عساكره وتمرقوا كل تمزق وتحطفهم الناس وفعل التترى بديار بكر والجزيرة
 وارسل وخلاط ما فعلوا ولم يمانعهم احد ولا وقف فى وجوههم فارس وملوك الاسلام
 منجزون فى الانقلاب وانصاف الى هذا انقطاع اخبار جلال الدين فانه لم يظهر له فى ذلك
 الوقت خبر ولا علموا له حاله سقط فى ايديهم وأذعنوا التترى بالطاعة وحملوا اليهم ما طلبوا
 من الاموال والنياب من ذلك مدينة تبريز التى هى اصل بلاد اذربيجان ومرجع الجميع
 اليها والى من بها فان ملك التترى نزل فى عساكره بالقرب منها وارسل الى اهلها يدعوهم
 الى طاعته ويتهددهم ان امنوه واعليه فأرسلوا اليه المال الكثير والتحف من انواع الثياب
 الابريسم وغيرها وكل شئ حتى الجز وبذلوا له الطاعة فاعاد الجواب يشكرهم وبطلب
 منهم ان يحضر مقدموهم عنده فيقصد قاضى البلد ورئيسه وجاعة من اعيان اهله وتخليق
 عنهم شمس الدين الطغرائى وهو الذى يرجع الجميع اليه الا انه لا يظهر شئ من ذلك
 فلما حضروا عنده سألهم عن امتناع الطغرائى فقالوا انه رجل منقطع ماله بالملوك تعلم
 ونحن الاصل فسكت ثم طلب ان يحضروا عنده من صناعات الثياب الخطائى وغيرها يسكنهم
 للملكهم الاعظم فان هذا هو من اتباع ذلك الملك فاحضروا الصنائع فاستعملهم فلما فعل
 ارادوا ووزن اهل تبريز الثمن وطلب منهم خرباكه اى خيمة للملكهم ايضا فعملهم لى بن عبد
 لم يعمل مثلها وعملوا غشاها من الاطلس الجيد المزركش وعملوا من داخلها الدور فكان الامر

فجاءت عليهم بحملة كثيرة وقرر عليهم من المال كل سنة شيئا كثيرا ومن الشباب كذلك
 وترددت رسلهم الى ديوان الخلافة والى جماعة من الملوك يطلبون منهم انهم لا ينصرون
 جلال الدين بن خوارزمشاه قال ابن الاثير ولقد وقفت على كتاب وصل من تاجر من اهل
 الري كان قد انتقل الى الموصل وأقام بها هو وورثاءه ثم سافر الى الري في العام الماضي
 قبل خروج التتر فلما وصل التتر الى الري واطاعهم اهلها وساروا الى اذربيجان سار هو
 معهم الى تبريز فكتب الى اصحابه بالموصل يقول ان الكافر لعنه الله ما نقدر نصفه ولا كثرة
 بجوعه حتى لا تنقطع قلوب المسلمين فان الامر عظيم ولا تظنون ان هذه الطائفة التي
 وصلت الى نصيبين والخابور والطائفة الاخرى التي وصلت الى اربل ودقوفا
 كان قصدهم النهب انما ارادوا ان يعلموا اهل في البلاد من يردهم ام لا فلما عادوا
 أخبروا ملكهم بخلوا البلاد من مانع ومدافع وان البلاد خالية من ذلك ومن العساكر
 فتقوى طمعهم وهم في الربيع يقصدونكم وما بقي عندكم مقام الا ان كان في بلد الغرب فان عزهم
 على قصد البلاد جميعها فانظروا لانفسكم هذا مضمون الكتاب فان الله وانا اليه راجعون
 ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وفي هذه السنة اعني سنة ثمان وعشرين وستمائة كان
 انتهاء ما في التكامل تاريخ ابن الاثير وكانت وفاته سنة ثلاثين وستمائة وهو الامام عز الدين
 علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري ولد بجزيرة ابن عمر سنة خمس وخمسين
 وخمسمائة ثم صار الى الموصل وسمع من كثير من الاشياخ المقيمين بالموصل ثم رحل الى بغداد
 ثم الى الشام والقدس وسمع هناك من جماعة ثم عاد الى الموصل وانقطع في بيته عاكفا على العلم
 تعلما وتصنيفا وكان اماما في علم الحديث حافظا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة خبيرا بانساب
 العرب واخبارهم وله تصانيف كثيرة منها اسد الغابة في اخبار الصحابة وهو كتاب جليل
 ومنها التاريخ الكبير المسمى بالتكامل وله غير ذلك ومن تلامذته الذين اخذوا عنه ابن
 خلكان صاحب التاريخ المشهور ونسبت الجزيرة الى ابن عمر قيل هو رجل من اهل برقيع
 من اعمال الموصل اسمه عبد العزيز بن عمر بنى هذه المدينة فاضيفت اليه ثم ان العساكر
 انخلوا رزمية الذي كانوا عند جلال الدين تفرقوا في ديار بكر والموصل وحلب واكثر
 العيث والفساد فعملوا مثل اعمال التتر من الزنا والقوا حش والقتل وكذلك التتر اكثر
 العيث والفساد فيما استولوا عليه من البلاد ولم يزل الامر يشتد بالمسلمين وشرح ماجرى في
 تلك السنين من الخوارزمية والتربطول والقصد الاختصار وفي سنة احدى واربعين وستمائة
 قصدت التتر بلاد غياث الدين كخسرو السلجوقي صاحب بلاد الروم فارسلوا كخسرو
 بالخليين فارسلوا اليه نجدة مع ناصح الدين الفارس وجمع العساكر من كل جهة والنفي
 مع التتر فانهم هزموا عساكر الروم هزيمة قبيحة وقتل التتر منهم خلقا كثيرا وأمسروا كثيرا وتحكمت
 فنترت في البلاد واستولوا ايضا على خلاط وآمد وهرب غياث الدين كخسرو الى بعض المعامل
 وفي ربيع الى التتر وطلب الامان ودخل في طاعتهم وفي سنة ثلاث واربعين وستمائة قصدت
 قتل ملاد وخرجت عساكر بغداد لقاتلهم ولم يكن للتتر بهم طاقة فولى التتر منهزمين على
 انه هال تحت الليل ثم لما قدر الله وأراد من الازل انه لا بد من استيلاء التتر على بغداد

وانقراض الدولة العباسية قدر سبحانه وتعالى لذلك اسبابا وجعل لذلك علامات ومقدمات
اما الاسباب فاعظمها خروج المسلمين من كمال الاستقامة وانهما كهم في المعاصي والشهوات
واما العلامات والمقدمات فقد اوجد الله في تلك السنين علامات ومقدمات كان الناس يظنون
حند مشاهدتها ان القيامة تقوم في تلك السنين ثم تبين بعد ذلك انها مقدمات وعلامات
لانقراض الدولة العباسية وضعف اهل الاسلام قال الجلال السيوطي في حسن المحاضرة
كان لانقراض الخلافة ببغداد وما جرى على المسلمين بتلك البلاد مقدمات نبه عليها العلماء
منها انه في يوم الثلاثاء من عشر ربيع الآخر سنة اربع واربعين وستمائة هبت ريح عاصفة شديدة
بمكة فألقت ستارة الكعبة المشرفة فأسكنت الريح الا والكعبة عريانة قد زال عنها شعار السواد
ومكثت احدى وعشرين يوما ليس عليها كسوة وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير وكان هذا
فالا على زوال دولة بني العباس ومنذرا بما سبق بعد هذا من كاشنة التار لعنهم الله تعالى ومنها
قال ابن كثير في سنة سبع واربعين طغى الماء ببغداد حتى تلف شيئا كثيرا من المحال والدور
الشهرة وتعدرت اقامة الجمعة بسبب ذلك وفي هذه السنة هجعت الفرنج على دمياط فاستحوذوا
عليها وقتلوا خلقا من المسلمين وفي سنة خسين وقع حريق بحلب احترق بسببه ستمائة
دار فيقال ان الفرنج لعنهم الله اتوه فيها قصدا وفي سنة اثنتين وخسين ظهرت نار في ارض
عدين في بعض جبالها بحيث انه يطير شررها الى البحر في الليل ويصعد منها دخان
عظيم في اتناء النهار فتاب الناس وأقلعوا عما كانوا عليه من المظالم والفساد وشرعوا
في افعال الخير والصدقات وفي سنة اربع وخسين زادت دجلة زيادة مهولة فغرق خلق
كثير من اهل ببغداد ومات خلق تحت الهدم وركب الناس المراكب واستغاثوا باللة
وعاينوا التلف ودخل الماء من اسولو البلد وانهدمت دار الوزير وثلاثمائة وثمانون دارا
وانهدم مخزن الخليفة يعني موضع خزانة اموال المسلمين وهلك شيء كثير من خزانة السلام
قال السبكي في الطبقات وكان ذلك من جملة الامور التي هي مقدمة لواقعة التار وفي هذه
السنة في يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة وقع بالمدينة الشريفة صوت يشبه صوت
الرعد البعيد تارة وتارة وأقام على هذه الحالة يومين فلما كان ليلة الاربعاء تعقب الصوت
زلزلة عظيمة رجفت منها الارض والحيطان واضطرب المنبر الشريف واستمرت ترازل
ساعة بعد ساعة الى يوم الجمعة خامس الشهر فظهر من الحرة نار عظيمة وسالت اودية
منها ميل الماء وسالت الجبال نارا وسارت نحو طريق الحاج العراقي فوق قسطنطينية
تأكل الارض أكلاواها كل يوم صوت عظيم من آخر الليل الى ضحوة واستفاث الناس
بنبيهم صلى الله عليه وسلم وأقلعوا عن المعاصي واستمرت النار فوق الشهر وخيف القمر
ليلة الاثنين منتصف الشهر وكسفت الشمس في غدوة وبقيت اياما متغيرة اللون ضعيفة النور
واشتد فزع الناس وصعد علماء البلد الى الاثير يعظونه فطرح المكس ورد على الناس
ما كان تحت يده من اموالهم ولما جاء النجباء الى ببغداد بنجر هذه النار قال له الربيعي ما فعل
اي الجهات ترى شررها قال الى جهة الشرق وفي ليلة الجمعة مستهل رمضان بن عبد
السنة احترق المسجد الشريف النبوي ابتداء حريقه من زاوية الغربية من الشهر فكان الامر

قد دخل احد خدمة المسجد الى خزانة هناك ومعه نار فعلمت في الآلات واتصلت بالسقف
سرعة ثم دبت في السقوف فاعجلت النار عن قطعها فاكان الاساعة حتى احترق
سقف المسجد اجتمع ووقعت بعض اساطينه وذاب رصاصها واحترق
سقف الحجرة النبوية الشريفة واحترق المنبر الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم
يخطب عليه وعدم وقوع من تلك النار الخارجة وحريق المسجد من الآيات وكانت كلها منذرة
بما يقربها في السنة الآتية من الكائنات انتهى ما ذكره الجلال السيوطي في حسن المحاضرة
وذكر السيد السهمودي في خلاصة الوفا زيادة ايضا ح لاسبب ذلك الحريق فقال احترق
المسجد النبوي ليلة الجمعة اول شهر رمضان سنة اربع وخمسين وستمائة اول الليل لدخول
ابي بكر بن اوحدا القراش الحاصل الذي في الزاوية الغربية الشمالية لاستخراج قناديل لمناير
المسجد وترك الضوء الذي كان في يده على قفص من اقفاص القناديل فيه مشاق فاشتعلت
النار فيه واعجزه طفوها وعلقت ببسط وغيرها مما في الحاصل وعلا الالتهاب حتى علقت
السقف بسرعة اخذت قبله واعجلت الناس عن اطفاؤها بعد ان نزل امير المدينة واجتمع
غالب اهلها فلم يقدروا على طفئها وما كان الاقل من القليل حتى استولى الحريق على
جميع سقف المسجد وما احتوى عليه من المنبر النبوي والابواب والخزائن والمقاصير
والصناديق ولم يبق خشبة واحدة اى كاملة وكذا الكتب والمصاحف ووقع السقف
الذي كان على اعلى الحجرة على سقف بيت النبي صلى الله عليه وسلم فوقها جميعا في الحجرة
الشريفة وعلى القبور المقدسة ولم يكن في ذلك الزمن قبة على القبور المقدسة وانما كان
سقف فقط واول من جعل ذلك السقف قبة السلطان المنصور قلاوون الصالحى سنة
ثمان وسبعين وستمائة فجعلت قبة صغيرة مربعة من اسفلها ثمانية من اعلاها باخشاب
اقمت على رؤس السوارى المحيطة بالحجرة الشريفة ولما كانت عمارة السلطان قانئباى
للمسجد النبوي سنة سبع وثمانين وستمائة جعلت القبة المشرفة مناهية في العلو وجعلت
من الاجرواس لها دعام عظام بارض المسجد وقد بسط العلامة السهمودي في خلاصة
الوفا الكلام على النار التى ظهرت بالحرم لانها من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
من حيث انه اخبر عنها قبل وقوعها فقد روى البخارى ومسلم في صحيحهما ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تظهر نار الجاهل في رواية للبخارى تخرج نار في ارض الجاهل
نضيب اعناق الابل ببصرى وفي مسند الفردوس وكامل ابن عدى عن عمر بن الخطاب رضى
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يسيل واد من اودية الجاهل
النار تضئ له اعناق الابل ببصرى ثم اطل الكلام في بيان ذلك ثم قال قال النووى توار العلم
بمروج هذه النار عند جميع اهل الشام وكانت في زمنه اى النووى وكان ابتداء ذلك زلزلة
مدينة مستهل جادى الآخرة سنة اربع وخمسين وستمائة لكنها كانت خفيفة فلم يدركها بعضهم
وفي يدى واشتدت في يوم الثلاثاء وظهرت ظهورا عظيما ليلة الاربعاء ثالث الشهر في الثالث
قلت ما ليل حدثت زلزلة عظيمة جدا اشفق الناس منها واستمرت زلزل بقية الليل ثم الى
نه هالكها دوى أعظم من الرعد فتوج الارض وتتحرك الجدران حتى وقع في يوم واحد

دون ليلته ثمان عشرة حركة ونقل عن ابي شامة عن القاشاني قال تزلزلت الارض يوم الجمعة
 زلزلة عظيمة الى ان اضطربت منائر المعجود وسمع لسقفه صرير عظيم فلما كان يوم الجمعة
 نصف النهار ظهرت تلك النار فثار من محل ظهورها في الجودخان متراكم غشي الافق سواده
 فلما تراكمت الظلمات واقبل الليل سطع شعاع النار فظهرت مثل المدينة العظيمة في جهة المشرق
 وقال القرطبي وكانت ترى على صفة البلد العظيمة عليها سور محيط عليه شراريف وابراج
 ومنائر ويرى رجال يقودونها لا تمر على جبل الادكنه وأذانبه ويخرج من مجموع ذلك مثل
 النهر احمر وازرق له دوى كدوى الرعد ياخذ الصخور بين يديه واجتمع من ذلك ردم صار
 كالجبل العظيم فانتهدت النار الى قرب المدينة ومع ذلك فكان يأتي المدينة نسيم بارد وشوهد
 لهذه النار غلبان كغلبان البحر قال وقال لي بعض اصحابنا رأيتها صاعدة في الهواء من نحو
 خمسة ايام وسمعت انها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى وقال القطب القسطلاني وكان
 موجودا في ذلك العصر وهو وجد القسطلاني شارح البخاري ان ضوءها استولى على ما بطن
 وظهر حتى كأن الحرم والمدينة قد أشرقت بهما الشمس وتأثر من لهيبها النيران وصار
 نور الشمس على الارض يعتربه صفرة ولو نها هي يعتربه حجرة والقمر كأنه كسف وقال
 ابوشامة انها رؤيت من مكة ومن القلعة جميعها ومن ينبع قال واخبرني من اثق به ممن
 شاهدها بالمدينة انه بلغه انه كتب بتيما على ضوءها الكتب وتيما اسم موضع الشمس والقمر في
 مدنها ما يطلعان الا كما هين قال ابوشامة وظهر عندنا بمشقة اثر ذلك الكسوف من ضعف
 النور على الحيطان وكنا حيارى من ذلك الى ان بلغنا خبرها وقال القطب القسطلاني وقد
 اخبرني جماعة انهم شاهدوها من جبال سايه وجاء من اخبرانه ابصرها بتيما وبصرى
 هي منهما مثل ما هي من المدينة في البعد وقال العماد بن كثير اخبرني قاضي القضاة صدر
 الدين الحنفي قال اخبرني والدي الشيخ صفى الدين مدرس مدرسة بصرى انه اخبره
 غير واحد من الاعراب صبيحة الليلة التي ظهرت فيها هذه النار انهم رأوا صفحات اعناق
 ابلهم في ضوء تلك النار فظهر انهم الموعود بها وتمت بذلك المعجزة لحصول ما اخبر به صلى
 الله عليه وسلم وانارتها تلك الاماكن البعيدة لئيم الانذار واختصاص ظهورها بيوم
 الجمعة لا يخفى وكانت نعمة في صورة نعمة اى لانه نعمة من حيث كونها معجزة
 للنبي صلى الله عليه وسلم دالة على كمال صدقه صلى الله عليه وسلم وكانت ايضا سببا لتوبة
 الناس والتجاءهم الى الله تعالى ونعمة من حيث الانذار والتحذير فوجلت القلوب منها
 واشتقت واعتق امير المدينة وهو عز الدين منيف بن شحنة جميع مماليكه ورد على الناس
 من الملهم وابطل المكس وهبط لاسي صلى الله عليه وسلم وبات في المعجود ليلة الجمعة والسبت
 ومعه جميع اهل المدينة حتى النساء والصغار واهل النخل يتضرعون ويكون كاشفون
 رؤسهم مقرين بذنوبهم مستجبرين بنبههم صلى الله عليه وسلم فصرف الله تعالى عنهم رؤسهم
 النار العظيمة ذات الشمال قالت من وادي احبيليين الى جهة الشمال واستمرت مدة ثلاث ايام فقل
 فطالت مدتها يشتهر امرها وينتجر عامة الخلق بها وعظم امرها ليشاهد منى بن عبد
 نار الآخرة وارسال امير المدينة عدة من الفرسان اليها فلم تجسر الخيل على القرب فكان الامر

اصحاب الخيل وقربوا منها فذكروا انها ترمى بشرر كالقصر ولم يظفروا بجليه امرها فجرد الامير عزمه لذلك فوصل منها الى قدر غلوتين بالجحر ولم يستطع ان يجاوز موقفه من حرارة الارض واجار كالسامة تحتها نار سارية ومقابله ما يتصاعد من الالهة فعاين نارا كالجبال الراسيات والتلال المجتمعة السائرات تقذف بزبد الاجار كالبحار المتلاطمة الامواج وعقد لهيبها في الافق فتاما حتى ظن الظان ان الشمس والقمر كسفا اذ سلبا بهجة الاشرار في الآفاق وقال القطب القسطلاني انها لم تزل مارة على سبيلها وهي تسحق ما والاها وتذيب ما لا قاها من الشجر الاخضر والحصى وان طرفها الشرقي آخذ بين الجبال فحالت دونه ثم وقفت وان طرفها الشامي وهو الذي يلي الحرم اتصل بجبل يقال له غير على قرب من شرقي جبل احد ومضت في الشظاء التي في طرفها وادى حزة رضى الله عنه حتى استقرت تجاه حرم النبي صلى الله عليه وسلم فطفئت قال وأخبرني شخص أعتمد عليه انه عاين جحرا ضخما من بحارة الحرم كان بعضه خارجا عن حد الحرم فعلمت بما خرج منه فلما وصلت الى ما دخل منه في الحرم طفئت وخدت وقال ابو شامة ان سيل هذه النار انحدرت مع وادى الشظاء حتى حاذى جبل احد وكادت النار تقارب حرة العريض ثم سكن قتيها الذي يلي المدينة وطفئت مما يلي العريض ورجعت تسير في المشرق وقال كثير من المؤرخين انها سالت سيلا ذريعا في واد يكون طوله مقدار اربعة فراسخ وعرضه اربعة اميال وعمقه قامة ونصف وهي تجري على وجه الارض والصخر يذوب كما يذوب الرصاص ولم يزل يجتمع منه في آخر الوادي عند منتهى الحرم اى في المشرق حتى قطعت في وسط وادى الشظاء الى جهة جبل غير فسدت الوادي المذكور بسد عظيم من الحجر المسبوك بالنار قال السيد السهمودي وآثار ذلك السد موجودة اليوم هناك ويسمى المحبس وانقطع وادى الشظاء بسبب ذلك وصار السيل ينحبس خلف السد المذكور حتى يصير بحرا مدام البصر عرضا وطولا واماما ذكره بعضهم من ان تلك النار ليس لها حر فعمل ذلك كان آخر امرها فهذه الايات كلها مقدمات لآخذ التار بغداد وانقراض الدولة العباسية وظهور الضعف والخلل لاهل الاسلام وذكر الامام القرطبي في تذكرته ان هؤلاء التتر هم الذين ذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يقتلوك قوم صغار الاعين كانوا وجوههم الجمان المطرقة بفتح الراء المشددة وفي رواية عرض الوجوه ذلق الانوف غلاظها وأطال في بيان روايات الحديث وقال ان هذا الامر الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم قد وقع كما أخبر ونقل مثل ذلك عن الحافظ ابن دحية وغيره وأطال في بيان ذلك والله سبحانه وتعالى اعلم

ذكر اخذ التتر بغداد وقتلهم الخليفة

فان تقدم ما تقدمه التتر من ممالك الاسلام في السنين المتقدمة وصاروا بعد ذلك يدبرون الامر وفي يديهم بغداد ويتخوفون من كثرة العساكر الموجودة عند الخليفة وعزموا على اخذها فقلت ما ث واربعين وستائة فانهزمت عساكرهم وضعف عزمهم ولما كان اخذهم اياها نه هلك الله تعالى محدودا بايام مخصوصة سهل لهم الاسباب التي توصلهم الى ذلك عند

مجيء وقته من ذلك ان وزير الخليفة كان رافضيا ويحب نقل الخلافة من بنى العباس الى
 العلويين وسولت له نفسه ان ذلك سهل اذ قويت شوكة التتروا انه يعقد معهم صلحا وينقل
 الخلافة للعلويين على زعمه فصار يكاتب التتار ويظهر لهم انه يحب استيلائهم وان امر المسلمين
 يكون تابعا لامرهم وكان الخليفة المستعصم بالله مفوضا امور الخلافة الى الوزير المذكور
 فينقاد له ويقبل اشارته ويصغى لما يقول مع ان الخليفة المذكور كان صحيح العقيدة يعقده
 مذهب اهل السنة ويميل الى الخير والصالح ويحب اهل الخير والصالح لكنه كان قليل
 المعرفة بتدبير الملك مهملا للامور المهمة محبا لجمع المال فاهمل امر التتار وانقاد الى وزيره
 محمد بن محمد بن العلقمي حتى كان في ذلك هلاكه وهلاك الرعية فان ابن العلقمي كتب كتابا
 الى هلاكو ملك التتار وهو ابن طولى بن جنكز خان انك تحضر الى بغداد وانا اسلمها لك
 وكان من جملة الاسباب التي حملته على ذلك وقوع فتنة في تلك الايام بين الرافضة واهل السنة
 في بغداد أدت تلك الفتنة الى نهب عظيم وخراب وقتل عدة من الرافضة فغضب لذلك
 ابن العلقمي وجسر التتار على العراق لينتشي من اهل السنة فلما كتب ملك التتار يحثه على
 الحضور كتب له ملك التتار ان عساكر بغداد كثيرة فان كنت صادقا فيما قلته وادخلا
 في طاعتنا فرق عساكر بغداد ونحن نحضر فلما وصل كتابه الى الوزير دخل على الخليفة
 المستعصم وقال له ان جندك كثيرة وكانوا اكثر من مائة الف وعليك كلفة كثيرة والعدو
 قد رجع والصواب انك تعطى دستورا الخمسة عشر الفا من عسكر كرديتوفر معلومهم
 فأجابته المستعصم لذلك فخرج الوزير لوقته ومحا اسم من ذكر من الديوان ثم نفاهم من بغداد
 ومنهم من الإقامة بهائم بعد شهر فعل مثل فعلته الاولى ومحا اسم عشرين الفا من الديوان
 ثم كتب الى ملك التتار ففعل وكان تدبير الوزير ان التتار اذا قدموا بغداد يقتلون الخليفة
 ويضعفون شوكة بنى العباس ثم يعودون الى سبيلهم فيبقى هو على ما هو عليه من العظمة
 والعساكر وتدبير المملكة فيقوم عند ذلك بدعوة العلويين الرافضة من غير ممانع ثم يضع
 السيف في اهل السنة هكذا كان قصده ولما بلغ ملك التتار ما فعل الوزير ابن العلقمي من
 محو العساكر واضعاف امر الخلافة سار بجيوشه في اول سنة ست وخمسين وستمائة ومعه
 ايضا الكرج وعسكر الموصل وخراسان لا يحصون وقصد بغداد ونزل عليها وصار
 الخليفة المستعصم يستدعي العساكر ويجهز لحرب التتار وقد اجتمع اهل بغداد وتحالفوا
 على قتال التتار وخرجوا الى ظاهر بغداد وقاتلوا التتار قتالا عظيما وكثرت الجراحات والقلى
 في الفريقين الى ان نصر الله عساكر بغداد وانكسر التتار فقبض كمنة وساق المسلمون
 خلفهم واسروا منهم جماعة وعادوا بالاسرى ورؤس القتلى الى ظهر بغداد ونزلوا بجيهم
 مطمئنين بهروب العدو وانهزامه فارسل الوزير ابن العلقمي في تلك الليلة جماعة من اصحابه
 فقطعوا شط الدجلة فخرج ماؤها على عساكر بغداد وهم نائمون فقرقت مواشيهم وخيلهم
 واموالهم وصار السعيد منهم من لقي فرسا يركبها وارسل الوزير الى ملك التتار فاعلم بما فعل
 وبأمره بالرجوع الى بغداد فرجع بعساكره الى ظاهر بغداد فلم يجدوا هناك من بني بن عبد
 أصبحوا خرج لهم طائفة من عسكر المسلمين وعليهم الدويدار فالتقوا مع طلائعهم فكان الامر

المسلمون لقلتهم وأحاطت بها كرت التبر بغداد فقال الوزير ابن العلقمي للخليفة المستعصم بالله اني أخرج الى تلا في هذا الامر واطاعة الصلح واقره فاذن له في ذلك فخرج وتوثق لنفسه ورجع واخبر الخليفة ان ملك التتر رغب ان يزوج بنته بابنك وان تكون الطاعة له كما كانت للملوك السلجوقية ويرحل عنك فخرج المستعصم في اعيان دولته واعيان العلماء واكابر اهل الوقت ليحضروا العقد فلما حضروا عند ملك التتر امر بالقبض عليهم وضربت اعناقهم وقتلوا الخليفة بوضعه وولده في عدلين وامر التتار برفسهما الى ان ماتا وقيل أغرقهما ودخلت التبر بغداد واقتسموها وكل اخذ ناحية وبقي السيف يعمل اربعة وثلاثين يوما وقل من سلم ولم يرجوا شيئا كبيرا لكبره ولا صغيرا لصغره ولا عالما لعلمه ونهبت دار الخلافة ومدينة بغداد حتى لم يبق فيها لا ما قل ولا ما جل ثم احترقت بغداد بعد ان قتل اكثر اهلها قيل ان عدة من قتل يزيد على الف وثلاثين الف انسان ثم نادوا بالامان وانقرضت الخلافة من بغداد بقتل المستعصم هذا وبقيت الدنيا بالخليفة ثلاثة سنين ونصف سنة وكانت مدة خلافة المستعصم خمس عشرة سنة وثمانية اشهر واياما وعمره نحو سبع واربعين سنة واما الوزير ابن العلقمي فلم يتم له ما أراد فلم يلبث أن أمسكه ملك التتر بعد قتل المستعصم بايام ووبخه بالفاظ شنيعة معناه انه لم يكن له خير في مخدومه ولا في دينه فكيف يكون له خير في ملك التتر ثم انه قتله شر قتلة قيل ان ابن العلقمي بعد قتل المستعصم وقبل قتله هو بقي يركب اكديشا فنادته عجوز يا ابن العلقمي أهكذا كنت تركب في ايام المستعصم فلم يجبها وكان بعد ان قتل الخليفة يظن ان رياسته تبقى له فأبقوه اياه الى ان قتلوه قيل انه في تلك الايام التي أبقوه الرياسة فيها بعد قتل الخليفة دخل عليه بعض التتر من ليس له وجاهة راكبا فرسه فسار الى ان وقف بفرسه على بساط الوزير وخطبه بما اراد وبال الفرس على بساط الوزير واصاب الرشاش ثياب الوزير وهو صابر لهذا الهوان يظهر قوة النفس وأنه بلغ مراده ولما انعكست عليه الامور ندم حيث لا ينفعه الندم وكان يقول بعد ذلك وجري القضاء بعكس ما أملت له لانه عومل بانواع الهوان من ار اذل التتار والمرتدة وقال له بعض اهل بغداد يا مولانا انت فعلت هذا جميعه حجة وحجت الشيعة وقد قتل من الاشراف الفاطميين مالا يحصى وكان دخول التبر بغداد وقتلهم الخليفة المستعصم في العشرين من المحرم سنة ست وخسين وستمائة وبقي الوزير ابن العلقمي الى اوائل المحرم سنة سبع وخسين فتكون المدة التي بقي فيها بعد قتل الخليفة سنة واحدة وقيل انما مكث بعد قتل الخليفة اياما قلائل وان التتر لم يقتلوه وانما مات غما كد لما انعكست عليه الامور وعرضه ندما وفي تاريخ ابن كثير عن الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال احد الزهاد وقال كنت بمصر فبلغني ما وقع ببغداد من القتل الذريع فأنكرته بقلبي وقلت يا رب كيف هذا وفيهم أطفال ومن لا ذنب له فرأيت في المنام رجلا وفي يده كتاب فاخذته فاذا فيه

قلت ما ردع الاعتراض فما الامر لك * ولا الحكم في حركات الفلك *
 * نه هلك ولا تسأل الله عن فعله * فمن حاض جنة بحر هلاك *

قال الجلال السيوطي في حسن المحاضرة بعد ذكره ذلك قلت أجرى الله عادته ان العامة اذا زاد فسادها وانتهكوا حرمت الله ولم تقم عليهم الحدود أرسل الله عليهم آية في اثر آية فان لم يجمع ذلك فيهم أتاهاهم بعذاب من عنده وسلط عليهم من لا يستطيعون له دفاعا ثم قال الجلال وقد وقع في هذه السنين ما يشبه الآيات الواقعة في مقدمات واقعة التار وناخائف من عقبي ذلك فالله سلم سلم انتهى واذا كان هذا في زمانه وهو القرن التاسع فبالك زماننا وهو القرن الرابع عشر فنسأل الله السلامة وحسن الاستقامة فقد قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في بعض خطبه والله لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها

فائدتان

الاولى استيلاء التتر على بغداد وانقراض الدولة العباسية من بغداد قد جاء الاخبار به قبل وقوعه مأثورا عن علي بن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما فانه كان يقول ان الخلافة تصير الى ولده حتى يأتيهم العليج من خراسان فينتزعها منهم فكان كما قال والظاهر ان مثل هذا الخبر لا يقال بالراى ولا بالحدس والتخمين وانما يكون بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم فيكون الاخبار بذلك قبل وقوعه من معجزاته صلى الله عليه وسلم وهذا الذي ذكرنا انه مأثور عن علي بن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ذكره كثير من المؤرخين منهم المالك المؤيد صاحب حياه في تاريخه وكذلك ابن الوردي وغيرهما وعبارة ابن الوردي بلغ بعض خلفاء بني امية عن علي بن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما انه يقول ان الخلافة تصير الى ولده فأمر الاموي بعلي بن عبدالله فحمل على جل وطيف به وضرب وكان يقال عند ضربه هذا جزاء من يفتري ويقول ان الخلافة تكون في ولده فكان علي بن عبدالله يقول اي والله لتكون الخلافة في وادي ولا تزال فيهم حتى يأتيهم العليج من خراسان فينتزعها منهم فكان كما قال والعليج المذكور هلاكو في تاريخ ابن خلكان ان الاموي الذي أمر بضربه وحمله على جل هو الوليد بن عبد الملك ثم قال ابن الوردي قلت قال ابن خلكان في تاريخه ان علي رضي الله عنه افتقد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يوما وقت صلاة الظهر فقال لا يصلي ابن عباس لم يحضر الظهر فقتلوا ولده مولود فلما صلى علي رضي الله عنه قال بنا اليه فأتاه فهناه فقال شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ما سميتك فقال أويحور ان اسمي حتى تسميه فأمر به فأخرج اليه فأخذه فحنكه ودعاه ثم رده اليه وقال خذ اليك ابانا ملاك قد سميتك عليا وكنيته ابالحسن ودخل علي بن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما يوما على هشام بن عبد الملك ومعه ابنا ابنه محمد وهما السفاح والمنصور ابنا محمد ابن علي المذكور فأوسع له هشام على سريره وسأله عن حاجته فقال ثلاثون الف درهم على دين فأمر بقضائها ثم قال علي له هشام وتستوصي بابني هذين خيرا ففعل فشكرهم وقال وصلت الرحم فلما ولي علي بن عبدالله بن عباس قال هشام لأصحابه ان هذا الشيخ قد اخل وأسن وخلط فصار يقول ان هذا الامر سينقل الى ولده فبلغ ذلك عبيد بن عبد الله بن عباس فقال والله ليكون ذلك وليا لكن هذين يعني السفاح والمنصور لكان الامر

كذلك وكان علي بن عبد الله هذا عظيم المحل عند اهل الحجاز وكان يلقب بالمجاد كان يصلي كل يوم الف ركعة لانه كان له خمسمائة اصل زيتون يصلي في كل يوم الى كل اصل ركعتين وكان أجمل قرشي على وجه الارض وأوسمهم وكان اذا قدم مكة حاجا او معتمرا عطلت قریش مجالسها في المسجد الحرام وهجرت مواضع حلقها وازمت مجلسه اعظاما واجلالا وتجيلا له فان قعد قعدوا وان نهض نهضوا وان مشى مشوا خلفه وحوله ولا يزالون كذلك حتى يخرج من الحرم وكان اذا طاف كأنما الناس حوله مشاة وهوراكب من طوله وكان مع هذا الطول يكون الى منكب ابيه عبد الله وكان عبد الله الى منكب ابيه العباس وكان العباس الى منكب ابيه عبد المطلب نظرت مجوز الى علي بن عبد الله بن عباس وهو يطوف فقالت من هذا الذي فرع الناس فرع بالعين المهملة اى على عليهم ف قيل لها علي بن عبد الله بن عباس فقالت لا اله الا الله ان الناس ليرذلون عهدى بالعباس يطوف بهذا البيت كأنه فسطاط ايض و ذكر هذا كله المبرد في الكامل و ذكر ان العباس كان عظيم سموت وجأتهم مرة غارة وقت الصباح فصاح واصباحاه فلم تسمعه حامل في الحى الا عمت والله سبحانه وتعالى اعلم اه وتوفي علي بن عبد الله المذكور سنة سبع عشرة ومائة وعمره ثمانون سنة وكانت مدة خلافة بنى العباس خمسمائة سنة واربعة وعشرون سنة لان ابتداء دولتهم سنة اثنتين وثلاثين ومائة وانتهأؤها سنة ست وخمسين وستائة وعدد خلفائهم سبعة وثلاثون خليفة فسبحان الملك الحق الذي لا يزول ملكه وهو الباقي بعد فناء خلقه

الفائدة الثانية

اول خلفاء بنى حرب بن امية معاوية رضي الله عنه وآخرهم معاوية واول خلفاء بنى الحكم مروان ابن الحكم وآخرهم مروان بن محمد واول خلفاء بنى العباس عبد الله السفاح وآخرهم عبد الله المستعصم واول ملوك بنى الاحمر الذين تداولوا ممالك الاندلس في آخر المدة محمد بن يوسف بن نصر وآخرهم محمد بن سعد واول ملوك بنى مرين ملوك المغرب الاقصى عبد الحق وآخرهم عبد الحق فانظر كيف توافقت اسماء ملوك اول هذه الدول واسماء ملوك آخرها وذلك بتقدير الله وتدبيره فانه سبحانه وتعالى له في كل شئ حكمة بل ما من ذرة في العالم الا وهى مشتملة على حكمة بل على حكم كثيرة وكل ذلك بتقدير العزيز العليم وسيأتى ذكر ما تملكه التتر بعد بغداد وهلك هلاكوا بن طولى بن جنكز خان سنة ثلاث وستين وستائة وترك خمسة عشر ابنا وملك بعده ابنه ابغاء البلاد التى كانت بيد ابيه وهى اقليم خراسان وكرسيه نيسابور واطليم عراق النعم وتعرف ببلاد الجبل وكرسيه اصفهان واطليم عراق العرب وكرسيه بغداد واطليم اذربيجان وكرسيه تبريز واطليم خوزستان وكرسيه تتر وتسميها العامة ششت واطليم فارس وكرسيه شيراز واطليم ديار بكر وكرسيه الموصل واطليم الروم وكرسيه قونية وغيرها مما ليس فى الشهرة مثل هذه الاقاليم العظيمة ومدة ملك هلاكوا عشرة سنين قال ابن الوردي قلت مات هلاكوا على دينه بعملة الصرع وبنوا على قبره قبة بقلعة نلا وفي تاريخ الذهبى انه هلك سنة اربع وستين وستائة اه كلام ابن الوردي وفي تاريخ القرماني ما نصه ذكر

الذهبي في تاريخه ان هلاكوسفك دم الف الف او يزيدون فهل يقدر المؤرخون ان
يجمعوا ويصفوا سوء افعاله ومع هذا فان الله تعالى قد وفقه للاسلام الا ان الكفار المغولية
ميلوه الى دين الجوسية فانقاد اليهم وقصد الممالك الاسلامية بالسوء ثم قال القرمانى ذكر
البيضاوى في تاريخه ان الله تبارك وتعالى ألهم الى بعض اوليائه بفيض فضله ان يظهر شيئا
من الكرامات المحمدية عند هلاكهم ابو يعقوب ومحمد خواجا در بندي قدس الله سرهما
فحضرنا عند هلاكهم ودخلوا النار وشرى بالسموم والنحاس المذاب فلما عين هلاكهم وذلك
رجع عن الكفر والزندقة وخاف من الاولياء وعظم الملة الاسلامية واهلها واسلم ومات
بعلة الصرع في بلد مراغة ونقل الى قلعة تلا ودفن بها وبني عليه قبة اه ولم يذكر
اسلامه ابن خلدون ولا الملك المؤيد ولا ابن الشحنة فليحذر ذلك وانما الذى ذكره
اسلام احمد بن ابيان هلاكهم والله سبحانه وتعالى اعلم قال الجلال السيوطى في تاريخ الخلفاء
ولما فرغ هلاكهم من قتل الخليفة واهل بغداد أقام على العراق نوابه وحسن لهم ابن العلقمى
ان يقيموا خليفة علويا فلم يوافقوه واطرحوه وصار معهم في صورة بعض الخدم والغلمان
ومات كددا لارحمه الله ولا عفى عنهم بعد تملكهم بغداد كتب هلاكهم للملك الناصر صلاح
الدين يوسف بن الملك العزيز الظاهر غازى بن صلاح الدين بن ايوب وكان ملك دمشق بيد
الملك الناصر المذكور فكتب له هولاكو ثلاث مرات يأمره بالدخول في طاعته ويتهدده
ويذكر له تملكه لكثر البلاد وما فعله بأهل الاسلام فكتبه الملك الناصر وصانعه وأرسل
له هدايا لعله يعجزه عن ملتقى التتر

ذكر مسير التتر الى ميافارقين في البلاد الشامية

وفي سنة ست وخمسين ايضا قصبت التتر ميافارقين بعد استيلائهم على بغداد وكان صاحب
ميافارقين حينئذ الملك الكامل محمد بن الملك المظفر غازى بن الملك العادل أبى بكر
ابن ايوب فحاصره التتر وضايقوا ميافارقين مضايقة شديدة وصبر اهل ميافارقين مع الملك
الكامل على الجوع الشديد ودام ذلك سنتين حتى عجزوا وسلموا فلك ميافارقين والبلاد
والجزيرة وسير هلاكهم وجيوشه الى حلب والديار الشامية وارتجت الارض منهم وتزلزلت
الناس في جميع الارض وسار في سنة سبع وخمسين الى خدمة هولاكو عز الدين كيكلوس
وركن الدين قلع ارسلان ابنا كينجسروا السلجوقي صاحب الروم وأقاما معه مدة ثم عادا الى
بلادهم وكذلك صانع هلاكهم بدر الدين لولو صاحب الموصل وحل اليه الاموال
ووصل الى خدمة هولاكو بعد اخذ بغداد وفي سنة سبع وخمسين ايضا نازل هولاكو
شرقي الفرات وحران وملكها وارسل واده سم ووط بن هولاكو الى الشام فوصل الى
ظاهر حلب في آخر ذى الحجة من سنة سبع وخمسين وكان الحاكم في حلب الملك المعظم
توران شاه ابن السلطان صلاح الدين نائبا عن ابن اخيه الملك الناصر يوسف فخرج عسكر
حلب لقتالهم وخرج الملك المعظم وام يكن من رأيه الخروج وأمكن لهم التتر عند الباب المعروف
بباب الله وتقاتلوا فاندفع التتر قدامهم حتى خرجوا عن البلد ثم عادوا عليهم وهرب

المسلمون وخرج كين التتر فطلب المسلمون دخول حلب هاربين والتتر يقتلون فيهم حتى
 دخلوا البلد واختنق في ابواب البلد جاعة من المزمين ثم رحل التتر الى اعزاز فقتلوهما
 بالامان وفي تاسع صفر من سنة ثمان وخسين استولت التتر على حلب وذلك ان هولاكو
 حاصرها بجيوشه الى ان ملكوها وقتل من المسلمين خلق كثير وصعد الى القلعة خلق ودام
 القتل والنهب نحو اسبوع ثم نادى هولاكو بالامان ولم يسلم من القتل الا جاعة كانت بأيديهم
 فرمانات بالامان من التتر ولما فتحت حلب وصل كبار اعيان حلب بمفاتيحها وجاء وحملوها الى
 هلاكو فأمهم وارسل اليهم بشحنة والشحنة بالكسر ضابط البلد وفي الفارسى بالفتح
 ولما بلغ الناصر وهو بدمشق اخذ حلب رحل بمساكره الى الديار المصرية ومعه المنصور
 صاحب جاء ثم وصل التتر الى نابلس واستولوا عليها ثم استولوا على دمشق وسار
 الشام الى غزة وشحنوا البلاد وقدم على هلاكو صاحب حصن فقبله وأما دها اليه ثم
 رحل هلاكو الى حارم فامتنعوا ان يسلموها اغبر فخر الدين والى قلعة حلب فاحضر وسلمت
 اليه فغضب هلاكو وامر بهم فقتلوا عن آخرهم وسبي النساء ثم عاد هلاكو الى الشرق
 وتقدم ان ميا فارقين ملكوها بعد محاصرتها سنتين وصاحبها الكامل محمد بن مظفر
 غازي مصار ثابت حتى ضعف من عنده عن القتال فاستولوا عليها في هذا
 الوقت وقتلوه وطسافوا برأسه في البلاد بالمغانى والطبول وعلق رأسه بباب الفرديس
 من ابواب دمشق فلما عادت دمشق للمسلمين دفن بمشهد الحسين داخل باب الفرديس
 واماد مشق فلكوا المدينة بالامان فانهبوا ولا قتلوا وعصت قلعتها فنهضوا
 عليها المجانيق ثم تسلموها بالامان ونهبوا ما فيها وخربو سور القلعة وأحرقوا آلاتها
 وزر دنانيرها ثم نازلوا قلعة بعلبك ثم ملكوها وخربو قلعتها وكانوا اعتقلوا نقيب قلعة
 دمشق وواليها ثم بعد شهرين ضربوا اعناقهما ثم ان العساكر الاسلامية اجتمعت بمصر
 وسار بهم الملك مظفر قطر مالك مصر يريدون الشام لقتال التتر وبلغ ذلك كتبها نائب
 هلاكو على الشام فجمع من الشام من التتر وسار الى قتال المسلمين فالتقوا عند عين جالوت واقتتلوا
 فانهمزمت التتر هزيمة قبيحة واخذتهم سيوف المسلمين وقتل مقدمهم كتبها وقرر الله كمال النصر للمسلمين
 بهذه الهزيمة واسترجع المسلمون دمشق وغيرها مما ملكوه من الديار الشامية بعد حصول
 اليأس من النصر على التتر لاستيلائهم على معظم بلاد الاسلام ولانهم ما قصدوا اقليم الافتحوه
 ولا عسكرا الاهزموه وكان النصر والفتح العظيم يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان
 سنة ثمان وخسين وسمائة ولما اراد الملك قطران يتجهز من مصر للخروج لقتال التتر بالشام
 اراد ان يأخذ من الناس شيئا من المال يستعين به على قتالهم فجمع العلماء فحضر الشيخ عز الدين
 ابن عبد السلام فقال لا يجوز ان يؤخذ من الرعية شيء حتى لا يبقى في بيت المال شيء وتبيعوا
 مالكم من الخوائص والآلات ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه ويتساوا في ذلك هم
 والعامه واما اخذ اموال العامة مع بقاء ما في ايدي الجند من الاموال والآلات الفاخرة فلا
 ذكره في حسن المحاضرة للجلال السيوطي وذكر ايضا عن الامام النووي انه أفتى السلطان
 بابر من المتولي بعد قطر بمثل ما أفتى به العزيز بن عبد السلام وأرسل له الفتوى من الشام ونص

المقصود من ذلك ولا يحل ان يؤخذ من الرعية شئ مادام في بيت المال شئ من نقد او متاع او ارض او ضياع او غير ذلك قال وهؤلاء علماء المسلمين في بلاد السلطان اعز الله انصاره متفقون على هذا قال الجلال السيوطي فلما اراد السلطان الظاهر يديرس الخروج الى الشام لقتال التتر أخذ فتاوى العلماء بأنّه يجوز له اخذ مال من الرعية ليستنصر به على قتال العدو وكتبه له فقهاء الشام بذلك فقال هل بقي احد فقيل نعم بقي الشيخ محيي الدين النووي فطلبه فحضر فقال اكتب خطك مع الفقهاء فامتنع فقال ما سبب امتناعك فقال انا أعرف انك كنت في الرق للامير بندقدار وليس لك مال ثم من الله عليك وجعلك ملكا وسمعت ان عندك الف مملوك كل مملوك له حياصة من ذهب و عندك مائة جارية لكل جارية حق من الحلي فاذا أنفقت ذلك كله وبقيت مما ليكك بالبندود الصوف بدلا عن الخوائص وبقيت الجوارى بلبائهن دون الحلي أفيتنك بأخذ المال من الرعية فغضب السلطان الظاهر يديرس من كلامه وقال اخرج من بلدى يعنى دمشق فقال السمع والطاعة وخرج الى نوى فقال الفقهاء ان هذا من كبار علماء و صلحاءنا ومن يقتدى به فأعده الى دمشق فرسم برجوعه فامتنع الشيخ وقال لأدخلها والظاهر بها فأت الظاهر بعد شهر قال الحافظ الذهبي كان الظاهر يديرس خليفا للملك لولا ما كان فيه من الظلم قال والله يرجعه ويغفر له فان له اياما بيضا في الاسلام ومواقف مشهودة وفتوحات معدودة وقال ايضا في حسن المحاضرة في موضع آخر وكان في الظاهر يديرس محاسن وغيرها وظلم اهل الشام غير مرة وافتناه جماعة بموافقة هواه فقام الشيخ محيي الدين النووي في وجهه وأنكر عليه وقال افنتوك بالباطل وكان بمصر منعما تحت كلمة الشيخ عز الدين بن عبد السلام لا يستطيع ان يخرج عن امره حتى انه قال لما مات الشيخ عز الدين ما استقر ملكي الا الآن ومن محاسنه ما حكاه ابن كثير في تاريخه انه حضر الى دار العدل في محاكمة في بيتر بين يدي القاضى تاج الدين ابن بنت الأعر فقام الناس له للمجا، سوى القاضى فانه اشار اليه ان لا يقوم فقام هو وغريمه بين يدي القاضى وتداعيا وكان الحق بيد السلطان وله بيعة عادلة به فانترعت البيؤمن يد الغريم وهو احد الامراء ومن محاسن الظاهر يديرس انه أكل عمارة المسجد النبوى من الحريق المتقدم ذكره وصنع منبرا للمجد النبوى وحج في سنة سبع وستين فغسل الكعبة بيده بماء الورد وزار المدينة الشريفة فرأى الناس يلتصقون بالقبر النبوى فقاس ماحوله بيده وأرسل في العام الذى يليه در بزان من خشب فأدير حول القبر الشريف

ذكر عود التتر الى الشام

لما وصل الخبر الى التتر بان هزام عساكرهم من الشام وخروجه من تحت ايديهم جهزوا جيشا من سنتهم تلك ووصلوا الى حلب في آخر السنة اعنى سنة ثمان وخسين وستمائة وملكوها وبدلوا السيف في أهلها فأفندوا غالبهم وسلم القليل منهم واجتمع كثير من عساكر الاسلام بحمص وسار اليهم التتر فالتقوا بظاهر حصص خامس المحرم من سنة تسع وخمسين ودفوف وكان التتر أكثر من المسلمين بكثير ففتح الله على المسلمين بالنصر وولى التتر منهزمين واهلهم وهرب

يقتلون و يأمررون كيف شؤا وسار من سلم من التتر الى فامية فقاتلهم المسلمون عندها فرحوا
وتوجهوا الى الشرق

مبايعة شخص بالخلافة و اثبات نسبه

في شهر رجب من هذه السنة أعنى سنة تسع وخسين وستمائة قدم شخص الى مصر من بنى
العباس الذين سلموا في بغداد من قتل التتر واسمه اجد بن الظاهر بن الناصر فمقدوا له مجلسا
بمصر حضره العزيز بن عبد السلام وغيره من العلماء والسلطان الظاهر بيبرس وأثبتوا نسبه
وعلى هذا يكون عم المستعصم وجاء جماعة من العرب العارفين به فشهدوا بنسبه فبايعه الملك
السلطان بيبرس والعلماء والناس بالخلافة واهتم الملك الظاهر بأمره واحتفل به وجهاز معه
عساكر كثيرة ووجههم لقتال التتر طمما انه يستولى على بغداد ثم جاءت الكتبة منه انه
استولى وعساكره على عانة والحديثة وان كتب اهل العراق وصلت اليه يستحثونه على
الوصول اليهم ثم قبل ان يصل الى بغداد وصلت اليه التتر وقاتلوا الخليفة المذكور وقتلوه
وقتلوا غالب اصحابه ونهبوا ما كان معهم وجاءت الاخبار الى مصر بذلك في آخر السنة
المذكورة وفي آخر سنة ستين من ذى الحجة حضر ايضا شخص آخر من بنى العباس
الذين سلموا من قتل التتر اسمه ايضا اجد بن حسن بن ابي بكر بن علي بن حسن بن
الراشد بن المسترشد بن المستظهر فأثبتوا نسبه وبايعه السلطان بيبرس والعلماء ولقبوه
الحاكم بأمر الله وأشركه السلطان في الدعاء لاغير وبقي عقبه بمصر يبايعهم السلاطين
وليس يدهم من الملك والتصرف شئ بل الامر بيد السلاطين المتكئين بمصر واستمر
ذلك الى دخول السلطان سليم مصر سنة تسعمائة واثنين وعشرين وفي سنة احدى
وستين وستمائة جهز الملك الظاهر عساكره من مصر وأغاروا على عكا واعمالها وهي بيد
الفرنج فغنموا وعادوا ثم ركب الملك الظاهر بنفسه ومعه جماعة اختارهم وأغار ثانيا على
بكا وبلادها وهدم برجا كان خارج البلد وهدم الكنيسة المسماة بالناصرة وكانت من
كبر موطن عبادات النصارى لان منها خرج دين النصرانية وتوجه عساكر كثير الى
الباكية وبلادها وهي ايضا بيد الفرنج فساروا اليها وأغاروا على اطرافها وضايقوها
وعادوا ومعهم ما ينوف على ثلاثمائة اسير وفي سنة ثلاث وستين سار الملك الظاهر بيبرس من
الديار المصرية بمساعره المتوافرة الى جهاد الفرنج بساحل الشام ونازل قيسارية
وضايقها وفتحها بعد ستة ايام وامر بها فهدمت ثم سار الى ارسوف وفتحها وفي سنة اربع
وستين سار من مصر بمساعره المتوافرة الى الشام وجهاز عساكره الى ساحل طرابلس الشام
وكانت بيد الفرنج ففتحوا القليعات وعرقا ونزل هو على صفد وضايقها بالزحف وآلات
الحصار ولاصق الجند القلعة وكثر القتل والجراح في المسلمين ثم فتحها وقتل اهلها عن
آخرهم ثم بعث كثيرا من العساكر الى بلاد سيس يقتلون و يأمررون كيف شؤا وفي سنة ثلاث
ذكرة "في هلاك بن طولى بن جنكزخان واستقر ولده ابغا على ما كان بيده من الممالك
بيبرس المنوحي وثمانين وهلك واستقر بعده اخوه تكدار بن هلاكو ثم أسلم وتسمى اجد

وخطب بذلك الملوك الكثيرة في عصره وأرسل الى مصر يخبرهم ويطلب المساعدة وصار يأمر التتر بالاسلام فثار لذلك فتنة بين التتر مع بعضهم الى أن قتلوا احمد المذكور سنة ثنتين وثمانين وستمائة وتلك ارغو بن ابغا وعدل عن دين الاسلام وأحب دين البراهمة من عبادة الاصنام وانتحال السحر والرياضة وأصابه داء الصرع وهلك سنة تسعين وتلك ككتخاتو بن ابغا الى سنة ثلاث وتسعين فقتل وتلك بيدو بن طرغاي بن هلاكو وقتل سنة خمس وتسعين وتلك قازان بن ارغو بن ابغا بن هلاكو سنة ثلاث وسبعمائة فولى بعده اخوه خربند بن ارغو وابتدأ أمره بالدخول في الاسلام وتسمى بمحمد وتلقب غياث الدين ثم صاحب الروافض وساء اعتقاده وحذف ذكر الشيخين من الخطبة ونقش اسماء الأئمة الاثني عشر على سكتته ثم انشأ مدينة بين قزوین وهمدان وسمها السلطانية ونزلها واتخذ بها بيتا لطيفا بلبن من الذهب والفضة وأنشأ بازارها بستانا جعل فيه اشجار الذهب يثمر اللؤلؤ والفصوص وأجرى اللبن والعسل أنهارا وأسكن به الغلمان والجواري تشبيها له بالجنة وأغش في التعرض لحرمت قومه وهلك معموما سنة ست عشرة وسبعمائة وخلف ابنه ابوسعيد طفلا ابن ثلاث عشرة سنة فبويع له وظهر الاسلام واستقامت الامور بواسطة وزير لايه يسمى جويان واستمر ابوسعيد الى ان مات سنة ست وثلاثين وسبعمائة وكان قد انعقد صلح بينه وبين ملك مصر الملك الناصر قلاوون سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وجمع الاكابر من قرابة ابي سعيد ملك التتر بالعراقيين واتصلت المهادت بينه وبين الملك الناصر ولما مات ابوسعيد لم يعقب واختلف اهل دولته وانقرض الملك من بني هلاكو وافتقرت الاعمال التي كانت في ملكهم وأصبحت طوائف في خراسان وفي عراق الجهم وفارس واذر بيجان وكذلك في بلاد الروم ولما هلك ابو سعيد سنة ست وثلاثين نصب امراء قومه الوزير غياث الدين والملك موسى خان من أسباطهم وقام بدولته الشيخ حسن بن حسين بن بيقا ابن املكان وهو ابن عم السلطان ابي سعيد فتغلب وتمكن الشيخ حسن وصار الملك والحل والعقد بيده الى ان توفي سنة سبع وخسين وسبعمائة فولى مكانه ولده اويس وتوفي سنة ست وسبعين وسبعمائة وتلك ابنه حسين بن اويس ثم تغلب عليه اخوه احمد بن اويس وقبض عليه وقتله سنة احدى وثمانين وسبعمائة واستمر احمد بن اويس الى سنة خمس وتسعين وسبعمائة فجاء تيمورلنك بجموعه وتلك العراق وبغداد فقدم احمد بن اويس على سلطان مصر السلطان برقوق مستجير اياه مستصر خايه على طلب ملكه وكان ذلك في ربيع سنة ست وتسعين وسبعمائة فأجاب صريحه ونادى في عسكره بالتجهيز وسبأني اتمام الكلام على ذلك عند ذكر تيمورلنك وذكرنا ملوك التتر متتابعين الى آخرهم ليتصل الكلام ببعضه وانرجع الى ذكر بقية فتوحات الملك الظاهر مع بقية محاربات التتر وملوك مصر بالشام

✽ ذكر فتح يافا وانطاكية وعسكا ✽

في سنة ست وستين وستمائة توجه الملك الظاهر بيبرس بعساكره المتوافرة الى انطاكية وفتح يافا وأخذها من الفرنج ثم توجه الى انطاكية ونزلها وشدد الحصار عليها الى ان ملكها

بالسيف وقتل اهلها وسبي الذراري والنساء وغنم اموالا جليلة ثم توجه الى بغراس فملكها
 وفي سنة تسع وستين نازل حصن الاكراد الى ان ملكه ثم رحل الى حصن عكا ونازله وجد
 في قتاله الى ان ملكه ثم توجه الى حصن القرين ونازله وملكه وفي سنة سبعين وستمائة أغارت
 التتر على عينتاب وطلی سروج وقيطون وانتھوا الى قرب افامية ثم رجعوا ثم نازلو البيرة
 ونصبوا عليها الحصانق وضائقوها فسار اليهم الملك الظاهر بيبرس وأراد عبور
 القرات الى ر البيرة فقاتله التتر على المخاضة فاقتحم القرات وهزم التتر فرحلوا عن
 البيرة وتركوا آلات الحصار بحالها فصارت للمسلمين وفي سنة ثلاث وسبعين
 توجه الملك الظاهر بيبرس الى بلاد سيس فدخلها بمساركة المتوافرة فغنموا ثم رجعوا
 الى دمشق وفي سنة اربع وسبعين وستمائة قصد التتر البيرة ونازلوها فتوجه اليهم الملك
 الظاهر بمساركة فلما سمعوا به ارتحلوا وفي سنة خمس وسبعين غزا الملك الظاهر بلاد الروم
 بمساركة المتوافرة والتقى في طريقه بجيش من التتر فقاتلهم وهزمهم وقتل كثيرا منهم وقتل
 مقدمهم وأسركثيرا منهم ثم سار الى قيسارية فملكها ثم سار الى عقي حارم يقتل ويأسر
 ثم عاد الى دمشق وفي سنة خمس وسبعين ايضا كان ابتداء عمل الحمل في مدة الملك الظاهر
 بيبرس بطوفون به في مصر قبل خروجه لترغيب الناس في الحج وتهيجهم ثم يسافرون به
 مع كثير من الجحاج من طريق البر وعند رجوعهم يزورون النبي صلى الله عليه وسلم وفي سنة
 ست وسبعين حج الملك الظاهر بنفسه وزار النبي صلى الله عليه وسلم وتصدق بصدقات
 كثيرة على اهل الحرمين وغسل الكعبة بيده بماء الورد ثم رجع ثم توفي في الثامن والعشرين
 من المحرم سنة سبع وستين وستمائة ومدة ملكه نحو سبع عشرة سنة وولى بعده ولده الملك
 المعيد بركة وخلع سنة ثمان وسبعين وولى ولده الآخر سلامش وخلع بعد شهرين وولى
 الملك المنصور قلاوون الصالحى وكل هؤلاء يقال لهم المماليك البحرية ويقال لدولتهم
 الدولة التركية والذين بعدهم يقال لهم الجراكسة الى ان تملك مصر السلطان سليم
 والحاصل ان ملوك مصر بعد الفاطميين الملوك الايوبية وأولهم السلطان صلاح الدين
 وآخرهم الملك الاشرف موسى بن يوسف بن الملك المسعود اقسيس بن الملك الكامل محمد
 ابن الملك العادل ابى بكر بن ايوب والملك العادل اخو السلطان صلاح الدين توارث الملك
 بنوه بعده الى سنة ثمان واربعين وستمائة وكانوا استكثروا من المماليك البحرية فتغلبوا
 على الملك وصار فيهم بعد ساداتهم وبقى الملك في المماليك البحرية مائة وستة وثلاثين
 سنة من سنة ثمان واربعين وستمائة الى سنة اربع وثمانين وسبعمائة وعدد ملوكهم اربع
 وعشرون وكان لهم ممالك من الجراكسة فتغلبوا على الملك واول ملوك المماليك
 البحرية عز الدين ايبك وآخرهم الملك الصالح شعبان بن الحسين بن الناصر قلاوون
 وملوك الجراكسة هم ممالك المماليك البحرية واولهم الملك الظاهر برقوق وآخرهم
 قانصوه الغورى ومدة ملك الجراكسة مائة وثمانية وثلاثون سنة من سنة اربع وثمانين
 وسبعمائة الى سنة اثنين وعشرين وتسبعمائة وعدد ملوكهم ثلاث وعشرون
 والسبب الجارى بتقدير الله تعالى لتمام المماليك البحرية انه في آخر الدولة الايوبية كان

هجوم الفرنسيين على دمياط وملكهم اياها وكان ملك مصر يد الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل محمد فرض ومات وأوصى بالملك لولده توران شاه وكان غائبا في قلعة حصن كيفا وكانت زوجة الملك الصالح شجرة الدر أم ولده خليل مدبرة للامور فأخفت موت الملك الصالح وأقامت على ذلك مدة وهي قائمة بالامر والنهي الى ان حضر واسده توران شاه وقاتل الفرنسيين وهزمهم وقتل منهم اكثر من مائة الف و اسر ملكهم كما تقدم ذلك كله ثم شرع في ابعاد مماليك ابيه واهانتهم وكانوا هم الامراء فانفقوا على قتله وقتلوه ثم اتفقوا على اعطاء السلطنة لشجرة الدر فكانت تلم على المناشير ويدعي لها على المنابر فكان الخطيب يقول بعد الدعاء للخليفة واحفظ اللهم الجبهة الصالحة ملكة المسلمين عصمة الدنيا والدين ام خليل المعتصم صاحبة السلطان الملك الصالح ويكتب اسمها على السكة ثمانين يوما وجعلت النائب عنها في الاحكام عز الدين ايبك وهو من مماليك الملك الصالح نجم الدين بن ايوب ثم اطلقت ملك الفرنسيين بشروط كما تقدم ثم تزوجت بنسائها فجاءهم مكتوب من بغداد من الخليفة العباسي يوبخهم فيه على قتل ملك امرأة ويقول لهم ان لم يكن عندكم رجل يرسل اليكم رجلا يتولى عليكم فانفقوا على ان يملكوا رجلا من بني ايوب فملكوا الملك الاشرف موسى المتقدم ذكره وكان صغيرا وأشركوا معه شجرة الدر ونائبها عز الدين ايبك ثم خلعوا الملك الاشرف وجعلوا السلطنة لعز الدين ايبك استقلالا ثم انه اراد ان يتزوج بنت ملك الموصل فشق ذلك على زوجته شجرة الدر فانفقت مع الطواشي محسن الجوهرى على قتل عز الدين ايبك فهاجموا عليه في الحمام فقتلوه فلما سمع مماليكه بقتله عزموا على قتل شجرة الدر فسبقتهم زوجة عز الدين ام ولده فدخلت هي وجواربها على شجرة الدر فقتلوا بالقباقب واقاموا في السلطنة نور الدين ولد عز الدين ايبك وعمره عشر سنين وجعلوا النائب عنه احد مماليك ابيه وهو الامير قطز ثم لما هجم التتر على الاقطار الشامية استحسن اهل الحل والعقد ان يخلع الملك الصغير نور الدين وان تكون السلطنة استقلالا للامير قطز يستقل بتدبير الملك والقيام بقتل التتر فأقاموا قطز في السلطنة واقربوه الملك المطفر وخلعوا نور الدين بن عز الدين ايبك ثم خرج الملك المطفر قطز بالعساكر الى الشام لقتال التتر فالتقى معهم عند عين جالوت من ارض كنعان فقاتلهم قتلا شديدا الى ان هزمهم واسر منهم خلقا كثيرا وتعلق المنهزم منهم برؤس الجبال وأخذتهم سيوف المسلمين وقتل مقدمهم واسر ابنه وأرسل قطز خلفهم بيبرس ومعه عساكر فبتهمهم الى اطراف البلاد وأنهم المطفر قطز السير بالعساكر الى دمشق وتضاعف شكر العالم لله تعالى على هذا النصر العظيم من بعد اليأس من النصرة على التتر لاستيلاءهم على معظم بلاد الاسلام لانهم ما قصدوا اقلها الا فتحوه ولا عسكرا الا هزموه وكان القتال مع التتر وهزيمتهم يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة وفي يوم دخول قطز دمشق شق جماعة من المسلمين المتسبيين للتتر ولما قرر قطز امر الشام وحلب وغيرها سار من دمشق بالعساكر واجعا الى مصر وكان الامير بيبرس سألته ان يوليها حلب قائمته فانفق مع بعض الامراء الذين كانوا مع قطز على قتله وساروا معه من دمشق يترقبون

الفرصة فلما وصل الى موضع بينه وبين الصالحية مرحلة وقد خرج النائب بمصر مع
العساكر الذين بمصر لاستقبالهم من الصالحية فبينما الملك قطز سائر اذ نارت أرنج بين
يديه فساق جواده خلفها وساق معه بيبرس والذين تواطؤا معه على قتل قطز وأبعدوا
عن العساكر السائرة معهم ثم وقفوا فتقدم واحد منهم وشفع عند قطز في انسان فأجابه
الى ذلك فأهوى ليقبل يده وقبض عليها فحمل عليه بيبرس وضربه بالسيف واجتمعوا
عليه ورموه عن فرسه ثم قتلوه وكان ذلك سابع ذي القعدة من السنة المذكورة ثم سار
بيبرس ومن معه حتى وصلوا الصالحية فوجدوا العساكر التي خرجت من مصر لاستقبالهم
ومعهم نائب السلطنة فارس الدين اقطار ينتظرون قدوم الملك قطز فلما علم نائب السلطنة الخبر
منهم سألهم من قتله منكم فقال لهم بيبرس انا فقال نائب السلطنة يا خوند اجلس في مرتبة
السلطنة ومعنى خوند الكبير الشأن فجلس واستدعى العساكر للتخليف خلفوا له واستقر الملك
لبيبرس ثم ساق وسبق العسكر الى قلعة الجبل ففتحت له ودخلها وكانت مصر قد زينت
لقدوم قطز فاستمرت الزينة للملك الظاهر بيبرس فسبحان من يدبر ملكه كيف يشاء ولا يستل
عما يفعل فان له في كل شيء حكمة وكان بيبرس في الأصل مملوكا لا يدكين البندقدار
الصالحى ثم اشتراه الملك الصالح نجم الدين بن ايوب قال ابن الوردي في تاريخه ان الملك
الظاهر بيبرس كان على قدم من الديانة وكان ملازما للخمس في اوقاتها وألزم حاشيته بها
وحكى عنه انه ما شرب خرا قط ومنع كل مسكر وكان يحصل من مكس المسكر بمصر كل
يوم ألف دينار فأبطله ولما حج رؤى بسبب الكعبة محرما يأخذ بأيدي ضعفاء الرعية
ليصعدوا وعمل السور الدياج للكعبة والحجرة النبوية وخطب مرة المجد اسماعيل الواسطي
والسلطان بيبرس حاضر فقال في الخطبة ايها السلطان انك لن تدعى يوم القيامة يا ايها
السلطان لكن تدعى باسمك وكل منهم يسأل عن نفسه الا انت تسأل عن رعاياك
فاجعل كبيرهم ابا وأوسطهم أخا وصغيرهم ولدا فاستعذب وعظه وأجزل عطاءه وكان له
في السنة عشرة آلاف أردب تفرق في الفقراء والمساكين ووقف اوقافا على جهات عديدة
واستثنى سنن العمرين ونصب للناس خليفة وفتح انطاكية وبغراس والقصير وحصن
الكراد وحصن عكا والقرين وصافيتا ومراقبة وأمنت لهيبته السبل ويكفيك فعله بالتر
بعين جالوت وخوضته اليهم غمرات الموت مرات فشكر الله سبحانه وانما ذكرت مبدأ دولة
المماليك البحرية والجزاكسة الى آخر ما تقدم استطرادا وان كان خارجا عما التأليف يصده
تكثيرا للقوائد ولما في ذلك من الاعتبار لذوى الألبصار والله ولى التوفيق ولترجع الى ما
نحن بصده في سنة ثمانين وسقائة جاءت جيوش من التتر الى البلاد الشامية وكان ذلك
في مدة سلطنة الملك المنصور قلاوون بمصر فخرج لقتالهم وكان المصاف العظيم بين المسلمين
والتتر بظاهر حصن فنصر الله المسلمين بعد ما كانوا أيقنوا بالبورار وانهم انتزعتهم قبيحة
وكثر القتل والأسر فيهم وكان عدة جيش التتر ثمانين الفا وعاد السلطان الى دمشق
والأسرى والرؤس بين يديه وفي سنة اربع وثمانين وسقائة سار الملك المنصور قلاوون
بمعاكره ونازل حصن الرقب وهو حصن في نهاية العلو والمناينة والحصانة لم يطعم احد

من الملوك الماضين في فتحه فلما زحف العسكر عليه اخذ الجارون فيه النقب ونصبت عليه عدة مجانيق فلما تمكنت القلوب من أسوار القلعة طلب اهله الامان فأجابهم السلطان رغبة في ابقاء عمارته فانه لو أخذه بالسيف لهدمه فيحصل التعب في إعادة عمارته فأعطى اهله الامان على ان يتوجهوا بما يقدرون على حمله غير السلاح وتسلم الحصن وقرر أمره ورتبه وارتحل الى الوطاة بالساحل وأقام بمروج ثم سار ونزل تحت حصن الاكراد ثم سار ونزل على بحيرة حص وفي سنة ست وثمانين سار الى قلعة صهيون ونصب عليها المجانيق وضايقها بالحصار فاجابه صاحبها الى تسليمها بالامان فتسلمها ثم سار الى اللاذقية وكان بها برج للفرنج يحيط به البحر من جميع جهاته فركب طريقا اليه في البحر للحجارة وحاصر البرج المذكور ثم تسلمه بالامان وهدمه ثم رجع الى مصر وأرسل جيشا الى النوبة فغنموا وعادوا وفي سنة ثمان وثمانين سار السلطان بعساكره ونازل طرابلس الشام وكانت بيد الفرنج ونصب عليها المجانيق الكبار والصغار ولازمها بالحصار وشدد عليها القتال حتى فتحها بالسيف ودخلها العسكر عنوة فهرب بعض اهله الى المراكب وقتل غالب رجالها ووسيت ذراريهم ونساءهم وغنم منهم المسلمون غنية عظيمة وكان في البحر قريبا من طرابلس جزيرة وفيها كنيسة فهرب اليها كثير من الفرنج رجالا ونساء فاقبضهم العسكر الاسلامي البحر وعبروا بنحويولهم سباحة الى الجزيرة فقتلوا جميع من فيها من الرجال وسبوا من فيها من النساء والصغار وغنموا ما فيها من الاموال وكان الفرنج قد استولوا على طرابلس الشام سنة ثلاث وخمسمائة فبقيت في ايديهم الى هذه السنة أعني سنة ثمان وثمانين وستمائة فتكون مدة لبثها مع الفرنج مائة سنة وخمسا وثمانين سنة وشهورا وتوفي الملك المنصور قلاوون سنة تسع وثمانين وأقيم في السلطنة بعده ولده الملك الاشرف صلاح الدين خليل

ذكر فتح عكا

في سنة تسعين وستمائة جهز السلطان صلاح الدين خليل بن قلاوون عساكره الوافرة لفتح عكا وصحب معه المجانيق وآلات الحصار فنازلها وشدد عليها القتال ولم يفلح الفرنج غالب ابوابها بل كانت مفتحة وهم يقاتلون فيها واشتدت مضايقة العسكر لمعاكحتي فتحها الله تعالى ظهر يوم الجمعة السابع عشر من شهر جادى الآخرة بالسيف ولما هجمها المسلمون هرب جماعة ممن كانوا فيها من الفرنج الى المراكب وقتل المسلمون من بقي منهم بعكا وكانوا كثيرين وغنموا شيايفوت الحصر ومن عجائب الاتفاق ان الفرنج استولوا على عكا وأخذوها من السلطان صلاح الدين الايوبي ظهر يوم الجمعة سابع عشر جادى الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسمائة واستولوا على من بها من المسلمين ثم قتلوهم فبقيت تحت ايديهم مائة سنة وثلاث سنين فقدر الله في سابق علمه انها تفتح في هذه السنة في يوم الجمعة سابع عشر جادى الآخرة على يد السلطان صلاح الدين فكان فتوحها في مثل اليوم الذي ملته عكا الفرنج فيه وكذلك لقب السلطانين اذ كل منهما يلقب صلاح الدين ونسبهما في فتح عكا على ذلك عند ذكر أخذ الفرنج لها

✽ ذكر فتوح عدة حصون ✽

لما فتحت عكا ألقى الله الرعب في قلوب الفرنج الذين بساحل الشام فأخلوا صيدا وبيروت وتسليمها المسلمون وهرب أهل مدينة صور فأرسل السلطان من تسليمها ثم تسلم عكا ثم انظر طوس واتفق لهذا السلطان من السعادة ما لم يتفق لغيره من فتح هذه البلاد العظيمة الحصينة بغير قتال ولا تعب وتكاملت بهذه الفتوحات جميع البلاد الساحلية للإسلام وكان أمرا لا يطمع فيه ولا يرام وتطهر الشام والسواحل من الفرنج بعد أن كانوا أشرفوا على أخذ الديار المصرية وعلى ملك دمشق وغيرهما من الشام فله الحمد والمنة على ذلك وقد تقدم فتح حلب سنة أربع وستين وكان التتر قد خربوا قلعتها فأمر السلطان بعمارها فتمت في سنة تسعين وكان تخريبها في سنة ثمان وخمسين فكان أبشعها على التخريب نحو ثلاث وثلاثين سنة

✽ ذكر فتح قلعة الروم ✽

هي قلعة على جانب الفرات في غاية الحصانة سار إلى فتحها السلطان صلاح الدين فلا وون في سنة إحدى وتسعين بكثير من الجيوش ونصب عليها الحمايق واشتدت مضايقتها ودام حصارها وفتحت بالسيف وقتل أهلها وسبيت ذراريهم واعتصم جماعة من أهلها بالقلعة فخـوصروا ورمى عليهم بالنجنيق فطلبوا الأمان فلم يؤمنهم إلا على أرواحهم خاصة وإن يكونوا أسرى فأجابوا إلى ذلك ثم أمر السلطان بمماراة القلعة ورجع إلى دمشق وفي سنة ثلاث وتسعين قتل السلطان صلاح الدين قتله بعض مماليك أبيه وتسلطن بعده أخوه الملك الناصر وفي سنة سبع وتسعين وستائة تجهزت العساكر من مصر ثم ساروا إلى الشام ثم ساروا إلى بلاد سيس وشنوا عليهم الغارات وكبسوهم وغنموها وأعادوا ثم ساروا مرة أخرى وزلوا على حصن وحاصروها وضيقوا على أهلها وكان بها من الأرمن جمع كثير فقل عليهم الماء واشتد بهم العطش وهلك النساء والأطفال فأخرج أهل حصن منها نحو ألف ومائتين من النساء والصبيان فتعاقبهم العساكر وغنموهم واستمر الحصار فضاقت على الأرمن الأرض بما رحبت وهلكوا من كثرة من قتل منهم وغنم منهم المسلمون غنائم كثيرة فطلبوا الأمان وسلموا حصن وحوص وجبى البلاد التي في جنوبي نهر جيمان ثم سلمت تل جدون بمدتها ثم باقى الحصون في شوال سنة سبع وتسعين وستائة فرتب المسلمون فيها من يقوم بها ويحميها وفي سنة تسع وتسعين وستائة أقبلت التتر بجموع كثيرة وعبروا الفرات إلى حلب ثم إلى حماة فخرجت لهم جموع المسلمين والتحقوا بجمع الروم من شرق حصن واقتتلوا قتالا شديدا وانهمزت جيوش المسلمين وساق التتر خلفهم إلى غزة والقدس وبلاد الكرك وغنموا من المنهزمين شيئا كثيرا وأخذ أهل دمشق الأمان وملكه التتر وعصت عليه القلعة فخاصروها فصبر المسلمون على الحصار ولم يسلموها وأحرقت الدور التي حول القلعة والمدارس ثم إن عساكر مصر لما قانصوا إياهم إلى مصر رسم لهم بالنفقة فانفق السلطان عليهم أموالا جليلة وأصلحو أحوالهم وسبعمائة هدهدتهم وخيولهم وخرجوا من مصر في العشر الأول من رجب من سنة تسع والسبب الجار أنبوا المسلمين الذين بالشام في السر وصاروا معهم فلما خرجت العساكر من مصر

بلغ ذلك التتر فخافوا وساروا من وقتهم الى الديار الشرقية وخلا الشام منهم فوصلت
العساكر الاسلامية الى الشام ورتبوا امراءها وغيرهم وفعلوا مثل ذلك بحلب
وحماه وغيرهما ولما استولى التتر على الشام طمع الارمن في البلاد التي افتتحتها المسلمون
منهم وعجز المسلمون عن حفظها فتركها الذين بها وأخلوها من العسكر والرجال فاستولى الارمن
عليها وارتجعوا حوص وتل حدون وكوبر وسرفدكار والنفير وغيرها ولم يبق مع
المسلمين من جميع تلك القلاع غير قلعة جرجان واستولى الارمن ايضا على غيرها من
الحصون والبلاد التي كانت جنوبي نهر جيحان وفي سنة سبع مائة عادت التتر وقصدت الشام
وعبروا القرات في ربيع الآخر وجعلت المسلمون منهم وخلت بلاد حلب وأقامت التتر ببلاد
سرمين والمعرفة وتبرلين والعمق وغيرها ينهبون ويقتلون وكان ذلك في مدة السلطان الناصر قلاوون
فسار السلطان والعساكر الاسلامية لقتالهم من مصر ووصلوا الى العوجاء واتفق في
تلك المرة تابع الامطار الى الغاية واشتدت الوحول حتى تقطعت الطرقات وتعذرت
الاقوات وعجزت العساكر عن المقام على تلك الحال فرحل السلطان والعساكر وعادوا
الى الديار المصرية فوصلوا مصر في عاشر جادى الاولى من هذه السنة وامانوا بالبلاد
يتقلون في بلاد حلب واعمالها نحو ثلاثة اشهر ثم ان الله تعالى تدارك المسلمين بمناجاة
على أعقابهم بقدرته فعادوا الى بلادهم وعبروا القرات في اواخر جادى الآخرة من هذه
السنة ورجع عساكر حلب الى حلب وترا جمعت الجفال الى اماكنهم ولما كان اوائل هذه
القصعة وجاءت الاخبار الى مصر بعود التتر الى الشام أخرج غالب الاغنياء من اهل الشام
ومصر ثلث أموالهم لاستخدام المقاتلة واعانتهم وفي سنة احدى وسبع مائة خرجت العساكر
الاسلامية لقتال الارمن وانتشروا في بلاد سيس وحرقوا الزروع وقتلوا من وجدوه وغنموا
شيا كثيرا وفي سنة اثنين وسبع مائة غزا المسلمون جزيرة ارواد وهي جزيرة في بحر الروم قبالة
انطراطوس قريتان من الساحل اجتمع فيها كثير من الفرنج وبنوا فيها حصونا وسورا وتحصنوا
في هذه الجزيرة وكانوا يطلعون منها ويقطعون الطريق على المسلمين المترددين في ذلك الساحل
فالتحق المسلمون اسطولا وساروا اليها من الديار المصرية في بحر الروم ووصلوا اليها في
الحرم من هذه السنة وجرى بينهم وبين الفرنج قتال شديد ونصر الله المسلمين وملكو الجزيرة
المذكورة وقتلوا وأسروا جميع اهلها وخربوا أسوارها وعادوا الى الديار المصرية
بالاسرى والغنائم

✽ ذكر دخول التتر الى الشام وكسرتهم مرة بعد اخرى ✽

في سنة اثنين وسبع مائة عاودت التتر قصد الشام وساروا الى القرات وأقاموا عليها مدة في
أزوارها وسارت منهم طائفة قدر عشرة آلاف وأغاروا على القرى تبين وتلك النواحي
وكانت العساكر الاسلامية قد اجتمعت بحماه وأرسلوا جماعة من العساكر
لقتال الذين أغاروا على القرى تبين فالتقوا بالتتر سابع شعبان في موضع يقال له الكوم
واقبلوا وصبر الفريقان ثم نصر الله المسلمين وولى التتر نهزمين وترجل منهم جماعة كثيرة

عن خيلهم وأحاط بهم المسلمون بعد فراغهم من الوقعة وبذلوا لهم الامان فلم يقبلوا وقاتلوا بالنشاب وعللوا سروج الخيل ستائر وناوشهم العساكر القتال من انضحى الى انفراك الظهر ثم حملوا عليهم فقتلواهم عن آخرهم فكان هذا النصر عنوان النصر الثاني على ما ذكره ثم عاد المسلمون الى حياه منصورين ثامن عشر شعبان

✽ ذكر المصاف الثاني والنصرة العظيمة ✽

ثم بعد وقعة الكوم سار التتر بمجموعهم العظيمة ووصلوا الى حياه في الثالث والعشرين من شعبان من السنة المذكورة وجاء كثير من العساكر الاسلامية من دمشق ومصر وجاء السلطان الناصر بياقي العساكر الاسلامية والتقى الفريقان في ثاني رمضان واشتد القتال بينهم واستشهد من المسلمين خلق كثير ثم ازل الله نصره على المسلمين فهزموا التتروا كثروا القتل فيهم فولوا منهزمين لا يلوى بعضهم على بعض وحال الابل بين الفريقين فبرل التتر على جبل هناك بطرف مرج الصفر وأشعلوا النيران فأحاط المسلمون بهم فلما أصبح الصباح وشاهد التتر كثرة المسلمين انحدروا من الجبل يتدرون الهرب فتبعهم المسلمون وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وكان في طريقهم ارض متوحلة فتوحد فيها عالم كثير من التتر فأخذ بعضهم أسرى وقتل بعضهم وساق كثير من العساكر الاسلامية في اثر التتر المنهزمين الى القريتين ووصل التتر الى القرية وهي في قوة زيادتها فلم يقدر على العبور والذي عبر فيها هلك فساروا على جانبها الى جهة بغداد فانقطع أكثرهم على شاطئ القرية وهلك من الجوع وأخذ منهم العرب جماعة كثيرة وأخلف الله تعالى بهذه الوقعة ما جرى على المسلمين في المصاف الذي كان بلدة حص سنة تسع وتسعين وسثمائة وفي سنة ثلاث وسبعمئة خرجت العساكر من مصر ودخلوا بلاد سويس وحاصروا تل حديدون وفتحوها بالامان واربع مائة من الارمن وهدموها الى الارض

✽ ذكر اغارة عسكر حلب على بلاد سويس ✽

عند الدروب المجاورة لحلب وكانت كرسي املك الارمن والارمن قوم دخلوا في الملة النصرانية وكانت مواطنهم ارمينية ثم لما ملك المسلمون بلادهم وضرخوا عليهم الجزية وأخذوا منهم خلائط وكانت كرسي ملكهم فالتفتل ملكهم الى سويس وكانوا يؤدون الضريبة للمسلمين ولما ظهر التتر دخلوا في طاعتهم وأجلبوا معهم في غزواتهم الى الشام ثم صار ملوك مصر يغزون بلادهم ويغيرون عليهم ففي أوائل المحرم من سنة خمس وسبعمئة خرجت عساكر من حلب للاغارة على بلاد سويس فدخلوها وكان امير العسكر ضعيف العقل قليل التدبير مشتملا بشرب الخمر ففرط في حفظ العسكر ولم يكشف خبر العدو واستهان بهم فجمع صاحب سويس جوعا كثيرة من التتروا انضم اليهم الارمن والفرنج ووصلوا على غرة الى عسكر حلب فالتقوا بالقرب من اياس فلم يكن للحليبيين قدرة على مجاهمتهم فتولوا يتدرون الطريق وتمكنت منهم التتروا الارمن فقتلوا واسروا غالبهم واختفى من سلم في تلك الجبال ولم يصل الى حلب منهم الا القليل عرايا بغير خيل وفي هذه السنة سار عسكر من دمشق الى جبال الظنبيين وكانوا عصاة مارقين من الدين فأحاطت بهم العساكر الاسلامية بتلك الجبال المنبئة

وترجلوا عن خيولهم وصعدوا في تلك الجبال من كل الجهات وقتلوا وأسروا جميع من بها من النصرانية والظنين وغيرهم من المارقين وظهرت تلك الجبال منهم وهي جبال شاهقة بين دمشق وطرابلس وأمنت الطرق بعد ذلك فانهم كانوا يقطعون الطريق ويخطفون المسلمين ويبيعونهم للكفار وفي سنة ثمان وسبعمائة ملك الفرنج مدينة رودس وأخذتها من الروم قال الحافظ ابن جرير في تاريخ مصر فتحت رودس في خلافة معاوية رضي الله عنه وأمر جماعة من المسلمين بالاقامة بها فلما ولي يزيد أمرهم بالتحول خشية عليهم فعملوا وتركوها ووضع الجزية والخراج على أهلها ثم ملكها الروم واستولوا عليها وتغلبوا ثم أخذتها الفرنج منهم وفي سنة ثلثي عشرة وسبعمائة أقبلت التتر يجمعونها وجفل أهل حلب وبلادها عند سماعهم الاخبار بأقبال التتر ثم وصلت التتر إلى بلاد سبسطية وكذلك وصلوا إلى القسرات ثم نازلوا الرحبة وحاصروها ونصبوا عليها المجانيق وأخذوا فيها القنوب فقام أهل الرحبة بحفظ القلعة أحسن قيام وصبروا على الحصار وقتلوا أشد القتال فتجهزت العساكر الإسلامية من كل ناحية لانجسادهم وأصاب التتر شدة جوع وغلاء وفناء وتعذرت عليهم الادوية وسمعوا بأقبال جيوش الاسلام فارتحلوا خائفين بعد حصار نحو شهر وتركوا المجانيق والحصار على حالها فنزل أهل الرحبة واستولوا عليها ونقلوها إلى الرحبة ورجعت عسائر الاسلام وكفى الله المؤمنين القتال

ذكر فتح ملطية وكانت بيد الارمن

في سنة خمسة عشر وسبعمائة فتحت ملطية وهي مدينة مشهورة بارض الروم ذات اشجار وأنهار وهي قامة الثغور ويخف بها جبال قيل انه كان بها اثنا عشر الف نول يعمل الصوف وسبب تجهز الجيوش لغتها انه كان بها جماعة من المسلمين اختلطوا بالنصارى حتى انهم زوجوا الرجل النصراني بالمسلمة وكانت الاجناد من المسلمين لا يقطعون عن الاغارة على المدو بلاد الروم وغيرها وكانت طريقهم في غالب الاوقات تكون قريب ملطية فاتفقوا أن أهل ملطية ظفروا ببعض الغيار المذكورين فأسروهم وقتلوا جماعة من المسلمين فلما جرى ذلك أرسل السلطان ناصر الدين قلاوون عسكريا ضخما من الديار المصرية فساروا إلى دمشق ورسم السلطان لجميع عساكر الشام بالمسير معه وكذا عسكر حماه وحلب وسائر الجميع حتى وصلوا ملطية ونزلوها في الثاني والعشرين من المحرم من السنة المذكورة فأخذ قواها وحاصروها وخرج جماعة منها وطلبوا الامان لأنفسهم فأمنوا واتفق ان الباب الذي فتح لخروجهم قبالة عسكر حماه فهجموا على المدينة من الباب المذكور وخرج الامر عن الضبط لكثرة العساكر الطماعة فنهبوا جميع ما فيها من أموال المسلمين والنصارى حتى لم يدعوا فيها الا ما كان مطمورا ولم يعلوا به وكذلك استرقوا جميع أهلها من المسلمين والنصارى ثم بعد ذلك وقع الانكار التام على من استرق مسلما او مسلمة وعرضوا الجميع فأطلق جميع المسلمين من الرجال والنساء واما أموالهم فانها ذهبت واستمر النصارى في الرق عن آخرهم ثم لما كان من نهب ملطية ما ذكرناه ألقى العسكر فيها النار فاحترق غالبها وخرب العسكر

ما أمكن من أسوارها وأقام جيش المسلمين بها يوماً واحداً أوليلة ثم ارتحلوا عائدين إلى بلادهم
وبعثوا رسلاً إلى صاحب بلاد سبيس في إعادة البلاد التي في جنوبي جيحان وزيادة القطيعة
فزاد القطيعة حتى جعلها نحو ألف ألف درهم

ذكر الاغارة على سبيس وبلادها

في سنة عشرين وسبعمائة برزت المراسيم السلطانية من السلطان الناصر قلاوون بتجهيز
العساكر والاغارة على بلاد سبيس فخرجت عساكر من مصر والشام وحلب ودخلوا
بلاد سبيس في منتصف ربيع الآخر ونازلوا قلعة سبيس وزحفوا العساكر عليها حتى
بلغوا السور وغنموا غنائم كثيرة وأتلفوا البلاد والزراعات وساقوا المواشي وكان شياً
كثيراً وأقاموا يتهبون ويخربون ورجعوا سالمين منصورين

ذكر فتوح اياس من بلاد سبيس

في سنة اثنين وعشرين وسبعمائة توجهت العساكر حتى نازلوا اياس من بلاد سبيس وحاصروها
ومدكوها بالسيف وعصت عليهم القلعة التي في البحر فأقام المسلمون عليها منجنيقا
عظيماً وركب المسلمون اليها طريقين في البحر إلى أن قاربوا القلعة فهربت الأرم من منها وأخلوها
وألقوا في القلعة ناراً فلك المسلمون القلعة وهدموا ما قدروا على هدمه وعاد كل عسكر إلى
بلادهم وفي سنة سبع وعشرين وسبعمائة في رمضان ورد إلى دمشق مائة وأربعون أسيراً من
بلاد الفرنج وذلك أن قاضي القضاة جلال الدين أشهدانه جعل لكل من يحضر أسيراً مبلغاً
عينه وكتب بذلك مكتوباً وعرف الفرنج ذلك فجعلوا الأمر من تجارتهم وأحضروهم
فأعطوا من وقف الأمر ستين ألف درهم وأطلقوا الأمر بحمد الله تعالى

غزوة عساكر حلب بلاد سبيس

في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة غزا عسكر حلب بلاد سبيس وخربوا في اذنة وطر سوس
وأحرقوا الزرع واستاقوا المواشي وأتوا بجائتين وأربعين أسيراً وما عدى من المسلمين سوى
شخص واحد غرق في النهر وكان العسكر عشرة آلاف سوى من تبعهم فلما علم أهل اياس
بذلك أحاطوا بمن عندهم من المسلمين التجار وغيرهم وحبسوهم في خان ثم أحرقوه فقتل من نجا
فعلوا ذلك بنحو ألفي رجل من التجار البغادة وغيرهم في يوم عيد الفطر فله الأمر من قبل ومن بعد
وفي سنة سبع وثلاثين وسبعمائة توجهت العساكر المصرية والشامية لغزو بلاد الأرم
فنزّلوا في ثاني شوال على ميناء اياس وحاصروها ثلاثة أيام ثم قدم رسول الأرم من
دمشق ومعه كتاب من نايب الشام بالكف عنهم على أن يسلموا القلاع والبلاد التي في شرقي
نهر جيحان فتسلموا منهم ذلك وهو شئ كثير وملك كبير كالمصبعة وكوبرا والهارونية
وسرفندكارو اياس وباناس ونجدة والنقير فحارب المسلمون برج اياس الذي في البحر
واستلبوا في البلاد نواباً وعادوا سالمين ولله الحمد وهذا فتح اشتمل على فتوح وترك الأرم
جسداً بلا روح وفي سنة احدى وأربعين وسبعمائة توفي السلطان الملك الناصر محمد
قلاوون وأقيم بعده ولده الملك المنصور ابوبكر وفي سنة أربع وأربعين أغارت التركان مرات
على بلاد سبيس فقتلوا ونهبوا وشقوا الغلب من الأرم وفي سنة أربعين ملك التركان

قلعة كابان بالحيلة وهى من أمنع قلاع سيس وقتلوا رجالها وسبوا النساء والاطفال فبادر صاحب سيس لاستنقاذها فصادفه ابن دلقاذر فأوقع بالآخر من وقتل منهم خلقا وانهمزم الباقون

واقعة الاسكندرية سنة ٧٦٧ سبع وستين وسبع مائة

قال ابن خلدون كان اهل قبرس من ائمة النصرانية من بقايا الروم وانما يفسون هذا العهد الى الافرنج لظهور الافرنج على سائر ائمة النصرانية وكان على اهل قبرس جزية معلومة يؤدونها لصاحب مصر وما زالت من لدن فتحها على يد معاوية وكانوا اذا منعوا الجزية يسلط صاحب الشام عليهم اساطيل المسلمين فيفسدون مراسيها ويمشون في سواحلها حتى يستغيثوا لاداء الجزية وكان الظاهر ببيرس بعث اليها سنة تسع وستين وستمائة اسطولاً من الشواني فطرقت مرساها ليلا فتكسرت لكثرة الحجارة المحيطة بها في كل ناحية ثم غلب لهذه العصور اهل جفوة من الافرنج على جزيرة رودس حازتها من يد لشكري صاحب القسطنطينية سنة ثمان وسبع مائة وأخذوا محنتها واقام اهل قبرس معهم بين فتنة وصلاح وحرب آخر أيامهم وجزيرة قبرس هذه على مسافة يوم وليلة في البحر قبالة طرابلس مصر على سواحل الشام ومصر فاطلعوا في بعض الايام على غرة في الاسكندرية فأخبروا حاجبهم فعزم على انتهاز الفرصة فيها فنهض في اساطيله واستنفر من سائر الافرنج ووافا مرساها سابع عشر من المحرم سنة سبع وستين وسبع مائة في اسطول عظيم يقال انه بلغ سبعين مركبا مشحونة بالعدة والعدد ومعها الفرسان المقاتلة بخيولهم فلما أرسى بها قدمهم الى السواحل وعي صفوفه وزحف وقد غص الساحل بالنظارة برزوا من البلد على سبيل النزهة لايلاقون بالانامهم فيه ولا ينظرون مغبة امره لبعدهم بالهرب وحاشيتهم يومئذ قليلة وأسوارهم من الرماة المناضلين دون الحصون خالية ونائبها القائم بمصالحها في الحرب والسلام خليل بن عوام غائب يومئذ في قضاء غرضه فها هو الان رجعت تلك الصفوف على التعبية ونحو القوم بالنبل فأجفلوا متساقين الى المدينة واغلقوا أبوابها وصعدوا الى الاسوار ينظرون ووصل القوم الى الباب فأحرقوه واقتحموا المدينة واضطرب اهلها وماج بعضهم في بعض ثم أجفلوا الى جهة البر بما يمكنهم من عيالهم وولدهم وما اقتدروا عليه من اموالهم وسالت بهم الطرق والباطح ذاهبين في عروجه حيرة ودهشا وشعر بهم الاعراب اهل الضاحية فتخطفوا الكثير منهم وتوسط الافرنج المدينة ونهبوا ما مروا عليه من الدور وأسواق البر ودكاكين الصيارفة ومقاعد التجار وملؤا سفنهم من المتاع والبضائع والذخيرة والصامت واحتملوا ما استولوا عليه من السبي والأسرى واكثر ما فيهم الصبيان والنساء ثم تسائل اليهم الصريح من العرب وغيرهم فانكفأ الافرنج الى اساطيلهم ومكثوا فيها بقية يومهم وأقلعوا عن الغد وثار الخبر الى كافل الدولة بمصر الأمير بيبقلا أن السلطان الاشرف شعبان كان صغيرا وكان بيبقا كافل دولته وقائما بتدبير أمر دولته فقام في ركائبه وخرج لوقته بسلطانه وعساكره ومعه ابن عوام نائب الاسكندرية منصرفا من الحج ومعهم كثير من الأمراء والعساكر ونياتهم في الجهاد صادقة حتى بلغهم الخبر في طريقهم باقلاع العدو

فلم يثمه ذلك واستمر الى الاسكندرية وشاهد ما وقع بها من معرة الخراب وآثار الفساد فامر
بهدم ذلك واصلاحه ورجع الى دار الملك وقامت ثلاث جوائح غيظا وحقنا على اهل
قبرس فامر بأثناء مائة اسطول معترضا على غزو قبرس بجميع من معه من عساكر المسلمين
بالديار المصرية واحتفل في الاستعداد لذلك واستكثر من آلات الحصار ومن السلاح وكل
غرضه من ذلك كله ثم لم يقدر على انجاز غرضه الا في سنة ثمانمائة وتسع وعشرين كما
سيأتى ان شاء الله وسبب هذا التأخير كثرة الفتن الواقعة بين امراء مصر مع بعضهم

✽ انقراض دولة الأرمن والاستيلاء على سيس ✽

في سنة ست وسبعين وسبعمائة في دولة الملك الاشرف شعبان بن حسن بن الناصر قلاوون
تجهز جيش للمسلمين لغزو بلاد سيس وكان قائد الجيش المارد بنى نائب حلب فحاصره شهرين
ونصب عليها المجانيق واستدعى اصناف التركان للقتال فلما طال الحصار عليهم واستد الضيق
م نزل رئيسهم تكفور بالاثمان فأرسله الى مصر ودقت البشار بذلك قال ابن خلدون
افرنائب حلب سنة ست وسبعين بالعساكر الى بلاد الأرمن ففتح سائر أعمالها واستولى
على ملكها تكفور بالاثمان فوصل بأهله وولده الى الأبواب السلطانية ورتبت لهم
الارزاق واستولى السلطان على سيس وانقرض منها ملك الأرمن وجعل السلطان نيابة
سيس ليعقوب شاه ثم أضيف اليها طرسوس واذنة وأياس وغيرها وفي سنة ثمانين وسبعمائة
نازل الافرنج طرابلس الشام فجهز السلطان عدة مراكب صعبة يلعبا الناصري فالتقى بهم
فهزمهم ثم امر العساكر أن يتأخروا فطمع فيهم الفرنج الى ان بعدوا عن البحر فرجع عليهم
بالعساكر فهزمهم وقتل كثيرا منهم وفر من بقي وطلعوا الى المراكب وفي سنة خمس وثمانين
وسبعمائة نازل الفرنج بيروت في عشرين مركبا فراسل المسلمون نائب الشام فتقاعد عنهم
واعتل باحتياجه الى مرسوم من السلطان فنادى اينال اليوسفي بالغزو والجهاد فنفر معه
جماعة فحال بين الافرنج والبحر وقتل كثيرا منهم ونزل اليه بقية الافرنج من المراكب
قاتلونه فهزمهم وقتل كثيرا منهم وغنم من مراكبهم ستة عشر مركبا قبضها واستولى
عليها فكان للمسلمين بذلك سرور عظيم وفي سنة سبع وثمانين وسبعمائة أنشأ المسلمون شواني
بكثيرا لغزو الافرنج في البحر الرومي واجتهدوا في علمهم وسيروا الشواني الى دمياط
فوجدوا بساحل دمياط غرابا للافرنج فكبسوا عليه واستولوا عليه وأسروا من فيه وفي
سنة تسعين وسبعمائة كانت وقعة عظيمة بناحية سيواس بين المسلمين والتركمان النصر فيها
للمسلمين وفي هذه السنين كان ظهور رتيورنك بالديار الهندية وخراسان والعراق وكان
ظهوره من أشد المحن والبلايا على هذه الأمة فانه أفسد في الارض وأهلك الحرث والنسل
بأنذركر تلخيص وقائمه ثم نمود الى اتمام الكلام على فتوحات ملوك مصر والروم والله
المستعان وسيأتى ان مسير رتيور الى الشام كان سنة ثلاث وثمانمائة وحصل انذار من الله بذلك المسير
الذي كان فيه البلاء قبل وقوعه وذلك ان اول انذار هو الحريق الذي وقع في المسجد الحرام سنة
اثنتين وثمانمائة قال النجم ابن فهد وتحدث اهل المعرفة بأن هذا بئذ بحادث جليل يقع في

الناس وكان كذلك فقد وقعت المحن العظيمة بقدم تيمورلنك الى بلاد الشام وبلاد الروم وسفك
دماء المسلمين وسبي ذرارهم ونهب أموالهم وأحرق مساكنهم ودورهم وكان ذلك الحريق
الواقع في المسجد الحرام المنذر بذلك في أواخر شوال سنة ثمانمائة واثنين في مدة سلطنة
الملك الناصر فرج بن برقوق وكان الحريق من جهة الجانب الغربي واتصل منه بالسقف
وعم الحريق الجانب الغربي وبعض الرواقين المقدمين من الجانب الشمالي الى محاذة باب
الباسطية بما كان من السقوف والاساطين وكانت السقوف كلها من الخشب الساج وصار التعمير
لهذا كله بعد ذلك وأعيد السقف خشباً كما كان وفرغوا من التعمير سنة ثمانمائة واربعة وكان
امير مكة الشريف حسن بن عثمان

ذكر ظهور التيمور

انما ذكرنا التيمور وقتاله وان كان يدعى الاسلام لان قتاله مثل قتال الكفار لانه فعل أفعالا
مع المسلمين أكثر مما فعله الكفار من القتل والاسر والتخريب وكان رافضيا شديدا لرفض
وسبب خروجه ان ملوك التتر اقتسموا الممالك وانتشرت الفتن بينهم مع بعضهم وكثر
عليهم الثوار والخارجون وكان ذلك كله سببا لضعف دولة التتر وموجبا لقيام تيمور وغيره
واختلفوا في نسب تيمور فقيل ان نسبه ينتهي الى جنكزخان ملك التتر وفي تاريخ ابن خلدون
ان تيمور ينسب هو وقومه الى جغتاي بن جنكزخان وجزم بعضهم بأن نسبه الى جغتاي بن
جنكزخان انما هو من جهة امه لان جهة ابيه وكان اول ظهوره سنة سبعمائة وثلاث وسبعين
وأرخه بعضهم بقوله عذاب ٧٧٣ وهو أحد الدجالين الموعود بهم في الاخبار النبوية
فانه تغلب على الممالك الاسلامية وأكثر القتل وفسد الارض وأهلك الحرث والنسل
وكان مبدأ أمره وأمر ابيه انهما كانا فقيرين وكان ابوه اسكافيا من قرية من أعمال كش
وهي مدينة من مدائن ما وراء النهر ونشأ ولده تيمور جلدا قويا ذا جسم غليظ فكان لشدة
فقره يسرق كثير افسرق في بعض الليالي شاة واحتملها فشمر به الراعي فرماه بسهمين
أصاب باحدهما فخذه وبالأخرى كتفه فأما بهما فكان اعرج الينوين ولذلك كان يقال له
نصف انسان ومع هذا لم يترك المارقة فما زال كذلك حتى اشتهر امره وافساده فظفر به
السلطان حسين ملك هراة فأمر بضربه ثم بصلبه فضرب ثم تشفع في ترك صلبه الامير
غياث الدين بن السلطان حسين المذكور فقال له ابوه السلطان حسين هذا اصل مادة
الفساد لئن بقي ليهلك العباد والبلاد فقال له ابنه غياث الدين وما عسى
ان يصدر من نصف آدمي وقد أصيب بالدواهي فما زال يراجع اباه حتى قبل شفاعته
ووهبه له وعفى عنه ثم ان غياث الدين اصطحبه معه وقربه وادناه وجعله من خواصه
وزوجه اخته ورقاه حتى صار من وزراء فلما صار الملك لغياث الدين بعد موت
ابيه حسين ازدادت منزلة تيمور وصار مقدما على كثير من الجند فطنعي وبغي على مولاة غياث
الدين ومبدأ ذلك ان زوجة تيمور وهي اخت السلطان غياث الدين وقع بينهما وبين تيمور
شيء أغضبه فقتلها وام راع حرمة مولاة ثم لم يسعه الامر الا بالخروج على السلطان غياث

الدين وخلع الطاعة والتردد والطفيان فتملك بما كان تحت يده من الجند كثيرا من الممالك حتى استصفي بمالك ما وراء النهر وذلت لاوامره ملوك الدهر وشرع في استخلاص بقية البلاد واسترقاق العباد فكان يجري في جسد العالم مجرى الشيطان من بنى آدم ويدب في البلاد ديب السم في الاجساد ثم ارسل الى مخدومه سلطان هراة الملك غياث الدين يطلب منه الدخول في طاعته ليجازيه على احسانه باساءته فيتحقق بذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم كتب الله على كل نفس خبيثة ان لا تخرج من الدنيا حتى تسيء الى من احسن اليها فارسل غياث الدين يقول له اما كنت خادما لي واحسنت اليك واسبلت ذيل نعمتي عليك وذلك بعد ان نجيتك من الضرب والصلب فان لم تكن انسانا يعرف الاحسان فكأن كالكلب فلم يصغ لذلك بل هرب جيمون بمن معه من الجند وتوجه الى محاصرة مولاة غياث الدين بهراة ولم يكن لغياث الدين قوة الى قتاله والوقوف بين يديه فحصن نفسه في القلعة فحاصره وضيق عليه ثم أمنه وقبض عليه وحبسه ومنع عنه الطعام والشراب حتى مات جوعا وعطشا ثم عاد الى خراسان فانتقم اولاً من اهل سجستان فوضع السيف فيهم وأفناهم عن آخرهم ثم خرب المدينة ورحل ولم يزل هذا دأبه حتى تخلص له جميع ممالك العجم ودانت له ملوكهم والامم ووصفه بقوله وكان رجلاً ذاقامة شاهدة كأنه من بقايا العمالة عظيم الجبهة والرأس شديد القوة والبأس ابيض اللون مشرباً بحمرة عظيم الاطراف عريض الاكتاف مستكمل البنية مسترسل اللحية اعرج اليناوين وعينه كشمعتين جهير الصوت لا يهاب الموت وكان من ابنته وعظمتها ان ملوك الاطراف وسلاطين الاكناف مع استغلاهم كانوا اذا قدموا عليه وتوجهوا بالهدايا والتقاديم اليه يجلسون على عتبات العبودية والخدمة نحو ان مد البصر من سرادقانه واذا اراد هو منهم واحداً ارسل من الخدمة نحوه قاصداً فينادي ذلك الواحد باسمه فينهض في الحال بعد ونحوه ممثلاً امره ودخل تحت طاعته ملوك السلجوقيه اصحاب قونية كما كانوا داخلين تحت طاعة التتولما ملك اصبهان وعراق العجم والري وفارس وكرمان بعد حروب هلك فيها ملوكهم وبادت جوعهم وخربت ديارهم وسبيت نساءهم خافه السلطان احمد بن اويس المملك ببغداد بعد التتر كما تقدم فجمع عساكره وأخذ في الاستعداد له عدل الى مصانعته ومهاداته فلم يغن ذلك عنه وما زال تيمور يخادعه بالملاطفة والمراسلة الى ان فتر عزمه وفرق عساكره فنهض اليه يسرع السير في غفلة عنه حتى انتهى الى دجلة وسبق النذير الى السلطان احمد فأسرى بغلس ليله وحل ما قلته رواحله من امواله وذخائره وترك سفن دجلة ومربهر الحلة وصبح مشهد على رضى الله عنه ووافى تيمور وعساكره دجلة في حادى عشر شهر شوال سنة خمس وتسعين وسبعمائة ولم يجد السفن فاقتحم بعساكره النهر ونازل ببغداد وبعث عساكره في اتباع السلطان احمد فسادوا الى الحلة وقد قطع جسرهما فتحاضوا النهر عندها وأدركوا السلطان احمد بمشهد على واستولوا على أثقاله ورواحله فكر عليهم في جوعه وقتل الامير الذى كان عليهم فرجع بقية عسكرهم ونجا السلطان احمد الى الرحبة من نخوم الشام فأراح بها وأرسل النائب بالرحبة بخبره الى سلطان مصر السلطان الظاهر برقوق فسرّح بعض خواصه

فمنلقوه باللققات والال زواد ثم قدم السلطان اجد الى مصر وخرج السلطان الظاهر برقوق الى ملاقاته وأمر الامراء بالمشي في خدمته وأكرمه وأخبره السلطان اجد ان تيمور أخذ بلاد العجم والعراق وانه أرسل قصاده الى السلطان برقوق فكتب السلطان برقوق الى نائب الرحبة ان يقتل قصاد تيمور ففعل ذلك وأخبر السلطان اجد الملك الظاهر برقوق بانه جاء مستنصرا مستنصر خبا على من اراد انتراع الملك منه فاجاب الملك الناصر صريحه ووعد بالانصر وتجهيز الجيوش وكان قدوم السلطان اجد على الملك الظاهر في شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين وسبعمائة لانه كان أصابه مرض في طريقه تأخر بسببه عن سرعة الوصول وكان السلطان اجد ترك نائبه على بغداد ثم جاء بهم الاخبار بان تيمور لنك حاصر بغداد ثم قتلها وعات فيها وكان دخوله بغداد يوم عيد الاضحى فقترب على زعمه بأن جعل المسلمين قرا بين وقتل خلقا كثيرا ثم امر عسكره بأن يأتيه كل واحد برأسين من اهل بغداد فأثوا بالرؤس فجتمعها وأمر ان يبنى منها ما دهن على صور المنسائر وعجز بعض الجند عن المجئي برؤس الرجال فقطع رؤس النساء والاطفال واستصفي ذخائر السلطان اجد واستوعب موجود اهل بغداد بالمصادرات لاغنياسهم وفقرائهم حتى مستهم الحاجة وأقمرت جوانب بغداد من العيث ثم ان تيمور بعد أن استولى على بغداد زحف في عساكره الى تكريت وأناخ عليها بجموعه اربعين يوما فحاصرها حتى نزلوا على حكمه فقتل من قتل منهم ثم خربها وأقفرها وانتشرت عساكره في ديار بكر الى الرها ووقفوا عليها ساعة من النهار فملكوها وانتفوا نعيمها وافترق أهلها فبلغ الخبر الى الملك الظاهر برقوق فنادى في عساكره بالتجهز الى الشام وأفاض العطاء واستوعب الحشد من سائر اصناف الجند وانتحل الى الشام ومعه السلطان اجد بن اويس وكان العدو تيمور قد شغل بحصار مارد بن فأقام عليها أشهرها وملكها وعانت عساكره فيها واكتسحت نواحيها وامتنعت عليه فلعنتها فارتحل عنها الى بلاد الروم ومر بقلع الاكراد وأغارت عساكره عليها واكتسحت نواحيها وفي هذه المدة جهز السلطان برقوق عساكر كثيرة وبعثها مع السلطان اجد الى بغداد فملكها وضرب السكة باسم السلطان برقوق كما ذكر ذلك العلامة ابن الشحنة في تاريخه وبقي السلطان برقوق بالشام مستجما لعساكره متربا لقتال تيمور والوثبة به متى استقبل جهته فبلغ ذلك تيمور فلم يتجراً على الاقدام بل رجع الى بلاد خراسان ولم يقدر على الرجوع ودخول الديار الشامية الابد وفاة السلطان برقوق كما سيأتي ان شاء الله تعالى

ذكر كتاب تيمور الى السلطان برقوق

كتب تيمور الى الملك الظاهر السلطان برقوق كتابا يقول فيه بعد بالبسملة اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اعلوا لنا جند الله في ارضه مخلوقون من سخطه مسلطون على من يحل عليه غضبه لا ترق لشاك ولا ترحم عبدة بك قد رزع الله الرحمة من قلوبنا فالويل ثم الويل لمن لم يكن من حزبنا قد خربنا البلاد وأبقنا الاولاد خيرا اسواق وسبونا صواعق وسهامنا خوارق وقلوبنا بالجيال وعدونا

بالمال ملكنا لا يرام وجارنا لا يضام من سالنا سلم ومن رام حربنا ندم فان انتم قبلتم
 نرسلنا واطعتم امرنا فلكم مالنا وعليكم ما علينا وان خالفتم وعليكم بما قد اديتم فلا تلوموا
 انفسكم وذلك بما كسبت ايديكم فالخصون لا تمنع والعساكر لا ترد ولا تدفع ودعاؤكم
 لا يسمع لانكم اكلتم الحرام واضعتم الجمعة واركتبتم الآثام فابشروا بالمذلة والهوان فالיום
 تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون وتقولون
 انه قد صح عندكم اننا كفرة فقد ثبت عندنا انكم كفرة وقد سلطنا عليكم من يده امور
 مدبره واحكام مقدره فعزيزكم عندنا ذليل وكثيركم لدينا قليل وقد اوضحنا لكم الخطاب
 فاسرعوا برد الجواب قبل ان ينكشف الغطا ويدخل علينا منكم الخطا وترى الحرب
 نارها وتلقى اوزارها وتدهون منابا عظم داهية ولا يبقى لكم باقية وينادي عليكم منادي
 الفناء هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا الا كن قد اضعفناكم اذ ارسلناكم فردوا رسلنا
 بجواب هذا الكلام والسلام فلما سمع السلطان برقوق هذا الكتاب اغتاط غيظا عظيما
 بأمر بكتابة الجواب فكتب الجواب بان شاء ابن فضل الله العمري وصورته بعد البعدي
 والاصدار قد حصل الوقوف على كتاب ورد فقولكم انكم مخلوقون من سخطه مسيطون
 على من يحل عليه غضبه وانكم لا ترقون لشاك ولا ترجون عبرة بك وقد نزع الله الرحمة
 من قلوبكم فذلك من أكبر عيوبكم وهذه صفات الشياطين لاصفات السلاطين قل يا أيها
 الكافرون لأعبد ما تعبدون ففي كل كتاب لعنتهم وعلى لسان كل رسول بالسوء ذكرتم
 وبكل قبيل وصفتهم وعندنا العلم بكم من حين خلقتم وأنتم الكفرة كما زعمت الألفسة الله
 على الكافرين نحن المؤمنون حق لا يدخلنا عيب ولا يخامرنا ريب القرآن على نبينا نزل
 والرب بنا رحيم لم يزل اما النار لكم خلقت وجلودكم اضمرت اذا السماء انفطرت ومن
 أعجب العجائب تهديد الرتوت باللتوت والسباع بالضباع والكمات بالكراع ونحن خيولنا
 برقية وسهامنا منجية وسيوفنا شديدة المضارب وذكرنا في المشارق والمغارب ان قتلناكم
 فتم البضاعة وان قتلنا فيتنا وبين الجنة ساعة ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
 بل احياء عند ربهم يرزقون وقولكم قلوبنا كالجبال وعدنا كالرمال فاقصاب لا يبالي
 وكثيرا لخطب يكفيه قليل من الضرم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن
 الله رب العالمين الصابرين الفرار الفرار من الرزايا لامن المنايا ونحن من الظمأنينة على عادة
 الامنية ان قتلنا فشهداء وان عشنا كنا سعداء الا ان حزب الله هم الغالبون ابعاد امير المؤمنين
 وخليفة رسول رب العالمين يعني الخليفة العباسي الذي كان اذذاك بمصر تطلبون مطاعة
 لاسمائكم ولا طاعة وطلبتم أن نوضح لكم امرنا قبل أن ينكشف الغطا ويدخل علينا منكم الخطا
 الكلام في نظمة تركيك وفي سلطنة تفكيك لو كشف لبان بعد التبيان أكرم بعد ايمان واتخاذ رب
 حثم شيئا اذا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا قل
 من الذي وضع رسالته ووصف مقالته وصل كتاب كصير الباب أو كطنين الذباب
 فسكتب ما يقول وعذله من العذاب فلما وصل الكتاب الى تيمور غضب غضبا شديدا وقدر الله
 له السلطان برقوق بعد ذلك بقليل وكان تيمور ألقى الله الرعب في قلبه من السلطان برقوق

فلما بلغه خبر وفاته استبشر وأنعم على محبته بحملة مستكثرة وكانت وفاته في سنة احدى وثمانمائة وأقيم بعده في السلطنة ولده الملك الناصر فرج فأخذ تيمور في التجهيز بالجيوش لقصد بلاد الشام والروم وكان في نفسه من قتل السلطان برقوق قصاده ومن اعادته السلطان احمد بن اويس على تلك بغداد وكان في نفسه أيضا على السلطان بايزيد العثماني لانه تملك بلادا كثيرة كانت للسلطان السلجوقي وقرابته تملكها السلطان بايزيد بعد وفاته وكان السلطان السلجوقي قد كاتب تيمور وأعطاء الطاعة خوفا من السلطان بايزيد وكانت تلك البلاد لبني قلع ارسلان من ملوك السلجوقية وهم الذين افتحوها وأقاموا فيها دعوة الاسلام وانترعوها من يد ملوك الروم اهل قسطنطينية وأضافوا اليها كثيرا من أعمال الأرمن ومن ديار بكر فأنفست أعمالهم وعظمت ممالكهم وكان كرسيتهم بقونية ومن أعمالها أقصر وانطاكية والعلايا وطغرل ودمرلو وقرا حصار ومن ممالكهم اذر بيجان ومن أعمالها آق شهر وكاغ وقلعة كمونية ومن ممالكهم قيسارية ومن أعمالها نكرا وقلبة ومنال ومن ممالكهم ايضا سيواس وأعمالها ومن أعمالها نيكسار واقاسية وتوقات وكنكرة كوريه وسامول وصفوى وكنحونية وطرخوا وبرلوا وما استضافوه من بلاد الأرمن خلاط وأرمينية الكبرى ووان ولسطان وأرجيس وأعمالها ومن ديار بكر خربوت وملطية وسميساط ومسارة فكانت لهم هذه الاعمال وما يتصل بها من الشمال الى مدينة بروسة ثم الى خليج القسطنطينية واستفعل ملكهم فيها وعظمت دولتهم وكان ملوك مصر ينازعونهم في بعضها ثم طرق دولة السلجوقية الهرم والغسل كما يطرق الدول ولما استولى التتر على ممالك الاسلام استولوا ايضا على كثير من هذه الممالك ولحق غياث الدين السلجوقي مع عياله بقونية ثم استقر في طاعة التتر هو واخوانه واقتسموا ممالكهم عمالا للتتر ثم بقيت بيد بنينهم بعدهم يتوارثونها الى ظهور تيمورلنك وكان في ذلك الوقت ظهور قوة للسلطان بايزيد العثماني فاستولى على كثير من تلك الممالك فأرسل الباقون من ملوك السلجوقية الى تيمور يعطونه الطاعة ليحتجوا به من السلطان بايزيد فقد رآه في تلك الايام موت بعض ملوكهم وظهور الضعف فيهم فاستولى السلطان بايزيد ايضا على بعض ممالكهم هذا هو السبب في ان تيمور كان له قصد قوى في التوجه الى قتال السلطان بايزيد وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى

✽ ذكر تجهيز تيمور الجيوش لقصد الشام ✽

قد ذكرنا ان تيمور فرح واستبشر ب وفاة السلطان برقوق ثم انه في سنة ثلاث وثمانمائة أخذ في التجهيز الى المسير الى الديار الشامية فجمع عساكر كثيرة تبلغ ثمانمائة الف فاجتاز اولاعلى سيواس فحاصرها وأخذها وكان فيها عامل للسلطان بايزيد قيل انه أن أهلها وحلف لهم ان لا يضع السيف فيهم فلما تمكن منهم حفروهم حفائر ودفنهم فيها احياء وكانوا ثلاثة آلاف مسلم ثم حرقها وخربها وتوجه نحو البتين فوجد أهلها قد رحلوا عنها فخربها واسترعاها ثم توجه الى ملطية فهرب منها من كان بها قبل ان يصل اليه فخربها ثم اجتاز على بسني فحاصرها

ونصب عليها المنجنيق وهدم بعض قلعتها ثم أخذها صلحاً ثم نازل حلب تاسع ربيع الأول
 من السنة المذكورة وكان فيها من العساكر الإسلامية جمع كثير من دمشق وطرابلس وحماه
 وصفد وغزة وغيرها فاختلفت آراؤهم بين قائل ادخلوا المدينة وقتلوا من الاسوار وقائل
 اخرجوا ظاهر البلد بالخيام وكان الأمير على حلب نائب السلطان هو الأمير دمر داش الخاصكي
 لما رأى اختلافهم أذن للناس في إخلاء البلد والتوجه حيث شاؤوا وكان نعم الرأي لو فعلوا
 به فلما لم يفعلوا برأيه ضربوا خيامهم بظاهر البلد تلقاء العدو وحضر قاصد مرسل من تيمور
 فقتله الأمير القائم على عسكر دمشق قبل أن يسمع كلامه وبثس ما فعل وفي اليوم العاشر من
 ربيع وقع قتال يسير وفي الحادي عشر زحف تيمور بجيوشه وفيلته فدهم المسلمين خلق
 كأواج البحر فولوا على ادبارهم منهزمين نحو البلد وازدحوا في الأبواب ومات منهم خلق
 كثير والعدو وراءهم يقتل ويأسر وتعلقت أمراء عساكر المسلمين بالقلعة ومعهم خلق
 كثير فافتحمت عساكر تيمور المدينة وامتدت أيديهم في أقطارها وجالت خيولهم بأرجائها
 سفكاً ونهباً وأسرا واحتمى بالمساجد خلق كثير من النساء المخدرات والكواعب وغيرهم
 غالوا عليهم وقبضوهم أسرى في الحبال وأسرفوا في قتل كثير من الرجال والأطفال ونهب
 الأموال وتخريب المنازل وافتضاض الأبنكار واتهموا السطور واستمر الحال على هذا المنوال
 ثلاثة أيام وهم مع ذلك مشغولون بنقب القلعة وهدم الخندق وكان المسلمون قد جعلوا أكثر
 أموالهم بالقلعة ثم اعتصم بها الأمراء وخلق كثير فلما رأى دمر داش أمير حلب اشتداد الأمر
 نزل مع طائفة من الأمراء من القلعة يطلبون الأمان فأجابهم تيمور وخلص عليهم فاطمأن
 خاطرهم فنزل بقية أصحابهم من القلعة كل أمير مع طائفة فنظم تيمور وكل رجلين في قيد
 وفرقهم في قومه ثم أذن لهم في النهب قال ابن الشحنة أخذ القلعة بالأيمن والأيمن التي
 ليس معها أيمن وفي ثاني يوم صعد بنفسه إلى القلعة وأقام بحلب نحواً من شهر وأصحابه
 تعدوا في نهب المدينة والقرى وتعبت بقطع أشجارها وهدم أبقارها وأمر أن يبنى من
 رؤس الرجال شبه المؤاذن فبنيت مرتفعة في الهواء نحو عشرة أذرع ودورها نيف وعشرون
 ذراعاً والوجوه بارزة تسقى عليها الرياح وعدة تلك المنائر المتخذة من الرؤس عشر وسلم
 من قتله كثير من العلماء وغيرهم اختفوا ثم أعطاهم الأمان قال ابن الشحنة ولما طلع القلعة
 في ثاني يوم كان طلوعه أو آخر النهار فطلب علماء حلب فحضرنا إليه فأوقفنا ساعة ثم
 أمرنا بالجلوس وطلب من معه من أهل العلم فقال لا أمير من أمراء دولته وهو المولى عبد
 الجبار بن العلامة نعمان الدين الحنفي كان نعمان الدين المذكور من العلماء المشهورين بمرقند
 قل لهم اني سائلكم عن مسألة سألت عنها علماء سمرقند وبخارى وهرات وسائر البلاد التي
 افتتحتها ولم يوضحوا لي الجواب فلا تكونوا مثلهم ولا يخبيني الا أعلمكم وأفضل لكم ولا يعرف
 ما يتكلم به فاني خالطت العلماء ولى بهم اختصاص وألفه ولى في طلب العلم طلب قديم قال
 ابن الشحنة وكان قد بلغنا عنه انه يعنى العلماء في الأسئلة ويجعل ذلك سبباً لقتلهم أو
 نكديهم فقال الشيخ القاضي شرف الدين موسى الأنصاري الشافعي هذا شيخنا يعني الشيخ
 محمد بن الشحنة وهو مدرس هذه البلاد ونقيبها واليه المرجع سلوه والله المستعان فقال عبد

الجبار مخاطبا ابن الشحنة مترجما مقالة تيمور سلطانا يقول انه بالأمس قتل منا ومنكم من الشهيد قتلنا ام قتلكم فوجم الجميع وقالوا في أنفسهم هذا الذي بلغنا عنه من التعت فسكت القوم وفتح الله بالجواب على ابن الشحنة فاستحضر سر يعاجوبا بديعا فقال هذا السؤال سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجاب عنه وانا مجيب بما أجاب به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له صاحبه القاضي شرف الدين موسى الانصارى بعد ان انقضت الحادثة والله العظيم انك لما قلت هذا السؤال سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجاب عنه اختل عقلي مع ان القاضي شرف الدين كان محدث زمانه وهو معذور بما شاهد من الأهوال في تلك الايام ومثل هذا السؤال لا يمكن عنه الجواب في هذا المقام لشدة سطوة تيمور بمن خالف مرأه ووقع في نفس الامير عبد الجبار مثل ذلك فقال لابن الشحنة يسخر من كلامه كيف سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف أجاب وألقي تيمور سمعه وبصره الى ابن الشحنة فقال ابن الشحنة جاء أمر ابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ان الرجل يقاتل حية ويقاثل شجاعة ويقاثل ليعرف مكانه فأينا في سبيل الله فقال عليه السلام من قاتل لثكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله فمن قاتل منا ومنكم لاعلاء كلمة الله فهو الشهيد فقال تيمور خوب يعني طيب واستحسن ذلك الجواب وقال عبد الجبار ما أحسن ما قلت وانفتح باب المؤانسة فقال تيمور اني رجل نصف آدمي وقد أخذت بلاد كذا وكذا وعدد سائر ممالك العجم والعراق والهند وسائر بلاد التتر فقلت اجعل شكر هذه النعمة غفوك عن هذه الامة ولا تقتل احدا فقال والله اني لم اقتل احدا قصدا وانما انتم قتلتم أنفسكم في الأبواب يعني الازدحام والله لأقتل منكم احدا يعني الآن وانتم آمنون على أنفسكم وأموالكم وتكررت الأسئلة منه والأجوبة من العلماء وطمع كل واحد من الفقهاء الحاضرين في التقدم وجعل يبادر الى الجواب ويظن انه في المدرسة بين طلبته والقاضي شرف الدين ينهاهم ويقول اسكتوا ليحارب هذا الرجل يعني ابن الشحنة فانه يعرف ما يقول وآخر سؤال سأل عنه ما تقولون في علي ومعاوية ويزيد فأمر القاضي شرف الدين الى ابن الشحنة وكان الى جانبه وقال اعرف كيف تجيبه فانه شيعي فلم يفرغ من كلامه الا وقد قال القاضي علم الدين التفصي الصفي المالكى كلاما ما معناه ان الكل مجتهد فغضب تيمور غضبا شديدا وقال علي الحق ومعاوية ظالم ويزيد فاسق وانتم حلييون تبغ لاهل دمشق وهم يزيديون قتلوا الحسين فأخذ ابن الشحنة في ملاطفته بالاعتذار عن المالكى بانه أجاب بشئ وجده مكتوبا في كتاب لا يعرف معناه فعاد الى دون ما كان عليه من البسط وأخذ عبد الجبار يبسط ابن الشحنة والقاضي شرف الدين فقال عن ابن الشحنة هذا عالم مليح وقال عن القاضي شرف الدين هذا رجل فصيح فسأل تيمور ابن الشحنة عن عمره فقال مولدى سنة تسع واربعين وسبعمائة وقد بلغت الآن اربعا وخمسين سنة وقال للقاضي شرف الدين كم عمرك فقال انا أكبر من هذا يعني ابن الشحنة بسنة فقال تيمور انتم في عمر اولادى فان عمرى اليوم بلغ خسا وسبعين سنة وحضرت صلاة المغرب فأما عبد الجبار وصلى تيمور الى جانب ابن الشحنة قائما بركع ويسجد ثم تفرقوا وفي اليوم الثانى غدر بكل

من في القلعة وأخذ جميع ما كان فيها من الاموال والائقشة والامثلة مما لا يحصى حتى قيل انه لم يكن أخذ من مدينة قط مثل ما أخذ من هذه القلعة ولا ما يقارب به وعوقب غالب المسلمين بانواع العقوبات وحبسوا بالقلعة ما بين مقيد ومن تجرو مسجون ومرسم عليه ونزل تيمور من القلعة بدار النيابة وصنع وليمة على زى المغل وقف سائر الملوك والنوابين في خدمته وأدار عليهم كؤوس الخمر والمسلون في عقاب وعذاب وسبي وقتل وأسر وجوامعهم ومدارسهم وبيوتهم في هدم وحرق وتخريب ولما كان آخر شهر ربيع الاول طلب ابن الشحنة والقاضي شرف الدين وأعاد عليهما السؤال في حق علي ومعاوية ويزيد فقال ابن الشحنة الحق كان مع علي وليس معاوية من الخلفاء فانه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخلافة بعدى ثلاثون سنة وقدنقت بعلي والحسن فقال تيمور قل علي علي الحق ومعاوية ظالم فقال ابن الشحنة قال صاحب الهداية يجوز تقلد القضاء من ولاية الجور فان كثير من الصحابة والتابعين تقلدوا القضاء من معاوية وكان الحق مع علي في نوبته فانسر لذلك وطلب الامراء الذين عينهم للاقامة بحلب وقال لهم موصيا علي ابن الشحنة والقاضي شرف الدين ان هذين الرجلين نزل عندكم فأحسنوا اليهما والى اصحابهما ومن ينضم اليهما ولا تمكنوا احدا من اذيتهما ورتبوا اليهما علوفة ولا تدعوهما في القلعة بل اجعلوا اقامتهما في المدرسة يعنى السلطانية التي تحيط بالقلعة وفعلوا ما أوصاهما به الا انهم لم ينزلوا من القلعة وقال لهما الذي ولى الحكم بحلب انى أخاف عليكما قال ابن الشحنة والذي فهمته من نسق تيمور في ملكه انه اذا امر بسؤ فعلوه بسرعة ولا يحيد عنه واذا امر بتخير فالامر لمن واه وفي اول ربيع الآخر برز الى ظاهر البلد متوجها نحو دمشق وفي ثاني يوم أرسل يطلب علماء حلب فحملوا اليه والمسلون في امر مريح وفي قطع رؤس فقال العلماء لما طلبوا ما الخبر فقبل لهم ان تيمور طلب من عسكره ان يأتوه برؤس من المسلمين على عادته التي كان يفعلها في البلاد التي يأخذها فخاف العلماء ان تقطع رؤسهم وتحمل اليه مع ما وقع لهم من الامان منه فلما وصلوا اليه ارسلوا له رسولا يقول له انهم قد حضروا وهو قد حلف ان لا يقتل احدا منهم صبرا فجاء الرسول وهم ينظرون اليه من بعد وهو يأكل من اللحم سلق بين يديه في طبق فتكلم معه بسيرا ثم أرسل اليهم بشئ من ذلك اللحم لياكلوه فلم يفرغوا من أكله الا وزعجة قائمة وتيمور صوته عال وساق شخص هكذا وآخر هكذا وجاء امير يعتذر الى العلماء وقال لهم ان سلطانا لم يأمر باحضار رؤس المسلمين لئلا مربقطع رؤس القنلى وان يجعل لناقبة اقامة لخدمته على جارى عادته ففهموا عنه غير ما أرادوا انه أطلقكم فامضوا حيث شئتم وركب تيمور من ساعته وتوجه نحو دمشق فعاد علماء حلب الى القلعة ورأوا أن المصلحة في الاقامة بها وأخذ الامير موسى في الاحسان اليهم وقبول شفاعتهم وتفقد أحوالهم مدة اقامته بحلب واما تيمور فانه توجه قاصدا دمشق وكان الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق قد جاء من مصر بعساكره لتجسين حيايتها من تيمور وجاء معه الخليفة العباسي الذي كان بمصر وهو المتوكل على الله فلما دخل الملك الناصر فرج دمشق أقام بها يومين ثم خرج في اليوم الثالث وخيم بقبة يلعبها

* ذكر دخول تيمور دمشق *

في اليوم العاشر من جادى الاولى سنة ثلاث وثمانمائة حلت عساكر تيمور بأطراف دمشق
 وظهر بعض عسكر تيمور على جبل مماليق عقبة دمر وهم مقدار الف فارس فخرج اليهم
 من عسكر الملك الناصر فرج دون المائة فاقتتلوا معهم فانهزم اصحاب تيمور هزيمة قوية ثم
 رجعوا على عسكر الملك الناصر وقبضوا على ثلاثة فوارس وجاؤا بهم الى تيمور فأمر
 صاكره تلك الليلة ان يضرموا نارا عظيمة في مواضع متعددة فتخيل للسلطان الملك الناصر
 فرج بن برقوق ان عسكر تيمور ملئ الارض بقدر اماكن النار وأخذ تيمور اثنين من الاسارى
 وأدخلهما في أسياخ وشواهما على النار كالغنم وأطلق الثالث فرجع وأخبر السلطان
 فرج بذلك وسمعت العسكر بذلك فاقطع قلوب العسكر في تلك الليلة ارتحل السلطان
 فرج ورجع الى الديار المصرية هاربا وصحبه الخليفة والامراء مع كل امير مملوك كان او ثلاثة
 ليس معهم خيل ولا قناش وتشتت بقية العسكر حفاة عراة واما اهل دمشق فلم يعلموا
 برجوع السلطان فأصبحوا ورأيهم جميعا المناصب للحرب فركبوا الاسوار وأعلنوا
 بالنداء يستحث بعضهم بعضا على الجهاد فتراموا مع التتر عسكر تيمور وقتلوا منهم وغنموا
 من خيلهم وكانت بينهم مقاتلة هائلة حتى قتلوا من التتر نحو من الف وفي آخر النهار حضر
 اثنان من اصحاب تيمور ينادى احدهم بطلب الصلح وان يحضر احدهم يعقل حتى يكلمه
 الملك فوقع الاختيار على ارسال القاضى ابن مفلح الحبلى فغاب ثم رجع وأخبرانه اجتمع
 تيمور وتلف معه حتى قال له تيمور بلد الانبياء وقد اعتقتها صدقة عن اولادى
 وأخذ ابن مفلح يحل عزائم اهل البلد حتى صاروا فرقتين فرقة ترى ما يراه ابن مفلح
 من بذل الطاعة وهم الفقهاء ونحوهم وفرقة باقية على المحاربة وهم سواد الناس
 فباتوا تلك الليلة على ذلك ثم أصبحوا وقد غلب رأى ابن مفلح ومن عادة تيمور اذا
 أخذ بلد اصلحا ان يخرج اليه اهل البلد من كل نوع تسعة اشياء ويسمون ذلك الطقزات
 فطلب منهم تجهيز ذلك وهموا باخراجه من باب النصر فنعهم نائب القلعة وهدد هم
 باحراق البلد فأعرضوا عن ذلك وتدلوا من أعلى السور فباتوا في مخيم تيمور ورجعوا
 وقد تقر منهم قضاء ووزير ومستخرج الاموال ومعه فرمان ومرسوم فيه تسعة أسطر
 يتضمن الامان لاهل دمشق خاصة فقري ذلك على المنبر وفتحوا الباب
 الصغير وقعد امير من امراء تيمور ثم شرعوا في جباية الاموال التى قررها
 عليهم وهى الف الف دينار وحلت اليه فلما وضعت بين يديه غضب وامر ان يحمل
 اليه ألف ألف تومان والتومان عشرة آلاف دينار فرجعوا يأخذون في جباية الاموال
 فتزايد البلاء وفي اثناء الجباية حرقوا ما بين الجامع والقلعة بالنار وذلك نحو من ثلث البلد
 ثم سلم الناس الذين كانوا محاصرين في القلعة بعد تسعة وعشرين يوما من الاستيلاء على
 البلد وجمعت الاموال التى قرروها ثانيا وحضرت بين يديه فقيل لابن مفلح وأصحابه
 هذه ثلاثة آلاف دينار ببلادنا وقد بقى عليكم سبعة آلاف الف ألفا كم عجزتم عن
 الاستخلاص ثم طلب منهم ما تركه العسكر من كل شئ ثم طلب جميع ما في البلد من الاموال

الدواب فكان عدتها نحو اثني عشر الفا ثم طلب جميع ما فيها من السلاح فلما انقضى ذلك امر باستكتاب خطط دمشق وكتب بها اوراقا وفرقها على امرائه فحينئذ ظلمت الامواج رزل كل امير في خط وطلب سكان ذلك الخط فكان الرجل يطالب بالمال الثقيل الذي لا يقدر عليه فاذا امتنع عوقب بانواع العذاب ثم تخرج نساؤه وبناته فيسوطن بين يديه فأقاموا على ذلك تسعة عشر يوما فلما علموا أنهم قد أتوا على ما في البلد خرجوا منها وهجم عليهم بعد خروج الامراء ببقية عساكرهم كالجراد المتشرقاتهم واما بقى وسبوا النساء والشباب والرجال وتركوا الاطفال وأطلقوا النار في الجامع والبلد فاحترقت حتى صارت ترعى بشعر واستمر ذلك ثلاثة ايام حتى اندرست رسومها وفي ثالث شعبان ركب تيمور وسار نحو حلب راجعا زده وكانت مدة اقامته بدمشق اربعة وسبعين يوما ثم بعد رحيله كل من بقى بعدوا عليهم ويعريهم البادية والفلاحون وجرى عليهم منهم مالا يجرى من تيمور وفي السابع عشر من شبان وصل تيمور الى الجبول شرقي حلب ولم يدخل حلب بل امر المقيمين بها من جهته بخريب القلعة واحراق المدينة وقتل كثير من الناس فعملوا ونزلوا من القلعة قال ابن الشحنة انقبت النار تضرمت في ارجائها وبعد ثلاثة ايام ارتحل عنا من كان بحلب من اصحاب تيمور لم يبق من التتر احد ولم يقدر منا احد على الاقامة بيته من التتر والوحشة ولا يمكن السلوك في الازقة من ذلك ثم عرت حلب وتراجع الناس وجائها امير من السلطان وفي سنة اربع وثمانمائة كان مسير تيمور لقتال السلطان بايزيد بن مراد

ذكر القتال الواقع بين تيمور والسلطان بايزيد بن السلطان مراد

سبب مسير تيمور لقتال السلطان بايزيد أن جماعة من ملوك الطوائف بلاد الروم الذين اقتلع ممالكهم السلطان بايزيد ساروا الى تيمور يشكون اليه من السلطان بايزيد ويرغبونه الى الروم ويستجدون به عليه في رد ممالكهم فأجابهم تيمور الى سؤالهم فسار في سنة اربع وثمانمائة الى بلاد الروم وأرسل للسلطان بايزيد في الصلح على عادته من المكر والدهاء وكتب للسلطان بايزيد انك رجل مجاهد في سبيل الله وانا لا احب قتالك ولكن انظر اى البلاد التي كانت مع ابيك وجدك فاقع بها وسلم الى البلاد فلما وقف السلطان بايزيد على كتابه قال لرسله أيخوفني بهذه الترهات ويستغزني بهذه الخزعبلات أو يحسب اني مثل ملوك الاعاجم او التتر الدشت الاغنام او ما يعلم ان اخباره عندي ان اول امره حرامى سفاك الدماء نقاض العهود الى غير ذلك من أمثال هذا الكلام وكتب له الجواب على هذا المنوال وكان السلطان بايزيد في تلك السنة محاصرا مدينة القسطنطينية وقد قارب ان يفتحها فتركها وتوجه لقتال تيمور وأجرى عساكره كالسيول بهامة وكان قد استخدم عنده كثيرا من عسكر التتر حتى صاروا اكثر جنده فأرسل تيمور انزعائهم ورؤسائهم يستميلهم ويذكرهم الجنسية ويهدمهم ويخيمهم وما يهدم الشيطان الا بيورا فوعده بالمعونة وكان تيمور قد نازل القورية فجاءه السلطان بايزيد بجيوشه ووقع قتال شديد بينهما ثم اندفع التتر من عسكر السلطان بايزيد واتصلوا بعسكر تيمور كما عدوه واستمر القتال من الضحى الى العصر فانهمزمت بقية عساكر السلطان بايزيد وصار

القبض عليه أسيرا بيد تيمور وأكثروا القتل والفساد وكان ذلك يوم الاربعاء سابع عشر
ذى الحجة سنة اربع وثمانائة ورجع به تيمور معه الى تبريز فرض هناك وتوفي هناك رابع
شعبان سنة خمس وثمانائة وقسم تيمور بلاد الروم على الملوك الذين استنصروا به وزعموا
ان السلطان بايزيد انتزعها منهم ثم ان السلطان محمد بن السلطان بايزيد استرجع ذلك
الى ملكه لما استقرت السلطنة له كاسياتى وفي سنة خمس وثمانائة انعقد صلح بين تيمور
وسلطان مصر وحصل بينهما مودة ومهاداة وأرسل تيمور الى سلطان مصر هدية وفلا
وفي سنة ست وثمانائة عداقرايوسف حاكم اذربيجان على السلطان احمد بن اويس وانتزع
بغداد مندورحل السلطان احمد الى حلب ودخلها في زى فقير ثم مشى عسكر تيمور على بغداد
وكسواها قرايوسف ونهبوه وأخذوا بغداد وتوجه قرايوسف هاربا الى الشام فأمسك
وحبس حسب مرسوم سلطان مصر ثم ورد مرسوم بطلب السلطان احمد من حلب
وارساله الى دمشق ثم ورد مرسوم آخر بامساكه واعتقاله بها فأمسك وفي سنة سبع وثمانائة
كان هلاك تيمور بمدينة نزار وحلوه الى سمرقند ودفنوه بها وعمره قد جاوز ثمانين سنة ومدة
ملكه نحو ست وثلاثين سنة وتلك بعده حفيده خليل بن امير شاه بن تيمور ومكث قليلا وهلك
وتفرق ملكهم بايدي المغلبين وتغلب على بغداد ملوك من التركان الى ان انتزعها منهم اسماعيل شاه
سلطان العجم ثم انتزعها منه الدولة العثمانية والبقاء لله وحده وبقي لتيمور عقب كان منهم
سلاطين في الهند ولزج الى اتمام الكلام على فتوحات سلاطين مصر ثم نذكر ابتداء الدولة
العثمانية وفتوحاتها اعلم ان سلاطين مصر بعد السلطان برقو كثر بينهم ائقن لاجل
طلب السلطنة واستمر الحال الى سنة خمس وعشرين وثمانائة فتسلطن الملك الاشرف سيف
الدين ابو النصر برساي فجهز جيوشا لقتال اهل قبرس

ذكر تجهيز الجيوش لقتال اهل قبرس

قال العلامة القطبي قبرس بالسين لابلصا كما يغلط فيه العوام وهى جزيرة في البحر الشامي
مقدارها مسيرة ستة عشر يوما وبها قرى ومزارع واشجار ومواشى وبها معدن الزاج
القبرسي ومنها يجلب الى سائر الاقطار وبها ثلاث مدن ومن قبرس الى طرابلس الشام
بحر يان في البحر وقد تكرر استيلاء المسلمين عليها وانتزع الكفار اياها وقد تقدم ان اول
من غزاها معاوية رضى الله عنه وصالح اهلها على جزية سبعة آلاف دينار فنفقوا ثم
غزاها ثانية فقتل وسبي سباكثيرا روى انه لما افتتحت مدائن قبرس واشتغل المسلمون
بتقسيم السبي فيها بينهم بكى ابو الدرداء رضى الله عنه وتحنى عنهم ثم احتجب بحمائل سيفه
ودموعه على خديه فقبل له أتبعي في يوم أعز الله فيه الاسلام واهله وأذل الكفر وأهله
فضرب على منكبيه وقال ويحك ما أهون الخلق على الله تعالى اذا تركوا أمره فينماهى
قوة ظاهرة وقوة قاهرة لهم على الناس اذا تركوا أمره فصار حالهم على ما ترى من السبي
والاهانة ويريد بذلك ان رغبتهم في السبي وحب المال دليل على تهاونهم بالقيام بأمر الله
فيرجع أمرهم الى الذل والهوان وبين جزيرة قبرس وساحل مصر خمسة ايام وبينها

وبين جزيرة رودس مسيرة يوم واحد وانما سميت جزيرة قبرس بوثن هناك كان يسمى
قبرس يعظمه الكفار ويعظمون لاجله جزيرة قبرس وهى جزيرة رخاها شامل والخير بها
كامل واهلها موصوفون بالغنا واليسار وبها معادن الصفر ويجمع منها اللادن الحسن الرائحة
وبعض منه يغلب رائحة العود في طيبه وهو الذى يجمع من على الشجر خاصة وكان يحمل
الى ملك القسطنطينية لانه افضله وما يتساقط على وجه الارض يبيعونه للناس وكان الاوزاعى
انارى هؤلاء يعنى اهل قبرس اهل عهد وان صلحهم وقنع على شئ فيه شرط لهم
عليهم وانه لا يسعهم نقضه الا بامر عنيف عندهم ورأى عبد الملك بن صالح في حدث
ان ذلك نقض لعدهم فكتب الى عدة من الفقهاء يشاورهم في أمرهم منهم الليث
بن سعد وسفيان بن عيينة وابو اسحاق الفزارى ومحمد بن الحسن فاختلفوا عليه واجاب كل
احد بما ظهر له وانتهى خراج قبرس الذى يؤدونه الى المسلمين بعد المائتين من الهجرة
الى اربعة آلاف ألف وسبعمائة ألف واربعين الفا وقد كان الملك الاشرف سيف الدين ابو النصر
ابى سلطان مصر كثير الغزو الى طرف الافرنج وتسلطن سنة ٨٢٥ فى سنة ست وعشرين
مائة كثرت الاخبار بان الافرنج تحركوا على المسلمين فجهز عدة أجناد الى السواحل فندب عدة
مياطو عدة الى اسكندرية وعدة الى غيرها وجهز مركبين احدهما من بيروت والآخر من
صيدا فآثرا لوجزيرة الماغوص سنة ٨٢٧ فانهبوها واحرقوا ما بها من القرى وما بساحلها
من المراكب وقتلوا وأسروا وقدموا سالفين غنمين وكان عدد الاسرى الفا وستمائة نفس
فى سنة ثمان وعشرين جهز جندا كثيرا وتوجه صحتهم عدد كثير من المنطوعة وسافروا
الى دمياط وكان ملك قبرس بعث تسعة اعربة يقفون على قدميها لمنع الاعربة من الدخول
الى البحر المالح فلما ابصروا مراكب المسلمين وجيوشهم انهزموا بغير قتال ثم توجه المسلمون
من جهة طرابلس فوصلوا الى الماغوصة فطلع الخيالة واكثر المشاة الى البر وضربوا
فيهمهم وارسل صاحب الماغوصة يطلب الامان فاعطوه ثم ركبوا فى الحال وداسوا من
دروا عليه واوسعوهم تحريقا وتخريبا ووقع الله الرعب فى قلوب الكافرين حتى كان
ثلاثة من المسلمين ينتصرون على اكثر من مائة كافر وجاء اخو صاحب قبرس فى الف فارس
ثم آلاف راجل فلم يقدر أن يقدم فرجع من غير قتال فلما تمت للمسلمين هذه الحالة فى الماغوصة
والملحمة واحرقوا ما مروا عليه الى مكان يقال له رأس العجوز فخيّموا هناك وجهزوا
من الغنائم شيا كثيرا ثم ساروا فى المراكب وحاصروا الحصن الذى هناك الى ان أخذوه
بنوة وملؤا أيديهم من الغنائم والاسرى واحرقوا الحصن وكان عدة من قتل من الفرنج
شهرين خمسة آلاف ولم يقتل من المسلمين فى هذه الفزوة الا ثلاثة عشر نفرا ثم رجعوا
بلغ الملك الاشرف ان صاحب قبرس ارسل الى ملوك الفرنج يستنصر بهم على المصريين
فكتبوا عليهم ماجرى على بلاده فارسل كل منهم له نجدة من المراكب والفارس فامر
الاشرف بزيادة تجديد مراكب وبذل الاموال حتى كان عدة تلك المراكب مائة
مئة وازيد وندب الناس لجهاد الكفار فاجابه الى ذلك كثير من الامراء والعساكر والمنطوعة
ساروا متوجهين فى شعبان سنة تسع وعشرين وثمانمائة فلما وصلوا الى اللامسون وجدوا

الحصن الذي كانوا خبروه قد عمر وشحن بالمقاتلة فاحاطوا به وصعدوا على سلام فملكوا
البرج الاول وهزموا الفرنج ثم احاطوا بقريه من قرايا قبرس فطلب اهلها الامان فامنهم
ثم ارسلوا الرسل الى ملك قبرس يدعونه الى الطاعة فابى وقتل الرسول فهاج المسلمون
اقتتاله والتحقوا بجنوده فقاتلوه واشتد الامر فاتفق ان ملك قبرس اراد الهرب فركب
ثم وقع عن فرسه فأركبوه فوقع ثانيا فأركبوه فكبأ به الفرس فاندش قومه من ذلك
وانهزموا وولوا الادبار فرأه بعض الراك فاراد قتله فصاح انا الملك فأسروه واستمر
المسلمون خلف الافرنج ورشقوهم نبالا فلم يزلوا كذلك الى ان غربت الشمس وكان جلة
من قتل من الافرنج في ذلك اليوم ستة آلاف وقيد ملك قبرس وقتل اخوه ولم يسلم من
الافرنج الا من بادر الى البحر وزكبه وهرب وملك المسلمون كثيرا من مراكبهم ثم حل ملك
قبرس الى مصر وطيف به ثم قرروا عليه مائتي الف دينار يحمل منها وهو بمصر النصف
ويرسل النصف اذ ارجع وألزم بحمل عشرين الف دينار كل سنة والف ثوب صوف وكان
الافرنج قد طمعوا في تلك السواحل فلما وقع هذا الفتح عظم فرح المسلمين وتقطعت اطماع
الافرنج من قتلهم بلاد المسلمين قال بعض المؤرخين ومن مناقب السلطان برسباي انه أخذ
بلاد قبرس وأسر ملكها وهو في تحت مملكته بمصر لم يتحرك

ذكر الغزو الى رودس

في سنة اربع واربعين وثمانمائة جهز الملك الظاهر جقمق سلطان مصر خمسة عشر غرابا
مشحونة بالمقاتلة للغزو الى بلاد رودس وفي سنة خمس واربعين اهتم لذلك اهتماما كثيرا
وفي سنة سبع واربعين وثمانمائة سارت المراكب المجهزة لغزو رودس في جمع كثير وزلوا
على قشتيل ووقع بينهم وبين من فيه من الكفار قتال وقتل جمع من الطائفتين واشتغل
بعض المسلمين بما لا يليق من الفساد كالزنا ونحوه ولم يحصلوا على طائل وقتل من المسلمين
اكثر من مائة وجرح اكثر من خمسمائة قال البدر العيني كانت سفرتهم هذه ملعبة وارتد منهم عدة
مما ليك ولما وصل المسلمون الى رودس وجدوا أهلها مستعدين استعدادا هائلا وهي
محصنة بالآلات الحصار والقتال بكل ما امكنته قدرتهم ثم حصل القتال بينهم فعادوا من غير
ان ينالوا طائلا وفي تاريخ القرمانى غير هذا فانه ذكر ان في سنة خمس واربعين انتصر
الجيش المجهز الى رودس ورجعوا ومعهم بنت الملك وكثير من الاسرى ومن السبي من النساء
والصبيان وصحبهم من الذهب العين ثمانية عشر صند وقايلغ ما فيها نحو ثلاث قناطير من
الذهب ومعهم ايضا اثنتا عشرة جرة من النحاس مختومة النغم بالرصاص في كل جرة
قنطار ونصف من الذهب وغير ذلك من الجواهر والياقيات والتحف أخذوا ذلك كله
من قلعة قشتيل من أعمال رودس وهدمت القلعة في هذه الغزوة وفي سنة ست وستين
وثمانمائة بعث الملك الظاهر خوش قدم سلطان مصر بجريدة من العسكر الى قبرس لتقرير الملك
اصحابها القائم بها ودفع المتغلبين عليه ففعلوا ذلك وعادوا سالمين وفي هذه السنين انتشرت
فتن كثيرة بمصر زيادة عما كان قبل ذلك وكلاهما كانت بين الامراء بمصر لطلب السلطنة

فضعف امر الغزو والجهاد منهم وظهرت قوة لدولة العثمانية بارض الروم أكثر والغزو
والجهاد وفتحوا كثيرا من البلاد فلندكر ما حصل الوقوف عليه من ذلك على سبيل الاختصار

ذكر الدولة العثمانية وفتحاتها ثبتت الله مددكم ووفقهم لما يحبوه ويرضاه *

العلماء على ان من وقف على سير الدول الاسلامية يعلم علما قطعيا ان الدولة العثمانية
سيرتهم من احسن سير الدول الاسلامية بهما خلفاء الراشدين لانهم ممتدحون بذهب اهل
السنة صحيحوا العقيدة ناصر لاهل السنة قائمون بتعظيم الصحابة واهل البيت والعلماء
والصالحين ليس عندهم شيء من الزيف والابتداع واهم الفتوحات الشهيرة والجهاد والغزوات
الكثيرة قائمون بشعار الاسلام لاسيما في الحرمين الشريفين فان لهم فيهما الصدقات والخيرات
الكثيرة وقائمون ايضا بشعار الحج وتأمين الطرق للحجاج والزوار فيجب على كل مسلم ان
يدعولهم بالتبني والتأييد والاعانة والنصر والتوفيق لما يحبه الله ويرضاه واشتهر انهم
من الترك ان نسبهم ينتهي الى يافث بن نوح عليه السلام وقيل ان اصلهم من العرب فتد
ذكر ما حصل من سلب الروم في نار يخذ منقلا عن صاحب درر الاثان في اصل منبج آل عثمان ان
اصدهم من سرب الجاز وانهم من المدينة المنورة وان جدهم الاعلى هاجر من بلاد الجاز قال
في الدولة العثمانية الشهير بخير الله افندي لا يريد ان ندخل في هذا البحث لكن غاية
الامر ان هذه العائلة الشريفة هي اشرف العشاير الاسلامية ثم ذكر ان جدهم عثمان هو أول
سلطان منهم بالروم وهو ابن أرطغرل بن سليمان شاه وسليمان شاه كان سلفا في بلاد ما هان
من بلخ فلما ظهر التتر افسدوا في الارض وخر بوا البلاد وكان من جملة ما خربوه بلخ
فترك سليمان شاه البلاد مع من تركها من المملوك وغيرهم وقصد بلاد الروم وكان قد سمع
بالسلجوقية التي في الروم وعظم شوكتهم وكثرة غزوهم الى الكفار فخرج وتبعه في
بلق كثير فلما وصلوا الى اذربيجان تقابلوا مع الكفار وغنموا منهم شيئا كثيرا ثم قصدوا
باجيه حلب فوصلوا الى نهر الفرات امام قلعة جعفر ولم يعلموا الممر فعبروا النهر فغلب
ففرق سليمان شاه ومات غريقا شهيدا فاخرجوه ودفنوه عند قلعة جعفر وقبره
في ور يزار ويترك به وكان مع سليمان شاه اولاده الثلاثة وهم سنقور وكون
طوغدى وأرطغرل فلما وصلوا الى موضع يقال له ياسين أو ميسى رجع سنقور وكون طوغدى
أبناء سليمان شاه الى بلاد العجم وتخلف أرطغرل جدا للملوك العثمانية مع ابائه الثلاثة وهم
كوندز ألب وصارو بى وعثمان ومكث أرطغرل في ذلك الموضع يحاهد الكفار ثم أرسل ابنه
صارو بى الى صاحب قونية وسبواس السلطان علاء الدين السلجوقي يستأذنه في الدخول
الى بلاده ويطلب منه موصعا ينزل فيه فعين له جبال طوماج وجبال أرمنك وما بينهما
موصعا للسكنى فاقبل أرطغرل مع اربعمائة بيت من قومه فتوطنوا في قره جاه طاغ وفي سنة
سبعمائة وثمانين وسثمائة نازل السلطان علاء الدين السلجوقي بمعاكر كثيرة ومعه الامير أرطغرل
سنة كونا هبة وهي يومئذ يد الكفار فقوض امر القلعة الى الامير أرطغرل وسار هو الى
الترك بسبب تمردهم لبعض اولاده ولم يزل الامير أرطغرل يجتهد حتى فتحها عنوة وغنم

من الاموال شيئاً كثيراً فازداد عند السلطان علاء الدين قرباً ومنزلة وام يزل الامير أرطغرل
يجاهد في سبيل الله حتى توفي في سبيل الله سنة سبع وثمانين وستمائة فتأسف عليه وعين مكانه
ولده الامير عثمان فلما رأى السلطان علاء الدين جده واجتهاده في الجهاد وعلم نجابته في فتح
البلاد أكرمه وأمدّه بأنواع الاضافة والامداد وجعله سلطاناً مشاركاً للسلطان علاء الدين
في السلطنة وأرسل اليه الراية السلطانية والخلع السنية والطبل والزمر فلما ضرب الطبل
بين يدي (السلطان عثمان) نهض قائماً على قدميه اعظاما للسلطان علاء الدين وما زال قائماً حتى
فرغوا من ذلك اليوم كان بين العساكر العثمانية القيام على أرجلهم عند ضرب طبل
السلطنة في الاسفار والاعياد وكانت سلطنة السلطان عثمان سنة تسع وتسعين وستمائة
وكانت سلطنته على البلاد التي افتتحها أبوه والتي افتتحها هو قبل أن يتسلطن منها مدينة
قرا حصار وحصن قرا وقصبة وبنى كوى وقلعة بلجك ومدينة بنى شهر وغير ذلك ولما
تسلطن جعل كرسي سلطنته قرا حصار ثم نقله الى بنى شهر وكان كثير من التتر تغلبوا على
بعض ممالك السلجوقية فقاتلهم أبوه ثم قاتلهم هو وأبادهم وانتزعها منهم قبل ان يتسلطن وكان
ذلك من جملة أسباب محبة السلطان علاء الدين له قال بعض المؤرخين ان الوقوف على ترجمة
هؤلاء السلاطين وفتوحاتهم العجيبة يستوجب ان يعتقد أنهم أعظم ملوك الاسلام فان كل واحد
منهم فعل افعالاً باهرة وغزا غزوات قاهرة تستحق ان تخلد في بطون الاسفار لكي يقتدى بهم
الملوك الذين يأتون بعدهم ويعلموا ان افعال هؤلاء السلاطين تستحق ان تقدم على افعال الاكاسرة
واقباصرة وبقية الملوك والسلاطين الذين تدونت اسماءهم في كتب التواريخ ومن طالع
تواريخ هؤلاء السلاطين تظهر له عظمة افعالهم وبطشهم وشجاعتهم التي قاوموا بها جميع
الدول المحيطة بهم فكانوا يفتحون المدن العظيمة والحصون المشيدة ويقهرون الجبابرة العظام
ويتسلطون على الممالك برا وبحرا الى أبعد مكان فكانت ترعد من سطوتهم قلوب جميع الدول
الافرنجية ويعطونهم الطاعة والخضوع وكان السلطان عثمان جدهم واسطة عقدهم
وؤسس دولتهم وكان السلطان علاء الدين قد كبر وشاخ وطعن في السن حين ان أشرك
معه السلطان عثمان لانه تولى السلطنة سنة اربع وخسين وستمائة واستمر الى ان توفي سنة
سبعمائة وبقي بعض ممالكهم تحت يديده وابناء عمه مع ضعفهم عن حفظها وآخر من بقي
في السلطنة منهم السلطان مسعود بن كيكوس وتوفي مسعود سنة ثمان عشرة وسبعمائة
فاضمحلت دولتهم وكان لهم من التتر عساكر كثيرة كانوا متغلبين عليهم فاستولى عليهم
السلطان عثمان وبنوه من بعده وصارت الممالك كلها بأيديهم ومن الممالك التي افتتحها
السلطان عثمان بعد سلطنته حصن الصفصاف المعروف بقلعة بيلجك وكان الخليفة هارون
الرشيد غزاً بنفسه الروم ففتح هذا الحصن ثم استولى عليه الكفار واستمر بأيديهم الى ان
افتتحه الغازي السلطان عثمان المذكور وسيأتى ذكر بقية فتوحاته وكان السلطان عثمان
المذكور ملكاً عادلاً زاهداً في الدين راعياً في الآخرة شجاعاً مرابطاً في سبيل الله مجاهداً
يراعى الأبطال ويحسن للأيام والأرامل ومن زهده في الدنيا انه لما توفي لم يترك من
المال شيئاً وانما ترك بعضاً من الخيل وشيئاً من الغنم قاله من التي ترمى في نواحي بروسا باسم

السلطان العثمانية هي من نسل تلك الاغنام وترك ايضا بعد وفاته فقطانا وعمامة وبعض مناطق من القطن وملكة ومملكة فهو سلطان مبارك خرج من صلبه السلطين العظيم الذين شيدوا اركان الاسلام وكان صحيح العقيدة على عقيدة أهل السنة يحب الصحابة وأهل البيت والعلماء والصالحين ويحسن اليهم ويعظمهم ويقوم بحقوقهم وكان شديد التعظيم لشعائر الدين وللقرآن العظيم يحكى انه قبل ان يتسلطن سافر الى موضع ونزل في طريقه ضيفا عند انسان فلما اراد النوم هيأ له صاحب المنزل موضعا لينام فيه فلما دخل ذلك الموضع رأى مصفاه معلقا في جدار ذلك الموضع فكبر عليه ان ينام وذلك المصنف معلق بذلك الموضع ورأى ان ذلك ينحل بتعظيم القرآن فوقف على قدميه قائما الى الصباح مستقبلا للمصنف وبداه على صدره وذلك دليل على قوة ايمانه وصحة اعتقاده رحمه الله تعالى وكان كثير التردد على الشيخ العارف بالله تعالى أده بالي القرماني فرأى السلطان عثمان ليلة في منامه ان قرا خرج من حوض الشيخ المذكور فدخل في حوضه ثم نبتت من سرته شجرة عظيمة ملأت أغصانها الافاق ورأى تحتها جبالا راسيات وتجري عندها عيون وأنهار والناس يسبحون في تلك المياه ويلبسون منها وينفعون من تلك المياه فلما استيقظ السلطان عثمان قصد الشيخ المذكور وقص رؤياه عليه فقال له الشيخ وكان من المنكا شفيين لك البشرية بمنصب السلطنة وسبعلوا امرك وينفع الناس بك وبأولادك واني زوجتك ابنتي هذه فقبلها السلطان عثمان وتزوج بها فولدت له اولادا منهم السلطان أورخان وهو جد السلطين آل عثمان ايد الله دولتهم على ممر الزمان وبسط الكلام على فتوحات السلطان عثمان الغازي وغزواته المذكور في التواريخ المبسوطة لاسيما التواريخ التي بالاسال التركي وكذلك مناقبه وبقية سيرته كل ذلك شيء طويل مذكور في التواريخ المذكورة وانما الذي يمكن ذكره هنا من ذلك شيء يسير من مناقبه وغزواته وفتوحاته فن غزواته وفتوحاته قرا حصار وجعلها كرسى ملكه كما تقدم الى ان فتح بنى شهر فنقل كرسى ملكه اليها ثم فتح حصن يار حصار وقصبة اينه كول وبنى شهر واطهر فيها شمار الاسلام وفي سنة سبعمائة اشتغل بقتل الكفار فظف أزيق حتى أعجزهم أمره مقدار خمس سنين فأرسل صاحب أزيق الى ملك الروم صاحب القسطنطينية يستنجده فأمده بجيوش كثيرة في سفائن عديدة فلما وصلوا الى الساحل من طرف يلاق أوه كن لهم المسلمون فكبسوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة فلم ينج منهم الا الشاذ النادر وفي غضون ذلك توفي السلطان علاء الدين السلجوقي سنة سبعمائة وكثر الهرج والمرج في بلاده فالتحق اكثر عساكره بالغازي السلطان عثمان كذلك وفي سنة سبع وسبعمائة فتح السلطان عثمان ناحية مرمرة وفي هذه السنة اتفق كثير من ملوك الروم على قتال السلطان عثمان المذكور فاجتمعوا في جماعات كثيرة نحو ثلاثين ألفا فقاتلوا المسلمين أمام قيسون وصارى فكان يوما شديدا على الكفار قتل فيه كثير من الكفار ومن رؤسائهم وهرب الباقون وتحصنوا بحصن من اعمال بروسا فآزال المسلمون بالغنائم واستولوا على حصن كستل ثم ساروا الى اولوبار فغلبوا عليها واصطلح معهم صاحبها على خراج يؤديه وفي هذه السنة استولى على حصن كنة والبلاد المحيطة بها وضم البلاد على اولاده وأقطعهم اباها

واستقر هو في بني شهر وتمكن بها وجعلها دار الأمان وبنى فيها البقاع وأشاد القلاع وأسكن فيها الجند وفي سنة ثمان وسبعمائة فتح حصن لفكة وحصن آق حصار وحصن توق حصار وأسكن فيها المسلمين وأظهر شعار الدين وفي هذه السنة أعنى سنة ثمان وسبعمائة كان أول حدوث البارود واما حدوث المدفع فكان سنة اثنتين وستين وسبعمائة وفي سنة ثلثي عشرة وسبعمائة افتتح حصن كيوة وحصن طرقلو بني جه سي وحصن تكور بيكارى وغيرها وفي سنة ثلاث عشر وسبعمائة افتتح حصن أونوس وبلادها وعبان كلى وراويناس حصار وغير ذلك وفي سنة اثنتين وعشرين نازل الغازي السلطان عثمان المذكور مدينة بروسا وحاصرها مدة ثم لما اشتد الحصار أمر ببناء قلعتين في طرف المدينة وأسكن فيها الجند وأمرهم بالتضييق على أهل البلد وقطع الميرة عنهم وجعل في أحد القلعتين أحد بني عمه وفي القلعة الأخرى أحد الشجعان من عبيده ثم رجع السلطان إلى بني شهر وفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فتحت قلعة قد كرية وبلادها وبلاد لارنى وبلاد أقبازى وفي سنة عشرين فتحت بلاد بلق أباد وحصن قاندرى وهذه البلاد تعرف الآن بقوجه نسبة إلى فاتحها لأن الأمير الذي فتحها يقال له قوجه جره ومعناه باللغة التركية الشيبة وفي هذه السنة فتحت حصون كثيرة منها حصن يولى وحصن صحانون وما ينضم إليها وفيها فتحت بلاد قره مرسل على يد الأمير قره مرسل فسميت تلك البلاد باسم فاتحها وهى بلاد كثيرة يخرج منها الفواكه الكثيرة تجلب فواكهها إلى القسطنطينية وفي هذه السنة أيضا أرسل السلطان عثمان ابنه أوركخان إلى فتح بروسا وصحبته عساكر كثيرة وكان السلطان عثمان اذذاك مريضا بعلية النقرس فتخلف لذلك عن ذلك الغزو وقعد في بني شهر وفي مدة حصار ابنه مدينة بروسا توفي السلطان عثمان المذكور وقيل بل عاش بعد فتح المدينة أياما فكانت وفاته سنة ست وعشرين وسبعمائة ومولده سنة ست وخسين وستمائة وعمره تسع وستون سنة ومدة ملكه ست وعشرون سنة ولم توفي كان بيده الممالك التي افتتحها هو وابوه ارطغرل والممالك التي افتتحها السلجوقية فكانت بأيديهم وكان ملكهم لها على التدرج في سنين متعددة وهى قونية ووان واقصرا وقيسارية وسيواس وبلاد آيدى ومنيسا وصاروخان وجيسد وكرسان وبرقسطونى وانكورية وملطية ومرعش والبستان وتوقات واماسية ونيكسار وارزنجان وسامسون وجانيك وغنتاب وتسلطان بعده ولده (اوركخان) في ابتداء سنة سبع وعشرين ولما توفي السلطان عثمان جاء الخبر لابنه السلطان اوركخان وهو محاصر مدينة بروسا كما تقدم

✽ ذكر فتح بروسا ✽

ثم انه بالغ وبذل جهده في حصار أهلها وقتالهم حتى افتتحها واستولى على القلعة وأسكنها المسلمين وجعلها دار للاسلام بعد ان كانت معقلا لأهل الاوثان والازلام ونقل ملكه اليه وجعلها دار السلطنة وبنى بها جامعا ومدرسة وتكية يطبخ فيها الطعام للفقراء واليتام والغرباء وهذه المدينة من أعظم المدن الاسلامية وأمرها وهى مدينة كثيرة الثمار والعيون

✽ ذكر فتوحاته في بلاد اليونان ✽

ولما نقل السلطان اوركخان كرسي الملك إلى مدينة بروسا اخذ في الاهتمام إلى بروسا باسم

بمدينة فجهز الجيوش وجند الجنود وهاجم بلاد اليونان فافتتح أكثر بلدانها وعامل
 بالشفقة والرحمة حتى أن كثيرا من النساء الروميات اللاتي فقدن اولادهن ورجالهن
 في تلك الحروب كن يستغثن به ويقعن على قدميه ويطلبن منه المساعدة والرعاية فكان يلاطفهن
 بالكلام وينعم عليهن بما يسر خواطرهن فالت اليه قلوب الناس وما زال يتقدم في فتوحاته
 حتى أشرف على خليج القسطنطينية وبوغاز كليولى واجتاز ابنه سليمان بوغاز شق قلعه
 وفتح مدينة كليولى وهى مفتاح القسطنطينية وفي سنة احدى وثلاثين وسبعمائة سار السلطان
 اورخان بمساكره ففتح حصون قيسون حصارى وفتح ازميد وفتح مدينة ازينوب
 وكانت من معظم مدائن الكفار وجمع عظماءهم فغنم المسلمون منها غنائم كثيرة وفتح
 حصونا كثيرة وفي سنة ثمان وخسين وسبعمائة أمر السلطان اورخان ولده الامير سليمان
 ان يجتاز البحر الابيض الى طرف روم ابلى للجهاد ولم يكونوا يملكون السفن فحملوا الواحشبه
 السفن فركبوا عليها في الليل من موضع يقال له كرفو صلووا الى ذلك البر فصادفوا حصنا
 يسمى جنافا فتولوا عليه بما فيه ثم هجموا على قلاع آخر فاستولوا عليها قهرا

✽ ذكر القتال مع اهل كليولى ✽

رحم الله السلطان بن اورخان المذكور على جانب عظيم من الشهامة والعدالة فلما رأى الكفار
 حسن سيرته ونشر عدله وضبط جنده أطاعوه ورضوا به فصار أمر المسلمين ينمو وصيتهم
 يسمو فخرج لقتالهم صاحب كليولى في عسكر كثير وكان المسلمون في عسكر قليلة فتوكلوا
 على الله وتوسلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوهم قتالا شديدا فانصر المسلمون
 واستولوا على عدة حصون منها مدينة كليولى وهى مدينة جليلة على شاطئ البحر وبينها وبين
 القسطنطينية سنة وثمانون ميلا ونصف ميل ومنها قلعة قره جك وقلعة خيره بول وهى بلاد
 متسعة ومنها قلعة دركوروم منها تكفور طاغى وغير ذلك وأخرب الكنائس والبيع وبنى مكانها
 مساجد ومعابد وفي سنة ستين وسبعمائة خرج الامير سليمان المذكور للصيد فكباه الفرس
 فأتى لوقته فجزع عليه ابوه جزعا شديدا وفي هذه السنة عبر الامير مراد الغازى بن السلطان
 اورخان الى طرف روم ابلى من خليج كليولى ففتح مدينة جورلى وهى من القسطنطينية مسيرة ثلاث
 مراحل ولم يزل مراد الغازى يحاصر البلاد ويقاتل الكفار حتى فتح مدينة ديمتوق وهى من كبار
 البلاد الاسلامية وفي سنة احدى وستين وسبعمائة توفي السلطان اورخان وعمره ثلاث وثمانون
 سنة ودفن بمدينة بروسه ومدة ملكه خمس وثلاثون سنة وكان ملكا جليلا ذا سيرة مرضية
 وكرم وافر وعدل متكاثر طاهرا لا اعتقاد سليم الفؤاد عدوا لاهل الكفر والاحاد
 وكان كثير الغزو والجهاد وبنى كثيرا من الجوامع والمدارس وأجرى فيها الخيرات الكثيرة
 رحمه الله تعالى وتسلطن بعده ولده (السلطان مراد الاول) فلما جلس على سرير الملك
 سار وحاصر مدينة انكورية وكانت عصت عليه ففتحها عنوة وكانت من أمنع الحصون فلما
 سمع بخبره ابن قرمان صاحب مدينة لارندة خشى على بلاده فجمع جوعا من التتر وورشق
 وطور غودو التركان وغيرهم وسار بمجموع لا تحصى لقتال السلطان مراد المذكور فجرب بينهما
 قتال شديد وحرب أكيد ثم انجلى الامر عن هزيمة ابن قرمان وانتصار السلطان مراد

✽ ذكر فتح ادرنة ✽

وفي هذه السنة ايضا جهز السلطان مراد جيشا وأرسله لفتح ادرنة وجعل عليه شاهين لالا الاتاك فاقتلوا قتلا شديدا وعجز عن اخذها وسألو السلطان مراد ان يقدم عليهم بنفسه فسار السلطان مع جيوش الموحدين وغزاة المجاهدين فاجتاز البحر فلما سمع الكفار بقدمه تزلزلت أركانهم وهرب سلطانهم فلما سمع المسلمون بذلك هجموا على المدينة فاخذوها وأرسلوا اعلو السلطان فحمد الله وأثنى عليه وجاء فدخل المدينة وهى من اعظم مدن الدنيا تجرى من تحتها أنهار ثلاثة بينها وبين القسطنطينية سبعون ميلا ثم أرسل لالشاهين الاتاك ففتح مدينة قلبة ثم فتح زغرة بنواحيها وعادوا الى مدينة بروسة ومن غزواته انه سار الى اقليمى السرب والبلغار وفتح فيها فتوحات وأخذ منهم قتلا وأسرا وكان بهر الانا طول جولة من امراء الاتراك لم يزوالوا باقين على الاستقلال فحاربهم وأخضعهم واستولى على مقاطعة كرميان وغيرها من الولايات ثم على مدينة كوتاهية وخضع سلطنة معظم مقاطعة مكد ونياباد الارناووط وفتح كثيرا من بلاد اليونان وعبر بحر مرمر وفتح مدنا وقلعا جهة تاساليا

✽ ذكر ابتداء اختراع عسكرا الانكشارية ✽

وفي سنة ثلاث وستين وسبعمائة اشار خليل باشا على السلطان بان يأخذ خمس الاسارى من الفارين على زقاق كيبولى وكان الغزو والجهاد فى بلاد الروم ابلى متابعا فكانت تسمى الاسارى وتأتيه كالسيل الهامى والبحر الطامى فاجتمع منهم عند السلطان طائفة كثيرة فامرهم السلطان بتعليم علم الرمي بالبندق ففعلوا ثم ميزهم وأرسلهم الى خدمة الشيخ العارف بالله تعالى الحاج بكتاش ليعلمهم بعلامة ويسمىهم باسم ويدعوا لهم بالخير والظفر فلما اجتمعوا عند الشيخ قطع كم قبائه وكان من ليد فألبسه رأس رئيسهم ودعا لهم بالبركة وسماهم ببنك جرى والجارى على الاسن انكشارى ومعناه العسكر الجديد لان السلطان عثمان كان اكثر عساكره من فرسان التركان ولم يكن لهم معرفة بالضبط والربط العسكرى ولا نظام لهم حال القتال فاستصوب السلطان اورخان ترتيب عساكره على هذا الوجه فحدث وجاق الانكشارية ورتبه ولم يتممه وصار تمام انتظامه على يد ابنة السلطان مراد واستمر وجاق الانكشارية الى زمن السلطان محمود الثانى فأبطله وأبادهم كاسياتى سنة احدى واربعين ومائتين والاف وأحدث النظام الجديد الموجود الآن وفي سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة اشترى السلطان مراد خان من صاحب بلاد جيد خمس قلاع وهى بلواج وبنى شهر وآق شهر وقره أناج وسيدى شهر وفي سنة احدى وتسعين وسبعمائة خرج السلطان مراد المذكور الى قتال رئيس الكفار ابن لازقا وكان قد تجمع لقتاله اهل اليون والسرب والافلاق والبندان واهل الماعن والمجر والبلغار وتحزبوا جميعا عليه فالتحم بين الفريقين القتال الى ان هبت رياح النصر للمسلمين وقتل رئيس القوم الكافرين وانقلب الكفار على ادبارهم صاغرين

✽ ذكر استشهاد السلطان مراد الاول ✽

ثم انه لما انهزم الكفار أقبل من امراءهم امير يقال له يلواش فى خيله ورجله مظهر اللطاعة

فلما هم بتقبيل يد السلطان ضربه بخنجر كان في كفه فمّن ذلك سن العثمانية عند قدوم الوافد
وتقبيل يد السلطان أن يمك واحد من طرف كفه وآخر من كفه الآخر احترازا من ذلك
فات السلطان سنة سبع مائة واثنين وتسعين من ضربة ذلك الخنجر وخرجت امعاؤه فدفنوا
امعاؤه هناك وحملوا جسده ودفنوه بمدينة بروسة وقتلوا ذلك الكافر الذي ضربه وقطعوه
بالخنجر وكان السلطان مراد المذكور رحمه الله ملكا جليلا عادلا عارفا وكان افنى عمره
في الجهاد وكان شجاعا مقداما على الهمة توفي وعمره خمس وستون سنة ومدة سلطنته احدى
وثلاثون سنة وتسطن بعده والده (السلطان السعيد يلدرم بايزيد خان) وبعد جلوسه أخذ في
محاربة السرب الذين كان ابوه يحاربهم وتقوت عساكره الى أن وصلت الى ويدين وتملكوا
مدينة أسكوب والتزم ملك السرب أن يزوج اخته للسلطان المذكور وأن يدفع خراجا
سنويا ومن فتوحاته أنه استولى على جزيرة رودس وكانت للمسلمين فملكها النصارى وتكرر
انتزاعها منهم مرة بعد أخرى وآخر الامر انتزعها هذا السلطان منهم وفي سنة اثنين وتسعين
وسبعمائة فتح السلطان المذكور قره طوه وهي معدن الغضة الخالصة التي لانظير لها وفتح
بلاد أسكوب وهي من أجل البلاد الاسلامية وفتح قلعة ويدين فخاف ابن آيدين من
السلطان المذكور وسلم مفاتيح قلاعها اليه وفيها أطاع السلطان أهل بلاد قره سي
وصاروخان وفيها هرب صاحب قسطنطين وهو ابن منتشا فأرسل السلطان من يضبط
تلك القلاع ولما نقص العهد علاء الدين صاحب بلاد قرمان وبلغ السلطان انه أغار على
بعض بلاد أناتولى هجم عليه السلطان فانهزم فلحقه بموضع يقال له آق جاي فأسر هو
وابناه فنازل السلطان مدينة قونية وهي كرسى مملكته وحاصرها وكان وقت ادراك
الغلال فرسم السلطان بان لا يتعرض احد لشي من الغلال وان لا يظلموا أحدا وأذن لاهل
القلعة بان يخرجوا ويشغلوا ويبيعوا على مقدار ماشاؤا فخرج اهل القلعة وأصلحوا
شأن غلالهم وحصادهم وباعوها من العسكر على أبلغ وجه ارادوا فلما شاهدوا ذلك
رجعوا الى انفسهم فقالوا ان ملكا بلغ منا هذا المبلغ لا ينبغي ان نعميه ونخرج عن
طاعته فحضروا برمتهم طائعين وسلموه مفاتيح القلعة وقالوا انت أحق بها واهلها فلما رأى
اهل سائر القلاع ما فعل اهل قونية وهي عمدة بلاد قرمان رغبوا في المناوبة بمفاتيح قلاعهم
وهي بلدة آق سراي ونيكده وقيصرية ودولى قره حصار وسلوها الى السلطان المذكور
ثم رجع الى مقر مملكته بروسة بعد ما قتل علاء الدين بن قرمان وحبس ولديه بمدينة بروسة
وبقى الى ان اطلقهم الخار جي التيمور وفي سنة خمس وتسعين وسبعمائة استولى السلطان
المذكور على سيواس واماسية ومدينة توقات ونيكسار وجانيك وصامسون وكلها كانت
يد السجوقية وعملهم وفي آخر هذه السنة بلغه ان صاحب قسطنطين أغار على بعض البلاد
التي يد السلطان بايزيد وعاث فيها نهبا وتخريبا فلما بلغه ذلك وكان قد جاز البحر لغزو
الكفار الى طرف روم ابلى فترك الغزو ورجع لقتال صاحب قسطنطين فمات قبل ان يصل
اليه السلطان بايزيد وتملك ابنه وأرسل الى السلطان يستعطفه ويسترضيه ويقول ان ابى
قد جنى وقد مات واما مطيع لاوامر مولانا السلطان ومن جلة ممالكه فالناسب لعدله

أن لا يؤخذ احدا بذنب غيره وارجوا من مكارمه ان يترك لي مدينة سينوب وهي مدينة
ابن ومسقط رأسي ويجعلني فيها نائبا عنه فاجابه السلطان الى سؤاله وعاد الى مدينة بروسة
ثم أرسل السلطان بايزيد الى صاحب القسطنطينية يقول له اما ان تخرج من البلاد وتسلمها
واما سرت اليك فأتيتك في اعز مساكنك فخاف منه ملك القسطنطينية وترأسل معه الى
ان قر الامر بينهما بانه يدفع خراجا في كل سنة عشرة آلاف ذهب وان يبني للمسلمين في
داخل المدينة محلة يسكنون فيها ويكون لهم فيها مسجد وجامع وقاض يقضى لهم الخصومات
فرضى بذلك وفعله واستمر ذلك الى وقعة تيمور فتقض العهد وأخرب الجامع وأخرج المسلمين
من البلد وساقهم الى الروم قال الحافظ ابن حجر في كتابه انباء الغمر في انباء الغمر واشتهر بلد رم
بايزيد بالجهاد في الكفر حتى بعد صيده وكاتبه الظاهر برقوق صاحب مصر وهاداه
وأوفد اليه أميرا بعد أمير بالهدايا ولم يبق احد من ملوك الأرض حتى كاتبه وهاداه قال
الحافظ وسمعت شيخنا ابن خلدون يقول انما يخاف ان تتلك مصر من ابن عثمان وكذا كان
يقول الظاهر برقوق اننا لا اخاف من الكفار فان كل احد يساعدني عليهم وانما اخاف من
ابن عثمان والحاصل ان هذا السلطان افتتح أيلات كثيرة في الأناطول وروم ابلى واستولى
على مدينة سلايك ثم شن الغارة على بلاد المجر وانتصر على جيوش الافرنج ثم وجه عزمه
وهمته لغتخ القسطنطينية وأخذ في تدبير ذلك وشرع في محاصرتها ثم قدر الله بمسير التيمور
الى قتاله وفي سنة اثنتين وثمانائة اجتمع كثير من ملوك الروم الذين اقتلع ملكهم السلطان
بلد رم بايزيد وساروا الى تيمور مستغيثين به يشكون اليه من السلطان بايزيد ويرغبونه
الى المسير الى الروم ويستنجدون به عليه في رد ممالكهم فأجاب تيمور سؤالهم وسار بجيوش
كثيرة ووقع بينه وبين السلطان بايزيد مكاتبات كثيرة فلم يرجع عن قصده والكلام على
ذلك قد تقدم عند ذكر تيمور مبسوطا وكان السلطان بايزيد محاصرا للقسطنطينية وقد قارب
فتحها وأشرف عليه فتركها وتوجه بمساركه لقتال تيمور وكان غالب عسكر السلطان
التتار فأرسل تيمور الى زعمائهم والكبار من رؤسائهم وأمرائهم يستميلهم ويدكرهم الجندية
ويعدهم وينعيمهم وما يعدهم الشيطان الا غورا فوعدوه بالمعاونة وكان تيمور قد نال
انقورية فقصده السلطان والتقت الجيوش بقرب انقورية واشتد القتال فانهزم التتار الى
مع السلطان بايزيد فتبعهم كثير من العسكر في الانهزام فانهزموا وبقي السلطان بايزيد يقاتل
بنفسه الى ان وصل الى تيمور وقد عجزوا عنه فرموا عليه بساطا وأمسكوه اسيرا ومن
رحمه الله من خيار الملوك وكان مجاهدا مرابطا قد فتح من بلاد الكفار ومدنهم الكبار ما لم
يمسها من المسلمين خف ولا حافر وكان قوى النفس شديدا البطش على الهمة ولما اخذ السلطان
بايزيد اسيرا صحبه تيمور معه الى بلاد العراق قاصدا خراسان ومكث في اسره
الى ان توفي في تبريز سنة خمس وثمانائة ثم وقعت فتنة كثيرة في أراضي الروم بين أولاد
بايزيد مع بعضهم واستمرت الى سنة ست عشرة وثمانائة فتم الملك والسلطنة (للسلطان
محمد الاول بن بايزيد) وكان أصغر اخوانه فالله سبحانه وتعالى يؤتي الملك من يشاء ولا يبطل
عماله وكان دأبه الاشتغال بالحروب وكان من جملة من خرج عليه وحارب (قره دولقشاه)

من التتار في نواح اماسية فسار عليه وهزمه و بدد شمله ثم قصد قتال صاحب سينوب و جرى بين
الفريقين قتال شديد انتصر فيه السلطان محمد و انهزم صاحب سينوب اقبض هزيمة واستولى
السلطان محمد على جميع ممالكه ثم بعد ذلك صفاه الدهر و انتظم له الامر و لم يبق من ينازعه في
ملكه و فتح مدينة از مير و نقل كرسي السلطنة الى ادرنة و انتدب رسل ملوك الافرنج بالهدايا و بالتهاني
و عقدوا معه صلحا خوفا منه و أعاد رونق السلطنة و وسع نطاقها ثم لما بلغه ان ابن قرمان
نقض العهد و تعرض لاخذ بعض البلاد سار اليه بجيش عظيم فقاتله فهزمه و تبعه حتى أسره
و ولديه فاحضر بين يدي السلطان فعاتبه على سوء صنعه ثم عفا عنه و عن ولديه و أطلقهما
و عين لهما بعض بلادهم و اخذ عليهما العهد و الميثاق ان لا يخونا بعد ذلك و استولى على عدة
قلاع لابن قرمان فيها قلعة صوري و قلعة قير شهر و قلعة نيكده و قلعة آق شهر
و قلعة سيدي شهر و قلعة اوغازي و قلعة بني شهر و قلعة سعيد ايلي ثم سار و استولى على
صامسون و غالب هذه البلاد و كانت قد افتتحتها السلطان بايزيد ثم لما قدم تيمور الى بلاد
الروم ردها الى أصحابها فارتجمها منهم السلطان محمد المذكور و كان السلطان محمد المذكور
ملكاً جليلاً محباً للعلماء و الصالحين و هو اول من عين الصرة لاهل الحرمين و استمر في ملكه
ثمانية اعوام و عشرة اشهر و توفي سنة اربع و عشرين و ثمانمائة و عشرين و ثمانية و اربعون
سنة و عهد بالسلطنة لولده مراد الثاني و كان ولده المذكور اذ ذاك غازياً في اقصى بلاد
روم ايلي فاخفى الوزراء موت السلطان محمد مدة احدى و اربعين يوماً حتى وصل ولده
(السلطان مراد) الى مدينة بروسة و استقر على التخت ثم بعد ذلك اظهر و اموت السلطان
وفي سنة خمس و عشرين و ثمانمائة ظهر رجل ادعى انه مصطفى ابن السلطان يلدرم بايزيد
و كان مصطفى المذكور فقد في محاربة التيمور فادعى انه هو و قام في نواح سلانيك فاجتمع
عليه خلق كثير و استولى على جميع بلاد الروم ايلي و على مدينة ادرنة ثم اجتاز البحر الى طرف
اناطول ليقابل السلطان مراد و كان السلطان مراد بمثل ذلك وزيره بايزيد باشا
وصحبه عساكر كثيرة لقتال الخار جي المذكور فقاتلوه بقرب ادرنة فانتهصر الخار جي
و انهزم عسكر مراد و أسروا الوزير بايزيد باشا و قتله الخار جي فسار السلطان مراد
بنفسه لقتاله بعساكر و افرقة فقدر الله ان الخار جي المذكور أصابه الرماح و استمر به ثلاثة
ايام حتى ضعف جدا و جعل يخلط في الكلام و اخنل عقله فلما تحقق ذلك اركان دولته
و وجوه عسكره يتقنوا اخذلانه فداخلهم الخوف فتفرقوا و اشد رماز و هرب الخار جي مع
ضعفه الى طرف روم ايلي فلما شاهد ذلك عسكر السلطان مراد اجتازوا و خلف المنهزمين
فأسروا منهم خلقاً كثيراً و قتلوا غالبهم و غنموا منهم اموالاً و اب كثرية ثم امر السلطان
بعض امرائه حتى لحق الخار جي بقرب ادرنة فظفر به فقتله و انتظم الامر للسلطان مراد
و ارتجع جميع ممالكه و كان حريصاً على فتح القسطنطينية فقام بمائتي الف مقاتل و حاصرها
حصاراً شديداً فقاوم أهلها أشد مقاومة ثم رفع الحصار عنها و رجع الى دار ملكه لتسكين
الفن التي أضرمها للروم بتلك النواح حتى اخذ تلك الفن و استخلص تلك المدن
و ما زال يتقدم حتى داخل بلاد المورة فلما ذاع عند الفرنج خبره نهض البابا و عقد عهودا بين

ملوك الافرنج على محاربه فاجابه الى ذلك الفرطيسين وجرمانيا والمجر وبولونيا فكان
بينه وبينهم حروب كانت الغلبة في بعضها لهم وفي بعضها له ثم عقد معهم صلحا سنة سبع
واربعين وسبعمائة وفي سنة تسع واربعين نزل السلطان مراد عن السلطنة لولده السلطان
محمد وخلع نفسه عن السلطنة واختار لنفسه مدينة مغنيسا فانتقل اليها واعتزل عن الملك
وشاع هذا الخبر في الآفاق وقال ملوك الكفار بعضهم لبعض ان ملك المسلمين قد
صار شيخا كبيرا فاعتزل عن الملك وجعل منصبه لولده وهو صبي صغير لا يخشى
منه فاتفق قرال انكروس وقرال الامان وقرال چيه وقرال له وأمير لاطين وأمير بوسنة
وصاحب افلاق وبغدان وطوائف الافرنج على قتال المسلمين وان لا يدعوا من بلاد
الاسلام حجرا على حجر فلما بلغ ذلك اركان الملك خافوا واستمعوا ان يدعوا السلطان
مراد من مغنيسا ليكون معهم لانه سلطان شاع بذكره الاخبار وطال ما أنكى الكفار فأرسلوا
يطلبونه فامتنع وقال سلطانكم دونكم فخذوه وخلوني فلم يزالوا يدخلون عليه حتى رضى

ذكر غزوة عظمى

وسار مع ولده السلطان محمد الى طرف العدو فلما تصاف الطائفتان والتقى الجمعان تكاثرت كل
الفرقتين على الآخر وانهمز المسلمون وجعل الكفار يطردونهم ويقتلونهم ولم يسبق
الا السلطان مراد خان في القلب فلما شاهد ذلك الحال رفع يده الى الله تعالى وسأله النصر
والعون وتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم تقض ساعة حتى اغتر قرال انكروس وهو كبيرهم
فبرز من بين عسكره فاتفرد وجعل يدعو السلطان مراد لل مبارزة ثم هجم على المسلمين فقتلهم
فرسه فسار اليه المسلمون فقتلوه وجزوا رأسه ورفعوه على رمح وجعلوا يصيحون هذا
رأس قرال الملعون فلما رأى الكفار ذلك انهمزوا عن آخرهم وساق المسلمون خلفهم وقتلوه
قتلا ذريعا وكان يوم غم ثم سرور والعاقبة للمتقين وأما الغنائم والأسرى فلا تحصى ولا تحصر
ثم ان السلطان مراد لما رجع من الغزو أمضى سلطنة ولده السلطان محمد خان على ما كان عليه
وسار هو الى طرف مغنيسا واستمر الحال الى أن تحرك طائفة البينكجيرية وعاثوا وكسوا بيوت
الأمراء والوزراء ونهبوها وكان ذلك في سنة خمسين وثمانمائة

ذكر غزوة اخرى

فعند ذلك رأى الوزراء وسائر اركان الملك أن يعيدوا السلطان مراد الى الملك ليستريحه
فطلبوه وأجلسوه على سرير الملك وعاد ابنه السلطان محمد الى مكان ابيه مغنيسا وبقي بها الى
أن توفي أبوه فجلس بعده على تخت السلطنة واستمر السلطان مراد يغزو حتى استولى على
معظم بلاد الكفار وسار الى بلاد المورة وباقي الاقاليم المجاورة لها فأخضعهم ورتب عليهم
الخراج وجرت على آثار ذلك حروب كثيرة بينه وبين الارنوط والمجر الى أن توفي سنة
خمس وخمسين وثمانمائة وعمره تسع واربعون سنة ومدة سلطنته احدى وثلاثون سنة وكان
ملكا جليلا صالحا يعنى بشأن العلم والعلماء والمشايع والصالحين مهذا الممالك وأمن المسالك
وأقام الشرع والدين وأذل الكفار والمحدثين وكان مقداما فانتكاشا كريما واسع العطايا
عين للحرمين الشريفين من خاصة صدقاته في كل عام ثلاثة آلاف وخمسمائة دينار ذهبيا

وللشرفاء من خزينته في كل عام مثل ذلك رحمه الله تعالى وأوصى ابنه محمدا ان يهتم بفتح
القسطنطينية ويوجه اليها جنوده فقسطنطين بعده ولده (السلطان محمد الثاني) فاتح
القسطنطينية وهو السلطان الظليل الفاضل النبيل أعظم الملوك جهادا وأقواهم اقدا
واجتهادا وأكثرهم توكلا على الله واعتمادا وهو الذي أسس ملك بني عثمان وقتلهم قوانين
وصارت كالطوق في أجياد الزمان وله مناقب جليلة ومزايا فاضلة جليلة وآثار باقية في
صفحات الليالي والايام وما تروا لمحوها تعاقب السنين والاعوام ولما تسلمن كان عمره تسع
عشرة سنة فخرج الى قتال صاحب قرمان فخاف منه صاحب قرمان وصالحه فعاد الى مملكته

❖ ذكر فتح القسطنطينية ❖

ثم لم يكن له هم الا فتح القسطنطينية فشرع في مهماتها ومقدماتها وهي من اعظم البلدان
وأكبرها اهلا وأمتها حصنا لانها أحاط بها البحر من كل صوب الا الطرف الغربي وهو طرف
يسر وقد حصنوه بثلاثة أسوار وعدة نادر يجرى فيها ماء البحر مع ما فيها من المكاحل
نادر فأنظر السلطان مسالة صاحب القسطنطينية وذلك في سنة ست وخسين
وعثمانة ثم طلب من طرف بلاده ارضا مقدار جلد ثور يهبها له فاستقل ذلك صاحب
القسطنطينية وقال سبحان الله ما يفعل به فهو له فارسل السلطان المزبور جماعة من الباشاين
والصناع فاجتازوا الخليج الداخل من بحر نيوش وهو البحر الاسود الى بحر الروم ففقدوا
جلد الثور قد رقيقا فبسطوه على وجه الارض على اضيق محل من فم الخليج فبنوا على القدر
الذي احاطه ذلك الجلد سورا منيعا شحنا وحصنا رفيعا باذنا وركب فيه المدافع الرعدية
والمكاحل الشهابية ثم بنى السلطان في مقابلة ذلك الحصن في برانا طولى حصنا آخر وهو
في طرف بلاده فشحنه بالآلات النارية والمرامي الرعدية حتى ضبط فم الخليج فلم يقدر يسلكه
بعده شئ من مراكب البحر الاسود الى القسطنطينية والى بحر الروم ثم وجه عزمه الى مدينة
ادرنة فامر بإنشاء دار السعادة الجديدة فشرعوا في بنائها ثم أمر بسبك المدافع الكبار وعمل
كاحل لا جل ففتح القسطنطينية فأكثروا منها ثم لما تكاثرت الآلات وتكاملت الاسباب
ملقة بالقتال قدر الله ان انتقضت المسالة التي كانت بينه وبين ملك القسطنطينية لاسباب
برت فارسل ملك القسطنطينية يهدده بكلام غليظ فكان ذلك سببا للاستعداد لقتاله وقوة
عزمه على ذلك ولما علم ملك القسطنطينية بعزمه على قتاله ارسل الى ملوك الافرنج يستنجدهم
ووعدهم بضم الكنيسة الرومية الشرقية الى الكنيسة الرومانية الغربية ففرح البابا
بهذا الخبر وكان يتمناه وارسل له نجدة من عساكر ملوك الافرنج فلم يجد ذلك نفعا اذ لم يكن
للروم اهتمام بهذا الحرب لكرهيتهم ضم الكنيستين معا ومن ذلك الوقت جرت البغضاء
في قلوبهم لملك القسطنطينية وتخلوا عنه في المدافعة والمحامات حتى قال بعض اكابرهم أحب
ان ارى في القسطنطينية تاج السلطان ولا أرى اكليل البابا فنهض في اوائل شهر جادى الاولى
سنة سبع وخمسين وعثمانة بمسكر كثير وجيش كبير يبلغ مائتين وستين الفا بعزم صارم
ورأى حازم في اسعد أوقات الحركات متوكلا على فابض الخيرو البركات فنجم على القسطنطينية

ونازها من طرف الشمال وكان له اربعمائة غراب قد انشأها هو وابوه قبل ذلك التاريخ
فأرساها عند الحصن الذي أنشاه على مقدار جلد الثور المرسوم بفاز كسن فأمر بتلك الاغربة
فدحيت الى البر بعد ان جعلت تحتها دواليب تجري عليها كالمحجلة وشحنها بالرجال والابطال
ثم أمر بنشر قلاعها فنشرت في ريح شديدة موافقة فصاروا في البر على هذه الهيئة حتى
انصبوا الى الخليج الواقع شمالي البلد من طرف مدينة غلطة فامتلا الخليج من تلك الاغربة ثم قربوا
بعضها من بعض وربطوها بالسلاسل فسارت جسرًا ممدودًا ومعب الطيفا وكان اهل البلد
آمنين من هذه الجهة ولم يحصنها وانما كان خوفهم من جهة البر فكانوا حصنها وغفلوا
عن هذه الجهة لا مريد الله تعالى فشرع المسلمون في الحصار والقتال من جهة البر والبحر
مدة احدى وخسين يوما حتى أعياى المسلمين امرها وما زالوا مصابرين الحصار والقتال فجمع
ملك القسطنطينية اعيان الامراء والقواد لما اشتد عليهم الامر واخذ يحرضهم على القتال
وبعد خطاب طويل اخذوا بالبكاء والعيويل وعانق بعضهم بمضاب قصده الوداع ثم قصدوا
الاسوار وتحصنوا فيها

ذكر دخول المسلمين القسطنطينية بعد فتحها

فلما كان اليوم التي فتحت فيه وهجم العساكر العثمانية ودخلوها قاتل ملكهم قتالا
شديدا الى ان قتل في المعركة وقتل معه خلق كثير فدخلها المسلمون وأسرأ أهلها
وأحرقوا مكاتبها يقال ان عدد ما قتل منها مائة وعشرون الف مجلد وكان السلطان محمد
قد أرسل وزيره احمد باشا بن ولي الدين باشا قبل هذا التاريخ الى خدمة العارف بالله الشيخ
آق شمس الدين والى خدمة الشيخ آق بيق يدعوهم للجهاد والحضور معه في فتح القسطنطينية
فحضروا وبشر الشيخ شمس الدين الوزير المذكور بالنصر وقال سفتح ان شاء الله تعالى
قسطنطينية على يد المسلمين في هذا العام وانهم سيدخلونها من الموضع القلاني في اليوم
القلاني من هذا العام وقت الضحوة الكبرى وانت تكون حينئذ واقفا عند السلطان محمد
فبشر الوزير السلطان بما بشر به الشيخ من خبر الفتح فلما كان ذلك الوقت الموعود به
ولم تقع القلعة حصل للوزير خوف شديد من جهة السلطان فذهب الى الشيخ فعهوه
من الدخول اليه لانه أوصى جماعته ان لا يدخلوا عليه احدا فرفع الوزير أطناب الخيمة فنظر
فاذا الشيخ ساجد على التراب ورأسه مكشوف وهو يتضرع ويكي فارتفع الوزير رأسه
من أطناب الخيمة الا وقد قام الشيخ على رجلبيه وكبر وقال الحمد لله الذي منحنا فتح هذه
المدينة قال الوزير فنظرت الى جانب المدينة فاذا العسكر قد دخلوا بأجمعهم ففتح الله ببركة
دعائه في ذلك الوقت الذي كان اشار به وكانت دعوته تحرق السبع الطباقي فلما دخل
السلطان محمد خان المدينة نظر الى جانبه فاذا وزيره ابن ولي الدين واقف عنده فقال
هذا ما اخبر به الشيخ وقال ما فرحى بهذا الفتح وانما فرحى بوجود مثل هذا الشيخ في زمانى
ومن مناقب هذا الشيخ انه كان طبيبا يداوى الابدان كما هو طبيب لداء الارواح يحكى ان
الاعشاب كانت تناديه وتقول له انا انفع للمرض القلاني وكان فتح مدينة القسطنطينية

فهار الأربعة عشر من جادى الآخرة سنة سبع وخسين وثمانمائة وكانت أيام محاصرتها
أحدى وخسين يوما فغنم المسلمون من الأموال والأسباب والدواب ما لم يسمع بمثله في عصر
من الأعصار لأن السلطان لما شاهد العى والقنور من العسكر في الحصار أمر بان يسادى ان
الغنائم كلها لهم ويكفيبنى فتفتح المدينة فلما بلغهم ذلك بذلوا جهدهم واجتهدوا حتى يسر الله
فتح المدينة فلما شاع خبر هذا الفتح في الآفاق هابه ملوك العالم فأرسل اليه صاحب مصر
وصاحب العجم وصاحب الغرب بالمكائبات والمراسلات يهنونه بالفتح ولا شك ان هذا
الفتح من أعظم الفتوحات الجليلة وكم من رام من الخلفاء والملوك فتح هذه المدينة وصرفوا
همهم وبذلوا جهدهم وأموالهم وأفنوا أعمارهم وعساكرهم فلم ينالوه وإنما حباه الله تعالى
لهذا السلطان الجليل والملك الجليل ليكونه اخلصهم نية وطوية واحسنهم سيرة وضمن
بعضهم هذا المعنى في تاريخ الفتح فقال

رام أمر الفتح قوم أولون * حازه بالنصر قوم آخرون *

وقع لفظ آخرون تاريخا فتح المدينة المذكورة بعدد حساب الحروف ٨٥٧

وقيل في تاريخها ايضا بلدة طيبة ٨٥٧ بحساب كل تاء مربوطة باربعائة وذلك
جائز عن بعضهم وهى كذلك في طيب الهوا ولما دخل السلطان مدينة القسطنطينية سارع
بالتوجه الى كنيسة العظمى اياصوفيا فدخلها وطهرها من خبائث الكفر وصلى فيها
ودعا الله تعالى وحده وأثنى عليه وجعلها مسجدا جامعاً للمسلمين وعين له اوقافا ومراتب
ثم ان السلطان محمد التمس من الشيخ شمس الدين ان يريه موضع قبر ابى ايوب الانصارى
رضى الله عنه فقال الشيخ انى شاهدت في موضع نورا لعل قبره هناك فجاء اليه وتوجه
زمانا ثم قال اجتمعت مع روحه فهنا انى بهذا الفتح وقال شكر الله سعيكم الذى خلصتمونى به
من ظلمة الكفر فاخبر السلطان بذلك فحضر بنفسه الى هناك وقال التمس منك يا مولانا الشيخ
ان تربى علامة أراها بعينى ويطمئن بذلك قلبى فتوجه الشيخ ساعة ثم قال احفروا فى
هذا الموضع وهو من جانب الرأس من القبر مقدار ذراعين يظهر لكم رخام عليه
خط عبرانى فلما احفروا ظهر رخام عليه خط عبرانى فقرأه من يعرفه وفسره فاذا هو قبر ابى
ايوب الانصارى رضى الله عنه فغلب على السلطان محمد حال حتى كاد يسهط لولا أن
سكوه ثم أمر ببناء قبعة عليه وقدرى الامام احمد باسناد حسن فى مسنده والحساب كمن
بشر الغنوى لتفتحن بالبناء للمفعول القسطنطينية ولتم الامير اميرها ولتم الجيش جيشها
وهذا الحديث من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وعلم من أعلام نبوته لان فيه الاخبار
بالغيب ووقع كما اخبر صلى الله عليه وسلم وهو صادق على السلطان محمد خان هذا وعلى
جيشه وان كان الغزو الى القسطنطينية وقع فى زمن الصحابة ومن بعدهم وافتتحوا طرفا منها
فى خلافة معاوية رضى الله عنه فى الغزوة التى استشهد فيها ابوايوب الانصارى رضى الله عنه
ثم استرجع الروم الطرف الذى افتتح فى ذلك الزمن فافتتح التام انما هو هذا الذى كان فى
زمن السلطان محمد الفاتح فى الحديث منقبة عظيمة له وروى الامام احمد البخارى ومسلم عن
ام حرام بنت ملحان رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أول جيش من أمتى

يعزرون مدينة قيصري مغفور لهم فهذا يحمل على أول غزوة وجهت للقسطنطينية وهي التي كانت في زمن معاوية رضي الله عنه سنة اثنتين وخسين من الهجرة وكان فيها كثير من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وابو ايوب الانصاري وغيرهم رضي الله عنهم وكان في ذلك الجيش يزيد بن معاوية قيل كان هو امير الجيش وقيل كان الامير سفيان بن عوف وقوله مغفور لهم مشروط بكون المغفور له منهم من أهل المغفرة بان يموت مؤمنا فلو ارتد واحد والعباد بالله من ذلك الجيش ومات كافرا كان خارجا من عموم تلك المغفرة وهكذا يقال في كل حديث يذكر فيه أن من فعل كذا غفر له أو دخل الجنة فان ذلك مشروط بالوفاة على الايمان ومثل ذلك قد يرد في كلام بعض الاولياء بأن يقول أحدهم مثلاً من رأى دخول الجنة أو من اكل طعامي دخل الجنة فان ذلك مشروط بالوفاة على الايمان فلا يشكك عليك شيء من ذلك وبني السلطان محمد عند قبر ابي ايوب جامعاً عظيماً وبعد تمام بناءه ذهب اليه بموكب عظيم وأقام الصلاة فيه وقلده الشيخ شمس الدين سيفاً بيده ومن ذلك الوقت جرت العادة ان السلطان الذي يجلس على تحت الملك يذهب الى هذا الجامع ويتقلد بالسيف وهو بمنزلة التتويج عند ملوك النصارى

✽ ذكر الغزو الى بوسنة ✽

وفي سنة ثمان وخسين وثمانمائة غزا السلطان محمد بلاد بوسنة بعسكر كثير وقائدهم أشد قتال واستولى على عامة بلادهم ولم يبق لهم الا كنفار قائم بعد ذلك هناك وفي سنة احدى وستين وثمانمائة وجه همته الى افتتاح جزيرة رودس فهدد أهلها وطلب منهم الخراج فامتنعوا وأرسلوا الى البابا صاحب رومية يستنجدون به فأخذ يحث ملوك الافرنج على محاربة الدولة العثمانية فلما بلغ السلطان محمد هذا الخبر نهض بمائة وخمسين ألف مقاتل وحاصر مدينة بلغراد وضيق عليها برا وبحرا حتى كاد يفتحها فأخذ احد الرهبان غيرة شديدة وصار يحث المسيحيين على المدافعة عن تلك المدينة فاستمال نحو اربعين الفا من العساكر النمساوية وقادهم قائد من المجر فأضر بالسفن العثمانية بواسطة هذه النجدة واستمر السلطان محمد اربعين يوماً وهو يكرر الهجمات على المدينة المذكورة ثم ارتحل عنها واما قائد جيشهم الذي هو من المجر فجرح جرحاً بليغاً هلك به وبعد هذه الغزوة زحف السلطان محمد على ولاية أتينان من بلاد اليونان ففتح دوكة أتينان وهي المدينة الشهيرة فيها

✽ ذكر الغزو الى بلاد السرب والبوسنا والارتنا ووط ✽

وفي سنة ثلاث وستين وثمانمائة توجه الى بلاد السرب وفتح فيها فتوحات وفي سنة ست وستين فتح ايلالة طرابزون وولاية سينوب واتى بصاحبها أسيراً الى القسطنطينية فقتله السلطان محمد وكان له اولاد ثمانية فقتلهم معه وكان صاحب سينوب يكتب ملك العجم ويعينه على السلطان محمد وفي سنة سبع وستين وثمانمائة توجه الى انقام تلك اقليم البوسنا وشن الغارات على ولايات الافلاق والبغدان والعصا لانه صوب عزمته الى فتح بلاد الارنوط وهم صنف من النصارى يقيمون على الحق ويتكفون الاعمال الشاقة قبل اصلهم من عرب الشام من بني غسان ارتحلوا من الشام بعد ما أتى الله بالاسلام فقدموا من الشام وتوطنوا هذه البلاد وقيل اصلهم من البربر عبروا

البحر من المغرب الى هذا الصوب ثم غلب عليهم الجهل فتنصروا فدخل السلطان بلاد الارنوط
فنهبا واستولى على عدة قلاع هناك وأمر ببناء قلعة حصينة في ثغر عظيم هناك كالسد بيننا
وبين الكفار وشحنها بالرجال وسماها آق حصار وأودع فيها من المدافع والمكاحل ما يقربها
وفي سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة غضب السلطان محمد على صاحب قونية ولارندة فانزع
منه ولاية قرمان وجعل فيها ابنه السلطان مصطفى ثم استولى على قلاع عاصية هناك مثل قلعة
اركل وقلعة آق سراي وقلعة كولك وقلعة كولي وجعل الجميع لابنه المذكور وفي سنة
خمس وسبعين فتح جزيرة ارغوبوز من اعمال البندقية بعد أن أوقع بأهلها وقتل أكثرهم
ثم استولى على بقية بلاد الارنوط بأسرها

ذكر اغراء العجم والتتر على الاغارة والنهب

وفي سنة ست وسبعين وثمانمائة بعث صاحب العجم حسن بك الطويل ويوسفجه بك مع
عسكر التتر الى نهب بلاد العثمانيين فجاءوا ونهبوا مدينة توقات وأضرموها فيها النار وأغاروا
عليها ثم اغتروا يوسفجه بك فهجم على بلاد قرمان وأغار عليها وكان واليها يومئذ السلطان
مصطفى بن السلطان محمد وكان في غاية من الشجاعة فقاتل العدو فهزمه وأمر رئيسهم
يوسفجه بك وكبله في الحديد وأرسله مع عدة من الاسارى الى أبيه السلطان محمد فكان ذلك
عنوان الفتح ومقدمة النصر وفي سنة سبع وسبعين وثمانمائة وقع قتال بين السلطان مصطفى
ابن السلطان محمد وبين زينل شاه ولد حسن الطويل فاتصر عليه السلطان مصطفى وانهمز
جيشه وصارت الجيوش العثمانية يطردونهم ويقتلونهم ويأسرونهم وظفر زينل شاه
فقتله ثم سار مصطفى الى قره حصار الشرقي وهي من بلاد حسن الطويل فاستولى عليها
وأدرجها في جملة ممالكه وفي هذه السنة بعث السلطان محمد وزيره كدك اجد باشا لفتح
بلاد كفة فحاصرها حتى غلب عليها وفتحها ثم افتتح هناك عدة حصون وقلاع

ذكر الغزو الى البغدان

وفي سنة تسع وسبعين سار السلطان محمد الى قتال كفار البغدان فخاف منه كبيرهم (استغان)
فهرب الى اقصى بلاده فدخل السلطان بلاد بغدان وتوغل فيها وقتل من قدر عليه
فكانوا خلقا لا يحصى وأسروا وسبي ونهب حتى اذعن رئيسهم استغان المذكور بالطاعة
وأعطى الجزية وفي سنة خمس وثمانين وثمانمائة صمم السلطان محمد على افتتاح جزيرة
رودس فأرسل اليها الساطيل بحرية مشحونة بمائة الف مقاتل فحاصروا الجزيرة المذكورة ثلاثة
اشهر فلم يتيسر فتحها لانها كانت حصينة ثم ارتحلوا عنها وفي سنة ست وثمانين جهز جيشين
عظيمين احدهما لمحاربة جزيرة قبرس والاخر لقتال العجم ثم أدركته الوفاة قبل تمام الامر
فتوفي ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الاول من سنة ست وثمانين وثمانمائة وعمره احدى وخمسون سنة
ومدة ملكه استقلالا بعد وفاة أبيه احدى وثلاثون سنة وشهران وكان ملكا جابلا يعجز الواسفون
عن مقدار فضائله ومحاسنه وكانت همته لا تكل ولا تعجز ولا تنفتر عن الفتوحات ربه الله تعالى
قال العلامة القطبي عن بعض اوصاف السلطان محمد المذكور وللهم حوزم المقدس قلادات من

لا تحصى في أعناق المسلمين لاسيما العلماء الأكرمين قلدها في أجيادهم فهي باقية الى يوم الدين ولو ذكرت مناقبه لشحنت بها مجلدا أسكنه الله تعالى فسيح الجنان وأنزل على قبره سبحانه الرحمة والرضوان وتسلطن بعده ولده (السلطان بايزيد الثاني) ونازعه اخوه السلطان جم ووقع بينهما حروب يطول الكلام بذكرها وكان الانتصار للسلطان بايزيد واستقر الملك له وكان رحم الله ملازما للغزو في سبيل الله مظفرا على اعداء الله محبا لفعل الخيرات مكرما للعلماء والصلحاء وفي سنة ثمان وثمانين وثمانمائة سار بعساكره الى بلاد قره بغداد فافتتح قلعة كلبي وقلعة آق كرمان وفيها ايضا فتحت قلعة ملوان وقلعة متون وقلعة طرسوس وقلعة نقشه وقلعة كوكلك والحاصل انه استولى على كثير من بلدان البغدان وغيرها مما في تلك الاطراف وفي سنة سبع وتسعين وثمانمائة توجه الوزير يعقوب باشا لغزو بلاد البوسنة فظفر بملكها (درنجيل) وقيده في وثاق وأرسله الى السلطان بايزيد وفي سنة تسعمائة وثلاثة بعث جيوشا الى بلاد الأرناؤوط برا وبحرا وخرج في أثرها بنفسه ومعه ايضا جيوش كثيرة قاصدا بلاد السرب وبلاد الأرناؤوط وحارب في تلك الغزوة بولونيا وأوقع بها واستولى على جانب عظيم منها وأخذ منها عشرة آلاف أسير ثم عاد البهامة ثانية فنكبتها نكبة عظيمة وفي سنة خمس وتسعمائة سار السلطان بايزيد بعساكره فاستولى على قلعة اينه نختي وعلى قلعة قرون وكان السلطان بايزيد بن السلطان محمد من المجاهدين في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا فزال غازيا في سبيل الله مظفرا على أعداء الله فكانت به كلمة الاسلام مجموعة وكلمة اهل الضلال خاسئة مجموعة وكان محبا لنيل الخيرات مثابرا على بذل الانعام والصدقات محبا للعلماء والمشايخ والأولياء من أهل الكرامات ودخل في طريق السادة الصوفية ودخل الخلوة وجلس الاربعين وارناض مثل الصلحاء السالكين ولما دخل الخلوة كان معه والد مولانا ابي السعود المفسر وهو مولانا الشيخ محيي الدين افندي وبنى السلطان بايزيد المذكور الجوامع والمدارس والعمارات ودار الضيافات والتكيات والزوايا والخانات ودار الشفاء للمرضى والحمامات والجسور ورتب للمفتي الاعظم ومن في رتبته من العلماء العظام في زمنه في كل عام عشرة آلاف عثماني ولكل واحد من مدرس الثمانية من مدارس والده المرحوم السلطان محمد في كل عام سبعة آلاف عثماني ولمدرس شرح المفتاح لكل واحد أربعة آلاف عثماني ولكل واحد من مدرس شرح التجريد ألفي عثماني وكذلك رتب لمشايخ الطريق الى الله تعالى من أهل الله ومريديهم وأهل الزوايا لكل واحد على قدر مرتبته واستحقاقه وهذا غير كسوة الصيف من الأصواف ونحوها وغير كسوة الشتاء من الفراء والجوخ لكل واحد على قدر مرتبته وصار ذلك قانونا جارا مستمرا وكان يحب أهل الحرمين الشريفين ويحسن اليهم احسانا كثيرا ورتب لهم صرا في كل عام غير ما كان مرتبا من آباءه الأكرام وكان يجهر الى فقراء الحرمين الشريفين في كل سنة أربعة عشر ألف دينار ذهبيا يصرف نصفها على فقهاء مكة ونصفها الآخر على فقهاء المدينة ولم يكن حكم الحرمين في ذلك الوقت عنده فكانوا يتسعون بها ويرتفون بها ويدعون له فكان ذلك من أسباب تسهيل دخول أهل الحرمين تحت طاعة ولده السلطان سليم كما سيأتي

ان شاء الله تعالى وكان اذا ورد عليه احد من أهل الحرمين بكرمه وبجسده
ويرجع من عنده بصلاة عظيمة ومواهب جزيلة

ذكر ظهور اسماعيل شاه سلطان العجم

عما كان من العجائب في زمن السلطان بايزيد بن السلطان محمد ظهور اسماعيل شاه في بلاد
العجم وكان ظهوره واشتهار أمره سنة تسعمائة وخمسة وكان له ظهور عجيب واستيلاء
على ملوك العجم بعد من الأتاجيب فانتشر أمره وفنتك في البلاد وسفك دماء العباد
وأظهر مذهب الرفض والاختاد وغير اعتقاد كثير من الخلق وصار يدعوا الناس
الى الانحلال والفساد بعد الصلاح والسداد وأزال من قلوبهم حسن الاعتقاد والله تعالى
يفعل في ملكه ما أراد وظهر من اتباع اسماعيل شاه شيطان تولى بالروم أهلك الحرث والنسل
وعم بالفساد والقتل وقويت شوكته وعظم على المسلمين فنته فأرسل السلطان بايزيد
وزيره الاعظم على باشا بعسكر كثير لقتال هذا الباغى فاستشهد على باشا في ذلك القتال ولكن
قتل الله ذلك الباغى وانهزم من كان معه من الجنود وقتل كثير منهم وكفى الله شر أولئك
الاشرار وذلك سنة تسعمائة وخمس عشرة واسماعيل شاه المذكور هو اسماعيل بن حيدر
ابن جنيد بن ابراهيم بن سلطان خواجه بن علي بن صدر الدين موسى بن صفى الدين اسحاق
الاردبيلي وكان أهل هذا البيت يقال لهم الصفويون نسبة الى الشيخ صفى الدين الاردبيلي
المذكور آنفا وكانوا من أهل السنة والجماعة ومن أهل الولاية والصلاح والمشايخ ارباب
الطريق والسلوك والزوايا وسلسلة طريقهم تنتهى الى الامام احمد الغزالي اخى الامام محمد حجة
الاسلام الغزالي وقيل ان لهم نسباً ينتهى الى موسى الكاظم وكان جددهم الشيخ صفى الدين
له شهرة كبيرة في مشيخة الطريق وتوفى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ثم صارت المشيخة
في ولده صدر الدين ثم في ولده علي ثم في ولده سلطان خواجه ثم في ولده ابراهيم ثم في ولده
جنيد ثم في ولده حيدر ولما كانت المشيخة في جنيد كثرت اتباعه ومريدوه واشتهر أمره وانتشر
صيته وصار يجاهد الكفار بمن معه من المريدين والاتباع وكان جهان شاه التركانى صاحب
شروان واذر بيجان تغلبا على ملك العراق وبغداد فتوهم من جنيد وكثرة اتباعه وخشى
أنه يغلب عليه وينزع الملك منه فأخرج جنيد اى ومن معه من اردبيل فتوجهوا الى ديار
بكر ثم قوى أمرهم فقاتلوا سلطان شروان فانهزم الشيخ جنيد ثم قتل وتفرق مريدوه
ثم اجتمعوا بعد مدة على ابنه حيدر فقاتلوا أيضا سلطان شروان فقتل الشيخ حيدر وأسر بنوه
ومنهم ابنه اسماعيل شاه وكان صغيرا واستمر محبوسا هو واخوانه وهرب بعض اخوانه من
الحبس سنة ثمانمائة وست وتسعين ثم هرب اسماعيل شاه سنة تسعمائة وستة وعمره ثلاث عشرة
سنة واجتمع عليه خلق كثير بدخروجه من الحبس كانوا يعتقدون الخير في ابيه حيدر فقبر
اعتقادهم الى مذهب الرافضة فقصده بجموعه الإخوة بنارايه وجده وكان قدر رفض مذهب
آبائه وأهل بيته وتمذهب بمذهب الرافضة تعلم ذلك وسرى اليه وهو صغير حين كان في الحبس
قيل في تاريخ ظهوره مذهبا حق ٩٠٦ سمع ذلك بعض أهل السنة فقال مذهب ناهق على

النفى فاننا في الفارسي اداة نفى فقاتل بمن اجتمع معه شروان شاه وكان كلسار منزلا كثيرا
جنوده فذازلوا شروان شاه وقتلوه فهزموه ثم أسروه فأتوا به الى اسماعيل شاه فأمرهم أن
يضعوه في قدر كبير ويطنخوه ويأكلوه ففعلوا كما أمرهم وأكلوه ثم قاتل بمن معه من الجند ملوك
العراق وخراسان الذين كانوا متغلبين على الممالك في تلك الازمان من التركان وغيرهم فكان
يهزم له جيش ولا يتوجه الى بلاد الاويفتحها ويقتل جميع من فيها وينهب اموالهم الى أن
ملك تبريز واذربيجان وبغداد وعراق العجم وعراق العرب وخراسان وتعظم أمره حتى
كاد يدعى الربوبية وكان ظلما غشوما أوفى وأباد من الامم بالقتل مالا يحصى من العدد وكان
عسكره يسجدون له اذا خرج اليهم ويأتمرون بأمره قال العلامة القطبي في تاريخه قتل
خلقا لا يحصون ينوفون على ألف ألف نفس بحيث لا يمهّد في الاسلام ولا في الجاهلية من
القتلى ولا في الامم السابقة مثل ما قتله اسماعيل شاه وقتل من أعظم العلماء خلقا كثيرا ولم
يبق احدا من علماء اهل السنة الذين كانوا في بلاد العجم وأحرق كتبهم ومصاحفهم لانها
مصاحف اهل السنة وكان كلما قبر من قبور العلماء والمشايخ يأمر بنيشه واخراج عظامه
ثم يحرقها واذ قتل اميرا من الامراء أباح زوجته وأمواله لشخص آخر ومن جملة خرافاته
المضحكة الدالة على سخافة عقله الناشئة عن تكبره وتجبّره انه جعل كلبا من كلاب الصيد اميرا
ورتب له ترتيب الامراء من الخدم والكواخي والسماط والاوزاق والقراش الحرير وجعل له
سلاسل من ذهب ومرتبة ومستندة يستند اليها كالامراء وأقام لخدمة ذلك الكلب جملة
من خواص خدمه ومن تكبره وطفيفانه أنه أسقط مرة من يده منديلا الى البحر وفعل ذلك
قصدا وكان في جبل شاهق مشرف على البحر المذكور فصار عسكره واتباعه وخدمه يلقون
أنفسهم في البحر خلف المندبل لبأثوبه تقربا اليه اوليتسوا بركة المندبل الذي مسسته يده
حتى أحصى من رمى نفسه منهم فكانوا نحو ألف صاروا يتخطون في البحر حتى غرقوا قيل
انهم كانوا يعتقدون فيه الالهية ٨ وأنه لا يهزم له جيش الى غير ذلك من الاعتقادات الفاسدة
التي كانوا يعتقدونها فيه وما يحكى عن اسماعيل شاه سلطان العجم انه كان في ابتداء أمره تنهزم
جيوشه ولا يثبت هو ايضا للقتال بل يهزم معهم فانفق انه اجتاز مرة بامرأة وهو متسكر
فأضافته هو ومن معه وقدمت لهم طعاما حارا في صحفة فشرع الشاه اسماعيل يأكل من
وسط القصعة وهي حارة والمرأة تنظر اليه فقالت له ما أشبهك ايها الرجل الا باسماعيل
شاه الذي ظهر في هذا الزمان فانه يريد أن يقصد وسط الدولة محل الشوكة والقوة
فيأخذه وذلك خطأ فينبغي له ان يأخذ أطراف البلاد ليرد الوسط فأنت كل من الاطراف
حتى يبرد الوسط ثم كل منه فتنبه من قولها وعمل بأشارتها فصار يقاتل اطراف الممالك
حتى صار له ماصار وملك جميع اقليم العجم وبواسطته انتشر التشيع وظهر في العجم وسلاطين
العجم الموجودون الى وقتنا هذا من ذريته وسبأني ذكر ما وقع بينه وبين السلاطين العثمانيين
من القتال وكذا ما وقع بينهم وبين ذريته وانما أطلت الكلام في بيان احوال اسماعيل شاه
واصوله ليعلم من ذلك ان كثرة بغيه وطفيفانه من جملة الاسباب التي دعيت السلطان
سليم الى قتاله الذي سنذكره مع ما نضم الى ذلك مما كان بينه وبين السلطان سليم

أى بالحاول كقول النصارى في عيسى عليه السلام تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا له مؤلفه

❖ ذكر الحرب والقتال الذي كان بين السلطان بايزيد وولده سليم ❖

لا بد قبل ذلك من ذكر الاسباب الالهية الخفية التي كانت بتقدير الربوبية ليعلم بذلك ان الاسباب الظاهرية لا بد معها من اسباب خفية قدرها الله تعالى من الازل قال العلامة القطبي في تاريخه ان منجما حادقا كان في عصر السلطان بايزيد الثاني قد اطلعه الله على امر يتعلق بالسلطان بايزيد فاخبره به وهو ان هلاكه وذهاب ملكه يكون على يد مولود يولد له وكان السلطان بايزيد قد وادله اولاد قبل اخبار المنجم وكان اخباره له بذلك قبل ان يولد السلطان سليم فطلب السلطان بايزيد امرأة كانت معتمدة عنده بيدها امرجواريه الموطوات وهي قابلة لمن تضع حملها منهن وكانت من الصالحات فقال لها اذا وضعت احدي الجوارى بعد الآن صبيا فاقتليه ولا تبقيه حيا واذا ولدت انثى اتركها لتعيش مع بناتي واكد عليها في ذلك غاية التاكيد فاستمرت على ذلك الى ان ولدت واحدة منهن صبيا فلما رآته امه التي ولدت له حزنت عليه لكونه تخفقه القابلة فلما تناولته القابلة لتخفقه رأته صورة جميلة ووقع حبه في قلبها فمقتله وقالت في نفسها باي وجه اتقى الله تعالى اذا قتلت هذا الطفل والله لا أقدم على قتله فأظهرت انه بنت وقالت للسلطان ابايزيد انه حصل له من فلانة بنت جميلة حسنة الصورة فلما خبرته بذلك سماها سليمة واستمر الامر على ذلك والحال مكتوم لا يعلم الا الله تعالى والقابلة وام الولد وصار كلما كبر والنشأ تظهر عليه اوصاف الذكور من الاستيلاء والغلبة والقهر واذا اجتمع البنات وجلس بينهن اعظم من كان منهن الى جانبه ونهب ما وجد بأيديهن من ملعوبات الاطفال وغير ذلك وكن يحذرن منه فدخل السلطان بايزيد يوما الى داخل السرايا وكان يوم عيد واستدعى بنياته وأجلسهن بين يديه وامر ان توضع بين يدي كل واحدة منهن انواع الحلوى والقواكه وحضر معهن ذلك الغلام المسمى سليمة فشرع في قول ما كان يفعله مع البنات من الخطف والنهب والضرب وكلهن خائفات منه هائبات له فعجب السلطان بايزيد وصار يتأمله جدوا يفكر في أمره وفي اثناء ذلك دار بينهن يعسوب كبير وأردن ان يسكنه فمجزن وهو يلسع من يده امساكه فهدروا منه فهاجوه فد الغلام المسمى سليمة يده اليه وهو طائر فأمسكه ومرسه وعفصه ورماه من يده فازداد تعجب السلطان بايزيد منه وقال للنساء الواقفات هذا لا يكون بنا اكشفوا الى عنه فبادرت القابلة وقالت نعم هذا صبي وليس بنت فقال لها كيف خالفتي امرى وما قتلته فبالت خفت من الله رب العالمين وخلصت ذمتك وذمتي من قتل معصوم ولا ذنب له فتفكر طويلا ثم قال ما قدره الله فهو كائن لا امر عنه وأمر بتر يده وان يلبسوه لباس الذكور وسماه سليما الى ان كان من أمره ما كان والله غالب على أمره ولكن اكثر الناس لا يعلمون والله بالغ امره قد جعل الله لكل شئ قدرا ولم أر الله ابراز ما أراده وقدره من الازل من ذهاب ملك السلطان بايزيد على يد ولده سليم انشأ سبحانه وفعالى اسباب الحرب والقتال بينهما بايجاد اسباب لا يحكم العقل فيها بانها ينشأ عنها الحرب والقتال وذلك ان السلطان بايزيد شاخ وكبر سنه وذهملت رجله عن الحركة

بمسلة القرمس فأراد النزول عن الملك لولده اجدو كان اكبر اولاده واحبهم اليه
قد جعله قبل ذلك امير اماسية ثم جمع الوزراء واعيان الدولة وعهد اليهم بان ولده اجدو ولي
عهده فاغتاز سليم من ذلك وعزم على الخروج على ابيه وعلى خلع طاعته وقتاله وكان
قد ولده ابوه ادرنة فجمع العساكر وتوجه بهم الى القسطنطينية مظهرا انه يريد زيارة ابيه
وتقبيل يده وانه راض بما يصنعه ابوه من جعل اخيه اجدو ولي العهد وانه ليس له غرض في الملك
واطلع ابوه بقرائن الاحوال على مراد ولده سليم وانه انما يريد السلطنة والمالك فنهض
السلطان بايزيد من القسطنطينية بمساكره وخارج مستقبلا ولده المذكور فلاقاه بين
القسطنطينية وادرنة والتقى الجيشان ووقع القتال بينهما بقرب ادرنة وجرى بينهما حرب
شديد ثم انجلي الامر عن هزيمة سليم وانتصار ابيه عليه واراد العسكر ان يطردوا خلف سليم
ليقبضوا عليه فنهضهم ابوه السلطان بايزيد وقال اتركوه لامله ينصلح وتوجه سليم هاربا وركب
البحر وقصد بلاد كفة فبينما هو فيه اذ بعث السلطان بايزيد الى ولده اجدو يدعوه الى ان يقلده
المالك وينزل له عن السلطنة حالا فامتنع وقال لا يمكن ان يقبل ذلك في حياة والده تعظيما
لوالده وقال ايضا انه يخاف من عسكر الانكشارية لان هواهم ورغبتهم في سليم فلما علم ابوه انه
ليس لابنه اجدو نصيب في الملك وان الملك لله يؤتیه من يشاء وخاف على الملك ان تغلب عليه
اجنبي ارسل الى ولده سليم يدعوه لينزل عن الملك ويسلمه اليه فقدم سليم بالرأى الحازم
والسيف الصارم حتى قرب من القسطنطينية فأمر السلطان بايزيد العساكر ووجوه الامراء
والوزراء فاستقبلوه وهنوه بالمالك ولما دخل على ابيه قبل يده فدعا له بخير وسلمه الملك
وأوصاه باشيء تليق بالسلطنة ثم أمر من يومه بتجهيز أسباب السفر لايه للقامة بمدينة
ديمتوقه وقال السيفان لا يجتمعان في قراب واحد فلما كان السلطان بايزيد ببعض الطريق
رام ان يتوضأ لصلاة الظهر فوضعوا له السم في الماء فلما توضأ تساقط شعر لحية فأحس
بذلك فقال ردوني فردوه فتوفي قبل ان يصل الى القسطنطينية ثم حمل اليها ودفن بها امام
مدرسته التي انشأها بالمدينة المذكورة وكان مدة ملكه احدى وثلاثين سنة الاياما لان وفاته
سنة ثمان عشرة وتسعمائة وولايته كانت سنة سبع وثمانين وثمانمائة وعمره اثنتان وستون سنة
لان مولده سنة ست وخسين وثمانمائة وله رجة الله مناقب كثيرة تقدم بعض منها ومن مناقبه
انه كان يجمع في كل منزل حل فيه من غزواته ما على ثيابه من الغبار ويحفظه فلما دنا أجله أمر
بذلك الغبار فضرب منه لينة صغيرة وامر بان توضع معه في القبر تحت خده الايمن ففعلوا
ذلك فكأنه اراد بذلك لغوى قوله صلى الله عليه وسلم من اغبرت قدماء في سبيل الله حرم
الله عليه النار ولما توفي السلطان بايزيد المذكور (واستقر ابنه سليم على تخت الملك)
نازعه في ذلك اخوه اجدو وقصد كل منهما الآخر سنة تسع عشرة وتسعمائة بجيش عظيم
فتقاتلا امام مدينة يني شهر فانتصر السلطان سليم واما اخيه اجدو فخني وكان اسماعيل شاه
سلطان العجم المتقدم ذكره رجة يتعصب للسلطان اجدو ويحامي له فلما خني اجدو هرب بعض اولاده
والتجأ الى السلطان الغوري وبعضهم الى اسماعيل شاه فأرسل له السلطان سليم يطلب منه ان
يجمعهم اليه فامتنع فكان ذلك من اسباب قيام الحرب والقتال بين السلطان سليم واسماعيل شاه

مع ما تقدم من انتشار ظلم اسماعيل شاه وسفكه الدماء واهلاك الحرث والنسل وكان للسلطان بايزيد ايضا اولاد غير اُخذناز عوا سليما وقتلوه فانصرف عليهم ولا حاجة بنا الى ذكر ذلك

ذكر الحرب بين السلطان سليم واسماعيل شاه سلطان العجم

ذكر كثير من المؤرخين ان السلطان سليم كان سلطا نافهرا قوى البطش عظيم القتل كثير الفحص عن اخبار الناس شديد التوجه الى اهل النجدة والبأس عظيم التجسس عن اخبار الممالك عارفا بممالك الطرق والممالك وكان يغيره ولباسه ويتجسس في الليل والنهار ويطلع على الاخبار ويستكشف الاسرار وله عدة مصاحبين يدورون تحت القلعة وفي الاسواق والجمعيات والمحافل ومهما سمعوا به ذكروه له في مجلس المصاحبة فيعمل بمقتضى ما يسمعه بعد الوثوق منهم ولما استقر له الملك بعد قتال اخوته وانتصاره عليهم شرع في قهر الملوك والاستيلاء على الاقاليم والممالك وبدأ بقتال شاه اسماعيل بن حيدر الصفوي وكان ذلك سنة عشرين وتسعمائة وكان السبب في قتاله ان بعض اولاد اخي السلطان سليم التجأ الى اسماعيل شاه فأرسل يطلبه منه فامتنع مع ما انضم الى ذلك من بغى اسماعيل شاه وطفقائه وافساد في الارض حتى أهلك الحرث والنسل كما تقدم بيان ذلك في ترجمة اسماعيل شاه فتوجه السلطان سليم من مقر سلطنته بعسكر كثيف وسار نحو الشرق لقتال اسماعيل المذكور فالتقيا في مكان يقال له جالدران وكان جيش السلطان مائة واربعين الفا في اول خروجه من مقر سلطنته ثم اردفها باربعين الفا ولما التقى الجيشان اشتد القتال بينهما ثم انهزم عسكر العجم هزيمة قبيحة واستولى عسكر السلطان سليم على خزانهم واموالهم واكثروا القتل فيهم ولم ينج منهم الا القليل وفر اسماعيل شاه وتحصن بشواخ الجبال واستولى السلطان سليم على خزائنه وأمواله وخيمه ونسائه ومنع العسكر من السير خلف المنهزمين ودخل السلطان سليم مدينة تبريز وهي كرسى مملكة العجم وصلى فيها الجمعة وخطب باسمه وكان مراده ان يطيل الاقامة ببلاد العجم ليفتح جميع بلادهم ويدخلها في ملكه ويرتبا لكن اشتد عليه الغلاء لان السلطان الغوري قطع الميرة عن السلطان سليم ومنع السائرين بها اليه لانه كان بينه وبين اسماعيل شاه صداقة ومحبة ومكاتبه حتى ان بعضهم اتهم السلطان الغوري بانه يعتقد مذهب الرافضة وكان من أسباب الغلاء على جيش السلطان سليم ان اسماعيل شاه كان تحت يده كثير من الغلال والذخائر فلما تحقق الهزيمة عليه امر بحرقها فأحرقت قال القطبي وكان من امر اشتداد الغلاء ان العليقة بيعت بمائتي درهم وبيع الرغيف بمائة درهم قال العلامة القطبي وقد أدركت جاعة ممن كانوا مصاحبين لمولانا السلطان سليم وكانوا يكثرون بحالته وسمعت منهم حسن مصاحبة السلطان سليم معهم ولطف معاشرته لهم وشدة تقطعه وذوقه وفهمه وتحفظه مع كثرة مطالعته للتواريخ وتفرسه في اللغة الفارسية وحسن نظمه بالفارسية والرومية بحيث فاق فيه فقهاء الطائفتين ثم قال العلامة القطبي ورأيت يتيين بالعربي بخطه الشريف كتبهما في علو المقياس في الكشك الذي أمر ببنائه لما افتتح مصر وسكن الروضة والبيتان هما هذان

- * الملك لله من يظفر بنيل منى * يردده قمرًا ويضمن بعده الدركا
- * لو كان لي أولغيري قدر أغلة * فوق التراب لكان الأمر مشتركاً

وتحتها ماصورته وكتبه سليم قال العلامة القطبي والعمرى ان كان هذان البيتان من نظم المرحوم فهما غاية في البراعة ونهاية في التمكن من الصناعة فيدل على ملكته رحمه الله في اللسان العربي ايضا لانهما من اعلاطبقات الشعر العربي الفصيح البليغ المنسجم وان كان قد تمثل بهما وهما الغيرة فهذه رتبة عالية في حسن التمثيل ولطف الاستحضار وفهم الاشعار العربية وذوقه بها وهذا القدر يستعظم ويستكثر على عظماء العجم المكين على العلوم العربية فضلا عن سلاطينهم المشغولين بضبط الممالك وفتحها ولما فرغ السلطان من قتال اسماعيل شاه واشتد عليهم الغلاء رجع الى الروم وشق في مدينة اماسية ولما دخل الربع رجع الى بلاد الشرق وافتتح قلعة كاخ وهي من أمتع الحصون ثم افتتح مدينة ييبورد وأرسل وزيره فرهاد باشا بعسكر كثير الى قتال ملك مرعش البستان فانتصر فرهاد باشا واستولى على تلك البلاد وفي هذه السنة أحب أهل آمد أن يدخلوا في طاعة السلطان سليم فأخرجوا واليهيم الذي كان من قبل سلطان العجم وأغلقوا أبواب المدينة وأرسلوا يطلبون أميراً من السلطان سليم فعين لهم يعلو محمد بك الأمدى فوصل الى تلك البلاد ثم حاصر مدينة ماردين مدة أربعين يوماً وافتتحها ثم افتتح بلاد الموصل وجانة وحديثة وهيت وسنجار وحصن كيفا وجشزك وحصن سوران وسائر بلاد الأكراد وعامة جزيرة الأكراد فدخلت هذه البلاد كلها في طاعة السلطان سليم ولم تكن قبل من الممالك العثمانية بل كان بعضها عند العجم وبعضها عند ملوك من غير العجم تغلبوا عليها

ذكر محاربة السلطان سليم للسلطان الغورى

وفي سنة اثنين وعشرين وتسعمائة قصد السلطان سليم محاربة السلطان الغورى صاحب مصر والشام وحلب لانه كان متواطئاً مع سلطان العجم على محاربة السلطان سليم وقد تقدم انه قطع الميرة عنه فخرج من القسطنطينية بجيش مقداره مائة وخمسون الفا وخرج الغورى من مصر بجيش كثيف لمحاربتة والتقى الجيشان في مرج دابق بقرب حلب واقتتل العسكران فانهمز جيش مصر وقتل الغورى في المعركة ودخل السلطان سليم مدينة حلب واستقبله اهلها باعجاب ثم وصلها ثم حاملي المصاحف على رؤسهم يستقبلون السلطان سليم ويهنونه بالفتح ويسألونه الرفق والصفح فقابلهم بالجميل ودخل مدينة حلب وخطب له فيها وكان الخطباء يقولون في أو صاف سلاطين مصر خادم الحرمين الشريفين فلما خطب الخطيب بحلب قال في وصف السلطان سليم خادم الحرمين الشريفين ففرح بذلك واستبشر مولانا السلطان سليم وعلم أن الله تعالى ينصره على الغورى حتى تكون خدمة الحرمين الشريفين له وخلع على الخطيب حلته التي كانت عليه وكانت تساوى خمسين الف غرش ثم سار الى الشام فاستقبله اهلها بالأكرام والاحترام وسألوا منه اللطف والازعام فعاملهم بالجميل وصلى عندهم الجمعة وخطب باسمه ومكث بالشام ثلاثة اشهر ونصف ثم سار يريد البلاد المصرية وافتتح في مسيره مدينة

بيت المقدس ثم سار وفتح مدينة غزة وطبرية وصفد واللجون والرملة ووصل الى مصر
في الثالث عشر من المحرم سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وكان قد تسلطن بمصر بعد مقتل
الغوري السلطان الاشرف طومان باي قيل ان الغوري خاله وكان معه اربعمائة الف
من الجراكسة فخرج لقتال السلطان سليم لينه من دخول مصر فوقع القتال بين العسكرين
فانهزم طومان باي وعسكره وقتل منهم خلق عظيم ثم قبض عليه وبعد عشرة ايام صلبه
السلطان سليم في باب زويلة وأقام السلطان بمصر نائباً عنه خير الدين بك الجركسي
وخرج السلطان سليم من مصر في شعبان من السنة المذكورة وقدم الى دمشق وعين
لامارتهاماع اعماله الاميرجان بردى فاستولى على مدينة ملطية وديوركي ودارنوه وبهسني وكركر
وكاختة واليرة وعنتاب وانطاكية وقلعة الروم واطاعته قبائل العرب المجاورين للشام
ومصر ولما رجع السلطان سليم الى القسطنطينية أخذ في تكثير المهمات والاستعداد لحروب
وغزوات جديدة فطلع له دمل في جنبه ولم يزل يتعاطم هذا الدمل حتى اتسع وصار جرحاً
عظيماً واتسع الخرق على الراقع وتعطل السلطان عن الحركة وبجرت حذاق الاطباء
في علاجه وكانت توضع الدجاجة في جرحه فتذوب واستطال به ذلك المرض الى ان توفي
سنة ست وعشرين وتسعمائة تاسع شوال وعمره اربع وخمسون سنة ومدة ملكه تسعة
أعوام وثمانية أشهر

✽ قائدان استطراديتان لهما تعلق بالفتوحات المذكورة هنا ✽

الاولى ذكر كثير من المؤرخين ان العلامة ابن كمال باشا استخراج من القرآن العزيز الاشارة
الى الدولة العثمانية وانتصار السلطان سليم وظهور أمره من بعد سنة تسعمائة وعشرين
وان الدولة العثمانية من عباد الله الصالحين وان السلطان سليم منهم فقال ابن كمال باشا
ان ذلك كله يستخرج بطريق الرمز والايحاء والاشارة من قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور
من بعد الذكرا ان الارض يرثها عبادي الصالحون وبيان ذلك ان قوله ولقد اذا حسب
عل قاعدة الحساب بحروف ابجد يخرج عدده مائة واربعين ويقابله لفظ سليم فان حساب عدد
حروفه يبلغ مائة واربعين وقوله من بعد الذكر اشارة الى ان ذلك بعد تسعمائة وعشرين
لانه عدد حروف ذكر بعد اسقاط اداة التعريف على قاعدتهم في ذلك فتكون الاشارة
في ذلك سليم بعد تسعمائة وعشرين مكتوب في الزبور انه يرث الارض وانه من عباد الله
الصالحين قيل ان السلطان سليم لما أخبر به بهذا الاستخراج فرح واستبشر وكان ذلك
من أقوى الاسباب لخروجه لقتال الغوري وقد حقق الله النصر فظهر بذلك صحة هذا
الاستخراج والله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أسرار كثيرة وله في كل شيء حكمة والله
سبحانه وتعالى أعلم بأسرار كتابه وبغيرها

✽ القائمة الثانية ✽

ان مولانا السلطان سليم لما استقر بمصر وتم له تلك الديار المصرية كما تم له تلك الديار
الشامية اشتاقت نفسه الى تلك الاقطار الجازية ليقوم بخدمة الحرمين الشريفين فأراد
ان يجهز جيشاً ويسيره الى الجاز وينزعه من عمال السلطان الغوري وكان امير مكة في ذلك

الوقت الشريف بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان وقد كان في سنة ثمان عشرة وتسعمائة أرسل ولده الشريف ابا غنى الى مصر لمقابلة السلطان الغورى فأكرمه وأشركه مع ابيه في اماره مكة وكان عمر ابي غنى في ذلك الوقت ثمان سنين وكان السلطان الغورى حبس بمصر جماعة من اعيان اهل مكة منهم العلامة القاضي صلاح الدين بن ابي السعود ابن ظهيرة وكان سبب حبسه مع من معه ان الغورى طلب منهم مالا مصادرة وظلما مبلغه عشرة آلاف دينار فجزوا عن تحصيله فأمر بحملهم الى مصر واعتقلهم في الحبس فلما قتل الغورى وتسلط طومان بيك أطلقهم وقيل انما أطلقهم السلطان سليم فلما عزم السلطان سليم على تجهيز جيش الى الحجاز اجتمع القاضي صلاح الدين بن ظهيرة بوزير مولانا السلطان سليم وقال له لا حاجة الى تجهيز جيش فان الشريف بركات يكفيكم هذا الامر ويحصل لمولانا السلطان المطلوب وعرفه عظمة الشريف بركات ومنزله من الشرف والعلم وأنه أول من يطاع مولانا السلطان ويأخذ البيعة له من أهل الحرمين والافطار الحجازية ويكفي بدلا عن الجيش ان تبعوا له توقيعا شريفا من مولانا السلطان فعرض الوزير ذلك على مولانا السلطان سليم فاستحسنه وأمر بكتابة التوقيع الشريف للشريف بركات وان يكون ولده ابو غنى مشاركا له كما كان في مدة السلطان الغورى وكتب القاضي صلاح الدين للشريف بركات الاخبار بذلك ووجه مولانا السلطان ذلك التوقيع الشريف ومعدخلعتان عظيمتان واحدة للشريف بركات والاخرى لوالده الشريف ابي غنى وجعل ذلك صحة الامير مصلح بيك وبعث معه محملا وكان ذلك على اقبال شهر الحج فلما قدم الامير مصلح مع المحمل ومعه الخلعتان والتوقيع الشريف وخلعة للكمبة المعظمة فخرج لمقابلته الى الزاهر الشريف بركات وولده ابو غنى وكثير من الاشراف وغيرهم في موكب عظيم ولبس الشريف وولده الخلعتين ودخلوا مكة وأخذوا البيعة لمولانا السلطان سليم ودعوا له في الخطبة وحصلت طاعة الناس وانقيادهم بالرضا والقبول ثم أرسل الشريف ولده الشريف ابا غنى سنة ثلاث وعشرين الى مصر لمقابلة مولانا السلطان سليم فقابلته وأكرمه وأبقاه على مشاركة ابيه بركات ثم توفي بركات سنة احدى وثلاثين وتسعمائة واستقل ولده ابو غنى بالامارة وجاءه التأييد مولانا السلطان سليم واستمر الشريف ابو غنى مستقلا بالامارة مكة الى أن توفي سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة وعمره ثمانون سنة لان ولادته كانت سنة احدى عشرة وتسعمائة وكانت مدة ولايته اماره مكة مشاركة لابيه واستقلا ثلاثا وسبعين سنة ولم يعهد ذلك لغيره من أمراء مكة الذين قبله والذين جاؤا بعده وهو جد ساداتنا أشراف مكة ولما ورد الامير مصلح بيك الى مكة صحبة المحمل والتوقيع والخلعتين وكسوة الكعبة أقام بعد الحج بمكة بأمر من مولانا السلطان سليم وأجرى له خيرات كثيرة يرجع ثوابها اليه منها انه قرر لمولانا الشريف صاحب مكة خمسمائة دينار زيادة على ما كان له من سلاطين مصر قبل ذلك وكتب دفتره قرر فيه اسماء جماعة من المجاورين ورتب لكل شخص منهم مائة دينار تؤخذ من خزينة مصر وقرر ثلاثين نفرا يقرؤون كل يوم ختمه وعين لكل واحد اثني عشر دينارا وقسم الامير مصلح ايضا الذخيرة وهي صدقة كانت تخرج من خزينة مصر تخرجها سلاطين

مصر لأميربان أصحاب الادراك وفقراء أهل مكة فأبقاها السلطان سليم ورتب مولانا
 السلطان سليم سبعة آلاف اردب حب لاهل الحرمين الشريفين منها خمسة آلاف لاهل مكة
 وألفان لاهل المدينة وجاء الامر للأمير مصلح بيك أن يوزع ذلك فجلس في الحرم الشريف
 وطلب حضور المفتي وبقية العلماء والاعيان وقرأ عليهم المرسوم السلطاني واستشارهم
 في توزيع ذلك فقالوا له لا بد من عرض ذلك على شريف مكة مولانا الشريف بركات فكتبوا
 صورة الامر السلطاني وأرسلوه الى مولانا الشريف واستند عواريه العالي في ذلك
 فكتب اليهم الجواب يأمرهم بالمبادرة الى امتثال الامر الشريف السلطاني وان يوزع
 ذلك على المستحقين بحسب الآراء من أعيان المجلس فأجمعوا اتفاقا بعد وصول الجواب من
 مولانا الشريف واتفق رأيهم على بيع شيء من ذلك لجمع ابصر في نقله من جدة الى مكة
 وبأن يكتب اسماء الناس على العموم ويصرف لكل واحد ما يخصه فكتبوا بيوت كل محلة
 وما في كل بيت من عدد الانتار رجالا ونساء وأطفالا وخداما معاد التجار والسوق
 والعسكر فبلغ عدد الانتار الذين كتبواهم اثني عشر ألفا فخص كل نفر ست ربايعي بكيل الربع
 الكبير الذي هو اربع كيل عن اربع وعشرين قدحا بالكيل المصري ودفعوا لكل نفر ديناراً
 من قيمة القمح الذي باعوه لاجل نقله من جدة الى مكة وجعلوا لكل واحد من المفتي الاربعة
 ثلاثة ارباب وزيد في اسماء بعض البيوت بحسب الاعتناء بشأن كبير البيت قال العلامة
 القطبي وهذه الصدقة اول صدقات الحب الشريف السلطاني ثم قال فيجب على كافة
 المسلمين عموماً وعلى أهل الحرمين الشريفين خصوصاً الدماء بدوام سلطنة آل عثمان خلاد
 الله سلطنتهم مدى الزمان فان دولتهم الشريفة عماد الاسلام وأحسنهم مازال متوصلاً الى
 كافة الانام سيما جيران بيت الله الحرام وجيران نبيه الاظهر عليه افضل الصلاة والسلام
 فانهم فازوا بالانعامات الوافرة في ايام هذه الدولة الزاهرة وحازوا من الصدقات المتكاثرة
 في نوبة هذه السلطنة القاهرة ما لم يتصوروه من الدول الماضية العائرة قاله تعالى يديم
 سلطانهم كما أدام علينا احسانهم اه كلام القطبي وقال العلامة ابن حنبل ان السلطان سابع
 كان كثير المحبة لاهل الحرمين من قبل ان يأخذ مصر وهو اول من بعث اليهم صدقة الحب
 انتهى ثم ان السبعة الاكاف الاردب المذكورة لم يرزل أبناءؤه من السلاطين يزيدون فيها
 حتى صار لاهل مكة اثنا عشر ألف اردب ولاهل المدينة سبعة آلاف اردب قاله تعالى
 يديم العز والبقاء لهذه السلطنة العثمانية السنية ويوفق كل قائم منهم به لكل خصلة جيدة
 مرضية ومما فعله الامير مصلح بيك من الخيرات لمولانا السلطان سليم المجدد بناء مقام الحنفي
 بمكة فانه وسعه وجعله قبة بعد أن كان مسقفاً على اربعة أعمدة في صدره محراب وكانت صنعة
 التسقيف المذكور سنة ثمانمائة وثلثين في مدة سلطنة السلطان فرج بن برقوق واستمر كذلك
 الى ان جعله الامير مصلح قبة سنة تسعمائة وثلث وعشرين واستمر على ذلك خساو عشرين
 سنة ثم هدمت القبة وبنى المقام مربعاً وجعلت الطبقة العليا للكبريين وموضع هذا المقام
 كان في الجاهلية موضع دار تجتمع فيها قريش للمشورة ويسمون لها دار الندوة ثم اشتراها
 معاوية رضي الله عنه في زمن خلافته وصارت دار ابيها الخلفاء اذا قدموا للحج ويخرجون

أدركت الطواف وحدي من غير ان يكون معي أحد مرارا كثيرة كنت أترصده خليا
لكثرة ثوابه بان يكون الشخص الواحد يقوم بتلك العبادة وحده في جميع
الدنيا وهذا لا يكون الا بالنسبة الى الانسان فقط واما الملائكة فلا يخلو عنهم المطاف
الشريف بل يمكن ان لا يخلو عن اولياء الله تعالى ممن لا يظهر صورته ويطوف خافيا عن
عين الناس ولكن لما كان ذلك خلاف الظاهر صار يشار على هذه العبادة كثير من الصالحين
لانه ليس معنا عبادة يمكن ان يتفرد بها رجل واحد في جميع الدنيا ولا يشاركه غيره في تلك
العبادة بعينها الا الطواف فانه يمكن ان يتفرد به شخص واحد بحسب الظاهر والله اعلم
بالسرائر حتى حكى لي والدي رحمه الله ان وليا من اولياء الله تعالى رصد الطواف الشريف
اربعين عاما ليلا ونهارا ليفوز بالطواف وحده فرأى بعد هذه المدة خلو المطاف الشريف
فتقدم يشرع واذا بحية تشاركه في ذلك الطواف فقال لها من انت من خلق الله تعالى
فقلت له اني من الجن واني أرسد ما رسدته قبلك بمائة عام فقال لها حيث كنت كنت انت
من غير البشر فاني فزت بالانفراد بهذه العبادة من بين البشر وأتم طوافه قال وحكى لي
شيخ معمر من اهل مكة انه شاهد الطباء تنزل من جبل ابي قبيس الى الصفا وتدخل من
باب الصفا الى المسجد ثم تعود لخلو المسجد من الناس وهو صدوق عندي وكنا نرى سوق
المسعى وقت الضحى خاليا عن الباعة وكنا نرى القوافل تأتي بالخطبة من بحيلة فلا يجد
اهلها من يشتري منهم جميع ما جاؤا به فكانوا يبيعون ما جاؤا به بالاجل اضطرارا ليعودوا
بعد ذلك ويأخذوا أثمان ما باعوه وكانت الاسعار رخيصة جدا لقله الناس وعزة الدراهم
وأما الآن فالتناس كثير والرزق واسع والخير كثير والخلق مطمئنون آمنون في ظلال
السلطنة الشريفة خائضون في بحر انعامهم واحسانها ولعمتها الوريفة أدام الله هذه
السلطنة الزاهرة وخلد دولتها القاهرة وخلافتها الباهرة وأما بناء المقامات في المسجد الحرام
فاما مقام الحنفي فقد عمت بناءه مما سبق واما الشافعي فيصلي في مقام ابراهيم عليه الصلاة
والسلام وأما مقام المالكي والحنبلي ففي البحر العميق كان عمل هذه المقامات على هذه الصفة
سنة سبع وثلاثمائة وفي تاريخ القطبي بعد ان ذكر عمارة الخريفي الواقع في زمن سلطنة السلطان
فرج بن برقوق ذكر ان فراغ العمارة كان سنة سبع وثلاثمائة في مدة اماره مكة لشرى بن حسن
ابن بجلان وانهم في تلك العمارة عمروا ما في صحن المسجد من المقامات الاربع التي وضعت
للمذاهب الاربعية على الهيئة القديمة اه ومقتضى قوله على الهيئة القديمة انها كانت موجودة
قبل هذا التعمير ولم أقف على كتاب فيه ذكر هذا البناء السابق ولا على فعله ولا على تاريخ فعله
وعبارة البحر العميق تقتضي ان التعمير الواقع سنة سبع وثلاثمائة هو أول احداث مقام المالكي
والحنبلي حيث قال كان عمل هذه المقامات على هذه الصفة سنة سبع وثلاثمائة ومقام المالكي
بين الركن اليماني والركن الغربي ومقام الحنبلي على حذاء الركن الذي فيه الحجر الاسود وفي سنة
ألف وثلاثمائة قال كثير من الناس ان المقام المذكور منحرف وبسبب انحرافه يحصل انحراف
لصفوفه يكون سببا لعدم تحقق استقبال القبلة لبعض الصفوف وسببا لانحراف صف الشافعي
الاول الذي خلف مقام ابراهيم عليه السلام فان الصف الاول المذكور عند محاذاته مقام الحنبلي

يحصل فيه انحراف وعدم استقامة فلو جعل مقام الخنبلي متوسطا بين الركن النجاشي والركن
الذي فيه الحجر الاسود بوضع ليس فيه انحراف لكان اولى ورفع الامر الى امير مكة سيدنا
الشريف عون باشا ووالي ولايت الحجاز دولتو السيد عثمان نوري باشا ثم وقع الاشراف
على ذلك بحضورهما وحضور جمع من العلماء والمهندسين فاتفق الجميع على استحسان جعله
متوسطا فأنهى الامر الى باب السلطنة السنية وجاء الاذن بذلك من مولانا السلطان عبد الحميد
الثاني فهدم المقام المذكور سنة ثلاثمائة وجعل متوسطا كما هو موجود الآن فجاء في غاية الحسن
هذا وقد طال الكلام الاستطرادى لارتباط تناسب الكلام مع بعضه فكثيرا للفوائد فلنرجع
الى اتمام الكلام الاول فنسوق ان الامير مصلح بك لما أتم ما كان مأمورا باجرائه بمكة من
الخيرات توجه الى المدينة المنورة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام وقسم الصدقات التي
لاهل المدينة المنورة وأجرى كثيرا من الخيرات ثم توجه الى دار السلطنة السنية

ذكر ولاية مولانا السلطان سليمان

ولما توفى السلطان سليم كان ولده السلطان سليمان ولي عهده وكان غائبا في سروجان واليا
عليها فأخفى الوزراء موت السلطان سليم الى ان حضر ولده السلطان سليمان فأجلسوه
على تخت السلطنة ثم أظهروا موت السلطان سليم وكان جلوسه على تخت السلطنة من غير
مخالف ولا منازع وكان محبا للجهاد ولنصرة دين الله ومرغبا أنوف أعدائه بلسان سيفه
وسنان قنانه وكان مؤيدا في حروبه ومغازيه مشهودا في وقائمه ومراميه ايان سلك
ملك واتى توجه فتح وفتك وأين سافر سفر وسفك وصلت سراياه وجيوشه أقصى الشرق
والغرب وافتتح البلدان الشاسعة البواسة بالتهر والحرب وأخذ الكفار والملاحدة بقوة
الطعان والضرب وأيد الدين الحنيفي بنجد ود سيفه الباتر وأقام الملة الحنيفية وأحيا مالها
من مآثر ونصر مذهب السنة السنية وأظهر شرائع الشعائر ودفع اهل الاتحاد وقمعهم فالهم
من ناصر وكان رحمه الله سلطانا رفيع القدر حسن الطبع في الحرب والسلم موصوفا بالعلم
والحلم والحزم قال العلامة القطبي في وصفه وكان مجدد دين هذا الامة المحمدية في هذا القرن
العاشر فقد ورد ان لكل قرن مجددا شأنه ظاهر هذا مع الفضل الباهر والعلم الزاهر
والادب الغض الذي يقصر عن شأنه كل أديب وشاعر وكان يعرف الالاسنة الثلاثة
العربية والتركية والفارسية وينظم نظما بارعا حسنا وكان دائم الفكر في أحوال الرعية
والمملكة وله ديوان فائق بالتركي وآخر عديم النظير بالفارسي يتداولهما بلغا الزمان وكان
رؤفا شفوفا صادقا صدوقا اذا قال صدق واذا قيل صدق لا يعرف الغل والخداع ويتحاشى
عن سوء الطباع ولا يعرف المكر والنفاق ولا يألف مساوى الاخلاق بل هو صافي النفوس
صادق الاعتقاد منور الباطن كامل الايمان سليم القلب خالص الجنان لا يرتاب احد في كمال
ديانه ولا يشك في صلاحه وولايته قال القطبي بعد ما ذكر

وما تناهيت في بشى محاسنه * الا وأكثر مما قلت ما أدع *

ولد رحمه الله سنة تسعمائة وجلس على تخت السلطنة سنة ست وعشرين وتسعمائة

في شوال وأطال الله عمره وطول دوائه حتى بلغت ثمانية واربعين سنة وشهورا وعاش أربعا وسبعين سنة وكان رحمه الله شجاعا كريما حسن الخلق والخلقسة فانه كان ذا صورة جميلة ظاهر او باطنا وهو الذي أسس قواعد الدولة العثمانية ومهد الملك لهم وسهل الامور وفتح البلاد ووضع كثيرا من القوانين الموافقة للشرع النافعة للعباد رحمه الله رحمة واسعة وكان شديد المحبة للغزو والجهاد للكفار فأكثر الغزوات وفتح الفتوحات

✽ ذكر اول فتح له وانتصار ✽

اول فتح لمولانا السلطان سليمان وانتصارا انتصاره على والى دمشق لما خلع طاعته عند سماعه بموت ابيه وأراد ان يكون سلطانا وهو الاميرجان بردى بك الغزالي وأصل ذلك ان المرحوم السلطان سليم استخدم من أصحاب الغورى اميرين وهما خير الدين بك وجان بردى بك الغزالي وكلاهما من الجراكسة وكان بينهما وبين الغورى عداوة وكان يكرههما وهما يكرهانه فلما كان القتال بين الغورى والسلطان سليم مرج دابق امرهما الغورى أن يتقدما لقتال السلطان سليم وجعلهما مع عسكرهما حجابا امامه ووقف الغورى مع خواص عسكره الذين يعتمد عليهم متأخرين عنهما وأراد بذلك ان يقتلا بالبندق في اول القتال فيسلم هو ومن معه فتفطن خير الدين بك والغزالي لذلك فأرسل الى السلطان سليم وطلبا منه الأمان فأرسل السلطان سليم لهما بالأمان وتعهد لهما بما يطيب خاطرهما وان يولييهما مملكة مصر والشام فقبلا ذلك منه ووافقاه على ذلك قبل القتال فلما تلاقى العسكران فر خير الدين بك بمن معه من الميمنة وفر الغزالي بمن معه من اليسرة وبقى السلطان الغورى ومن معه في القلب فهلك من هلك وهرب من هرب وقتل الغورى تحت سنانك الخيل فلما تم الامر للسلطان سليم واستقر له ملك الشام ومصر قرب خير الدين بك والاميرجان بردى وأدناهما ثم ولى الاميرجان بردى دمشق والامير خير الدين مصر فعلا شأنا فلهما وانتشر ذكرهما فلما بلغ الاميرجان بردى والى دمشق وفاة السلطان سليم خلع الطاعة وأراد أن يتسلطن بدمشق ونواحيها فجاءه مع جوعا وسار الى مدينة حلب ليستولى عليها فحاصرها مدة فلم يقدر عليها وكان نائب حلب اذذاك قرجه احمد باشا جندى دفعه واجتهد فرجع جان بردى الى دمشق وزاد في تحصين القلعة وترميمها فأرسل اليه السلطان سليمان وزيره فرهاد باشا في عسكر كثير فالتقوا مع عسكر جان بردى في موضع يقال له المصطبة بأرض القابون وذلك في صفر سنة سبع وعشرين وتسعمائة فانهزم جان بردى وعسكره وذهبوا تحت أرجل الخيل ولم يبق له ولا جنود ما اثر وقال القطبي انهم قبضوا عليه وقتلوه وقطعوا رأسه وأرسلوه الى الباب العالي فدخل فرهاد باشا الشام ورتب أمورها ورجع الى دار السلطنة فخلع عليه السلطان وزاد في قدره ورتبته

✽ ذكر غزوات مولانا السلطان سليمان ✽

الغزوة الاولى قتال قرال انكروس لارش ويقال لهم المجر كان من سعودات السلطان سليمان أنه في اول ولايته كان بين دول الافرنج اختلاف واضطراب وفتن كانت بين الفرنسيين اسبانيا وايطاليا فاغتنم السلطان سليمان هذه الفرصة وزحف بعسكر جرار سنة سبع

وعشرين وتسعمائة وكان رحمه الله محبا للجهاد في سبيل الله باذلا نفسه وخزائنه لاعلاء
 كلمة الله لم ترتفع راية الاسلام على رأس احد من السلاطين العظام أكثر منه جهادا ونصرة
 للدين فبرز بجيوشه بنفسه من القسطنطينية برا الاحدى عشرة ليلة مضت من جادى الآخرة
 سنة سبع وعشرين وتسعمائة بعسكر جرار وجيش كثير وأمر بتجهيز اساطيل كثيرة بحرا
 فجعل منها اخمين للمجاهدين واربعمائة للدواب والاثقال وسيرهم حتى دخلوا في نهر الطونة
 فأرسوا بقرب بلغراد وهى مدينة حصينة لها سور منيع وقد أحاط بهانهران عظيمان وهما
 نهر الطونة ونهر منارة قبل ان السبب في هذه الغزوة ان البحر قتلوا المباشر الذى كان عندهم
 من طرف السلطان لجمع الخراج فكان ذلك سببا لغضب السلطان وجعل السلطان خروجه
 على طريق وارنه ومعه عساكر كثيرة وبعث جيشا حاصروا قلعة بوكردلوه وهى قلعة
 حصينة على شاطئ نهر صاوه فحاصروها حتى ملكوها ثم توجهوا الى بلغراد ثم لحق بهم
 السلطان وصاروا جميعا محاصرين بلغراد ولم يزل يشتد الامر ويعظم القتال حتى فتح الله
 على المسلمين وقتلوا كثيرا من الكفار وقازوا بغنائم لا تحصى واستولى السلطان على بلادهم
 بعد أن أخرج كثيرا منها فلما شاهد الكفار هذا الفتح العظيم جاؤا له بما تيج ثمانى قلاع منيعة
 هناك ثم امر السلطان بتعمير ما تهدم من قلعة بلغراد وعين لها اميرا وقاضيا ورجع الى كرسى
 سلطنته سالما غائما في شهر ذى القعدة الحرام من سنته

✽ الغزوة الثانية غزوة رودس ✽

هى جزيرة وسط البحر ما بين القسطنطينية ومصر وبني الكفار بها حصنا حصينا فكان في غاية
 الاستحكام مكيئا جعلوه لأخذ المسلمين وأتقنوه في غاية الاتقان والتمكين بحيث رسخ اساسه
 الى تخوم الارضين وارتفع رأسه الى نجوم الشرطين والبطين ينظرون من أعلى القلعة
 السفائن التى تمر في البحر من مسافة بعيدة فيتهيئون للتحصن ان كان ذلك عسكرا من المسلمين
 ويأخذونهم ان كانوا من سفار البحر واتخذته النصارى معبدا يجهزون أموالهم اليه لتصرف
 في استحكام بناءه واتقانه وجعلوا من أعلاه الى أسفله من جميع جوانبه ثقوبا وضعوا فيها
 المدافع الكبيرة ترمى على من يقصدها من الخارج فتصيب كل من قصدها من جميع الجهات
 ولها باب من حديد وسلسلة عظيمة في وسط البحر تمنع المراكب من الوصول الى الباب ويهيئون أغربة
 مشحونة بالسلاح والمدافع والمقاتلة اذا أحسوا بسفينة في البحر من الجحاج أو التجار أخرجوا
 اليها تلك الاغربة وأخذوها وغنموا ما فيها من الاموال وأسروا المسلمين فيقطعون الطريق
 على هذا الأسلوب ويجمعون الاموال ويصرفونها على مقاتلتهم وكان هذا دأبهم وعجزت
 ملوك المسلمين عن دفع ضرهم وعم أذاهم المسلمين وقد تكرر غزو المسلمين بلاد رودس وتكرر
 انتقاضهم وقد تقدم بعض ذلك فلما تحقق السلطان سليمان كثرة الاذى الحاصل للمسلمين من
 أهل رودس تجهز بنفسه لغزوهم وقتالهم وكان سفره الميمون اليها ونزوله ونحيجه الشريف
 في أسكدار متوجها الى هذا الغزو واشرى بيقين من شهر رجب سنة ثمان وعشرين وتسعمائة
 وكان وصوله الى رودس ونزوله عليها في شهر رمضان من السنة المذكورة وكان عدة

الجيش الذي جهزه مؤلفا من مائتي الف مقاتل وسفائين بحرية تبلغ اربعمائة سفينة فأحاطت الجيوش برا وبحرا بجزيرة رودس وحاصروها فأرسل ملكها يستنجد بملك الفرنسيس وملك اسبانيا فلم يجيباه لما كان بين ملوكهم من الفتنة فأرسل البابا صاحب رومة اليهما يحثهما على المداخلة والمحامات عن تلك الجزيرة لانها من الحصون المانعة للمسيحيين من مصادمة العثمانيين فلم يلتفتا الى كلام البابا وفي رابع رمضان طلع السلطان سليمان على محل رفيع مشرف على حصن رودس فرآها قلعة حصينة كان بانيها ماهرا في الهندسة بحيث انه بنى سور القلعة تحت الارض وعمل لها خندقا عربضا عميقا وجعل للبلد سورين في عرض سبعة اذرع وملا ما بينهما وهو مقدار عشرة اذرع بالتراب والحجارة ولها من جانب البحر مينا عظيمة مدورة كالخوض ولها ابواب مخصوص جعلوا عليه سلسلة من حديد ولها بعض بروج تناغى في الرفة والاحكام سمك السماء وحضر خير الدين بك صاحب مصر في اربعة وعشرين غرابا امدادا للمسلمين واستمروا في امر الحصار ليقا تلونهم بالبنادق والمدافع مدة تزيد على ثلاثين يوما وقيل بل ستة اشهر فلم يغنوا شيئا قال العلامة القطبي وما أمكن من في البحر ان يقرب من حصار رودس الخندق العظيم الذي حولها مع صونه بالمدافع العظيمة ولا أمكن ايضا القرب منها للسلسلة الممدودة من الحديد في البحر والرمي على من يقربها بالمدافع الكبار فصاروا يصيبون المسلمين بالمدافع ولا يصيبهم مدافع المسلمين لثانة عرض الحصن وعدم تأثير المدافع فيه فتأخرت عساكر البر قليلا وأمر واسبوق الرمال والتراب امثال الجبل وترسوا بها وصاروا يقدمونها قليلا قليلا الى ان وصل التراب في الخندق وامتلا به وقرب من الجدار وارتفع عليه فصار الكفار تحت المسلمين يصابون ولا يصيبون فطبق الخنادق ونقب الاسوار من تحت الارض ثم انهم ملؤا الثقوب بالبارود وأضرموها بالنار فالتفتح بسبب ذلك عدة مواضع يمكن العبور منها الى القلعة فلما شاهد الكفار ذلك طلبوا الأمان فأمنهم السلطان ثم رجعوا عن ذلك لانه أتاهم مدد من الكفار في عدة مرات في الليل فشرع المسلمون في الحرب ثانية قبل انهم ضربوا على رودس اكثر من مائتين وعشرين الف مدفع فصارت خرابا حتى اضطر الكفار وطلبوا الامان وأرسل امير القلعة خمسين نفرا من كبارهم بالرسالة فقبل السلطان سؤاله فأمنهم وأذن لهم في السير مع جماعة وأمرهم ان يطلقوا أسارى المسلمين الذين كانوا عندهم وكانوا عددا كثيرا أسورين عندهم من الاشراف والاعيان والعباد من مدة متطاولة في سلاسل وأغلال فاطلقوهم وخرج صاحب رودس وتبعه اربعة آلاف من اهل رودس فأعطاهم البابا مدينة ويتسربه من بلاد ايطاليا فأقاموا فيها الى ان نقلهم الملك شركان امير طوراسبانيا الى جزيرة مالطة فنسبوا اليها فكانوا يقال لهم شقار ية مالطة وصارت من ذلك العهد دار اقامتهم الى ان استخلصها منهم بونابارت وهوأت الى مصر سنة الف ومائتين وثلاث عشرة ثم دخل المسلمون عسكر السلطان سليمان مدينة رودس وأخربوا الكنائس وجعلوها جوامع ثم رتب السلطان امور رودس وجعل الجزيرة على من بقي بها وكان فتح رودس لست مئتين من شهر صفر الخير سنة تسعمائة وتسع وعشرين وحصل لاهل الاسلام غاية الفرح والسرور

بهذا الفتح العظيم وعمل الناس لذلك تواريخ الطفها
 وفتحت عدة قلاع في ذلك العام ورجع السلطان الى القسطنطينية
 كرسى ملكه سالما غانما
 ٩٢٩ يفرح المؤمنون بنصر الله

ذكر عصيان احد باشا الى مصر وخلعه السلطان وأخذه البيعة من الناس لنفسه

كان السلطان سليمان له وزير مقرب تربى معه ونشأ في خدمته وملازمته اسمه ابراهيم باشا
 وكان لو والده السلطان سليم وزير آخر يسمى احد باشا فظن ان وزارة الصدارة لا تتعداه
 الى غيره لكونه من خواص مما ليك السلطان سليم ووزرائه فأعطى السلطان سليمان
 الصدارة لابراهيم باشا فزاحه احد باشا وصار يخدم السلطنة في كثير مما يتعلق بالصدارة
 فشكاه ابراهيم باشا الى السلطان ودبر في ازالته من ذلك المكان فطلبه السلطان سليمان
 وجعل له ولاية مصر وأعطاه أقطاما كثيرة يستجلب بها خاطره فغضى الى مصر واليا
 وصار يعقبه ابراهيم باشا في اشياء كثيرة للعداوة السابقة ويرميه عند السلطان بما يوجب
 قتله فبرز الامر لجماعة من الامراء المتحفظين بمصر أن يجتمعوا عنده ويقتلوه في محلة
 الشريف السلطاني ويتولى احداهم مكانه الى ان يرد الامر الشريف باقامة من يختاره السلطان
 وأرسلت هذه الأحكام الى الأمراء المذكورين فوقع تلك الأحكام بيد احد باشا قبل
 ان تصل الى الامراء المذكورين فجمعهم في ديوانه وذكر لهم ان الأمر الشريف السلطاني
 ورد اليه بقتلهم فأذعنوا الأمر الشريف فقتلهم ثم سولت له نفسه العصيان وظن انه يأوى الى جبل
 يعصمه من السلطان وانه يقابل ويقا تل بجيش يلققه من مصر فأبدى الطغيان وادعى السلطنة
 لنفسه وأمر الناس ان يبايعوه وأمر ان يخطب باسمه على المنابر في ايام الجمع ورتب عسكريا
 بمصر من العوينة وضرب السكة باسمه على الدراهم والدنانير وصادر الناس وجمع المال الكثير
 وعصى عليه أهل قلعة الجبل وجمع عليهم الشطار فأخذوها بالخيول وقتلوا من فيها من عسكر
 السلطان وأوقد نيران الفتنة والعصيان وكان ممن حبسه للمصادرة جانم الخراوى ومحمود بيك
 وأراد قتلها وقد أضر الله أجلهما فسمعا انه دخل الحمام فكسرا الخلبس ورزا ونصبا صنجقا
 سلطانيا وناديا من أطاع السلطان فليقف تحت لوائه فاجتمع تحت الصنجق السلطاني
 خلق كثير وجم غفير وصار سردارهم محمود بيك وجانم الخراوى بمثابة الوزير وتوجهوا
 بالعسكر الى الحمام فكبسا احد باشا وقد حلق نصف رأسه وأعجل النصف الثاني هجوم
 العسكر السلطاني عليه فهرب الى السطح وتخلص من مكان الى مكان وخلص الى البر والتجأ
 الى شيخ من مشايخ العرب بناحية الشرقية يسمى عبد الدائم وقوى العسكر السلطاني ونهبوا
 ماله من الاموال بالظلم والمصادرة وخرجوا اليه يطلبونه وخوفوا عبد الدائم وحذروه
 من عصيان السلطنة فأتاهم به فقطعوا رأسه وطافوا بها مصر وعلقوها في باب زويلة ثم
 جهزوها الى الاعتاب السلطانية وذلك في سنة تسع وعشرين وتسعمائة وضبط مصر
 محمود بيك وجانم الخراوى الى ان جاء قاسم باشا من دار السلطنة متوليا مصر واستمر ابراهيم
 باشا في وزارته العظمى ثم أرسله السلطان وهو وزير أعظم الى مصر لاصلاحها فجاء اليها

بغاية العظمة والاقبال ونظر في احوالها واموالها وولى على مصر قاسم باشا ورجع ابراهيم باشا الى دار السلطنة فكان مقبولا معظما عند السلطان فاذا الامر والنهي الى ان افرد في الدلال وزاد في الادلال فاستبد بالامور واستقل بمصالح الجمهور فأنفت الغيرة السلطانية من ازدياد دلاله وما تحملت زيادة محبه وادلاله وكثر حاسدوه فوشوه به الى السلطان سليمان وقالوا له انه يريد قتل السلطان واجلس على تخت السلطنة فلما بلغ السلطان سليمان ذلك اراد ان يختبر حقيقة الامر فقال يوما لابراهيم باشا وهما في مجلس انس اني اريد ان اجعل السلطنة لك فقال العفو يا مولانا السلطان فان العبد لا يبلغ مرتبة السيد فقال له السلطان لا بد من ذلك فقال ابراهيم باشا يكفي ان يفضل مولانا السلطان على بأن يأمر في دار الضرب ان يجعلوا على وجه السكة اسم مولانا السلطان وعلى الوجه الآخر اسمي فاني أكتفي بالمشاركة في السكة فلما اطلع السلطان على صحة ذلك الامر بالقرائن التي ظهرت له أمر بقتله فطلبه السلطان في ليلة من ليالى أواخر رمضان الى عنده وأنعم عليه على جاري عاداته بنفائس انعامات وافرة ووهب له جميع ما كان في مجلسه من أواني الذهب المرصعة بالجواهر الغالية وطيب خاطره وطيبه بالعنبر والمسك والغالية وأمره ان يبيت عنده في مجلس خاص به كان عادته أن يبيت فيه وصبر عليه الى ان غلب سلطان المنام على عقله وأماقيه فأمر بذبحه فذبح وأخطأ الذابح نحره فصاح مستجير او كان السلطان قريبا من موضعه وقد صمم في أمر قتله فأمر ان يكمل ذبحه فقطع رأسه وأطفي نبراسه وأخذت أنفاسه وعلل كثرة احسانه الى الناس ونشر مكارمه التي زادت على الحد والقياس نفعتهم عند الله تعالى في الدار الاخرى واهله صدقت نيته في بعضها فصادفت قبولا وصارت له عند الله ذخرا فكتم من عمل صالح يكون سببا لنجاة من النار ويدخل به صاحبه الجنة مع الشهداء الابرار وما ربك بظلام للعبيد وكان قتله في الليلة السادسة والعشرين من رمضان سنة تسعمائة واحدى واربعين وفي قصته وقصة اجد باشا خصمه عبرة للناظرين وأولى الابصار والمستبصرين ورحم الله القائل

* ومصاحب السلطان مثل سفينة * في البحر ترعد دائما من خوفه *
* ان أدخلت من بابه في جوفها * أدخلها وماءها في جوفه *

وفي سنة ثلاثين وتسعمائة هلك سلطان العجم اسماعيل شاه وقام بالملك بعده ولده طهماسب شاه

✽ ذكر استغاثة ملك الفرنسيين بالسلطان سليمان ✽

في سنة اثنتين وثلاثين حضر الى دار السلطنة رسل من ملك الفرنسيين ومعهم مكتبة لمولانا السلطان سليمان مضمونها الشكاية اليه من تغلب بعض الملوك أعدائه على مملكته فهو يستغيث بمولانا السلطان سليمان ويطلب منه أن ينجده بجد وذكر في تلك المكتبة تفخيما وتجيلا وتعظيما كثيرا لمولانا السلطان يستعطفه به فأجابه الى مطلبه وأنجده وجهز له جيوشا كثيرة برا وبحرا فكانت تلك الجنود مع الفرنسيين الى أن انقضى مرامهم ودفع التغلب عليه بل غلبه وقهره في ذلك الوقت صار الفرنسيين يعدون أنفسهم خدما وأتباعا للدولة العثمانية

✽ الغزوة الثالثة الى الانكروس ✽

في سنة اثنتين وثلاثين وقيل اربع وثلاثين بلغ مولانا السلطان ان طائفة الانكروس وهم

المجر كثر بغيهم وفسادهم وطغيانهم وتكرر ذلك منهم المرة بعد المرة ولم يجمع فيهم التخويف والموعظة فتجهز مولانا السلطان لقتالهم وجهز لهم جيشا يبلغ مائتي ألف مقاتل وقيل ثلاثمائة ألف وخرج بنفسه فلما وصل الى بلغراد لم يزل مشغولا بفتح الحصون والقلاع وجاء أكثر أهلها يطلبون الأمان وسلموا مفاتيح القلاع ثم سار مولانا السلطان حتى انتهى الى نهر صاوة وهو من أعظم أنهار الدنيا فأمر مولانا السلطان فأتخذوا عليه جسرا ممدودا أمام قلعة هر سك فاجتاز العسكر منه الى بلاد الكفار ثم أمر السلطان برفع الجسر فرفع فبقى المسلمون في بلاد الكفار وذلك يدل على شهامته وقوة عزمه وقطع أطماع العسكر من الفرار الى بلادهم ولما سمع القرال لارش ويقال له ايضا لارس وهو رئيس كفار انكروس أعنى المجر جمع جنوده وسار بهم من كرسي مملكته الى طرف عسكر المسلمين نحو خيس منازل يريد مهاجمة المسلمين وأن يبادرهم في القتال اغترارا بمن معه من الجند وخيم في مفازة هناك تسمى صهارج وأشرف المسلمون على محل الكفار ورؤية القتال فرتبوا المينة والميسرة والقلب وأخذوا أهبة الحرب وتضرع السلطان الى الله تعالى وسأله النصر وتوجه اليه بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعل أمام العسكر في هيئة الحاجز بين العسكرين مائة وخمسين عجلة كانت تجر المدافع الكبار وركبو عليها المدافع وقيدوا ببعضها ببعض بالسلاسل ووقف عساكر السلطان الانقشارية تسعة صفوف كما هي عادتهم في الحرب وهجم الكفار بأجمعهم على القلب فرأوا أنه لا سبيل الى العبور بسبب العجلات فانحازوا الى طرف اليمين فوق بيوتهم وبين عسكر المسلمين اهل روملى مقتلة عظيمة فلما علم الكفار أنهم لا طاقة لهم بهم انحازوا الى طرف عسكرنا طولى فاقتتلوا ايضا معهم قتالا شديدا وكان قد أصاب رئيس الكفرة القرال لارش مدفع من جهة المسلمين كان به هلاكه وتلفه فتضعضعت جنوده عن المقاومة وامتد القتال الى غروب الشمس ثم انتصر المسلمون وانهزم الكافرون وصاروا كحمر مستنفرة فرت من قسورة فقبضهم المسلمون وقتلوا منهم مقتلة عظيمة حتى صارت أجساد الكفار كالثلال وجرت السدماء كالسيل وغنم المسلمون من الاموال والدواب شيئا لا يحصى قيل ان القتلى من الكفار عشرون الفا ثم أغار الجند على بلاد انكروس وتوغلوا فيها مسيرة عشرة ايام وجاؤا بالاسرى والغنائم واستولى مولانا السلطان على الحصون والقلاع الواقعة في الجهة الجنوبية من تلك المملكة ثم رجع الى القسطنطينية في اواخر شهر ذي القعدة الحرام من السنة المذكورة

✽ الغزوة الرابعة الى بلاد النيسا وقردنز ✽

كانت هذه الغزوة سنة خمس وثلاثين وتسعمائة وسببها انه اجتمع كفار النيسا وألمان وقرادنز وأغاروا على قلعة للمسلمين تسمى يدون أخذوها من المسلمين بحيلة وعلى غرة وغفلة فلما بلغ الحضرة السلطانية ما فعلوه استشاط غيظا وأمر بالتجهز للغزو ليحصل قههم فبرز من دار السلطنة الى حلقة لو بكارا ليلتين مضتا من رمضان سنة خمس وثلاثين وتسعمائة واستمر راحلا يجوش كثيرة الى ان وصل الى المحيم العالي فجاءته امرأة من ملوك انكروس تطلب الأمان لجماعة من قومها والتزمت بخراج انكروس كل عام فقوبلت من الحضرة الشريفة

السلطانية بالقبول وخلع عليها الخلع الفاخرة وكتب لها بالامان وعادت الى بلادها واستمر
الوطاق السلطاني وتوجه كثير من العساكر الى محاصرة قلعة بدون التي كانوا أخذوها
فحاصروها وضيقوا على من فيها الى ان فتحها الله كما فتح سائر البلاد وخذل اهل الكفر
والعناد وكان فتحها بعد حرب شديد ثم ولو اهار بين ومأسورين ومقتولين لاربعة مضي
من محرم سنة ست وثلاثين ثم فتحت قلعة تياق حصارى ثم توجه العساكر الى محاصرة
قلعة اخرى قريب تحت النيسا كانت من أعظم قلاع الكفار فأحاط الجند بها وحاصروها
فطلب اهل القلعة الامان وأتوا بمقاييمها الى حضرة مولانا السلطان ولما كانت القلعة
المذكورة بعيدة عن حدود الاسلام غير مأونة من هجوم الكفار أمر حضرة مولانا
السلطان بهدمها فهدمت وأخربت ونهبوا من كانوا نازلين بأطرافها وحواليها وسببت
أولادهم ونساءهم وعاد السلطان الى تحت ملكه بالنصر والتأييد أوائل شهر ربيع الآخر
سنة ست وثلاثين وتسعمائة

الفزوة الخامسة الى بلاد النيسا ايضا

في سنة سبع وثلاثين وتسعمائة غزا مولانا السلطان سليمان بنفسه من القسطنطينية بمائة
وعشرين الف مقاتل واربعمائة مدفع لحرب النيسا ونازل مدينة فينا عاصمة مملكة النيسا
وأقام عليها الحصار فقاتلوا أشد القتال وحصلت أمطار شديدة تأذى المسلمون منها وفاض
النهر وأخذ الخيام وجلة من العسكر وصعد بعضهم على الأشجار هربا من الماء ومكثوا يومين
وليلتين وهم في مشقة شديدة حتى انكشفت المياه ولما رأى السلطان ذلك تحول وارتحل
عن المدينة وقتلت عسكر الانقشارية الاسرى الذين كانوا تحت ايديهم ولما وصل مولانا
السلطان الى مدينة موهكر من بلاد المجرأته حاكمها وبذل الطاعة فقبله وأكرمه وأجلسه
عن يمين كرسيه ولما أراد الانصراف خلع عليه خلعة ثنية وأعطاه ثلاثة أفراس من جباد
الخيال عليها سروج مرصعة ورجع السلطان الى مقر سلطنته سالما

الفزوة السادسة الى بلاد المان

لما كانت سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة وصلت الاخبار الى الابواب السلطانية ان قرال النيسا
جمع طائفة من كفار المان وأراد الافساد والطفيان فتوجهت همة مولانا السلطان سليمان
الى المبادرة الى قتال هذا اللعين فجهز الجيوش برا وبحرا وأرسل في شعبان من طريق البحر
احمد باشا القبودان لحفظ وجه البحر من النصارى ومعه عشرون غرابا مشكونة بالعساكر
الابطال فافتتح عدة قلاع من بلاد الفرنج وأرعبهم غابة الرعب وقتل وسبي كثيرا منهم
وتوجه مولانا السلطان برامن دار السلطنة في رمضان من السنة المذكورة فوصل بجيوشه
الى مملكة المان وأحاط بما فيها من الحصون والقلاع بعساكره وضيقوا عليها ونهبوا قرأها
وضياعها المعمورة وسبوا كثيرا من ذراري الكفار وغنموا مالا يحصى من الاموال وقتلوا
من الرجال مالا يخطر بالبال وهرب ملوكهم وتركوا صعلوكهم وبدلوا ما بقى معهم من الاموال
والذخائر على بذل الامان لهم ثلاثة أعوام فأجبيوا من جانب السلطنة السنية الى سؤالهم
وكتب لهم توقيع الامان وعاد مولانا السلطان الى دار ملكه المسعود مظفر الجنود سعيد

الجدود في أواخر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وتسعمائة

✽ الغزوة السابعة الى بلاد السرب ✽

في سنة تسع وثلاثين خرج مولانا السلطان سليمان بما تقي الف مقاتل لمحاربة السرب فافتتح في طريقه أربع عشرة قلعة واستولى على أكثر حدود بلاد النيسابور ثم رجع الى القسطنطينية سالما غانما وفي سنة أربعين عقد صلحا مع ملوك الفرنج أهل أوروبا ليتفرغ لمحاربة العجم لكثرة الخلاف الحاصل منهم

✽ الغزوة الثامنة الى بلاد العجم ✽

في سنة أربعين وتسعمائة توجهت همة مولانا السلطان سليمان الى محاربة العجم فجهز جيوشا كثيرة وأرسلها مع الصدر الأعظم في أوائل شهر ربيع الأول فافتتح كثير من القلاع والحصون والمدائن ثم خرج مولانا السلطان سليمان بنفسه في ثامن ذي القعدة حتى انتهى الى تبريز فاستقبل الصدر الأعظم قبل وصوله الى تبريز بن معه من العساكر وتوجه بها بجميع العساكر لاستيصال مملكة العجم وهرب سلطان العجم وصار يتنقل في الجهات والأطراف حتى انتهى في هربه الى خراسان ولما وصل مولانا السلطان الى تبريز استقبله أهلها وهنوه بالقدوم فلما جاء الشتاء توجه الى مدينة بغداد وكانت بيد سلطان العجم وكان له نائب بها وهو بلكو محمد خان فلما سمع بقدوم مولانا السلطان بعث اليه بالطاعة ثم هرب الى بلاد العجم فدخل مولانا السلطان بعساكره مدينة بغداد وقصد زيارة الامام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه وكان اسماعيل شاه نقض تربته وهدمها فجددها مولانا السلطان وجعل عليه مشهدا عظيما وبني فيه تكية يطبخ فيها الطعام وبني في بغداد قلعة حصينة وشحنها بالمدافع والعساكر وكان دخول مولانا السلطان بغداد في ثامن عشر جادى الاولى سنة احدى واربعين وتسعمائة ولما أقبل الربيعة نزل منزلا يقال له صاروجه قش ثم نهض بعساكره يريد سلطان العجم فتوغل في بلاده حتى وصل الى مدينة دركزين فجاءته رسل سلطان العجم وتكرروا بجيئهم يطلبون الصلح وكتب اليه سلطان العجم انه لا يقاتل ابدا ويرجو من كرم السلطان ان يرجع الرعايا فقد خرجت ديارهم وهلك دوابهم ويسأل العفو وأن يعود مولانا السلطان الى بلاد الروم وأعطى اليهود انه لا يخون وتكون البلاد التي أخذها السلطان تحت حكمه لا ينازع السلطان فيها ابدا وانه يكون تحت خدمته يليه كلما دعاه فلما تحقق السلطان منه ذلك عقد معه صلحا وأمر العساكر بالرجوع فرحل بهم ورجع الى مقر سلطنته فدخل دار السلطنة رابع عشر رجب سنة احدى واربعين وتسعمائة وزينت المدينة واستبشروا بقدومه وألطف تاريخ قيل في ذلك فتحنا العراق

٩٤١

✽ الغزوة التاسعة الى مملكة اسبانيا وجزائر الغرب ✽

كانت هذه الغزوة في سنة ثلاث واربعين وتسعمائة كما في تاريخ القبطي وذكر بعض المؤرخين انها كانت في سنة خمس واربعين وحاصلها ان مولانا السلطان توجه بنفسه الشريفة من طريق البر ومعه عساكر كثيرة وأرسل من طريق البحر خمسمائة غراب مشحونة بالعساكر والذخائر

والسلاح وعليها خير الدين باشا فافتتح عساكر البر والبحر قلاعاً وحصونا كثيرة بعد حروب كثيرة وتملكوا أربعة وثلاثين حصناً وخمسة وعشرين جزيرة من جزائر البندقية وهم طائفة من النصاري خليفتهم البابا وضربوا مراكب البندقية وكانت مائة وسبعاً وستين فشتتوها وسلمت البندقية لمولانا السلطان قلاص نابولي ورومانيا وغيرهما ودفعت لمولانا السلطان ثلاثمائة ألف ريال ورجع سالماً منصوراً مظفراً وكانت غنيمة المسلمين من أموال الكفار وسباياهم مما لا يحصى

✽ الغزوة العاشرة الى البغدان ✽

وكانت هذه الغزوة في سنة أربع وأربعين وتسعمائة توجه مولانا السلطان بنفسه الشريفة ومعه كثير من عساكره المنصورة الى بلاد البغدان وقتل فيها وفست وأسأل الدماء وسفك وافتتح القلاع وغنم أموالاً كثيرة وأسرى نفوساً عديدة غير محصورة وعاد الى تحت ملكه الشريف مؤيداً من عند الله تعالى بالنصر والتأييد والفتح الجديد فوصل الى دار السلطنة لست بقين من ربيع الاول سنة أربع وأربعين وتسعمائة

✽ الغزوة الحادية عشر الى اسطنبول من بلاد انكروس ✽

سبب هذه الغزوة ان مولانا السلطان كان قد أنعم على امرأة من أبناء ملوكهم يقال لها اردل باتو بتلك البلاد ثم توفيت فأراد قرال النمسا أن يملك تلك البلاد فتوجه مولانا السلطان بعساكره المنصورة سنة ثمانية وأربعين وتسعمائة الى قتال قران النمسا فلما أحس بوصول العسكر المنصور السلطاني فرها ربا الى الجبال وتقهقر عن القتال فتبعته الابطال ففر منهم فجالت العساكر المنصورة في تلك البلدان وقتلوا أهل البغي والعدوان وسبوا الأولاد والأطفال والنساء وتركوا ديار الكفر قاعاً صفصفاً وغنموا مغانم كثيرة وفتحوا قلعة اسطنبول وفتحوا أيضاً قلعة رشوة وقتلوا من الكفار ما لا يحصى وعاد مولانا السلطان بعساكره الى مقر سلطنته منصورين مؤيدين

✽ الغزوة الثانية عشر غزوة استرعون ✽

كانت هذه الغزوة سنة خمسين وتسعمائة وذلك ان مولانا السلطان توجهت همته لتنظيف بلاد الروملى من طوائف الكفار بالغزو والجهاد فتوجه من دار سلطنته بالجيش المتواترة وسار الى أن أحاط بقلعة واليوه وقلعة شقلا ولاشور وهما من أحكم القلاع وأعظم الحصون فحاصرهما الى أن فتحتهما في غرة ربيع الاول من العام المذكور ثم افتتح قلعة استرعون وهى قلعة في غاية الاستحكام مشحونة بالذخائر والأموال مملوءة بالعدد والعدد الوافر فحاصرهما وألقى الله الرعب في قلوب أهلها ثم افتتحها وأخذ من فيها أخذاً وبلا وأسروا وقتلوا تقيلاً ونهبت الأموال وسبيت النساء والأولاد والأطفال وأخذوا ما حولها من البلاد والبقاع والقلاع وكذلك فتحت قلعة استولين بفراد وهى قلعة سامية العماد وعين لها ولغيرها من القلاع الأمراء الحفاظ النبلاء الايقاظ ونصب لكل منها قاضياً يجرى الاحكام الشرعية وسنجقاً للاستحفاظ وصارت من الممالك المحروسة السلطانية وصارت البيع والكنائس مساجد للصلاة والعبادات ورجع مولانا السلطان الى كرسي ملكه مظفراً منصوراً

✽ الغزوة الثالثة عشر سنة أربع وخسين وتسعمائة ✽

هذه الغزوة كانت الى الهند لكن لم يخرج فيها مولا نا السلطان بنفسه وانما جهز الجيوش وأرسلها وسيبها ان طائفة من الفرنج يقال لهم البرتوقال كانوا يغيرون برا كبهم وعساكرهم في بحر الهند فأرسل سلطان الهند الى مولا نا السلطان سليمان يستغيث به ويشكو اليه بان الطائفة المذكورة تغلبوا على مما لكه ويطلب نجدة من مولا نا السلطان فجهز اليه عساكر في مراكب بحرية وبمئتهم مع الوزير سليمان باشا فوصل بها الى الهند ودفع البرتوقال فصار سلطان الهند من جلة المنتسبين الى السلطنة السلمانية الداعين لها القائمين بخدمتها ورجع سليمان باشا الى البن ثم الى دار السلطنة سالما غانغا

✽ الغزوة الرابعة عشر الى بلاد البنجم ✽

كانت هذه الغزوة ايضا سنة اربع وخسين وتسعمائة الى بلاد البنجم وسيبها أن السلطان البنجم طهماسب كان له اخ يسمى القاسب ميرزا كان قد ولاه مدينة شروان ثم وقع بينهما اختلاف آل الامر منه الى القتال ولم يكن للقاسب طاقة لمقاومة اخيه وجيوشه ففر هاربا مع جماعة من خواصه الى الروم ملتبجا الى مولا نا السلطان سليمان فلما وصل دار السلطنة السنية أكرمه مولا نا السلطان سليمان ووهب له من الذهب الاحر شيئا كثيرا ووهب له عدة أحبال من الاقشة وعدة خيول وأعطاه الطبل والعلم ووعدته بالنصر ثم تجهز مولا نا السلطان بنفسه الى السير لقتال طهماسب وأمر اخاه القاسب ميرزا بالتقدم وقواه بطائفة من العسكر وفي ثامن شهر صفر سنة خمس وخسين وتسعمائة توجه السلطان سليمان بنفسه قاصدا بلاد البنجم فلما قرب من حدود اذر بيجان نزل ببرهان واستخلص شروان من يد جماعة طهماسب وفي عشرين من جادى الآخرة من هذه السنة وصل الى تبريز وفوض أمرها الى القاسب ميرزا أخى سلطان البنجم وأعطاه من العسكر والمدافع الكبار ما يكفيه فلما تولى القاسب أمارة تبريز جمل يصادر الرعايا والبرايا ويظلمهم على عادة ملوك البنجم فلما تحقق السلطان سليمان منه ذلك استعجبه معه وكان قصد السلطان ان يسير على مدينة وان يخلصها من طهماسب لانه ملكها من نواب السلطان بعد ان ملكوها فوصل اليها في عاشر رجب وكان طهماسب شحنها بالرجال والابطال وأحصنها غاية الاحصان ولم تزل العساكر يعالجون الحصار بضرب المدافع وعمل النار حتى أخرجوا أكثرها فلما تيقن من بالقلعة انهم مأخوذون تدلى بعضهم من القلعة بحبل واجتمع بالقاسب ميرزا وتضرع اليه واستشفع به فشفع القاسب عند السلطان سليمان في اعطائهم الأمان والعفو عنهم فقبل شفاعته فخرجوا من القلعة وسلموها لفضاحتها فدخلها أهل السنة والجماعة ونصبوا عليها الاعلام الاسلامية وولى السلطان اسكندر باشا الدفترى أمير الأمراء بها ولما قرب الشتاء قصد السلطان ان يسير الى طرف ديار بكر فسار يشق حتى وصل الى مدينة آمد فبينما هو مخيم فيها اذ ورد أن البنجم لما بلغهم عود السلطان دخلوا مدينة اذر بيجان وأحرقوها وشردوا أهلها وقتلوا من قدروا عليه وأحرقوا الزروع فلما بلغ ذلك السلطان أمر الوزير أحمد باشا بالمسير اليهم وحضد بجماعة من العسكر واستخبروا بأن جماعة سلطان البنجم يحيمون بقرب مدينة تبريز فساروا وكبسوهم

بالليل وقتلوههم وشردوهم ثم أن القاسب اخا سلطان العجم تضرع الى السلطان سليمان ان يعطيه جماعة من العسكر يسير بهم الى بلاد اصفهان وقم وقاشان لان بها معظم اموال اخيه سلطان العجم وخزائنه فأجابه السلطان الى سؤاله وعرضه بطائفة من عسكر الاكراد والاعجم واجتاز السلطان سليمان بنهر الفرات ووصل الى حلب ووصل القاسب بمن معه الى حدود عراق العجم فتوغل بها وبدأ بالنهب والتخريب والتخريب حتى وصل الى حدود فارس وأخرب ضياعهم وأحرق بيوتهم وأمر أولادهم وازواجهم ثم عاد الى بغداد وشى بها ووقع بينه وبين الوزير محمد باشا المتولى بغداد من طرف مولانا السلطان سليمان وحشة اقتضت الى ان عرض محمد باشا الى السلطان سليمان بأن القاسب ترفض ورفض طاعة السلطان ولم يكن الامر على حقيقته وانما هو مكيدة فعلها في حقه بغضا وعداوة فلما اطلع القاسب على ذلك خاف على نفسه من صولة السلطان فهرب الى بلاد الاكراد ولم يزل بها حتى قدر عليه اخوه طهماسب سلطان العجم فقتله قتلة شنيعة

✽ الغزوة الخامسة عشر الى بلاد العجم ايضا ✽

وفي سنة ستين وتسعمائة كثرت مخالقات سلطان العجم لطاعة مولانا السلطان وكثر ظلمه وكثرت الشكايات فيه من جاعته وغيرهم فقصده مولانا السلطان سليمان التوجه لمحاربة العجم فصار بمساكر كثيرة ودخل حلب في غرة ذي الحجة ولما وصل الى اذربيجان كتب الى سلطان العجم يدعوه للمبارزة ويعيره على ترك الحرب والاختفاء في الكمون ثم توجه مولانا السلطان سليمان حتى وصل الى مدينة وان وهي من أحسن مدن الدنيا وأزهرها فأخربها بالعسكر جيعا وكان دأبهم كذلك من حين دخلوا بلاد العجم ثم لم يزالوا كذلك حتى وصلوا في سادس عشرين شعبان من سنة احدى وستين وتسعمائة الى مدينة تبريز فنجحوا في مكر سلطان العجم وفيها دور وقصور شاهجة الاركان رفيعة البنيان ودور أولاده وأحفاده ووزرائه وسائر أعيان دولته فلما دخلها العسكر وجدوها خالية فقطعوا أشجارها وخرّبوا قصورها فصارت البلد كأنها ارض قفراء ماعرت قط وأعاد بعض العسكر على مدينة تبريز فنهبوها وقتلوا من قدروا على قتله ثم أغاروا على مراغة فنهبوا وأحرقوا واقتتلوا مع ألوف من جماعة سلطان العجم فانصروا عليهم وأخذوا تيجانهم المرصعة وأعلامهم وطبولهم وفي اثناء ذلك وصل وافر من جانب سلطان العجم ومعه مכתوب محمله انه ندم على ما أظهر من العداوة وأظهر التذلل والاستغفار والتجأ الى عتبة السلطان يطلب منه الصلح فأجابه السلطان الى مسؤوله وخلع على الوافر ثم توجه السلطان وشى بمدينة اماسية ثم رجع الى كرسي ملكه القسطنطينية

✽ الغزوة السادسة عشر الى سلطان المغرب ✽

لهذه الغزوة خبر عجيب غريب لم يذكره تواريخ اهل المشرق وهو يدل على ضخامة ملك مولانا السلطان سليمان وقوة سلطنته وعلو همته فيستحق ان يلحق بالغزوات وان لم يخرج فيها السلطان بنفسه فينبغي ذكره لغرابته وتيما للفوائد وهو ما ذكر في تواريخ اهل المغرب منها التاريخ المسمى زهرة الحادي في أخبار اهل القرن الحادي وهو تاريخ مخصوص

بذكر ملوك المغرب لأمارة الشيخ محمد بن عبد الله الأفراني المراكشي وذلك انه ذكر هذا الخبر في
ترجمة السلطان الملقب بالشيخ أبي عبد الله محمد المهدي ابن أبي عبد الله القائم ثالث الخلفاء السعديين
الذين ملكوا مراكش وفاس وحاصل ذلك الخبر ان السلطان المذكور لما تم له ملك المغرب
ودانت له حواضره وبواديها تلمق بالمهدي وتاقت همته الى بلاد المشرق فكان يقول
لا بد لي أن أذهب الى مصر وأخرج الأتراك من أجحارهم وأنزلهم في ديارهم فبلغت مقالته
مولانا السلطان سليمان العثماني وكان أبو عبد الله لا يسمى سلطان العثمانيين السلطان
الحوالة لكون الغالب على الأتراك سفرهم في السفين فأنهى ذلك للسلطان سليمان العثماني
فبعث له أناسا برسالة فلم يحتفل بهم أبو عبد الله بل قال أخبروا صاحبكم اني مقتحم عليه
بلاده ومتوجه للاقائه فلما رجعت الرسل للسلطان سليمان وأخبروه بمقالة أبي عبد الله الشيخ
وما قاله لهم بعث السلطان سليمان لبعض وزرائه الذين بالجزائر أن يأتوا برأس أبي عبد الله فبعثوا
رجلا من أبطال جندهم في شردمة من الأجناد مظهرين انهم هر بوا من السلطان العثماني ورغبوا
في خدمة أبي عبد الله ونيتهم المكيدة به والاعتيال له حيث أمكنهم ذلك فلما قدموا على السلطان
أبى عبد الله فرح بهم غاية الفرح وأظهر السرور لمقدمهم عليه وكان عنده جماعة من
استخدمهم قبل ذلك وكان يركب معهم ويدنيهم ويأمن بهم فلما حضر هؤلاء الأتراك فرح
بهم الا واون اذ كل غريب للغريب نسيب وان الغريب يعجب الغريب فلم يزل الأتراك
القادمون قايمين بخدمة مته مختصين به يترصصون الفرصة و يترقبون المكيدة لافتك
بأبي عبد الله فسافر لقتال بعض العصاة عليه فلما كان بجبال درنة بموضع يقال له اثلاثة
دخلوا عليه خباة ليلا على حين غفلة من العسكر وبقية الخدم فضر بوارأسه
بشا قور ضربة واحدة أبانوه بها واحتملوه في مخلاة وذهبوا به في الظلماء حامدين
الى جهة سجد ماسة كأنهم رسل الى تلمسان لئلا يظن بهم أحد ثم أدركوا في بعض المواضع
فقتل منهم طائفة حتى هلكوا وهرب بعضهم بالرأس الى ان أبلغوه للسلطان
سليمان بالقسطنطينية فلم يزل الرأس معلقا الى ان تلاشى وكان قتله في التاسع والعشرين من ذي
الحجة سنة اربع وستين وتسعمائة وحل جسده الى مراكش ودفن في قبور الاشراف انتهى

✽ الغزوة السابعة عشر لم يخرج فيها السلطان بنفسه ✽

في سنة اربع وستين ايضا سارت جيوش للسلطان سليمان الى اليمن لاصلاح اليمن وتملكه
ودفع المتغلبين فيه فكان لهم غاية النصر والاستيلاء والتمكن وتام الاصلاح دفعوا البرتقال
التي كانت تقطع البحر وتغير على بلاد الاسلام بعد امتداد الفتن الى سنة ثمان وستين وتسعمائة

✽ الغزوة الثامنة عشر ✽

وفي سنة سبع وستين وتسعمائة توجه القبطان سنان باشا بعمارة عظيمة الى جزيرة جربا في
افريقيا وتملكها بعد حصار ثلاثة اشهر وأخذ حاكمها أسيرا وأتى به الى القسطنطينية فلما
بلغ ذلك ملك اسبانيا ركب على بلاد الجزائر وأخذ بعض قلاع ومراكب تخص الدولة
فغضب السلطان من ذلك وعزم على فتح مالطة ففي سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة خرج
القبطان سنان باشا من ميناء القسطنطينية بعمارة تحتوي على مائة واحدى وعثمانين مركبا

ومعه السمر عسكر مصطفى باشا فلما وصلوا الى الجزيرة المذكورة خرجت العساكر وأخذوا في عمل خنادق امام القلعة وأقاموا عليها الحصار الشديد الى أن أخذوها وأخذوا أسرى كثيرين وسمروا على أخشاب وطرحوا في البحر امام المدينة وهي محاصرة وكان قد وقع في يد حاكم المدينة أسرى من الانتشارية فلما رأى ذلك امر بقطع رؤسهم ووضعها في المدافع وضرب بها المحاصرين ووقع عشر هجمات على المدينة وفقد عساكر كثير فلم يمكن أخذ المدينة فرفعوا الحصار عنها وارتحلوا

✽ الغزوة التاسعة عشر ✽

وفي اثناء هذه المدة كان قد وقع الحرب بين الدولة والبحر وأخذت عساكر الدولة جلة بلدان من ممالك البحر فأرسلوا يطلبون الصلح ولم يرسلوا الخراج المنكسر عندهم فغضب السلطان وأمر بحبس رسولهم وعزم على السفر اليهم بنفسه فبلغهم الخبر فحضعوا وأعطوا الطاعة وبذلوا المنكسر وضاعفوه بأضعاف كثيرة فعفا عنهم وأمنهم

✽ الغزوة المكملة عشرين ✽

سنة اربع وسبعين وتسعمائة نهض مولانا السلطان سليمان خان لفتح مدينة انصاري البحر تسمى سكندوار والحال انه قد شاخ وكبر وهرم وازدادت عليه علة النقرس وهو ورم ووجع في مفاصل الكعبين وأصابه الرجلين فنهه الاطباء عن السفر فلم يقبل منهم لمحبه الجهاد وقال اريد أن أموت غازيا فخرج لتسع مئين من شوال سنة اربع وسبعين وتسعمائة فصار بمسكركثير متراحم الافواج متلاطم الامواج وبعث وزيره برتو باشا الى فتح قلعة كولة فلم يلبث الا قليلا حتى فتحها واما السلطان فانه وصل الى بلغراد بعد مشقة عظيمة بسبب المرض الذي به وكثرة الامطار وسار منها الى مسلمين فتسلمها وفتح جلة قلاع وبلدان واما قلعة سكندوار فهي قلعة في غاية الحصانة واسعة شاسعة مكيئة راسخة البناء في حضيض الماء شاذخة الارتفاع في الهواء الى عنان السماء مشحونة بالآلات الحرب والمدافع مملوءة بجيوش انصاري وابطالهم فكانت في الثانة الى حد الغاية وقد أحاطت بها المياه والاحوال من كل جانب فلم يزد امر القلعة الا استصعابا واشتد مرض السلطان وهو محاصر لها حتى أحس بالموت فدعا لله ان يجعل بالفتح ونصر المؤمنين وقال قد تحقق عندي ان الفتح ياتسر ان شاء الله ويكتب في التواريخ ان سليمان اففتح هذه القلعة العظيمة وهو ميت فاستجاب الله دعاه وحقق أمله وأوصى بالسلطنة لولده السلطان سليم الثاني ثم انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى وأخفى الوزير الاعظم محمد باشا وفاته شفقة بجيوش المسلمين أن يصيبهم فشل ودعا رئيس الاطباء فشق بطنه وملاه بالاجزاء الحارة ودفن أمعاء هناك ثم لم يزالوا يجدون في امر الفتح حتى فتحوها بعد وفاة السلطان بثلاثة ايام وقتلوا صاحبها وقتلوا ثلاثة آلاف من معه وكان من جلة أسباب فتحها ان النار اشتعلت في خريزة بارود الكفار وهي مخزونة في القلعة المذكورة فأخذت جانبا كبيرا من القلعة رفعت الى عنان السماء وزلزلت الارض زلزلة هائلة وتطايرت جلايد الصخر الى الهواء ورمت شررا ولهبا ودخانا الى ان امتلاء الفضاء قتلت كثير من الكفار الذين كانوا بالقلعة فضعت قلوب من بقي منهم فتراحم المسلمون

على دخولها والهجوم على من فيها فاقتلعوها من أيدي الكفار ووضعوا السيف في جميع الكفار وقتلوه من آخرهم وساقوهم الى جهنم وبئس القرار وما ذكرنا من ان الفتح انما كان بعد وفاة السلطان بثلاثة ايام هو ما في بعض التواريخ وفي تاريخ القطبي ان الفتح كان قبل وفاة السلطان وانه لما جاءه خبر الفتح وهو في غاية المرض فرح وجد الله تعالى على هذه النعمة واستسلم لربه وقال طاب الموت الان ثم انتقل الى رحمة الله تعالى وكان فتحها يوم السبت سابع شهر صفر الخير سنة اربع وسبعين وتسعمائة ولم يزل العسكر هناك في ترميم القلعة واصلاحها حتى بعث الوزير محمد باشا الى السلطان سليم يدعو الى سكندوار وكان يومئذ على اماره كوتاهية فلما جاءه الخبر دخل القسطنطينية على حين غفلة من أهلها وجلس على سرير الملك في التاسع من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة وتمت له البيعة واطمأن الناس ثم خرج في اليوم الثالث وتوجه الى سكندوار فلحق العسكر ولم يختل عليهم شيء فحملوا السلطان سليمان رحمه الله تعالى في العجلة ونقلوه الى القسطنطينية ودفن بها وعمره اربع وسبعون سنة ومدة سلطنته ثمان واربعون سنة وكان قدوم ولده السلطان سليم الى القسطنطينية من سكندوار في شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكان الحرب لم يزل قائما بين العساكر العثمانية وملك النمسا ومن الهجائب التدبير الذي جعل من الوزير الاعظم محمد باشا عند وفاة مولانا السلطان سليمان فانه بعد وفاته كتم وفاته وخرج من عنده وفرق الجوائز السنية والاعانات وأعطى الامراء الترقيات وأمر بارسال البشائر الى سائر الاطراف والجهات بمحصول النصر والظفر وأرسل سرايستيلى الى العهد السلطان سليم الثاني ويستعجله في سرعة الوصول وكتم ذلك عن جميع العسكر والامراء والوزراء والالانام وأحسن التدبير في هذا الكتم واستمرت امور المملكة في غاية الانتظام وهو في ديار الكفار وذلك من كمال العقل التمام والرأى الصائب الى ان وصل حضرة السلطان سليم والحرب قائم ثم وقع الصلح على الهدنة ثمان سنين ودفع ملك النمسا لخزينة السلطان ثلاثمائة الف ريال ورجع مولانا السلطان سليم الى مقر تخت سلطنته وأذن لالعساكر المنصورة بالرجوع الى اوطانها ورثت الشعراء مولانا السلطان سليمان بقصائد كثيرة

ذكر خبر عجيب

يدل على قوة ديانة مولانا السلطان سليمان وشدة ورعه وخوفه من الله تعالى وذلك انه قبل وفاته أحضر بقشة وأوصى ان تجعل معه في القبر فلما أخبر بذلك شيخ الاسلام المولى ابو السعود العمادى رحمه الله قال لابد من الاطلاع على ما في هذه البقشة قبل ان نجعلها معه في القبر فلما فتحوها وجدوا فيها الاسئلة التي كان مولانا السلطان يسأل عنها شيخ الاسلام المذكور وعلى كل سؤال الجواب منه فبكى شيخ الاسلام المذكور وقال ان مولانا السلطان أراد ليبرى ذمته عند السؤال عن هذه الاحكام وجعل السؤال متوجها الى من كتب ما فيها فأسأل الله النجاة والخلاص

الغزوة الحادية والعشرون من غزوات مولانا السلطان سليمان التي لم يحضرها بنفسه هذه الغزوة وكانت في الحجاز وهى مما ينبغي ان يلحق بغزوات مولانا السلطان سليمان

وان كان المباشر لها مولانا الشريف ابانغى وحاصلها ان طائفة البرتوقال من طوائف الفرنج قد تقدم انهم كانوا يقطعون البحر ويغيرون على كثير من ممالك الاسلام فن ذلك ان نفوسهم الخبيثة سولت لهم الاستيلاء على الحرمين وجزيرة العرب وكان ذلك في اواخر سنة ثمان واربعين وتسعمائة فدخلت طائفة عظيمة من الفرنج المذكورين كثيرا من بنادر الاسلام وخربت وأفسدت فيها ثم قصدت بندرجة العمورة ونزلت بالمرسى المعروف بابي الدوائر في خمسة وثمانين برشنة مشحونة بالرجال والسلاح والذخائر فقاتلهم مولانا الشريف ابونغي امير مكة بنفسه وترك الحج ونزل الى جدة في جيش عظيم بعد ان أمر بالنداء بالجهاد في نواحي مكة وقال من صحبنا فله اجر الجهاد وعلينا السلاح والنفقة فبلغ المبادرون للجهاد مبلغا عظيما لا يحصى ولا يعد ونفقة مولانا الشريف شاملة للجميع وعيون الكفار تدور عليهم كل حين فتشاهد هم يزيدون عددا وعددا وعيشا رغدا وخدم مولانا الشريف ابانغى يتوجهون الى اطراف البلاد ويحضرون بانواع الطعام ويشترونه بأغلا الاثمان حتى فرغت الحبوب والاقوات وكادت تعدم فأقبلوا على نحر الابل فكان مولانا الشريف يأمر بأن ينحر لكل مائة نفس بعيرا او ناقسة واستمر الامر على ذلك مدة فقال له بعض الناس ان هذا الفعل يستأصل ما عندك من الابل فأجابه بأني نويت ان أنحر ما عندى من الابل فاذا فنيت امرت بنحر الخيل ثم كل حيوان يجوز اكله فلما قرب وقت الحج برز امره الشريف لابنه الشريف احمد ان يقابل بمكة امراء الحج ويلبس الخلعة الواردة ويحج بالناس على عادة اجداده الكرام فلما وصل امراء الحج قابلهم وفعل مثل ما امره والده وحج بالناس فلما قضوا الحج توجهوا الى جدة لمقابلة مولانا الشريف ابانغى والباسه الخلع الواردة فلاقاهم وهو شاكي السلاح لابس درعه في هيئة المقاتل ولما قد موا عليه امر باطلاق المدافع فاطلقت لمقابلتهم نحو ثلاثمائة مدفع فكان مشهدا عظيما فألبسوه الخلع الواردة معهم و اضافهم واكرمهم بغاية الاكرام وانصرفوا راجعين ولما رأى الكفار صبره وحصاره لهم انقلبوا خاسئين ولما بلغ حضرة مولانا السلطان سليمان ذلك زاد في اكرام مولانا الشريف ابانغى وسحله بنصف معلوم جدة واوصل اليه غير ذلك من الانعامات التي لا تحصى وهذه القصة فيها منقبة عظيمة لسيدنا الشريف ابانغى تدخله في عداد الغزاة المجاهدين في سبيل الله ولم تكن لاحد غيره من اسلافه واحفاده امراء مكة فرحم الله الجميع رحمة واسعة

❖ تنبيه ❖

ذكر العلامة القاسي في الاعلام بأخبار بلد الله الحرام ان الحبشة جاءت الى جدة في خلافة الرشيد سنة ثلاث وثمانين ومائة فأوقعوا عن فيها فخرج الناس هاربين الى مكة فخرج معهم أهل مكة مجاهدين واميرهم حينئذ عبدالله بن محمد بن ابراهيم المخزومي فلما رأته الحبشة ذلك هربوا الى المراكب فجهز وزراءهم صاحب مكة غزاة في البحر وقيل ان هذه القصة كانت سنة ثلاث وسبعين ومائة وقد ورد في فضل ثمرجدة احاديث كثيرة منها ما ذكره شيخ الاسلام الحافظ

ابن حجر العسقلاني في كتابه المسمى لسان الميزان عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان على رأس السبعين والمائة فالرباط بجدة من افضل الرباط وفي رواية عن ابن عمر ايضا يأتي على الناس زمان يكون افضل الرباط بجدة وروى ايضا عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة من ابواب الجنة في الدنيا الاسكندرية وعسقلان وقزوين وعبادان وفضل جدة على هؤلاء كفضل بيت الله على سائر البيوت وفي شفاء الغرام للعلامة الفاسي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة رباط وجدة جهاد وكان عطاء يقول انما جدة خزانة مكة وكل ما يؤتى به الى مكة لا يخرج الا منها وروى ابن جريح ان فضل مرابطى جدة على سائر المرابطين كفضل مكة على سائر البلدان وعن فرقد النجفي انه يكون في آخر الزمان بجدة شهداء ليس على وجه الارض مثلهم شهداء وقال الامام حجة الاسلام الغزالي في كتابه احياء علوم الدين ان بعض الاوياء كوشف فرأى ان جميع الثغور تسجد لعبادان وعبادان تسجد لجدة اه قال صاحب السلاح والعدة ينبغي لمن دخل هذا الثغر المبارك ان ينوي الرباط والجهاد والذب عن بيت الله العتيق ويصحب معه شيئا لدفع أهل الكفر والعناد فبالنية يحصل له ثواب ما ينويه من الجهاد اذا العبادات متوقفة على النية لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات

ذكر فتوحات معنوية لمولانا السلطان سليمان

اعلم ان الخيرات والمبرات والمساجد والعمارات والمدارس والخانات واجراء العيون وبناء القلاع والخانات وغير ذلك من انواع الخيرات الجارية للمسلمين في كل الجهات كل ذلك معدود من الفتوحات وفتوحات مولانا السلطان سليمان في ذلك كله كثيرة وأعظمها ما كان بالحرمين الشريفين فمن ذلك انه جدد عمارة مولد النبي صلى الله عليه وسلم سنة خمس وثلاثين وتسعمائة وفي سنة ست وخسين وتسعمائة أرسل منبرا من الرخام لمكة وهو الموجود الآن وهو من تحف الدنيا ومكتوب عليه انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم وبعث مثله للمدينة المنورة على مشرفها افضل الصلاة والسلام وفي سنة ستين جدد ميزاب الكعبة وجدد للمسجد الحرام منارتين واحدة عند باب علي والاخرى بين باب الدريسة وباب الزيادة وكل من المنارتين يسمى بالسليمانية وهما احسن منائر المسجد الحرام وبني اربع مدارس للمذاهب الاربعة بين باب الدريسة وباب الزيادة وعمر تعميرا كثيرا في الكعبة المعظمة وجدد سقفها وأمر بتصفح باب الكعبة بالذهب وباصلاح رخام المطاف ثم في سنة اربع وستين أمر بتجديد باب الكعبة فجدد وفي سنة سبع وستين وتسعمائة أمر بعمارة عين زبيدة فعمرت حتى دخلت مكة وعم الانتفاع بها وكان الناس قبل ذلك يقاسون غاية المشقة في تحصيل الماء وكان تمام هذا التعمير في مدة سلطنة ابنه مولانا السلطان سليم والكلام على هذه التعميرات كلها طويل مبسوط في التواريخ وبالجملة فقاخر الدولة العثمانية وفتوحاتها وخيراتها لاتعد ولا تحصى لاسيما ما كان من ذلك لمولانا السلطان سليمان فهو واسطة عقدهم الفريد ادام الله سلطنتهم على الانام ووقفهم لما يحبهم ويرضاه على الدوام ومن فتوحات مولانا السلطان سليمان

في الحرمين الشريفين تضعيف الصدقات والصرور لاهل الحرمين وهى مادة الحياه لهم
 ولها معايشهم وقيام أودهم وسبب بقائهم ومددهم فهى وان كانت قديمة متواصلة من زمن
 آباءه السلاطين العظام الا انه هو الذى ضاعفها وزادها وأنماها وأضاف عليها من خزينته
 الخاصة مبلغا كبيرا وقد تقدم ان صدقة الحب اول من أرسلها والده السلطان سليم فاعتنى
 بها مولانا السلطان سليمان وزادها وأفرز لها قرى بمصر اشتراها من بيت مال المسلمين
 ووقفها وجعل ريعها لاهل الحرمين وجعل من ريعها لاهل مكة المشرفة ثلاثة آلاف اردب
 ولاهل المدينة المنورة الفى اردب وكتب عند شرائه تلك القرى كتاب وقف حكم بصحته
 قضاة العسكر بالديوان الشريف العالى ومن فتوحاته وخيراته صدقات الجوالى وهى
 جمع جالية ومعناها ما يؤخذ من اهل الذمة فى مقابلة استمرارهم فى بلاد الاسلام تحت الذمة
 وعدم جلائهم عنها وهى من أجل الاموال اذا أخذت على وجهها المشروع ولاجل حلها
 جعلت للعلماء والصالحين والمتقاعدين من الكبراء فلما كانت ايام سلطنة مولانا السلطان سليمان نور الله
 مرقدته وحفه بالرحمة والرضوان بحث عنها وتحرى فيها ووجد سلاطين الجراكسة كانوا
 يخرجون القليل منها فاجتهد فى تحريرها وضبطها واستوعب صرف جيعها للمذكورين
 زاد على ذلك قدرا كثيرا أخرجه من خزائنه الخاصة به واستوعب بالضبط جوالى مصر
 والشام وحلب وغير ذلك من الممالك الاسلامية واستوعب العلماء والصالحين والفقراء
 الموجودين فى الممالك الاسلامية وجعل لكل واحد ما يليق به وجعل عمارات وتكيات
 تطبخ فيها الاطعمة للفقراء وناهيك بكثرة هذه المصارف فى وجوه الخيرات فالله تعالى
 يبقى هذه الدولة الشريفة القاهرة والسلطنة الزاهرة الفاخرة الى ان تقضى الدنيا وتقوم
 الآخرة ومن خيرات مولانا السلطان سليمان وفتوحاته انه وقف اوقافا كثيرة متفرقة
 فى ممالك الاسلام وجعل وظائف للمدرسين والطلبة فى جميع ممالك الاسلام ورتب لهم
 معلومات جليلة تصرف من ريع تلك الاوقاف والكلام على ذلك طويل مبسوط فى التواريخ
 وجعل تلك المرتبات متفاوتة على حسب مراتب من جملة لهم وعلى قدر ترقىهم
 فى العلوم ولو استوفينا ما فعله من الحسنات لاحتجنا الى عدة مجلدات فالله تعالى يجعل
 سعده مشكورا وعمله مبرورا

ذكر فتوحات مولانا السلطان سليم الثانى بن مولانا السلطان سليمان

كان جلوسه على تخت السلطنة بعد وفاة والده سنة اربع وسبعين وتسعمائة وكان دخوله
 القسطنطينية لتسع مضين من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة يوم الاثنين ورجوعه
 من سكودار موضع وفاة والده فى شهر جادى الآخرة كما تقدم وكان مولانا السلطان
 سليم المذكور شهما شجاعا ذكيا مائلا الى التقوى ووجوه الخير مهاب الشكل جميل الصورة
 جليل القدر صحيح العقيدة حنفى المذهب كبقية أسلافه مكرما للعلماء والصالحين محبا لهم
 مواظبا على الصلوات الخمس فى الجماعات وكان احسانه يصل الى اهل الحرمين الشريفين
 قبل ان يتسلط فلما جلس على كرسى السلطنة ضاعف لهم الخيرات والعطيات

ذكر اول غزوة من غزواته

شاع في اول مدة جلوس مولانا السلطان سليم الثاني على تخت السلطنة عصيان بني عليان من سكان الجزيرة وخروجهم عن الطاعة فجهاز عليهم عساكر كثيرة وجرت حروب وخطوب يطول ذكرها حتى استولوا على معظم قلاعهم وأخربوا أماكنتهم وعادوا سالمين في أواخر سنة خمس وسبعين وتسعمائة وفي سنة ست وسبعين سارت جيوش السلطان سليم الى اليمن لأتمام الإصلاح ودفع المتغلبين صحبة عثمان باشا ثم أردف بسنان باشا وغيره فالتصروا وأزالوا المتغلبين والمتردين من البرتقال وملكوا اصنعاء وغيرها

الغزوة الثانية الى قبرس

وهي تتضمن غزوات لا يزال اهل قبرس يتردون ويخرجون عن الطاعة مرة بعد أخرى فتوجهت همة مولانا السلطان سليم المذكور الى التجهيز على جزيرة قبرس فجهاز عساكر كثيرة في البحر ثلاثمائة وستين مركبا وجعل عليها الوزير مصطفى باشا سنة ثمان وسبعين وتسعمائة فلما وصلت العساكر الى الجزيرة المذكورة استقرت الآراء على حصار قلعة لقوسة أولا اذ هي مدينتهم الكبرى وقاعدة مملكتهم فحاصروها مدة شهر ثم افتتحوها وقتلوا كثيرا من عظماء اهل لقوسة وبشوا رؤسهم في اطلاق من فضة الى اهل قلعة كرينة فلما شاهدوها حافوا وذلوا فطلبوا الأمان وبعثوا بفتح التلعة فتسلها ثم مهد الوزير المذكور قواعد مدينة لقوسة وبني ما خرب منها وتوجه الى حصار قلعة ماغوسة وهي من أنعم الحصون وأصعب المعاقل وقد حصنها بكثير من المدافع والمكاحل وشحنوها بالرجال وقد أحاط بها خندق واسع عميق بسور عرضه مائة ذراع وعشرة أذرع وعمقه تسعة وعشرون ذراعا وقد ركبت في هذه القلعة من المدافع سبعمائة وأربعة وستون مدفعا كبيرا ومن البنادق ما لا يعلم عددها الا الله تعالى فحاصرها العسكر حصارا شديدا وقتلوا أهلها بالآلات النارية والاجار المنجنيقية وشقوا بطون الارض شقا وفتقوا قعورها فتقا وبعث اهل قبرس الى ملوك القريج يستنجدون بهم فلم يجدوهم فلما أيسوا من الخلاص طلبوا الامانة منهم الوزير المذكور وطلب كثير منهم المسير الى بلادهم فكنهم من ذلك وحده المسير فامتنعوا فيها اعلام الاسلام وعمرها ما تخرب منها وغنم المسلمون وتسلم المسلمون ماغوسة وهدموا ما فيها من الحصون والجيوش ثم سارت جيوشهم الى جزيرة كفاية فنهبوا وهدموا بانياتها ثم الى جزيرة كورفس وهي مفتاح بلاد البنادقة فحاصروها بعض ايام وغارت فيها تهبث وتحريقا ثم فلبسوا مثل ذلك بعدة جزائر هناك فلما طال مكثهم على وجه البحر ورأوا ان العدو ما قابلهم اغتروا فأذن الوزير برتو باشا بالانفراق فتنفرك غالب العسكر وقد ملؤا المراكب بأسباب الغنائم وشحنوها فسا بقته العساكر مرسين في المينا فوصل اليهم الخبر بان الكفار استخبروا عن تفرقكم فهاهم سائرون عليكم وواصلون اليكم في جوع كثيرة من ملل شتى وقبائل متفرقة واتحد البابا وملك اسبانيا مع البندقية على حرب العثمانية فتشاور المسلمون بعضهم مع بعض فكان رأى الوزير الاعظم برتو باشا في ذلك ان لا يقابلهم ولا يقاتلهم

وكان ذلك مقتضى طبعه لأنه كان جباناً إلى الغاية وكان ماراً هو الآخر بالنسب بمتنضي الحال وخالفه كاشف البحر على باشا في ذلك وكان رجلاً شجاعاً بطلاً مغواراً فقال لابد من لقاء الكفار فإن هجم العار أشد من وجه النار وقد أيدنا الله بالاسلام وزاد فينا قوة وبسطاً فلو سارت أغربتنا وهي خالية من عسكر الاسلام لكففت قبائل الكفار وفينا من العسكر ما يفي بالمقابلة ولم يزل يناظرهم حتى غلب على رأيهم فاتفق الجميع على لقاء العدو فالتقى الجمعان في السابع عشر من جادى الأولى سنة تسع وسبعين وتسعمائة وتقابل الفريقان في طرف من بلاد المسلمين فهبت الرياح على المسلمين وأجأتهم إلى البر فانهزموا بعد قتال شديد دام من طلوع الشمس إلى الغروب وقتل المرحوم على باشا المذكور وجاعة كثيرة لا تحصى وغنم الكفار ما معهم من الاموال والاسباب والاغربة والشواني وما فيها وقل من سلم من هذه الواقعة وكانت عند الافرنج افراح عظيمة وجعلوا زمان تلك الغلبة عيداً يعيدونه كل سنة فسبحان الحكيم العبد القادر الذي يفعل ما يشاء

✽ الغزوة الثالثة إلى قبرس أيضاً ✽

ما تقدم اهتم السلطان في انشاء مراكب وسفائن اخرى مع ما يناسبها من المدافع حتى تم لهم ماراها في مدة سبعة اشهر وما كان ذلك الا عناية من الله تعالى كأن لم يسهم ضر ولا شر وفي سنة ثمانين وتسعمائة خرجت عمارة السلطان من فم الخليج القسطنطيني صعبة كاشف البحر قلع على باشا القبودان في مائة وخمسين غراباً غير ما انضم اليهم من المراكب لحماية البلاد عن هجوم العدو فلما كان ببعض أطراف البلاد صادف عمارة الافرنج فريقين بعض مقاتلة ومناوشة فأصاب عدة مدافع بعض سفن العدو فأغرقها ثم اتجه كل من الفريقين نحو بلاده لمصادفة الشتاء وفي هذه السنة ارسلت مشايخ البندقية تطلب الصلح على شروط تعود إلى شرف الدولة فصعد الأمر بالقبول وتوقف الحرب

✽ الغزوة الرابعة إلى البغدان ✽

في تلك الايام كان حاكم البغدان قد أظهر العصيان وامتنع عن دفع الخراج فأرسلت اليه الجيوش والعساكر وأخذوه اسيراً ولما حضر ضربوا عنقه

✽ الغزوة الخامسة إلى تونس ✽

كانت هذه الغزوة في سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة خرجت عمارة عظيمة في سفن وأغربة وغلايين وشواني مشحونة بالرجال وآلات الحرب صعبة الوزير الشهير سنان باشا وصحبته كاشف البحر على باشا قاصدين فتح قلعة حلق الواد وتخليص مدينة تونس فصاروا وحاصروا حلق الواد وهو من أمنع الحصون فافتتحوها بعد قتال قتل فيه من الطرفين ناس كثير فقتلوا من بها من الكفار واستولوا عليها وأسروا صاحبها الافرنجي وأسروا صاحبها الاصلى محمد الخفصى وكان قد تحصن فيها خوفاً من العثمانيين واستعان بالافرنج الاسبانيين فلم يغنوا عنه شيئاً فأمره عساكر السلطنة السنية وجاؤاه إلى القسطنطينية وصارت تونس من الممالك العثمانية وهذه الغزوة كانت عظيمة الشالك الاغارة في تونس المؤرخين وبسط الكلام عليها العلامة القطبي فقال ان سلاطين تونس كانوا لقتال عثمان تقدم انهم

أكثر عسكر

من فروع دولة ابن تومرت المهدي وان سلطنتهم كانت بتولية بنى عبد المؤمن لهم من سنة ست مائة
وثلاثة واستمرت الى ظهور الدولة العثمانية قال القطبي لما ضعف الحفصيون ووهنوا وقع بينهم
الاختلاف وصار بعضهم يستعين على بعض بنصاري الافرنج فأتوا بجنود من الكفرة ويقاثلون
اهل تونس ويسبون اولادهم ونساءهم وينشون القلاع في تلك البلاد ويواصلون جنود النصارى
الى بلاد المسلمين ويولى النصارى سلطانا من الحفصيين يكون تحت حكمهم الى ان صار
المسلمون تحت حكم النصارى وعم اذاهم للمسلمين وبنوا قلعة عظيمة محكمة الاتقان مشيدة
البنيان بقرب تونس في موضع يقال له حلق الواد كأنه بناء شداد وشحنوها بالابطال
وملأوها بالآلات الحرب والقتال وصارت الفرنج تكمن للمسلمين ويرسلون منها الاغربة
والمراكب في البحر على بلدان المؤمنين ويقطعون الطريق على المسافرين ويأخذون كل
سفينة غصبا وكبير ملوكهم صاحب اشيلية جزيرة الاندلس بعد أن أخذوها من المسلمين
أعادها الله دار اسلام ببركة النبي عليه افضل الصلوة والسلام وقد كان خير الدين باشا لما تملك
الجزائر استغاث به الرشيد احمد ملوك تونس فأجاب به وسار معه بجنود الى ان تملك تونس في قصة
طويلة ففزع الحسن بن محمد الحفصى الى اسبانيا فبعثوا معه جنودا وأخرجوا خير الدين باشا
وعساكره وقصة ذلك طويلة فلما كانت سلطنة مولانا السلطان سليم الثانى بن السلطان
سليمان جهز الجيوش الكثيرة وبعثها مع سنان باشا في مائتى سفينة بالمدافع والآلات الكثيرة
والذخائر الوفيرة سنة احدى وعشرين وتسعمائة فأحاطوا بتونس وحاصروها وضيقوا
عليها ورموا عليها المدافع الكثيرة وقتلوا قتالا شديدا وطمو خندقها بالتراب بعد تعب
شديد وكان عمق الخندق ستين ذراعا وقعره متصل بالبحر ثم حل الوزير ومن معه من
الابطال حلة واحدة تزلت منها الجبال ودخلوا القلعة وفتحوها عنوة بالسيف والقتال
وقتلوا من فيها وكان هذا الفتح العظيم لست عشرة مريض من شهر جادى الاولى سنة احدى
وعشرين وتسعمائة ومن أعجب الاتفاق ان هذه القلعة بنتها النصارى في سنة ثمانية وثلاثين
وتسعمائة وأحكموا بنائها واستكملوه في ثلاث واربعين سنة وافتتحها الوزير المذكور في
ثلاث واربعين يوما من ايام محاصرتها فكانت الايام بعدد السنين التى أحكم فيها بناؤها كل
يوم بسنة ولما تم هذا الفتح رأى الوزير المذكور ان ترميها وعمارتها وحفظها بالعساكر
والآلات الحربية تحتاج الى مؤنة كثيرة وخزائن من الاموال فأمر بهدمها وتخريبها حتى
لا نصير ملجأ للنصارى المخذولين ولما فرغ الوزير من امر حلق الواد توجه الى تونس
وبها قلعة أخرى حاصرها العساكر ايضا الى ان فتحوها وأسروا صاحبها الافرنجى
وصاحبها الاصلى الحفصى وبعثوا بهما الى دار السلطنة وصارت تونس من الممالك العثمانية
وانقضت دولة الحفصيين بعد ان انقضى لهم فيها ثلاثمائة وثمانية وسبعون سنة هذا حاصل
هذا الفتح بغاية الاختصار ومن فتوحات مولانا السلطان سليم الثانى المعنوية اضعافه المبرات
والخيرات لاها ^{سنة} تفرغ ترميها وعمارته المسجد الحرام فانه كان مسقفا بالخشب وتولى
عليه الخراب والوهن فبرز امره السلطانى بتعميره وان
يتكروا ^{بعض} يعملوه قبا وطواحن كما هو مشاهد الآن وبرز الامر بالتعمير

سنة تسع وسبعين وتسعمائة وكان الشروع فيه في منتصف المحرم سنة ثمانين وتسعمائة وتوفي مولانا السلطان سليم المذكور قبل اكمال التعمير فأتمه ولده مولانا السلطان مراد فكان التمام سنة اربع وثمانين وتسعمائة فجاء نزهة للناظرين والكلام على ذلك طويل مبسوط في التواريخ وتوفي مولانا السلطان سليم سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وعمره اثنان وخسون سنة ومدة سلطنته ثمان سنين وخمسة اشهر وكان سبب وفاته أنه أنشأ جاما بدار السعادة وأحكمه غاية الاحكام بحيث انه لم يبصر احد مثله فلما تم الحمام دخله السلطان المذكور فبينما هو يعيش فيه اذلق قدمه فسقط سقطا عظيمة اسود منها جنبه الذي سقط عليه فرض منها اياما ثم توفي رحمه الله وأقيم في السلطنة بعده ابنه (السلطان مراد الثالث) وكان وقت وفاة ابيه غائبا في مغنيسا فأخفوا موت ابيه احد عشر يوما الى ان حضر السلطان مراد وجلس على تخت السلطنة فأظهروا موت ابيه وكان مولانا السلطان مراد المذكور ملكا جليلا تربى في حجر السعادة واشتغل بالعلوم حتى حصلها وفاق كثيرا من أسلافه واشتغل بعلم التصوف ولم ينقل عنه انه صدر منه شيء من الكبار وكان مكرما للعلماء والصالحين والفقراء محبا لهم كثير الاحسان اليهم وكان واقفا عند مراد ربه لا يتعداه عاملا في أمره بتقوى الله مراعيًا للعادل والاحسان فيما استرعاه لم يزل قائما بنصرة الدين وحماية بيضة الاسلام وتقوية جناح المسلمين ولولم يكن من مناقبه الاتكامل ببناء المسجد الحرام لكان ذلك دليلا على كرامة الله له بين الانام وكان له نظم فائق باللسان العربي والتركي والفارسي

ذكر اول غزوة من غزواته الى بلاد العجم

كان أهم شيء عنده بعد جلوسه في السلطنة قتال سلطان العجم لكثرة ما يقع منه من الغدر ونقض العهود وهلك سلطان العجم طهمااسب شاه سنة اربع وثمانين وتسعمائة وقام بعده ولده محمد خدابنده فعين السلطان مراد الوزير مصطفى باشا فاتح بلاد قبرس فتوجه في سنة ست وثمانين وتسعمائة بعسكر كثير الى بلاد الشرق فبنى قلعة قارص وشيخنها بالمسدافع والمكاحل ثم سار الى تخوم بلاد العجم والكرج وحاصر قلعة الكرج الى ان استولى عليها ثم التقى مع عسكر العجم وقاتلهم قتالا شديدا فهزهم وحصدهم بالسيوف واستولى على اموالهم وخبولهم ثم استولى على عدة قلاع وشيخنها بالرجال ثم سار وحاصر قلعة تفليس الى ان افتتحها وكان المسلمون افتحوها قديما وغلب عليها الكرج ولما فتحت مدينة تفليس ارسلت ام منوچهر الكرجي ملكة تلك البلاد ابنها الى السوزير بالطاعة ومعه مفاتيح ثمانى قلاع فرحب به الوزير وآمنه وعين له امرأة تلك البلاد بعد ان اسلم بين يدي الوزير ثم سار الى طرف شروان بعد ان نصب اميرا على تفليس وبث سراياه الى الاطراف وتمكن منها وترك فيها عثمان باشا بن ازدا مرواليا بها فلما اقبل الشتاء توجه الوزير مصطفى باشا الى طرف بلاد السلطان وشي هناك للاغارة في الربيع على بلاد العجم ثم بلغه ان صاحب شروان القديم قصد نحو اثني عشر الفا لقتال عثمان باشا فوقع بها قتال شديدا وانتصر عثمان باشا وقتل صاحب شروان وأكثر عسكره ثم وقع

بينه وبين عسكر الشاه هناك ماينوف عن عشرين وقعة وكان النصر فيها دائماً لعثمان باشا
ثم جاءه عسكر من العجم نحو ثلاثين الفا وقصدوه في شروان فقاتلهم اربعة ايام ثم انتصر عليهم
وقتل اكثرهم ثم ترك في شروان جعفر باشا وتوجه الى القسطنطينية بطلب ليكون صدرا
اعظم وقاتل في مسيره عدة ائم اعترضوه بالحرب وغلب عليهم ولما وصل الى بلاد كفة بلغه
أن خاقان التتار أظهر العصيان على سلاطين آل عثمان فقاتله وانتصر عليه وقطع رأسه
✽ الغزوة الثانية الى بلاد العجم ايضا ✽

وفي سنة ثمان وثمانين وتسعمائة بعث مولانا السلطان مراد وزيره سنان باشا الى قتال العجم فصار
مع عسكر جرار ووصل الى حدود العجم فأرسل اليه الشاه في الصلح وبعث للسلطان احد
وزرائه يدعى ابراهيم خان بتخف سنه وهدايا جليلة وظن سنان باشا ان هذه الحالة مما تجب
السلطان فلم يكن الامر كذلك بل عزله السلطان وأقام مقامه فرهاد باشا وفي سنة احدى وتسعين
وتسعمائة توجه الوزير فرهاد باشا بالعساكر الى بلاد العجم فصار وتوغل في بلاد اذربيجان
واستولى على مدينة وان وبني بها حصنا حصينا ونصب فيها يوسف باشا واليا وفي سنة
اثنين وتسعين سار فرهاد باشا بعساكر وافرة الى بلاد الكرج فبنى هناك عدة قلاع وفيها
السنة ايضا سار الوزير الاعظم عثمان باشا بعساكر كثيرة الى قتال العجم فشتى بلاد قسطنطيني
وسار الى بلاد العجم في سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة ومعه من العساكر ما لا يعلم عدده الا الله
فعارضه الاعجام في الطريق فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم دخل تبريز في أواخر رمضان من السنة
المذكورة واستقبله اهل تبريز بمصاحفهم ووجوه الناس فقابلهم الوزير باللطف ثم شرع
في بناء قلعة حصينة ثم في بناء سور المدينة فأتم الجميع في مدة خمسة وثلاثين يوما ثم ظهر من بعض
اهل تبريز بعض الغدر في أمر العساكر فهجم عليهم العساكر وقتلوه ونهبوا اموالهم ولم
ينج منهم الا النساء والاطفال ثم مرض الوزير وخرج متوجها الى بلاد الروم بعد أن أبقي
في مدينة تبريز نحو ثلاثين الفاصحبة جعفر باشا فلما كان اليوم الرابع من مسيرهم اعترض للوزير
جزه مرزا بن شاه محمد خدا بنده سلطان العجم مع عسكر كثير فتهيأ الوزير وهو مريض
لقتالهم وركب بقلته الشهباء وهو آخر ركوبه على الدابة فاستمر الحرب من غلس الصبح
الى الظهر فلما رأى الوزير امتداد الامرا مرمرى المدافع الكبار وكانت ثمانمائة مدفع فأصاب
خلقا كثيرا من عساكر الاعجام وانجلى الامر عن هزيمتهم ثم نزل الوزير في ذلك المحل وفتح
ابواب الوطاق لاجل اعطاء الترقى والعطية للعساكر فلما صار نصف الليل غلق ابواب
الوطاق وانتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى واقام مقامه سنان باشا بمدينة وان فلما حلوا اعترضهم
العدوينا وشمالا ووقع بينهما مناوشات فلما وصلوا الى حدود المملكة العثمانية امام قلعة
سلاس هجم جزه ميرزا المذكور في نحو ثلاثين الفافوق بين العسكرين قتال كثير وانجلى
الحرب عن هزيمة الاعجام بعد أن حصد غالبهم بالسيف

✽ الغزوة الثالثة الى بلاد العجم ايضا ✽

في سنة اربع وتسعين وتسعمائة جهز السلطان مراد فرهاد باشا مع عساكر عظيمة الى بلاد العجم
فوصلوا الى مدينة تبريز وحصنوا قلعتها واورموا سورها وكانت الشاهية حاصروها مرار عديدة

وقربوا من أخذها ثم بنى هناك بين وان وتبريز قلعتين وشيخهنما رجالا وسلاحا ولم يزل
الوزير المذكور يشق بلاد الروم ويرجع في الصيف الى بلاد العجم حتى مهد البلاد التي أخذت من
الكرج وبنى قلاما وحصونا كثيرة وقاتل قره باغ محمد خان فكسره وغنم أمواله وعاد الى بلاد
الروم والحاصل ان الحرب بين الدولة العثمانية والعجم كانت سجالا ثم انعقد بينهما صلح وجعل
لكل منهما حد لا يتعداه احد منهما وكان ذلك في مدة الشاه محمد خدابنده بن طهماسب بن اسماعيل
وخلع محمد خدابنده سنة خمس وتسعين وتسعمائة لانه كان اعشى وأقيم بعده ولده عباس شاه

✽ الغزوة الرابعة الى بلاد المجر ✽

في سنة احدى بعد الألف عين السلطان الوزير سنان باشا المحاربة كفار المجر وأرسل معه العساكر
ففتح تلك السنة قلعة بسترين وقلعة طاجة وشتى بمدينة بلغراد وفي السنة الثانية فتح قلعة
قران بضم القاف وقلعة يانق وهي من أحصن القلاع وأصعبها قد أحاط بها الماء وهي مدينة
ماتت الملوك بحسرتها لحصانتها ومنعتها ومنازلها وكان فتحها عند النصاري بمنزلة المحال
سموعة مراقبيها واستعلاء مراقبيها وذلك بعد ان نال المسلمين شدة عظيمة قيل ان النصاري
موهوبهم بمدافع فجاء مدفع بصنحق النبي صلى الله عليه وسلم فتلقياه رجل قبل السقوط فلم يسقط
ثم بعد ايام لما اشتد بهم الحصار سلط الله عليهم موتان فجعلوا يموتون في فرشهم من غير قتال
فسلوا المدينة للمسلمين فدخلوها فوجدوها قد جافت من الموتى وسر المسلمون بذلك سرورا
عظيما وتوفي السلطان مراد خان الثالث سنة ثلاث بعد الألف وعمره خمسون سنة ومدة ملكه
عشرون سنة وثمانية اشهر وتسلمن بعده ولده (السلطان محمد الثالث) قال في خلاصة
الأثر عند ذكره الملك الأعظم الباهر الشأن كان سلطانا عظيم القدر مهابا جوادا على الهمة
مظفرا في وقائمه صالحا عابدا ساعيا في اقامة الشعائر الدينية مراعيها لا أحكام الشريعة مطيعا
لاوامر الله متقادا لما يقرب اليه مداوما للجماعة والأوقات الخمس قائما بالسنن والرواتب
ومن عادته المرضية انه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم نهض قائما وبالحلمة فأوصافه
كلها حسنة فائقة وقال القرمانى في تاريخه كان كاملا الأوصاف محبا للعدل والأوصاف
محبا للعلماء والعلماء مكرما لهم بأنواع الأكرام شديد المحبة للجهاد ونصرة الإسلام

✽ الغزوة الأولى من غزواته ✽

كانت هذه الغزوة الى المجر في أول مدة سلطنته خرج عن الطاعة ميخائيل ملك الأقالق
 واجتمع معه ملك النمسا وبلاد الأردل وعاتوا في بلاد روم ايلي فبعث السلطان محمد جيشا
 تحت قيادة فرهاد باشا الصدر الأعظم فكسره الأفرنج كسرة هائلة وقتل من جيشه خلق
 كثير فقتل السلطان فرهاد باشا وولى مكانه سنان باشا وكان شيخا مسنا فلم ينجح بل كسر
 ايضا فعزله السلطان وأعادته الى الصدارة فأشار على السلطان ان يخرج بنفسه للحرب فخرج
 بنفسه في شوال سنة أربع بعد الألف بجيش غفير قاصدا بلاد المجر فوصل بلغراد وحاصر
 مدينة اكرای ففتحها وكان فيها قلعة في غاية المنعة والتحصين فنالها بجنوده وأطلق أمره
 في ضربها بالمكاحل فاشتد البلاء بمن فيها فخرجوا منها طائعين وسلموها في أواخر صفر سنة
 خمس بعد الألف ووصل خبر أخذها الى ملك الأتراك كروس فقام وقعد وأرغى وأزبد

لأنها كانت عندهم من القلاع المعبرة فكانت ملوك النصارى فطلب الامداد منهم بالعساكر
والذخائر فاجتمع اليه ملك النمسا وحاكم الأردل وحاكم البغدان وحاكم الأفلاق وسواكن الجزائر
من حكام البحر وكثير من ملوك الفرنج فجاؤا الى امداده بسبعة جيوش يضيق عنهما الفضا وكان
السلطان محمد سار بعسكره بعد الفتح السابق الى القلعة التي بها المدين فينها هو في اثناء المرحلة
الثالثة اذ همته النصارى من كل جانب وأحاطوا به وكان عسكر الاسلام حينئذ غير مستعد
والنصارى في غلبة الكثرة جدا بحيث ان جمعهم المنحول لا يحصى فوقع حرب عظيم في ذلك
اليوم كله الى ان دخل الليل فتفرقوا وكان ذلك يوم الخميس ثاني شهر ربيع الاول وأصبحوا
يوم الجمعة متحاربين ايضا واستعدت النصارى أزيد من اليوم الاول فكانوا غرقى في الفولاذ
ثم هجموا دفعة واحدة على المسلمين وفرقوهم بددا ووصلوا الى مخيم السلطان فطلب
السلطان اليه معلمه الخوجه سعد الدين وكان في صحبته فخر بن يديه وجمل يشته
والسلطان يستنهض عساكره الخاصة به ويستغيث بالله تعالى فلم يكن بأسرع من أن قوى
المسلمون وأدركهم بعض المنهزمين ففرقوا شمل النصارى وأبادوهم ودخلوا بينهم والتحم
القتال وتراجع جميع العسكر مسعفين فكسر والنصارى وردوهم على أعقابهم ووقع
السيف فيهم وهم فارون حتى قتل بعضهم بعضا من الزحام وغيره ووهب الله تعالى له
النصر والتأييد ولم يسلم احد من الكفار الا من هرب وغنم السلطان ومن معه غنية عظيمة
وأحصيت قتلى المسلمين فكان الذي استشهد من القواد ما يقرب من اربعمائة ومن الصناجق
أصحاب الاولوية بضعة عشر رجلا ومن الامراء الكبار اربعة أنفار ومن العساكر كثير ومن
الكفار ما لا يحصى والحاصل ان ما وقع له من النصر لم يقع لاحد من ملوك آل عثمان وذلك
انما هو بمحض لطف الهى وامداد ربانى غير متناه ولقد حكي ان ملوك الفرنج تطلق على هذا
السلطان صاحب القرال وهذا الوصف اغما هو ان بلغ في الشجاعة المرتبة التي لا تسامى
وانهم على عادتهم يصورون ملوك آل عثمان فيقدمون هذا في التصوير على كل الملوك وذلك
كله بسبب هذه النصرة التي رزقها وفي خلاصة الاثر ان بعض العلماء رأى أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم في منامه يتذكرون أمر هذه الغزوة فقال الصديق الاكبر رضى الله عنه
ان انهزام المسلمين كان مقدرا لكن لما كان السلطان محمد سعيدا أكرمه الله تعالى فأمدته
بلائكة النصر حتى حصل له الظفر والتأييد ودخل السلطان الى مقر ملكه ثالث جادى الاخرة
سنة خمس والى بموكب حافل

✽ الغزوة الثانية الى بلاد الانكروس ✽

في هذه السنة عين محمد باشا الساطور حى سردار على بلاد الانكروس فتقابل مع الكفار
بجيش جرار ووقع بينهما قتال ووقع من محافظ بوسنة حسن باشا الترياقى اهمال فى مساعدته
ولولا ذلك ما خلاص احد من الكفار

✽ الغزوة الثالثة جهز مولانا السلطان محمد جيشا مع محمد باشا ✽

فى سنة سبع فتح محمد باشا المذكور قلعة واردار وفى هذه السنة استولى الكفار على قلعة يافق
وبعض قلاع وفيها ايضا كبس مجايل الامين على غفلة قرب نيكبولى ففر محافظ الطونة

احد باشا منهزما فحاصر الامين قلعة نيكبولى مدة ثم رحل عنها وفيها غضب السلطان على محمد باشا الساطور حتى لاهماله في أمر المحاربة واتعابه العسكر واسرافه في المصارف وانتراع يافق في زمانه واقتلاع بعض قلاع فأرسل اليه السلطان من قتله

✽ الغزوة الرابعة جهزمولا نا السلطان محمد جيشا ✽

في سنة ثمان بعد الالف ففتحوا قلعة فانيسره وكان فتحها على يد الوزير الاعظم ابراهيم باشا وكان فتحها عظيما يعادل فتح اكرای وسربها المسلمون وزينت البلاد لهذا الفتح ثلاثة ايام وكان في أيام محاصرتها وقع اضطراب عظيم فرأى بعض الصلحاء في منامه شيخ الاسلام صنع الدين جعفر وهو يأمره بقراءة هذا الدعا وهو اللهم قو قلوب المؤمنين بقوة الكرام البررة وألق الرعب في قلوب الكفرة الفجرة فشاع هذا الدعا ودأوم على قراءته الناس فظهر أثره والله الحمد وفي هذه السنة استولت النصارى على استون بلغراد ثم استرجعت منهم

✽ الغزوة الخامسة الى بلاد المجر ✽

في سنة عشر بعث مولا نا السلطان سنان باشا بن جفال لمحاربة المجر ففتح تلك السنة قلعة قنجية

✽ الغزوة السادسة الى بلاد المجر ✽

سنة احدى عشرة جاء الخبر بأن شاه العجم نقض الصلح واستأمر محافظ تبريز واضطرب امر المسلمين فضمت تبريز الى وان ووجهتها لكافل حلب نصوح باشا وعين السلطان عسكرا جرارا وأردف بهم نصوح باشا ثم توفي السلطان محمد قبل تمام الامر وكان تمامه في مدة سلطنة ابنه (السلطان احد الاول) وكانت وفاة السلطان محمد سنة اثنتي عشرة بعد الالف وعمره تسع وثلاثون سنة ومدة سلطنته تسع سنين وشهران وتسلمن بعده ابنه السلطان احد الاول وهو الرابع عشر من سلاطين آل عثمان والقمر ليلة الرابع عشر يسمى بدرا فلذلك قال بعضهم ان السلطان احد يستحق ان يسمى بدرا لأنه أضاء به الملك فانه لما تسلمن كان البغاة والخارجون قد كثروا في كل ناحية من أواخر سلطنة والده فسعى السلطان احد في اخادهم وجد في قطع دابرهم حتى أبادهم وكان سلطانا عظيم القدر جليل الذكرا محبا للعلماء وآل البيت والصحابة متمسكا بالسنة النبوية حسن الاعتقاد معاشرا لأرباب الفضائل سمح الكف جوادا لا تزال احساناته للفقراء واصلة وعطاياه لأرباب الاستحقاق متردفة وجاء تاريخ جلوسه في السلطنة هو خير السلاطين ومن خبراته وما أثره انه في سنة أربع وعشرين وألف أرسل للحضرة الشريفة النبوية فضين من اللباس قيمتهما ثمانون ألف دينار فوضعهما فوق الكوكب الدرى وهذا الكوكب هو الذى تجاه الوجه الشريف في الجدار وهو في مسمار من الفضة مموه بالذهب في رخامة جراء ومن استقبله كان مستقبلا الوجه الشريف وله صدقات كثيرة في أهل الحرمين

✽ ذكر غزوة من غزواته ✽

جهز جيشا في ابتداء دولته وأرسله مع وزيره الأعظم على باشا الى بلاد المجر فقات على باشا وهو متوجه فأقام بدله محمد باشا الذى كان سردارا في الروم ايلي ثم سعى مراد باشا بالصلح بين مولا نا السلطان احد والمجر والهدنة عشرين سنة ودخل الى دار السلطنة

ومعه رسل البحر ومعهم الهدايا والتحف فقبل مولانا السلطان اجد ذلك

✽ ذكر غزوة اخرى ✽

في سنة ثلاث عشرة بعد الالف جهز جيشا وبعثه مع محمد باشا البوسوى احد الوزراء العظام لفتح قلعة استرغون فسار اليها ولم يتمكن من فتحها تلك السنة ثم فتحها في سنة اربع عشرة

✽ ذكر غزوة الى بلاد العجم ✽

في سنة الف و اربع عشرة جهز جيوشا الى بلاد العجم وكان عليها سنان باشا بن جفال فوصل اليهم وقتلهم وانتصر في أول الامر ثم خالف أمره بعض الوزراء الذين كانوا معه فكان ذلك سببا لانهمزوا وقاتل منهم خلق كثير

✽ ذكر غزوة اخرى الى بلاد العجم ايضا ✽

في سنة ست عشرة وألف جهز جيشا عظيما يقوده مراد باشا وكان قد كبر وشاخ فجعل الامر لنصوح باشا وتأخر في ديار بكر ومرض ومات فتقدم نصوح باشا لمحاربة العجم فقاتلهم وقهرهم واستولى على تبريز فهرب سلطانهم عباس شاه والتجى الى بعض الجبال وأرسل يطلب الصلح فأجابه نصوح باشا الى ذلك بعد أن اشترط عليه أن يذكروا اسم السلطان في بلاد العجم ويدعوا له في الخطبة وان الشاه عباس يدفع مصاريف الحرب ويقوم بالخسارة التي أحدثها في بلاد السلطنة العثمانية فقبل الشاه عباس ذلك وانعقد الصلح ورجعت العساكر العثمانية الى بلادها

✽ ذكر غزوة اخرى الى بلاد العجم ايضا ✽

في سنة خمس وعشرين والالف نقض الشاه عباس تلك اليهود ولم يف بالشروط ففتحت الحرب ثانيا بين الدولتين وأرسلت الجيوش العثمانية مع نصوح باشا فغلب وانتصر واستولت الجيوش على بعض القلاع بعد حرب شديدة ثم وقعت الحرب بسبب كثرة الثلج والبرد ومات من العسكر جانب عظيم وأشيع ان الشاه انما نقض الصلح بمكاتبه جاءته من نصوح باشا وعده بالامانة فأمر مولانا السلطان اجد بقتل نصوح باشا فقتل سنة خمس وعشرين والالف وفي سنة ست وعشرين توفي السلطان اجد وعمره خمس وعشرون سنة ومدة سلطنته اربع عشرة سنة وأوصى بالسلطنة لاختيه مصطفى بن محمد لان أولاد السلطان اجد كانوا صغارا واخوه اكبر منهم وكان ابوه السلطان محمد أوصاه به فكان يرعاه فبويع اخوه (السلطان مصطفى) وخلع بعد ثلاثة اشهر لانه كان صالحا زاهدا متعشفا فلم تظهر كفايته للسلطنة لشدة بذله الاموال وكثرة ركوبه الى المحلات البعيدة من غير تقيد بامر مركوب ولا غيره لانه تارك الدنيا وليس براغب فيها بحيث انه كان في مدة سلطنته لبسه جوخة خضراء باكام عربية واماأكله فانه لم يأكل اللحم مطلقا وانما كان يأكل الكمك الناشف والوز والبندق وانواع الفواكه واما أمره في النساء فان والدته أحضرت له جوارى عديدة فلم يقبل منهن واحدة وكان لا يدري من أحوال الملك الا ما يلقي اليه فلما رأى أركان الدولة ان الامر به لا ينتظم ذهب المفتي المولى اسعد بن سعد الدين الى اسكدار للشيخ محمود المعتقد الصالح العالم العامل يستشير في خلع فآشار بخلع وان يولى مكانه السلطان عثمان

ابن السلطان احمد ثم جاء من عنده وأخبر قائم مقام الوزير مصطفى اغا ضابط الحرم قريب
 المساء من ليلة الاربعاء ثالث شهر ربيع الاول فأرسل القائم مقام الى الصوباش اذا جاء تلك
 في غد ورقة محتومة فافعل بما فيها واحترس على الابواب فقال سمعا وطاعة وكان الصدر
 الاعظم محمد باشا قد توجه بجيش لمحاربة العجم في مدة السلطان مصطفى واما مصطفى اغا
 فانه اول مامضى من ليلة الاربعاء ست ساعات ذهب الى ابواب السرايا وقفلها جميعا وكذا
 ابواب الامكنة التي فيها اكابر الخدم وأخذ المقاتل حيا وهيا محل الذي فيه تخت السلطنة وأوقد
 فيه الشموع وفرشه باحسن الفرش وذهب من حينه الى السلطان عثمان في مجلسه الذي هو فيه
 وهو محل عمه مصطفى الذي كان فيه في حياة السلطان احمد وفتح عليه الابواب فحصل له
 رعب وتخوف من ان يكون عمه ارسله اليه ليقته فقال له لا تخف انت صرت سلطانا فلم
 يصدق ذلك فصار يحلف له ان القول صحيح ولا زال يلطف به الى ان ادخله الى محل التخت
 فألبسه ثياب الملك وأجلسه على التخت وقبل يده وصار يفتح ابواب السرايا بابا بابا ويدخل
 من كان داخل الابواب للمبايعة حتى لم يبق احد في السرايا بغير مبايعة هذا كله والسلطان
 مصطفى قائم مقام والدته ثم أرسل مصطفى اغا للمفتي وقائم مقام الوزير فحضرا وباعا ثم
 ذهبوا الى السلطان مصطفى قبل الفجر فطلبوه من الداخل فخرج اليهم وقال لهم ما جاء بكم
 في هذا الوقت فكان اول من تكلم شيخ الاسلام احمد فقال له ان امر المملكة اختل
 وان الاعداء تسلطت علينا ونحن نخشى ضياع الملك وانت لست بلائق للسلطنة فأجابه
 بقوله انا ما طلبت منكم الملك ولا أردته وليس لي به مصلحة فقالوا جميعا لانك تفتي بقولك هذا
 ولا بد ان تذهب معنا وتبايع ولد اخيك (السلطان عثمان) فانا قد أجلسناه على التخت فقال
 جعله الله مباركا وليس عندي مخالفة وذهب وبايع السلطان عثمان فقالوا الآن نحضر
 جميع الوزراء واركان الدولة وأشهد على نفسك بالخلع فقال لهم أفعل ذلك فأرسلوا
 واحضروا الوزراء وقاضى العسكري وكتبوا عليه حجة بخلع نفسه وأرسل القائم مقام
 الورقة الموعود بها الى الصوباش وفيها الامر بالمناداة وتولية السلطان عثمان فنودي
 بذلك وتم الامر وما انتطح في ذلك غزان وكان ذلك يوم الاربعاء ثامن شهر ربيع الاول
 سنة سبع وعشرين والف وكان السلطان عثمان المذكور من أحسن السلاطين خلقا وخلقا
 وأجملهم شيا وطبعه له أدب وحياء وعرفان وفيه شجاعة وفروسية وكان ينظم الشعر التركي

✽ ذكر أول غزوة من غزواته ✽

كان الصدر الاعظم محمد باشا قد توجه بجيش لمحاربة العجم في مدة السلطان مصطفى فلما بلغه
 خلعهم رجع يطلب الانتقام من خلع السلطان مصطفى فلما وصل الى دار السلطنة وعلم حقيقة
 الامر قاد الوزير المذكور الجيش ثانية لمحاربة العجم في مدة السلطان عثمان سنة ثمان وعشرين
 وألف ونجح في هذه التجربة كل النجاح وارتجع من العجم الممالك التي اختلسوها وأرسل
 عباس شاه سلطان العجم يطلب الصلح على شروط موافقة للسلطان فأجابوه الى ذلك

✽ غزوة ثانية الى البغدان ✽

كان صاحب البغدان قد ألقى فتنة بين أهل بولونيا والدولة وحرصهم على العصيان

فأرسل السلطان عثمان إليهم أسكندر باشا فاستظهر عليهم وقتل منهم عشرين ألفا وأسروا عشرة آلاف ثم قتلهم وقطع رأس رئيسهم الذي حملهم على العصيان وأرسله إلى دار السلطنة وألزم أهل بولونيا أن تدفع مائة ألف ريال وألزمهم أيضا بتماريف الحرب

✽ غزوة ثالثة إلى بولونيا ✽

في سنة ثلاثين خرج السلطان عثمان بنفسه لقتال أهل بولونيا وهم القزاق وكان الذي خرج معه من الجيش ستمائة ألف مقاتل فأرسل أهل بولونيا يستجدون بملوك الأفرنج فأنجذتهم دولة روسيا وفرنسا والبابا والمجر والنمسا وبعد محاربة شديدة طويلة فقد فيها من الطرفين نحو مائتي ألف انتصر عليهم وأخذ عدة قلاع وغنم غنائم كثيرة ثم عقد صلحا معهم ورجع إلى مقر ملكه بعد أن أخذ منهم الجزية فهاتيه ملوك الأفاق وقويت شوكتهم واتسعت دائرة الملك في أيامه وكان فيه صلاح وتعطف وخشوع وأمر في أيامه بتعطيل خانات الخمر ودار عليها بنفسه وقفل أبوابها وطرد أصحابها

✽ ذكر ارادته الخروج للحج المؤدى إلى قتله ✽

في شهر رجب من سنة إحدى وثلاثين وألف عزم السلطان عثمان على الحج من طريق البر وأراد التوجه إلى الشام وأخرج خيامه وسراجه إلى أسكدار سابع رجب وصمم على هذا الأمر فحصل اللفظ من العسكر في ذلك اليوم وقامت الفتنة واجتمعت العساكر واتفقوا على عدم السفر معه وأخرجوا فتوى أن السلاطين لا يكلفون بالحج فلما بلغ السلطان ذلك غضب غضبا شديدا ولم يلتفت إلى كلام المفتي فأخذ المفتي وأصحابه يهيجون العساكر ثم تجمعوا في المكان المعروف ات ميداني واتفقوا على قتل الوزير الأعظم دلاور باشا وضابط الحرم السلطاني والدفتر دار ومعلم السلطان المولى عمر بدعوى أنهم كانوا السبب لتحرك السلطان إلى السفر للحج ثم هجموا في ذلك اليوم بعد الظهر على بيت معلم السلطان ونهبوا أمواله وأرادوا قتله فلما وجدوه ثم في وقت العصر اجتمع كبار العلماء بالسلطان وسألوه أن يسلم الوزير الأعظم وضابط الحرم أو يقتلها هو حتى تسكن الفتنة وأبرموا عليه بالسؤال فامتنع ثم تفرق العسكر وفي ثاني يوم وهو يوم الخميس اجتمعوا أيضا والعسكر كلهم بالأسلحة وآلة الحرب وذهبوا إلى الموالى وجعدهم بالجامع الجديد الذي عمره السلطان أحد وأرسلوا قاضي عسكر وقاضي دار السلطنة وبعض الموالى إلى السلطان بطلب الجماعة الذين استأجروا على قتلهم المذكورين أولا فامتنع من تسليمهم واستمروا في مراجعته إلى وقت الظهر ومل العسكر من الانتظار فهجموا على دار الخلافة فوجدوا السلطان مصطفى في الموضع المحبوس فيه نائما على فراش بال وعنده خادمان أخرسان جالسين أمامه ومملوك يدعى درويش أغا فاستيقظ السلطان مصطفى فلما رآهم ظن أنهم يريدون قتله فدأهم عنقه بكل خضوع فأكبوا على أقدامه يقبلونها قائلين له يا سلطاننا عساكرك ينتظرونك خارجا قم فانهمض بنا ورفعوا السلطان مصطفى وأزلوه إلى فمحة الجينة وأركبوه على حصان المفتي وساروا به إلى جامعهم ولما علم السلطان عثمان ذلك تحير في أمره فأخذ معه الوزير الأعظم السابق حسين باشا وذهب به إلى بيت ضابط الجند لبدر أمره وقال له السلطان تذهب وتأخذ خاطر العسكر

وتجعل لكل انسان منهم خمسين شريفيا وخمسة أذرع من الجوخ وألزمه بذلك فذهب الى
العسكر وكلهم في ذلك فإكان جوابهم الا أن قتلوه وذهبوا من وقتهم الى بيته وقتلوا
حسين باشا وقبضوا على السلطان وأحضروه بين يدي السلطان مصطفى فأرسله الى
يدي قله وأحضروا دلاور باشا وضابط الحرم وقطعوا رأسها وعلقهوا رؤس الجميع على
جامع السلطان بايزيد ووقعت البيعة العامة (للسلطان مصطفى) فجعل زوج اخته داود
باشا وزيرا أعظم وبعدها بعد العصر من هذا اليوم ذهب داود باشا الى يدي قله من غير علم السلطان
مصطفى وخنق السلطان عثمان وغسله وكفنه وصلى عليه ودفنه عند أبيه السلطان أحمد
وذلك في اليوم الثامن من رجب وجرت أمور هائلة ونهبت دور كثيرة من دور أركان الدولة
وقيل في تاريخ قتله

* مات سلطان البرايا * فهو في الأخرى سعيد *

* قال لي الهاتف أرخ * ان عثمان شهيد *

٥١ ٦٦١ ٣١٩

١٠٣١

وكانت ولادته سنة ثلاث عشرة والف ووفاته سنة احدى وثلاثين ومدة خلافته اربع
سنوات وشهر وعمره سبع عشرة سنة بعد تمام البيعة للسلطان مصطفى بيومين جهزت المساكين
الصباحية امام سرايا داود باشا وزير الصدارة بسألوته لماذا قتلت السلطان عثمان ونشأ
من ذلك فتنة أخرى آل الامر فيها الى قتل داود باشا فقتل بعد عشرين يوما وصار البحث
عن الاشخاص الذين تداخلوا في قتل السلطان عثمان فقتلوههم واضطربت امور السلطنة
والوزارة وقام أهل الاناطول وامراؤها ونوابها على ساق لطلب دم السلطان عثمان
واظهروا الاستقلال التام في ولايتهم وامنعوا من الدخول في بيعة السلطان مصطفى ولم
يزل الامر يزداد شدة الى ان خلعوا السلطان مصطفى رابع ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين
والف فدة سلطنته سنة واحدة وأربعة اشهر وماعاش بعد ذلك كثيرا وكانت ولادته سنة
الف رحمه الله ولما خلعوه اقاموا في السلطنة (السلطان مراد الرابع) اخوا السلطان عثمان
ابن احمد قال في خلاصة الاثر وكان عمره احدى عشرة سنة وسبعة اشهر وجاء تاريخ ولايته
* مراد خان العادل * ومع صغره سنه كان له عقل ثاقب ورأى سديد وكانت تظهر عليه أمارات
١٠٣٢ الشجاعة وقوة القلب فكان من أعظم ابطال ذلك الزمان وكان اسكندر الثاني
في تلك الايام بل كان من أعلى السلاطين مقدارا وأوسطهم همة واقدارا خضعت لعظمته
رؤساء الاكامرة وذلت لحرمة وقهره تصلب في قعر المفسدين سديد الرأى في أمره كان من
أمره أنه ابتداء اولاً باستيصال الطغاة من العسكر الذين قتلوا اخاه فاهتم بامر تحصينهم من
البلاد وتنبع قتلهم وأجاد وبلغ من قوته انه رمى بقوس الى درقة مطبقة احدى عشرة طبقة
فشبت العود فيها فلم يقدر احد على انزاع العود منها فأرسلها الى مصر وبرز أمره الى المساكين
المصريين باخراج العود منها وأن من أخرجه يزداد في علوفته فحاولوا اخراجه فجزوا عن ذلك

ذكر استيلاء العجم على مدينة بغداد

لما بلغ العجم قتل السلطان عثمان واعادة السلطان مصطفى و علموا اضطراب الدولة العثمانية وضعوا ايديهم على كثير من البلاد التي اقتحمها العثمانيون وملكوها فن ذلك مدينة بغداد وكانت بغداد في كفالة الوزير يوسف باشا فوقع بينه وبين واحد من كبار عسكره اختلاف يقال له بكر الصوباش فحاصر بكر الوزير في قلعة بواسطة العسكر فأصاب الوزير رصاصة مات منها فقلع بكر على بغداد فلما رأى اضطراب امر الدولة أظهر العصيان والامتناد فبعث اليه الدولة جانباً من العسكر لتأديب هذا العاصي وجعلوا امر هذا العسكر تحت رئاسة حافظ باشا فلما بلغه ذلك كتب الى شاه العجم ان يحضر لكي يسلم له بغداد فأرسل من يستلم منه مفاتيح المدينة مع جانب من العسكر نحو ثلاثمائة وأنهم على بكر الصوباش بمهمة قتل باشا وقبل وصول العجم الى بغداد وصلت عساكر الدولة وأقامت الحصار على بغداد فأرسل بكر الصوباش لحافظ باشا يطلب منه أن يلقبه بكلس بك لكي يطرد الاعجام فلم يقبل منه حافظ باشا ذلك وفي اثناء ذلك وصل رسول العجم الى بغداد وأرسل يقول لحافظ باشا ان بكر الصوباش صار يخص شاه العجم فاذا كنت تريد حفظ الصداقة بيننا فاحل عن بغداد فغضب حافظ باشا من كلامه هذا وأجابه كلاماً غليظاً واشتبك القتال فلما رأى حافظ باشا انه لا يمكنه فتح بغداد لانها كانت حصينة وتكاثرت عليه عساكر العجم قام عنها وذهب على طريق الموصل بعد ان كتب الى بكر الصوباش انه والى بغداد يريد بذلك ترغيبه لينتزع من تسليمها للعجم ففرح بذلك بكر الصوباش ورأى انه بلغ غاية مرامه فقتل جماعة شاه العجم وعلق رؤسهم على شرافات السور وأخذ العمامة التي بعثها اليه الشاه عباس ووطئها برجليه وأرسل رسولا الى حافظ باشا يشكر فضله على ذلك واما الشاه عباس فانه لما بلغه ما فعله بكر من الانتقاض والخيانة حضر بنفسه ومعه جيش جرار وأرسل لبكر يطلب منه تسليم المدينة فامتنع وأجابه بأنه لا يسلمها ولا يقدر الشاه عباس على فتحها ولو أحضر لحصارها عشرة شاهات نظير الشاه عباس فحانت جيوش الشاه عباس وأحاطت بأسوار مدينة بغداد فأمر بكر الصوباش باطلاق المدافع من الابراج على الاعجام واشتبك القتال بين الفريقين وأرسل بكر الى حافظ باشا يخبره بقدوم جيش الاعجام ويستجده فأنجده بفرقة من العساكر تحت رئاسة كور حسين باشا فلما وصل الى قرب بغداد نزل بعساكره في موضع يقال له قروان سراي فلما علم قائد عسكر العجم بقدوم عساكر الدولة صنع خديعة وأرسل يطلب كور حسين باشا ليتحدت معه في امر الصلح فذهب ومعه بعض كبار العسكر فبينما هم في اثناء الطريق وثب عليهم جماعة من الاعجام كانوا كامنين لهم في الطريق فقتلوههم وقدموا رؤسهم للشاه عباس عوضاً عما فعله بكر بقتله الاعجام الذين علق رؤسهم على شرافات السور ومكث الحصار على بغداد ثلاثة اشهر فكانت الاهالي تشكو من الجوع واشتد الحصار حتى أكل الادميون بعضهم وخرج كثير منهم الى معسكر الاعجام وكان لبكر ولد يقال له محمد وكان مثل ابيه في الخيانة وكان هو المتسلم بحافظة قلعة بغداد فأرسل له الشاه عباس بغضه ويحذره ويمنيه بان يجعله حاكم بغداد عوض ابيه فاغتر وقبل وعد الشاه وفي الليلة الثانية

فتفتح ابواب القلعة ليلا للاعجام فهجموا ودخلوا المدينة بضجة عظيمة وكل ذلك سنة اثنين وثلاثين وألف وكان بكر نائما فانتبه مذعورا من ذلك الضجيج وصراخ الاعجام وكانوا أصعدوا ناسا منهم الى المنائر يصرخون بقولهم قد انتصر الشاه عباس وتملك بغداد فلتطمئن الاهالى وتفتح الاسواق وترجع الناس الى اشغالها وذهب منهم جماعة الى بكر في منزله فقبضوا عليه وأتوا به الى الشاه فلما وصل امامه رأى ولده جالسا الى جانب الشاه وأخذ الولد يوجع أباه على الخيانة الاولى الذى حصلت منه في حق الشاه ثم أمر الشاه ان تسلب جميع اموال بكر وتعطى لولده ثم انهم أخذوه ووضعوه في قفص من حديد ووكلوا ولده بحراسته وفي اليوم السابع طرحوا ذلك القفص الذى فيه بكر في موقد نار لى يقرروه عن المكان الذى اخفى فيه الاموال ثم اخذوا ذلك القفص ووضعوه في قارب مشحون بالزفت والكبريت وأضرموا فيه النار ليلتهب في الدجلة امام الناس وحصل في بغداد قتال بين أهل السنة والاعجام بسبب هذه الفتنة ولما كان بينهم سابقا من العداوة حتى جرى الدم في أزقة المدينة وأخذ الاعجام خطيبين مشهورين من أهل السنة احدهما يدعى نوري افندي والاخر عمر افندي وأمراهما ان يسبوا بابا بكر وعمر رضى الله عنهما فامتعيا فعلقوهما في نخلة وأطلقوا عليهما الرصاص فماتا من ذلك واما الشاه عباس انذى كان قد وعد محمد بن بكر بالولاية في مكان ابيه فانه أخذه وارسله الى خراسان وأمر بقتله هناك فقتل وبعد ذلك أقام الشاه عباس في بغداد مدة ثم سار بالعساكر لمقاتلة حافظ باشا ونزل على الموصل وأقام عليها الحصار مدة فلم ينجح فرجع الى بغداد وذهب حافظ باشا الى القسطنطينية ثم عاد بعساكر نحو عشرين الفا وسار لمحاصرة بغداد وتخليصها من العجم وانتشب فيهم القتال وطال الحصار فسأمت العساكر وقاموا على حافظ باشا فزله وحبسوه في قلعة خارج بغداد وأقاموا عليهم مراد باشا ثم عزله وارجعوا حافظ باشا ثم قاموا عليه ايضا ليقتلوه فهرب منهم واختفى في موضع يقال له قلعة الامام ثم اصطلح مع العساكر ونهض بهم راجعا عن حصار بغداد فسير الشاه عباس خلفه جانبيا من عسكره ليضربوه في الطريق فقاتلهم حافظ باشا وهزمهم هزيمة هائلة وقليل منهم رجع الى بغداد ثم قام على مراد باشا فقتله لانه السبب في اختلال الامور ثم سار حافظ باشا بعسكره الى الموصل فأقام مدة ثم جاءت الاوامر من الدولة أن يتقدم الى حلب إلى ان تأتية نجدة من العساكر وبعد مدة عزل حافظ باشا واقام مكانه خليل باشا ثم مات وولى بدله خسرو باشا وكان الجيش الذى مع خسرو باشا مائة وخمسين الف مقاتل فجاء وحاصر بغداد وحصل قتال شديد ولم تحصل نتيجة فرجع الى الموصل وصنع وليمة لكثير من العسكر فلما حضروا قتلهم زاعما انهم السبب في اختلال الامور وأرسل يطلب اربعين الفا وجرت أمور بطول الكلام بذكرها ومات الشاه عباس سنة ست وثلاثين والف وبقيت بغداد بيد العجم الى سنة ثمان واربعين والف ففتحها مولانا السلطان مراد بنفسه

ذكر فتح بغداد

في سنة ثمان واربعين والف تجهز مولانا السلطان مراد وتوجه لفتح بغداد ومعه مائة الف

مقاتل ثم تابعت الجنود حتى بلغت ثلاثمائة ألف ولما خرج من دار السلطنة كان
 لا يلبس العرب القدماء وعلى رأسه خوذة من البولاد اللامع محاطة بشال احمر مسدولة
 اطرافه على اكتافه ولما وصلوا الى بغداد احاط العساكر باطرافها ولما بلغ الشاه ذلك
 جاء من تبريز ومعه عساكر كثيرة لينجد بهم عساكره الذين في بغداد والتقى بعساكر الدولة
 على شاطئ الدجلة فقاتلوه قتالا شديدا وهزموه هزيمة قبيحة وكان يوما مهولا مشوما
 على الاجماع ثم شددوا الحصار على بغداد وضربت مدافع السلطان على الابراج وكانت
 مائتي برج فخرقتها وهدمت كثيرا منها وامر السلطان بحفر ارم عظيم ووضع فيه البارود
 واطلقت فيه النار فهدم جانبها عظيما من جدار السور فلما رأى اهل بغداد مادهمم بعثوا
 الى الشاه انهم يريدون التسليم فبعث الشاه الى السلطان في طلب الصلح فلم يقبل ثم شدد السلطان
 الحصار ووالى القتال الى ان يسر الله فتحها يوم الجمعة ثامن شعبان وكان مدة حصارها
 اربعين يوما ودخلها العسكر ومولانا السلطان مراد في اثرهم وقتلوا من العجم اكثر
 من عشرين الفا واسروا كثيرا من رؤسائهم وقيل ان الذين قتلوا من العجم في هذا القتال
 خمسون الفا وبقى منهم ثلاثون الفا طرح البعض منهم نفسه في نهر بغداد والبعض تشبثوا
 في القفار وامر السلطان بقتل كل من يخفي عنده رجلا عجميا فجمعوا منهم بعد ذلك الف
 رجل وأتوا بهم الى السلطان فأمر بقتلهم فقتلوا عن آخرهم وكان الذي فقد من عسكر
 السلطان عشرة آلاف ثم أمر مولانا السلطان بتجديد عمارة مشهد الامام الاعظم ابي حنيفة
 ومشهد الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنهما وأزال ما كان أحدثه الا عجم
 في المشهدين وأمر ببناء ما تهدم من السور والقلمنة وشحنها بالعساكر وترك في بغداد عشرة
 آلاف من العسكر وعين لكفالة بغداد وولايتها وزيرا ورجع الى دار سلطنته ومقر ملكه
 سالما غلما منصورا وكان لدخوله القسطنطينية احتفال عظيم فدخل وكان معه خمسون
 من خانات العجم مقيدون بالسلاسل وكان حامل يده حزمة من السلاح وأكتافه مغطاة بجلد
 غر كما فعل اسكندر لما فتح مدينة بابل وبالجملة فقد كان هذا السلطان من أعظم ملوك آل عثمان
 ومما كان في مدة سلطنته انه أمر بتبديل القهاوى في جميع ممالكه ومنع من شرب الدخان
 بالنأ كيدات البليغة ومما يدل على سعادته العظمى توجه خاطره الى أهل الحرمين الشريفين
 وأمره لتسولين الجهات خصوصا مصر باجراء حبوبهم وارسال مغللات أوقافهم فامن
 أمر يرد منه الا وفيه الحث على ذلك ومن ذلك ايضا التفاته الى أخبار الرعية مطلقا والبحث
 عن أحوال ولاية البلدان التفاتا وبحوثا تامين بحيث ان ولاية الجهات لا يجاوزون حيدا
 ومن سعادته العظمى عمارته الكعبة المشرفة وتجديدها كلها وذلك ان في سنة تسع وثلاثين
 وألف جاء سيل عظيم بمكة ودخل المسجد الحرام وهدم بعض جوانب الكعبة واتفق
 العلماء والمهندسون انه لا بد من تجديد الجميع فعرضوا الامر الى مسامع مولانا السلطان تقي
 المذكور فبرز امره العالي بالتعمير فهدموا الباقي وعمروا الجميع فهذا البناء الموجود
 من فاخر مولانا السلطان مراد وتم التعمير في شعبان سنة اربعين وكان أمير مكة يغضه
 العمارة مولانا الشريف مسعود بن ادريس بن حسن بن ابي غني وتوفي في اثناء الثانية

امارة مكة مولانا الشريف عبد الله بن حسن بن أبي غني وهو جد مولانا الشريف محمد ابن عون فكل تام التعمير في مدته وجاء تاريخ ذلك * رفع الله قواعدا البيت * ولبعضهم

١٠٤٠

* مراد بن علي بن الاله وزاده * سناء بهاء يزد هي زيد مجده *

١٠٣٩

٢٣٠

٨٠٩

ولما حصل هذا التعمير أبقوا باب الكعبة القديم على حاله ثم في سنة خمس واربعين برز الامر السلطاني بتجديد الباب فجدد ووضع عليه حلية الباب الاول ووزنت قبل وضهها فجاءت مائة واربعين رطلا خارجا عن الزرافين فوزنها ومشابها مما كان على الباب ثمانية عشر رطلا وكتب على الباب الجديد اسم مولانا السلطان مراد وذلك موجود الى الآن وارسل الباب القديم الى دار السلطنة وجعل في الخزانة السلطانية وكانت ولادة مولانا السلطان مراد سنة احدى وعشرين والف وتوفي تاسع شوال سنة تسع واربعين والف وعمره تسع وعشرون سنة ومدة سلطنته ست عشرة سنة واحد عشر شهرا وخمسة ايام رحمه الله تعالى

* ذكر ولاية مولانا السلطان ابراهيم بن احمد مع ذكر اول غزواته *

لم يخلف المرحوم السلطان مراد ولدا وبقي من اخوته السلطان ابراهيم فبويع بعد وفاة اخيه قال في خلاصة الاثر كان ملكا معظما حسن النظر سمح الكف وكان زمانه أنظر الازمان وعصره أحسن العصور وأطاعته جميع الممالك وسكنت بين دولته الفتن واعتدل به الزمن وبعدمضى سنتين من ولايته جهز جيشا لمحاربة القزاق فلم ينجحوا ثم ارسل عساكر وحاصروا ازوفه فلما تضايق أهلها أحرقوا المدينة وانهمز موافد خلتها العساكر السلطانية وعمرتها وأقامت فيها جانبا من العساكر للمحافظة

* غزوة اخرى لمحاربة جزيرة كريد *

في سنة خمس وخسين والف جهز السلطان ابراهيم جيشا في مراكب بحرية نحو اربعمائة مركب لمحاربة جزيرة كريد بمائة الف مقاتل وسبب ذلك أن مراكب مالطة كانت قد تعدت على بعض مراكب الدولة ثم ذهبت فاحتمت عند مشيخة البندقية في كريد فلما وصلت عساكر الدولة العلية أقامت الحصار على مدينة قندية وهي من اعظم مدن هذه الجزيرة وفي أقرب زمن استولوا عليها وجعلوا كنائسها جوامع ورجعوا الى القسطنطينية بعد أن تركوا فيها جانبا من العسكر فأرسلت لهم مشيخة البندقية عساكر فاستولوا على ما كان بأيدي العساكر السلطانية واستأسروا جانبيا منهم ففضب السلطان من هذا الامر وجهز عليهم تجهيزا آخر فأخرجوهم واستولوا على المدينة المذكورة وحاصروا قلعة رغو وكانت قلعة حصينة الى أن ملكوها واستعانوا بالافم حتى أهلك خلقا كثيرا ثم ملكوا بقية جزيرة قندة الاقلمة قندية وطال أمرها مدة طويلة فتركوها وسيأتى ذكر فتحها في مدة سلطنة لان محمد بن ابراهيم وجزيرة كريد من أعظم الجزائر واكبرها تشتمل على بلاد واسعة كثيرة وذكر بعض من دخلها أن بها من القرى اربعا وعشرين الف قرية وأن دورها في سنة ثمان

مسيرة خمسة عشر يوما وهي ذات رياض نضرة وبها أنواع القواكه والثمار وخيراتهما
واقرة ثم ان رجال الدولة خلعوا السلطان ابراهيم سنة ثمان وخسين والف
بسبب انه كان منهمكا في الذات والشهوات مسرفا في انفاق الاموال وسلاطين آل عثمان
انما عظم شأنهم بزهدهم في الدنيا وعدلهم في بيت المال وقد حكى ان بعض
سلاطينهم تواعد مع شيخ الاسلام الذي كان في وقته ان يجتمعا في جامع من جوامع دار
السلطنة في وقت مخصوص بالخفية للتشاور في بعض القضايا فحضر السلطان في الوقت
الذي تواعدوا فيه وابطأ شيخ الاسلام في الحضور وما جاء الا بعد مضي مدة فلما حضر سأل
السلطان عن سبب تأخره فقال لما أردت الخروج رأيت عماتي وسخنة فكرهت أن أقابل
بها مولانا السلطان فأمرت أهلي أن يغسلوها وانتظرتها حتى جفت فلبستها وجئت فهذا
يدل على انه ليس عند شيخ الاسلام غيرها فقال له السلطان لو كان عندى غير هذه التي
على رأسي لاعطيتك اياها فانظر الى زهد هذا السلطان وزهد شيخ الاسلام فالاصل
كله الزهد في الدنيا والعدل في بيت المال فالخلفاء الراشدون انما فتحوا البلاد ومصر
والامصار بالزهد في الدنيا والعدل في بيت المال لا بكثرة الصلاة والصيام فالسلطان ابراهيم
لما رآوه مسرفا في الانفاق رآوه مخالفا لما عليه أسلافه فكانت أفعاله عندهم غير مرضية
فخلعوه وأجلسوا في السلطنة ولده محمدا فكانت مدة سلطنة السلطان ابراهيم ثمان سنين
وتسعة اشهر وفي ثالث يوم من خلعه قتلوه وعمره ثلاث وثلاثون سنة وكان ميمون النقية
منصور الكتبية طالعه سعيد ماجهز جيشا الى ناحية الانصر ولا قصد فتح ناحية
الا فتحتها لولا ما تقموا عليه به من الاسراف في بيت المال وجميع السلاطين الذين جاؤا من بعده
كلهم من ذريته

فائدة

في خلاصة الاثر انه اتفق للسلطان ابراهيم المذكور ما لم يتفق لغيره من السلاطين فيما أعلم
وذلك انه رأى سلطنة ابيه وعمه واخويه وولده ثم ذكر انه استقرى من ولي السلطنة وكان
اسمه ابراهيم فوجدوا لم يتم لاحدهم أمرها وقال الراغب في محاضراته قال أبو علي النظام
كان المهدي يحب ابنه ابراهيم فقالت له ام ابراهيم ألا تراه بلى الخلافة فقال لا ولا يليها
من اسمه ابراهيم ان ابراهيم الخليل أول نبي عذب بالنار وان ابراهيم بن النبي صلى الله عليه
وسلم لم يعيش وبويع ابراهيم بن المهدي فلم يتم له الامر وأحكم ابراهيم الامام أمر الملك ليكون
أول خلفاء بني العباس فقتل قتله مروان بن محمد بن مروان وطلب الخلافة ابراهيم بن
عبدالله بن الحسن المشني فقتل وبايع المتوكل لابنه ابراهيم المؤيد فلم يتم له وقتل فسجنان
من دبر الامور على طبق علمه وأجراها بحكمته وفي مروج الذهب للمسعودي قال ابراهيم بن
المهدي كنت انا والرشيدي على ظهر حراقة وهو يريد نحو الموصل والمدادون يمدون والشطرنج
بين أيدينا فلما فرغنا قال الرشيديا ابراهيم ما أحسن الاسماء قلت اسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فالثاني بعده قلت اسم هارون اسم امير المؤمنين قال فما أسمجها قلت ابراهيم فز برني

وقال و يلك ابراهيم خليل الرحمن عز وجل قلت بشؤم هذا الاسم لى مابق من غرود والى فى النار قال و ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لاجرم لما سمى بهذا الاسم لم يمش قال ف ابراهيم الامام قلت بحرفة اسمه قتله مروان الجعدى فى جراب النورة وازيدك يا امير المؤمنين ابراهيم بن الوليد خلع و ابراهيم بن عبد الله بن الحسن قتل ولم أجد أحد اسمى بهذا الاسم الا رأيت مقتولا او مضروبا او مطرودا فالتقى كلامى حتى سمعت ملاحا على بعض الحرافات يهتف بأعلى صوته يا ابراهيم يا عاض كذا وكذا من امه اى بظرها قال فالتفت الى الرشيد فضحك حتى فخص برجله اه

ولاية السلطان محمد الرابع بن ابراهيم

كانت ولايته سنة ثمان وخسين وألف بعد خلع ابيه وكان عمره اذ ذاك سبع سنين وكانت أمور الدولة فى ذلك الوقت مرتبكة عديمة الانظام من معة الاركان قد كثر حسادها واعدائها وكانت من جهة المالية فى ضيق وعسر والعساكر غير منقادة لأولياء امورها وأصبح وكلاء الدولة فى الولايات غير مباليين فى تنفيذ أوامرها فن هذه الاحوال نبعت الفتن وكثر الفساد وتقوى الضعفاء على الوزراء والا كابر فكان الوزير يتولى اياما ثم يعزل او ينفى واستمر الحال هكذا نحو عشرين سنة والدولة فى تعكير والسلطان مع صغر سنه لا يزال يبحث هو وامه عن رجل فيه اللباقة لان يتبوا مستند الصدارة الى ان عثروا على محمد باشا كوبرلى وكان مسنا حاذقا ذا دراية وخبرة وسياسة كاملة لان طول الايام علمه مالم يعلم غيره فولى الصدارة سنة سبع وستين وألف وشرع فى سد الخلل الذى وقع الدولة فى الانحطاط وببرهة قصيرة انتظمت أمور الدولة على أحسن نظام

ذكر غزوة فى أيام السلطان محمد لقتال الجبر والفرق

كانت هذه الغزوة بتدبير الوزير محمد باشا كوبرلى جهز جيوشا لقتال الجبر والفرق وجبى المصاة الخارجين على الدولة حتى أهلكتهم وبادهم وفى سنة ثمان وستين وألف استولى على مراكز البندقية وأخذ جزيرة بغداد وجزيرة لينوس

ذكر غزوة اخرى يتبعها اخرى

وجهر جيشا لقتال السرب فانتصر عليهم وقتل منهم مائة وخسين ألفا وخرج جماعة من الأروام فى بلاد الأفلاق وأظهروا العصيان فأرسل اليهم عسكريا فقاتلهم وانصروا عليهم وجهر جيشا لقتال البندقية فاخترمته الوفاة سنة اثنين وسبعين وألف قبل اتمام الامر فلندت الصدارة لابنه أحد باشا الفاضل وكان أكثر من أبيه فى الحذق وحسن السياسة وكان أبوه أقرأه العلوم حتى مهر فيها وكان صائب الرأى كامل الفراسة (فراسة عجيبية) مما ينسب اليه من الفطنة انه جاء يوما شخص بتوقيع فتفرس فيه انه مصنوع فأعطاه لبعض اتباعه وأمره بحفظه حتى مضى على ذلك ست سنوات فجاءه يوما شخص آخر برقعة فلما رآها طلب ذلك التوقيع فحى به فقبله على الرقعة فاذا الخط واحد ثم سأل صاحبها عن كاتبها فاخبره به فلما مثل بين يديه أراه التوقيع وقال اليس هذا بخطك فأقر فأمر بقطع عينيه وعين له من بيت المال ما يكفيه

✽ غزوة ابوار ✽

ومن الغزوات التي وقعت في أيام وزارته غزوة ابوار عينه السلطان محمد لفتحها فسار بجميع
العساكر وحاصرها ووقع بينه وبين كفار البحر وقعة عظيمة ومكروا بعسكره مرات وخلصهم
الله تعالى بيمين تدبيره ثم افتتحها سنة اربع وسبعين والف وهدم مما يليها قلعة تسمى
القلعة الجديدة كانت الكفار بنوها ليتحصنوا بها

✽ ذكر غزوة عظمى الى كريد ✽

وفي سنة سبعة وسبعين توجه بجيش الى جزيرة كريد لفتح بلدة قنيدية التي كانت بقيت
في هذه الجزيرة من بين بلادها لم تفتح كما تقدم شرح ذلك فلما وصلها بنى بالقرب منها
مكانا كان متهدما لتهيئة مهمات الحصار ثم نزلها عن معه من العساكر وكان اهل قنيدية
حصنوها باشياء لا يمكن حصرها وأضافوا سورها سورا آخر عمروه من داخل السور
القديم وطال الحرب بين الفريقين مدة وأرسل أهل قنيدية الى فرانسبا يستنجذونهم
فأنجذوهم وهم بعمارة بحرية فيها خمسة عشر ألف مقاتل وجاءهم ايضا نجدة من مالطة ومن
البابا فاجتمعت مع عسكر فرانسبا ونزلوا الى البحر وهجموا على العساكر العثمانية واقتتلوا
قتالا شديدا كان النصر فيه لعساكر الاسلام فقتلوا أكثرهم ولم ينج منهم الا القليل فرسب
مراكب الفرنج بالخبية ثم ان أهل قنيدية أرسلوا للوزير يطلبون منه الصلح فأجابهم الى ذلك
وأخرجهم منها ووضع فيها العساكر الاسلامية ورجع الوزير الى مقر الملك ومعه جلة من
مراكب مالطة وغيرهم غنيمة وكثير من الاسرى وفي غرة جادى الاولى سنة ثمانين وألف وردت
البشائر الى الاطراف بالزينة وكثرت تباشير الناس بفتحها واكثر الشعراء من التواخيخ اهذبا
الفتح ومن نوادرها التاريخ اللفظي المعنوي للفاضل الشيخ احدا الصفدي وهو قوله (في عام
الف وثمانين عام)

✽ غزوة الى بلاد القرم يتبعها اخرى الى بولونيا ✽

وفي سنة اربع وثمانين توجه الوزير بجيش لمحاربة القرم المعروفين بالاية من النصرارى
فافتح قلعة قنجة وفي سنة خمس وثمانين والف توجه بالعساكر الى بولونيا وفتح مدينة
كنيا كره الشهيرة في متانة قلعتهما وفتح بعدها جلة بلاد وحصون ثم عقد صلحا مع أهل
بولونيا ووضع عليهم خراجا سنويا ولما رجعت العساكر الاسلامية بلغهم ان أهل بولونيا
بدسائس النيسا والبابا تحركوا وأظهروا العصيان وانضم اليهم عصاة من الافلاق والبغدان
والقزق واتسع الامر وتوفي الصدر احدا باشا الفاضل سنة سبع وثمانين وألف وحزن
السلطان وجميع الناس عليه وولى الصدارة مصطفى باشا وكان قد خدم الوزير محمد باشا وابنه
احدا باشا الفاضل وترقى في الخدم والمناصب وتعلم كثيرا من سياساتهما وان لم يكن مثلهما

✽ ذكر غزوة عظمى الى جهرين ✽

وكان اول سفرة باشرها بعد ولايته سفرة جهرين فتوجه بجيوش عظيمة وافتتحها واحتوى
على الملحمة التي بالقرب منها وهذه الملحمة من اعظم مجالب النفع لبيت المال حتى انهم يبالغون فيما
يدخل منها حد البالغة وسبب ذلك ان بلاد النصرارى المعروفين بالموسكوف والقزق محتاجون

اليها وليس في بلادهم ملحة غيرها ولما فتحت هذه القلعة سر الناس سرورا عظيما لان فتحها كان في غاية الصعوبة وكان كثير من نصارى الروم يزعمون استحالة فتحها وبهزؤن بالوزير المذكور في قصدها واشاعوا اخبارا في انكسار عسكر المسلمين وهزيمتهم وكانوا يظهرون الشماتة وسبب ذلك ما يعرفونه من انها تابعة لملك الموسكوف وهو اكثر ملوك النصارى جيوشا واكبرهم ملكا وبالجملة فان فتح هذه القلعة كان من اعظم الفتوحات وبعد فتحها زينت دار الخلافة ثلاثة ايام وكان السلطان محمد اذ ذاك ببلدة سلمسترة بروم ابلى فكتب الى قائم مقام القسطنطينية انه يريد القدوم الى دار المملكة وانه لم يتفق له رؤية زينة بهامة عمره وأمره بالنداء لتهيئة زينة اخرى ثم قدم السلطان فشرعوا في الزينة وبذلوا جهدهم في التأنيق فيها واتفق اهل ذلك العصر على انه لم يقع مثل هذه الزينة في دور من الادوار ثم وقع بعدها حريق في القسطنطينية حرق فيه نحو اثني عشر الف بيت ثم ترأس الحريق في كثير من المحلات حتى حسب ما وقع منه فكان تسعين حريقا كل ذلك في سنة واحدة فكان ذلك الفرح سببا لهذا الترح فلاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

✽ ذكر غزوة الى بلاد النمسا ✽

ثم طلب الوزير مصطفى باشا من السلطان محمد الاذن بالسفر على بلاد الانكروس وافتتاح مدينة فيناقصة بلاد النمسا فاذن له السلطان وشرع في تهيئة الاسباب من الذخائر ومكاتبة نواب البلاد والعساكر وجمع من الجيوش والجنود ما لا يدخل تحت حصر حاصر وام يتفق ججع مثله من الزمان الغابر ثم طلع الوزير المذكور من القسطنطينية بأبهة عظيمة مصمما على اخذ النصارى بالقوة الجسمية ولم يزل بمن معه من العساكر سائرين الى أن وصلوا قلعة يالقي يوم الخميس ثاني عشر رجب سنة اربع وتسعين والف ثم توجه يوم السبت فاصدا قلعة بج وأطلق امره في نهب القلاع والقرى التي على الطريق فاكان للعسكر مشغلة الانهبها واجراقها واتلاف زروعها فاحرقوا من القلاع المملوكة نحو مائة قلعة وما يتبعها من القرى اشياء كثيرة جدا وكل قرية من هذه القرى بمثابة بلدة تحتوى على الف بيت او اكثر وجمع هذه القلاع والقرى في نهاية الاحكام وحسن البناء والبيوت في غاية من اتقان الصنعة مساوات بالرخام وفيها من السماق ما لا يوصف واكثر بيوت هذه البلاد ثلاثة طبقات الثلاثة منها مصنوعة بالدق والخشب وعانت العساكر في بلاد الكفار الى قريب قزل ألما التي هي محل الانكروس المعروف بابابا ونهبوا ما قدروا عليه وحرقوه ومن أغرب ما وقع في هذا الاثناء ان سوقة العسكر كانوا كلما يدخلون قلعة من القلاع المذكورة فيرون فيها اناسا قلائل من النساء والرجال العاجزين عن الحركة فيقتلونهم ويستولون على القلعة ثم يطلقون فيها النار فعملوا هذا في أكثر من أربعين قلعة وغنم المسلمون غنائم لا تحصى وأسروا نحو مائة ألف أسير بحيث بيعت الجارية مع ولدها بثلاثة قروش وهرب عسكر النصارى من بج ونواحيها وأخذوا معهم كثيرا من الاموال فلمحة بهم جاعة من العساكر فاستأصلوهم قتلا ولما وصل

الوزير المذكور الى بح وهي مدينة فينا وكانت النيسا قد حصنتها تحصينا عظيما وضرب
 بحجيم بها وهي قلعة عظيمة يحيط بها من جوانبها الثلاث الدور والابنية والعمارات والحدائق
 ومن جولة ذلك سبعة عشر مكانا باسم الملك تحتوي هذه الامكنة على عجائب الزخارف
 والفواكه والفساقى من السماقى والرخام وقد تقدم ان عسكر بح كانوا قد هربوا وكذلك
 هرب أهل الخارج من الرعية ولم يبق الا نحو عشرين ألف رجل عشرة آلاف من العسكر
 وعشرة آلاف من الرعية فى داخل القلعة فأمر الوزير بمجاهدة القلعة فنصب عليها المنكاحل
 وشرع العسكر فى رميها بالآلات الحرب من المدافع والقلل حتى هدموا الدور والكنائس
 فضاق بمن فيها الخناق فى أقل من قليل والتجؤوا الى ان يسلموها طوعا فأبى الوزير خوفا من
 ان ينهب العسكر ما فيها من المال فراجعهم الوزراء والعسكر فى المبادرة الى دخولها صلحا خوفا
 من أن يأتى أمر فقال ان ضمنتملى العسكر فى أن لا يأخذوا شيئا فعلت فأبوا فتمادى الأمر
 يومين او ثلاثة وهو وبقية الوزراء فى اعمال الفكر على ان يقتحوها عنوة وما لهم علم بما
 سيحدث وكان ملوك النصارى قد تكاثروا لتجتمع جيوشهم ويستعين بعضهم بعضا
 قتال المسلمين وكان ملك النيسا لما سمع بقدوم المسلمين بالجيوش فرمن مقر ملكه واحتمى به
 القلاع من بلاده وارسل يخاطب ملك بولونيا فى الاتحاد وقتال من يعاديهما فاتفقت النيسا
 والمانيا وكثير من الفرنج على قتال المسلمين وكان البابا يحرضهم على ذلك ويرغبهم فيه وكانت
 مدة الحصار خمسا واربعين يوما فبينما الوزراء يدبرون فى الفتح عنوة اذا بطلائع الكفار
 اقبلت وفى اثرها عسكر سد الفضاء وشبت نيران القتال لا يبالون بقتل ولا ضرب بل يقدمون
 على الموت يحنان من الصخر وهجموا دفعة واحدة والعسكر فى غفلة عمير ادبهم واختلطوا
 بهم طامعين فى قتلهم وسلبهم وأطلقوا السيوف وجردوا أسنة الخوف ولم يكن أسرع مما
 انقلب العيان وجدت فى الوجوه العيان وكان المقدم من المسلمين من عمد الى الفرار ولم يقره
 فى تلك الحركة الفرار فقتل من قتل ونجى من نجى واحتوت الكفار على السراقات والخيول
 وفازوا بامر كان يتعسر اليه الوصول وكر الوزير بمن معه هاربا وتفرق العسكر فى تلك
 البرارى والوهاد ونفذ ما كان معهم من الزاد ونفذ امر العلى الكبير وهو على جمعهم اذا
 يشاء قد ير شم اجتمع كثير من العسكر مع الوزير ببلغراد وأظهرت نصارى الافلاق والبغدان
 والاردل العصيان ورجفت الكفار على بلاد الاسلام قال بعض المؤرخين فى وصف اليوم
 الذى هجم فيه النصارى على المسلمين وهجموا دفعة واحدة على صفوف العسكر العثمانية
 واشتبك بينهم قتال مهول دأروا من الصباح الى المساء حتى تخرضت الارض بالدماء وتغطى
 من العجاج ودخان البارود كبد السماء وصمت الاذان من صوت المدافع والقنابر وكان يوما
 مهولا لم يسمع بمثله فى زمان غابر وبقى الوزير مصطفى باشا فى بلغراد فى قلق واضطراب
 متربعا لما يظهر فى حقه من طرف السلطنة من الجراء العقاب فبرز الامر السلطاني بقتله وتدميره
 جزاءه على ما جناه من سوء تدبيره فقتل فى المحرم من سنة الف وخمس وتسعين عليه رحمة
 المولى المعين وعين لاصدارة بعده ابراهيم باشا وبعد تلك الوقائع الشديدة والحروب المهولة
 اخذ البابا يحرض أهل اوربا على طرد المسلمين من قرة بلادهم فاجتمعت العساكر من كل

الجهات وصمموا على اخراج الاسلام من اوربا فتكفلت النيسا وتكفلت مكدونييا ببلاد بولونيا والبندقية وغيرهم من ساكني شطوط البحر الابيض في دلمانيا بكثير من البلاد وزحفوا على بلاد الدولة العثمانية من جميع الاطراف فكانت عساكر الدولة تحارب الافرنج من جهة أماكن والبابا يحرض الافرنج على التجدد والقتال وأنجدهم بجيوش كثيرة فلم ينجح تدبير ابراهيم باشا الصدر فعزل وأقيم مكانه سليمان باشا سنة سبع وتسعين وألف وسار بالعساكر الى بلاد المجر وكان هذا الصدر يريد ان يمثل بمحمد باشا كوبرلي لكنسه كان قاصرا في التدبير فأراد العساكر قتله فتركهم وهرب الى القسطنطينية فقتله السلطان سنة ثمانية وتسعين وألف وأقيم في الصدارة سيواس باشا وكان السلطان مشغولا بالصيد والاهو وقد حفت المصائب بالدولة من كل جانب وكثر الجوع والفلاء والحرايق فتوامر أهل الحل والعقد من رجال الدولة وخلعوا السلطان محمد سنة تسع وتسعين وتوفي سنة اربع ومائة ألف وكانت مدة سلطنته اربعين سنة وخمسة اشهر

لطيفة

في مدة السلطان محمد المذكور ظهر يهودي يدعى انه المسيح ومسلم يدعى انه المهدي في عام واحد وهو عام ألف واثنين وسبعين اما اليهودي فظهر في ازمير زاعما أنه المسيح وكان اليهود ينتظرون النبي الذي وعدهم به موسى عليه السلام وهو آخر الانبياء عليهم السلام فلما بعث عيسى عليه السلام كذبوه ولما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كذبوه ايضا ولم يزالوا ينتظرون النبي الذي وعدهم به موسى عليه السلام فاذا ظهر المسيح الدجال يتبعونه ويقولون انه هو النبي المبعوث في آخر الزمان الذي وعدهم به موسى عليه السلام فلما ظهر هذا اليهودي بان مراحى انه المسيح عيسى ليغتر به كل من المسلمين واليهود ويتبعوه وأظهر لليهود انه هو الذي وعدهم به موسى عليه السلام وكان فصيح اللسان جليل المنظر وزعم أنه يوحى اليه انه اغمايتكم بالوحى فصار يعظ الناس ويحتمون عليه ثم انتقل الى بيت المقدس وكاتب اليهود الذين هم في الممالك العثمانية فأجابوه وآمنوا به وصاروا يأتونه أفواجا ليتبركوا به ويالغون فيما يحكونه عنه من اظهار عجائب وخوارق عادات كان يوهم عليهم بها ويصنعها بالخيال كالحواة فيزعمون انها معجزات فانه شرارهم وكثر أتباعه وكان ذلك كله في مدة سلطنة السلطان محمد بن ابراهيم بن احمد بن محمد بن مراد بن سايم بن سليمان بن سايم فاتح مصر فأراد الوزير المتولى دمشق أن يقبض على ذلك اليهودي المدعى لهذه الدعوى لما رأى من كثرة أتباعه وكان اليهود الذين بالقسطنطينية قد كذبوه وطلبوا منه أن يأتي اليهم فتوجه اليهم واستعدوا للملاقاة ليأخذوا بيده ويتبعوه فأرسل الصدر الاعظم وقبض على ذلك اليهودي وهو في المركب الذي جاء فيه ووضع في السجن فكان اليهود يطلبون الاذن من الصدر الاعظم ليأذن لهم في زيارته في السجن وتقبيل أقدامه فكانوا يأتون لذلك من جميع الجهات فوضع الوزير على كل من جاء لزيارته مالا جز بلا يأخذه منهم وجع من ذلك مالا كثيرا فكان السجن يضيق عن هؤلاء الذين يأتون لزيارة مسيحيهم ثم ان السلطان محمد

أحضر ذلك اليهودى بين يديه فأخذ يتكلم بالاسان التركى كلاما ضعيفا غير فصيح فقال له السلطان محمد ان مسيحا مثلك يجب أن يكون فصيح الاسان بكل اللغات ثم قال له السلطان هل تصنع شيئا من العجايب فقال نعم فى بعض الاوقات فقال له السلطان محمد انى اريد أن أجرب فيك هذه الجحمة وأمر أن يجرد من ثيابه ويوقف فى فسحة الميدان ويرمى عليه بالرصاص فان نجاولم يهلك علم صدقة فيما يدعيه فلما سمع هذا الكلام خررا كما على الارض وقال ان قوتى لا تقدر على هذه الجحمة فأمر السلطان بقتله فرمى نفسه على قدم السلطان بقبلها ويعترف بالتوبة وتكذيب نفسه والدخول فى الاسلام فقبل السلطان محمد منه ذلك فأسلم وحسن اسلامه وصار يعظ اليهود فأسلم منهم خلق كثير واما الرجل المسلم الذى ادعى أنه المهدي فانه رجل من الاكراد وظهر ايضا فى هذا العام فى ناحية الموصل وتبعه خلق كثير فقبض عليه وأتى به الى السلطان محمد ايضا فاحضره وعرض عليه مثل ما عرض على اليهودى فأبى نفسه الشقية أن يعترف بالتوبة ويكذب نفسه بل رضى أن العساكر ترمى عليه بالرصاص فرموا عليه فمات من ذلك وبعده خلع السلطان محمد واقم فى السلطنة اخوه السلطان سليمان الثانى بن ابراهيم

✽ ولاية السلطان سليمان الثانى ✽

فولى السلطنة وامور الدولة فى غاية الارتباك وزيادة على ذلك هاج العساكر الانقشارية وقتلوا كبيرهم وقصدوا كثيرا من الوزراء ليقتلوهم وقتلوا الصدر الاعظم سيواس باشا وأقيم بعده اسماعيل باشا واستولى النيسا على كثير من ممالك الدولة وكذا البندقية وبعد ثلاثة اشهر عزل اسماعيل باشا عن الصدارة وأقيم مكانه تكفور طاغلى مصطفى باشا سنة ألف ومائة وواحد وفى تلك السنة توجهت العساكر العثمانية الى ناحية ادرنة وفى ذلك الوقت كانت عساكر النيسا محاصرة بلغراد ثم ملكوها تلك السنة بعد حصار طويل

✽ ذكر غزوة السلطان سليمان الثانى ✽

ولما بلغ الدولة أخذ بلغراد أمر السلطان بتجهيز العساكر لى يخرج بنفسه وكانت الخزينة خالية من المال فعرضوا على اهل القسطنطينية ان كل عائلة تجهز خيالين وفى اثناء ذلك توجه من طرف الدولة الى فينا بلاد النيسا ذو الفقار افندى لاجل المخاطبة فى عقد الصلح فعرض عليه امبراطور النيسا انه عند دخوله يسجدوا ولا عند باب القلعة وثانيا فى وسطها وثالثا امام كرسيه ثم يقبل ذيله ويضع كتاب السلطان بين يديه ويرجع ساجدا كذلك فأبى وأقام عشرة اشهر فى هذه المنازعة ولما رأى السلطان أنه قد طال أمر هذه المخاطبة أمر بالذهاب الى الحرب فتقدمت العساكر الى بلاد المجر وحاربهم وأخربت فلاعهم واستولت على أكثر البلاد وكان الجنرال درسكو فيس قد خرج على عساكر الدولة فى نواحى بلاد اليونان وكسرهم وكان عددهم خمسين الفا واما عساكر النيسا الذين كانوا فى نواحى الطونة فقتلتهم العساكر العثمانية وشنت عليهم فتركوا البلاد والقلاع وفر من بقى منهم

✽ ذكر غزوة الى بلاد النيسا ✽

ولما وصل ذو الفقار من بلاد النيسا الى بلاد القسطنطينية وأعلم السلطان بما جرى له فى بلاد

النيسا لم يستحسن مصطفى باشا الصدران يتقاضى عن ذلك فعزم على حرب النيسا فأمر بتجهيز العساكر وأخذ في استجلاب قلوب الناس الذين كانوا تحت حيازة النيسا حتى احتموا بالدولة وأخذ جميع الآنية الفضية والذهبية التي كانت عنده وعند السلطان وأرسلها إلى دار الضرب فسبكها معاملة ثم توجه لمحاربة النيسا ومعه نحو مائة ألف ففتح نيسا وودين وسمندريا وبلغراد ثم رجع إلى القسطنطينية مظفرا منصورا

✽ ذكر غزوة أخرى ✽

وفي سنة ألف ومائة واثنين بلغ الدولة تقدم النيسا فزحف عليهم مصطفى باشا بالعساكر المنصورة وتوفي السلطان سليمان في رمضان من هذه السنة بدء الاستسقا وعمره خمسون سنة ومدة ملكه ثلاث سنين وتسعة أشهر

✽ ذكر ولاية السلطان احمد الثاني بن ابراهيم واول غزوة من غزواته ✽

وجلس على تخت السلطنة بعده اخوه السلطان احمد بن ابراهيم وكان الصدر الاعظم مصطفى باشا سائرا بالعساكر لمحاربة النيسا وكانت عساكر الدولة تقدمت إلى قرب بزردين واشتبك الحرب والقتال بين الجيشين وانهمز من جيش المسلمين رئيس عساكر الاكراد فلما شاهد ذلك مصطفى باشا صرخ عليهم بصوت عظيم واقتحم في وسط المعركة يحرض العساكر على القتال والسيوف بيده واذا برصاصة أصابته في رأسه فوق قتيلا رحمة الله عليه وبموته تغلبت عساكر النيسا على العساكر الشاهانية ووقعت الهزيمة وقتل خلق كثير من المسلمين قيا ان عدد القتلى كان ثمانية وعشرين الفا وفي ذلك الوقت كانت عساكر المسلمين البحرية منصوره على الافرنج نصرا شديدا وبعد موت الوزير أقيم مكانه عريحي على باشا ثم عزل سنة اربعة واثنين بقلو مصطفى باشا وحدث في هذه السنة حريقه في القسطنطينية أحرقت ربع المدينة

✽ ذكر غزوة في خلافة السلطان احمد الثاني ✽

في ذي القعدة من هذه السنة توجه الوزير إلى بلغراد لمحاربة النيسا وكانت محاصرة بلغراد فلما بلغ النيسا قدوم الوزير رفع الحصار وهرب من امامه فأمر الوزير بترميم الأماكن التي أخرجتها عساكر النيسا ورجع بعد ذلك إلى أدرنة وبقي جيش الدولة محافظا هناك وكانت دولة انكلترا قد تدخلت مع دولة هولندا في اتمام الصلح مع الباب العالي والنيسا ولم يتم وفي سنة خمس ومائة والف توجهت العساكر لمحاربة المجر وبسبب الامطار الكثيرة رجعوا إلى بلغراد وفي سنة ست توفي السلطان احمد وعمره اربع واربعون سنة ومدة ملكه ثلاث سنين وثمانية أشهر

✽ ذكر ولاية السلطان مصطفى الثاني وغزوة يتلوها غزوات ✽

واقم في السلطنة بعده السلطان مصطفى الثاني بن السلطان محمد الرابع بن ابراهيم وبعد جلوسه عرض عليه قضية الصلح فلم يقبل بل أصدر فرمانا شريفا يقول فيه لا يجوز لعبيد الله ان يتمتعوا بالراحة وهم على تحت السلطنة في الآن وصاعدا احتم ان التلذذ والنكسل يهجر من دولتي العلية لان الاعداء قد أحاطوا بملكه الاسلام واستأسروهم

وسوف أخذناهم ان شاء الله تعالى وأسيرا امام جيوشى لأن جدى سليمان العظيم الذى
تتصاعد رائحة الطيب من قبره لم يكن يرسل وزرائه فقط للجهاد بل كان يخرج بنفسه للمبارزة
فى الجهاد المقدس حتى ان فخره ومجده قد انتشر فى جميع الاقطار المسكونة وأنا سوف أصنع
نظيره فأطيعوا أمير المؤمنين والسلام وكان السلطان مصطفى المذكور محبا للعلوم والمعارف
متدينا عادلا وعلى جانب عظيم من الرقة والخلق ثم اجتمع رجال الدولة واتفقوا على
ان السلطان لا ينبغي ان يخاطر بنفسه فلم يلتفت الى كلامهم

✽ ذكر غزوة من غزوات السلطان مصطفى ✽

ثم عزم على الخروج بالعساكر فأمر بجمع الجيوش وأرسل عمارة بحرية فضربت مراكب
مشيخة البندقية بقرب ساقس وكسرتهم كسرة مهولة وشنتهم فى جهات البحر الأبيض
وتملك عساكر الدولة جزيرة ساقس وسار السلطان بنفسه مع العساكر وعبروا نهر
الطونة وقاتلوا عساكر النيسا وملكوا جلة بلاد وقلاع وقطعوا رأس الجنرال فيترانى
وكانت عساكره أكثر من عساكر الدولة بخمس مرات وأخذوا مدافعهم ومهماتهم وهدموا
القلاع والحصون وعند دخول الشتاء رجع السلطان بجانب من العساكر الى أدرنة وترك
الباقى يحارب النيسا ثم دخل بالعساكر القسطنطينية فى موكب حافل ومعه أسارى كثيرة
ومدافع ويارق من غنائم النيسا وفى أثناء ذلك حاصر ملك المسكوف قلعة ازوف فكسرت
عساكر الدولة تحت أسوارها وقتلت من عساكره ثلاثين الفا ورجع عنها بعد حصار ثلاثة
أشهر وتلك المسكوف بحار ازوف وبنى على سواحلها قلاعاً

✽ ذكر غزوة عظمى ✽

بلغ السلطان ان النيسا جمعت عساكر كثيرة وجعلت قائدها اوجين الفرنساوى وكان
متدر باقى الحروب فسار السلطان سنة ثمانية ومائة وألف بجائة الف مقاتل الى مدينة أدرنة
وأرسل الجيوش منها لمحاربة النيسا فالتقوا واقتلوا قتالا شديدا وكان النصر
للمسلمين وقتلوا من النمصارى عددا كثيرا وشنتوهم فى جميع الجهات ورجع السلطان
الى مقر ملكه

✽ غزوة اخرى ✽

فى سنة تسع بلغ الباب العالى رجوع عساكر النيسا مع الجنرال اوجين
الفرنساوى فخرج السلطان بنفسه بالعساكر وصحب معه وزيره الصدر الاعظم
محمد الماس باشا واستولوا فى طريقهم على عدة قلاع ثم التقوا بجيوش النيسا التى مع اوجين
الفرنساوى ووقع بينهم وقعات ثم صارت الهزيمة على عساكر المسلمين وقتل الصدر
الاعظم فى ميدان الحرب واقام مكانه حسين باشا ثم انهزم ورجع الى بلاد المجر وفى أثناء ذلك
سعت دولة فرانسوا انكترا وهولندا فى الصلح واختاروا مدينة كرو لا نغقاد الجمعية
بهذا الصدد والسبب ان الدولة كانت كلت وقتلت النقاد من كثرة الحروب فحصل القبول
لهذه الجمعية فاجتمعت عند الدولة العلية ودولة فرانسوا وانكترا والموسكوف والنيسا
والبنديقية وبولونيا وهولندا وبعد ستة وثلاثين جلسة فى برهة اثنين وسبعين يوما تم الصلح

في رجب سنة ألف ومائة وعشرة وانعقدت شروطه باتفاق الجميع وتلك الشروط تعرف بشروط كازلاويز وكان من جملة الشروط حصول الهدنة ومشاركة الحرب مع النمساخسا وعشرين سنة واما الموسكوف فلم يقبل الابهدة سنتين وبعد انعقاد الصلح هاجت الناس والعساكر بسببه وانتشر من ذلك فتنة عظيمة وطالت الى ان قاموا على السلطان وخلعوه وقتلوا شيخ الاسلام فيض الله افندي قيل ان السلطان مصطفى لما بلغه انهم يريدون خلعه دخل على اخيه احمد واخبره بذلك وترك له كرسي السلطنة فكانت مدة ملكه ثمان سنين واربعة اشهر وكان خلعه سنة خمس عشرة ومائة وألف ومات في السنة التي بعد هافهمر احدى واربعون سنة (ولاية السلطان احمد الثالث) وتسلطن بعده اخوه السلطان احمد الثالث بن السلطان محمد الرابع بن ابراهيم وكان من الصالحين المحبين للجهاد واقامة الحق ولما جلس على تخت السلطنة كان أهم شيء عنده اخذ القصاص من العصاة الذين كانوا سببا في تلك الفتنة وقتل كثيرا منهم

✽ ذكر غزوة في زمن السلطان احمد الثالث ✽

ثم جهز عمارة بحرية لمحاربة البندقية في جهات المسورة فلكوا اكثر الجزائر واستأسروا كثيرا من البندقية واستولوا على مراكبهم وفي سنة ست عشرة ومائة وألف قامت الحرب على ساق وقدم بين قيصر الروسية بطرس وكارلوس ملك السويد واسترسلت الى سنة فانهكسرا خيرا كارلوس المذكور وفاز عليه قيصر الروسية بطرس الأكبر ولما انهزم ملك السويد دخل في حدود الدولة فأمر السلطان وقتئذ ان يكرم غاية الاكرام وأن تكون مصاريفه ومصاريق كل تبعة من خزانة الدولة ومكث في بلاد الدولة مدا وما الاخاح عابها لمحاربة الروسية اعانة له فامتنعت الدولة من اجابته

✽ ذكر غزوة الى الروسية ✽

ثم اجابته في سنة ثلاث وعشرين ومائة والف واشهرت الحرب على الروسية وجهزت جيشا تحت قيادة محمد باشا البلطجي فاشتبك القتال بين الطرفين عند نهر برت وبعد كفاح شديد تفهقر جيش الروسية وامسى القيصر في خطر مبین ولولم تتدارك الامر زوجته كاترينا بحذقها ودرايتها لا صبح زوجها أسيرا فعقدت صلحا مع الوزير الاعظم تحت شروط منها تراجع بحر أزوف الى الدلة وهدم الحصون التي على سواحل هذا البحر ويترك المدافع التي فيها وعدم مداخلة الروسية فيما يخص القزق وان تعهد ملك السويد بالرجوع الى بلاده وبعد المصادقة على هذه العهود من الطرفين أرسل الوزير بعلم السلطان بالنتيجة فغضب وأمر بمن له ونفيه فأت بعد شهر وأقيم مكانه يوسف باشا وتم رأى رجال الدولة على ابطال ذلك الصلح مع الروسية واشهار الحرب عليهم بعد قتل جملة أشخاص كانوا السبب مع ذلك الوزير في تلك العهود وكان يوسف باشا الصدر الجديد يريد الحرب فلذلك صار يؤخر في تجهيز المهمات الحربية واجتهد في تجديد الصلح مع الروسية على هدنة خمس وعشرين سنة فلما بلغ السلطان ذلك امر بعزل يوسف باشا وأقام مكانه سليمان باشا وذلك سنة ألف ومائة وأربعة وعشرين ثم ان ملك السويد

أراد الرجوع الى بلاده وطلب من الدولة ألف كيس فأمرت له بها ثم طلب ألفا أخرى فأمرت له بها فغضب الوزير و أراد اخراج ملك السويد بالعنف وجرى بينه وبينه أشياء يطول ذكرها فعزل السلطان الوزير سليمان باشا وأقيم مكانه ابراهيم باشا ثم بعد عشرين يوما عزل وأقيم مكانه داماد علي باشا فعقد الصلح مع الروسية على خمس وعشرين سنة وفي اثناء ذلك حضر الى ملك السويد كتاب من اخته تقول له ان حضوره لازم لاجل راحة المملكة فعزم على الرحيل واستأذن الدولة في الرجوع فأمرت له بستمائة جاو يش لاجل محافظته في الطريق وأهدته ثمانية أفراس من جياد الخيل وصيوانا مطرزا بالذهب وسيفا مرصعا بالأحجار الثمينة فرحل من بلاد الدولة سنة ست وعشرين ومائة وألف شاكر افضال الدولة على ما صنعت معه من الغيرة والمساعدة ونحو ذلك من الاعمال الممدوحة التي تستحق ان ترقم في صحايف التواريخ لتكون تذكارا بين الملوك وأهل السويد لا ينسون هذا الجليل الذي فعلته الدولة العلية في حق ملكهم

✽ ذكر غزوة عظمى ✽

وفي سنة ست وعشرين ايضا فتحت الدولة الحرب على البندقية واستولت العساكر العثمانية على اكثر بلاد المورة وعلى جزائر البنادقة وذلك سنة سبع وعشرين ومائة وألف وكانت مشيخة البندقية استغاثت بملك النمسا وهو اذ ذاك امبرطور المانيا فلبى دعوتها وبعث الى الدولة العلية يطلب منها ان ترسل معتمدا من طرفها الى حدود بلاد المجر لاجل المخاربة معه لجهة جمهورية البندقية و ان أبت عن ذلك فانه مستعد أن يشهر الحرب عليها فلم تجب الدولة هذا الطلب

✽ ذكر غزوة ✽

بل أرسلت على القور الصدر الأعظم بمائة وخمسين ألف مقاتل لمحاربة المانيا فوافاهم ثمانون ألفا من عساكر الألمان تحت قيادة الأمير اوجين الفرنساوى والتقى الجيشان عند كارلوفيتز والنجم القتال بين الفريقين مدة ايام وكان الصدر الأعظم داماد علي باشا من أحسن ابطال زمانه فكان ينزل في ميدان الحرب ويقا تل بنفسه أشد القتال فقدر الله انه قتل في ميدان القتال فانهزمت الجيوش العثمانية انهزاما مهولا واستولت عساكر العدو على المهمات والمدافع ثم تقدموا الى مدينة تيفار وحاصروها شهرين وملكوها

✽ ذكر غزوة أخرى ✽

وولى الصدارة خليل باشا فجهز جيشا لقتال العدو وسار الى أدرنة ومنها الى بلغراد واشتبك القتال بين الجيشين سنة ١١٢٩ ولسوء تدبير هذا الوزير وقعت الهزيمة ايضا على جيش السلين وملك العدو مدينة بلغراد فعزل الصدر وأقيم مكانه محمد باشا وعزل بعد ثمانية اشهر وأقيم مكانه داماد ابراهيم باشا وكان جانب من عساكر الدولة مشتغلا بالحرب مع العدو في جهة بوسنة ولما بلغت هذه الاخبار ديوان السلطنة فتحت المخاربة في الصلح سنة ثلاثين ومائة وألف وكان السلطان يريد عقد الصلح مع كل من دولة المانيا وجمهورية البندقية على حدته فأجاب الأمير اوجين بأن الأمبرطور لا يفتح المخاربة الا تحت شرط عقد الصلح بين

سواء تحت نظره وأردف هذا الطلب بأن يعطى له ماعدا مصاريف الحرب ومدينتي بلغراد
وتيفار اقليماً بوسنة والسرب الواقمان في الجهة اليمنى من نهر الدانوب والا فلاق من حدود
بغدان الى نهر دنيستر وأن ترجع المورة الى البندقية فعظمت هذه المطالب على السلطان
احمد وفضل فقد التاج على التسليم بشروط مجلبة للعار فتدخلت اخيراً دولتنا انكلترا
وهولندة في نقض الخلاف وصار القرار على ان يسبق في يد كل من الدولتين الاملاك التي
تكون في يدها عند امضاء المعاهدة وان يسبق أيلة المورة للدولة العلية وفي سنة ثلاث وثلاثين
حدثت حريقة مهولة في القسطنطينية أحرقت نحو ربعها وبعد نهاية الصلح جددت الدولة
مع الروسية وملك بولونيا شروط الصلح وروابط العهد

ذكر غزوة الى بلاد العجم

في سنة ثمانية وثلاثين جاء جماعة من اهل السنة يسكنون في حد ود العجم الى السلطان
احمد يشكون من المظالم والتعدي التي يجربها الشيعة عليهم ويستجدون به ويطلبون
خلاصهم من تلك المظالم فأجابهم السلطان احمد وسير جيشا الى بلاد العجم وفتحوا جملة
حصون ومدينة ارمقان ونهاوند وتبريز وشتوا جوع الا حاصروا قتلًا واسرا وامتلأت
أيديهم من غنائمهم فأرسل شاه العجم يخاطب الدولة في الصلح فقبلت بشروط ان يرجع
الى الدولة البلاد التي كان استولى عليها وفي اثناء ذلك مات شاه العجم حسين وملك ولده
طهماسب فأرسل الى الدولة يطلب ترجيع الاملاك التي اخذت من ابيه وحاصر تبريز وملكها
واستولى على ستمائة حل جل من الامتعة فصدر الامر من السلطان احمد بتجهيز العساكر
لحرب الاجام وعند ما كانوا على هيئة الذهاب وذلك سنة ثلاث وأربعين ومائة والف
هاجت العساكر الانقشارية وتمردوا وطلبوا من السلطان قتل الصدر الاعظم ابراهيم باشا
وشيوخ الاسلام وقبطان باش وكتخد بيك لشكايا يشكون منها فلم يقبل السلطان منهم ذلك
فقالوا نسبح عن شيخ الاسلام فقط ثم قتلوا الصدر الاعظم ابراهيم باشا وكتخد بيك ثم ان
بعض العساكر انكروا ان القتل ابراهيم باشا وقالوا ان المقتول رجل يشبهه وليس هو ورجعوا
يطلبون من السلطان احضار ابراهيم باشا واخذوا يصرخون بعيش السلطان محمود وساروا
يطلبون السلطان محمود في المكان الذي هو فيه واتوا به الى الديوان وأجلسوه على كرسي
السلطنة وبايعوه بعد أن خلعوا عمه السلطان احمد فكان خلع سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف
وتوفي سنة تسع وأربعين وعمره ستون سنة ومدة ملكه سبع وعشرون سنة واحد عشر شهرا

ولاية السلطان محمود الاول

وأما ابن أخيه الذي أقيم في السلطنة بعده فهو السلطان محمود الاول بن مصطفى بن محمد بن
ابراهيم هكذا ذكر هذه القصة في كثير من التواريخ ورأيت في تاريخ مكة لارضي حكاية
كيفية خلع السلطان احمد المذكور وكيفية قتل الوزير ابراهيم باشا فقال في تاسع عشرين
شهر ربيع الاول من سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف كان جلوس السلطان الاعظم والحاقان
الا كرم الا فخم السلطان محمود بن السلطان مصطفى بن محمد ورفع عمه السلطان احمد بن
السلطان محمد المتولي في سنة ألف ومائة وخمس عشرة وكان هذا الرفع والجلوس لاسباب

وأمر اقتضت وقوع هذا الحادث العظيم والخطب الجسيم وهو انه لما تكاثرت المظالم من وزير السلطان احمد ابراهيم باشا ومن كنيخته حتى زاد الحال على المسلمين اجتمع من أطراف العسكر اثنا عشر نفرا لازيادة واستمروا عشرة ايام وهم في كل يوم يخرجون ويحتدون في ان بعضهم أحد من العسكر فلم يحصل ذلك وفي اليوم الحادي عشر تكاثرت الامة عليهم فغاب منهم أحد عشر لا يدري أين ذهبوا ولم يبق منهم الا واحد فصار ذلك الواحد امير تلك الامة المجتمعة فأركبوه جوادا وامثلوا له جميع ما أمر وصار عدتهم فوق العشرة آلاف وفي اثناء ذلك والسلطان احمد حافظ للوزير وكنيخته وأمير البحر المسمى بالقبطان وهو في غاية الذلة والهوان أرسل اليه أمير الامة المذكور بأن ادفع اليها الوزير والكخبيا نريد أن نقص منه مظالم الخلق فاضطرب حالهم اضطرابا انجلي عن قتل الوزير لكنيخته بيده ثم قتل القبطان ايضا بيده ثم قتل الوزير بعض خدم السلطان وأرسل اليهم برؤس الثلاثة بناء على أن ذلك مرض لهم فزاد الحال وكثر الجدل وقالوا ان قتل القبطان كان ظلما لأنه لم يصدر منه ما يوجب ذلك وكفونوه وصلوا عليه ودفنوه وأما قتل الوزير وكنيخته فيمكن انابه غرض بل كان مطلوبا حضورهما حين نطالهما بحقوق العباد وما كان يصدر منهما في البلاد ثم صرخوا بعدم الرضا بالسلطان ايضا فعرض عليهم تولية ابنه السلطان سليمان فامتنعوا عن ذلك فرأى هو ومن لديه من أهل الحل والعقد انه لا يطفى هذه الشائنة الا اخراج السلطان محمود من الحبس وتوليته السلطنة فقام السلطان أحمد بنفسه وذهب اليه في الحبس وأخرجه وأجلسه على التخت ثم أرسل اليهم بأن يتفرقوا فأبوا الا بعزل بعض اشخاص عن مناصبهم وتولية غيرهم وقتل آخرين ونفي جماعة فتم لهم ما طلبوه ثم رغب منهم السلطان محمود التفرق فتوقفوا أيضا فأرسل اليهم شيخ الاسلام بأنكم اذا لم تتفرقوا والا أخرجت لواء النبي صلى الله عليه وسلم وأخذت عليكم فتوى ووجهت الجهاد عليكم فعند ذلك تفرقوا فطلب ذلك الرجل الذي كان أمير هذه الامة المجتمعة فلم يوجد له خبر ولا أثر ولا يدري أين ذهب واستقرت السلطنة العثمانية للسلطان محمود الأول وصدرت من الأوامر العلية الى جميع ممالكه وزينت البلاد وكان من أغرب الاتفاق ان خرج تارة ذلك قوله تعالى فاعتبروا يا اولي الأبصار

✽ ذكر غزوة الى بلاد العجم ✽

وقد وقع في مدة السلطان محمود المذكور محاربات بينه وبين روسيا والمانيا عدة سنوات وكذا وقعت ايضا محاربات بينه وبين العجم

✽ ذكر غزوة الى العجم ✽

فإنها ان العجم جهزوا جيوشهم وأغاروا على مواضع مما كانت في حكم الدولة وأخذوها وحاصروا بغداد فجهاز السلطان محمود عليهم جيوشا سنة ست وأربعين ومائة وألف وأزالهم عن محاصرة بغداد وشتتهم في الجهات وقتل منهم مقتلة عظيمة ورجع بعض جيوش الدولة الى كردستان ليخلصها من أيدي الاثمجام واشتبك الحرب وقتل رئيس العساكر العثمانية طوبال عثمان باشا في ميدان الحرب وقد كان في السنة التي قبلها عقد صلحا مع العجم على ان تبرز

تكون تحت ايدى العجم فغضب السلطان محمود ولم يرض بذلك ولما قتل طوبال عثمان باشا
نهزمت عساكر الدولة فلما بلغ الخبر الباب العالي جهز السلطان جيشا آخر لقتال العجم ولما
وصل الجيش الى شط نهر كوبان صدهم الموسكوف عن المسير فرجعوا ودخلت عساكر
الموسكوف في بولونيا فشكتهم الدولة الى ملوك أوروبا لأن ذلك مخالف للشروط التى
كانت بينهم فاعتذر الموسكوف بأن دخول عساكره في بولونيا لمنع دولة فرانسا من تسليم
أحكام بولونيا فلم تقبل الدولة هذا العذر وأشهرت الحرب على الموسكوف

✽ ذكر غزوة الى بلاد الموسكوف ✽

وسارت العساكر في سنة تسع وأربعين ومائة وألف بعد أن عقدوا صلحا مع العجم غير الصلح
الذى تقدم ذكره على شرط رجوع حدود الدولة على ما كانت أيام السلطان مراد الرابع
وفي مدة عقد هذا الصلح تقدمت عساكر الموسكوف وأخذت بعض جهات من أراضي الدولة
فلما تجهزت عساكر الدولة توجهت الى القرم واقتتلوا مع الموسكوف فانصرت عساكر
الدولة وهزموهم ثم ان المماليك اتحدت مع النمسا وألمانيا وكانت ألمانيا تابعة للنمسا
ورجعوا واستلوا قلعة أزوف وانهزمت عساكر الدولة امام هذه القلعة واستولت عساكر
النمسا على ثمان مدن من بلاد السرب والأفلاق وعلى قلعة نيش.

✽ غزوة اخرى ✽

فرجعت اليهم عساكر الدولة وهزمت عساكر النمسا قدام بنالوغا ونشتت في جهات البلاد
وامتدالا لتصار الى أن طردت عساكر الدولة النمسا من الأفلاق والبغدان وارصوفا
واسترجعت قلعة نيش وأحرقت لهم سبع مراكب حربية في البحر تجاه قلعة البرنات
وتوسطت فرانسا في الصلح فلم يقبل السلطان فلم تزل فرانسا تراجع السلطان الى أن تم الصلح
بشرط ان النمسا ترجع بلغراد للدولة وكل ما استولت عليه من الأفلاق والسرب وغير
ذلك وأن يكون الحد الفاصل بين المملكتين نهر الطونة وعقدوا هدنة طويلة وهى سبع
وعشرون سنة واشترطت الدولة على الموسكوف أنه لا يكون لها مراكب حربية ولا
تجارية في البحر الأسود وبحر أزوف وأن الموسكوف يرجع الأماكن التى استولى عليها
في مدة الحرب وان يهدم قلعة أزوف وبعد هذا الصلح طلبت دولة السويد عقد معاهدة
مع الدولة العثمانية بالاتفاق على حرب من يعاديهم فأجابتهم الدولة الى ذلك وعظم امر السلطنة
في تلك السنة هذا تلخيص ما كان في مدة السلطان محمود الأول وكان من اعظم سلاطين آل
عثمان عقلا وهمة وتدبير او محبة للجهاد ونصرة الدين واقامة الشريعة وتوفى رحمه الله سنة الف
ومائة وسبع وستين وعمره ستون سنة ومدة ملكه اربع وعشرون سنة (ولاية السلطان عثمان
الثالث) وأقيم في السلطنة بعده أخوه السلطان عثمان بن السلطان مصطفى بن محمد بن ابراهيم
ومكث قريبا من أربع سنين وتوفى سنة احدى وسبعين ومائة وألف (ولاية السلطان مصطفى
الثالث) وأقيم بعده في السلطنة السلطان مصطفى الثالث بن أحمد الثالث بن محمد الرابع بن
ابراهيم فلما استقر في ملكه أخذ في تنظيم ملكه وتقوية ما وهن منه وكان ذلك باسعا
وزيره الصدر الأعظم محمد راغب باشا المشهور بالعلم والتدبير وحسن السياسة وفي سنة

ألف ومائة وست وسبعين توفي راغب باشا وبعد وفاته شبت نيران الحرب بين الدولة والروسية وفي هذه السنة خلعت كاترينا امرأة ملك الموسكوف بعلمها عن كرسي السلطنة وجلست مكانه وسجنته ثم أمرت بقتله فقتل وأخذت تسعى في اخراج اليونان عن طاعة الدولة العثمانية وحررت اليونان في المورة والأرنوط وأخذوا يستعدون لخلع الطاعة ونهض على بيك بمصر وتغلب عليها وعلى الشام وأراد الاستقلال وأرسلت الدولة من عساكرها أربعين ألفا لحماية البلاد على شاطئ نهر الطونة وأرسلت اليونان الى كاترينا ملكة الموسكوف تستنجد بها فبعثت لهم جيشا لم يغن شيئا فهزمتهم عساكر الدولة غير أن عساكر الموسكوف في تلك الأيام انتصرت على عساكر الدولة التي كانت على حدود الطونة واستولوا على بندرواكرمان واسماعيل وقلاع على شاطئ هذا النهر ولما بلغ الباب العالي هذه الوقائع صدر الأمر بتكثير الجيوش وفي السنة الثانية تغلبت عساكر الدولة على عساكر الموسكوف فرجعت الى بلادها بعد أن فقد منها عساكر كثيرة في الحرب وبالطاعون وحينئذ أخذت النمسا وبروسيا في التوسط في الصلح وتوقيف الحرب ولكن لما رأت الدولة ان مطالب الموسكوف غير مقبولة رفضت هذا الطلب وأشهرت الحرب

✽ ذكر غزوة الى بلاد الموسكوف ✽

وفي سنة ألف ومائة وستة وثمانين سار الصدر الأعظم محسن باشا بالعساكر لمحاربة الموسكوف فضر بهم على نهر الطونة وأخذ منهم ستمائة أسير وسار حسن باشا قبطان باشي بجانب من العساكر الشاهانية وضرب عساكر الموسكوف على نهر الطونة ايضا واخذ مدافعهم وذخائرهم وفي اثناء هذه الغلبات توفي السلطان مصطفى سنة ألف ومائة وسبعة وثمانين وعمره ثمان وخسون سنة ومدة ملكه ست عشرة سنة

✽ ولاية السلطان عبد الحميد الاول ✽

وأقيم في السلطنة بعده اخوه السلطان عبد الحميد الاول بن احمد الثالث بن محمد الرابع بن ابراهيم وكان اخوه السلطان مصطفى قد ترك له نهاية الحرب الجسيم مع الروسية فأمر بانجاز الجيوش وتكثيرها

✽ ذكر غزوة للسلطان عبد الحميد الاول ✽

بعث مع الصدر الأعظم اربعمائة الف مقاتل والتحم القتال بينهم وبين الجيوش الروسية فحصلت لهم هزيمة وانحصروا في شملة ووقعوا في صعوبة كلية فاجتهد السلطان في ارجاع قوة الدولة وكانت العساكر قد كلت من الحروب وحدث بين العساكر الانتشارية شغب فتركوا الصدر الأعظم في ميدان الحرب بجانب قليل من العساكر فرجع الى شملة وأرسل يعلم الباب العالي بذلك فصدر الأمر بمقد الصلح فتم على شروط تعرف بعهد كوجيك قبروجا وهي منظوية على استقلال التتر في بلاد القرم والبوجك والكوبان وعلى سير السفن الروسية في بحر الدولة وترك ازوف وكيل يرون وبعض القلاع الى الموسكوف وقبول الدولة انفسا وبولونيا والموسكوف يترك للدولة الافلاق والبغدان والجزائر التي كانت في يدها في البحر الابيض وبعد امضاء هذه الشروط عاد الصدر الأعظم محسن باشا بن معه من العساكر

الى دار السلطنة وتوفي في الطريق في مدينة ادرنة واقام مكانه محمد عزت باشا واخذ السلطان
عبد الحميد في اصلاح امور السلطنة وقمع العصاة الذين في ممالكه ولم تقنع الروسية بما جرى
من الصلح ولم تلتزم الشروط بل كانت تعدى من حين الى حين على حدود الدولة حتى انها
اخذت على انقرم واستولت عليها وكان السلطان عبد الحميد يتحمل تلك التعديات بمرارة عظيمة
زما ناطويلا ويرى سلطنته مشرفة على وهدة السقوط وهو غير قادر على ان ياتيها بالصلاح
الشافي ولما رأى ان كثير من ممالكه وقعت في قبضة الاجانب شرع في استعدادات جديدة للحرب
* ذكر غزوة أخرى *

وبعث جيوشا متعددة فنها جيش ساربه حسين باشا القبطان فقتل كثيرا من العصاة وبعث
برأس ظاهر العمر الذي تغلب في جانب سورية وبرأس حاكم البغدان الذي كان يحاكمه في الشقاوة
* غزوة أخرى *

ثم توجه حسين باشا المذكور انا ديب اليونان ساكني المورة فسار اليهم وقتل منهم اصحاب
الفتن والدسائس فأرعب قلوبهم وكسر عزائمهم وأزهم الطاعة وطلب الغلولهم من الباب
العالى وكانت كاترينا ملكة الروسية تجتهد دائما في تخفيض قوة الدولة العثمانية وما اكتفت
بتملك انقرم فأرسلت اناسا في كثير من الممالك يزرون فيها الفتن فلما نظرت رجال الدولة
تعدى الروسية على حقوق الدولة استشاطوا في ذلك ونادوا بالحرب وكانت الانقليز تحرض
الدولة على ذلك وتؤكد لها الامانة وأن دولة اسوج وبلونيا ينهضان معها لاسعاف الاسلام
وان بروسيا تقاوم النمسا

* ذكر غزوة أخرى *

فصدر الامر الى الصدر الاعظم يوسف باشا فتوجه لحرب الروسية والنمسا وكانت
كاترينا ملكة الروسية حضرت الى بلاد انقرم بجيش عظيم وحضر امبرطور النمسا
بجيش عظيم وكان قد تمساهد معها على محاربة الدولة وكانت فرانسامتفة مع الروسية
فما قتلت عساكر الدولة مع النمسا في محل يقال له فتح الاسلام والجزيرة الكبيرة فانصرفت
كروالاسلامية واستولت على كثير من القلاع والحصون

* غزوة أخرى *

وتوجهت فرقة أخرى من عساكر الدولة لمحاربة الروسية تحت رئاسة شاهين على باشا
وعندما كانت العساكر العثمانية متغلبة على عساكر النمسا حتى كاد امبرطور النمسا
يقع اسيرا تقدمت عساكر الروسية واستولت على البغدان وعلى كثير من القلاع والحصون
ولم يحضر احد من باقي الدول الذين وعدوا بالمساعدة والنصر فلما شاهد الصدر الاعظم
حالة كتيب الى الباب العالي يستأذن في السعي في عقد الصلح وفي اثناء ذلك توفي السلطان
عبد الحميد سنة ألف ومائتين وثلاثة وعمره ست وستون سنة ومدة سلطنته ست عشرة سنة

* ولاية السلطان سليم الثالث وغزوة من غزواته *

وجلس على تخت السلطنة بعده ابن اخيه السلطان سليم الثالث بن مصطفى الثالث بن احمد
الثالث بن محمد الرابع بن ابراهيم وبعد جلوس السلطان سليم وجه همته الى اصلاح حال

العساكر وتقوية العمارة البحرية وامر بجمع الجيوش من جهات البلاد لتكثير الجيوش
المجموعة قبل ذلك فاجتمع في وقت قريب نحو مائة وخمسين الف مقاتل وكان اجتماعهم
في مدينة صوفيا وكانت عساكر الروسية سارت مع عساكر النمسا لمحاربة العساكر الاسلامية
التي كانت تحت رياسة الصدر الاعظم يوسف باشا وقبطان باشي حسين باشا فانشب القتال
بينهم وبين عساكر الدولة في البغدان وبقي نحو شهرين فحصلت هزيمة لعساكر الدولة
واستولوا على اكثر مدافعهم ومهما تهم وبسبب ذلك عزل الصدر الاعظم يوسف باشا
واحيلت رتبة الصدارة الى كئندا حسن باشا ثم عزل وصار بدله حمزاى حسن باشا
سنة ١٢٠٤ فتوفي وصار بدله شريف حسن باشا واما عساكر الروسية فتقدموا ايضا
في البلاد واستولوا على قلعة بلغراد وقلعة بندر وايالتى الافلاق والسرب وكل المدن التي
على شاطئ الطونة وكادوا يستولون على قلعة اسماعيل التي هي اعظم حصن في بلاد الدولة
التي في تلك الجهات وبغاهم كذلك اذ حضر الخربجوت امبراطور المانيا وكان متعاهدا
مع ملكة الروسية على محاربة الدولة وجلس في مكانه أخوه فانفصل عن معاهدة الروسية
وعقد معاهدة مع الدولة العلية بواسطة انكرا وبروسيا وشرطوا عليه ان يرد للدولة
ممالك الدولة التي افنتحها النمسا فردلها كل الاراضى التي افنتحها مع النمسا وأبقى في يده
روكريم الى حين تمام الصلح بين الدولة والروسية وسعى في عقد الصلح بين الروسية والدولة
فلم تقبل ملكة الروسية كاترينا وكانت مواظبة على الحرب فتقدمت عساكرها الى قلعة
اسماعيل واقامت الحصار عليها وكان في القلعة نحو ثلاثين الفا فقطعوا عنهم الزاد والمهمات
وصرخوا على عساكرهم الموت والافلعة اسماعيل وهجمت عساكرهم على تلك القلعة
وافنتحوها واشتد القتال من الجيشين حتى ملأ القتلى خنادق تلك القلعة ولما هجم الليل
صعدت العساكر على جث القتلى ودخلوا القلعة وحاربوا فيها حربا شديدا فكانت
النساء والاولاد يجمعون سلاح القتلى ويهجمون على عساكر المسلمين
وما زالوا كذلك حتى قتل رئيس العساكر مع كل الذين كانوا داخل القلعة
ولم ينج منهم الا رجل واحد طرح نفسه في النهر وذهب الى القسطنطينية
وأعلمهم بأن الغلبة وقعت على عساكر الدولة لانهم مكثوا ثلاثة ايام وثلاث ليال والسيوف
داير فيهم حتى ان الدم جرى كالسواقى وقتل من النساء والاطفال في تلك المعركة خمسة عشر
ألفا ولما وصل هذا الخبر الى القسطنطينية هاجت العساكر هياجا عظيما وطلبوا من الدولة
رأس حسن باشا صدر اعظم قائد العساكر مع انه كان من أعظم رجال زمانه في الحروب البرية
والبحرية ولكن النصر من عند الله ولاراد لقضاء الله وقدره ولأجل تسكين هذا الهيجان
قتل حسن باشا وحي لهم برأسه وأحيلت الصدارة الى يوسف باشا الذى عزل سابقا وبعد
ذلك تقدمت عساكر الروسية وقالت العساكر الاسلامية في الجهة الثانية من نهر الطونة
وذلك في سنة خمس ومائتين والالف فتوسطت دولة الانقليز والبروسيا في الصلح فتم سنة
ست ومائتين وألف على شروط وهى ان الروسية ترجع للدولة كل الاماكن التي فتحتها
خلا او كراكوف والاراضى الواقعة بين بوغ وسليسترة حيث أقامت الملكة كاترينا مدينة

أروسانة ألف ومائتين وسبعة تذكرا لنصرها وهي مدينة شهيرة أكثر سكانها نصارى على البحر الاسود سكانها نحو اربعين الف الف سعى السلطان سليم في ترقية اسباب تقدم بلاده وعمرانها وأرسل يطلب من فرانسا مهندسين ومعلمين صنائع وضباطا الى غير ذلك فبعثت له بجنازب عظيم ثمان العلاقات الودادية تكدرت معها لما استولت على مصر سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف واقاموا فيها الى سنة ست عشرة فالتزمت الدولة العلية ان تشهر حربها الى ان اخرجتها من مصر بماضدة انكسرتا وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله

✽ ذكر غزوة في مدة السلطان سليم الثالث ✽

وفي سنة الف ومائتين واربعة عشر وجه عمارة مع عمارة الروسية وفتحنا السبع الجزائر التي كانت للجمهورية البندقية وكانت فرانسا يومئذ متولية عليها وهذه هي المرة الاولى التي اتحد فيها هاتان الدولتان وفي سنة خمس عشرة صار الاتفاق ايضا بين الدولتين المشار اليهما في صيرورة الجزائر المذكورة حكومة مستقلة خاضعة للسلطنة العثمانية تحت اسم جمهورية السبع الجزائر وفي سنة سبع عشرة ومائتين والف عقدت معاهدة صلح بين الدولة العلية وفرنسا

✽ ذكر غزوة الى بلاد الروسية ✽

سنة احدى وعشرين انفتحت الدولة مع فرانسة على حرب الروسية فكان ذلك داعيا لتعكيرها مع انكسرتا لانها كانت تسعى في ملاشات شوكة نابليون امبرا طور فرانسا ولكن لم تستطع انكسرتا ان تمنع السلطان سليم من محاربة الروسية لان جيوش الروسية كانت تجاوزت الحدود ودخلوا الافلاق والبغدان وذلك مخالف لاعهود فاضطر السلطان سليم ان يحافظ على بلاده ويدافع عن حقوقه فجهز الجيوش وأرسلها تحت قيادة الصدر الاعظم مصطفى باشا جلبي ومصطفى باشا البيرقدار الى الاقليمين المذكورين فاربوا الروسية ومنعوا تقويهم على الاراضي العثمانية ولما أيسست انكسرتا من ايقاع المنافرة بين الدولة العلية وفرنسا سارت بجراكبها الى الاسكندرية وتملكوها فأخرجهم منها محمد علي باشا حاكم مصر وكان من الاسباب في حضور الانقليز لاختد الاسكندرية ان الصناجق الممالك الذين كانوا متغلبين على مصر كان بينهم وبين محمد علي باشا محاربات وشتتهم في الارباق فأرسل كبيرهم محمد بك الالبي للانقليز يستنجدهم فحضرت مراكبهم في ثغر الاسكندرية في أول محرم سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف وعدتها اثنان واربعون مركبا مشحونة بالعساكر وضرخوا على لاسكندرية بالقنابر والمدافع الهائلة من البحر فهدموا جانباً من البرج الكبير وكذلك الابراج الصغار والسور فعند ذلك طلب أهل الاسكندرية الامان فرفعوا عنهم الضرب ودخلوا البلد ثم سيروا جيشا منه الى رشيد فدخلوها ثم سار عليهم أهل رشيد وقتلوا منهم خلقا كثيرا فرجع الباقيون الى الاسكندرية منهزمين واستعد محمد علي باشا لمحاربتهم واخراجهم من الاسكندرية وشرع في تعمير القلاع واستنفر كافة الناس لقتالهم واستمر الحال الى أواخر جادى الآخرة من السنة المذكورة وتوجه محمد علي باشا بعساكره الى جهة البحيرة والاسكندرية وحصل بينه وبين الانقليز الذين في الاسكندرية مكاتبات

ثم انعقد بينه وبينهم صلح على شروط فخرجوا من الاسكندرية وأخلوها في أوائل رجب من السنة المذكورة اعني سنة اثنين وعشرين وتفصيل القصة طويل وهذا حاصلها بالاختصار وكان محمد بك الاتي الذي استجدهم قدماء قبل مجيئهم الاسكندرية وفي هذه السنة ايضا كانت فتن كثيرة بدار السلطنة وخلصوا السلطان سليم وقصة ذلك طويلة سندكر ملخصها فيما يأتي لكن ينبغي ان يقدم قبل ذلك ذكر اشياء كانت في مدة السلطان سليم المذكور منها فتنة الوهابية بالجزا وفتنة الفرنسيين عند دخوله مصر وانبداً بذكر فتنة الوهابية لان مبدأها متقدم على فتنة الفرنسيين وان كان منتهاها متأخرا

✽ ذكر فتنة الوهابية وتلك الفرنسيين مصر ✽

اعلم ان السلطان سليم الثالث حدث في مدة سلطنته فتن كثيرة منها ما تقدم ذكره ومنها فتنة الوهابية التي كانت في الجاز حتى استولوا على الحرمين ومنعوا وصول الحج الشامي والمصري ومنها فتنة الفرنسيين لما استولوا على مصر من سنة ثلاث عشرة الى سنة ست عشرة ولذا ذكر ما تعلق بهاتين الفتنتين على سبيل الاختصار لان كلا منهما مذكور تفصيلا في التواريخ وأفر ذلك منهما تأليف رسائل مخصوصة اما فتنة الوهابية فكان ابتداء القتال فيها بينهم وبين امير مكة مولانا الشريف غالب بن مساعد وهو النائب من جهة السلطنة العلية على الاقطار الجازية وابتداء القتال بينهم وبينه من سنة خمس بعد المائتين والالف وكان ذلك في مدة سلطنة مولانا السلطان سليم الثالث بن السلطان مصطفى الثالث بن احمد واما ابتداء اول ظهور الوهابية فكان قبل ذلك بسنين كثيرة وكانت قوتهم وشوكتهم في بلادهم أولا ثم كثر شرهم وتزايد ضررهم واتسع ملكهم وقتلوا من الخلائق ما لا يحصون واستباحوا اموالهم وسبوا نساءهم وكان مؤسس مذهب الخبيث محمد بن عبد الوهاب وأصله من المشرق من بني تميم وكان من العمرين فكاد يعد من المنظرين لانه عاش قريب مائة سنة حتى انتشر عنه ضلالهم كانت ولادته سنة ألف ومائة واحدى عشرة وهاك سنة ألف ومائتين وستة وأرخه بعضهم بقوله بدا هلاك الخبيث وكان في ابتداء أمرهم من طلبية العلم بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وكان أبوه رجلا صالحا من أهل العلم وكذا أخوه الشيخ سليمان وكان أبوه وأخوه ومشايخه يتفردون فيه انه سيكون منه زعيم وضلال لما يشاهدونه من أقواله وأفعاله ونزغاته في كثير من المسائل وكانوا يوبخونه ويحذرون الناس منه لحق الله فراستهم فيه لما ابتدع ما بدعه من الزيغ والضلال الذي أغوى به الجاهلين وخالف فيه أئمة الدين وتوصل بذلك الى تكفير المؤمنين فزعم ان زيارة النبي صلى الله عليه وسلم والتوسل به وبالا نبياء والاولياء والصالحين وزيارة قبورهم شرك وان نداء النبي صلى الله عليه وسلم عند التوسل به شرك وكذا نداء غيره من الانبياء والاولياء والصالحين عند التوسل بهم شرك وان من أسند شيئا لغير الله ولو على سبيل المجاز العقلي يكون مشركا نحن ننفق هذا الدواء وهذا الولي القلاني عند التوسل به في شيء وتمسك بأدلة لا تنتج له شيئا من مراده وأنى عبارات مزورة وزخرفها ولبس بها على العوام حتى تبعوه وألفاهم في ذلك رسائل

حتى اعتقدوا كفراً أكثر أهل التوحيد واتصل بأمراء المشرق أهل الدرعية ومكث عندهم حتى نصرروه وقاموا بدعوته وجعلوا ذلك وسيلة إلى تقوية ملكهم واتساعه وتسلطوا على الأعراب وأهل البوادي حتى تبعوهم وصاروا اجندالهم بلا عوض وصاروا يعتقدون أن من لم يعتقد ما قاله ابن عبد الوهاب فهو كافر مشرك مهدر الدم والمال وكان ابتداء ظهور امره سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين وابتداء انتشاره من بعد الخمسين ومائة وألف وألف العلماء رسائل كثيرة للرد عليه حتى أخوه الشيخ سليمان وبقية مشايخه وكان ممن قام بنصرته وانتشار دعوته من أمراء المشرق محمد بن سعود أمير الدرعية وكان من بنى حنيفة قوم مسيلة الكذاب ولما مات محمد بن سعود قام بها ولده عبد العزيز بن محمد بن سعود ثم ولده سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود وكان كثير من مشايخ ابن عبد الوهاب بالمدينة يقولون سيضل هذا أو يضل الله به من أبهده وأشقاءه فكان الأمر كذلك وزعم محمد بن عبد الوهاب أن مراده بهذا المذهب الذي ابتدعه إخلاص التوحيد والتبري من الشرك وإن الناس كانوا على شرك من منذ ستمائة سنة وأنه جدد للناس دينهم وحل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على أهل التوحيد كقوله تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وكقوله تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك وكقوله تعالى والذين يدعون من لا يستجيب لهم إلى يوم القيامة وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير فقال محمد بن عبد الوهاب من استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فانه مثل هؤلاء المشركين ويدخل في عموم هذه الآيات وجعل زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين مثل ذلك وقال في قوله تعالى حكاية عن المشركين في اعتذارهم عن عبادة الأصنام ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى أن المؤمنين مثل هؤلاء المشركين الذين يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى قال فإن المشركين ما اعتقدوا في الأصنام أنها تخلق شيئاً بل يعتقدون أن الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله فما حكم الله عليهم بالكفر والشرك إلا لقولهم ليقربونا إلى الله زلفى فهو لا، مثلهم ومما ردوا به عليه في الرسائل المؤلفة للرد عليه أن هذا استدلال باطل فإن المؤمنين ما اتخذوا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء آلهة وجعلوهم شركاء لله بل أنهم يعتقدون أنهم عبيد لله مخلوقون ولا يعتقدون أنهم مستحقون العبادة وأما المشركون الذين نزلت فيهم هذه الآيات فكانوا يعتقدون استحقات أصنامهم الألوهية ويعظمونها تعظيم الربوبية وإن كانوا يعتقدون أنها لا تخلق شيئاً وأما المؤمنون فلا يعتقدون في الأنبياء والأولياء استحقات العبادة والألوهية ولا يعظمونها تعظيم الربوبية بل يعتقدون أنهم عباد الله وأحباءه الذين اصطفاهم واجتباهم وبيركتهم يرحم عباده فيقصدون بالتبرك بهم رحمة الله تعالى ولذلك شواهد كثيرة من الكتاب والسنة فاعتقاد المسلمين أن الخالق الضار النافع المستحق للمعبادة هو الله وحده ولا يعتقدون التأثير لآحاد سواه وإن الأنبياء والأولياء لا يخلقون شيئاً ولا يملكون ضراً ولا نفعاً وإنما يرحم

الله العباد ببركتهم فاعتقاد المشركين استحقات أصنامهم العباد والالهوية هو الذي أوقعهم في الشرك لا مجرد قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله لانهم لما اقيمت عليهم الحجية بأنها لا تستحق العباد وهم يعتقدون استحقاتها العباد قالوا معتذرين ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكيف يجوز لابن عبد الوهاب ومن تبعه ان يجعلوا المؤمنين الموحدين مثل اولئك المشركين الذين يعتقدون الهوية الاصنام لجميع الآيات المتقدمة وما كان مثلها خاص بالكفار المشركين ولا يدخل فيه احد من المؤمنين روى البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزالت في الكفار فحملوها على المؤمنين وفي رواية عن ابن عمر ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال أخوف ما أخاف على امتي رجل يتأول القرآن يضعه في غير موضعه فهو وما قبله صادق على هذه الطائفة ولو كان شئ مما صنعه المؤمنون من التوسل وغيره شركا ما كان يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وسلف الامة وخلفها ففي الاحاديث الصحيحة انه صلى الله عليه وسلم كان من دعائه اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وهذا توسل لاشك فيه وكان يعلم هذا الدعا أصحابه ويأمرهم بالاتباع به وبسط ذلك طويل مذكور في كتب السنة وفي الرسائل التي في الرد على ابن عبد الوهاب وصح عنه انه صلى الله عليه وسلم لما ماتت فاطمة بنت اسد ام علي رضى الله عنهما ألهدها صلى الله عليه وسلم في القبر بيده الشريفة وقال اخبر لامي فاطمة بنت اسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبيا الذين من قبلي انك ارحم الراحمين وصح عنه انه صلى الله عليه وسلم سأل الله ان يرده الله عليه بصره بدمائه فأمره بالطهارة وصلاة ركعتين ثم يقول اللهم اني أسألك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربى في حاجتي لتقضى اللهم شفعة في ففعل فرد الله عليه بصره وصح ان آدم عليه السلام توسل بنينا صلى الله عليه وسلم حين أكل من الشجرة لانه لما رأى اسمه صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش وعلى غرف الجنة وعلى جباه الملائكة سأل عنه فقال الله له هذا ولد من اولادك لولاه ما خلقتك فقال اللهم بحرمته هذا الولد ارح هذا الولد فنودي يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد في اهل السماء والارض لشفعناك وتوسل عمر بن الخطاب بالعباس رضى الله عنه لما استسقى للناس وغير ذلك مما هو مشهور فلا حاجة الى الاطالة بذكره والتوسل الذي في حديث الاعمى قد استعمله الصحابة والسلف بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وفيه لفظ يا محمد وذلك نداء عند التوسل ومن تتبع كلام الصحابة والتابعين يجد شيئا كثيرا من ذلك كقول بلال بن الحارث الصحابي رضى الله عنه عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله استسقى لامنك وكالنداء الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم عند زيارة القبور ومن ألف في الرد على ابن عبد الوهاب اكبر مشايخه وهو الشيخ محمد بن سليمان الكردى مؤلف حواشي شرح ابن حجر على متن بافضل فقال من حله السلام يا ابن عبد الوهاب اني انصحك لله تعالى ان تكف لسائلك عن المسلمين فان سمعت من شخص انه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله فعرفه الصواب وأبزه الادلة على انه لا تأثير لغير الله فان أبى فكفره حينئذ بخصوصه ولا سبيل لك الى تكفير السواد الاعظم من المسلمين

وانت شاذ عن السواد الاعظم فنسبة الكفر الى من شذعن السواد الاعظم أقرب لانه اتبع
غير سبيل المؤمنين قال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين
نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية اه واما زيارة
قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقد فعلها الصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم من السلف
والخلف وجاء في فضلها الحديث افردت بالتأليف ومما جاء في النداء لغير الله تعالى من غائب
وميت وجاد قوله صلى الله عليه وسلم اذا انفلتت دابة احدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد
الله احبسوا فان لله عبادا يحييونه وفي حديث آخر اذا أضل احدكم شيئا أو أراد عوننا
وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني وفي رواية أغثوني فان لله عبادا
لا ترونهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سافر فأقبل الليل قال يا أرض ربى وربك الله
وكان صلى الله عليه وسلم اذا زار القبور قال السلام عليكم يا أهل القبور وفي التشهد الذى
يأتى به كل مسلم في كل صلاة صورة النداء في قوله السلام عليك أيها النبي والحاصل
ان النداء والتوسل ليس فى شىء منهما ضرر الا اذا اعتقد التأثير لمان ناداه أو توسل به ومتى
كان معتقدا ان التأثير لله لا لغير الله فلا ضرر فى ذلك وكذلك اسناد فعل من الافعال لغير الله
بضر الا اذا اعتقد التأثير ومتى لم يعتقد التأثير فانه يحمل على المجاز العقلى كقوله نفعى هذا
الدواء أو فلان الولي فهو مثل قوله أشبعنى هذا الطعام وأروانى هذا الماء وشفانى هذا الدواء
فتى صدر ذلك من مسلم فانه يحمل على الاسناد المجازى والاسلام قرينة كافية فى ذلك
فلا سبيل الى تكفير أحد بشىء من ذلك ويكفى هذا الذى ذكرناه اجالا فى الرد على ابن
عبد الوهاب ومن أراد بسط الكلام فليرجع الى الرسائل المؤلفة فى ذلك وقد تلخصت ما فيها
فى رسالة مختصرة فليستظروها من أرادها ولما قام ابن عبد الوهاب ومن أعاناه بدعوتهم الخبيثة
التي كفروا بسببها المسلمين ملكوا قبائل الشرق قبيلة بعد قبيلة ثم اتسع ملكهم فملكوا اليمن
والحرمين وقبائل الحجاز وبلغ ملكهم قريبا من الشام فان ملكهم وصل الى المزيبريب وكانوا
فى ابتداء أمرهم أرسلوا جماعة من علمائهم الى الحرمين ظنا منهم انهم يفسدون عقائد علماء
الحرمين ويدخلون عليهم الشبهة بالكذب والمين فلما وصلوا الى الحرمين وذكروا العلماء
الحرمين عقائدهم وما تمسكوا به رد عليهم علماء الحرمين وأقاموا عليهم الحجج والبراهين التي
عجزوا عن دفعها وتحقق لعلماء الحرمين جهلهم وضلالهم ووجدوهم ضحكة ومخزرة كحمر
مستنقرة فرت من قسورة ونظروا الى عقائدهم فوجدوها مشتملة على كثير من المكفرات فبعد
ان أقاموا البرهان عليهم كتبوا عليهم حجة عند قاضى الشرع بمكة تتضمن الحكم بكفرهم بثلث
مبادئ ايشتهر بين الناس أمرهم فيعلم بذلك الاول والآخر وكان ذلك فى مدة اماره
الشريف مسعود بن سعيد بن زيد المتوفى سنة خمس وستين ومائة وألف وأمر
خمس اوائك الملمدة فحبسوا وفر بعضهم الى الدرعية فأخبرهم بما شاهدوا فازدادوا عتوا
واستكبارا وصار أمراء مكة بعد ذلك يمنعون وصولهم للحج فصاروا يغيرون على بعض
القبائل الداخلين تحت طاعة أمير مكة ثم انتشب القتال بينهم وبين أمير مكة مولانا الشريف
غالب بن مسعود بن سعيد بن زيد وكان ابتداء القتال بينهم وبينه من سنة خمس بعد

المائتين والالف ووقع بينهم وبينه وقائع كثيرة قتل فيها خلائق كثيرين ولم يزل أمرهم يقوى وبدعتهم تنتشر الى ان دخل تحت طاعتهم أكثر القبائل والعربان الذين كانوا تحت طاعة أمير مكة وفي سنة سبع عشرة بعد المائتين والالف ساروا بجيوش كثيرة حتى نازلوا الطائف وحاصروا أهله في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة ثم تملكوه وقتلوا أهله رجلا ونساء وأطفالا ولا نجاة لهم الا القليل ونهبوا جميع أموالهم ثم أرادوا المسير الى مكة فعملوا أن مكة في ذلك الوقت فيها كثير من الحجاج ويقدم اليها الحاج الشامي والمصري فيخرج الجميع لقتالهم فكشوا في الطائف الى أن انقضى شهر الحج وتوجه الحجاج الى بلادهم ساروا بجيوشهم يريدون مكة ولم يكن للشريف غالب قدرة على قتال جيوشهم فنزل الى جدة فخاف أهل مكة أن يفعل الوهابية معهم مثل ما فعلوا مع أهل الطائف فأرسلوا اليهم وطلبوا منهم الأمان لأهل مكة فأعطوهم الأمان ودخلوا مكة ثامن محرم من السنة الثامنة عشر بعد المائتين والالف ومكثوا أربعة عشر يوما يستتيبون الناس ويحددون لهم الاسلام على زعمهم وينعونهم من فعل ما يعتقدون انه شرك كالنوسل وزيارة القبور ثم ساروا بجيوشهم الى جدة لقتال الشريف غالب فلما أحاطوا بجدة رمى عليهم بالدفاع والقتل فقتل كثيرا منهم ولم يقدروا على تملك جدة فارتحلوا بعد ثمانية ايام ورجعوا الى بلادهم وجعلوا لهم عسكرا بمكة وأقاموا لهم أميرا فيها وهو الشريف عبدالمعين أخو الشريف غالب وانما قبل أمرهم ليرفق بأهل مكة ويدفع ضرر أوائك الاشرار عنهم وفي شهر ربيع الأول من السنة المذكورة سار الشريف غالب من جدة ومعه والى جدة من طرف السلطنة العلية وهو الشريف باشا ومعهم العساكر فوصلوا الى مكة وأخرجوا من كان بها من عسكر الوهابية ورجعت أماره مكة للشريف غالب ثم بعد ذلك تركوا مكة واشتغلوا بقتال كثير من القبائل وصار الطاييف بأيديهم وجعلوا عليه أميرا عثمان المضايقي فصار هو وبعض جنودهم يقاتلون القبائل التي في أطراف مكة والمدينة ويدخلونهم في طاعتهم حتى استولوا عليهم وعلى جميع الممالك التي كانت تحت طاعة أمير مكة فتوجه قصدهم بعد ذلك للاستيلاء على مكة فساروا بجيوشهم سنة عشرين وحاصروا مكة وأحاطوا بها من جميع الجهات وشدوا الحصار عليها وقطعوا الطرق ومنعوا الميرة عن مكة فاشتد الحصار على أهل مكة حتى أكلوا الكلاب لشدة الجلاء وعدم وجود القوت فاضطر الشريف غالب الى الصلح معهم وتأمين أهل مكة فوسط اناسا بينهم وبينهم ففقدوا الصلح على شروط فيها رفق بأهل مكة فمن تلك الشروط ان اماره مكة تكون له فتم الصلح ودخلوا مكة في أواخر ذي القعدة سنة عشرين وملكوا المدينة المنورة على ساكنيها أفضل الصلاة والسلام وانتهبوا الحجرة وأخذوا ما فيها من الاموال وفعلوا أفعالا شنيعة وجعلوا على المدينة اميرا منهم مبارك بن مضيان واستمر حكمهم في الحجاز سبع سنين ومنعوا دخول الحج الشامي والمصري مع المحامل مكة وصاروا يصنعون للكعبة المعظمة ثوبا من العباءة القيلان الاسود وأكرهوا الناس على الدخول في دينهم ومنعواهم شرب التبنك ومن فعل ذلك واطلعوا عليه عزروه بأقبح التعزير وهدموا القباب التي على قبور الاولياء وكانت الدولة العثمانية في تلك السنين في ارتباك كثير وشدة قتال مع النصاري وفي اختلاف

في خلع السلاطين وقتلهم كاستقف عليه ان شاء الله تعالى ثم صدر الامر السلطاني لصاحب
 مصر محمد علي باشا بالتجهيز لقتال الوهابية وكان ذلك في سنة ست وعشرين ومائتين والف
 فجهاز محمد علي باشا جيشا فيه عساكر كثيرة جعل عليهم بفرمان سلطاني ولده طوسون
 باشا فخرجوا من مصر في رمضان من السنة المذكورة ولم يزلوا سائرين برا وبحرا حتى
 وصلوا الى ينبع فلكوه من الوهابية ثم لما وصلت العساكر الى الصغرا والجديدة وقع بينهم
 وبين العرب الذين في الحربية قتال شديد بين الصغرا والجديدة وكانت تلك القبائل كلها
 في طاعة الوهابي وانضم اليها قبائل كثيرة فهزموا ذلك الجيش وقتلوا كثيرا منهم
 وانتهوا جميع ما كان معهم وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ست وعشرين ولم يرجع من ذلك
 الجيش الى مصر الا القليل فجهز جيشا غيره سنة سبع وعشرين وعزم محمد علي باشا على التوجه
 الى الحجاز بنفسه وتوجهت العساكر قبله في شعبان في غاية القوة والاستعداد وكان معهم
 من المدافع ثمانية عشر مدفعا وثلاثة قنابر فاستولت العساكر على ما كان بيد الوهابية وملكوا
 الصغرا والجديدة وغيرهما في رمضان بلا قتال بل بالمخادعة ومعانعة العرب باعطاء الدراهم
 الكثيرة حتى انهم اعطوا شيخ مشايخ حرب مائة الف ريال واعطوا شيخا من صغار مشايخ
 حرب ايضا ثمانية عشر الف ريال ورتبوا لهم علائق تصرف لهم كل شهر وكان ذلك
 كله بتدبير شريف مكة الشريف غالب وهو في الظاهر تحت طاعة الوهابي واما المرة الاولى
 التي هزموا فيها فلم يكونوا كاتبوا الشريف غالب في ذلك حتى يكون الامر بتدبيره ودخلت
 العساكر المدينة المنورة في اواخر ذي القعدة ولما جاءت الاخبار الى مصر صنعوا زينة ثلاثة
 ايام واكثر وامن الشك وضرب المدافع وارسلوا بشار للجميع ملوك الروم واستولت العساكر
 السائرة من طريق البحر على جدة في اوائل المحرم من سنة ثمانية وعشرين ثم طلعوا الى مكة واستولوا
 عليها ايضا وكل ذلك بلا قتال بتدبير الشريف غالب سرا ولما وصلت العساكر الى جدة فر من كان
 بمكة من عساكر الوهابية وامرائهم وكان سعود امير الوهابية حج في سنة سبع وعشرين ثم ارتحل
 الى الطائف ثم الى الدرعية ولم يعلم باستيلاء العساكر السلطانية على المدينة الا بعد ذلك ثم
 لما وصل الى الدرعية علم باستيلائهم على مكة ثم الطائف ولما وصلت العساكر الى جدة ومكة
 فر من الطائف اميره عثمان المضايقي وفر من كان بها من عساكر الوهابية وامرائهم وفي شهر
 ربيع الاول من سنة ثمانية وعشرين ارسل محمد علي باشا مبشرين الى دار السلطنة ومعهم مفاتيح
 وكتبوا اليهم انها مفاتيح مكة والمدينة وجدة والطائف فدخلوا بها دار السلطنة بموكب
 حافل ووضعوا المفاتيح على صفائح الذهب والفضة واما مهابا البخورات في مجامر الذهب
 والفضة وخلفهم الطبول والزمر وعلموا بذلك زينة وشنكا ومدافع وخلعوا على من جاء
 بالمفاتيح وزادوا في رتبة محمد علي باشا وبعثوا له اطواقا وعدة اطواخ بولايات لمن يختار
 تقليده وفي شهر شوال سنة ثمانية وعشرين توجه محمد علي باشا بنفسه الى الحجاز وقبل توجهه من
 مصر قبض الشريف غالب على عثمان المضايقي الذي كان اميرا على الطائف للوهابية وكان من
 اكبر اعوانهم وامرائهم فزنجره بالحديد وبعثه الى مصر فوصل في ذي القعدة بعد توجه
 الباشا الى الحجاز ثم ارسل الى دار السلطنة فقتلوه ووصل محمد علي باشا في ذي القعدة الى

مكة وقبض على الشريف غالب بن مساعد وبعثه الى دار السلطنة وأقام لشرافة مكة ابن
 اخيه الشريف يحيى بن سرور بن مساعد وفي شهر محرم من سنة تسع وعشرين بعثوا
 الى دار السلطنة مبارك بن مضيان الذي كان اميرا على المدينة المنورة للوهابية فطافوا به
 في القسطنطينية في موكب ليراه الناس ثم قتلوه وعلقوا رأسه على باب السرايا وفعل مثل
 ذلك بعثمان المضايقي واما الشريف غالب فأرسلوه الى سلاطيك وبقى بها مكرما الى أن توفي
 سنة احدى وثلاثين ودفن بها وبنى عليه قبة تزار وودة امارته على مكة ست وعشرون سنة ثم
 ان محمد علي باشا وجه كثيرا من العساكر الى تربة وبشة وبلاد غامد وزهران وبلاد
 عسيرة لقتال طوائف الوهابية وقطع دارهم ثم سار بنفسه في اثرهم في شعبان سنة تسع
 وعشرين ووصل الى تلك الديار وقتل كثيرا منهم وامر كثيرا وخرّب ديارهم وفي شهر
 جادى الاولى سنة تسع وعشرين هلك سعود امير الوهابية وقام بالملك بعده ولده عبدالله
 ورجع محمد علي باشا من تلك الديار التي وصلها من ديار الوهابية عند اقبال الحج وحج
 ومكث بمكة الى رجب سنة ثلاثين ثم توجه الى مصر وترك بمكة حسن باشا ووصل الباشا
 الى مصر منتصف رجب سنة ثلاثين ومائتين والف فتكون اقامته بالبحر سنة وسبعة اشهر
 ومارجع الى مصر الابد ان مهدامورا الحجاز وأباد طوائف الوهابية التي كانت منتشرة في
 جميع قبائل الحجاز والشرق وبقى منهم بقية بالدرعية اميرهم عبدالله بن سعود فجهاز محمد علي
 باشا لقتاله جيشا وأرسله تحت قيادة ابنه ابراهيم باشا وكان عبدالله بن سعود قبل ذلك
 تكانب مع طوسون باشا بن محمد علي باشا حين كان بالمدينة وعقد معه صلحا على بقاء امارته
 ودخوله تحت طاعة محمد علي باشا فلم يرض محمد علي باشا بهذا الصلح فجهاز ولده ابراهيم
 باشا وجعل امر العساكر اليه وكان ابتداء ذلك في اواخر سنة احدى وثلاثين فوصل
 الى الدرعية سنة اثنين وثلاثين ونازل بجيوشه عبدالله بن سعود ووقع بينهما وقائع وحروب
 يطول ذكرها الى أن استولى على عبدالله بن سعود في ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثين ولما جائت
 الاخبار الى مصر ضرب بوالذالك الف مدفوع وفعلوا شنكا وزينوا مصر وقراها سبعة ايام
 وكان محمد علي باشا له اهتمام كبير في قتال الوهابية وأنفق في ذلك خزائن من الاموال حتى
 أخبر بعض من كان يباشر خدمته انهم دفعوا في دفعة من الدفعات لاجرة تحميل بعض
 الذخائر خمسة واربعين الف ريال هذا في مرة من المرات كان ذلك الحمل من البنيع الى المدينة
 عن اجرة كل بعير ستريال دفع نصفها امير بنيع والنصف الآخر امير المدينة عند وصول
 الحمل ثم من المدينة الى الدرعية كان اجرة تلك الحملة فقط مائة واربعين الف ريال وقبض
 ابراهيم باشا على عبدالله بن سعود وبعث به وكثير من امرأته الى مصر فوصل في سابع عشر
 محرم سنة اربع وثلاثين وصنعوا له موكبا حافلا يراه الناس وأركبوه على هجين وازدحم
 الناس للتفرج عليه ولما دخل على محمد علي باشا قام له وقبلة بالبشاشة وأجلسه بجانبه وحادثه
 وقال له الباشا ماهذه المطاولة فقال الحرب مجال قال وكيف رأيت ابني ابراهيم باشا قال
 ما فسر وبذل همته ونحن كذلك حتى كان ما قدره الله تعالى فقال له الباشا انا أترجى فيك عند
 مولانا السلطان فقال المقدر يكون ثم ألبسه خلعة وانصرف الى بيت اسماعيل باشا ببولاق

وكان بصحبة عبد الله بن سعود صندوق صغير مصفح فقال له الباشا ما هذا فقال هذا اما اخذه
ابن من الحجره اصحبه معي الى السلطان فأمر الباشا بفتح فوجدوا فيه ثلاثة مصاحف من
خزائن الملوك لم ير الراءن أحسن منها ومعها ثلاثمائة حبة من اللؤلؤ الكبار وحبة زمرد
كبيرة وشريط من الذهب فقال له الباشا الذي أخذتموه من الحجره اشياء كثيرة غير هذا فقال
هذا الذي وجدته عند ابني فانه لم يستأصل كل ما كان في الحجره لنفسه بل أخذ كذلك كبار
العرب وأهل المدينة واغارات الحرم وشريف مكة فقال الباشا صحيح وجدنا عند الشريف
اشياء من ذلك ثم أرسلوا عبد الله بن سعود الى دار السلطنة ورجع ابراهيم باشا من الحجاز
مصر في شهر المحرم من سنة خمس وثلاثين بعد ان أخبر الدرعية خرابا كلياً حتى
تركوا سكنها ولما وصل عبد الله بن سعود الى دار السلطنة في شهر ربيع الاول طافوا به
الى بلد ليراه الناس ثم قتلوه عند باب همايون وقتلوا اتباعه ايضا في نواحي متفرقة هذا حاصل
ما كان في قصة الوهابية بقاية الاختصار ولبسط الكلام في كل قضية لطال وكانت فتنتهم
من المصائب التي اصاب بها اهل الاسلام فانهم سفكوا كثيرا من الدماء وانهبوا كثيرا
من الاموال وعم ضررهم وتطايروا شرهم فلاحول ولا قوة الا بالله وكثير من احاديث النبي
صلى الله عليه وسلم فيها التصريح بهذه الفتنة كقوله صلى الله عليه وسلم يخرج أناس من
قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية سيماهم
التخليق وهذا الحديث جابر روايات كثيرة بعضها في صحيح البخاري وبعضها في غيره لا حاجة
الي الاطالة بنقل تلك الروايات ولذا ذكر من خرجها لانها صحيحة مشهورة فبني قوله
في التخليق تصريح بهذه الطائفة لانهم كانوا يأمرؤن كل من اتبعهم أن يخلق رأسه
ولكن هذا الوصف لاحد من طوائف الخوارج والمبتدعة الذين كانوا قبل زمن هؤلاء وكان
السيد عبد الرحمن الاهدل مفتي زبيد يقول لا حاجة الى التأليف في الرد على الوهابية بل يكفي
الرد عليهم قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم التخليق فانه لم يفعله احد من المبتدعة غيرهم
اتفق مرة ان امرأة أقامت الحجة على ابن عبد الوهاب لما أكرهوها على اتباعهم ففعلت
ها ابن عبد الوهاب ان يخلق رأسها فقالت له حيث انك تأمر المرأة بخلق رأسها ينبغي لك
من الرجل بخلق لحية لان شعر رأس المرأة زينتها وشعر لحية الرجل زينته فلم يجدها
جوابا وبما كان منهم انهم ينعون الناس من طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم مع ان
احاديث شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم لامته كثيرة متواترة واكثر شفاعته لاهل الكبار
من امته وكانوا ينعون من قراءة دلائل الخيرات المشتملة على الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم وعلى ذكر كثير من اوصافه الكاملة ويقولون ان ذلك شرك ويمنعون من الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم على المنائر بعد الاذان حتى ان رجلا صالحا كان اعمى وكان مؤذنا وصلى
على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الاذان بعد ان كان المنع منهم فأتوا به الى ابن عبد الوهاب
فأمر به أن يقتل فقتل ولو تبعت لك ما كانوا يفعلونه من أمثال ذلك للمأت الدفاتر والاوراق
وفي هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى اعلم

* *

ذكر قتل الصناجق المماليك المتغلبين على مصر

اعلم أن المماليك المذكورين كانوا متغلبين على مصر فلما تمكن محمد علي باشا من المماليك المصرية احتال عليهم وقتلهم سنة ست وعشرين ومائتين والف وكانوا هم وعساكرهم واتباعهم كثيرين وما زالوا يمارضون محمد علي باشا في كثير من شؤنه وهويداهنهم ويتحذرون منهم فلما جاء الامر السلطاني بتوجهه الى الجواز لمحاربة الوهابي طلب من الدولة ان يأتيه فرمان بولاية ولده طوسون باشا صارى عسكر على العساكر التي يريد ان يرسلها الى الجواز فجاءه فرمان سلطانى بذلك فجعل ذلك وسيلة الى جمع الصناجق وعساكرهم في القلعة لقراءة القرمان المذكور وخروجهم بالالاي الخافل مع ابنه المذكور الى العرضي الخارج للحجاز المنتصب خارج مصر عند قبة العزب فنبه على العساكر الصناجق في الحضور الى القلعة في الثالث من شهر صفر في الساعة الرابعة من النهار ورتب في القلعة عساكر خاصة به وجعلهم في الابراج والمكان التي في القلعة وامر البواب للقلعة انهم اذا استكمل دخولهم يغلّق الباب وامر العساكر الخاصة به الذين رتبهم في القلعة ان يقتلوا كل من دخل منهم بعد غلق باب القلعة ففعلوا ذلك وصار القتل فيهم من وقت الضحى الى غروب الشمس فقتل منهم خلقا كثيرا ثم تتبع البساقين منهم في مصر وبقية الارياق بالقتل حتى ابادهم عن آخرهم وذلك شيء كثير وعدد وفير والقصة طويلة لكن هذا حاصلها وتم له انتظام ملكه من غير معارض بعد ان قتلهم وكانت ولايته مصر سنة عشرين واستمر فيها الى سنة اربع وستين ومائتين والف وكان في الاصل من العساكر الذين جاؤا مع يوسف باشا لما اخرج الفرنسي من مصر سنة ست عشرة واصله من بلاد كسولة وجنسه من الارنوط فلما كانت محاربة يوسف باشا للفرنسي قاتل مع من قاتل واشتهر بالشجاعة في تلك الحروب ثم ترقى في مدة قصيرة الى رتبة قائم مقام الى ان تقلد زمام احكام الديار المصرية سنة تسع عشرة ومائتين والف ولما خرج الفرنسي من مصر ودخلها يوسف باشا ثم سافر يوسف باشا واقامت الدولة وزيرا لمصر واليا عليها الوزير محمد خسرو باشا واستمر الى المحرم سنة ثمانية عشر فوقع بينه وبين العساكر فتنة بسبب طلب مرتباتهم وجباكيهم واتسعت الفتنة حتى اخرجوا الوزير المذكور من مصر واتفقوا على تولية طاهر باشا قائم مقام بمصر الى ان يأتي الامر من الدولة بتولية غيره فألبسه القاضي فرواسمورا وكان الرئيس الثائر في تلك الفتنة محمد علي باشا ثم بعد ستة وعشرين يوما ناروا على طاهر باشا فقتلوه وكان قد حضر من دار السلطنة الى مصر احمد باشا واليا على المدينة المنورة فولاه اهل مصر عليهم بعد قتل طاهر باشا فلم يدعن لذلك محمد علي وقال ان احمد باشا لم يكن واليا على مصر وانما هو وال على المدينة المنورة وانما ولينا قبله طاهر باشا لكونه كان محافظا لاديار المصرية من الدولة العلية فله شبهة في التولية واما احمد باشا فليس له تعلق بمصر فهو يخرج خارج مصر ونجهزه بالعساكر ويتوجه الى محل ولايته ثم اشتدت الفتنة وانتشرت بين العساكر الى ان اخرجوا احمد باشا فكانت مدة ولايته بمصر يوما وليلة ثم نادى مناد بتسكين الناس وتأمينهم وان الامر يكون لبراهيم بك كبير الصناجق وحاكم الولاية وأشركوا معه

محمد علي وقبضوا على الدفتر دار وقطعوا رأسه ثم قامت العساكر على ابراهيم بك لطلب
جسواكهم وانشرت الفتنة وأرا دوا قتل ابراهيم بك ونهبوا داره فهرب فقوى امر
محمد علي وصار الحل والعقد بيده ثم جاءت الاخبار من دار السلطنة بولاية مصر لاجد باشا
خورشيد جاكم الاسكندرية ووصل الى مصر في ذي الحجة سنة ثمانية عشر وبعد وصوله
طلب من الناس اموال اجزيلة تكون محملة عما يلزم الناس من خراج مصر فاشتد الامر على
الناس وارتفعت الاسعار وأغلقت الدكاكين والاسواق واجتمع الاطفال بالجامع الازهر
وصعدوا الى المنائر يصرخون ويتضرعون ويقولون بالطفيف فسمعهم الباشا وهو
في القلعة فأرسل الى نقيب الاشراف ان انا قدر فطنا عن الناس ما كنا طلبناه واما ابراهيم بك
ومن معه من الامراء الذين أخر جوههم من مصر فانهم جمعوا جسوعا من الارياض وجاءوا
لقتل الباشا ومن معه بمصر فخرج اليهم بالعساكر ووقع القتال واشتد الامر وتقطعت الطرق
وشرح ذلك كله بطول ثم جاء امر من الدولة لمحمد علي بولاية جدة فألبسه الباشا فروا ولما خرج
يريد الركوب ثارت على محمد علي العساكر وطلبوا منه العلوفة فقال لهم ها هو الباشا عندكم وركب
هو الى داره وصار ينثر الذهب على الناس في الطريق وأمسك العساكر اجد باشا ومنعه من
الركوب الى بعد المقرب ثم لطفهم وركب واشيع بين الناس انهم حبسوه وهو قد ذهب الى القلعة
ثم اشيع انه يريد وضع فردة على الناس فهاج الناس واجتمع كثير من الناس عند بيت القاضي
وصاروا يصرخون بقولهم شرع الله بيننا وبين هذا الباشا لظلم ومنهم من يقول يا متجلى اهلك
العثماني ومنهم من يقول حسبنا الله ونعم الوكيل ومنهم من يقول لا نريد هذا الباشا حاكما علينا
لا بد من عزله وذهبوا الى بيت محمد علي يقولون ذلك فقال لهم ومن تريدون ان يكون واليا
عليكم فقالوا لا نرضى الا بك لما نوسم فيك من العدالة والخير فانزع اولاً ثم رضى فأحضروا
له كرعا وقام السيد عمر مكرم نقيب الاشراف والشيخ الشرفاوى فألبسوا نادوا بذلك
في البلد وذلك يوم الاثنين سادس صفر سنة عشرين ومائتين والفا نادوا في مصر بولايته
وأرسلوا الخبر الى اجد باشا فقال اني متول من السلطان فلا عزل بامر الفلاحين ولا ازل
من القلعة الا بامر السلطان فكتب الناس سؤالا وكتب عليه المقاتي وحكموا بعزله وصحة
تولية محمد علي باشا وحضروا في بيت القاضي فحكم بمقتضى ذلك واستمر اجد باشا في القلعة
وأراد الحرب والقتال مع اهل مصر فحاصروه في القلعة اياما الى ان أخرجه منها وحصل
بينه وبين العلماء كلام كثير وقال لهم كيف تعزلون من ولاء السلطان عليكم وقد قال الله تعالى
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فقالوا له ألو الامر هم العلماء وجرت العادة من القديم
ان اهل البلد يعزلون الولاية حتى السلطان اذا جاز عليهم يخلفونه والقصة طويلة جدا بطول
الكلام بذكرها وطال الامر بينهم الى ان جاء الامر السلطاني بولاية محمد علي باشا وقرار
ما فعله العلماء واهل مصر في شهر ربيع الثاني فتم الامر لمحمد علي باشا حتى كان من امره
ما كان واكثر ما تقدم ذكره من القيام على الباشوات الذين تولوا مدة هذه الفتنة كان بتدبير
محمد علي باشا وترتيبه ولم يزل في ترق وعلو وارتقاع حتى حارب السلطان محمود وملك
عكا والشام فلما توفي السلطان محمود انعم الصلح بينه وبين السلطان عبد المجيد سنة خمس

وخسين ومائتين وألف وترك الشام والجزاز وأعطوه ولاية الاقطار المصرية مؤبدة له ولولاذه
وجملوا عليه خراجا معلوما يدفعه كل سنة واستمر الى سنة اربع وستين فأصابه مرض اختل
به عقله فولى ابنه ابراهيم باشا في حياة ابيه فكانت مدة ولاية محمد علي باشا نحو خمس واربعين
سنة واستمر ابنه ابراهيم باشا نحو سنة ثم توفي فولى عباس باشا بن طوسون باشا بن محمد علي
باشا واستمر الى سنة سبعين فتوفي مقتولا ثم ولي سعيد باشا بن محمد علي باشا وتوفي سنة تسع
وسبعين ثم ولي اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا بن محمد علي باشا وخلع سنة ست وتسعين وولى ابنه محمد
توفيق باشا وهو الموجود الآن وانما ذكرنا هذا كله استطرادا تنجيما للفائدة ليتصل الكلام به مضه

ذكر استيلاء الفرنسيين على مصر

كانت مصر قبل ان تملكها الدولة العثمانية بيد ملوك الجراكسة وكان لهم كثير من الممالك الذين
هم ايضا من الجراكسة ومن غيرهم من الترك فلما تملك الدولة العثمانية مصر لم تزل الممالك باقية
وفي كل وقت يزدادون حتى بلغوا غاية الكثرة وكان منهم امرء ورؤساء فصارت لهم عصبية قوية
فتغلبوا على الاملاك والاراضي والاطيان والمحصولات والخراجات والجمارك وكانوا اذا
الباشا المتولى على مصر من الدولة العلية يتقادون له في الظاهر وفي الباطن هم متغلبون فكانوا
يقونه اذا أرادوا ويعزلونه اذا أرادوا ولا يصل الى الدولة العلية من محصولات مصر
الا القليل والباقي بأيديهم وكان لهم رؤساء وعلى الجميع أمير كبير تحت أمر الوزير المتولى من
السلطنة صورة وظاهرا فقط فلما تغلبوا هذا التغلب كثر منهم الظلم والعدوان على المسلمين
 وغيرهم من طوائف النصراني واليهود فباعدون كثيرا عليهم لاسيما على تجارهم فكانت الدولة
 العلية مشتغلة عنهم بكثرة الحرب مع النصراني فطمع الفرنسيين في تلك مصر وأبعاد هؤلاء
 الممالك المتغلبين وأوهموا على المسلمين انهم انما يريدون تخليص مصر منهم وبقاء الحكم فيها
للدولة العلية فجهاز الفرنسيين عليها جيوشه بالسرا والكتبان من غير اطلاع أحد على ذلك
وجاءهم بغتة فملكها على الوجه الآتي ذكره وكان ذلك في شهر المحرم سنة ثلاث عشرة
ومائتين وألف وكان الوزير المتولى على مصر من السلطنة العلية في تلك السنة هو أبو بكر
باشا الطرابلسي كانت ولايته من سنة احدى عشرة ومائتين وألف وكان للممالك المتغلبين
على مصر أميران رئيسان على جميعهم وهما ابراهيم بك ومراد بك كان تحت طوعهما
جميع الصناجق والعساكر فلما شاعت الاخبار بقدوم الفرنسيين للاستيلاء على مصر خرج
من مصر الوزير المتولى من السلطنة العلية وهو أبو بكر باشا المتقدم ذكره وتوجه الى غزة ثم
منها الى دار السلطنة توجه من مصر يوم السبت سابع شهر صفر من السنة المذكورة وبقيت
مصر بيد ابراهيم بك ومراد بك وصناجقهما والأمرء والعساكر التي تحت أيديهما
وكان أهل مصر عند خروج أبي بكر باشا من مصر وقبل خروجه بأيام يسمعون ان
من سفير الفرنسيين الى تلك مصر ولم يقفوا على حقيقة فلما كان العشرون من المحرم من سنة
ثلاث عشرة ومائتين وألف وصلت مراكب للفرنسيين مشحونة بالعساكر وآلات الحرب
وتقاتل من كان فيها من العساكر مع أهل الاسكندرية ولم يكن أهل الاسكندرية مستعدين

اقتتلهم فلم يقدرُوا على دفعهم لاسيما وقد جاؤهم بغتة فقاتلوهم قليلا ثم طلبوا الامان منهم
 فأمنوهم ودخلوا الاسكندرية وملكوها فلما جاء الخبر الى مصر أخذ ابراهيم بيك ومراد
 بيك في الاستعداد لهم وأبرز ا جيشا من العسكر الى موضع يقال له الجسر الأسود وأخرجوا
 المدافع وآلات الحرب واضطربت الناس بمصر وكثر الهرج والمرج وتقطعت الطرق
 وارتفع السعر وكثر السراق ثم جاءهم مكتوب من الفرنسيس فيه بسم الله الرحمن الرحيم
 لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك له في ملكه وبعد ذلك كلام كثير من جلته انى أعبد الله
 واحترم نبيه والقرآن العظيم وأنهم مسلمون (يعنون أنفسهم) مخلصون واثبات ذلك انهم
 زلوا في رومية الكبرى وخربوا فيها كرسى البابا الذى كان دائما يحث النصارى على
 محاربة أهل الاسلام ثم قصدوا مدينة مالطة وطردها منها الذين كانوا يزعمون ان الله تعالى
 يطلب منهم مقاتلة أهل الاسلام وكل ذلك من الكلام الذى يوهمون به على أهل الاسلام
 انهم موحدون لله تعالى وانهم يحبون أهل الاسلام ويحبون سلطانهم وانما جاؤا
 لاجرة سلطان الاسلام وابعاد الممالك المتغلبين على ممالكهم ودفع ظلمهم عن الرعية ومن جملة
 ذلك الكتاب خطابا للمسلمين وما جئتمكم لازالة دينكم وانما قدمت اليكم لاخلص حقكم
 من يد الظالمين الصناجق الممالك الذين يتسلطون في البلاد المصرية ويعاملون الملة الفرنسية
 بالذل والصغار ويظلمون تجارهم ويؤذونهم بأنواع الايذاء والتعدي ويأخذون أموالهم
 ويفسدون في الاقليم الحسن الا حسن الذى لا يوجد في كرة الارض كلها مثله فأما رب العالمين
 القادر على كل شئ فانه قد حكم بانقضاء دولتهم وانى أعبد الله سبحانه أكثر
 من الممالك واحترم نبيه والقرآن العظيم وقولوا لهم ان جميع الناس متساوون عند الله تعالى
 وان الشئ الذى يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط وبين الممالك
 والعقل والفضائل تضارب فاذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا أن يملكوا مصر
 وحدهم ويختصوا بكل شئ أحسن فيها من الجوارى الحسان والخيول العتاق والمساكن
 المفرحة فان كانت الارض المصرية التزاما للممالك فليرونا الحجة التى كتبها الله لهم ولكن
 رب العالمين رؤوف وعادل وحليم ولكن بعونه تعالى من الآن فصاعدا لا يأس أحد من
 مصر عن الدخول في المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العلية فالعلماء والفضلاء
 منهم سيدبرون الأمور وبذلك يصلح حال الامة كلها وسابقا كان فى الاراضى
 المصرية المدن العظيمة والجلجان الواسعة والتجارت الكثيرة وما أزال ذلك كله الا الظلم والطمع
 من الممالك أيها المشايخ والقضاة والائمة وأعيان البلد قولوا لا متكم ان الفرنسية هم
 أيضا مسلمون مخلصون ومع ذلك فالفرنساوية فى كل وقت من الاوقات صاروا محبين
 مخلصين لحضرة السلطان العثمانى وأعداء أعدائه أدام الله ملكه ومع ذلك ان الممالك
 سئوا من اطاعة السلطان غير متمثلين لأمره فما أطاعوا أصلا الا لطمع أنفسهم طوبى
 لى لا هالى مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير فيصلح حالهم وتعلم مراتبهم طوبى أيضا
 للذين يقعدون فى مساكنهم غير مائلين لأحد الفقريين المتبحر بين فاذا عرفونا بالأكثر
 ساروا بنا بكل قلب لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون على الممالك فى محاربتنا فلا

يحدون بعد ذلك طريقا الى الخلاص ولا يبق منهم أثر وان جميع القرى الواقعة في دائرة
 قرية ثلاث ساعات عن المواضع التي يمر بها عسكر الفرنساوية فواجب عليها ان ترسل
 للمر عسكر من عندها وكلاء كما يعرف المشار اليه انهم أطاعوا وانهم نصبوا علم الفرنساوية
 الذي هو أبيض وأحمر وان كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوي تحرق بالنار
 وان كل قرية تطيع العسكر الفرنساوي أيضا تنصب صنابح السلطان العثماني محبنا دام
 بقاؤه والواجب على المشايخ والعلماء والقضاة والأئمة انهم يلازمون وظائقهم وعلى كل
 أحد من أهالي البلدان يبق في مسكنه مطمئنا وتكون الصلاة تامة في الجوامع على العادة
 والمصريون بأجدهم ينبغي أن يشكروا الله تعالى على انقضاء دولة المماليك قائلين بصوت
 عال أدام الله اجلال السلطان العثماني أدام الله اجلال العسكر الفرنساوي لعن الله المماليك
 وأصلح حال الأمة المصرية وعلى المشايخ في كل بلد ان يجمعوا حالا على جميع الارزاق
 والبيوت والاملاك التي للمماليك وعليهم الاجتهاد التام ان لا يضيع ادنى شيء منها
 وفي التاسع والعشرين من محرم قدموا الى مصر فاستقبلهم عسكر مصر عند الرجانية وهزموا
 الى الجيزة ولتقوا عند بشقيل وحصلت مقتلة عظيمة وقدر الله ان المسلمين هزموا ففر مراد
 بيك ومن معه الى الصعيد وفر ابراهيم بيك ومن معه في البر الشرقي الى الشام وقيل لم يقع
 قتال كثير وانما هي مناوشة من طلائع العساكر بحيث لم يقتل الا القليل من الفريقين وكانت
 مراكب في البحر لمراد بيك فاحترقت بما فيها من الجحانة والآلات الحربية واحترق بها
 رئيس الجحينة واحترق ما فيها من الخنثاريين فلما كان ذلك في سابع شهر رجب وروى
 منهزما وترك الاثقال والمدافع التي في البر وتبعته العساكر وركب ابراهيم بيك الى ساحل
 بولاق ظرف البر الشرقي ورجع الناس منهزمين طالبين مصر فاجتمع الباشا والعلماء ورؤس
 الناس يتشاورون في هذا الحادث العظيم فانفق رأيهم على عمل متاريس من بولاق الى شبرا
 ويتولى الإقامة ببولاق ابراهيم بيك وكشافه ومماليكه وقد كانت العلماء عند ابتداء هذا الحادث
 تجتمع بالازهر كل يوم ويقرؤون البخاري وغيره من الدعوات وكذلك مشايخ الطرائق
 وأتباعهم وكذا أطفال المكاتب ويذكرون الاسم اللطيف وغيره من الاسماء ويوم الاثنين
 حضر مراد بيك الى برانابة وشرع في عمل متاريس هناك ممتدة الى بشقيل وتولى ذلك
 هو وصنابحه وأمرؤه وكان معه في ذلك علي باشا الطرابلسي ونصوح باشا وأحضروا
 المراكب الكبار والغلايين التي انشاها بالجيزة وأوقفها على ساحل انبابة وشحنها بالعساكر
 والمدافع فصار البر الغربي والشرقي مملوءين بالعساكر والمدافع والمتاريس والخيالة والمشاة
 ومع ذلك فقلوب الامراء لم تطمئن بذلك فانهم من حين وصول الخبر الاول لهم من الاسكندرية
 شرعوا في نقل أمتعتهم من البيوت الكبار المشهورة المعروفة الى البيوت الصغار التي
 لا يعرفها أحد واستمروا طول الليالي ينقلون الأمتعة ويوزعونها عند معارفهم وثقاتهم
 وأرسلوا البعض منها لبلاد الارياف وأخذوا ايضا في تشهيل الاحمال واستحضار دواب
 للشيل واسباب الارتحال فلما رأى أهل البلد منهم ذلك داخلهم الخوف الكثير والفرع
 واستعد الاغنياء وأولو المقدرة للهرب ولولا ان الامراء منعوهم من ذلك لما بقي عسكر منهم

أحد وفي يوم الثلاثاء نادوا بالنفير العام وخروج الناس للمتناريس فأغلق الناس الدكاكين
 والأسواق وخرج الجميع لبولاق فكانت كل طائفة من طوائف أهل الصناعات يجمعون
 الدراهم من بعضهم ويتصبون لهم خياما أو يجلسون في مكان خراب أو مسجد ويرتبون
 أمرهم فينصرف لهم ما يحتاجون إليه من الدراهم التي جموها ويجعلون قیما عليهم مباشر
 ذلك وبعض الناس يتطوع على بعض في الانفاق ومن الناس من يجهرز جماعة من المغاربة
 والشوام بالسلاح والاكل وغير ذلك بحيث ان جميع الناس بذلوا وسعهم وفعلوا ما في قوتهم
 وطاقاتهم وسحت نفوسهم بانفاق اموالهم فلم يشخ احد في ذلك الوقت بشئ مما يملكه ولكن لم يسعهم
 الدهر وخرجت الفقراء وأرباب الاشرار بالطبول والزمرو والاعلام والكلمات وهم
 يصيحون ويصيحون بأذكار مختلفة وصعد السيد عمر مكرم نقيب الاشراف الى القلعة
 فأخرج بيرقا كبيرا سمته العامة بيرق النبي صلى الله عليه وسلم فشره بين يديه من القلعة
 الى بولاق وأمامه وحوله ألوف من العامة بالنبايت والعصى يهللون ويكبرون ويكثرون
 من الصياح ومعهم الطبول والزمور وغير ذلك واما مصرفانها صارت خالية الطرق لا تجد
 النساء في البيوت وضعفاء الرجال الذين لا يقدر على الحركة وغلا سعر البارود
 جدا بحيث بيع الرطل البارود بستين نصفا والرصاص بتسعين نصفا وغلا جنس
 انواع السلاح وقل وجوده وخرج معظم الرعايا بالنبايت والعصى والمساق وجلس
 مشايخ العلماء بزواوية على بيك بولاق يدعون ويتهللون الى الله تعالى بالنصر وأقام غيرهم
 من الرعايا بالبيوت والزوايا والخيام ومحصل الامر ان جميع من بمصر من الرجال تحول الى
 بولاق وأقام بهما حين نصب ابراهيم بيك العرضى هناك الى وقت الهزيمة سوى القليل
 من الناس الذين لا يجدون لهم مكانا ولا مأوى فيرجعون الى بيوتهم يبيتون بهائم يصيحون
 الى بولاق وأرسل ابراهيم بيك الى العربان المجاورة لمصر ورسم لهم ان يكونوا من المقدمة
 بنواحي شبرا وما والاها وكذلك اجتمع عند مراد بيك الكثير من عرب البحيرة والجيزة
 والصعيد والخيرية والقيعان واولاد على والقناوية وغيرهم وفي كل يوم يتزايد الجمع
 ويعظم الهول ويضيق الحال بالفقراء الذين يحصلون اقواتهم يوما فيوما لتعطل الاسباب
 واجتماع الناس كلهم في صعيد واحد وانقطعت الطرق وتعدى الناس بعضهم على بعض
 لعدم التفات الحكام واشتغالهم بما دهمهم وكذلك العرب أغارت على الاطراف والنواحي
 وقامت الارياض على ساق يقتل بعضهم بعضا وينهب بعضهم بعضا وصار قطر مصر من اوله
 الى آخره في قتل ونهب واخافة طريق وقيام شروغارة على الاموال وافساد المزارع
 وغير ذلك من انواع الفساد الذي لا يحصى وطلب امراء مصر تجار الافرنج الذين بمصر
 وحبسوهم في القلعة وفي بعض اماكن غير القلعة من بيوت الامراء وصاروا يفتشون في محلات
 الافرنج على الاسلحة وغيرها وكذلك يفتشون بيوت النصارى الشوام والاقباط والاروام
 والكنائس على الاسلحة والعامة لا ترضى الا ان يقتلوا النصارى واليهود فيمنعهم الحكام
 عنهم واولا ذلك المنع لقتلتهم العامة وقت هذه الفترة ثم في كل يوم تكثر الاشاعة بقرب
 الفرنسيين الى مصر وتختلف الناس في الجهة التي يجيئون منها فمنهم من يقول انهم واصلون

من البر الغربي ومنهم من يقولون من الشرق ومنهم من يقول بل يأتون من الجهتين
وليس لأحد من الأمراء همة أن يبحث جاسوسا أو طليعة تناسل وشهم القتال قبل قربهم
ووصولهم إلى فناء المصر بل كل من إبراهيم بيك ومراد بيك جمع عساكره ومكث في
مكانه لا ينتقل عنه ينتظر ما يفعل بهم وليس هناك قلعة ولا حصن ولا معقل وهذا من سوء
التدبير وإهمال أمر العدو ولما كان يوم الجمعة سادس شهر صفر وصل الفرنسيين
إلى الجسر الأسود وأصبح يوم السبت فوصل أمدينار فعندها اجتمع العالم العظيم من الجند
والرعايا والفلاحين والمجاورة بلادهم لمصر ولكن الأجناد متنافرة قلوبهم منحلة عزائمهم
مختلفة آراءهم حريصون على حياتهم وتنعمهم ورفاهيتهم مختالون في ريشهم مغترون بحجمهم
محتقرون شأن عدوهم مرتبكون في رؤيتهم مغمورون في غفلتهم وهذا كله من اسباب ما وقع
من خذلانهم وهزيمتهم وقد كان الظن بالفرنسيين أن يأتوا من البرين بل أشيع ذلك فلم يأتوا
إلا من البر الغربي ولما كان وقت القيلولة ركب جماعة من العساكر التي بالبر الغربي وتقدموا إلى
ناحية بشقيل بلد مجاورة لآبابة فلاقوا مع مقدمة الفرنسيين فكروا عليهم بالخيول فضربهم
الفرنسيين ببنادقهم المتتابعة الرمي وأبلى الفريقان وقتل أيوب بيك الذي فتردار وكثير من
كشاف محمد بيك الألفي ومما يليكهم وتبعهم طابور من الأفرنج نحو الستة آلاف وكان رئيسهم
الكبير بونابارته لكنهم لم يشهد الواقعة بل حضر بعد الهزيمة كان بعيدا عن هؤلاء بكثير ولما
قرب طابور الفرنسيين من متاريس مراد بيك ترمى الفريقان بالمدافع وكذلك العسكر
المحاربون البحرية وحضر عدة وافرة من عساكر الأرنؤوط من دمياط وطلوعوا إلى آبابة
وانضموا إلى المشاة وقاتلوا معهم في المتاريس فلما عاين وسمع عسكر البر الشرقي القتال ضج
العامة والغوغا من الرعية وإخلاط الناس بالصياح ورفعوا الأصوات بقولهم يارب بالطيف
ويا رجال الله ونحو ذلك وكانهم يقاتلون ويحاربون بصياحهم فكان العقلاء من الناس
يأمر ونهم بترك ذلك ويقولون لهم إن الرسول والصحابة والمجاهدين إنما كانوا يقاتلون
بالسيف والحرب وضرب الرقاب لا يرفع الصوت والصراخ والنياح فلا يستمعون ولا
يرجعون عما هم فيه ومن يقرأ ومن يسمع وركب طائفة كبيرة من الأمراء والأجناد من العرضي
الشرقي ومعهم إبراهيم بيك الوالي وشرعوا في التعدي إلى البر الغربي في المراكب فتراحوا
على المعادى لتكون التعدي من محل واحد والمراكب قليلة جدا فلم يصلوا إلى البر الآخر حتى
وقعت الهزيمة على المحاربين هذا والرياح العاصفة قد اشتد هبوبها وأمواج البحر في قوة
اضطرابها والرمال يعلو غبارها وتسفها الرياح في وجوه المصريين فلا يقدر أحد أن يفتح
عينيه مع شدة الغبار وكون الرياح من ناحية العدو وذلك من أعظم أسباب الهزيمة كما هو منصوص
عليه ثم إن الطابور الذي تقدم لقتال مراد بيك انقسم على تراتيب معلومة عندهم في الحرب
وتقارب من المتاريس بحيث صار محيطا بالعسكر من خلفه وأمامه ودق طبوله وأرسل ببنادقه
المتتابعة والمدافع ترمي واشتد هبوب الرياح وانعقد الغبار وأظلمت الديان من دخان البارود وغبار
الرياح وصمت الاسماع من توالي الضرب بحيث خيل للناس أن الأرض تزلزلت والسماء عليها
سقطت واستمر الحرب والقتال نحو ثلاث ساعات ثم كانت الهزيمة على العسكر الغربي ففرق الكثير من

الحيلة في البحر لاحاطة العدو بهم وظلام الدنيا والبعض وقع أسيرا في يد الفرنسيين وملكوا
 باريس وفرمرادبيك ومن معه الى الجزيرة فصعد الى قصره وقضى بعض أشغاله في نحو
 ربع ساعة ثم ركب وذهب الى الجهة القبلية وبقيت القتلى والشباب والائمة والاسلحة
 والفرش ملقاة على الأرض ببرانية تحت الأرض وألقى كثير نفسه في البحر ولما انهزم
 عنسكر الغربي حول الفرنسيين المدافع والبنادق على البر الشرقي وضربوها وتحقق أهل البر
 الآخر الهزيمة فقامت فيهم ضجة عظيمة وركب في الحال ابراهيم بك والأمراء والعسكر
 والزرايا وتركوا جميع الأثقال والخيام كما هي لم يأخذوا منها شيئا فأما ابراهيم بك
 والأمراء فساروا الى جهة العادلية وأما الزرايا فهاجوا وماجوا ذاهبين الى جهة المدينة
 ودخلوها أفواجا أفواجا وهم جميعا في غاية الخوف والفرع وترقب الهلاك وهم ينجون
 بالعويل والنخب ويتهللون الى الله تعالى من شر هذا اليوم العصيب والنساء يصرخن
 بأعلى أصواتهن من البيوت وقد كان ذلك قبل الغروب فلما استقر ابراهيم بك بالعادلية
 أرسل يأخذ حريمه وكذلك من كان معه من الأمراء فأركبوا النساء على الخيول والبغال
 والجمال والبعض ماشى كالجوارى والخدم واستمر معظم الناس طول الليل خارجين
 من المدينة في حريمه والبعض ينجو بنفسه ولا يسأل أحد عن أحد بل كل واحد
 مشغول بنفسه من أبيه وابنه فخرج تلك الليلة معظم أهل مصر البعض لبلاد الصعيد والبعض
 لجهة الشرق وهم الأكثر وأقام بمصر كل مخاطر بنفسه لا يقدر على الحركة ممثلا لاقضاء
 متوقعا للمكروه وذلك لعدم قدرته وقلة ذات يده وما ينفعه على حل عياله وأطفاله
 ويصرفه عليهم في الغربة فاستسلم للمقدور ولله عاقبة الأمور والذي أزعج قلوب الناس
 بالأكثر ان في عشاء تلك الليلة شاع في الناس ان الأفرنج عدوا الى بولاق وأحرقوها
 وكذلك الجزيرة وان أولاهم وصل الى باب الحديد يحرقون ويقتلون ويفجرون بالنساء وكان
 السبب في هذه الاشاعة ان بعض عسكر مرادبيك الذين كانوا في الغليون لم يسي انبابة لما
 تحقق الكسرة أضرم النار في الغليون الذي هو فيه وكذلك مرادبيك لما رحل من الجزيرة
 أمر بانجرار الغليون الكبير من قبالة قصره ليحجبه معه الى الجهة القبلية فشوا به قليلا فوقف
 الطين لقلة الماء وكان به عدة وافرة من آلات الحرب والجحانة فأمر بحرقه أيضا فلما
 بعد لهيب النار من جهة الجزيرة وبولاق ظنوا بل أيقنوا انهم أحرقوا البلدين فاجوا
 واضطربوا زيادة عما هم فيه من الفرع والروع والجزع وخرج أعيان الناس وأفتدية
 الوجاقات وأكابرهم ونقيب الأشراف وبعض المشايخ القادرين فلما عين العامة والرعية
 ذلك اشتد ضجرهم وخوفهم وتحركت عزائمهم للهرب والحقاق بهم والحال ان الجميع
 لا يدرون أي جهة يسلكون وأي طريق يذهبون وأي محل يستقرون فتلاحقوا
 وتسابقوا وخرجوا من كل حذب ينسلون وبيع الحمار الأعرج أو البغل الضميف بأضعاف
 ثمنه وخرج أكثرهم ماشيا أو حاملا متاعه على رأسه وزوجته حاملة طفلها ومن
 قدر على مركوب أركب زوجته أو ابنته ومشى هو على أقدامه وخرج غالب النساء ماشيات
 أسيرات وأطفالهن على أكتافهن يكيين في ظلمة الليل واستمروا على ذلك بطول ليلة الاحد

وصحبها واخذ كل انسان ما قدر على حمله من مال ومتاع فلما خرجوا من ابواب الازنة
وتوسطوا القلاة تلقى منهم العربان والفلاحون فأخذوا متاعهم ولباسهم وأحبالهم بحبل
يتركوا لمن صادفوه ما يستريحه عورته او يسد جوعته فكان ما أخذته العرب شيئا
يفوق الحصر بحيث ان الاموال والذخائر التي خرجت من مصرفي تلك الليلة اضعاف
فيها بلاشك لأن معظم الاموال عند الامراء والاعيان وحريرهم وقد اخذوه صحتهم وغال
مساير الناس واهل المقدرة أخرجوا ايضا ما عندهم والذي أقعده العجز وكان عنده ما يخرج
عليه حمله من مال او مصاغ اعطاه لجاره او صديقه الراحل ومثل ذلك امانات وودائع الحاج
من المغاربة والمسافرين فذهب ذلك جميعه وربما قتلوا من قدروا على قتله او دافع عن
نفسه ومتاعه وسلبوا ثياب النساء وفصحوهن وهتكوهن وفيهم الخوندات والاعيان فذهب
من رجع عن قريب وهم الذين تأخروا في الخروج وبلغهم ما حصل للسابقين ومنهم من جاز
متكلا على كثرته وعزوته وخفارته فسلم او عطب وكانت ليلة وصباحها في غاية الشناعة
جرى فيها ما لم يتفق مثله في مصر ولا سمعنا به اشبه بعضه في تواريخ المتقدمين قال الشاهد
فأراء **ك** من سما ولما أصبح يوم الاحد المذكور والمقيمون لا يدرون ما يفعل بهم ومتوقعون
حلول الفرنسيين ووقوع المكروه ورجع الكثير من الفارين وهم في اسوأ حال من العري
والفرح فتبين ان الفرنج لم يعدوا الى البر الشرقي وان الحريق كان في المراكب المتقدم ذكرها
فاجتمع في الازهر بعض العلماء والمشايخ وتشاوروا فاتفق رأيهم على ان يرسلوا رسالة الى
الافرنج وينتظروا ما يكون من جوابهم ففعلوا ذلك وأرسلوه صحة شخص مغربي يعرف
لغتهم وآخر صحبته فغابا وعادا وأخبرا انهما قابلا كبير القوم وأعطياه الرسالة فقرأها عليه
ترجانه ومضمونها الاستفهام عن قصدهم فقال على لسان الترجان واين عظماءكم
ومشايخكم لم تأخروا عن الحضور الينا لترتب لهم ما يكون فيه الراحة وطمأنهم وبش في
وجوههم فقالا نريد امانا منكم فقل قد ارسلنا لكم سابقا يعنون الكتاب المذكور فيما تقدم
فقالا وايضا نريد امانا لاجل اطمئنان الناس فكتبوا لهم ورقة أخرى مضمونها انا
ارسلنا لكم في السابق كتابا فيه الكفاية وذكرنا لكم انا ما حضرنا الا بقصد ازالة الممالك
الذين يستعملون الفرنساوية بالذل والاحتقار وأخذ مال التجار ومال السلطان ولما حضرنا
الى البر الغربي خرجوا الينا فقابلناهم بما يستحقونه وقتلنا بعضهم وأسروا بعضهم ونحن
في طلبهم حتى لم يبق احد منهم بالقطر المصري واما العلماء والمشايخ وأصحاب المرتبات
والرعية فيكونون مطمئنين وفي مساكنهم مرتا حين ونحو ذلك من الكلام ثم قال لهم
لابدان المشايخ والشرعية يأتون الينا لترتب لهم ديوانا ننتخبه من سبعة أشخاص
عقلاء يدبرون الامور ولما رجع الجواب بذلك اطمأن الناس وركب الشيخ مصطفى
الصاوي والشيخ سليمان القبومي وآخرين الى الجزيرة فلقواهم وضحك لهم وقال انتم
المشايخ الكبار فأعلموه ان المشايخ **ك** كبار خافوا وهربوا فقال لاي شيء يهربون
اكتبوا لهم بالحضور ونعمل لكم ديوانا لاجل راحتكم وراحة الرعية واجراء الشريعة
فكتبوا منه عدة مكاتيب بالحضور والامان ثم انفصلوا من معسكرهم بعد العشاء وحضروا

مصر واطمان برجعهم الناس وكانوا في وجل وخوف على غيابهم وأصبحوا فأرسلوا
إلى المشايخ فحضر شيخ السادات والشيخ الشرفاوى والشيخ ومن انضم اليهم من الناس
من ناحية المطرية واما عمر افندى نقيب الاشراف فانه لم يطمئن ولم يحضر وكذلك
زناجى والافندية وفي ذلك اليوم اجتمعت الجمعية واوباش الناس ونهبوا بيت ابراهيم
ك ومراد بك وحرقوهما ونهبوا ايضا عدة بيوت من بيوت الامراء وأخذوا ما فيها
من فرش ونحاس وامتعة وغير ذلك وباعوه بالخمس الاثمان

✽ ذكر دخول الفرنسيين مصر ✽

وفي يوم الثلاثاء عدت فرنسا وية الى مصر وسكن بونا بارتة بيت محمد بك الألفى بالازبكية الذى
أنشاه الامير المذكور في السنة الماضية وزخرفه وصرف عليه اموال عظيمة وفرشه بالفرش الفاخرة
وعندما هم وسكنه حصلته هذه الحادثة فادخلوه بل تركوه بما فيه فكأنه انما كان بينه لامي
الفرنسيين وكذلك حصل في بيت حسن كاشف بالناصرية ولما عدى كبيرهم وسكن بالازبكية كما
ذكر استمر غالبهم بالبر الاخر ولم يدخل المدينة الا القليل منهم ومشوا في الاسواق من غير سلاح
ولا تعد بل صاروا يضاحكون الناس ويشترى ما يحتاجون اليه بأعلى ثمن فيأخذ أحدهم
الدجاجة ويعطى صاحبها في ثمنها رايالا فرانسى ويأخذ البيضة بنصف فضة قياسا على
أسعار بلادهم وأثمان بضائهم فلما رأى منهم العامة ذلك أنسوا بهم واطمانوا لهم وخرجوا
اليهم بالكعك وانواع القطير والخبز والبيض والدجاج وانواع المأكولات وغير ذلك
مثل السكر والصابون والدخان والبن وصاروا يبيعون اليهم ما أحبوا من الأسعار وفتح
غالب السوق الحوانيت والقهاوى واطمان الناس

✽ ذكر ترتيب ديوان لفصل الخصومات ✽

في يوم الخميس ثالث عشر شهر صفر أرسلوا يطلبون المشايخ والوجافلية عند قائم مقام
سر عسكر فلما حضروا تشاور معهم في تعيين عشرة أنقار من المشايخ للديوان وفصل
الحكومات فوقع الاتفاق على الشيخ عبدالله الشرفاوى والشيخ خليل البكرى والشيخ
مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفتيوى والشيخ محمد المهدي والشيخ موسى الدرسي
والشيخ مصطفى المنهورى والشيخ أحمد العريشى والشيخ يوسف الشبرخيتى والشيخ
محمد الدواخلى وحضر ذلك المجلس ايضا مصطفى كتحدا والقاضى وقلدوا محمد اغا
السمانى اغاة مستحفظات وعلى اغا الشعراوى والى الشرط وحسن اغا أمين
احتساب وذلك باشارة أرباب الديوان فانهم كانوا ممنوعين من تقليد المناصب
لجنس المماليك فمرفهم ان سوق مصر لا يخافون الامن الا تراك ولا يحكمهم سواهم وهؤلاء
الذين كورون من بقايا البيوت القديمة الذين لا يتجاسرون على الظلم كغيرهم وقلدوا ذا الفقار
نخدا بك كتحدا بونا بارتة وسأل ارباب الديوان المذكورين عما وقع من النهب للبيوت
قالوا هذا فعل الجمعية واوباش الناس فقال لاى شئ يفعلون ذلك وقد اوصيناكم
بفظ البيوت وانتم عليها فقالوا هذا امر لا قدرة لنا على منعه وبما ذلك وظيفة الحكام ثم
امروا بالنداء بالامان وفتح الدكاكين والاسواق والمنع من النهب فلم يسمعوا ولم ينتهوا

واستمر غالب الاسواق والدكاكين معطلة والناس غير مطمئنين وفتح الفرنسيون البيوت المغلقة التي للامراء ودخلوها وأخذوا منها اشياء وخرجوا منها وتركوها مفتوحة فعند ما يخرجون منها يدخلها طائفة الجعديّة يستأصلون ما فيها ثم ان عسكرهم صاروا تدخل المدينة شيئا فشيئا حتى امتلأت منها الطرقات وسكنوا في البيوت ولم يشوشوا على الناس وبأخذون المشتروات بزيادة عن ثمنها وبعدايام طلبوا سلفة خمسمائة الف ريال من التجار فأخذوا في تحصيلها بعد مراجعتهم في تخفيفها فلم يفعلوا ونادوا بالامان لنساء الامراء وأمروا كل من عندهاشي من متاع زوجها تأتني به وصالحته زوجة مراد بك عن نفسها واتباعها من نساء الامراء بمائة وعشرين الف ريال واستخرجوا من الخبايا شيئا كثيرا ثم طلبوا من اهل الحرف والاسواق مبلغا من المال يعجزون عنه فاستغاثوا بالمشايخ قشفوا عندهم فلفظوها لهم ولما جاء وقت مولد النبي صلى الله عليه وسلم أمروا بصنعه على المعتاد وأعطوا من عندهم اعانة على ذلك ثلاثمائة ريال وصنعوا شنكا ليلة المولد وجاءت مراكب الانقليز وحاربت مراكب الفرنسيين وأحرقوا لهم مراكبا كبيرا واستمر اياما ثم ذهبوا واما ابراهيم بك ومراد بك فذهبوا الى غزة ثم رجعوا الى جهة الفيوم وفي شهر ربيع الثاني طلبوا من الناس حجاج املاكهم وقيدها عندهم ووضعوا عليها قدرا معلوما من الدراهم وأمروا المشايخ ان يكتبوا للسلطان كتابا مضمونه الشاء عليهم وحسن سيرتهم وانهم من المحبين للسلطان وانهم محترمون للقرآن والاسلام ففعلوا وفي عاشر جادى الاولى جمعوا الناس وقرروا على الاملاك أموالا لزيادة عما كان قبل ذلك وهاج عامة الناس ونادوا بالجهاد ووقع قتال فيه خلق كثير ثم صار النداء بالامان ثم تبعوا كثيرا من كان قائما في تلك القصة فقتلوههم واما كيفية مجالسهم وبقية الترتيب في نظمات دولتهم فهو طويل لا حاجة لذكره وكذا ما كان يجري من الحوادث ولما جاءت اخبار دخول الفرنسيين مصر الى الحجاز قام شيخ عالم مغربي بكّة يقال له محمد الجيلاني واستنفر الناس للجهاد فاجتمع معه خلق كثير ووصلوا الى الصعيد وقتلوا من وجدوه من الفرنسيين ولم يقدروا على استخلاص الاقطار المصرية منهم فقاتلوا حتى قتل أكثرهم ورجع القليل منهم ثم جهز الفرنسيون جيشا لمحاربة احمد باشا الجزائر في عكا فلكوا كثيرا من قرى الشام وحاصروا احمد باشا في عكا ثم عجزوا عن أخذها فارتحلوا عنها وأجروا عمل ما يعتاده أهل مصر من مولد السيد احمد البدوي وغيره على حسب المعتاد وكذا اخراج المحمل والحج وحصل بينهم وبين اهل الارياض محاربات كثيرة حتى ملكوهم كلهم وصاروا يتبعون الامراء من الممالك ويقتلون من ظفروا به وحضرت مراكب الى السويس فيها اموال وبضائع لاشرىف غالب فسمحوا عن عسورها وحصل بينه وبينهم مكاتبات ومهاداة بهدايا عندهم ووضعوا الشيخ العريشي قاضيا للمسلمين يحكم بالشرع وتوجه بانو برته الى بلاد الفرنسيين سنة اربع عشرة وجعل سارى عسكرهم نائباً عند مصر ثم ترقى بانو برته حتى صار ملكا على كافة الفرنسيين وفي شهر رجب من سنة اربع عشرة جاء جيش من السلطان سليم يقوده يوسف باشا ومعه نصوح باشا جعلوه واليا على مصر وهو الذي يقال له ايضا ناصف باشا وسار من جهة الشام حتى وصلوا الى العريش

عاشت بعد الفرنسيين اقتالهم وخرج يحنوده الى الصالحية ثم توسط الانقليز في الصلح على شروط كثيرة منها أن الفرنسيين يتنحى عن الديار المصرية بعد ثلاثة اشهر في تلك المدة صار الناس يحترقونهم ويسخرون بهم ويقول بعضهم لبعض سنة مباركة ويوم سعيد بذهاب الكلاب الكفرة كل ذلك بمشاهدة الفرنسيين وهم يحقدون ذلك عليهم وكشف هجم الناس نقاب الحياء معهم بالكلية وتناولوا عايمهم بالسب واللعن والسخرية ولم يفكروا في عواقب الامور حتى ان فقهاء الاطفال كانوا يجمعون الاطفال ويمشون فرقا وطوائف وهم يجهرون ويقولون كلاما مقفى باعلى اصواتهم بلعن النصارى واعوانهم وافراد رؤسائهم كقولهم ينصر الله السلطان ويهلك فرط الرمان ولم يملكوا لانفسهم صبرا حتى تنقضى الايام المشروطة على أن ذلك لم يثمر الا الحقد والعداوة التى تأسست في قلوب الفرنسيين وأخذ الفرنسيون في أهبة الرحيل وشرعوا في بيع امتعتهم وما فضل من سلاحهم ودوابهم وسلموا غالب الثغور والقلاع كالصالحية وبلبيس ودمياط والسويس ثم ان العثمانيين تدرجوا في دخول مصر وصار كل يوم يدخل منهم جاعة بعد جاعة ووصل الوزير يوسف باشا الى بلبيس والتقى بالامراء المصريين وأخلى الفرنسيون قلعة الجبل وباقي القلاع التى أحدثوها وزلوا منها فلم يطلع اليها احد من العثمانيين وطلع كثير من العلماء والتجار للسلام على الوزير في مدينة بلبيس في رمضان فيقابلوه وقابلوا الى مصر نصوح باشا وخلع عليهم خلعاً وانصرفوا ثم في شهر شوال وقعت حادثة كانت سببا للنقض وذلك ان جاعة من عسكر العثمانيين تشاجروا مع جاعة من عسكر الفرنسيين فقتل بينهم شخص فرنساوى فثار من ذلك فتنة ثم قتلوا ستة انفار كانوا سبب الفتنة فسكنت لكن لم تطب نفوس الفرنسيين ثم ان الفرنسيين طلبوا ثمانية ايام مهلة زيادة على المهلة السابقة لما قرب تمامها فأعطوهم مهلة الثمانية ايام ونصبوا وفاق عسكرهم وخيامهم بساحل البحر متصلا باطراف مصر ممتدا الى شبرا وترددوا الى القلاع وهى لم يكن بها احد وشرعوا باجتهد في رد الجحانة والذخيرة وآلات الحرب والبارود والقلل والمدافع واجتهدوا في ذلك ليلا ونهارا والناس يتعجبون من ذلك وأشيع ان الوزير اتفق مع الانقليز على الاحاطة بالفرنساوية اذا صاروا بظاهر البحر وكان الفرنسيون عندما ترسلوا وترددوا الى جهة العرضى تفرسوا في عرضى العثمانيين وعسكرهم وواضعهم وتحققوا حالهم فعملوا ضعفهم عن مقاومتهم فلما حصل ما ذكر تأهبوا للمقاومة ونقض الصلح والمحاربة ووردوا آلاتهم الى القلاع فلما تمموا أمر ذلك وحصنوا الجهات وأبقوا من أبقوهما من عساكرهم خرجوا بأجمعهم الى ظاهر المدينة جهة قبة النصر وانتشروا في تلك النواحي ولم يبق منهم بالمدينة الا من كان بداخل القلاع واشخاص بيت الالقي وبعض بيوت الازبكية وغلب على ظن الناس انهم برزوا للرحيل فلما كان يوم الثالث والعشرين من شوال ركب صارى عسكرهم قبل طلوع الفجر بعساكره وصحبته المدافع وآلات الحرب وقسم عساكره طوابير فمنهم من توجه الى عرضى الوزير ومنهم من مال على جهة المطرية فضربوا عليهم المدافع فلم يسمعهم الا الجلاء والفرار وتركوا خيامهم ووطاقهم وركب نصوح باشا ومن كان معه وطلعوا جهة مصر فتركهم الفرنسيون ولحقوا بالذاهبين الى جهة العرضى بعد أن غلبوا

ما في عرضي ناصف باشا من المتاع والاغنام وسمروا أفواه المدافع التي لنصوح باشا وهو ناصف باشا وتركوها وساروا الى جهة العرضي فلما قاربوه أرسلوا اللوزير يأمرونه بالرحيل بعدد ربع ساعات فلم يسعه الا الارتحال والفرنساوية في اثره وعساكره مفرقون ومنشثرون في البلاد والقرى والنواحي لجمع المال وظلم الفقراء واماهل مصر فانهم لما سمعوا صوت المدافع كثرت فيهم اللغط والقيال والقال ولم يدركوا حقيقة الحال فهاجوا ورمحو الى اطراف البلد وخرج نقيب الاشراف وتبعه كثير من العامة وتجمعوا على التلويح خارج باب النصر وبأيدى الكثير منهم النبائيت والعصى والقليل معه السلاح وتحزب كثير من طوائف العامة والاباش والحشرات وجعلوا يطوفون بالازقة ولهم صياح بكلمات يقفونها من اختراعاتهم وخرافاتهم وقاموا على ساق ثم خرج الكثير منهم الى خارج البلد بتلك الصورة فلما تضحى النهار حضر بعض الاجناد المصريين ودخلوا مصر وفيهم المجارح وطفق الناس يسألونهم فلم يخبروهم لجهلهم ايضا حقيقة الحال ثم لم يزل الحال كذلك الى العصر فوصل جمع عظيم من العامة ممن كان خارج البلد ولهم صياح وخلفهم ابراهيم بك ثم بقية الامراء ثم نصوح باشا ومعه عدة وافرة من العساكر والسيد عمر نقيب الاشراف وصار نصوح باشا يقول للمامة اقتلوا النصارى واجاهدوا فيهم فعند ما سمعوا قوله هاجوا وماجوا ورفعوا اصواتهم ومروا مسرعين يقتلون من يصادفونه من نصارى القبط والشوام وغيرهم وساروا الى حارات النصارى يقتلون ويأسرون وينهبون فتحزبت النصارى واحترسوا وجمعوا كل ما قدروا عليه من الفرنساوية والاروام فوقع الحرب بين الفريقين وصارت النصارى ترمى من طاقات البيوت على المجتمعين بالازقة من العامة والعسكري يحامون على انفسهم والآخرين يرمون من اسفل ويكبسون البيوت وينسورون عليها فلما أصبح الصباح أرسلوا الى المطرية واحضروا منها ثلاثة مدافع فوجدوها مسدودة فعالجوها حتى فتحوها وامر الباشا بجر المدافع الى الازبكية وضربوا منها على بيت الالقي وكان به اشخاص مرابطون من عساكر الفرنساوية فضر بهم ايضا بالمدافع والبنادق واستمر الحرب بين الفريقين الى آخر النهار فسكن الحرب وباتوا ينادون بالسهرة وفي هذا اليوم وضع اهل مصر والعسكر متاريس بالاطراف كلها وشرعوا في بناء جهات السور واجتهدوا في تحصين البلد بقدر الطاقة وبات الناس في هذه الليلة خلف المتاريس فلما أظلم الليل أطلق الفرنساوية المدافع والنب على البلد من القلاع ووالوا الضرب فاجتمع رأى الكبراء والرؤساء على الخروج من البلد في تلك الليلة لعجزهم عن المقاومة وعدم آلات الحرب وعزة الاقوات لان غالب قوت اهلها يجلب من قراها كل يوم بيوم وربما امتنع وصول ذلك اذا تجسست الفتنة فاتفقوا على الخروج بالليل وتسامع الناس بذلك فتجهز معظم للخروج وغصت الطرق بالازدحام عند الخروج وازدحم الناس بالحمر والبغال والخيول والهجج والجمال وركب الناس بعضهم بعضا ووقع للناس في هذه الليلة من الكرب والمشقة والخوف ما لا يوصف واناس من اهل خان الخليل جاؤا الى الجمالية وشنعوا على من يريد الخروج وأغلقت باب النصر وبات في تلك الليلة معظم الناس على مساطب الحوانيت وأزقة الحارات

فلما أصبح يوم السبت نهياً كبراء العساكر والعساكر ومعظم اهل مصر ما عدا الضعيف
الذى لا قوته على الحرب وذهب معظم الى جهة الازبكية وسكن الكثير في البيوت الخالية
والبعض خلف المناريس وأخذوا عدة مدافع زيادة عن التسلاطة المتقدمة وأحضروا
من حوانيت العطارين من المثقلات التى يزنون بها البضائع من حديد واجار استعمالوها
عوضاً عن القلل للمدافع وصاروا يضربون بها بيت سارى عسكر بالازبكية ثم فرقوا الناس
في اطراف البلد والمناريس للاحتراس وكان كل من قبض على نصرانى او يهودى او فرنساوى
ذهب به الى كتيخدا وأخذ البقشيش فيحبس البعض ويقتل البعض وأحضروا الحدادين لانشاء
مدافع وجعلوا معملات عمل البارود والقلل وغير ذلك من المهمات واهتموا بذلك اهتماماً زائداً
أو أنفقوا أموالاً لاجرة واما الفرنسيون فانهم تحصنوا بالقلاع المحيطة بالبلد وبيت الالفي وما والاها
واما الوزير فانه لما ارتحل بالمرضى ووصل الى الصالحية تكلموا معه في الرجوع فاعتذر
بعدم الاستعداد ثم سار الى الشام فرجع طائفة من عسكر الفرنسيين الذين ساروا خلف
الوزير الى أصحابهم الذين بمصر نجدة لهم فقوميت بهم نفوسهم ووقف جلة منهم بباب
النصر ومنعوا الداخل والخارج وذلك كله بعد مضي ثمانية ايام من ابتداء الحركة وقطعوا
الجانب الى البلد وأحاطوا بها احاطة السوار بالمعصم فعظم الكرب وأكثروا من الرمي
بالمدافع على البيوت من القلاع وعدمت الاقوات وارتفعت الأسعار وهلكت البهائم
وتهدمت البيوت وكثر صرخ النساء والصغار وفي كل ساعة تهجم الفرنسيون الذين هم
خارج البلد على جهة من جهات مصر ويملكون بعض المناريس واستمر الحال الى عشرة ايام
فرددوا الرسل للصالح فقال الفرنسيون لابد من خروج العثمانية من مصر ونعطيهم ما يحتاجون
من المؤنة حتى يصلوا الى جاعاتهم وخرج اليهم الشيخ الشرقاوى والمهدى والسرمى
والقيومى وغيرهم وتمعوا الصلح على ذلك فلما رجع المشايخ بهذا الكلام وسمعه عساكر
الانقشارية العثمانية وسائر الناس قاموا على المشايخ وسبوهم وشتوههم وضربوا الشيخ
الشرقاوى والسرمى ورموا عمامتهم وأسمعوهم قبيح الكلام وصاروا يقولون هؤلاء
المشايخ ارتدوا وعملوا فرنسيس ومرادهم خذلان المسلمين وانهم أخذوا دراهم من الفرنسيين
وتكلم السفلة والغوغا بكثير من الفضول فأرسلوا للفرنسيس ان الباشا والعساكر والناس لم يرتضوا
بالصلح تمجاء مطر شديد وتوحدت جميع السكك فاشتغل الناس بتخفيف المياه والايواح فاغتنم
الفرصة الفرنسيين وهجموا على مصر وبولاق من كل ناحية وعملوا فتائل بالزيت
والقطران وكمكات غليظة ملوينة معمولة بالنفط ملوينة على أعناقها مشربة بمقطرات
تشتعل وتقوى لهبها وتابعوا رمى المدافع والبنبيات من القلاع وصاروا يهجمون وأماهم
المدافع وخلفهم بواردية رمون بالبندق المتتابع وطائفة بأيديهم الفتائل والكعكات المشتعلة
بالنيران يلهبون بها السقائف والخوانيت وشبابيك الدور ويزحفون على هذه الصورة شيئاً
فشيئاً والمسلمون بذلوا جهدهم وقاتلوا بشدة وزلزلوا زلزلاً شديداً وصرخت النساء
والصبيان ونطوا من الحيطان والنيران تأخذهم من كل جهة والامطار متوالية بالليل والنهار
ومثل ذلك كان في بولاق بل زيادة عن ذلك لأنهم في آخر الامر قتلوه وحرقوا بلادهم

وأخذوا أموالهم وسبوا حريمهم وذروا رعيهم والحاصل ان هذه الفتنة قد شاهد الناس فيها من الهول ما يشيب منه النواصي وصارت القتل مطروحة في الطرقات والأزقة واحترقت الأبنية والدور والقصور وهرب كثير من الناس عند ما أيقنوا بالخذلان فنجوا بأنفسهم الى الجهة القبلية ثم أحاطوا بالبلاد واستولوا على الخانات والوكالات والحواصل والبضائع والودائع وملكو الدور وما بها من الأمتعة والأموال والنساء والخوندات والصبيان والبنات ومخازن الغلال وما لا تسعه السطور ولا يحيط به كتاب ولا منشور وكان جاعة من المسلمين في هذه الفتنة يدهنون الفرنسيين وأخذوا منهم أمانا وهم مع المسلمين فاطلع المسلمون عليهم فأذوهم وعذبوهم بأنواع العذاب وقتلوا بعضهم واتهموا الشيخ البكري بموالاة الفرنسيين وأنه يرسل اليهم الأتعمة فهجم عليه طائفة من المعسكر مع بعض أو باش العامة فذهبوا داره وسحبوه مع أولاده وحريمه وأحضروه الى الجمالية وهو ماشى على أقسامه ورأسه مكشوفة وحصلت له اهانة بالغة وسمع من العامة كلاما مؤلما وشما فلما مثله بين يدي اتخذوا أهاله ذلك واغتم غما شديدا ووعدته بخير وطيب خاطره وأخذوا أحد بن محمود محرم الناجر مع حريمه الى داره وأكرمهم وكساهم وأقاموا عنده حتى انقضت الفتنة وكان جاعة من الأمراء والرؤساء يذهبون ويحيئون من الفرنسيين الى المسلمين ومن المسلمين اليهم يسعون في الصلح بين الفريقين واستمر الحال الى السادس والعشرين من الشهر حتى هلكت الناس وتمنوا دخول الفرنسيين وخروج العثمانيين ثم تم الصلح على وقف الحرب وخروج العثمانيين بعد مهلة ثلاثة أيام ثم خرجوا وارتحلوا وزودهم الفرنسيين وأعطوهم دراهم وجالا وغير ذلك وخرج أيضا ابراهيم بك وأمراؤه وعما اليكه وخرج معهم بعض الرؤساء منهم نقيب الأشراف والمحروقي رئيس التجار سنة ١٢١٥ وأما مراد بك فكان بالصعيد وكان قد انقضى بينه وبين الفرنسيين صلح ومهادنة وكانت مدة الحرب والحصر بالثلاثة أيام الهذنة سبعة وثلاثين يوما وقع فيها من الحروب والكروب وعظائم الأمور ما لا يحيط به الا الله تعالى ودخل الفرنسيين مصر وضبطوها في أوائل ذي الحجة سنة خمس عشرة وأمنوا الناس واستولوا على ما كان اصطنعه العثمانيون وأعدوه من المدافع والقنابر والبارود وآلات الحرب وركب المشايخ في عصر ذلك اليوم وذهبوا الى كبير الفرنسيين فلما جلسوا أبرز لهم ورقة مكتوب فيها النصر لله الذي يريد ان المنصور يعمل بالشفقة والرحمة مع الناس وبناء على ذلك يريد سر عسكر أن ينم بالعفو العام على أهل مصر ولو كانوا يخاطون العثمانيين في الحروب ويأمرهم أن يشتغلوا بما شهم وصنائعهم ثم نبه عليهم بالحضور الى قبة النصر بكرة تاريخه ثم قاموا من عنده وشقوا المدينة وطافوا بالأسواق وبين أيديهم المناداة للبيعة بالاطمئنان والأمان فلما كان الغد ذهبوا الى قبة النصر وصنع لهم سماطا عظيما ضيافة وزينت البلاد ثلاثة أيام ثم بعد أيام أمرهم بالحضور بدار الأتكية فلما وصلوا جلسوا حصاة طويلة في الديوان الخارج ثم أدخلوا وجلسوا حصاة فخرج اليهم سر عسكر وصحبته ترجانه وجاعة من أعيانهم فوضع له كرسي في وسط المجلس وجلس عليه ووقف الترجان فكلمه سر عسكر بكلام طويل بلسانهم فالتفت الترجان وأخبرهم بما قاله سر عسكر ولمحس ذلك القول ان

سر عسكر يقول اننا لما حضرنا الى بلدكم هذه نظرنا أن أهل العلمهم أعقل الناس والناس بهم يستندون ولا أمرهم يمثلون ثم انكم أظهرتم لنا المحبة والمودة وصدقنا ظاهر حالكم فاصطفيناكم وميزناكم على غيركم واخترناكم لتدبير الأمور وصلاح الجمهور فرتبنا لكم الديوان وغمرناكم بالاحسان وخفضنا لكم جناح الطاعة وجعلناكم مسموعين القول مقبولين الشفاعة واوهمتمونا ان الرعية لكم ينقادون ولا أمركم ونهيكم يرجعون فلما حضر العثماني فرحتم اقدومهم وقتم لنصرتهم وثبت عند ذلك نفاقكم لنا فقالوا له نحن ما قمنا مع العثماني الا عن أمركم لانكم عرفتمونا انكم ونحن في حكم العثماني ان البلاد والأموال صارت له وخصوصا وهو سلطاننا القديم وسلطان المسلمين وما شعرنا بالابحذوث هذا الحادث بينكم وبينهم على حين غفلة ووجدنا أنفسنا في وسطهم فلم يمكن التحلف عنهم فقال لهم لا شيء لم تمنعوا الرعية عما فعلوا من قيامهم ومحاربتهم فقالوا لا يمكننا ذلك خصوصا وقد تقووا علينا بغيرنا وسمعتم ما فعلوه معنا من ضربنا واهانتنا عند ما أشرنا عليهم بالصلح فقال لهم واذا كنتم لا يمكنكم تسكين الفتنة فافائدة رياستكم وأي شيء يكون نفعكم وحينئذ لا يأتمنا منكم الا الضرر لانكم اذا حضر أخصامنا قتم معهم وكنتم وأياهم علينا واذا ذهبوا رجعتم لينا معتذرين فكان جزاؤكم القتل وحرق البلاد وسبي الحرير والأولاد كما فعلنا باهل ولاق ولكن حيث أعطيناكم الأمان فلا نقض أماننا ولا نقتلكم وانما نأخذ منكم الأموال المطلوب منكم عشرة آلاف ألف ألف فرنك عن كل فرنك ثمانية وعشرون فضة يكون فيها ألف ألف فرانسه عنها خمس عشرة خزنة رومي ثلاث عشرة خزنة مصرية منها خمسمائة ألف فرانسه على مائتين هلي شيخ السادات خاصة من ذلك خمسمائة وخمس وثلاثون ألفا وعلى الشيخ الجوهري خسون ألفا وعلى أخيه الشيخ فتوح خسون ألفا وعلى الشيخ مصطفى الصاوي خسون ألفا وعلى الشيخ العناني مائتان وخمسون ألفا جعلوا ذلك عليه وعلى القارين مع العثماني مثل السيد عمر مكرم نقيب الأشراف والمحروقي وما بقي من المبلغ المطلوب تقرروه وتوزعوه على أهل البلد وتتركون عندنا منكم خمسة عشر شخصا أنظروا من يكون منكم عندنا رهينة حتى توفوا ذلك المبلغ وقام من كرسيه من فوره ودخل مع أصحابه الى داخل وأغلق بينه وبينهم الباب ووقفت الحرسية على الباب الآخر يمنعون من يخرج من الجالسين فبغت الجماعة وانتفعت وجوههم ونظروا الى بعضهم وتحيرت أفكارهم ولم يخرج عن هذا الأمر الا البكري والمهدي لكون البكري حصل له ما حصل في صحائفهم والمهدي كان يداهنهم وحرق بيته بمرئ منهم ولم يكن فيه الا الحصر لانه كان قد نقل ما فيه بداره التي في الحرنقشي ولم تزل الجماعة في حيرتهم وسكرتهم وتمنى كل واحد منهم انه لم يكن شيئا مذكورا ولم يزالوا على ذلك الحال الى قريب العصر حتى بال اكثرهم على ثيابه وبعضهم شرشربوله من شباك المكان وصاروا يدخلون على نصاري القبط ويقعون في عرضهم فالذي كان معهم ولم يكن معدودا من الرؤساء خرجوه فخرجوا مسرعين حتى ان بعضهم ترك مداسه رخرج حافيا وما صدق بخلاص نفسه هذا والنصاري والمهدي يتشاورون في تقسيم ذلك وتوزيعه وتدبيره وترتيبه في قواثم حتى وزعوها على اصحاب الحرف واهل البيع والشراء وجميع الناس حتى

القرى دانية جعلوا على كل طائفة مبلغا له صورة مثل ثلاثين ألف فرانس وأربعين ألفا وجعلوا على أجرة الأملاك والعقار أجرة سنة كاملة ثم استأذنوا المشايخ الخالص منهم الذي ليس عليه شيء يتوجه حيث أراد والمشوك يلزمه جاعة من العسكر حتى يؤدي المطلوب منه وأما الصاوي وفتوح والجوهري فحبسواهم ببيت قائم مقام والعناني هرب فلم يجدوه وداره أحرقت فأضافوا غرامته على غرامة شيخ السادات وانفض المجلس على ذلك وركب صاري عسكر من يومه ذلك وذهب إلى الجزيرة ووكل يعقوب القبطي يفعل في المسلمين ما يشاء ونزل شيخ السادات وركب إلى داره فذهب معه عشرة من العسكر وجلسوا على باب داره فلما كان حصاة من الليل حضر إليه مقدار عشرة من العسكر أيضا وأركبوه وطلعوا به إلى القلعة وحبسوه في مكان ثم تشفع له أناس وكفأوه لينزل إلى داره ويحصل لهم المطلوب منه فتحصل عنده من الدراهم ستة آلاف ريال وقوموا ما وجدوه من المصاع والفراوى والملا بس فبلغ خمسة عشر ألف ريال فكان الجميع إحدى وعشرين ألف ريال ثم صاروا يفتشون داره ويحفرون الأرض الخسايا حتى فتحوا الكنف فلم يجدوا شيئا ثم نقلوه إلى بيت قائم مقام وضربوه وأهانوه وأودعوا زوجته وابنه عند أغاة الانقشارية ثم إن المشايخ وهم الشيخ الشرفاوي والأمرير والمهدى وغيرهم تشفعوا في نقل الزوجة إلى بيت القيومي ثم وقعت المراجعة والشفاعة في غرامة الشيخ فتوح والصاوي فجعلوا على كل واحد خمسة عشر ألف ريال وردوا الباقي على الفردة العامة وأما الجوهري فاخفى فلم يجدوه فتهبوا داره ثم واصلوا بالفردة العامة يعقوب القبطي وأعطوه عسكرا لتحصيلها ودهى الناس بهذه النازلة التي لا يصابون بمثلها وفرغت الدراهم من عند الناس وباعوا أمتعتهم وجميع ما عندهم ولم يجدوا من يشتري الأثاث والفرش والملبوس بأخس الأثمان ودفعوا لهم أيضا جميع ما يملكون من البغال والخيول والحمر ومنعوا المسلمين من ركوها سوى خمسة أنفار وهم الشرفاوي والمهدى والأمرير والقيومي وابن محرم وتطاولت النصاري من الشوام والقبط على المسلمين بالضرب والسب وفي كل وقت يشتد الطلب وتثبت المعينون والعسكر في طلب الناس وهجم الدور وجرت الناس حتى النساء من الكبار والصغار ويهدلهم وحبسهم وضربهم والذي لم يجدوه ليكون فروه هرب يقبضون على قريبه أو حريمه أو يتهبون داره فإن لم يجدوا شئ أودعوا غرامته على أبناء جنسه وأهل حرفته ونالوا من الناس أغراضهم وأظهر واحقدهم وصاروا يصرخون بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين هذا والكتبة والمهندسون والبنائون يطوفون ويحررون أجرة الأملاك والعقارات والوكائل والحمامات ويكتبون أسماء أربابها وقيمتها وخرج كثير من الناس من المدينة وأجلوا عنها وهربوا إلى القرى والأرياف واستمرت الحوانيت مقفولة والعقول مخبولة والمصائب عميمة والمطالب عظيمة والأمر عظيم والخطب جسيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وكذلك أخذ بك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه اليم شديد واستمر شيخ السادات محبوسا إلى غاية شهر صفر من سنة خمسة عشر فأفرجوا عنه ونزل إلى بيته بعد أن غلق الذي عليه واستولوا على حصصه وأقطاعه وقطعوا مرتباته وكذلك جهات حريمه والخصص

الموقوفة على زاوية أسلافه وشرطوا عليه عدم الاجتماع بالناس وأن لا يركب بدون إذن منهم ويقتصد في أموره ومعاشه ويقلل أتباعه وفي شهر ربيع الأول من السنة المذكورة نادوا على الناس الفارين من مصر من خوف القردة وغيرها بأن من لم يحضر بعد اثنين وثلاثين يوماً من وقت المناداة نهبت داره واحبل بوجوده وكان من المذنين واشتد الأمر بالناس وضائق منافسهم وتابعوا نهب الدور بأدنى شبهة ولاشفيع تقبل شفاعته أو متكلم تسمع كلمته ونزل بالمسلمين الذل والهوان وتطاولت عليهم الفرنسيات وأعوانهم وانصارهم من نصارى البلد الاقباط والشوام والاروام حتى صاروا يأمر ونهم بالقيام لهم عند مرورهم ثم شددوا في ذلك حتى كانوا اذا مر بعض عظمائهم بالشارع ولم يقم اليه بعض الناس على اقدامه رجعت اليه الاعوان وقبضوا عليه وأصعدوه الى الحبس بالقلعة وضر به واستمر عدة ايام في الحبس ثم يطلق بشفاعة بعض الاعيان واما الاموال المطلوبة فأخذوها وما بقي شيء للناس الا واستولوا عليه وما بقي جعلوه على الاطيان والقدادين ومشايخ القرى والبلدان وتفصيل ذلك كله طويل ولم يزل الناس معهم في شدة وكرب الى ان قضى الله ما قدره وأذن بخروجهم وانقضاء دولتهم

ذكر خروج الفرنسيين من مصر

في أواخر شوال من سنة خمس عشرة برز الأمر من مولانا السلطان سليم بالتهجير الى مصر برا وبحرا اما العساكر التي من البرفهي بعية يوسف باشا واما البحر فتهجدت به الانقليز ثم في اوائل ذي القعدة ورد جماعة من الانقليز بجراكب الى ثغر الاسكندرية وطلع جماعة منهم الى البر وتجاربوا مع امير الاسكندرية ومن معه من الفرنسيين ثم في اول ذي القعدة جاءت الاخبار الى الفرنسيين بمصر بان يوسف باشا وعساكره وصلوا الى العريش فجمعوا المشايخ والاعيان بمصر وقالوا لهم انه يحب المسلمين ويميل اليهم بالطبع وخصوصا العلماء اهل الفضائل ويفرح افرحهم ويغتم الغمهم ولا يحب اياهم الا الخير لكن سياسة الاحكام تقتضى بعض الامور المخالفة للمزاج والان بلغنا ان يوسف باشا وعساكر العثمانية تحركو الى هذا الطرف فلزم الامر لتعويق بعض الاعيان وذلك من قوانين الحروب عند نابل وعندكم ولا يكون عندكم تكدر ولاهم بسبب ذلك فليس الا الاعزاز والاكرام انما كنتم ثم انقضى المجلس على تعويق اربعة اشخاص من المشايخ وهم الشيخ الشرفاوى والشيخ المهدي والشيخ الصاوى والشيخ القيسومي فأصعدوهم الى القلعة في الساعة الرابعة من الليل مكرمين وكان هؤلاء الاربعة من اهل الديوان المرتب في مصر لفصل القضايا وكان معهم في الديوان الشيخ الامير والبكري والشريني فأبقوهم في الديوان على حالهم السابق ثم وقع حرب ايضا بالاسكندرية في البر بين الانقليز والفرنسيين في الرابع عشر من ذي القعدة وكانت الهزيمة على الفرنسيات وقتل منهم كثير وانحازوا الى داخل الاسكندرية وأرسل الفرنسيين من كشف عن متاريس الانقليز فوجدوها في غاية الوضع والاتقان ثم وقع قتال آخر فقتل فيه من الفرنسيين خمسة عشر الفا ثم طلبوا عساكر من مصر نجدة لهم فأطلق الانقليز حيويس المياه الملحمة حتى أغرقت طرق

الاسكندرية وصارت جميعا لجة مائولم يبق لهم طريق مسلوكة الامن جهة العجمى الى البرية
وتترس الانقليز قبائلهم من جهة الباب الغربى ووقع في مصر في هذه السنة طاعون مات فيه
خلق كثير منهم مراد بيك مات في الصعيد رابع ذى الحجة من السنة المذكورة وكان قد اصطلح
مع الفرنسيس وأعطوه اماره الصعيد وهو من مماليك محمد بيك ابى الذهب ومحمد بيك مملوك
على بيك وعلى بيك مملوك ابراهيم بيك كتحدا اشترى محمد بيك مراد بيك سنة اثنتين وثمانين
ومائة والف ثم اعتقه وترقى عنده وأمره وأنعم عليه بالاقطاعات الجليله وقدمه على اقرانه
ولما انفرد سيده محمد بيك بامارة مصر كان مراد بيك و ابراهيم بيك اكبر الامراء المشار اليهمادون
غيرهما واتسعت لهما الاموال والاملاك والضياع ثم لامات محمد بيك سنة اثنين وثمانين
ومائة وألف صارت الرياسة في ملك مصر لهما ولكن كان ابراهيم بيك مقدما وكان مراد
بيك منعكفا على الذات والملاهى وكان لكل منهما مماليك هم الصنائجق والامراء وكانت
وفاة ابراهيم بيك بدفلة سنة احدى وثلاثين ومائتين والف

✽ ذكر ما كان من استعداد الفرنسيس ✽

في خامس المحرم من سنة ست عشرة ومائتين وألف أكثروا من نقل الماء والدقيق والاقوات
الى القلعة بمصر وكذلك البارود والكبريت والقلل والقنابر والبنب ونقلوا مائى الاسوار
والبيوت من القرش والامتعة والاسرة الى القلعة ولم يبقوا بالقلاع الصغار الامهمات
الحرب وطلبوا الزياتين وألزموهم بمائتى قنطار زيت وسمروا جلة من حوانيتهم لتحصيل
ذلك واجتهدوا فى وضع متاريس خارج البلد وحفروا خنادق وطلبوا الفعلة للعمل
فكانوا يقبضون على كل من وجدوه ويسوقونه للعمل وألقوا الحجارة العظيمة والمراكب
بحر انبابة لمنع المراكب من العبور وهدموا جانباً من الجزيرة من الجهة البحرية وبلغهم ان
عساكر الانكليز القادمة من البر الغربى قربت ووصلت ترعة الفرعونية وان العساكر
الشرقية وصلت الى بنها وأن طائفة من الانكليز فى جهة اسكندرية وان الحرب قائم بها
وان الفرنسيس اية محاصرون بداخل الاسكندرية ويحاربهم الانكليز ومن معه من العثمانية من
الخارج وان جماعة من الانكليز قعدوا فى الاماكن التى يمكن الفرنسيس النفوذ اليها وقطعوا
عليهم الطرق من كل ناحية وأطلقوا الحبوس عن المياه السائلة من البحر المالح منه الاجسر
المقطوع حتى سالت المياه وردغت الاراضى المحيطة بالاسكندرية وخرج عن طاعة الفرنسيس
الامراء الذين بالصعيد وردوا مكانتهم التى أرسلوها لهم بعد مراد بيك وحضرت لهم الاخبار
المتواترة بوصول القادمين من الانكليز والعثمانية الى الرحانية وتملكهم القلعة وما بالقرب
منها من الحصون وجاءتهم الاخبار ايضا بانهم تملكوا رشيد ودمياط وفى العشرين من المحرم
يوم الاثنين جاءتهم الاخبار بان الوزير وصل دجوة فطلبوا مشايخ الديوان عند قائم عام
فقال لهم ان الخصم قد قرب منا ونرجوكم ان تكونوا على عهدكم مع الفرنسيس وان تنجحوا
اهل البلد والريعية ان يكونوا مستقرين على سكوتهم وهدوهم ولا يتدخلون فى الشر والشغب
فان الريعية بمنزلة الولد وانتم بمنزلة الوالد والواجب على الوالد نصحه ولده وتأديبه

على الطريق المستقيم حتى يكون فيه الخير والصلاح فانهم ان داموا على الهدى حصل لهم
 الخير ونجوا من كل شر وان حصل منهم خلاف ذلك نزلت عليهم النار وأحرقت دورهم
 ونهبت اموالهم ومنعهم وسببت نساؤهم وتبنت اولادهم وألزموا بالاموال والقرى التي
 لا طاقة لهم بها فقد رأيت ما حصل في الوقائع السابقة فاحذروا من ذلك فانكم لاتدرون
 العاقبة ولا تكلفكم المساعدة لنا ولا المعاونة لحرب عدونا وانما نطلب منكم السكون والهدوء
 لا غير فأجابوا بالسمع والطاعة وقرأ عليهم ورقة بمعنى ذلك وأمروا بالمناداة على الناس
 بذلك وأنهم ربما سمعوا ضرب مدافع جهة الجزيرة فلا ينزعجوا من ذلك فانه شك وعيد
 لبعض أكابرهم وأمروا ان يجتمع بالديوان في الغدا لعيان والتجار وكبارا لاختطاط ومشايخ
 الحارات ويتلى عليهم ذلك فكان كذلك وفي غاية شهر محرم جاءتهم الاخبار بان الوزير
 وصل الى الشلقان وكذلك عساكر الانقليز فجمعوا المشايخ بالديوان وأعلموهم أن ارض
 مصر استقر ملكها للفرنساوية فيلزم اعتقادكم ذلك وأركزوه في أذهانكم كما تعتقدون وحدانية
 الله تعالى ولا يغرنكم هؤلاء القادمون وقر بهم فانهم لا يخرج من أيديهم شيء ابدا وهو لا
 ينقلير ناس خوارج حرامية وصناعتهم القاء العداوة والفتن والعثماني مغتر بهم
 فان فرنساوية كانت من الاحباب الخالص للعثماني فلم يزالوا حتى أوقعوا بينه وبينهم العداوة
 والشرور وان بلادهم ضيقة وجزيرتهم صغيرة ولو كان بينه وبين فرنساوية طريق
 مسلوكة من البر لانحى أثرهم وانحى ذكرهم من زمان مديد وتأملوا في شأنهم وای شيء خرج
 من أيديهم فان لهم ثلاثة اشهر من حين طلوعهم الى البر والى الآن لم يصلوا اليها والفرنسيين
 عند قدومهم وصلوا في ثمانية عشر يوما فلو كان فيهم همة او شجاعة لوصلوا مثل وصولنا
 وكلام كثير من هذا النمط وفي ثالث صفر وصلت عساكر العثمانيين وانتصبوا الى العادلية
 في الجهة الشرقية والى انبابة في الجهة الغربية وجرى القتال بينهم وبين الفرنسيين
 وكان النصر لعسكر السلطنة العلية ثم انعقد الصلح على خروج الفرنسيين من مصر
 وتسليمها للدولة العلية فتجهزوا وخرجوا آمنين في آواخر صفر ولما انعقد الصلح أطلقوا
 المشايخ الذين كانوا بالقلعة رهاين وهم الشيخ الشرفاوى والمهدى والصاوى والقيسوى
 وكانت مدة حبسهم في القلعة نحو مائة يوم وسافرت عساكر الفرنسيين على رشيد وابي قير
 ودخل الوزير يوسف باشا مصر في التاسع والعشرين من شهر صفر بموكب حافل وكانت
 مدة تملك الفرنسيين مصر ثلاثة سنين وشهرا قال الشيخ الشرفاوى في تاريخه وحقيقة حال
 فرنساوية الذين حضروا الى مصر انهم فرقة من الفلاسفة اباحية طبائعية يقال لهم
 نصارى كاتوليكية يتبعون عيسى عليه السلام ظاهرا وينكرون البعث والدار الآخرة
 وبمئة الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ويقولون ان الله واحد لكن
 يقولون بالتعليل ويحكمون العقل ويعملون منهم مدبرين يدبرون الاحكام يضعونها بعقولهم
 ويسمونها شرائع ويزعمون ان الرسل محمدا وعيسى وموسى كانوا جماعة عقلاء وان الشرائع
 المنسوبة اليهم هي قوانين وضعوها بعقولهم تناسب أهل زمانهم ولذا جعلوا في مصر وقراها
 الكبار دواوين يدبرون ما يناسب اهل البلاد بحسب عقولهم وكان في ذلك رحمة الله تعالى

باهل مصر فانهم جعلوا من جلة ذلك ديوانا فيه جاعة من المشايخ وصاروا يراجعونهم في بعض اشياء لاتليق بالشرع والسبب الذي اوجب لاهل مصر وقراها بعض الانقياد اليهم عجزهم عن مقاومتهم بسبب هروب المماليك الذين معهم آلات القتال وانهم عند قدمهم كتبوا كتباً وفرقوها في البلاد وذكروا فيها انهم ليسوا نصارى لانهم يقولون ان الله واحد والنصارى تقول بالتثليث وانهم يعظمون محمداً ويحترمون القرآن وانهم يحبون العثماني ولم يأتوا الا لطرده المماليك الظلمة لانهم نهبوا أموالهم وأموال تجارهم ولا يتعرضون للرعايا في شيء لكن لما دخلوا لم يقتصروا على نهب أموال المماليك بل نهبوا الرعايا وقتلوا جلة من الناس لما قامت عليهم اهل مصر بسبب طلبهم تفريد غرامة على البيوت وقتل منهم ما يقرب من الالف وهتكوا بعض الاعراض في مصر وقراها فان كل قرية حاربتهم نهبوا أموالها وقتلوا رجالها وأخذوا نساءها وقتلوا من علماء مصر نحو ثلاثة عشر عالماً ودخلوا بخيولهم الجامع الازهر ومكثوا فيه يوماً وبعض الليلة الثانية وقتلوا فيه بعض علماء ونهبوا منه أموالاً كثيرة وسبب وجودها فيه ان اهل البلد ظنوا ان العسكر لاندخله خوفاً ولو افيه امتعة بيوتهم فنهبوها ونهبوا اكثر البيوت التي حول الجامع ونشروا الكتب التي في الخزانة يعتقدون ان بها أموالاً واخذ من كان معهم من اليهود الذين يترجون لهم كتباً ومصاحف نفيسة وكان خروجهم بهمة مولانا سلطان سلاطين اهل الارض مولانا السلطان سليم خان لازال محفوفاً برعاية الخان المنان وبند بيروزيه الاعظم وكان مكث بونابارته امير الجيوش الفرنسية في مصر سبعة اشهر ثم ذهب لقتال احمد باشا الجزائر بعكا ثم توجه الى بلاد الفرنسيين وجعل له نائباً منهم بمصر ولما وصل بونابارته الى بلاد الفرنسيين ويقال له نابليون استعانوا به في اصلاح خلل كان حاصلًا ثم ساق جيوشاً لمحاربة ايطاليا والنمسا وانتصر عليهم وفي سنة تسع عشرة ومائتين وألف أقاموه امبراطوراً على فرنسا كافة وشن الغارات على دول اوربا وحارب الروسية والنمسا والانكليز والبروسية ووقائع طوييلة افردت بالتأليف ثم تجمعت جميع ملوك اوربا واتفقوا على حرب فرنسا فأصاب فرنسا من ذلك شدايد عظيمة وسموا من كثرة الحرب فاتفقوا على خلع بانابارته ودعوا لوزير الثامن عشر لملكوه عليهم فلما علم ذلك بانابارته استعفى وذلك سنة ثلاثين ومائتين والفر فملكوا الوزير الثامن عشر وأعطوا بانابارته جزيرة الالب لملك عليها ثم بعد سنة أتى باريس فهرب لوزير الثامن عشر وعاد الى انكلترا فنهضت الدول لمحاربة بانابارته واعادة لوزير الى ملك فرنسا وجرت امور يطول ذكرها وآخر الامر تنازل عن الملك الى ابنه فلم تقبل الدول المتحدة ان يذو الملك احد من سلالاته فذهب بانابارته الى رشغورت وطلب من حكومت الانكليز ان تقبله ضيفاً في بلادها فأجابته اولاً الى ذلك فركب الى احدي الموانئ الانكليزية وقبل ان ينزل الى البر أرسلت اليه الحكومة الانكليزية تخبره انه اسير الدول المتحدة ثم شيعوه الى جزيرة هيلانه فبقى اسيراً الى ان هلك سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف وعره اربع وخمسون سنة ولزجع الى اتمام الكلام على ما كان في بقية زمن السلطان سليم

* ذكر خلع السلطان سليم *

سبب ذلك أنه كان السلطان سليم يرغب أن يلاشى وجاه الانقشارية وقيم مكانه عسكرا جديدا على الطريقة الأفرنجية لأن الانقشارية كانوا قد زعزعوا أركان السلطنة بعصيانهم وعدم انقيادهم وكان قد نظم في العام الماضي بعض الفرق من النظام الجديد فهاج الانقشارية من ذلك وأثاروا في القسطنطينية شغباً عظيماً يطول الكلام بذكره واعتصموا عصابة واحدة وكان موافقاً لهم على منع النظام الجديد عطاء الله أفندي شيخ الاسلام وقائم مقام صدر أعظم فقوى أمرهم به وقال لهم إنه لا يجوز أن تكون عساكر الاسلام متشبهة بالكفار وحيث أحدثوا النظام الجديد كانوا متشبهين بالكفار فقويت هذه الحجة في صدورهم وقالوا سيروا بنا للنلاش النظام الجديد وننتقم من الوزراء الذين أفسدوا طهارة الايمان بأفعالهم الشنيعة وتحالفوا على ملاشاة وجاهات العساكر الانقشارية الذين هم أعمدة مملكة الدولة العلية وبعد هذا الحديث أخرجوا ورقة فيها اسماء بعض اشخاص من رجال الدولة يريدون قتلهم أرسلها اليهم المفتي عطاء الله أفندي فأخذوا يتلونونها ويسمون الاشخاص الذين يريدون قتلهم ثم ساروا يفتشون على أولئك الاشخاص فوجدوا بعضاً منهم فقتلوه واخفى كثير من أولئك الاشخاص في بيوت النصاري واليهود وقتلوا خلقاً كثيراً وأحضروا سبعة عشر رأساً من أعظم رجال الدولة وكان الدم جارياً في القسطنطينية ثلاثة أيام ثم صمموا على طلب السلطان سليم والقبض عليه ليخلعوه وصاروا يقولون يا أيها السلطان المغشوش بهذه التعاليم نسيت أنك أمير المؤمنين وعوضا عن اتكالك على الله القادر العظيم الذي يدد بدقية واحدة الجيوش الكثيرة العدد وأردت أن تشبه الاسلام بالكفار وأغضبت الله فكيف يسوغ لك أن تكون أمير المؤمنين ومحامياً عن الدين فالعساكر المحافظة كرسيك لم يبق لهم ثقة بك والمملكة أضحت مضطربة فيجب عليك أن تلاحظ وتفضل على كل شيء شرف الايمان وسلامة الاسلام وبعد كلام كثير صارت قراءة الفتوى التي مضمونها ان السلطان الذي يخالف القرآن الشريف هل يترك على تخت السلطنة الجواب كلا ثم قال القاري قد صار معلوماً عنكم انه تحت عزل السلطان فما قولكم الآن هل تسلمون له يفعل ما يخل بالاسلام فصرخت العساكر كلا ثم كلا لانقلبه سلطاناً علينا فليعزل وصرخوا باسم السلطان مصطفى ابن الساطع عبد الحميد وقالوا ليعش السلطان مصطفى وأرسلوا المفتي للسلطان سليم ليتنازل عن السلطنة من دون مقاومة فدخل عليه متذللاً منخفض الرأس قائلاً يا مولانا اني قد حضرت بين يديك برسالة محزنة أرجو قبولها لتسكين الهيجان وليس خافياً على مسامعكم الشريفة بان العساكر الانقشارية قد نادوا باسم السلطان مصطفى ابن عمك سلطاناً عليهم فالآن لاسبيل الى المقاومة فالتسليم لأمر الله أوفق من كل شيء فلم تظهر على السلطان سليم كآبة من هذا الحديث وقبل كلام المفتي ونزل عن السلطنة وكان ذلك في احدى وعشرين من ربيع الأول سنة اثنين وعشرين ومائتين وألف فدة سلطنة السلطان سليم ثمانية عشر سنة وثمانية أشهر واذ كان ذاهباً يختل في مكان منفرد عن سرايا التقي بالسلطان مصطفى قادماً ليجلس مكانه على تخت السلطنة فقال له يا أخي أهبطني الله من العرش العتيق لأن

يجلس عليه أنت لا نني أردت وضع تنظيمات لتقوية المملكة والدين واصلاح حال العسكر
الذين جهلوا تعاليمهم وتركوا قوانينهم فهاجت على العساكر مع بعض رجال الدولة
وأرسلوا يطلبون مني التنازل عن تحت السلطنة ونادوا باسمك وها أنا ماض بكل رضا
أعيش منفردا وأما أنت فالك سعيد أكثر مني فأرغب اليك أن تسلك معهم بالحكمة اللازمة الحسنى
فلم يصغ السلطان مصطفى للكلام السلطان سليم وأراد السلطان سليم أن يعانقه فلم يمكنه من
معانقته فلما وصل السلطان سليم الى المكان الذي يريدون وضعه فيه وجد السلطان محمود
أخا السلطان مصطفى ما كذا في ذلك الموضع عليه آثار الرقة والنباهة وعند ما شاهد
السلطان سليم التقاه فقبل يده ذارفا دموعا غزيرة فحرك السلطان سليم الى البكاء وجلسا
في ذلك الموضع وطال ما كانا يتحدثان دائما بالأمور المشيدة أركان الدولة والدين هذا
ما كان من أمر السلطان سليم والسلطان محمود

✽ ذكر ولاية السلطان مصطفى بن عبد الحميد ✽

وأما السلطان مصطفى فانه بوصوله الى أمام أولئك العساكر فرحوا عظيمًا وأبشروا
على تحت السلطنة وبسبب هذه الحادثة العظمى والقنعة الظلماء حصل الخوف للجميع
القسطنطينية وقفلت الخوانيت ووقع الرعب في قلوب الجميع ثم أطلقت المدافع علامة على
جلوس السلطان مصطفى ونودي في المنابر باسمه وتقدم المفتي شيخ الاسلام وقائم مقام موسى
باشا الى الجموع التي كانت مجمعة في فسحة أت ميدان وأخبروهم ان السلطان مصطفى قد وعد
بإبطال ما كان مهتما به السلطان سليم من وضع النظام الجديد وارجاع العوايد القديمة فلما سمع
الجميع هذا الحديث تفرقوا وبعد أن جلس السلطان مصطفى على تحت السلطنة سلم زمام
الأحكام بيد القائم مقام كوسج موسى باشا والى المفتي شيخ الاسلام عطاء الله أفندي ولما بلغت
هذه الأخبار الصدر الأعظم جلبى مصطفى باشا وكان رئيس الجيوش التي خرجت لقتال
الروسية كما تقدم حزن لذلك وغضب غضبا شديدا هو ومن معه من العساكر وكان من جلته
مصطفى باشا البيرقدار فعدوا صلحا مع الروسية ورجعوا بالعساكر ليتداركوا هذا الأمر
وأرسلوا العساكر الانقشارية الذين بالقسطنطينية يقولون لهم انهم قادمون لنجدتهم واقام
ليطمئنوا بذلك وما دخلوا القسطنطينية الا بعد مشاق وأراد البيرقدار مصطفى باشا
ارجاع السلطان سليم والقبض على السلطان مصطفى وطلب من الصدر الأعظم المساعدة
على ذلك فأنكر عليه ذلك مبينا سوء عواقب الامور فغضب البيرقدار غضبا شديدا وأمر
بحبسه وبلغ الخبر السلطان مصطفى فأرسل أناسا يقتلون السلطان سليم فدخلوا عليه
وهو يصلي صلاة العصر فلم يهلوه الى أن يتم الصلاة بل وثبوا عليه وطرحوه الى الارض
فنهض حالا عليهم كالاسد وصرعهم وكان قويا جدا ثم تغلبوا عليه وخنقوه حتى مات
ورجعوا به الى السلطان مصطفى مسرعين وطرحوه مية امامه وكان ذلك سنة ثلاث وعش
ومائتين والالف وعمر السلطان سليم ثمانية واربعون سنة ثم أرسل أناسا وأمرهم بخنق حية
السلطان محمود وكان البيرقدار هجم بجماعة مسرعين لانقاذ السلطان سليم فوجدوه

قدمت فاهتموا بامر السلطان محمود وقال لهم البيرقدار عليكم بنجاة السلطان محمود لانه الوارث الوحيد لتخت السلطنة الباقي من سلالة آل عثمان فأخذت العساكر تطلب سلطان مصطفى وتبحث عن السلطان محمود لان السلطان محمود لما جاء جنود السلطان مصطفى الذين يريدون قتله اراد الفرار فرشقه احدهم بمخنجر أصاب يده فهرب وصعد على سطوح المرايا فلما نظرت جاعة البيرقدار وضعوا له سلما فنزل الى صحن الدار حيث ان البيرقدار وعندما نظر اليه البيرقدار فرح فرحا عظيما وحمد الله تعالى على خلاصه من أخيه وصار يقبل قدميه

ذكر ولاية السلطان محمود بن عبد الحميد

ثم دخل به القاعة وأجلسه على تخت السلطنة وأرسل جندا قبضوا على السلطان مصطفى وأمر بحبسه فلما تم جلوس السلطان محمود جعل مصطفى باشا البيرقدار صدرا أعظم وسله زمام الاحكام فأخذ يجتهد في اخذ الثار من الذين قتلوا السلطان سليم ثم شرع في تعليمهم المكارم الجديدة وأرسل وطلب اجتماع اهل الحل والعقد من رجال الدولة فلما حضروا لم يجد لهم شدة الاضطراب لتعليم العساكر صناعة الحرب وانفاذ أوامر السلطان بالابا رأيهم في ذلك فصادقوه مدعين لامر السلطان وتعهدوا بالمساعدة في كل ما يؤول نجاح المملكة وفي الحال أخذ الصدر الاعظم في وضع ترتيبات جديدة أوجبت الملام عليه من كثيرين وأضرموا له السوء وصاروا يطعنون فيه جهارا ويدعون به بالكفر وعلقوا اوراقا في الاسواق وعلى باب داره مكتوبا فيها قد قرب موت الصدر الاعظم وساروا بأسلحتهم يطلبون قتل العساكر الذين تعلموا التعليم الجديد فأخذوهم بقتلهم وشتمهم واحاطوا بمنزله وطرحوا فيه النار ووقعت أمور يطول الكلام بذكرها وانقسم الناس فريقين فريقا يريد التعليم الجديد وفريقا يكرهه وقتل بسبب هذه الفتنة خلق كثير واحرق دور كثيرة وحاصروا الصدر الاعظم في الدار التي كان فيها وأطلق عليهم الرصاص وقتل كثيرا منهم ثم نار عليه صناديق بارود وكانت في داره فمات بسبب ذلك وكان قد أخرج من داره ونساءه من الدار قبل ذلك فاحيلت الصدرة الى يوسف باشا وكان ذلك في سنة ثمان وعشرين ومائتين والف وعزل شيخ الاسلام عطاء الله افندي واحيلت المشيخة الى عرب زاده محمد عارف افندي وكتب السلطان مصطفى وهو محبوس كتابا لعساكر الانقشارية يحرضهم على الغيرة وارجاعه الى السلطنة فوقع ذلك الكتاب في يد بعض العلماء فذهب به الى شيخ الاسلام فجمع كثيرا من العلماء وأخذوا يتحدثون في عواقب هذه الامور ويتشاورون في اطفاء هذه الفتنة وأرادوا انه اذا بقي السلطان مصطفى في قيد الحياة لا تنطفئ الفتنة فاختروا رجلا من بينهم يقال له منيب افندي كان قاضي اسلامبول ايمرض على السلطان محمود رأى العلماء ويلتمس منه قتل السلطان مصطفى فصار منيب افندي الى السلطان محمود وعرض عليه ذلك فأجاباه السلطان محمود ان هذا امر محال وكيف يتصور أن يصدر رأمرى بقتل أخى مع كونى قادرا على منعه من هذه الاعمال وصار بينه وبين السلطان محمود محاورة كثيرة في ذلك

وكأنوا يهجمون براكبهم على سواحل البحر فيقتلون ويسلبون ويرمون الفتن في جميع
الاطراف فشق ذلك على الدولة العلية وأرسلت العساكر لردعهم وادخالهم
في الطاعة فشبت الحرب بينهما وقامت على ساق وقدم وبعث الباب العالي الى
محمد علي باشا والى ولاية مصر يأمره ان يرسل جيشا لمحاربتهم فأرسل ولده ابراهيم
باشا المشهور بخمسة وعشرين الف مقاتل مع عمارة بحرية ولما وصل الى المورة
انضم بجيشه الى جيش الدولة العثمانية ودارت نيران الحرب ولما أيسر الاروام
من النجاة ونوال الاستقلال استجدوا بالدول الأوروبية فبادرت دولتنا
فرانسا وانكلترا الى التوسط في الامر والسعي بالصلح فلم يحبب السلطان محمود سؤالهما
فانضمت اليهما العمارة الروسية وبعثوا الى ابراهيم باشا ان يوقف الحرب فأجاب انه
لا يقدر على ذلك الا بأمر من السلطان فعند ذلك اطلقوا النار على عمارتي الدولة ومحمد علي
باشا فأحرقوهما وكان ذلك سنة الف ومائتين وحدى واربعين ولما بلغ الخبر السلطان
محمود اضطر الى اجابة سؤال الدول المتحدة وأمضى الصلح بشروط مخصوصة فيها
ابطال الحرب واستقلال الاروام

✽ ذكر قتل العساكر الانقشارية ✽

في سنة احدى واربعين ايضا شرع السلطان محمود في تعليم بعض العساكر التعليم الجديد
وشرع في تدبير الامر في تدمير الانقشارية وابطال وجاقهم فأبرز امرا سلطانيا يتضمن
القدح في وجاق الانقشارية وبيان الخلل الواقع منهم وتقليلهم على الدولة وقتلهم بعض
السلطين وأمر سليم باشا الصدر الاعظم ان يجمع العلماء في بيت شيخ الاسلام ويتلو
عليهم الامر الشاهاني ففعل ذلك فأجابوا بالامثال بما يصدر به الامر السلطاني وتعهدوا
بانفاذه وكان مع الحاضرين جماعة يميلون الى الانقشارية فتمصّبوا لهم سرا وأخبروهم
بما صار عليهم الاتفاق فهجموا على بيت الصدر الاعظم وبعض العظماء من رجال
الدولة وأخذوا ينادون في شوارع اسلامبول ويقولون اليوم قتل العلماء ورجال الدولة
وكل من كان السبب في وضع النظام الجديد ويقتلون كل من صادفوه منهم
وينهبون البيوت ويطرحون فيها النار ففر الصدر الاعظم منهم وجاء الى السلطان محمود
وأخبره بتلك الحوادث فأمره ان يجمع الطوبجية وسائر اهل الاسلام امام باب السرايا
فاجتمع في ذلك النهار جمع غفير من العلماء ورجال الدولة ينتظرون خروج السلطان اليهم فلما
خرج اليهم أخذ يحدّثهم بكلام يهيج به نخوتهم فأقسم جميعهم على انهم يهريقون
دماءهم في صيانة أوامره وتنفيذها والتمسوا منه اخراج الصنّيق الشريف النبوي ليهجموا
على العصاة فأراد السلطان ان يكون معهم فتوسلوا اليه ان لا ينسأزل الى ذلك وأرسلوا
ينادون في شوارع المدينة ويدعون اهل الاسلام للاجتماع تحت الصنّيق الشريف فلما
علم بعض الانقشارية بذلك أرسلوا اناسا من جماعتهم ينادون لاجتماع الانقشارية فلما قرعت
أصوات المنادين آذان اهل الاسلام أسرعوا الى فمحة السرايا أفواجا أفواجا ففرقوا عليهم

السلح وسلم السلطان الصنبح الشریف لشیخ الاسلام قاضی زاده طاهر افندی وعاد الی کرسیه الملوکی وكان یشرف علی الجمیع امام السرایا وسار سلیم باشا الصدر الاعظم امام تلك الجموع التي كانت اکثر من خمسين الفا وشنوا الغارة علی الانقشاریة صارخین الله اکبر علی الاشقیاء وهجموا علیهم وأطلقوا المدافع والرصاص وكان یوماهولا عظیما فقتلوا منهم نحو عشرة آلاف والباقیون فروا الی قشلهم وتحصنوا فیها فهجم علیهم العساكر والاهالی وطرحوا فیها النار فاحترق کثیر منهم ومن بقی واوا الادبار ثم قبضوا علی کثیر منهم فقتلوه وطرحوه فی فمحة ات میدان وبعد ذلك دعا السلطان الیه العلماء ووكلاء الدولة وأخذ یربهم أثواب السلاطین العظام الملطخة بالدماء الذین قتلهم العصاة الانقشاریة طالبا ثمن دم السلاطین فأجاب العلماء أن ثمن دم کل سلطان خمسة وعشرون الف نفس فصدرت الاوامر بتدمير الانقشاریة فی الاسنانة العلیة وفی جمیع الجهات فقتل منهم عدد کثیر وارتاحت الدولة والناس من مظلهم وألحق بهم بعض الدراویش من البکطاشیة لکونهم یمیلون الیهم ویساعدونهم ویفعلون فی تکلیاتهم افعالا شنیعة محرمة وبدعا مسترذلة فأمر السلطان بقتل اکثرهم وهدم تکلیاتهم وأخذت الدولة فی تکثیر العساكر النظامیة والجد فی تعلیمهم وأبطلت وجاه الانقشاریة وفی اثناء تلك المدة غیر السلطان محمود لبسه وزرع العمامة والجببة وتزایزى المسکر الجدید علی هیئة الاوروبیین وبالطربوش الصغیر ولم یبال باقوال المعترضین

✽ ذکر القتال مع الروسية ✽

فی سنة ثلاث و أربعین ومائین وألف زحفت العساكر الروسية لمحاربة الدولة العلیة عند نهر الطونة وسار جيش الی جهة الاناطول فأرسلت الدولة عساكر لمصادمتهم تحت قیادة الصدر الاعظم سلیم باشا فوقع بین الفريقین حرب شدیدة وتغلبت عساكر الروسية وهزموا عساكر الدولة واستولوا علی جملة أ ماكن وتقدمت عساكرهم الی شوملة وأقاموا الحصار علی سلیسترة واستولوا علی مدینة وارنة فمزل السلطان الصدر الاعظم سلیم باشا بنفسه وأقیم فی انصدارة محمد عزت باشا وسارت بعض عساكر الدولة الی جبل الامر فتركت الروسية محاصرة شوملة وكانوا قد استولوا علی سلیسترة وكانت عساكر الروسية التي فی الاناطول تتقدم فلكوا القرص و بایزید وطبراق وأرض روم واستأمرُوا صالح باشا وجاء جيش الروسية فیه مائة وستون ألف مقاتل وحاصروا أدرنة حصارا شدیداً الی ان استولوا علیها ولما اشتد الأمر علی رجال الدولة وعلی السلطان محمود اضطربت الأمور اضطرابا کثیرا الا ان السلطان محمود أظهر الثبات وقوة الجنان فی وسط تلك الاخطار المحدثه به وبدواته ثم تدخلت دول أوروبا فی الصلح وأتموه بشروط سنة خمس و أربعین ومائین وألف وما ل تلك الشروط استقلال الأروام وتنازل الدولة عن اقلیم المرب والاقلایق والبغدان للملوك من أهل تلك البلاد تحت نظارة ملك الروسية وعن بعض جزائر عند فم نهر الطونة وعن بعض أراض فی الاناطول مع غرامة حربیة

قدرها مائة وعشرة ملايين فرنك قال بعض مؤرخي الفرنج وربما استغرب القارى كيف ان الدولة التى سادت على أغلب ممالك العالم وأوقعت العرب فى قلوب جميعهم لم تستمر فى نموها وتقدمها حتى التزم سلاطينها الى ان يرتضوا هذه الشروط فاذا نظر الى هذا الامر بعين خالية عن الغرض يحق الاستغراب من وجه آخر وهو كيف أمكن هذه الدولة أن تحتمل هذه الصدمات الشديدة والمقاومات المريعة من أعدائها مع وجود الخلل فى داخلها بسبب أصحاب البغى والفساد وقلة الأموال ولم تتر عزع اركانها بل استمرت فى سلك الثبات العجيب ولم تستطع قوة اوسبيا آخر أن يثنيها واذا ضمننا الى هذه الاسباب الخلل الذى أوقعه وفاق الانفشارية وعدم تمام انتظام الترتيب للعسكر الجديد وعدم تمرن الجيوش بفنون الحرب وملاقة الاهوال لربما حق العجب كيف لم تقرض هذه الدولة اصلا واستطاعت ان تناضل الى هذه الدرجة مستهينة بكل الموانع التى تعرضت لها فهذا أعظم برهان على عظمتها وسطوتها انتهى كلامه وأقول ان ههنا سرا الهيا لتأييدها وهو سر بركة الاسلام وسر بركة النبي صلى الله عليه وسلم وسريان روحانيته لتأييد ملته وأهل دينه والله سبحانه وتعالى أعلم

✽ ذكر استيلاء الفرنسيين على الجزائر ✽

وفى سنة خمس وأربعين وألف ومائتين استولت الفرنسيين بقوة جبرية على جزائر الغرب مدعين أن أهلها كانوا يقبضون على مراكبهم التجارية ويربطون عليهم البحر فى تلك الجهات ويفتكون بهم فلما بلغ الباب العالى ذلك أرسل طاهر باشا قبودان باشا الى الجزائر يعاطى الصلح بينهم وبين أحمد باشا والى الجزائر فلما وصل وأراد النزول الى البر منعتة الفرنسيات فعاذراجعا الى القسطنطينية والجزائر المذكورة كانت فى حكم الدولة العلية من حين تملكها السلطان سليمان فلما طالت المدة صار الولاة الذين فيها يتوارثون الولاية بالتغلب ويدفعون خراجا للدولة ويكون تحت امر الدولة ظاهرا ومتغلبين باطنا فلما احدثت الدولة العساكر السلطانية بالتعاليم الجديدة امتنع والى الجزائر من تسليم عساكرها ولم يمثل امر السلطان فى ذلك فقل ان السلطان محمود هو الذى سلط عليه الفرنسيين لتأديدهم واما بجيوش كثيرة وحاصروا الجزائر الى ان قبضوا على الباشا المتولى عليها وذهبوا به الى بلادهم وتملكوا الجزائر وحصنوها بالعساكر فلما تملكها الفرنسيين لم يرجع تلك الجزائر لحكم الدولة بل استولى عليها وبقي على ذلك الى عصرنا هذا

✽ ذكر القتال بين محمد على باشا والسلطان محمود ✽

فى سنة سبع وأربعين ومائتين والالف وجه محمد على باشا والى مصر جيوشه برا وبحرا لملك الشام وجعل قيادتها اولده ابراهيم باشا فحاصره عكا وافتتحها مظهرا الانتقام من عبد الله باشا والى عسكلا سباب كانت بينهما وفتح فى طريقه غزة وبافا وحيفا فلما بلغ الدولة ذلك غضبت وأرسلت نأمر محمد على باشا برجوع العساكر وأنه اذا كان بينهما دعوى يقدمان الى الباب العالى فيحكم بينهما فلم يمثل لأمير الدولة فأبرزت الدولة فرمانا بمصيان محمد على باشا وتنزيله عن ولاية مصر وصدرا الأمر السلطاني لوالى حلب بجمع العساكر

لمحاربة ابراهيم باشا وخرج حسين باشا بعساكر من الاسكندرية وحصل القتال بين الفريقين خارج طرابلس فهزمهم ابراهيم باشا واستولى على الاقطار الشامية وقبض على عبدالله باشا والى عكا وأرسله الى الاسكندرية لانيه محمد علي باشا ولما وصل ابراهيم باشا الى داريا قرب دمشق خرج اليه علي باشا وزير دمشق واشتبك الحربي بينهما فهزمهم ابراهيم باشا وخرج اهل دمشق يسألونه الايمان فأنهم ودخلها وتقدم الى حصن واشتبك القتل بينه وبين والى حلب وكان يوما عظيما وحربا شديدا من أشهر الوقائع قتل فيه خلق كثير واستولوا على المهمات جميعها وانهزم والى حلب ورجع اليها فقتلت في وجوههم الابواب فساروا الى انطاكية ولما وصل ابراهيم باشا الى حلب خرج أهالي حلب لاستقباله فدخلها وتسلم ما كان فيها من الذخائر والمهمات وأمن أهلها ثم سار الى انطاكية وحاربهم فيها ثم الى بوغاز يبلان ولما بلغ الباب العالي تقدم العساكر المصرية سير رشيد باشا الصدر الأعظم بالجيش لحربهم فتقدم الى قونية والنقي الجيشان واشتبك القتال وانهزمت عساكر الدولة وقبض على رشيد باشا الصدر الأعظم وأتى به الى ابراهيم باشا فقباله بكل اكرام ثم خلى سبيله وامتدت هذه الفتنة والحروب الى سنة خمس وخسين ومائتين والف ثم صدرت الاوامر السلطانية الى حافظ باشا ليسيير لمحاربة ابراهيم باشا فالتقى الجيشان بالقرب من مرعش واقتتلا ووقعت الهزيمة اولا على عساكر ابراهيم باشا وكان في وادعسر فجمع العساكر وخرج بهم من ذلك الوادي وصعد الى تل كان تجاه معسكر حافظ باشا واخذ يطلق عليهم المدافع فعطل أكثر مدافعهم وفرق صفوفهم ثم هجم عليهم بعساكره هجمة هائلة فانهمزموا أمامه تاركين مدافعهم ومهماتهم عادين الى مرعش وقتل من الفريقين خلق كثير وهذه الواقعة من أشهر تلك الوقائع التي وقعت في تلك الحروب وأعقبها ابراهيم باشا بفتح أكثر الجهات في تلك البلاد ولم تصل اخبارها الى القسطنطينية الا بعد وفاة السلطان محمود ثمانية ايام ومن فتوحاته اخراج الخوارج الوهابية من مكة والمدينة وتطهير الحرمين منهم وقد تقدم ذلك عند ذكر السلطان سليم بن مصطفى ليكون ابتداء القتال مع الوهابية كان في مدة سلطنته لكن اتمام الامر ما كان الا في زمن مولانا السلطان محمود الثاني بن السلطان عبد الحميد فذلك من فتوحاته ومن فتوحاته المعنوية اعتناؤه باهل الحرمين كالاعتناء فانه صدرت الارادة الشاهانية من دولته بتحرير ما كان يصرف لهم من قح الجراية فوجدوا أكثر ذلك بيد الاغنياء والتجار كانوا يأخذونه من الفقراء بالفراغ بعوض حقير فصار الفقراء ليس لهم شيء فصدر الامر الشاهاني بنقض ذلك وابطاله وتجديد كتابة دفتر باسماء المستحقين فحصل تجديد ذلك في المدة التي كان فيها محمد علي باشا بمكة حين جاء لقتال الوهابية وكتب الله ذلك صدقة جارية في صحيفة مولانا السلطان محمود وصحيفة كل من كان له اعانة وتسبب في ذلك ومن حسنات السلطان المذكور وفتوحاته انه كان في مدة سلطنته تجديد قبة مولد النبي صلى الله عليه وسلم وقبة السيدة خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وقبة السيدة آمنة والد النبي صلى الله عليه وسلم وقبة سيدنا عبدالله بن عباس بالطفائف فان القباب المذكورة هدمها الوهابي وجدها مولانا السلطان محمود وهدم الوهابي ايضا قبا

كثيرة بالمدينة على قبور الصحابة وبعض الاولياء فجدها مولانا السلطان المذكور ومن خبرائه
 مفتوحاته المعنوية انه جدد لاهل الحرمين خيرات ومراتب زيادة على الذي كان مرتبا
 لهم من اسلافه وذلك انه في سنة احدى وخسين بعد المائتين والالف رتب مراتب
 للعلماء والخطباء بالحرمين الشريفين وللقائمين بخدمة المسجدين الشريفين مثل المؤذنين والفراشين
 والكناسين والبوابين وجعل للجميع مراتب جزيلة من النقود الجلييلة بعضها شهريات
 وبعضها سنويات واشترى لذلك عقارات كثيرة وأوقفها ليصرف من غلاتها جميع المراتب
 المذكورة فصارت حسنة جارية الى هذا الوقت يحصل منها كمال النفع والاعانة للمذكورين
 على معاشهم ومن وقت هذا الترتيب كان ابتداء وضع المدير والمديرية بمكة والمدينة ولم يكن
 ذلك موجودا قبل ذلك ثم ان ولده مولانا السلطان عبد المجيد ضم الى ذلك الترتيب مثله
 في مدة سلطنته كما سيأتي ذكر ذلك عند ذكره وكانت مدة سلطنة السلطان محمود ثنتين وثلاثين
 سنة وعمره خمس وخسون سنة وكانت وفاته تاسع عشر ربيع الاول سنة خمس وخسين ومائتين والالف

✽ ذكر ولاية السلطان عبد المجيد ✽

وجلس على تخت السلطنة بعده ولده السلطان عبد المجيد فجهز الجيوش لقتال عساكر محمد
 على باشا واخراجها من الشام وأعانه على ذلك دولة انكلترا وكانوا عرضوا على السلطان
 محمود الاعانة فأبى فلما توفي وتسلطن ولده السلطان عبد المجيد قبل اعانتهم فأعانوه وسير
 جيوشه الى الشام فهزموا عساكر ابراهيم باشا وأخرجوهم من الاراضي الشامية وأرادوا
 التوجه الى مصر والاسكندرية لاخراج محمد على باشا فتوسطت دولة انكلترا بالصالح
 الى ان أتموه بشرط ان تكون الاسكندرية ومصر واقطارها لمحمد على باشا ولا ولاده
 من بعده وضربوا عليه خراجا معلوما يدفعه في كل سنة ويرجع الى الدولة الشام والجزاز
 وتم الامر على ذلك وكانت مدة تملكه الاقطار الشامية قريبا من تسع سنين وفي مدة السلطان
 عبد المجيد قوى الاتحاد مع دولتي فرانس وانكلترا فحسنوا له احداث القوانين المسماة بالتنظيمات
 الخيرية فصدر منه فرمان السلطاني بذلك سنة خمس وخسين ومائتين والالف وهي سنة
 جلوسه على تخت السلطنة

✽ ذكر الحرب مع الروسية ✽

في سنة تسع وستين ومائتين والالف كانت الحروب العظيمة بين السلطان عبد المجيد والروسية
 المسماة بحرب القرم وسببها انه وقع اختلاف بين طائفتي الروم واللاتين في القدس من عدة
 سنين بسبب كنيسة القمامة وبعض الأماكن المقدسة فكانت كل طائفة منهما تدعى لنفسها
 حق الرياسة والتقدم على الاخرى باستيلاء مفايحها ثم أخذت هذه المسئلة تتعاظم بينهما وتمتد
 يوما بعد يوم الى ان آل الامر الى النزاع والجدال في سنة ثمان وستين ومائتين والالف فوقع
 الباب العالي في ارتباك وحيرة من جهة تسكينها واخذانارها لأن الروسية كانت تحامى عن
 حقوق الروم وفرانس تحتشد لطرف اللاتين فتدخل سفير انكلترا في صرف هذا المشكل
 ورسم ترتيبا لائتلاف الملتين المتخالفتين فقبلته فرانس ولم تقبله الروسية لأن مقصدها التوحيد
 ولم يكن مقتصر على المحامات عن حقوق الروم بل كان لها غايات أخرى طال ما كانت تجتهد

على نوالها وترقب الفرص لاستحصاها وهي ابعاد الدولة العثمانية من قارة اوروبا والاستيلاء على اقاليمها ولاياتها فانتهز امبرطورها نقولا تلك المنازعة فرصة مناسبة انوال بغيته وبلوغ أربه فبعث سفيرا الى القسطنطينية لمقابلة السلطان عبد المجيد بعد ان كان بعث جيشا يبلغ مائة واربعة واربعين الفا الى نهر الطونة ليكون مستعدا لوقت اللزوم والحاجة فلما وصل السفير المذكور الى القسطنطينية رفض مواجهة فؤاد باشا وزير الخارجية ودخل رأسا على الحضرة الشاهانية وعرض عليه مطالب الامبرطور نقولا في المسئلة المتعلقة بالاماكن المقدسة وان جميع الروم الذين هم من تبعية الدولة العلية تكون تحت حمايته من الآن وصاعدا وان بطرك الروم القسطنطيني وباقي اساقفة الطائفة يكون انتخبهم وتغيرهم منوطا به وان الشكاوى والدعوى التي تصدر عليهم من جهة تصرفاتهم تعرض عليه لينظر فيها فاستعظم السلطان هذه المطالب ورفضها لانها مخلة بناموس السلطنة ومغايرة للأصول وقوانين الدول فانثنى السفير راجعا من حيث أتى وأعلم الامبرطور نقولا بواقعة الحال فاستشاط غضبا وأصدر امرا الى العساكر التي أرسلها الى أطراف الطونة أن تعبر النهر وتستولي على تلك الاطراف فاجتازت النهر وشتت الغارات على امارات الافلاق والبغدان واستولت عليها ولما تحقق الباب العالي قدوم ذلك الجيش الى أطراف بلاده علم أن مقاصد الروسية في تطلعاتها لم تكن الا وسيلة لاشهار الحرب فجهز جيشا وأرسله الى تلك الحدود تحت قيادة عمر باشا المجرى لردع الروسيين ولما تأكدت الدول الارباوية بغية الروسية ومقاصدها بادرت انكلترا وبروسيا والنمسا الى عقد جمعية للنظر في اجراء الوفاق بين الدولتين وأرسلت كل دولة منهما معتمدا من طرفها الى مدينة فيينا حيث وافاهم سفير من طرف الروسية وآخر من طرف الدولة العلية وعقدوا هناك مجلسا في سنة الف وثمانين وسبعين لم يأت بالرغوب فلما لم يكن سبيل للصلح أشهر الباب العالي الحرب وصدى سليم باشا العساكر الروسية في الاناطول وانتصر عليهم في عدة مواقع وهاجمهم عمر باشا في الروم ايلي وانتصر عليهم ايضا واما العمارة التي للروسية في البحر الاسود فصدمت العمارة العثمانية واستظهرت عليها بعد حرب شديدة فالتفتها وكانت مؤلفة من سبعة فركانات وباخرتين وثلاث مراكب حربية ثم ان انكلترا وفرنسا لما تيقنا سوء نتائج هذه الحرب احتشدتا لمؤنة السلطان وأعلنتا الحرب على الروسية وفي سنة احدى وسبعين ابتدأتا في نقل رجالهما ومهماتهما الى ساحه الحرب واشتبكتا في القتال واما باقى دولة اوروبا فكانت محافظة على الحيادة وكانت دولة انكلترا قد أرسلت عمارة بحرية الى بحر بلتيك فاستولت على قلعة بومارستود ثم على جزيرة الاند ولكنها لم تقدر على استخلاص القلعة نظرا لخصائتها واذا كانت سيواسطبول أعظم قوات الروسية التي يعول عليها في البحر الاسود وجهت انكلترا وفرنسا قواهما لاقتحامها والاستيلاء عليها فأرسلتا فرقا من عساكرهما يبلغ عددهما ستين ألفا وكان اكثرها فرانسايين فنزلوا في بوياسرايا وفيما كانوا يتقدمون الى سيواسطبول صادفهم العساكر الروسية فاقتتل الفريقان قتالا شديدا الى أن دارت الدائرة على الروسيين فانهمزوا عند نهر الماء وكان جيش عساكر الروسية يحاصر مدينة

سليستة ولم تقدر على أخذها فخرجت عليهم العساكر العثمانية من المدينة واقتحمهم فانصرفت عليهم وفرقتهم فذهبوا عن المدينة خائبين وانضموا الى آخرين وقصدوا القرم لنبذة حصار قلعة سيواسطبول التي اليها وجهت الروسية كل قوتها من المهمات والعساكر فانخار وصادم جيش من الانقليز جيش الروسين عند بالاكلافا تنصروا عليهم بعدما فقدوا خلق كثير وكان جيش للروسية محاصرا في انكرمان وعددهم ستون الفا فخرجوا من مكان حصارهم واقتحموا العساكر العثمانية والانقليزية والفرنساوية ودارت بينهم معركة شديدة اخمروا على الفريقين وانجلبت بالنهزام الروسية وأزومهم حصن المدينة ولم يكن حينئذ في قوة الدول المتحدة الاستيلاء على سيواسطبول مع انهم كانوا يزيدون في قوتهم الحربية ويكثرون هجماتهم وقنابرهم ولم يقدروا على استخلاص تلك القلعة او ان يمنعوا المساعدات التي كانت تأتيها من داخل البلاد ولقد قاست العساكر المتحدة لاسيما الانقليز في شتاء سنة احدى وسبعين وشتاء اثنين وسبعين احوالا وشدايد بكل الاسان عن وصفها وتعدادها فان الامراض والايوجاع قد اخذت في العساكر كل مأخذ واهلكت كثيرا منهم فضلا عن الجوع والتعرض لبرد تلك البلاد والابخرة المنتنة التي كانت تتصاعد من جثث القتلى والحيوانات اما ايطاليا فقد هيأت جنودها للحرب وانضمت الى الدول المتحدة فأرسلت خمسة عشر الف مقاتل بعد ما تعهدت لها ان تكثر بدفع مبلغ مليون ليرة على سبيل الامانة واشتهرت رجالها في تلك المجامع بالشجاعة والثبات وفي خلال ذلك هلك الامبراطور نقولا سنة اثنين وسبعين ومائتين والالف وجلس ولده اسكندر الثاني مكانه وفي خلال ذلك وقعت واقعة هائلة بين الروسية والعساكر المتحدة كانت الدائرة فيها على الروسية واستولت جيوش فرنسا على قلعة ملاكوف واذ لم يبق للروسية استطاعة على حفظ مراكزهم تركوا سيواسطبول في مساء ذلك النهار وعولوا على الهزيمة والفرار ودخلت العساكر المتحدة الى القلعة وامتلكتها فانفتحت حينئذ مخابرات الصلح وعقدت جمعية في باريز سنة ثلاث وسبعين ومائتين والالف حضرها اثنان من طرف كل دولة من الدول الست المتحاربة وهي انكلترا وفرنسا والعثمانية والنمسا وبروسيا وسرانيا وأمضت شروط الصلح متضمنة اربعة وثلاثين بندا أخصها ان الدولة العلية يكون لها الامتيازات التي لباقي دول اوروبا من جهة القوانين والتنظيمات السياسية وانها تكون مستقلة في ممالكها كغيرها من الدول وان البحر الاسود يكون بمنزل عن جولان مراكب حربية فيه من اي جنس كان ماعدا الدولة العثمانية والروسية فان لهما حقا في ادخال عدد قليل من المراكب الصغيرة الحربية لاجل محافظة اساطيلها وان لا يكون للدولة العثمانية ولا للروسية ترسانات بحرية حربية على شواطئ البحر الاسود الى غير ذلك من الشروط ثم انسحبت العساكر الى مساكنها وانتهت الحرب التي لم يكن لها داع سوى المطامع وفي سنة اثنين وسبعين كانت فتنة عظيمة بمكة المشرفة بين اهالي مكة وعساكر الدولة بسبب ورود امر بمنع بيع الرقيق وانتهت في رمضان بالقبض على الشريف عبد المطلب بن غالب امير مكة وتولية الشريف محمد بن عون والكلام عليها طويلا وفي سنة اربع وسبعين وقعت فتنة في جدة

بين اهالي جدة والنصارى الذين بها بسبب اختلاف بعض اهل المراكب في وضع بندرية الاسلام او الانكليز على بعض المراكب والكلام عليها ايضا طويل وفي سنة ست وسبعين كانت فتنة بالشام بين النصارى واهل الشام والكلام عليها ايضا طويل وفي سنة الف ومائتين وسبع وسبعين حدثت فتنة عظمى بين الدروز والنصارى في جبل لبنان آل الامر الى وقوع حرب بين الفريقين وكانت النتيجة ردية على النصارى بسبب اختلافهم وعدم انضمام بعضهم لبعض وعدم انقيادهم لبعضهم ففتكت بهم الدروز فأرسل الباب العالي فؤاد باشا ليهند الامور وينتقم من المذنبين وأرسلت فرانساً عشرة آلاف جندي للمحافظة ومنع التعدي وكذلك باقى الدول الفرنجية منها من أرسل مراكب حربية ومنها من أرسل نوأبالا اصلاح الحال وتمهيد الامور وغب اجرا ما يلزم اجراؤه استحسنت الدولة العملية باتفاق الدول وضع نظامات جديدة لاهل هذا الجبل وان تتحول احكامه لمشير من العا النصرانية من غير اهالي الجبل ليكون متصرفا بها ويخبر رؤسا الباب العالي فتو المتصرفية لداود باشا الارمنى ومن خيرات السلطان عبد المجيد وفتوحاته المعنوية مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة فانه كان على بناء السلطان قايت باي مسقفا بالخشب فطالت مدته وحصل فيه خراب فصدت ارادة مولانا السلطان عبد المجيد بهدمه وتجديده سنة الف ومائتين وسبعين فهدم وجدد وجعل سقفه قويا وطواجن كالمسجد الحرام وتم عمارته بعد مضي اربع سنين بجاء على صفة لم ير الاون أحسن منها وله عمارات كثيرة في الاماكن المأثورة بالحرمين الشريفين وله تجديد ميراب للكعبة المشرفة سنة خمس وسبعين ومائتين والف وتوفي السلطان عبد المجيد في سابع عشر ذى القعدة سنة الف ومائتين وسبع وسبعين وعمره اربعون سنة ومدة سلطنته ثلثان وعشرون سنة وستة اشهر

✽ ذكر ولاية السلطان عبدالعزيز ✽

وأقيم في السلطنة بعده اخوه السلطان عبدالعزيز بن السلطان محمود الثاني وفي سنة ثمان وسبعين أظهر العصيان اهل الجبل الاسود فسير السلطان عبدالعزيز اليهم جيشا فقاتلهم وهزمهم ثم رجعوا الى الطاعة وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين والف أظهر العصيان كثير من الاروام بجزيرة كريد وكثير من البندقية فجهزت الدولة عليهم جيوشا برا وبحرا وكذلك جهز صاحب مصر عساكر كثيرة برا وبحرا فكانت مع عساكر الدولة ووقع بينهم وبين العصاة حرب شديدة كان النصر فيها للعساكر الاسلام وأذاقوا العصاة الوبال وأرجعواهم الى الطاعة وفي سنة تسع وسبعين توجه السلطان عبدالعزيز الى الديار المصرية للتنزه والتفرج وكان ذلك في ولاية اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا بن محمد علي باشا وفي سنة اربع وثمانين توجه السلطان المذكور الى باريز تحت ملك الفرنسيين للتنزه والتفرج ايضا ثم منها توجه الى بلاد الانكليز للتفرج والتنزه ايضا وكان في رحلته هذه مر على ادرنة وعلى قلعة بلغراد وكان المرب قد طلبها منه وقيل النيسا فأعطاه اياهم فحين ماين تحصينها غضب لذلك وكانوا أخبروه انها مهدومة وانها مدينة كاسدة فأعطاه قبل ان يراها فلما

رأها ندم حيث لا ينفع الندم وفي سنة ثمان وثمانين كانت فتنة عظمى ببلاد عسير فجهزت الدولة جيشا تحت قيادة رديف باشا فسار حتى صعد جبال عسير وقتلهم وهزمهم وقتل أميرهم محمد بن عايض بن مرعى وقتل معه جماعة من عشيرته واسر كثيرا وارسلهم الى الاستانة وصارت بلاد عسير في حكم الدولة العلية منضمة الى ولاية صنعاء واليمن وفي هذه السنة ايضا كانت فتنة عظمى بين دولة البروسية وفرنسا آل الامر فيها الى هزيمة الفرنسيين وأسر ملكهم نابليون الثاني والكلام عليها طويل مفرد بالتأليف وفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين والف في السابع من شهر جادى الاول خلع السلطان عبدالعزيز ومات رحمه الله تعالى بعد خمسة ايام وعمره ثمان واربعون سنة ومدة سلطنته ست عشرة سنة واربعة اشهر

✽ ذكر ولاية السلطان مراد الخامس ✽

وتعدى في السلطنة بعده السلطان مراد الخامس بن السلطان عبد المجيد بن السلطان محمود وفضلًا ثم خلع بعد ثلاثة أشهر وثلاثة أيام في ثالث شعبان من السنة المذكورة أعني سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف والسبب في خلعه انه وقع له خلل في عقله بعد أيام مضت بعد بيعته فلما تحققوا الخلل في عقله استفتوا فيه شيخ الاسلام خير الله افندى فأفتى بخلعه لأن شرط الخليفة أن يكون متصفا بالعقل فخلعوه وبايعوا أخاه سلطان العصر مولانا السلطان عبد الحميد الثاني وبقى السلطان مراد المخلوع في داره وأما السلطان عبدالعزيز فانه بعد خلعه بأيام قلائل أقل من الأسبوع توفي فأشيع أنه قتل نفسه بمقص قص به عرقا في ذراعه فمات من ذلك وفي سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف في جماعة من الوزراء الى الحجاز فحبسوه في قلعة الطائف منهم مدحت باشا ومحمود باشا داماد مولانا السلطان عبد الحميد ونورى باشا داماد ايضا مولانا السلطان عبد الحميد ومعهم جماعة آخرون غير هؤلاء منهم شيخ الاسلام خير الله افندى وفي سنة ثلاثمائة توفي مدحت باشا ومحمود باشا داماد في القلعة المذكورة وكان خلع السلطان عبدالعزيز سببا لاضطراب كثير وحوادث شتى وكان القائم أكل القيام في خلعه حسين عوني باشا وكان السلطان عبدالعزيز هو الذى رقاؤه وأعلى قدره الى أن جعله رئيسا على العساكر كلها بل صار مقدا على جميع أهل الرتب والمناصب فرتب الأمور مع الوزراء وغيرهم وزعم ان السلطان عبدالعزيز تدخل مع الروسية وانه يريد أن يملكهم دار السلطنة فزال حسين عوني باشا وغيره يسعون في ذلك حتى تم لهم خلعه فقد رآه الله ان رجلا يقال له حسن جر كس قتل حسين عوني باشا وذلك ان السلطان عبدالعزيز كان متزوجا بأخته فأخذته حية حين خلع السلطان عبدالعزيز فصمم على قتل حسين عوني باشا فدخل عليه في دار صدر أعظم محمد رشدى باشا فوجده مع جماعة من الوزراء مجتمعين للمشاورة في بعض الأمور وكان مع حسن جر كس زوج من الطبخج ذوات الأرواح المتعددة فضرب به ضربا متعددا وقتل جماعة من الحاضرين منهم حسين عوني باشا السامى في خلع السلطان عبدالعزيز ولم يتم لحسين عوني باشا شئ من مراده والله غالب على أمره ثم قبضوا على حسن جر كس فقتلوه

ذكر ولاية سلطان العصر أطال الله عمره

هو السلطان المعظم المنعم * سلطان سلاطين العرب والعجم حاز العلم والصلاح والكرم المتشرف
 بخدمة طيبة والحرم * صاحب السيف والقلم * ظل الله في العالم غياث بني آدم * نعمة الله على العباد *
 وفضله على الحاضر والباد * ناصر الحق والدين * مؤيد شريعة سيد المرسلين * المحفوف بالسبع
 المثاني * أمير المؤمنين مولانا السلطان الغازي عبد الحميد الثاني أعز الله سرير الملك والخلافة
 بوجوده * وأعد على القريب والبعيد آثار فضله وجوده * وأنفذ في جميع البلاد أوامره
 وأحكامه * وانشتر على البرايا ألوية عدله وأعلامه وأيده بتأييدك وأبدته بتأييدك واجعل سلالة
 تلك السلطنة العلية العثمانية مسلسلّة الى منتهى الدوران * مستمرة على مرور الليالي والأيام باقية
 الى آخر الأزمان آمين يا رب العالمين بويع أطال الله عمره لما خلعهوا أخاه السلطان مراد في ثالث
 شعبان سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف فكانت سلطنته زينة وبهجة وسرورا واعتد بها
 في مشارق الارض ومغار بها ماملأهما نورا ومما كان من الحوادث في أول ولايته انه وقع
 عصيان من بعض النصاري الداخلين في رعية الدولة العلية في بلاد الروم ابلى وهم طائفه
 يقال لهم الهرسك فجهر عليهم مولانا السلطان المذكور جيشا فقاتلوهم وكانوا قوما ضعافا
 لا يحتاج الاستيلاء عليهم وقهرهم الى كلفة ولا الى كثرة عساكر الا ان الروسية تداخلت معهم
 وصارت تقويهم بأشياء كثيرة حتى اتسعت فتنتهم وانتشرت وأعانهم طوائف من النصاري
 الذين كانوا قريبا منهم الى ان صارت المحاربة بين الدولة والروسية وصارت تلك الطوائف
 من النصاري مع الروسية وساقطت الدولة بهذه الفتنة العساكر الكثيرة وأنفقت الخزائن الوفيرة
 فتد ر الله بانهم جيوش الاسلام وأسركثير منهم في بلونة وذلك بسبب محاصرة عساكر
 الروسية لهم في ذلك البلد وعدم امكان وصول الميرة اليهم لشدة البرد وكثرة الثلج ومن أسر
 من كبار عساكر الاسلام الوزير عثمان باشا الغازي قوماندان ذلك الجيش في بلونة ثم أطلق مع
 كثير من أسروا وكان اطلاقهم بعد انعقاد الصلح وتلك الروسية كثيرا من المدائن العظام الى
 أن وصلوا الى قريب أدرنة والكلام على هذه الفتنة طويل قد افر دبا بالتأليف وختم الأمر أن بقية
 الدول توسطت في الصلح بين الدولة العلية ودولة الروسية وانعقد الصلح سنة خمس وتسعين على
 أن يبقى تحت يد الروسية ما غلبه من البلاد وأن الدولة العلية تدفع لهم غرامة الحرب وكان
 شيئا كثيرا وتبقى للدولة ادرنة وما يليها الى دار سلطنة الدولة العلية وكان هذا الخلل انما دخل
 على المسلمين بعد خلع السلطان عبد العزيز فلاحول ولا قوة الا بالله وفي سنة ست وتسعين
 ومائتين وألف أعطت الدولة العلية جزيرة قبرس للانكليز على ان تكون بأيديهم سنين موقته
 بشرط ان يدفعوا للدولة العلية قدر الخراج الذي كان يحصل منها وقد تقدم في هذا الكتاب
 تكرر وضع اليد على قبرس من المسلمين والنصاري مزارا كثيرة اولها من زمن الصحابة حين
 افتتحها معاوية رضي الله عنه وبعد ذلك صار المسلمون والنصاري يتداولونها تارة تكون
 يدهؤلاء وتارة يدهؤلاء وفي سنة ست وتسعين ومائتين وألف خلع والى مصر اسماعيل باشا
 ابن ابراهيم باشا بن محمد على باشا وقد كان محمد على باشا انعقد الصلح بينه وبين مولانا السلطان عبد
 الحميد سنة خمس وخمسين ومائتين وألف جعلت له مصر ولاولاده من بعده فلما صارت ولايتها

لاسماعيل باشا أراد حصر الولاية في اولاده ومنع اخوانه واولاد اخوانه منها فتوجه
 الى دار السلطنة في مدة السلطان عبدالعزیز سنة احدى وتسعين ومائتين والفسم له
 مراده وجعلوا ولاية مصر له ولاولاده الاكبر فالاكبر وكان الصدر الاعظم في ذلك الوقت
 في دار السلطنة هو محمد رشدي باشا الشرواني ثم ان الله قضى وقدر ان عاقبة هذا امر الذي
 فعله اسماعيل باشا اول ما ظهر سوءه عليه فانه في سنة ست وتسعين ظهر عليه كثرة ديون
 أخذها من الدول الأجنبية وأنفقها في غير حقها فتشاور أهل الديون على أنهم يضبطون
 خراجات مصر ومحصولاتها لاجل استيفاء ديونهم فلما أحس بذلك أراد ان يجعل له
 حصية يمنهم بها فتدخل مع العلماء واهل مصر وعقد بينه وبينهم عهدا ومواثيق
 على ان الامور كلها تكون بيد العلماء والاهالي وبمشاورتهم فلما أحس الانقليز والفرنسيين
 وغيرهما بانقضاء هذه الحصية سعوا في خلعهم ووافقهم على ذلك مولانا السلطان عبدالحميد
 فخلعوه في سنة ست وتسعين وجعلوا ولاية مصر لولده الاكبر محمد توفيق باشا عملا بما تقرر
 قبل ذلك حين نفي اخوته وبنيهم من دخولهم في الولاية من بعده وأن الولاية
 من بعده تكون لأكبر اولاده فأقاموا عليها ولده الاكبر وهو محمد توفيق باشا وتوجه والده
 اسماعيل باشا بعائلته وبقية اولاده الى نابولي من بلاد ايطاليا وجعل له مرتب من محصولات
 مصر وخزینتها وفي سنة سبع وتسعين ومائتين والفسم استولت دولة الفرنسيين على تونس
 وأعمالها بالمكنر والحديعة والحيلة فجهزت دولة الفرنسيين عساكر كثيرة وأظهرت أنها
 تريد تأديب بعض قبائل العرب العصاة منهم قبيلة يقال لهم الخمير في أعمال تونس فوصلوا
 بعساكرهم اليهم وقتلواهم وقهرروهم ثم زحفوا بعساكرهم الى تونس ولم يستطع أحد ان
 يدفعهم الى أن قاربوا دخول تونس فاضطرب أهل تونس اضطرابا كثيرا ثم عقدوا معهم
 صلحا وأدخلوا طائفة من عساكرهم تونس وأبقوا البقي على ولايته بحسب الظاهر واستولوا
 في الباطن على الاحكام والمحصولات والخراجات واستقبلوا الديون التي كانت على والي تونس
 صارت الامور كلها بأيديهم فلا حول ولا قوة الا بالله وفي سنة ثمان وتسعين ومائتين والفسم كانت فتنة
 صربين والي مصر توفيق باشا وبين عرابي باشا وكان عرابي باشا من رؤساء عساكر محمد توفيق باشا
 واتسع الامر في ذلك لجناء الانكليز بعساكرهم البحرية نجدة لمحمد توفيق باشا الى الاسكندرية
 وضرروا مدافعهم على الاسكندرية وقتلوا الذين كانوا مع عرابي باشا وكان ذلك في شعبان
 ورمضان سنة تسع وتسعين واتسع الامر بما يطول الكلام بذكره وكانت الغلبة لتوفيق باشا ومن
 معه من الانقليز وتملكوا الاسكندرية وذهب عرابي باشا ومن معه الى مصر ثم سارت الانقليز
 بعساكرهم لقتاله بمصر والكلام على ذلك طويل وآخر الامر انه انهزم عرابي باشا ومن معه ثم
 دخلوا مصر وقبضوا على عرابي باشا وعلى كثيرين كانوا معه فقتلوا جاعة منهم ونفوا جاعة نفيها
 موقنا وجاعة نفيها مؤبدا وصار العفو عن قتل عرابي باشا ونفوه مع بعض من كانوا معه الى جزيرة
 سيلان من أعمال مليبار من بلاد الهند وجعلوا اقامته ومن معه هناك ورتبوا لهم مرتبا يكفيهم
 واستولى الانقليز على القطر المصري ووضعوا عساكرهم في القلعة على صورة
 أنهم انما فعلوا ذلك اعانة لمحمد توفيق باشا وأبقوه على ولايته والانقليز مع ذلك كله يقولون ليس

مرادنا الاستيلاء على مصر وانما مرادنا الاصلاحات والتأييد لمحمد توفيق واذا استقامت الامور وانتظمت احوال مصر نخرج منها ونخرج عساكرنا وفي سنة سبع وتسعين ظهر رجل بالسودان يسمى محمد اجد يقال انه المهدي اوقائم طالب لظهور الحق ولم يدع أنه المهدي ويقال انه شريف حسني وكان قبل ظهوره مشهورا بالصلاح ومن مشايخ الطرائق قبل انه على طريقة الشيخ السمان وأول ظهوره أنه لما كثرت أتباعه ومر يدوه وقع اختلاف بينه وبين العساكر المصرية المملكين للسودان عمالا لصاحب مصر محمد توفيق باشا ثم اتسع الامر بينهم وبينه الى القتال وقتلوه وقتلهم مرارا وكانت الغلبة لمحمد اجد عليهم حتى استولى على كثير من بلاد السودان وأخرجهم منها فلما دخل الانقليز مصر صار الانقليز هو الذي يجهز عليه العساكر ويقاتله بعساكر الانقليز ومعهم عساكر مصر ووقع بينهم وبينه وقائع كثيرة بطول الكلام يذكرها والغلبة في تلك الوقائع كلها عليهم فمات كردفان وكسلة والخرطوم وبربرة ودقلة وغير ذلك وقتل منهم خلقا كثيرا لا يحصى عددهم وكان أمرهم عجيبا يأتون اليه بالعساكر الكثيرة والمدافع والآلات الشهيرة التي لا يطبق احد قبالها فيقابلهم بجيوشه السودانيين وليس معهم الا السيف والرمح والسكاكين فيجمعون على تلك العساكر في موضعهم ومحيط جيشهم ولا يبالون بدافعهم وآلاتهم حتى يخالطوهم ويقتلوا أكثرهم من قرب طعنا بالرمح وضربا بالسيف والسكاكين ويشتتون شملهم ومنهم جماعة في براري سواكن قد ولي محمد اجد عليهم رجلا يسمى عثمان ذقنه فجاء عن معه من السودان لمحاصرة سواكن واخراج الانقليز والعساكر المصرية منها فخرجوا اليه بجيوشهم الكثيرة وآلاتهم ومدافعهم الشهيرة فهزمهم عثمان ذقنه ومن معه من السودان هزيمة بدموية وقتل الكثير منهم حتى أنهم جاؤا في سنة ثنتين وثلاثمائة بنحو من سبعين مركبا مشحونة بالعساكر الكثيرة والآلات والاستعدادات الوفيرة وخرجوا لقتاله في البرقيا من سواكن فهزمهم وقتل أكثرهم وشتت شملهم وغنم أكثر اموالهم ودوابهم وذخائرهم وأسبابهم والى هذا الوقت وهو شهر ذي الحجة من سنة ثنتين وثلاثمائة وعثمان ذقنه ومن معه من السودان في نواحي سواكن محاصرون لها وفيها عساكر الانقليز وصاحب مصر قيل ان جيوش محمد اجد تبلغ ثلاثمائة ألف أوزيريدون وأما دعوى أنه المهدي فيختلف فيها فن الناس من يقول انه يدعي أنه المهدي ومنهم من يقول لم يدع أنه المهدي بل يقول انه قائم لظهور الحق واقامة الشريعة واخراج الانقليز من مصر والله أعلم بحقيقة الحال والاكثر من الناس يقولون انه رجل صالح على غاية من الاستقامة ومنهم من يقدح فيه وينسب اليه خلاف ذلك ويقول ان جيوشه يقمع منهم فساد كثير وليس لهم غرض الا القتل والنهب وانهم في استيلائهم على كردفان والخرطوم وغيرهما قتلوا خلقا كثيرا من المسلمين فيهم العلماء والصالحاء والنساء والاطفال وقيل ان وقوع ذلك كان من بعض الفسدين منهم ولم يرض بذلك محمد اجد ولم يأمر به والله أعلم بحقيقة الحال وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن انتصار آخر هذه الامة في آخر الزمان يكون بالسودان فيحتمل أنهم هؤلاء ويحتمل أن يكونوا غيرهم وانتصار المسلمين بهم في آخر

الزمان مأخوذ مما ذكره الخازن في تفسيره عند تفسير قوله تعالى ثلة من الأولين وثلة من الآخرين من سورة الواقعة فانه قال مانصه ثلة من الأولين يعني من المؤمنين الذين قبل هذه الأئمة وثلة من الآخرين يعني من مؤمنى هذه الأئمة ويدل عليه ما رواه البغوي بإسناد الثعلبي عن عمرو بن رويم قال لما أنزل الله عز وجل قوله تعالى ثلة من الأولين وقليل من الآخرين بكى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال يا رسول الله آمنا برسول الله وصدقناه ومن نجو منا قليل فأ نزل الله عز وجل ثلة من الأولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب وقال له قد أنزل الله فيما قلت فقال عمر رضى الله عنه رضينا عن ربنا وصدقنا نبينا صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم النبالة ومنا الى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها الاسودان من رعاة الابل من قال لا اله الا الله ومثل ذلك في تفسير الخطيب الشريدي وفي التفسير المسمى بالدر المنثور للجلال السيوطي ان عمرو بن رويم يروى هذا الحديث عن جابر بن عبد الله الانصاري رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الحديث المذكور ايضا رواه ابن مردويه وابن عساكر لكن اللفظ الذى ذكره في الدر المنثور قال في آخره وأمتي ثلة وان تستكمل ثلثنا حتى نستعين بسودان من رعاة الابل ممن يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له اه فيحتمل ان المراد من السودان هؤلاء القائمون مع محمد اجد وعثمان ذقند ويحتمل ان يكون غيرهم والله أعلم بغيه وكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم لابد من وقوعه وروى ابن مكرم الافريقى في كتابه له سماه لسان العرب حديثا لم يذكر من خرج فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج في آخر الزمان رجل يسمى أمير الغضب أصحابه محسرون محقرون مقصون عن أبواب السلطان ومجالس الملوك يأتونه من كل أرب كقرع الخريف يورثهم الله مشارق الارض ومغار بها فيمكن أنهم هؤلاء السودان القائمون مع محمد اجد أو غيرهم وقد ذكر كثير من العلماء الذين ألفوا رسائل في ظهور المهدي وعلاماته ان من علامات ظهوره خروج السودان منهم الجلال السيوطي والعلامة ابن حجر والعلامة المتقي والعلامة السيد محمد بن رسول البرزنجي في كتابه المسمى بالاشاعة في أشراف الساعة في رسالة الجلال السيوطي المسماة بالعرف الوردى في علامات المهدي حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه اذا خرجت السودان طلبت العرب ينكشفون حتى يلحقوا بطن الاردن أو بطن الارض فينقمهم كذلك اذ خرج السفيناني في ستين وثلاثمائة راكب حتى يأتوا دمشق فلا يأتى عليهم شهر حتى يبايعه من كلب ثلاثون ألفا والاحاديث التى جاء فيها ذكر السفيناني كثيرة شهيرة والكلام عليها طويل وهو يريد قتال المهدي عند ظهوره ثم يخسف بجيش السفيناني ويهلكه الله تعالى وفي رسالة ابن حجر المسماة بالقول المختصر في أخبار المهدي المنتظر أن من علامات ظهور المهدي ألوية تقبل من المغرب وأن خروج أهل المغرب الى مصر من أمارات خروج السفيناني وذلك اغايبكون عند ظهور المهدي وجهة السودان بالنسبة الى مصر مغرب فيحتمل أنهم هؤلاء القائمون مع محمد اجد ويحتمل ان يكون المراد غيرهم وكذا قوله خروج أهل المغرب الى مصر يحتمل ان يكونوا هؤلاء لانه يصدق على الجهة التى ظهوروا منها انها من المغرب بالنسبة لمصر ويحتمل أن يكونوا غيرهم

والله أعلم بأسرار غيبه وأسرار أحاديث نبيه صلى الله عليه وسلم ومن علامات ظهور المهدي
الرايات السود التي تخرج من خراسان وجاء فيها أحاديث كثيرة قال في الاشاعة يمكن أنها هي
التي خرجت في زمن المهدي العباسي بن المنصور ويحتمل أنها ايضا تخرج عند ظهور
المهدي المنتظر وفي شرح الشجرة النعمانية للشيخ صلاح الدين الصفدي عبارات
تفيد أن الدولة العلية العثمانية تبقى قوتها وسلطنتها الى ظهور المهدي وأنهم يكونون من
أعدائه وأنصاره بأنفسهم وأموالهم وخزائنها وعساكرهم وآلاتهم وعددهم
فيجب الدعاء للدولة العثمانية على كل مسلم والذي يقا تلهم يكون باغيا خارجا عليهم
قالوا جب على كل مسلم السعي في تشييد دولتهم وتثبيت قواعدها وإعانتهم في اظهار
الشرعية واحياء السنن وامانة البدع والدعاء لهم بالتوفيق فنسأل الله تعالى أن يوفقهم
لكل خير وأن يلهمهم كمال الرشد والصلاح وكذا سائر زرائعهم وقضائهم وعمالهم ثم ان هذا
القائم بالسودان وهو المسمى محمدا حمدا ما ان يكون باغيا خارجا على السلطان فيجب قتاله
وان لم يدع أنه المهدي ويمكن أن الله أقامه لاخراج الانكليز من مصر اعانة للدولة العثمانية
ولا يريد الخروج على السلطان وانما يريد أن يكون من جلة رعايا الدولة العثمانية ثم يكون
لاعانة المهدي ويؤيد ذلك ما ذكره الجلال السيوطي في رسالته التي الفها في علامات المهدي
فانه ذكر فيها حديثا أخرجه زعيم بن حجاد عن أبي قبيل قال يكون أمير باقرية اثنتي عشرة
سنة ويكون بعده فتنة فيملك رجل يأوئها عدلا ثم يسير الى المهدي فيؤدى اليه الطاعة
ويقاتل عنه فيمكن أنه هو هذا الرجل المسمى محمدا حمدا ويمكن أنه غيره والله أعلم بأسرار غيبه
وقيل ان الذين يشيعون انه هو المهدي اغناهم بعض اتباعه ليرغبوا عامة الناس في اتباعه
والدخول في طاعته وأما هو فانه لم يدع أنه المهدي بل قال بعض من اجتمع به انه سمع منه
بلا واسطة أنه يقول اني لست أنا المهدي المنتظر وانما أنا قائم لاظهار الحق واقامة الشريعة
واما ان ثبت أنه يدعي أنه هو المهدي المنتظر فالأمر مشكل لأن المهدي المنتظر لا يدعي أنه
المهدي ولا يطلب البيعة لنفسه ولا يقاتل الناس لتحصيلها ولا يبايع الا وهو مكره بل لا يبايع
الناس حتى يتهددوه بالقتل وذلك أن الله بطلع بعض من اختصه من صالحى عبادته عليه
وعلى علاماته فيدلون الناس عليه فيطلبونه فيفر منهم مرارا ثم يسمونه ويكرهونه
على البيعة ويتهددونه بالقتل ولا يكون ظهوره والبيعة له الا والناس بلا خليفة أخذا من
حديث يحصل اختلاف عند موت خليفة وهو أصح حديث روى في هذا الباب وأما من
فالناس لله الحمد لهم خليفة وهو أمير المؤمنين مولانا السلطان عبد الحميد بن المرحوم خراج ثم هو
السلطان عبد الحميد وبيعتهم في اعناق المسلمين وسلسلة سلطنته من أحسن الدول الخ لا سلا
مقيمين للشرعية السنية محبين للصحابة وأهل البيت ناصرين أهل السنة المحمدية قبوشة بمعين أهر
البيعة الردية فلا يجوز خلع بيعته ولا الخروج عن طاعته ثبت الله دولته وأبدى سلطنته
من خلع بيعته أو ترك طاعته أو خرج عليه فهو باغ معتد وأيضا من علامات المهدي المنتظر
أن يكون من ولد فاطمة رضى الله عنها وأن يكون ظهوره والبيعة له بمكة خراسان المعروف بالوردي
ولا يصح أن يكون ظهوره والبيعة له بغير مكة قال الجلال السيوطي في

في علامات المهدي وأما قول القرطبي أن ظهور المهدي يكون من المغرب فهو باطل وقد تبين
السيوطي على ذلك العلامة العلقمي والعلامة الصبان في رسالته التي ألّفها في علامات المهدي
فكل منهما قال كما قال السيوطي أن قول القرطبي أن ظهور المهدي يكون بالمغرب باطل وقال
بعضهم يمكن حل كلام القرطبي على غير المهدي المنتظر فإن كثيرا ممن ادعى كل منهم أنه المهدي
كان ظهورهم بالمغرب كمحمد بن تومرت وعبد الله العبيدي جد ملوك إفريقية ومصر وخلق
كثير غير هذين ادعى كل واحد منهم أنه المهدي بالمغرب وغيره وذلك لأن المهديين متعددون
والمهدي المنتظر واحد وهو الذي يكون من ولد فاطمة ويكون ظهوره بمكة والناس بلا خليفة
ويابع مكرها ولا يطلب البيعة لنفسه ولا يقاتل الناس لتحصيلها ويكون في زمنه خروج المسيح
الدجال وزول عيسى عليه السلام ويجمع به وما يدل على أن المهديين متعددون والمهدي
المنتظر واحد ما ذكره العلامة ابن حجر في الصواعق المحرقة لأهل الضلال والزندقة حيث
قال حاكيا لقول من قال أن المهدي من ولد العباس وهو الدهارون الرشيد واسمه محمد المهدي
إن عبد الله المنصور بناء على الأحاديث المذكورة فيها أن المهدي من ولد العباس عم النبي صلى الله
عليه وسلم وقال أنه من أحسن خلفاء بني العباس وهو فيهم كعمر بن عبد العزيز في بني أمية ثم قال ابن
حجر موجه القول هذا القائل ويمكن أنه مهدي من ولد العباس وهو غير المهدي المنتظر فإن المهدي
المنتظر من ولد فاطمة رضي الله عنها ويكون في زمنه خروج الدجال وزول عيسى
عليه السلام ويجمع به فهذه العبارة صريحة في تعدد المهديين وجع بعضهم بين الأحاديث
التي فيها أنه من ولد فاطمة والأحاديث التي فيها أنه من ولد العباس بطريق آخر فقال
المهدي المنتظر من ولد فاطمة من جهة أبيه ومن ولد العباس من جهة أمه بأن تكون أمه أو
بعض آبائه من ولد العباس وكلام ابن حجر في رسالته التي في علامات المهدي يقتضي
أيضا تعدد المهديين وأن المهدي المنتظر واحد فإنه قال فيها والذي يتعين اعتقاده ما دلّت عليه
الأحاديث الصحيحة من وجود المهدي المنتظر وهو الذي يخرج الدجال وعيسى عليه السلام في
زمنه وهو المراد حيث أطلق المهدي وأما من قبله فليس واحد منهم هو المهدي المنتظر ويكون
بعد المهدي أمراء صالحون لكنهم ليسوا مثله فهو الأخير في الحقيقة وكذلك غير ابن حجر
من ألفوا رسائل في علامات المهدي كلهم يقتضي كلامهم تعدد المهديين وأن المهدي المنتظر
أحد وإنما قالوا بذلك التعدد لأنه قيل في محمد بن الحنفية أنه المهدي وقيل في عمر بن عبد
مزي أنه المهدي وقيل في محمد النفس الزكية بن عبد الله المحض بن الحسن المشني بن الحسن السبط أنه
المهدي فهؤلاء أطلق على كل واحد منهم أنه المهدي فيثبت بذلك تعدد المهديين قطعا لكن ليس
أحد من هؤلاء هو المهدي المنتظر فالمهدي المنتظر واحد وهو لم يظهر إلى الآن فيمكن حل كلام
القرطبي على غير المهدي المنتظر من كان خروجهم بالمغرب ولا يمكن حل كلامه على المهدي المنتظر
أنه إنما يظهر بمكة والناس بلا خليفة كما تقدم إيضاحه وكذلك لا يصح قول من قال إنما
المن ظهور المهدي المنتظر من ماسة بالمغرب فهو قول باطل لا أصل له كإثباته على ذلك العلامة
وخلدون في تاريخه فإنه قال إن القول بظهوره من ماسة باطل لا أصل له وإنما نشأ
أثر من رجل من المتصوفة خرج بالسوس الأقصى وعمد إلى مسجد ماسة وزعم أنه الفاطمي

المنتظر تليسا على العامة هناك بما ملا قلوبهم من الحدثن بانتظاره هنالك وأفهمهم أن
من ذلك المسجد تكون أصل دعوته ^{في} الله عليه تهافت الفراش طوائف من عامة البربر
ثم خشي رؤسائهم اتساع نطاق الفتنة فندسوا اليه من قتله في فراشه وانطفأت
الفتنة والحاصل أن الذي تقتضيه الأحاديث النبوية وصرح به العلماء أن المهدي
المنتظر إلى هذا الوقت لم يظهر وذكره له علامات كثيرة بعضها مضى وانقضى
وبعضها باق لم يظهر ومن أعظم علاماته أنه يصلحه الله في أيلته وأنه من ولد فاطمة
رضي الله عنها وأنه يبايع مكرها لأنه يطلب البيعة لنفسه ويقاثل الناس لتحصيلها بل لا يبايع
حتى يتهدد بالقتل وأن ظهور البيعة له إنما تكون بمكة بين الركنين وأن ظهوره إنما يكون
عند وجود اختلاف بموت خليفة فلا يظهر ويبايع إلا والناس بلا خليفة فهذه الأشياء هي أقوى
العلامات عليه وله علامات كثيرة غير هذه ذكرها الذين ألفوا الرسائل في تحقيق أمره لكن
تلك الأشياء ظنية ومختلف في كثير منها وذلك مثل اسمه واسم أبيه وموضع ولادته ومقدار
عمره وقت ظهوره ومدة مكثه في الأرض بعد ظهوره فكل هذه الأشياء مختلف فيها فما قيل
في مقدار عمره وقت ظهوره أنه ابن أربعين وقيل أنه ابن عشرين وقيل أنه ابن ثمانية عشر وقيل
غير ذلك وقيل في مدة مكثه بعد ظهوره أنها سبع سنين أو تسع سنين وقيل أنها أربعون وقيل
عشرون وقيل غير ذلك وقيل في اسمه أنه محمد وقيل أحمد وهل هو من ولد الحسن أو الحسين
أو العباس وجمع بعضهم بانه من ولد أحد الحسينين من جهة أبيه ومن ولد الآخر من جهة أمه
وفي بعض أبياته من هي من ولد العباس والأحاديث التي جاء فيها ذكر ظهور المهدي كثيرة
متواترة فيها ما هو صحيح وفيها ما هو حسن وفيها ما هو ضعيف وهو الأكثر لكنها أكثرها
وكثرة روايتها وكثرة تخرجها بقوى بعضها بعضها حتى صارت تقيد القطع لكن المقطوع به أنه
لا بد من ظهوره وأنه من ولد فاطمة وأنه علاء الأرض عدلائه على ذلك العلامة السيد محمد
ابن رسول البرزنجي في آخر الأشاعة وأما تحديد ظهوره بسنة معينة فلا يصح لأن ذلك غيب
لا يعلمه إلا الله ولم يرد نص من الشارع بالتحديد وقد ذكر كثير من المتقدمين من العلماء تحديد
ظهوره في سنين عینوها بالظن والتخمين فلم يخرج فيها فأخطأوا في ظنهم وتحديدهم
و يؤخذ من قوله صلى الله عليه وسلم في المهدي أنه يصلحه الله في أيلته أن المهدي لا يعلم
بنفسه أنه المهدي المنتظر قبل وقت إرادة الله إظهاره ويؤيد ذلك أن النبي صلى الله عليه
وسلم وهو أشرف المخلوقات لم يعلم برسالته إلا وقت ظهور جبريل له بفارحراء حين قال له
اقرأ باسم ربك الذي خلق وأما قبل ذلك فكان يرى منامات كثيرة تأسيسا لرسالته وتقوية
لقلبه لكنه لم يعلم أن المراد منها تأسيس الرسالة حتى أنه كان كلما رأى مناما من تلك المنامات
يخبر زوجته خديجة رضي الله عنها ويشكو إليها حاله فكانت تثبته وتقول له كلامك
يقوى به قلبه كما هو موضح في كتب الحديث فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم بأمره
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بعد ظهور جبريل عليه السلام له وقوله له اقرأ باسم ربك
ربك فبالأولى أن المهدي المنتظر لا يعلم بأنه المهدي المنتظر إلا بعد إرادة الله إظهاره ولذلك لا
يمنع من البيعة حتى يتهدد بالقتل ويبايع مكرها فهذا هو سر قوله صلى الله عليه وسلم يصلحه

الله في ليلته ليعلم من ذلك انه لم يعلم انه المهدي المنتظر الا وقت ارادة الله اظهاره فكل من يدعي انه هو المهدي المنتظر ويطلب البيعة لنفسه او يقاتل الناس لتحصيلها فهو مخالف لما صرح به احاديث النبي صلى الله عليه وسلم وقد ادعى هذه الدعوى كثيرون فيما تقدم من الأزمان ولم تثبت دعواهم وكان لهم مع الخلفاء وقائع وحروب مذكورة في التواريخ وقد جمعت اسماءهم ووقائعهم باختصار في رسالة مستقلة ليعلم من وقف عليها ان كل من ادعى هذه الدعوى لا تتم له ولا تتم الا اذا جاءت على طبق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم لانه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى وقد ذكر العلامة ابن خلدون في تاريخه كلاما فيه فوائد تتعلق بهذا البحث فلنذكر ملخص ذلك تنجيما للفائدة وحاصل ذلك ان الذين يدعون هذه الدعوى اما ان يكونوا موسوسين او مجانين فلا علاج لهم الا التشكيل بالقتل او الضرب ان احدثوا فتنه والابسخر بهم وتذاع السخرية بهم والصفع في الطرق او الاسواق واما ان يكونوا من طالبى الرياسة والملك فيعملون هذه الدعوى وسيلة لذلك ويغفلون عما ينالهم من الهلكة واسراع الهلاك والقتل من الملوك والسلاطين عند احدائهم فتنه بهذه الدعوى وقد يكون بعض من ادعى هذه الدعوى من الصالحين ويريد اظهار الحق ويخيل له انه هو المهدي فيخطئ ظنه ولا يعرف ما يلزمه وما يحتاج اليه في اقامة الحق والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان الله لم يكتب عليه في ذلك اثارة فتنه وانما امره الله تعالى به حيث تكون القدرة عليه قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فليأمره فان لم يستطع فليقلبه واحوال الملوك والدول قوية راسخة لا يزحزحها ولا يزولها ويهدم بناها الا المطالبة القوية التي من وراءها العصية بالقبائل والعشائر وهكذا كان حال الانبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم الى الله تعالى بالعشائر والعصائب وهم المؤيدون من الله تعالى بالكون كله لو شاء لكنهم سبحانه وتعالى انما أجرى الامور على مستقر المعادة وانه حكيم عليم فاذا ذهب احد من الناس هذا المذهب وكان محققا قصر به الانفراد عن العصية فطاح في هوة الهلاك واما ان كان من المتلبسين بذلك في طلب الرياسة فأجدر ان تعوقه العوائق وتقطع به المهالك لان امر الله لا يتم الا برضاه واعانه والاخلاص له والنصيحة للمسلمين ولا يشك في ذلك مسلم ولا يرتاب فيه ذو بصيرة وكل امر يجمع عليه كافة الخلق لا بد له من العصية وفي الحديث الصحيح ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه و اذا كان هذا في الانبياء وهم أولى الناس بخرق العوائد فما ظنك بغيرهم ان لا تخرق لهم العوائد في الغلبة بغير عصية والغفلة عن هذا هي اكثر احوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فان كثيرا من المنتحليين للمعصية وسلوك طريق الدين يذهبون الى القيام على اهل الجور من الأمراء داعين الى تغيير المنكر والنهي عنه والأمر بالمعروف رجاء الثواب عليه من الله تعالى فيكثر اتباعهم والمتشبثون بهم من الغوغا والذهما ويعرضون انفسهم في ذلك للمهلك واكثرهم يهلكون في تلك السبيل مأزورين غير مأجورين وكثير منهم يدعي انه المهدي المنتظر ولم تصح دعواهم وبتبعهم كثير من العامة والاغمار ممن لا يرجعون الى عقل يهديهم ولا علم يفيدهم يستجيبون لكثير ممن يدعون هذه الدعوى لما اشتهر من ظهور فاطمي ولا

يعلمون حقيقة الامر و اكثر ما يكون ذلك في الممالك القاصية و أطراف العمران بأفريقية
والسوس من المغرب وتجدا الكثير من ضعف البصائر يقصدون رباطا باساسة لما كان بذلك الرباط
بالمغرب من الملتزمين من كدالة واعتقادهم هو انهم قائمون بدعوة الفاطمي يزعمون ذلك زعما
لا مستند له الا البعد عن القاصية عن مشار الدولة وخروجها عن نطاقها فتقوى عندهم الاوهام
في ظهور الفاطمي من ذلك الموضع لخروجه عن رتبة الدولة ومشار الاحكام والفهر ولا
محصول لديهم في ذلك الا هذا الوهم وقد يقصد ذلك الموضع كثير من ضعف العقول للتلبس
بدعوة تشا عن وسواس وحق وقد قتل الملوك والرؤساء كثيرا منهم ثم قال اخبرني شيخنا
محمد بن ابراهيم الابلي قال خرج برباط مائة لا أول المائة الثامنة وعصر السلطان يوسف بن
يعقوب المريني رجل من منتحلي التصوف يعرف بالتوزيري وادعى انه الفاطمي المنتظر
واتبعه الكثير من اهل السوس من كدالة وكزولة وعظم امره وخافه رؤساء المضامدة
وعلمائهم فدرس عليه السكسوى من قتله بيانا وانحل امره وكذلك ظهر في غمارة في آخر
المائة السابعة في عشر التسعين منها رجل يعرف بالعباس وادعى انه الفاطمي المنتظر وتبعه
الدهما من غمارة ودخل مدينة فاس عنوة وحرق اسواقها وارتحل الى بلد المزمة فقتل
بها غيلة ولم يتم امره وكثير من هذا النمط واخبرني شيخنا المذكور بفرسية عن مثل هذا وهو
انه صحب في حجه رجلا من اهل البيت من سكان كربلا كان متبوعا معظما كثير التلامذة
وكان الناس يتلقونه بالنفقات في اكثر البلدان وتأكدت الصحة بيننا في الطريق ثم كشف لي
عن امرهم وانهم انما جاؤا من موطنهم بكر بلا قاصدين ارض المغرب لاطهار دعوى الفاطمي
الفاطمي المنتظر فلما وصل الى المغرب وعين دولة بني مرين وكان أمير المسلمين يوسف بن
يعقوب في ذلك الوقت منازل تلسان فلما رأوا قوة ملكه قال ذلك الرجل لاصحابه ارجعوا
بنا فقد ازرى بنا القلط وليس هذا الوقت وقتنا وهذا يدل على ان ذلك الرجل استبصر
بأن الامر لا يتم الا بالعصبة الكافية لاهل الوقت فلما علم انه غريب في ذلك الموطن ولا
شوكة له وان عصبة بني مرين في ذلك الوقت لا يقاومها احد من اهل المغرب استكان
ورجع الى الحق واقصر عن مطامعه وبقى عليه ان يستيقن ان عصبة الفواطم وقريش
اجمع قد ذهبت لاسيما في المغرب الا ان التعصب لشانه لم يتركه لهذا القول والله يعلم وانتم
لا تعلمون وقد كانت بالمغرب لهذه العصور القريبة نزعة من الدعاة الى الحق والقيام بالسنة
لا ينتحلون فيها دعوة فاطمي ولا غيره وانما ينزع منهم في بعض الأحيان الواحد فالواحد
الى اقامة السنة وتغيير المنكر ويعتني بذلك ويكثر تابعوه واكثر ما يعتنون باصلاح السابلة
لما ان اكثر فساد الاعراب فيها لما فيها من طيب معاشهم فيأخذون في تغيير المنكر بما استطاعوا
الا ان الصبغة الدينية فيهم لم تستحكم لما ان توبة العرب ورجوعهم الى الدين انما يقصدون
به الاقصاء عن الفارة والنهب ولا يعقلون في توبتهم واقبالهم الى مناحي الديانة غير ذلك
لانها المعصية التي كانوا عليها ومنها توبتهم وتجدد ذلك المنتحل للدعوة والقائم بزعمهم
بالسنة غير متمق في فروع الاقنداء والاتباع انما دينهم الاعراض عن النهب والبغى وافساد
السابلة ثم الاقبال على طلب الدنيا والمعاش اقصى قصدهم وشتان بين هذا الطالب لادنيا

و بين من أراد اصلاح الخلق لكل ما يحتاجون اليه من أمر دينهم فاتقاهما
 مجتمع لا يستحكم الاول صبغة في الدين ولا يكمل له نزوع عن الباطل و يختلف حال صاحب
 الدعوة معهم في استحكام دينه و ولايته في نفسه دون تابعيه فاذا هلك انحل امرهم وتلاشت
 عصبيتهم وقد وقع ذلك بافر يقية لرجل من كهبة من سليم يسمى قاسم بن مرة في المائة السابعة ثم
 من بعده لرجل من بادية رياح كان اشدينا من الاول واقوم طريقة في نفسه ومع ذلك فلم
 يستتب امرهما وبعد ذلك ظهر ناس بهذه الدعوة يتشبهون بمثل ذلك ويلبسون فيها
 ويتحملون اسم السنة وليسوا عليها الا الاقل فلا يتم اهم ولا لمن بعدهم شيء من امرهم واول
 ابتداء هذه النزعة في الملة ببغداد حين وقعت الفتنة بين الامين والمأمون ابني الرشيد وقتل
 الامين وكان المأمون بخراسان فابطأ عن مقدم العراق واراد انتزاع الخلافة من بني العباس
 ونقلها للعلويين فجعل ولي عهده عليا الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق فهاج
 من ذلك فتن كثيرة ببغداد واجتمع بنوا العباس وكشفوا وجه التكبر على المأمون وتداخوا
 للقيام وخلعوه وبايعوا عمه ابراهيم بن المهدي فوقع الهرج وكثر القتل والنهب ببغداد
 وانطلقت ايدي الذعار بها من الشطار والحريية على اهل العافية والصون وقطعوا السبيل
 واتلأت ايديهم من نهاب الناس وباعوها علانية في الاسواق ورفع اهلوها امرهم الي
 الحكم وقد ضعف امرهم فلم ينصفوهم فتوافر اهل الدين والصلاح وتعاقدوا على منسح
 الفساق وكف عاديتهم وقام ببغداد رجل يعرف بخالد الدربوس ودعا الناس الى الامر
 بالمعروف والنهي عن المنكر فاجابه خلق وقابل بهم اهل الذعارة فغلبيهم وأطلق يده فيهم
 بالضرب والتكيل ثم قام من يده رجل آخر يعرف سهل بن سلامة الانصاري وعلق مصحفا
 في عنقه ودعا الناس الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله وسنة نبيه
 صلى الله عليه وسلم فاتبعه كافة الناس من بين شريف ووضيع من بني هاشم فن دونهم ونزل
 قصر طاهر واتخذ الديوان وطاف ببغداد ومنع كل من اخاف المارة ومنع الخفارة لاولئك
 الشطار فقال له القائم الاول وهو خالد الدربوس اننا لا اعيب على السلطان فقال له سهل لكنني اقاتل
 كل من خالف الكتاب والسنة كاشان كان وذلك سنة احدى ومائتين فجهز ابراهيم بن المهدي
 بعد ان بايعه بنوا العباس جيشا لقتال سهل بن سلامة فغلبه واسره وانحل امره سريعا وذهب
 ونجا بنفسه ثم اقتدى بهذا العمل بعدد كثير من الموسوسين يأخذون انفسهم باقامة الحق
 ولا يعرفون ما يحتاجون اليه في اقامته من العصبية ولا يشعرون بمغبة امرهم وماك
 احب اليهم ثم ذكر كثيرا من الاحاديث التي جاءت في المهدي وضعف كثير ارضائهم قال والحق
 الذي يقرر لديك انه لا تتم دعوة من الدين والمالك الوجود شوكة عصبية تظهره وتدافع
 عنه من يدفعه حتى يتم امر الله فيه وقد قررنا لك ذلك من قبل بالبراهين القطعية وعصبية
 الفاطميين بل وقريش اجتمع قد تلاشت من جميع الآفاق ووجد امم آخرون قد استعلت
 عصبيتهم على عصبية قريش الاما بقى بالجزاز في مكة وينبع والمدينة من الطالبيين من بني حسن
 وحسين بن جعفر منتشرون في تلك البلاد وغالبون عليها وهم عصائب متفرقة فان صح
 ظهور هذا المهدي فلا وجه لظهور دعوته الا ان يكون منهم ويؤلف الله بين قلوبهم في

اتباعه حتى يتم له شوكة وعصية وافية باظهار كلمته وحل الناس عليها واما على غير هذ الوجه فلا يتم ذلك لما سلفناه من البراهين الصحيحة انتهى ما اردت نقله من كلام ابن خلدون ورأيت في كثير من الرسائل المؤلفة في شأن المهدي انه لا يتم امره الا بالقيام بالشرعية الفراء وانه يكون على مثل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون وبفيض الله على الخلق نورا ببركته فيتبعونه ويقتدون به في جميع شئونه وافعاله وأقواله وأحواله حتى يكون حالهم كحال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ووصفهم لان الناس على دين ملوكهم فاذا استقام خليفة المسلمين وصار كخلفاء الراشدين فانهم كلهم يستقيمون واذازهد في الدنيا يزهدون وملاك الامر كله هو الزهد في الدنيا وعدم التبسط فيها ومن الامثال القديمة الناس على دين ملوكهم وذكروا أن السبب في هذا المثل ان الوليد بن عبد الملك بن مروان كان مشغوقا بتشيد البنيان فكان الناس في زمانه ليس لهم هممة الا تشيد البنيان والقصور وفي ذلك طول الامل والغرور ثم ولى بعده اخوه سليمان بن عبد الملك بن مروان فكان مشغوقا بكثرة الاكل وتوزيع اطعمة وتكثير الالوان فكان الناس في زمانه يتفاخرون بالتوسعة في توزيع المأكولات وينهمكون في التلذذ بالشهوات وفي ذلك أعظم البليات ثم ولى بعد سليمان ابن عمه عمر بن عبد العزيز بن مروان المحقق بالخلفاء الراشدين فكانت همته في الاشتغال بالطاعات والعدل واقامة الدين فكان الناس في زمانه راغبين في فعل الطاعات مستكثرين من فعل الخيرات فقالوا الناس على دين ملوكهم فالخليفة الاعظم هو القدوة لجميع المسلمين واعظم شئ يقتدون به هو فيه فيكون به صلاحهم وانتظام امرهم واتفاق كلمتهم هو الزهد في الدنيا والتناول منها بقدر الضرورة والحاجة وترك الفضول الذي لا يحصل الا بتعب والحاجة فان حب الدنيا رأس كل خطيئة وبلية والزهد فيها أصل كل خصلة سنية ولا يكون الزهد من العامة الا بعد زهد الخاصة فان الخاصة هم العمدة في ذلك والمراد من الخاصة الملوك والسلاطين والامراء والقضاة والعلماء وأولى من يطلب منه الزهد في الدنيا الخليفة الاعظم الذي اقامه الله لاصلاح امور الدنيا والدين واحياء الشريعة وقتال الكفار ودفع المفسدين قال الامام الطرطوشي في كتابه المسمى سراج الملوك ان الخليفة اذا عدل في بيت المال وساوى نفسه بالمسلمين في الاخذ من بيت المال بقدر الحاجة كان المسلمون كلهم عسكريا للاسلام اه والحاصل انه اذا زهد في الدنيا واقتصر على قدر الحاجة والضرورة في جميع الاحوال يتبعه على ذلك الوزراء والامراء والقضاة والعلماء وجميع الناس من الرجال والنساء والاغنياء والفقراء فاذا حصل ذلك يسهل حينئذ اقامة الشريعة والقيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتصير هممة الجميع متوجهة لآداء الكلمة والاجتماع على منهج الشرع المطهر فتحمي بذلك السنن التي اميتت وتزول البليات التي اذيعت وتقبل الناس على جهاد الكفار وفعل كل الطاعات فان الكفار انما تغلبوا لا المسلمون بسبب رغبة المسلمين في الدنيا واقتحامهم المعاصي لتحصيلها فلا يزالون منكرا لان اكثر المنكرات يتوصلون بها الى تحصيلها وازالتها مخالفة لاغراضهم الذين هم بصدد هداها فلا يمكن استقامتهم على مثل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه

وما داموا لم يكونوا كذلك لا يستقيم لهم امر وقد صرح عن سيدنا ابي بكر الصديق رضى الله
 عنه انه كان كثيرا ما يقول في خطبه ومجالسه ان هذا الامر لا يصلح آخره الا بما صلح به اوله
 لا يحتمله الا فاضلكم مقدرة واملكتكم لنفسه فهذه العبارة نص صريح في انه لا يستقيم امر
 المسلمين حتى يكونوا كما كان الصحابة رضى الله عنهم وما دام الخليفة الاعظم يتبسط في الدنيا
 ويأخذ من بيت المال ما اراد مما زاد عن حاجته الضرورية ويشكر في العطاء بما شاء على
 من شاء ولا يراعى في ذلك القواعد المشروعة ولا يسلك مسلك الخلفاء الراشدين فان الناس
 يتبعونه فلا يمكن حصول الاستقامة لهم ولا تتحد كلمتهم ولا ينتظم امرهم ولا يأمرؤن بالمعروف
 ولا ينهون عن المنكر بل يصيرون كلهم يطلبون الدنيا ويتلذذون بالشهوات ويرتكبون
 تحصيلها انواع الخطيئات لان الله تعالى اجري عادته بين العباد ان يكون الناس على
 دين ملوكهم فهذا هو السبب في عدم اتحاد المسلمين واتفاق كلمتهم واما في زمن المهدي فانه
 سلك هو مسلك الخلفاء الراشدين وزهد في الدنيا ولا يأخذ من بيت المال الا بقدر الضرورة
 الناس يكونون في زمنه على طريقته يفعلون كما يفعل فظهر بهذا انه اذا زهد الخليفة الاعظم
 في الدنيا وعدل في بيت المال وأخذ منه بقدر حاجته الضرورية من غير زيادته وخدمه
 وأتباعه واتخذ له من الخدم الذين يقومون بخدمته بقدر الحاجة الضرورية ايضا من غير
 زيادة يتبعه على ذلك كافة الوزراء والامراء والقضاة والعلماء وجميع الابرار والفجار
 والخليفة أمين على بيت مال المسلمين لا يتصرف في شيء منه الا بحسب المصلحة العائدة النفع
 على الإسلام والمسلمين فهو مثل قيم مال اليتيم لا يتصرف الا بالمصلحة الظاهرة فان كان له مال
 خاص به يستحب به عن الاخذ من مال المسلمين فلا يأخذ شيئا وان لم يكن له مال يأخذ بقدر
 الحاجة والضرورة كما قال تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف
 اذا فعل ذلك اقتدى به الوزراء والامراء والقضاة والعلماء وكافة الخلق فتتحد قلوبهم
 وتجتمع كلمتهم ويقبلون على فعل الطاعات ويعرضون عن فعل السيئات ويتركون التلذذ
 بالشهوات فيجتمعهم على نصرة الدين ويصيرون كلهم عسكريا لنصرة الاسلام ويقوى
 عندهم عزمهم على اعدائهم من القوم الكافرين واما اذا تبسط الخليفة في مال المسلمين وتبعه
 الوزراء والامراء والقضاة والعلماء فلا تنطبق قلوب بقية المسلمين ببذل اموالهم وانفسهم
 اولادهم في قتال الكافرين حيث يرون ملوكهم لم يساووهم وما كان انتصار الصحابة
 على القوم الكافرين وفتحهم البلاد الواسعة مع الاتحاد واتفاق الكلمة الا بسبب مساواة
 مرأئهم لهم في جميع شئونهم وما حصل افتراق الكلمة وعدم اتلاف القلوب الا لما استبد الملوك
 لاموال وتبسطوا فيها وترفعوا على بقية المسلمين واكثرؤا من المكوس والظلم باخذ
 اموالهم وصرفوها في غير مصارفها فاشق على المسلمين تمييزهم عنهم وترفعهم عليهم باموالهم
 حتى اخذوها منهم بغير حق ولا يظن ظان ان الخلفاء الراشدين انما فتحوا الامصار وانتصروا
 على الكفار بكثرة الصلاة والصيام بل انما كان ذلك بزهدهم في الدنيا وعدم تبسطهم بها
 في اموالهم في بيت المال والحاصل ان على مساواتهم للمسلمين فطابت قلوب بقية المسلمين فبذلوا
 انفسهم وجاهدوا الكفار وفتحوا البلاد حتى كان الغزاة يتجهزون

لغزو من اموال انفسهم ويجهزون منها غيرهم ان قدروا على ذلك ونفوسهم طيبة بذلك وتأبى نفوسهم ان يأخذوا من بيت المال شيئاً اذا كان لهم ما يفي بذلك لانهم يرون امراءهم مساوين لهم في جميع تلك الشئون واذا سلك الخليفة والامراء والعلماء هذا المسلك يرتفع عن المسلمين المكوسات والضرائب وينتفى عنهم جور الحكام لانهم انما يجورون عليهم ليتبسطوا في اموالهم ويتلذذوا بها واذا ساءلوا الحكام رعاياهم وعدلوا في بيت المال تسخى نفوس الاغنياء باعطاء الفقراء ويواسونهم وتقع نفوس الجميع باقل القليل فلا يبقى في المسلمين فقير ويتقاد الناس للحق وينصفون من انفسهم فستزول المخاصمات التي كانت بينهم وتقل مرافعاتهم الى الحكام ويحصل بينهم كمال المحبة والاتلاف ويرتفع كل شقاق واختلاف واذا عدل الخليفة في بيت المال وسلك في ترك التبسط في الدنيا طريق النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين كان قدوة للمسلمين ويكون له من الاجر مثل اجر من عمل بمثل عمله من المسلمين وكان مبيحاً في اتحاد المسلمين واتلاف قلوبهم واتفاق كلمتهم وانتصارهم على القوم الكافرين ويكون له في ذلك من الله الرضا والرضوان في الدنيا وجنت النعيم وتقر بذلك عين النبي صلى الله عليه وسلم فانه بال مؤمنين رؤوف رحيم ويستحيل ان يحصل لهم شيء من ذلك والخليفة لم يكن كذلك لانهم انما يفعلون ما يفعل وحالهم عن ذلك لا يتحول والتبسط في الدنيا من أعظم اسباب الفسق الموجب للهلاك قال تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مت فيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً وعدم التبسط في الدنيا هو ملاك الامر وايس على الخليفة في سلوك هذا الطريق مشقة ولا ضيق

القدوة لجميع المسلمين ولا تعويق وينال بغيته من الاكل والشرب والنكاح بغاية الراحة والالتفات ولا ميع من اذنا لاحق والامور التي لا تتعلق بالدين والدار الآخرة والحاصل ان استقامة الخليفة حتى يكون كاخلفاء الراشدين نصرة في بيت المال هو السبب الاعظم في اجتماع كلمة المسلمين واتحادهم في جميع الاحوال وعدم عدله في بيت المال سبب للافتراق في الحال والمآل ولو صام النهار وقام الاليل والطوال وبدون استقامة الخليفة وعدله في بيت المال كاخلفاء الراشدين لا يرحى للمسلمين فلاح ولا يتم لهم اتحاد ولا نجاح ولئذ كركلت نبذة مما كان من الزهد وترك التبسط في الدنيا مما كان صادراً من النبي صلى الله عليه وسلم واخلفاء الراشدين لئلا ينظم امور المسلمين بدون ذلك محال واتحادهم بغير سلوكه مكابرة وجدال

(خاتمة) نسأل الله حسنها تذكر فيها ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم *
* واخلفاء الراشدين من الاقتصاد وحسن السيرة *

ذكر ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم من الاقتصاد في الدنيا وما كان عليه من كرام الاخلاق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احلم الناس وأشجع الناس وأعدل الناس وأعف الناس لم يغس يده قط امرأة لايملك رقبها او عصمة نكاحها او تكون ذات محرم منه وكان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وان فضل شيء ولم يجد من يعطيه وبخاء الليل لم يأو الى منزله حتى يترأ منه الى من يحتاج اليه لا يأخذ مما آتاه الله الا قوت عامه فقط من ايسر ما يجد من الثمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله لا يستل شيئاً الا اعطاه ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى انه ربما احتاج قبل انقضاء العام ان لم يأت به شيء وكما

يخصف النمل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة اهله ويقطع اللحم معهم وكان اشد الناس حياء
لا يثبت بصره في وجه أحد ويحجب دعوة العبد والحر ويقبل الهدية ولو انها جرعة ابن
او فخذ ارنب ويكافئ عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة ولا يستكبر عن اجابة الامة والمساكين
يغضب لربه ولا يغضب لنفسه وينفذ الحق وان عاد ذلك عليه بالضرر او على أصحابه عرض
عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة الى انسان واحد يزيده في عدد
ان معه فأبى وقال انالاً تنصر بمشرك ووجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلاً بين اليهود
سلم يحف عليهم ولا زاد على مرالحق بل ودا بمائة ناقة وان بأصحابه لحاجة الى بعير واحد
يتقوون به وكان يعصب الحجر على بطنه مرة من الجوع ومرة يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد
ولا يتورع عن مطعم حلال وان وجد تمرا دون خبز اكله وان وجد شواء اكله وان وجد
خبز بر او شعير أكله وان وجد حلوا او عسلا اكله وان وجد لبنادون خبز اكنفى به وان وجد
بطيخا او رطباً اكله لا يأكل متكياً ولا على خوان منديله باطن قدميه لم يشبع من خبز بر ثلاثة
متواليه حتى لقي الله تعالى ايثارا على نفسه لافقرا ولا بخل لا يحجب الوليمة ويعود
رضى ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين اعدائه بلا حارس اشد الناس تواضعاً واسكنهم
في غير كبر وابلغهم في غير تطويل واحسنهم بشراً ليهوله شئ من امور الدنيا ويلبس ما وجد
فرة شملة ومرة برد حبرة بمانيا ومرة جبة صوف ما وجد من المباح لبس وخاتمه فضة يلبسه
خنصره الايمن مرة والايسر مرة يردف خلفه عبده او غيره يركب ما امكنه
مرة فرسا ومرة بعيراً ومرة بفسلة شهباء ومرة حجاراً ومرة يمشي راجلاً حافياً بلا رداء
للعامة ولا قلنسوة يعود المرضى في اقضى المدينة يحب الطيب ويكره الرائحة
ديشة ويحاسب الفقراء ويواكل المساكين ويكرم اهل الفضل في اخلاقهم
يتألف اهل الشرف بالبر لهم يصل ذوى رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم
يخفوا على احد يقبل معذرة المعتذر اليه يمزح ولا يقول الا حقاً يضحك من غير قهقهة يرى الامم
باح فلا يكره يسابق اهله وترفع الاصوات عليه فيصبر وكان له لقاح وغنم يتقوت هو
له من البانها وكان له عبيد وأماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملابس ولا يمضي له وقت
غير عمل لله تعالى او فيما ابدله منه من صلاح نفسه يخرج الى بساتين أصحابه لا يحتقر مسكيناً
ره وزمانته ولا يهاب ملكاً للكه يدعو اهذا وهذا الى الله دعاء مستوي اقد جمع الله تعالى له السيرة
فضلة والسياسة النامة وهو اعمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والصحارى في فقر
رعاية الغنم يتيم الأب له ولا أم فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة
خبار الاولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز في الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا
مزمع الواجب وترك الفضول وفقنا الله لطاعته في امره والتأسي به في فعله آمين يارب
الدين وما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً قط لكن ان اعجبه اكله وان كرهه تركه
عافه لم يغضبه الى غيره وكان في بيته اشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاماً ولا يتشبهاء عليهم
طعموه اكل وما اعطوه قبل وما سقوه شرب وكان ربما قام فأخذ ما يأكل بنفسه او يشرب
أكثر طعامه الماء والتمر وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميها الاطبيين وكان يأكل خبز الشعير

غير مخول وكان يأكل ما وجد وكان أحب الطعام إليه ما كثرت عليه الأيدي وكان إذا وضعت
 المائدة قال اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة وكان يأكل مما يليه ويأكل باصبعه
 الثلاث وربما استعان بالارابعة ولم يكن يأكل باصبعين ويقول ان ذلك اكلة الشيطان وكان لا يأكل
 الحار ويقول انه غير ذي بركة وان الله لم يطعمنا نارا فأبردوه وكان أحب الطعام إليه اللحم
 ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي ان يطعمنيه كل
 يوم افعل وكان يأكل الثريد باللحم والقرع وكان يحب القرع ويقول انها شجرة أخى يوزن
 عليه السلام قالت عائشة رضي الله عنها وكان يقول يا عائشة اذا طبختم قدرا فأكثرواف
 من الدباق انه يشد قلب الحزين وكان يأكل لحم الطير الذي يصادله وكان لا يتبعه ولا يصا
 ويحب ان يصادله ويؤتى به فيأكله وكان يلعق باصبعه الصخرة ويقول آخر الطعام
 بركة وكان يلعق اصابعه من الطعام حتى تحمر وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه
 واحدة واحدة ويقول انه لا يدري في أي الطعام البركة واذا فرغ قال اللهم لك الحمد اطعمت
 فأشبعت واسقيت فارويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه وكان اذا أكل الخبز
 واللحم خاصة غسل يديه غسلًا جيدًا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه وكان يشرب في ثلاث
 دفعات وله فيها ثلاث تسميات وفي آخرها ثلاث تحميدات وكان يمص الماء صا ولا يعب عبواقي
 بأناء فيسه غسل ولين فابى ان يشربه وقال شربتان في شربة وأدامان في اناء واحد ثم قال
 صلى الله عليه وسلم لا حرمه ولكنى اكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا واحب
 التواضع فان من تواضع لله رفعه الله وكان يعجبه الثياب الخضراء وكان اكثر لباسه البياض
 وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار فوق ذلك الى نصف الساق
 وكان قيصر مشدود الازرار وربما حل الازرار في الصلاة وغيرها وربما لبس الكساء
 وحده ما عليه غيره وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول انما انا عبد البس كما يلبس العبد وكان له
 ثوبان للجمعة خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره ويعتد
 طرفيه بين كتفيه وربما أتم بها الناس على الجنائز وربما صلى في بيته في الازار الواحد
 ملتحفاه مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الازار الذي جامع فيه يومئذ وكان ربما صلى بالازار
 في الازار ويرتدى ببعض الثوب مما يلي هديه ويلقى البقية على بعض نسائه فيصلى كذلك
 ولقد كان له كساء اسود فوهبه لانسان فقالت له ام سلمة رضي الله عنها بأبي انت وامى ما
 ذلك الكساء الاسود فقال كسوته فقالت ما رأيت شيئا قط كان احسن من يياضك على سر
 وقال انس رضي الله عنه وربما رأيت يصلى بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيها وكان صلى
 عليه وسلم يتختم وربما خرج وفي خاتمه الخيط المربوط يتذكر به الشيء وكان يتختم به
 الكتف ويقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة وكان يلبس القلائس تحت العمامة
 عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلى اليها وربما لم تكن
 فيشد العصا على رأسه وعلى جبهته وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من على رضي
 عنه وربما طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم انا كم على في السحاب وكان اذا لبس
 لبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتى وأتجمل به في

اذا نزع ثوبه أخرجه من ميامره وكان اذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول
 يا من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه الا الله الا كان في ضمان الله وحرزه وخبره
 فأوراه حيا وميتا وكان له فراش من آدم حشوه ليف طوله ذراعان او نحوه وعرضه
 ذراع وشبر او نحوه وكانت له عباة تفرش له حيثما تنقل تثني طاقين تحته وكان ينام على الحصير
 ليس تحته شيء غيره وما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مجععا ان فرشوا له اضطجع وان لم
 يفرش له اضطجع على الارض وكان لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله تعالى وكان اكثر
 جلوسه ان ينصب ساقيه جميعا ويمسك يديه عليهما شبه الحبوة ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس
 اصحابه لانه كان حيث انتهى به المجلس جلس وما روى قط مادار جلوسه بين اصحابه وكان
 اكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه
 وبينه وبين الارض يجلسه عليه وكان يؤثر الداخل عليه من سادة التي تحته فان ابي
 بكر رضي الله عنه لم يفرش له حتى يفعل وما استصفاه احد من اهل بيته الا كرم الناس عليه حتى
 ينسئ نكس جلس اليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه ردها وحديثه ولطيف محاسنه
 وتوجهه للجالس اليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وامانة قال تعالى فبما رحمة من الله
 لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك ولقد كان يدعو اصحابه بكنائهم
 اكراما لهم واستمالة لقلوبهم ويكنى من لم تكن له كنية فكان يدعى بما كناه به ويكنى
 ايضا النساء اللاتي لهن الاولاد واللاتي لم يلدن ينادي لهن الكنى ويكنى الصبيان فيستلين
 به قلوبهم وكان ابعد الناس غضبا وأسرعهم رضا وكان ارف الناس بالناس وخير الناس
 للناس وانفع الناس للناس ولم تكن ترفع في مجلسه الاصوات وكان اذا قام من مجلسه قال
 سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك واستحب بعض العلماء
 زيادة صلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم وكان اذا نزل به الامر
 فوض الامر الى الله تعالى وتبرا من الحول والقوة واستنزل الهدى فيقول اللهم ارني الحق حقا
 وأتبعه وأرني المنكر منكرا وارزقني اجتنابه وأعذني من ان يشبهه على فأتبع هواي بغير هدى
 منك واجعل هواي بما لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف
 به من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم وكان على رضي الله عنه اذا
 وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان اجود الناس كفا وأوسع الناس صدرا وأصدق الناس
 كلمة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة من رأه بديهة هابه ومن خالطه معرفة
 حبه يقول ناعته لم أرقبله ولا بعده مثله وما سئل عن شيء قط على الاسلام الا اعطاه وان
 خلا أناه فسأله فأعطاه غنما سدت مابين جبلين فرجع الى قومه وقال أسلموا فان محمدا
 لم يطي عطاء من لا يخشى الفاقة وما سئل شيئا قط فقال لا وحل اليه تسعون ألف درهم
 ضمه على حصير ثم قام اليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال
 عندي شيء ولكن اتبع على فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله
 لا تقدر عليه ففكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الرجل انفق ولا تخش من ذي العرش
 ففعل ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم وعرف السرور في وجهه ولما قفل صلى الله عليه وسلم

من حين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه الى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاة نعماً لقسمته عليكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً صلى الله عليه وسلم وسيرته المذكور فيها محاسن صفاته صلى الله عليه وسلم طويلة وفي هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى اعلم

ذكر ما كان من ابي بكر الصديق رضي الله عنه من الاقتصاد في الدنيا وحسن السيرة

لما بيع ابو بكر رضي الله عنه بالخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم اصبح وعلى ساعده أبراد وهو ذاهب الى السوق فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه أين تريد قال السوق قال تصنع ماذا وقد وليت امر المسلمين قال فمن أين أطعم عيالي قال انطلق بفرض لك ابو عبيدة أي لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة ابو عبيدة ففرض له قوت رجل من المهاجرين ليس بأوكسهم ولا أكيسهم وكاهم سورة الشتاء والصيف وقال اذا خلقت شيئاً رددته وأخذت غيره وفي رواية ففرض له نصف شاة وما كساه في البطن والظهر وفي رواية انهم قوموا ذلك بألف وخمسمائة من دراهم وفي رواية ان عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما تذاكرا أيضاً في اود ذلك وفرضاه له بمثل ما قاله ابو عبيدة وفي رواية ان عمر وعليهما لما فرضا ذلك قال ابو بكر رضي الله عنهما انما أتما رجلان من المهاجرين لا أدري أرضى بذلك بقية المهاجرين أم لا فانطلق ابو بكر فصعد المنبر فاجتمع اليه الناس فخطبهم وذكر لهم ذلك فقال الناس رضينا وأخرج بن جرير أيضاً عن ميمونة قال لما استخلف ابو بكر رضي الله عنه جعلوا له ألفي درهم ثم نظروا فرا ذلك لا يكفيه وعياله فزادوه خمسمائة فلعل الفرض الأول كان ألفاً وخمسمائة ثم زادوا في ذلك حتى أوصلوه ألفين وخمسمائة درهم في كل سنة وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي بكر بن حفص قال قال ابو بكر رضي الله عنه لما احتضر لعائشة رضي الله عنها يا بنية إننا ولينا أمر المسلمين فلم نأخذ لأنفسنا ديناراً ولا درهما ولكننا أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا وانه لم يبق عندنا من في المسلمين لا قليل ولا كثير الا هذا المبداء الحبشي وهذا البعير الناضح وجرد هذه القطيفة فاذا مت فابعثي بهن الى عمر بن الخطاب وأخرج الطبراني عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يا عائشة أنظري اللقمة التي كنا نشرب من لبنها واج التي كنا نطبخ فيها والقطيفة التي كنا نلبسها فاننا كنا نتفع بذلك حين نلى أمرنا من المسلمين مت فاردديه الى عمر فلما مات ابو بكر رضي الله عنه أرسلت به الى عمر رضي الله عنه فمره رحك الله يا أبا بكر لقد أتعبت من جاء بعدك وفي رواية فبكي عمر رضي الله عنه فسالته دموعه الى الأرض وجعل يقول رحم الله أبا بكر لقد أتعب من جاء بعده ثم وكذا ذلك وأمر برفعه الى بيت المال فأراد عبدالرحمن بن عوف أن يرجعه عمر الى من عمل بكرك فقال لعمر سبحانه الله تسلب عيال أبي بكر عبداً وناضحاً وسحق قطيفة ثمناها خمسة ادا لبرس فلو أمرت بردها عليهم فقال عمر لا والذي بعث محمداً صلى الله عليه وسلم لا يكون له في

في ولايتي ولا يخرج أبو بكر منه وأتقلده أنا وفي رواية أن عرقا قال ورب الكعبة لا يتأثم
 بها أبو بكر في حياته وأتحمّلها من بعد موته أي لا يأمر بردها خوفا من الوقوع في الإثم
 وأتحمّل اثمها بعد موته ثم قال رحم الله أبا بكر لقد كلف من بعده تعباً وفي رواية وأوصى
 أبو بكر أن يرد بعد وفاته جميع ما أخذه من بيت المال لنفقته وفي رواية فلما حضرته الوفاة
 أوصى أن تباع أرض له ويصرف ثمنها عوضاً ما أخذه من مال المسلمين وروى أن زوجته
 اشتتحت حلوا فقال ليس لنا ما نشتري به فقالت أنا أستفضل من نفقتنا في عدة أيام ما نشتري
 به قال افعل ففعلت ذلك فاجتمع لها في أيام كثيرة شيء يسير فلما عرفته ذلك يشتري به
 حلوا أخذه فردّه إلى بيت المال وقال هذا يفضل عن قوتنا وأسقط من نفقته بقدر ما نقصت
 كل يوم وغرمه لبيت المال من ثمن ملك كان له رضى الله عنه قال المسعودي في تاريخه المسمى
 مروج الذهب في صفة أبي بكر رضى الله عنه كان أزهد الناس وأكثرهم تواضعاً في أخلاقه
 ولباسه ومطعمه ومشر به وكان لباسه في خلافته الثملة والعباءة وقدم عليه زعماء العرب
 وأشرافهم وملوك اليمن وعليهم الخلل والبرد المثلث بالذهب والتيجان والحبرة فلما شاهدوا
 ما عليه من اللباس والتواضع والتبسك وما هو عليه من الوفاق والهيبة ذهبوا مذهبه
 ونزعوا ما كان عليهم وكان ممن وفد عليه من ملوك اليمن ذوالكلاع ملك حبر ومعه ألف
 عبد دون ما كان معه من عشرته وعليه التاج وما وصفنا من البرود والخلى فلما شاهد من
 أبي بكر ما وصفنا ألقى ما كان عليه وتزياً بزيه حتى أنه رأى ذوالكلاع يوماً في سوق
 من أسواق المدينة على كتفيه جلد شاة فصرخت عشرته وقالوا له فحسبنا بين المهاجرين
 والآنصار قال أردتم أن أكون ملكاً جباراً في الجاهلية جباراً في الإسلام لاها الله لا تكون
 طاعة الرب إلا بالتواضع لله والزهد في هذه الدنيا وتواضعت الملوك ومن ورد عليه من
 الوفود بعد التكبر وتذلوا بعد التجر انتهى كلام المسعودي ولما دفن أبو بكر رضى الله عنه
 لما عمر رضى الله عنه الامناء ودخل بهم بيت المال منهم عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان
 ففتحو بيت المال فلم يجدوا فيه لادينارا ولا درهماً وقل وجدوا دينارا سقط من غرارة فترجوا
 إليه قال أبو صالح الغفاري كان عمر يتعهد امرأة عمية في المدينة بالليل فيقوم بأمرها فكان إذا
 جاءها وجد غيره قد سبقه إليها ففعل ما أرادت فرصده عمر فإذا هو أبو بكر كان يأتيها
 ويتقضى أشغالها سرا وهو خليفة فقال أنت هو لعمرى ولما ولي الخلافة وارتدت العرب
 خرج شاهراً سيفه إلى ذي القصة فجاءه على ابن أبي طالب رضى الله عنه وأخذ بزمام
 راحلته وقال له إلى أين يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول لك ما قال لك رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يوم أحد شمس سيفك لا تفجعنا بنفسك والله لن أصبنا بك لا يكون للإسلام
 نظام فرجع وأمضى الجيوش مع خالد بن الوليد رضى الله عنه قال ابن الأثير وكانت له قطعة
 غنم تروح عليه وربما رعى له وربما خرج هو بنفسه فيها وكان يحلب للحى أغنامهم فلما
 بويع بالخلافة قالت جارية منهم الآن لا يحلب لنا مناج دارنا فسمعها فقال بلى لعمرى
 لا حلبنا لكم واني لا أرجو أن لا يغير بي ما دخلت فيه فكان يحلب لهم وكان ذلك لما
 كان نازلاً بالسبخ في عوالي المدينة عند زوجته حبيبة بنت خارجة فكان يغدو على رجليه

الى المدينة ورجا ركب فرسه وياأتى المدينة فيصلى بالناس فاذا صلى العشاء رجع الى السبخ
فكث على ذلك بعد أن بويع بالخلافة ستة أشهر ثم تحول الى المدينة وقال كان في بعض الايام
يغدوا الى السوق فيبيع ويتاع فأرى ذلك يشغله ثم قال ما تصلح أمور الناس مع التجارة وما
يصلح الا لتفرغ اهلهم والنظر في شأنهم فترك التجارة وأنفق من مال المسلمين ما يصلحه وعياله
يوما بيوم وما يحج به ويعتمر ثم أوصى أن تباع أرض له ويصرف ثمنها لبيت المال عوض
ما أخذه من مال المسلمين وفي خلافته انفتح معدن لبنى سليم فكان يسوى في قسمته بين السابقين
الاوليين والمتأخرين في الاسلام وبين الحر والعبد والذكور والانثى فقبل له
في تقديم اهل السبق على قدر منازلتهم فقال انما أسلوا الله ووجب اجرهم عليه
بوفيهم ذلك في الآخرة وانما هذه الدنيا بلاغ وكان يشتري الأكسية ويفرقها في الارامل
في الشتاء ولما أسلم رضى الله عنه كان له اربعون الفا أنفقهها في الله مع ما كسب من التجارة
وأعتق في أول الاسلام سبعة نفر كانوا يعذبون في الله لما أسلوا منهم بلال وعامر بن
فهيبة رضى الله عنهما وكان أبو بكر رضى الله عنه أجود الصحابة رضى الله عنهم لانه جاء
بجميع ماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما أبقى لنفسه شيئا وتخلل بالعباءة وكان أبو بكر رضى
الله عنه يقول اكيس الكيس التقوى وأحق الحق الفجور وأصدق الصدق الأمانة
وأكذب الكذب الحيانة وكان رضى الله عنه اذا أكل طعاما فيه شبهة ثم علم به استقاه من
بطنه ويقول اللهم لاتواخذنى بما شرته العروق وخالط الامعاء قال الشعرائى في الطبقات
وكان رضى الله عنه يقول ان هذا الأمر لا يصلح آخره الا بما صلح به أوله ولا يحتمله الا
أفضلكم مقدرة وأملككم لنفسه وهذان صريح في أن أمر هذه الامة لا يصلح الا اذا كانوا
على سيرة الصحابة وكان خليفتهم كالخلفاء الراشدين فيسير بهم كسيرهم وكان رضى الله عنه
يقول ان العبد اذا دخله العجب بشئ من زينة الدنيا مقته الله تعالى حتى يفارق تلك الزينة
وكان رضى الله عنه يقول بامعشر المسلمين استحيوا من الله تعالى فوالذى نفسى بيده انى
لاظل حين اذهب الى الغائط في القضاء متقنعا استحياء من ربى عز وجل وكان رضى الله عنه
يقول ليتنى كنت شجرة تعضد ثم تؤكل وكان رضى الله عنه يأخذ بطرف لسانه ويقول هذنى
الذى اوردنى الموارد وكان رضى الله عنه اذا سقط خطام ناقته يلجئها ويأخذها فيقال له
هلا أمرتنا فيقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن لا أسأل الناس شيئا وكان رضى
الله عنه يقول للصحابة رضى الله عنهم قدوايت أمركم ولست بخيركم فأعينوني واذا رأيتموني
استقمتم فاتبعوني واذا رأيتموني زغت فقوموني وغلب عليه الخوف حتى كان يشم في فيه
رائحة الكبد المشوى ولما بويع أبو بكر رضى الله عنه خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه
ثم قال أيها الناس قدوايت عليكم ولست بخير منكم وان أقواكم عندى الضعيف حتى أخذه
بحقه وان أضعفكم عندى القوي حتى آخذ منكم أيها الناس انما أنا نابتع ولست بمستدع فان
أحسنت فأعينوني وان زغت فقوموني وكان رضى الله عنه لم يشرب خراقة لجاهلية
ولا اسلاما ولم يمجدهنم قط ولما سمع الحسن البصرى قول أبى بكر رضى الله عنه قد وليت
عليكم ولست بخير منكم قال بلى ولكن المؤمن يهضم نفسه وروى أن أبابكر رضى الله عنه

مر على طائر واقع على شجرة فقال طوبى لك يا طائر تطير فتقع على الشجرة وتأكل من الثمر
وإيس عليك حساب ولا عقاب يا ليتني كنت مثلك والله لو ددت أنى شجرة الى جنب طريق
فر على بعير فأخذنى فلاكنى ثم رد ردى ثم أخرجنى بعرا ولم أكن بشرا وأخرج بن السماك والحافظ
السلفى وغيرهما أن أبابكر رضى الله عنه بعدما بويج وبعد أن بايعه على رضى الله عنه وأصحابه أقام
ثلاثا يقول للناس قد أقفلكم بيعتكم هل من كاره فيقوم على رضى الله عنه فى أول الناس يقول
والله لا نقيلك ولا نستقيلك قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم فن ذا الذى يؤخرك وقوله
قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى فى الصلاة حيث قال مروا أبابكر فليصل بالناس
فقال الصحابة رضى الله عنهم أفلا نرضى لدنيا ما من رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لدنيا وفى رواية احتجب أبوبكر رضى الله عنه عن الناس ثلاثا يشرف عليهم كل يوم فيقول
قد أقفلكم فبايعوا من شئتم فيقول على بن أبى طالب رضى الله عنه لا نقيلك ولا نستقيلك
قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم فن ذا الذى يؤخرك وأخرج الحاكم عن عبد الرحمن
ابن عوف رضى الله عنه أن أبابكر رضى الله عنه قال فى خطبته بعد أن بويج والله ما كنت
حريصا على الامارة يوما ولا ليلة قط ولا كنت راغبا فيها ولا سألتها والله فى سر ولا علانية
ولكن أشفت من القنّة ومالى فى الامارة من راحة لقد قدلت أمرا عظيما مالى به من طاقة
الابتوية الله تعالى وقوله اشفت من القنّة يعنى لما رأى الناس اختلافوا بعد وفاة النبي صلى
الله عليه وسلم فبين يابيع فأراد المهاجرون أن يكون منهم وأراد الأنصار أن يكون منهم
فخشى أبوبكر رضى الله عنه أن يفتنوا فلما طلب منه أبو عبيدة وعمر بن الخطاب رضى الله
عنهما أن يلبيه الناس بايعهم خوفا من افتتانهم وقال فى خطبته أيضا أطيعوا منى ما طعت الله
تعالى ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم وكان أبوبكر رضى الله عنه قبل
ان يبايعوه أخذ بيد أبى عبيدة وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما وقال للناس بايعوا أحدى
هذين الرجلين فى ضمن كلام كثير ذكره قال عمر والله ما كرهت من كلامه كلمة غير هذه
ولان أقدم فتضرب عنقى فيما لا يقربنى الى اثم أحب الى من أن أوامر على قوم فيهم أبوبكر
رضى الله عنه وقال أبو عبيدة والله لا نتولى عليك هذا الأمر وأنت أفضل المهاجرين
وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة وهى أفضل دين المسلمين ابسط يدك نبايعك
فبايعه أبو عبيدة وعمر ثم بقية الناس وأخرج الحافظ ابو ذر الهروى والدارقطنى وغيرهما
من طرق كثيرة عن أبى جحيفة رضى الله عنه قال دخلت على على رضى الله عنه فى بيته
فقلت له يا خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مهلا يا أباجحيفة ألا أخبرك بخير
الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبوبكر وعمر ويحك يا أباجحيفة لا يجتمع حبي
وبغض أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى قلب مؤمن وكان أبو جحيفة من أخص أصحاب
على رضى الله عنه الملازمين له وهذا الذى ذكره عن على رضى الله عنه من تفضيل أبى بكر
وعمر رضى الله عنهما كان يخاطب به على رضى الله عنه على منبر الكوفة زمن خلافته ورواه
عن على رضى الله عنه سبعون رجلا من أصحابه وقيل رواه عنه نيف وثمانون رجلا من
أصحابه وأخرج الامام أحمد رضى الله عنه أن أبابكر رضى الله عنه بعد شهر من خلافته نادى

في الناس الصلاة جامعة ثم خطب فقال أيها الناس وددت أن هذا الأمر كفاية غيري وفي رواية أني وليت هذا الأمر وأنا لله كاره والله لوددت أن بعضكم صغانيه ألا وإنكم إن كلغتموني أن أعمل فيكم بمثل عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أقم به ~~كان~~ رسول الله صلى الله عليه وسلم عبداً ~~كرمه~~ الله بالوحي وعصمه به إنما أنا بشر ولست بخير من أحدكم فراقبوني فإن رأيتموني زغت فتقوموني وفي رواية فإذا رأيتموني لا أواثر في أشعاركم وأبشاركم وفي رواية إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن أحسنت فأعينوني وإن أنا زغت فتقوموني قال الامام مالك رضي الله عنه لا يكون أحد اماماً أبداً الا على هذا الشرط وكان عثمان بن عفان كاتب أبي بكر رضي الله عنهما وربما كتب له أيضاً زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم وحنظلة بن الربيع رضي الله عنهم فلما مرض أبو بكر رضي الله عنه مرضه الذي توفي فيه استخلف على الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأمر عثمان بن عفان رضي الله عنه أن يكتب صحيفة الاستخلاف وهذه صورتها بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها وعند أول عهده بالآخرة داخلها حيث يؤمن الكافرون يوقن الفاجرو يصدق الكاذب اني استخلفت عليكم بعدى عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا وانى لم آل الله ورسوله ودينه ونفسى وإياكم خيراً اى لم أقصر فيه وفي رواية فاني والله ما ألوت من جهدى الرأى فان عدل فذلك ظنى فيه وعلى به وان بدل فلعل امرء ما كتبوا الخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا اى متقلب ينقلبون والسلام عليكم ثم أمر بالكتاب فحتمه ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب محتوماً وأخرج بن عساكر عن يسار بن حسن قال أشرف أبو بكر رضي الله عنه على الناس من كوة فقال يا أيها الناس اني قد عهدت عهداً أفترضون به وفي رواية أفترضون بى استخلفته عليكم فاني ما استخلفت عليكم ذاقراية فقال الناس قد رضينا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على بن أبي طالب رضي الله عنه فقال لا نرضى الا أن يكون عمر بن الخطاب قال أبو بكر فانه عمر فبايع على رضي الله عنه وبايع الناس ورضوا به فرفع أبو بكر رضي الله عنه يده ودعا فقال اللهم انى لأريد بذلك الاصلاحهم وخفت الفتنة عليهم فعملت بما أنت أعلم به وأجتهدت لهم رأيي فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليه وأحرصهم على ما يرشدهم وقد حضرنى من أمرك ما حضرنى فأخلفنى فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك اللهم أصلح ولايته وأجمله من خلفائك الراشدين وأصلح له رعيته ومما أوصاه به أبو بكر رضي الله عنه لما استخلفه أن قال له انى قد استخلفتك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أوصاه بتقوى الله تعالى ثم قال يا عمر ان الله حقا بالليل لا يقبله بالنهار وحقا في النهار لا يقبله في الليل وانه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الغريضة ألم ترى يا عمر انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيمة باتباعهم الحق وثقله عليهم وحق لميزان أن لا يوضع فيه غدا الا حق أن يكون ثقيلاً ألم ترى يا عمر انما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيمة باتباعهم الباطل وخفت عليهم وحق لميزان أن لا يوضع فيه الا باطل أن يكون خفيفاً ألم ترى يا عمر انما نزلت آية الرجاء ليكون المؤمن راغباً راهباً لا يرغب في رغبة يتقى فيها على الله تعالى ما ليس له ولا يهرب رهبة يلقى فيها يديه الى التهلكة ألم ترى يا عمر

فإذا ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم فإذا ذكرتهم قلت اني لا رجو أن لا اكون منهم وانه
 اذا ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لانه تجاوز لهم عما كان من سوء فإذا ذكرتهم قلت أين على
 من أعمالهم فان حفظت وصيتي فلا يكون غائب أحب اليك من الموت ولا بد لك منه وان انت
 ضيعت وصيتي هذه فلا يكون غائب أبغض اليك من الموت ولن تعجزه اللهم اني لأريد بذلك
 الاصلاحهم وخفت الفتنة عليهم فعملت فيهم بما أنت أعلم به واجتهدت لهم رأى فوايت
 عليهم خيرهم واقواهم عليه وأحرصهم على ما يرشدهم وقد حضرني من أمرك ما حضرني
 فأخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك اللهم أصليح ولايته واجعله من خلفائك الراشدين
 وأصلح له رعيته وأخرج ابن سعد والحاكم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال أفرس
 الناس ثلاثة أبو بكر حين استخلف عمر بن الخطاب وصاحبة موسى عليه السلام حين قالت
 بجره ان خير من استأجرت القوي الامين والعزير حين تفرس في يوسف فقال
 الكرمي ثموا قال الزهرى استخلف أبو بكر عمر رضى الله عنهما فقام بالأمم ثم قيام
 كثرت الفتوحات في أيامه كثرة عظيمة لم يقع نظيرها في أيام خليفة بعده وفتح الله في أيامه
 لشام ومصر والروم والاسكندرية والعراق وفارس وقد أشار الى ذلك النبي صلى الله
 عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخارى ومسلم في صحيحهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال رأيت كأنى أنزع بدلو على قلب فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها أبو بكر فنزع ذنوبا أوذنو بين
 وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم أخذها عمر بن الخطاب فاستحالت غربا فلم أره قريبا يفرى فريه
 حتى ضرب الناس بعطن قال النووى في شرح مسلم في هذا الحديث اشارة الى خلافة أبي بكر
 وعمر رضى الله عنهما الى كثرة الفتوحات وظهور الاسلام في خلافة عمر رضى الله عنه
 وفي قوله في ابي بكر رضى الله عنه فنزع ذنوبا أوذنو بين وفي نزعه ضعف اشارة الى قصر
 مدة خلافته وقوله والله يغفر له ليس فيه اشارة الى نقص او تقصير او ذنب وقع منه وانما هي
 كلمة تقواها العرب عند الاعتناء بالأمم وقوله ثم أخذها عمر بن الخطاب فاستحالت غربا
 أي دلوا عظميا الى آخر الحديث اشارة الى طول مدة خلافته والى كثرة انتفاع الناس بها
 اتساع دائرة الاسلام بكثرة الفتوحات وتقصير الامصار وتدوين الدواوين وقوله هب قريبا
 أي رجلا قويا شديدا من الناس يفرى فريه أى يعمل عمله حتى ضرب الناس بعطن أى رووا
 وضرروا بعطن والعطن ما تناخ به الابل اذا رويت ومن أعظم فضائل أبي بكر رضى الله
 عنه قتال العرب الذين ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم والذين منعوا الزكاة
 وقال والله لا جاهدنهم ما أسلمك السيف في يدي وان منعوني عقلا أو عنقا كانوا يؤدونها
 الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عمر رضى الله عنه وكيف تقاتل الناس وقد قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وأن محمدا
 رسول الله فمن قالها عصم مني ماله ودمه الا بحدها وحسابه على الله تعالى فقال أبو بكر والله
 لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال وقد قال الا بحدها قال عمر فوالله
 ما هو الا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق قال سيدى محى الدين بن العربى
 في المسامرة لما نو فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب أبو بكر رضى الله عنه الزكاة كفر بها

قوم وقالوا قد كننا ندفع أموالنا الى محمد فإبال ابن أبي لحافة يسألنا والله لا نعطيها منها شيئا
 أبدا فاستشار أبو بكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجمع القوم على التمسك بدِينهم
 في أنفسهم وأن يتركوا الناس مع ما اختاروه لأنفسهم وتحيلوا أنهم لا يقدرّون على من ارتد
 من المسلمين فقال أبو بكر رضي الله عنه لولم أجد أحدا يوازرني لجاهدتهم بنفسي وحدي
 حتى أموت أو يرجعوا الى الاسلام ولو منعوني عقالا كانوا يعطونه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لجاهدتهم حتى ألحق بالله تعالى فلم يزل أبو بكر رضي الله عنه يجاهد بأصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عاد الناس جميعا الى الاسلام ودخلوا فيه كما خرجوا منه
 وبعث خالد بن الوليد الى بني أسد وغطفان فقتل من قتل وأسر من أسر ورجع الباقون
 الى الاسلام ثم بعث خالد ايضا الى اليمامة لقتال مسيلة الكذاب الذي ادعى النبوة ودام الحصار
 أياما ثم قتل مسيلة الكذاب لعنه الله قتلته وحشي قاتل حزة رضي الله عنه وفي السنة الثانية
 من خلافته بعث العلاء بن الحضرمي الى البحرين وكانوا قد ارتدوا فقاتلهم ونصر الله
 المسلمين عليهم وقتل من قتل من المرتدين ورجع من بقي منهم الى الاسلام وبعث عكرمة
 ابن أبي جهل الى عمان وكانوا قد ارتدوا أيضا وبعث المهاجر بن أبي أمية الى طائفة من المرتدين
 وزباد بن أبيد الانصاري الى طائفة آخرين وماتوا في أبو بكر رضي الله عنه حتى رجع العرب
 كلهم الى الاسلام وابتدأ التجهيز لفتح الشام وقتل الروم حتى أن فتح الشام كان ليسلة
 وفاة أبي بكر رضي الله عنه ومن ثم أخرج البيهقي وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله
 عنه قال قال والله الذي لا اله الا هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عبد الله ثم قال الثانية والثالثة
 فبقية ما هو عليه فيقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جهز جيش أسامة بن زيد
 رضي الله عنهما ليسير في سبعمائة الى الشام وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتوجه
 ذلك الجيش وأردت العرب حول المدينة واجتمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا لا
 بكر رضي الله عنه رد هذا الجيش كيف توجه هؤلاء الى الروم وقد اردت العرب حول المدينة فقال
 والله الذي لا اله الا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ما رددت جيشا
 وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حلت لواء عقده فوجه أسامة فجعل أسامة لا يمر
 بقبيلة يريدون الارتداد الا قالوا لولا ان لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ولكن
 ندعهم حتى يلقوا الروم فلقوهم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين فقتلوا على
 واستدل العلماء على عظم علم أبي بكر رضي الله عنه بقوله والله لا قاتلن من فرق بين المسلمين
 والزكاة وبقوله والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم
 على منعه وقال العلماء ايضا ان أبا بكر رضي الله عنه كان اعلم الصحابة رضي الله عنهم لانهم
 كلهم وقفوا عن فهم الحكم في المسئلة الا هو ثم ظهر لهم بما حثته ان قوله هو الصواب فرجعوا
 اليه واستدلوا بتلك ايضا على عظم شجاعته رضي الله عنه بتصميمه على قتالهم من قوله
 لا جاهدتهم ما استمسك السيف في يدي ومما يدل على عظم شجاعته ثباته يوم وفاة النبي صلى الله
 عليه وسلم وتبليته لجميع الصحابة ولم يثبت ذلك اليوم أحد غيره وما ثبتوا بعد ذلك الابتشيتة
 والقصة مشهورة فلا حاجة لذكرها واخرج ابن عساكر عن علي رضي الله عنه أنه يوم وفاة

أبي بكر رضي الله عنه دخل عليه وهو مسجى فقال ما أحب أن ألقى الله بخصيفة أحب إلى من هذا المسجى وقد صبح عنه صلى الله عليه وسلم من طرق كثيرة لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجعهم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه مخبرا عن نفسه أنه ما سبق أبابكر إلى خير الأسبقه أبو بكر رضي الله عنهما وأخرج أبو يعلى عن علي رضي الله عنه قال أعظم الناس أجرا في المصاحف أبو بكر إن أبابكر أول من جمع بين اللوحين لأن أبابكر رضي الله عنه لما كان قتال أهل البصرة وقتل كثير من الصحابة قال أخشى أن يستمر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن فأمر زيد بن ثابت بجمع القرآن من الرقاع والكتف والكتب وصدور رجال فجمع في صحف إلى أن كان زمن خلافة عثمان رضي الله عنه لجمع في المصاحف فاجتمع ثمان الأمان الصحف التي جمعها أبو بكر رضي الله عنهما وكان رضي الله عنه جعل بيت المال في زمن خلافته لأمين هذه الأمة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وأخرج البكري ومسلم عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا يعني ثلاث حفنات فلما جاء مال البحرين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر رضي الله عنه من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أودين فليأتني فجئت فأخبرته فقال خذ فأخذت. وقد رافو جرت عدد تلك الدراهم التي أخذتها خسمائة فأعطاني ألفا وخمسمائة وفاء بقول النبي صلى الله عليه وسلم هكذا وهكذا هكذا وهكذا ولما مرض أبو بكر رضي الله عنه مرض الوفاة قال له الناس ألا تدعوك طيبا قال لا تأتي وقال لي أنا فاعل ما أريد فعملوا أمراده وسكتوا عنه وكان سبب مرضه أنه سمع يهودي في أرزو قيل في خزيرة أهديت لأبي بكر رضي الله عنه فأكل هو والحارث بن كلدة طيب العرب فكف الحارث وقال لأبي بكر أرفع يدك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا كنا طعنا مسموما سنة فماتنا بعد سنة في يوم واحد وفي رواية والله إن فيها سم سنة وأنا كنت غموت في يوم واحد فرفع يده فلم يزل العليلين حتى ماتنا في يوم واحد وقيل سبب موته سم الحية التي لدغته في الفار تحرك عليه أثره قبل وفاته ولا مانع من تعدد هذه الأسباب أخرج الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان سبب موت أبي بكر رضي الله عنه وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم كدنا وحزننا فزال جسده ينقص حتى مات وأخرج الحاكم عن الشعبي قال ماذا يتوقع من هذه الدنيا الدينية وقد سم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسم أبو بكر رضي الله عنه وكان ابتداء مرض أبي بكر الذي منعه من الخروج أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جادى الآخرة وكان يوما بارد ألحم خمسة عشر يوما لا يخرج وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وله من العمر ثلاث وستون سنة ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر وعشر ليال وعن عائشة رضي الله عنها قالت لما ثقل أبو بكر رضي الله عنه قعدت عند رأسه فتمثلت بقول القائل

* لعمرك ما يغنى التراث عن الفتى * إذا حشر جت يوما وضاق بها الصدر *

فقال لا تقولى هذا ولكن قولى وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ثم قال انظروا ثوبى هذين فاغسلوهما فكفونى فيهما فان الحى أحوج إلى الجديد من الميت وصلى

عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ودفن ليلا الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة عائشة رضي الله عنها وكان آخر ما تكلم به توفي مسلما والخلفي بالصلحين ولما توفي أبو بكر رضي الله عنه ارتجت المدينة بالبكاء ودهش القوم كيوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المحب الطبري في الرياض النضرة أخرج الامام أبو بكر محمد بن عبد الله الخوارزمي وابن السماك عن أسد بن صفوان وكان قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم قال لما قبض أبو بكر رضي الله عنه ارتجت المدينة عليه بالبكاء كيوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول انا لله وانا اليه راجعون انقطعت خلافة النبوة حتى وقف علي باب البيت الذي فيه أبو بكر رضي الله عنه وهو مسجى فقال رحك الله يا أبا بكر كنت الف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته كنت أول القوم اسلاما وأخلصهم ايمانا وأشدهم يقينا وأخوفهم لله وأعظمهم غناء في دين الله وأحروهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمينهم على أصحابه وأحسنهم صحة وأكثرهم مناقب وأفضلهم سوابق وأرفعهم درجة وأقربهم وأشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم هديا وسميتا ورجة وفضلا وأشرفهم منزلة وأكرمهم عليه وأشفقهم عليه فجزاك الله عن الاسلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا كنت عنده بمنزلة السمع والبصر صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كذبه الناس فسمك الله في تنزيله صديقا فتل والذى جاء بالصدق وصدق به الذى جاء بالصدق محمد صلى الله عليه وسلم والذى صدق به أبو بكر رضي الله عنه وأخرج البرار وابن عساكر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في تفسير قوله تعالى الذى جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم والذى صدق به أبو بكر رضي الله عنه وجاء مثل ذلك في آيات كثيرة من آيات القرآن العزيز فمن ذلك ما أخرجه الحاكم والطبراني أن أبا بكر رضي الله عنه أعقب سبعة كلهم يعذب في الله تعالى فأرسل الله تعالى وسيحبها الا نقي الذى الى آخر السورة قال ابن الجوزي أجمعوا على أنها نزلت في أبي بكر رضي الله عنه وفيها التصريح بأنه أتقى من سائر الأئمة والا نقي هو الا كرم عند الله تعالى لقوله تعالى ان أكرمكم عندا لله أتقاكم والا كرم عند الله تعالى هو الا فضل فدللت الآية على أنه أفضل هذه الأئمة وجاءت أحاديث كثيرة صريحة بأن سورة والليل اذا يغشى نزلت في أبي بكر رضي الله عنه وفي أمية بن خلف وذلك أن أمية بن خلف كان يعذب بلالا رضي الله عنه لما أسلم فاشترى أبو بكر رضي الله عنه وأعتقه فأرسل الله السورة فقوله تعالى ان سعيكم لشتى أول داخل فيه أبو بكر رضي الله عنه وأميه بن خلف أى ان سعى أبي بكر وأميه مفرق افتراقا عظيما فشتان ما بينهما ثم شرح ذلك وبينه الآيات التى بعد هذه الآية فقوله فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى هو أبو بكر رضي الله عنه وقوله وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره لليسرى هو أمية بن خلف وكذا قوله تعالى وما يغنى عنه ماله اذا تردى وقوله لا يصلها الا الا شقبة الذى كذب وتولى كل هذه الآيات في أمية بن خلف وختمت السورة بقوله تعالى وسيجزيه الذى لا يتقى الذى يؤتى ماله يتراكى وما لا أحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الا عرفة

ولـسـوف يـرضـى وهـو أبـو بـكر رضـى الله عنه وتأمـل قـولـه تـعالـى وما لا حـد عـندـه مـن نـعمـة
 تجزى الـابـتـغـاء وجـه ربـه الأـعلى فأنـها تـدل عـلى كـال اخـلاص أبـى بـكر رضـى الله عنه واهـذا
 عـقـب ذلـك بقـولـه ولـسـوف يـرضـى ولا شـئ أـعلى مـن هـذا الوـعد مـن الرب الـكـريم ومـن الـآيـات
 قـولـه تـعالـى ثـانى اشـين اذ هـما فـى الغـار اذ يـقول لـصاحـبه لا تـحـزن ان الله مـعـنا فأنـزل الله سـكـينـته
 عـلـيـه وأيدـه بـيـحـنود لم تـروها أـجـمـع المـسـلمـون عـلى أن المـراد بـالصاحـب هـنا أبـو بـكر رضـى الله عنه
 ومـن ثم قالـوا مـن أنـكر صـحـبـته فـقد كـفر بـالاجـماع ومـن الـآيـات الدالـة عـلى صـحـة خـلافـته قـولـه تـعالـى
 وعـد الله الذـين آمنـوا مـنكم وعـملـوا الصـالحـات لـيـسـتـخـلفنـهم فـى الأـرض كـما استـخـلف الـذـين مـن قـبـلهم
 ولـيـكـن لـهم دـينـهم الذـى ارتضى لـهم ولـيـسـدائـنهم مـن بـعد خـوفهم أنـما يـعـبـدوننى لا عـبـاد لـيـسـتـخـلفنهم
 شـئاً قال ابن كـثير هـذه الـآيـة مـنـطـبـقة عـلى خـلافـة الصـديـق رضـى الله عنه وقـد أـخـرج ابن أبـى
 حاتم عـن عبد الرحمن بن عبد الحميد الهروى أنه قال ان خـلافـة أبـى بـكر وعـمر بن الخطـاب
 رضـى الله عـنـهما فـى كـتاب الله تـعالـى فـى قـولـه تـعالـى وعـد الله الذـين آمنـوا مـنكم وعـملـوا الصـالحـات
 لـيـسـتـخـلفنهم فـى الأـرض الـآيـة ومـن الـآيـات الدالـة عـلى خـلافـته رضـى الله عنه قـولـه تـعالـى
 لـيـسـتـخـلفنهم مـن الأـعراب سـتـدعـون الـى قـوم أولـى بأس شـديـد تـقاتـلونهم أو يـسـلمـون فـان تطـيعـوا
 يؤتكم الله أجـرا حـسـنا وان تـولـوا كـانـوا لـيـنـم مـن قـبـل يـعـذبكم عـذابا الـيـم فـقد أـخـرج ابن أبـى حاتم وابن
 قتـيبة أن هـذه الـآيـة حـجة عـلى خـلافـة الصـديـق رضـى الله عنه والقـوم المـذكـورن فـى الـآيـة هم
 بنو حـنـيفة الذـين ارتدوا بـعد وفـاة النـبى صـلى الله عـلـيـه وسـلم واتـبعـوا مـسـيـلة الكـذاب وأبـو بـكر
 هو الذـى دعا المـخـلفين مـن الأـعراب الـى قـتالهم قال الشـيـخ أبو الحـسن الأشـعـرى إمام أهـل السـنة
 سمعت أبا العباس بن سـريـج يـقول خـلافـة الصـديـق رضـى الله عنه فـى القرآن فـى هـذه الـآيـة قال
 لأن أهـل العـلم أـجـمـعـوا عـلى أنه لم يـكـن بـعد نزولها قـتال دعـوا اليـه الأوالـداعـى البـدا بـكر
 رضـى الله عنه وأول ما دـعا اليـه قـتال أهـل الرـدة وما نـعى الزكـاة فـدل عـلى صـحـة خـلافـة أبـى
 بـكر رضـى الله عنه وافـترـاض طاعـته لأن الله تـعالـى يـقول فـان تطـيعـوا يؤتكم الله أجـرا حـسـنا
 وأخـبر أن المـنـولـى عـن ذلـك يـعـذب بقـولـه وان تـولـوا كـانـوا لـيـنـم مـن قـبـل يـعـذبكم عـذابا الـيـم قال ابن
 كـثير ومـن فـسر القـوم بأنهم فارس والروم فأبـو بـكر الصـديـق رضـى الله عنه هو الذـى دعا
 الـى قـتالهم وهـو أول مـن جـهـز الجيـوش الـى قـتالهم ونـمـام أمـرهم كان عـلى يد عمر وعـثمان رضـى
 الله عـنـهما فهـما فرعان تـفرعا مـن خـلافـة أبـى بـكر رضـى الله عنه فـان قـلت يـكـن أن يراد بـالداعـى
 فـى الـآيـة النـبى صـلى الله عـلـيـه وسـلم قـلت لا يـمـكـن ذلـك مـع قـولـه تـعالـى قـبـل ذلـك ان تـتـبعـونا ومـن ثم
 لم يدع أولئك الذـين تـخـلفـوا الـى محـارـبة فـى حـيـاته صـلى الله عـلـيـه وسـلم وأما عـلى رضـى الله
 عنه فلم يـتـفـق له فـى زـمـن خـلافـته قـتال لـلـكـفـار اطـلب الـاسـلام بل كان قـتاله لـتـحـقـيق أمر الـامـامة
 ورعايـة حـقـوقها فـتـمـيـن أن ذلـك الداعـى الذـى يـكـون الأـجـرا الحـسن بـاتـباعـه والعـذاب الـأليم
 بـمـصـيـاته أحـد الخـلفاء الثلاثة وأبـو بـكر هو أولهم وأصلهم وأساسهم فيلزم صـحـة خـلافـته عـلى
 تـقـدير الـآيـات الدالـة عـلى فضـله وصـحـة خـلافـته كـثيرة لـاحـاجة الـى ذكـرها فـن راجـع
 نفاسـير القرآن وكـتب السـنة وقـف عـلى ذلـك وكان أبـو بـكر رضـى الله عنه كـثيرا ما يـقول فـى
 خطبـه أين القـضاة الحـسنة وجـوههم المـجـربون بشأـنهم أين المـلوك الذـين بنوا المـدائن وحـصـنوها

بالحيطان أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب قيد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا
 في ظلمات القبور الواح النجا النجا ولما أراد أبو بكر رضي الله عنه استنفار الناس لقتال
 أهل الردة ثم لقتال الروم كتب إلى أهل مكة بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أبي بكر إلى
 أهل مكة وسائر المؤمنين فإني أحمد الله الذي لا اله الا هو واصل على نبيه محمد صلى الله عليه
 وسلم اما بعد فإني استنفرت الناس إلى الجهاد وقد كتبت إليكم وإلى المسلمين أن تسرعوا
 إلى ما أمركم ربكم تبارك وتعالى أنفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في
 سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون وهذه الآية أنتم أحق بها وأهلها وأول من صدق
 بها وقام بحكمها من ينصر دين الله فالله ناصره ومن بخل استغنى الله عنه والله غني غني حديد
 فساروا إلى الجنة عالية قطوفها دانية أعد الله للمجاهدين والأَنْصار ومن اتبع سبيلهم
 من الأَوْلِياء الأَخيار وحسبنا الله ونعم الوكيل وختم الكتاب ودفعه إلى عبد الله ابن حذافة
 السهمي رضي الله عنه فأخذه وسار حتى وصل مكة وصرخ في أهلها فاجتمعوا إليه فدفع
 إليهم الكتاب فقرأوه فلما سمعوا قام سهيل بن عمرو والحرث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل
 وقالوا اجنبا داعي الله وصدقنا قول نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقال عكرمة بن أبي جهل
 إلى متى نبسط لأنفسنا وقد سبقنا القوم إلى المواطن وقد فاز من فاز بالصدق وإن كنا تأخرنا
 عن السبق فاللحاق للحاق والسباق السباق فلعننا نكتب في الحال ثم خرج عكرمة بن أبي
 جهل في بني مخزوم وخرج معه الحرث بن هشام معهم وتلاحق أهل مكة حتى بلغوا
 خمسمائة رجل وكتب أبو بكر بمنثل ذلك لأهل الطائف فخرجوا في أربع مائة رجل ثم كتب
 أهل اليمن بعد فراغهم من قتال المرتدين وصورة كتابه إليهم بسم الله الرحمن الرحيم من خليفة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من قرئ عليه كتابي من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن سلام
 عليكم اما بعد فإني أحمد الله الذي لا اله الا هو فان الله كتب على المؤمنين الجهاد وأمرهم
 أن ينفروا خفافا وثقالا قال الله تعالى أنفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم
 في سبيل الله فالجهاد فريضة مفروضة وثوابه عند الله عظيم وقد استنفرتنا من قبلنا من المسلمين
 إلى جهاد الروم بالشام وقد سارعوا إلى ذلك وشكروا وخرجوا وحسنت في ذلك نيتمهم
 وعظمت في الخير حسنتهم فسارعوا عباد الله إلى فريضة ربكم وإلى إحدى الحسينيين اما
 الشهادة واما الفتح والغنية فان الله لم يرض من عباده بالقول دون الفعل ولا يترك أهل
 عداوته حتى يدينوا بالحق ويقروا بحكم الكتاب أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون
 حفظ الله لكم دينكم وهدى قلوبكم وزكى أعمالكم ورزقكم أجر المجاهدين
 والصابرين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعث بهذا الكتاب مع أنس بن مالك
 رضي الله عنه قال أنس فأتيت أهل اليمن جناحا جناحا وقبيلة قبيلة أقرأ عليهم كتاب
 أبي بكر رضي الله عنه فاذا فرغت من قراءته قلت الحمد لله وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمد عبده
 ورسوله بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فإني رسول المسلمين إليكم ألاواني قد تركتكم
 معسكرين لم يمنعهم من الشخوص إلى عدوهم الا انتظاركم فمجلوا إلى اخوانكم رحمته
 عليكم أيها المسلمون قال وكان كل من أقرأ عليه ذلك الكتاب ويسمع مني هذا الرقعة

من الخصب والمماش وأما قولي شنوا عليهم الفسرة فاني ضامن لكم بالفتح والغنية فان ذلك
توجهي للمسلمين الى بلاد المشركين وأمرى اياهم بالجهاد في سبيل الله وأما الراية التي كانت
معك فتوجهت بها الى قرية من قراهم فدخلتها فاستأنموك فأمنتهم فانك تكون أحد أمراء
المسلمين ويفتح الله على يديك وأما الحصن الذي فتح الله على يدي فهو الفتح الذي يفتح الله
علم يدي وأما العرش الذي رأيته جالسا عليه فان الله يرفعني ويضع المشركين وأما أمرى
بطاعة ربي وقراءة القارى على هذه السورة فانه نعى الى نفسي فان هذه السورة حين أنزلت
علم ربي
فقال لا تهنين عن المنكر ولا تجاهدن من ترك أمر الله عز وجل ولا تجهزن
لين بالله في مشارق الارض ومغاربها حتى يقولوا الله احدثو يؤدو الجزية
اغرون فاذا توفياني ربي لم يحدنني مقصرا ولا في ثواب المجاهدين زاهدا ثم انه
وبعث الى الشام قال عبد الله بن أبي أوفى رضى الله عنه لما أراد أبو بكر رضى الله
الاجناد الى الشام دما بممر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف
ابن وقاص وأبي عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد ووجوه المهاجرين والانصار
وبدر وغيرهم فدخلوا عليه وأنا فيهم فقال ان الله تبارك وتعالى لا تحصى نعمه
ولا تباع الاعمال جزاها فله الحمد كثيرا على ما اصطنع عندكم قد جمع لكمكم وأصلح ذات
بينكم وهداكم الى الاسلام ونفى عنكم الشيطان فليس يطمع أن تشرکوا بالله ولا تتخذوا الهما
غيره فالعرب بنوا أم وأب وقد أردت أن أبعثهم الى الروم بالشام فن هلك منهم هلك شهيدا
ما عند الله خير للأبرار ومن عاش منهم عاش مدافعا عن الدين مستوجبا على الله
عز وجل ثواب المجاهدين هذا رأي الذي رأيته فأشار امرأ على ببلوغ رأيه فقام عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال
الحمد لله الذي يخص بالخير من شاء من خلقه والله ما استبقنا الى شيء من الخير قط الا سبقنا اليه
وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قدر الله اني أردت لقال لهذا الامر والرأي الذي ذكرت
فما قضى الله أن يكون ذلك حتى ذكرته الآن فقد أصبت وأصاب الله بك سبل الرشاد
وابعث اليهم الخيل في اثر الخيل وابعث الرجال تتبعها الرجال والجنود تتبعها الجنود فان الله
عز وجل ناصر دينه ومعز الاسلام وأهله ومنجز ما وعد رسوله صلى الله عليه وسلم ثم ان
عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قام فقال يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما
الروم وبنو الاصفر حد حديد وركن شديد والله ما أرى ان تقحم الخيل عليهم اقحاما ولكن
تبعث الخيل تغير عليهم في أداني اراضيهم ثم تبعثها فتغير ثم ترجع اليك فاذا فعلوا ذلك أضروا
بعد وهم وغنموا من أداني اراضيهم فقتلوا بذلك على قتالهم ثم تبعث الى اقاصى اهل اليمن والى
اقاصى ربيعة ومضر فتجمعهم اليك جمعا فان شئت بعد ذلك غزوهم بنفسك وان شئت بعثت
على غزوهم غيرك ثم جلس وسكت وسكت الناس فقال لهم أبو بكر رضى الله عنه ما ترون
رحمكم الله فقام عثمان بن عفان رضى الله عنه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال اني أرى أنك لا أهل هذا الدين مشفق واذا رأيته رأيا

لعماتهم رشدا وصلاحا وخيرا فاعزم على امضائه فانك غير ظنين ولا منهم فقال طلحة والزبير
وسعد وأبو عبيدة وجيع من حضر ذلك المجلس من المهاجرين والانصار صدق عثمان فيما قال
ما رأيت من أمر فأمنه فاناسا معون لك مطيعون لا تخالف أمرك ولا تنههم رأيك ولا تخلف عن
دعوتك واجابتك فذكروا هذا وشبهه وعلى بن أبي طالب رضى الله عنه في القوم لا يتكلم فقال
له ابو بكر رضى الله عنه ما ترى يا أبا الحسن قال رأيي انك مبارك ميمون الناصية وانك ان سرت
اليهم بنفسك أو بعثت اليهم نصرت ان شاء الله تعالى فقال له ابو بكر رضى الله عنه بشرك الله بخير من
اين علمت هذا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال هذا الدين ظاهرا على من
ناواه حتى يقوم الدين واهله ظاهرين فقال ابو بكر رضى الله عنه سبحان الله ما أحسن هذا
الحديث لقد سررتني شرك الله في الدنيا والآخرة ثم ان ابا بكر رضى الله عنه قام في الناس فحمد
الله وأثنى عليه وذكره بما هو اهله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقال ايها الناس ان الله قد
أنعم عليكم بالاسلام واعزكم بالجهاد وفضلكم بهذا الدين على اهل كل دين فتجهزوا عباد الله الى
غزو بلاد الروم بالشام فاني مؤمر عليكم امراء وعاقداهم عليكم فأطيعوا أمر ربكم ولا تخالفوا
امراءكم وتحسن نيتكم وسيرتكم وطعمتكم فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال
فسكت الناس فوالله ما أجابه أحد هيبه لغزو الروم لما يعلمون من كثرة عدوهم وشدة شوكتهم فقام
عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يا معشر المسلمين ما لكم لا تجيبون خليفة رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا دعاكم لما يحبيكم فقام خالد بن سعيد بن العاص رضى الله عنه فحمد الله
وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال الحمد لله الذي لا اله الا هو
بعث محمد اباهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فان الله
منجز وعده ومعز دينه ومهلك عدوه ثم أقبل على أبي بكر رضى الله عنه فقال انا غير
مخالفين لك ولا متخالفين عنك وأنت الوالى الناصح الشفيق نفر اذا استغفرتنا ونجيتك اذا
دعوتنا ففرح أبو بكر رضى الله عنه بمئاته وقال له جزاك الله من أخ خيرا فقد أسلمت
مرتضيا وهاجرت محتسبا وهربت بدينك من الكفار لى يطاع الله ورسوله وتكون كلمة
الله هى العليا فسررحك الله فتجهز خالد بن سعيد بأحسن الجهاز ثم أتى أبا بكر وعنده
من المهاجرين والانصار أجمع ما كانوا فسلم على أبي بكر رضى الله عنه ثم قال والله لأن أخرج من
رائى حالق ويخطفنى الطير فى الهوى بين السماء والارض أحب الى من أن أبطل عنك
وأخالف أمرك والله ما نافى الدنيا راغب ولا على البقاء فيها مجرى بص وانى أشهدكم انى
واخوانى وفتيانى ومن أطاعنى من أهلى حبيس فى سبيل الله مقاتل للمشركين أبدا حتى
يهلكهم الله أو غوت عن آخرنا فقال أبو بكر خيرا ودعا له المسلمون بخير وقال له أيا بكر انى لارجو
أن تكون من نحاء الله فى عباده باقامة كتابه واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم فخرج هو
واخوانه وغلمانه ومن تبعه من أهل بيته وكان أول من عسكر فأمر أبو بكر بلالا رضى الله
عنه فنادى فى الناس أن انفروا الى هدوكم بالشام وأرسل الى يزيد بن أبي سفيان والى أبي عبيدة
ابن الجراح ومعاذ بن جبل وشرحبيل بن حسنة فقال انى باعثكم فى هذا الوجه ومؤمركم على
هذه الجنود وأنا موجه مع كل رجل من الرجال ما قدرت عليه فاذا قدمتم البلد ولقيتم العدو

واجتمعهم على قتالهم فأمرهم أبو عبيدة بن الجراح وإن لم يلقكم أبو عبيدة ولقيكم حرب فأمرهم
 يزيد بن أبي سفيان فانطلقوا فتجهزوا فانطلق القوم يتجهزون وكان خالد بن سعيد بن العاص
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فكره الامارة واستعفى أبابكر رضى الله عنه فأعفاه ثم
 الناس خرجوا الى معسكرهم من عشرة وعشرين وثلاثين وأربعين وخمسين ومائة من كل
 يوم حتى اجتمع الناس وكثروا فخرج أبو بكر رضى الله عنه ذات يوم ومعه رجال من أصحابه
 كثير حتى انتهى الى معسكرهم فرأى عدة حسنة ولم يرض كثرتها للروم فقال لأصحابه ماذا
 ترون في هؤلاء أنرون أن نخصصهم الى الشام في هذه العدة فقال له عمر رضى الله عنه ما أرى
 هذه العدة لبني الأصغر فأقبل أبو بكر رضى الله عنه على أصحابه فقال لهم ماذا ترون فقالوا
 نحن نرى ايضا ما رأى عمر رضى الله عنه فقال أبو بكر رضى الله عنه أفلا تكتب كتابا الى
 أهل اليمن ندعوهم الى الجهاد وزرعهم في ثوابه فرأى ذلك جميع الصحابة رضى الله عنهم
 فقالوا له نعم ما رأيت فكتب اليهم فأجابوه وأقبلوا كما تقدم بيان ذلك مفصلا وتجهزوا الى
 الشام فكان النصر والفتوح وكان أول جيش بعثه أبو بكر رضى الله عنه بعد فتح مكة
 الله صلى الله عليه وسلم جيش أسامة وكان بعض الصحابة يسألون عن أسامة فقالوا
 وقالوا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه امض الى أبي بكر رضى الله عنه واطلب منه أن يولى
 أمرنا أفدمننا من أسامة فلما أبلغه عمر ذلك وثب أبو بكر رضى الله عنه وكان جالسا وأخذ
 بلحية عمر رضى الله عنه وقال تكلتك أمك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وتأمرني أن أعزله ثم خرج أبو بكر رضى الله عنه حتى أتى ذلك الجيش وأشخصهم ورأسهم
 وهو ماش وأسامة راكب فقال له أسامة يا خليفة رسول الله لتركبن اولادنا فقال أبو بكر
 رضى الله عنه والله لا نزل ولا أركب وما على ان اغبر قدمي ساعة في سبيل الله فان للغازی
 بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له وسبعمائة سيئة تحصى
 عنه فلما اراد ان يرجع اوصى أسامة ومن معه فقال لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغفلوا ولا تمثلوا
 ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا وتحرقوا ولا تقطعوا شجرة مثمرة
 ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لاكله وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في
 الفسقة فدعوههم وما فرغوا أنفسهم له وسوف تقدمون على قوم من حزب الشيطان وعدو
 المسلمين قد حللوا اوساط رؤسهم حتى كأنها اناحيض القطا وفي رواية وتركوا حواصلهم
 مثل العصائب فاعلوههم بسبوفكم حتى يرجعوا الى الاسلام أو يعطوا الجزية عن يدهم
 صاغرون استودعكم الله اندفعوا باسم الله وفعل مع يزيد بن أبي سفيان عند مواعده مثل
 ما فعل مع أسامة واوصاه بمثل ما اوصاه وزاد بعضهم في وصيته ليزيد قوله اذا سرت
 فلا تضيق على نفسك ولا على أصحابك في سيرك ولا تغضب على قومك ولا على أصحابك
 وشاورهم في الأمر واستعمل العدل وباعد عنك الظلم والجور فانه لأفح قوم ظلموا ولا نصروا
 على عدوهم واذا لقيتم القوم فلا تولوهم الادبار واذا نصرتهم على عدوكم فلا تقتلوا ولدا
 ولا شيخا ولا امرأة ولا طفلا ولا تعقروا بهيمة الا بهيمة الماء كولد ولا تغدروا اذا عاهدتم ولا تقتلوا
 اذا صاختم وقال في وصيته لخالد بن الوليد رضى الله عنه لما خرج لقتال أهل الردة سر

على بركة الله فاذا دخلت ارض العدو فكن بعيدا عن كل فاني لا آمن عليك الحملة واستظهر بالزاد وسر بالادلاء ولا تقاتل بمجروح فان بعضه ليس منه واحترس من البيات فان في العرب غرة واقل من الكلام فان مالك ما وعى عنك واقل من الناس علايتهم وكاهم الى الله تعالى في سريرتهم واستودعك الله الذي لاتضيع ودائمه فصار أسامة قبل كل جيش جهزه أبو بكر رضى الله عنه واوقع بقبائل من قضاة كانوا قد ارتدوا وغنم وعاد وكانت غيبته اربعين يوما وكان نفاذ جيش أسامة من أعظم الامور نفعاً للمسلمين فان العرب قالوا لولم يكن بهم قوة لما ارسلوا هذا الجيش فكفوا عن كثير مما كانوا ارادوا ان يفعلوه قال ابو بكر بن عياش سمعت ابا حصين يقول ما ولد بعد النبيين موالود افضل من أبي بكر رضى الله عنه فقد قام مقام نبي من الانبياء في قتال اهل الردة وقال انس بن مالك رضى الله عنه كرهت الصحابة قتال ما نعى الزكاة وقالوا انهم اهل القبلة يعنيون أنهم مسلمون فقتل أبو بكر رضى الله عنه سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على اثره وهذا دليل على شجاعة أبي بكر رضى الله عنه ثم أشار عليه على رضى الله عنه بالرجوع وأن يعث الجيوش ففعل ما أشار عليه وتقدم أن عمر رضى الله عنه كان ممن توقف في قتالهم ثم شرح الله صدره كما شرح صدر أبي بكر فقال بعد ذلك والله لقد رحح ايمان أبي بكر بايمان هذه الأمة جميعا في قتالهم وقتل يتيمة المرتدين وكان من جملة مقالة عمر لما راجع أبا بكر في قتالهم أن قال يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تألف الناس اوارفك بهم فانهم بمنزلة الوحش فقال له أبو بكر رضى الله عنه رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك جبارا في الجاهلية وخوارا في الاسلام بما داشئت أتألهم بشعر مفتعل أو بسحر مفتري هيهات هيهات قد تم الدين وانقطع الوحي أينقص وأناحي والله لو خذلني الناس كلهم لجاهدتهم بنفسى وقال له بعض الصحابة في مراجعتهم اياه ارفق بالعرب حتى يفرج هذا الأمر فان هذا الامر شديد غوره ومهلكة من غير وجه فلو أن طائفة من العرب ارتدت قلنا قاتل من ارتد بن ثبت معك وقد اصبغت العرب على الارتداد فهم بين مرتد وما نزع صدقة فهو مثل المرتد وبين واقف ينظر ما تصنع أنت وعدوك قد قدم رجلا وأخر أخرى وقالوا له ايضا قد شئت العرب على اموالها وانت لاتصنع بتفريق العرب عنك شيأ فلو تركت للناس صدقة هذه السنة وقدم عينية بن حصن الفزارى والاقرع بن حابس في رجال من أشراف العرب فدخلوا على رجال من المهاجرين فقالوا انه قد ارتد عامة من وراءنا عن الاسلام وليس في أنفسهم ان يؤدوا اليكم من اموالهم ما كانوا يؤدون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان تجعلوا لنا جهلا نرجع فنكفيكم من وراءنا فدخلا المهاجرون والانصار على أبي بكر رضى الله عنه فعرضوا عليه ما عرضوه عليهم وقالوا نرى ان تطعم الاقرع وعبيدة طعمة يرضيان بها ويكفيانك من وراءهما حتى يرجع اليك أسامة وجيشه ويشند أمرك فاننا اليوم قليل في كثير ولا طاقة لنا بقتال العرب فقال لهم أبو بكر رضى الله عنه هل ترون غير ذلك قالوا لا فقال أبو بكر رضى الله عنه انكم قد علمتم انه كان من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المشورة فيما يرضى فيه امر من بينكم ولا نزل به الكتاب عليكم وان الله لن يجمعكم على ضلال وانى سأشير عليكم وانما أنا

رجل منكم تنظرون فيما أشرته عليكم وفيما أشرتم به فتجتمعون على أرشد ذلك فان الله يوفقكم
أما أنا فأراى أن نشد على عدونا فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وان لا ترشوا على
الاسلام احدا وان تناسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فنجاهد عدوه كما جاهدكم والله
او نمنونى عقلا لأريت أن أجاهدكم عليه حتى آخذه من أهله وأدفعه الى مستحقه فأنتمروا
يرشدكم الله فهذا رأى فقالوا لا أبى بكر لما سمعوا رأيه أنت أفضلنا رأيا ورأينا لرأبك تبع
فأمر أبو بكر رضى الله عنه بالتجهيز قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه كرهنا ذلك
فى الابتداء ثم جئنا عليه فى الانتهاء وقال ابو هريرة رضى الله عنه والله لولم يستخلف ابو
بكر لما عبد الله وأخرج الدارقطنى أن أبا بكر رضى الله عنه لما أراد قتال اهل الردة أراد
أن يخرج اليهم بنفسه فلما برز واستوى على راحلته اخذ على بن ابى طالب رضى الله عنه
بزمائها وقال الى أين يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول لك ما قال لك رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم احد سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة فوالله لن نجفعا
بك لا يكون للاسلام نظام ابدا فرجع وبعث خالد بن الوليد رضى الله عنه لقتال اهل الردة
وكان الصحابة رضى الله عنهم قد شاهدوا من ابى بكر رضى الله عنه الثبات الذى هو
من هذا وهو ثباته يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فان الناس قد تزلزلت أقدامهم ورهلت
عقولهم يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشك بعضهم فى موته وكان ابو بكر
رضى الله عنه غائبا بمنزله بالسنع فى عوالى المدينة وعمر حاضر فلما توفى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قام عرف فقال ان رجلا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
مات وانه والله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران والله ليرجعن
رسول الله فليقطع من أيدي رجال وأرجلهم زعوا انه مات وأخرس بعض واقعد بعض واضطرب
الناس فجاء ابو بكر رضى الله عنه من منزله بالسنع ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهى مسجى فى ناحية البيت فكشف عن وجهه ثم قبله وقال بأبى أنت وأمى طبت حيا
وميتا أما المودة التى كتب الله عليك فقد متها اذ كرنى يا رسول الله عند ربك ثم رد الثوب
على وجهه ثم خرج وعمر يكلم الناس فأمره بالسكوت فأبى فأقبل ابو بكر على الناس فلما سمع
الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم قال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت
ثم تلا قوله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على
أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين فوالله لكان الناس
ما سمعوها الا منه وقد كان زولها يوم احد فى السنة الثالثة من الهجرة فكأ أنهم نسوها لما أصابهم
من الحزن بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر فوالله ما هو الا أن سمعتها ففقرت حتى
وقعت على الارض ما تحملى رجلاى وعلمت حينئذ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد مات فما زال عنهم رضى الله عنهم ذلك الدهش الا بتثبيت ابى بكر رضى الله عنه حين
خطب الناس فرجعت اليهم عقولهم وعرفوا حقيقة الأمر فدل ذلك على انه كان أشد
الصحابة رأيا وأكدهم عقلا وأوفرهم علما وأخرج البرار فى مسنده عن على بن ابى طالب

رضي الله عنه أنه قال يوما لأصحابه أخبروني عن أشجع الناس فقالوا أنت قال أما أنا فما
 بارزت احدا الا انتصفت منه ولكن أخبروني بأشجع الناس قالوا لا نعلم فن قال ابو بكر
 انه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا من يكون مع رسول
 الله صلى الله عليه وسلم في العريش اثلا يهوى اليه احد من المشركين فوالله ما داننا أحد
 الا أبو بكر شاهرا سيفه واقفا على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لايهوى اليه أحد
 الا أهوى اليه فهذا أشجع الناس ثم قال على رضي الله عنه ولقد رأيت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وقد اخذه قريش بمعنى بمكة قبل الهجرة فهذا يحره وهذا يتلته وهم يقولون
 انت الذي جعلت الالهة الها واحدا قال فوالله ما داننا أحد الا أبو بكر يضرب هذا
 ويتل هذا وهو يقول أقتلون رجلا أن يقول ربي الله ثم رفع على رضي الله عنه ردة كانت
 عليه فبكي حتى اخضلت لحية ثم قال أؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر فسكت القوم فقال
 ألا تجيبوني فوالله لساعة من ابى بكر خير من مؤمن آل فرعون ذلك رجل يكتم ايمانه
 وهذا رجل أعلن ايمانه فهذا الذي ذكره مع ما انضم اليه من ثبات ابى بكر رضي الله عنه
 فإله النبي صلى الله عليه وسلم وثباته لقتال اهل الردة هو الذي حل اهل السنة أن يجزوا
 ابى بكر رضي الله عنه أشجع الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم
 اجمعين واخرج في الطوريات عن الامام محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي
 رضي الله عنهم قال قال رجل لعلي بن ابى طالب رضي الله عنه نسمةك تقول في الخطبة اللهم
 اصليهما بما اصلحت به الخلفاء الراشدين فمن هم فاغرورقت عيناه بالدموع ثم اهماهما فقال هما
 حبيباي أبو بكر وعمر اما الهدي وشيخنا الاسلام ورجلا قريش والمقتدى بهما بعد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتدى بهما عصم ومن تبع آثارهما هدى الى الصراط
 المستقيم ومن تمسك بهما فهو من حزب الله وحزب الله هم المفلحون واخرج البيهقي عن الشافعي
 رضي الله عنه قال ان الناس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجدوا تحت أديم
 السماء خيرا من ابى بكر رضي الله عنه فوالله رقابهم واخرج ابو ذر الهروي والدارقطني
 من طرق أن بعضهم مر بنفر يسبون الشيخين فأخبر عليا رضي الله عنه وقال له اولا أنهم
 يرون أنك تضمهما أعلنوا ما جئوا على ذلك فقال علي رضي الله عنه أعوذ بالله رجبهما الله تعالى
 ثم نهض فأخذ بيد ذلك المخبر وأدخله المسجد وأمر باجتماع الناس فصعد المنبر ثم قبض على لحية
 وهي بيضاء فجعلت دموعه تتحادر على لحية وجعل ينظر البقاع حتى اجتمع الناس ثم خطب خطبة
 بليغة من جللتها ما بال اقوام يذكرون بسوء أخوي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي
 رواية وصاحبيه وسيدى قريش وأبوى المسلمين وأباي يذكرون وعليه معاقب صحبا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجد والوفاء في أمر الله يأمران وينهيان ويقضيان ويعاقبان
 لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم كراهما رأيا ولا يحب كحبهما حبا لما يرى من عزهما في
 أمر الله فقبض وهو عنهما راض والمسلمون راضون فأتجاوزا في أمرهما وسيرتهما رأى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره في حياته وبعد موته فقبضنا على ذلك رجبهما الله تعالى
 فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبهما الا المؤمن فاضل ولا يبغضهما ولا يخافهما الا الشقي مارق

وحبهما قربة وبغضهما مروق ثم ذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر أن يصلي بالناس وهو يرى مكان علي ثم ذكر أنه بايع أبا بكر ثم ذكر استخلاف أبي بكر لعمر رضي الله عنهما ثم قال ألا لا يبلغني عن أحد أنه يبغضهما إلا جلده حيا مقلتا وكان أول من حل على التكلم في الشجين عبد الله بن سبأ وكان يهوديا فأسلم وكان اسلامه ظاهرا فقط وهو باق على يهوديته وانما أراد باسلامه التوصل الى ايقاع الافتراق بين المسلمين وادخال التشكيك عليهم فيما بينهم لأن الطعن في الصحابة طعن في الشريعة لأنها وصلت الى الامة من طريق الصحابة فاذا انتفت العدالة عنهم لم يوثق بشيء من القرآن ولا الشريعة ولما بلغ عليا أمر ابن سبأ أحضره وسأله عما نسب اليه فأنكر وسيره الى المدائن وقال لا نساكني في بلدة أبدا وأخرج الدار قطنى من طرق أن عليا رضي الله عنه بلغه أن رجلا يعيب أبا بكر وعمر فأحضره وعرض له بعينيهما لعله يعترف فقطن فأنكر فقال علي أما والذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق أن لو سمعت منك الذي بلغني ونبئت عنك لا فعلن بك كذا وكذا ومما استدل به أهل السنة والجماعة على صحة خلافة أبي بكر واعتراف علي بها رضي الله عنهما ما أخرجه الدار قطنى وابن عساكر وغيرهما أن عليا رضي الله عنه لما قام بالبصرة قام اليه رجلان فقالا له أخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه تستولى على الامة أعهد من رسول الله عهده اليك فحدثنا فانت الموثوق به والمأمون على ما سمعت فقال أمان يكون عندي عهد من النبي صلى الله عليه وسلم عهده الى في ذلك فلا والله لئن كنت أول من صدق به فلا أكون أول من كذب عليه ولو كان عندي منه عهد في ذلك ما تركت أخا بني تميم ابن مرة وعمر ابن الخطاب يثبان على منبره ولقاتلتهم بيدي ولو لم أجد الأبردى هذه ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل قتلا ولم يمت فجأة مكث في مرضه أياما وليالي يأتيه المؤذن يعرفه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس وهو يرى مكانى وانى حاضر لست بغائب وفي رواية وما بى مرض ولقد أرادت امرأة من نسائه تصرفه عن أبي بكر فأبى وغضب وقال أنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فايصل بالناس فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرنا في أمرنا فاخترنا لدينانا من رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينا وكانت الصلاة معظم الاسلام وقوام الدين فبايعنا أبا بكر رضى الله عنه وكان لذلك أهلا لم يختلف منا اثنان وفي رواية فأقام بين أظهرنا الكلمة واحدة والأمر واحد لا يختلف عليه منا اثنان فأدبت لأبي بكر حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده وكنت إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطى فلما قبض ولاها عمر فأخذها بسنة صاحبه وما يعرف من أمره فبايعنا عمر لم يختلف عليه اثنان منا فأدبت له حقه وعرفت له وغزوت معه في جيوشه وكنت إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطى فلما قبض تذكرت في نفسى قرابتي وسابقتي وفضلى وأنا أظن أن لا يعدل بى ولكن خشى أن لا يعمل الخليفة بعده شيئا إلا حقه في قبره فأخرج منها نفسه وولده ولو كانت محابات لا ترو لده بها وبرئ منها لرهط أنا أحدهم وظننت أن لا يعدلوا بى فأخذ عبد الرحمن بن عوف موافقتنا على أن نسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا ثم بايع عثمان فنظرت

فإذا طاعتني قدسبت بيعتي وإذا مشاقي قد أخذ لغيري فبايعنا عثمان فأديت له حقه وعرفت له
 طاعته وغزوت معه في جيوشه وكنت أخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني وأضرب بين
 يديه الحدود بسوطي فلما أصيب نظرت فإذا الخليفة تان اللذان أخذاهما بعد رسول الله صلى
 الله عليه وسلم اليهما بالصلاة قد مضيا وهذا الذي أخذه ميتا قد أصيب فبايعني أهل
 الحرم وأهل هذين المصرين أي الكوفة والبصرة فوثب عليهما من أيس مثلي ولا قرابته
 كقرابتي ولا علمه كعلمي ولا سابقته كسابقتي وكنت أحق بهامنه يعني معاوية رضي الله عنه
 وصح من طرق كثيرة أن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه بعد وفاة
 النبي صلى الله عليه وسلم أسط يدك أبياعك فلا يختلف عليك إثنان فأبى علي رضي الله عنه
 ولو علم وجود نص لقبل ذلك ولم يتأخر عنه ولا سيما ومعه العباس والزبيرو بنوا هاشم
 وغيرهم وأقبح من كل قببح قول الشيعة أنه علم النص وكنهه تقية حاشاء الله من ذلك والحاصل
 أن الأخبار عن علي رضي الله عنه بصحة خلافة أبي بكر وعمر وكونهما خير الامة بعد النبي صلى
 الله عليه وسلم تثبت عنه من طرق كثيرة بروايات كثيرة من الثقات العدول منهم ابنه محمد
 ابن الحنفية وغيره بحيث يحزم من تتبعها بصدر ذلك القول من علي رضي الله عنه جزما
 قاطعا ليس فيه شك ولا ريب قال الحافظ الذهبي تواتر ذلك عن علي رضي الله عنه ورواه
 عنه نيف وثمانون من أصحابه وصرح بذلك في الخلوة والملاء وخطب بذلك على منبر الكوفة
 زمن خلافته مع حضور الجمع العظيم وهذا اتفق الأئمة الأربعة وأئمة الحديث مثل
 البخاري ومسلم وبقية أصحاب الكتب الستة وغيرهم وأئمة السلف وبقية أهل السنة
 والجماعة على اعتقاد صحة خلافته قال سفيان الثوري من قال إن عليا رضي الله عنه
 كان أحق بالخلافة من أبي بكر رضي الله عنه فقد خطأ أبابكر وعمر والمهاجرين والأنصار
 وما أراه يرتفع له مع هذا الاعتقاد عمل إلى السماء وأخرج الدارقطني عن عمار بن ياسر
 رضي الله عنهما مثل ذلك ولم ينقل عن علي رضي الله عنه أنه ذكر أن النبي صلى الله عليه
 وسلم نص علي خلافته بل إذا سئل عن ذلك أنكر وأما الرافضية فإنهم لما لم يكتفهم
 انكار ذلك ولم يكتفهم أيضا انكار اعتراف علي بصحة خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما
 لظهوره وانتشاره عنه بحيث لا ينكره إلا جاهل بالآثار أو مباغت مكابر قالوا إنما قال ذلك
 تقية ومدارة وذلك منهم كذب وافتراء أحسن ما يقال في هذا المحل اللعنة الله على الكاذبين
 وكيف يتوهم من له أدنى عقل أو فهم صدور ذلك من علي تقية ومدارة مع ما أعطاه الله
 من كمال الإيمان وعظم الشجاعة والافدام حتى أنه لا يهاب أحدا ولا يخشى في الله لومة
 لائم وكيف يتوهم عاقل أن يقول ذلك في الخلا وعلي رؤس الملا وفي زمن خلافته وعلي
 منبر الكوفة وهو في ذلك الوقت أقوى ما كان أمرا وانفذ حكما وذلك بعد مدة طويلة
 من وفاة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فما أحق أن يقال فيما افتروه سبحانه هذان عظيم
 ومن قببح افتراءهم زعمهم أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة لعلي رضي الله عنه
 وأنه كتم ذلك وأن الصحابة رضي الله عنهم خالفوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم وأن عليا
 رضي الله عنه إنما سكنت عن النزاع في أمر الخلافة لأن النبي صلى الله عليه وسلم أوصاه أن لا يوقع

بعده فتنة ولا يسئل سيفاً وهذا منهم كذب وافتراء وحق وجهالة مع عظيم الغباوة عما يترتب
على ذلك اذ كيف يعقل هذا الذي زعموه وكيف يعقل انه جعل اماماً والياً على الامة بعده
ويمعه من سل السيف على من امتنع من قبول الحق ولو كان مازعموه صحيحاً لما سل السيف
في حرب صفين والجل وقتال الخوارج وقاتل هو بنفسه وقاتل معه اهل بيته واصحابه وجالد
وبارز الالوف من مقاتليه وحده أعاده الله من مخالفة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم
وايضاً كيف يعقل انه يوصيه بعدم سل السيف على قوم زعم فيهم الرافضة انهم كفار مرتدون
تجاهروا باقبح انواع الكفر مع ما أوجب الله من جهاد الكفار قال بعض أئمة اهل البيت
النبوي قد تأملت كلام هؤلاء الضالين فرأيتهم قوماً اعى الهوى بصائرهم فسايلون
بما يترتب على مقالاتهم من المفساد فأورثتهم غباوتهم العار والفضيحة ولم يبالوا بما يترتب
على ذلك من نسبة على رضى الله عنه الى الذل والعجز بل ونسبة جبيع بنى هاشم الى ذلك
العار اللاحق بهم الذى لا أقبح منه وبنوا هاشم اهل النجدة والشجاعة والانفة بل يلزمهم
ايضاً نسبة جميع الصحابة رضى الله عنهم الى ذلك وكيف يتوهم مؤمن عاقل ان الصحابة
يطلعون على النص على خلافة على رضى الله عنه فلا يعلمون به ولا يرجعون اليه وهم أطوع الناس
لله واشد الناس وقواً عند حدود الله تعالى وابعده عن اتباع حظوظ النفس وقد قال فيهم
النبي صلى الله عليه وسلم خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم كيف يكون ذلك وفيهم العشرة
المبشرون بالجنة ومنهم ابو عبيدة أمين هذه الامة بنص قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح لكل امة أمين وأمين هذه الامة ابو عبيدة وكيف يتوهم فيهم شئ من ذلك وهم
بهذه الاوصاف الجائلة معاذ الله ان يتركوا العمل بما ثبت عندهم عن النبي صلى الله عليه وسلم
لان ذلك خيانة في الدين فلا يجوز عليهم ذلك لاشرعاً ولا عقلاً ولا عادة لانه يلزم من وقوع
ذلك منهم تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم في شهادته لهم بالخير وثبائه عليهم وتكذيب
النبي صلى الله عليه وسلم كفر ووقوع الكذب منه محال اثبت صدقه بالمعجزات فأدبى اليه
محال ايضاً كيف يكون هذا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يجتمع امتى على ضلالة ولو جاز
وقوع مثل ذلك منهم لارتفع الامان والثقة في كل ما نقلوه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من القرآن والاحكام ولم يحصل الجزم بشئ من امور الدين مع ان جميع الدين اصوله
وفروعه انما اخذه الامة عنهم ووصل اليهم بواسطتهم وفي نسبة الرافضة سيدنا علياً رضى الله
عنه الى الكتمان للنص غاية النقص لما يلزم عليه من نسبته الى الجبن والظلم والخيانة والكتمان
حاشاه الله من ذلك وبمقالة الرافضة هذه المقالة القبيحة توصل بعض الملحدة الى تكفير على
رضى الله عنه اعتماداً على قولهم لانه كنتم النص وكل ذلك زور وبهتان وكيف يسع من له
ادبى ايمان ان ينسب علياً وبقيّة الصحابة الى الكتمان مع ما استفاض وتواتر عنهم من غيرتهم
لبيهم صلى الله عليه وسلم وشدة غضبهم عند انتهاك حرمانه حتى قاتلوا دونه وقتلوا الآباء
والابناء في طلب مرضاته فلا يتوهم مؤمن بالله تعالى حقوق ادنى نقص اهم او سكوت
على باطل فقد طهر الله هذه العصاة من كل رجس وذنس ونقص وقد شهد الله اهم بالصدق
بقوله اولئك هم الصادقون واخبر انه رضى عنهم بقوله رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد

لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ووعدهم الحسن بقوله
 وكلا وعد الله الحسنى وشهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بكل خير وتوفى وهو راض عنهم
 فلا يقدم على شيء مما افتراه الرافضة وأمثالهم الأعداء ضل الله وخذله فبأبعضهم الحسار
 والوار وأحل الله نار جهنم وبئس القرار فنسأل الله السلامة مما وقع فيه هؤلاء الأشرار فما
 أقبح قولهم أن الصحابة علموا النص على خلافة علي رضي الله عنه فلم ينقادوا له عناداً ومكابرة
 بالباطل وأقبح من ذلك قولهم أن علياً ترك ذلك تقية كل ذلك كذب وزور توصلوا به إلى
 تكفير الصحابة رضي الله عنهم وقد أخرج البيهقي عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أنه
 قال أصل عقيدة الشيعة تضليل الصحابة رضي الله عنهم وانما نبه على الشيعة لأنهم
 أقل فحشا في عقائدهم من الرافضة وذلك لأن الرافضة يقولون بتكفير الصحابة
 رضي الله عنهم لأنهم على زعمهم عاندوا وتركوا العمل بالنص على خلافة علي رضي الله عنه
 بل زاد أبو كمال وكان من رؤس الرافضة فكفر علياً رضي الله عنه زاعماً أنه أعان
 الكفار على كفرهم وعلى كتمان الأمر بإمامته بل تواتر عن علي رضي الله عنه الاعتراف
 بصحة خلافة أبي بكر وعمر وأنهما أفضل الأمة وقبل من عمر رضي الله عنه ادخاله إياه الشورى
 بل تواتر عنه كما تقدم ذلك عنه وانما اتخذ المحدثون كلام الرافضة والشيعة وأمثالهم ذريعة
 للطعن في الدين والقرآن لأن ذلك انما وصل اليها من طريق الصحابة رضي الله عنهم ومن جملة
 ما قاله أولئك المحدثون كيف يقول الله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وقد ارتدوا بعد
 وفاة نبيهم الأنحوسة أنفس منهم في زعمهم وحججهم
 بتقديم علي رضي الله عنه فانظر إلى كلامهم
 وأمثالهم قاتلهم الله أني يؤفكون بل هم أشد ضرراً
 فرق الضلالة وقد جاء التصريح بذلك عن علي رضي الله عنه صريحاً أنه قال تفرق
 هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة شرها من ينتحل حبنا ويفارق أمرنا وجهه ما شتم عليه
 كلامهم من افتراء الكذب وارتكاب قبائح البدع والعناد حتى تسطمت المحدث بسبب ذلك على
 الطعن في الدين وأئمة المسلمين بل قال القاضي أبو بكر الباقلاني فيما ذهب الرافضة مما ذكره
 إبطال للإسلام رأساً لأنه إذا أمكن اجتماع الصحابة رضي الله عنهم على الإنكار للنصوص
 أمكن فيهم نقل الكذب والتواطئ عليه لغرض فيمكن أن سائر ما نقلوه من الأحاديث كذب
 وزور وحاشاهم من ذلك وكذلك ما ذكره سائر الأئمة عن جميع الرسل يجوز الكذب فيه والزور
 والبهتان على زعمهم لأنهم إذا ادعوا ذلك في هذه الأمة التي هي خیرامة أخرجت للناس
 فادعاهم إياه في باقي الأمم أخرى وأولى فتأمل هذه المفاسد التي ترتبت على ما أسند هؤلاء
 المحدث قاتلهم الله أني يؤفكون وقد أخرج البيهقي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال
 ما من أهل الأهواء أشد بالزور من الرافضة وكان إذا ذكرهم عابهم أشد العيب وأخرج
 الدارقطني عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال من قال أن علياً رضي الله عنه كان أحق
 بالولاية من أبي بكر رضي الله عنه فقد خطأ أبابكر وعمر والمهاجرين والانصار وقال الإمام
 مالك قوله تعالى في حق الصحابة ليغيظ بهم الكفار إن الرافضة كفار لأن الصحابة يغيظونهم

ومن اغاظه الصحابة فهو كافرو هو مأخذ حسن يشهد له ظاهر هذه الآية ومن ثم وافقه الشافعي رضي الله عنه في احاد قوله بكفرهم ووافقه ايضا جماعة من الائمة قال ابن الاثير في تاريخه المسمى بالكامل في حوادث سنة ست وتسعين ومائتين عند ذكره ابتداء دولة العبيديين مانصه لما بعث الله سيد الاولين والاخرين سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عظم ذلك على اليهود والنصارى والروم والفرس وقريش وسائر العرب لانه سغه أحلامهم وعاب أديانهم وآلهتهم وفرق جمعهم فاجتمعوا يوما واحدة فكفاه الله كيدهم ونصره عليهم فسلم منهم من هداه الله تعالى فلما قبض صلى الله عليه وسلم نجم النفاق وارتدت العرب وظنوا ان الصحابة رضي الله عنهم يصفون بعده فجاهد ابو بكر رضي الله عنه في سبيل الله فقتل مسيلة ورد اهل الردة وأذل الكفر ووطأ جزيرة العرب وغزا فارس والروم فلما حضرته الوفاة ظنوا ان بوفاة ينقص الاسلام فاستخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأذل فارس والروم وغلب على ممالكها ففسد عليه المنافقون بالواو فقتله ظنا منهم ان يقتله ينطفئ نور الاسلام فولى بعده عثمان رضي الله عنه فزاد في الفتوح واقسمت ممالك الاسلام فلما قتل ولى بعده امير المؤمنين علي رضي الله عنه فقام بالامر احسن قيام فلما يبأس اعداء الاسلام من استيصاله بالقوة اخبر في وضع الاحاديث الكاذبة وتشكيك ضعفة العقول في دينهم بأمر قد ضبطها المحدثون وأفسدوا الصحيح بالتأويل والطمع عليه وكانوا يظهرون التشيع لآل النبي صلى الله عليه وسلم ليستروا أمرهم ويستميلوا العامة وتفرق اصحابهم في البلاد وأظهروا الزهد والعبادة يغرون الناس بذلك وهم على خلافه واكثروا الطمع في الصحابة لانهم علموا ان الطمع فيهم طعن في الشر بعدة فان بطريقهم وصلت الى من بعدهم وأنفقوا مالا عظيما على من تبعهم لتنتشر مذاهبهم انتهى فعلم من ذلك كله ان اساس مذاهبهم الطمع في الصحابة ليتوصلوا بذلك الى ابطال الشريعة فانهم الله اني يؤفكون ولزج الى اقام الكلام على ما يتعلق بخلافة ابي بكر رضي الله عنه وذكر شيء آخر من محاسنه رضي الله عنه فن ذلك خطبه التي كان يخطب بها وهي كثيرة منها انه خطب مرة فقال بعد ان حمد الله بما هو اهل وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ان أشقى الناس في الدنيا والاخرة الملوك فرفع الناس رؤسهم فقال ما لكم ايها الناس انكم لطمعون عجلون ان من الملوك من اذا ملك زهده الله فيما يبد وغيره وانتقصه شطر أجله وأثر بقلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويسخط على الكثير ويسأم الرخا وتنقطع عند لذة البقاء لا يستعمل العبرة ولا يسكن الى الثقة فهو كالدرهم القيسي والسراب الخادع جذل الظاهر حزين الباطن فاذا أوجبت نفسه ونضب عمره وصحى ظله حاسبه الله فأشدد حسابه وأقل عزه ألوان الفقراء هم المرحومون الا ان آمن بالله حكم بكتاب وسنة نبيه وانكم اليوم على خلافة نبوة ومفرق محجة وسترون بعدى ملكا عضوا وملكنا عنودا وامة شحاحا ودما مباحا فان كانت للباطل نزوة ولاهل الحق جولة يعفوا لها أثر الخير ويموت لها فالزموا المساجد واستشيروا القرآن واعتصموا بالطاعة وليكن الابرام بعد التشاور والصفقة بعد طول التناظر اي بلاد جوسه ان الله سيفتح لكم أقصاها كما فتح عليكم أدناها وقال رضي الله عنه في بعض خطبه ان الله ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم

لناس كافة رحمة لهم ورحمة عليهم والناس يومئذ على شر حال في ظلمات الجاهلية دينهم
بدعة ودعوتهم فرية فأعز الله الدين بمحمد صلى الله عليه وسلم وألف بين قلوبكم أيها
المؤمنون فأصبحتم بنعمته إخوانا وأوصيكم بتقوى الله العظيم في كل أمر وعلى كل حال
ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير من يكذب
يفخر من يفخر بهلك وإياكم والفخر وما فخر من خلق من التراب وإلى التراب يعود هو اليوم
حي وغدا ميت فاعملوا وعدوا أنفسكم في الموت وما أشكل عليكم فردوا علمه إلى الله تعالى
وقدموا لأنفسكم تجوده محضرا فانقوا الله عباد الله وراقبوه واعتبروا بمن مضى قبلكم واعلموا
أنه لا بد من لقاء ربكم والجزاء بما عملتم صغیرها وكبیرها إلا ما غفر الله أنه غفور رحيم
فأنفسكم أنفسكم والمستعان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله أن الله وملائكته يصلون على النبي
يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك أفضل
ما صليت على أحد من خلقك وزكنا بالصلاة عليه وألقنا به واحشرنا في زمرة وأوردنا
حوضه اللهم أعنا على طاعتك وانصرنا على عدوك وقال في خطبة أخرى بعد أن حمد الله
وأثنى عليه أوصيكم بتقوى الله وأن تنزلوا عليه بما هو أهله وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا
الالحاف بالمسئلة فإن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال إنهم كانوا يسارعون في الخيرات
ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ثم أعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم
واخذ على ذلك مواتيكم وعوضكم بالتليل النفاث الكثير الباقي وهذا كتاب الله فيكم لا تنفني
عجايبه ولا يطفأ نوره فشعروا بقوله وانتصحووا كتابه وتبصروا فيه ليوم الظلة فإنه خلقكم
لعبادته ووكل بكم الكرام الكتائب يعلمون ما تفعلون ثم أعلموا عباد الله أنكم تعدون وتروحون
في أجل قد غيب عنكم علمه فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله وأن تستطيعوا
ذلك إلا بالله فسابقوا في مهل بأعمالكم قبل أن تنقضي آجالكم فتردكم إلى سوء أعمالكم فإن
أقواما جعلوا آجالهم لغيرهم فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم فالوحا النجحا النجحا فإن وراءكم
طالباً حثيثاً أمره سريراً سيره وكان آخر دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته اللهم
اجعل خير زمانى آخره وخير عملى خواتمه وخير أيامى يوم لقائك وخطب مرة خطبة فقال
أيها الناس أنكم تقرأون هذه الآية وتؤولونها على غير تأويلها يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم
لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا
بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعصمهم الله بعذاب
من عنده ومن كلامه رضي الله عنه أنه قال لخالد بن الوليد رضي الله عنه فرمى الشرف
يتبعك الشرف وأحرص على الموت توهب لك الحياة ولما وفد عليه أهل البصرة بعد قتل
مسيلة الكذاب قال لهم أبو بكر رضي الله عنه ما كان يقول صاحبكم يعني مما زعم أنه وحى
قالوا اعفنا يا خليفة رسول الله قال لا بد أن تقولوا قالوا كان يقول يا ضفدع كم تقين لا الشرب
تمنعين ولا الماء تكدرين لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قریش قوم لا يعدون فقال
لهم أبو بكر رضي الله عنه ويحكم ما خرج هذا من آل ولا بر فأين ذهب بكم إلا الله تعالى
والبر الرجل الصالح ومن دعاء الصديق رضي الله عنه اللهم انى أسألك الذل عند النصف

من نفسى والزهد فيما جاوز الكفاف ولما نزل قوله تعالى من يعمل سوءاً يجز به قال أبو بكر
رضى الله عنه يا رسول الله كيف الفرح بهذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله لك
يا أبا بكر ألمت قمرض ألمت يصيبك الأذى ألمت تحزن فهذا مما تجزون به يعنى ان جميع
ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه اذا مدح يقول اللهم انت
أعلم بى من نفسى وانا أعلم بنفسى منهم اللهم اجعلنى خيراً مما يظنون واغفر لى ما لا يعلمون
ولا تؤاخذنى بما يقولون وروى الصديق رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
سلوا الله العافية فأعطى احد أفضل من العافية الا اليقين وأشار باليقين الى عافية القلب
عن مرض الجهل والشك فعافية القلب أعلى من عافية البدن ومن كلامه رضى الله عنه
من استطاع أن يبكى فليبك ومن لم يستطع فليتبك ورأى رضى الله عنه مرة طائراً فقال
لبنى مثلك يا طائر ولم اكن بشراً قال الامام الغزالى فى الاحياء ان أبا بكر رضى الله عنه
حسب جميع ما كان أخذه من بيت المال فبلغ ستة آلاف درهم ففرها لبيت المال وشرب
أبو بكر رضى الله عنه مرة لبناً من كسب عبده ثم سأل عبده فقل تكهنت لقوم فأعطوني
فأدخل اصبعه فيه وجعل يقيئ حتى ظنوا ان نفسه ستخرج ثم قال اللهم انى اعتذر اليك
مما حلت العروق وخالط الأعماء ولما أخبر صلى الله عليه وسلم بذلك قال أو ما علمتم ان
الصديق لا يدخل جوفه الا طيباً وروى انه صلى الله عليه وسلم قال فيه يعنى ابا بكر أنزل ولما
جاف مقام ربه جنتان ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عبداً خيراً بين الدنيا
وما عند الله فاختر ما عند الله بكى أبو بكر رضى الله عنه وفهم أن العبد هو رسول الله صلى الله
عليه وسلم وان ذلك اشارة الى قرب أجله صلى الله عليه وسلم ولم يفهم ذلك المعنى احد
من الصحابة الحاضرين غير ابى بكر رضى الله عنه فقال النبى صلى الله عليه وسلم على رسالتك
يا أبا بكر سدوا هذه الأبواب الشوارع فى المسجد الا باب ابى بكر اشارة الى انه الخليفة بعده
ففتح باب له على المسجد ايدخل منه ويصلى بالناس ثم قال صلى الله عليه وسلم انى لأمر
امراً عندى افضل فى الصحبة من أبى بكر رضى الله عنه ولما مرض أبو بكر رضى الله عنه
مرض الوفاة دخل عليه سلمان الفارسى رضى الله عنه فقال يا أبا بكر أو صنافاً قال ان الله فاتح
عليكم الدنيا فلا تأخذن منها الا بلاغك واعلم ان من صلى صلاة الصبح فهو فى ذمة الله
فلا تخف من الله فى ذمته فيكبك فى النار على وجهك وقالت عائشة رضى الله عنها عند موته

* وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثم اليتامى عصمة للأرامل *

فقال أبو بكر رضى الله عنه ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن المسيب لما
احتضر أبو بكر رضى الله عنه أتاه ناس من الصحابة فقالوا يا خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم زدنا فقال أبو بكر رضى الله عنه من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه
فى الآفاق المبين قالوا وما الآفاق المبين قال قاع بين يدى العرش فيه رياض الله وأنهار وأشجار
يغشاها كل يوم مائة درجة فن قال هذا القول جعل الله روحه فى ذلك المكان اللهم انك ابتدأت
الخلق من غير حاجة بك اليهم ثم جعلتهم فريقين فريقاً للنعيم وفريقاً للعسير فاجعلنى للنعيم
ولا تجعلنى للعسير اللهم انك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل ان تخلقهم فجعلت منهم شقياً

وسعيدا وغويا ورشيدا فلا تشقني بمعاصيك اللهم انك علمت ما تكسب كل نفس قبل ان تخلقها
فلا يحيص لها مما علمت فاجعلني ممن تستعمله بظاعتك اللهم ان احدا لا يشاء حتى تشاء فاجعل
مشيئتك أن أشاء ما يقربني اليك اللهم انك قدرت حركات العباد فلا يتحرك شيء الا باذنك
فاجعل حركاتي في تقواك اللهم انك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا
يعمل به فاجعلني من خير القسمين اللهم انك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما اهلا
فاجعلني من سكان جنتك اللهم انك أردت بقوم الهدى وشرحت به صدورهم وأردت بقوم
الضلال وضيقته به صدورهم فأبشر صدرى للآيمان وزينه في قلبي وكره الى الكفر والفسوق
والعصيان واجعلني من الراشدين اللهم انك دبرت الامور وجعلت مصيرها اليك فأحيني بعد
الموت حياة طيبة وقر بنى اليك زلفى اللهم من أصبح وأمسى وثقته ورجاؤه غيرك فأنت ثقتي ورجائي
ولا حول ولا قوة الا بالله قال ابو بكر رضى الله عنه هذا كله في كتاب الله عز وجل وروى رضى الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ولى من امر المسلمين شيئا فأمر عليهم احدا بحجابة فعليه
لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم ومن أعطى حتى الله فقد انتهب من حى
الله ومن اخذ شيئا بغير حقه فعليه لعنة الله وروى ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد
امرا قال اللهم خرنى واخترلى وروى ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السلطان
العادل المتواضع ظل الله ورمحه في الارض ويرفع له كل يوم وليلة عمل ستين صديقا وروى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماترك قوم الجهاد الاعمهم الله بالعذاب وروى ايضا
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال النظر الى على عبادة وسئل ابو بكر رضى الله عنه
يوما عن آية في كتاب الله تعالى فقال اى سماء تظلمنى وأى أرض تقلمنى اذا
قلت في كتاب الله ما لا أعلم وقال رضى الله عنه في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة
هى النظر الى وجه الله عز وجل وكان رضى الله عنه اذا عجزى رجلا قال ليس مع العزاء مصيبة
وليس مع الجزع فائدة الموت أهون مما قبله وأشد مما بعده اذ كروا فقد رسول الله صلى الله عليه
وسلم تصغر مصيبتكم ويعظم الله أجركم وكان رضى الله عنه اذا صلى على الميت قال اللهم عبدك
أسلمه الاهل والمال والعشيرة والذنب عظيم وانت غفور رحيم وغضب رضى الله عنه
يوما على رجل فاشتد غضبه فقال له ابو برزة الاسلمى يا خيفة رسول الله اضرب عنقه فقال له
ويلك ما هى لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ايضا رضى الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين
وروى ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اشدد الاسلام بعمرو وروى ايضا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو لم أبعث فيكم لبعث عمر وسيرة ابى بكر طويلة وفى هذا
التقدر كفاية والقصد من ذلك كله بيان أن ملاك الامر كله العدل فى بيت المال وان سيرة
الخليفة على المسلمين بسيرة الخلفاء الراشدين وقد تقدم فى كلام ابى بكر رضى الله عنه
انه قال لن يصلح أمر آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها فلا بد لصلاح هذه الامة من خليفة
يسلك مسلك الخلفاء الراشدين ولا يكون ذلك الا بالزهد فى الدنيا وروى الحافظ ابن القيم
عن زيد بن ارقم رضى الله عنه قال ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه استسقى فأتى بماء فيه

عسل فلما أدناه من فيه بكى وأبكى من حوله ثم سكت فسكتوا ثم عاد فبكى حتى ظنوا أن لا يقدر
احد على مسئلته ثم مسح وجهه فأفاق فقالوا ما هاجك على هذا البكاء قال كنت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجعل يدفع عنه شيئا يقول اليك عنى اليك عنى ولم أر معه احدا فقلت
يا رسول الله انك تدفع عنك شيئا ولأرى معك احدا قال هذه الدنيا تمثلت لي بما فيها فقلت لها
اليك عنى فتنحت وقالت أما والله لئن انقلت منى لانشقت منى من بعدك فخشيت أن تكون
قد لحقتنى فذلك الذى أبكاني وقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه دخلت على ابى بكر
رضى الله عنه فى مرض موته فقال والله لا أن يقدم احدكم فتضرب عنقه فى غير خديرة له
من أن يسبح فى غمرة الدنيا قال الحسن البصرى لما نقل ابو بكر رضى الله عنه فى مرض موته
جمع الناس اليه فقال انه قد نزل بى ما قد ترون وقد أطلق الله ايمانكم من يمتى وحل عنكم
عقدتى ورد عليكم امركم فأمرُوا عليكم من أحببتهم فانكم ان أمرتم فى حياة منى كان أجدر أن
لا تختلفوا بعدى فقاموا فى ذلك وخلوا عنه فلم يستم لهم رأى فرجعوا اليه وقالوا رأينا
يا خليفة رسول الله رأيك فقال لعلكم تختلفون قالوا لا وقال على رضى الله عنه
يا خليفة رسول الله امض لما رأيت فاناسا معون مطيعون فقال فلو لم يكن تختلفون
قالوا لا قال فليكن عهد الله على ارضا قالوا نعم قال فأهملونى ونصر الله لدينه ولعباده
وفى رواية قال لهم قد حضر ما ترون ولا بد من قائم بأمركم يجمع فتنكم ويمنع ظالمكم من
الظلم ويرد على الضعيف حقه فان شئتم اخترتم لا نقشكم وان شئتم جعلتم ذلك الى فوالله
لا كؤم ونفسى خيرا وفى رواية قال لهم أترضون بخلافة خليفة أعينه لكم والله ما أعين
لكم احدا من اقربائى قالوا قد رضينا من اخترت لنا ثم أرسل لكثير منهم واختلى بكل
واحد وحده فكانوا يشيرون عليه باستخلاف عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقبل اشارتهم
وأمر عثمان رضى الله عنه بكتابة الصحيفة التى فيها استخلاف عمر بن الخطاب رضى الله عنه
ثم امر عثمان أن يخرج للناس ويقرأها عليهم وقال لهم ابو بكر رضى الله عنه قبل قراءتها
أترضون من استخلفه عليكم قالوا نعم وقال على رضى الله عنه لا رضى الا أن يكون عمر
فقال هو عمر فقال على يا خليفة رسول الله امض لرأيك فما نل به الا خيرا وقال عثمان وسعيد بن
زيد واسيد بن حضير وغيرهم من المهاجرين والانصار انت أخبرنا به وهو أعلمنا للخير بعدك
رضا للرضا ويخطو للخطو وسريرته خير من علانيته وليس فينا مثله وان يلى هذا الامر
أقوى عليه منه ثم قرئت عليهم الصحيفة فرضوا بما فيها وعن عاصم بن عدى قال جمع ابو
بكر رضى الله عنه الناس وهو مريض وأمر من يحمله الى المنبر وكانت آخر خطبة خطبها
بعد أن عهد بالخلافة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس
احذروا الدنيا ولا تغفروا بها فانها غرارة وآثروا الآخرة على الدنيا فأحبوها فحبب
واحدة منهن تبغض الأخرى وان هذا الامر الذى هو أثبت بنا لا يصلح آخره الا بما
اوله ولا يحتمله الا أفضلكم مقدرة وأملككم لنفسه وأشدكم فى حال الشدة واليسكم فى
اللين وأعلمكم برأى ذوى الراى لا يشاغل بما لا يعنيه ولا يحزن لما ينزل به ولا يستحيى من الا
ولا يخير عند البديهة قسوى هلى الامور لا يجوز لشيء منها حده بعدوان ولا يقصر برصد

هو آت عناده من الحدث والطاعة وهو عمر بن الخطاب ثم نزل فدخل داره رضى الله عنه
وقال له قائل ما أنت قائل ربك اذا سألك عن استخلافك عمر وقد ترى غلظته فقال ابو بكر
رضى الله عنه أجلسوني أبا لله تخوفني خاب من زود من امركم بظلم اقول اللهم استخلفت
عليهم افضلهم واقواهم وفي رواية قال أبا لله تخوفني اقول استعملت عليهم خيرهم واشدهم
حباً لله تعالى فستعلمون اذا فارقتوه وتنافستموها وذكر صاحب الاكتفا ان عمر بن الخطاب
رضى الله عنه التوى وامتنع من قبول عهد ابى بكر له بالخلافة وقال لا أطبق القيام بأمر الناس
فقال ابو بكر لابنه عبد الرحمن ارفعنى وناولنى السيف فقال عمر أوتعننى قال لا فعند ذلك
قبل رضى الله عنه وفي رواية ان عمر راجع ابا بكر رضى الله عنهما وقال يا خليفة رسول
الله لا حاجة لى فيها فقال ان لم تكن محتاجا اليها فهى محتاجة اليك وانى ما حبوتك بالخلافة
ولكن حبوتك بك ومع ذلك فانى أحذر ك نفسك فان النفس لأمارة بالسوء وأحذر ك الناس
واعلم انهم خائفون منك ما خفت الله عز وجل وآثرت رضاه جل جلاله على هواك وكتب
ابو عبيدة الى ابى بكر رضى الله عنهما بمد توجه الجنود الى قتال الروم بلغنى ان هرقل ملك
الروم نزل قرية من قرى الشام تدعى انطاكية وانه بعث الى اهل مملكتهم فحشدهم اليه وانهم
نفروا اليه على الصعب والذلول وقد رأيت أن أعملك ذلك فترى فيه رأيك والسلام
فكتب اليه ابو بكر رضى الله عنه اما بعد فقد بلغنى كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من أمر هرقل
ملك الروم فأما منزله بانطاكية فهزيمة له ولا أصحابه وفتح الله عليك وعلى المسلمين واما
حشده اهل مملكته وجمعه لكم الجوع فان ذلك ما كنا وكنتم نعلمون انه سيكون منهم
ما كان قوم أن يدعوا سلطانهم ويخرجوا من مملكتهم بغير قتال ولقد علمت والحمد لله ان قد
غزاهم رجال بسيف من المسلمين يحبون الموت حب عدوهم الحياة يحسبون من الله فى
قتالهم الأجر العظيم ويحبون الجهاد فى سبيل الله أشد من حبهم أبنائهم وعوائلهم واموالهم
الرجل منهم عند الهيج خير من الف رجل من المشركين فالتهم بخيولك ولا تتوحش لمن غاب
عنك من المسلمين فالله تعالى ذكره معك فأت ذكره معك وانامع ذلك بمدك بالرجال بعد الرجال حتى
تكتفى ولا تريد ان تزداد والسلام وقوله فأما منزله بانطاكية فهزيمة لعله أخذ بذلك من انطا
فانه لغة فى أعطى وكتب يزيد بن أبى سفيان رضى الله عنهما الى أبى بكر رضى الله عنه أما بعد
فان هرقل ملك الروم لما بلغه مسيرنا اليه اتى الله الرعب فى قلبه فتحول ونزل انطاكية وخلف
امراء من جنده على جند الشام وامرهم بقتالنا وقد تسير والناوا استعدادا وقد نبأنا مسالمة الشام
ان هرقل استغفر أهل مملكته وانهم جاؤا يجررون الشوك والشجر فرنا بأمرك وعجل علينا فى
ذلك برأيك نذبه نسأل الله تعالى النصر والصبر والفتح وعاقبة المسلمين والسلام عليك فكتب
أبو بكر رضى الله عنه اما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه تحول ملك الروم الى
انطاكية والى الله الرعب فى قلبه من جوع المسلمين فان الله تبارك وتعالى وله الحمد قد نصرنا
نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرعب وأيدنا بملائكته الكرام وان ذلك الدين الذى
يبررنا الله فيه بالرعب هو هذا الدين الذى تدعوا الناس اليه اليوم فورك لا يجعل الله
من كالمجرمين ولا من يشهد ان لا اله غيره كمن يعبد معه آلهة أخرى ويدين بعبادة آلهة

شئى فاذالقيتهم فابذ اليهم بن معك وقاتلهم فان الله لن يخذلك وقد نبأنا الله تعالى ان الفشة
القليلة مما تغلب الفئة الكثيرة باذن الله وانا مع ما هنا بمدكم بالرجال فى أثر الرجال حتى تكفوا
ولا تحتاجوا الى زيادة انسان ان شاء الله تعالى والسلام وقال للرسول أخبره ان مدد المسلمين
آتيهم مع هاشم بن عتبة ابن ابي وقاص وسعيد بن عامر الجمحى فلما تقدم الرسول بالكتاب على
يزيد قرأه على المسلمين فتبأثروا وفرحوا ثم ان ابا بكر رضى الله عنه دعا هاشم بن عتبة وبعثه
فى الف من المسلمين فسلم على ابي بكر وودعه ثم خرج من عنده فلزم طريق ابي عبيدة حتى
قدم عليه فسر المسلمون بقدومه وتبأثروا به وبلغ سعيد بن عامر الجمحى ان ابا بكر يريد
ان يبعثه فلما أبطل ذلك عليه أتاه فقال يا ابا بكر والله لقد بلغنى انك كنت أردت ان تبعثنى فى هذا
الوجه ثم رأيتك قد سكت فما أدري ما بدالك فى فان كنت تريد ان تبعث غيرى فابعثنى معه
وان كنت لا تريد ان تبعث احدا فانى راغب فى الجهاد فأذن لى رحلك الله كىما ألقى بالمسلمين
فتدذكرك لى ان الروم جعت لهم جمعا عظيما فقال أبو بكر رضى الله عنه رحلك الله ارحم الراحمين
ياسعيد فأمر بلالا فنادى فى الناس ان اتدبوا أيها المسلمون مع سعيد بن عامر الى الشام فانتدب معه
سبع مائة رجل فى ايام فلما أراد سعيد الشخوص جاء بلال فقال يا خليفة رسول الله ان كنت
انما اعتقتنى لله تعالى لا أملك نفسى وأنصرف فيما ينعنى فخذل سبيلى حتى أجاهد فى سبيل
ربى فان الجهاد أحب الى من المقام قال أبو بكر رضى الله عنه فان الله يشهد انى لم اعتقلك الا
وانى لا أريد منك جزاء ولا شكورا فهذه الأرض ذات الطول والعرض فاسلك اى فجاسجها
أحببت فقال أيها الصديق كأنك عتبت على فى مقاتلى ووجدت فى نفسك منها قال لا والله
ما وجدت فى نفسى من ذلك وانى لأحب ان تدع هواك لهو اى كيف وهو اك الى طاعة ربك
قال فان شئت اقت معك قال اما اذا كان هواك فى جهاد فلم اكن لا أمرك بالمقام وانما أردت
للاذان ولا وجدت لفرأقك وحشة يا بلال ولا بد من التفرقة فرقة لا التقاء بعدها حتى يوم البعث
فاعمل صالحا يا بلال وليكن زادك من الدنيا ما يدركك الله ما حييت ويحسن لك الثواب
اذا توفيت فقال له بلال جزاك الله من ولى نعمة ومن اخ بالاسلام خيرا فوالله ما أقرك لنا بالصبر
على الجود والمداومة على العمل ثم قال وما كنت لا تؤذن لأحد بعد النبى صلى الله عليه وسلم
وخرج بلال مع سعيد بن عامر وأمر سعيد بن عامر مع من معه ان يلحقوا ببزيد بن ابي سفيان رضى الله
عنهما فاقام بلال فى الشام بقصد الجهاد وتوفى بدمشق وقيل بحلب سنة عشرين او ثمانية وعشرين
وقدم مرة المدينة للزيارة فطلب منه أهل المدينة ان يؤذن فقال لا أفعل بعد ان أذنت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فألحوا عليه فصعد فاجتمع أهل المدينة رجالهم ونساءهم وصغارهم
وكبارهم وقالوا هذا بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يؤذن فهلوا نسمع
أذانه فلما قال الله اكبر الله اكبر تذكروا زمن النبى صلى الله عليه وسلم فصاحوا وبكوا جميعا
فلما قال اشهد ان لا اله الا الله ضججوا جميعا فلما قال اشهد ان محمدا رسول الله لم يبق فى المدينة
نور وروح الابى وصاح وخرجت العذارى والابكار من خدورهن يبكين وصار كيوم وفاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرغ من أذانه فقال أبشركم انه لا تمس النار عيننا بكنت
على النبى صلى الله عليه وسلم وأذن مرة بالشام فكان ايضا مثل ذلك وكان ابو بكر رضى الله

عنه يحب علي بن ابي طالب وكافة اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال النظر الى علي بن ابي طالب عبادة وروى مثله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج البخاري في صحيحه عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال والذي نفسي بيده لقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى من ان أصل من قرأني وفي رواية والله لأن أصلكم أحب الى من أن أصل قرأني لقرايتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج أبو الشيخ عن ابي بكر رضي الله عنه يأبها الناس ان الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته فلا تذهب بكم الا باطيل وكان أبو بكر رضي الله عنه كثيراً ما يعمل بما يشيره على رضي الله عنه عند بعث الجنود للجهاد ولا يأذن له في الخروج مع المجاهدين حرصاً على بقاءه معه الانتفاع برأيه ومشورته وكذلك يأذن في الخروج لعمر وعثمان رضي الله عنهما للاستعانة بكل منهم على تدبير امور المسلمين ولا يفعل شيئاً الا بعد استشارتهم مع غيرهم من وجوه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال الجلال السيوطي كان أبو بكر رضي الله عنه يصوم الصيف ويفطر الشتاء وكأنه يختار الصيف للصوم لأنه أشق على النفس وتقدم ان من دعاء الصديق رضي الله عنه اللهم اني أسألك الذل عند النصف من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف قال في الاحياء اذا كان الصديق رضي الله عنه في كمال حاله يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك في ان فقد المال أصلح من وجوده هذا مع ان احسن احوال الغني ان يأخذ حلالاً وينفق طيباً ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره ومن نوقش الحساب عذب وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها وقال ان اردت اللعوق بي فاياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزهي قيصاً حتى ترقيه وكان أبو بكر رضي الله عنه جعل ولاية بيت المال في زمن خلافته لأمين هذه الأمة ابي عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه وقد تقدم أنه جاء له في زمن خلافته مال من البحرين فقسمه بين الناس وقال من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة اودين فليأتنا فجاء جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فقال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لو جاء مال من البحرين أعطيتك هكذا وهكذا يعني ثلاث حفنات فقال أبو بكر رضي الله عنه خذ فأخذت مقداراً فوجدت عدد تلك الدراهم التي اخذتها خمسمائة فأعطاني الفا وخمسمائة وفاء بقول النبي صلى الله عليه وسلم هكذا وهكذا ولم يأخذ أبو بكر رضي الله عنه لنفسه من ذلك المال شيئاً وفي هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم

ذكر ما كان لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الاقتصاد في الدنيا وحسن السيرة

عن سعد بن آصف بن قيس قال كنا جلوساً بباب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمرت امرأة تسألوا امرية أمير المؤمنين فسمعهم عمر رضي الله عنه فقال ما هي لأمير المؤمنين بسريرة ولا تحل له انها من مال الله تعالى فقلنا فاذا يحل له من مال الله تعالى فقال انه لا يحل لعمر من مال الله تعالى الا حلتين حلة للشتاء وحلة للصيف وما حجب به واعتمر وقوت وقوت اهلى

كرجل من قريش ليس بأفقرهم ولا بأغناهم ثم اتابعه رجل من المسلمين وأخرج سعيد بن منصور وابن سعد وغيرهما من طرق عن عمر رضى الله عنه قال انى أنزلت نفسى من مال الله منزلة ولى اليتيم من ماله ان أيسرت استعفت وان افترقت أكلت بالمعروف فان أيسرت قضيت واتفق فى بعض السنين انه لم يأخذ من بيت المال شيئاً حتى اصابته خصاصة وحاجة فاستشار الصحابة وقال ما يصلح لى ان آخذه فقال على رضى الله عنه غداء وعشاء فأخذ بذلك عمر رضى الله عنه وذكر الجلال السيوطى فى تاريخ الخلفاء ان ذلك كان من عمر رضى الله عنه فى ابتداء ولايته فذكر انه فى اول ولايته لم يأخذ من بيت المال شيئاً حتى اصابته خصاصة فقال ما يصلح لى ان آخذه فقال على رضى الله عنه غداء وعشاء فأخذ بذلك عمر رضى الله عنه وقال ابن سعد قال محمد بن ابراهيم كان عمر رضى الله عنه ينفق كل يوم درهمين له ولعيله واحتاج مرة عسلاً لئلا يداوى به وكان فى بيت المال عكة من عسل فقال ان أدنتم لى والاف ذلك على حرام فأذنوا له فأخذ من العكة بقدر الحاجة وكان رضى الله عنه يأكل خبز الشعير ويأندم بالزيت ويلبس المرقوع ويخدم نفسه وكان يقول ما نعبأ بلذات العيش ولكننا نبقى طبياننا لا آخرتنا ولما كلمته ابنته حفصة وابنه عبد الله وغيرهما قالوا له لولا كملت طعاما لينا لكان أقوى لك على الحق قال أكلكم على هذا الرأى قالوا نعم قال قد علمت نصيحتكم ولكنى تركت صاحبى على جادة فان تركت جادتهما لم أدركهما فى المنزل ويعنى بصاحبيه النبى صلى الله عليه وسلم وابا بكر رضى الله عنه واجتمع مرة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد زهاجسين رجلا فقالوا أمارتون الى زهد هذا الرجل والى حليته وقد فتح الله على يديه ديار كسرى وقصر وطرفى المشرق والمغرب والعجم يأتون به فيرون عليه هذه الجبة وقد رقعها بثنتى عشرة رقعة فلو سألتهم معاشراً اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ان يغير هذه الجبة بثوب لين فيها منظره ويغدى عليه بحفنة من الطعام ويراح بحفنة يأكل منها من حضره من المهاجرين والانصار فقال القوم بأجمعهم ليس هذا القول الا لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه فانه صهره لكونه زوجة ابنته ام كلثوم رضى الله عنها فقال على لست بفاعل ذلك ولكن عليكم بأزواج النبى صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين فانهن يتجرئن عليه قال الا حنف بن قيس فسألا عائشة وحفصة رضى الله عنهما وكاتبا مجتمعين فقالت عائشة ثم أسأله ذلك وقالت حفصة ما أراه يفعل وسيتبين لك ذلك فدخلنا عليه فقر بهما وأدناهما فقالت عائشة رضى الله عنها أأذن لى ان أكلكم فقال تكلمى يام المؤمنين فقالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قضى الى الجنة ربه ورضوانه لم يرد الدنيا ولم ترده وكذلك مضى ابوبكر على اثره وقد فتح الله عليك كنوز كسرى وقصر وديارهما وحل اليك أموالهما وذلك الطرفان المشرق والمغرب ونرجو من الله المزيد ورسلى العجم يأتونك ووفود العرب تفد اليك وعليك هذه الجبة قد رقعتهما اثنتى عشرة رقعة فلو غيرتها بثوب لين يهاب فيه منظرك ويغدى عليك بحفنة من طعام ويراح عليك بأخرى تأكل منها انت ومن حضرك من المهاجرين والانصار فبكى عمر رضى الله عنه عند ذلك بكاء شديدا ثم قال سألتك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شبع من خبز بر عشرة ايام او خمسة

ايام او ثلاثة اوجع بين عشاء وغداء حتى لحق بالله عز وجل قالت لا قال أنشدك بالله هل تعلمين
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرب اليه طعام على مائدة في ارتفاع شبر من الارض
الا كان يأمر بالطعام فيوضع على الارض قالت اللهم نعم ثم قال انما زوجتنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وامهات المؤمنين لكم على المؤمنين حق وعلى خاصة وقد آتيتاني
نخباني في الدنيا وانى لا أعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس جبة من الصوف وربما
حك جلده من خشونتها أتعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقد على عباءة
على طاق واحد وكان مسح في بينك يامائشة يكون بالنهار بساطا وبالليل فراشا ينام عليه
وكان يرى أثر الخصر في جنبه الا يا حفصة انت حدثتني انك نثيت له المسح ليلة فوجد لينة
فرقد عليه فلم يستيقظ الا بأذان بلال فقال يا حفصة ماذا صنعت نثيت المه- ادحتي ذهب بي
النوم الى الصباح مالى وللدنيا ومال الدنيا ولى شغلتنوني بلين الفراش يا حفصة اما تعلمين ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مغفورا له ولم يزل جايعا ساجدا راکما باكيًا متضرعا
آناء الليل والنهار الى ان قبضه الله تعالى الى رحته ورضوانه لا أكل عمرطيبا ولا لبس لينا فله
أسوة بصاحبيه ولا جمع بين ادمين الا الماء والزيت ولا أكل لحما الا في كل شهر فخرجتنا من
عنده فأخبرتنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل كذلك حتى لحق عمر رضى الله عنه
بالله عز وجل وكان رضى الله عنه يقول ان من ولى امر المسلمين فهو عبد للمسلمين يحب لهم
عليه ما يحب على العبد من النصح واداء الامانة ولما اصاب الناس القحط في العام الذى كانوا
يسمون عام الرمادة ما أكل عمر رضى الله عنه في ذلك العام سمنا ولا سمينا قال انس رضى الله عنه
فرقرت بطن عمر عام الرمادة من اكل الزيت فطعن بطنه بأصبعه وقال ليس عندنا غيره حتى
يحبى الناس ومن ثم تغير لونه في هذا العام حتى صار أغمر وقال مرة لمن كله في طعامه ويحك
أكل طيباتى في الدنيا وأستمع بها وقال لابنه عاصم وهو يأكل لحما كفى بالمرء سرفا ان يأكل
كل ما انتهى وكان رضى الله عنه يداوم على اكل التمر ولا يداوم على اكل اللحم ويقول
اياكم واللحم فان له ضراوة كضراوة الخمر أى ان له عادة تنزع النفس اليها كعادة الخمر وعن
جعفر بن ابى العاص رضى الله عنه قال اكلت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخبز
والزيت والخبز والابن والخبز والخل والخبز واللحم القديد وأعلى ذلك اللحم الغريض أى
الطرى وكان رضى الله عنه يقول لا تنخلوا الدقيق فانه كله طعام وأتى مرة بخبز غليظ
فجعل يأكل ويقول لنا كلوا فجلنا نمتذر فقال مالكم لا تأكلون فقلنا لا كله انت والله
يا أمير المؤمنين نرجع الى طعام هو ألين من طعامك وعن حفصة رضى الله عنها قالت دخل
على عمر مرة فقدمت له مرققة باردة وصبت عليها زيتا فقال ادمان فى اناء واحد لأذوقه أبدا
حتى ألقى الله عز وجل وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال دخل علينا امير المؤمنين عمر
رضى الله عنه ونحن على مائدة فأوسعت له عن صدر المجلس فقال باسم الله ثم ضرب يده في
لقمة فلقها ثم ثنى بأخرى ثم قال انى لا جد طعم دسم غير دسم اللحم فقال عبد الله يا أمير المؤمنين
انى خرجت الى السوق اطلب السمى لأشتره فوجدته غاليا فاشتريت بد رهمن اللحم المهزول
وجعلت عليه بد رهمن سمنا فقال عمر رضى الله عنه ما اجتمعنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

الا اكل احدهما وتصدق بالآخر فقال عبد الله يا أمير المؤمنين اذن فلم يجتمعا عندي أبدا الا
فعلت ذلك وعن جابر رضى الله عنه قال رأى عمر بن الخطاب لهما معلقا في يدي فقال ما هذا
يا جابر قلت اشتبهت لهما فاشتريت فقال عمر او كلما اشتبهت اشتريت يا جابر أما تخاف الآية اذهبتم
طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وحجى له مرة بلحم فيه سم فأبى ان يأكله وقال كل واحد
منهما أدام وكان رضى الله عنه يقول والله ما يمنعنا ان نأمر بصغار المعز فيسمط لنا ونأمر
بلباب الخنطة فيخبر لنا ونأمر بالزبيب فينبذ لنا فأنكل هذا ونشرب هذا الا انا نستبقى طيباتنا
لأننا سمعنا الله يقول اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وكان رضى الله عنه يلبس
وهو خليفة جبة من صوف مرقوعا بعضها بأدم وفي رواية من جراب ويطوف في الأسواق
وعلى ما تقه الدرة يؤدب الناس ويمر بالنوى فيلتنطه ويلقيه في منازل الناس ينفعون به وتأكله
شياههم وقال أنس رضى الله عنه رأيت بين كتنى عمر رضى الله عنه اربع رقاع في قبضه وقال
ابو عثمان النهدي رأيت على عمر ازارا مرقوعا بأدم وقال على بن ابي طالب رضى الله عنه رأيت
عمر يطوف بالكعبة وعليه ازار فيه احدى وعشرون رقعة فيها أدم وقال الحسن خطب
الناس وعليه ازار فيه اثنا عشرة رقعة فيها أدم ولما حج لم يتظالم الا تحت كساء ونطع بلبقه على
شجرة وكانت جلة نفقته في حجة ستة عشر دينارا ومع ذلك يقول اسرفنا في هذا المال وقال
نافع العيسى دخلت دار الصدقة مع عمر بن الخطاب وعلى بن ابي طالب وعثمان بن عفان رضى الله
عنهم فجلس عثمان في الظل يكتب ومعه على قائم على رأسه على عليه ما يقول عمر وعمر قائم
في الشمس في يوم شديد الحر عليه بردان اسودان اتزر بأحدهما ولف الآخر على رأسه يتفقد
ابل الصدقة يكتب ألوانها وأسنانها فقال على لعثمان رضى الله عنهما قال الله في كتابه ان خير
من استأجرت القوى الا أمين هذا هو القوى الا أمين وخطب عمر رضى الله عنه الناس مرة فقال
والذى بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق لو ان جلا هلك ضياعا بشط الفرات لخشب ان
يسألنى الله عنه وخطب مرة فقال أيها الناس انى لم ارسل اليكم عمالا ليضربوا ابشاركم
ليأخذوا أموالكم وانما ارسلتهم اليكم ليعلموكم امر دينكم وسنة نبيكم فمن فعل به شئ سوى ذلك
فليرفعه الى فوالذى نفسى بيده لا قصصه منه وقال سلام بن مسكين كان عمر رضى الله عنه اذا احتاج
شيئا أتى عبد الله بن مسعود وكان هو صاحب بيت المال فاستقرضه فربما اعمر فيأتيه صاحب بيت
المال ليتقاضاه فيلزمه فيحتاج له عمر فيعطيه أو يسأله الا مهال حتى يخرج عطاؤه فاذا خرج عطؤه
قضاه قال سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كان عمر اذا نهى الناس عن شئ جمع اهله فقال انى
نهيت الناس عن كذا وكذا وان الناس ينظرون اليكم نظر الطير الى اللحم وأقسم بالله لا أجد أحدا
فعله منكم الا أضعفت عليه العقوبة وقال محمد بن سيرين قدم على عمر صهر له من مكة فطلب ان
يعطيه من بيت المال فانهره وقال أردت ان ألقي الله ملكا خائفا ثم اعطاه من صلب ماله عشرة
آلاف درهم وكان رضى الله عنه يقول احب الناس الى من رفع الى عيوى وكان مرة
للمسلمين فدخلت ابنة له واخذت درهما فمض عمر في طلبها حتى سقطت المحفة من احد منكبيه
ودخلت الصبية الى بيت اهلها تبكى وجعلت الدرهم في فيها فادخل عمر أصبعه في فيها فأخرجه
وطرحه على الخراج وقال أيها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر الاما للمسلمين قريهم وبعيدهم

وكنح أى كنس ابو موسى الاشعري رضى الله عنه بيت المال مرة بأمر عمر فوجد درهما فربان
لعمرفأعطاه اياه فرأى عمر ذلك فى يد الغلام فسأله عنه فقال اعطانيه ابو موسى فقال يا أبا
رسى ما كان من اهل المدينة اهل بيت اهون عليك من آل عمر أردت ان لا يبقى احد من أمة محمد
صلى الله عليه وسلم الا طلبنا بمظلة ورد الدهرم الى بيت المال مع ان المال كان حلالا ولكنه خاف
ان لا يستحق هو ذلك القدر فكان يستبى لدينه ويقتصر على الأقل امثالا لقوله صلى الله عليه
وسلم دع ما يريك الى ما لا يريك ولقوله صلى الله عليه وسلم من تركها أى الشبهات فقد استبرأ
لعرضه ودينه وعن طارق بن شهاب قال قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الشام فلقبه الجنود
وعليه ازار ورداء وخفان وعمامة وهو آخذ برأس راحلته يخوض الماء قد خلع خفيه وجعلهما
تحت ابطه فقالوا له يا أمير المؤمنين ألا نيلفك الجنود و بطارقة الشام وانت على هذه الحال
فقال عمر انا قوم أعزنا الله بالاسلام فلا نلتبس العز فى غيره وروى انه قال يوما وهو على المنبر
يا معشر المسلمين ماذا تقولون لو ملت برأسى الى الدنيا كذا وميل رأسه فقام اليه رجل فاستل
سيفه وقال نقول بالسيف كذا وأشار الى قطعه فقال عمر رحك الله الحمد لله الذى جعل فى رعيتى
من اذا تعوجت اقبانى وجاءته مرة برود من اليمن ففرقها على الناس بردا ثم صعد المنبر
يخطب وعليه بردان ازار ورداء فقال اسمعوا رحكم الله فقام اليه رجل من القوم فقال والله
لا نسمع والله لا نسمع فقال عمر لم يا عبدالله قال لأنك اعطيتنا بردا بردا وخرجت تخطب فى
بردين فقال عمر أين عبدالله بن عمر فقال عبدالله هنا يا أمير المؤمنين فقال لمن احد هذين البردين
الذين على قال لى فقال لارجل عجلت على يا عبدالله انى كنت غسلت ثوبى الخلق فاستعرت ثوب
عبدالله فقال الرجل قل الآن نسمع ونطيع ولما رجع رضى الله عنه من الشام ووصل الى المدينة
تفرد عن الناس يوما ليعرف اخبارهم فرجعهم فى خيائها فقصدها فقالت يا هذا ما فعل عمر لما
رجع من الشام قال هو ذا قد اقبل من انشام ووصل الى المدينة قالت لا جزاء الله عنى خيرا قال
ويحك لم قالت لأنه والله ما نالى من عطائه منذولى الخلافة الى يومنا هذا دينار ولا درهم
قال ويحك وما يدري عمر حالك وانت فى هذا الموطن فقالت سبحان الله ما ظننت ان احدا يلى
على الناس ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها فصار يبكى ويقول واعمر اء واخصوماه كل
احد أفة منك يا عمر ثم لم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا فبينما هو كذلك
اذا قبل على بن ابى طالب وعبدالله بن مسعود رضى الله عنهما فقالا السلام عليك يا أمير
المؤمنين فوضعت المرأة يدها على رأسها وقالت واسوأ ناه شمت أمير المؤمنين فى وجهه فقال
لها عمر لا بأس عليك يرحك الله ثم طلب عمر رضى الله عنه قطعة فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذولى الى يومنا هذا بخمسة وعشرين دينارا فأتى عمر
وقوفى فى المحشر بين يدى الله عز وجل فعمر منه برى شهيد على ذلك على بن ابى طالب وعبدالله بن
مسعود ورفع الكتاب الى على رضى الله عنه وقال له اذا تقدمت أى مت قبلك فاجعلها فى كفنى
وعن الأوزاعي ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج ليلة فى سواد الليل فرآه طلحة رضى الله عنه
فتبعه فذهب عمر فدخل بيتا فلما أصبح طلحة ذهب الى ذلك البيت فاذا بمجوز عبياء مقعدة فقال
لها ما بال هذا الرجل يأتيك فقال انه يتعاهدنى منذ كذا وكذا بما يصلىحني يخرج عنى الاذى

فقال طلحة لنفسه ذكركم امك يا طلحة أعتراث عمر تتبع رضى الله عنهما وعن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضى الله عنهم عن مولى لعثمان بن عفان رضى الله عنه قال بينما انا مع عثمان في مال له بالعالية في يوم صايف اذ رأى رجلاً يسوق بكرين وعلى الارض مثل الفراش من الحر فقال عثمان رضى الله عنه ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يرد ثم تروح ثم دنا الرجل فقال انظر فنظرت فاذا هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقلت له هذا امير المؤمنين فقام عثمان رضى الله عنه فأخرج رأسه من الباب فاذا الفح السمووم فأعاد رأسه حتى حاداه قال ما أخرجك هذه الساعة قال بكران من ابل الصدقة تخلفا وقدمضى الراعى ابل الصدقة أردت أن الخفهم بالجماء وخشيت أن يضنيما فيسألني الله عنهما فقال عثمان رضى الله عنه هلم يا امير المؤمنين الى الماء والظل ونكفيك قال عدالى ظلك وسار فقلت عندنا من يكفيك فقال عد الى ظلك ومضى فقال عثمان رضى الله عنه من أحب أن ينظر الى القوى الامين فلينظر الى هذا أخرجه الشافعى رحمه الله في مسنده ولما جهز الجيوش لفتح العراق جعل الامير عليهم سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه بالفتح وبعده من قتل وبعده من أصيب من المسلمين وأرسل ذلك مع سعد بن عبيدة الفزارى وكان عمر رضى الله عنه يخرج خارج المدينة كل يوم يسأل الركبان من حين يصبح الى انتصاف النهار يسأل عن أهل القادسية ثم يرجع الى أهله ومنزله فلقى هذا البشير المرسل في يوم من تلك الايام التي كان يخرج فيها فقال له من أين فأخبره والرجل المرسل راكب على ناقته يسير بسرعة وعمر رضى الله عنه يحب على رجله معه وهو يسأله والبشير لا يعرفه فقال له عمر أخبرني يا عبد الله قال هزم الله المشركين فأخبره الخبر فلم يزل عمر سائراً تحت ناقته ذلك البشير يسأله حتى دخل المدينة فاذا الناس يسلمون عليه بامرة المؤمنين فقال البشير هلا أخبرتنى رحمتك الله انك امير المؤمنين قال لا بأس عليك يا أخى وعن الاحنف بن قيس قال اخرجنا عمر رضى الله عنه في سرية الى العراق ففتح الله علينا العراق وبلاد فارس فاصبنا فيها من بياض فارس وخراسان فحملناه معنا واكتسبنا منها فلما قدمنا على عمر رضى الله عنه أعرض عنا بوجهه وجعل لا يكلمنا فاشتهد ذلك علينا فشكونا الى ابنه عبد الله بن عمر رضى الله عنه عنهما فقال ان عمر زاهد في الدنيا وقد رأى عليكم لباساً يلبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خليفة من بعده فأتينا منازلنا ففرغنا ما كان علينا وانسأه في يده يعهدنا منا فقام فسلم علينا رجلاً رجلاً واعتقنا رجلاً رجلاً حتى كأنه لم يرنا قبل فقدمنا اليه الغنائم فقسّمها بيننا بالسوية فعرض في الغنائم شيئاً من انواع الخبيص من اصفر وأحمر فذاقه عمر فوجده طيب الطعم والريح فأقبل علينا بوجهه وقال يا معشر المهاجرين والانصار ايقتلن منكم الابن أباه والا أخ أخاه على هذا الطعام ثم أمر به فحمل الى اولاد من قتل من المسلمين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار ثم ان عمر قام وانصرف ولم يأخذ لنفسه شيئاً من تلك الغنائم وعن الاحنف ايضا قال لما فتح العراق وحملت الي عمر خزائن كسرى قال له صاحب بيت المال الاندخلة بيت المال قال لا والله لا نأوى تحت سقف حتى أقسمه فبسط الانطاع في المسجد وكشفوا عن الاثوال فرأى شيئاً عظيماً من الذهب والجواهر فقال ان الذى أدى

هذا الامين فقالوا انت امين الله وهم يؤدون اليك ما أديت الى الله تعالى فقبضه ولم يأخذ منه
 شيئا وفي صحيح البخارى قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا المال خضرة حلوة وقال
 الله تعالى زين للناس حب الشهوات الآية وقال عمر رضى الله عنه اللهم اننا لنستطيع
 الا ان نفرح بمازى ننته لنا اللهم انى اسألك ان أنفقه في حقه وفي رواية للبدارقنى لما فتح
 العراق وجاء الى عمر خزائن كسرى وأمواله بكى وقرأ زين للناس الآية ثم قال اللهم اننا
 لنستطيع الا ان نفرح بمازى ننته لنا فقضى شره وارزقنى ان انفقه في حقه وقسم تلك الاموال فما
 قام حتى ما بقى منها شيء وكان رضى الله عنه لما جاءت تلك الاموال يبكى ويقول ان الله زوى الدنيا
 عن النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه وفتحها الى فأخاف ان اكون مستدرجا وفي رواية رواها
 الشافعى رضى الله عنه لما قدم على عمر رضى الله عنه ما أصيب من ماله العراق قال له صاحب
 بيت المال أدخله في بيت المال فقال لا ورب الكعبة لا يأوى تحت سقف بيت حتى
 اقسمه فأمر به فوضع في المسجد ووضعت عليه الانطاع وحرسه رجال من المهاجرين
 والانصار فلما أصبح غدا ومعه العباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف فلما كشفوا
 الانطاع من الاموال رأى منظر الميراث من الذهب والياقوت والزبرجد والؤلؤ يتلألأ
 فبكى عمر فقال له احدهما انه والله ما هو بيوم بكاء ولكنه يوم شكر وسرور فقال والله
 ما ذهبت حيث ذهبت ولكنه والله ما كثر هذا في قوم قط الا وقع بأسهم بينهم ثم اقبل على القبلة
 ورفع يديه الى السماء وقال اللهم انى اعوذ بك ان اكون مستدرجا فاني اسمعك تقول سنستدرجهم
 من حيث لا يعلمون ثم قسم ذلك المال ولم يأخذ لنفسه منه شيئا رضى الله عنه وكان من جملة ما غنمه
 المسلمون بالعراق بساط كسرى ويقال له بهار كسرى والقطيف وهو بساط واحد طوله ستون
 ذراعا وعرضه ستون ذراعا كانت الاكاسرة ملوك فارس تعده للشتاء اذا ذهبت الرياحين
 شربوا عليه فكانهم في رياض فيه طرق كالصور وفيه فصوص كالانهار ارضها مذهب
 وخلاف ذلك فصوص كالدر وفي حافته كالارض المزروعة والارض المبقلة بالنبات في
 الربيع والورق من الحرير غلى قضبان الذهب وزهره الذهب والفضة وثمره الجواهر واشباه
 ذلك وكانت العرب تسميه القطيف فلما قسم سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه الغنائم بين
 الغنائم أراد ان يخرج خمس القطيف لبيت المال ويقسم أربعة أخصاه على الغنائم فلم تعمدل
 قسمة فقال للمسلمين هل تطيب أنفسكم عن أربعة أخصاه فنبعث به الى امير المؤمنين
 يضعه حيث شاء فانا لانراه ينقسم وهو بيننا قليل وهو يقع من أهل المدينة موقعا
 فقالوا نعم فبعثه الى عمر رضى الله عنه فلما قدموا بالقطيف مع خمس الغنائم قال عمر
 رضى الله عنه بعد ان قسم الاموال أشيروا على في هذا القطيف فن بين مشير بقبضه
 وابقائه في بيت المال وآخره فوض اليه فقال له على بن ابى طالب رضى الله عنه
 لم يجعل الله عليك جهلا ويقتين شكا انه ليس لك من الدنيا الا ما أعطيت فأمنيت او لمست
 تأبليت او اكلت فأمنيت انك ان تبقي عن هذا اليوم لم تعدم في غد من يستحق به ما ليس له
 فقال صدقتني ونصحتني فقطعه وقسمه بينهم قال في السيرة الحلبية فأصاب علي بن ابى طالب
 رضى الله عنه قطعة منه فباعها بعشرين ألف دينار ولم يأخذ عمر رضى الله عنه من ذلك

لنفسه شيئاً ولم افرض للمهاجرين الاولين العطاء فرض لابنه عبدالله ثلاثة آلاف وكان من
المهاجرين الاولين فقبل له انك فرضت للمهاجرين الاولين اربعة آلاف فلم نقصته من اربعة
آلاف فقال انما هاجر به ابوه فليس هو كمن هاجر بنفسه وقسم مرة مالا فاعطى الحسن
والحسين رضى الله عنهما الفا الفا واعطى ابنه عبدالله خمسمائة فقبل له يا امير المؤمنين ان
ابنك عبدالله كان يضرب بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن والحسين
طفلان يدرجان في سكك المدينة تعطيهما الفا الفا وتعطيه خمسمائة فقال اذهب فأنتى بأب
كأبيهما وأم كأمهما وجد بكدهما وجدة بكدهما وعم كعمهمـا وخال كخالهما وخالة كخالتهما
فانك لاتأتى به اما ابوهما فعلى رضى الله عنه واما أمهما ففاطمة الزهراء واما جداهما فمحمد
المصطفى صلى الله عليه وسلم واما جدتهما فخديجة الكبرى واما عمهما فجعفر بن ابى طالب واما
خالهما فابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم واما خالتهما فرقية وأم كلثوم بنتا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكانت صلته لأقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من غيرهم
قال الزهري كان عمر رضى الله عنه اذا أتاه مال من العراق او غيره لم يدع رجلاً من بني
هاشم الا زوجه ولا رجلاً منهم ليس له خادم الا أخذ منه وعن محمد الباقر بن على زين العابدين
ابن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم قال قدمت على عمر حمل من اليمن فقصتها بين
المهاجرين والانصار ولم يكن فيها على قدر الحسن والحسين رضى الله عنهما فكتب الى
صاحب اليمن ان يعمل حملتين على قدرهما ففعل وبعث بهما على عمر فلبساهما ولما دون
الدواوين وفرض العطاء بدأ ببني هاشم وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال اشترت ابلا
وارتجعتها الى الحما فلما سمعت قدمت بها قال فدخل عمر السوق فرأى ابلا سمنا فقال لمن هذه
فقبل لعبدالله بن عمر فجعل يقول بخ بخ يا عبدالله ابن امير المؤمنين قال فحشته أسعى فقلت مالك
يا امير المؤمنين قال ما هذه الابل فقلت ابل انصاء يعنى مهازيل اشتريتها وبعثت بها الى الحما
أبتغى ما يبتغى المسلمون فقال أرعوا ابل ابن امير المؤمنين اشبعوا ابل ابن امير المؤمنين يا عبدالله
اغد على رأس مالك وأتني بباقيه أجعله في بيت مال المسلمين ففعلت ذلك وفي رواية
انه اخذ شطر الرمح وجعله في بيت المال فكأنه غرمه شطر الرمح وجعله بالاجتهاد قيمة
للكل الذى للمسلمين وذكر بعضهم ان تلك الابل كانت لعبدالله واخيه عبيدالله شركة
واخذ مرة ابنه عبدالله وعبيدالله مالا من ابى موسى حين ولايته بالعراق ليوا صلوه الى عمر
بالمدينة فاستأذنا اباموسى ان يتجرا فى المال على سبيل القراض ويشترى به شيئاً يبيعانه فى المدينة
فأذن لهما فاخذ عمر رضى الله عنه رمح مال القراض وادخله بيت المال وقال لهما انما اعطيتمنا
لمكانكما منى رأى انما كان اعطاءهما المال والاذن لهما فى التجارة فيه لاجل انهما ابنا امير
المؤمنين وعن قتادة قال بعث عمر رضى الله عنه رسولا الى ملك الروم فاستقرضت ام كلثوم بنت
على رضى الله عنهما وكانت امرأة عمر ديناراً فاشتريت به عطرا وجعلته فى قارورة وبعثت
به مع الرسول الى امرأة ملك الروم فلما اتاها بعثت لها شيئاً من الجواهر وقالت للرسول
اذهب به الى امرأة عمر فلما اتاها فرغته على البساط فدخل عمر فقال ما هذا فأخبرته فأخذ
الجواهر وخرج بها الى المسجد ونادى الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس أخبرهم الخبر وأراهم

الجواهر وقال ماترون في ذلك فقالوا انا نراها تستحق ذلك لانه هدية جاءت بها من امرأة
لاجزية ولاخراج عليها ولا يتعلق بها حكم من احكام الرجال فقال لكن الزوجة زوجة
امير المؤمنين والرسول رسول امير المؤمنين والراحلة التي ركبها للمؤمنين وما جاء ذلك كله
لولا المؤمنون فأرى ان ذلك لبیت مال المسلمين ونعطيها رأس مالها فباع الجواهر
ودفع لزوجه ديناراً وجعل ما بقى في بيت مال المسلمين ويروى ان امرأة ابى عبيدة ارسلت
الى امرأة ملك الروم هدية مثل تلك الهدية فكافأتهابجوهر فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه
فاخذه فباعه واعطاها ثمن هديتها ورد باقيه الى بيت مال المسلمين واتى عمر مرة بمسك فامر
ان يقسم بين المسلمين ثم سداً نفه فقيل له في ذلك فقال وهل ينتفع الابريح ودخل يوماً
على زوجته فوجد معها ربح مسك فقال ما هذا قالت انى بعت من مسك في بيت مال المسلمين
ووزنت يسدي فلما وزنت مسحت اصبعي في متاعى هذا فقال تأوليني متاعك فاخذه
فصب عليه الماء فلم يذهب فجعل يدلكه في الزاب ويصب عليه الماء ^{بى} ذهب ربحه وعن سفيان
ابن عيينة ان سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه بعد ان فتح العراق وهو على الكوفة كتب
الى عمر رضى الله عنه يستأذن في بناء منزل يسكنه فكتب اليه ابراً ما يسترك من الشمس
من الغيث وعن ابى عثمان النهدي قال كتب عمر البنا ونحن باذر بيجان مع عتبة
ابن فرق يقول يا عتبة انه ليس من كدك ولا من كدايك فأشبع المسلمين في حالهم مما تشبع
منه في رحلك واياكم والتشم وزى اهل الشرك ولبوس الحرير فان رسول الله صلى الله عليه
وسلم نهى عن لبوس الحرير واخرج بن السماك عن ابى جعفر محمد الباقر رضى الله عنه
قال ^{قال} زائلاً عن عمر رضى الله عنه يمشى في طريق من طرق المدينة اذ لقيه على والحسن
وعقلمين رضى الله عنهما فسلم عليه على رضى الله عنه واخذ بيده واكتنفهما الحسن والحسين
عن بن عيينة وشمالهما فعرض لعمر رضى الله عنه من البكاء ما كان يعرض له فقال له على
راضى الله عنه ما يبكيك يا امير المؤمنين فقال عمر رضى الله عنه من أحق منى بالبكاء يا على وقد
رويت امر هذه الامة أحكم فيها ولا أدري أمسى أنا أم محسن فقال له على والله انك لتعدل
في كذا وتعديل في كذا فامنع ذلك من البكاء ثم تكلم الحسن بما شاء الله فذكر من ولايته وعدله
فلم يمنعه ذلك فتكلم الحسين مثل كلام الحسن فانقطع بكأوه ثم قال اتشهدان لى بذلك يعنى
العدل فقال على رضى الله عنه اشهدا وانا معكاشهيدوعن الشعبي ان على بن ابى طالب رضى الله
عنه قال لا هل نجران ان عمر كان سيد الامة ولن أغير شيئاً صنعه وعنه ايضا ان علياً
رضى الله عنه لما دخل الكوفة قال ما كنت أحل عقدة شداها عمر وعن الحسن بن على
رضى الله عنهما قال لا اعلم ان علياً الف عمر ولا غير شيئاً مما صنعه وعن زيد بن على بن الحسين
رضى الله عنهم ان علياً رضى الله عنه كان يشبه بعمر في السيرة وعن ابى اسحاق عن حديثه
فانه كان جليسا لعلى رضى الله عنه فبكى بكاء شديداً فقيل له ما يبكيك يا امير المؤمنين قال ذكرت
فان عمر وهذا البر دعلى كسانه خليلي وصفيى وصديق وصاحبى عمر بن الخطاب وقال مرة
ان فلم عمر ناصح ^{له} صلى الله عليه وسلم فنصحته الله ثم بكى وكان على رضى الله عنه يقول اذا
ذكرت الصالحون فجهلا بهم وكان على رضى الله عنه لا يغنى ان احدا فضلنى على عمر

الاجلدة حد المفتري وخطب مرة على رضى الله عنه خطبة طويلة وقال فيها وان الله تعالى صير الامر الى عمر في المسلمين فمنهم من رضى ومنهم من سخط فكنت ممن رضى فصول الله ما فارق الدنيا حتى رضى به من سخط فاعز الله باسلامه الاسلام وجعل لادين قواما وضرب الله الحق على لسانه حتى ظننا ان ملكا ينطق على لسانه وقذف الله في قلوب المؤمنين الحب له وفي قلوب المنافقين الرهبة منه سيرته سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن لكم مثله وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه لما توفى عمر وسبحى رضى الله عنه وقف عليه على بن ابي طالب رضى الله عنه وقال ما على الارض رجل احب الى ان ألقى الله بحقيقته من هذا المسبحى زاد في رواية لابن السمال ثم بكى على رضى الله عنه حتى اخضلت لحية بالدموع وفي رواية اخرى ان عليا رضى الله عنه قال رحك الله يا ابن الخطاب ان كنت لا يات الله لعالمنا وان كان الله في صدرك لعظيما وان كنت تخشى الله ولا تخشى الناس في الله جوادا بالحق بخيلا بالباطل خيضا من الدنيا بطينا من الآخرة وعن اوس بن حكيم قال رايت علي بن ابي طالب رضى الله عنه حين موت عمر رضى الله عنه قد نكس راسه ثم رفعه فقال واعمره يانق الثوب قليل العيب واعمره ذهب بالسنة وابقى الفتنة اصاب والله ابن الخطاب خيرا وانحى شرها وروى ان ملك الموت لما دخل دار عمر ليقبض روحه سمعه عمر وهو يقول هذا بيت امير المؤمنين ليس فيه شيء كأنه القبر فأجابه عمر وقال يا ملك الموت من تكون انت خلفه هكذا يكون بيته واخرج ابو يعلى عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل آتفا فقلت يا جبريل حدثني بفضائل عمر بن الخطاب فقال لو حدثتك بفضائل عمر منذ لبث نوح في قومه ما بهذه فضائل عمر وان عمر حسنة من حسنات ابي بكر رضى الله عنهما وربما ان العقول القادرات تستبعد كثرة هذه الفضائل لعمر رضى الله عنه لكن من كان ذا بصيرة وأمن فكره فيما خص له به عمر من الفضائل في نفسه وفيما أجراه الله على يديه وما حصل الاسلام وأهله بسببه من كونه أعز الله به الاسلام في ابتدائه ومن كثرة الفتوحات التي فتحها الله على يده حتى كثر العلم واتسع الاسلام وكثر المسلمون يتضح له أن كل خير وقع لأهل الاسلام منذ خلافة عمر رضى الله عنه الى يوم القيامة كله من فضائل عمر رضى الله عنه ومن حسناته ويكتب الله له مثل أجورهم وذلك كثير لا يمكن ضبطه ولا احصاؤه ولو مكث العبد منذ لبث نوح في قومه واخرج عبد الله بن الامام احمد في زوائد المسند عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى لا أرجو لأمتي في حبيهم لأبى بكر وعمر ما أرجو لهم في قول لا تجأ الا الله واخرج ابو ذر الهروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر معى وأنا مع عمر والامير بعدى مع عمر حيث كان وهذا مثل ما قاله صلى الله عليه وسلم في حق علي رضى الله عنه حيث قال وأدر الحق معه حيث دار فكل من عمر وعلي رضى الله عنهما كان مع الحق ولهذا كان رضى الله عنه مع الخلفاء الثلاثة قبله في زمن خلافتهم ولم ينزع أحدا منهم لعلمه بأنهم كانوا مع الحق فكان هو معهم فلما جاءت نوبة خلافة رضى الله عنه ونوزع في ذلك قاتل من نازعه أخذ يصيح أن ينسب اليه ان سكوته في زمن خلافة الخلفاء الثلاثة كان تقية حياء الله من المذاهم

في دين الله تعالى والله سبحانه وتعالى اعلم قال المسعودي في تاريخه المسمى مروج الذهب
 في صفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان متواضعا خشن الملبس شديدا في ذات الله واتبعه
 عماله في سائر أفعاله وشيمه وأخلاقه كل منهم يشبه به من غاب أو حضر وكان يلبس الجبة
 الصوف المرقعة بالأديم ويشتمل بالعباء ويحمل القرية على كتفه مع هبة قدر زقها وكان أكثر
 ركابه الابل ورحله مشدودة بالليف وكذلك عماله مع ما فتح الله عليه من البلاد وأوسعهم
 من الأموال وكان من عماله على حص سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي فلما قدم عمر الشام
 شكاه اهل حص اليه وسألوه عزله فقال عمر اللهم لاتضيع فراستي فيه ماذا تشكون منه قالوا
 لا يخرج البياحتي يرتفع النهار ولا يجيب أحد ابليل وله يوم في الشهر لا يخرج البياحتي يرتفع النهار فقال ما تقول
 فلما جمع بينهم وبينه قال ماذا تنقمون منه قالوا لا يخرج البياحتي يرتفع النهار فقال ما تقول
 يا سعيد قال يا أمير المؤمنين انه ليس لأهلي خادم فأعجن عجيني ثم اجلس حتى يختمر ثم أخبر خبرني ثم
 أتوا ضا وأخرج اليهم قال وماذا تنقمون منه قالوا لا يجيب لبيل قال ما تقول يا سعيد قال قد كنت
 اكره ان أذكر هذا اني قد جعلت الليل كله لربي وجعلت النهار لهم قال وماذا تنقمون منه
 قالوا له يوم في الشهر لا يخرج البياحتي يرتفع النهار قال نعم ليس لي خادم فأغسل ثوبي ثم أجفغه فأمسى
 فقال عمر الحمد لله الذي لم يضيع فراستي فيك ثم قال عمر يا اهل حص ما تقولون فقالوا
 ما نريد غيره فأبقره لنا يا أمير المؤمنين فقال استوصوا به خيرا ثم بعث اليه عمر بألف دينار
 وقال استعن بها فقالت امرأته قد أغنانا الله عن خدمتك فقال لها الا ندفعها الى من ياتينا بها
 أحوج ما كنا اليه يعني يوم القيامة قالت بلى فصرها صررا ثم دفعها الى من يشق به وقال
 فاعتق بهذه الى فلان وبهذه الى فلان يتيم آل فلان ومسكين آل فلان حتى يبق منها شيء
 فدفعه الى امرأته فقال انفق هذه وعاد الى خدمته فقالت له امرأته لا تبعث بذلك
 قال فتشترى لنا منه خادما فقال سيأتيك أحوج ما تكونين اليه يعني يوم القيامة وذكر
 بعضهم هذه القصة وزاد فيها فقال وأرسل عمر رضي الله عنه الى سعيد بن عامر ألف
 دينار فجاء الى اهله حزينا كئيبي فقالت امرأته أحدث امر قال أشد من ذلك ثم قال اريني
 درك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه ثم قام يصلي ويبكي الى الغداة ثم قال سمعت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء أمي الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى
 ان الرجل من الاغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج وروى بعضهم هذه
 القصة فقال لما بعث عمر رضي الله عنه سعيد بن عامر واليا على حص اشتدت فاقته حتى تحدث
 الناس بفقره فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فأرسل اليه بأربعمائة دينار وكتب اليه يعزم عليه
 لينفقها على نفسه وأهله فلما قرأ الكتاب اهتم هما شديدا حتى تبين عليه فقالت له امرأته نفسي
 فدالك مالي أراك مهتما ببلغك موت أمير المؤمنين قال أعظم من ذلك قالت أبلغك عن تغور المسلمين شيء
 فقال أعظم من ذلك قالت وما هو قال ابتليت بالدنيا وقد كنت صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فلم أبتل بها وصحبت ابا بكر فلم أبتل بها وابتليت بها في صحبة عمر ألا فشر أيامي أيام عمر قالت وما
 ذكراك بأبي انت وأمي قال اني أخافك قالت ايأى معنى قال لعمري قال من هذا فقال فان أمير
 المؤمنين أرسل الى بأربعمائة دينار وعزم على ان أنفقها على وعليك واني سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بأربعين خريفاً والله ما أحب ان لي بها اجر النعم وانى أحبس عن الفوج الأول قالت فد ونكها فاصنع بها ما شئت فقال هل من خرق فأعطته درعاً لها خلقاً فزقه خرقة ثم صرفه مابين اربعة الى عشرة ثم طرحتها في مخلاة ثم خرج الى باب الرستاق من حص فجعل يعطى الناس صرة صرة حتى بقيت صرة في المخلاة فدفعها والمخلاة الى رجل ثم رجع فذهب عنه ما قام به واستراح وذكر الحافظ ابو نعيم في الحلية هذه القصة فقال ما نصه قال خالد بن معدان استعمل علينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي فلما قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه حص قال يا اهل حص كيف وجدتم عاملكم فشكوا اليه وكان يقال لاهل حص الكوفة الصغرى لشكايتهم العمال قالوا نشكوا أربعا لا يخرج الينا حتى يتعالى النهار قال اعظم بها قال وما ذا قالوا لا يجيب احدا بليل قال وعظيمة قال وما ذا قالوا له يوم من الشهر لا يخرج فيه الينا قال وعظيمة قال وما ذا قالوا يغط الغطة بين الأنام حتى تأخذه موة يعنون انه يغشى عليه قال فجمع عمر بينهم وبينه وقال اللهم لا يفل فيه رأى اليوم ما تشكون منه قالوا لا يخرج الينا حتى يتعالى النهار قال سعيد والله انى كنت لا كره ذكره ليس لأهلى خادم فأعجن عجبنى فأجلس حتى يختمر ثم أخبر خبرى ثم أتوا ضاراً اخرج اليهم فقال ما تشكون منه ايضا قالوا لا يجيب احدا بالليل فقال ان كنت لا كره ذكره انى جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل قال وما تشكون ايضا قالوا ان له يوماً من الشهر لا يخرج الينا فيه فقال ليس لى خادم يغسل ثيابى ولا لى ثياب أبدلها فأغسل ثيابى وأجلس حتى تجف فألبسها ثم أخرج اليهم آخر النهار قال وما تشكون منه ايضا قالوا يغط الغطة بين الأئمة فقال شهدت مصرع خبيب الأ نصارى حين قبضت عليه قريش بمكة وقد بضعت أى قطعت إية قريش لجهنم صلبوه على جذع ثم قالوا ألا تحب أن محمداً مكانك فقال والله ما أحب انى الله اهلى وان محمداً يشاك بشوكة ثم نادى يا محمد فاذا كرت ذلك اليوم وتركى نصرته وهو فى طلبه الحالة وانا مشرك لا أؤمن بالله العظيم الاظننت ان الله لا يغفر لى بذلك الذنب ابداً قال فتصير تلك الغطة فقال عمر الحمد لله الذى لم يغل رأى فىك فبعث اليه بألف دينار وقال استعن به على فقرك فقالت امرأته الحمد لله الذى اغنانا عن خدمتك فقال اهافهل لك من خير من ذلك ندفعها الى من يأتينا بها احوج ما يكون اليها قالت نعم فدما رجلا من اهله يثق به فصرها صرا شديداً ثم قال انطلق بهذه الى ارملة آل فلان والى يتيم آل فلان والى مسكين آل فلان والى مبتلى آل فلان فبقيت منه ذبابة فقال انفق هذه ثم عاد الى عمله فقالت الا تشتري لنا خادماً قال سيأتيك احوج ما تكونين اليه والظاهر ان القصة واحدة والاختلاف من تصرف الرواة الذين رووا القصة بالمعنى وروى ايضا ان عمر بن الخطاب كتب الى اهل حص اكتبوا الى فقراء فكتبوا له اسماء الفقراء وكتبوا له عمر بن سعيد ولعله ابنه كان اميراً بعده قال عمر لما قرأ اسمه قال من عمر بن سعيد قالوا أميرنا قال أوفقيرو هو قالوا ليس اهل بيت أفقر منه قال أين عطاؤه قالوا يخرج كاهل لا يمسك منه شيئاً قال فوجه الدير بما ثمة دينار فأخرجها كلها فقالت امرأته لو كنت حبست لنا مائة دينار واحد فقال لو ذكرتينى فعلت ذكر هذه الحكاية ابو طالب المبكى فى القوت ونسبها لعمر بن سعيد وكتب لسعيد بن عامر مرة يطلب قدومه الى المدينة فلم ير معه الا

عكازا وقد حاق فقال له عمر ليس معك الا ما أرى فقال له سعيد بن عامر وما أكثر من هذا عكاز
أجل عليه زادي وقدح آكل فيه وأشرب به وعبارة الاحياء في هذه القصة نسبها لابنه غير
فقال ولما قدم غير بن سعيد أمير حص على عمر رضي الله عنهما قال له ما معك من الدنيا فقال معي
عصاى أتوكأ عليها وأقتل بها حية ان لقيتها ومعى جرابي اجل فيه طهاني ومعى قصعتي آكل
فيها وأغسل فيها رأسي وثوبي ومعى مطهرتي أجل فيها شرابي وطهوري للصلاة وما كان
بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معى فقال عمر رضي الله عنه صدقت رجك الله فهكذا كان الأمراء
في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهم وأنفق بعض عمال عمر رضي الله عنه عشرة دراهم
دراهم لا تتخاذل خلا لقضاء حاجته واخذها من بيت المال فعزله من امارته وقال أما وجدت
موضعا تقضى فيه الحاجة حتى اخذت عشرة دراهم من بيت المال اتخذت بها بيت خلا لقضاء
حاجتك وكان رضي الله عنه اذا استعمل املا كتب ماله ليعلم بعد ذلك ما يكون عنده من المال
وكان يأمر عماله بعد مضي مدة من اماراتهم يكتبون اموالهم فيأخذ شطر اموالهم ويدخله
في بيت المال احتياطا لهم وبراءة لذمتهم وكانوا يرضون بذلك ويرون المنفعة لهم وقال
بعض العلماء ان عمر رضي الله عنه رأى ان كل ذلك لا يستحقه العامل ورأى شطر ذلك كافيا على
حق عملهم وقدره بالشر اجتهاد او من عماله على المدائن سلمان الفارسي رضي الله عنه دخل
عليه رجل وهو يعجن فقال ما هذا يا أبا عبد الله فقال بهننا الخادم في شغل فكبرهنا ان نجتمع
له عملين وكان يلبس الصوف ويركب الحمار بغير اكاف ويأكل خبز الشعير وكان ناسكا
لهما فلما احتضر جعل يبكي ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان في الآخرة
ثلاثة لا يقطعوها الا المخنون وأرى هذه الاسودة حولي فنظروا فلم يجدوا في البيت الا اداة
مطهرة وركوة ومن عماله رضي الله عنه ابو عبيدة بن الجراح كان اميرا على الشام وعلى جميع
الجناد وأمراء هاهنا كان يلبس الصوف الجماني ويأكل الخشن من الطعام فغير على ذلك وقيل
له انك بالشام وحوالنا أعداء فغير من زيك واصلح من شارئك فقال ما كنت بالذي اترك
ما كنت عليه في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر في منزله بالشام فلم
يجد فيه غير سرسج فرسه ورحل بعيره وسيفه ورمحه وركوة ومطهرة فقال له عمر أين
متاعك يا ابا عبيدة لا أرى الا لبدا أو شنا او صحفة وأنت امير الشام عندك طعام فقام ابو
عبيدة الى جونة فأخرج منها كسرات فبكي عمر رضي الله عنه فقال ابو عبيدة رضي الله
عنه يا امير المؤمنين يكفي من الدنيا ما باع المقييل فاحتقر عمر نفسه في الزهد بالنسبة لأبي عبيدة
فقال غرتنا بعدك الدنيا يا أبا عبيدة وروى ان عمر رضي الله عنه صرار بعشرة دينار وقال
للقلام اذهب بها الى ابي عبيدة ثم تلكا في البيت ساعة فقال ابو عبيدة يا جارية اذهبي بهذه
السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى اتقدها وارجع القلام الى عمر فأخبره ووجده
قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل ففعل مثل ابي عبيدة الى ان بقي ديناران فقالت امرأة معاذ
ونحن والله مساكين فأعطنا فرحي بهما اليها فرجع القلام فأخبر عمر بذلك فقال هما
اخوة بعضهم من بعض ووقف عمر ابي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال

* يا عمر الخير جزيت الجنة * يوم تكون الاعطيات منه *

* والواقف المسؤل بينهنه * اما الى نار * واما جنه *

فبكى عمر رضى الله عنه حتى اخضلت لحية وقال لفلانة يا غلام أعطه قبصى هذا لذلك اليوم
أما والله لا أملك غيره وكان رضى الله عنه يقول فى الخلافة من يأخذها بما فيها وكان يقول
رضى الله عنه ليتنى لم أخلق ليت أُمى لم تلدنى ليتنى لم أكن شيأ ليتنى كنت نسيا منسيا وأخذ مرة
تبنة من الارض فقال ليتنى كنت هذه وكان يدخل يده فى دبرة البعير ويقول انى اخاف ان أسأل
عنك وكان رضى الله عنه يدنى يده من النار ثم يقول يا ابن الخطاب هل لك على هذا من صبر وكان
رضى الله عنه كثير البكاء حتى كان بوجهه خيطان أسودان من البكاء وكان رضى الله عنه يقول
ليتنى كنت كبشا أهلى سمنونى ما بدالهم ثم ذبحونى فأكلونى فأخرجونى عذرة ولم أكن
بشرا وكان رضى الله عنه يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه فكان يعادأ ياما
وكان رضى الله عنه يقول من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم
القيامة لكان غير مازون وقرأ مرة اذا الشمس كورت وانتهى الى قوله تعالى واذا الصحف
نشرت فخر مغشيا عليه ومريوما بدار انسان وهو يصلى ويقرأ سورة والطور فوقف عمر
رضى الله عنه يستمع فلما بلغ قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع نزل عن حماره
واستند الى حائط ومكث زمانا ورجع الى منزله فرض شهرا يعود الناس ولا يدرون ما مرضه
ولما طعن رضى الله عنه وايقن بالموت كان يقول ويلى ويلى أُمى ان لم يرجنى ربى والله انى
وددت أن أخرج من الدنيا كفافا لا أجرلى ولاوزر على وقال أيضا لو ان لى ما طلعت عليه
الشمس وغربت لافتديت من هول المظلم وخرج عمر رضى الله عنه يوما من المسجد ومعه
الجارود العبدى وبينهما هما يمشيان اذا بامرأة على ظهر الطريق فسلم عليها عمر فردت عن
السلام ثم قالت رو يدك يا عمر حتى أملك كلمات قليلة قال لها قولى قالت يا عمر عهدى بك الله
تسمى عميرا فى سوق عكاظ وتصارع الصبيان فلم تذهب الا أيام حتى تسميت عمر ثم لم تذهب بن عمر
حتى تسميت امير المؤمنين فاتق الله فى الرعية واعلم ان من خاف المسوت خشى القوت فبكوا عمر
رضى الله عنه فقال الجارود قد اجترأت على امير المؤمنين وأبكيته فقال عمر دعها اما تعرف
هذه يا جارود هذه خولى بنت حكيم التى أنزل الله فيها قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها
وتشتكى الى الله فاذا سمع الله قولها فعمر أخرى ان يسمع كلامها قال ابن سعد اتخذ عمر رضى الله
عنه دارا لادقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج اليه لاعانة المنقطع ووضع فيها بين
مكة والمدينة بالطريق ما يصلح به شأن من انقطع وهدم المسجد النبوى وزاد فيه ووسع
وفرشه بالحصا وكذا وسع مسجد مكة وأخرج اليهود من الحجاز الى الشام وأخرج أهل
نجران الى الكوفة وقال أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرجت مع عمر بن الخطاب
مرة الى موضع بظاهر المدينة فرأى نارا فقال يا أسلم انظر الى تلك النار هل هو ركب أضربهم
الليل والبرد فقلت لأعلم يا امير المؤمنين فقال انطلق بنا اليهم قال فخرجنا نهروا فاذا امرأة
معهما صفار ولها قدر منصوب على تلك النار وصبيانها يكون فقال عمر السلام عليكم
يا أهل هذا الضوا، وكره ان يقول يا أهل هذه النار فقالت المرأة وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته
ادن بخير أو فرع فقال لها ما بال هذه الصبية يتضاغون فقالت من الجوع قال فاهذه القدر

قالت ما جعلته في القدر أسكتهم به حتى يناموا والله بيننا وبين عمر بن الخطاب قال يرحمك الله وما يدري عمر بكم قالت يتولى أمرنا ثم يتغافل عنا قال أسلم فأقبل على عمر فقال انطلق بنا فخرجنا حتى أتينا الى دار الدقيق فأخرجنا عدلا من دقيق وكبة من شحم فقال احمله على فقلت انا احمله عنك فقال انت تحمل وزري لأأم لك فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه اليها وهو بهرول حتى أتينا اليها فألقى ذلك العدل هندها ثم أخرج قطعة من دهن وألقاها في القدر وجعل يقول للمرأة ذري من الدقيق وأنا أحرك لك فكان يحرك تارة وينفخ في النار تارة أخرى قال أسلم فوالله لقد رأيت امير المؤمنين وهو ينفخ في النار والدخان يخرج من خلال شعر ذقنه حتى طبخ القدر ثم أنزله بيده وقال للمرأة أعطني شيئا فأنته بقصعة او قال بصحفة فأفرغ الطعام فيها وقال لهم كلوا وأنا اسطح لكم ثم توارى عن المرأة وجعل يربض كما يربض الاسد وأنا اقول يا امير المؤمنين ما خلقت لهذا فلم يلتفت الى حتى رأيت الصغار يضحكون ثم قام عمرو وهو يضحك ويحمد الله تعالى ثم جعل يده على يدي وقصدنا المدينة وقال يا أسلم ان الجوع عدو وقد رأيتهم وهم يكون فأحببت أن أفارقهم وهم يضحكون وعن الاعمش قال اتى عمر بن الخطاب مرة باثنين وعشرين الف درهم فلم يقم حتى فرقها بين المسلمين ولم يأخذ منها شيئا وكان اذا أعجبه شيء من ماله تصدق به وكان كثيرا ما يتصدق بالسكر فقبل له في ذلك فقال انى أحبه وقد قال الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وكان رضى الله عنه يأتي المجزرة ومعه الدرة فكل من رآه يشتري لها يومين متتابعين يضره بالدرة ويقول له هلا طويت بطنك لجارك وابن عمك وأبطأ يوما عن الخروج لصلاة الجمعة ثم خرج **الامام** اس وقال انما حبسنى عنكم ثوبى هذا كان يغسل وليس عندى غيره وكان ازاره **فوق**ا بقطعة من جراب وعدوا مرة في قيصره أربع عشرة رقعة احداها من آدم أحر **كان** رضى الله عنه أبيض اللون يعلوه حرة وانما صار في لونه سمرة عام الرمادة حين أكثر **بني** أكل الزيت توسعة على الناس أيام الغلاء فترك لهم اللحم والسمن والبن وكان قد حلف **بأن** لا ياكل غير الزيت في تلك الايام حتى يوسع الله على المسلمين ومكث ذلك الغلاء تسعة أشهر وصارت **الأرض** سوداء مثل الرماد وكان يخرج في تلك الايام يطوف على البيوت ويقول من كان محتاجا **أفليأتنا** وكان يقول اللهم لا تجعل هلاك امة محمد صلى الله عليه وسلم على يدي ومن كلامه **رضي** الله عنه من خاف الله لا يفعل ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون ومن **الامام** رضى الله عنه حاسبوا انفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا انفسكم قبل ان توزنوا **لأنه** أهون عليكم من الحساب غدا والذي بعث محمد بالحق لو أن جلا هلك ضياعا **بسط** الفرات لخشيت ان الله يسألنى عنه ولما طعن رضى الله عنه دعا بلبن فشربه فخرج **من** طعنته فقال الله اكبر فجعل جلساؤه يثنون عليه فقال وددت ان اخرج منها **كفا** كما دخلت فيها لو أنى اليوم ما طلعت عليه الشمس وغربت لافترسدت به من هول **المطلع** وجاء رجل شاب في ذلك اليوم فقال ابشر يا امير المؤمنين ببشرى من الله عز وجل **قد** كان لك صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قدم في الاسلام ما قد عملت ثم ولّيت فعدلت **ثم** شهادة فقال وددت أن ذلك كان كفا فلا اعلى ولا لى فلما أدبر الرجل اذا ازاره عيس الارض

فقال ردو علي الغلام فقال يا ابن اخي ارفع ثوبك فانه ابقى لثوبك واتق لربك ودخل عليه يوم طعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه يعوده فقعده عند رأسه وجاء ابن عباس رضي الله عنهما فأتني عليه وقال كنت وكنت ووعدته بخير من ربه فقال له عمر أنت لي بهذا يا ابن عباس فأوما اليه علي رضي الله عنه أن قل نعم فقال ابن عباس نعم فقال عمر لا تغرنني أنت وأصحابك وفي رواية يا ابن عباس المغرور من غررتموه لو ان لي طلاع الارض ذهباً لافتديت به من هول المطلع والله وددت اني أخرج منها كفافاً لا على ولا لي وأن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلت لي وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما لما طعن عمر رضي الله عنه دخلت عليه فقلت ابشر يا أمير المؤمنين فان الله تعالى مصر بك الامصار ودفع بك النفاق وأفشى بك من الرزق فقال عمر افي الامارات تنني علي يا ابن عباس فقلت وغيرها فقال والذي نفسي بيده لو ددت اني خرجت منها كما دخلت لأجرو ولا وزر وقال جاد بن زيد قال ابن عباس رضي الله عنهما لما طعن عمر رضي الله عنه كنت قريباً منه فمسست بعض جلده وقلت هنيأ لك جلد لا تمسه النار فنظر الى نظرة جعلت ارضي له منها ثم قال وما علمك بذلك قلت يا أمير المؤمنين صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنيت صحبته ففارقك وهو عنك راض ثم صحبت المسلمين وأحسنيت صحبتهم فان فارقتهم فهم عنك راضون فيقال أماماً ذكرت من صحبتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً كان ذلك منامن الله عز وجل من به علي فلو ان لي ما في الارض من شيء لافتديت به من عذاب الله قبل ان أراه وقال صالح بن كيسان قال ابن عباس رضي الله عنهما دخلت علي عمر رضي الله عنه في ايام طعنته وهو مضطجع علي وسادة من آدم وعنده جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال له رجل ليس علي بأس قال لئن لم يكن علي اليوم ليكون بعد اليوم وان للحياة لتصيبنا من القلب وان للجنة لكر به وقد كنت احب ان أنجي نفسي وأنجو منكم وما كنت من أمركم الا كالفریق الله يرى الجنة والنار وهو مشغول ولقد تركت زهرتكم كما هي مالبستها فاخلقنها وثمرتكم يانها في اكمامها ما اكلتها وما جنبيت ما جنبيت الا لكم ولا تركت درهما ماعد الا لثلاثين او اربعمائة درهما ثم بكى وبكى الناس معه فقلت يا أمير المؤمنين ابشر فوالله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض ومات أبو بكر وهو عنك راض وهو عنك راض والمسلمين راضون عنك فقال المغرور والله من غررتموه اما والله لو ان لي ما بين المشرق والمغرب لافتديت به من هول المطلع قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ولما حضرت عمر الوفاة غشي عليه فاخذ رأسه فوضعتها في جري فقال ضرع رأسي بالأرض لعل الله يرحنني فمسح خديه بالتراب وقال ويل لعمر ويل لأمه ان لم يغفر الله له فقلت وهل فخذاي والارض الاسواء يا ابتاه فوضعت رأسي بالارض لأملك كما أمرك فوضعت في الارض فوضع عمر خده علي الارض وويل لعمر ولا أم عمر ان لم يغفر الله له ويعفو عنه ثم قال فاذا قضيت فأمر عوابي الي حفرة وانما هو خير تقدموني اليه أو شرتضعونيه عن رقابكم ثم بكى فقبل له ما يكيك قال خبر السماء لا أدري الي الجنة ينطلق بي او الي نار قال عروة بن الزبير ولما طعن عمر رضي الله عنه قالوا له لو استخلفت قال ان تركتكم فقد تركتكم من هو خير مني وان استخلفت فقد استخلفت عليكم من هو خير مني

ولو كان أبو عبدة بن الجراح حيا لاستخلفه فان سألتني ربي قلت سمعت نبيك صلى الله عليه وسلم يقول انه أمين هذه الأمة ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا لاستخلفه فان سألتني ربي قلت سمعت نبيك صلى الله عليه وسلم يقول ان سالما يحب الله حبا لولم يخفه لم يعصده فقالوا له لو انك عهدت الى ابنك عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فانه لذلك اهل في دينه وفضله وقديم اسلامه فقال بحسب آل الخطاب ان يحاسب منهم رجل واحد عن امة محمد صلى الله عليه وسلم ولوددت اني نجوت من هذا الأمر كفافا لآل علي ولآل أبي بكر ثم كلموه مرة أخرى فقالوا لو عهدت فقال كنت أجمت بعد مقاتلي لكم أن أولى رجلا أمركم بحملكم على الحق وأشار الى علي بن أبي طالب رضى الله عنه ثم رأيت ان لا أتحمّلها حيا وميتا ثم دعا أصحاب الشورى الذين سيأتي ذكرهم فلم يكلم أحدا منهم غير علي وعثمان رضى الله عنهما فقال يا علي لعل هؤلاء القوم أن يعرفوا لك قرابتك من النبي صلى الله عليه وسلم وصهرك وما آتاك الله من الفقه والعلم فان وليت هذا الأمر فأتق الله فيه ثم دعا عثمان رضى الله عنه فقال يا عثمان لعل هؤلاء القوم أن يعرفوا لك صهرك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنك وشرفك فان وليت هذا الأمر فأتق الله فيه ولا تحملن بنى معيط على رقاب الناس ثم جعل عمر رضى الله عنه الأمر شورى بين الستة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عندهم راض كما روى ذلك ابن عمر وغيره وهم عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص - علي أن يكون الخليفة واحدا منهم ان يتفقوا عليه فان اختلفوا فليتفق عليه اكثرهم فان تساوا يحكمون عبد الله بن عمر بينهم فان لم يرضوا بحكمه يقدموا قول الحزب الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف وأمر ان يحضر معهم ابنه عبد الله بن عمر كاتبة له وليس هو منهم في أمر الخلافة فاجتمعوا من عنده قال لو لوها عليا سلك بهم الطريق فقال له ابنه عبد الله فليمنعك الأمير المؤمنين أن تستخلفه قال أكره ان أتحمّلها حيا وميتا وروى أن عمر رضى الله عنه عرض على عبد الرحمن بن عوف أن يستخلفه ويجعله ولي عهده فقال له عبد الرحمن أنشئ علي بذلك استشرتك فقال لا والله فقال عبد الرحمن اذا لأرضى أن أكون خليفة بعدك وبعد ان أكره عمر رضى الله عنه الستة اصحاب الشورى قال ما أظن يلى إلا أحد هذين الرجلين وأشار الى علي وعثمان فان ولي عثمان فرجل فيه لين وان ولي علي ففقيه وعابد وأحرى ان يحملهم على طريق الحق وان ولو اسعدا فهو أهل والافليست من به الوالى فأتى لم أعزله عن ضعف ولا خيانة ونعم ذو رأى عبد الرحمن بن عوف فاسمعوا منه وأطيعوا وفي رواية قال عمر رضى الله عنه ما أرى رجلا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم بمنى فسمى الستة وقال يشهد عبد الله بن عمر معهم وليس له من الأمر شيء فان أصاب الأمر من فهو ذاك والافليست من به أيكم ما أمر فأتى لم أعزله يعنى عن امارة الكوفة عن عجز وكخيانة ثم قال أوصى الخليفة من بعدى بتقوى الله تعالى وأوصيه بالمهاجرين والانصار وأوصيه بأهل الأمصار ثم لما توفى عمر رضى الله عنه وفرغوا من دفنه عند النبي صلى الله عليه وسلم وابى بكر رضى الله عنه في جرة عائشة رضى الله عنها تفرغ أصحاب الشورى للاجتماع فلما اجتمعوا قال عبد الرحمن بن عوف اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم فقال الزبير

جعلت أمرى الى على وقال سعد جعلت أمرى الى عبدالرحمن بن عوف وقال طلحة جعلت
 أمرى الى عثمان وقيل ان طلحة كان غائباً وما حضر الا بعد تمام الامر ثم خلا هؤلاء الثلاثة
 فقط وهم عبدالرحمن بن عوف وعلى وعثمان رضى الله عنهم فقال عبدالرحمن أنا لا أريدها
 فأيكما يبرأ من هذا الامر ويفوض الامر اليه فيولين أفضل الرجلين الباقيين ويحرص على
 صلاح الأمة فسكت الشيطان على وعثمان رضى الله عنهما فقال عبدالرحمن بن عوف اجعلا
 الامر الى والله على والاسلام أن أجتهد فأولى أو لا كما فقالا نعم ثم خاطب كلا منهما بما فيه
 من الفضل وأخذ عليه العهد والميثاق لئن ولاده ليعبدن ولئن ولي عليه ليسمعن وليطيعن فقال كل
 واحد منهما نعم ثم خلا بعلى فقال له أرأيت ان لم أولك فن تشير على به قال عثمان وخلا
 بعثمان فقال له ان لم أولك فن تشير على به قال على بن ابى طالب ثم تفرقا ومكث عبدالرحمن
 ثلاث ليال يستشير الناس فيمن يوليه ويجمع برؤس الناس وأمراء الأجناد وأشرف الناس
 وغيرهم جميعاً واشتاتاً ثمنى وفرادى سرا وجهراً حتى انه ذهب الى النساء المخدرات في مجالهن
 حتى سأل الولدان في المكاتب وسأل من يرد من الركبان والأعراب الواردين الى
 المدينة في ثلاثة أيام بلياليهن قال فلم أجداً اثنين يختلفان في تقديم عثمان على على رضى الله عنه
 الا ما ينقل عن عمار والمقداد فانهما أشارا بعلى بن ابى طالب رضى الله عنه قال بعض العلماء وكان
 السبب في ذلك اى أن الاكثرين اختاروا عثمان ان عثمان رضى الله عنه كان في الدين وعدم شدة
 وكان على رضى الله عنه يشبه عمر بن الخطاب رضى الله عنه في الشدة ومضت مدة خلافة
 عمر رضى الله عنه وهى عشر سنين ونصف سنة وهم منقادون له يسرون بسيرته وفتحت
 لهم الأموال معار وكثرت عندهم الأموال فأحبوا ان يكون لهم بعض التخفيف من تشديد
 وعلوا أنه لو كان الأمر لعلى رضى الله عنه لم يحصل التخفيف الذى يريدونه بل يسلك
 سبيل عمر ويسير بسيرته سواء بسواء وأشد من ذلك هذا هو السبب في تقديم عثمان على رضى الله عنه
 الله عنهم وليس عندهم طعن في على رضى الله عنه ولا كراهة لشيء من أخلاقه ولا يشكوا
 في حصول العدل منه هذا هو اللائق الذى ينبغي حل افعال الصحابة عليه رضى الله عنه
 اجمعين وربما ان الذى يقف على ما يذكره المؤرخون في شرح هذه القصة يفهم منه
 كلامنا على وعثمان وبقية اصحاب الشورى كان لكل واحد منهم رغبة في ان تكون الخلافة
 له فهذا ان صح فليحمل على ان كل واحد منهم يريد ان يكون منه القيام بالعدل وإقامة الدين
 والقيام بمصالح المسلمين لما في ذلك من الاجر والثواب عند الله تعالى ولا يتوهم من له قوة
 ايمان ان يكون مرادهم الرياسة واستيفاء حظوظ النفس جاههم الله من ذلك بل لا يريد كل
 واحد منهم الا القيام باظهار الحق كما شهد لهم الله سبحانه وتعالى بذلك في آيات كثيرة وأما
 أنه رضى عنهم ورضوا عنه وكذلك الاحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم
 في حقهم تشهد لهم بذلك فاحذر ان تتوهم ظن سوء بأحد من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
 فان المظلمة المتعلقة بأحد منهم لا يغفر كما جاء ذلك في أحاديث كثيرة والحاصل ان عبدالرحمن
 ابن عوف رضى الله عنه اجتهد في ذلك ثلاثة أيام بلياليهن كل الاجتهاد بحيث انه لم يغتص
 بكثير نوم ولم يزل في صلاة وديناء واجتهاد واستخارة وسؤال من ذوى الرأى وغيرهم حتى

حاول ربات الجمال في خدورهن فلم يجد أحدا يعدل بعثمان زاد في رواية انه قال في آخر ليلة
للمسور بن مخزومة وكان ابنا لاخت عبد الرحمن بن عوف ادعى الى الزبير وسعد بن ابى وقاص
فدخل عليه فشاورها ثم انصرفا ثم قال ادع لي عليا قال فدعوته فنجاه الى ثلث الليل ثم قام
من عنده وكان من جملة ما قال له أ رأيت اوصرف هذا الأمر عنك من كنت ترى أحق به
قال عثمان قال المسور بن مخزومة فلما خرج من عنده قال ادع لي عثمان فدعوته فنجاه طويلا
حتى فرق بينهما مؤذن الصبح وقال له مثل ما قال لعلي رضي الله عنه اوصرف عنك هذا
الأمر من كنت ترى أحق به قال علي بن ابى طالب وقال للزبير كذلك فأشار بعثمان وقال لسعد
كذلك فأشار بعثمان وكذلك شاور المهاجرين والانصار وكلهم أشار بعثمان وجاء في رواية عن
المسور بن مخزومة رضي الله عنه انه قال فلما كانت الليلة التي يسفر صباحها عن اليوم الرابع من موت
امير المؤمنين عمر رضي الله عنه جاء عبد الرحمن الى منزلي وانا ثم فقال أنا ثم انت يا مسور والله لم
أغتمض بكثير نوم منذ ثلاث اذهب فادع لي عليا وعثمان قال المسور يا خالي بأيهما ابدأ فقال بأيهما
شئت قال فذهبت الى علي فقلت اجب خالي قال امرك أن تدعومعي أحدا قلت نعم قال من قلت
عثمان بن عفان قال بأيهما بدأ قلت لم يأمرني بذلك بل قال ادع أيهما شئت اولا فجئت اليك
فخرج معي فلما مررتا بدار عثمان جلس علي حتى دخلت الى عثمان فوجدته يوتر مع الفجر
فدعوته فقال لي مثل ما قال علي سواء ثم خرج فدخلت بهما على خالي وهو قائم يصلي فلما
انصرف اقبل علي علي وعثمان فقال اني سألت الناس عنكما فلم أجد احدا يعدل بكما
ثم اخذ العهد على كل واحد منهما اثنى ولاء ليعمدان ولئن ولي عليه ليعمن وليطيعن فقالا
ام خرج بهما الى المسجد وقد لبس عبد الرحمن العمامة التي عمه بهار رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتقلد سيفا وبعث الى وجوه الناس من المهاجرين والانصار ليحضروا في المسجد
يأبى في الناس عامة الصلاة جامعة وامتلاء المسجد حتى غص بالناس وازدحم الناس
فصاروا حتى انه لم يحصل لعثمان بن عفان موضع يجلس فيه الا في اخرى الناس وكان
جلا شديدا لحياء ثم صعد عبد الرحمن بن عوف منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على الدرجة
التي كان يجلس عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقف وقفا طويلا ودعا دعا طويلا ثم سمعه
الناس ثم تكلم فقال أيها الناس اني قد سألتكم سرا وجهرا شئني وفرادي وجمعا وأشأتا فلم أجد
احدا منكم يعدل بأحد هذين الرجلين اما علي واما عثمان فقم الى يا علي فقام اليه فوقف تحت
المنبر وأخذ عبد الرحمن بيده فقال له هل انت مبايعي على كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله
عليه وسلم وفعل ابى بكر وعمر رضي الله عنهما فقال علي قد رجعتي وطاقتي قال فأرسل يده قال
بسم الله فأخذ بيده فقال هل انت مبايعي على كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وفعل
من بكر وعمر رضي الله عنهما فقال اللهم نعم قال فرفع عبد الرحمن رأسه الى سقف المسجد وقال
كنتم اسمع واشهد اللهم اسمع واشهد اللهم قد جعلت ما في رقبتي من ذلك في
رفقة عثمان وبايعه وازدحم الناس يبايعون عثمان رضي الله عنه حتى غشوه تحت المنبر قال وقعد
عبد الرحمن بن عوف فبعد النبي صلى الله عليه وسلم وأجلس عثمان تحته على الدرجة الثانية وجاء
الناس يبايعونه وبايعه علي بن ابى طالب رضي الله عنه اولا ويقال آخرها وما ذكرناه هو الثابت

في ولاية عثمان رضى الله عنه كما حققه العلماء المحققون من اهل السنة منهم السيد الشريف طاهر بن
هاشم باعلوى في كتابه المسمى بجمع الاحباب ثم قال ولا تغتر بما سوى هذا مما ينقله الروافض فانه
لا أصل له والله سبحانه وتعالى أعلم واعترض بعض المبتدعة على عمر بن الخطاب في عدم
ادخاله العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشورى وأجاب اهل السنة عن ذلك بأن
العباس رضى الله عنه كان صديقا لعمر وانما يدخله في اهل الشورى لأن الامر عندهم كان
مبنيا على تقديم السابقة في الاسلام والعباس رضى الله عنه كان ممن تأخر اسلامه وكان صديقا
لعمر رضى الله عنهما هذا عذر عمر رضى الله عنه في عدم ادخاله العباس رضى الله عنه في اهل
الشورى ولم ينكر عليه ذلك العباس ولا احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمهم
بأن الامر عندهم مبنى على السابقة في الاسلام قال الامام محمد بن الحسن وانما يدخل معهم سعيد
ابن زيد مع انه احد العشرة المبشرين بالجنة لأنه كان ابن عم لعمر بن الخطاب فخشي انه اذا
أدخله معهم يكون ذلك منه محاباة له لكونه من أقاربه فأحب ان يتقلدها ابنه ولا أحد
من أقاربه فهكذا كان احتياط عمر وورعه رضى الله عنه ثم ان الناس مكثوا ست سنين من خلافة
عثمان وهم على غاية من الاتفاق والرضا كما كانوا في خلافة عمر رضى الله عنه بل قال بعضهم
أحبوا عثمان اكثر من محبتهم لعمر رضى الله عنهما للينه ورفقه ثم في الست السنين الثانية وقع
الاختلاف وأوقعه جماعة لم تكن لهم سابقة في الاسلام وكان الأصل في ذلك عبد الله بن سبأ
كان يهوديا فأسلم ظاهرا وليس له غرض في الاسلام الا قصد ايقاع الفرقة بين أهل الاسلام
وأدخل على الناس شبهة من حيث تولية عثمان كثيرا من أقاربه على كثير من الأمصار من ان
عثمان رضى الله عنه كان يفعل ذلك باجتهاد منه يراه هو الصواب ويرى ان أقاربه أقرب اليه
اعانته على العدل فلا لوم عليه في ذلك على ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك كله فكانه
ذلك مجزة للنبي صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بذلك قبل وقوعه فوقع كما أخبر وكل ذلك
بقضاء الله وقدره ليكتب له الشهادة ويحقق قول النبي صلى الله عليه وسلم في عثمان انه
مظلوم ما وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في عبد الرحمن بن عوف أمين في السماء وأمين في الارض
فكفي بهذا حجة على صحة ما فعله واجتهد فيه رضى الله عنه قال القائلون بأن طلحة كان غائبا و
جعله عمر رضى الله عنه من اهل الشورى قدم طلحة في اليوم الذى بويع فيه عثمان فقبل له ان
الناس قد بايعوا عثمان فقال أكل قر يش رضوا به قالوا نعم فأتى عثمان فقال عثمان أنت علم
رأس أمرك قال طلحة فان أبيت أتردها قال نعم قال أكل الناس بايعوك قال نعم فقال طلحة قال
رضيت لا أرغب عما اجتمعت الناس عليه وبايعه ثم ان عمر رضى الله عنه بعد أن جعل أمر الخلافة
للسنة اصحاب الشورى حسب ما عليه من الدين فوجده ستا وثمانين ألفا ولزمته هذه الديو
من اتفاق كان ينفقه من ماله على الفقراء والمحتاجين لم يأكل منها خبيصا ولا لبس منها قيصا بل كان
جبهته مرقعة بالجلود وباب منزله من الجريد لكنه أنفق هذا المال في سبيل الخير لا غير فلما فرغ
حياته وحانت وفاته قال لابنه عبد الله وابنته حفصة رضى الله عنهما اني قد أصبت من مال
شيأوانى أحب ان التى الله عز وجل وليس في عنق مني شيء فيعيا فيه ما عندى من المال حتى
تقضياه فان عجز عنه مالى فسلا في بنى عدى فان بلغ والا فسلا في قر يش ولا تعدوا قر يشا فباع

عبد الله من معاوية دار عمر التي يقال لها دار القضاء بالمدينة و باع مالا كان له بالغابة فقصى دينه فلذلك قيل لتلك الدار دار القضاء وقد كان عمر رضى الله عنه كثير الانفاق على الفقراء والمحتاجين واذا لم يكن في بيت المال شيء يستقرض للانفاق عليهم لاسيما في عام الرمادة فانه كان منه رضى الله عنه العجب العجيب في الاعتناء بالفقراء وأهل الحاجة وعن زيد بن أسلم عن أبيه أسلم قال لما كان عام الرمادة جاءت العرب من كل ناحية لشدة الجذب والقحط فقدموا المدينة وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر رجلا يقومون عليهم ويقسمون عليهم الطعام فكان كل رجل على ناحية من المدينة وكانوا اذا اجتمعوا عند أمير المؤمنين يخبرونه بكل ما كانوا فيه فسمعت أمير المؤمنين قال في ليلة وقد تعشى الناس عنده احصوا من تعشى عندنا فأحصوا فوجدوا وهم نحو سبعة آلاف رجل فقال أحصوا العيالات الذين لا يأتون والمرضى والصبيان فأحصوا فوجدوا بهم أربعين ألفا ثم مكث ليالى فزاد الناس حتى صار من يتعشى عنده نحو عشرة آلاف رجل والآخرون خمسون ألفا وكانت تلك المجاعة التي أصابت الناس عام الرمادة مجاعة شديدة لم يعهد مثلها لشدة القحط والجذب وكانت الريح تسفى ترابا كالماد فسمى عام الرمادة وكان ذلك كله في سنة ثمانية عشر من الهجرة ومكث تسعة أشهر واشتد الجوع حتى جعلت الوحوش تأوى الى المواضع المأنوسة تطلب ما تأكله وجعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها وأقيم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان لا يدق سمنا ولا لبنا ولا لهما حتى يحبى الناس فقدمت السوق عكة سمن ووطب من لبن فاشترى بهما غلام لعمر رضى الله عنه بأربعين درهما وجاء بهما الى عمر وكان ذلك عند ابتداء انجلاء القحط والشدة وقال يا أمير المؤمنين قد حبى الناس وأبر الله بينك وعظم اجرك قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن ابتغتهما بأربعين درهما فقال عمر تصدق بهما فانى اكره ان أكل اسرافا وكيف يعينى شأن الرعية اذا لم يصبني ما أصابهم وفي مدة ذلك القحط كتب عمر الى أمراء الأمصار يستغيثهم لاهل المدينة ومن حولها ويستمدهم فكان اول من قدم عليه ابو عبيدة بن الجراح بأربعة آلاف راحلة من طعام جاء بها من الشام فولاه قسمتها فبين حول المدينة فقسمها وانصرف الى عمله وتابع الناس واستغنى اهل الحجاز وأصلح عمرو بن العاص بحجر القلزم وأرسل فيه الطعام الى المدينة حتى صار الطعام بالمدينة كسره مصر ولم ير اهل المدينة بعد الرمادة مثلها حتى حبس عنهم البحر مع مقتل عثمان رضى الله عنه فذلوا وتقاصروا وكان الناس في مدة الرمادة وعمر كالحصورين عن أهل الأمصار فقال أهل بيت من مزينة لصاحبهم وهو بلال بن الحارث رضى الله عنه قد هلكنا فاذبح لنا شاة قال ليس فيهن ما يصلح للذبح فلم يزالوا به حتى ذبح فسلخ عن بهضم الحرة اذى يا محمد افرأى في المنام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه فقال أبشر من الحياة انت عمر فاقرأه منى السلام وقل له انى عهدتك وانت في العهد شديد العقد فالكيس كالكيس يا عمر فجاء حتى أتى باب عمر فقال لعلامه استأذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلوا حتى عمر فأخبره ففرع وقال رأيت به مساة فقال لا فأدخله وأخبره الخبر فخرج فنادى فى الناس وصعد المنبر فقال نشدتكم الله الذى هذاكم هل رأيتم شيئا تكرهونه قالوا اللهم لا ولم ذلك فأخبرهم ففطنوا ولم يظن عمر فقالوا انما استبطأك فى الاستسقاء فاستسقى بنا فنادى

في الناس وخرج للاستسقاء وخرج معه العباس ماشيا فخطب وأوجز وصلى ثم جثى على ركبتيه وقال اللهم عجزت عنا أنصارنا وعجز عنا حولنا وقوتنا وعجزت عنا أنفسنا ولا حول ولا قوة الا بك اللهم فاسقنا وأحيى العباد والبلا دوا أخذ بيد العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنه وان دموع العباس لتتحاد ر على لحية فقال اللهم اننا نتقرب اليك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم وبقيّة آباءه وأكبر رجاله فانك تقول وقولك الحق وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان أبوهما صالحا حفظتهما بصلاح أبيهما فاحفظ اللهم نبيك صلى الله عليه وسلم في عمه فقد دلونا به اليك مستشفعين مستغفرين ثم أقبل على الناس فقال استغفروا ربكم انه كان غفارا وقد كان العباس رضى الله عنه قد طال عمره وابتضت لحية فوقف وعينه تذر فان ولحية تجول على صدره وهو يقول اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه بي القوم اليك لمكا في من نبيك صلى الله عليه وسلم وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبة اللهم انت الراعي فلا تهمل الضالة ولا تدع الكبير يدار مضيقه فقد صرخ الصغير ورق الكبير وارتفعت الاصوات بالشكوى وانت لم السر وأخفي اللهم فأعثرهم بغياك قبل أن يخطوا فيهلكوا فانه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون فنشأت طريرة من سحاب فقال الناس تروون تروون ثم التأمت ومشت فيها ريح ثم هدأت ودرت فوالله ما ترو حوا حتى اعتنقوا الجدار وقلصوا الما زرفطقق الناس بالعباس رضى الله عنه يمسحون اركانهم ويقولون له هنيئا لك ساقى الحرمين فقال الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي لهب

- * بعمى سقى الله الجاز واهله * عشيّة يستسقى بشيئته عمر *
- * توجه بالعباس، فاجذب راغبا * اليه فان رام حتى أتى المطر *
- * ومن رسول الله فينا ترائه * فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر *

قال زيد بن اسلم عن أبيه كنا نقول لو لم يرفع الله عام الرمادة لظننا ان عمر يموت هما بالمسلمين ثاب ابن شهاب ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يدعو عام الرمادة ويقول اللهم اجعل ارزاقهم على رؤس الجبال فاستجاب الله له وللمسلمين فكانت تأتيهم ارزاقهم وقال حين نزل الغيث الحمد لله فوالله لو ان الله لم يفرجها ما تراك بأهل بيت من المسلمين سعة الا دخلت عليهم أعدادهم من الفقراء فلم يكن اثنان يهلكان من الطعام على ما يقيم واحدا وعن أنس رضى الله عنه قال كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى عماله اكتبوا عن الزاهدين في الدنيا فان الله عز وجل وكل بهم ملائكة وضوا أيديهم على أفواههم لا يتكلمون الا بما هيأه الله تعالى لهم وألقى الله في قلوب العباد هيبه شديدة لعمر رضى الله عنه وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضى الله عنهم قال بينما عمر رضى الله عنه يمشى وخلفه عدة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ بدا له فالتفت فلم يبق احد الا سقط لركبته خافضا فأرسل عمر عييه بالكاء ثم قال اللهم انك تعلم اني منك أشد خوفا منهم مني وقال عمر رضى الله عنه لو لا مخافة الحساب لأمرت بحمل أى كبش يشوى لنزل في النور وعن سفيان قال كان عمر يشتهى الشيء لعله يكون ثمنه بدرهم فيؤخره سنة وعرض أنس رضى الله عنه قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول مكلهم باع

نفسه عمر أمير المؤمنين ^{رضي الله عنه} بخ والله يا ابن الخطاب لتتقين الله اولا يعذبك وزار عمر ابا الدرداء
رضي الله عنهما فقال له ابا الدرداء ائتد كرحدينا حدشناه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أى حديث قال ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب قال نعم قال فافعلنا بعده يا عمر فاز الابطحوا بان
حتى اصبحا وعن نافع قال كان من دعاء عمر رضي الله عنه اللهم اوجب لي في مولاتك ومولات
اوليائك ولايتك ومعونتك وأبرني بمعدات عدوك من الآفات اللهم لا تكثري من الدنيا فاطغى
ولا تقل لي منها فأنسى فان ما قل وكفى خير مما كثر فالهوى اللهم انى أعوذ بك ان تأخذنى على
غرة أو تدرنى فى غفلة أو تجعلنى من الغافلين وعن قيس بن الجراح قال لما فتحت مصر أتى أهلها
عمرو بن العاص رضي الله عنه حين دخل بونة من أشهر العجم فقالوا له أيها الأمير ان لنيلنا
هذا سنة لا يجرى الابهى فقال لهم وما ذاك قالوا اذا كان ثلثا عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر
عمدنا الى جارية بكر بين أبييها فأرضينا أبييها وحلنا عليها من الحل والسياب أفضل
ما يكون ثم ألقيناها فى النيل فقال لهم عمرو بن العاص هذا لا يكون فى الاسلام وان الاسلام يهدم
ما قبله فأقاموا بونة وأيب ومسرى والنيل لا يجرى قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلء منها
ارأى ذلك عمرو بن العاص رضي الله عنه كتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك
كتب اليه عمر رضي الله عنه انك قد أصبت بالذى فعلت لان الاسلام يهدم ما قبله وكتب بطاقة
داخل كتابه وكتب الى عمرو بن العاص رضي الله عنه انى قد بعثت اليك بطاقة فى داخل
كتابى هذا فأتقها فى النيل فلما قدم كتاب عمر الى عمرو رضي الله عنهما واذ فيه باسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجرى وان كان
الله تعالى الواحد القهار هو الذى يجرى ففسأل الله تعالى الواحد القهار أن يجرىك فألقى
البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب يوم وقد نهى أهل مصر للجلء والخروج لأنهم لا تقوم
مصالحتهم الا بالنيل فلما ألقى البطاقة أصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعا
فى ليلة واحدة فقطع الله تلك السنة السيئة عن أهل مصر فتلك كرامة من كرامات عمر رضي الله
عنه التى أكرم الله بها ومن كرامات ترضى الله عنه ما رواه البيهقي وأبو نعيم وغيرهما عن نافع
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال وجه عمر رضي الله عنه جيشا ورأس عليهم رجلا يدعى
سارية بن زعيم فبينما عمر يخطب يوم الجمعة اذ جعل ينادى يا سارية الجبل ثلثا من استرعى الذئب
ظلم فالتفت الناس بعضهم لبعض فقال على بن أبى طالب رضي الله عنه ليخرجن مما قال خبر فلما فرغ
سألوه فقال وقع فى قلبى أن المشركين هزموا اخواننا وانهم يرون مجبل ان عدلوا اليه قاتلوا
من وجه واحد وان جاوزوه هلكوا فخرج منى ما تزعمون انكم سمعتموه فجاء البشير بعد شهر
ببغذ كر انهم سمعوا صوت عمر فى ذلك اليوم قال فعادنا الى الجبل ففتح الله علينا وفى رواية لأبى
من نعيم عن عمرو بن الحارث رضي الله عنه قال بينما عمر رضي الله عنه يخطب يوم الجمعة اذ ترك الخطبة
وكان ينادى يا سارية الجبل مرتين أو ثلاثا ثم أقبل على خطبته فقال بعض الحاضرين لقد جن فدخل
رجل من رجلى بن عوف رضي الله عنه وكان يطمئن اليه فقال له انك لتجعل لهم على نفسك
فلا فمأنت تخطب اذ أنت تصيح يا سارية الجبل أى شىء هذا قال انى والله ما ملكت نفسى
فأرأيتهم يقتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم فلم أملك أن قلت يا سارية الجبل

ليحرقوا بالجليل فلبثوا الى أن جاء رسول سارية بكتاب ان القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم حتى
 اذا حضرت الجمعة سمعنا مناديا ينادي يا سارية الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا
 حتى هزمهم الله تعالى وقتلهم وفي رواية ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر فقال يا أمير المؤمنين
 هزمنافينا نحن كذلك اذ سمعنا صوتا ينادي يا سارية الجبل ثلاثا فأسندنا ظهرنا الى الجبل فهزمهم
 الله تعالى وكان ذلك الجبل بنهاوند من أرض البجم وأخرج الامام مالك في الموطأ عن نافع عن
 ابن عمر رضي الله عنهما قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل ما سمك قال جرة قال ابن من
 قال ابن شهاب قال فمن قال من الحرقه قال أين مسكنك قال الحرة قال بأيها قال بذات لطي
 فقال عمر رضي الله عنه أدرك أهلك فقد احترقوا فراجع الرجل فوجد أهله قد احترقوا وأخرج
 ابن عساکر عن طارق بن شهاب قال ان كان الرجل ليحدث عمر رضي الله عنه بالحديث فيكذبه الكذبة
 فيقول احبس هذه ثم يحدثه بالحديث فيقول احبس هذه فيقول له كل ما حدثك حق الاما أمرتني
 ان احبسه واخرج ابن عساکر أيضا عن الحسن البصري ان كان احد يعرف الكذب اذا حدث
 به انه كذب فهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه واخرج البيهقي في الدلائل عن ابي هذبة الحمصي
 قال أخبر عمر رضي الله عنه ان اهل العراق قد حصروا أميرهم فخرج غضبان فصلى فسمها
 في صلاته فلما سلم قال اللهم انهم قد لبسوا على فلبس عليهم وعجل لهم بالعلام الثقي لا يقبل
 من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئتهم يعني الجحاح قال ابن لهيعة وما وند الجحاح يومئذ وقال علي
 ابن ابي طالب رضي الله عنه ان الله ضرب الحق على لسان عمر رضي الله عنه حتى ظننا ان
 ملكا ينطق على لسانه وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان اسلام عمر ففتحها وكأني
 هجرته نصرا وكانت امامته رجة ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي عند البيت حتى اسمع
 عمر فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا فصلينا وقال حذيفة رضي الله عنه لما أسلم عمر رضي الله عنه
 كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قربا فلما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا بعدا
 وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وهو
 الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما توفي عمر
 رضي الله عنه ذهب تسعة أعشار العلم ولو ان علمه وضع في كفة ميزان ووضع علم احياء
 الارض في كفة لرجح على علمهم فقيل له أ تقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال له لم أرد علم
 الفتياء والاحكام انما أريد العلم بالله عز وجل قال الامام الغزالي في احياء علوم الدين كانت
 شهرة عمر رضي الله عنه بالسياسة وكان فضله بالعلم بالله الذي مات تسعة أعشاره بموته وبقصد
 التقرب الى الله عز وجل في ولايته وعدله وشفقته على خلقه وذلك كله أمر باطن في سره
 وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ما علمت احداها جارا لا يخفيا الا عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانغض في يده أسهما وأتى الكعبة
 وأشرف قريش بفنائها فطاف سبعا ثم صلى ركعتين عند المقام ثم أتى حلتهم واحدة واحدة
 فقال شأته الوجوه من أراد ان تشكله أمه ويوتم ولده وترمل زوجته فليلقني وراء هذا
 الوادي فاتبعه منهم أحد وقال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قد علمت بأى شيء فضلنا
 عمر رضي الله عنه كان أزهدينا في الدنيا وروى البخاري عن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قص فمنها ما يبلغ الندى
 ومنهم دون ذلك وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا ما أولته يا رسول الله
 قال الدين وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا
 أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت منه حتى اني لا أرى الري يخرج من أظفاري ثم أعطيت
 فضلي عمر بن الخطاب قالوا غا أولته ذلك يا رسول الله قال العلم وعن سعد بن أبي وقاص رضي
 الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك
 الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فحك وقال له النبي صلى الله عليه وسلم لما اراد عمر أن يعتمر
 لا تنسنا يا أخي من دعائك قال عمر رضي الله عنه انها كلمة ما يسرنى أن لي بها الدنيا وروى
 مالك في الموطأ أن عمر رضي الله عنه كان يحمل في العام الواحد على أربعين ألف جبل يحمل
 الرجل الى الشام على بعير والرجلين الى العراق على بعير وكان عمر رضي الله عنه أول من جمع
 الناس لصلاة التراويح فكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه اذا مر على المساجد ورأى القناديل
 في رمضان يدعو لعمر ويقول نور الله على عمر قبره كما نور علينا مساجدنا وعن ابن عباس
 رضي الله عنهما قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له اقرأ عمر
 السلام وأخبره ان رضاه عز وغضبه حكم وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم اتقوا غضب عمر فان الله يغضب لغضبه ولما توفي عبد الله بن أبي
 رأس المنافقين سأل ابنه الحباب وسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله أن يصلي رسول الله
 صلى الله عليه وسلم على أبيه رجاء ان الله يرجه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
 ابنه مؤمنا صادقا فأراد النبي صلى الله عليه وسلم تطيب قلب ابنه فتقدم ليصلي عليه فأراد
 ان يمنع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه وقال يا رسول الله انه فعل كذا وكذا
 فقال كذا وكذا فجذب النبي صلى الله عليه وسلم ثوبه من يد عمر وتقدم وصلى عليه فأنزل الله
 تعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره فجاءت الآية على رأي عمر رضي
 الله عنه واختصم منافق ويهودي في شيء فقال اليهودي للمنافق نذهب الى أبي القاسم
 التميمي على يديه وقال المنافق بل نذهب الى كعب بن الأشرف وكان من رؤساء اليهود يأخذ
 الرشوة في حكمه فامتنع اليهودي من الذهاب الى كعب بن الأشرف وذهب الى النبي صلى الله
 عليه وسلم فحكم على المنافق لليهودي فلما خرجا قال المنافق نذهب الى كعب بن الأشرف فامتنع
 لليهودي وقال نذهب الى عمر بن الخطاب فرضى المنافق فلما دخلوا على عمر أخبره اليهودي بما
 كان له من الدعوى على المنافق ثم أخبره بقضاء النبي صلى الله عليه وسلم على المنافق وانه لم يرض
 حكمه وقال نذهب الى كعب بن الأشرف فلم أوافقهم ثم اتفقنا على التحاكم اليك فقال عمر للمنافق
 حق ما قال هذا فقال المنافق نعم فدخل عمر بيته وأخرج سيفه وضرب عنق ذلك المنافق وقال هذا
 جزاء من لم يرض بحكم النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان عشيرة ذلك المنافق شكوا الى النبي صلى الله
 عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وطلبوا القصاص منه واعتذروا بأن صاحبهم لم يكن
 منافقا وإنما أراد بالمحاكمة الى عمر تأييد حكم النبي صلى الله عليه وسلم وألحوا على النبي صلى الله عليه
 وسلم في تلك الدعوى وكاد يحصل من ذلك شرفا يذلل الله تعالى ما فعله عمر وأهدر دم ذلك المنافق

وأنزل في ذلك قوله تعالى ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك
 يريدون أن يتحاكوا إلى الطاغوت الآيات وختمها بقوله أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم
 فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً فكان في ذلك كله تأكيد لما فصل عمر
 رضى الله عنه ولما قال عبد الله بن أبي لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وعن
 بالاعز نفسه وبالأذل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأراد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن
 يذهب إلى عبد الله بن أبي ويقتله فأبى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا يتحدث الناس أن محمداً
 يقتل أصحابه وأنزل الله تعالى ترضية لعمر قوله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون
 أيام الله ليجزى قوماً كانوا يكسبون ولما أشار على النبي صلى الله عليه وسلم بقتل
 أسرى بدر وعدم قبول الفداء منهم وأشار أبو بكر رضى الله عنه بقبول الفداء
 وقال يا رسول الله هم قومك وذوارحك وزجوا أن الله يهديهم للإسلام فقبل
 النبي صلى الله عليه وسلم ما أشار به أبو بكر في أخذ الفداء فأمر الله تعالى ما كان للنبي
 أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله
 عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكانت الآية مؤيدة
 لما أشار به عمر فجاء عمر رضى الله عنه والنبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه يبكيان
 فقال عمر يا رسول الله أخبرني ماذا يكيك أنت وصاحبك فأن وجدت بكاء بكيت وإن لم
 أجد بكاء تبكيت لبكائكما فقال النبي صلى الله عليه وسلم أبكى للذي عرض على من الفداء
 وفي رواية قال له النبي صلى الله عليه وسلم كاد يصيبنا في خلافتك شر ثم أنزل الله أمضاء أخذ
 الفداء بقوله فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله أن الله غفور رحيم ولما طاف النبي صلى
 الله عليه وسلم بالبيت قال له عمر رضى الله عنه يا رسول الله ألا نتخذ من مقام إبراهيم مصلى ف
 الله واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى فكان ذلك من موافقات عمر رضى الله عنه وكان رضى
 الله عنه يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نسائك فإنه يدخل عليك البر والفاجر فأمر
 الله تعالى وإذا سألتموهن متاعاً فامألوهن من وراء حجاب ولما أكثر نساء النبي صلى الله عليه
 وسلم من التغاير بينهن دخل عليهن عمر رضى الله عنه وزجرهن وخوفهن بالطلاق وأن الله
 يبدل النبي صلى الله عليه وسلم خيراً منهن فأمر الله تعالى عسى ربه أن تطلقكن أن يدلنكم
 أزواجاً خيراً منكن وكان رضى الله عنه يكره شرب الخمر ويسأل الله أن يحرمه فأمر الله
 تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فلم يكتشف بذلك عمر رضى الله عنه وقال اللهم أرنا
 في الخمر فأمر الله تعالى أنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان
 فاجتنبوه لعليكم تغلظ فحرم الله الخمر فكان ذلك موافقاً لما كان مرغوباً لعمر رضى الله
 عنه قال الشعبي لما سمع الناس قول عمر رضى الله عنه ورأوا عمله فكان يمشي في الأسواق
 ويطوف في الطرقات ويقضى بين الناس في قبائلهم ويعلمهم في أماكنهم ذكروا بأبكر والنبي
 صلى الله عليه وسلم ثم قالوا كان النبي صلى الله عليه وسلم أعلم بابي بكر رضى الله عنه وكان
 أبو بكر أعلم بعمر فجري أبو بكر وعمر مجرى واحداً وقد كانوا يخافون من لين هذا وشدة هذا
 فكان أبو بكر رضى الله عنه مع ابنه أقواهم فيما لا بد منه وأبينهم فيما ينبغي وكان عمر أئيبهم فيما

ينبغي وأقواهم فيما لا بد منه وقدم الأحنف بن قيس على عمر بن الخطاب رضى الله عنه في وفد من العراق قدموا عليه في يوم صائف شديد الحر وهو معتجر بعباءة له فشرده بعير من ابل الصدقة فسعى خلفه وقال يا أحنف ضع ثيابك وهلم فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فإنه من ابل الصدقة فيه حق لليتيم والمساكين والأرملة فقال رجل يا أمير المؤمنين يغفر الله لك فهلا تأمر عبدا من عبيد الصدقة فيكفيك هذا فقال عمر وأى عبد هو أعبد منى ومن الأحنف بن قيس ان من ولى أمر المسلمين فهو عبد للمسلمين يجب اهم عليه ما يجب على العبد من التصح وأداء الامانة وقال عمر رضى الله عنه من استعمل رجلا لمودة أو قرابة لا يحمله على استعماله الا ذلك فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ومن استعمل فاجرا وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله ولما افتتح المسلمون سواد العراق قالوا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه اقسمه بين الغائين لأنهم افتتحوه عنوة قال فالمن جاء بعدكم من المسلمين فاني اخاف أن تفسدوا اينكم في المياه وأخاف ان تقتلوا فأمر ان يقرأوا أهل السواد في أرضهم وضرب على رؤسهم الضرائب يعنى الجزية وعلى أرضهم الخراج ولم يسمعها بينهم لتكون للمسلمين الذين يأتون بعدهم ولما قدم عمر رضى الله عنه مكة أقبل أهل مكة يشكون أباسفيان بأنه حبس سبل الماء عليهم فأقبل عمر ومعه الدرة فاذا أبو سفيان نصب أحجارا فقال ارفع هذا وهذا فرفعهما ثم قال وهذا وهذا حتى رفع أحجارا خمسة او تسعة ثم استقبل عمر الكعبة فقال الحمد لله الذى جعل عمرا يا عمر أباسفيان بطن مكة فيطيعه وعن الحسن البصرى قال حضر باب عمر بن الخطاب رضى الله عنه سهيل بن عمرو والحارث بن هشام وأبوسفيان بن حرب ونفر من قريش من تلك الرؤس وصهيب وبلال ونفر من أولئك الموالى الذين شهدوا بدر فخرج اذن عمر للموالى وترك أولئك فقال أبو سفيان وكا يوم قطيأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابنا لا يلتفت اليه فقال سهيل بن عمرو وكان رجلا عاقلا أبها القوم انى والله لقد أرى الذى فى وجوهكم ان كنتم غضابا فاغضبوا على أنفسكم دعى القوم ودعيتهم فأسرعوا وأبطأتم فكيف بكم اذا دعوا يوم القيامة وتركتهم فى رواية فاذا كان هذا فى دار عمر فكيف الجنة فجلسوا يكون على تأخر دخولهم فى الاسلام حتى اجفعت اصواتهم فسمعهم عمر فأمر بادخالهم وكان صدر المجلس فى زمن خلافته لاسابقين لاسلام فاذا سبقهم غيرهم ثم جاء أحدهم السابقين يتأخرون عن صدر المجلس ليجلس فيه لاسابقون للاسلام ولو كانوا من الموالى وربما أنهم لا يزالون يتأخرون حتى يكون غير السابقين فى آخر المجلس ولو كانوا من أشرف قريش وعن الحسن البصرى ان رجلا أتى أهل ماء من بني قيس فلم يسقوه حتى مات عطشا فأغرمهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه دينه وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال كنا عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذ جاء رجل من أهل مصر أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك قال ما شأنك قال أجرى عمر وبن العاص الخيل بمصر على فرسى فلما حضر الناس قام محمد بن عمر وبن العاص يقول هذه فرسى ورب الكعبة فلما دنا منى قلت له هذه فرسى ورب الكعبة فقام بضربنى بالسوط ويقول خذها وانا ابن الاكرمين قال فوالله ما زاد عمر على ان قال اجلس ثم كتب الى عمر وبن العاص اذا

جاءك كتابي هذا فأقبل واحضر معك ابنك محمدا قال فدعا عمرو ابنه محمدا فقال هل أحدثت حدثا أو جئت جنابة قال لا قال فإبال أمير المؤمنين عريكتب فيك فقدم عمرو وابنه على عمر قال انس فوالله انا لعند عمر اذا نحن بممرؤ وقد أقبل فجعل عمر يلنفت هل يرى ابنه محمدا فاذا هو خلف أبيه فقال عمر أين المصري فقال ها أنا ذا قال دونك الدرة اضرب ابن الاكرمين اضرب ابن الاكرمين اضرب ابن الاكرمين فصر به قال فصر به ثم اجلها على صلعة أبيه عمرو فوالله ما ضرب بك الا بفضل سلطانة فقال عمرو يا امير المؤمنين قد ضرب من ضرب به فقال اما والله لو ضرب من ضرب به لما أقدمناك يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهم أحرارا ثم التفت الى المصري فقال انصرف راشدا فان رابك شيء فاكتب الى وكان عمر رضى الله عنه اذا استعمل عاملا كتب عليه كتابا وأشهد عليه رهطا من الانصار ان لا يركب برذونا ولا يأكل نقيا ولا يلبس دقيقا ولا يعلق بابه دون حاجات المسلمين ثم يقول اللهم اشهد وعن الحسن البصري قال قال عمر رضى الله عنه لئن عشت ان شاء الله لا أسيرن في الرعية حولافاني أعلم أن للناس حوايج تقطع عني امامهم فلا يصلون الى واما عملهم فلا يرفعونها الى فأسير الى الشام فأقيم بها شهرين ثم أسير الى مصر فأقيم بها شهرين ثم أسير الى الكوفة فأقيم بها شهرين ثم أسير الى البصرة فأقيم بها شهرين وعن الزهري ان عمر رضى الله عنه جلد صبيعا القبي عن كثرة مسائلاته عن حروف القرآن حتى اضطربت الدماء في ظهره وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه أنه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لمقدرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتوى ما يحسد ما يلا بطنه من النذل وعن هشام بن عروة قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا رأيتم الرجل يصلي الصلاة فهو والله لغيرها مني حيلة عني الله تعالى أشد تضيقا وعن يحيى بن جعدة قال قال رضى الله عنه لولا لبرايمته لا حبيت ان ألحق بالله عز وجل لولا ان أسير في سبيل الله أو أصاب وجهي للقتل أو أجالس أقواما يلتقطون طيب الكلام كما يلتقط طيب التمر وروى عن عمر رضى الله عنه أنه كان يبكي عند موت عمر رضى الله عنه فقيل له في ذلك فقال ابكي على موت عمران موت عمر ثلثة في الاسلام لا ترق الى يوم القيامة وقال على رضى الله عنه كان ابو بكر أو اها حليما وكان عمر مخلصا ناصحا لله فناصره الله وان كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن متوافرون لنرى أن السكينة تنطق على لسان عمرو ان كنا لنرى أن شيطانه ليمانه ان يأمره بالخطيئة وشهد عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا فقال انتنى بمن يعرفك فأتاه برجل فأتنى عليه خيرا فقال عمر رضى الله عنه أنت جاره الا دنى تعرف مدخله ومخرجه فقال لا فقال كنت رفيقه في السفر الذي يسفر عن اخلاق الرجال ومكارم الاخلاق فقال لا قال فإبال فإباله بالدرهم والدنانير التي يتبين بها ورع الرجل فقال لا قال أظنك رأيت في المسجد بهمهم بالقرآن يرفع رأسه طورا ويخفضه طورا قال نعم قال اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب فأتنى بمن يعرفك وقالت عائشة رضى الله عنها من رأى ابن الخطاب علم انه انما خلق غنا أو فقرا من رضى الله عنه عن لاحق بن حديد قال بعث عمر بن الخطاب عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود بن حنيف رضى الله عنهم الى الكوفة فجعل عمار بن ياسر على الصلاة وعلى الجيول

وعبد الله بن مسعود على القضاء وبيت المال وعثمان بن حنيف على مساحة ارض الخراج وجعل
 بينهم كل يوم شاة شطرها وسواقطها لعمار بن ياسر رضى الله عنه والنصف بين هذين قال
 الراوى ولا أحفظ الطعام ثم قال أنزلتكم واياى من هذا المال منزلة والى اليتيم من كان غنيا
 فليستغفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وما أرى قرية يؤخذ منها كل يوم شاة الا كان
 سر يعافى خرابها ولما قدم عليه أول عير عام الرمادة دعا الزبير رضى الله عنه وقال اخرج في أول
 هذه العير فاستقبل بها نجدا فانجل الى اهل كل بيت ما قدرت أن تحملهم ومن لم يستطع حمله
 فزلا هل بيت ببعير بما عليه فليكسوا كسائين من ذلك ولينحروا البعير فيحملوا شحمه وليقددوا
 لحمه ثم ليأخذوا كبة من قديد وكبة من شحم وجفنة من دقيق فيطحنوا ويأكلوا حتى يأتبهم
 الله برزق فاعتذر الزبير من الخروج ثم دعا طحمة رضى الله عنه فاعتذر فأمر أبا عبيدة رضى الله
 عنه فخرج فلما رجع بعث له بألف دينار فقال أبو عبيدة انى لم أعمل لك يا ابن الخطاب انى علمت
 الله عز وجل ولست آخذ في ذلك شيئا فقال عمر قد أعطانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في اشياء
 دعنا الها فكرهنا ذلك فأبى علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبلها أيها الرجل فاستعن بها على
 دينك ودينك فقبلها أبو عبيدة رضى الله عنه وتصدق بها وقد قال صلى الله عليه وسلم ما جاءك
 من هذا المال وانت غير متشرف ولا سائل فخذها وما فلا تتبعه نفسك ولما جئى له بغنائم العراق
 كان فيها تاج كسرى وأساورة وكان النبي صلى الله عليه وسلم وعد بذلك سراقة بن مالك لما
 تعرض لان يمسه لكفار قريش عام الهجرة فساخت به قوائم فرسه ثم سأل النبي صلى الله عليه
 وسلم الأمان وعقد التوبة فخرجت قوائم فرسه فعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام
 فأبى فقال له كيف بك يا سراقة اذا لبست تاج كسرى وأساورة ثم أسلم سراقة رضى الله عنه
 عام ثمان من الهجرة بالجرمانة فلما جاءت غنائم العراق وفيها تاج كسرى وأساورة قال عمر
 رضى الله عنه اتونى بسراقة بن مالك لا لبسه اياهما ليتحقق بذلك معجزة النبي صلى الله عليه
 وسلم فى وعده سراقة بذلك فجئى له بسراقة فألبسه التاج والأساورة وقال له قل الله أكبر
 الحمد لله لذى سلبهما كسرى وألبسهما سراقة بن مالك بن جعشم اعرابيا من بنى مدلج وأركبه
 جلا وطيف به فى المدينة لاظهار تلك المعجزة وقال عمر رضى الله عنه لما جئى له بغنائم العراق اللهم
 انى قد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب أن يصيب ما لا فينقه فى سبيلك وعلى
 عبادك فزويت ذلك عنه نظرا منك واختيارا اللهم انى قد علمت أن أبا بكر رضى الله عنه كان
 يحب أن يصيب ما لا فينقه فى سبيلك وعلى عبادك فزويت ذلك عنه نظرا منك واختيارا
 اللهم انى أعوذ بك أن يكون هذا مكرامهم واستدراجا ثم قال بل يحسبون ان ما غنمهم به
 من مال وبنين نساوع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قدمت
 من عند أبى موسى الأشعرى من العراق على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بثمانمائة ألف درهم
 فقال لى بما ذا قدمت قلت قدمت بثمانمائة ألف درهم قال قدمت بثمانين ألف درهم قلت بل
 قدمت بثمانمائة ألف درهم قال ألم أقل لك انما قدمت بثمانين ألف درهم فكلمت ثمانمائة ألف درهم
 الك فعددت مائة ألف ومائة ألف حتى عدت ثمانمائة ألف درهم قال أطيع هوو يلك قلت نعم
 وانما سأله عن طيبه تعجبا من كثرتة فاستبعد أن يكون طيبا حلالا قال فبات عمر ليلته أرقا حتى

اذا نودي بالصلاة الصبح قالت امرأته ما نمت يا أمير المؤمنين الليلة قال كيف ينام عمر بن الخطاب
 وقد جاء الناس ما لم يكن يأتيهم مثله منذ كان الاسلام فأيأمن عمر لو هلك وذلك المال عنده فلم
 يضعه في حقه فلما صلى الصبح اجتمع اليه نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم انه
 قد جاء الناس الليلة ما لم يأتيهم مثله منذ كان الاسلام وقد رأيت رأيا فأشيروا على رأيت
 أن أكبل للناس بالمكنيا ل فقالوا لا تفعل يا أمير المؤمنين ان الناس يدخلون في الاسلام ويكثر
 المال ولكن اعطهم على كتاب وكلما كثر الناس وكثر المال أعطيتهم عليه قال فأشيروا على بن
 أبدأ منهم فقال له علي وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما ابدأ بنفسك انك والى ذلك
 فقال لا بل أبدأ بالعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الأقرب فالأقرب الى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فكان مجيئ هذا المال سببا لفرض العطاء كل سنة وتدوين الدواوين لاعطاء
 كل سنة فكتب الناس ودون الدواوين فهو أول من فعل ذلك فرتب ذلك أولا باعتبار التقدم
 في الذكر والتأخر ثم باعتبار المقدار الذي لكل انسان أما باعتبار التقدم والتأخر في الذكر
 في ذلك الديوان الذي رتب فيه أبنى هاشم والمطلب بن عبد مناف فأعطاهم جميعا ثم أعطى
 بن عبد شمس بن عبد مناف ثم بن نوفل بن عبد مناف وانما قدم بن عبد شمس على بن نوفل
 لأن عبد شمس كان أخا لهاشم من أبيه وأمه وأما نوفل فكان أخا لهاشم لأمه فقط ثم استوت
 له عبد العزى وعبد الدار ابنا قصي بن كلاب فقدم بن أسد بن عبد العزى وهم قوم خديجة
 رضي الله عنها لصهر النبي صلى الله عليه وسلم فيهم ثم انفردت له بنو زهرة بن كلاب بن مرة
 فدعاهم تلوا عبد الدار ثم استوت له بنو تيم بن مرة وبنو مخزوم بن يقظة بن مرة فقدم بن تيم
 لأنهم كانوا من اهل حلف الفضول والمطيين وفيها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن
 أبابكر رضي الله عنه من بنى تيم ثم دعا مخزوما تلوه ثم استوت له سهم وجمع ابنا هيصم بن
 كعب وعدي بن كعب وكان عمر رضي الله عنه من عدي فقالوا له ابدأ بعدي فقال بل أقر نفسي
 حيث كنت فان الاسلام دخل وأمرنا وأمر بنى سهم واحد انظروا بين سهم وجمع فقدم
 بنى جمع ثم بنى سهم فكان ديوان جمع وسهم كالدعوة الواحدة فلما خلصت اليه دعوته بعد
 بنى سهم وجمع كبر تكبيرة عالية ثم قال الحمد لله الذي أوصل الى حظي من رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وسبأني ذكر ما فرض لنفسه لأن الكلام الآن في الترتيب في التقدم
 والتأخر فقط لا في ذكر المقدار المفروض ثم دعا بنى عامر بن أوى بن فهر وكان ابو عبيدة
 بن الجراح من بنى فهر فنكون دعوته بعد بنى عامر فلما دعا بنى عامر بن أوى قبل فهر قال ابو عبيدة
 رضي الله عنه أكل هؤلاء يدعون أمامي فقال يا أبا عبيدة اصبر كما صبرت او كلم قومك فن
 قدمك على نفسك لم أمنعه فأما أنا وبنوا عدي فنقدمك ان أحببت على انفسنا فقال ابو عبيدة
 اصبر كما صبرت أنت ولا حاجة الى ذكر ترتيب القبائل لأنه يطول وبقى هذا الترتيب الذي رتب
 عمر رضي الله عنه الى زمن خلافة بنى العباس فوقع تشاجر بين بنى سهم وبنى جمع في خلافة
 المهدي بن المنصور فافتروا فقدم المهدي عليهما بنى عدي وأما بنو هاشم والمطلب فكانا على
 ترتيب عمر رضي الله عنه في مرتبة واحدة لقول النبي صلى الله عليه وسلم انما نحن وبنوا
 المطلب كشيء واحد فاذا كان السن في الهاشمي قدمه على المطلبى واذا كان في المطلبى قدمه

وبقي ذلك الى خلافة عبد الملك بن مروان فقدم بنى هاشم على بنى المطلب ثم ان عمر رضى الله عنه بعد ترتيب القبائل في الديوان الاقرب فالاقرب الى النبي صلى الله عليه وسلم فرض المقدار الذي يعطى لكل انسان وجعل التفاوت على السابقة للاسلام واما ابو بكر رضى الله عنه فكان يسوى بين المسلمين في القسم ولا ينظر الى اسبقية الاسلام فراجع عمر رضى الله عنه في ذلك فلم يقبل مراجعته في ذلك وقال انما فضلهم عند الله تعالى وانما الدنيا بلاغ فلما صارت الخلافة لعمر رضى الله عنه فاضل بينهم بالنسبة للاسبقية في الاسلام ولا ينكر على أحد منهما لان ذلك اجتهاد وجعل صفوان بن أمية والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو مع من أسلم عام الفتح وكان ذلك أقل من عطاء من أسلموا قبل ذلك فامتنعوا من أخذه وقالوا لا نمتزف أن يكون أحد أكرم منا فقال انما أعطيتكم على السابقة في الاسلام لاعلى الاحساب قالوا فتم اذا واخذوا وخرج الحارث وسهيل بأهليهما نحو الشام فلم يزالا مجاهدين وفرض لاهل بدر خمسة آلاف كل سنة ثم فرض لمن بعد بدر الى الحديدية أربعة آلاف أربعة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديدية الى تمام قتال أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ثم فرض لاهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين وفرض لمن كان منهم مشهورا بالشجاعة ولاقي بلاء في تلك الوقائع ألفين وخمسمائة فقبل له لوجملت أهل القادسية مثل هؤلاء بألفين وخمسمائة فقال لم أكن لالحقهم بدرجة من لم يدركوا وقيل له قد سويت من بعدت داره بمن قربت داره وقتلهم عن فناءه فقال من قربت داره أحق بالزيادة لانهم كانوا رداء للحتوف وشجى للعدو وفهلا قال المهاجرون مثل قولكم حين سوينا بين السابقين منهم والانصار فقد كانت نصرة الانصار بفنائهم وهاجر اليهم المهاجرون من بعد وفرض لمن بعد القادسية واليرموك ألفا ألفا ثم فرض لمن بعدهم خمسمائة ثم للروادف بعدهم ثلاثمائة سوى في كل طبقة بين قوبهم وضعيفهم عربهم وعجمهم وفرض للروادف بعدهم على مائتين وخسين ومن بعدهم على مائتين وفرض للعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم اثني عشر ألفا وألحق باهل بدر أربعة من غير أهل بدر وهم الحسن والحسين وأبو ذر وسلمان الفارسي رضى الله عنهم وفرض لزوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف عشرة آلاف الا من جرى عليها الملك كصفية ومارية وجويرة فقال نسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضلنا عليهن في القسمة فسو بينا ففعل وفضل عائشة رضى الله عنها بألفين لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها فلم تأخذ الامثلةن وامتنعت من أخذ الزيادة وجعل نساء أهل بدر في خمسمائة وخمسمائة ونساء من بعدهم الى الحديدية في اربعمائة ونساء من بعد ذلك الى تمام قتال أهل الردة في ثلاثمائة وثلاثمائة ونساء أهل القادسية مائتين مائتين ثم سوى بين النساء بعد ذلك وجعل الصبيان سواء على مائة مائة ثم جمع ستين مسكينا وأطعمهم الخبز فأحصوا ما اكلوا فوجدوه يخرج من جريبتين ففرض لكل انسان منهم ولعياله جريبتين في شهر والجريب مكيال قدر اربعة اقغرة فالقغرة مكيال يسع ثمانية مكاكيك والمكوك مكيال يسع صاما ونصفا فتكون الجريبتان ستا وتسعين صاما ثمانية وأربعون له وثمانية وأربعون لعياله وأشار عليه

بعض الصحابة ان يبقى في بيت المال شيئاً من المال عدة ليكون ان كان فقال عمر رضي الله عنه هذه كلمة ألغهاها الشيطان على فيك وقاني الله شرها وهي فئنة لمن بعدى بل أعدلهم ما أعد الله ورسوله طاعة الله ورسوله هما عدتنا التي بها أفضينا الى ما ترون فاذا كان المال ثمن دين احدكم هلكتم وفي رواية قدم على عمر مال من العراق فقسمه فقام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين لو أبقيت من هذا المال لعدوان حضروا أو نازلة أو نائبة ان زلت فقال عمر قاتلك الله نطق بهاعلى لسبائك الشيطان لعننى الله جتتها والله لا أعصى الله اليوم ولكن أعدلهم كما أعدلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال عمر للمسلمين في شأن نفسه انى كنت امراً تاجراً يغنى الله عيالى بتجارتي وقد شغلتنى بأمركم هذا فأترون أنه يحل لى في هذا المال فأكثر القوم وعلى رضى الله عنه ساكت فقال ما تقول يا أبا الحسن فقال ما أصلحك وعيالك بالمعروف ليس لك غيره فقال القوم ما قال على فأخذ بما قال على رضى الله عنه واشتدت مرة حاجة عمر فاجتمع نفر من الصحابة منهم عثمان وطليحة والزبير فقالوا لوقلنا العمر في زيادة زبده اياها في رزقه فقال عثمان هلموا فلنستبرأ ما عنده من وراء وراء فأتوا حفصة ابنته فأعلموها الحال واستكنتموها أن لا تخبر بهم عمر فلقبت عمر في ذلك فغضب وقال من هو لاه لا سواهم قالت لاسبيل الى علمهم قال انت بينى وبينهم ما أفضل ما فتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك من الملبس قالت ثوب بين ممشقين كان يلبسهما للوفد والجمع قال فالى الطعام ناله عندك ارفع قالت حرفان خبز شعير فصبينا عليه وهو حار أسفل عكة لنا فجعلتها دسيسة حلوة فأكل منها قال وأى مبسط كان يبسط عندك كان او طأ قالت كساء تخين كنا نر بعه في الصيف فاذا كان الشتاء بسط نصفه ويتدر بنصفه قال يا حفصة فأبلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر فضل الفضول فوضعها مواضعها وبلغ بالترجية فوالله لا ضمن الفضول مواضعها ولا تبلغن بالترجية وانما مثلى ومثل صاحبي كئلاثة سلكوا طريقا فغضى الاول وقد تزود فبلغ المنزل ثم اتبعه الآخر فسلك طريقه فأفضى اليه ثم اتبع الثالث فكان لازم طريقهما ورضى بزاذهما ألحق بهما وان سلك غير طريقهما لم يجامعهما وكان فرض العطاء وتدوين عمر الدواوين سنة خمس عشرة من الهجرة وخطب عمر رضى الله عنه بالجالية لما كان بالشام فقال ان الله جعلنى خازناً لهذا المال وقاسمها ثم قال بل الله يقسمه وأنا بادء بأهل النبي صلى الله عليه وسلم ثم أشرفهم فقرض لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم الاجورية وصفية ومارية رضى الله عنهن ثم لما قالت عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدل بيننا فعدل عمر بينهن رضى الله عنهن ثم قال انى بادء بالمهاجرين الاولين الذين أخرجوا من ديارهم ظلماً وعدواناً ثم أشرفهم فن أسرع في الهجرة أسرع بالعطاء ومن أبطأ في الهجرة أبطأ به العطاء فلا يأمن رجل الامناخ راحلته ولما قدم الشام استقبله الناس وهو على بعيره قالوا يا أمير المؤمنين لو ركبت برذونا يلقاك عظماء الناس ووجوههم فقال عمر لا أراكم ههنا انما الأمر ههنا وأشار يده الى السماء خلوا سبيل جلى ودخل مرة على مزبلة فاحتبس عندها فكان أصحابه تأذوا بها فقال هذه دنياكم التي تحرصون عليها وقال نظرت في هذا الأمر اذا أردت الدنيا أضر بالآخرة واذا نظرت للآخرة أضر بالدنيا فاذا كان

الاثر هكذا فأضروا بالفانية وعن علي بن ابي طالب رضى الله عنه ان الله عز وجل جعل
أبا بكر وعمر حجة على من بعدهما من الولاة الى يوم القيامة سبقا والله سبقا بعيدا وأتعبا من
بعدهما تعباً شديداً وعن الامام مالك رضى الله عنه قال كان السلف يعلمون أولادهم حب
ابى بكر وعمر رضى الله عنهما كما يعلمونهم السورة من القرآن وعن شعيب بن حرب قال قلت
لمالك أوصنى قال أوصيك بحب الشيخين ابى بكر وعمر فقلت ان الله عز وجل أعطانى من
ذلك شيئاً كثيراً قال والله انى لارجو لك على حبهما ما أرجو لك على التوحيد وهذا الفرض
الذى فرض عمر رضى الله عنه فى العطاء غير الفرض الذى فرض ابو بكر رضى الله عنه فان أبا
بكر سوا بين الناس فى الفرض والعطاء نظرا لاستوائهم فى الاسلام واكثر مال جاء قسمه عشرين
درهما عشرين درهما وفضلت فضلة فقسمها للخدم خمسة دراهم خمسة دراهم وقال ان لكم
خدما يخدمونكم ويعالجون لكم فرضنا لهم فلما فتحت الفتوحات فى خلافة عمر رضى الله
عنه وجاءته الأموال قال ان أبا بكر رضى الله عنه رأى فى هذا المال رأياً ولى فيه رأى
آخر وفاضل بين الناس فى الفرض كما تقدم وقال لا أجعل من قاتل رسول الله صلى الله
عليه وسلم كمن قاتل معه وفاضل بين أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر ففرض لأسامة أربعة
آلاف ولعبد الله بن عمر ثلاثة آلاف فقل له لم زدت لأسامة ألفاً وفضلته على ابنك عبد
الله فقال ما كان لأبى عبد الله ما كان لأبى أسامة من الفضل وما كان لعبد الله ما كان
لأسامة فان أبا أسامة كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبى عبد الله وكان
أسامة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من عبد الله وفرض لأبناء المهاجرين والانصار
ألفين ألفين فربه عمر بن أبى سلمة ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال زيدوه ألفاً
الانى فرضت له بأبيه أبى سلمة ألفين وزدته بأمه أم سلمة ألفاً فان كانت أمه كأمه زدناه ألفاً
وجاءه طلحة بن عبيد الله بأخيه عثمان ففرض له ثمانمائة فربه النضر بن أنس بن النضر فقال
افرضوا له ألفين فقال له طلحة جئتك بمثل ما ففرضت له ثمانمائة وفرضت لهذا ألفين فقال ان
أبا هذا وهو أنس بن النضر لقينى يوم أحد حين أضرب الناس وصرخ الشيطان ان تمحدا
فسئل فقال لى ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الناس يقولون انه قد قتل فسل
سيفه وكسر غده وقال ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فان الله حى لا يموت
فقاتل حتى قتل فان كان أبو أخيك عثمان مثل أبيه نفرض له مثل ما فرضنا له وجعل
الفرض لمن يفرض له من الصبيان من بعد الفطام من الرضاع ثم غير ذلك وجعل الفرض
لمن يفرض له من الصبيان من حين الولادة وسبب ذلك انها جاءت قافلة تحمل طعاما الى
المدينة وهربت الشمس قبل دخول القافلة المدينة فباتت القافلة خارج المدينة فبلغ ذلك عمر
رضى الله عنه فقال لعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه انى اخشى على هذه القافلة من
السراق اخرج بنا نخرسهم من بعد فخرج ومعه عبد الرحمن بن عوف يحرسان القافلة من
بعد وقاما يتعبدان بالصلاة فسمع عمر رضى الله عنه بكاء صبي بالمدينة فقال لعبد الرحمن بن
عوف احرس القافلة حتى أنظر سبب بكاء هذا الصبي فتوجه نحو الصبي وقال لا أمه اتق الله
أحسنى الى صبيك ثم عاد الى مكانه فسمع بكاءه مرة ثانية فعاد الى أمه فقال لها مثل ما قال

في المرة الأولى ثم عاد الى مكانه فلما كان آخر الليل سمع بكاء فعدا الى أمه فقال ويحك اني لا أراك أم سوء مالي أرى ابنك لا يقر من ذا ليلة فقالت وهي لا تعرف انه عمر يا عبد الله اني أحاوله على الفطام فيأبى قال ولم قالت لأن عمر لا يرضى للمولود الا بعد الفطام فأريد أن افطمه قبل أن وان فطامه ليفرض له عمر قال فيكم له قالت كذا كذا شهرا فيقال لا تعجابه ورجع الى عبد الرحمن بن عوف وهو يبكي ويقول يا بؤسا لعمر كم قتل من أبناء المسلمين فلما صلى الفجر أمر مناديا ينادي أن لا تعجلوا على صبيائكم الفطام فانا نفرض لكل مولود في الاسلام من حين يولد وكتب بذلك الى الآفاق أن يفرضوا لكل مولود في الاسلام من حين يولد وكان رضى الله عنه شديد الخوف من الله تعالى قوى الرجاء حتى كان خوفه ورجاؤه يجناحي طائر في الاعتدال فكان يقول لو نادى مناد من السماء لا يدخل النار الا رجل واحد خلفت أن أكون أنا ولو نادى مناد لا يدخل الجنة الا رجل واحد رجوت أن أكون أنا وكان رضى الله عنه مدة خلافته لا ينام ليلا ولا نهارا الا خفقات يخفقها ويقول ان غمت ليلا أضعت نفسي وان غمت نهارا أضعت رعيتي وقرأ يوما اذا الشمس كورت حتى بلغ و اذا الصحف نشرت خر مغشيا عليه أياما يعاد وأرسل مرة الى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه يستسلفه أربعمائة درهم فقال عبد الرحمن تستسلفني وعندك بيت المسال ألا تأخذ منه ثم ترده فقال عمر اني أتخوف أن يصيبني قدرى يعنى الموت فتقول أنت وأصحابك أتركوها لأمير المؤمنين حتى تؤخذ منى يوم القيامة ولكن أستسلفها منك فاذا مت جئت واستوفيتها من ميراثي وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال والله لو أعلم أن كلبا يحب عمرا لا حبيته وودت اني كنت خادما لعمر حتى أموت ولقد وجد فقده كل شيء حتى العضاض وان هجرته كانت نصرا وان سلطانه كان رحمة وقال ابن مسعود لابنه عبد الله وهو في حلقة في المسجد الحرام يا أبا عبد الرحمن ما الصراط المستقيم الا الذى كان عليه أبوك ثابتا حتى دخل الجنة ورأى ربه وحلف ثلاث أيمان على ذلك وقال معاوية لصمصعة بن صوحان صفلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال كان عالم برعيته عادلا في نفسه قليل الكبر قبولا للعدو سهل الحجاب مفتوح الباب متحررا للصواب بعيدا من الاساءة رفيقا بالضعيف غير صخاب كثير الصمت بعيدا من العيث وكتب عمر بن الخطاب لعمر بن العاص وهو على مصر رضى الله عنهما كن لرعيك كما يحب لك أميرك وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال دخل عبيدة بن حصن على عمر رضى الله عنه فقال هيه يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر رضى الله عنه حتى هم أن يوقع به فقال الحر بن قيس يا أمير المؤمنين ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وان هذا من الجاهلين فوالله ما تجاوزها عمر حين تلاها وكان وقفا عند كتاب الله عز وجل وعن الحسن البصري قال يجيئ الاسلام يوم القيامة فيتصفح وجوه الناس حتى يجيئ الى عمر رضى الله عنه فيصعده فيقول أى رب كنت خفيا وأهان وهذا أظهرنى وأنت أعلم قال فتجيب ملائكة فتأخذ بيده فتدخله الجنان والناس في الحساب وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال كان عمر اذا نهى الناس عن شيء دخل على أهله أو قال جمع أهله فقال اني

قد نهيت الناس عن كذا وكذا وان الناس ينظرون اليكم كما ينظر الطير الى اللحم فان وقعت
وقعوا وان هبتم هابوا واني والله لأوتى برجل منكم وقع فيما نهيت الناس عنه الا
أضعفت له العقوبة لمكانه مني فمن شاء منكم فليتقدم ومن شاء فليتأخر وعن ضبة بن
محسن العنزى قال كان علينا أمير بالبصرة أبو موسى الأشعري رضى الله عنه
فكان اذا خطبنا جد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وأنشأ
يدعو لعمر رضى الله عنه قال فغاضني ذلك منه فقامت اليه حيث لا يذكر ابابكر رضى
الله عنه فقلت له اين انت من صاحبه يعنى ابابكر رضى الله عنه تفضله عليه فصنع
ذلك جعلا ثم كتب الى عمر يشكوني يقول ان ضبة بن محسن العنزى يتعرض لى في خطبتي
فكتب اليه عمر أن أشخصه الى قال فأشخصني اليه وقدمت فضربت عليه الباب فخرج الى
فقال من انت فقلت انا ضبة فقال لامرحبا ولا اهلا قلت اما المرحب فن الله واما الاهل
فلا اهل لى ولا مال فيما استخالت يا عمر اشخاصى من بلدى بلا ذنب اذنته ولا شئ اتيت قال
مالذى شجر بينك وبين عاملى قال قلت الآن اخبرك انه كان اذا خطبنا جد الله وأثنى عليه
وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أنشأ يدعو لك فغاضني ذلك منه فقامت له فقلت له اين
انت من صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جعلا ثم كتب اليك يشكوني قال فاندفع عمر رضى الله
عنه باكبيا وهو يقول انت والله أوفق منه وأرشد فهل انت غافر لى ذنبى يغفر الله لك فقلت
غفر الله لك يا امير المؤمنين قال ثم اندفع باكبيا وهو يقول والله ليلة من ابى بكر ويوم خير من عمر
وآل عمر فهل لك ان احدثك بليته ويومه قلت نعم قال اما الليلة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما اراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا ومعه ابو بكر رضى الله عنه فجعل يمشى
مرة امامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا
يا ابابكر ما اعرف هذا من افعالك فقال يا رسول الله اذكر الرصد فاكون امامك واذا ذكر الطلب
فاكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لآمن عليك قال فغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم ليلته على أطراف اصابعه اى حتى لا يظهر اثر قدميه فى الارض حتى خفيت فلما رأى ابو بكر
يفضى الله عنه انها قد حيت حله على عاتقه وجعل يشتمه حتى اتى فى الغار فأزله ثم قال والذى
بعت بالحق لا تدخله حتى أدخله فان كان فيه شئ نزل بى قبلك قال فدخل فلم يرفيه شياً فخمله
فأدخله وكان فى الغار خرق فيه حيات وافاع فألقمه ابو بكر قدمه مخافة ان يخرج منه شئ الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه وجعل يضرب ابابكر فى قدمه وجعلت دموعه تتحد على
خديه من ألم ما يجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له يا ابابكر لا تحزن فان الله معنا فأزل الله
سكينته عليه اى الطمأنينة لآبى بكر فهذه ليلته واما يومه فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارتدت العرب فقال بعضهم نصلى ولا نذكرى فانيته لالوه نصحا فقلت يا خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم تألف الناس وارفق بهم فقال لى اجبار فى الجاهلية خوار فى الاسلام فما اذا أنا لفهم قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحى فوالله لئن منعنى عقلا كانوا يعطونه رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه قال فقاتلنا عليه فكان والله رشيد الامر فهذا يومه
ثم كتب الى ابى موسى يلومه وقال الاوزاعى فى وعظ وعظ به المنصور بلغنى ان عمر بن الخطاب

رضي الله عنه قال لومات سحلة على شاطئ الفرات ضيعة خشيت أن أسأل عنها فكيف
 بمن حرم عدلك وهو على بساطك وحدثني يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن عمرو الأنصاري
 أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيا
 فقال له ما منعك من الخروج إلى عملك أما علمت أن لك مثل أجر المجاهدين في سبيل الله قال
 لا قال وكيف ذلك قال أنه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن وال يلى شيئا من أمور
 الناس إلا أتى به يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه لا يفكها إلا عدله فيوقف على جسر من النار
 ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه ثم يعاد فيحاسب فان كان محسنا نجما
 بأحسنه وإن كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر فيهبوى به في النار سبعين خريفا فقال له عمر
 رضي الله عنه من سمعت هذا قال من أبي ذر وسلمان فأرسل إليهما عرفا لهما فقالا نعم سمعناه
 من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه وإعزاه من يتولاهما بما فيها فقال
 أبو ذر رضي الله عنه من سلب الله نفسه وألقى خده من الأرض فأخذ عمر رضي الله عنه
 المذيل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكاني وقال عمر رضي الله عنه لا يقيم
 أمر الناس إلا حصين العقل أريب الفقه لا يطلع منه على عورة ولا يخاف منه على حرة
 ولا تأخذه في الله لومة لأثم وقال أيضا الأمراء أربعة فأمر قوى ظلف نفسه أي منعها وعمله فذلك
 كالمجاهد في سبيل الله يد الله بأسطة عليه بالرجة وأمير ظلف نفسه وأرتع عما له لضعفه فهو على
 شفاهلاك الآن يرجه الله وأمير ظلف عمله وأرتع نفسه فذلك الحطمة الذي قال فيه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم شر الرعاة الحطمة فهو الهالك وحده وأمير أرتع نفسه وعمله فهلكوا جميعا
 وقال عمر أيضا رضي الله عنه اللهم ان كنت تعلم أني أبالي إذا قعد الحصان بين يدي على
 مال الحق من قريب أو بعيد فلا تهملني طرفة عين وكان الخليفة المنصور مها بشديد الهيبة لا يجبر
 أحدا يعظه بمثل ما وعظه إلا أو زاعى وانما تجرأ إلا أو زاعى على ذلك لأنه طلبه وأحضره
 من الشام إلى بغداد وسأله أن يعظه فقال الأوزاعى أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به فصاح به الربيع
 وذبح المنصور رأسه وأمر ربه إلى الله تعالى والمنصور وقال هذا ما مشوق لا يحل عتس حبة
 قال الأوزاعى فطابت نفسي وانسبطت في الكلام ومن جملته ما قال له في ذلك المجلس قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أي عبد جاءته موعظة من الله في دينه فأنها نعمة من الله تعالى سيقف
 إليه فان قبلها بشكر والا كانت حجة من الله عليه ليرداد بها انما يرزاد الله بها سخطا عليه وقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما وال مات غاشرا عيتمه حرم الله عليه الجنة ومن كره الحق كره
 الله ان الله هو الحق المبين ان الله الذي لين قلوب رعيتم لكم حين ولاكم أمورهم لقربكم من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم رؤفا رحيا موا سبالهم بنفسه في ذات يده محمودا
 عند الله وعند الناس لتحقيق بك أن تقوم فيهم بالحق وإن تكون بالقسط له قائما وعوراتهم
 سائرا لا تعلق عليك دونهم إلا أبواب ولا تقم دونهم الجباب تبهج بالنعمة عندهم وتبتئس
 بما أصابهم من سوء يا أمير المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس
 الذين تملكهم أحرهم وأسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من المدل فكيف بك
 إذا انبعث منهم قمام وراء قمام وليس منهم أحد الا هو يشكو وبلية أدخلتها عليه

أو ظلامة سقتها اليه يا امير المؤمنين كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فأتاه جبريل عليه السلام فقال له يا محمد ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبا فكيف بمن شقق أستارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه يا امير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرايا لم يتعمده فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد لم يبعثك جبارا ولا متكبرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الأعرابي فقال اقتص مني فقال الأعرابي قد أحللتك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك أبدا ولو أتيت على نفسي فدعاه بخير يا امير المؤمنين رض نفسك لنفسك وخذلها الأمان من ربك وارغب في جنة عرضها السموات والأرض التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيد قوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا وما فيها يا امير المؤمنين ان الملك لوبقى لمن قبلك لم يصل اليك وكذا لا يبقى لك ولم يبق لغيرك يا امير المؤمنين أتدري ما جاء عن جدك في تأويل هذه الآية ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها قال الصغيرة التسم والكبيرة الضحك فكيف بما علمته الأيدي وحصدته الألسن يا امير المؤمنين أتدري ما جاء عن جدك في تأويل هذه الآية يا داود أنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله قال الله تعالى في الزبور يا داود اذ ابتعد الخصمان بين يديك فكان لك في أحدهما هوى فلا تتمين في نفسك أن يكون الحق له فيفعل على صاحبه فأتحولك من نبوتي ثم لا تكون خليفة ولا كرامة يا داود انما جعلت رسلي الى عبادي رعا كراع الابل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليحبوا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلاء والماء يا امير المؤمنين انك قد بلغت بأمر او عرض على السموات والأرض والجبال لا بين أن يحملنه وأشفقن منه يا امير المؤمنين قد سأل جدك العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم اماره مكة أو الطائف أو الين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم رسول الله نفس تحييها خيز من اماره لا تخصيها نصيحة منه لعمه وشفقة عليه وأخبره أنه لا يغني عنه من الله شيئا اذ أوحى الله اليه وأندر عشيرتك الأقربين فقال يا عباس عم رسول الله ويا صفية عمه رسول الله ويا فاطمة بنت محمد اني لست أغني عنكم من الله شيئا ان لي عملي ولكم عملكم وقد بلغني يا امير المؤمنين ان جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أتيتك حين أمر الله بمنافخ النار فوضعت على النار تسع ليوم القيامة فقال له يا جبريل صف لي النار فقال ان الله تعالى أمر بها فأوقد عليها الف عام حتى احترت ثم أوقد عليها الف عام حتى اصفرت ثم أوقد عليها الف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيئ جبرها ولا يطفأ لهبها والذي بعثك بالحق لو ان ثوبا من ثياب اهل النار أظهر لأهل الأرض لما اتوا جريما ولو ان ذنوبا من شرابها صب في مياه الأرض جريما لقتل من ذاقه ولو ان ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله تعالى وضع على جبال الأرض جريما لذابت وما استقلت ولو ان رجلا أدخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه البكي النبي صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل عليه السلام لبكائه فقال أنبكي يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ولم بكيت أنت يا جبريل وأنت

الروح الامين أمين الله على وحيه قال أخاف ان أبلى بما أبلى به هاروت وماروت فهو الذي منعني من انكالى على منزلتي عند ربى فأكون قد أمنت مكره فلم يز الايبكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد ان الله آمنكما ان تعصياه فيعذبكما وفضلك على سائر الانبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة عليهم السلام يا امير المؤمنين ان أشد الشدة القيام لله بحقه وان أكرم الكرم عند الله التقوى وانه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمصيبة الله أذله الله ووضعته وهذه نصيحتي اليك والسلام عليك ثم نهض الاوزاعي فقال له المنصور الى أين قال الى الولد والوطن باذن امير المؤمنين ان شاء الله تعالى قال قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه استعين وعليه اتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل فلاتخلىنى من مطالعك اياى بمثل هذا فانك المقبول القول غير المتهم فى النصيحة قلت أفعل ان شاء الله تعالى ثم أمر المنصور للاوزاعي بجال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال انى غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتى بمرض من الدنيا وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه فى ذلك وروى ابن المهاجر ان المنصور قدم مكة شرفها الله حاجا فكان يخرج من دار الندوة الى الطواف فى آخر الليل يطوف ويصلى ولا يعلم به أحد فاذا طلع الفجر جمع الى دار الندوة وجاءه المؤذنون فسلوا عليه وأقيمت الصلاة فيصلى بالناس فخرج ذات ليلة حين أسحر فيينا هو يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول اللهم انى اشكو اليك ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فأسرع المنصور فى مشيه حتى ملا مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل اليه فدعاه فأناه الرسول وقال له أجب امير المؤمنين فوصلى ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور وما هذا الذى سمعتك تقول من ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع والفساد فى الارض انت فقلت ما أمرضنى وأقلقنى فقال يا امير المؤمنين ان أمنتنى على نفسى انبأتك بالأمور من أصولها والاقتصرت على نفسى ففيها الى شغل شاغل فقال له انت آمن على نفسك فقال الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق واصلاح ما ظهر من البغى والفساد فى الارض انت فقال ويحك وكيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء فى يدى والخلو والحامض فى قبضتى قال وهل دخل احدا من الطمع ما دخلك يا امير المؤمنين ان الله تعالى استراك أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد وحجة معهم السلاح ثم سجنتم نفسك فيها منهم وبعثت عمالك فى جمع الاموال وجبايتها واتخذت وزراء وأعوانا ظلمة ان نسيت لم يذكروك وان ذكرت لم يعينوك وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والكراع والسلاح وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ولم تأمر بايعال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العارى ولا الضميف ولا العقيرو ولا أحد الاولة فى هذا المال حق فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت ان لا يحجبوا عنك تجبى الاموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فالتنا لا نخونه وقد سخر لنا فأتمروا ان لا يعمل اليك من علم اخبار الناس شىء الا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا الا أقصوه حتى تسقط منزلته ويصغر

قدره فلما انتشر ذلك عنك وعنهم هظمهم الناس وهابواهم وكان أول من صانعهم عمالك
 بالهدايا والاموال ليتقوا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذو والقدرة والثروة من رعيتك
 لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلاّت بلاد الله من الطمع بغيا وفسادا وصار هؤلاء القوم
 شركاءك في سلطانتك وانت غافل فان جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول اليك وان اراد رفع
 صوته او قصته اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر
 في مظالمهم فان جاء ذلك الرجل فبلغ بطاعتك سألوا صاحب المظالم ان لا يرفع مظالمه وكانت
 للمتظلم بها حرمة واجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويلوذ به
 ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه فاذا جهد وأخرج وظهر وصرخ بين يديك
 فيضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وانت تنظر ولا تنكر ولا تغير فابقاء الاسلام وأهله
 على هذا ولقد كانت بنو أمية وكانت العرب لا ينتهي اليهم المظلوم الا رجعت ظلامته اليهم
 فينصف ولقد كان الرجل يأتي من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي يا أهل
 الاسلام فيبتدرونه مالك مالك فيرفعون مظلمته الى سلطانهم فينصف له ولقد كنت
 يا أمير المؤمنين اسافرا الى ارض الصين وبها ملك فقد متهاجرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل
 يبكي فقال له وزراءه مالك تبكي لابلكت عينك فقال اما اني لست أبكي على المصيبة التي
 نزلت بي ولكن أبكي لمظلوم يصرخ بالبواب فلا يسمع صوته ثم قال أما ان كان قد ذهب
 سمعي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس ألا لا يلبس ثوبا أحمر الا المظلوم فكان يركب
 القيل ويطوف طرفي النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت
 أفته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وانت مؤمن بالله وابن عم نبي الله لا تغلبك
 جافتك بالمسلمين ورقتك على شح نفسك فانك لا تجمع الاموال الا لواحد من ثلاثة ان قلت
 رجوها لو لذي فقد أراك الله عبدا في الطفل الصغير يسقط من بطن أمه وماله على الارض مال
 وما من مال الا ودونه يد شحيحة تحويه فايزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس
 اليه وليس تعطى بل الله يعطى من يشاء وان قلت أجمع المال لا شيد سلطانى فقد أراك عبدا
 فان كان قبلك ما أغنى عنهم ما جمعه من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والسلاح
 والكراع وماضرك ولدايك ما كنتم فيه من قلة الجدة والضعف حين أراد الله بكم ما أراد
 وان قلت أجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي انت فيها فوالله ما فوق ما انت
 فيه الامثلة لا تدرك الا بعمل صالح يا أمير المؤمنين هل تعاقب من عصاك من رعيتك بأشد من
 القتل قال لا قال فكيف تصنع بالملك الذي خولك الله وما انت عليه من ملك الدنيا وهو تعالى
 لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الاليم وهو الذي يرى
 منك ما عقد عليه قلبك وأضرته جوارحك فاذا تقول اذا انتزع الملك الحق المبين ملك
 الدنيا من يدك ودعاك الى الحساب هل يغنى عنك عنده شيء مما كنت فيه مما شححت عاياه
 ملك الدنيا فبكي المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارفع صوته ثم قال يا ليتني لم أخـلق
 الأشياء ثم قال كيف احتياي فيما خولت فيه ولم أر من الناس الا خائنا قال يا أمير المؤمنين
 هلك بالائمة الاعلام المرشدين قال ومن هم قال العلماء قال قد فروا مني قال هربوا منك مخافة

أن تحملهم على ما ظهر من طريقك من قتل عمالك ولكن افتح الأبواب وسهل الجبابرة
وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ الشيء مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل
وانا ضامن لك على أن من هرب منك ان يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك وورعيتك فقال المنصور
اللهم وفقني أن أعمل بما قال هذا الرجل وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فخرج فصلى
بهم ثم قال للحرس عليك بالرجل ان لم تأتني به لأضربن عنقك واغناظ عليه غيظا شديدا
فخرج الحرس يطلب الرجل فبينما هو يطوف في طلب الرجل ويفتش عليه فاذا هو بالرجل
في بعض الشعاب فقام حتى صلى ثم قال يا هذا الرجل امانتي الله قال بلى قال ما تعرفه قال بلى
قال فاذا تطلق معي الى الامير فقد آلى ان يقتلني ان لم آته بك قال ليس لي الى ذلك من سبيل قال يقتلني
قال لا قال كيف قال تحسن تقرا قال لا فأخرج من مزود كان معه ورقا مكتوبا فيه شيء فقال
خذه فاجعله في جيبك فان فيه دعاء الفرج قال وما دعاء الفرج قال لا يرزقه الا الشهداء قلت
رحمك الله قد أحسنت الى فان رأيت ان تخبرني ما هذا الدعاء وفضله قال من دعا به مساء وصباحا
هدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط له في رزقه وأعطي
أمله وأعين على عدوه وكتب عند الله صديقا ولا يموت الا شهيدا تقول (اللهم كالطفت
في عظمتك دون الاطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ماتحت أرضك كعلمك بما فوق
عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد
كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والاخرة كله بيدك
اجعل لي من كل هم أمسية فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن
خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطعمني أن أسألك مالا أستوجه بما قصرت فيه أدعوك آمنا
وأسألك مستأنسا انك المحسن الى وانا المسيء الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد الى
بنعمتك وأتبعني اليك بالمعاصي ولكن الثقة بك جعلتني على الجراءة عليك فعد بفضلك
واحسانك على من أتت التواب الرحيم قال فأخذه فصيرته في جيب ثم لم يكن لي هم غير
أمير المؤمنين فدخلت عليه فرفع رأسه فنذر الى وتبسم ثم قال ويلك اوتحسن السحر فقلت
لا والله يا أمير المؤمنين ثم قصصت عليه أمرى مع الشيخ فقال هات الرق الذي أعطاك ثم
جعل يبكي وقال قد نجوت وأمر بنسخه وأعطاني عشرة آلاف درهم ثم قال أتعرفه قلت لا
قال ذاك الخضر عليه السلام وعن ابي عمران الجوني قال لما ولي هارون الرشيد الخلافة زاره
العلماء فهنوه بما صار اليه من أمور الخلافة ففتح بيوت الاموال وأقبل يمجيزهم بالجوائز
السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر التنسك والتقشف وكان مواخيا
لسفيان بن سعيد الثوري قديما فهاجرة سفيان ولم يزره فاشتاق هارون الى زيارته ليخلو به
ويحدثه فلم يزره ولم يعبا بموضعه ولا بما صار اليه فاشتد ذلك على هارون فكتب اليه كتابا
يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هارون الرشيد أمير المؤمنين الى أخيه سفيان بن
سعيد أما بعد يا أخي قد علمت ان الله تبارك وتعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وإني
واعلم اني قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبلك ولم أقطع منها ودك واني منطو لك عني
أفضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي قلديها الله لأتيتك ولو حبو الما أجلك في

تأبى من المحبة واعلم يا أبا عبد الله انه ما بقى من اخوانى واخوانك أحد الا وقد زارنى وهنأتى
 ما صرت اليه وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسى
 قرت عيني وانى استبطأتك فلم تأتني وقد كتبت اليك كتابا شوقانى اليك شديدا وقد
 علمت يا أبا عبد الله ما جاء فى فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فاذا ورد اليك كتابى
 العجل العجل فلما كتب الكتاب التفت الى من عمده فاذا كلهم يعرفون سفيان الثورى
 خشوته فقال على رجل من الباب فأدخل عليه رجل يقال له عباد الطالقانى فقال
 يا عباد خذ كتابى هذا فانطلق به الى الكوفة فاذا دخلتها فسل عن قبيلة بنى ثور ثم
 سأل عن سفيان الثورى فاذا رأيته فألق اليه كتابى هذا وع بسمعك وقلبك جميع
 ما يقول فأحصى عليه دقيق أمره وجليله لتخبرنى به فأخذ عباد الكتاب وانطلق به
 حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيلة فأرشد اليها ثم سأل عن سفيان فقبل له هو فى المسجد
 قال عباد فأقبلت الى المسجد فلما رآنى قام قائما وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
 وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق الابحير قال عباد فوقع الكلمة فى قلبى فخرجت فلما رآنى
 نزلت بباب المسجد قام يصلى ولم يكن وقت صلاة فربطت فرسى بباب المسجد ودخلت
 فاذا جلساءه قعود قد نكسوا رؤسهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون
 من عقوبته فسلمت فإرفع الى أحد رأسه وردوا السلام على رؤس الأصابع فبقيت واقفا
 فما منهم أحد يعرض على الجلوس وقد علانى من هيبتهم الرعدة ومددت عيني اليهم فقلت
 ان المصلى هو سفيان فرميت بالكتاب اليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية
 وضعت له فى محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده فى كفه ولفها بعبائه وأخذه فقلبه فى
 رثم رماه الى من كان خلفه وقال يأخذه بعضكم يقرؤه فانى أستغفر الله ان أمس شيئا مسه
 بالأم بيده قال عباد فأخذه بعضهم فخله كأنه خائث من حية تنهشه ثم فضه وقرأه وأقبل سفيان
 بيسم تبسم المحب فلما فرغ من قراءته قال اقبلوا واكتبوا الى الظالم فى ظهر كتابه فقبل له
 يا أبا عبد الله انه خليفة فلو كتبت له فى قرطاس نقي فقال اكتبوا الى الظالم فى ظهر كتابه
 حتى كان اكتسبه من حلال فسوف يجرى به وان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبق
 من الظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقبل له ما كتبت فقال اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم
 ابن العبد المذنب سفيان بن سعيد الثورى الى العبد المغرور بالآمال هارون الرشيد الذى سلب
 حلاوة الايمان أما بعد فانى قد كتبت اليك أعرفك أنى قد صرمت حبلك وقطعت ودك
 وقلبت موضعك فانك قد جعلتنى شاهدا عليك باقرارك على نفسك فى كتابك بما هجمت به
 على سيدى مال المسلمين فأنفقته فى غير حقه وأنفذته فى غير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناء
 بنى حتى كتبت تشهدنى على نفسك أما أنى قد شهدت عليك أنا واخوانى الذين شهدوا
 بإساءة كتابك وسنؤدى الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى يا هارون هجمت على بيت
 المسلمين بغير رضاهم هل رضى بفعالك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها فى أرض الله
 الى والمجاهدون فى سبيل الله وابن السبيل أم رضى بذلك حلة القرآن وأهل العلم
 والأراامل والايام أم هل رضى بذلك خلق من رعيتك فشد يا هارون مؤزرك وأعد

للمسلمين جوابا وللابلاجلبابا واعلم انك ستقف بين يدي الحكم العدل فقد رزئت في نفسك
اذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيق الفراق وبجالة الاختيار ورضيت لنفسك ان تكون
ظالما ولا ظالما اماما يا هارون قعدت على السرير ولبست الحرير وأسبلت سترادون بابك
وتشبهت بالحنجرة رب العالمين ثم أقعدت أجنالك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا
ينصفون ويشربون الخمر ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزاني ويسرقون
ويقطعون السارق أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس
فكيف بك يا هارون غدا اذا نادى المنادى من قبل الله تعالى أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم
أين الظلمة وأعوان الظلمة فقدمت بين يدي الله عز وجل ويداك مغلولتان الى عنقك لا يفكها
الا عدلك وانصافك والظالمون حولك وأنت لهم سابق وامام الى النار كأنى بك يا هارون
وقد أخذت بضيق الخناق ووردت المساق وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيئات
غيرك في ميزانك زيادة على سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاحفظ بوصيتي واتعظ
بوعظي التي وعظتك بها واعلم أنى نجتك وما أبقيت لك في النصيح غاية فاتق الله يا
هارون في رعيتك واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في أمته وأحسن الخلافة عليهم وإعلم
أن هذا الأمر لو بقى لغيرك لم يصل اليك وهو صائر الى غيرك وكذا الدنيا تنتقل بأهلها
واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر ديناه وآخرته وانى أحسبك
يا هارون ممن خسر ديناه وآخرته فأياك اياك أن تكتب لى كتابا بعد هذا فلا أجيبك عنه
والسلام قال عباد فألقى الى الكتاب منشورا غير مطوى ولا مختوم فأخذته وأقبلت الى
سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبى فناديت يا أهل الكوفة فأجابونى فقلت لهم
قوم من يشتري رجلا هرب من الله الى الله فأقبلوا الى بالدانير والد راهم فقلت لا حاجة لى
فى المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية قال فأبيت بذلك وزعت ما كان لى
من اللباس الذى كنت ألبسه مع أمير المؤمنين وأقبلت أقود البرذون وعليه السلاح الذى
كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هارون حافيا راجلا فهزأبى من كان على باب الخليفة
ثم استؤذن لى فلما دخلت عليه وبصر بى على تلك الحالة قام وقعد ثم قام قائما وجعل يأسف
رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحزن ويقول انتفع الرسول وخاب المرسل مالى وللدنيا
مالى وللملك يزول عنى سرعاً ثم ألقى الكتاب اليه منشورا كما دفع الى فأقبل هارون يقرؤه
ودموعه تتحدر من عينيه ويقرأ ويشقى فقال بعض جلسائه يا أمير المؤمنين لقد اجترأ
عليك سفيان فلو وجهت اليه فأثقلته بالحديد وضيق عليه فى السجن كنت تجعله عبرة لغيره
فقال هارون اتركونا يا عبید الدنيا المغرور من فرغموه والشقى من أهلكتموه وان سفيان امة
وحده فتركوا سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان الى جنب هارون يقرؤه عند كل صلاة
حتى توفى رحمه الله تعالى فرحم الله عبد انظر لنفسه واتق الله فيما يقدم عليه غدا من عمله
فانه عليه يحاسب وبه يجازى والله ولى التوفيق فهذه كانت سيرة العلماء وعاداتهم من الامر
بالمعروف والنهى عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكنهم اتكلوا على فضل الله تعالى
ان يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة فلما أخلصوا الله النية أتركلامهم فى القلوب

القاسية فليتها وأزال قساوتها وأما الآن فقد قيدت الاطماع ألسن العلماء فسكتوا وان تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لافلحوا ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الاراذل فكيف على الملوك والاكابر والله الموفق ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم وتركه قوله الحق ماله من صديق وشرب عمر رضى الله عنه مرة من ابن ابل الصدقة غلطا فأدخل اصبعه وتقباروى ان عمر رضى الله عنه وصله مسك من البحر ين فقال وددت لو ان امرأة وزنت حتى اقسمه بين المسلمين فقالت امر أنه عاتكة انا أجيد الوزن فسكت عنها ثم أعاد القول فأعادت الجواب فقال لا احببت ان تضعيه بكفة ثم تقولين فيها أثر الغبار فتسمحين بها عنقك فأصيب بذلك فضلا على المسلمين وكان لعمر رضى الله عنه لما ولى الخلافة زوجة كان يحبها فطلقها لما ولى الخلافة خيفة أن تشير عليه بشفاعته في باطل فيطيعها ويطلب رضاها وسمع عمر رضى الله عنه سائلا يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانيا يسأل فقال الم اقل لك عش الرجل قال قد عشيتة فنظر عمر فاذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزا فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم اخذ المخلاة ونثرها بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرّة وقال لا تعدوا لولا ان سؤاله كان حراما لما ضربته ولما أخذ مخلاته اماضربه فتأديب وقد ورد الشرع بالنعزير واما أخذ مخلاته فان ما فيها جعده بلاحق لان الذى أعطاه اعتقد أنه محتاج فهو مال ضائع لا يعرف مالكة وأمره للامام يصرفه للمصالح واتى عمر رضى الله عنه مرة بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال طرزلوا عني حسابها وقد اقدت في ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه لما أتى قبا اتاه اهل قبا بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع التسدح من يده وقال اما انى لست أحرمه ولكن اتركه تواضع الله تعالى وقال على لعمر رضى الله عنهما ان تلحق بصاحبك فارقع القميص ونكس الازار واخضع النعل وكل دون الشيع وقال عمر رضى الله عنه اخشوشنوا واياكم وزى العجم كسرى وقيصرو من تزيارنى قوم فهو منهم وقال عمر رضى الله عنه كان لى صاحبان سلكا طريقا فان سلكا غير طريقهما سلك بى غير طريقهما وانى والله سأصبر على عيشهما الشديد لعلى أدرك معهما عشيتهما الرغيد قال رضى الله عنه الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد قال بعض الصحابة رضى الله عنهم تابعنا الاعمال كلها فلم نر فى امر الآخرة أبلاغ من زهد فى الدنيا وكان عمر رضى الله عنه يحب على بن ابي طالب وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاء عنه في ذلك شئ كثير فمن ذلك انه لما قال النبي صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه قال ابو بكر وعمر رضى الله عنهما أمسيت يا ابن ابي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة وحكم على مرة على اعرابي بحكم فلم يرض بحكمه فتلبسه عمر بن الخطاب وقال له ويلك انه مولاك ومولى كل مؤمن ومؤمنة وأخرج الطبرانى انه قيل لعمر انك تصنع بعلى اى من التعظيم شيئا لا تصنعه مع أحد من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال انه مولاي والمراد من قوله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه الولاية في المحبة واقترب والتابع مثل قول الله تعالى ان أولى الناس

بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا وأخرج ابن سعد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه علي أقضانا وأخرج أيضا عن سعيد بن المسيب قال قال عمر رضي الله عنه أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن يعني عليا رضي الله عنه وأخرج أبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقد أعطى علي ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب إلى من حمر النعم فسئل وما هي قال تزويج ابنته صلى الله عليه وسلم وسكناء في المسجد لا يحل لي فيه ما يحل له وإعطاؤه الراية يوم خيبر وأخرج أبو يعلى والطبراني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب من علي ابنته أم كلثوم رضي الله عنهما بنت فاطمة رضي الله عنها وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي وكل بني أنثى عصبتهم لا يهيم ما خلا ولد فاطمة فاني أبوههم وعصبتهم ثم قال عمرواني وإن كانت حبة للنبي صلى الله عليه وسلم فأحببت أن يكون لي معها سبب ونسب وقصة تزوج عمر بأم كلثوم بنت علي رضي الله عنهم رواها الأئمة من طرق كثيرة منهم الطبراني والبيهقي والدارقطني وأكثر طرق الحديث مروية عن أكابر أهل البيت النبوي منهم جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر بن أبيه زين العابدين رضي الله عنهم أن عليا رضي الله عنه عزل بناته لولد أخيه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فلقى عمر عليا رضي الله عنهما فقال يا أبا الحسن انكحني ابنتك أم كلثوم بنت فاطمة رضي الله عنهما بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي قد حبستهن لولد أخي جعفر فقال عمرو الله ما على وجه الأرض يرصد من حسن صحبتها ما أرصد فانكحني يا أبا الحسن فقال علي إنها صغيرة فقال عمر ماذا بك ولكن أردت منعي فإن كانت كما تقول فابعثها إلي وفي رواية أنه لما قال له إنها صغيرة قاله ما بي حاجة إلى الباءة ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي وكل بني أنثى عصبتهم لا يهيم ما خلا ولد فاطمة فانا أبوههم وعصبتهم فأحببت أن يكون لي من رسول الله سبب ونسب وفي رواية أخرى أن أمير المؤمنين هارون بن علي رضي الله عنهما سبب فقال علي رضي الله عنه أن لي أمراء حتى استأذنهم وفي رواية أن لي أسدين حتى استأذنهما يعني الحسن والحسين رضي الله عنهما فاستأذن ولد فاطمة فأذن له وفي رواية أنه لما استأذن الحسن والحسين رضي الله عنهما وقال أني كرهت أن أقضي أمرا دونكما فسكت الحسن ليكون أخيه الحسن أكبر منه وتكلم الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا ابتاه فن بعد عمر صعب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي وهو عنه راض ثم ولي الخلافة فعدل فقال له أبوه صدقت ولكن كرهت أن أقطع أمرا دونكما ثم قال لها علي رضي الله عنه انطلقى إلى أمير المؤمنين فقولى له أن أبي يقرئك السلام ويقول لك أنا قد قضينا حاجتك وفي رواية فأعطاهما حلة وقال لها قولى له هذا البرد الذي قال لك فقالت ذلك لعمر فقال قولى له رضيت رضي الله عنه حصان كريم ما أحسنها وأجلها ووضع يده على ساقها وفي رواية فضعها إليه فقالت تفعل هذا لوالدك أمير المؤمنين لكسرت انفك ثم خرجت حتى أتت أباها فأخبرته الخبر وقالت بعثتني إلى شيخ سوء فقلوا يا بنية أنه زوجك ثم وجه أياها فجاء عمر إلى

مجلسه بين الروضة والمنبر حيث يجلس المهاجرون والانصار وذكروا خبره في رواية قال
لهم رفوني اى قولوا لى بالرفا والبنين فقالوا بن يا امير المؤمنين فقال تزوجت أم كلثوم بنت
على رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر لهم الحديث السابق وجعل لها
مهرًا اربعين الفا فولدت له زيدا ورقية ولم يعقبا ومات عمر عنها وتزوجها بعده ابن عمها
عون بن جعفر بن ابي طالب مات عنها ثم تزوجها بعده اخوه محمد بن جعفر فمات عنها ثم
تزوجها بعده اخوه عبدالله بن جعفر فمات عنه ولم تلد لاحد من الثلاثة شيئا واتفق الصحابة
رضى الله عنهم على ان عمر رضى الله عنه كان متصفا بكمال الزهد والعلم والورع والعقل
وكانوا يقولون هو اكرم من ان يخل وأعقل من ان يخدع وعن عمر رضى الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان من شراراتى الذين غدوا بالنعيم يطلبون أنواع الطعام وألوان
التياب ويتشددون فى الكلام ودخل عمر بن الخطاب رضى الله عنه على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمرى فجلس فرأى أثر الشريط فى جنبه صلى الله
عليه وسلم فدمعت عيناه عمر رضى الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما الذى أبكاك
بن الخطاب قال ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك وانت حبيب الله
صفيه ورسوله نائم على سرير مرمرى بالشريط فقال صلى الله عليه وسلم اما ترى يا عمر
ان تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة قال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك ودخل رجل على ابي
ذر رضى الله عنه فجعل يقلب بصره فى بيته فقال يا اباذر ما أرى فى بيتك متاعا ولا غير ذلك
من الاثاث فقال ان لنا بيتا نوجه اليه صالح متاعنا فقال انه لا بد لك من متاع مادمت ههنا
فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على
فاطمة رضى الله عنها فرأى على باب منزلها سترا وفى يديها قلبين اى سوارين من فضة
فرجع فدخل عليها ابورافع وهى تبكى فأخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسأله ابورافع فقال من اجل السترو السوارين فأرسلت بهما بلالا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقالت قد رقت بهما فضعهما حيث ترى فقال اذهب فبعه وادفعه الى اهل الصفة
فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق بهما عليهم فدخل عليها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لها بأبى أنت وأمى قد أحسنت ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
على باب عائشة رضى الله عنها سترا فتهتكه وقال كلما رأيته ذكرت الدنيا أرسلنى به
الى آل فلان وفرشت له عائشة رضى الله عنها ذات ليلة فزاسا جديدا وقد كان صلى الله عليه
وسلم ينام على عباءة مثنية فزال يتقلب ليلته فلما أصبح قال لها أعيدى العباءة الخلقه ونحى
هذا الفراش عني قد أسهرنى الليلة وكذلك أتته صلى الله عليه وسلم ذاتي خمسة أو ستة ليلا
فبيتها فمهر ليلته حتى أخرجها آخر الليل قالت عائشة رضى الله عنها فنام حتى سمعت غطيظه
ثم قال ما ظن محمد بربى لولقى الله وعنده هذه وقال الحسن البصرى رضى الله عنه أدركت
سبعين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لأحدهم الا ثوبه وما وضع احدهم
بينه وبين الارض ثوبا قط كان اذا أراد النوم باشر الارض بحمسه وجعل ثوبه فوقه قال
الحسن ودخلنا على صفوان بن محيرز وهو فى بيت من قصب قد مال عليه فقيل له او

أصلحته فقال لهم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة وفي الخبر كل نفقة للعبد يؤجر عليها إلا ما أنفقته في الماء والطين وفي قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً قالوا إنه الرياسة والتطاول في البنيان وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي شكاه إليه ضيق منزله اتسع في السماء أي في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما أكنه من حر أو برد ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام إلى صرح قد بنى بحص وأجر فكبر وقال ما كنت أظن أن يكون في هذه الأمة من يبني بنيان هامان لفرعون يعني قول فرعون فأوقد لي يا هامان على الطين يعني به الآجر وأول من عمله هامان وإن فرعون أول من بنى له بالآجر والحص فسموا الجبارة وهذا هو الخزرف ورأى بعض السلف جامعاً في بعض الأمصار فقال أدركت هذا السجد مبنياً من الجريد والسعف ثم رأته مبنياً من الرهص أي الطين الذي يبني به فيجعل بعضه على بعض ثم رأته الآن مبنياً باللبن فكان أصحاب السعف خيراً من أصحاب الرهص وكان أصحاب الرهص خيراً من أصحاب اللبن وكان في السلف من يبني داره مراراً في مدة عمره لضعف بنائه وقصر أمله وزهده في أحكام البنيان وكان منهم من إذا حج أو غزا نزع بيته أو وهبه لجيرانه فإذا رجع أعاده وكانت بيوتهم من الحشيش والجلود وهي عادة العرب الآن ببلاد اليمن وكان ارتفاع بناء السقف قامة وبسطة قال الحسن البصري كنت إذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت يدي إلى السقف وقال ابن مسعود رضي الله عنه يأتي قوم يرفعون الطين ويدعون الدين ويستعملون البراذين يصلون إلى قبلتكم ويموتون على غير دينكم قالت عائشة رضي الله عنها كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة من آدم حشوها ليف وكان عمر رضي الله عنه يقول لا أبالي أصبحت غنياً أو فقيراً لا أدرى أيهما خير لي وكان رضي الله عنه يقول ما ابتليت ببلاء إلا لا كان لله تعالى علي فيه أربع نعم إذ لم يكن في ديني وإذ لم يكن أعظم منه وإذ لم أحرم الرضابه وإذ أرجو الثواب عليه وسمع عمر رضي الله عنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يبكي ويقول بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثرت الناس اتخذت منبراً لتسميهم فخن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأنتك كانت أولى بالحنين إليك لما فارقتهم بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذم فقال تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بمثلك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول بأبي أنت وأمي يا رسول الله لأن كان موسى بن عمران أن أعطاه الله حجراً تتفجر منه الأنهار فماذا بأعجب من أصابعك حين نبع الماء منها صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لأن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فماذا بأعجب من البراق حين سريت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت الصبح من أيدتك

بالابطح صلى الله عليك بأبي انت وامى يارسول الله لئن كان عيسى بن مريم اعطاه الله احياه
 الموتى فاذا بأعجب من الشاة المسجومة حين كلمتك فقال لك الذراع لانا كفى فاني مسمومة
 بأبي انت وامى يارسول الله لقد دعانوح على قومه فقال رب لاتذر على الارض من الكافرين
 ذيارا ولودعوت بمنلها عليا لهلكنا كلنا لقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت ربا عيتك
 فأبيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون بأبى انت وامى لقد اتبعك
 فى قلة سلك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا فى كثرة سنه وطول عمره ولقد آمن بك الكثير وما
 آمن معه الا القليل بأبى انت وامى يارسول الله لولم تجالس الا كفوا ما جالسنا ولولم تنكح
 الا كفوا ما نكحت الينا ولولم تواكل الا كفوا ما واكلتنا فلقد والله جالسنا ونكحت الينا
 وآكلنا ولبست الصوف وركبت الحمار واردفك خلفك ووضعت الطعام على الارض ولعقت
 اصابعك تواضعا منك وقال عمر رضى الله عنه ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب
 مثل جبال تهامة فاذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف الى منزله وليس عليه
 ذنب فلاتفارقوا مجالس العلماء وكان عمر رضى الله عنه يقول لأبى موسى الاشعري رضى الله
 عنه ذكرنا ربنا وكان أبو موسى حسن الصوت حسن القراءة فيقرأ أبو موسى حتى يكاد وقت
 الصلاة ان يتوسط فيقال يأمر المؤمنين الصلاة فيقول أولسنا فى صلاة اشارة الى قوله
 تعالى ولذكر الله اكبر وكتب عمر الى امراء الاجناد اخلو لقوا واخشوا شئوا اى البسوا
 الخلق واستعملوا الخشن فى الاشياء وأهدى عمر نجيبة اى نوى ان يجعلها هديا فطلبت منه
 بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك
 وقال بل أهدها ففعل اى لان القليل الجيد خير من الكثير الدون وقال عمر رضى الله عنه
 اذا اصاب احدكم ودامن اخيه فليستمسك به فقلما يصيب ذلك وعن عبدالرحمن بن عوف
 قال خرجت مع عمر رضى الله عنهما ليلة فى المدينة فبينما نحن نغشى اذظهر لنا سراج فانطلقنا
 نأمله فلما دنونا منه اذاباب مغلق على قوم لهم اصوات ولغط فاخذ عمر بيدي وقال اتدرى
 بيت من هذا قلت لا قال هذا بيت ربيعة بن امية بن خلف وهم على شرب فاترى قلت ارى
 انا اتينا ما نهانا الله عنه قال تعالى ولا تجسسوا فرجع عمر رضى الله عنه وتركهم وهذا يدل
 على وجوب السر وتترك التبع وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضى الله عنه انك ان اتبع
 عورات الناس أفمדתهم أو كدت تفسدهم وقال صلى الله عليه وسلم يامعشر من آمن بلسانه
 ولم يدخل الايمان قلبه لاتقتبوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة اخيه المسلم
 تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو كان فى جوف بيته وكان عمر رضى الله عنه ليلة يعس بالمدينة
 فسمع صوت رجل فى بيت يتغنى فسور عليه فوجد عنده امرأة ودنا من خمر فقال يا عدو الله
 ظننت ان الله يسترك وأنت على معصيته فقال وأنت يأمر المؤمنين فلاتعجل فاني ان كنت
 عصيت الله واحدة فقد عصيت الله ثلاثا قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال
 تعالى وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها وقد تسورت على وقال تعالى لاتدخلوا بيوتا
 غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها وقد دخلت بيتى بغير اذن ولا سلام فقال عمر
 رضى الله عنه هل عندك من خير ان عفوت عنك قال نعم والله يا أمير المؤمنين لئن عفوت عنى

لاعود الى مثلها ابدا فعفى عنه وخرج وتركه وقال عمر رضى الله عنه من اقام نفسه مقام التهم فلايلوم من أساء الظن به ومربرجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعيلاه بالدره فقال ياأير المؤمنين انيها امرأتى فقال هلاكتمها حيث لايراك الناس وقال عمر رضى الله عنه لاينع من النكاح الايجز او فجور وكان رضى الله عنه يكثر النكاح ويقول انى لاتزوج الا لاجل الوار وقال عمر رضى الله عنه ماأعطى العبد بعد الايمان بالله خيرا من امرأة صالحة وتزوج رجل على عهد عمر رضى الله عنه وكان قدخضب فنصل خضابه فاستمدى عليه اهل المرأة الى عمر وقالوا محسبناه شابا فأوجعه عمر ضربا وقال غررت القوم وكان عمر رضى الله عنه ينهى عن المغالات فى الصداق ويقول تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان ذلك الأثاث رحي وجرة ووسادة من آدم حشوها ليف وأولم على بعض نسائه بدين من شعير وعلى أخرى بدين من تمر ومدين من سويق وخطب مرة ونهى عن المغالات فى الصداق وقال ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم ولو كانت المغالات بمهور النساء مكرمة لسبق اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له امرأة كيف تنهى وقد قال الله تعالى وآتيهم احداهن فنطارا فقال كل الناس أفقه منك يا عمر حتى النساء وفى رواية قال امرأة اصابته وأخطأ عمر وراجعت امرأة عمر رضى الله عنه فى الكلام فقال لها أراجعينى بالكما فقالت ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت ان راجعته ثم دخل على حفصة فقال لها لا تغترى بانه أبى خافه فانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من المراجعة وروى ان امرأة من نساء النبي صلى الله عليه وسلم دفعت فى صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها امها فقال صلى الله عليه وسلم دعيها فانهن يصنمن اكثر من ذلك وجرى مرة بينه وبين عائشة رضى الله عنها يوما كلام حتى ادخلا بينهما ابابكر رضى الله عنه حكما فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمى اوأتكلم فقالت بل تكلم انت ولا تقل الا حقا فطمعها ابوبكر رضى الله عنه حتى دعى فوها وقال يا عدوة نفسها او يقول غير الحق فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا ولا ردنا منك هذا وقالت له مرة فى كلام غضبت عنده انت الذى تزعم انك نبي الله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حملا وكرما وكان يقول لها انى لأعرف غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه قال اذا رضيت قلت لا والله محمد واذا غضبت قلت لا والله ابراهيم قالت صدقت انما أهجر اسمك قالوا اول حب وقع فى الاسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لما نثته رضى الله عنها وكان يقول لها كنت لك كأبى زرع لأم زرع غير انى لأطلقك وكان يقول لنسائه لا تؤذنى فى عائشة فانه والله ما نزل على الوحى وانافى لحاف امرأة منكم غيرها وقال انس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان وكان يمزح مع نسائه وينزل الى درجات عقولهن مرة فى الاعمال والاخلاق حتى روى عنه انه كان يسابق عائشة رضى الله عنها فى العدو وسبقت يوما وسبقها فى بعض الايام فقال عليه السلام هذه بتلك وفى الخبر

انه صلى الله عليه وسلم كان من أفكه الناس مع نسائه وقالت عائشة رضى الله عنها سمعت أصوات أناس من الجنة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عيد فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تحبين ان ترى لعبهم قالت قلت نعم فارسل اليهم فجاء وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين ومديديه ووضعته ذقني على يده وجعلوا يلعبون وأنظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك واقول اسكت مرتين او ثلاثا ثم قال يا عائشة حسبك فقلت نعم فأشار اليهم فأنصرفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل المؤمنين أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله وقال صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لأهله وانا خيركم لأهلى وفي رواية خيركم خيركم لنسائه وانا خيركم لنسائى وقال عمر رضى الله عنه مع خشونته ينبغى للرجل ان يكون فى أهله مثل الصبي فاذا التمس ما عنده وجد رجلا وقال رضى الله عنه خالفوا النساء فان فى خلافهن بركة وقد قيل شاورهن وخالفوهن وقد زبر عمر رضى الله عنه امرأته بما راجعته وقال ما انت الالمة فى جانب البيت ان كانت لنا اليك حاجة والاجلس كما أنت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بي فى الجنة قصر او بفناءه جارية فقلت لمن هذا القصر فقيل لعمر فأردت ان أنظر اليها فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر رضى الله عنه وقال أعلبك أغارى رسول الله وقال عمر رضى الله عنه أعرى النساء يلزمن الحجال اى لا تلبسوهن زينة وانما قال ذلك لأنهن حينئذ لا يرغبن فى الخروج فى الهيئة الرثة وبعث عمر رضى الله عنه حكما الى زوجين فعادوا لم يصلح أمرهما فعلاه بالدره وقال ان الله تعالى يقول ان يريد الاصلاحا يوفى الله بينهما فعاد الرجل واحسن النية وتلطف بهما فأصلح بينهما وقال عمر رضى الله عنه لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علمت ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وقال رضى الله عنه ما من موضع يأتينى الموت فيه أحب الى من موطن أطلب فيه القوت لأهلى أبيع وأشتري وكان رضى الله عنه يظوف فى السوق ويضرب بعض التجار بالدره ويقول لا يبيع فى سوقنا الا من يفقه والا أكل الرباء أو أبى قال قتادة لما قدم عمر رضى الله عنه الشام صنع له طعام لم يرقبه مثله فقال هذا انما أتقوا المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبر الشعير فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه لهم الجنة فأعروا زينة عناءه قال الله كان حظنا هذا الطعام وذهبوا بالجنة لقد باينونا بعيدا ومر عمر رضى الله عنه يوما ببناء يبنى بحجارة وجص فقال لمن هذا فقالوا العاقل من عمالك بالبحرين فقامسمه ماله وكان رضى الله عنه يقول لى على كل خائن أمينان الماء والطيب وكان رضى الله عنه اذا قدم عليه الوفد سألهم عن حالهم وأسعارهم وعن يعرف من أهل البلاد التى قدموا منها وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف وهل يعود المريض فان قالوا نعم حمد الله تعالى وان قالوا لا عزله وكتب له ان أقبل وكان يقول مثل السلطان اذاولى العمال الظالمين مثل من يسترعى غنمه الذباب ومثل من يربط الكلب العقور ببابه وقد تقدم انه كان يشاطر العمال أموالهم فيأخذ نصف أموالهم فيجعلها فى بيت المال وانما شاطرهم حين ظهرت لهم أموال بعد الولاية لم تكن تعرف لهم وولى أباه ريرة رضى الله عنه عملا ثم رأى له مالا فيقال له من أين لك هذا المال فقال أبوهريرة دواب تنابحت وتجارا تداولت وأسهم من الغنيمة فقال أدا الشطر وكأنه رضى الله عنه رأى ان ما أصاب العامل من غير رشوة وان كان حلالا

فانه لا يستحق ذلك لأن له بالامارة قوة على ان ينال بالخلال ما لا يناله غيره وفعله هذا مأخوذ من فعل النبي صلى الله عليه وسلم ففي الصحيحين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن النبية عاملا على صدقات الأزد فلما جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسك بعض مامعه وقال هذا لكم وهذا الى أهدي الى فقال صلى الله عليه وسلم ألا جلست في بيت أبيك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك ان كنت صادقا ثم خطب فقال مالي استعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذا هدية ألا جلست في بيت أبيه وبيت أمه ليهدي له فوالذي نفسي بيده لا يأخذ منكم أحدا شيئا بغير حقه الا أتى به يوم القيامة يحمله فلا يأتين أحدكم يوم القيامة بغير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأيت بياض ابطينه ثم قال اللهم قد بلغت وكان رضى الله عنه اذا قدم عليه العمال يأمرهم ان يدخلوا نهارا ولا يدخلوا ليلا حتى لا يحتجبوا شيئا من المال وقال عتاب بن أسيد رضى الله عنه لما ولاه النبي صلى الله عليه وسلم مكة والله ما أصبت في عملي الذي ولاني النبي صلى الله عليه وسلم الا ثوبين معقدين كسوتيهما مولاي كيسان وكان رضى الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى الى أخيه عيو به وقال رضى الله عنه مرة لسلمان الفارسي رضى الله عنه ما الذي بلغك عني مما تكره فاستغفاه فألح عليه فقل بلغني عنك ان لك حلتين تلبس أحدهما بالنهار والاخرى بالليل وبلغني عنك أنك تجمع بين ادامين على مائدة واحدة فقال عمر رضى الله عنه أما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما قال لا وانما قال عمر رضى الله عنه لسلمان فقد كفيتهما موافقة لسلمان فيما بلغه مع ان ذلك مكذوب على عمر فانه رضى الله عنه لم يقع منه شيء من ذلك وسأل عمر رضى الله عنه بعض من قدم عليه من الشام عن أخ كان واخاه في الله تعالى فخرج الى الشام فقال ما فعل أخى فلان قال ذاك اخو الشيطان قال عمره قال انه قارف الكبار حتى وقع في الحمر فقال عمر اذا أردت الخروج فاذا نيتي فكتب عند خروجه بسم الله الرحمن الرحيم حم تسزول الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير ثم كتب له بعد ذلك كلاما يعاتبه فيه ويعذله فلما قرأ الكتاب عجب وقال صدق الله وقد نصحت لي عمر فتاب مما كان قد وقع فيه وكان عيسى بن العباس رضى الله عنهما ويقر به ويدينه ويستشيريه ويقدمه على الاشياخ فقال العباس لابنه عبد الله رضى الله عنهما اني أرى هذا الرجل يعني عمر رضى الله عنه يقدمك على الاشياخ فاحفظ عني خسا لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا تجرين عليه كذبا ولا تعصين له أمرا ولا يظلمن منك على خيانة قال الشعبي كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف وكان عمر رضى الله عنه يقول ثلاث يصفين لك ودأخيك أن تسلم عليه اذا لقيته أو لا وأن توسع له في المجلس وان تدعوه بأحسن أسمائه اليه وكان عمر رضى الله عنه يوما جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت ثنياه فقال عمر يا رسول الله بأبي انت وأمي ما الذي أضحكك قال رجلان من أمتي جثيا بين يدي الله عز وجل فقال أحدهما يا رب خذني مظمتي من هذا فقال الله تعالى رد علي أخيك مظلمته فقال يا رب لم يبق لي من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع بأخيك ولم يبق له من حسناته شيء فقال يا رب

فليحمل عني من أوزاري ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء فقال ان ذلك
ليوم عظيم يحتاج الناس الى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فيقول الله تبارك وتعالى
للمتظلم ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال يارب أرى مدائن من فضة وقصورا من ذهب
مكحلة باللؤلؤ لا شيء نبي هذا أولا شيء صديق أولا شيء شهيد هذا فيقول الله تعالى لمن أعطى الثمن قال
يارب ومن يملك ذلك قال انت تملكه قال بماذا يارب قال بعفوك عن أخيك قال يارب قد عفوت
عنه فيقول الله تعالى خذ بيد أخيك فأدخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله وأصلحوا
ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة وروى أن عمر رضي الله عنه كان يعس ذات
ليلة بالمدينة فرأى رجلا وامرأة على فاحشة فلما أصبح قال للناس ارايتم لو أن اماما رأى رجلا وامرأة
على فاحشة فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين قالوا نعم انت امام فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ليس ذلك لك اذن يقام عليك الحد ان الله لم يأمن على هذا الا مراقل من أربعة شهود ثم تركهم ماشاء
الله أن يتركهم ثم سألهم فقال القوم مثل مقاتلهم الا ولي وقال علي مثل مقاتله الا ولي فكان عمر رضي
الله عنه مترددا في أن الوالي هل له أن يقضى بعلمه في حدود الله تعالى فلذلك راجعهم في مقام
التقدير لافي مقام الاخبار خيفة من أن لا يكون له ذلك فيكون قاذفا باخباره ومال علي رضي الله
عنه الى انه ليس له ذلك فأخذ عمر بقوله وهذا هو المختار عند الفقهاء فان من قال ان القاضي
يقضى بعلمه استثنى من ذلك الحدود وروى البخاري أن عمر رضي الله عنه بعث مصدقين فأبطأوا
عائيه وبالناس حاجة شديدة فلما جاؤا بالصدقات قام عمر مترزا بعباءة يختلف في أولها وآخرها
يقسم تلك الصدقة ويقول هذه لآل فلان وهذه لآل فلان حتى انتصف النهار وجاع فدخل
بيته فأكل من أكل بيته وقال في مال الصدقة من أدخله بطنه أبعد الله قال العلامة
الطرطوشي في كتابه المسمى سراج الملوك كانت الخلفاء تعدل في بيت المال فكانت الرعية هم
الأجناد وهذه هي سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وكان جوعه أكثر من شعبه وتوفي صلى الله
عليه وسلم ودرعه مرهونة في آصع من شعير واذا لم يكن العدل في بيت المال ضعيف المالك
وقويت الأعلاء كان الهرمزان من ملوك الفرس فأسره المسلمون وأرسل رضي الله عنه ورواه
رضي الله عنه فلما وصل الى المدينة وجد عمر رضي الله عنه في المسجد مشبهت بمرءى كوما
من الحصا ودرقته بين يديه فقال له عدلت فأمنت فميت وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه
قال رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على عاتقه قرينة وهو يتخلل الناس فقلت ملاك
يا امير المؤمنين فقال لي لا تتكلم وأقول لك فسرت معه حتى صلبها في بيت عجوز وعذنا الى
منزله فقلت له في ذلك فقال انه حضرني رسول ملك الروم ورسول ملك الفرس فقالا لي
الله درك يا عمر قد اجتمع الناس على علمك وفضلك وعدلك فلما خرجا من عندي تداخلا ما يتداخل
البشر ففقت ففعلت بنفسى ما فعلت وحل مرة أخرى قرينة على عنقه فقيل له في ذلك
فقال ان نفسي قد أعجبتني فأردت أن أذلها وقال له كعب الاخبار يوما انا لنجدك في كتابنا انك
تكون على باب من أبواب جهنم تمنع الناس ان يقعوا فيها فاذا مت لم يزلوا يقتحمون فيها
الى يوم القيامة وكان كعب الاخبار حبرا من اخبار اليهود ثم هداه الله للاسلام في زمن خلافة
عمر رضي الله عنه وكان عنده علم كثير من التوراة وكتب بنى اسرائيل وكان فيها صفات النبي

صلى الله عليه وسلم وصفات خلفائه وأصحابه وكثير من حوادث هذه الامة فكان يجلس مع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويخبرهم بها وقد راوا كثيرا مما أخبرهم به من الحوادث التي تجري في المستقبل فأوهاكا أخبر وقال له عمر رضي الله عنه يوما خوفنا يا كعب فقال لعمر رضي الله عنه اعمل عمل رجل لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبيا لازدريت عملهم مما ترى فنكس عمر وأطرق مليا ثم أفاق فقال زدنا يا كعب فقال يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخرثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها فنكس عمر ثم أفاق فقال يا كعب زدنا فقال يا أمير المؤمنين ان جهنم لترفرز فرة يوم القيامة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الاخر على ركبته حتى ينخر ابراهيم خليل الرحمن يقول يا رب لا أسألك اليوم الا نفسي وقال معاوية رضي الله عنه لصمصعة بن صوحان صف لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال كان عالما برعيته عادلا في قضيته عاريا من الكبر قابلا للعدو سهلا للحجاب مصون الباب متحريا للصواب رفيقا بالضعيف غير محاب للقوى وغير جاف للقرىب وعن سليمان بن داود عليهما السلام الرحمة والعدل يحرزانه الملك وروى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا التقي المسلمان وسلم كل منهما على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادئ تسعون وللمصافح عشرة والتقى مرة عمر وأبو عبيدة رضي الله عنهما فصافحه أبو عبيدة وقبل يده وتحييا بيكيان واخذ عمر رضي الله عنه مرة بغرز زيد بن ثابت رضي الله عنه تعظيما له لعلمه وقال هكذا فافعلوا يزيد وأمثاله وكتب عمر رضي الله عنه الى عماله مروا الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا وانما قال ذلك لأن التجاور يورث التزاحم على الحقوق وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم وكان عمر رضي الله عنه يذهب الى قبا والعوالي كل سبت ويتفقد عمل العبيد فاذا وجد عبدا في عمل لا يطقه وضع عنه منه وكان رضي الله عنه يقول خذوا بحظكم من العزلة والعزلة راحة من قرين السوء وعن الشافعي رضي الله عنه الا نقباض عن الناس مكسبة للعداوة والا نبساط اليهم مجلبة لآثم يقول بنس بجمالك كتاب من الله تعالى ولا يهتدون رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأمرن القوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم بالمعروف ولننه عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم وقال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس ان الله يقول لتأمرن بالمعروف ولننه عن المنكر قبل ان تدعوا فلا يستجاب لكم وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لتأمرن بالمعروف ولننه عن المنكر تدعوا فلا يستجاب لكم وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لتأمرن بالمعروف ولننه عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يحل كبيركم ولا يرجم صغيركم ويدعو خياركم فلا يستجاب لهم وتستغفرون فلا يغفر لكم وتستنصرون فلا تنصرون وقال صلى الله عليه وسلم ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله الا كنفثة في بحر لجى وما جبيع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة في بحر لجى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على انكاره فلا ينكرونه وكان عمر رضي الله عنه يوما يعطى الناس عطاياهم اذ جاءه رجل معه ابن له فقال له مع النبي يارسد عمر رضي الله عنه ما رأيت أحدا أشبه بأحد من هذالك فقال له الرجل أحدثك عنه يا أمي فقال أ.

المؤمنين بأمر اني أردت أن أخرج الى سفر وأمه حامل به فقالت تخرج وتدعنا على هذه الحالة فقلت استودع الله ما في بطنك فخرجت ثم قدمت فاذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث فاذا نار على قبرها فقلت للقوم ما هذه النار فقالوا هذه النار على قبر فلانة يعنون زوجته نراها كل ليلة فقلت والله ان كانت لصوامه قوامه فأخذت المعول حتى انتهينا الى القبر فحفرنا فاذا سراج واذا هذا الغلام يدب فيقيل لي ان هذه وديعتك ولو كنت استودعت أمه لوجدتها فقال عمر رضى الله عنه لهو أشبه بك من الغراب بالغراب وكان عمر رضى الله عنه كبقية اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يبالغون في تطهير قلوبهم وبواطنهم من الصفات الذميمة كالعجب والكبر ويتساهلون في الطهارة الظاهرة حتى ان عمر رضى الله عنه توضع من ماء في جرة نصرانية وكان بعض المنافقين يؤم الناس ولا يقرأ الاسورة عبس نافيها من العتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمر رضى الله عنه أن يقتله ورأى أن فعله ذلك حرام وركب عمر رضى الله عنه مرة على فرس هملج ثم نزل عنه وقطع ذنبه لانه استشعر في نفسه الخيلاء لحسن مشيته وسمع عمر رضى الله عنه مرة رجلا يقرأ ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فحمل الى بيته فلم يزل مريضاً شهراً وكان عمر رضى الله عنه يقول اذا أعطينتم فأغنوا وكان يعطى أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وأعطى مرة أعرابياً ناقة بولدها وقال اللهم اجعل الفضل عند خيارنا وكان رضى الله عنه يقول ان الأعمال تباها فقالت الصلة أنا أفضل لكن وقال له رجل من اهل الكهف في قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً لو نزلت هذه الآية علينا لجعلنا يوم نزلها يوم عيد فقال عمر رضى الله عنه أشهد لقد نزلت هذه الآية يوم عيدين اثنين يوم عرفة ويوم الجمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقد اتخذناه عيداً وكان رضى الله عنه يقول الحاج مغفور له ولمن يستغفر له في ذي الحجة ومحرم وصفر وعشرين من ربيع الاول وحج رضى الله عنه فلما قبل الحجر الاسود قال اني لا أعلم انك حجر لا تنضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم بكى حتى علانحيه والتفت فرأى علي بن أبي طالب رضى الله عنه ورآه فيقال يا ابا الحسن ههنا تسكب العذبات وتستجاب الدعوات فقال

يؤمنين بل هو يضروني فنع قال وكيف قال ان الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية بحب قال يا أيها الذين آمنوا هذا الحجر فهو يشهد للؤمنين بالوفا ويشهد على الكافرين بالجهود فقال عمر رضى الله عنه بقاني الله في قوم لست فيهم يا ابا الحسن قال العلماء ولهذا المعنى الذي ذكره علي رضى الله عنه استحباب للطائف ان يقول عند استلام الحجر اللهم ايماناً بك ووفاء بعهدك لبشرون بذلك الى العهد الذي ألقاه الله الحجر وكان عمر رضى الله عنه يقول أخشى أن كثرة المقام بمكة تسقط هيبة البيت الحرام من القلوب فكان يقول للحجاج اذا حجوا يا اهل البين يمينكم ويا اهل الشام شامكم ويا اهل العراق عراقكم ولذلك هم يجمع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت ان يأنس الناس بهذا البيت فتسقط هيبة من قلوبهم وقال رضى الله عنه لقد هممت أن اكتب الى الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلاً وقال عمر رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مديده للدماء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه

وكان رضى الله عنه يقول يا ايها الناس عليكم بالعلم فان الله سبحانه وتعالى رداء يحبه فمن طلب
بابا من العلم رداءه الله عز وجل برءائه فاذا اذنب استغفبه ثلاث مرات اثلا يسلمه رداءه وقال
رضي الله عنه موت القابله صائم النهار قائم الليل أهون من موت عالم بصير بحلال الله
وحرامه وقال رضى الله عنه من حدث حديثا فعلم به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل
وقال رضى الله عنه ان أخوف ما أخاف على هذه الامة المنافق العليم قالوا وكيف يكون
منافقا وعلما فقال عليهم اللسان جاهل القلب والعمل وقال رضى الله عنه اذا زل العالم زل بزلته
عالم من الخلق وقال رضى الله عنه ثلاث بهن ينهدم الدين احداهن زلة العالم وكان عمر
رضي الله عنه يسأل حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما عن نفسه هل فيه شيء من النفاق فبرأه
من ذلك وكان اذا دعى الى جنازة ليصلي عليها نظرفان حضر حذيفة للصلاة عليها صلى عليها
والترك وكان حذيفة رضى الله عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين
والفتن وكان لا يحضر جنازة منافق وكان عمر رضى الله عنه يقول ما اكتسب رجل مثل
فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى ويرده عن ردى وانتم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل
عقله وقال رضى الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكنية والوقار والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه
وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم يجهلكم وقال رضى الله
عنه ان الرجل يشيب في الاسلام وما اكل الله صلاة فليل له وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها
وتواضعها واقباله على الله عز وجل وقال رضى الله عنه ما كنا نعرف الايمان من زمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان رضى الله عنه لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يترك انكار المنكر ولا التصح
للمسلمين فكان رضى الله عنه مرة يخطب للجمعة فدخل المسجد عثمان بن عفان رضى الله عنه
فأنكر عليه تأخره الى ذلك الوقت وترك البكور الى المسجد فقال في خطبته أهذه الساعة
تجئ يا عثمان فقال عثمان ما زدت بعد أن سمعت الاذان على ان توضع وتخرجت فقال عمر
والموضع ايضا اى اقتصرته عليه وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا
بالغسل وأخر عمر رضى الله عنه مرة صلاة المغرب حتى طلع نجم فأعق رقبة وسئل رضى الله
عنه ما كان يقرأ من القرآن فقرأ القرآن يريدون به الله عز وجل وما عنده تحيين
انه قد أتى على زمان وأنا أرى ان قراء القرآن يريدون به الله عز وجل فقال ايها الناس
ان قوما يقرؤنه يريدون به الناس والدنيا الا فآريد والله عز وجل باعمالكم الا انما كنا نعرفكم
اذ تنزل الوحي واذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهركم ينبا نانا من اخباركم فقد انقطع
الوحي وذهب النبي فانما نعرفكم الا بالقول فمن رأينا منه خيرا ظننا به خيرا وأحبنا به عليه
ومن رأينا منه شرا ظننا به شرا وابعضناه عليه سرائركم بينكم وبين ربكم الا وانى أبعث
عالمى ليعلموكم دينكم وسننكم ولا أبعثهم ليضربوا ظهوركم ويأخذوا أموالكم الا ان ربه
شيء من ذلك فليرفعه الى فوالذى نفسى بيده لا قصنكم منه فقام عمر بن الخطاب فقال يا أمير
المؤمنين ارايت ان بعثت عاملا من عمالك فأدب رجلا من رعيتك فضر به أتقصه منه قال
نعم والذى نفس عمر بيده لا قصن منه فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه
وخطب لما ولي الخلافة فقال يا ايها الناس انى داع فأمنوا اللهم انى غليظ فلينى لاهل طاعتك

بموافقة بحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك واهل
الذنابة والنفاق من غير ظلم مني لهم ولا اعتداء عليهم اللهم اني شحيح فسحقني في نوائب
المعروف قصد ا من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة واجعلني ابتغي بذلك وجهك
والدار الآخرة اللهم ارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين اللهم اني كثير الغفلة
والنسيان فألهمني ذكرك على كل حال وذكرك في الموت في كل حين اللهم اني ضعيف عند العمل
بطاعتك فارزقني النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون الا بعزتك وتوفيقك
اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى وذكر المقام بين يديك والحياء منك وارزقني الخشوع فيما
يرضيك عني والمحاسبة لنفسي واصلاح الساعات والحر من الشبهات اللهم ارزقني التفكير
والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك والفهم له والمعرفة بمعانيه والنظر في مجائبه والعمل بذلك
ما بقيت انك على كل شيء قدير وكان آخر كلام عمر الذي اذا تكلم به اذا عرف انه فرغ من خطبته اللهم
لا تدعني في غمرة ولا تأخذني على غرة ولا تجعلني من الغافلين وكان الذين يكتبون له زيد
بن ثابت وعبد الله بن ارقم وعبد الله بن خلف الخزاعي الذي يقال له طلحة الطلحات كان على
يوان البصرة وكتب له على ديوان الكوفة ابو حبرة بن الضحاك فلم يزل الى ان ولى عبد الله
بن زياد فمزله وولى مكانه حبيب بن القيسى روى ان عمر رضى الله عنه خطب امرأة من
قيف وخطبها المغيرة بن شعبة فزوجها المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لزوجته عرفانه خير قریش اولها وآخرها الاما جعل الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وعن
الحسن البصرى قال ما فضل عمر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه كان أطولاهم صلاة
وأكثرهم صياما ولكنه كان أزهدهم في الدنيا وأشدهم في امر الله عز وجل قال ابن عباس
رضي الله عنهما خرجت يوما أريد عمر في خلافته فألقيته راكبا على حمار قد أرسنه بحبل
اسود وفي رجله زعلان مخصوفتان وعليه ازار قصير وقيص قصير قد انكشفت منه ساقاه
فشيت الى جنبه وجعلت اجذب الازار عليه فجعل يضحك ويقول انه لا يطيعك حتى أتى العالية
فصنع له قوم طعاما من خبز ولحم فقدم اليه وكان عمر يصلي ففعل بنبذ الى الطعام ويقول كل لي ولك

نفسه

ذكر مقتل عمر رضى الله عنه

قال الحسن كان للمغيرة بن شعبة غلام نصراني وقيل مجوسى يقال له فيروز ابولؤلؤة وكان
نجارا يصنع الرجا وحدادا وكان خراجه ثقيلاعليه فشكا الى عمر ثقل الخراج
وسأله ان يمولاه أن يخفف عنه من خراجه فقال وكم خراجك قال درهمان في كل يوم
قال وما صناعتك قال نجار نقاش حداد قال ما أرى هذا خراجا ثقيل في مثل صناعتك فقد
بلغنى انك تقول لو أردت ان اصنع رجي تطحن بالريح لعلت قال نعم لئن سلمت لأعملن لك
رجي يتحدث بهامن بالمشرق والمغرب ثم انصرف عنه فقال عمر اقد وعدنى العبد الا ان فلما كان
بجاءه كعب الاحبار فقال له يا امير المؤمنين اعهد فانك ميت في ثلاث ليال قال وما يدريك
اجد ذلك في كتاب عندي قال عمر انجد عمر بن الخطاب قال اللهم لا وليكني أجدا حليمك
وصفتك وانك قد فني أجلك وعمر لا يحس وجعا فلما كان الغد جاءه كعب فقال بقي يومان فلما

كان الغد جاءه كعب فقال مضى يومان وبقى يوم فلما أصبح خرج عمر الى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجلا فاذا استوت كبر فاستعمل ابولؤلؤة خنجره الى رأسه محدود الطرفين نصابه في وسطه وكان عمر قد رأى في المنام ديكاً يحرقه ثلاث نقرات فتسأله بأنه رجل من العجم يطعمه ثلاث طعنات وكان الله عنده يوكل بالصفوف رجلا يسوونها فاذا استوت أخبروه فكبر ورجعا قرأ سورة يوسف والنحل ونحو ذلك في الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فلما كان ذلك اليوم الذي طعن فيه كعب ابولؤلؤة في المسجد في غمار الناس وأمهله الى ان كبر ودخل في صلاة الصبح فطعنه ثلاث طعنات وقيل ست طعنات احداهن تحت سترته هي التي قتله فلما وجد عمر حد السلاح سقط وقال دونكم والكلب فانه جنى على وفي رواية قتلني أو أكلني الكلب فاج الناس وأسرعوا اليه وصار العليج لا يمر على احد عينا او شمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة حتى جاء رجل فاحتضنه من خلفه وقيل ألقي عليه برنسا فأدنى السكين الى حلقه فقتل نفسه وقال عمر عند ما سقط في الناس عبدالرحمن ابن عوف قالوا نعم هو ذا قتنا وله بيده وقال تقدم صل الناس فصلى بهم عبدالرحمن بن عمر صلاة خفيفة وحل عمر الى منزله ثم سئل عن طعنه فقالوا له ابولؤلؤة غلام المغيرة بن شداد فقال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعى الاسلام ثم أذن للناس فدخلوا ودخل في الناس كعب الاحبار فلما نظرا اليه عمر أنشأ يقول

وواعدني كعب ثلاثا أعدها * ولا شك ان القول ما قاله كعب

وما بي حذار الموت اني لميت * ولكن حذار الذنب يتبعه ذنب

ثم أوصى بعمل الخلافة شوري بين ستة وتقدم الكلام على ذلك مستوفاه ثم قال لابنه عبد الله انظر ما على من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين الفا فقال ان وفي له مال آل عمر فأداه من اموالهم والافضل بنى عدى بن كعب وان لم تنف اموالهم فسل في قریش ولا تعددهم الى غيرهم فأدعنى هذا المال ثم قال انطلق الى عائشة أم المؤمنين فقل يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فاني لست اليه أم أمير المؤمنين قل يقرأ عليك عمر السلام وسلم واستأذن ثم دخل بيلى عائشة رضى الله عنها فوجدها قاعدا تبكي فقال يقرأ عليك عمر السلام ولا تستأذن ان يدفن مع صاحبيه فقالت كنت أريده لنفسى ولأثرته اليوم على نفسى فلما أقبل قيل هذا عبد الله قد جاء وهو متطلع اليه فقال ارفعوني فأسنده رجل اليه فقال ما لديك قال الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت فقال عمر الحمد لله ما كان شيء من الامراء هم الى من ذلك فاذا أنا قضيت فاحملوني وقل يستأذن عمر بن الخطاب فان أذنت لي فأدخلوني وان ردتني فردوني وفي رواية والافاصر فنى الى مقابر المسلمين فلما توفى خرجوا به فصلى عليه صهيب بن سنان الرومي ثم حملوه واستأذنوا به على عائشة رضى الله عنها فأذنت فدفنوه في بيتها عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضى الله عنه وطعن يوم الاربعاء لاربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ودفن يوم الأحد صبيحة هلال المحرم سنة أربع وعشرين وعمره ثلاث وستون سنة ومدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام وفي تاريخ ابن الوردي مريوما عمر بن الخطاب رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام

لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق مادام هذابين أظهركم فإذا فارقتكم انفتح ذلك الباب فكان كما قال عليه السلام لأن الفتنة كلها قد نجحت بعد مقتله واتصل بعضها ببعض ولا تزال الفتنة كذلك الى يوم القيامة انتهى ذكر ما كان لعمر رضى الله عنه و ذلك نزيه من سيرته رضى الله عنه

❖ ذكر ما كان لسيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه من الاقتصاد ❖
❖ في الدنيا وحسن السيرة ❖

كان عثمان رضى الله عنه زاهدا في الدنيا راغبيا في الآخرة عادلا في بيت المال لا يأخذ لنفسه شيئا لأنه كان غنيا وغناه كان مشهورا من حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعده وفاته وكان شيرا لانفاق في نهاية الجود والسماحة والبذل في القريب والبعيد وأنزل الله فيه الذين همون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف اليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة رجورا حذر به وقوله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وكان يخطب الناس وعليه ارغليظ عدني ثمة أربعة دراهم أو خمسة وكان يطعم الناس طعام الامارة ويدخل بيته بخل الخل والزيت قال الحسن البصري دخلت المسجد فاذا أنا بعثمان متكئا على رداءه يقرأ سقا أن يختصمان اليه فقضى بينهما وعن عبدالله بن شداد قال رأيت عثمان رضى الله عنه يوم الجمعة يخطب وهو يومئذ أمير المؤمنين وعليه ثوب قيمته أربعة دراهم وسئل الحسن البصري ما كان رداء عثمان قال قطري قالوا كم ثمة قال ثمانية دراهم وكان رضى الله عنه شديد التواضع قال الحسن البصري رأيت عثمان وهو أمير المؤمنين نائما في المسجد ورداؤه تحت رأسه فيجئ الرجل فيجلس اليه ثم يجئ الرجل فيجلس اليه فيجلس هو كأنه أحدهم وروى خيثمة قال رأيت عثمان نائما في المسجد في ملحفة ليس حوله أحد وهو أمير المؤمنين وفي رواية أخرى خيثمة أيضا رأيت عثمان نائما في المسجد في ملحفة ليس حوله أحد وهو أمير المؤمنين فقلت له لو أمرت بعض الخدم لكفوك فقلت لا الليل لهم يستريحون فيه وكان رضى الله عنه يعتق في كل جمعة رقبة منذ أسلم الا ان لا يجد ذلك تلك الجمعة فيجمعهم في الجمعة الاخرى قال العلامة ابن حجر في الصواعق ان جملة ما اعتقه عثمان رضى الله عنه الفان واربع مائة ومن تواضعه رضى الله عنه انه كان يردف غلامه خلفه ايام خلافته ولا يستعيب ذلك وكان رضى الله عنه يصوم النهار ويقوم الليل الا الجمعة من اوله وكان يختم القرآن كل ليلة في صلاته وكان كثيرا ما يختمه في ركعة وكان اذا امر على المقبرة يبكي حتى تبلل لحية وكان رضى الله عنه من العشرة المبشرين بالجنة ومن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو عنهم راض وكان من السابقين للاسلام فانه اسلم بعد ابى بكر وعلى وزيد بن حارثة وشهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة وبالزهد في الدنيا فقد صح منه صلى الله عليه وسلم انه قال رحك الله يا عثمان ما أصبت من الدنيا ولا أصابت منك وكثرت الفتوحات في زمن خلافته رضى الله عنه فقد فتح في زمنها افرقية وسواحل الاردن وسواحل

الروم واصطخر وفارس وطبرستان وسجستان وغير ذلك وكثرت اموال الصحابة في خلافة
 رضى الله عنهم حتى بيعت جارية بوزنها وفسر بمائة الف ونحلة بألف وعن الحسن البصرى
 قال كانت الارزاق في زمن عثمان وافرة وكان الخير كثيرا واصاب الناس مجاعة في غزوة
 تبوك فاشترى طعاما يصلح العسكر وأخرج أبو يعلى عن جابر رضى الله عنه ان النبي صلى
 الله عليه وسلم قال عثمان بن عفان ولي في الدنيا والآخرة وأخرج ابن عساكر عن
 جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عثمان في الجنة وقال لكل نبي
 خليل في الجنة وان خليلي عثمان بن عفان وفي رواية لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها
 عثمان بن عفان وقال صلى الله عليه وسلم ليدخلن بشفاعتي عثمان سبعون ألفا كلهم قد استحقوا
 النار الجنة بغير حساب واخرج أبو يعلى عن أنس رضى الله عنه قال اول من هاجر الى الحبشة
 بأهله عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبهما الله ان عثمان لا أول
 من هاجر الى الله تعالى بأهله بعد لوط ولما زوج النبي صلى الله عليه وسلم بنته أم كلثوم بعثمان
 رضى الله عنهما قال لها ان بعلك لا يشبه الناس بجدك ابراهيم وأبيك محمد صلى الله عليه وسلم
 وقال صلى الله عليه وسلم أشد أمتي حياء عثمان بن عفان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله أوحى
 الى أن أزوج كرميتى يعنى رقية وأم كلثوم من عثمان وقال صلى الله عليه وسلم ان عثمان حبيبي
 تستحي منه الملائكة وقال صلى الله عليه وسلم انما نشبه عثمان بأبينا ابراهيم وقال صلى الله عليه
 وسلم ما زوجت عثمان بأمر كلثوم الا بوحى من السماء وقال صلى الله عليه وسلم لعثمان يا عثمان
 هذا جبريل يخبرني أن الله قد زوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها وأخرج
 الترمذى عن عبد الرحمن بن خباب قال شهدت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحث على جيش
 العمرة فقال عثمان بن عفان يا رسول الله على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم
 حض على الجيش فقال عثمان يا رسول الله على مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم
 حض على الجيش فقال عثمان يا رسول الله على ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله
 فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا عثمان ما فعل عثمان فقال عثمان يا رسول الله
 ابن عمرة قال جاء عثمان الى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار حين جهز جيش العمرة فنزل
 في حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم ما ضر
 عثمان ما عمل بعد اليوم وفي رواية عن حذيفة رضى الله عنه انها عشرة آلاف دينار فجعل
 النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها ويقول غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن الى
 يوم القيامة ما يبالي عثمان ما عمل بعدها وأخرج الواحدى ان الله أنزل بسبب ذلك في حق عثمان
 رضى الله عنه الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم
 أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه
 قال ارتقت النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من أول الليل الى أن طلع الفجر يدعوا لعثمان بن
 عفان يقول اللهم عثمان بن عفان رضيت عنه فارض عنه فما زال رافعا يديه حتى طلع الفجر
 واخرج البغوى عن جابر بن عطية رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله
 لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما أبديت وما هو

كأن إلى يوم القيامة وأخرج الإمام أحمد عن أم عمرو بنت حسان وكانت امرأة صدق قالت سمعت أبي يقول إن عثمان جهز جيش العسرة مرتين ولما أمر صلى الله عليه وسلم ببكة الرضوان كان عثمان رسول النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة فبايع الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله فضرب باحدى يديه على الأخرى نيابة عنه فكانت يدرسون الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم وأخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنية فقال يقتل فيها هذا مظلوما لعثمان رضي الله عنه وأخرج الترمذي وابن ماجه الحاكم وصححه عن مرة بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فنية يقربها رجل متنع في ثوب فقال هذا يومئذ على الهدى فقامت إليه فاذا هو عثمان بن عفان فأقبلت إليه بوجهي فقلت هذا قال نعم وأخرج الترمذي إن النبي صلى الله عليه وسلم قال عثمان إن الله مقمصك قيصا فإن أراذك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني فلما حصره منافقون وأرادوا منه أن يخلع نفسه امتنع لهذا الحديث وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى عهدا فانا صابر عليه وروى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال اشترى عثمان الجنة من النبي صلى الله عليه وسلم مرتين حين خفر بئر رومة وحين جهز جيش العسرة ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة لم يكن بها ماء مستعذب غير بئر رومة فقال صلى الله عليه وسلم من يشتري بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشترها عثمان رضي الله عنه بخمسة وثلاثين ألف درهم وجعلها للمسلمين وكانت بقعة إلى جنب المسجد فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يشتريها ويوسعها في المسجد فله مثلها في الجنة فاشترها عثمان رضي الله عنه بعد ذلك فوسعها في المسجد وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله عثمان تستحييه الملائكة ويجهز جيش العسرة وزاد في مسجدنا حتى وسعنا وعن أبي الفرات قال كان لعثمان رضي الله عنه عبد فقال له يوما إن كنت عرفت ^{الجنة هو المذبح} أن يفعل فأتخذ بأذنه ثم قال قصاص في الدنيا لا قصاص في الآخرة وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه وزن إيمان عثمان بن الخطاب فرجحهم وأخرج الطبراني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أني وضعت في كفة وامتى في كفة فعدلتهما ثم وضع أبو بكر في كفة وامتى في كفة فعدلتهما ثم وضع عمر في كفة وامتى في كفة فعدلتهما ثم وضع عثمان في كفة وامتى في كفة فعدلتهما وأخرج ابن عساکر عن عائشة رضي الله عنها قالت والله ما قال أبو بكر شعرا قط في جاهلية ولا اسلام واقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية وأخرج ابو نعیم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعصمة بن مالك اذا انامت وابوبكر وعمر وعثمان فان استطعت ان تقوت فت وروى ابن عساکر عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقامت بعدى في الجنة والذي يقوم بعده في الجنة والثالث والرابع في الجنة وروى ابن عساکر ايضا عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اربعة لا يجتمع حبهم في قلب منافق ولا يحبهم الا مؤمن أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وأتى صلى الله عليه وسلم مرة لجنزة رجل فلم يصل عليها فقليل له يا رسول الله ما نراك تركت الصلاة على

احد قبل هذا فقال انه كان يبغض عثمان فأبغضه الله عز وجل وروى الامام احمد و البخاري وغيرهما عن انس رضي الله عنه قال صعد النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر و عثمان احدا فرجف بهم فضر به النبي صلى الله عليه وسلم برجله وقال اثبت احد فاما عليك نبي وصديق وشهيدان وتكرر مثل ذلك وهو على حراء وعلى ثبير وعن أبي ذر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض حصيات فسبحن في يده حتى سمع لهن حنينا كحنين النحل ثم ناولهن أبا بكر فسبحن في يده وكذا في يد عمر و عثمان ثم دفعهن اليها فلم يسبحن مع احد منا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله افترض عليكم حب أبي بكر وعمر و عثمان وعلى كما افترض الصلاة والزكاة والصوم والحج فمن أنكر فضلهم فلا تقبل منه الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج وقال صلى الله عليه وسلم لا نبي موسى بشر عثمان بالجنة على بلوى تصيبه فلما أخبره قال الله المستعان وروى الشافعي بسنده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت أنا وأبو بكر وعمر و عثمان وعلى أنوارا على عرش قبل أن يخلق آدم بألف عام وأصاب الناس مجاعة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فجاءت غير من الشام لعثمان رضي الله عنه فباعوا وزيتا وزبينا وكانت ألف بعير فأعطاه التجار لكل درهم خمسة دراهم فقال ان الله أعطاني لكل درهم عشرة أشهدكم أني جعلت ما جلت هذه العير صدقة لله تعالى قال الزهري كان عثمان رضي الله عنه أحب الى قریش من عمر بن الخطاب لأن عمر كان شديدا عليهم فلما وليهم عثمان لان لهم ووصلهم وكان عثمان رضي الله عنه حلما سخيا محببا الى قریش حتى كان يقال أحبك والرحن حب قریش لعثمان و كان لعثمان رضي الله عنه على طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه خمسون ألفا فقال له يوما قد تهيأ مالك فأقبضه قال هو لك معونة على مروءتك وكان رضي الله عنه شديد الشفقة على رعيته قال سليمان بن موسى دعى عثمان الى قوم كانوا يبيعون امر قبيح فخرج اليهم فوجدهم قد تفرقوا ورأى امرا قبيحا فحمد الله اذ لم يصادفه مرة رقية كفارة لقيامه وخروجهم وكان يقول يا ليتني اذا مت لم أبعث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عثمان انك ستبلى بعدى فلا تقا تل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يموت عثمان يصلى عليه ملائكة السماء ودخل عثمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت ركبته صلى الله عليه وسلم بادية فقطها فقبل له دخل عليك أبو بكر وعمر وعلى فلم تغطها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأستحي من استحييت منه الملائكة وكان رضي الله عنه يقال له ذوالنورين لانه تزوج بنتي النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعلم احد أرسل ستر على ابنتي نبي غيره زوجته ابنته رقية فلما ماتت زوجها أم كلثوم فلما مات قال لو كان عندي ثالثة لزوجتكها وعن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو أن لي أربعين بنتا لزوجت عثمان واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة وقال صلى الله عليه وسلم انما تشبه بأبينا ابراهيم عليه السلام وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بي عثمان وعندي ملك من الملائكة فقال شهيد يقتله قومه انا نستحي منه وفي رواية عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ان الملا ثكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله وروى الامام احمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقتل هذا مظلوما وأشار الى عثمان رضى الله عنه وروى ابن عساکر عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله سيفا مغودا في غمده مادام عثمان حيا فاذا قتل عثمان جرد ذلك السيف فلم يغمد ذلك السيف الى يوم القيامة وفي الشفا للقاضي عياض انه صلى الله عليه وسلم قال يقتل عثمان وهو يقرأ في المصحف وان الله عسى ان يلبسه قيصا وانهم يريدون خلعه وانه يسيل دمه على قوله تعالى فسيكفيمهم الله وهو السميع العليم ولما حصروه استأذنه جماعة من الصحابة انهم يقاتلونهم فأبى ومن استأذنه ليقاتلهم على بن أبي طالب رضى الله عنه وعبد الله بن عمر وأبو هريرة رضى الله عنهم فامتنع أن يأذن لهم وكان على رضى الله عنه يلعن قتلة عثمان ويقول اللهم انى ابرأ اليك من دم عثمان ولقد طاش عقلى يوم قتل عثمان وكان على رضى الله عنه يقول أيضا والله الذى لا اله الا هو ما قتلت عثمان ولا ماليت ولقد نبيت فعضونى وعن عبد الله بن عامر رضى الله عنه قال كنت مع عثمان يوم الدار فقال أعزم على كل من رأى أن لى عليه سمعا ساعة ان يكف يده ويلقى سلاحه فألقى القوم اسلحتهم وقال سمرة ان الاسلام كان فى حصن حصين وانهم ثلوا فى الاسلام ثلثة عظيمة يقتلهم عثمان لا تنسند الى يوم القيامة واخرج ابن عساکر عن عبد الرحمن بن مهدى قال خصلت ان لثمان ليستا لأبى بكر ولا لعمر صبره على نفسه حتى قتل وجمعه الناس على المصحف وكان له عبيد عشرون حملوا السلاح ليقاتلوا عنه يوم حصر فنعهم وقال من ألقى السلاح فهو حر لوجه الله تعالى فامتنعوا من القتال وألقوا السلاح ولما قتل رضى الله عنه فقتلوا خزائنه فوجدوا فيها صندوقا مقفلا ففتحوه فوجدوا فيه ورقة مكتوب فيها هذه وصية عثمان بن عفان يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الله يبعث من فى القبور اليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف اليعاد عليها تحيا وعليها نموت وعليها نبعث ان شاء الله من الامنين وأخرج الحاكم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه المذهب الحق بعثمان رضى الله عنه بايعنا خير من بقى وعن يزيد بن أبى حبيب قال بلغنى ان عامة الركب الذين ساروا الى عثمان وحاصروه جنوا وعن حذيفة رضى الله عنه ان أول الفتن قتل عثمان وآخر الفتن خروج الدجال والذى نفسى بيده لا يموت رجل وفى قلبه مثقال حبة من حب قتلة عثمان الا تبع الدجال ان أدركه وان لم يدركه آمن به فى قبره وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لولم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بحجارة من السماء وقال ابن عباس أيضا لو أمطرت السماء دما لقتل عثمان لكان قليلا له وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول ليغلبن معاوية واصحابه عليا واصحابه لأن الله تعالى يقول ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا وكانت آخر خطبة خطبها عثمان رضى الله عنه ايها الناس ان الله انما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة فلم يعطكموها لتركبوا اليها ان الدنيا تقنى والآخرة تبقى لا تبترنكم الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية فأثروا ما سبق على ما يقضى فان الدنيا منقطعة وان المصير الى الله اتقوا الله فان تقواه جنة من بأسه ووسيلة عنده واحذروا

من الله الغيرة والزمو باجاعتكم ولا تكونوا أخدانا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا قال عبدالله بن سلام أتيت أخى عثمان وهو محصور لاسلم عليه فدخلت عليه فقال مرحبا بأخى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة في هذه الخوخة وهى خوخة فى البيت فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم فأدلى الى دلو فيه ماء فشربت حتى رويت حتى انى لأجد برده بين يدي وبين كتفى وقال لى ان شئت نصرت عليهم وان شئت أفطرت عندنا فاخترت أن أفطر عنده فقتل ذلك اليوم رضى الله عنه وقال عبدالله بن سلام لمن حضر تشحط عثمان فى الموت حين جرح ماذا قال عثمان هو يتشحط قالوا سمعناه يقول اللهم اجعامة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثا فقال ابن سلام والذى نفسى بيده لود ما الله ان لا يجتمعوا ابدا ما اجتمعوا الى يوم القيامة وعن ثمامة بن حزن النخسرى قال شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان فقال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بهاء ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري رومة يجعل دلوها مع دلاء المسلمين بخير له منها فى الجنة فاشتريتها من صلب مالى فأنتم اليوم تمنعوننى أن أشرب منها ومن ماء البحر قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أنى جهزت جيش العسرة من مالى قالوا نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن المسجد كان قد ضاق بأهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيريدها فى المسجد بخير منها فى الجنة فاشتريتها من صلب مالى فأنتم اليوم تمنعوننى أن أصلى فيها ركعتين قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على شبر بمكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت ججارتها بالحضيض قال فركنه برجله وقال اسكن شبرفا عليك الانبى وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله وكم شهدوا لى ورب الكعبة انى شهيد وروى عن شيخ من ضبة ان عثمان رضى الله عنه حين ضرب والدماء تبيى على الحنية جعل يقول لا اله الا انت سبحانك لىفون كنت من الظالمين اللهم انى أستعديك عليهم وأستعينك على حتى يمورى وأسألت انصبر على ما ابتليتنى قال المحب الطبرى فى الرياض النضرة ان الشيعة اختلفوا أشياء جعلوها طعنا فى عثمان رضى الله عنه وهو برى منها فمنها انهم قالوا انه زوج ابنه بابة الحارث بن الحكم وأعطاه مائة الف من بيت المال فقد كذبوا فى ذلك فانه انما أعطى ذلك من ماله لامن بيت المال وهو مشهور بالغنا قبل ان يلى الخلافة وقالوا ايضا أنكح ابنته أم أبان من مروان وأعطاه مائة الف من بيت المال وذلك ايضا كذب محض بل انما كان ذلك من ماله وقالوا ايضا انه أعطى الحارث بن الحكم عشور أسواق المدينة وذلك ايضا غير صحيح وانما الصحيح أن الحارث المذكور جعله عثمان رضى الله عنه محتسبا على السوق ليحافظ الأسواق كى لا يقع التطفيف والخيانة والجور فى المكاييل والموازين فقام بالامر يومين او ثلاثة فاشتكى اهل المدينة منه وقالوا انه كان يشتري النوى ويمنع غيره من شرائه فلا يحصل من النوى شىء لابل المسلمين فعزله عثمان رضى الله عنه فورا ووبخه واى عيب يعود على عثمان رضى الله عنه من ذلك بل هو عين الانصاف والعدل فان عزله له كان بمجرد سماع الشكاية مع انه من قرابته وعابوا عليه ايضا انه لى بعض اقاربه ولايات وذلك لا يعاب عليه فيه

لانه كان باجتهاد منه وطلبنا لظاهر العدل لانه رأى أن أقاربه يعينونه على اظهار العدل
واقامة الحق وهكذا جميع الاشياء التي عابوه بها كلها كانت باجتهاد منه وله فيها أعذار
ومخارج تدل على أنه إنما أراد بذلك العدل واطهار الحق وكلها مبسوطة في كتب اهل السنة
ولما حصروه المنافقون وقتلوه بايع الناس بعده على بن أبي طالب رضى الله عنه وبايعه ايضا
القوم الذين حصروا عثمان وقتلوه فوقعت الفتنة بين الصحابة رضى الله عنهم لذلك فقال
الذين امتنعوا من بيعته لانبايعك حتى تعطينا قتلة عثمان نقتص منهم فقال على رضى الله عنه
بايعوني أولا ثم بعد ذلك تتبع قتلة عثمان فن ثبت عليه شرعا موجب القصاص نقتص
منه واما الاقتصاص منهم قبل دخولكم في البيعة فانه عسر جدا لان لهم قبائل وعشائر
يتعصبون لهم فتنتشر الفتنة وتزداد هذا هو السبب في الاختلاف الذي وقع بينهم فنشأ عنه
وقعة الجمل ووقعة صفين وتمسك كل من الفريقين بحججه وأدلة وتعارضت الأدلة عند بعضهم
فاعتزلوا الفريقين منهم سعد بن ابى وقاص وعبد الله بن عمر واسامة بن زيد ومحمد بن سلمة
والنفقة بن شعبة رضى الله عنهم وبقي الامر مشتبها بين الناس الى زمن الأئمة الاربعة فنظروا
في الأدلة التي تمسك بها كل فريق فظهر لهم واتضح تصويب اجتهاد على رضى الله
عنه واختصة اجتهاد غيره لكن لما كان ذلك الخطا ناشئا عن اجتهاد لم يأثموا به لقول النبي
صلى الله عليه وسلم من اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله اجر واحد فلا
سبيل الى الحكم بتأنيم احد منهم فلذلك كان مذهب اهل السنة السكوت عما جرى بين الصحابة
رضى الله عنهم وتاويله وحمله على أحسن المحامل تحسينا للظن بهم لان الله تعالى أثنى عليهم
وشهد لهم بالصدق وأخبر بانهم رضى الله عنهم ورضوا عنه وكذلك جاء عن النبي صلى الله عليه
وسلم في احاديث كثيرة فالقدح فيهم يوجب تكذيب الآيات القرآنية والاحاديث النبوية
ويوجب ايضا الحكم عليهم بالفسق فيستلزم ذلك اسقاط ما جاء عنهم من السنة والتشريع
الذي نقلوه عن النبي صلى الله عليه وسلم ~~فلا يثبت لهم ذلك~~ ابطال الشريعة بخلاف ما اذا حل
لما وقع منهم على الاجتهاد الذي لا اثم فيه فذهب اهل السنة هو المذهب الحق ~~الذي لا يثبت لهم ذلك~~ من العدل
عنه فقد زاغ وضل ومن تمسك به فقد نجح ومما يؤيد مذهب اهل السنة ان عليا رضى الله
عنه سأله ابو سلامة الدلاني عن القوم الثأرين لطلب قتلته فقال أ ترى لهؤلاء القوم حجة فيما
طلبوا من هذا الدم ان كانوا أرادوا الله بذلك قال نعم قال أف ترى لك حجة بتأخير ذلك قال نعم
ان الشيء اذا كان لا يدرك ان الحكم فيه أخوطة وأعمه نفعا قال فاحلنا وحالهم ان ابتلينا غدا
قال اني لا أرجو أن لا يقتل منا ومنهم احد نقي قلبه الله الأ أدخله الله الجنة واستشهد سيدنا
عثمان رضى الله عنه لثمانى عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين يوم الجمعة وقيل
كان قتله أيام التشريق وكانت خلافه تسع عشرة سنة الاثني عشر يوما وكان عمره اثنتين وثمانين
سنة وقيل ثمانية وثمانين وقيل تسعين وقصة حصاره وقتله طويلة مبسوطة في التواريخ
لا حاجة لنا بذكرها والله سبحانه وتعالى أعلم

ذكر ما كان لسيدنا على بن ابى طالب رضى الله عنه من الاقتصاد في الدنيا وحسن السيرة
كان على رضى الله عنه شديد الزهد في الدنيا بل قال عمر بن عبد العزيز ان على بن ابى طالب

رضي الله عنه كان أزهد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا وكذا قال سفيان بن عيينة
 وكان رضي الله عنه عادلا في بيت المال لا يأخذ منه الا بقدر حاجته وقد شهد له النبي صلى الله
 عليه وسلم بالزهد في الدنيا وان الله زينته بذلك فقد روى عمار بن ياسر رضي الله عنهما
 عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي رضي الله عنه ان الله قد زينك بزينة لم يزين العباد
 بزينة أحب منها هي زينة الأبرار عند الله تعالى الزهد في الدنيا فجعلك لا ترزأ من الدنيا ولا ترزأ
 الدنيا منك شيئا وحبب اليك المساكين فجعلك ترضى بهم اتباعا ويرضون بك اماما واخرج
 الامام احمد عن علي بن ابي ربيعة ان عليا رضي الله عنه جاءه ابن التياح فقال يا أمير المؤمنين
 امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء فقال الله اكبر ثم قام متوكيا على ابن تياح حتى قام على المال
 فنودي في الناس فأعطى جميع ما في بيت المال وهو يقول يا صفراء يا بيضاء غري غري هاوها
 حتى ما بقي منه دينار ولا درهم ثم امر بنصفه وصلى فيه ركعتين وفي رواية رواها الامام احمد
 ايضا ان عليا رضي الله عنه دخل بيت المال فرأى فيه شيئا فقال لا أرى هذا ههنا وبالناس
 اليه حاجة فأمر به فقسم وأمر بالبيت فكس ثم نضح فصلى فيه رجاء ان يشهد له يوم القيامة
 وكان ابورافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم خازنا لعلي رضي الله عنه على بيت المال
 قال فدخل على يوما وقد زينت ابنته فرأى عليهاؤلوة كان قد عرفها لبيت المال فقال من اين
 لهما هذه لا قطعن يدها فلما رأى ابورافع جده في ذلك قال انا والله يا أمير المؤمنين زينتها بها فقال
 علي لقد تزوجت بفاطمة ومالي ولها فراش الاجلد كبش نائم عليه بالليل ونعلف عليه
 ناضحا بالنهار ومالي خادم غيرها وقال هارون بن عنتره عن ابيه قال دخلت على علي بالخورنق
 في فصل الشتاء وعليه خلق قطيفة فقلت يا أمير المؤمنين ان الله قد جعل لك ولاهلك في هذا
 المال نصيبا وانت تفعل هذا بنفسك فقال والله ما ارزأكم شيئا وما هي الا قطيقتي التي خرجت
 بهامن المدينة وقال يحيى بن سلمة استعمل علي عمرو بن سلمة على اصبهان فقدم عليه مال يزقاق
 فيها عسل وسمن فارسلت ام كلثوم بنت عليهم اني رضي الله عنه الى عمرو تطلب منه عسلا
 فارسل اليها فظرف عسل وظرف سمن قال اني لما كان الغد خرج علي واحضر المال والعسل
 ليقسم فعد الزقاق فنبقت زقين فسأله عنهما وهو ربي وقال نحن نخرجهما فعزم عليه ألا
 ذكرهما له فاخبره فارس الى ام كلثوم فاخذ الزقين منها فراهما قد نقصا فأمر التجار بتقويم
 ما نقص منهما فكان ثلاثة دراهم فارسل اليها فاخذها منها ثم قسم الجميع وقال عاصم بن كليب
 عن أبيه قدم علي على مال من اصبهان فقسمه على سبعة اسهم فوجد فيه رغيفا فقسمه على سبعة
 ودعا امراء الاسباع فاقرع بينهم لينظر ايهم يعطى اولا وقال سفيان ان عليا لم يبن آجرة
 على آجرة ولا لبنه على لبنه ولا قصبة على قصبة وان كان ليؤتي بحبوبة من المدينة في جراب
 من ارض كانت تزرع له واخرج يوما سيفاله الى العموق فباعه وقال لو كان عندى اربعة
 دراهم ثمن ازار لم أبعه وعن ابي حيان التميمي عن ابيه قال سمعت علي بن ابي طالب ورأيت وهو
 يقول على المنبر من يشتري مني سيفي هذا فليؤك كان معي ثمن ازار ما بعته فقام اليه رجل
 فقال اسلفتك ثمن ازار ولعل هذه مرة اخرى غير المرة التي باع فيها سيفه بالسوق وكان
 رضي الله عنه يقول انما أحفظ المال للمسلمين وكان لا يشتري ممن يعرفه واذا اشترى قيصا قدر

كنه على طول يده وقطع الباقي ويقول الحمد لله الذي كسانى هذا من فضله وعن عبد الله بن
 ابي الهذيل قال رأيت عليا رضى الله عنه خرج وعليه قميص غليظ اذا مكن قميصه بلغ الظفر
 واذا أرسله صار الى نصف الساعد وفي رواية رأيت علي بن ابي طالب رضى الله عنه يخرج
 من مسجد الكوفة وعليه قطريان متر بواحد ومرتد بالآخر وازاره الى نصف الساق وهو
 يطوف بالاسواق ومعه درة يأمرهم بتقوى الله وصدق الحديث وحسن البيع ووفاء الكيل
 وعن ابي سعيد الازدي قال رأيت علي بن ابي طالب رضى الله عنه في السوق وهو يقول
 من عنده قميص يباع بثلاثة دراهم فقال رجل عندى بقاء به فأعجبه ثم لبسه فاذا هو يفضل
 عن اطراف اصابعه فأمر به فقطع ما يفضل من اطراف اصابعه وعن ابن عباس رضى الله
 عنهما قال اشترى علي بن ابي طالب قميصا بثلاثة دراهم وهو خليفة فقطع كفيه من موضع
 الرسغين وعن أم سلامة رضى الله عنها وقد سألت عن لباس علي رضى الله عنه فقالت
 كان لباسه الكرايس السيلانية والكرايس ثياب غليظة من القطن وغيره وعن زيد بن وهب
 ان الجعد بن بجة عاتب عليا رضى الله عنه في لبوسه فقال مالك ولمبوسى هذا اعد من
 الكبر وأجد ران يقتدى به المسلم وقيل لعلى رضى الله عنه لما ترقع قميصك قال يخشع القلب
 ويقتدى به المؤمن وكان رضى الله عنه يختم على الجراب الذى فيه دقيق الشعير الذى يأكل
 منه ويقول لا أحب أن يدخل بطنى الا ما أعلم وقال الشعبي وجد علي رضى الله عنه درعاه
 عند نصراني فأقبل به الى قاضيه شريح وجلس الى جانبه وقال لو كان خصمى مسلما ساوته
 فى المجلس وقال هذه درعى فقال النصراني ما بهى الادرعى ولم يكذب امير المؤمنين فقال
 شريح لعلى ألك بينة قال لا وهو ينحك وقيل انه استشهد بابنه الحسن ومولاه قنبر فلم يقبل
 شريح شهادتهما لكون الحسن ابنه وقنبر مولاه فأخذ النصراني الدرع ومشى يسيرا ثم عاد
 وقال أشهد ان هذه احكام الانبياء ا لوؤمنين قدمنى الى قاضيه وقاضيه يقضى عليه ثم أسلم
 واعترف ان الدرع سقطت من على عند مكعبه الى صفين ففرح علي باسلامه ووهب له
 الدرع وفرسا وشهد معه قتال الخوارج ورأى رضى الله عنه وهو يجلس فى ملحفته
 را قد اشتراه بدرهم فقبل له يا امير المؤمنين انك عنك فقال أبو العيال أحق بحمله وفى
 رواية ما ينقص الكامل من كاله ماجر من نفع الى عياله وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم
 مثل ذلك فكان يشتري الشئ فيحمله الى بيته بنفسه فيقول صاحبه أعطني أحله فيقول
 صاحب الشئ احق بحمله وكان الحسن بن علي رضى الله عنهما يمر وهوراكب على بغلته
 السؤال وبين أيديهم كسرفيقولون هلم الى الغدا يا ابن رسول الله فكان ينزل ويجلس على
 الطريق ويأكل معهم ثم يركب بغلته ويقول ان الله لا يحب المستكبرين وقال الحسن بن صالح
 تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز فقال عمر أزهى الناس فى الدنيا علي بن ابي طالب رضى
 الله عنه وكان رضى الله عنه يقول لعمر بن الخطاب ان اردت ان تلحق بصاحبك فاقصر الامل
 وكل دون الشعب وارفع القميص والبس الازار واخفف النعل تلحق بهما ولما سئل فى خلافة
 عمر رضى الله عنه عما يستحقه الخليفة فى بيت المال فقال ما يشبعه وأهله غداء وعشاء وما
 يكسوه وأهله ضيفا وشتاء من أوسط القوت والكسوة لامن أعلاها ولا من ادناها فعمل عمر

رضي الله عنه بما قال على رضي الله عنه فلما صارت الخلافة لعلي رضي الله عنه عمل بذلك ايضا
وأخرج الامام أحمد عن عبد الله بن زريق قال دخلت على علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وهو امير المؤمنين يوم عيد الاضحى فقبلنا خزيمة فقلت اصلحك الله لو قربت لنا من
هذا البط يعني الاوز فان الله قد كثرا الخير فقال يا ابن زريق سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا يحل لخليفة من مال الله الا قصعتان قصعة يأكلها هو وأهله وقصعة يضعها بين
يدي الناس والخزيمة لحم يقطع صغارا على ماء كثير فاذا نضج ذر عليه الدقيق فان لم يكن
فيه لحم فهو العصيدة وعن ذادان قال رأيت عليا رضي الله عنه وهو امير المؤمنين يمشي في
الاسواق فيمسك الشسوع بيده فيناول الرجل الشسع ويرشد الضال ويعين الجمال على
الحمولة وهو يقرأ هذه الآية تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض
ولا فسادا والعاقبة للمتقين ثم يقول هذه الآية نزلت في ذوى القدرة من الناس وعن ابي مطر
البصري انه شهد عليا رضي الله عنه أتى صاحب قر وجارية تبكي عند التمار فقال ماشئتك
فقال باعني تمرا بدرهم فرده مولاي فأبى ان يقبله فقال يا صاحب التمر خذ تمرك وأعطها
درهمها فانها جارية وليس لها أمر فدفع عليا فقال المسلمون أتدري لمن تدفع قال لا قالوا
أمير المؤمنين فصب تمراها وأعطاها درهمها وقال لعلي رضي الله عنه أحب أن ترضى عني
فقال ما ارضاني عنك اذا دفعت للناس حقوقهم رواه الامام أحمد ك الذي قبله وكان
على رضي الله عنه يقسم بيت المال في كل جمعة حتى لا يبقى منه شيئا ثم يرش له ويصلي فيه
ثم يقبل فيه وكان اذا دخل بيت المال ونظر الى ما فيه من الذهب والفضة يقول يا بيضاء
يا صفراء غري غري قد طلقناك ثلاثا وأنى على رضي الله عنه بفالودج فوضع قدمه فقال
انه لطيب الريح حسن اللون طيب الطعم ولكنى أكره ان أعود نفسى مالم تعتدولم يأكل منه
وقصة مفارقة أخيه عقيل له ولحقه معاوية مشهورة . اها كثير من الحديثين بألفاظ مفارقة
ففي رواية انه كان يعطيه من الشهر كل يوم ما يكفي عياله فاشتبه عليه اولاده من يسا
فصار يوفى كل يوم شيئا قليلا حتى اجتمع ما اشترى به سمنا وتمرا وصنع لهم فدعوا سائلا
اليه فلما جاء وقدم له ذلك سأل عنه فسر . ذلك فقال او كان يكفيكم ذلك بعد الذي
عزاتم منه قالوا نعم فنقص مما كان يعطيه مقدار ما كان يعزل كل يوم وقال لا يحل لي ازيد من ذلك
فغضب عقيل فخمى له حديدة وقربها من خده وهو غافل فتأوه فقال تجزع من هذه وتعرضني
لنارجهم فقال اذهب الى من يعطيني برا ويطعمني ثمرا فلحق معاوية وقد قال معاوية يوما لولا
علم باني خير له من أخيه ما أقام عندنا وتركه فقال له عقيل أخى خير لى في دينى وانت خير لى
في دنياى وقد آثرت دنياى وأسأل الله خاتمة خير وأخرج ابن عساكر ان عقيل سأل عليا فقال
انى محتاج وانى فقير فأعطني قال اصبر حتى يخرج عطاؤك مع المسلمين فأعطيك معهم فألح
عليه فقال على لرجل خذيده وانطلق به الى حوانيت أهل السوق فقل له دق على هذه
الا فقال وخذ ما في هذه الحوانيت فقال عقيل تريد ان تتخذنى سارقا فقال على وانت تريد
ان تتخذنى سارقا ان آخذ اموال المسلمين فأعطيكها دونهم قال لا تين معاوية قال انت وذاك
فأتى معاوية فسأله فأعطاه مائة الف ثم قال اصعد المنبر فاذا بكما أولاك به على وما أوليتك

فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس اني اخبركم اني أردت معاوية على دينه
 فاختراني على دينه وفي رواية ان عقيلاً رضي الله عنه لزمه دين فقدم على صلى الله
 عنه بالكوفة فأنزله وامر ابنه الحسن فكساه فلما أمسى دعا بعشائه فاذا خبر وملح وبقل
 فقال عقيل لعلي رضي الله عنه ما هو الامأري فقال علي هو الامأري قال أنتقضي ديني قال وكم
 اليك قال أربعون الفا قال علي ما هي عندي ولكن اصبر حتى يخرج عطائي فأدفعه اليك
 فقال له عقيل بيوت المال بيدك وانت تسوفني بخروج عطائك قال علي أفتأمرني أن أدفع
 اليك اموال المسلمين وقد اتهموني عليها قال فاني آتي معاوية فاذن له فاني معاوية فاعطاه خسين
 الفا ثم خسين الفا حتى كملت مائة الف وجلس اياما عند معاوية ثم رجع الى أخيه على
 رضي الله عنهم وحضر مع معاوية وقعة صفين ولم يقاتل ولم يترك نصيح أخيه والتعصب له
 وكان سريع الجواب روى ان معاوية قال يوم صفين لانبأى وأبو يزيد معنا يعني عقيلاً فقال
 عقيل وقد كنت معكم يوم بدر فلم أغن عنكم من الله شيئاً وله في سرعة الجواب اخبار كثيرة
 وكان على رضي الله عنه بعد نهب الدار عند مقتل عثمان يتحري في ما كله غايصة التحري
 خوفاً من ان يدخل في بطنه حرام فكان لا يأكل طعاماً الا محتوماً حذراً من الشبهة وكان
 على رضي الله عنه يقول أتدرون علي من حرمت النار قالوا الله ورسوله اعلم فقال علي الهين
 الذين السهل وكان يقول ومن موجبات الغفران بذل السلام وحسن الكلام ودخل رسول
 الله صلى الله عليه وسلم علي علي رضي الله عنه وهو مريض فقال له قل اللهم اني اسألك
 بتجمل عافيتك او صبرا على بليتك او خراجاً من الدنيا الى رحمتك فانك ستعطي احداهن
 ورأى علي رضي الله عنه مرة رجلين يقتتلان ففرق بينهما ثم مضى فسمع صوتاً يا غوثاه
 فقصده الصوت وهو يقول اناك الغوث فاذا رجل يلزم رجلاً فقال يا امير المؤمنين بعث هذا
 ثوباً بسبعة دراهم وشرطت عليه ان لا يعطيني مغموزاً ولا مقطوعاً وكان ذلك شرطهم يومئذ فاناني
 به لدراهم فابتدوا لزمته فلطمني فقال للاطم ما تقول فقال صدق يا امير المؤمنين قال اعطه
 فاعطاه وقال للملطوم اقتص قال أو اعفو يا امير المؤمنين قال ذاك اليك ثم قال يا معشر المسلمين
 هذه فحمل علي ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتاب ثم ضربه خمس عشرة ذرة وقال
 هذا نكال لما انتهكت من حرمة وكان رضي الله عنه يقول لاشيء احب الى الله تعالى من عدل
 امام ورقة ولا شيء ابغض اليه من جوره وخرقه وكان رضي الله عنه يقول اصعب المعروف
 في أهله وفي غير أهله فان اصبت أهله فهو أهل وان لم تصب أهله فانت من أهله وقال رضي
 الله عنه رأس العقل بعد الدين التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر وقال علي
 رضي الله عنه شيع يحيى بن زكريا عليهم السلام من خبر شعير فنام عن ورده حتى اصبح فاوحى الله
 به يا يحيى وجدت دار اخيرالك من دارى أو وجدت لك جواراً خيراً من جوارى فوعزنى
 وجلالى يا يحيى لو اطلعت الى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهدت نفسك اشتياقاً
 لو اطلعت الى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبيكيت الصديد بدل الدموع وللبست الجلد
 المسوح وقال علي رضي الله عنه ان الله أخذ على أئمة الهدى ان يكونوا في مثل أدنى
 سوال الناس ليقبلى بهم الغنى ولا يزرى بهم الفقر ولما عوتب في خشونة لباسه قال

هو أقرب إلى التواضع وأجدر أن يقنّدي به المسلم وقال إن لله تعالى عبادا يسوا بالمتنعين
 بن عبيد وهو وإلى مصر اشعث حافيا فقيل له أنت الأمير وتفعل هذا فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الارتفاع وأمرنا أن نخشى أحيانا وقال علي لعمر رضى
 الله عنها إنما أردت أن تلحق بصاحبك فارقع القميص ونكس الأزار واخصف النعل وكل دو
 الشعب وقال رضى الله عنه اخشوا واياكم وزى العجم كسرى وقبصر وقال رضى الله
 عنه من زيارى قوم فهو منهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من شر أراقتى الذين
 غذوا بالنعيم يطلبون الوان الطعام والوان الثياب ويشدقون في الكلام وكان علي رضى الله عنه
 أصغر أولاد أبي طالب الأربعة في السن وأفضلهم قدرا وهم طالب وعقيل وجعفر كان طالب أسن
 من عقيل بعشر سنين وكان عقيل أسن من جعفر بعشر سنين وجعفر أسن من علي بعشر سنين وبعضهم
 قدم جعفر على عقيل فقال إن جعفر أسن من عقيل بعشر سنين أما علي وجعفر وعقيل واختاهم فاختة
 وحانة وقيل جنانة بالجيم وكلهم لام وأباهم فاطمة بنت أسد بن هاشم وأبوهم أبو طالب بن عبد
 المطلب بن هاشم وفاخته اسمها هند وتكنى بام هانيء أسلمت وهاجرت رضى الله عنها وكان
 زوجها أبو وهب هبيرة بن عمرو الخزومي مات مشركا وأما جنانة فكانت بعلمها سفيان بن عاصم
 ابن عبد المطلب أسلمت وهاجرت رضى الله عنها وماتت بالمدينة زمن النبي صلى الله عليه وسلم
 فلا خلفاء في أسلافهم وصحبتهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما طالب فلا يعلم له إسلام يقال
 رضى الله عنه أن الجن اختطفته فذهب وكان خرج مع كفار قريش يوم بدر فلم يعلم له خبر وكان علي رضى الله
 عنه قد أعطاه الله علما كثيرا وكشفا غزيرا قال أبو الطفيل شهدت عليا رضى الله عنه يخطب
 وهو يقول سلوني من كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم
 في جبل ولو شئت أوقرت سبعين بعير من تفسير فاتحة الكتاب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
 فيه أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأتته من بابه وقال ابن عباس رضى الله عنهما علم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم الله عليه وسلم من علم الله تبارك وتعالى وعلم علي رضى الله عنه من علم النبي
 صلى الله عليه وسلم وعلي من علم علي رضى الله عنه وما علمي وعلم أصحاب محمد صلى الله عليه
 وسلم في علم علي رضى الله عنه إلا كقطرة في سبعة أبحر ويقال إن عبد الله بن عباس أكثر البكاء
 على علي رضى الله عنه حتى ذهب بصره وقال ابن عباس أيضا لقد أعطى علي بن أبي طالب تسعة
 أعشار العلم وأيم الله لقد شارك الناس في العشر العاشر وكان معاوية رضى الله عنه يسأله ويكتب
 له فيما ينزل به فلما توفي علي رضى الله عنه قال معاوية لقد ذهب الفقه والعلم بموت علي بن أبي طالب
 وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ينعوذ من معضلة ليس لها أبو حسن وسئل عطاء أن كان في
 أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحدا علم من علي قال لا والله ما علمه وفضائله كثيرة قد جدها الناس
 ودونوها وأجمها لنعته ما وصفه به ضرار الصدائى إذ قال له معاوية صف لي عليا فقل
 أعفني يا أمير المؤمنين قال لتصفه قال أما إذا لا بد من وصفه فكان والله بعيد المدى شديد القوى
 يقول فضلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش
 من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته وكان غزير العبرة طويل الفكرة يعجبه من اللباس
 ما قصر ومن الطعام ما خشن كان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه وينبأنا إذا استنبأناه ونحن و

مع تقر به ايانا وقر به منا لا نكاد نكلمه هيبه له يعظم الدين و يقرب المسالك لا طمع القوي
 في باطله ولا يأس الضعيف من عدله أشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أوحى اليه
 سد وله قابضا على خيته يلملح لمل السليم ويكي بكاء الحزين ويقول يادنيا غري غري الى
 تعرضت أم الى تشوفت هيمات قد بابتك ثلاثا لارجعة فيها فعمرك قصير وخطرك فدير
 آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق فبكاء معاوية رضى الله عنه وقال رحم الله
 أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال حزني حزن من ذبح ولدها في
 حجرها وسئل الحسن البصري عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقال كان علي والله سهما
 صائبا من مراحمي الله عز وجل رباني هذه الأمة وذا فضلها وسابقتها وذا قرابتها من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بالنومة عن أمر الله ولا باللومة في دين الله ولا بالسرفه
 في مال الله أعطى القرآن عزائم فقام به رياء موقنة ذاك علي بن أبي طالب رضى الله
 عنه وأعر من مدحه وأخرى من قدحه وكان رضى الله عنه لا يستأثر من القبي بشئ بل يقسم
 ما في بيت المال بين المسلمين ثم يأمر به فيكنس فيصلى فيه رجاء ان يشهد له يوم القيامة
 يكفيه فضلا قول النبي صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه وقوله صلى الله عليه
 وسلم لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وهو أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بعد خديجة وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقيل ابن عشرين وقال عمر ابن الخطاب
 رضى الله عنه أقضنا علي رضى الله عنه وقال ابن مسعود رضى الله عنه أعلم أهل المدينة بالفرائض
 علي بن أبي طالب رضى الله عنه كم لعلي رضى الله عنه من تشويق في العلوم وترقيق وبصر
 بالحساب وتدقيق حتى كأنه ينظر الى الغيب من ستر رقيق وكم من قضية قضاه لما بلغت الى
 النبي صلى الله عليه وسلم أمضاها ورعا تبسم صلى الله عليه وسلم اذ سمعها استصوبا ثم
 انفذها اذ رآها صوبا وكم مسألة بدية دقيقة دقق فيها النظر فأتى بالعبر روى عن زر بن
 حبیش رضى الله عنه قال جلس رجلان يتغديان مع احدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة
 أرغفة فلما وضعا الغداء بين أيديهما مر بهما رجل فسلم فقالا له اجلس للغداء فجلس وأكل
 معهما واستوفوا في أكلهم الارغفة الثمانية فقام الرجل وطرح اليهما ثمانية دراهم وقال
 خذا هذا عوضا مما أكلت لكما ونلت من طعامكما فتنازما فقال صاحب الخمسة الأرغفة
 لي خمسة دراهم ولت ثلاثة فقال صاحب الأرغفة الثلاثة لا أرضى الا أن تكون الدراهم
 بيننا نصفين فترافعا الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقضا عليه قضتهما
 فقال لصاحب الثلاثة قد عرض عليك صاحبك ما عرض وخبره أكثر من خبرك فارض
 بالثلاثة فقال والله لا رضيت منه الا بما الحق فقال علي رضى الله عنه ليس لك في ما الحق
 لا درهم واحد وله سبعة فقال الرجل سبحان الله هو يعرض علي ثلاثة فلم أرض وأشرت
 علي بأخذها فلم أرض وتقول لي الآن انه لا يجب لي في ما الحق الا درهم واحد فعرني
 الوجه في ما الحق حتى أقبله فقال علي رضى الله عنه ليس الثمانية الأرغفة أربعة وعشرين
 لنا أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس ولا يعلم الا أكثر منكم أكلا ولا أقل فتحمّلون في أكلكم
 السواء قال بل قال فأكلت أنت ثمانية أثلاثا وانما لك تسعة أثلاث وأكل صاحبك ثمانية

أثلاث وله خمسة عشر ثلثا أكل منها ثمانية وتبقى سبعة وأكل لك واحدا من تسعة فلك واحد وله سبعة فقال الرجل رضيت الآن ومن كلام علي رضي الله عنه أول ما يرى الحليم من بركة حلمه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل وأما شجاعة علي رضي الله عنه فيكفي في إثباتها مبارزته لعمر بن ود الذي بلغ النامة في الشهرة بالشجاعة وقتله إياه ذكر ابن اسحاق أن عمرو بن ود خرج يوم الخندق فنادى هل من يبارزني فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو مقنع بالحديد فقال أنا له يا نبي الله فقال أنه عمرو اجلس ونادى عمرو ألا رجل يبارزني وهو يؤنهم ويقول أين جنسكم التي تزعمون أن من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون لي رجلا فقام علي رضي الله عنه فقال ألا أبرز يا رسول الله فقال اجلس أنه عمرو ثم نادى الثالثة فقال

- * ولقد بحثت من النداء * بجهمكم هل من مبارز *
- * ووقفت اذ جبن المشـــــــــــــــــجع موقف القرن المناجر *
- * وكذلك اني لم أزل * متمسكا قبل الهزاهز *
- * ان الشجاعة في الفتى * والجلود من خير الغرائز *

فقام علي رضي الله عنه فقال يا رسول الله أنا له فقال أنه عمرو فقال وان كان عمرا فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فثنى اليه حتى أتاه وهو يقول

- * لا تعجلن فقد أتانا * ك مجيب صوتك غير عاجز *
- * ذونية و بصيرة * والصدق منجا كل فائر *
- * اني لارجوان أقـــــــــــــــــسم عليك نائحة الجنائز *
- * من ضربة نجلاء بـــــــــــــــــقي ذكرها عند الهزاهز *

فقال له عمرو من أنت قال أنا علي قال ابن عبد مناف وهو اسم أبي طالب قال أنا علي بن أبي طالب قال غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك فاني أكره أن أهرق دمك فان أباك كان صديقا لي فقال له علي رضي الله عنه لكنني والله ما أكره أن أهرق دمك فغضب عمرو ونزل فسبل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحوه على مغضبا و يروي أنه ما نزل عن فرسه إلا بعد أن قال له علي رضي الله عنه كيف أقاتلك وأنت على فرسك ولكن انزل معي فنزل عن فرسه ثم أقبل نحوه فاستقبله علي رضي الله عنه بدرقته وضربه عمرو وفيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأس علي فشججه وضربه علي رضي الله عنه على جيل العاتق فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير فعرف أن عليا قد قتله ثم أقبل على نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متململ فقال له عمر بن الخطاب هلا سلبته درعه فانه ليس في العرب درع خير منها فقال علي اني حين ضربته استقبلني بسووته فاستحييت أن أسلبه ثم خرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت الخندق فمن هنالم يأخذ علي سلبه وقيل تنزهه عن أخذها وقيل أنهم كانوا في الجاهلية إذا قتلوا القاتل لا يسلبونه ثيابه وكذا قصته عند فتح خيبر لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا عطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار فاعطاه الراية فكان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجت مع علي بن أبي طالب حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيه فلما دنا من الحصر

خرج اليه أهله فقاتلهم فضر به رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فصار في الحصن وكان ذلك الباب من حديد فترس به نفسه فلم يزل في يده وهو يدافع حتى أتاه الله عليه ثم القاه وراء ظهره من يده حين فرغ فكان بعده عنه حين القاه ثمانين شهرا ثم رافع فلقد رايتني في نقرمعي سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فانقلبه وعص جابرانه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون وفي رواية البيهقي فاجتمع عليه بعده سبعون رجلا فكان جهدا أن أعادوا الباب الى مكانه وفي شرح المواقف قال على رضى الله عنه ما فعلت باب خير بقوة جثمانية ولكن بقوة الهية وكان على رضى الله عنه اذا استعمل الفارس قده واذا اعترضه قطه وكانت درعه صدرا بلا ظهر فقبل له في ذلك فقال اذا وايت فلا وايت أى لا رجعت يعنى انه كان لا يولى ظهره ابدا والموئل المرجع وفي حديث آخر كانت ضربات على أبكارا اذا استعمل قده واذا استعرض قطه وقوله أبكارا يقال ضربة بكر أى لاثنين ومن شجاعته رضى الله عنه انه يوم خير قتل أخا مرحب ثم مرحبا وكل منهما كان شجاعا مشهورا وذلك انه بارز أولا أخا مرحب فقتله فخرج اليه مرحب ولم يكن في أهل خير أشجع منه ولم يدر أحد من أهل الاسلام أن يقاومه في الحرب وخرج وهو يقول

قد علمت خير أنى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب
أضرب أحيانا لو حيناً أضرب * اذا الحروب اقبلت تلهب
ان جامى للحمى لا يقرب

وكان قد لبس درعين وتقلد سيفين واعتم بهما متين وابس فوقهن مغفرا وحجرا قد ثقبه قد البيضة على رأسه وله رخ سنانة ثلاث أسنان فبرزله على كرم الله وجهه وهو يقول

أما الذى سميتنى أم حيدره * ضرغام آجام وايت قسوره

وهي رواية بدل هذا المصراع

كليت غابات كربه المنظرة * عبل الذراعين غليظ المقصره
أوفيههم بالصاع كيل السندره

في رواية الكيلكم بالصاع كيل السندره قوله عبل الذراعين أى ضخمهما والمقصرة اصل العنق والسندرة ضرب من الكيل كبير واسم امرأة كانت تباع الخنطة وتوفى الكيل والنكتة في ارتجاز على رضى الله عنه بهذا الرجز ان مرحبا كان قد رأى في المنام ان اسدا يفترس فلعل عليا رضى الله عنه اطلعه الله على رؤيا مرحب فاراد ان يذكر رؤياه ينفذ في قلبه الرعب فلما اختلط أراد مرحب ان يضرب عليا فسبقه على بالسيف ذى الفقار فترس مرحب فوقع السيف على الترس فقده وقد الجر والمغفر والعمايتين فلق هامته حتى أخذ في الأضراس فقتله ثم حمل المسلمون على الكفار وقتلوا نية من رؤسائهم وفر الباقون الى الحصن وتبعهم المسلمون وكان ضرار بن حزة الصدائى من أولياء على رضى الله عنه فكان لما تمت البيعة لمعاوية بنزول الحسن له عن الخلافة رضى الله تعالى عنه تباعد عنه معتزلا يعبد الله تعالى ثم ألجأته ضرورة فوفد على معاوية فقال له معاوية على عليا فقال اعفنى يا أمير المؤمنين قال أقسمت عليك ان تصفنه فقال كان والله بعيد المدى

شديد القوى يقول فضلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وينطق بالحكمة من نواحيه
يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته وكان غزير العبرة طويل الفكرة
يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن وكان فينا كأحدنا يجيبنا اذا سألناه ويأتينا
اذا دعواناه ونحن والله مع تقر به ايانا وقر بنا منه لانكاد نكلمه هيبته يعظم أهل الدين
ويقرب المساكين لا يطعم القوى في باطله ولا يأس الضعيف من عدله وأشهد لقد رأيت في بعض
مواقفه وقد أرنخ الليل سدوله وغارت نجومه قابضا على لحيته يقلقل تمل السليم أى اللديغ
ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا غري غري الى تعرضت أم الى تشوفت هيهات هيهات قد طمعتك
ثلاثا لا رجعة لي فيك فعمرك قصير وحظك قليل آه آه من قلة الزاد وبعد المسفر ووحشة
الطريق فبكي معاوية وقال رحم الله ابا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار
فقال حزن من ذبح ولدها في حجرها وسئل الحسن البصري عن علي رضي الله عنه فقال
كان والله سهما صائبا من مراحمي الله عز وجل على عدوه ورباني هذه الامة وذا فضلها
وذا سابقتها وذا قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن متراخيا عن أمر الله ولا
باللومة في دين الله ولا بالسروقة لمال الله أعطى القرآن عزائم فجاز منه برياض موثقة ذلك
على بن ابي طالب رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم على مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان
حتى يردا على الخوض وقال صلى الله عليه وسلم النظر الى علي عبادة وقال صلى الله عليه وسلم
على امام البرره وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله وقال صلى الله عليه وسلم
عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن ابي طالب وقال صلى الله عليه وسلم حب علي ياكل الذنوب
كأنما كل النار الحطب وقال صلى الله عليه وسلم ان السعيد كل السعيد حق السعيد من أحب عليا
في حياته وبعد مماته وقال صلى الله عليه وسلم من أحب عليا فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب
الله ومن أبغض عليا فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أغضب الله وقال صلى الله عليه وسلم على
يزهر في الجنة ككوكب الصبح لأهل الدنيا قال ابن عباس رضي الله عنهما نزل في علي
رضي الله عنه ثلاثمائة آية من آيات القرآن منها قوله تعالى لن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن ودا قال محمد بن الحنفية لا يبقى مؤمن الا وفي قلبه ودل على وأهل بيته و
نزل قوله تعالى وتعيها أذن واعية قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها أذن على قال علي
رضي الله عنه ما نسيت بعد ذلك شيئا وفضائل علي رضي الله عنه وبقية الخلفاء الراشدين
كثيرة مفردة بالتأليف والقصد من ذلك كله بيان عدلهم في بيت المال وانهم انما فتحوا الفتوحات حتى
اتسع الاسلام بالعدل في بيت المال وقصة استشهاد علي رضي الله عنه مشهورة لاحاجة لنا
بذكرها وكان استشهاد سابع عشر رمضان سنة أربعين من الهجرة وعمره ثلاث وستون
سنة وما ينبغي أن يلحق بالخلفاء الا أربعة في العدل في بيت المال عمر بن عبد العزيز رضي الله
عنه فان كثيرا من الائمة ألحقوه بالخلفاء الراشدين

ذكر ما كان لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه من الاقتصاد في الدنيا وحسن السيرة
كان رضي الله عنه زاهدا عادلا في بيت المال كانت نفقته التي يأخذها من بيت المال كل
درهمين وقال رجاء بن حيوة قومت ثياب عمر بن عبد العزيز وهو خليفة باثني عشر درهما

لنفه وقيصه ورداءه وقباء وسراويله وعمامته وقلنسوته وخفيه وكان يلبس القميص مرصفا
كما كان يفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سعيد بن سويد صلى عمر بن عبدالعزيز بالناس
الجمعة وعليه قميص مرقوع مجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا أمير المؤمنين إن الله أعطاك
فلو لبست فنكس مليا ثم رفع رأسه فقال إن أفضل الزهد القصد عند الجدة وأفضل العفو
عند القدرة وقال عون بن العتمر دخل عمر بن عبدالعزيز يوما على امرأته فاطمة بنت عبد
الملك فقالت يا فاطمة عندك درهم اشترى به عني قالت لا ثم قالت وانت أمير المؤمنين
لا تقدر على درهم تشتري به عني قال هذا أهون علينا من معالجة الأغلال غدا في جهنم
وقال أبو أمية الخصاصي ثم عمر دخلت يوما على عمر بن عبدالعزيز فقالت يا أمير المؤمنين
عندك درهم اشترى به عني قال هذا أهون علينا من معالجة الأغلال غدا في جهنم
ابن عمه سيمان بن عبد الملك قربوا إليه من الخيل مراكب الخلافة يركب ماشاء منها وكانت
مراكب كثيرة مزينة بأنواع الزينة فأبى أن يركب شيئا منها وقال تكفيني بغلتي وباع تلك
المراكب وما كان عليها من أنواع الزينة وجعل ذلك الثمن في بيت المال وكذا ما كان
يصرف عليها من النفقات وما يصرف على خدمها القايين عليها جعل ذلك كله في بيت
مال المسلمين وأمر بالسور فتهتك والفرش التي كانت تبعا للخلفاء فحلت وأمر ببيعها
وادخل ثمنها في بيت مال المسلمين قال مالك بن دينار الناس يقولون مالك زاهد انما الزاهد
عمر بن عبدالعزيز وقال عبد الله بن المبارك لما قيل له زاهد قال لست بزاهد انما الدنيا زهدتني
وتركتني الزاهد عمر بن عبدالعزيز جاءته الدنيا فزهد فيها وتركها وكان ابن سيرين اذا
سئل عن الطلاق قال نهى عنها الامام المهدي يعني عمر بن عبدالعزيز وقال مسلمة بن عبد الملك
دخلت على عمر بن عبدالعزيز أعوده في مرضه الذي توفي فيه فاذا عليه قميص وسخ فقلت
لا تخني فاطمة بنت عبد الملك ألا تغسلنه ثم رجعت مرة أخرى فوجدت القميص بمحاله لم
يغسل فقلت ألا تغسلني قميصه فقالت والله ماله غيره وقال قيس بن جبير مثل عمر بن عبد
العزيز في بني أمية مثل مؤمن آل فرعون وقال يعقوب بن مهران إن الله كان يتعهد الناس
لي بعد نبي وإن الله تعاهد الناس بعمر بن عبدالعزيز وقال حسن القصاب رأيت الذئب
يحمي مع الغنم في البادية في خلافة عمر بن عبدالعزيز فقلت سبحان الله ذئب في غنم لا يضرها
فقال الراعي اذا صلح الرأس فليس على الجسد بأس وقال مالك بن دينار لما ولي عمر بن عبد
العزيز قالت رعاء الشاء من هذا الصالح الذي قام على الناس خليفة عدل حتى كفت الذئاب
عن شاتنا ف قيل لهم وما علمكم بذلك فقالوا اذا قام على الناس خليفة عدل تكف الذئاب
عن الشياء وكانت الشياء والذئاب ترعى في مكان واحد فبيناهم كذلك ذات ليلة اذ عرض
الذئب لشاة فقالوا ما نرى الرجل الصالح الاهلك وكان ذلك في زمان موته فلما بلغهم خبر موته
مد نحو شهر حسبوا ذلك فوجدوا موته في تلك الليلة وكتب بعض عمال عمر بن عبدالعزيز
اليهم ان مدينتنا قد خربت فان رأى أمير المؤمنين أن يقطع لنا ما لا نرمه به فكتب اليه عمر
فقرأت كتابي هذا فخصنها بالعدل ونقي طرقها من الظلم فانه مر بها والسلام وكانت
بنته فاطمة بنت عمه عبد الملك بن مروان عندها حلى وجواهر لم ير مثلها أمر لها بها أبوها

حين زوجها فلما أفضت الخلافة اليه قال لها اختاري اما أن تردى حليك الى بيت المال
لائنه أخذت مني واما أن تأذني لي في فراقك فاني أكره أن أكون أنا وأنت وهذا
الحلي في بيت واحد فقالت بل أختار لك عليه وعلى أضعافه فأمر به فحمل حتى وضع
في بيت المال فلما مات عمر واستخلف أخوها يزيد بن عبد الملك قال لأخته فاطمة ان شئت
رددته عليك لأن عمر أخذه منك بغير حق وأدخله بيت المال فأبت ان تردده وقالت لا أطيب
به نفسا في حياته وأرجع فيه بعد موته فأخذه يزيد فقسمه بين اهله ولما ولي عمر الخلافة أخذ
من بني عمه وقربائه أموالا كثيرة وضياعا وعقارات وأدخلها بيت المال وقال انهم أخذوها
بغير حق وسمى ذلك مظالم ففرع بنو أمية الى عمته فاطمة بنت مروان وسألوها أنها تكلمه
وتراجعه في ذلك فأتته فقالت له تكلمني انت يا أمير المؤمنين فقال ان الله بعث محمدا
صلى الله عليه وسلم رحمة ولم يبعثه عذابا الى الناس كافة ثم اختار له ما عنده وترك للناس نهرا
شربهم سواء ثم ولي أبو بكر فترك النهر على حاله ثم عمر فعمل علمهما ثم لم يزل النهر يستقي منه
يزيد ومروان وعبد الملك ابنه والوليد وسليمان ابنا عبد الملك حتى أفضى الأمر الى وقد
يبس النهر الا عظم فلم يرو أصحابه حتى يعود الى ما كان عليه فقالت حسبيك قد أردت
كلامك فأما اذا كانت مقاتلك هذه فلا أذكر شيئا أبدا فرجعت اليهم فأخبرتهم بكلامه وقيل
انها قالت له ان بنو أمية يقولون كذا وكذا فلما قال لها هذا للكلام قالت له انهم يحذرونك
يوما من أيامهم (تعني) انهم يخرجون عليه ويقا تلونه فغضب وقال كل يوم أخافه غير
يوم القيامة قد أمنت شره فرجعت اليهم فأخبرتهم وقالت أنتم فعلتم هذا بأنفسكم تزوجتم
بأولاد عمر فجاء يشبه جده فسكتوا (أي) لأن أم عمر بن عبد العزيز هي أم عاصم بنت عاصم
ابن عمر بن الخطاب واسمها تحفصة وكان رضى الله عنه بوجهه شجرة ضربته فرس في جبينه
وهو غلام فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول ان كنت اشجع بنى مروان لسعيد وكان
ابن الخطاب رضى الله عنه يقول من ولدى رجل بوجهه شجرة يلا الأرض عدلا فكان
عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وفي رواية كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لميت
شعري من ذوالشين من ولدى الذي يلاؤها عدلا كما ملأت جورا وكان عبد الله بن
عمر رضى الله عنهما يقول كنا نتحدث ان الدنيا لا تنقضى حتى يلى رجل من آل
عمر يعمل بمثل عمل عمر فكان بلال بن عبد الله بن عمر بوجهه شجرة فكانوا يظنون انه
ذوالشين الذى ذكره عمر فلم يكن هو وما عرفوا ذوالشين حتى جاء الله بعمر بن عبد العزيز فولى
الخليفة وسار بسيرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعن عبد الله بن مسلم عن ابيه قال دخلت
على عمر بن عبد العزيز وعنده كاتب يكتب وشمعة تزهو وهو ينظر في أمور المسلمين فلما فرغ
الكاتب وخرج اطفئت الشمعة وجيء بسراج الى عمر من ماله وكان سراجا على ثلاث
قصبات فوقهن طين ولما ولي الخلافة أمر منلديا ينسأدى من كانت له مظلة فلما رفعها فقام
اليه ذمى من أهل حصن أبيض الرأس واللحية فقال يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى
قال وما ذاك قال العباس بن الوليد بن عبد الملك غصبتى أراضى والعباس جالس فقال ماتقول
يا عباس قال أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك وكتب لى بها سجلة فقال عمر ماتقول

يا ذمي فقال يا امير المؤمنين اسألك كتاب الله عز وجل فقال عمر كتاب الله أحق أن يتبع
من كتاب الوليد بن عبد الملك قم فاردد اليه يا عباس ضيعته فردها عليه وجعل لا يدع شياً
مما كان في يده ويد أهل بيته من المظالم الا ردّها مظلمة مظلمة ولما ولي عمر بن عبد العزيز كان عمر بن
الوليد بن عبد الملك غائباً فسمع ان عمر بن عبد العزيز أخذ أموالاً من بنى عمه وعشيرته وردّها
الى بيت المال فكاتب كتاباً لعمر بن عبد العزيز يقول فيه انك قد أزريت على من قبلك من الخلفاء
وعبت عليهم وسرت بغير سيرتهم بغضالهم وشيننا لمن بعدهم من أولادهم وقطعت ما أمر الله
به أن يوصل اذ عمدت الى أموال قريش ومواريتهم فأدخلتها بيت المال جوراً وعدواناً
ولن تترك على هذا أي فلا بد ان يخرجوا عليك ويقايلوك فلما قرأ كتابه كتب اليه بسم الله
الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عمر بن الوليد السلام على المرسلين والحمد لله
ربه العالمين اما بعد فانه بلغني كتابك وسأجيبك بنحو منه فأنا أول سائل فان كنت ابن
الوليد كما زعم فأملك بنانة بنت السكون كانت تطوف في سوق حص وتدخل حوانيتها
معرّوجاً بها أعلم فاشترها ذبيان من فئ المسلمين فأهداها لائيك فحملت بك فبئس المحمول
وبئس المولود ثم نشأت فكنت جباراً عنيدا تزعم اني من الظالمين لما حرمت وأهل بيتك
ففي الله الذي فيه حق القرابة والمساكين والأرامل وان أظلم فني وأترك لعهد الله سبحانه
وتعالى من استعملك صبيبا سفيها على جند المسلمين تحكم فيهم برأيتك ولم يكن له في ذلك
نية الا حب الوالد ولده فويل لك وويل لائيك ما أكثر خصماء كما يوم القيامة وكيف
ينجو والدك من خصمائه وان أظلم مني وأترك لعهد الله تعالى من استعمل قرة بن شريك أعرايبا
جافيا على مصر وأذن له في المعازف واللهو والشرب ومن جعل لعالية البربرية سهماء في خمس
خمس العرب فرويد ابن بنانة فلو التقت حلقتا البطان ورد الفئ الى أهله لتفرغت لك
ولا هل بيتك فوضعتكم على الحجّة البيضاء فطلما تركتم الحق ومن وراء هذا مأرجوان
اكون رأيته من بيع رقبتي وقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين والأرامل
لكل فيك حقاً والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ولا ينال سلام الله الظالمين
وكان عمر بن عبد العزيز قبل ان يلي الخلافة على خير وعلم وصلاح وعبادة الا انه كان متنعماً
في مأكله ومشربه وملبسه فلما ولي الخلافة اخشوش وترك ما كان عليه من التمتع وكان قبل أن
يلي الخلافة لا يأكل الا أحسن الطعام ولا يلبس الا أحسن الثياب وكان يشتري له الحلقة بالف
دينار فاذا لبسها استخشنها ولم يستحسنها وكان يؤتي له بالثوب الحسن الناعم فيلبسه بيده فيقول
ما أحسنه ولا خشونة فيه فلما جاءته الخلافة واخشوشن فكان يؤتي له بالقميص الخشن
التي لا قيمة له فيلبسه بيده فيقول ما أحسنه لولا نعومة فيه فسئل عن ذلك فقال ان لي نفساً تواقفة
لاتنال شيئاً الا تافكت لما هو أرفع منه فلما نالت الخلافة اشتاقت الى الجنة وحدث الهيثم بن عدي قال
كان اعاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر بن عبد العزيز جارية حسنة وكان عمر بن عبد العزيز يهوى
تلك الجارية فطلبها من زوجته فاطمة لنفسه قبل أن يلي الخلافة فامتنعت من اعطائها اياه
تأولي الخلافة أرادت فاطمة التقرب اليه والحظوة عنده فأمرت باصلاح الجارية وأدخلتها
عليه وأعظمها اياها في أحسن صورة وقالت هي لك قد طببت بها نفساً فسرقها ولها وظهر

الفرح في وجهه ثم لما خلى بالجارية لم يمسه بل سألها وقال لها من كنت ومن أين أتيت فاطمة
فقلت كان حاجا غرم ههنا كان له بالكوفة مالا وكنت في ررق ذلك العامل فأخذني الحجاج
فبعثنى الى عبد الملك بن مروان وانا صبية فوهبني عبد الملك لابنته فاطمة قال وما فعل ذلك
العامل قالت هلك قال وماتك ولدا قالت بلى قال فاحاله قالت سيئ فكتب عمر الى عامله
ان سرح الى فلان بن فلان على البريد فلما قدم عليه قال له ارفع الى جميع ما غرمه الحجاج
أباك فارفع اليه شيئا الادفعه له ثم دفع اليه الجارية وقال له اياك واياها ولعل أباك قد ووطئها
غرمت عليك فقال الغلام هي لك يا أمير المؤمنين واراد اعطائه اياها قال لا حاجة لي فيها قل
فابتعها مني قال اذا كنت ممن ينهى النفس عن الهوى فغضى بها الفتى فقالت الجارية لعمر فأين
وجدك ومحبتك لي فقال على حاله ولقد ازددت قبل فازالت في نفس عمر حتى مات وكان مسلة
ابن عبد الملك بن مروان متنعما ينفق كل يوم على مائته الف درهم فبعث اليه عمر بن عبد العزيز
يوما ان يتغدى عنده فهيأ له طعاما وأمر ان يحبس الطعام وان يقدم اليه قبل ذلك العدس
لكن أخرؤا تقديمه حتى جاع مسلة جوعا طويلا فقال عمر لخادمه ويحك ان اباسعيد لا يصبر
على الجوع فأتنا بما عندك فأتاه بالعدس فأكل مسلة من ذلك أكل غنيفا منكر لشدته
جوعه حتى شبع ثم جرى بالطعام الذي هيؤه فقال عمر كل يا اباسعيد فقال قد اكتفيت
فقال عمر يا اباسعيد تكفيك أشكلة بدانقين وانت تنفق على مائتك الف درهم كل يوم
فتساب وأعطى الله عهدا ان لا يعود لمثل ذلك ودخل مسلة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز
في مرضه الذي توفي فيه فقال يا أمير المؤمنين ألا توصي قال وهل من مال أوصى فيه فقال
مسلة هذه مائة ألف أبعث بها اليك أوصى فيها فقال له عمر أو غير ذلك يا مسلة
قال وما هو يا أمير المؤمنين قال تردها من حيث أخذتها فبكي مسلة وقال رحك الله
يا أمير المؤمنين لقد ألت من قلوب قاسية وزرعت في قلوب الناس لنا مودة وأبقيت لنا
في الصالحين ذكرا ثم قال مسلة فأوص الى بريك فقال عمر أوصي بهم الى الله
عز وجل وهو يتولى الصالحين وفي رواية ان بنى أحد رجلين امارجل يتقى الله تعالى
فسيجعل الله له مخرجا واما رجل مكب على المعاصي فاني لم اكن لأقويه على معاصي الله
وفي رواية ان كانوا الصالحين فالله يتولى الصالحين وان كانوا مجرمين فلن اكون ظهيرا للمجرمين
ولمات رضى الله عنه بلغت تركته سبعة عشر دينارا كفنها بخمسة دنانير واشترى موضع
قبر له بدينارين وكان بنوه احدى عشر ابنا فأصاب كل واحد من بنيه تسعة عشر درهما ومات
هشام بن عبد الملك وخلف احدى عشر ابنا فأصاب كل واحد من تركته الف الف ثم روى
واحد من ولد عمر بن عبد العزيز جهز في يوم واحد مائة فارس وروى واحد من ولد هشام
يسأل الناس ويتصدق عليه وكان سليمان بن عبد الملك يقتل الخوارج كثيرا فكان عمر
ابن عبد العزيز يشير عليه بحبسهم حتى يتوبوا وينهاه عن قتلهم فجاء خازن سليمان
ابن عبد الملك وقال له يا فاسق يا ابن الفاسق فقال سليمان على بعمر بن عبد العزيز فلما جاء قال له
سليمان اسمع مقالة هذا فأعاد الخازن قوله يا ابن الفاسق فقال سليمان لعمر ماذا ترى
فسكت عمر فقال له سليمان عزمت عليك ان أخبرني بما ترى فقال عمر أرى ان تشتمك كما تشتمك فقال

سليمان ليس الا هذا قال نعم ثم امر سليمان بالخارجي فقتل بضرب عنقه فخرج ثم أمره
 خالد بن الريان صاحب حرس سليمان فقال يا عمر كيف تقول لامير المؤمنين ما رآه عليه الا ان
 تشتمه كما شتمك والله لقد كنت متوقعا ان يأمرني امير المؤمنين بضرب عنقك قال ولو أمرت
 لفعلت قال انى والله فلما افضت الخلافة الى عمر جاء خالد فقام مقام صاحب الحرس فقال له
 عمر يا خالد ضع هذا السيف عنك ثم قال اللهم انى وضعت لك خالد بن الريان فلا ترفعه ابدا
 ثم نظر الى وجوه الحرس فدعا عمرو بن مهاجر الانصاري وقال يا عمرو والله ليعلمن الله ان
 ما بيني وبينك قرابة الاقربة الاسلام ولكن قد سمعتك تكثر تلاوة القرآن ورأيتك تصلي في موضع
 تظن انه لا يراك احد الا الله ورأيتك تحسن الصلاة وانت رجل من الانصار فخذ هذا السيف
 فقد وايتك حرسى فوضع الله ذكر خالد بدعوة عمر بن عبدالعزيز حتى كان لا يذكر ولا يدري
 أحى هو أم ميت قال يحيى بن يحيى فأرأيت شريفا خجل ذكره حتى لا يذكر مثل خالد بن الريان
 حتى ان كاد الناس يقولون ما فعل خالد أحمى هو أم قد مات لحول ذكره بدعوة عمر بن عبد
 العزيز رضى الله عنه ولما ولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة قال لميمون بن مهران كيف لى بأعوان
 على هذا الامر أتقى بهم فقال يا امير المؤمنين لا تشغل قلبك بهذا فانك سوق وانما يحمل الى كل
 سوق ما ينطق فيه فاذا عرف الناس منك النصح لم يأتوك الا بالنصح فكان الامر كذلك وكان
 رضى الله عنه يجتمع الفقهاء عنده كل ليلة فيذكرون الموت والقيامة و يكون حتى كأن بين
 ايديهم جنازة وكان رضى الله عنه يقول مالى فى الامور هو سوى مواقع قضاء الله فيها وما كنت
 على حالة من حالات الدنيا فسرني انى على غيرها وبلغ عمر بن عبدالعزيز ان ابنه اشترى فصا
 بالف درهم وتختم به فأمره ان يبيع القص ويتصدق بثمنه وان يشتري فصا بدرهم وينقش عليه
 رحم الله امرأ عرف نفسه وعن الاوزاعى قال قال عمر بن عبدالعزيز جلساؤه من صحبتي منكم
 فليصحبني بخمس خصال يدبني من العدل على مالا أهتدى له ويكون لى على الخير عونا و يبلغنى
 حاجة من لا يستطيع بلاغها ولا يغتاب عندى احدا ويؤدى الامانة التى جملها منى ومن الناس
 من كان كذلك فيعلمن به والافهوى فى حرج من صحبتي والدخول على وعن الزهرى قال كانت
 العلماء عند عمر بن عبدالعزيز تلامذة وقال ميمون بن مهران عمر بن عبدالعزيز معلم العلماء أتينا
 عمر نعلمه فأبرحنا حتى تعلمنا منه ولما ظهر من عدله ما ظهر وضع له جماعة من بنى امية من سقاء
 السم فقتل له تدارك نفسك فقال والله لقد عرفت الساعة التى سقيت فيها ولو كان شقائى
 ان أمس شحمة أذنى ما فعلت وسأل الذى سقاء السم فأقر فقال له كم أعطوك فقال الف دينار
 فقال اتنى بها فأنا بهافو وضعها فى بيت الملل وقال له غيب وجهك عني ولم يعاقبه وجاء رجل
 الى هشام بن عبد الملك فقال يا امير المؤمنين ان عبد الملك أقطع جدى قطعة فأقرها الوليد وسليمان
 حتى استخلف عمر رضى الله عنه نزعها منى فقال هشام أعد مقاتلك فقال يا امير المؤمنين ان عبد الملك
 أقطع جدى قطعة فأقرها الوليد وسليمان حتى استخلف عمر رضى الله عنه نزعها منى فقال هشام
 والله ان فىك لعجبا انك تذكر من أقطع جدك القطيعة ومن أقرها فلا تترحم عليه وتذكر من انتزعها
 فتترحم عليه وانا قد أمضينا ما صنع عمر رضى الله عنه وقال سفيان الثورى والشافعي وكثير من الائمة
 فعاء خمسة ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبدالعزيز ولما عهد اليه سليمان بن عبد الملك

بالخلافة استنع من القبول فأكرهوه على البيعة فلما فرغوا من البيعة صعد المنبر فقال يا أيها الناس اني
 قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأي مني ولا مشورة من المسلمين وانني قد خدمت ما في أعناقكم
 من بيعتي فاخترتوا لانفسكم فصاح المسلمون صيحة واحدة قداخترناك يا امير المؤمنين
 ورضيناك في أمرنا باليمن والبركة فلما رأى الاصوات قد هدأت ورضوا به جميعا جدا لله
 وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقال أوصيكم بتقوى الله الى ان قال ان هذه
 الامة لم تختلف في ربها ولا في نبيها ولا في كتابها وانما اختلفوا في الدنانير والدراهم والله
 لا أعطي احدا باطلا ولا أمنع احدا حقاً ثم رفع صوته حتى أسمع الناس فقال ايها الناس من
 أطاع الله فقد وجبت طاعته ومن عصى الله تعال فلا طاعة له أطيعوني ان أطعت الله تعال
 فاذا عصيت الله تعال فلا طاعة لي عليكم ثم نزل فدخل داره وكانت فاطمة بنت الحسين
 ابن علي بن ابي طالب رضى الله عنهم تكثر من الترجم على عمر بن عبدالعزيز فقبل لها في ذلك
 فقالت دخلت عليه وهو امير المؤمنين فأخرج عنه كل خصي حتى ابقى في البيت غيره
 وغيره ثم قال والله ما على وجه الارض أهل بيت أحب الى منكم ولا اسم احب الي من اسمي
 بيتي وما ترك لي حاجة الا قضاها وقال الامام محمد الباقر بن زين العابدين رضى الله عنه ان عمر
 ابن عبدالعزيز نجيب بني امية وانه يبعث يوم القيامة أمة وحده وعن جاد ان عمر بن عبدالعزيز
 لما استخلف بكما فقال يا فلان اتخشى على قلت كيف حبك لادبرهم قال لا احبه قلت لا تخف فان
 الله سبعينك وقال في بعض خطبه ايها الناس انه لا كتاب بعد القرآن ولا نبي بعد
 محمدا صلى الله عليه وسلم واني لست بقاض ولكني منفذ ولست بمبتدع ولكني سميع
 ولست بنحير من احدكم ولكني أثقلكم حلا ان الرجل الهارب من الامام الظالم
 ليس بظالم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وقال بعض علماء التابعين ان عمر
 ابن عبد العزيز هو المهدي الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم انه يبعث في آخر الزمان عدلا
 لكن الصحيح الذي عليه جمهور العلماء انه مهدي من جملة المهديين واما المهدي المنتظر
 فانه من ولد فاطمة رضى الله عنها ويجمع بعيسى عليه السلام ويكون خروج المهدي في سنة
 وذلك من أعظم علامات ما استدل به القائلون بان عمر بن عبد العزيز هو المهدي المنتظر
 المال في زمانه وزهد الناس في الدنيا وذلك من علامات المهدي قال معمر بن أبي العلاء رضى الله عنه
 ما مات عمر بن عبد العزيز حتى جعل الرجل ياتينا بالمال العظيم فيقول اجعلوا من مالي
 ترون فما يبرح حتى يرجع بالله كله وقد أغنى عمر الناس وقد علمت انه مهدي من جملة
 المهديين وليس هو المهدي المنتظر وان وجد كثير من علامات المهدي المنتظر في زمانه
 وكان عمر بن عبد العزيز كثير العبادة والزهد والخوف والبكاء قال عطاء بن أبي رباح
 حدثني فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز انها دخلت عليه وهو في مصلاه تسيل دموعه على
 خديه فقلت يا امير المؤمنين اشئ حدث قال يا فاطمة اني تقلدت أمراة محمد صلى الله عليه وسلم
 وسلم أسودها وأجرها فتفكرت في الفقير الجائع والمريض الضائع والعمري المجهل والمظلوم
 المتهود والغريب الأسير والشيخ الكبير وذو العيال الكثير والمال المداشيت في
 في أقطار الارض وأطراف البلاد ففعلت ان ربي سيسألني في القيامة

لا تثبت لي حجتى فبكيت قال عطاء الخراساني أمر عمر بن عبد العزيز غلامه ان يسخن له ماء فانطلق فسخن قهما في مطبخ بيت المال فلما علم عمر أمر الغلام ان يشتري قطبا بدرهم ويجعله في مطبخ بيت المال وأهدى اليه رجل من اهل بيته تقاحا طيب الطعم والريح فقال عمر ما أطيب ريحه وأحسنه اذ فمه يا غلام للذى أتى به وقال له ان هديتك عندنا وقعت بحيث نحب وكان عنده عمرو بن مهاجر فقال يا امير المؤمنين ابن عمك ورجل من اهل بيتك وقد بلغك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأكل الهدية فقال ويحك ان الهدية كانت للنبي صلى الله عليه وسلم هدية وهى اليوم لنا رشوة وتال مكحول لو حلفت لصدقت ما رأيت أزهد ولا أخوف لله من عمر بن عبد العزيز وقال سعيد بن ابى عروة كان عمر بن عبد العزيز اذا ذكر الموت اضطربت أوصاله واجتمع بنو مروان يوما وقالوا العبد الملك بن عمر ابن عبد العزيز قل لا يبك ان من كان قبلك من الخلفاء يعطوننا ويعرفون لنا وما وضع حقوقنا وان ابالك تالله ما في يده فدخل على ابيه فاخبره فقال قل لهم انى اخاف ان عصيت ربي عذابي يوم عظيم وقال أرطاة بن المنذر قيل لعمر بن عبد العزيز لو اتخذت حرسا واحتمت في اهلك وشرابك فقال اللهم ان كنت تعلم انى اخاف شيئا دون يوم القيامة فلا تؤمنه وكتب اليه عامل خراسان ان اهل خراسان قوم ساءت رعيته ولا يصلحهم الا السيف والسوط فان رأى امير المؤمنين ان ياذن لي في ذلك فكتب اليه عمر اما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر ان اهل خراسان قد ساءت رعيته وانه لا يصلحهم الا السيف والسوط فقد كذبت بل يصلحهم العدل والحق فابسط ذلك فيهم والسلام وكان رضى الله عنه اذا أُملى على كاتبه يقول اللهم انى أعوذ بك من شر لسانى وبكى رضى الله عنه مرة فبكيت ليكائه فاطمة زوجته فبكى اهل الدار لباكئهما ولا يدري احد منهم ما سبب البكاء فلما تجلى عنهم قالت له فاطمة بأبى انت يا امير المؤمنين مما بكيت قال ذكرت منصرف القوم من بين يدي الله عز وجل فريق في الجنة وفريق في السعير ثم صرخ وغشى عليه ورفع رضى الله عنه مرة بيده كفاف من تمر وقال أسلمة بن عبد الملك ان الماء على التمر طيب ارايت لو ان رجلا اكل هذا ثم شرب عليه الماء أكان يجهز به الى الليل قال نعم قال فعلى م تدخل النار قال مسئلة فاوقعت منى موعظة موقعها وجاء ابن سليمان بن عبد الملك الى مزاحم مولى عمر ابن عبد العزيز وحاجبه فقال ان لي حاجة الى امير المؤمنين عمر فاستأذن له فاذن له فلما دخل قال له يا امير المؤمنين رد على قطيعتى التى أخذت منى فقال عمر مغاذا الله ان أرد قطيعه أصبحت فى الاسلام فقال هذا كتابى وأخرج كتابا من كمه فقرأه عمر فقال لمن كانت هذه الارض قبلك قال للفاسق ابن الحجاج فقال عمر فهو اولى بدعواها قال فانها من بيت مال المسلمين قال فالمسلمون اولى بها قال يا امير المؤمنين رد على كتابى قال لا أفعل لو لم تأتني به لم أسألكه فأما اذا جئتني به فلم ندعك تطلب باطلا فبكى ابن سليمان فقال مزاحم يا امير المؤمنين ابن سليمان تصنع به هذا قال ويحك يا مزاحم انها نفسى أجادل عنها وانى لاجدله من الشفقة ما جادل لولدى وكتب سالم بن عبد الله بن عمر لعمر بن عبد العزيز بعضا من سيرة عمر بن الخطاب لما طلب منه ذلك عمر ابن عبد العزيز ثم قال سالم ان عمر بن الخطاب عمل فى غير زمانك وكان له مساعد ومعين على ما يريد من الحق فان عملت فى زمانك بمثل ما عمل فى زمانه كنت افضل منه وأرسل مرة عمر

ابن عبد العزيز خلافة له شهيداً فعمله العلام بها فقال له عمر اسرعت بها فقال سو بهما
في نار مطبخ بيت نار المؤمنين وكان للمسلمين مطبخ يغذيهم ويعشيهم منه فقال عمر اقلامه اذهب
فكفها فقلت رزقتها ولم أرزقها وكان لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه سبط فيه دراعه
من شعر وغل وكان له بيت في جوف بيت يصلي فيه لا يدخل عليه فيه احد فاذا كان في آخر
الليل فتح ذلك السبط ولبس تلك الدراعة وادخل الغل في عنقه فلا يزال يصلي ويناجي
ربه ويصلي حتى يطلع الفجر ثم يعده في السبط وقال الامام الغزالي في الاحياء دخلت
موتة ثم بن عبد العزيز علي عمر رضي الله عنه فسميت باسمه في بيت في بيته
فصلت فيه ركعتين ثم غلبتها عينها فرفدت واستمر سجدت في موضعها فسميت باسمه
يا امير المؤمنين اني والله رأيت عجبا قال وما ذاك قالت رأيت النار وهي تزفر على أهلها
ثم جئني بالمصراط فوضع علي متنها فقال هيه فقالت جئني بعبد الملك بن مروان فحمل
عليه فامضى الايسر حتى انكفاه الصراط فهو في جهنم فقال هيه قالت ثم
جئني بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فامضى الايسر حتى انكفاه الصراط فهو في
جهنم فقال عمر هيه قالت ثم جئني بسليمان بن عبد الملك فامضى عليه الايسر حتى
انكفاه الصراط فهو في جهنم فقال عمر هيه قالت ثم جئني بك يا امير المؤمنين
فصاح عمر صيحة وخر مغشيا عليه فقامت اليه فجعلت تنادي في أذنيه يا امير
المؤمنين اني والله رأيتك تمر حتى نجوت قال فما زالت تنادي وهو يصيح ويفحص برجله
وكتب عمر بن عبد العزيز الى بعض عماله وهو عدي بن أرطاة وكان قد ولاه
البصرة فلما أراد عزله كتب له بعزله وقال له في كتابه أما بعد فانك غررتني بمماثك
السوداء وارسالك طرفها من ورائك ومجالستك القراء وانك أظهرت لي الخير فأحسن
بك الظن وقد أظهرني الله على ما كنت تكتم والسلام وذكر الفصيل بن عمار ان
بعض عمال عمر بن عبد العزيز شكى اليه مشقة العيाम بممله فكتب اليه عمر يا أبا عبد الله
سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد واياك أن ينصرف بك من عند الله عز وجل فيكره
آخر العهد وانقطاع الرجاء فلما قرأ العامل الكتاب ترك عمله وانصرف وطوى الأرض حتى
قدم على عمر فقال له ما أقدمك قال خلعت قلبي بكتابك لا أعود الى ولاية أبدا حتى ألقى
الله عز وجل ولما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه دخل عليه سالم بن عبد الله بن
عمر بن الخطاب ومحمد بن كعب وهو كشيح حزين فقال لأحدهما عظمي فقال يا امير المؤمنين
ان الله سبحانه وتعالى لم يجعل احدا من خلقه فوقك فلا ترضى لنفسك ان يكون احد من
خلقك أطوع منك ولا ترضى أن يكون احد أولى بالشكر منك فبكى عمر رحمه الله حتى غشي
عليه ثم أفاق فقال هيه يا أبا خالد لم يرض ان يكون فوقى فوالله لا تخافنه خوفا ولا تحذرنه
حذرا ولا ترجونه رجاء ولا تحببهم محبة ولا تشكرنه شكرا ولا تحببهم جدا يكون ذلك
غاية طاقتي ولا أتمجدن في العدل والنصفة والزهد في الدنيا والرغبة في باقي الآخرة
ودوامها حتى ألقى الله عز وجل لعلي أنجومع الناجين وأفوز مع الفائزين ثم بكى حتى غشي
عليه وقال له الآخر اجمل الناس ثلاثة الكبير بمنزلة الأب والوسط بمنزلة الأخ والصغير

آخری درج شدہ تاریخ پریہ کتاب مستعار
لی گئی تھی مقررہ مدت سے زیادہ رکھنے کی
صورت میں ایک آنہ جریمہ دیرانہ لیا جائے گا۔
